كتاب
مجموعة من التفاسير

البيضاوي والنسفي
والخازن وابن عباس

المجلّد الخامس

التفسيرين العجيبين

اعادة طبعة
دار احياء التراث العربي
بيروت ـ لبنان

المجلد الخامس من التفسيرين العجيبين

المسبوك عليهما سطور الذهب سبك اللجين

الاول المسمى بأنوار التنزيل واسرار التأويل لشيخ مشايخ الاسلام أعلم العلماء الاعلام الحبر النحرير حاوى فضيلتى البيان والبنان فى التقرير والتحرير كاشف قناع المشكلات وموضح دلائل المعضلات مظهر الكنايات والاشارات منبع العلى أفضل الورى علم الهدى ناصر مذهب أهل السنة وكاشف غمة مذهب الاعتزال عن هذه الامة شيخ ديار العجم والعرب وأمام أهل اللغة والادب فريد دهره ووحيد عصره القاضى ناصر الدين أبى سعيد عبد الله بن عمر البيضاوى الشافعى المتوفى سنة (٦٨٥) وقيل (٦٩٢) قدس الله روحه ونور ضريحه

الثانى المسمى بلباب التأويل فى معانى التنزيل تأليف الامام العلامة قدوة الامة والائمة ناصر الشريعة ومحيي السنة علاء الدين على بن محمد بن ابراهيم البغدادى الصوفى الشافعى المعروف بالخازن فرغ من تأليفه سنة (٧٢٥) تغمده الله برحمته آمين

قد حلى هامش هذا الكتاب بالتفسيرين النيرين * الاول المسمى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل تأليف الامام الجليل العلامة أبى البركات عبدالله بن احمد بن محمود النسفى الحنفى المتوفى سنة (٧٠١) عليه سحائب الرحمة والرضوان

الثانى تنوير المقباس من تفسير ابن عباس لابى طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادى الشافعى المتوفى سنة (٨١٧)

تنبيه

يقول المتوسل الى الله احمد رفعت بن عثمان حلمى القره حصارى المصحح بدار الطباعة العامرة اعانه الله على مشاق هذه الصناعة وضعت أنوار التنزيل فوق الصحيفة ولباب التأويل تحتها مفصولا بينهما بجدول وكذلك وضعت مدارك التنزيل فوق الهامش وتنوير المقباس تحته مفصولا بينهما بجدول

الطبعة الاولى

بالمطبعة العامرة

سنة ١٣١٩ هجرية

سورة العنكبوت مكية وهى تسع وستون آية ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لايفتنون) الحسبان قوة أحد النقيضين على الآخر كالظن بخلاف الشك فهو الوقوف بينهما والعلم فهو القطع على أحدهما ولا يصح تعليقهما بمعانى المفردات ولكن بمضامين الجمل فلو قلت حسبت زيدا وظننت الفرس لم يكن شيأ حتى تقول حسبت زيدا عالما وظننت الفرس جوادا لان قولك زيد عالم والفرس جواد كلام دال على مضمون فاذا أردت الاخبار عن ذلك المضمون ثابتا عندك على وجه الظن لا اليقين أدخلت على شطرى الجملة فعل الحسبان حتى يتم لك غرضك والكلام الدال على المضمون الذى يقتضيه الحسبان هنا أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لايفتنون وذلك ان تقديره أحسبوا تركهم غير مفتونين لقولهم آمنا فالترك أول مفعولى حسب ولقولهم آمنا هو الخبر وأما غير مفتونين فتتمة الترك لانه من الترك الذى هو بمعنى التصيير كقوله عنترة *فتركته جزر السباع ينشنه * ألا ترى انك قبل المجئ بالحسبان تقدر ان تقول تركهم غير مفتونين لقولهم آمنا على تقدير حاصل

الجلد الخامس

اللهم اجعلنا من الصادقين

سورة العنكبوت مكية وهى تسع وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الم ﴾ سبق القول فيه ووقوع الاستفهام بعده دليل على استقلاله بنفسه او بما يضمر معه ﴿ أحسب الناس ﴾ الحسبان مما يتعلق بمضامين الجمل للدلالة على جهة ثبوتها ولذلك اقتضى مفعولين متلازمين اومايسد مسدهما كقوله ﴿ ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لايفتنون ﴾ فان معناه احسبوا تركهم غير مفتونين

تفسير سورة العنكبوت وهى مكية وآياتها تسع وستون آية وكلماتها تسعمائة وثمانون كلمة وحروفها أربعة آلاف ومائة وخمسة وستون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

* قوله عز وجل ﴿ الم أحسب الناس ﴾ أى أظن الناس ﴿ أن يتركوا ﴾ أى بغير اختبار وابتلاء ﴿ أن ﴾ أى بأن ﴿ يقولوا آمنا وهم لايفتنون ﴾ أى لا يبتلون فى

ومن السورة التى يذكر فيها العنكبوت وهى كلها مكية آياتها سبع وسبعون آية وكلماتها سبعمائة وثمانون كلمة وحروفها أربعة آلاف ومائة وخمسة وأربعون ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (الم) يقول أنا الله أعلم (أمو الهم) ويقال قسم أقسم به بقوله . لقد فتنا الذين من قبلهم (أحسب الناس) أيظن اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم (أن يتركوا) يمهلوا بعد محمد صلى الله عليه وسلم (أن يقولوا) بان يقولوا (آمنا) بمحمد عليه السلام والقرآن (وهم لايفتنون) لايبتلون بالهوى والبدعة

ومستقر قبل اللام وهو استفهام توبيخ والفتنة الامتحان بشدائد التكليف من مفارقة الاوطان ومجاهدة الاعداء وسائر الطاعات الشاقة وهجر الشهوات وبالفقر والقحط وأنواع المصائب فى الانفس والاموال ومصابرة الكفار على أذاهم وكيدهم روى انها نزلت فى ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جزعوا من أذى المشركين أو فى عمار بن ياسر وكان يعذب فى الله (ولقدفتنا) اختبرنا وهو موصول باحسب اوبلا يفتنون (الذين من قبلهم) بانواع الفتن فنهم من يوضع المنشار على رأسه فيفرق فرقتين مايصرفه ذلك عن دينه ومنهم من يمشط بامشاط الحديد مايصرفه ذلك عن دينه (فليعلمن الله) بالامتحان (الذين صدقوا) فى الايمان (وليعلمن الكاذبين) فيه ومعنى علمه تعالى وهو عالم بذلك فيما لم يزل ان يعلمه موجودا عند وجوده كما علمه قبل وجوده انه يوجد والمعنى وليتميزن الصادق منهم من الكاذب قال ابن عطاء يتبين صدق العبد من كذبه فى أوقات الرخاء والبلاء فمن شكر فى أيام الرخاء وصبر فى أيام البلاء فهو من الصادقين ومن بطر فى أيام الرخاء وجزع فى أيام البلاء فهو من الكاذبين (أم حسب الذين يعملون السيآت) أى

لقولهم آمنا فالترك اول مفعوليه وغير مفتونين من تمامه ولقولهم آمنا هو الثانى كقولك حسبت ضربه للتأديب اوانفسهم متروكين غير مفتونين لقولهم آمنا بل يمتحنهم الله بمشاق التكاليف كالمهاجرة والمجاهدة ورفض الشهوات و وظائف الطاعات وانواع المصائب فى الانفس والاموال ليتميز المخلص من المنافق والثابت فى الدين من المضطرب فيه ولينالوا بالصبر عليها عوالى الدرجات فان مجرد الايمان وان كان عن خلوص لايقتضى غير الخلاص عن الخلود فى العذاب روى انها نزلت فى ناس من الصحابة جزعوا من اذى المشركين وقيل فى عمار قد عذب فى الله وقيل فى مهجع مولى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه رماه عامر بن الحضرمى بسهم يوم بدر فقتله فجزع عليه ابواه وامرأته (ولقدفتنا الذين من قبلهم) متصل باحسب اوبلا يفتنون والمعنى ان ذلك سنة قديمة جارية فى الامم كلها فلا ينبغى ان يتوقع خلافه ﴿ فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ﴾ فليتعلق علمه بالامتحان تعلقا حاليا يتميز به الذين صدقوا فى الايمان والذين كذبوا فيه وينوط به ثوابهم وعقابهم ولذلك قيل المعنى فليميزن اوليجازين * وقرئ وليعلمن من الاعلام اى وليعرفنهم الناس اوو ليسمنهم بسمة يعرفون بها يوم القيامة كبياض الوجوه وسوادها ﴿ ام حسب الذين يعملون السيآت ﴾

أموالهم وأنفسهم كلا لنختبرنهم لنبين المخلص من المنافق والصادق من الكاذب قيل نزلت هذه الآية فى أناس كانوا بمكة قد أقروا بالاسلام فكتب اليهم أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم انه لايقبل منكم الاقرار بالاسلام حتى تهاجروا فخرجوا عامدين الى المدينة فاتبعهم المشركون فقاتلهم الكفار فمنهم من قتل ومنهم من نجا فانزل الله هاتين الآيتين وقال ابن عباس أراد بالناس الذين آمنوا بمكة سلمة بن هشام وعياش بن أبى ربيعة والوليد بن الوليد وعمار بن ياسر وغيرهم وقيل فى عمار كان يعذب فى الله تعالى وقيل فى مهجع بن عبدالله مولى عمر وكان أول من قتل من المسلمين يوم بدر فقال النبى صلى الله عليه وسلم سيد الشهداء مهجع وهو أول من يدعى الى باب الجنة من هذه الامة فجزع أبواه وامرأته فانزل الله هذه الآية ثم عزاهم فقال تعالى ﴿ ولقد فتنا الذين من قبلهم ﴾ يعنى الانبياء فمنهم من نشر بالمنشار ومنهم من قتل وابتلى بنو اسرائيل بفرعون فكان يسومهم سوء العذاب ﴿ فليعلمن الله الذين صدقوا ﴾ أى فى قولهم ﴿ وليعلمن الكاذبين ﴾ والله تعالى عالم بهم قبل الاختبار ومعنى الآية فليظهرن الله الصادقين من الكاذبين حتى يوجد معلومه وقيل ان آثار أفعال الحق صفة يظهر فيها كل مايقع وماهو واقع * قوله تعالى ﴿ أم حسب الذين يعملون السيآت ﴾ يعنى الشرك

وانتهاك المحارم (ولقدفتنا الذين من قبلهم) ابتلينا الذين من قبل أصحاب محمد عليه السلام بعد النبيين بالهوى والبدعة وانتهاك المحارم (فليعلمن الله) لكى يرى الله ويميز (الذين صدقوا) فى ايمانهم باجتناب الهوى والبدعة وترك المحارم (وليعلمن الكاذبين) يعنى المكذبين فى ايمانهم بالهوى والبدعة وانتهاك المحارم ثم نزل فى أبى جهل بن هشام والوليد بن المغيرة وعتبة وشيبة ابنى ربيعة الذين بارزوا على بن أبى طالب رضى الله عنه وحمزة بن عبدالمطلب عم النبى صلى الله عليه وسلم وعبيدة بن الحرث بن عبدالمطلب يوم بدر وتفاخر بعضهم على بعض فقال (أم حسب) أيظن (الذين يعملون السيآت) فى الشرك

الشرك والمعاصي (ان يسبقونا) أي يفوتونا يعني ان الجزاء يلحقهم لامحالة واشتمال صلة ان على مسند ومسند اليه سد مسد مفعولين كقوله أم حسبتم ان تدخلوا الجنة ويجوز ان يضمن حسب معنى قدر وأم منقطعة ومعنى الاضراب فيها ان هذا الحسبان أبطل من الحسبان الاول لان ذلك يقدر انه لايمتحن لايمانه وهذا يظن انه لايجازى بمساويه وقالوا الاول في المؤمنين وهذا في الكافرين (ساء مايحكمون) ما في موضع رفع على معنى ساء الحكم حكمهم أو نصب على معنى ساء حكما يحكمون والمخصوص بالذم محذوف أي بئس حكما يحكمونه حكمهم (من

كان يرجوا لقاء الله) أي يامل ثوابه أو يخاف حسابه فالرجاء يحتملهما (فان أجل الله) المضروب للثواب والعقاب (لآت) لامحالة فليبادر للعمل الصالح الذي يصدق رجاءه ويحقق أمله (وهو السميع) لما يقوله عباده (العليم) بما يفعلونه فلا يفوته شئ ما وقال الزجاج من للشرط وترتفع بالابتداء وجواب الشرط فان أجل الله لآت كقولك ان كان زيد في الدار فقد صدق الوعد (ومن جاهد) نفسه بالصبر على طاعة الله أو الشيطان بدفع وساوسه أو الكفار (فانما يجاهد لنفسه) لان منفعة ذلك ترجع اليها (ان الله لغني عن العالمين) وعن طاعتهم ومجاهدتهم وانما أمر ونهى رحمة لعباده (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيآتهم) أي الشرك والمعاصي

الكفر والمعاصي فان العمل يعم افعال القلوب والجوارح ﴿ ان يسبقونا ﴾ ان يفوتونا فلانقدر ان نجازيهم على مساويهم وهو ساد مسد مفعولي حسب وام منقطعة والاضراب فيها لان هذا الحسبان ابطل من الاول ولهذا عقبه بقوله ﴿ ساء مايحكمون ﴾ اي بئس الذي يحكمونه او حكما يحكمونه حكمهم هذا فحذف المخصوص بالذم ﴿ من كان يرجوا لقاء الله ﴾ في الجنة وقيل المراد بلقاء الله الوصول الى ثوابه او الى العاقبة من الموت والبعث والحساب والجزاء على تمثيل حاله بحال عبد قدم على سيده بعد زمان مديد وقد اطلع السيد على احواله فاما ان يلقاه ببشر لما رضي من افعاله او بسخط لما سخط منها ﴿ فان اجل الله ﴾ فان الوقت المضروب للقائه ﴿ لآت ﴾ لجاء واذا كان وقت اللقاء آتيا كان اللقاء كائنا لامحالة فليبادر مايحقق امله ويصدق رجاءه او مايستوجب به القربة والرضى ﴿ وهو السميع ﴾ لاقوال العباد ﴿ العليم ﴾ بعقائدهم وافعالهم ﴿ ومن جاهد ﴾ نفسه بالصبر على مضض الطاعة والكف عن الشهوات ﴿ فانما يجاهد لنفسه ﴾ لان منفعته لها ﴿ ان الله لغني عن العالمين ﴾ فلاحاجة به الى طاعتهم وانما كلف عباده رحمة عليهم ومراعاة لصلاحهم ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيآتهم ﴾ الكفر

﴿ ان يسبقونا ﴾ أي يعجزونا فلانقدر على الانتقام منهم ﴿ ساء مايحكمون من كان يرجوا لقاء الله ﴾ قال ابن عباس من كان يخشى البعث والحساب وقيل من كان يطمع في ثواب الله ﴿ فان أجل الله لآت ﴾ يعني ماوعد الله من الثواب والعقاب وقيل يوم القيامة لكائن والمعنى ان من يخشى الله ويؤمله فليستعد له وليعمل لذلك اليوم ﴿ وهو السميع العليم ﴾ أي يعلم مايعمل العباد من الطاعة والمعصية فيثيبهم أو يعاقبهم أو يعفو * قوله تعالى ﴿ ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه ﴾ أي له ثوابه وهذا بحكم الوعد لابحكم الاستحقاق فان الكريم اذا وعد وفى والجهاد هو الصبر على الاعداء والشدة وقد يكون في الحرب وقد يكون على مخالفة النفس ﴿ ان الله لغني عن العالمين ﴾ أي عن أعمالهم وعباداتهم وفيه بشارة وتخويف أما البشارة فلانه اذا كان غنيا عن الاشياء فلو أعطى جميع ماخلقه لعبد من عبيده لاشئ عليه لاستغنائه عنه وهذا يوجب الرجاء التام وأما التخويف فلان الله اذا كان غنيا عن العالمين فلو أهلكهم بعذابه فلاشئ عليه لاستغنائه عنهم ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيآتهم ﴾ أي

الله (أن يسبقونا) أن يفوتوا من عذابنا (ساء مايحكمون) بئس مايقضون ويظنون لانفسهم ذلك (من كان يرجوا) يخاف (لنبطلنها) (لقاء الله) البعث بعد الموت (فان أجل الله) البعث بعد الموت (لات) الكائن (وهو السميع) لمقالة كلا الفريقين يوم بدر (العليم) بما يصيبهم ثم نزل في علي وصاحبيه بما افتخروا فقال (ومن جاهد) في سبيل الله يوم بدر (فانما يجاهد لنفسه) فله بذلك الثواب (ان الله لغني عن العالمين) عن جهاد العالمين (والذين آمنوا) علي وصاحباه (وعملوا الصالحات) الطاعات فيما بينهم وبين ربهم (لنكفرن عنهم سيآتهم)

بالايمان والتوبة (ولنجزينهم أحسن الذى كانوا يعملون) أى أحسن جزاء أعمالهم فى الاسلام (ووصينا الانسان بوالديه حسنا) وصى حكمه حكم أمر فى معناه وتصرفه يقال وصيت زيدا بان يفعل خيرا كما تقول أمرته بان يفعل ومنه قوله ووصى بها ابراهيم بنيه أى وصاهم بكلمة التوحيد وأمرهم بها وقولك وصيت زيدا بعمرو معناه وصيته بتعهد عمرو ومراعاته ونحو ذلك وكذلك معنى قوله ووصينا الانسان بوالديه حسنا وصيناه بايتاء والديه حسنا أو بايلاء والديه حسنا أى فعلا ذا حسن أو ما هو فى ذاته حسن لفرط حسنه كقوله وقولوا للناس حسنا ويجوز ان يجعل حسنا

بالايمان والمعاصى بما يتبعها من الطاعات ﴿ ولنجزينهم احسن الذى كانوا يعملون ﴾ اى احسن جزاء اعمالهم والجزاء الحسن ان يجازى بحسنة حسنة واحسن الجزاء هو ان يجازى الحسنة الواحدة بالعشر وزيادة ﴿ ووصينا الانسان بوالديه حسنا ﴾ بايتائه فعلا ذا حسن اوكأنه فى ذاته حسن لفرط حسنه ووصى يجرى مجرى امر معنى وتصرفا وقيل هو بمعنى قال اى وقلنا له احسن بوالديك حسنا وقيل حسنا منتصب بفعل مضمر على تقدير قول مفسر للتوصية اى قلنا اولهما او افعل بهما حسنا وهو اوفق لما بعده وعليه يحسن الوقف على بوالديه وقرئ حسنا واحسانا ﴿ وان جاهداك لتشرك بى ما ليس لك به علم ﴾ بالهيته عبر عن نفيها بنفى العلم بها اشعارا بان ما لا يعلم صحته لا يجوز اتباعه وان لم يعلم بطلانه فضلا عما علم بطلانه ﴿ فلا تطعهما ﴾ فى ذلك فانه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق ولا بد من اضمار القول ان لم يضمر قبل ﴿ الى مرجعكم ﴾ مرجع من آمن منكم ومن اشرك ومن بر بوالديه ومن عق ﴿ فأنبئكم

لنبطلنها حتى تصير بمنزلة ما لم يعمل والتكفير اذهاب السيئة بالحسنة ﴿ ولنجزينهم أحسن الذى كانوا يعملون ﴾ أى بأحسن أعمالهم وهو الطاعة وقيل يعطيهم أكثر مما عملوا ❁ قوله عزوجل ﴿ ووصينا الانسان بوالديه حسنا ﴾ معناه برا بهما وعطفا عليهما والمعنى ووصينا الانسان بوالديه ان يفعل بهما ما يحسن نزلت هذه الآية والتى فى سورة لقمان والاحقاف فى سعد بن أبى وقاص وقال ابن اسحق سعد بن مالك الزهرى وأمه حمنة بنت أبى سفيان بن أمية بن عبد شمس لما أسلم وكان من السابقين الاولين وكان بارا بأمه قالت له أمه ما هذا الذى أحدثت والله ما آكل ولا أشرب حتى ترجع الى ما كنت عليه أو أموت فتعير بذلك أبد الدهر ويقال يا قاتل أمه ثم انها مكثت يوما وليلة لم تأكل ولم تشرب ولم تستظل فاصبحت وقد جهدت ثم مكثت كذلك يوما آخر وليلة فجاءها فقال يا أماه لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفسا نفسا ما تركت دينى فكلى ان شئت وان شئت فلا تأكلى فلما أيست منه أكلت وشربت فانزل الله هذه الآية وأمره بالبر لوالديه والاحسان اليهما وان لا يطيعهما فى الشرك فذلك قوله تعالى ﴿ وان جاهداك لتشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما ﴾ وفى الحديث لا طاعة لمخلوق فى معصية الله ثم أوعد بالمصير اليه فقال تعالى ﴿ الى مرجعكم فأنبئكم ﴾ أى فاخبركم

من باب قولك زيدا باضمار اضرب اذا رأيته متهيأ للضرب فتنصبه باضمار أولهما أو افعل بهما لان التوصية بهما دالة عليه وما بعده مطابق له كانه قال قلنا أولهما معروفا ولا تطعهما فى الشرك اذا حملا عليه وعلى هذا التفسير ان وقف على بوالديه وابتدئ حسنا حسن الوقف وعلى التفسير الاول لابد من اضمار القول معناه وقلنا (وان جاهداك) أيها الانسان (لتشرك بى ما ليس لك به علم) أى لا علم لك بالهيته والمراد بنفى العلم نفى المعلوم كانه قال لتشرك بى شيأ لا يصح ان يكون الها (فلا تطعهما) فى ذلك فلا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق (الى مرجعكم) مرجع من آمن منكم ومن أشرك (فأنبئكم

لنمحصن عنهم ذنوبهم دون الكبائر (ولنجزينهم أحسن الذى كانوا يعملون) فى جهادهم (ووصينا الانسان) أمرنا الانسان سعد بن أبى وقاص (بوالديه) بمالك وحمنة بنت أبى سفيان (حسنا) برا بهما (وان جاهداك) أمراك وأراداك (لتشرك) لتعدل (بى ما ليس لك به علم) أنه شريكى ولك علم انه ليس لى شريك (فلا تطعهما) فى الشرك وكان أبواه مشركين (الى مرجعكم) مرجعك ومرجع أبويك (فأنبئكم)

بما كنتم تعملون) فاجازيكم حق جزائكم وفى ذكر المرجع والوعيد تحذير من متابعتهما على الشرك وحث على الثبات والاستقامة فى الدين روى ان سعد بن أبى وقاص لما أسلم نذرت أمه ان لا تأكل ولا تشرب حتى يرتد فشكا الى النبى صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية والتى فى لقمان والتى فى الاحقاف (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) هو مبتدأ والخبر (لندخلنهم فى الصالحين) فى جلتهم والصلاح من أبلغ صفات المؤمنين وهو متمنى الانبياء عليهم السلام قال سليمان عليه السلام وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين وقال يوسف عليه السلام توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين أو فى مدخل الصالحين وهو الجنة ونزلت فى المنافقين (ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا أوذى فى الله) أى اذا مسه أذى من الكفار (جعل فتنة الناس كعذاب الله) أى جزع من ذلك كما يجزع من عذاب الله تعالى (ولئن جاء نصر من ربك ليقولن انا كنا معكم) أى واذا نصر الله المؤمنين وغنمهم اعترضوهم وقالوا انا كنا معكم أى متابعين لكم فى دينكم ثابتين عليه بثباتكم فاعطونا نصيبنا من الغنم (أوليس الله باعلم بما فى صدور العالمين) أى هو أعلم بما فى صدور العالمين من العالمين بما فى صدورهم ومن ذلك ما فى صدور هؤلاء من النفاق وما فى صدور المؤمنين من الاخلاص ثم وعد المؤمنين وأوعد المنافقين بقوله (وليعلمن الله الذى آمنوا وليعلمن المنافقين) أى حالهما ظاهرة

بما كنتم تعملون ﴾ بالجزاء عليه والآية نزلت فى سعد بن ابى وقاص رضى الله تعالى عنه وامه حية فانها لما سمعت باسلامه حلفت ان لا تنتقل من الضح ولا تطعم ولا تشرب حتى يرتد ولبثت ثلاثة ايام كذلك وكذا التى فى لقمان والاحقاف ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم فى الصالحين ﴾ فى جلتهم والكمال فى الصلاح منتهى درجات المؤمنين ومتمنى انبياء الله والمرسلين او فى مدخلهم وهى الجنة ﴿ ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا اوذى فى الله ﴾ بان عذبهم الكفرة على الايمان ﴿ جعل فتنة الناس ﴾ ما يصيبهم من اذيتهم فى الصرف عن الايمان ﴿ كعذاب الله ﴾ فى الصرف عن الكفر ﴿ ولئن جاء نصر من ربك ﴾ فتح وغنيمة ﴿ ليقولن انا كنا معكم ﴾ فى الدين فاشركونا فيه والمراد المنافقون اوقوم ضعف ايمانهم فارتدوا من اذى المشركين ويؤيد الاول ﴿ اوليس الله باعلم بما فى صدور العالمين ﴾ من الاخلاص والنفاق ﴿ وليعلمن الله الذين امنوا ﴾ بقلوبهم ﴿ وليعلمن المنافقين ﴾ فيجازى الفريقين

﴿ بما كنتم تعملون ﴾ أى بصالح أعمالكم وسيآتها أى فاجازيكم عليها ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم فى الصالحين ﴾ أى فى زمرة الصالحين وهم الانبياء والاولياء وقيل فى مدخل الصالحين وهو الجنة * قوله تعالى ﴿ ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا أوذى ﴾ يعنى أصابه بلاء من الناس افتتن ﴿ فى الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ﴾ أى جعل أذى الناس وعذابهم كعذاب الله فى الآخرة والمعنى انه جزع من أذى الناس ولم يصبر عليه فاطاع الناس كما يطيع الله من يخاف من عذابه وهو المنافق اذا أوذى فى الله رجع عن الدين وكفر ﴿ ولئن جاء نصر من ربك ﴾ أى فتح ودولة للمؤمنين ﴿ ليقولن ﴾ أى هؤلاء المنافقون للمؤمنين ﴿ انا كنا معكم ﴾ أى على عدوكم وكنا مسلمين وانما أكرهنا حتى قلنا ما قلنا فاكذبهم الله تعالى فقال ﴿ أوليس الله باعلم بما فى صدور العالمين ﴾ أى من الايمان والنفاق ﴿ وليعلمن الله الذين آمنوا ﴾ أى صدقوا فثبتوا على الايمان والاسلام عند البلاء ﴿ وليعلمن المنافقين ﴾ أى بترك الاسلام عند البلاء قبل نزلت هذه

فاخبركم (بما كنتم تعملون) من الخير والشر فى الكفر والايمان (والذين آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (الآية) (وعملوا الصالحات) الطاعات فيما بينهم وبين ربهم فى كل زمان (لندخلنهم فى الصالحين) مع الصالحين فى الجنة أبى بكر الصديق وعمر الفاروق وعثمان ذى النورين وعلى الامين رضى الله عنهم (ومن الناس) وهو عياش بن أبى ربيعة المخزومى (من يقول آمنا بالله) صدقنا بتوحيد الله (فاذا أوذى فى الله) عذب فى دين الله (جعل فتنة الناس) عذاب الناس بالسياط (كعذاب الله) فى النار دائما حتى كفر ورجع عن دينه (ولئن جاء نصر من ربك) فتح مكة (ليقولن) عياش وأصحابه (انا كنا معكم) على دينكم (أو ليس الله باعلم بما فى صدور العالمين) قلوب العالمين من الخير والشر ثم أسلم عياش وأصحابه بعد ذلك وحسن اسلامهم (وليعلمن) يرى ويميز (الله الذين آمنوا) فى السر والعلانية (وليعلمن) يرى ويميز (المنافقين) يوم

عندمن يملك الجزاء عليهما (وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطايا كم) أمروهم باتباع سبيلهم وهى طريقتهم التى كانوا عليها فى دينهم وأمروا أنفسهم بحمل خطاياهم فعطف الامر على الامر وأرادوا ليجتمع هذان الامران فى الحصول أن تتبعوا سبيلنا وان نحمل خطاياكم والمعنى تعليق الحمل بالاتباع أى ان تتبعوا سبيلنا حملنا خطاياكم وهذا قول صناديد قريش كانوا يقولون لمن آمن منهم لانبعث نحن ولا أنتم فان كان ذلك فانا نتحمل عنكم الاثم (وماهم بحاملين من خطاياهم من شئ انهم لكاذبون) لانهم قالوا ذلك وقلوبهم على خلافه كالكاذبين الذين يعدون الشئ وفى قلوبهم نية الخلف (وليحملن أثقالهم) أى أثقال أنفسهم يعنى أوزارهم بسبب كفرهم (وأثقالا مع أثقالهم) أى أثقالا أخر غير الخطايا التى ضمنوا للمؤمنين حملها وهى أثقال الذين كانوا سببا فى ضلالهم وهو كما قال ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم (وليسئلن يوم القيامة عما كانوا يفترون) يختلقون من الاكاذيب والاباطيل (ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم

بدر (وقال الذين كفروا) كفار مكة أبو جهل وأصحابه (للذين آمنوا) على وسلمان وأصحابهما (اتبعوا سبيلنا) ديننا فى عبادة الاوثان (ولنحمل خطاياكم) ذنوبكم عنكم يوم القيامة (وماهم بحاملين من خطاياهم) ذنوبهم (من شئ) يوم القيامة (انهم لكاذبون) فى مقالتهم (وليحملن أثقالهم) أوزارهم يوم القيامة (وأثقالا) مثل أوزار الذين يضلونهم (مع أثقالهم) مع أوزارهم (وليسئلن يوم القيامة عما كانوا يفترون) يكذبون على الله (ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم) فمكث فيهم

﴿ وقال الذين كفروا للذين امنوا اتبعوا سبيلنا ﴾ الذى نسلكه فى ديننا ﴿ ولنحمل خطاياكم ﴾ ان كان ذلك خطيئة اوان كان بعث ومؤاخذة وانما امروا انفسهم بالحمل عاطفين على امرهم بالاتباع مبالغة فى تعليق الحمل بالاتباع والوعد بتخفيف الاوزار عنهم ان كانت ثمة تشجيعا لهم عليه وبهذا الاعتبار رد عليهم وكذبهم بقوله ﴿ وماهم بحاملين من خطاياهم من شئ انهم لكاذبون ﴾ من الاولى للتبيين والثانية مزيدة والتقدير وماهم بحاملين شيأ من خطاياهم ﴿ وليحملن اثقالهم ﴾ اثقال مااقترفته انفسهم ﴿ واثقالا مع اثقالهم ﴾ واثقالا اخر معها لما تسببوا له بالاضلال والحمل على المعاصى من غير ان ينقص من اثقال من تبعهم شئ ﴿ وليسئلن يوم القيامة ﴾ سؤال تقريع وتبكيت ﴿ عما كانوا يفترون ﴾ من الاباطيل التى اضلوا بها ﴿ ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم

الآية فى أناس كانوا يؤمنون بالسنتهم فاذا أصابهم بلاء من الناس أو مصيبة فى أنفسهم افتتنوا وقال ابن عباس نزلت فى الذين أخرجهم المشركون معهم الى بدر وهم الذين نزلت فيهم الذين تتوفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم وقيل هذه الآيات العشر من أول السورة الى ههنا مدنية وباقى السورة مكى ﴿ وقال الذين كفروا ﴾ يعنى من أهل مكة قيل قاله أبو سفيان ﴿ للذين آمنوا ﴾ أى من قريش ﴿ اتبعوا سبيلنا ﴾ يعنى ديننا وملة آبائنا ونحن الكفلاء بكل تبعة من الله تصيبكم فذلك قوله ﴿ ولنحمل خطاياكم ﴾ أى أوزاركم والمعنى ان اتبعتم سبيلنا حملنا خطاياكم فاكذبهم الله عز وجل بقوله ﴿ وماهم بحاملين من خطاياهم من شئ انهم لكاذبون ﴾ فى قولهم نحمل خطاياكم ﴿ وليحملن أثقالهم ﴾ أى أوزار أعمالهم التى عملوها بأنفسهم ﴿ وأثقالا مع أثقالهم ﴾ أى أوزار من أضلوا وصدوا عن سبيل الله مع أوزار أنفسهم فان قلت قد قال أولا وماهم بحاملين من خطاياهم من شئ وقال ههنا وليحملن أثقالا مع أثقالهم فكيف الجمع بينهما قلت معناه انهم لا يرفعون عنهم خطيئة بل كل واحد يحمل خطيئة نفسه ورؤساء الضلال يحملون أوزارهم ويحملون أوزارا بسبب اضلال غيرهم فهو كقوله صلى الله عليه وسلم من سن فى الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شئ رواه مسلم ﴿ وليسئلن يوم القيامة عما كانوا يفترون ﴾ أى سؤال توبيخ وتقريع لانه تعالى عالم بأعمالهم وافترائهم * قوله تعالى ﴿ ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فلبث ﴾ أى أقام ﴿ فيهم ﴾ يدعوهم الى عبادة الله وتوحيده

الف سنة الا خمسين عاما) كان عمره ألفا وخمسين سنة بعث على رأس أربعين ولبث في قومه تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان ستين وعن وهب انه عاش ألفا وأربعمائة سنة فقال له ملك الموت يا أطول الانبياء عمرا كيف وجدت الدنيا قال كدار لها بابان دخلت وخرجت ولم يقل تسعمائة وخمسين سنة لانه لو قيل كذلك لجاز أن يتوهم اطلاق هذا العدد على أكثره وهذا التوهم زائل هنا فكانه قيل تسعمائة وخمسين سنة كاملة وافية العدد الا ان ذلك أخصر وأعذب لفظا وأملأ بالفائدة ولان القصة سيقت لما ابتلى به نوح عليه السلام من أمته وما كابده من طول المصابرة تسلية لنبينا عليه السلام فكان ذكر الالف أفخم وأوصل الى الغرض وجئ بالمميز أولا بالسنة ثم بالعام لان تكرار لفظ واحد في كلام واحد حقيق بالاجتناب في البلاغة (فاخذهم الطوفان) هو ما أطاف وأحاط بكثرة وغلبة من سيل أو ظلام ليل أو نحوهما (وهم ظالمون) أنفسهم بالكفر (فانجيناه) أي نوحا (وأصحاب السفينة) وكانوا ثمانية وسبعين نفسا نصفهم ذكور ونصفهم اناث منهم أولاد نوح سام وحام ويافث ونساؤهم (وجعلناها) أي السفينة أو الحادثة أو القصة (آية) عبرة وعظة (للعالمين) يتعظون بها (وابراهيم) نصب باضمار اذكر بدل عنه (اذ قال) بدل اشتمال لان الاحيان تشتمل على ما فيها أو معطوف على نوح أي وأرسلنا ابراهيم أو ظرف (لقومه) لارسلنا يعني أرسلناه حين بلغ من السن أو العلم مبلغا صلح فيه لان يعظ قومه ويأمرهم بالعبادة والتقوى وقرأ ابراهيم النخعي وأبو حنيفة رضي الله عنهما وابراهيم بالرفع على معنى ومن المرسلين ابراهيم

الف سنة الا خمسين عاما ﴾ بعد البعث اذ روي انه بعث على رأس اربعين ودعا قومه تسعمائة وخمسين وعاش بعد الطوفان ستين ولعل اختيار هذه العبارة للدلالة على كمال العدد فان تسعمائة وخمسين قد يطلق على ما يقرب منه ولما في ذكر الالف من تخييل طول المدة الى السامع فان المقصود من القصة تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وتثبيته على ما يكابده من الكفرة واختلاف المميزين لما في التكرير من البشاعة ﴿ فاخذهم الطوفان ﴾ طوفان الماء وهو لما طاف بكثرة من سيل او ظلام اونحوهما ﴿ وهم ظالمون ﴾ بالكفر ﴿ فانجيناه ﴾ اى نوحا ﴿ واصحاب السفينة ﴾ ومن اركبه معه من اولاده واتباعه وكانوا ثمانين وقيل ثمانية وسبعين وقيل عشرة نصفهم ذكور ونصفهم اناث ﴿ وجعلناها ﴾ اى السفينة او الحادثة ﴿ آية للعالمين ﴾ يتعظون ويستدلون بها ﴿ وابراهيم ﴾ عطف على نوحا او نصب باضمار اذكر وقرئ بالرفع على تقدير ومن المرسلين ابراهيم ﴿ اذ قال

﴿ ألف سنة الا خمسين عاما ﴾ فان قلت ما فائدة هذا الاستثناء وهلا قال تسعمائة وخمسين سنة قلت فيه فائدتان احداهما أن الاستثناء يدل على التحقيق وتركه قد يظن به التقريب فهو كقول القائل عاش فلان مائة سنة فقد يتوهم السائل أنه يقول مائة سنة تقريبا لا تحقيقا فان قال مائة سنة الا شهرا أو الا سنة زال ذلك التوهم وفهم منه التحقيق * الفائدة الثانية هي لبيان ان نوحا صبر على أذى قومه صبرا كثيرا وأعلى مراتب العدد ألف سنة وكان المراد التكثير فلذلك أتى بعقد الالف لانه أعظم وأفخم وهذه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم حيث أعلم ان الانبياء قد ابتلوا قبله وأن نوحا لبث في قومه ألف سنة الا خمسين عاما يدعوهم فصبر في الدعاء ولم يؤمن من قومه الا قليل فانت أولى بالصبر لقلة مدة لبثك وكثرة من آمن بك قال ابن عباس بعث نوح لاربعين سنة وبقي في قومه يدعوهم ألف سنة الا خمسين عاما وعاش بعد الطوفان ستين سنة حتى كثر الناس فكان عمره ألفا وخمسين عاما وقيل في عمره غير ذلك * قوله تعالى ﴿ فاخذهم الطوفان ﴾ أي فاغرقهم ﴿ وهم ظالمون ﴾ قال ابن عباس مشركون ﴿ فانجيناه وأصحاب السفينة ﴾ يعني من الغرق ﴿ وجعلناها ﴾ يعني السفينة ﴿ آية ﴾ أي عبرة ﴿ للعالمين ﴾ قيل انها بقيت على الجودي مدة مديدة وقيل جعلنا عقوبتهم بالغرق عبرة * قوله تعالى ﴿ وابراهيم ﴾ أي وأرسلنا ابراهيم ﴿ اذ قال

(ألف سنة الا خمسين عاما) يدعوهم الى التوحيد فلم يجيبوه (فأخذهم الطوفان) فاهلكهم الله بالطوفان (وهم ظالمون) كافرون (فانجيناه) نوحا (وأصحاب السفينة) ومن آمن معه في السفينة (وجعلناها) سفينة نوح (آية) عبرة (للعالمين) بعدهم (وابراهيم) وأرسلنا ابراهيم الى قومه (اذ قال

(لقومه اعبدوا الله واتقوه لكم خير لكم) من الكفر (ان كنتم تعلمون) ان كان لكم علم بما هو خير لكم مما هو شر لكم (انما تعبدون من دون الله أوثانا) أصناما (وتخلقون) وتكذبون أو تصنعون وقرأ أبو حنيفة والسلمى رضى الله عنهما وتخلقون من خلق بمعنى التكثير فى خلق (افكا) وقرئ أفكا وهو مصدر نحو كذب ولعب والافك مخفف منه كالكذب واللعب من أصلهما واختلاقهم الافك تسميتهم الاوثان آلهة وشركاء لله (ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا) لا يستطيعون ان يرزقوكم شيأ من الرزق (فابتغوا عند الله الرزق) كله فانه هو الرازق وحده لا يرزق غيره (واعبدوه واشكروا له اليه ترجعون) فاستعدوا للقائه بعبادته والشكر له على أنعمه وبفتح التاء وكسر الجيم يعقوب (وان تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم وما على الرسول الا البلاغ المبين) أى وان تكذبونى فلا تضروننى بتكذيبكم فان الرسل قبلى قد كذبتهم أممهم وما ضروهم وانما ضروا أنفسهم حيث حل بهم العذاب بسبب تكذيبهم وأما الرسول فقد تم أمره حيث بلغ البلاغ المبين الذى زال معه الشك وهو اقترانه بآيات الله ومعجزاته أو وان كنت مكذبا فيما بينكم فلى فى سائر الانبياء اسوة حيث كذبوا وعلى الرسول ان يبلغ وما عليه ان يصدق ولا يكذب وهذه الآية والآيات التى بعدها الى

لقومه اعبدوا الله ﴾ ظرف لارسلنا اى ارسلناه حين كمل عقله وتم نظره بحيث عرف الحق وامر الناس به أو بدل منه بدل الاشتمال ان قدر باذكر ﴿ واتقوه ذلكم خير لكم ﴾ مما انتم عليه ﴿ ان كنتم تعلمون ﴾ الخير والشر وتميزون ما هو خير مما هو شر او كنتم تنظرون فى الامور بنظر العلم دون نظر الجهل ﴿ انما تعبدون من دون الله اوثانا وتخلقون افكا ﴾ وتكذبون كذبا فى تسميتها آلهة وادعاء شفاعتها عند الله أو تعملونها وتنحتونها للافك وهو استدلال على شرارة ما هم عليه من حيث انه زور وباطل وقرئ وتخلقون من خلق للتكثير وتخلقون من تخلق للتكلف وافكا على انه مصدر كالكذب او نعت بمعنى خلقا ذا افك ﴿ ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا ﴾ دليل ثان على شرارة ذلك من حيث انه لا يجدى بطائل ورزقا يحتمل المصدر بمعنى لا يستطيعون ان يرزقوكم وان يراد المرزوق وتنكيره للتعميم ﴿ فابتغوا عند الله الرزق ﴾ كله فانه المالك له ﴿ واعبدوه واشكروا له ﴾ متوسلين الى مطالبكم بعبادته مقيدين لما حفكم من النعم بشكره أو مستعدين للقائه بهما فانه ﴿ اليه ترجعون ﴾ قرئ بفتح التاء ﴿ وان تكذبوا ﴾ وان تكذبونى ﴿ فقد كذب امم من قبلكم ﴾ من قبلى من الرسل فلم يضرهم تكذيبهم وانما ضروا انفسهم حيث تسبب لما حل بهم من العذاب فكذا تكذيبكم ﴿ وما على الرسول الا البلاغ المبين ﴾ الذى زال معه الشك وما عليه ان يصدق ولا يكذب فالآية وما بعدها من جملة قصة ابراهيم الى قوله فما كان

لقومه اعبدوا الله واتقوه ﴾ أى أطيعوا الله وخافوه ﴿ ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون ﴾ أى ما هو خير لكم مما هو شر لكم ولكنكم لا تعلمون ﴿ انما تعبدون من دون الله أوثانا وتخلقون افكا ﴾ أى تقولون كذبا وقيل تصنعون أصناما بايديكم وتسمونها آلهة ﴿ ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا ﴾ أى لا يقدرون ان يرزقوكم ﴿ فابتغوا ﴾ أى فاطلبوا ﴿ عند الله الرزق ﴾ فانه القادر على ذلك ﴿ واعبدوه ﴾ أى وحدوه ﴿ واشكروا له ﴾ لانه المنعم عليكم بالرزق ﴿ اليه ترجعون ﴾ أى فى الآخرة ﴿ وان تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم ﴾ أى مثل قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم فاهلكهم الله ﴿ وما على الرسول الا البلاغ المبين ﴾

لقومه اعبدوا الله) وحدوا الله (قا و خا ٢ مس) (واتقوه) اخشوه وأطيعوه بالتوبة من الكفر والشرك وعبادة الاوثان (ذلكم) التوبة والتوحيد (خير لكم) مما أنتم عليه (ان كنتم تعلمون) ذلك وتصدقون ولكن لا تعلمون ولا تصدقون (انما تعبدون من دون الله أوثانا) أحجارا (وتخلقون افكا) وتقولون كذبا وتنحتون بايديكم ما تعبدون من دون الله (ان الذين تعبدون من دون الله) من الاوثان (لا يملكون لكم رزقا) لا يقدرون ان يرزقوكم (فابتغوا عند الله الرزق) فاطلبوا من الله الرزق (واعبدوه) وحدوه (واشكروا له) بالتوحيد (اليه ترجعون) بعد الموت فيجزيكم باعمالكم (وان تكذبوا) محمدا عليه السلام بالرسالة يا معشر قريش (فقد كذب أمم من قبلكم) رسلهم بالرسالة فأهلكناهم (وما على الرسول الا البلاغ) تبليغ الرسالة عن الله (المبين)

قوله فما كان جواب قومه محتملة أن تكون من جملة قول ابراهيم عليه السلام لقومه والمراد بالامم قبله قوم شيث وادريس ونوح وغيرهم وان تكون آيات وقعت معترضة فى شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وشأن قريش بين أول قصة ابراهيم وآخرها فان قلت فالجمل الاعتراضية لابد لها من اتصال بما وقعت معترضة فيه فلا تقول مكة وزيد قائم خير بلاد الله قلت نعم وبيانه أن ايراد قصة ابراهيم عليه السلام ليس الا ارادة للتنفيس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن تكون مسلاة له بأن أباه ابراهيم عليه السلام كان مبتلى نحو ما ابتلى به من شرك قومه وعبادتهم الاوثان فاعترض بقوله وان تكذبوا على معنى انكم يامعشر قريش ان تكذبوا محمدا فقد كذب ابراهيم قومه وكل امة نبيها لان قوله فقد كذب أمم من قبلكم لابد من تناوله لامة ابراهيم وهو كما ترى اعتراض متصل ثم سائر الآيات بعدها من توابعها لكونها ناطقة بالتوحيد ودلائله وهدم الشرك وتوهين قواعده وصفة قدرة الله تعالى وسلطانه ووضوح حجته وبرهانه

(أولم يروا) وبالتاء كوفى غير حفص (كيف يبدئ الله الخلق) أى قد رأوا ذلك وعلموه وقوله (ثم يعيده) ليس بمعطوف على يبدئ وليست الرؤية واقعة عليه وانما هو اخبار على حياله بالاعادة بعد الموت كما وقع النظر فى قوله كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة على البدء دون الانشاء بل هو معطوف على جملة قوله أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق (ان ذلك) أى الاعادة (على الله يسير) سهل (قل) يا محمد وان كان من كلام ابراهيم فتقديره وأوحينا اليه أن قل (سيروا فى الارض فانظروا كيف بدأ الخلق) على كثرتهم واختلاف أحوالهم لتعرفوا عجائب فطرة الله بالمشاهدة وبدأ وأبدأ بمعنى (ثم الله ينشئ النشأة الآخرة) أى البعث وبالمد حيث كان مكى وأبو عمرو وهذا دليل على انهما نشأتان وان كل واحدة منهما انشاء أى ابتداء

{ عليه }

جواب قومه ويحتمل ان تكون اعتراضا بذكر شأن النبى صلى الله عليه وسلم وقريش وهدم مذهبهم والوعيد على سوء صنيعهم توسط بين طرفى قصته من حيث ان مساقها لتسلية الرسول عليه الصلاة والسلام والتنفيس عنه بان اباه خليل الله كان ممنوا بنحو مامنى به من شرك القوم وتكذيبهم وتشبيه حاله فيهم بحال ابراهيم فى قومه ﴿أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق﴾ من مادة ومن غيرها وقرأ حمزة والكسائى وابو بكر بالتاء على تقدير القول وقرئ يبدأ ﴿ثم يعيده﴾ اخبار بالاعادة بعد الموت معطوف على اولم يروا الا على يبدئ فان الرؤية غير واقعة عليه ويجوز ان يأول الاعادة بان ينشئ فى كل سنة مثل ما كان فى السنة السابقة من النبات والثمار ونحوهما ويعطف على يبدئ ﴿ان ذلك﴾ الاشارة الى الاعادة اوالى ماذكر من الامرين ﴿على الله يسير﴾ اذ لا يفتقر فى فعله الى شئ ﴿قل سيروا فى الارض﴾ حكاية كلام الله لابراهيم أو محمد عليهما الصلاة والسلام ﴿فانظروا كيف بدأ الخلق﴾ على اختلاف الاجناس والاحوال ﴿ثم الله ينشئ النشأة الآخرة﴾ بعد النشأة الاولى التى هى

*قوله تعالى ﴿أولم يروا﴾ قيل هذه الآيات الى قوله فما كان جواب قومه يحتمل أن تكون من تمام قول ابراهيم لقومه وقيل انها وقعت معترضة فى قصة ابراهيم وهى فى تذكير أهل مكة وتحذيرهم ومعنى أولم يروا أولم يعلموا ﴿كيف يبدئ الله الخلق﴾ أى يخلقهم نطفة ثم علقة ثم مضغة ﴿ثم يعيده﴾ أى فى الآخرة عند البعث ﴿ان ذلك على الله يسير﴾ أى الخلق الاول والخلق الثانى ﴿قل سيروا فى الارض فانظروا كيف بدأ الخلق﴾ أى انظروا الى ديارهم وآثارهم كيف بدأ خلقهم ﴿ثم الله ينشئ النشأة الآخرة﴾ أى ثم ان الله الذى خلقهم ينشئهم نشأة ثانية بعد الموت والمعنى فكما لم يتعذر

يبين لهم بلغة يعلمونها (أولم يروا) يخبروا كفار مكة فى الكتاب (كيف يبدئ الله الخلق) من النطفة (ثم يعيده) يوم القيامة (ان ذلك) ابداءه واعادته (على الله يسير) هين (قل) يا محمد (سيروا) سافروا (فى الارض فانظروا كيف بدأ) الله (الخلق) من النطفة وأهلكهم بعد ذلك (ثم الله ينشئ النشأة الآخرة) يخلق الله الخلق يوم القيامة

واختراع واخراج من العدم الى الوجود غير أن الآخرة انشاء بعد انشاء مثله والاولى ليست كذلك والقياس ان يقال كيف بدأ الله الخلق ثم ينشئ النشأة الآخرة لان الكلام معهم وقع فى الاعادة فلما اقررهم فى الابداء بانه من الله احتج عليهم بان الاعادة انشاء مثل الابداء فاذا لم يعجزه الابداء وجب أن لا يعجزه الاعادة فكانه قال ثم ذلك الذى أنشأ النشأة الاولى هو الذى ينشئ النشأة الآخرة فللتنبيه على هذا المعنى أبرز اسمه وأوقعه مبتدأ (ان الله على كل شئ قدير) قادر (يعذب من يشاء) بالخذلان (ويرحم من يشاء) بالهداية أو بالحرص والقناعة أو بسوء الخلق وحسنه أو بالاعراض عن الله وبالاقبال عليه أو بمتابعة البدع وبملازمة السنة (واليه تقلبون) تردون وترجعون (وما أنتم بمعجزين) ربكم أى لا تفوتونه ان هربتم من حكمه وقضائه (فى الارض) الفسيحة (ولا فى السماء) التى هى أفسح منها وابسط لو كنتم فيها(ومالكم من دون الله من ولى) يتولى أموركم (ولا نصير) ولا ناصر يمنعكم من عذابى (والذين كفروا بآيات الله) بدلائله على وحدانيته وكتبه ومعجزاته (ولقائه أولئك يئسوا من رحمتى) جنتى (وأولئك لهم عذاب أليم فما كان جواب قومه) قوم ابراهيم حين دعاهم الى الايمان (الا أن قالوا اقتلوه أو حرقوه) قال بعضهم لبعض أو قاله واحد منهم وكان الباقون

الابداء فانه والاعادة نشأتان من حيث ان كلا اختراع واخراج من العدم والافصاح باسم الله مع ايقاعه مبتدأ بعد اضماره فى بدأ والقياس الاقتصار عليه للدلالة على ان المقصود بيان الاعادة وان من عرف بالقدرة على الابداء ينبغى ان يحكم له بالقدرة على الاعادة لانها اهون والكلام فى العطف ما مر وقرئ النشاءة كالرآفة ﴿ان الله على كل شئ قدير﴾ لان قدرته لذاته ونسبة ذاته الى كل الممكنات على سواء فيقدر على النشأة الاخرى كما قدر على النشأة الاولى ﴿ يعذب من يشاء ﴾ تعذيبه ﴿ ويرحم من يشاء ﴾ رحمته ﴿ واليه تقلبون ﴾ تردون ﴿ وما انتم بمعجزين ﴾ ربكم عن ادراككم ﴿ فى الارض ولا فى السماء ﴾ ان فررتم من قضائه بالتوارى فى الارض أو الهبوط فى مهاويها والتحصن فى السماء أو القلاع الذاهبة فيها وقيل ولا من فى السماء كقول حسان

أمن يهجو رسول الله منكم * ويمدحه وينصره سواء

﴿ ومالكم من دون الله من ولى ولا نصير ﴾ يحرسكم عن بلاء يظهر من الارض او ينزل من السماء ويدفعه عنكم ﴿ والذين كفروا بآيات الله ﴾ بدلائل وحدانيته او بكتبه ﴿ ولقائه ﴾ بالبعث ﴿ اولئك يئسوا من رحمتى ﴾ اى ييئسون منها يوم القيامة فعبر عنه بالماضى للتحقق والمبالغة أو ايسوا فى الدنيا لانكار البعث والجزاء ﴿ واولئك لهم عذاب اليم ﴾ بكفرهم ﴿ فما كان جواب قومه ﴾ قوم ابراهيم له وقرئ بالرفع على انه الاسم والخبر ﴿ الا ان قالوا اقتلوه أو حرقوه ﴾ وكان ذلك قول بعضهم لكن

عليه احداثهم مبدئا كذلك لا يتعذر عليه انشاؤهم معيدا بعد الموت ثانيا ﴿ان الله على كل شئ قدير ﴾ أى من البداءة والاعادة ﴿ يعذب من يشاء ﴾ عدلا منه ﴿ويرحم من يشاء ﴾ تفضلا ﴿ واليه تقلبون ﴾ أى تردون ﴿ وما أنتم بمعجزين فى الارض ولا فى السماء ﴾ قيل معناه ولا من فى السماء بمعجز والمعنى انه لا يعجزه أهل الارض فى الارض ولا أهل السماء فى السماء وقيل معنى قوله ولا فى السماء أى لو كنتم فيها ﴿ ومالكم من دون الله من ولى ﴾ أى يمنعكم منى ﴿ ولا نصير ﴾ أى ينصركم من عذابى ﴿ والذين كفروا بآيات الله ﴾ يعنى بالقرآن ﴿ ولقائه ﴾ أى البعث ﴿ أولئك يئسوا من رحمتى ﴾ يعنى الجنة ﴿ وأولئك لهم عذاب أليم ﴾ فهذا آخر الآيات فى تذكير أهل مكة ثم عاد الى قصة ابراهيم عليه السلام فقال تعالى ﴿ فما كان جواب قومه الا أن قالوا اقتلوه أو حرقوه ﴾ قال ذلك

(ان الله على كل شئ) من الخلق والبعث والموت والحياة (قدير يعذب من يشاء) يميت من يشاء على الكفر فيعذبه (ويرحم من يشاء) يميت من يشاء على الايمان فيرحمه (واليه تقلبون) ترجعون بعد الموت فيجزيكم باعمالكم (وما أنتم) يا أهل مكة (بمعجزين) بفائتين من عذاب الله (فى الارض) من أهل الارض (ولا فى السماء) ولا من أهل السماء (ومالكم من دون الله) من عذاب الله (من ولى) قريب ينفعكم (ولا نصير) مانع يمنعكم من عذاب الله (والذين كفروا بآيات الله) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن يعنى اليهود والنصارى وسائر الكفار (ولقائه) وكفروا بالبعث بعد الموت (أولئك) أهل هذه الصفة (يئسوا من رحمتى) من جنتى وهم اليهود والنصارى أن يكون فى الجنة الاكل والشرب والجماع من جنته (وأولئك لهم عذاب أليم) وجيع (فما كان جواب قومه) لم يكن جواب قوم ابراهيم حيث دعاهم الى الله تعالى (الا أن قالوا اقتلوه أو حرقوه) بالنار

راضين فكانوا جميعا فى حكم القائلين فاتفقوا على تحريقه (فأنجاه الله من النار) حين قذفوه فيها (ان فى ذلك) فيما فعلوابه وفعلنا (لآيات لقوم يؤمنون) روى انه لم ينتفع فى ذلك اليوم بالنار يعنى يوم ألقى ابراهيم فى النار وذلك لذهاب حرها (وقال) ابراهيم لقومه (انما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم فى الحيوة الدنيا) حمزة وحفص مودة بينكم مدنى وشامى وحماد ويحيى وخلف مودة بينكم مكى وبصرى وعلى مودة بينكم الشمونى والبرجمى النصب على وجهين على التعليل أى لتتوادوا بينكم وتتوصلوا لاجتماعكم على عبادتها واتفاقكم عليها كما يتفق الناس على مذهب فيكون ذلك سبب تحابهم

وان يكون مفعولا ثانيا كقوله اتخذ الهه هواه وما كافة أى اتخذتم الاوثان سبب المودة بينكم على تقدير حذف المضاف أو اتخذتموها مودة بينكم أى مودودة بينكم كقوله ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله وفى الرفع وجهان ان يكون خبرا لان وما موصولة وان يكون خبر مبتدأ محذوف أى هى مودة بينكم والمعنى ان الاوثان مودة بينكم أى مودودة أو سبب مودة ومن أضاف المودة جعل بينكم اسما لاظرفا كقوله شهادة بينكم ومن نون مودة ونصب بينكم فعلى الظرف (ثم يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض) تتبرأ الاصنام من عابديها (ويلعن بعضكم بعضا) أى يوم القيامة يقوم بينكم التلاعن فيلعن الاتباع القادة (ومأواكم النار) أى مأوى العابد والمعبود والتابع والمتبوع (ومالكم من ناصرين) ثمة (فآمن له) لابراهيم عليه السلام (وهو) (لوط) هو ابن أخى ابراهيم وهو أول من آمن له حين رأى النار لم تحرقه

قيل فيهم ورضى به الباقون اسند الى كلهم ﴿ فأنجاه الله من النار ﴾ اى فقذفوه فى النار فأنجاه الله منها بان جعلها عليه بردا وسلاما ﴿ ان فى ذلك ﴾ فى انجائه منها ﴿ لآيات ﴾ هى حفظه من اذى النار واخمادها مع عظمها فى زمان يسير وانشاء روض مكانها ﴿ لقوم يؤمنون ﴾ لانهم المنتفعون بالفحص عنها والتأمل فيها ﴿ وقال انما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم فى الحيوة الدنيا ﴾ اى لتتوادوا بينكم وتتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها وثانى مفعولى اتخذتم محذوف ويجوز ان يكون مودة هو المفعول الثانى بتقدير مضاف أو بتأويلها بالمودودة اى اتخذتم اوثانا سبب المودة بينكم وقرأها نافع وابن عامر وابو بكر منونة ناصبة بينكم والوجه ما سبق وابن كثير وابو عمرو والكسائى ورويس مرفوعة مضافة على انها خبر مبتدأ محذوف اى هى مودودة او سبب مودة بينكم والجملة صفة او ثانا او خبر ان على ان ما مصدرية أو موصولة والعائد محذوف وهو المفعول الاول وقرئت مرفوعة منونة ومضافة بفتح بينكم كما قرئ لقد تقطع بينكم وقرئ انما مودة بينكم ﴿ ثم يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا ﴾ اى يقوم التناكر والتلاعن بينكم او بينكم وبين الاوثان على تغليب المخاطبين كقوله ويكونون عليهم ضدا ﴿ ومأويكم النار ومالكم من ناصرين ﴾ يخلصونكم منها ﴿ فآمن له لوط ﴾ هو ابن اخيه

بعضهم لبعض وقيل قال الرؤساء للاتباع اقتلوه أو حرقوه ﴿ فأنجاه الله من النار ﴾ أى بان جعلها عليه بردا وسلاما قيل ان ذلك اليوم لم ينتفع أحد بنار ﴿ ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون ﴾ يصدقون ﴿ وقال ﴾ يعنى ابراهيم لقومه ﴿ انما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم فى الحيوة الدنيا ﴾ أى ثم تنقطع ولا تنفع فى الآخرة وقيل معناه انكم تتوادون على عبادتها وتتواصلون عليها فى الدنيا ﴿ ثم يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا ﴾ تتبرأ الاوثان من عابديها وتتبرأ القادة من الاتباع ويلعن الاتباع القادة ﴿ ومأواكم النار ﴾ يعنى العابدين والمعبودين جميعا ﴿ ومالكم من ناصرين ﴾ أى مانعين من عذابه ﴿ فآمن له لوط ﴾ أى صدقه برسالته لما رأى معجزاته

(فأنجاه الله من النار) سالما (ان فى ذلك) فيما فعلنا بقوم ابراهيم (لآيات) لعبرات (لقوم يؤمنون) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (وقال) ابراهيم لقومه (انما اتخذتم) عبدتم (من دون الله أوثانا) أحجارا (مودة) صلة (بينكم فى الحيوة الدنيا) لا تبقى (ثم يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض) يتبرأ بعضكم من بعض (ويلعن بعضكم بعضا ومأواكم) مصيركم (النار) يعنى العابد والمعبود (ومالكم من ناصرين) من مانعين من عذاب الله (فآمن له لوط) فقال له لوط

(وقال) ابراهيم (انى مهاجر) من كوثى وهى من سواد الكوفة الى حران ثم منها الى فلسطين وهى من برية الشام ومن ثمه قالوا لكل نبي هجرة ولابراهيم هجرتان وكان معه فى هجرته لوط وسارة وقد تزوجها ابراهيم (الى ربى) الى حيث أمرنى ربى بالهجرة اليه (انه هو العزيز) الذى يمنعنى من أعدائى (الحكيم) الذى لا يأمرنى الا بما هو خير (ووهبنا له اسحق) ولدا (ويعقوب) ولد ولده ولم يذكر اسمعيل لشهرته (وجعلنا فى ذريته النبوة) أى فى ذرية ابراهيم فانه شجرة الانبياء (والكتاب) والمراد به الجنس يعنى التوراة والانجيل والزبور والفرقان (وآتيناه) (أجره) الثناء الحسن والصلاة عليه الى آخر الدهر ومحبة أهل الملل له أو هو بقاء ضيافته عند قبره وليس ذلك لغيره (فى الدنيا) فيه دليل على انه تعالى قد يعطى الاجر فى الدنيا (وانه فى الآخرة لمن الصالحين) أى من أهل الجنة عن الحسن (ولوطا) أى واذكر لوطا (اذقال لقومه انكم لتأتون الفاحشة) الفعلة البالغة فى القبح وهى اللواطة (ما سبقكم بها من أحد من العالمين)جملة مستأنفة مقررة لفاحشة تلك الفعلة كأن قائلا قال لم كانت فاحشة فقيل لان أحدا قبلهم لم يقدم عليها قالوا لم ينزذكر

واول من آمن به وقيل انه آمن به حين رأى النار لم تحرقه ﴿وقال انى مهاجر﴾ من قومى ﴿الى ربى﴾ الى حيث امرنى ربى ﴿انه هو العزيز﴾ الذى يمنعنى من اعدائى ﴿الحكيم﴾ الذى لا يؤمرنى الا بما فيه صلاحى • روى انه هاجر من كوثى سواد الكوفة مع لوط وامرأته سارة ابنة عمه الى حران ثم منها الى الشام فنزل فلسطين ونزل لوط سدوم ﴿ووهبنا له اسحق ويعقوب﴾ ولدا ونافلة حين أيس من الولادة من عجوز عاقر ولذلك لم يذكر اسماعيل ﴿وجعلنا فى ذريته النبوة﴾ فكثر منهم الانبياء ﴿والكتاب﴾ يريد به الجنس ليتناول الكتب الاربعة ﴿وآتيناه اجره﴾ على هجرته الينا ﴿فى الدنيا﴾ باعطاء الولد فى غير اوانه والذرية الطيبة واستمرار النبوة فيهم وانتماء اهل الملل اليه والثناء والصلاة عليه آخر الدهر ﴿وانه فى الآخرة لمن الصالحين﴾ لفى عداد الكاملين فى الصلاح ﴿ولوطا﴾ عطف على ابراهيم او على ماعطف عليه ﴿اذقال لقومه أنكم لتأتون الفاحشة﴾ الفعلة البالغة فى القبح وقرأ الحرميان وابن عامر وحفص بهمزة مكسورة على الخبر والباقون على الاستفهام واجمعوا على الاستفهام فى الثانى ﴿ماسبقكم بها من احد من العالمين﴾ استئناف مقرر لفاحشتها من حيث انها مما اشمأزت منه الطباع وتحاشت عنه النفوس حتى اقدموا

وهو اول من صدق ابراهيم وأما فى أصل التوحيد فانه كان مؤمنا لان الانبياء لا يتصور فيهم الكفر ﴿ وقال ﴾ يعنى ابراهيم ﴿ انى مهاجر الى ربى ﴾ الى حيث أمرنى ربى فهاجر من كوثى وهى من سواد الكوفة الى حران ثم هاجر الى الشأم ومعه لوط وامرأته سارة وهو أول من هاجر الى الله تعالى وترك بلده وسار الى حيث أمره الله بالمهاجرة اليه قيل هاجر وهو ابن خمس وسبعين سنة ﴿ انه هو العزيز ﴾ أى الذى لا يغلب والذى يمنعنى من أعدائى ﴿ الحكيم ﴾ الذى لا يأمرنى الا بما يصلحنى * قوله تعالى ﴿ووهبنا له اسحق ويعقوب وجعلنا فى ذريته النبوة والكتاب ﴾ يقال ان الله لم يبعث نبيا بعد ابراهيم الا من نسله ﴿ وآتيناه أجره فى الدنيا ﴾ هو الثناء الحسن فكل أهل الاديان يتولونه ويحبونه ويحبون الصلاة عليه والذرية الطيبة والنبوة من نسله هذا له فى الدنيا ﴿ وانه فى الآخرة لمن الصالحين ﴾ أى فى زمرة الصالحين قال ابن عباس مثل آدم ونوح * قوله عزوجل ﴿ ولوطا اذقال لقومه انكم لتأتون الفاحشة ﴾ أى الفعلة القبيحة ﴿ ماسبقكم بها من أحد من العالمين ﴾ أى لم يفعلها أحد قبلكم ثم فسر الفاحشة فقال

صدقت يا ابراهيم (وقال) ابراهيم (انى مهاجر الى ربى) راجع الى طاعة ربى وخرج من حران الى فلسطين (انه هو العزيز) بالنقمة منهم (الحكيم) حكم التحويل من بلد الى بلد لقبل سلامة أمر الدين والزيادة (ووهبنا له) لابراهيم (اسحق) ولدا (ويعقوب) ولد الولد (وجعلنا فى ذريته) نسله (النبوة والكتاب) يقول أكرمنا ذريته بالنبوة والكتاب والولد الطيب وكان فيهم الانبياء والكتب (وآتيناه أجره فى الدنيا) أكرمناه بالنبوة والثناء الحسن والولد الطيب فى الدنيا (وانه فى الآخرة لمن الصالحين) مع آبائه المرسلين فى الجنة (ولوطا) أرسلنا لوطا الى قومه (اذقال لقومه انكم لتأتون الفاحشة) اللواطة (ماسبقكم بها من أحد من العالمين) يقول لم يعمل قبلكم أحد من العالمين

على ذكر قبل قوم لوط (أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل) بالقتل وأخذ المال كما هو عمل قطاع الطريق وقيل اعتراضهم السابلة بالفاحشة (وتأتون في ناديكم) مجلسكم ولا يقال للمجلس ناد الا مادام فيه أهله (المنكر) أي المضارطة والمجامعة والسباب والفحش في المزاح والحذف بالحصى ومضغ العلك والفرقة والسواك بين الناس (فما كان جواب قومه الأأن قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين) فيما تعدنا من نزول العذاب انكم أئنكم شامي وحفص وهو الموجود في الامام وكل واحدة بهمزتين كوفي غير حفص آينكم آينكم بهمزة ممدودة بعدها ياء مكسورة أبو عمرو اينكم اينكم بهمزة مقصورة بعدها ياء مكسورة مكي ونافع غير قالون وسهل ويعقوب غير زيد (قال رب انصرني) بانزال العذاب (على القوم المفسدين) كانوا يفسدون الناس بحملهم على ما كانوا عليه من المعاصي والفواحش (ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى) بالبشارة لابراهيم بالولد والنافلة يعني اسحق ويعقوب (قالوا انا مهلكوا أهل هذه القرية) اضافة

عملكم الخبيث (أئنكم لتأتون الرجال) ادبار الرجال (وتقطعون السبيل) نسل الولد ويقال تقطعون السبيل على من مر بكم من الغرباء (وتأتون في ناديكم المنكر) تعملون في مجالسكم المنكر نحو عشر خصال كانوا يعملونها في مجالسهم مثل الحذف بالبندق والفحش (ان) وغير ذلك (فما كان جواب قومه) فلم يكن جواب قوم لوط (الا أن قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين) بمجيء عذاب الله علينا ان لم نؤمن (قال) لوط (رب انصرني) أعني بالعذاب (على القوم المفسدين) المشركين (ولما جاءت رسلنا ابراهيم) جبريل ومن معه من الملائكة الى ابراهيم (بالبشرى) فبشروه بالولد (قالوا) لابراهيم (انا مهلكوا أهل هذه القرية) قريات

عليها الخبث طينتهم ﴿ائنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل﴾ وتتعرضون للسابلة بالقتل واخذ الاموال أو بالفاحشة حتى انقطعت الطرق أو تقطعون سبيل النسل بالاعراض عن الحرث واتيان ماليس بحرث ﴿وتأتون في ناديكم﴾ في مجالسكم الغاصة ولا يقال النادي الالما فيه اهله ﴿المنكر﴾ كالجماع والضراط وحل الازار وغيرها من القبائح عدم مبالاة بها وقيل بالخذف ورمي البنادق ﴿فما كان جواب قومه الا ان قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين﴾ في استقباح ذلك او في دعوة النبوة المفهومة من التوبيخ ﴿قال رب انصرني﴾ بانزال العذاب ﴿على القوم المفسدين﴾ بابتداع الفاحشة وسنها فيمن بعدهم وصفهم بذلك مبالغة في استنزال العذاب واشعارا بانهم احقاء بان يعجل لهم العذاب ﴿ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى﴾ بالبشارة بالولد والنافلة ﴿قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية﴾ قرية سدوم والاضافة

﴿ أئنكم لتأتون الرجال ﴾ يعني انكم تقضون الشهوة من الرجال ﴿ وتقطعون السبيل ﴾ وذلك انهم كانوا يأتون الفاحشة بمن مر بهم من المسافرين فترك الناس الممر بهم لاجل ذلك وقيل معناه تقطعون سبيل النسل بايثار الرجال على النساء ﴿وتأتون في ناديكم المنكر ﴾ أي مجالسكم والنادي مجلس القوم ومتحدثهم ✻ عن أم هانئ بنت أبي طالب عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله وتأتون في ناديكم المنكر قال كانوا يخذفون أهل الارض ويسخرون منهم أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب الخذف هو رمي الحصى بين الاصابع قيل انهم كانوا يجلسون في مجالسهم وعند كل رجل منهم قصعة فيها حصى فاذا مر بهم عابر سبيل حذفوه فايهم أصابه قال أنا أولى به وقيل انه كان يأخذ ما معه وينكحه ويغرمه ثلاثة دراهم وقيل انهم كانوا يجامعون بعضهم بعضا في مجالسهم وقيل انهم كانوا يتضارطون في مجالسهم وعن عبد الله بن سلام كان يبزق بعضهم على بعض وقيل كان اخلاق قوم لوط مضغ العلك وتطريف الاصابع بالحناء وحل الازار والصفير والخذف والرمي بالجلاهق واللوطية ﴿ فما كان جواب قومه ﴾ أي لما أنكر عليهم لوط ما يأتونه من القبائح ﴿ الا أن قالوا ﴾ يعني استهزاء ﴿ ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين ﴾ أي ان العذاب نازل بنا فعند ذلك ﴿ قال رب انصرني على القوم المفسدين ﴾ أي بتحقيق قولي ان العذاب نازل بهم ✻ قوله عز وجل ﴿ ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى ﴾ يعني من الله باسحق ويعقوب ﴿ قالوا انا مهلكوا أهل هذه القرية ﴾ يعني قوم لوط والقرية سدوم

مهلكوا لم تفد تعريفا لانها بمعنى الاستقبال والقرية سدوم التى قيل فيها أجور من قاضى سدوم وهذه القرية تشعر بانها قريبة من موضع ابراهيم عليه السلام قالوا انها كانت على مسيرة يوم وليلة من موضع ابراهيم عليه السلام (ان اهلها كانوا ظالمين) أى الظلم قد استمر منهم فى الايام السالفة وهم عليه مصرون وظلمهم كفرهم وأنواع معاصيهم (قال) ابراهيم (ان فيها لوطا) أى أتهلكونهم وفيهم من هو برئ من الظلم وهو لوط (قالوا) أى الملائكة (نحن أعلم) منك (بمن فيها لننجينه) لننجينه يعقوب وكوفى غير عاصم (وأهله الا امرأته كانت من الغابرين) الباقين فى العذاب ثم أخبر عن مسير الملائكة الى لوط بعد مفارقتهم ابراهيم بقوله (ولما ان جاءت رسلنا لوطا سئ بهم) ساءه مجيئهم وان صلة أكدت وجود الفعلين مرتبا أحدهما على الآخر كانهما وجدا فى جزء واحد من الزمان كانه قيل كما أحس بمجيئهم فاجأته المساءة من غير ريث خيفة عليهم من قومه ان يتناولوهم بالفجور سئ بهم مدنى وشامى وعلى (وضاق بهم ذرعا) وضاق بشأنهم وبتدبير أمرهم ذرعه أى طاقته وقد جعلوا ضيق الذرع والذراع عبارة عن فقد الطاقة كما قالوا رحب الذراع اذا كان مطيقا والاصل فيه ان الرجل اذا طالت ذراعه نال مالا يناله القصير الذراع فضرب ذلك مثلا فى العجز والقدرة وهو نصب على التمييز (وقالوا لاتخف ولاتحزن انا منجوك) وبالتخفيف مكى وكوفى غير حفص (وأهلك) الكاف فى محل الجر ونصب أهلك بفعل محذوف أى وننجى أهلك (الا امرأتك كانت من الغابرين)

لفيظة لان المعنى على الاستقبال ﴿ان اهلها كانوا ظالمين﴾ تعليل لاهلاكهم باصرارهم وتماديهم فى ظلمهم الذى هو الكفر وانواع المعاصى ﴿قال ان فيها لوطا﴾ اعتراض عليهم بان فيها من لم يظلم أو معارضة للموجب بالمانع وهو كون النبى بين اظهرهم ﴿قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله﴾ تسليم لقوله مع ادعاء مزيد العلم به وانهم ما كانوا غافلين عنه وجواب عنه بتخصيص الاهل بمن عداه واهله أو تأقيت الاهلاك باخراجهم عنها وفيه تأخير البيان عن الخطاب ﴿الا امرأته كانت من الغابرين﴾ الباقين فى العذاب اوالقرية ﴿ولما ان جاءت رسلنا لوطا سئ بهم﴾ جاءته المساءة والغم بسببهم مخافة ان يقصدهم قومه بسوء وان صلة لتأكيد الفعلين واتصالهما ﴿وضاق بهم ذرعا﴾ وضاق بشأنهم وتدبير امرهم ذرعه اى طاقته كقولهم ضاقت يده وبازائه رحب ذرعه بكذا اذا كان مطيقا له وذلك لان طويل الذراع ينال مالا ينال قصير الذراع ﴿وقالوا﴾ لما راوا فيه اثر الضجرة ﴿لاتخف ولاتحزن﴾ على تمكنهم منا ﴿انا منجوك واهلك الا امرأتك كانت من الغابرين﴾ وقرأ حمزة والكسائى ويعقوب لننجينه ومنجوك بالتخفيف ووافقهم ابوبكر وابن كثير فى الثانى وموضع الكاف جر على المختار ونصب اهلك باضمار فعل أو بالعطف على محلها باعتبار الاصل

﴿ان أهلها كانوا ظالمين قال﴾ يعنى ابراهيم اشفاقا على لوط وليعلم حاله ﴿ان فيها لوطا قالوا﴾ أى قالت الملائكة ﴿نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله الا امرأته كانت من الغابرين﴾ أى من الباقين فى العذاب ﴿ولما ان جاءت رسلنا لوطا سئ عليهم﴾ أى ظنهم من الانس فخاف عليهم ومعناه انه جاءه ما ساءه ﴿وضاق بهم ذرعا﴾ أى عجز عن تدبير أمرهم فحزن لذلك ﴿وقالوا لا تخف﴾ أى من قومك ﴿ولاتحزن﴾ علينا ﴿انا منجوك وأهلك﴾ أى انا مهلكوهم ومنجوك وأهلك ﴿الا امرأتك كانت من الغابرين

لوط (ان أهلها كانوا ظالمين) مشركين اجترحوا الهلاك على أنفسهم بعملهم الخبيث (قال) ابراهيم (ان فيها لوطا) كيف تهلكهم يا جبريل (قالوا) يعنى جبريل ومن معه من الملائكة (نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله) ابنتيه زاعورا وريثا (الا امرأته) واعلة المنافقة (كانت من الغابرين) تتخلف مع المتخلفين بالهلاك (ولما أن جاءت رسلنا) جبريل ومن معه من الملائكة (لوطا) الى لوط (سئ بهم) ساءه مجيئهم (وضاق بهم ذرعا) اغتم بمجيئهم اغتماما شديدا لما خاف عليهم من عمل قومه الخبيث (وقالوا) يعنى جبريل ومن معه للوط (لاتخف) علينا (ولاتحزن) لامرنا من الهلاك (انا منجوك) من قومك (وأهلك) ابنتيك (الا امرأتك) المنافقة (كانت من الغابرين) تتخلف مع

انامنزلون) منزلون شامى (على أهل هذه القرية رجزا) عذابا (من السماء بما كانوا يفسقون) بفسقهم وخروجهم عن طاعة الله ورسوله (ولقد تركنا منها) من القرية (آية بينة) هى آثار منازلهم الخربة وقيل الماء الاسود على وجه الارض (لقوم) يتعلق بتركنا أو ببينة (يعقلون والى مدين) وأرسلنا الى مدين (أخاهم شعيبا فقال ياقوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر) وافعلوا ماترجون به الثواب فى العاقبة أوخافوه (ولا تعثوا فى الارض مفسدين) قاصدين الفساد (فكذبوه فاخذتهم الرجفة) الزلزلة الشديدة أو صيحة جبريل عليه السلام لان القلوب رجفت بها (فاصبحوا فى دارهم) فى بلدهم وأرضهم (جاثمين) باركين على الركب ميتين (وعادا) منصوب باضمار أهلكنا لان قوله فاخذتهم الرجفة يدل عليه لانه فى معنى الاهلاك (وثمود) حمزة وحفص وسهل ويعقوب (وقد تبين لكم) ذلك يعنى ماوصفه من اهلاكهم (من مساكنهم) من جهة مساكنهم اذا نظرتم اليها عند مروركم بها وكان أهل مكة يمرون عليها فى أسفارهم

﴿ انامنزلون على اهل هذه القرية رجزا من السماء ﴾ عذابا منها سمى بذلك لانه يقلق المعذب من قولهم ارتجز اذا ارتجس اى اضطرب وقرأ ابن عامر منزلون بالتشديد ﴿ بما كانوا يفسقون ﴾ بسبب فسقهم ﴿ ولقد تركنا منها آية بينة ﴾ هى حكايتها الشائعة او آثار الديار الخربة وقيل الحجارة الممطورة فانها كانت باقية بعد وقيل بقية انهارها المسودة ﴿ لقوم يعقلون ﴾ يستعملون عقولهم فى الاستبصار والاعتبار وهو متعلق بتركنا او آية ﴿ والى مدين اخاهم شعيبا فقال ياقوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر ﴾ وافعلوا ماترجون به ثوابه فاقيم المسبب مقام السبب وقيل انه من الرجاء بمعنى الخوف ﴿ ولا تعثوا فى الارض مفسدين فكذبوه فاخذتهم الرجفة ﴾ الزلزلة الشديدة وقيل صيحة جبرائيل لان القلوب ترجف بها ﴿ فاصبحوا فى دارهم ﴾ فى بلدهم اودورهم ولم يجمع لأمن اللبس ﴿ جاثمين ﴾ باركين على الركب ميتين ﴿ وعادا وثمودا ﴾ منصوبان باضمار اذكر اوفعل دل عليه ماقبله مثل اهلكنا وقرأ حمزة وحفص ويعقوب وثمود غير مصروف على تأويل القبيلة ﴿ وقد تبين لكم من مساكنهم ﴾ اى تبين لكم بعض مساكنهم أو اهلاكهم من جهة مساكنهم

انا منزلون على أهل هذه القرية رجزا ﴾ أى عذابا ﴿ من السماء ﴾ قيل هو الخسف والحصب بالحجارة ﴿ بما كانوا يفسقون ولقد تركنا منها ﴾ أى من قريات لوط ﴿ آية بينة ﴾ أى عبرة ظاهرة ﴿ لقوم يعقلون ﴾ يعنى أفلا يتدبرون الآيات تدبر ذوى العقول قال ابن عباس الآية البينة آثار منازلهم الخربة وقيل هى الحجارة التى أهلكوا بها أبقاها الله حتى أدركها أوائل هذه الامة وقيل هى ظهور الماء الاسود على وجه الارض ﴿ قوله تعالى ﴿ والى مدين ﴾ اى وارسلنا الى مدين ومدين اسم رجل وقيل اسم المدينة فعلى القول الاول يكون المعنى وارسلنا الى ذرية مدين وأولاده وعلى القول الثانى وأرسلنا الى أهل مدين ﴿ أخاهم شعيبا فقال ياقوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر ﴾ أى افعلوا فعل من يرجوا اليوم الآخر وقيل معناه اخشوا اليوم الآخر وخافوه ﴿ ولا تعثوا فى الارض مفسدين فكذبوه فاخذتهم الرجفة ﴾ أى الزلزلة وذلك ان جبريل صاح فرجفت الارض رجفة ﴿ فاصبحوا فى دارهم جاثمين ﴾ أى باركين على الركب ميتين ﴿ وعادا وثمود ﴾ أى وأهلكنا عادا وثمود ﴿ وقد تبين لكم ﴾ ياأهل مكة ﴿ من مساكنهم ﴾ أى من

المتخلفين بالهلاك (انامنزلون على أهل هذه القرية) يعنى قريات لوط (رجزا) عذابا (من السماء) بالحجارة (بما كانوا يفسقون) يكفرون ويعصون (ولقد تركنا منها) تركناها يعنى قريات لوط (آية) علامة (بينة لقوم يعقلون) يصدقون ويعلمون مافعل بهم فلا يقتدون بهم (والى مدين) وارسلنا الى مدين (أخاهم) نبيهم (شعيبا فقال ياقوم اعبدوا الله) وحدوا الله (وارجوا اليوم الآخر) خافوا يوم القيامة (ولا تعثوا فى الارض مفسدين) لاتعملوا فى الارض بالفساد والمعاصى (فكذبوه) بالرسالة (فأخذتهم الرجفة) الزلزلة بالعذاب (فأصبحوا فى دارهم) فصاروا فى مجمعهم (جاثمين) ميتين لايتحركون (وعادا) أهلكنا قوم هود (وثمود) أهلكنا قوم صالح (وقد تبين لكم) ياأهل مكة (من مساكنهم) من خراب منازلهم مافعل بهم

﴿ منازلهم ﴾

فيبصرونها (وزين لهم الشيطان أعمالهم) من الكفر والمعاصي (فصدهم عن السبيل) السبيل الذي أمروا بسلوكه هو الايمان بالله ورسله (وكانوا مستبصرين) عقلاء متمكنين من النظر وتمييز الحق من الباطل ولكنهم لم يفعلوا (وقارون وفرعون وهامان) أي وأهلكناهم (ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الارض وما كانوا سابقين) فائتين أدركهم أمر الله فلم يفوتوه (فكلا أخذنا بذنبه) فيه رد على من يجوز العقوبة بغير ذنب (فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا) هي ريح عاصف فيها حصباء وهي لقوم لوط (ومنهم من أخذته الصيحة) هي لمدين وثمود (ومنهم من خسفنا به الارض) يعني قارون (ومنهم من أغرقنا)

يعني قوم نوح وفرعون (وما كان الله ليظلمهم) ليعاقبهم بغير ذنب (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) بالكفر والطغيان (مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء) أي آلهة يعني مثل من أشرك بالله الاوثان في الضعف وسوء الاختيار

اذا نظرتم اليها عند مروركم بها ﴿ وزين لهم الشيطان اعمالهم ﴾ من الكفر والمعاصي ﴿ فصدهم عن السبيل ﴾ السوي الذي بين الرسل لهم ﴿ وكانوا مستبصرين ﴾ متمكنين من النظر والاستبصار ولكنهم لم يفعلوا اومتبينين ان العذاب لاحق بهم باخبار الرسل لهم ولكنهم لجوا حتى هلكوا ﴿ وقارون وفرعون وهامان ﴾ معطوفون على عادا وتقديم قارون لشرف نسبه ﴿ ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الارض وما كانوا سابقين ﴾ فائتين بل ادركهم امر الله من سبق طالبه اذافاته ﴿ فكلا ﴾ من المذكورين ﴿ اخذنا بذنبه ﴾ عاقبنا بذنبه ﴿ فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا ﴾ ريحا عاصفا فيها حصباء اوملكا رماهم بها كقوم لوط ﴿ ومنهم من اخذته الصيحة ﴾ كمدين وثمود ﴿ ومنهم من خسفنا به الارض ﴾ كقارون ﴿ ومنهم من اغرقنا ﴾ كقوم نوح وفرعون وقومه ﴿ وما كان الله ليظلمهم ﴾ ليعاملهم معاملة الظالم فيعاقبهم بغير جرم اذ ليس ذلك من عادته ﴿ ولكن كانوا انفسهم يظلمون ﴾ بالتعريض للعذاب ﴿ مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء ﴾ فيما اتخذوه

منازلهم بالحجر واليمن ﴿ وزين لهم الشيطان أعمالهم ﴾ أي عبادتهم لغير الله ﴿ فصدهم عن السبيل ﴾ أي عن سبيل الحق ﴿ وكانوا مستبصرين ﴾ أي عقلاء ذوي بصائر وقيل كانوا معجبين في دينهم وضلالتهم يحسبون أنهم على هدى وهم على باطل وضلالة والمعنى انهم كانوا عند أنفسهم مستبصرين ﴿ وقارون وفرعون وهامان ﴾ أي أهلكنا هؤلاء ﴿ ولقد جاءهم موسى بالبينات ﴾ أي بالدلالات الواضحات ﴿ فاستكبروا في الارض وما كانوا سابقين ﴾ أي فائتين من عذابنا ﴿ فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ﴾ وهم قوم لوط رموا بالحصباء وهي الحصى الصغار ﴿ ومنهم من أخذته الصيحة ﴾ يعني ثمود ﴿ ومنهم من خسفنا به الارض ﴾ يعني قارون وأصحابه ﴿ ومنهم من أغرقنا ﴾ يعني قوم نوح وفرعون وقومه ﴿ وما كان الله ليظلمهم ﴾ أي بالهلاك ﴿ ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾ أي بالاشراك ﴿ قوله تعالى ﴿ مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء ﴾ يعني الاصنام يرجون نصرها ونفعها

(وزين لهم الشيطان أعمالهم) في الشرك وحالهم في الشدة والرخاء (فصدهم) فصرفهم بذلك (عن السبيل) عن الحق والهدى (وكانوا مستبصرين) كانوا يرون أنهم على الحق ولم يكونوا على الحق (وقارون) أهلكنا قارون (وفرعون وهامان) وزير فرعون (ولقد جاءهم موسى بالبينات) بالامر والنهي والعلامات (فاستكبروا في الارض) عن الايمان ولم يؤمنوا بالآيات (وما كانوا سابقين) فائتين من عذاب الله (فكلا) فكل قوم (أخذنا بذنبه) في الشرك (فمنهم من (قا و خا ٣ مس) أرسلنا عليه حاصبا) حجارة وهم قوم لوط (ومنهم من أخذته الصيحة) بالعذاب وهم قوم شعيب وصالح (ومنهم من خسفنا به الارض) غارت به الارض وهو قارون ومن معه (ومنهم من أغرقنا) في البحر وهو فرعون وقومه (وما كان الله ليظلمهم) باهلاكهم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) بالكفر والشرك وتكذيب الرسل (مثل الذين اتخذوا) عبدوا (من دون الله أولياء) أربابا

(كمثل العنكبوت اتخذت بيتا) أى كمثل العنكبوت فيما تتخذه لنفسها من بيت فان ذلك بيت لا يدفع عنها الحر والبرد ولا يقى ماتقى البيوت فكذلك الاوثان لاتنفعهم فى الدنيا والآخرة جعل حاتم اتخذت حالا (وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت) لا بيت أوهن من بيتها عن على رضى الله عنه طهروا بيوتكم من نسج العنكبوت فان تركه يورث الفقر (لو كانوا يعلمون) ان هذا مثلهم وان أمر دينهم بالغ هذه الغاية من الوهن وقيل معنى

الآية مثل المشرك الذى يعبد الوثن بالقياس الى المؤمن الذى يعبد الله مثل عنكبوت تتخذ بيتا بالاضافة الى رجل يبنى بيتا بآجر وجص أو ينحته من صخر وكان أوهن البيوت اذا استقريتها بيتا بيتا بيت العنكبوت كذلك أضعف الاديان اذا استقريتها دينا دينا عبادة الاوثان لو كانوا يعلمون وقال الزجاج فى جماعة تقدير الآية مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء لو كانوا يعلمون كمثل العنكبوت (ان الله يعلم مايدعون) بالياء بصرى وعاصم وبالتاء غيرهما وما بمعنى الذى وهو مفعول يعلم ومفعول يدعون مضمر أى يدعونه يعنى يعبدونه (من دونه من شئ) من فى من شئ للتبيين (وهو العزيز) الغالب الذى لا شريك له (الحكيم) فى ترك المعاجلة بالعقوبة وفيه تجهيل لهم حيث عبدوا جمادا لا علم له ولا قدرة وتركوا عبادة القادر القاهر على كل شئ الحكيم الذى لايفعل كل شئ (القادر)

معتمدا ومتكلا ﴿ كمثل العنكبوت اتخذت بيتا ﴾ فيما نسجته فى الوهن والخور بل ذاك اوهن فان لهذا حقيقة وانتفاعا او مثلهم بالاضافة الى الموحد كمثله بالاضافة الى رجل بنى بيتا من حجر وجص والعنكبوت يقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث والتاء فيه كتاء طاغوت ويجمع على عناكيب وعناكب وعكاب وعكبة واعكب ﴿ وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت ﴾ لا بيت اوهن واقل وقاية للحر والبرد منه ﴿ لو كانوا يعلمون ﴾ يرجعون الى علم لعلموا ان هذا مثلهم اوان دينهم اوهن من ذلك ويجوز ان يكون المراد ببيت العنكبوت دينهم سماه به تحقيقا للتمثيل فيكون المعنى وان اوهن مايعتمد به فى الدين دينهم ﴿ ان الله يعلم ماتدعون من دونه من شئ ﴾ على اضمار القول اى قل للكفرة ان الله يعلم * وقرأ عاصم وابو عمرو ويعقوب بالياء حملا على على ماقبله وما استفهامية منصوبة بتدعون ويعلم معلقة عنها ومن للتبيين او نافية ومن مزيدة وشئ مفعول تدعون اومصدر يه وشئ مصدر او موصولة مفعول ليعلم ومفعول تدعون عائده المحذوف والكلام على الاولين تجهيل لهم وتوكيد للمثل وعلى الاخيرين وعيد لهم ﴿ وهو العزيز الحكيم ﴾ تعليل على المعنيين فان من فرط الغباوة اشراك مالا يعد شيأ بمن هذا شأنه وان الجماد بالاضافة الى القادر القاهر على كل شئ البالغ فى العلم واتقان الفعل الغاية كالمعدوم وان من هذا وصفه قدر على مجازاتهم

﴿ كمثل العنكبوت اتخذت بيتا ﴾ لنفسها تأوى اليه وان بيتها فى غاية الضعف والوهن لا يدفع عنها حرا ولا بردا فكذلك الاوثان لا تملك لعابدها نفعا ولا ضرا وقيل معنى هذا المثل ان المشرك الذى يعبد الاصنام بالقياس الى المؤمن الذى يعبد الله مثل العنكبوت تتخذ بيتا من نسجها بالاضافة الى رجل بنى بيتا بآجر وجص أو نحته من صخر فكما ان أوهن البيوت اذا استقريتها بيتا بيتا بيت العنكبوت فكذلك أضعف الاديان اذا استقريتها دينا دينا عبادة الاوثان لانها لا تضر ولا تنفع ﴿ وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت ﴾ أشار الى ضعفه فان الريح اذا هبت عليه أو لمسه لامس فلا يبقى له عين ولا أثر فقد صح ان أوهن البيوت بيت العنكبوت وقد تبين ان دينهم أوهن الاديان ﴿ لو كانوا يعلمون ﴾ أى ان هذا مثلهم وان أمر دينهم بلغ هذه الغاية من الوهن ﴿ ان الله يعلم مايدعون من دونه من شئ ﴾ هذا توكيد للمثل وزيادة عليه يعنى ان الذى يدعون من دونه ليس بشئ ﴿ وهو العزيز الحكيم ﴾ معناه كيف يجوز للعاقل ان يترك عبادة الله العزيز الحكيم

من الاوثان (كمثل العنكبوت اتخذت بيتا) مسكنا (وان أوهن البيوت) أضعف البيوت (لبيت العنكبوت) تقول ان بيت العنكبوت لا يقيها من حر ولا برد كذلك الآلهة لا تنفع من عبدها فى الدنيا ولا فى الآخرة (لو كانوا يعلمون) هذا المثل ولكن لا يعلمون ولا يصدقون بذلك (ان الله يعلم مايدعون) مايعبدون (من دونه من شئ) من الاوثان انها لاتنفعهم فى الدنيا ولا فى الآخرة (وهو العزيز) بالنقمة لمن يعبدها (الحكيم) حكم أن لا يعبد

الا محكمة وتدبير (وتلك الامثال) الامثال نعت والخبر (نضربها) نبينها (للناس) كان سفهاء قريش وجهلتهم يقولون ان رب محمد يضرب المثل بالذباب والعنكبوت ويضحكون من ذلك فلذلك قال (وما يعقلها الا العالمون) به وباسمائه وصفاته أى لايعقل صحتها وحسنها ولا يفهم فائدتها الاهم لان الامثال والتشبيهات انما هى الطرق الى المعانى المستورة حتى تبرزهـا وتصورها للافهام كما صورهذا التشبيه ﴿ ١٩ ﴾ الفرق بين حال {سورة العنكبوت} المشرك وحال الموحد وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه تلا هذه الآية فقال العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه ودلت الآية على فضل العلم على العقل (خلق الله السموات والارض بالحق) أى محقا يعنى لم يخلقهما باطلا بل لحكمة وهى ان تكونا مساكن عباده وعبرة للمعتبرين منهم ودلائل على عظم قدرته ألا ترى الى قوله (ان فى ذلك لآية للمؤمنين) وخصهم بالذكر لانتفاعهم بها (اتل ماأوحى اليك من الكتاب) تقربا الى الله تعالى بقراءة كلامه ولتقف على ماأمر به ونهى عنه (وأقم الصلوة) أى دم على اقامة الصلاة (ان الصلوة تنهى عن الفحشاء) الفعلة القبيحة كالزنا مثلا (والمنكر) هو ماينكره الشرع والعقل قيل من كان مراعيا للصلاة جره ذلك الى أن ينتهى عن السيئات يوما فقد روى انه قيل يومالرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانا يصلى بالنهار ويسرق بالليل فقال ان صلاته لتردعه وروى ان فتى من الانصار كان يصلى معه الصلوات ولا يدع شيأ

﴿ وتلك الامثال ﴾ يعنى هذا المثل ونظائره ﴿ نضربها للناس ﴾ تقريبا لمابعد من افهامهم ﴿ ومايعقلها ﴾ ولايعقل حسنها وفائدتها ﴿ الا العالمون ﴾ الذين يتدبرون الاشياء على ماينبغى وعنه عليه الصلاة والسلام انه تلا هذه الآية فقال العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه ﴿ خلق الله السموات والأرض بالحق ﴾ محقا غير قاصد به باطلا فان المقصود بالذات من خلقهما افاضة الخير والدلالة على ذاته وصفاته كما اشار اليه بقوله ﴿ ان فى ذلك لآية للمؤمنين ﴾ لانهم المنتفعون بها ﴿ اتل مااوحى اليك من الكتاب ﴾ تقربا الى الله بقراءته وتحفظا لالفاظه واستكشافا لمعانيه فان القارئ المتأمل قد ينكشف له بالتكرار مالم ينكشف له اول ماقرع سمعه ﴿ واقم الصلوة ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر ﴾ بان تكون سببا للانتهاء عن المعاصى حال الاشتغال بها وغيرها من حيث انها تذكر الله وتورث للنفس خشية منه روى ان فتى من الانصار كان يصلى مع رسول الله

القادر على كل شئ ويشتغل بعبادة من ليس بشئ أصلا ﴿ وتلك الامثال ﴾ أى الاشباه يعنى أمثال القرآن التى شبه بها أحوال الكفار من هذه الامة باحوال كفار الامم السابقة ﴿ نضربها ﴾ أى نبينها ﴿ للناس ﴾ أى لكفار مكة ﴿ ومايعقلها الا العالمون ﴾ يعنى مايعقل الامثال الا العلماء الذين يعقلون عن الله عزوجل روى البغوى باسناد الثعلبى عن جابر بن عبدالله ان النبى صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية وتلك الامثال نضربها للناس ومايعقلها الا العالمون قال العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه ﴿ خلق الله السموات والارض بالحق ﴾ أى للحق واظهار الحق ﴿ ان فى ذلك لآية ﴾ أى دلالة ﴿ للمؤمنين ﴾ على قدرته وتوحيده ﴿ وقوله تعالى ﴿ اتل ماأوحى اليك من الكتاب ﴾ يعنى القرآن ﴿ وأقم الصلوة ﴾ فان قلت لم أمر بهذين الشيئين تلاوة الكتاب واقامة الصلاة فقط قلت لان العبادة المختصة بالعبد ثلاثة قلبية وهى الاعتقاد الحق ولسانية وهى الذكر الحسن وبدنية وهى العمل الصالح لكن الاعتقاد لايتكرر فان من اعتقد شيأ لايمكنه ان يعتقده مرة أخرى بل ذلك يدوم مستمرا فبقى الذكر والعبادة البدنية وهما يمكنا التكرار فلذلك أمر بهما ﴿ ان الصلوة تنهى عن الفحشاء ﴾ أى ماقبح من الاعمال ﴿ والمنكر ﴾ أى مالايعرف فى الشرع قال ابن مسعود وابن عباس فى الصلاة منتهى ومزدجر عن معاصى الله فمن لم تأمره صلاته بالمعروف ولم تنهه عن المنكر لم تزده صلاته من الله الا بعدا وقال الحسن وقتادة من لم تنهه صلاته عن الفحشاء

غيره (وتلك الامثال) هذه الامثال (نضربها) نبينها (للناس ومايعقلها) يعنى أمثال القرآن (الا العالمون) بالله الموحدون (خلق الله السموات والارض بالحق) للحق لاللباطل (ان فى ذلك) فيما ذكرته من الامثال (لآية) لعبرة (للمؤمنين) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (اتل ماأوحى اليك من الكتاب) يقول اقرأ عليهم يا محمد ماأنزل اليك جبريل به يعنى القرآن (وأقم الصلاة) أتم الصلوات الخمس (ان الصلاة تنهى عن الفحشاء) المعاصى (والمنكر) مالايعرف فى شريعة ولا سنة مادام الرجل فيها فهى تنهه

من الفواحش الا ركبه فوصف له فقال ان صلاته ستنهاه فلم يلبث ان تاب وقال ابن عوف ان الصلاة تنهى اذا كنت فيها فانت في معروف وطاعة وقد حجزتك عن الفحشاء والمنكر وعن الحسن من لم تنهه صلاته عن ذلك (ولذكر الله أكبر) يقول ذكر الله اياكم بالمغفرة والثواب أكبر من ذكركم اياه بالصلاة (والله يعلم ما تصنعون) من الخير والشر

صلى الله عليه وسلم الصلوات ولا يدع شيأ من الفواحش الا ركبه فوصف له فقال ان صلاته ستنهاه فلم يلبث ان تاب ﴿ ولذكر الله أكبر ﴾ وللصلاة أكبر من سائر الطاعات وانما عبر عنها به للتعليل فان اشتمالها على ذكره هي العمدة في كونها مفضلة على الحسنات ناهية عن السيئات اولذكر الله اياكم برحمته أكبر من ذكركم اياه بطاعته ﴿ والله يعلم ما تصنعون ﴾ منه ومن سائر الطاعات فيجازيكم بها احسن المجازاة

والمنكر فصلاته وبال عليه وقيل من داوم على الصلاة جره ذلك الى ترك المعاصي والسيئات كما روي عن أنس قال كان فتى من الانصار يصلي الصلوات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لم يدع من الفواحش شيأ الا ركبه فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان صلاته ستنهاه يوما فلم يلبث ان تاب وحسنت حاله وقيل معنى الآية انه مادام في صلاته فانها تنهاه عن الفحشاء والمنكر ومنه قوله ان في الصلاة لشغلا وقيل أراد بالصلاة القرآن وفيه ضعف لتقدم ذكر القرآن وعلى هذا يكون معناه ان القرآن ينهاه عن الفحشاء والمنكر كما روي عن جابر قال قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان رجلا يقرأ القرآن الليل كله فاذا أصبح سرق قال ستنهاه قراءته وفي رواية انه قيل يارسول الله ان فلانا يصلي بالنهار ويسرق بالليل فقال ان صلاته لتردعه وعلى كل حال فان المراعي للصلاة لابد وان يكون أبعد عن الفحشاء والمنكر ممن لا يراعيها ﴿ ولذكر الله أكبر ﴾ أي انه أفضل الطاعات عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وارفعها في درجاتكم وخير لكم من اعطاء الذهب والورق وخير لكم من ان تلقوا أعداءكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا اعناقكم قالوا بلى يارسول الله قال ذكر الله أخرجه الترمذي وله عن أبي سعيد الخدري قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل أي العباد أفضل درجة عند الله يوم القيامة قال الذاكرون الله كثيرا قالوا يارسول الله والغازي في سبيل الله فقال لو ضرب بسيفه الكفار والمشركين حتى ينكسر ويختضب في سبيل الله دما لكان الذاكرون الله كثيرا أفضل منه درجة (م) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبق المفردون قالوا وما المفردون يارسول الله قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات يروى المفردون بتشديد الراء وتخفيفها والتشديد أتم يقال فرد الرجل بتشديد الراء اذا تفقه واعتزل الناس وحده مراعيا للامر والنهي وقيل هم المتخلفون عن الناس بذكر الله لايخلطون به غيره (خ) عن أبي هريرة وأبي سعيد انهما شهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا يقعد قوم يذكرون الله الا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده وروى ان اعرابيا قال يارسول الله أي الاعمال أفضل قال ان تفارق الدنيا ولسانك رطب بذكر الله وقال ابن عباس معنى ولذكر الله أكبر ذكر الله اياكم أفضل من ذكركم اياه ويروى ذلك مرفوعا عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابن عطاء ولذكر الله أكبر أي ان تبقى معه معصية ﴿ والله يعلم ما تصنعون ﴾ أي لايخفى عليه شيء من أمركم

عن الفحشاء والمنكر فليست صلاته بصلاة وهي وبال عليه (ولذكر الله أكبر) أي والصلاة أكبر من غيرها من الطاعات وانما قال ولذكر الله ليستقل بالتعليل كأنه قال والصلاة أكبر لانها ذكر الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما ولذكر الله اياكم برحمته أكبر من ذكركم اياه بطاعته وقال ابن عطاء ذكر الله لكم أكبر من ذكركم له لان ذكره بلا علة وذكركم مشوب بالعلل والاماني ولان ذكره لايفنى وذكركم لايبقى وقال سلمان ذكر الله أكبر من كل شيء وأفضل فقد قال عليه السلام الا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير من اعطاء الذهب والفضة وان تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم قالوا وماذاك يارسول الله قال ذكر الله وسئل أي الاعمال أفضل قال أن تفارق الدنيا ولسانك رطب بذكر الله أو ذكر الله أكبر من ان تحويه افهامكم وعقولكم أو ذكر الله أكبر من ان تبقى معه معصية أو ذكر الله أكبر في النهي عن الفحشاء والمنكر من غيره (والله يعلم ما تصنعون) من الخير والطاعة فيثيبكم أحسن الثواب

(ولاتجادلوا أهل الكتاب الأبالتى هى أحسن) بالخصلة التى هى أحسن للثواب وهى مقابلة الخشونة باللين والغضب بالكظم كما قال ادفع بالتى هى أحسن (الاالذين ظلموامنهم)فافرطوا فى الاعتداء والعناد ولم يقبلوا النصح ولم ينفع فيهم الرفق فاستعملوا معهم الغلظة وقيل الاالذين آذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أوالا الذين أثبتوا الولد والشريك وقالوا يدالله مغلولة أومعناه ولا تجادلوا الداخلين فى الذمة المؤدين للجزية الابالتى هى أحسن الاالذين ظلموا فنبذوا الذمة ومنعوا الجزية فجادلتهم بالسيف والآية تدل على جواز المناظرة مع الكفرة فى الدين وعلى جواز تعلم علم الكلام الذى به تتحقق المجادلة وقوله (وقولوا آمنابالذى أنزل الينا وأنزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون) من جنس المجادلة بالاحسن وقال عليه السلام ماحدثكم أهل الكتاب فلاتصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وكتبه ورسله فان كان باطلا لم تصدقوهم وان كان حقا لم تكذبوهم (وكذلك) ومثل ذلك الانزال (أنزلنا اليك الكتاب)أى أنزلناه مصدقا لسائر الكتب السماوية أوكما أنزلنا الكتب الى من قبلك أنزلنا اليك الكتاب

الجزء الحادى والعشرون

آمنا بالله ونحن له مسلمون

ولاتجادلوا اهل الكتاب الا بالتى هى احسن ﴾الا بالخصلة التى هى احسن كمعارضة الخشونة باللين والغضب بالكظم والمشاغبة بالنصح وقيل هومنسوخ بآية السيف اذلا مجادلة اشد منه وجوابه انه آخر الدواء وقيل المراد به ذووا العهد منهم ﴿الاالذين ظلموامنهم ﴾بالافراط فى الاعتداء والعناد اوباثبات الولد وقولهم يدالله مغلولة او بنبذ العهد ومنع الجزية ﴿وقولوا آمنابالذى انزل الينا وانزل اليكم ﴾هو من المجادلة بالتى هى احسن وعن النبى صلى الله عليه وسلم لاتصدقوا اهل الكتاب ولاتكذبوهم وقولوا آمنابالله وبكتبه ورسله فان قالوا باطلا لم تصدقوهم وان قالوا حقا لم تكذبوهم ﴿ والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون ﴾ مطيعون له خاصة وفيه تعريض باتخاذهم احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله ﴿ وكذلك ﴾ ومثل ذلك الانزال ﴿انزلنا اليك الكتاب ﴾وحيا مصدقا لسائر الكتب الالهية هو تحقيق

❊ قوله عزوجل ﴿ ولاتجادلوا أهل الكتاب ﴾ اى ولاتخاصموهم ﴿ الا بالتى هى أحسن ﴾ أى القرآن والدعاء الى الله بآياته والتنبيه على حججه وأراد بهم من قبل الجزية منهم ﴿ الاالذين ظلموا منهم ﴾ أى أبوا أن يعطوا الجزية ونصبوا الحرب فالجؤهم بالسيف حتى يسلموا أو يعطوا الجزية ومعنى الآية الاالذين ظلموكم لان جميعهم ظالم بالكفر وقيل هم أهل الحرب ومن لاعهد له وقيل الآية منسوخة بآية السيف ﴿ وقولوا ﴾ أى للذين قبلوا الجزية اذا حدثوكم بشئ مما فى كتبكم ﴿ آمنابالذى أنزل الينا وأنزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون ﴾ ﴿ خ ﴾ عن أبى هريرة قال كان أهل الكتاب يقرؤن التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لاهل الاسلام فقال النبى صلى الله عليه وسلم لاتصدقوا أهل الكتاب ولاتكذبوهم وقولوا آمنا بالله وماأنزل الينا الآية ❊ قوله عزوجل ﴿ وكذلك ﴾ أى كما انزلنا اليهم الكتاب ﴿ انزلنا اليك الكتاب

(ولاتجادلوا أهل الكتاب) لاتخاصموا اليهود والنصارى (الابالتى هى أحسن) يعنى بالقرآن (الاالذين ظلموامنهم) من وفد بنى نجران بالملاعنة (وقولوا آمنابالذى أنزل الينا) (فا) يعنى القرآن (وأنزل اليكم) يعنى التوراة والانجيل (والهنا والهكم واحد)بلاولد ولاشريك (ونحن له مسلمون) مخلصون له بالعبادة والتوحيد مقرون به (وكذلك أنزلنا اليك الكتاب) يقول هكذا أنزلنا اليك جبريل بالكتاب لتقرأ عليهم مافيه من الامر

(فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به) هم عبد الله بن سلام ومن معه (ومن هؤلاء) أى من أهل مكة (من يؤمن به) أو أراد بالذين أوتوا الكتاب الذين تقدموا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب ومن هؤلاء الذين كانوا فى عهد رسول الله عليه السلام (وما يجحد بآياتنا) مع ظهورها وزوال الشبهة عنها (الا الكافرون) الا المتوغلون فى الكفر المصممون عليه ككعب بن الاشرف واضرابه (وما كنت تتلوا من قبله) من قبل القرآن (من كتاب ولا تخطه بيمينك) خص اليمين لان الكتابة غالبا تكون باليمين أى ما كنت قرأت كتابا من الكتب ولا كنت كاتبا (اذا) أى لو كان شئ من ذلك أى من التلاوة ومن الخط (لأرتاب

المبطلون) من أهل الكتاب وقالوا الذى نجد نعته فى كتبنا أمى لا يكتب ولا يقرأ وليس به أو لارتاب مشركو مكة وقالوا لعله تعلمه أو كتبه بيده وسماهم مبطلين لانكارهم نبوته وعن مجاهد والشعبى ما مات النبى صلى الله عليه وسلم حتى كتب وقرأ (بل هو) أى القرآن (آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم) اى فى صدور العلماء به وحفاظه وهما من خصائص القرآن كون آياته بينات الاعجاز وكونه محفوظا فى الصدور بخلاف سائر الكتب فانها لم تكن معجزات ولا كانت تقرأ الا من المصاحف

لقوله ﴿فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به﴾ هم عبد الله بن سلام واضرابه او من تقدم عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل الكتاب ﴿ومن هؤلاء﴾ ومن العرب او اهل مكة او ممن فى عهد الرسول من اهل الكتابين ﴿من يؤمن به﴾ بالقرآن ﴿وما يجحد بآياتنا﴾ مع ظهورها وقيام الحجة عليها ﴿الا الكافرون﴾ الا المتوغلون فى الكفر فان جزمهم به يمنعهم عن التأمل فيما يفيد لهم صدقها لكونها معجزة بالاضافة الى الرسول صلى الله عليه وسلم كما اشار اليه بقوله ﴿وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك﴾ فان ظهور هذا الكتاب الجامع لانواع العلوم الشريفة على امى لم يعرف بالقراءة والتعلم خارق للعادة وذكر اليمين زيادة تصوير للمنفى ونفى للتجوز فى الاسناد ﴿اذا لارتاب المبطلون﴾ اى لو كنت ممن يخط ويقرأ لقالوا لعله تعلمه او التقطه من كتب الاقدمين وانما سماهم مبطلين لكفرهم او لارتيابهم بانتفاء وجه واحد من وجوه الاعجاز المتكاثرة وقيل لارتاب اهل الكتاب لوجدانهم نعتك على خلاف ما فى كتبهم فيكون ابطالهم باعتبار الواقع دون المقدر ﴿بل هو﴾ بل القرآن ﴿آيات بينات فى صدور الذين اوتوا العلم﴾ يحفظونه لا يقدر احد تحريفه

﴿فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به﴾ يعنى مؤمنى أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأصحابه ﴿ومن هؤلاء﴾ يعنى أهل مكة ﴿من يؤمن به وما يجحد بآياتنا الا الكافرون﴾ وذلك ان اليهود عرفوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نبى والقرآن حق فجحدوا والجحود انما يكون بعد المعرفة ﴿وما كنت تتلوا﴾ يا محمد ﴿من قبله من كتاب﴾ معناه من كتب أى من قبل ما أنزلنا اليك الكتاب ﴿ولا تخطه بيمينك﴾ أى ولا تكتبه والمعنى لم تكن تقرأ ولم تكتب قبل الوحى ﴿اذا لارتاب المبطلون﴾ معناه لو كنت تكتب أو تقرأ قبل الوحى اليك لارتاب المشركون من أهل مكة وقالوا انه يقرؤه من كتب الاولين أو ينسخه منها وقيل المبطلون هم اليهود ومعناه انهم اذا لشكوا فيه واتهموك وقالوا ان الذى نجد نعته فى التوراة لا يقرأ ولا يكتب وليس هذا على ذلك النعت ﴿بل هو آيات بينات﴾ يعنى القرآن ﴿فى صدور الذين أوتوا العلم﴾ يعنى المؤمنين الذين حملوا القرآن وقال ابن عباس يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم ذو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم من أهل الكتاب لانهم يجدون نعته

والنهى والامثال (فالذين آتيناهم الكتاب) أعطيناهم علم التوراة عبد الله بن سلام وأصحابه (يؤمنون به) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (ومن هؤلاء) من أهل مكة (من يؤمن به) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (وما يجحد بآياتنا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (الا الكافرون) كعب وأصحابه وأبو جهل وأصحابه (وما كنت تتلوا) تقرأ (من قبله) من قبل القرآن (من كتاب ولا تخطه) لا تكتبه (بيمينك اذا) لو كنت قارئا أو كاتبا (لارتاب المبطلون) لشك اليهود والنصارى والمشركون لان فى كتابهم انك أمى لا تقرأ ولا تكتب (بل هو) يعنى نعتك وصفتك (آيات بينات) علامات مبينات عليها (فى صدور الذين أوتوا العلم) أعطوا العلم بالتوراة ويقال بل هو يعنى القرآن آيات بينات مبينات بالحلال والحرام والامر والنهى فى صدور الذين أوتوا العلم أعطوا العلم بالقرآن

(وما يجحد بآياتنا) الواضحة (الا الظالمون) أي المتوغلون في الظلم (وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه) آية بغير ألف مكي وكوفي غير حفص أرادوا هلا أنزل عليه آيات مثل الناقة والعصا ومائدة عيسى عليهم السلام ونحو ذلك (قل انما الآيات عند الله) ينزل أيتها شاء ولست أملك شيأ منها (وانما أنا نذير مبين) كلفت الانذار وابانته بما أعطيت من الآيات وليس لي ان أقول أنزل على آية كذا دون آية كذا مع علمي ان المراد من الآيات ثبوت الدلالة والآيات كلها في حكم آية واحدة في ذلك (أولم يكفهم انا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم) أي أولم يكفهم آية مغنية عن سائر الآيات ان كانوا طالبين للحق

غير متعنتين هذا القرآن الذي تدوم تلاوته عليهم في كل مكان وزمان فلا يزال معهم آية ثابتة لا تزول كما تزول كل آية بعد كونها أو تكون في مكان دون مكان (ان في ذلك) أي في مثل هذه الآية الموجودة في كل مكان وزمان الى آخر الدهر (لرحمة) لنعمة عظيمة (وذكرى) وتذكرة (لقوم يؤمنون) دون المتعنتين (قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا) أي شاهدا بصدق ما أدعيه من الرسالة وانزال القرآن

﴿ وما يجحد بآياتنا الا الظالمون ﴾ الا المتوغلون في الظلم بالمكابرة بعد وضوح دلائل اعجازها حتى لم يعتدوا بها ﴿ وقالوا لولا انزل عليه آية من ربه ﴾ مثل ناقة صالح وعصا موسى ومائدة عيسى * وقرأ نافع وابن عامر والبصريان وحفص آيات ﴿ قل انما الآيات عند الله ﴾ ينزلها كما يشاء لست املكها فآتيكم بما تقترحونه ﴿ وانما انا نذير مبين ﴾ ليس من شاني الا الانذار وابانته بما اعطيت من الآيات ﴿ اولم يكفهم ﴾ آية مغنية عما اقترحوه ﴿ انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ﴾ تدوم تلاوته عليهم متحدين به فلا يزال معهم آية ثابتة لا تضمحل بخلاف سائر الآيات او يتلى عليهم يعني اليهود بتحقيق ما في ايديهم من نعتك ونعت دينك ﴿ ان في ذلك ﴾ في ذلك الكتاب الذي هو آية مستمرة وحجة مبينة ﴿ لرحمة ﴾ لنعمة عظيمة ﴿ وذكرى لقوم يؤمنون ﴾ وتذكرة لمن همه الايمان دون التعنت وقيل ان ناسا من المسلمين اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتف كتب فيها بعض ما يقول اليهود فقال كفى بها ضلالة قوم ان يرغبوا عما جاءهم به نبيهم الى ما جاء به غير نبيهم فنزلت ﴿ قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا ﴾ بصدقي وقد صدقني بالمعجزات او بتبليغي

وصفته في كتبهم ﴿ وما يجحد بآياتنا الا الظالمون ﴾ يعني اليهود ﴿ وقالوا ﴾ يعني كفار مكة ﴿ لولا أنزل عليه آية من ربه ﴾ اي كما أنزل على الانبياء من قبل وقيل أراد بالآيات معجزات الانبياء مثل ناقة صالح ومائدة عيسى ونحو ذلك ﴿ قل انما الآيات عند الله ﴾ أي هو القادر على انزالها ان شاء أنزلها ﴿ وانما أنا نذير مبين ﴾ أي انما كلفت الانذار وليس انزال الآيات بيدي ﴿ أولم يكفهم انا أنزلنا ﴾ هذا جواب لقولهم لولا أنزل عليه آية من ربه قال أولم يكفهم انا أنزلنا ﴿ عليك الكتاب يتلى عليهم ﴾ معناه ان القرآن معجزة أتم من معجزة من تقدم من الانبياء لان معجزة القرآن تدوم على ممر الدهور والزمان ثابتة لا تضمحل كما تزول كل آية بعد كونها ﴿ ان في ذلك ﴾ يعني القرآن ﴿ لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون ﴾ أي تذكيرا وعظة لمن آمن به وعمل صالحا ﴿ قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا ﴾ قال ابن عباس معناه يشهد لي اني رسوله والقرآن كتابه ويشهد عليكم بالتكذيب وشهادة الله اثبات المعجزة له بانزال الكتاب عليه

(وما يجحد بآياتنا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (الا الظالمون) الكافرون اليهود والنصارى والمشركون (وقالوا) وقالت اليهود والنصارى والمشركون (لولا أنزل عليه) هلا أنزل على محمد (آيات) علامات (من ربه) كما أنزل على موسى وعيسى (قل) لهم يا محمد (انما الآيات عند الله) انما العلامات من عند الله (يعلم) تجئ (وانما أنا نذير) رسول مخوف (مبين) بلغة تعلمونها (أولم يكفهم) أهل مكة يا محمد آية لنبوتك (انا أنزلنا عليك الكتاب) جبريل بالقرآن (يتلى) يقرأ (عليهم) بالامر والنهي وأخبار الامم (ان في ذلك) في الذي أنزلت اليك جبريل به يعني القرآن (لرحمة) من العذاب لمن آمن به (وذكرى) عظة (لقوم يؤمنون) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (قل) لهم يا محمد (كفى بالله بيني وبينكم شهيدا) بأني رسوله

علی وبتكذيبكم (يعلم مافى السموات والارض)فهو مطلع على أمرى وأمركم وعالم بحقى وباطلكم (والذين آمنوا بالباطل)منكم وهو مايعبدون من دون الله (وكفروابالله) وآياته (أولئك هم الخاسرون) المغبونون فى صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالايمان الاان الكلام وردمورد الانصاف كقوله وانا اواياكم لعلى هدى أوفى ضلال مبين وروى ان كعب بن الاشرف وأصحابه قالوا يامحمد من يشهدلك بانك رسول الله فنزلت (ويستعجلونك بالعذاب) بقولهم أمطرعلينا حجارة من السماء الآية ﴿٢٥﴾ (ولولاأجل مسمى)وهو { سورة العنكبوت } يوم القيامة أويوم بدر أووقت فنائهم بآجالهم والمعنى ولولاأجل قد سماه الله وبينه فى اللوح لعذبهم والحكمة تقتضى تأخيره الى ذلك الاجل المسمى (لجاءهم العذاب) عاجلا(وليأتينهم) العذاب عاجلا أوليأتينهم العذاب فى الاجل المسمى (بغتة) فجأة(وهم لايشعرون) بوقت مجيئه (يستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين) أى ستحيط بهم (يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم) لقوله تعالى من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ولاوقف على بالكافرين لان يوم ظرف احاطة النار بهم (ويقول)بالياء كوفى ونافع وقوله (ذوقوا ما كنتم تعملون)أى جزاءه

مالرسلت به اليكم ونصحى ومقابلتكم اياى بالتكذيب والتعنت ﴿ يعلم مافى السموات والارض ﴾ فلايخفى عليه حالى وحالكم ﴿ والذين آمنوا بالباطل ﴾ وهو مايعبد من دون الله ﴿ وكفروا بالله ﴾ منكم ﴿ اولئك هم الخاسرون ﴾ فى صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالايمان ﴿ ويستعجلونك بالعذاب ﴾ بقولهم امطر علينا حجارة من السماء ﴿ ولولا اجل مسمى ﴾ لكل عذاب اوقوم ﴿ لجاءهم العذاب ﴾ عاجلا ﴿ وليأتينهم بغتة ﴾ فجأة فى الدنيا كوقعة بدرأوالآخرة عند نزول الموت بهم ﴿ وهم لايشعرون ﴾ باتيانه ﴿ يستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين ﴾ ستحيط بهم يوم يأتيهم العذاب اوهى كالمحيطة بهم الآن لاحاطة الكفر والمعاصى التى توجبها بهم واللام للعهد على وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على موجب الاحاطة اوللجنس فيكون استدلالا بحكم الجنس على حكمهم ﴿ يوم يغشاهم العذاب ﴾ ظرف لمحيطة أومقدر مثل كان كيت وكيت ﴿ من فوقهم ومن تحت ارجلهم ﴾ من جميع جوانبهم ﴿ ويقول ﴾ الله اوبعض الملائكة بامره لقراءة ابن كثير وابن عامر والبصريين بالنون ﴿ ذوقوا ما كنتم تعملون ﴾ اى جزاءه

﴿ يعلم مافى السموات والارض ﴾ أى هو المطلع على أمرى وأمركم ويعلم حقى وباطلكم لاتخفى عليه خافية ﴿ والذين آمنوا بالباطل ﴾ قال ابن عباس بغير الله وقيل بعبادة الشيطان وقيل بماسوى الله لان ماسوى الله باطل ﴿ وكفروا بالله ﴾ فان قلت من آمن بالباطل فقد كفر بالله فهل لهذا العطف فائدة غير التأكيد *قلت نعم فائدته انه ذكر الثانى لبيان قبح الاول فهو كقول القائل أتقول الباطل وتترك الحق لبيان ان الباطل قبيح ﴿ أولئك هم الخاسرون ﴾ أى المغبونون فى صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالايمان * قوله عزوجل ﴿ ويستعجلونك بالعذاب ﴾ نزلت فى النضر بن الحرث حيث قال فامطر علينا حجارة من السماء ﴿ ولولا أجل مسمى ﴾ قال ابن عباس ماوعدتك انى لاأعذب قومك ولاأستأصلهم وأؤخر عذابهم الى يوم القيامة وقيل مدة أعمارهم لانهم اذاماتوا صاروا الى العذاب وقيل يوم بدر ﴿ لجاءهم العذاب وليأتينهم ﴾ يعنى العذاب وقيل الاجل ﴿ بغتة وهم لايشعرون ﴾ باتيانه ﴿ يستعجلونك بالعذاب ﴾ أعادة تأكيدا ﴿ وان جهنم لمحيطة بالكافرين ﴾ أى جامعة لهم لايبقى منهم أحد الادخلها ﴿ يوم يغشاهم العذاب ﴾ أى يصيبهم ﴿ من فوقهم ومن تحت أرجلهم ونقول ذوقوا ما كنتم تعملون ﴾ أى جزاء ما كنتم تعملون

(يعلم مافى السموات والارض) من الخلق (والذين آمنوا بالباطل)بالشيطان(وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون) المغبونون بالعقوبة يعنى أباجهل (قا وخا ٤ مس) وأصحابه (ويستعجلونك) يامحمد (بالعذاب ولولاأجل مسمى) وقت معلوم (لجاءهم العذاب) قبل وقته (وليأتينهم بغتة) فجأة (وهم لايشعرون)بنزوله(يستعجلونك) يامحمد(بالعذاب) فى الدنيا(وان جهنم لمحيطة)ستحيط (بالكافرين)وهى تجمعهم جميعا(يوم يغشاهم)يأخذهم(العذاب من فوقهم)من فوق رؤسهم (ومن تحت أرجلهم) اذا ألقوافى النار (ويقول) لهم (ذوقوا ما كنتم تعملون) بما كنتم تعملون وتقولون

أعمالكم (ياعبادى) وبسكون الياء بصرى وكوفى غير عاصم (الذين آمنوا ان أرضى واسعة) وبفتح الياء شامى يعنى ان المؤمن اذا لم يتسهل له العبادة فى بلد هو فيه ولم يتمش له أمر دينه فليهاجر عنه الى بلد يقدر انه فيه أسلم قلبا وأصح دينا وأكثر عبادة والبقاع تتفاوت فى ذلك تفاوتا كثيرا وقالوا لم نجد أعون على قهر النفس واجمع للقلب وأحث على القناعة وأطرد للشيطان وأبعد من الفتن وأربط للامر الدينى من مكة حرسها الله تعالى وعن سهل اذا ظهرت المعاصى والبدع فى أرض فاخرجوا منها الى أرض المطيعين وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من فر بدينه من أرض الى أرض وان كان شبرا من الارض استوجب الجنة (فاياى

فاعبدون) وبالياء يعقوب وتقديره فاياى فاعبدوا فاعبدونى وجئ بالفاء فى فاعبدون لانه جواب شرط محذوف لان المعنى ان أرضى واسعة فان لم تخلصوا العبادة لى فى أرض فأخلصوها فى غيرها ثم حذف الشرط وعوض عن حذفه تقديم المفعول مع افادة تقديمه معنى الاختصاص والاخلاص ثم شجع المهاجر بقوله (كل نفس ذائقة الموت) أى واجدة مرارته وكربه كما يجد الذائق طعم المذوق لانها اذا تيقنت بالموت سهل عليها مفارقة وطنها (ثم الينا ترجعون) بعد الموت للثواب والعقاب يرجعون يحيى ترجعون يعقوب (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفا) لننزلنهم من الجنة علالى لنثوينهم كوفى غير عاصم من الثواء وهو النزول للاقامة وثوى غير متعد فاذا تعدى بزيادة الهمزة لم يجاوز مفعولا واحدا والوجه فى تعديته الى ضمير المؤمنين والى الغرف اما اجراؤه مجرى لننزلنهم أو لنثوينهم (أى) أو حذف الجار وايصال الفعل أو تشبيه الظرف المؤقت بالمبهم (تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها نعم أجر العاملين) ويوقف

﴿ ياعبادى الذين آمنوا ان ارضى واسعة فاياى فاعبدون ﴾ اى اذا لم يتسهل لكم العبادة فى بلدة ولم يتيسر لكم اظهار دينكم فهاجروا الى حيث يتمشى لكم ذلك وعنه عليه السلام من فر بدينه من ارض الى ارض ولو كان شبرا استوجب الجنة وكان رفيق ابراهيم ومحمد عليهما السلام والفاء جواب شرط محذوف اذ المعنى ان ارضى واسعة ان لم تخلصوا العبادة لى فى ارض فاخلصوها فى غيرها ﴿ كل نفس ذائقة الموت ﴾ تناله لا محالة ﴿ ثم الينا ترجعون ﴾ للجزاء ومن هذا عاقبته ينبغى ان يجتهد فى الاستعداد له وقرأ ابو بكر بالياء ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم ﴾ لننزلنهم ﴿ من الجنة غرفا ﴾ علالى وقرأ حمزة والكسائى لنثوينهم اى لنقيمنهم من الثواء فيكون انتصاب غرفا لاجرائه مجرى لننزلنهم أو بنزع الخافض أو تشبيه الظرف الموقت بالمبهم ﴿ تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها نعم اجر العاملين ﴾ وقرئ فنعم والمخصوص

* قوله تعالى ﴿ ياعبادى الذين آمنوا ان أرضى واسعة فاياى فاعبدون ﴾ قيل نزلت فى ضعفاء مسلمى أهل مكة يقول الله تعالى ان كنتم فى ضيق بمكة من اظهار الايمان فاخرجوا منها الى أرض المدينة فانها واسعة آمنة وقيل نزلت فى قوم تخلفوا عن الهجرة وقالوا نخشى ان هاجرنا من الجوع وضيق المعيشة فانزل الله تعالى هذه الآية ولم يعذرهم بترك الخروج وقيل المعنى فهاجروا من فيها أى فجاهدوا فيها وقال سعيد بن جبير اذا عملوا فى الارض بالمعاصى فاهربوا منها فان أرضى واسعة وقيل اذا أمرتم بالمعاصى فاهربوا فان أرضى واسعة وكذلك يجب على كل من كان فى بلد يعمل فيه بالمعاصى ولا يمكنه تغيير ذلك ان يهاجر الى بلد تتهيأ له فيها العبادة وقيل معنى ان أرضى واسعة أى رزقى لكم واسع فاخرجوا ﴿ كل نفس ذائقة الموت ﴾ أى كل أحد ميت خوفهم بالموت لتهون الهجرة عليهم فلا يقيموا بدار الشرك خوفا من الموت ﴿ ثم الينا ترجعون ﴾ فنجزيكم باعمالكم * قوله تعالى ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفا ﴾ أى علالى جمع غرفة وهى العلية ﴿ تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها نعم أجر العاملين ﴾

فى الكفر (ياعبادى الذى آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن يعنى أبابكر وعمر وعثمان وعليا وأصحابهم (ان أرضى) أرض المدينة (واسعة) آمنة فاخرجوا اليها (فاياى فاعبدون) فأطيعون (كل نفس) منفوسة (ذائقة الموت) تذوق الموت (ثم الينا ترجعون) بعد الموت فيجزيكم بأعمالكم (والذين آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (وعملوا الصالحات) الطاعات فيما بينهم وبين ربهم (لنبوئنهم من الجنة) لننزلنهم فى الجنة (غرفا) علالى (تجرى من تحتها) من تحت شجرها ومساكنها (الانهار) انهار الخمر والماء والعسل واللبن (خالدين فيها) مقيمين فى الجنة (نعم أجر العاملين) ثواب العاملين

على العاملين على ان (الذين صبروا) خبر مبتدأ محذوف أي هم الذين صبروا على مفارقة الاوطان وعلى أذى المشركين وعلى المحن والمصائب وعلى الطاعات وعن المعاصي والوصل أجود ليكون الذين نعتا للعاملين (وعلى ربهم يتوكلون) ولم يتوكلوا في جميع ذلك الا على الله ولما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من أسلم من مكة بالهجرة خافوا الفقر والضيعة فنزلت (وكأين من دابة) أي وكم من دابة وكائن بالمد والهمز مكي والدابة كل نفس دبت على وجه الارض عقلت أم لم تعقل (لا تحمل رزقها) لا تطيق أن تحمله لضعفها عن حمله (الله يرزقها واياكم) اي لا يرزق تلك الدواب الضعاف الا الله ولا يرزقكم أيضا أيها الاقوياء الا هو وان كنتم مطيقين لحمل أرزاقكم وكسبها لانه لو لم يقدركم ولم يقدر لكم أسباب الكسب لكنتم أعجز من الدواب التى لا تحمل وعن الحسن لا تحمل رزقها لا تدخره انما تصبح فيرزقها الله وقيل لا يدخر شئ من الحيوان قوتا الا ابن آدم والفأرة والنملة (وهو السميع) لقولكم نخشى الفقر والعيلة (العليم) بما في ضمائركم (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر)

بالمدح محذوف دل عليه ما قبله ﴿ الذين صبروا ﴾ على اذية المشركين والهجرة للدين الى غير ذلك من المحن والمشاق ﴿ وعلى ربهم يتوكلون ﴾ ولا يتوكلون الا على الله ﴿ وكأين من دابة لا تحمل رزقها ﴾ لا تطيق حمله لضعفها أو لا تدخره وانما تصبح ولا معيشة عندها ﴿ الله يرزقها واياكم ﴾ ثم انها مع ضعفها وتوكلها واياكم مع قوتكم واجتهادكم سواء في انه لا يرزقها واياكم الا الله لان رزق الكل باسباب هو المسبب لها وحده فلا تخافوا على معاشكم بالهجرة فانهم لما امروا بالهجرة قال بعضهم كيف نقدم بلدة ليس لنا فيها معيشة فنزلت ﴿ وهو السميع ﴾ لقولكم هذا ﴿ العليم ﴾ بضميركم ﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ﴾ المسؤل عنهم اهل مكة

أي لله بطاعته ﴿ الذين صبروا ﴾ على الشدائد ولم يتركوا دينهم لشدة لحقتهم وقيل صبروا على الهجرة ومفارقة الاوطان وعلى اذى المشركين وعلى المحن والمصائب وعلى الطاعات وعن المعاصي ﴿ وعلى ربهم يتوكلون ﴾ أي يعتمدون على الله في جميع أمورهم ❁ قوله عز وجل ﴿ وكأين من دابة لا تحمل رزقها ﴾ وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للمؤمنين الذين كانوا بمكة وقد آذاهم المشركون هاجروا الى المدينة فقالوا كيف نخرج الى المدينة وليس لنا بها دار ولا مال فمن يطعمنا بها ويسقينا فانزل الله وكأين من دابة لا تحمل رزقها أي لا ترفع رزقها معها لضعفها ولا تدخر شيأ لغد مثل البهائم والطير ﴿ الله يرزقها واياكم ﴾ حيث كنتم ﴿ وهو السميع ﴾ أي لاقوالكم ﴿ العليم ﴾ بما في قلوبكم ❁ عن عمر بن الخطاب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لو انكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا أخرجه الترمذي وقال حديث حسن ومعناه انها تذهب أول النهار جياعا ضامرة البطون وتروح آخر النهار الى أوكارها شباعا ممتلئة البطون ولا تدخر شيأ قال سفيان بن عيينة ليس شئ من خلق الله يخبأ الا الانسان والفأرة والنملة ❁ عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال أيها الناس ليس من شئ يقاربكم من الجنة ويباعدكم من النار الا وقد أمرتكم به وليس شئ يقربكم من النار ويباعدكم من الجنة الا وقد نهيتكم عنه ألا وان الروح الامين نفث في روعي الروع بضم الراء وبالعين المهملة هو القلب والعقل وبفتح الراء هو الخوف قال الله تعالى فلما ذهب عن ابراهيم الروع أي الخوف انه ليس من نفس تموت حتى تستوفي رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب ولا يحملنكم استبطاء الرزق ان تطلبوه بمعاصي الله عز وجل فانه لا يدرك ما عند الله الا بطاعته ❁ قوله عز وجل ﴿ ولئن سألتهم ﴾ يعني كفار مكة ﴿ من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ﴾ ذكر

(الذين صبروا) على أمر الله والمرازي (وعلى ربهم يتوكلون) لا على غيره فلما أمرهم الله بالهجرة الى المدينة قالوا ليس لنا بها أحد يؤوينا ويطعمنا ويسقينا فقال (وكأين) وكم (من دابة لا تحمل رزقها) لغد الا النملة فانها تجمع لسنة (الله يرزقها) من تحمل ومن لا تحمل (واياكم) يا معشر المؤمنين (وهو السميع) لمقالتكم من يرزقنا (العليم) بأرزاقكم يعلم من أين يرزقكم (ولئن سألتهم) يعني كفار مكة (من خلق السموات والارض وسخر) ذلل (الشمس والقمر

أي ولئن سألت هؤلاء المشركين من خلق السموات والارض على كبرهما وسعتهما ومن الذى سخر الشمس والقمر (ليقولن الله فأنى يؤفكون) فكيف يصرفون عن توحيد الله مع اقرارهم بهذا كله (الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له) اى لمن يشاء فوضع الضمير موضع من يشاء لان من يشاء مبهم غير معين فكان الضمير مبهما مثله قدر الرزق وقتره بمعنى اذا ضيقه (ان الله بكل شئ عليم) يعلم مايصلح العباد ومايفسدهم فى الحديث ان من عبادى من لايصلح ايمانه الا الغنى ولو أفقرته لافسده ذلك وان من عبادى من لايصلح ايمانه الا الفقر ولو أغنيته لافسده ذلك (ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فاحيابه الارض من بعد موتها ليقولن الله) أى هم مقرون بذلك (قل الحمد لله) على انزاله الماء لاحياء الارض أو على أنه ممن أقر بنحو ما ماأقروا به ثم نفعه ذلك فى توحيد الله ونفى الشركاء عنه ولم يكن اقرارا عاطلا كاقرار المشركين (بل أكثرهم لايعقلون) لا يتدبرون بما فيهم من العقول فيما نريهم من الآيات ونقيم عليهم من الدلالات أو لا يعقلون ماتريد بقولك الحمد لله (وماهذه الحيوة الدنيا الا لهو ولعب) اى وماهى لسرعة زوالها عن أهلها وموتهم عنها الا كما يلعب الصبيان ساعة ثم يتفرقون وفيه ازدراء بالدنيا وتصغير لامرها وكيف لايصغرها وهى لاتزن عنده جناح بعوضة واللهو مايتلذذ به الانسان فيلهيه ساعة ثم ينقضى

﴿ليقولن الله﴾ لما تقرر فى العقول من وجوب انتهاء الممكنات الى واحد واجب الوجود ﴿فأنى يؤفكون﴾ يصرفون عن توحيده بعد اقرارهم بذلك ﴿الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له﴾ يحتمل ان يكون الموسع له والمضيق عليه واحدا على ان البسط والقبض على التعاقب وان لايكون على وضع الضمير موضع من يشاء وابهامه لان من يشاء مبهم ﴿ان الله بكل شئ عليم﴾ يعلم مصالحهم ومفاسدهم ﴿ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فاحيي به الارض من بعد موتها ليقولن الله﴾ معترفين بانه الموجد للممكنات باسرها اصولها وفروعها ثم انهم يشركون به بعض مخلوقاته الذى لايقدر على شئ من ذلك ﴿قل الحمد لله﴾ على ماعصمك من مثل هذه الضلالة أو على تصديقك واظهار حجتك ﴿بل اكثرهم لايعقلون﴾ فيتناقضون حيث يقرون بانه المبدأ لكل ماعداه ثم انهم يشركون به الصنم وقيل لايعقلون ماتريد بتحميدك عند مقالهم ﴿وماهذه الحيوة الدنيا﴾ اشارة تحقير وكيف لا وهى لاتزن عند الله جناح بعوضة ﴿الا لهو ولعب﴾ الا كما يلهى ويلعب به

أمرين أحدهما اشارة الى اتحاد الذات والثانى اشارة الى اتحاد الصفات وهى الحركة فى الشمس والقمر ﴿ليقولن الله فأنى يؤفكون﴾ قيل معناه انهم يعتقدون هذا فكيف يصرفون عن عبادة الله مع اقرارهم أنه خلق السموات والارض ﴿الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده﴾ لما ذكر الخلق ذكر الرزق لان كمال الخلق ببقائه وبقاء الخلق بالرزق والله تعالى هو المتفضل بالرزق على الخلق فله الفضل والاحسان والطول والامتنان ﴿ويقدر له﴾ أى يضيق عليه اذا شاء ﴿ان الله بكل شئ عليم﴾ أى يعلم مقادير الحاجات ومقادير الارزاق ﴿ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فاحيابه الارض من بعد موتها ليقولن الله﴾ ذكر سبب الرزق وموجد السبب موجد المسبب فالرزق من الله تعالى ﴿قل الحمد لله﴾ أى على ان الفاعل لهذه الاشياء هو الله تعالى وقيل قل الحمد لله على قرارهم ولزوم الحجة عليهم بانه خالق لهم ﴿بل أكثرهم لايعقلون﴾ أى انهم ينكرون التوحيد مع اقرارهم بانه خالق هذه الاشياء * قوله تعالى ﴿وماهذه الحيوة الدنيا الا لهو ولعب﴾ اللهو هو الاستمتاع بلذات الدنيا وقيل هو الاشتغال بما

ليقولن) كفار مكة (الله) خلق وسخر وذلل (فأنى يؤفكون) فمن أين يكذبون على الله (الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده) يوسع المال على (لا) من يشاء من عباده وهو مكر منه (ويقدر له) يقتر على من يشاء وهو نظر منه (ان الله بكل شئ)من البسط والتقتير (عليم ولئن سألتهم)يعنى كفار مكة (من نزل من السماء ماء) مطرا (فأحيي به) بالمطر (الارض من بعد موتها) قحطها ويبوستها (ليقولن) كفار مكة (الله) نزل ذلك(قل الحمد لله) الشكر لله على ذلك (بل أكثرهم)كلهم (لايعقلون) لايعلمون ولا يصدقون بذلك (وماهذه الحيوة الدنيا) مافى الحياة الدنيا من الزهرة والنعيم (الا لهو) فرح (ولعب) باطل لايبقى

(وان الدار الآخرة لهي الحيوان) أي الحياة أي ليس فيها الا حياة مستمرة دائمة لا موت فيها فكأنها في ذاتها حياة والحيوان مصدر حي وقياسه حييان فقلبت الياء الثانية واوا ولم يقل لهي الحياة لما في بناء فعلان من معنى الحركة والاضطراب والحياة حركة والموت سكون فمجيئه على بناء دال على معنى الحركة مبالغة في معنى الحياة ويوقف على الحيوان لان التقدير (لو كانوا يعلمون) حقيقة الدارين لما اختاروا اللهو الفاني على الحيوان الباقي ولو وصل لصار وصف الحيوان معلقا بشرط علمهم ذلك وليس كذلك (فاذا ركبوا في الفلك) هو متصل بمحذوف دل عليه ما وصفهم به وشرح من أمرهم معناه هم على ما وصفوا به من الشرك والعناد

(دعوا الله مخلصين له الدين) كائنين في صورة من يخلص الدين لله من المؤمنين حيث لا يذكرون الا الله ولا يدعون معه الها آخر (فلما نجاهم الى البر) وامنوا (اذا هم يشركون) عادوا الى حال الشرك (ليكفروا بما آتيناهم) من النعمة قيل هي لام كي وكذا في (وليتمتعوا) فيمن قرأها بالكسر أي لكي يكفروا وكي يتمتعوا والمعنى يعودون الى شركهم ليكونوا بالعود الى شركهم كافرين بنعمة النجاة قاصدين التمتع بها والتلذذ لا غير على خلاف عادة المؤمنين المخلصين على الحقيقة فانهم يشكرون نعمة الله اذا أنجاهم ويجعلون نعمة النجاة ذريعة الى ازدياد الطاعة لا الى التلذذ والتمتع وعلى هذا الوقف على يشركون ومن جعله لام الامر متثبتا بقراءة ابن كثير وحمزة وعلي وليتمتعوا بسكون اللام على وجه التهديد كقوله فمن شاء فليؤمن ومن يشاء فليكفر وتحقيقه في أصول الفقه يقف عليه (فسوف يعلمون)

الصبيان يجتمعون عليه ويبتهجون به ساعة ثم يتفرقون متعبين ﴿ وان الدار الآخرة لهي الحيوان ﴾ لهي دار الحياة الحقيقية لامتناع طريان الموت عليها او هي جعلت في ذاتها حياة للمبالغة والحيوان مصدر حي سمي به ذو الحياة واصله حييان فقلبت الياء الثانية واوا وهو ابلغ من الحياة لما في بناء فعلان من الحركة والاضطراب اللازم للحياة ولذلك اختير عليها ههنا ﴿ لو كانوا يعلمون ﴾ لم يؤثروا عليها الدنيا التي اصلها عدم الحياة والحياة فيها عارضة سريعة الزوال ﴿ فاذا ركبوا في الفلك ﴾ متصل بما دل عليه شرح حالهم اى هم على ما وصفوا به من الشرك فاذا ركبوا البحر ﴿ دعوا الله مخلصين له الدين ﴾ كائنين في صورة من اخلص دينه من المؤمنين حيث لا يذكرون الا الله ولا يدعون سواه لعلمهم بانه لا يكشف الشدائد الا هو ﴿ فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون ﴾ فاجأوا المعاودة الى الشرك ﴿ ليكفروا بما آتيناهم ﴾ اللام فيه لام كي اى يشركون ليكونوا كافرين بشركهم نعمة النجاة ﴿ وليتمتعوا ﴾ باجتماعهم على عبادة الاصنام وتوادهم عليها أو لام الامر على التهديد ويؤيده قراءة ابن كثير وحمزة والكسائي وقالون عن نافع وليتمتعوا بالسكون ﴿ فسوف يعلمون ﴾ عاقبة ذلك حين

لا يعنيه وما لا يهمه واللعب هو العبث وفي هذا تصغير للدنيا وازدراء بها ومعنى الآية ان سرعة زوال الدنيا عن أهلها وتقلبهم فيها وموتهم عنها كما يلعب الصبيان ساعة ثم ينصرفون ﴿ وان الدار الآخرة لهي الحيوان ﴾ أي الحياة الدائمة الخالدة التي لا موت فيها ﴿ لو كانوا يعلمون ﴾ فناء الدنيا وبقاء الآخرة لما آثروا الفاني على الباقي ۞ قوله عز وجل ﴿ فاذا ركبوا في الفلك ﴾ معناه هم على ما وصفوا به من الشرك والعناد فاذا ركبوا في الفلك وخافوا الغرق ﴿ دعوا الله مخلصين له الدين ﴾ اى تركوا الاصنام ولجؤا الى الله تعالى بالدعاء ﴿ فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون ﴾ أي عادوا الى ما كانوا عليه من الشرك والعناد وقيل كان أهل الجاهلية اذا ركبوا البحر حملوا الاصنام فاذا اشتد الريح ألقوها في البحر وقالوا يارب يارب ﴿ ليكفروا بما آتيناهم ﴾ أي ليجحدوا نعمة الله في انجائه اياهم ومعناه التهديد والوعيد ﴿ وليتمتعوا ﴾ معناه لا فائدة لهم في الاشراك الا التمتع بما يستمتعون به في العاجلة ولا نصيب لهم في الآخرة ﴿ فسوف يعلمون ﴾ يعني عاقبة أمرهم ففيه تهديد

(وان الدار الآخرة) يعني الجنة (لهي الحيوان) الحياة لا يموت أهلها (لو كانوا يعلمون) يصدقون ولكن لا يعلمون ولا يصدقون بذلك (فاذا ركبوا في الفلك) في السفينة يعني كفار مكة (دعوا الله) بالنجاة (مخلصين له الدين) مفردين له الدعوة (فلما نجاهم) من البحر (الى البر) الى القرار (اذا هم يشركون) بالله الاوثان (ليكفروا بما آتيناهم) حتى يكفروا بما أعطيناهم من النعيم (وليتمتعوا) يعيشوا في كفرهم (فسوف يعلمون) ماذا يفعل بهم عند نزول العذاب بهم

سوء تدبيرهم عند تدميرهم (أولم يروا) أى أهل مكة (انا جعلنا) بلدهم (حرما) ممنوعا مصونا (آمنا) يأمن داخله (ويتخطف الناس من حولهم) يستلبون قتلا وسبيا (أفبالباطل يؤمنون) أى بالشيطان والاصنام (وبنعمة الله يكفرون) أن بمحمد عليه السلام والاسلام (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا) بان جعل له شريكا (أو كذب بالحق) بنبوة محمد عليه السلام والكتاب (لما جاءه) أى يتعلثموا فى تكذيبه حين سمعوه (أليس فى جهنم مثوى للكافرين) هذا تقرير لثوائهم فى جهنم لان همزة الانكار اذا أدخلت على النفى صار ايجابا يعنى الايثوون فيها وقد افتروا مثل هذا التكذيب على الله وكذبوا بالحق مثل هذا التكذيب أو ألم يصح عندهم ان فى جهنم مثوى للكافرين حين اجترؤا مثل هذه الجراءة وذكر المثوى فى مقابلة لنبوئهم يؤيد قراءة الثانى (والذين جاهدوا) أطلق المجاهدة ولم يقيدها بمفعول ليتناول كل ما تجب مجاهدته من النفس والشيطان واعداء الدين (فينا) فى حقنا ومن أجلنا ولوجهنا خالصا (لنهدينهم سبلنا) سبلنا أبو عمرو أى لنزيدنهم هداية الى سبل الخير وتوفيقا وعن الدارانى والذين جاهدوا فيما علموا لنهدينهم الى مالم يعلموا فقد قيل من عمل بما علم وفق لما لا يعلم وقيل ان الذى نرى من جهلنا بما لا نعلم انما هو لتقصيرنا فيما نعلم وعن فضيل والذين جاهدوا فى طلب العلم لنهدينهم سبل العمل به وعن سهل والذين

يعاقبون ﴿أولم يروا﴾ يعنى اهل مكة ﴿انا جعلنا حرما آمنا﴾ اى جعلنا بلدهم مصونا عن النهب والتعدى آمنا اهله عن القتل والسبى ﴿ويتخطف الناس من حولهم﴾ يختلسون قتلا وسبيا اذ كانت العرب حوله فى تغاور وتناهب ﴿أفبالباطل يؤمنون﴾ أبعد هذه النعمة المكشوفة وغيرها مما لا يقدر عليه الا الله بالصنم أو الشيطان يؤمنون ﴿ وبنعمة الله يكفرون ﴾ حيث اشركوا به غيره وتقديم الصلتين للاهتمام أو الاختصاص على طريق المبالغة ﴿ ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا ﴾ بان زعم ان له شريكا ﴿او كذب بالحق لما جاءه ﴾ يعنى الرسول أو الكتاب وفى لما تسفيه لهم بان لم يتوقفوا ولم يتأملوا قط حين جاءهم بل سارعوا الى التكذيب اول ما سمعوه ﴿ أليس فى جهنم مثوى للكافرين ﴾ تقرير لثوائهم كقوله

ألستم خير من ركب المطايا

اى الا يستوجبون الثواء فيها وقد افتروا مثل هذا الكذب على الله وكذبوا بالحق مثل هذا التكذيب اولاجترائهم اى ألم يعلموا ان فى جهنم مثوى للكافرين حتى اجترؤا مثل هذه الجرأة ﴿ والذين جاهدوا فينا ﴾ فى حقنا فاطلاق المجاهدة ليعم جهاد الاعادى الظاهرة والباطنة بانواعه ﴿لنهدينهم سبلنا﴾ سبل السير الينا والوصول الى جنابنا أو لنزيدنهم هداية الى سبيل الخير وتوفيقا لسلوكها

ووعيد * قوله عز وجل ﴿أولم يروا انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم﴾ يعنى العرب يسبى بعضهم بعضا وأهل مكة آمنون ﴿ أفبالباطل ﴾ يعنى الشيطان والاصنام ﴿ يؤمنون وبنعمة الله يكفرون ﴾ أى بمحمد صلى الله عليه وسلم والاسلام يكفرون ﴿ ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا ﴾ أى فزعم ان له شريكا فانه منزه عن الشركاء ﴿ أو كذب بالحق ﴾ أى بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن ﴿ لما جاءه أليس فى جهنم مثوى للكافرين ﴾ معناه أما لهذا الكافر المكذب مأوى فى جهنم * قوله عز وجل ﴿ والذين جاهدوا فينا ﴾ معناه جاهدوا المشركين لنصر ديننا ﴿ لنهدينهم سبلنا ﴾

(أولم يروا) كفار مكة (انا جعلنا حرما آمنا) من ان يهاج فيه (ويتخطف الناس) يطرد ويذهب الناس (من حولهم) يطردهم ويذهب بهم عدوهم فلا يدخل عليهم فى الحرم (لنثيبنهم)

(أفبالباطل يؤمنون) أفبالشيطان والاصنام يصدقون (وبنعمة الله) التى أعطاهم فى الحرم وبوحدانية الله (يكفرون ومن أظلم)أعتى وأجرأ على الله (ممن افترى) اختلق (على الله كذبا) فجعل له ولدا وشريكا (أو كذب بالحق)أو كذب بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (لما جاءه) حين جاءه محمد صلى الله عليه وسلم بالقرآن (أليس فى جهنم مثوى) منزل (للكافرين) لابى جهل وأصحابه (والذين جاهدوا فينا) فى طاعتنا قال ابن عباس فى قول الله (لنهدينهم سبلنا) أى من عمل بما علم لنوفقنهم لما لا يعلمون ويقال لنهدينهم سبلنا لنكرمنهم بالطبع والطوع والحلاوة ويقال لنهدينهم سبلنا لنوفقنهم

جاهدوا فى اقامة السنة لنهدينهم سبل الجنة وعن ابن عطاء جاهدوا فى رضانا لنهدينهم الى الوصول الى محل الرضوان وعن

لقوله والذين اهتدوا زادهم هدى * وفى الحديث من عمل بما علم ورثه الله علم مالم يعلم ﴿ وان الله لمع المحسنين ﴾ بالنصرة والاعانة * قال عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة العنكبوت كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل المؤمنين والمنافقين

﴿ سورة الروم مكية الأقول فسبحان الله حين تمسون ﴾

﴿ وهى ستون أوتسع وخمسون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ ألم غلبت الروم فى أدنى الارض ﴾ ارض العرب منهم لانها الارض المعهودة عندهم اوفى أدنى ارضهم من العرب واللام بدل من الاضافة

لنثبتهم على ماقاتلوا عليه وقيل لنزيدنهم هدى وقيل لنوفقنهم لاصابة الطريق المستقيمة وهى التى توصل الى رضا الله تعالى قال سفيان بن عيينة اذا اختلف الناس فانظروا ماعليه أهل الثغور فان الله تعالى يقول والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقيل المجاهدة الصبر على الطاعات ومخالفة الهوى وقال الفضيل بن عياض والذين جاهدوا فى طلب العلم لنهدينهم سبل العلم والعمل به وقال سهل بن عبد الله والذين جاهدوا فينا باقامة السنة لنهدينهم سبل الجنة وقال ابن عباس والذين جاهدوا فى طاعتنا لنهدينهم سبل ثوابنا ﴿ وان الله لمع المحسنين ﴾ أى بالنصرة والمعونة فى دنياهم والمغفرة فى عقباهم فى الآخرة وثوابهم الجنة والله أعلم

﴿ تفسير سورة الروم وهى مكية وستون آية وثمانمائة وتسع ﴾

﴿ عشرة كلمة وثلاثة آلاف وخمسمائة وأربعة وثلاثون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

قوله عز وجل ﴿ ألم غلبت الروم فى أدنى الارض ﴾ سبب نزول هذه الآية على ماذكره المفسرون انه كان بين فارس والروم قتال وكان المشركون يودون ان تغلب فارس الروم لان فارسا كانوا مجوسا أميين والمسلمون يودون غلبة الروم على فارس لكونهم أهل كتاب فبعث كسرى جيشا الى الروم واستعمل عليهم رجلا يقال له شهرمان وبعث قيصر رجالا وجيشا وأمر عليهم رجلا يدعى بحنين فالتقيا باذرعات وبصرى وهى أدنى الشأم الى أرض العرب والعجم فغلبت فارس الروم فبلغ ذلك المسلمين بمكة فشق عليهم وفرح به كفار مكة وقالوا للمسلمين انكم أهل كتاب والنصارى أهل كتاب ونحن أميون وفارس أميون وقد ظهر اخواننا من أهل فارس على اخوانكم من الروم فانكم ان قاتلتمونا لنظهرن عليكم فأنزل الله هذه الآيات فخرج ابو بكر الصديق الى كفار مكة فقال فرحتم بظهور اخوانكم فلاتفرحوا فوالله

لنهدينهم سبل الاخلاص أوجاهدوا فى خدمتنا لنفتحن عليهم سبل المناجاة معنا والانس بنا اوجاهدوا فى طلبنا تحريا لرضانا لنهدينهم سبل الوصول الينا (وان الله لمع المحسنين) بالنصرة والمعونة فى الدنيا وبالثواب والمغفرة فى العقبى ﴿ سورة الروم مكية وهى ستون أوتسع وخمسون آية والاختلاف فى بضع سنين ﴾ ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (ألم غلبت الروم) أى غلبت فارس الروم (فى أدنى الارض) أى فى أقرب أرض العرب لان الارض المعهودة عند العرب أرضهم والمعنى غلبوا فى أدنى أرض العرب منهم وهى أطراف الشأم أوأراد أرضهم على انابة اللام مناب المضاف اليه أى فى أدنى أرضهم الى عدوهم

لطاعتنا (وان الله لمع المحسنين) معين المحسنين بالقول والفعل بالتوفيق والعصمة ﴿ ومن السورة التى يذكر فيها الروم وهى كلها مكية آياتها سبعون وكلماتها ثمانمائة وتسع عشرة وحروفها ثلاثة آلاف وخمسمائة وثلاثون ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (ألم) يقول أنا الله أعلم ويقال قسم أقسم به (غلبت الروم) قهرت الروم وهم أهل الكتاب غلبهم فارس وهم المجوس عبدة النيران (فى أدنى الارض) ممايلى فارس فاغتم بذلك

ليظهرن الروم على فارس أخبرنا بذلك نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فقام اليه أبي بن خلف الجمحي فقال كذبت فقال أنت أكذب ياعدو الله فقال اجعل بيننا أجلا أناحبك عليه والمناحبة بالحاء المهملة القمار والمراهنة أي أراهنك على عشر قلائص مني وعشر قلائص منك فاذ ظهرت فارس على الروم غرمت واذا ظهرت الروم على فارس غرمت ففعلوا وجعلوا الاجل ثلاث سنين فجاء أبو بكر الى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره بذلك قبل تحريم القمار فقال النبي صلى الله عليه وسلم ماهكذا ذكرت انما البضع مابين الثلاثة الى التسع فزايده في الخطر وماده في الاجل فخرج أبو بكر فلقي أبيا فقال لعلك ندمت فقال لا فتعال أزايدك في الخطر وأمادك في الاجل فاجعلها مائة قلوص ومائة قلوص الى تسع سنين فقال قدفعلت فلما خشي أبي بن خلف ان يخرج أبو بكر من مكة أتاه ولزمه وقال اني أخاف أن تخرج من مكة فاقم لي ضامنا كفيلا فكفله ابنه عبدالله بن أبي بكر فلما أراد أبي بن خلف ان يخرج الى أحد أتاه عبدالله بن أبي بكر فلزمه وقال والله لاأدعك حتى تعطيني كفيلا فاعطاه كفيلا ثم خرج الى أحد قال ثم رجع أبي بن خلف الى مكة ومات بها من جراحته التي جرحه النبي صلى الله عليه وسلم حين بارزه وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية وذلك على رأس سبع سنين من مناحبتهم وقيل كان يوم بدر وربطت الروم خيولهم بالمدائن وبنوا بالعراق مدينة وسموها رومية فقمر أبو بكر أبيا وأخذ مال الخطر من ورثته وجاء به للنبي صلى الله عليه وسلم وذلك قبل ان يحرم القمار فقال النبي صلى الله عليه وسلم تصدق به وكان سبب غلبة الروم فارسا على ماقال عكرمة وغيره ان شهرمان لما غلب الروم لم يزل يطؤهم ويخرب مدائنهم حتى بلغ الخليج فبينما أخوه فرحان جالس ذات يوم يشرب قال لاصحابه لقد رأيت كأني جالس على سرير كسرى فبلغت كلمته كسرى فكتب الى شهرمان اذا أتاك كتابي فابعث الي برأس أخيك فرحان فكتب اليه أيها الملك انك لمتجد مثل فرحان ان له لنكاية وصولة في العدو فلاتفعل فكتب اليه ان في رجال فارس خلفا عنه فعجل الي برأسه فراجعه فغضب كسرى ولم يجبه وبعث بريدا الى أهل فارس اني قدعزلت عنكم شهرمان واستعملت عليكم فرحان ثم بعث مع البريد صحيفة صغيرة وأمره فيها بقتل شهرمان وقال اذا ولي فرحان الملك وانقادله أخوه فاعطه الصحيفة فلما وصل البريد الى شهرمان عرض عليه كتاب كسرى فلما قرأه قال سمعا وطاعة ونزل عن سرير الملك وأجلس عليه أخاه فرحان فدفع البريد الصحيفة الى فرحان فلما قرأها استدعى باخيه شهرمان وقدمه ليضرب عنقه فقال له لاتعجل حتى أكتب وصيتي قال نعم فدعا بسفط ففتحه أعطاه ثلاث صحائف منه وقال كل هذا راجعت فيك كسرى وأنت تريد قتلي بكتاب واحد فرد فرحان الملك الى أخيه شهرمان فكتب الى قيصر ملك الروم أما بعد فان لي اليك حاجة لاتحملها البرد ولاتبلغها الصحف فالقني في خمسين روميا حتى ألقاك في خمسين فارسيا فاقبل قيصر في خمسمائة ألف رومي وجعل يضع العيون بين يديه في الطرق مخافة أن يريد ان يمكر به حتى أتاه عيونه فاخبروا انه ليس معه الا خمسون فارسيا فلما التقيا ضربت لهما قبة فيها ديباج فدخلاها ومع كل واحد سكين ودعا بترجمان يترجم بينهما فقال شهرمان ان الذي خرب بلادك أنا وأخي بكيدنا

(وهم)أى الروم(من بعد غلبهم) أى غلبة فارس اياهم وقرئ بسكون اللام فالغلب والغلب مصدران وقد أضيف المصدر الى المفعول (سيغلبون)فارس ولا وقف عليه لتعلق (فى بضع سنين) به وهو مابين الثلاث الى العشرة قيل احتربت فارس والروم بين أذرعات وبصرى فغلبت فارس الروم والملك بفارس يومئذ كسرى أبرويز فبلغ الخبر مكة فشق على رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين لان فارس مجوس لا كتاب لهم والروم أهل كتاب وفرح المشركون وشمتوا وقالوا أنتم والنصارى أهل كتاب ونحن وفارس أميون وقد ظهر اخواننا على اخوانكم ولنظهرن نحن عليكم فنزلت فقال لهم أبو بكر والله ليظهرن الروم على فارس بعد بضع سنين فقال له أبى بن خلف كذبت فناحبه على عشر قلائص من كل واحد منهما وجعل الاجل ثلاث سنين فأخبر أبو بكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام زد فى الخطر وأبعد فى الاجل فجعلاها مائة قلوص الى تسع سنين ومات أبى من جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية أو يوم بدر فأخذ أبو بكر الخطر من ذرية أبى فقال عليه السلام تصدق به وهذه آية بينة على صحة نبوته وان القرآن من عند الله لانها انباء عن علم الغيب وكان ذلك قبل تحريم القمار عن قتادة ومن (قا و خا ٥ مس) مذهب أبى حنيفة ومحمد ان العقود الفاسدة كعقد الربا وغيره جائزة فى دار الحرب بين المسلمين والكفار وقد احتجا على صحة ذلك بهذه القصة (لله الامر من قبل ومن بعد)اى من قبل كل شئ

﴿ وهم من بعد غلبهم ﴾ من اضافة المصدر الى المفعول وقرئ غلبهم وهو لغة كالجلب والجلب ﴿ سيغلبون فى بضع سنين ﴾ روى ان فارسا غزوا الروم فوافوهم باذرعات وبصرى وقيل بالجزيرة وهى ادنى ارض الروم من الفرس فغلبوا عليهم وبلغ الخبر مكة ففرح المشركون وشمتوا بالمسلمين وقالوا انتم والنصارى اهل كتاب ونحن وفارس اميون وقد ظهر اخواننا على اخوانكم ولنظهرن عليكم فنزلت فقال لهم ابو بكر رضى الله عنه لا يقرن الله اعينكم فوالله لتظهرن الروم على فارس بعد بضع سنين فقال له ابى بن خلف كذبت اجعل بيننا اجلا اناحبك عليه فناحبه على عشر قلائص من كل واحد منهما وجعلا الاجل ثلاث سنين فاخبر ابو بكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال البضع مابين الثلاث الى التسع فزايده فى الخطر وماده فى الاجل فجعلاها مائة قلوص الى تسع سنين ومات ابى من جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد قفوله من احد وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية فاخذ ابو بكر الخطر من ورثة ابى وجاء به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تصدق به واستدل به الحنفية على جواز العقود الفاسدة فى دار الحرب واجيب بانه كان قبل تحريم القمار والآية من دلائل النبوة لانها اخبار عن الغيب وقرئ غلبت بالفتح وسيغلبون بالضم ومعناه ان الروم غلبوا على ريف الشام والمسلمون سيغلبونهم وفى السنة التاسعة من نزوله غزاهم المسلمون وفتحوا بعض بلادهم وعلى هذا يكون اضافة الغلب الى الفاعل ﴿ لله الامر من قبل ومن بعد ﴾ من قبل كونهم غالبين وهو وقت كونهم

وشجاعتنا وان كسرى حسدنا وأراد أن يقتل أخى فابيت عليه ثم أمر أخى بقتلى فابى عليه وقد خلعناه جميعا ونحن نقاتله معك فقال قد أصبتما وأشار أحدهما الى صاحبه ان السر بين اثنين فاذا جاوزهما فشا فقتلا الترجمان معا بسكينيهما فاديلت الروم على فارس عند ذلك وغلبوهم وقتلوهم ومات كسرى وجاء الخبر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية ففرح ومن كان معه من المسلمين بذلك فذلك قوله عز وجل ألم غلبت الروم فى أدنى الارض يعنى قرب أرض الشأم الى فارس وقيل هى أذرعات وقيل الاردن وقيل الجزيرة ﴿ وهم من بعد غلبهم ﴾ أى فارس لهم ﴿ سيغلبون ﴾ أى الروم لفارس ﴿ فى بضع سنين ﴾ البضع مابين الثلاثة الى السبع وقيل الى التسع وقيل مادون العشرة ﴿ لله الامر من قبل ومن بعد ﴾ أى من قبل دولة الروم على

المؤمنون وسر بذلك المشركون وقالوا نحن نغلب على أهل الايمان كما غلب أهل فارس على الروم حتى ذكر الله غلبهم (وهم) يعنى أهل الروم (من بعد غلبهم) غلبة فارس عليهم (سيغلبون) على فارس (فى بضع سنين) عند رأس سبع سنين وكان قد بايع بذلك أبو بكر الصديق أبى بن خلف الجمحى على عشرة من الابل (لله الامر) النصرة والدولة لمحمد صلى الله عليه وسلم (من قبل) من قبل غلبة فارس على الروم (ومن بعد) من بعد غلبة

ومن بعد كل شئ أو حين غلبوا وحين يغلبون كانه قيل من قبل كونهم غالبين وهو وقت كونهم مغلوبين ومن بعد كونهم مغلوبين وهو وقت كونهم غالبين يعنى أن كونهم مغلوبين أولا وغالبين آخرا ليس الا بأمر الله وقضائه وتلك الايام نداولها بين الناس (ويومئذ) ويوم تغلب الروم على فارس ويحل ماوعد الله من غلبتهم (يفرح المؤمنون بنصر الله) وتغلبه من له كتاب على من لا كتاب له وغيظ من شمت بهم من كفار مكة وقيل نصر الله هو اظهار وصدق المؤمنين فيما أخبروا به المشركين من غلبة الروم والباء يتصل بيفرح فيوقف على الله لا على المؤمنين (ينصر من يشاء وهو العزيز) الغالب على أعدائه (الرحيم) على اوليائه (وعد الله) مصدر مؤكد لان قوله وهم من بعد غلبهم سيغلبون وعد من الله للمؤمنين فقوله وعد الله بمنزلة وعد الله المؤمنين وعدا (لايخلف الله وعده) بنصر الروم على فارس (ولكن اكثر الناس لايعلمون) ذلك (يعلمون) بدل من لايعلمون وفيه بيان أنه لافرق بين عدم العلم الذى هو الجهل وبين وجود العلم الذى لايجاوز عن تحصيل الدنيا وقوله (ظاهرا من الحيوة الدنيا) يفيد ان للدنيا ظاهرا وباطنا فظاهرها مايعرفه الجهال من التمتع بزخارفها وباطنها

مغلوبين ومن بعد كونهم مغلوبين وهو وقت كونهم غالبين اى له الامر حين غلبوا وحين يغلبون ليس شئ منهما الا بقضائه وقرئ من قبل ومن بعد من غير تقدير مضاف اليه كأنه قيل قبلا وبعدا اى اولا وآخرا ﴿ ويومئذ ﴾ ويوم تغلب الروم ﴿ يفرح المؤمنون بنصر الله ﴾ من له كتاب على من لا كتاب له لما فيه من انقلاب التفاؤل وظهور صدقهم فيما اخبروا به المشركين وغلبتهم فى رهانهم وازدياد يقينهم وثباتهم فى دينهم وقيل بنصر الله المؤمنين باظهار صدقهم او بان ولى بعض اعدائهم بعضا حتى تفانوا ﴿ ينصر من يشاء ﴾ فينصر هؤلاء تارة وهؤلاء اخرى ﴿ وهو العزيز الرحيم ﴾ ينتقم من عباده بالنصر عليهم تارة ويتفضل عليهم بنصرهم اخرى ﴿ وعد الله ﴾ مصدر مؤكد لنفسه لان ماقبله فى معنى الوعد ﴿ لايخلف الله وعده ﴾ لامتناع الكذب عليه ﴿ ولكن اكثر الناس لايعلمون ﴾ وعده ولا صحة وعده لجهلهم وعدم تفكرهم ﴿ يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا ﴾ مايشاهدونه منها والتمتع بزخارفها

فارس ومن بعدها فمن غلب فهو بامر الله تعالى وقضائه وقدره ﴿ ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ﴾ أى للروم على فارس وقيل فرح النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون بظهورهم على المشركين يوم بدر وفرحوا بظهور أهل الكتاب على أهل الشرك ﴿ ينصر من يشاء ﴾ أى بيده النصر ينصر من يشاء ﴿ وهو العزيز ﴾ الغالب ﴿ الرحيم ﴾ أى بالمؤمنين * قوله تعالى ﴿ وعد الله ﴾ أى وعد الله وعدا بظهور الروم على فارس ﴿ لايخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لايعلمون ﴾ أى ان الله لايخلف وعده ثم قال تعالى ﴿ يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا ﴾ يعنى أمر معاشهم كيف يكسبون ويتجرون ومتى يغرسون ويزرعون ويحصدون وقال الحسن ان أحدهم لينقر الدرهم بطرف ظفره فيذكر وزنه لايخطئ وهو لايحسن يصلى وقيل لايعلمون الدنيا بحقيقتها انما

فارس على الروم ويقال من قبل من قبل غلبة الروم ومن بعد من بعد غلبة الروم على فارس ويقال لله الامر العلم والقدرة والمشيئة من قبل من قبل ابداء الخلق ومن بعد من بعد فناء الخلق ويقال كان الله آمرا من قبل المأمورين ومن بعد المأمورين وكذلك كان خالقا من قبل المخلوقين ورازقا من قبل المرزوقين وخالقا ورازقا بعد المخلوقين والمرزوقين وكذلك كان مالكا من قبل المملوكين ومالكا من بعد المملوكين لقوله تعالى مالك يوم الدين قبل يوم الدين (ويومئذ) يوم غلبة الروم على فارس ونصرة النبى صلى الله عليه وسلم على أهل مكة وكان ذلك يوم بدر ويقال يوم الحديبية (يفرح المؤمنون بنصر الله) محمد صلى الله عليه وسلم على اعدائه وبدولة الروم على فارس (ينصر من يشاء) الله يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (وهو العزيز) بالنقمة من أبى جهل وأصحابه يوم بدر (الرحيم) بالمؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه (وعد الله) بالنصرة والدولة لمحمد صلى الله عليه وسلم (لايخلف الله وعده) لنبيه بالنصرة والدولة (ولكن اكثر الناس) أهل مكة (لايعلمون) أن الله لايخلف وعده لنبيه (يعلمون) أهل مكة (ظاهرا من الحيوة الدنيا) من معاملة الدنيا من الكسب والتجارة والشراء

انها مجاز الى الآخرة يتزود منها اليها بالطاعة وبالاعمال الصالحة وتنكير الظاهر يفيد انهم لايعلمون الا ظاهرا واحدا من جملة ظواهرها (وهم عن الآخرة هم غافلون) هم الثانية مبتدأ وغافلون خبره والجملة خبرهم الاولى وفيه بيان أنهم معدن الغفلة عن الآخرة ومقرها (أولم يتفكروا فى أنفسهم) يحتمل أن يكون ظرفا كانه قيل أولم يثبتوا التفكر فى أنفسهم أى فى قلوبهم الفارغة من الفكر والتفكر لا يكون الا فى القلوب ولكنه زيادة تصوير لحال المتفكرين كقوله اعتقده فى قلبك وأن يكون صلة للتفكر نحو تفكر فى الامر وأجال فيه فكره ومعناه على هذا أولم يتفكروا فى أنفسهم التى هى أقرب اليهم من غيرها من المخلوقات وهم أعلم باحوالها منهم باحوال ماعداها فيتدبروا ما أودعها الله ظاهرا وباطنا من غرائب الحكمة الدالة على التدبير دون الاهمال

وانه لابد لها من الانتهاء الى وقت تجازى فيه على الاحسان احسانا وعلى الاساءة مثلها حتى يعلموا عند ذلك ان سائر الخلائق كذلك أمرها جار على الحكمة فى التدبير وانه لابد لها من الانتهاء الى ذلك الوقت (ماخلق الله السموات والارض ومابينهما) متعلق بالقول المحذوف معناه أو لم يتفكروا فيقولوا هذا القول وقيل معناه فيعلموا لان فى الكلام دليلا عليه (الا بالحق وأجل مسمى) أى ماخلقها باطلا وعبثا بغير حكمة بالغة ولا لتبقى خالدة انما خلقها مقرونة بالحق مصحوبة بالحكمة وبتقدير أجل مسمى لابد لها من أن تنتهى اليه وهو قيام الساعة ووقت الحساب والثواب والعقاب ألا ترى الى قوله أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لا ترجعون كيف سمى تركهم غير راجعين اليه عبثا (وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم) بالبعث والجزاء (لكافرون) لجاحدون وقال الزجاج أى لكافرون بلقاء ربهم

﴿ وهم عن الآخرة ﴾ التى هى غايتها والمقصودة منها ﴿ هم غافلون ﴾ لاتخطر ببالهم وهم الثانية تكرير للاولى او مبتدأ وغافلون خبره والجملة خبر الاولى وهو على الوجهين مناد على تمكن غفلتهم عن الآخرة المحققة لمقتضى الجملة المتقدمة المبدلة من قوله لايعلمون تقريرا لجهالتهم وتشبيها لهم بالحيوانات المقصور ادراكها من الدنيا ببعض ظاهرها فان من العلم بظاهرها معرفة حقائقها وصفاتها وخصائصها وافعالها واسبابها وكيفية صدورها منها وكيفية التصرف فيها ولذلك نكر ظاهرا واما باطنها فانها مجاز الى الآخرة ووصلة الى نيلها وانموذج لاحوالها واشعارا بانه لافرق بين عدم العلم والعلم الذى يختص بظاهر الدنيا ﴿ أولم يتفكروا فى انفسهم ﴾ اولم يحدثوا التفكر فيها أو أولم يتفكروا فى امر انفسهم فانها اقرب اليهم من غيرها ومرآة يجتلى فيها للمستبصر مايجتلى له فى الممكنات باسرها ليتحقق له قدرة مبدعها على اعادتها قدرته على ابدائها ﴿ ماخلق الله السموات والارض ومابينهما الا بالحق ﴾ متعلق بقول اوعلم محذوف يدل عليه الكلام ﴿ واجل مسمى ﴾ تنتهى عنده ولاتبقى بعده ﴿ وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم ﴾ بلقاء جزائه عند انقضاء قيام الاجل المسمى اوقيام الساعة ﴿ لكافرون ﴾ جاحدون يحسبون ان الدنيا ابدية وان الآخرة

يعلمون ظاهرها وهو ملاذها وملاعبها ولايعلمون باطنها وهو مضارها ومتاعبها وقيل يعلمون وجودها الظاهر ولايعلمون فناءها ﴿ وهم عن الآخرة هم غافلون ﴾ أى ساهون عنها لايتفكرون فيها ولايعلمون بها * قوله عز وجل ﴿ أولم يتفكروا فى أنفسهم ماخلق الله السموات والارض ومابينهما الا بالحق ﴾ يعنى لاقامة الحق ﴿ وأجل مسمى ﴾ أى لوقت معلوم اذا انتهت اليه فنيت وهو يوم القيامة ﴿ وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون

والبيع والحساب من واحد الى ألف ومايحتاجون فى الشتاء والصيف (وهم عن الآخرة) عن أمر الآخرة (هم غافلون) جاهلون بها تاركون لعملها (أولم يتفكروا) كفار مكة (فى أنفسهم) فيما بينهم (ماخلق الله السموات والارض ومابينهما) من الخلق والعجائب (الا بالحق) للحق والامر والنهى لا للباطل (وأجل مسمى) لوقت معلوم يقضى فيه (وان كثيرا من الناس) يعنى كفار مكة (بلقاء ربهم) بالبعث بعد الموت (لكافرون) لجاحدون

(أولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم)هو تقرير لسيرهم فى البلاد ونظرهم الى آثار المدمرين من عاد وثمود وغيرهم من الامم العاتية ثم وصف حالهم فقال (كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الارض) وحرثوها (وعمروها) أى المدمرون (أكثر) صفة مصدر محذوف وما مصدرية فى (مما عمروها)أى من عمارة أهل مكة (وجاءتهم رسلهم بالبينات) وتقف عليها لحق الحذف أى فلم يؤمنوا فاهلكوا (فما كان الله ليظلمهم) فما كان تدميره اياهم ظلما لهم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون)ولكنهم ظلموا أنفسهم

حيث عملوا ما أوجب تدميرهم (ثم كان عاقبة) بالنصب شامى وكوفى (الذين أساؤا السوأى) تأنيث الاسوأ وهو الاقبح كما ان الحسنى تأنيث الاحسن ومحلها رفع على أنها اسم كان عند من نصب عاقبة على الخبر ونصب عند من رفعها والمعنى انهم عوقبوا فى الدنيا بالدمار ثم كانت عاقبتهم السوأى الا أنه وضع المظهر وهو الذين أساؤا موضع المضمر أى العقوبة التى هى أسوأ العقوبات فى الآخرة وهى النار التى أعدت للكافرين (أن كذبوا) لان كذبوا أو بان وهو يدل على ان معنى أساؤا كفروا (بآيات الله وكانوا بها يستهزؤن) يعنى ثم كان عاقبة الكافرين النار لتكذيبهم بآيات الله واستهزائهم بها

لا تكون ﴿ أولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ﴾ تقرير لسيرهم فى اقطار الارض ونظرهم الى آثار المدمرين قبلهم ﴿ كانوا اشد منهم قوة ﴾ كعاد وثمود ﴿ واثاروا الارض ﴾ وقلبوا وجهها لاستنباط المياه واستخراج المعادن وزرع البذور وغيرها ﴿ وعمروها ﴾ وعمروا الارض ﴿ أكثر مما عمروها ﴾ من عمارة اهل مكة اياها فانهم اهل واد غير ذى زرع لا تبسط لهم فى غيرها وفيه تهكم بهم من حيث انهم مغترون بالدنيا مفتخرون بها وهم اضعف حالا فيها اذ مدار امرها على التبسط فى البلاد والتسلط على العباد والتصرف فى اقطار الارض بانواع العمارة وهم ضعفاء ملجئون الى واد لا نفع له ﴿ وجاءتهم رسلهم بالبينات ﴾ بالمعجزات او الآيات الواضحات ﴿ فما كان الله ليظلمهم ﴾ ليفعل بهم ما يفعل الظلمة فيدمرهم من غير جرم ولا تذكير ﴿ ولكن كانوا انفسهم يظلمون ﴾ حيث عملوا ما ادى الى تدميرهم ﴿ ثم كان عاقبة الذين اساؤا السوأى ﴾ اى ثم كان عاقبتهم العقوبة السوأى او الخصلة السوأى فوضع الظاهر موضع الضمير للدلالة على ما اقتضى أن تكون تلك عاقبتهم وانهم جاؤا بمثل افعالهم والسوأى تأنيث اسوء كالحسنى او مصدر كالبشرى نعت بها ﴿ ان كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزؤن ﴾ علة أو بدل أو عطف بيان للسوأى او خبر كان والسوأى مصدر اساؤا او مفعوله بمعنى ثم كان عاقبة الذين اقترفوا الخطيئة ان طبع الله على قلوبهم حتى

أولم يسيروا فى الارض ﴾ أى يسافروا فيها ﴿ فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ﴾ أى ينظروا الى مصارع الامم قبلهم فيعتبروا ﴿ كانوا أشد منهم قوة واثاروا الارض ﴾ أى حرثوها وقلبوها للزراعة ﴿ وعمروها ﴾ يعنى الامم الخالية ﴿ أكثر مما عمروها ﴾ يعنى اهل مكة ﴿ وجاءتهم رسلهم بالبينات ﴾ اى فلم يؤمنوا فاهلكهم الله ﴿ فما كان الله ليظلمهم ﴾ أى بنقص حقوقهم ﴿ ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾ أى ببخس حقوقهم ﴿ ثم كان عاقبة الذين أساؤا ﴾ اى اساؤا العمل فاستحقوا ﴿ السوأى ﴾ يعنى الخلة التى تسوءهم وهى النار وقيل السوء اسم لجهنم ومعنى الآية ان عاقبة الذين عملوا السوء النار ﴿ أن كذبوا ﴾ أى لانهم كذبوا وقيل معنى الآية ثم كان عاقبة المسيئين ان حملتهم تلك السيآت على ان كذبوا ﴿ بآيات الله وكانوا بها يستهزؤن ﴾ ❊ قوله

(أولم يسيروا) يسافروا كفار مكة (فى الارض فينظروا) فيتفكروا (كيف كان عاقبة) جزاء (الذين من قبلهم) عند تكذيبهم الرسل (كانوا اشد منهم قوة) بالبدن (وأثاروا الارض) أشد لها طلبا وابعد ذهابا فى السفر والتجارة ويقال أثاروا الارض حرثوها وقلبوها للزراعة والغرس أكثر مما حرث أهل مكة (وعمروها) بقوافيها (أكثر مما عمروها) أكثر مما بقى فيها أهل مكة (وجاءتهم رسلهم بالبينات) بالامر والنهى والعلامات فلم يؤمنوا بهم فأهلكهم الله تعالى (فما كان الله ليظلمهم) باهلاكه اياهم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) بالكفر والشرك وتكذيب الرسل (ثم كان عاقبة) جزاء (الذين أساؤا) أشركوا بالله (السوأى) النار فى الآخرة (ان كذبوا) بان كذبوا (بآيات الله) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (وكانوا بها) بآيات الله (يستهزؤن)

(الله يبدؤ الخلق) ينشئهم (ثم يعيده) يحييهم بعد الموت (ثم اليه ترجعون) وبالياء ابو عمرو وسهل (ويوم تقوم الساعة يبلس) ييأس ويتحير يقال ناطرته فابلس اذا لم ينبس وييئس من أن يحتج (المجرمون) المشركون (ولم يكن لهم من شركائهم) من الذين عبدوهم من دون الله وكتب (شفعؤا) فى المصحف بواو قبل الالف كما كتب علمؤا بنى اسرائيل وكذلك كتبت السوأى بالالف قبل الياء اثباتا للهمزة على صورة الحرف الذى منه حركتها (وكانوا بشركائهم كافرين) أى يكفرون بآلهتهم ويجحدونها أو وكانوا فى الدنيا كافرين بسببهم (ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون) الضمير فى يتفرقون للمسلمين والكافرين لدلالة ما بعده عليه حيث قال (فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم فى روضة) أى بستان وهى الجنة والتنكير لابهام أمرها وتفخيمه (يحبرون) يسرون يقال حبره اذا سره سرورا تهلل له وجهه وظهر فيه أثره ثم اختلف فيه لاحتمال وجوه المسار فقيل يكرمون وقيل يحلون وقيل هو السماع فى الجنة (وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة) أى البعث

كذبوا بالآيات واستهزؤا بها ويجوز ان يكون السوأى صلة الفعل وان كذبوا تابعها والخبر محذوفا للابهام والتهويل وان يكون ان مفسرة لان الاساءة اذا كانت مفسرة بالتكذيب والاستهزاء كانت متضمنة معنى القول وقرأ ابن عامر والكوفيون عاقبة بالنصب على ان الاسم السوأى او ان كذبوا على الوجوه المذكورة ﴿الله يبدؤ الخلق﴾ ينشئهم ﴿ثم يعيده﴾ يبعثهم ﴿ثم اليه ترجعون﴾ للجزاء والعدول الى الخطاب للمبالغة فى المقصود وقرأ ابو بكر وابو عمرو وروح بالياء على الاصل ﴿ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون﴾ يسكتون متحيرين آيسين يقال ناظرته فابلس اذا سكت وايس من ان يحتج ومنه الناقة المبلاس التى لا ترغو وقرئ بفتح اللام من ابلسه اذا اسكته ﴿ولم يكن لهم من شركائهم﴾ ممن اشركوهم بالله ﴿شفعؤا﴾ يجيرونهم من عذاب الله ومجيئه بلفظ الماضى لتحققه ﴿وكانوا بشركائهم كافرين﴾ يكفرون بآلهتهم حين يئسوا منهم وقيل كانوا فى الدنيا كافرين بسببهم وكتب فى المصحف شفعوا وعلموا بنى اسرائيل بالواو والسوأى بالالف قبل الياء اثباتا للهمزة على صورة الحرف الذى منه حركتها ﴿ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون﴾ اى المؤمنون والكافرون لقوله ﴿فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم فى روضة﴾ ارض ذات ازهار وانهار ﴿يحبرون﴾ يسرون سرورا تهللت له وجوههم ﴿واما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة

تعالى ﴿الله يبدؤ الخلق ثم يعيده﴾ أى خلقهم ابتداء ثم يعيدهم بعد الموت أحياء ﴿ثم اليه يرجعون﴾ أى فيجزيهم باعمالهم ﴿ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون﴾ قيل معناه أنهم ييأسون من كل خير وقيل ينقطع كلامهم وحججهم وقيل يفتضحون ﴿ولم يكن لهم من شركائهم﴾ يعنى أصنامهم التى عبدوها ﴿شفعؤا﴾ أى يشفعون لهم ﴿وكانوا بشركائهم كافرين﴾ أى جاحدين متبرئين يتبرؤن منها وتتبرأ منهم ﴿ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون﴾ أى يتميز أهل الجنة من أهل النار وقيل يتفرقون بعد الحساب أهل الجنة الى الجنة وأهل النار الى النار فلا يجتمعون أبدا فهو قوله تعالى ﴿فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم فى روضة﴾ أى فى جنة وقيل الروضة البستان الذى هو فى غاية النضارة ﴿يحبرون﴾ قال ابن عباس يكرمون وقيل يتنعمون ويسرون والحبرة السرور وقيل فى معنى يحبرون هو السماع فى الجنة قال الاوزاعى ليس أحد من خلق الله أحسن صوتا من اسرافيل فاذا أخذ فى السماع قطع على أهل سبع سموات صلاتهم وتسبيحهم وقال اذا أخذ فى السماع فلا يبقى فى الجنة شجرة الا وردت وسأل أبا هريرة رجل هل لاهل الجنة من سماع فقال نعم شجرة أصلها من ذهب وأغصانها من فضة وثمارها اللؤلؤ والزبرجد والياقوت يبعث الله ريحا فيجاوب بعضها بعضا فما سمع أحد أحسن منه ﴿وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة﴾ أى البعث يوم القيامة

يسخرون (الله يبدؤ الخلق) من النطفة (ثم يعيده) يوم القيامة (ثم اليه ترجعون) تردون فى الآخرة فيجزيكم بأعمالكم (ويوم تقوم الساعة) وهو يوم القيامة (يبلس المجرمون) ييأس المشركون من كل خير (ولم يكن لهم) لعبدة الاوثان (من شركائهم) من آلهتهم (شفعؤا) أحد يشفع لهم من عذاب الله (وكانوا بشركائهم) بآلهتهم بعبادتهم اياها (كافرين) جاحدين يقولون والله ربنا ما كنا مشركين (ويوم تقوم الساعة) وهو يوم القيامة (يومئذ يتفرقون) فريق فى الجنة وفريق فى السعير (فأما الذين آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (وعملوا الصالحات) الطاعات فيما بينهم وبين ربهم (فهم فى روضة) فى جنة (يحبرون) ينعمون ويكرمون بالتحف (وأما الذين كفروا) بالله (وكذبوا بآياتنا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (ولقاء الآخرة) بالبعث بعد الموت

(فاولئك فى العذاب محضرون) مقيمون لايغيبون عنه ولايخفف عنهم كقوله وماهم بخارجين منها لماذكر الوعد والوعيد أتبعه ذكر

الى الوعدويجى من الوعيد فقال

فاولئك فى العذاب محضرون ﴿ مدخلون لايغيبون عنه ﴿ فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد فى السموات والارض وعشيا وحين تظهرون ﴾ اخبار فى معنى الامر بتنزيه الله تعالى والثناء عليه فى هذه الاوقات التى يظهر فيها قدرته ويتجدد فيها نعمته اودلالة على ان مايحدث فيها من الشواهد الناطقة بتنزيهه واستحقاقه الحمد ممن له تميز من اهل السموات والارض وتخصيص التسبيح بالمساء والصباح لان آثار القدرة والعظمة فيهما اظهر وتخصيص الحمد بالعشى الذى هو آخر النهار من عشى العين اذانقص نورها والظهيرة التى هى وسطه لان تجدد النعم فيهما اكثر ويجوز ان يكون عشيا معطوفا على حين تمسون وقوله وله الحمد فى السموات والارض اعتراضا وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان الآية جامعة للصلوات الخمس تمسون صلاة المغرب والعشاء وتصبحون صلاة الفجر وعشيا صلاة العصر وتظهرون صلاة الظهر ولذلك زعم الحسن انها مدنية لانه كان يقول كان الواجب بمكة ركعتين فى اى وقت اتفقت وانما فرضت الخمس بالمدينة والاكثر على انها فرضت بمكة وعنه عليه الصلاة والسلام من سره ان يكال له بالقفيز الاوفى فليقل فسبحان الله حين تمسون الآية وعنه

﴿ فاولئك فى العذاب محضرون ﴾ قوله تعالى ﴿ فسبحان الله ﴾ يعنى فسبحوا الله ومعناه صلوا لله ﴿ حين تمسون ﴾ أى تدخلون فى المساء وهى صلاة المغرب والعشاء ﴿ وحين تصبحون ﴾ أى تدخلون فى الصباح وهى صلاة الصبح ﴿ وله الحمد فى السموات والارض ﴾ قال ابن عباس يحمده أهل السموات والارض ويصلون له ﴿ وعشيا ﴾ أى وصلوا لله عشيا يعنى صلاة العصر ﴿ وحين تظهرون ﴾ أى تدخلون فى الظهيرة وهى صلاة الظهر قال نافع بن الازرق لابن عباس هل تجد الصلوات الخمس فى القرآن قال نعم وقرأ هاتين الآيتين وقال جمعت الصلوات الخمس ومواقيتها واعلم انه انما خص هذه الاوقات بالتسبيح لان أفضل الاعمال أدومها والانسان لايقدر أن يصرف جميع أوقاته الى التسبيح لانه محتاج الى مايعيشه من مأكول ومشروب وغير ذلك فخفف الله عنه العبادة فى غالب الاوقات وأمره بها فى أول النهار ووسطه وآخره وفى أول الليل وآخره فاذا صلى العبد ركعتى الفجر فكأنما سبح قدر ساعتين وكذلك باقى الركعات وهى سبع عشرة ركعة مع ركعتى الفجر فاذا صلى الانسان الصلوات الخمس فى أوقاتها فكانما سبح الله سبع عشرة ساعة من الليل والنهار بقى عليه سبع ساعات فى جميع الليل والنهار وهى مقدار النوم والنائم مرفوع عنه القلم فيكون قد صرف جميع أوقاته فى التسبيح والعبادة

فصل فى فضل التسبيح

عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال سبحان الله وبحمده فى كل يوم مائة مرة حطت خطاياه وان كانت مثل زبد البحر وعنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال

(فسبحان الله) والمراد بالتسبيح ظاهره الذى هو تنزيه الله من السوء والثناء عليه بالخير فى هذه الاوقات لما يتجدد فيها من نعمة الله الظاهرة أو الصلاة فقيل لابن عباس هل تجد الصلوات الخمس فى القرآن فقال نعم وتلا هذه الآية وهو نصب على المصدر والمعنى نزهوه عما لايليق به أو صلوا لله (حين تمسون) صلاة المغرب والعشاء (وحين تصبحون) صلاة الفجر (وله الحمد فى السموات والارض) اعتراض ومعناه ان على المميزين كلهم من أهل السموات والارض أن يحمدوه وفى السموات حال من الحمد (وعشيا) صلاة العصر وهو معطوف على حين تمسون وقوله عشيا متصل بقوله حين تمسون (وحين تظهرون) صلاة الظهر أظهر أى دخل فى وقت الظهيرة والقول الاكثر أن الصلوات الخمس فرضت بمكة

(فأولئك فى العذاب) فى النار (محضرون) معذبون (فسبحان الله) فصلوا لله (حين تمسون) صلاة المغرب والعشاء (وحين تصبحون) صلاة الفجر (وله الحمد فى (من) السموات والارض) الشكر والطاعة على أهل السموات والارض (وعشيا) وهى صلاة العصر (وحين تظهرون) وهى صلاة الظهر

(يخرج الحى من الميت) الطائر من البيضه أو الانسان من النطفة أو المؤمن من الكافر (ويخرج الميت من الحى) أى البيضة من الطائر أو النطفة من الانسان أو الكافر من المؤمن والميت بالتخفف فيهما مكى وشامى وأبو عمرو وأبو بكر وحماد وبالتشديد غيرهم (ويحيي الارض) بالنبات (بعد موتها) بيبسها (وكذلك تخرجون) تخرجون حمزة وعلى وخلف أى ومثل ذلك الاخراج تخرجون من قبوركم والكاف فى محل النصب بتخرجون والمعنى ان الابداء والاعادة يتساويان فى قدرة من هو قادر على اخراج الميت من الحى وعكسه روى ابن عباس رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من قرأ فسبحان الله حين تمسون الى الثلاث وآخر سورة والصافات دبر كل صلاة كتب له من الحسنات عدد نجوم السماء وقطر الامطار وورق الاشجار وتراب الارض فاذا مات أجرى له بكل حرف عشر حسنات فى قبره قال عليه السلام من قرأ حين يصبح فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون الى قوله وكذلك تخرجون أدرك مافاته فى يومه ومن قالها حين يمسى أدرك مافاته فى ليلته (ومن آياته) ومن علامات ربوبيته وقدرته (ان خلقكم) أى أباكم (من تراب

عليه الصلاة والسلام من قال حين يصبح فسبحان الله حين تمسون الى قوله وكذلك تخرجون ادرك مافاته فى ليلته ومن قال حين يمسى ادرك مافاته فى يومه وقرئ حينا تمسون وحينا تصبحون اى تمسون فيه وتصبحون فيه ﴿ يخرج الحى من الميت ﴾ كالانسان من النطفة والطائر من البيضة ﴿ ويخرج الميت من الحى ﴾ النطفة والبيضة اويعقب الحياة الموت وبالعكس ﴿ ويحيي الارض ﴾ بالنبات ﴿ بعد موتها ﴾ يبسها ﴿ وكذلك ﴾ ومثل ذلك الاخراج ﴿ تخرجون ﴾ من قبوركم فانه ايضا تعقيب الحياة الموت وقرأ حمزة والكسائى بفتح التاء ﴿ ومن آياته ان خلقكم من تراب ﴾ اى فى اصل الانشاء لانه

من قال حين يصبح وحين يمسى سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به الا أحد قال مثل ماقال أو زاد عليه أخرجهما الترمذى وقال فيهما حسن صحيح (ق) عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان فى الميزان حبيبتان الى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وهذا الحديث أخرجه فى صحيح البخارى (م) عن جويرية بنت الحرث زوج النبى صلى الله عليه وسلم رضى الله عنها ان النبى صلى الله عليه وسلم خرج ذات غداة من عندها وهى فى مسجدها فرجع بعدما تعالى النهار فقال مازلت فى مجلسك هذا مذ خرجت بعد قالت نعم فقال لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرار لو وزنت بكلماتك لوزنتهن سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضاء نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته (م) عن سعد بن أبى وقاص قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أيعجز أحدكم أن يكتسب كل يوم ألف حسنة فسأله سائل من جلسائه قال كيف يكتسب ألف حسنة قال يسبح الله مائة تسبيحة فيكتب له ألف حسنة ويحط عنه ألف خطيئة وفى رواية غير مسلم يحط عنه أربعين ألفا * قوله تعالى ﴿ يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ﴾ أى يخرج النطفة من الحيوان ويخرج الحيوان من النطفة وقيل يخرج الدجاجة من البيضة والبيضة من الدجاجة وقيل يخرج المؤمن من الكافر ويخرج الكافر من المؤمن ﴿ ويحيي الارض بعد موتها ﴾ أى بالمطر واخراج النبات منها ﴿ وكذلك تخرجون ﴾ أى مثل اخراج النبات من الارض تخرجون من القبور للبعث والحساب ﴿ ومن آياته ان خلقكم من تراب ﴾ أى خلق أصلكم وهو آدم من تراب

(يخرج الحى من الميت) النسمة والدواب من النطفة والطير من البيضة والنخل من النواة (ويخرج الميت من الحى) النطفة من النسمة والدواب والبيض من الطير والنواة من النخل (ويحيي الارض بعد موتها) بعد قحطها ويبوستها (وكذلك تخرجون) يقول هكذا تحيون وتخرجون من القبور (ومن آياته) من علامات وحدانيته وقدرته ونبوة رسوله (أن خلقكم من تراب) من آدم وآدم من تراب وأنتم

ثم اذا أنتم بشر) أى آدم وذريته (تنتشرون) تتصرفون فيما فيه معاشكم واذا للمفاجأة وتقديره ثم فاجأتم وقت كونكم بشرا منتشرين فى الارض (ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها) أى حواء خلقت من ضلع آدم عليه السلام والنساء بعدها خلقن من أصلاب الرجال أو من شكل أنفسكم وجنسها لا من جنس آخر وذلك لما بين الاثنين من جنس واحد من الالف والسكون وما بين الجنسين المختلفين من التنافر يقال سكن اليه اذا مال اليه (وجعل بينكم مودة ورحمة) أى جعل بينكم التواد والتراحم بسبب الزواج وعن الحسن المودة كناية عن الجماع والرحمة عن الولد وقيل المودة للشابة والرحمة للعجوز وقيل المودة والرحمة من الله والفرك من الشيطان اى بغض المرأة زوجها وبغض الزوج المرأة (ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) فيعلمون ان قوام الدنيا بوجود التناسل (ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف ألسنتكم) اى اللغات او اجناس النطق واشكاله (وألوانكم) كالسواد والبياض وغيرهما ولاختلاف ذلك وقع التعارف والا فلو تشاكلت واتفقت لوقع التجاهل والالتباس ولتعطلت المصالح وفى ذلك آية بينة حيث ولدوا من أب واحد وهم على الكثرة التى لا يعلمها الا الله متفاوتون

خلق اصلهم منه ﴿ثم اذا انتم بشر تنتشرون﴾ ثم فاجأتم وقت كونكم بشرا منتشرين فى الارض ﴿ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا﴾ لان حواء خلقت من ضلع آدم وسائر النساء خلقن من نطف الرجال اولانهن من جنسهم لا من جنس آخر ﴿لتسكنوا اليها﴾ لتميلوا اليها وتألفوا بها فان الجنسية علة للضم والاختلاف سبب للتنافر ﴿وجعل بينكم﴾ اى بين الرجال والنساء او بين افراد الجنس ﴿مودة ورحمة﴾ بواسطة الزواج حال الشبق وغيرها بخلاف سائر الحيوانات نظما لامر المعاش او بان تعيش الانسان متوقف على التعارف والتعاون المحوج الى التواد والتراحم وقيل المودة كناية عن الجماع والرحمة عن الولد لقوله ورحمة منا ﴿ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ فيعلمون ما فى ذلك من الحكم ﴿ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف السنتكم﴾ لغاتكم بان علم كل صنف لغته اوالهمه وضعها واقدره عليها او اجناس نطقكم واشكاله فانه لا تكاد تسمع منطقين متساويين فى الكيفية ﴿والوانكم﴾ بياض الجلد وسواده او تخطيطات الاعضاء وهيئاتها والوانها وحلاها بحيث وقع التمايز والتعارف حتى ان التوأمين مع توافق موادهما واسبابهما والامور الملاقية لهما فى التخليق يختلفان

﴿ثم اذا أنتم بشر تنتشرون﴾ أى تنبسطون فى الارض ﴿ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم أزواجا﴾ أى جنسكم من بنى آدم وقيل خلق حواء من ضلع آدم ﴿لتسكنوا اليها﴾ أى لتميلوا للازواج وتألفوهن ﴿وجعل بينكم مودة ورحمة﴾ أى جعل بين الزوجين المودة والرحمة فهما يتوادان ويتراحمان من غير سابقة معرفة ولا قرابة ولا سبب يوجب التعاطف وما شئ أحب الى أحدهما من الآخر من غير تراحم بينهما الا الزوجان ﴿ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ أى فى عظمة الله وقدرته ﴿ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف ألسنتكم﴾ أى اختلاف اللغات العربية والعجمية وغيرهما وقيل أراد أجناس النطق واشكاله خالف بينها حتى لا تكاد تسمع منطقين متفقين حتى لو تكلم جماعة من وراء حائط يعرف كل منهم بنطقه ونغمته لا يشبه صوت أحد صوت الآخر ﴿وألوانكم﴾ أى أسود وابيض وأشقر وأسمر وغير ذلك من اختلاف الالوان وأنتم بنو رجل واحد ومن أصل واحد وهو آدم عليه السلام والحكمة فى اختلاف الاشكال والاصوات للتعارف أى ليعرف كل واحد بشكله وحليته وصورته فلو اتفقت الاصوات والصور وتشاكلت وكانت ضربا واحدا لوقع التجاهل والالتباس ولتعطلت ﴿مصالح﴾

أولاده (ثم اذا أنتم بشر) نسم (تنتشرون) تمشون على وجه الارض (ومن آياته) من علامات وحدانيته وقدرته (أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا) آدميا مثلكم (لتسكنوا اليها) ليسكن الرجل الى زوجته (وجعل بينكم) بين المرأة والزوج (مودة) محبة للمرأة على الزوج (ورحمة) للرجل على المرأة أى على زوجته ويقال مودة للصغير على الكبير ورحمة للكبير على الصغير (ان فى ذلك) فيما ذكرت (لآيات) لعلامات وعبرا (لقوم يتفكرون) فيما خلق الله (ومن آياته) من علامات وحدانيته وقدرته (خلق السموات والارض واختلاف ألسنتكم) لغاتكم العربية والفارسية وغير ذلك (وألوانكم) واختلاف ألوان صوركم الاحمر والاسود

(ان فى ذلك لآيات للعالمين) جمع عالم وبكسر اللام حفص جمع عالم ويشهد للكسر قوله تعالى وما يعقلها الا العالمون (ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله) هذا من باب اللف وترتيبه أى ومن آياته منامكم وابتغاؤكم من فضله بالليل والنهار الا انه فصل بين القرينين الاولين بالقرينين الآخرين أو المراد منامكم فى الزمانين وابتغاؤكم فيهما والجمهور على الاول لتكرره فى القرآن وأسد المعانى مادل عليه القرآن (ان فى ذلك لآيات لقوم يسمعون) أى يسمعون سماع تدبر بآذان واعية (ومن آياته يريكم البرق) فى يريكم وجهان اضماران كما فى حرف ابن مسعود رضى الله عنه وانزال الفعل منزلة المصدر وبهما فسر المثل تسمع بالمعيدى خير من أن تراه أى ان تسمع أو سماعك قوله (خوفا) من الصاعقة او من الاخلاف (وطمعا) فى الغيث أو خوفا للمسافر وطمعا للحاضر وهما منصوبان على المفعول له على تقدير حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه اى ارادة خوف وارادة طمع أو على الحال اى خائفين وطامعين (وينزل من السماء) وبالتخفيف مكى وبصرى (ماء) مطرا (فيحيي به الارض بعد موتها ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون) يتفكرون بعقولهم

فى شئ من ذلك لامحالة ﴿ ان فى ذلك لآيات للعالمين ﴾ لايكاد يخفى على عاقل من ملك اوانس اوجن * وقرأ حفص بكسر اللام ويؤيده قوله وما يعقلها الا العالمون ﴿ ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله ﴾ منامكم فى الزمانين لاستراحة القوى النفسانية وقوة القوى الطبيعية وطلب معاشكم فيهما اومنامكم بالليل وابتغاؤكم بالنهار فلف وضم بين الزمانين والفعلين بعاطفين اشعارا بان كلا من الزمانين وان اختص باحدهما فهو صالح للآخر عند الحاجة ويؤيده سائر الآيات الواردة فيه ﴿ ان فى ذلك لآيات لقوم يسمعون ﴾ سماع تفهم واستبصار فان الحكمة فيه ظاهرة ﴿ ومن آياته يريكم البرق ﴾ مقدر بان كقوله

الا ايهذا الزاجرى اخضر الوغى * وان اشهد اللذات هل انت مخلدى

او الفعل فيه منزل منزلة المصدر كقوله تسمع بالمعيدى خير من ان تراه او صفة لمحذوف تقديره آية يريكم بها البرق كقوله

فما الدهر الا تارتان فمنهما * اموت واخرى ابتغى العيش اكدح

﴿ خوفا ﴾ من الصاعقة وللمسافر ﴿ وطمعا ﴾ فى الغيث وللمقيم ونصبهما على العلة لفعل يلزم المذكور فان اراءتهم تستلزم رؤيتهم اوله على تقدير مضاف نحو ارادة خوف وطمع اوتأويل الخوف والطمع بالاخافة والاطماع كقولك فعلته رغما للشيطان اوعلى الحال مثل كلمته شفاها ﴿ وينزل من السماء ماء ﴾ وقرئ بالتشديد ﴿ فيحيي به الارض ﴾ بالنبات ﴿ بعد موتها ﴾ يبسها ﴿ ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون ﴾ يستعملون عقولهم فى استنباط اسبابها

مصالح كثيرة وليعرف صاحب الخلق من غيره والعدو من الصديق والقريب من البعيد فسبحان من خلق الخلق على ما أراد وكيف أراد وفى ذلك دليل على سعة القدرة وكمال العظمة ﴿ ان فى ذلك لآيات للعالمين ﴾ أى لعموم العلم فيهم ﴿ ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله ﴾ أى منامكم بالليل للراحة وابتغاؤكم من فضله وهو طلب أسباب المعيشة بالنهار ﴿ ان فى ذلك لآيات لقوم يسمعون ﴾ أى سماع تدبر واعتبار ﴿ ومن آياته يريكم البرق خوفا ﴾ أى للمسافر ليستعد للمطر ﴿ وطمعا ﴾ أى للمقيم ليستعد المحتاج اليه من أجل الزرع وتسوية طرق المصانع ﴿ وينزل من السماء ماء فيحيي به الارض بعد موتها ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون ﴾ أى قدرة الله وانه القادر عليه

وغير ذلك (ان فى ذلك) فيما ذكرت من الاختلاف (لآيات) لعلامات (للعالمين) الجن والانس (ومن آياته) من علامات وحدانيته وقدرته (منامكم) بيتوتتكم (بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله) من رزقه (قاوخا ٦ مس) بالنهار (ان فى ذلك) فيما ذكرت من الليل والنهار (لآيات) لعلامات وعبرا (لقوم يسمعون) ويطيعون (ومن آياته) من علامات وحدانيته وقدرته (يريكم البرق) من السماء (خوفا) للمسافر من المطر أن يبل ثيابه (وطمعا) للمقيم فى المطر أن يسقى حروثه (وينزل من السماء ماء) مطرا (فيحيي به) بالمطر (الارض بعد موتها) بعد قحطها ويبوستها (ان فى ذلك) فيما ذكرت من المطر (لآيات) لعلامات وعبرا (لقوم يعقلون) يصدقون أنه من الله

(ومن آياته ان تقـوم)تثبت بلاعمد (السماءوالارض بامره) أى باقامتـه وتدبيره وحكمتـه (ثم اذا دعاكم) للبعث (دعوة من الارض اذا أنتم تخرجون) من قبـوركم هـذا كقوله يريكم فى ايقاع الجمـلة موقع المفرد على المعـنى كانه قال ومن آياته قيـام السموات والارض واستمساكها بغير عمـد ثم خروج الموتى من القبور اذا دعاهم دعوة واحـدة ياأهـل القبور اخرجوا والمراد سرعة وجود ذلك من غير توقف وانما عطف هـذا على قيام السموات والارض بثم بيـانا لعظم مايكون من ذلك الامر واقتداره على مثله وهو ان يقول ياأهل القبور قوموا فلاتبقى نسمة من الاولين والآخرين الاقامت تنظر كاقال ثم نفخ فيـه أخرى فاذاهم قيام ينظرون واذا الاولى للشرط والثـانية للمفاجأة وهى تنوب مناب الفـاء فى جواب الشرط ومن الارض متعلق بالفعل لا بالمصـدر وقولك دعوته من مكان كـذا يجوز أن يكون مكانك ويجـوز أن يكون مكان صـاحبك (ولهمـن فى السمـوات والأرض كل له قانتون) منقادون لوجود أفعـاله فيهم لا يمتنعون عليه أو مقرون بالعبودية (وهو الذى يبدؤا الخـلق) أى ينشئهم (ثم يعيده) للبعث (وهو) أى البعث (أهـون) أيسر (عليه) عندكم لان الاعادة عندكم أسهل من الانشاء فلم أنكرتم الاعادة وأخرت الصلة فى قوله وهو أهون عليه وقدمت فى قوله هو على هين لقصد الاختصاص هنـاك وأما هنا فـلا معنى للاختصاص وقال أبو عبيدة والزجاج وغيرهما الاهون بمعنى الهين فيوصف به الله عز وجل وكان ذلك على الله يسيرا كما قالوا الله أكبر (هو) أى كبير والاعادة فى نفسها عظيمـة ولكنها هـونت بالقياس الى الانشاء أو هو أهون على الخلق من الانشاء لان قيامهم بصيحة واحدة اسـهل من كونهم نطفا ثم علقا ثم مضغا الى تكميل

وكيفية تكونها ليظهر لهم كمال قدرة الصـانع وحكمته ﴿ ومن آياته ان تقـوم السماء والارض بامره ﴾ قيامهما باقامته لهما وارادته لقيامهما فى حيزهما المعين من غير مقيم محسوس والتعبير بالامر للمبالغة فى كمال القدرة والغنى عن الآلة ﴿ ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا انتم تخرجون ﴾ عطف عـلى ان تقـوم على تأويل مفرد كانه قيل ومـن آياته قيـام السموات والارض بامره ثم خروجكم من القبور اذا دعاكم دعوة واحـدة فيقول ايهـا الموتى اخرجوا والمراد تشبيـه سرعـة ترتب حصـول ذلك عـلى تعلق ارادته بلا توقف واحتيـاج الى تجشم عمل بسرعـة ترتب اجابة الداعى المطـاع على دعاءه وثم اما للتراخى زمانه اولعظم مافيـه ومن الارض متعلـق بدعا كقـوله دعوته من اسفل الوادى فطـلع الى لا بتخرجون لان مابعـد اذا لا يعمـل فيما قبله واذا الثـانية للمفاجأة ولذلك ناب مناب الفـاء فى جواب الاولى ﴿ وله من فى السموات والارض كل له قانتون ﴾ منقادون لفعله تعـالى فيهم لا يمتنعون عليـه ﴿ وهو الذى يبدؤا الخلق ثم يعيـده ﴾ بعـد هلاكهم ﴿ وهو اهون عليـه ﴾ والاعادة اسـهل عليـه من الاصل بالاضافة الى قدرتكم والقياس عـلى اصولكم والافهمـا عليـه سواء ولذلك قيل الهاء للخلق وقيل اهون بمعنى هين وتذكير هو لاهون

﴿ ومن آياته أن تقوم السماء والارض بامره ﴾ قال ابن عباس وابن مسعود قامتا عـلى غير عمد وقيل يدوم قيامهما بامره ﴿ ثم اذا دعاكم دعوة من الارض ﴾ قال ابن عبـاس من القبور ﴿ اذا أنتم تخرجون ﴾ أى منها وقيل معنى الآية ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا أنتم تخرجـون من الارض ﴿ وله من فى السموات والارض كل له قانتـون ﴾ أى مطيعون قال ابن عبـاس كل له مطيعون فى الحيـاة والبقاء والموت والبعث وان عصوا فى العبادة ﴿ وهو الذى يبدؤا الخلق ثم يعيده ﴾ أى يخلقهم أولا ثم يعيـدهم بعد الموت للبعث ﴿ وهو أهون عليه ﴾ أى هو هين عليه ومامن شئ عليه بعزيز وقيل معناه وهو أيسر عليه فان الذى يقع فى عقول الناس ان الاعادة تكون أهون من الانشـاء وقيـل

(ومن آياته) من علامات وحدانيته وقدرته (أن تقوم السماء) ان تكون السماء (والارض أمره) باذنه (ثم اذا دعاكم) يعنى الله يوم القيامة على لسان اسرافيل (دعوة من الارض) من القبور (اذا أنتم تخرجون) من القبور (وله) عبيد (من فى السموات والارض كل له قانتون) مطيعون غير الكفار (وهو الذى يبدؤا الخلق) من النطفة (ثم يعيده) يحييه يوم القيامة (وهو أهون عليه) هين عليه اعادته كابدائه

خلقهم (وله المثل الاعلى فى السموات والارض) أى الوصف الاعلى الذى ليس لغيره وقد عرف به ووصف فى السموات والارض على السنة الخلائق والسنة الدلائل وهو انه القادر الذى لا يعجز عن شئ من انشاء واعادة وغيرهما من المقدورات ويدل عليه قوله (وهو العزيز) اى القاهر لكل مقدور (الحكيم) الذى يجرى كل فعل على قضايا حكمته وعلمه وعن ابن عباس رضى الله عنهما المثل الاعلى ليس كمثله شئ وهو السميع البصير وعن مجاهد هو قول لا اله الا الله ومعناه وله الوصف الارفع الذى هو الوصف بالوحدانية ويعضده قوله (ضرب لكم مثلا من أنفسكم) فهذا مثل ضربه الله عز وجل لمن جعل له شريكا من خلقه ومن للابتداء

كانه قال أخذ مثلا وانتزعه من أقرب شئ منكم وهى أنفسكم (هل لكم) معاشر الاحرار (مما ملكت أيمانكم) عبيدكم ومن للتبعيض (من شركاء) من مزيدة لتأكيد الاستفهام الجارى مجرى النفى ومعناه هل ترضون لانفسكم وعبيدكم أمثالكم بشر كبشر وعبيد كعبيد ان يشارككم بعضهم (فيما رزقناكم) من الاموال وغيرها (فانتم) معاشر الاحرار والعبيد (فيه) فى ذلك الرزق (سواء) من غير تفصلة بين حر وعبد يحكم مما ليككم فى أموالكم كحكمكم (تخافونهم) حال من ضمير الفاعل فى سواء أى متساوون خائفا بعضكم بعضا مشاركته فى المال والمعنى تخافون معاشر السادة عبيدكم فيها فلا تمضون فيها حكما دون اذنهم خوفا من لائمة تلحقكم من جهتهم (كخيفتكم أنفسكم) يعنى كما يخاف بعض الاحرار بعضا فيما هو مشترك بينهم فاذا لم ترضوا بذلك لانفسكم فكيف ترضون لرب الارباب

اولان الاعادة بمعنى ان يعيد ﴿وله المثل﴾ الوصف العجيب الشأن كالقدرة العامة والحكمة التامة ومن فسره بقول لا اله الا الله اراد به الوصف بالوحدانية ﴿الاعلى﴾ الذى ليس لغيره ما يساويه او يدانيه ﴿فى السموات والارض﴾ وصفه به ما فيهما دلالة ونطقا ﴿وهو العزيز﴾ القادر الذى لا يعجز عن ابداء ممكن واعادته ﴿الحكيم﴾ الذى يجرى الافعال على مقتضى حكمته ﴿ضرب لكم مثلا من انفسكم﴾ منتزعا من احوالها التى هى اقرب الامور اليكم ﴿هل لكم مما ملكت ايمانكم﴾ من مماليككم ﴿من شركاء فيما رزقناكم﴾ من الاموال وغيرها ﴿فانتم فيه سواء﴾ فتكونون انتم وهم فيه شرع يتصرفون فيه كتصرفكم مع انهم بشر مثلكم وانها معارة لكم ومن الاولى للابتداء والثانية للتبعيض والثالثة مزيدة لتاكيد الاستفهام الجارى مجرى النفى ﴿تخافونهم﴾ ان يستبدوا بتصرف فيه ﴿كخيفتكم انفسكم﴾ كما يخاف الاحرار بعضهم من بعض

هو أهون على الخلق وذلك لانهم يقومون بصيحة واحدة فيكون أهون عليهم من أن يكونوا نطفا ثم علقا ثم مضغا الى ان يصيروا رجالا ونساء وهو رواية عن ابن عباس ﴿وله المثل الاعلى﴾ أى الصفة العليا قال ابن عباس ليس كمثله شئ وقيل هو الذى لا اله الا هو ﴿فى السموات والارض وهو﴾ أى فى ملكه ﴿العزيز الحكيم﴾ أى فى خلقه ﴿قوله عز وجل ﴿ضرب لكم مثلا﴾ أى بين لكم شبها بحالكم ذلك المثل ﴿من أنفسكم﴾ ثم بين المثل فقال تعالى ﴿هل لكم مما ملكت أيمانكم﴾ أى عبيدكم واماءكم ﴿من شركاء فيما رزقناكم﴾ أى من المال ﴿فانتم فيه سواء﴾ أى هل يشارككم عبيدكم فى أموالكم التى أعطيناكم ﴿تخافونهم كخيفتكم أنفسكم﴾ أى تخافون أن يشاركوكم فى اموالكم ويقاسموكم كما يخاف الحر من شريكه الحر فى المال يكون بينهما ان ينفرد فيه بامر دون شريكه ويخاف الرجل شريكه فى الميراث وهو يحب ان ينفرد به وقال ابن عباس تخافونهم ان يرثوكم كما يرث بعضكم بعضا فاذا لم تخافوا هذا من مماليككم ولا ترضوه لانفسكم

(وله المثل الاعلى فى السموات والارض) يقول له الصفة العليا بالقدرة على أهل السموات والارض (وهو العزيز) فى ملكه وسلطانه (الحكيم) فى أمره وقضائه (ضرب لكم) بين لكم يا معشر الكفار (مثلا) شبها (من أنفسكم) آدميا مثلكم (هل لكم مما ملكت أيمانكم) من عبيدكم واماءكم (من شركاء فيما رزقناكم) فيما أعطيناكم من المال والاهل والولد (فأنتم) وعبيدكم واماؤكم (فيه) فيما رزقناكم (سواء) شرك (تخافونهم) تخافون لائمتهم (كخيفتكم أنفسكم) كلائمة آبائكم وأبنائكم واخوانكم اذا لم تؤدوا

ومالك الاحرار والعبيدأن تجعلوا بعض عبيده له شركاء (كذلك) موضع الكاف نصب أى مثل هذا التفصيل (نفصل الآيات) نبينها لان التمثيل مما يكشف المعانى ويوضحها (لقوم يعقلون) يتدبرون فى ضرب الامثال فلما لم ينزجروا أضرب عنهم فقال (بل اتبع الذين ظلموا) أنفسهم بما شركوا كما قال الله تعالى ان الشرك لظلم عظيم (أهواءهم بغير علم) أى اتبعوا اهواءهم جاهلين (فمن يهدى من أضل الله) أى أضله الله تعالى (ومالهم من ناصرين) من العذاب (فاقم وجهك للدين) فقوم وجهك له وعدله غير ملتفت عنه يمينا ولا شمالا وهو تمثيل لاقباله على الدين واستقامته عليه واهتمامه باسبابه فان من اهتم بالشئ عقد عليه طرفه وسدد اليه نظره وقوم له وجهه (حنيفا) حال من المأمور أو من الدين (فطرت الله) أى الزموا فطرة الله والفطرة

الخلقة ألا ترى الى قوله لا تبديل لخلق الله فالمعنى انه خلقهم قابلين للتوحيد والاسلام غير نائين عنه ولا منكرين له لكونه مجاوبا للعقل مساوقا للنظر الصحيح حتى لو تركوا لما اختاروا عليه دينا آخر ومن غوى منهم فباغواء شياطين الجن والانس ومنه قوله عليه السلام كل عبادى خلقت حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم وأمروهم أن يشركوا بى غيرى وقوله عليه السلام كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواهما اللذان يهودانه وينصرانه وقال الزجاج معناه ان الله تعالى فطر الخلق على الايمان به على ما جاء فى الحديث ان الله عز وجل اخرج من صلب آدم كالذر وأشهدهم على أنفسهم بانه خالقهم فقال واذ أخذ ربك الى قوله قالوا بلى وكل مولود هو من (رسول) تلك الذرية التى شهدت بان الله تعالى خالقها فمعنى فطرة الله دين الله (التى فطر الناس عليها) أى خلق

﴿كذلك﴾ مثل ذلك التفصيل ﴿نفصل الآيات﴾ نبينها فان التمثيل مما يكشف المعانى ويوضحها ﴿لقوم يعقلون﴾ يستعملون عقولهم فى تدبر الامثال ﴿بل اتبع الذين ظلموا﴾ بالاشراك ﴿اهواءهم بغير علم﴾ جاهلين لا يكفهم شئ فان العالم اذا اتبع هواه ربما ردعه علمه ﴿فمن يهدى من اضل الله﴾ فمن يقدر على هدايته ﴿ومالهم من ناصرين﴾ يخلصونهم من الضلالة ويحفظونهم عن آفاتها ﴿فاقم وجهك للدين حنيفا﴾ فقومه له غير ملتفت اوملتفت عنه وهو تمثيل للاقبال والاستقامة عليه والاهتمام به ﴿فطرت الله﴾ خلقته نصب على الاغراء او المصدر لما دل عليه ما بعدها ﴿التى فطر الناس عليها﴾ خلقهم عليها وهى قبولهم للحق وتمكنهم من ادراكه او ملة الاسلام فانهم لو خلوا وما خلقوا

فكيف ترضون ان تكون آلهتكم التى تعبدونها شركائى وهم عبيدى ﴿كذلك نفصل الآيات﴾ أى الدلالات والبراهين والامثال ﴿لقوم يعقلون﴾ أى ينظرون فى هذه الدلائل والامثال بعقولهم ﴿بل اتبع الذين ظلموا﴾ يعنى أشركوا بالله ﴿أهواءهم﴾ أى فى الشرك ﴿بغير علم﴾ جهلا بما يجب عليهم ﴿فمن يهدى من أضل الله﴾ أى عن طريق الهدى ﴿ومالهم من ناصرين﴾ أى مانعين يمنعونهم من عذاب الله ❁ قوله تعالى ﴿فاقم وجهك للدين﴾ يعنى أخلص دينك لله وقيل سدد عملك والوجه ما يتوجه الى الله تعالى به الانسان ودينه وعمله مما يتوجه اليه ليسدده ❁ قوله تعالى ﴿حنيفا﴾ أى مائلا اليه مستقيما عليه ﴿فطرت الله﴾ أى دين الله والمعنى الزموا فطرة الله ﴿التى فطر الناس عليها﴾ قال ابن عباس خلق الله الناس عليها والمراد بالفطرة الدين وهو الاسلام (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال

حقوقهم فى الميراث قالوا لا قال أفترضون لى ما لا ترضون لانفسكم تشركون عبيدى فى ملكى ولا تشركون عبيدكم فيما رزقناكم (كذلك) هكذا (نفصل الآيات) نبين علامات وحدانيتى وقدرتى (لقوم يعقلون) يصدقون بامثال القرآن (بل اتبع الذين ظلموا) كفروا اليهود والنصارى والمشركون (أهواءهم) أى ما هم عليه من اليهودية والنصرانية والشرك (بغير علم) بلا علم ولا حجة (فمن يهدى) فمن يرشد الى دين الله (من أضل الله) عن دينه (ومالهم) لليهود والنصارى والمشركين (من ناصرين) من مانعين من عذاب الله (فأقم وجهك) نفسك وعملك (للدين حنيفا) مسلما يقول أخلص دينك وعملك لله واستقم على دين الاسلام (فطرت الله) دين الله (التى فطر الناس عليها) التى خلق الناس عليها فى بطون أمهاتهم ويقال اتبع يوم الميثاق

عليه ادى بهم اليها وقيل العهد المأخوذ من آدم وذريته ﴿ لاتبديل لخلق الله ﴾ لايقدر احد ان يغيره اوماينبغى ان يغير ﴿ ذلك ﴾ اشارة الى الدين المأمور باقامة الوجه له او الفطرة ان فسرت بالملة ﴿ الدين القيم ﴾ المستوى الذى لاعوج فيه ﴿ ولكن اكثر الناس لايعلمون ﴾ استقامته لعدم تدبرهم ﴿ منيبين اليه ﴾ راجعين اليه من اناب اذا رجع مرة

رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن مولود الايولد على الفطرة ثم قال اقرؤا فطرت الله التى فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم زاد البخارى فابواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ثم يقول أبو هريرة أقرؤا فطرت الله الآية ولهما فى رواية قالوا يارسول الله أفرأيت من يموت صغيرا قال الله أعلم بما كانوا عاملين قوله مامن مولود يولد الاعلى الفطرة يعنى على العهد الذى أخذ الله عليهم بقول ألست بربكم قالوا بلى فكل مولود فى العالم على ذلك الاقرار وهى الحنيفية التى وضعت الخلقة عليها وان عبد غير الله قال الله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله ولكن لااعتبار بالايمان الفطرى فى أحكام الدنيا وانما يعتبر الايمان الشرعى المأمور به المكتسب بالارادة والفعل الاترى الى قوله فابواه يهودانه أو ينصرانه فهو مع وجود الايمان الفطرى فانه محكوم له بحكم أبويه الكافرين وهذا معنى قول النبى صلى الله عليه وسلم فى حديث آخر يقول الله عزوجل انى خلقت عبادى حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم وحكى عن عبد الله بن المبارك انه قال فى معنى الحديث ان كل مولود يولد على فطرته أى خلقته التى خلقه الله عليها فى علم الله تعالى من السعادة والشقاوة فكل منهم صائر فى العاقبة الى مافطر عليه وعامل فى الدنيا بالعمل المشاكل لها فمن امارات الشقاوة للطفل ان يولد بين يهوديين أو نصرانيين فيحملانه على اعتقاد دينهما وقيل معناه ان كل مولود فى مبدأ الخلقة على الفطرة أى على الجبلة السليمة والطبع المتهيئ لقبول الدين فلو ترك عليها لاستمر على لزومها لان هذا الدين موجود حسنه فى العقول السليمة وانما يعدل عنه من عدل الى غيره لانه من آفات التقليد ونحوه فمن سلم من تلك الآفات لم يعتقد غيره ثم تمثل لاولاد اليهود والنصارى واتباعهم لآبائهم والميل الى أديانهم فيزلون بذلك عن الفطرة السليمة والحجة المستقيمة بقوله كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء أى كما تلد البهيمة بهيمة مستوية لم يذهب من بدنها شئ وقوله هل تحسون فيها من جدعاء يعنى هل تشعرون أو تعلمون فيها من جدعاء وهى المقطوعة الاذن أو الانف * قوله عزوجل ﴿ لاتبديل لخلق الله ﴾ أى لاتبدلوا دين الله وقيل معنى الآية الزموا فطرة الله ولاتبدلوا التوحيد بالشرك وقيل معنى لاتبديل لخلق الله هو ماجبل عليه الانسان من السعادة والشقاوة فلايصير السعيد شقيا ولا الشقى سعيدا وقيل الآية فى تحريم اخصاء البهائم ﴿ ذلك الدين القيم ﴾ أى المستقيم ﴿ ولكن أكثر الناس لايعلمون ﴾ * قوله عزوجل ﴿ منيبين اليه ﴾ أى فاقم وجهك أنت وأمتك منيبين اليه لان خطاب النبى صلى الله عليه وسلم يدخل فيه الامة والمعنى راجعين

(لاتبديل لخلق الله) أى ماينبغى أن تبدل تلك الفطرة أو تغير وقال الزجاج معناه لاتبديل لدين الله ويدل عليه مابعده وهو قوله (ذلك الدين القيم) أى المستقيم (ولكن أكثر الناس لايعلمون) حقيقة ذلك منيبين اليه) راجعين اليه وهو حال من الضمير فى الزموا وقوله واتقوه وأقيموا ولاتكونوا معطوف على هذا الضمير أو من قوله فاقم وجهك لان الامر له عليه السلام أمر لامته فكانه قال فاقيموا وجوهكم منيبين اليه أو التقدير كونوا منيبين

(لاتبديل لخلق الله) لاتبديل لدين الله (ذلك) هو (الدين القيم) الحق المستقيم (ولكن أكثر الناس) أهل مكة (لايعلمون) ان دين الله الحق هو الاسلام (منيبين اليه) كونوا مؤمنين أى مقبلين

دليله قوله ولاتكونوا (واتقوه وأقيموا الصلوة) أى أدوها فى أوقاتها (ولاتكونوا من المشركين) ممن يشرك به غيره فى العبادة (من الذين) بدل من المشركين باعادة الجار (فرقوا دينهم) جعلوه أديانا مختلفة لاختلاف أهوائهم فارقوا حمزة وعلى وهى قراءة على رضى الله عنه أى تركوا دين الاسلام (وكانوا شيعا) فرقا كل واحدة تشايع امامها الذى أضلها (كل حزب) منهم (بما لديهم فرحون) فرح بمذهبه مسرور يحسب باطله حقا (واذا مس الناس ضر) شدة من هزال أو مرض أو قحط أو غير ذلك (دعوا

ربهم منيبين اليه ۰ ثم اذا أذاقهم منه رحمة) أى خلاص من الشدة (اذا فريق منهم بربهم يشركون) فى العبادة (ليكفروا) هذه لام كى وقيل لام الامر للوعيد (بما آتيناهم) من النعم (فتمتعوا) بكفركم قليلا أمر وعيد (فسوف تعلمون) وبال تمتعكم (أم أنزلنا عليهم سلطانا) حجة (فهو يتكلم) وتكلمه مجاز كما تقول كتابه ناطق بكذا وهذا مما نطق به القرآن ومعناه الشهادة كانه قال فهو يشهد بشركهم وبصحته (بما كانوا به يشركون)

بعد اخرى وقيل منقطعين اليه من الناب وهو حال من الضمير فى الناصب المقدر لفطرة الله او فى اقم لان الآية خطاب للرسول والامة لقوله ﴿واتقوه واقيموا الصلوة ولاتكونوا من المشركين﴾ غير انها صدرت بخطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تعظيما له ﴿من الذين فرقوا دينهم﴾ بدل من المشركين وتفريقهم اختلافهم فيما يعبدونه على اختلاف اهوائهم * وقرأ حمزة والكسائى فارقوا بمعنى تركوا دينهم الذى امروا به ﴿وكانوا شيعا﴾ فرقا يشايع كل امامها الذى اصل دينها ﴿كل حزب بما لديهم فرحون﴾ مسرورون ظنا بانه الحق ويجوز ان يجعل فرحون صفة كل على ان الخبر من الذين فرقوا ﴿واذا مس الناس ضر﴾ شدة ﴿دعوا ربهم منيبين اليه﴾ راجعين اليه من دعاء غيره ﴿ثم اذا اذاقهم منه رحمة﴾ خلاصا من تلك الشدة ﴿اذا فريق منهم بربهم يشركون﴾ فاجأ فريق منهم بالاشراك بربهم الذى عافاهم ﴿ليكفروا بما آتيناهم﴾ اللام فيه للعاقبة وقيل للامر بمعنى التهديد لقوله ﴿فتمتعوا﴾ غير انه التفت فيه مبالغة * وقرئ وليتمتعوا ﴿فسوف تعلمون﴾ عاقبة تمتعكم * وقرئ بالياء على ان تمتعوا ماض ﴿ام انزلنا عليهم سلطانا﴾ حجة وقيل ذا سلطان اى ملكا معه برهان ﴿فهو يتكلم﴾ تكلم دلالة لقوله (هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق) او نطق ﴿بما كانوا به يشركون﴾ باشراكهم وصحته بالامر الذى بسببه

الى الله تعالى بالتوبة ومقبلين اليه بالطاعة ﴿واتقوه﴾ أى ومع ذلك خافوه ﴿وأقيموا الصلوة﴾ أى داوموا على أدئها فى أوقاتها ﴿ولاتكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا﴾ أى صاروا فرقا مختلفة وهم اليهود والنصارى وقيل هم أهل البدع من هذه الامة ﴿كل حزب بما لديهم فرحون﴾ أى راضون بما عندهم * قوله تعالى ﴿واذا مس الناس ضر﴾ أى قحط وشدة ﴿دعوا ربهم منيبين اليه﴾ أى مقبلين اليه بالدعاء ﴿ثم اذا أذاقهم منه رحمة﴾ أى خصبا ونعمة ﴿اذا فريق منهم بربهم يشركون ليكفروا بما آتيناهم﴾ أى ليجحدوا نعمة الله عليهم ﴿فتمتعوا﴾ فيه تهديد ووعيد خاطب به الكفار ﴿فسوف تعلمون﴾ أى حالكم فى هذه الآخرة ﴿أم أنزلنا عليهم سلطانا﴾ قال ابن عباس حجة وعذرا وقيل كتابا ﴿فهو يتكلم﴾ أى ينطق ﴿بما كانوا به يشركون﴾ أى بشركهم ويأمرهم به

اليه بالطاعة (واتقوه) وأطيعوه فيما أمركم (وأقيموا الصلوة) أتموا الصلوات الخمس (ولا تكونوا من المشركين) مع المشركين على دينهم (من الذين فرقوا دينهم) تركوا دين الاسلام (وكانوا شيعا) صاروا فرقا اليهود والنصارى وسائر أهل الملل (كل حزب) كل أهل دين (بما لديهم) بما عندهم من الدين (فرحون) معجبون يرون انه حق (واذا مس) أصاب (الناس) كفار مكة (ضر) شدة (دعوا) (و ربهم) برفع الشدة (منيبين اليه) مقبلين بالدعاء اليه (ثم اذا أذاقهم) أصابهم (منه) من الله (رحمة) نعمة (اذا فريق منهم) يعنى الكفار (بربهم يشركون) يعدلون به الاصنام (ليكفروا) حتى يكفروا (بما آتيناهم) أعطيناهم من النعمة (فتمتعوا) فعيشوا يا أهل مكة فى الدنيا (فسوف تعلمون) ماذا يفعل بكم فى الآخرة (أم أنزلنا) هل أنزلنا (عليهم) على أهل مكة (سلطانا) كتابا فيه العذر والبرهان من السماء (فهو يتكلم) يشهد وينطق (بما كانوا به) بالله (يشركون)

مامصدرية أى بكونهم بالله يشركون أوموصولة ويرجع الضمير اليها أى فهو يتكلم بالامر الذى بسببه يشركون أومعنى الآية أم أنزلنا عليهم ذا سلطان أى ملكا معه برهان فذلك الملك يتكلم بالبرهان الذى بسببه يشركون (واذا أذقنا الناس رحمة) أى نعمة من مطر أوسعة أوصحة (فرحوا بها) بطروا بسببها (وان تصبهم سيئة) أى بلاء من جدب أوضيق أومرض (بما قدمت أيديهم) بسبب شؤم معاصيهم (اذاهم يقنطون) من الرحمة واذا للمفاجأة جواب الشرط نابت عن الفاء لتآخيهما فى التعقيب (أولم يروا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدران فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون) أنكر عليهم بانهم قد علموا بانه القابض الباسط فالهم يقنطون من رحمته ومالهم لايرجعون اليه تائبين عن المعاصى التى عوقبوا بالشدة من أجلها حتى يعيد اليهم رحمته ولما ذكر ان السيئة أصابتهم بما قدمت أيديهم أتبعه ذكر مايجب ان يفعل ومايجب ان يترك فقال (فآت ذا القربى) أعط قريبك (حقه) من البر والصلة (والمسكين وابن السبيل) نصيبهما من الصدقة المسماة لهما وفيه دليل وجوب النفقة للمحارم كما هو مذهبنا (ذلك) أى ايتاء حقوقهم (خير للذين يريدون وجه الله) أى ذاته أى يقصدون بمعروفهم اياه خالصا (وأولئك هم المفلحون وما آتيتم

يشركون فى الوهيته ﴿واذا اذقنا الناس رحمة﴾ نعمة من صحة وسعة ﴿فرحوا بها﴾ بطروا بسببها ﴿وان تصبهم سيئة﴾ شدة ﴿بما قدمت ايديهم﴾ بشؤم معاصيهم ﴿اذاهم يقنطون﴾ فاجأوا القنوط من رحمته وقرأ ابو عمرو والكسائى بكسر النون ﴿اولم يروا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر﴾ فمالهم لم يشكروا ولم يحتسبوا فى السراء والضراء كالمؤمنين ﴿ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون﴾ فيستدلون بها على كمال القدرة والحكمة ﴿فآت ذا القربى حقه﴾ كصلة الرحم واحتج به الحنفية على وجوب النفقة للمحارم وهو غير مشعر به ﴿والمسكين وابن السبيل﴾ ماوظف لهما من الزكاة والخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم اولمن بسط له ولذلك رتب على ماقبله بالفاء ﴿ذلك خير للذين يريدون وجه الله﴾ ذاته اوجهته اى يقصدون بمعروفهم اياه خالصا اوجهة التقرب اليه لاجهة اخرى ﴿واولئك هم المفلحون﴾ حيث حصلوا بما بسط لهم النعيم المقيم ﴿وما آتيتم

﴿واذا أذقنا الناس رحمة﴾ أى الخصب وكثرة المطر ﴿فرحوا بها﴾ أى فرحوا وبطروا ﴿وان تصبهم سيئة﴾ أى جدب وقلة مطر وقيل خوف وبلاء ﴿بما قدمت أيديهم﴾ من السيئات ﴿اذاهم يقنطون﴾ أى ييأسون من رحمة الله وهذا خلاف وصف المؤمن فانه يشكر ربه عند النعمة ويرجوه عند الشدة ﴿أولم يروا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون﴾ تقدم تفسيره * قوله عز وجل ﴿فآت ذا القربى حقه﴾ أى من البر والصلة ﴿والمسكين﴾ أى حقه وهو التصدق عليه ﴿وابن السبيل﴾ أى المسافر وقيل هو الضيف ﴿ذلك خير للذين يريدون وجه الله﴾ أى يطلبون ثواب الله بما كانوا يعملون ﴿وأولئك هم المفلحون﴾ * قوله عز وجل ﴿وما آتيتم﴾ أى أعطيتم

يعدلون ان الله أمرهم بذلك (واذا أذقنا الناس) أصبنا كفار مكة (رحمة) نعمة (فرحوا بها) أى أعجبوا بها غير شاكرين بها (وان تصبهم سيئة) شدة ضيق وقحط ومرض (بما قدمت) بما عملت (أيديهم) فى الشرك (اذاهم يقنطون) ييأسون من رحمة الله غير صابرين بها (أولم يروا) يخبروا فى الكتاب كفار مكة (ان الله يبسط الرزق) يوسع المال (لمن يشاء) على من يشاء وهو مكر منه (ويقدر) يقتر على من يشاء وهو نظر منه (ان فى ذلك) فيما ذكرت من البسط والتقتير (لآيات) لعلامات وعبرا (لقوم يؤمنون) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (فآت ذا القربى) فاعط يامحمد ذا القربى فى الرحم (حقه) صلته (والمسكين) أعط المسكين الكسوة والطعام (وابن السبيل) أكرم الضيف النازل بك ثلاثة أيام فما فوق ذلك فهو صدقة معروف (ذلك) الذى ذكرت من الصلة والعطية والاكرام (خير) ثواب وكرامة فى الآخرة (للذين يريدون وجه الله) بعطيتهم (وأولئك هم المفلحون) الناجون من السخط والعذاب (وما آتيتم)

من رباليربوا فى أموال الناس) يريد وماأعطيتم أكلة الربامن رباليربو فى أموالهم (فلايربوا عندالله) فلا يزكوعندالله ولايبارك فيه وقيل *ومن الربا الحلال أى وماتعطونه من الهدية لتأخذوا أكثرمنها فلايربوعندالله لانكم لم تريدوابذلك وجه الله (وماآتيتم من زكوة) صدقة (تريدون وجه الله) تبتغون به وجهه خالصا لاتطلبون به مكافاة ولارياء ولاسمعة (فاولئك هم المضعفون) ذووالاضعاف من الحسنات ونظير المضعف المقوى والموسر لذى القوة واليسار أتيتم من ربا بلامدمكى أى وماغشيتموه من اعطاء ربالتربوامدنى أى لتزيدوافى أموالهم وقوله فاولئك هم المضعفون التفات حسن لانه يفيد التعميم كانه قيل من فعل هذا فسبيله سبيل المخاطبين والمعنى المضعفون به لانه لابدله من ضمير يرجع الى ما الموصولة وقال الزجاج فى قوله فاولئك هم المضعفون أى فاهلهاهم المضعفون أى هم الذين يضاعف لهم الثواب يعطون بالحسنة عشر أمثالها ثم أشار الى عجز الهتهم فقال (الله الذى خلقكم) مبتدأ وخبر (ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم) أى هو المختص بالخلق والرزق والاماتة والاحياء (هل من شركائكم) أى أصنامكم التى زعمتم انهم شركاء الله (من يفعل من ذلكم) أى من الخلق من الرزق والاماتة والاحياء (من شئ) أى شيأ من تلك الافعال فلم يجيبوا عجزا فقال استبعادا (سبحانه وتعالى عما يشركون) ومن الاولى والثانية والثالثة كل واحدة منهن مستقلة بتأكيد لتعجيز شركائهم

من ربا ﴾ زيادة محرمة فى المعاملة اوعطية يتوقع بها مزيد مكافاة وقرأ ابن كثير بالقصر بمعنى ماجئتم به من اعطاء ربا ﴿ ليربوا فى اموال الناس ﴾ ليزيد ويزكو فى اموالهم ﴿ فلايربوا عندالله ﴾ فلايزكو عنده ولايبارك فيه *وقرأ نافع ويعقوب لتربو اى لتزيدوا اولتصيروا ذوى ربوا ﴿ وماآتيتم من زكوة تريدون وجه الله ﴾ تبتغون به وجهه خالصا ﴿ فاولئك هم المضعفون ﴾ ذوو الاضعاف من الثواب ونظير المضعف المقوى والموسر لذى القوة واليسار اوالذين ضعفوا ثوابهم واموالهم ببركة الزكاة وقرئ بفتح العين وتغييره عن سنن المقابلة عبارة ونظما للمبالغة والالتفات فيه للتعظيم كأنه خاطب به الملائكة وخواص الخلق تعريفا لحالهم اوللتعميم كأنه قال فمن فعل ذلك فاولئك هم المضعفون والراجع منه محذوف ان جعلت ماموصولة تقديره المضعفون به اوفمؤتوه اولئك هم المضعفون ﴿ الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شئ ﴾ اثبت له لوازم الالوهية ونفاها رأسا عما اتخذوه شركاء له من الاصنام وغيرها مؤكدا بالانكار على مادل عليه البرهان والعيان ووقع عليه الوفاق ثم استنتج من ذلك تقدسه عن ان يكون له شركاء فقال ﴿ سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾ ويجوز ان يكون الموصول صفة والخبر هل من شركائكم والرابط من ذلكم لانه بمعنى من افعاله ومن الاولى والثانية تفيد ان شيوع الحكم فى جنس الشركاء والافعال والثالثة مزيدة

﴿ من ربا ليربوا فى اموال الناس ﴾ أى فى اجتلاب أموال الناس واجتذابها قيل فى معنى الآية هو الرجل يعطى غيره العطية ليثيبه أكثر منها فهو جائز حلال ولكن لايثاب عليها فى القيامة وهذا قوله ﴿ فلايربوا عندالله ﴾ وكان هذا حراما على النبى خاصة لقوله تعالى ولاتمنن تستكثر أى لاتعط وتطلب أكثر مما أعطيت وقيل هو الرجل يعطى صديقه أوقريبه ليكثر ماله لايريد به وجه الله وقيل هو الرجل يلتزق بالرجل فيخدمه ويسافر معه فيجعل له ربح ماله لالتماس عونه لالوجه الله تعالى فلايربو عندالله لانه لم يرد بعمله وجه الله ﴿ وماآتيتم من زكوة ﴾ أى أعطيتم من صدقة ﴿ تريدون وجه الله ﴾ أى بتلك الصدقة ﴿ فاولئك هم المضعفون ﴾ أى يضاعف لهم الثواب فيعطون بالحسنة عشر أمثالها فالمضعف ذوالاضعاف من الحسنات * قوله تعالى ﴿ الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شئ سبحانه وتعالى عمايشركون ﴾

أعطيتم (من ربا)من عطية (ليربوا فى أموال الناس) لتكثروا أموالكم باموال الناس يقول ليعطوا أكثر وأفضل مما تعطون ﴿ تقدم ﴾ (فلايربوا عندالله) فلايكثر عندالله بالتضعيف ولايقبلها فانها ليست لله تعالى (وماآتيتم)أعطيتم (من زكوة) من صدقة الى المساكين (تريدون) بذلك (وجه الله فاولئك هم المضعفون) فاولئك هم الذين أضعفت صدقاتهم فى الآخرة وأكثرت أموالهم فى الدنيا بالحفظ والبركة (الله الذى خلقكم) نسما فى بطون أمهاتكم ثم أخرجكم وفيكم الروح (ثم رزقكم) الطيبات الرزق الى الموت (ثم يميتكم) عند انقضاء مدتكم (ثم يحييكم)للبعث بعد الموت (هل من شركائكم) من آلهتكم ياأهل مكة (من يفعل من ذلكم من شئ) من يقدر ان يفعل من ذلك شيأ (سبحانه) نزه نفسه عن الولد والشريك (وتعالى) ارتفع وتبرأ (عما يشركون)

وتجهيل عبدتهم (ظهر الفساد في البر والبحر) نحو القحط وقلة الامطار والريع في الزراعات والربح في التجارات ووقوع الموتان في الناس والدواب وكثرة الحرق والغرق ومحق البركات من كل شئ (بما كسبت أيدي الناس) بسبب معاصيهم وشركهم كقوله وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم (ليذيقهم بعض الذي عملوا) أي ليذيقهم وبال بعض أعمالهم في الدنيا قبل ان يعاقبهم ﴿ ٤٩ ﴾ بجميعها في الآخرة وبالنون { سورة الروم } عن قنبل (لعلهم يرجعون) عماهم عليه من المعاصي ثم أكد تسبيب المعاصي لغضب الله ونكاله بقوله (قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كان أكثرهم مشركين) حيث أمرهم بان يسيروا فينظروا كيف أهلك الله الامم وأذاقهم سوء العاقبة بمعاصيهم (فاقم وجهك للدين القيم) البليغ الاستقامة الذي لا يتأتى فيه عوج (من قبل أن يأتي يوم لا مرد له) هو مصدر بمعنى الرد (من الله) يتعلق

لتعميم المنفي وكل منها مستقلة بالتأكيد لتعجيز الشركاء • وقرأ حمزة والكسائي بالتاء ﴿ ظهر الفساد في البر والبحر ﴾ كالجدب والموتان وكثرة الحرق والغرق واخفاق الغاصة ومحق البركات وكثرة المضار او الضلالة والظلم وقيل المراد بالبحر قرى السواحل وقرئ والبحور ﴿ بما كسبت ايدي الناس ﴾ بشؤم معاصيهم او بكسبهم اياه وقيل ظهر الفساد في البر بقتل قابيل اخاه وفي البحر بان جلندي كان يأخذ كل سفينة غصبا ﴿ ليذيقهم بعض الذي عملوا ﴾ بعض جزائه فان تمامه في الآخرة واللام للعلة او للعاقبة وعن ابن كثير ويعقوب لنذيقهم بالنون ﴿ لعلهم يرجعون ﴾ عماهم عليه ﴿ قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل ﴾ لتشاهدوا مصداق ذلك وتحققوا صدقه ﴿ كان اكثرهم مشركين ﴾ استئناف للدلالة على ان سوء عاقبتهم كان لفشو الشرك وغلبته فيهم او كان الشرك في اكثرهم ولما دونه من المعاصي في قليل منهم ﴿ فاقم وجهك للدين القيم ﴾ البليغ الاستقامة ﴿ من قبل ان يأتي يوم لا مرد له ﴾ لا يقدر ان يرده احد وقوله ﴿ من الله ﴾ متعلق بيأتي ويجوز

تقدم تفسيره ❊ قوله تعالى ﴿ ظهر الفساد في البر والبحر ﴾ أي بسبب الشرك والمعاصي ظهر قحط المطر وقلة النبات في البراري والبوادي والمفاوز والقفار والبحر قيل المدائن والقرى التي هي على المياه الجارية والعرب تسمي المصر بحرا تقول أجدب البر وانقطعت مادة البحر وقيل البر ظهر الارض الامصار وغيرها والبحر هو المعروف وقلة المطر كما تؤثر في البر تؤثر في البحر بخلو أجواف الاصداف من اللؤلؤ وذلك لان الصدف اذا جاء المطر ترتفع على وجه الماء وتفتح أفواهها فما وقع فيها المطر صار لؤلؤا ﴿ بما كسبت أيدي الناس ﴾ أي بسبب شؤم ذنوبهم وقال ابن عباس الفساد في البر قتل أحد ابني آدم أخاه وفي البحر غصب الملك الجائر السفينة قيل كانت الارض خضرة مونقة لا يأتي ابن آدم شجرة الا وجد عليها ثمرة وكان ماء البحر عذبا وكان لا يقصد البقر الغنم فلما قتل قابيل هابيل اقشعرت الارض وشاكت الاشجار وصار ماء البحر ملحا زعاقا وقصد الحيوان بعضها بعضا وقيل ان الارض امتلأت ظلما وضلالة قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم فلما بعث رجع راجعون من الناس وقيل أراد بالناس كفار مكة ﴿ ليذيقهم بعض الذي عملوا ﴾ أي عقوبة الذي عملوا من الذنوب ﴿ لعلهم يرجعون ﴾ أي عن الكفر وأعمالهم الخبيثة ﴿ قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل ﴾ أي لتروا منازلهم ومساكنهم خاوية ﴿ كان أكثرهم مشركين ﴾ أي فاهلكوا بكفرهم ❊ قوله عز وجل ﴿ فاقم وجهك للدين القيم ﴾ أي لدين الاسلام ﴿ من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله ﴾ يعني يوم القيامة لا يقدر أحد

به من الاوثان (ظهر الفساد) تبينت المعصية (في البر) من قتل قابيل أخاه هابيل (والبحر) من جلندي الازدي (بما كسبت أيدي الناس) بقتل قابيل هابيل وبغصب جلندي سفن الناس في البحر ويقال ظهر الفساد بموت البهائم والقحط والجدوبة ونقص الثمرات والنبات في البر في السهل والجبل والبادية والمفازة والبحر في الريف والقرى والعمران بما كسبت أيدي الناس بمعصية الناس (ليذيقهم) لكي يصيبهم (بعض الذي عملوا) ببعض الذي (قا و خا ٧ مس) عملوا من المعاصي (لعلهم يرجعون) لكي يرجعوا عن ذنوبهم فيكشف عنهم (قل) يا محمد لاهل مكة (سيروا) سافروا (في الارض فانظروا) تفكروا (كيف كان عاقبة) جزاء (الذين من قبل) من قبلهم كيف أهلكهم الله عند تكذيبهم الرسل (كان أكثرهم) كلهم (مشركين) بالله (فاقم وجهك) نفسك وعملك (للدين القيم) يقول أخلص دينك وعملك لله وكن على دين الحق المستقيم (من قبل أن يأتي يوم) وهو يوم القيامة (لا مرد له) لا مانع له (من الله) من عذاب

بيأتي والمعنى من قبل ان يأتي من الله يوم لا يرده أحد كقوله تعالى فلا يستطيعون ردها أو بمرد على معنى لا يرده هو بعد ان يجيء به ولا رد له من جهته (يومئذ يصدعون) يتصدعون أي يتفرقون ثم أشار الى غناه عنهم فقال (من كفر فعليه كفره) اى وبال كفره (ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون) أي يسوون لانفسهم ما يسويه لنفسه الذي يمهد لنفسه فراشه ويوطئه لئلا يصيبه في مضجعه ما ينغص عليه مرقده من نتوء وغيره والمعنى انه يمهد لهم الجنة بسبب أعمالهم فاضيف اليهم وتقديم الظرف في الموضعين للدلالة على ان ضرر الكفر لا يعود الا على الكافر ومنفعة الايمان والعمل الصالح ترجع الى المؤمن لا تجاوز (ليجزى) متعلق بيمهدون تعليل له وتكرير (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) وترك الضمير الى الصريح لتقدير انه لا يفلح عنده الا المؤمن (من فضله) أي عطائه وقوله (انه لا يحب الكافرين) تقرير بعد تقرير على الطرد والعكس (ومن آياته) أي ومن آيات قدرته (ان يرسل الرياح) هي الجنوب والشمال والصبا وهي رياح الرحمة وأما الدبور فريح العذاب ومنه قوله عليه السلام اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا وقد عدد الفوائد في ارسالها فقال (مبشرات) أي أرسلها للبشارة بالغيث (وليذيقكم من رحمته) ولاذاقة الرحمة وهي نزول المطر وحصول الخصب الذي يتبعه والروح الذي مع هبوب الريح وزكاء الارض وغير ذلك وليذيقكم معطوف على مبشرات على المعنى كأنه قيل ليبشركم وليذيقكم (ولتجرى الفلك) في البحر عند هبوبها (بأمره) أي بتدبيره أو بتكوينه كقوله انما أمره اذا أراد شيأ (ولتبتغوا)

ان يتعلق بمرد لانه مصدر على معنى لا يرده الله لتعلق ارادته القديمة بمجيئه ﴿يومئذ يصدعون﴾ يتصدعون اى يتفرقون فريق في الجنة وفريق في السعير كما قال ﴿من كفر فعليه كفره﴾ اى وباله وهو النار المؤبدة ﴿ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون﴾ يسوون منزلا في الجنة وتقديم الظرف في الموضعين للدلالة على الاختصاص ﴿ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله﴾ علة ليمهدون او ليصدعون والاقتصار على جزاء المؤمنين للاشعار بانه المقصود بالذات والاكتفاء على فحوى قوله ﴿انه لا يحب الكافرين﴾ فان فيه اثبات البغض لهم والمحبة للمؤمنين وتأكيد اختصاص الصلاح بهم المفهوم من ترك ضميرهم الى التصريح بهم تعليل له ومن فضله دال على ان الاثابة تفضل محض وتأويله بالعطاء او الزيادة على الثواب عدول عن الظاهر ﴿ومن آياته ان يرسل الرياح﴾ الشمال والصبا والجنوب فانها رياح الرحمة واما الدبور فريح العذاب ومنه قوله عليه الصلاة والسلام اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي الريح على ارادة الجنس ﴿مبشرات﴾ بالمطر ﴿وليذيقكم من رحمته﴾ يعني المنافع التابعة لها وقيل الخصب التابع لنزول المطر المسبب عنها او الروح الذي هو مع هبوبها والعطف على علة محذوفة دل عليها مبشرات او عليها باعتبار المعنى او على يرسل باضمار فعل معلل دل عليه ﴿ولتجرى الفلك بامره

على رده من الخلق ﴿يومئذ يصدعون﴾ أي يتفرقون ثم ذكر الفريقين فقال تعالى ﴿من كفر فعليه كفره﴾ أي وبال كفره ﴿ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون﴾ أي يوطئون المضاجع ويسوونها في القبور ﴿ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله﴾ قال ابن عباس ليثيبهم الله ثوابا أكثر من أعمالهم ﴿انه لا يحب الكافرين﴾ فيه تهديد ووعيد لهم ﴿ قوله تعالى ﴿ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات﴾ أي تبشر بالمطر ﴿وليذيقكم من رحمته﴾ أي بالمطر وهو الخصب ﴿ولتجرى الفلك﴾ أي بهذه الرياح ﴿بامره

الله (يومئذ) يوم القيامة (يصدعون) يتفرقون فريق في الجنة وفريق في السعير (من كفر) بالله (فعليه كفره) عقوبة كفره خلود النار (ومن عمل صالحا) في الايمان (فلانفسهم يمهدون) يفرشون ويجمعون الثواب والكرامة في الجنة (ليجزى الذين آمنوا) بمحمد عليه السلام والقرآن (وعملوا الصالحات) الطاعات فيما بينهم وبين ربهم (من فضله) من ثوابه وكرامته في الجنة (انه لا يحب الكافرين) لا يرضى دينهم (ومن آياته) من علامات وحدانيته وقدرته (أن يرسل الرياح مبشرات) لخلقه بالمطر (وليذيقكم) لكي يصيبكم (من رحمته) نعمته (ولتجرى الفلك) السفن (بأمره)

الآية (ولتبتغوا من فضله) يريد تجارة البحر (ولعلكم تشكرون) أي ولتشكروا نعمة الله فيها (ولقد أرسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات) أي فآمن بهم قوم وكفر بهم قوم ويدل على هذا الاضمار قوله (فانتقمنا من الذين أجرموا) أي كفروا بالاهلاك فى الدنيا (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) أي وكان نصر المؤمنين حقا علينا بانجائهم مع الرسل وقد يوقف على حقا ومعناه وكان الانتقام منهم حقا ثم تبتدئ علينا نصر المؤمنين والاول أصح (الله الذى يرسل الرياح) الريح مكي (فتثير سحابا فيبسطه) أي السحاب

(في السماء) أي في سمت السماء وشقها كقوله وفرعها فى السماء (كيف يشاء) من ناحية الشمال أو الجنوب أو الدبور أو الصبا (ويجعله كسفا) قطعا جمع كسفة أي يجعله منبسطا يأخذ وجه السماء مرة ويجعله قطعا متفرقة غير منبسطة مرة كسفا يزيد وابن ذكوان (فترى الودق) المطر (يخرج) في التارتين جميعا (من خلاله) وسطه (فاذا أصاب به) بالودق (من يشاء من عباده) يريد اصابة بلادهم وأراضيهم (اذا هم يستبشرون) يفرحون (وان كانوا من قبل ان ينزل عليهم) المطر (من قبله) كرر للتأكيد كقوله فكان عاقبتهما انهما فى النار خالدين فيها ومعنى

ولتبتغوا من فضله ﴿ يعني تجارة البحر ﴿ ولعلكم تشكرون ﴿ ولتشكروا نعمة الله فيها ﴿ ولقد ارسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات فانتقمنا من الذين اجرموا ﴿ بالتدمير ﴿ وكان حقا علينا نصر المؤمنين ﴿ اشعار بان الانتقام لهم واظهار لكرامتهم حيث جعلهم مستحقين على الله ان ينصرهم وعنه عليه الصلاة والسلام مامن امرئ مسلم يرد عن عرض اخيه الا كان حقا على الله ان يرد عنه نار جهنم ثم تلا ذلك وقد يوقف على حقا على انه متعلق بالانتقام ﴿ الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه ﴿ متصلا تارة ﴿ فى السماء ﴿ في سمتها ﴿ كيف يشاء ﴿ سائرا وواقفا مطبقا وغير مطبق من جانب دون جانب الى غير ذلك ﴿ ويجعله كسفا ﴿ قطعا تارة اخرى * وقرأ ابن عامر بالسكون على انه مخفف او جمع كسفة او مصدر وصف به ﴿ فترى الودق ﴿ المطر ﴿ يخرج من خلاله ﴿ فى التارتين ﴿ فاذا اصاب به من يشاء من عباده ﴿ يعني بلادهم واراضيهم ﴿ اذا هم يستبشرون ﴿ بمجئ الخصب ﴿ وان كانوا من قبل ان ينزل عليهم ﴿ المطر ﴿ من قبله ﴿ تكرير

ولتبتغوا من فضله ﴿ معناه لتطلبوا رزقه بالتجارة فى البحر ﴿ ولعلكم تشكرون ﴿ أي هذه النعم * قوله تعالى ﴿ ولقد أرسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات ﴿ أي بالدلالات الواضحات على صدقهم ﴿ فانتقمنا من الذين أجرموا ﴿ يعني اناعذبنا الذين كذبوهم ﴿ وكان حقا علينا نصر المؤمنين ﴿ أي مع انجائهم من العذاب ففيه تبشير للنبي صلى الله عليه وسلم بالظفر فى العاقبة والنصر على الاعداء * عن أبي الدرداء قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول مامن مسلم يرد عن عرض أخيه الا كان حقا على الله ان يرد عنه نار جهنم يوم القيامة ثم تلا هذه الآية وكان حقا علينا نصر المؤمنين أخرجه الترمذي ولفظه من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة وقال حديث حسن * قوله عز وجل ﴿ الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا ﴿ أي تنشره ﴿ فيبسطه فى السماء كيف يشاء ﴿ يعني مسيرة يوم أو يومين أو أكثر على مايشاء ﴿ ويجعله كسفا ﴿ أي قطعا متفرقة ﴿ فترى الودق ﴿ أي المطر ﴿ يخرج من خلاله ﴿ أي من وسطه ﴿ فاذا أصاب به ﴿ أي بالودق ﴿ من يشاء من عباده اذا هم يستبشرون ﴿ أي يفرحون بالمطر ﴿ وان كانوا ﴿ اي وقد كانوا ﴿ من قبل ان ينزل عليهم من قبله

بمشيئته فى البحر (ولتبتغوا من فضله) لكي تطلبوا لركوبكم السفن من فضله من رزقه (ولعلكم تشكرون) لكي تشكروا نعمته (ولقد أرسلنا) بعثنا (من قبلك) يا محمد (رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات) بالامر والنهي والعلامات فلم يؤمنوا (فانتقمنا) بالعذاب (من الذين أجرموا) أشركوا (وكان حقا علينا) واجبا علينا (نصر المؤمنين) مع الرسل بنجاتهم وهلاك اعدائهم (الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا) فترفع سحابا ثقالا بالمطر (فيبسطه فى السماء كيف يشاء ويجعله كسفا) قطعا ان شاء (فترى الودق) يعني المطر (يخرج من خلاله) من خلال السحاب (فاذا أصاب به) بالمطر (من يشاء) من يريد (من عباده) فى الارض (اذا هم يستبشرون) بالمطر (وان كانوا) وقد كانوا (من قبل أن ينزل عليهم من قبله) من قبل المطر

التوكيد فيها الدلالة على ان عهدهم بالمطر قد تطاول فاستحكم يأسهم فكان الاستبشار على قدر اغتمامهم بذلك (لمبلسين) آيسين (فانظر الى آثار) شامي وكوفي غير أبي بكر وغيرهم أثر (رحمت الله) أي المطر (كيف يحيي الارض) بالنبات وأنواع الثمار (بعد موتها ان ذلك) أي الله (لمحيي الموتى) يعني أن ذلك القادر الذي يحيي الارض بعد موتها هو الذي يحيي الناس بعد موتهم فهذا استدلال باحياء الموات على احياء الاموات (وهو على كل شئ قدير) اى وهو على كل شئ من المقدورات قادر وهذا من جملة المقدورات بدليل الانشاء (ولئن أرسلنا ريحا) أي الدبور (فرأوه) أي أثر رحمة الله لان رحمة الله هي الغيث وأثرها النبات ومن قرأ بالجمع رجع الضمير الى معناه لان معنى آثار الرحمة النبات واسم النبات يقع على القليل والكثير لانه مصدر سمي به ما ينبت (مصفرا) بعد اخضراره وقال مصفرا لان تلك صفرة حادثة وقيل فرأوا السحاب مصفرا لان السحاب الاصفر لا يمطر واللام في لئن موطئة للقسم دخلت على حرف الشرط فسد مسد جوابي القسم والشرط (لظلوا) ومعناه ليظلن (من بعده يكفرون) أي من بعد اصفراره أو من بعد الاستبشار ذمهم الله تعالى بانه اذا حبس عنهم المطر قنطوا من رحمته وضربوا أذقانهم على صدورهم مبلسين فاذا أصابهم برحمته ورزقهم المطر استبشروا فاذا أرسل ريحا فضرب زروعهم بالصفار ضجوا وكفروا بنعمة الله فهم في جميع هذه الاحوال على الصفة المذمومة وكان عليهم ان يتوكلوا على الله وفضله فقنطوا وان يشكروا نعمته ويحمدوه عليها ففرحوا وأن يصبروا على بلائه فكفروا (فانك لا تسمع الموتى) أي موتى القلوب أو هؤلاء في حكم الموتى فلا تطمع ان يقبلوا منك (ولا تسمع

للتأكيد والدلالة على تطاول عهدهم بالمطر واستحكام يأسهم وقيل الضمير للمطر او السحاب او الارسال ﴿لمبلسين﴾ لآيسين ﴿فانظر الى آثر رحمت الله﴾ اثر الغيث من النبات والاشجار وانواع الثمار ولذلك جمعه ابن عامر وحمزه و الكسائي وحفص ﴿كيف يحيي الارض بعد موتها﴾ و قرئ بالتاء على اسناده الى ضمير الرحمة ﴿ان ذلك﴾ يعني الذي قدر على احياء الارض بعد موتها ﴿لمحيي الموتى﴾ لقادر على احيائهم فانه احداث لمثل ما كان في مواد ابدانهم من القوى كما ان احياء الارض احداث لمثل ما كان فيها من القوى النباتية هذا و من المحتمل ان يكون من الكائنات الراهنة ما تكون من مواد ما تفتتت وتبددت من جنسها في بعض الاعوام السالفة ﴿وهو على كل شئ قدير﴾ لان نسبة قدرته الى جمع الممكنات على سواء ﴿ولئن ارسلنا ريحا فرأوه مصفرا﴾ فرأوا الاثر او الزرع فانه مدلول عليه بما تقدم وقيل السحاب لانه اذا كان مصفرا لم يمطر واللام موطئة للقسم دخلت على حرف الشرط وقوله ﴿لظلوا من بعده يكفرون﴾ جواب سد مسد الجزاء ولذلك فسر بالاستقبال وهذه الآيات ناعية على الكفار بقلة تثبتهم وعدم تدبرهم وسرعة تزلزلهم لعدم تفكرهم وسوء رأيهم فان النظر السوي يقتضي ان يتوكلوا على الله ويلتجئوا اليه بالاستغفار اذا احتبس القطر عنهم ولم ييئسوا من رحمته وان يبادروا الى الشكر والاستدامة بالطاعة اذا اصابهم برحمته ولم يفرطوا بالاستبشار وان يصبروا على بلائه اذا ضرب زروعهم بالاصفرار ولم يكفروا نعمه ﴿فانك لا تسمع الموتى﴾

لمبلسين ﴾ أي آيسين ﴿ فانظر الى آثار رحمت الله ﴾ أي المطر والمعنى انظر الى حسن تأثيره في الارض وهو قوله تعالى ﴿ كيف يحيي الارض بعد موتها ان ذلك لمحيي الموتى ﴾ يعني ان الذي أحيا الارض بعد موتها قادر على احياء الموتى ﴿ وهو على كل شئ قدير ولئن أرسلنا ريحا فرأوه مصفرا ﴾ أي الزرع بعد الخضرة ﴿ لظلوا من بعده ﴾ أي من بعد اصفرار الزرع ﴿ يكفرون ﴾ أي يجحدون ما سلف من النعمة والمعنى انهم يفرحون عند الخصب ولو أرسلت عذابا على زرعهم لجحدوا سالف نعمتي ﴿ فانك لا تسمع الموتى

(لمبلسين) آيسين من المطر (فانظر) يا محمد (الى آثار رحمت الله) قدام المطر وبعد المطر (كيف يحيي الارض بعد موتها) بعد قحطها ويبوستها (ان ذلك) الذي يحيي الارض بعد موتها (لمحيي الموتى) للبعث (وهو على كل شئ) من الحياة والموت والبعث للخلق (قدير ولئن أرسلنا ريحا) حارة أو باردة على الزرع (فرأوه) الزرع (مصفرا) متغيرا بعد خضرته (لظلوا) لصاروا (من بعده) من بعد صفرته (يكفرون) بالله وبنعمته يقول يقيمون على الكفر بالله وبنعمته (فانك لا تسمع الموتى) لا تفقه

(ولاتسمع الصم الدعاء)ولايسمع الصم مكى (اذاولوا مدبرين) فان قلت الاصم لايسمع مقبلا أومدبرا فمافائدة هذا التخصيص قلت هو اذا كان مقبلا يفهم بالرمز والاشارة فاذاولى لايسمع ولايفهم بالاشارة (وماأنت بهادى العمى)أى عمى القلوب وماأنت تهدى العمى حمزة (عن ضلالتهم)أى لايمكنك ان تهدى الاعمى الى طريق قدضل عنه باشارة منك له اليه (ان تسمع) ماتسمع(الامن يؤمن بآياتنافهم مسلمون)منقادون لاوامرالله تعالى (الله الذى خلقكم من ضعف)من النطف كقوله من ماءمهين (ثم جعل من بعدضعف قوة) يعنى حال الشباب وبلوغ الاشد (ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة)يعنى حال الشيخوخة والهرم (يخلق مايشاء) من ضعف وقوة وشباب وشيبة(وهوالعليم)باحوالهم (القدير) على تغييرهم وهذا الترديد فى الاحوال أبين دليل على الصانع العليم القدير فتح الضاد فى الكل عاصم وحمزة وضم غيرهما وهواختيار حفص وهما لغتان والضم أقوى فى القراءة لماروى عن ابن عمر قال قرأتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم من ضعف فاقرأنى من ضعف (ويوم تقوم الساعة)أى القيامة سميت بذلك لانها تقوم فى آخر ساعة من ساعات الدنيا أولانها تقع بغتة كما تقول فى ساعة لمن تستعجله وجرت علما لها كالنجم للثريا(يقسم المجرمون) يحلف الكافرون ولاوقف عليه لان (مالبثوا)

وهم مثلهم لماسدوا عن الحق مشاعرهم ﴿ولاتسمع الصم الدعاء اذاولوا مدبرين ﴾قيد الحكم به ليكون اشد استحالة فان الاصم المقبل وان لم يسمع الكلام تفطن منه بواسطة الحركات شيأ وقرأ ابن كثير بالياء مفتوحة ورفع الصم ﴿ وماانت بهادى العمى عن ضلالتهم ﴾ سماهم عميا لفقدهم المقصود الحقيقى من الابصار اولعمى قلوبهم وقرأ حمزة وحده تهدى العمى ﴿ان تسمع الامن يؤمن بآياتنا﴾ فان ايمانهم يدعوهم الى تلقى اللفظ وتدبر المعنى ويجوز ان يراد بالمؤمن المشارف للايمان ﴿فهم مسلمون﴾ لماتأمرهم به ﴿الله الذى خلقكم من ضعف ﴾ اى ابتدأكم ضعفاء وجعل الضعف اساس امركم كقوله خلق الانسان ضعيفا اوخلقكم من اصل ضعيف وهو النطفة ﴿ثم جعل من بعدضعف قوة﴾ وذلك اذابلغتم الحلم اوتعلق بابدانكم الروح ﴿ ثم جعل من بعدقوة ضعفا وشيبة﴾ اذا اخذمنكم السن وفتح عاصم وحمزة الضاد فى جميعها والضم اقوى لقول ابن عمر رضى الله عنه قرأتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم من ضعف فاقرأنى من ضعف وهما لغتان كالفقر والفقر والتنكير مع التكرير لان المتأخر ليس عين المتقدم ﴿يخلق مايشاء﴾ من ضعف وقوة وشيبة وشيبة ﴿وهو العليم القدير ﴾ فان الترديد فى الاحوال المختلفة مع امكان غيره دليل العلم والقدرة ﴿ويوم تقوم الساعة ﴾ القيامة سميت لانها تقوم فى آخر ساعة من ساعات الدنيا ولانها تقع بغتة وصارت علما لها بالغلبة كالكوكب للزهرة ﴿ يقسم المجرمون مالبثوا ﴾

ولاتسمع الصم الدعاء اذاولوا مدبرين وماأنت بهادى العمى عن ضلالتهم ان تسمع الامن يؤمن بآياتنافهم مسلمون ﴾ تقدم تفسيره ✽قوله تعالى ﴿ الله الذى خلقكم من ضعف ﴾أى بدأكم وانشأكم على ضعف وقيل من ماءذى ضعف وقيل هو اشارة الى احوال الانسان كان جنينا ثم طفلا مولودا ومفطوما فهذه أحوال غاية الضعف ﴿ ثم جعل من بعد ضعف قوة ﴾ أى من بعد ضعف الصغر شبابا وهو وقت القوة ﴿ ثم جعل من بعد قوة ضعفا ﴾ أى هرما ﴿ وشيبة ﴾ وهو تمام النقصان ﴿ يخلق مايشاء ﴾ أى من الضعف والقوة والشباب والشيبة وليس ذلك من أفعال الطبيعة بل بمشيئة الله وقدرته ﴿ وهو العليم ﴾ بتدبير خلقه ﴿ القدير ﴾ على مايشاء ✽ قوله تعالى ﴿ ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ﴾ أى يحلف المشركون ﴿ مالبثوا ﴾

الموتى من كأنه ميت (ولاتسمع الصم)المتصام (الدعاء) دعوتك الى الحق والهدى (اذاولوا)أعرضوا (مدبرين) عن الحق والهدى (وماأنت بهادى العمى عن ضلالتهم) الى الهدى (ان تسمع) ماتسمع دعوتك (الامن يؤمن بآياتنا) بكتابنا ورسولنا (فهم مسلمون) مخلصون له بالعبادة والتوحيد (الله الذى خلقكم من ضعف) من نطفة ضعيفة (ثم جعل من بعد ضعف قوة) رجلا شابا قويا (ثم جعل من بعدقوة ضعفا) هرما (وشيبة) شمطا بعد شباب (يخلق مايشاء) يحول خلقه كما يشاء من حال الى حال (وهو العليم) بخلقه (القدير) عليهم بتحويله (ويوم تقوم الساعة) وهو يوم القيامة (يقسم المجرمون) يحلف المشركون بالله (مالبثوا) فى القبور

فى القبور أوفى الدنيا (غيرساعة) جواب القسم استقلوا مدة لبثهم فى القبور أوفى الدنيا لهول يوم القيامة وطول مقامهم فى شدائدها أوينسون أو يكذبون (كذلك كانوا يؤفكون) أى مثل ذلك الصرف كانوا يصرفون عن الصدق الى الكذب فى الدنيا ويقولون ماهى الاحياتنا الدنيا ومانحن بمبعوثين (وقال الذين أوتوا العلم والايمان) هم الانبياء والملائكة والمؤمنون (لقد لبثتم فى كتاب الله) فى علم الله المثبت فى اللوح أوفى حكم الله وقضائه (الى يوم البعث) ردوا ماقالوه وحلفوا عليه وأطلعوهم على الحقيقة ثم وصلوا ذلك بتقريعهم على انكار البعث بقولهم (فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم) فى الدنيا (لاتعلمون) أنه حق لتفريطكم فى طلب الحق واتباعه والفاء لجواب شرط يدل عليه الكلام تقديره ان كنتم منكرين البعث فهذا يوم البعث الذى أنكرتموه (فيومئذ لاينفع) بالياء كوفى (الذين ظلموا) كفروا (معذرتهم) عذرهم (ولاهم يستعتبون) أى لايقال لهم ارضوا ربكم بتوبة من قولك استعتبنى فلان فاعتبته أى أسترضانى فارضيته (ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل

فى الدنيا اوفى القبور اوفيما بين فناء الدنيا والبعث وانقطاع عذابهم وفى الحديث مابين فناء الدنيا والبعث اربعون وهومحتمل للساعات والايام والاعوام ﴿غيرساعة﴾ استقلوا مدة لبثهم اضافة الى مدة عذابهم فى الآخرة اونسيانا ﴿كذلك﴾ مثل ذلك الصرف عن الصدق والتحقيق ﴿كانوا يؤفكون﴾ يصرفون فى الدنيا ﴿وقال الذين اوتوا العلم والايمان﴾ من الملائكة اومن الانس ﴿لقد لبثتم فى كتاب الله﴾ فى علمه اوقضائه اوماكتبه لكم اى اوجبه اواللواح اوالقرآن وهوقوله ومن ورائهم برزخ ﴿الى يوم البعث﴾ ردوابذلك ماقالوه وحلفوا عليه ﴿فهذا يوم البعث﴾ الذى انكرتموه ﴿ولكنكم كنتم لاتعلمون﴾ انه حق لتفريطكم فى النظر والفاء جواب شرط محذوف تقديره ان كنتم منكرين البعث فهذا يومه اى فقد تبين بطلان انكاركم ﴿فيومئذ لاتنفع الذين ظلموا معذرتهم﴾ وقرأ الكوفيون بالياء لان المعذرة بمعنى العذر اولان تأنيثها غيرحقيقى وقد فصل بينهما ﴿ولاهم يستعتبون﴾ لايدعون الى مايقتضى اعتابهم اى ازالة عتبهم من التوبة والطاعة كما دعوا اليه فى الدنيا من قولهم استعتبنى فلان فاعتبته اى استرضانى فارضيته ﴿ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل﴾ ولقد وصفناهم فيه بانواع الصفات التى

أى فى الدنيا ﴿غير ساعة﴾ معناه انهم استقلوا أجل الدنيا لما عاينوا الآخرة وقيل معناه مالبثوا فى قبورهم غير ساعة ﴿كذلك كانوا يؤفكون﴾ أى يصرفون عن الحق فى الدنيا وذلك انهم كذبوا فى قولهم مالبثوا غير ساعة كما كذبوا فى الدنيا ان لايبعثوا والمعنى ان الله أراد أن يفضحهم فحلفوا على شئ تبين لاهل الجمع انهم كاذبون فيه وكان ذلك بقضاء الله وقدره ❊ ثم ذكر انكار المؤمنين عليهم كذبهم فقال تعالى ﴿وقال الذين أوتوا العلم والايمان لقد لبثتم فى كتاب الله الى يوم البعث﴾ أى فيما كتب الله لكم فى سابق علمه من اللبث فى القبور وقيل معنى الآية وقال الذين أتو العلم فى كتاب الله والايمان يعنى الذين يقيمون كتاب الله قالوا للمنكرين قد لبثتم الى يوم البعث أى فى قبوركم ﴿فهذا يوم البعث﴾ أى الذى كنتم تنكرونه فى الدنيا ﴿ولكنكم كنتم لاتعلمون﴾ أى وقوعه فى الدنيا فلا ينفعكم العلم به الآن بدليل قوله تعالى ﴿فيومئذ لاتنفع الذين ظلموا معذرتهم ولاهم يستعتبون﴾ أى لاتطلب منهم العتبى والرجوع فى الآخرة وقيل لاتطلب منهم التوبة التى تزيل الجريمة لانها لاتقبل منهم ❊ قوله تعالى ﴿ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل﴾ فيه اشارة الى ازالة الاعذار والاتيان بما فوق

(غيرساعة) غيرقدر ساعة (كذلك) كما كانوا يكذبون فى الآخرة (كانوا يؤفكون) يكذبون فى الدنيا (وقال الذين أوتوا العلم والايمان) أكرموا بالعلم والايمان (لقد لبثتم) فى القبور (فى كتاب الله) بكتاب الله وهم الملائكة ويقال هم النبيون ويقال هم المخلصون فى ايمانهم يقولون للكفار (الى يوم البعث) الى يوم يبعثون من القبور (فهذا يوم البعث) يوم القيامة (ولكنكم كنتم) فى الدنيا (لاتعلمون) ذلك ولا تصدقون (فيومئذ) وهو يوم القيامة (لاينفع الذين ظلموا) أشركوا (معذرتهم) اعتذارهم من ذنب (ولاهم يستعتبون) ولاهم يرجعون عن سيئة ولاهم يردون الى الدنيا (ولقد ضربنا) بينا (للناس فى هذا القرآن من كل مثل) ﴿ الكفاية ﴾

ولئن جئتهم بآية ليقولن الذين كفروا ان أنتم الا مبطلون) أي ولقد وصفنا لهم كل صفة كأنها مثل في غرابتها وقصصنا عليهم كل قصة عجيبة الشأن كصفة المبعوثين يوم القيامة وقصتهم وما يقولون وما يقال لهم وما لا ينفع من اعتذارهم ولا يسمع من استعتابهم ولكنهم لقسوة قلوبهم

اذا جئتهم بآية من آيات القرآن قالوا جئتنا

هي في الغرابة كالامثال مثل صفة المبعوثين يوم القيامة وما يقولون وما يقال لهم وما لا يكون لهم من الانتفاع بالمعذرة والاستعتاب او بينا لهم من كل مثل ينبئهم على التوحيد والبعث وصدق الرسول ﴿ولئن جئتهم بآية﴾ من آيات القرآن ﴿ليقولن الذين كفروا﴾ من فرط عنادهم وقساوة قلوبهم ﴿ان انتم﴾ يعنون الرسول والمؤمنين ﴿الا مبطلون﴾ مزورون ﴿كذلك﴾ مثل ذلك الطبع ﴿يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون﴾ لا يطلبون العلم ويصرون على خرافات اعتقدوها فان الجهل المركب يمنع ادراك الحق ويوجب تكذيب المحق ﴿فاصبر﴾ يا محمد على اذاهم ﴿ان وعد الله﴾ بنصرتك واظهار دينك على الدين كله ﴿حق﴾ لا بد من انجازه ﴿ولا يستخفنك﴾ ولا يحملنك على الخفة والقلق ﴿الذين لا يوقنون﴾ بتكذيبهم وايذائهم فانهم شاكون ضالون لا يستبدع منهم ذلك وعن يعقوب تخفيف النون وقرئ ولا يستحقنك اي لا يزيغوك فيكونوا احق بك من المؤمنين عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة الروم كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل ملك يسبح الله بين السماء والارض وادرك ما ضيع في يومه وليلته

سورة لقمان مكية وقيل الا آية وهي الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكوة فان وجوبهما بالمدينة وهو ضعيف لانه لا ينافي شرعيتهما بمكة وقيل الا ثلاثا من قوله ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام وآيها اربع وثلاثون وقيل ثلاث وثلاثون آية

الكفاية من الانذار ﴿ولئن جئتهم بآية ليقولن الذين كفروا ان أنتم الا مبطلون﴾ يعني ما أنتم الا على باطل وذلك على سبيل العناد * فان قلت ما معنى توحيد الخطاب في قوله ولئن جئتهم والجمع في قوله ان أنتم الا مبطلون * قلت فيه لطيفة وهي ان الله تعالى قال ولئن جئتهم بكل آية جاءت بها الرسل ويمكن أن يقال معناه انكم كلكم ايها الرسل مبطلون ﴿كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون﴾ أي توحيد الله ﴿فاصبر ان وعد الله حق﴾ أي في نصرك واظهارك على عدوك ﴿ولا يستخفنك﴾ أي لا يحملنك على الجهل وقيل لا يستخفن رأيك ﴿الذين لا يوقنون﴾ اي بالبعث والحساب والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده

تفسير سورة لقمان وهي مكية واربع وثلاثون آية وخمسمائة وثمان وأربعون كلمة وألفان ومائة وعشرة أحرف

بزور وباطل (كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون) أي مثل ذلك الطبع وهو الختم يطبع الله على قلوب الجهلة الذين علم الله منهم اختيار الضلال حتى يسموا المحقين مبطلين وهم أعرف خلق الله في تلك الصفة (فاصبر) على أذاهم اوعداوتهم (ان وعد الله) بنصرتك على أعدائك واظهار دين الاسلام على كل دين (حق) لا بد من انجازه والوفاء به (ولا يستخفنك الذين لا يوقنون) أي لا يحملنك هؤلاء الذين لا يوقنون بالآخرة على الخفة والعجلة في الدعاء عليهم بالعذاب أو لا يحملنك على الخفة والقلق جزعا مما يقولون ويفعلون فانهم ضلال شاكون لا يستبدع منهم ذلك ولا يستخفنك بسكون النون عن يعقوب والله الموفق للصواب

سورة لقمان مكية وهي ثلاث أو أربع وثلاثون آية

من كل وجه (ولئن جئتهم بآية) من السماء كما طلبوا (ليقولن الذين كفروا) كفار مكة (ان أنتم) ما أنتم يا معشر المؤمنين (الا مبطلون) كاذبون (كذلك) هكذا (يطبع الله) يختم الله (على قلوب الذين لا يعلمون) توحيد الله ولا يصدقون به (فاصبر) يا محمد (ان وعد الله) بالنصرة والدولة لك وبهلاكهم (حق) كائن صدق (ولا يستخفنك) لا يستزلنك عن الايمان يوم القيامة (الذين لا يوقنون) لا يصدقون وهم أهل مكة

ومن السورة التي يذكر فيها لقمان وهي كلها مكية آياتها أربع وثلاثون وكلماتها سبعمائة وثمان وأربعون وحروفها ألفان ومائة وعشرة أحرف

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ .(الم تلك آيات الكتاب الحكيم) ذى الحكمة أو وصفه بصفة الله عز وجل على الاسناد المجازى (هدى ورحمة) حالان من الآيات والعامل معنى الاشارة فى تلك حمزة بالرفع على أن تلك مبتدأ وآيات الكتاب خبره وهدى خبر بعد خبر أو خبر مبتدأ محذوف أى هو أو هى هدى ورحمة (للمحسنين) للذين يعملون الحسنات المذكورة فى قوله (الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم بالآخرة هم يوقنون) ونظيره قول أوس * الالمعى الذى يظن بك الظن * كأن قد رأى وقد سمعا أو للذين يعملون جميع ما يحسن ثم خص منهم القائمين بهذه الثلاثة لفضلها (أولئك على هدى) مبتدأ وخبر (من ربهم) صفة لهدى (وأولئك هم المفلحون) عطف عليه (ومن الناس من يشترى لهوا لحديث) نزلت فى النضر بن الحرث وكان يشترى أخبار الاكاسرة من فارس ويقول ان محمدا يقص طرفا من قصة عاد وثمود فانا أحدثكم باحاديث الاكاسرة فيميلون الى حديثه ويتركون استماع القرآن واللهو كل باطل ألهى عن الخير وعما يعنى ولهو الحديث نحو السمر بالاساطير التى لا أصل لها والغناء وكان ابن مسعود وابن عباس رضى الله عنهما يحلفان أنه الغناء وقيل الغناء مفسدة للقلب منفدة للمال مسخطة للرب وعن النبى صلى الله عليه وسلم مامن رجل يرفع صوته بالغناء الابعث الله عليه شيطانين أحدهما على هذا المنكب والآخر على هذا المنكب

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿الم تلك آيات الكتاب الحكيم﴾ سبق بيانه فى يونس ﴿هدى ورحمة للمحسنين﴾ حالان عن الآيات والعامل فيهما معنى الاشارة ورفعها حمزة على الخبر بعد الخبر اوالخبر محذوف ﴿الذين يقيمون الصلوة ويوتون الزكوة وهم بالآخرة هم يوقنون﴾ بيان لاحسانهم اوتخصيص لهذه الثلاثة من شعبه لفضل اعتداد بها وتكرير الضمير للتوكيد ولما حيل بينه وبين خبره ﴿اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون﴾ لاستجماعهم العقيدة الحقة والعمل الصالح ﴿ومن الناس من يشترى لهو الحديث﴾ ما يلهى عما يعنى كالاحاديث التى لا اصل لها والاساطير التى لا اعتبار فيها والمضاحيك وفضول الكلام والاضافة بمعنى من وهى تبيينية ان اراد بالحديث المنكر وتبعيضية ان اراد به الاعم منه

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عز وجل ﴿الم تلك آيات الكتاب الحكيم هدى ورحمة للمحسنين﴾ أى الذين يعملون الحسنات ثم ذكرهم فقال ﴿الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم بالآخرة هم يوقنون أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون﴾ * قوله تعالى ﴿ومن الناس من يشترى لهو الحديث﴾ الآية قيل نزلت فى النضر بن الحرث بن كلدة وكان يتجر فيأتى الحيرة ويشترى أخبار العجم ويحدث بها قريشا ويقول ان محمدا يحدثكم بحديث عاد وثمود وأنا أحدثكم بحديث رستم واسفنديار وأخبار الاكاسرة فيستمعون حديثه ويتركون استماع القرآن فانزل الله هذه الآية وقيل هو شراء القينات والمغنين ومعنى الآية ومن الناس من يشترى ذات لهو أوذا لهو الحديث وروى البغوى باسناد الثعلبى عن أبى امامة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل تعليم المغنيات ولا بيعهن وأثمانهن حرام وفى مثل ذلك نزلت هذه الآية ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله ومامن رجل يرفع صوته بالغناء الابعث الله له شيطانين أحدهما على هذا المنكب والآخر على هذا المنكب فلا يزالان يضربانه بارجلهما حتى يكون هو الذى يسكت أخرجه الترمذى وهذا لفظه عن أبى اسامة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تبيعوا القينات المغنيات ولا تشتروهن ولا تعلموهن

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (الم) يقول انا الله أعلم ويقال قسم اقسم به (تلك) ﴿ولاخير﴾ آيات الكتاب الحكيم) ان هذه السورة آيات القرآن المبين للحلال والحرام والامر والنهى (هدى) من الضلالة (ورحمة) من العذاب (للمحسنين) المخلصين الموحدين (الذين يقيمون الصلوة) يتمون الصلوات الخمس بوضوئها وركوعها وسجودها وما يجب فيها فى مواقيتها (ويؤتون الزكوة) يعطون زكاة أموالهم (وهم بالآخرة) بالبعث بعد الموت (هم يوقنون) يصدقون (أولئك على هدى) على بيان وكرامة (من ربهم وأولئك هم المفلحون) الناجون من السخط والعذاب (ومن الناس وهو نضر بن الحرث (من يشترى لهو الحديث) أباطيل الحديث وكتب الاساطير والشمس والنجوم والحساب والغنا

فلا يزالان يضربانه بأرجلهما حتى يكون هو الذي يسقط والاشتراء من الشراء كما روى عن النضر أو من قوله اشتروا الكفر بالايمان أي استبدلوه منه واختاروه عليه أي يختارون حديث الباطل على حديث الحق واضافة اللهو الى الحديث للتبيين بمعنى من لان اللهو يكون من الحديث ومن غيره فبين بالحديث والمراد بالحديث الحديث المنكر كما جاء في الحديث الحديث في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش أو للتبعيض كانه قيل ومن الناس من يشترى بعض الحديث الذي هو اللهو منه (ليضل) أي ليصد الناس عن الدخول في الاسلام واستماع القرآن ليضل مكي وأبو عمرو أي ليثبت على ضلاله الذي كان عليه ويزيد فيه (عن سبيل الله) عن دين الاسلام والقرآن (بغير علم) أي جهلا منه بما عليه من الوزر به (ويتخذها) أي السبيل بالنصب كوفي غير أبي بكر عطفا على ليضل ومن رفع عطفه على يشترى (هزوا) بسكون الزاى والهمزة حمزة وبضم الزاى بلا همز حفص وغيرهم بضم الزاى والهمزة (أولئك لهم عذاب مهين) أي يهينهم ومن لابهامه يقع على الواحد والجمع أي النضر وأمثاله (واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا) أعرض عن تدبرها متكبرا رافعا نفسه عن الاصغاء الى القرآن (كأن لم يسمعها) يشبه حاله في ذلك حال من لم يسمعها وهو حال من مستكبرا والاصل كانه والضمير ضمير الشأن (كأن في أذنيه وقرا) ثقلا وهو حال من لم يسمعها أذنيه نافع (فبشره بعذاب أليم

وقيل نزلت في النضر بن الحارث اشترى كتب الاعاجم وكان يحدث بها قريشا ويقول ان كان محمد يحدثكم بحديث عاد وثمود فانا احدثكم بحديث رستم واسفنديار والاكاسرة وقيل كان يشترى القيان ويحملهن على معاشرة من اراد الاسلام ومنعه عنه ﴿ليضل عن سبيل الله﴾ دينه او قراءة كتابه * وقرأ ابن كثير وابو عمرو بفتح الياء بمعنى ليثبت على ضلاله ويزيد فيه ﴿بغير علم﴾ بحال ما يشتريه او بالتجارة حيث استبدل اللهو بقراءة القرآن ﴿ويتخذها هزؤا﴾ ويتخذ السبيل سخرية وقد نصبه حمزة والكسائى ويعقوب وحفص عطفا على ليضل ﴿اولئك لهم عذاب مهين﴾ لاهانتهم الحق باستئثار الباطل عليه ﴿واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا﴾ متكبرا لا يعبأ بها ﴿كأن لم يسمعها﴾ مشابها حاله حال من لم يسمعها ﴿كأن في اذنيه وقرا﴾ مشابها من في اذنيه ثقل لا يقدر ان يسمع والاولى حال من المستكن في ولى او مستكبرا والثانية بدل منها او حال من المستكن في لم يسمعها ويجوز ان يكونا استئنافين ﴿فبشره بعذاب اليم﴾ اعلمه بان العذاب يحيقه لا محالة * وقرأ

ولا خير في تجارة فيهن وثمنهن حرام وفي مثل هذا نزلت ومن الناس من يشترى لهو الحديث الآية وعن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن ثمن الكلب وكسب المزمار وقال مكحول من اشترى جارية ضرابة ليمسكها لغنائها وضربها مقيما عليه حتى يموت لم أصل عليه ان الله تعالى يقول ومن الناس من يشترى لهو الحديث الآية وعن ابن مسعود وابن عباس والحسن وعكرمة وسعيد بن جبير قالوا لهو الحديث هو الغناء والآية نزلت فيه ومعنى يشترى يستبدل ويختار الغناء والمزامير والمعازف على القرآن وقال أبو الصهباء سألت ابن مسعود عن هذه الآية فقال هو الغناء والله الذي لا اله الا هو يرددها ثلاث مرات وقال ابراهيم النخعى الغناء ينبت النفاق وقيل هو كل لهو ولعب وقيل هو الشرك ﴿ليضل عن سبيل الله﴾ أي عن دين الاسلام وسماع القرآن ﴿بغير علم﴾ أي يفعله عن جهل وحسب المرء من الضلالة أن يختار حديث الباطل على حديث الحق ﴿ويتخذها هزوا﴾ أي يتخذ آيات الله مزحا ﴿أولئك﴾ يعنى الذين هذه صفتهم ﴿لهم عذاب مهين واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا﴾ أي لا يعبأ بها ولا يرفع لها رأسا ﴿كأن لم يسمعها﴾ أي يشبه حاله في ذلك حال من لم يسمعها وهو سامع ﴿كأن في أذنيه وقرا﴾ أي ثقلا ولا وقر فيهما ﴿فبشره بعذاب أليم

ويقال هو الشرك بالله (ليضل) بذلك (عن سبيل الله) عن دين الله وطاعته (بغير علم) بلا علم ولا حجة (ويتخذها هزوا) سخرية (أولئك لهم عذاب مهين) شديد (واذا تتلى) تقرأ (عليه آياتنا) بالامر والنهى (ولى مستكبرا) رجع متعظما عن الايمان بها (كأن لم يسمعها) لم يعها (كأن في أذنيه وقرا) صمما (فبشره) يا محمد (بعذاب اليم) وجيع يوم بدر فقتل يوم بدر صبرا

ان الذين أمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم) ولاوقف عليه لان (خالدين فيها) حال من الضمير فى لهم (وعد الله حقا) مصدران مؤكدان الأول مؤكد لنفسه والثانى مؤكد لغيره اذ لهم جنات النعيم فى معنى وعدهم الله جنات النعيم فأكد معنى الوعد بالوعد وحقا يدل على معنى الثبات فأكد به معنى الوعد ومؤكدهما لهم جنات النعيم (وهو العزيز) الذى لايغلبه شئ فيهين أعداءه بالعذاب المهين (الحكيم) بما يفعل فيثيب أولياءه بالنعيم المقيم (خلق السموات بغير عمد) جمع عماد (ترونها) الضمير للسموات

وهو استشهاد برؤيتهم لها غير معمودة على قوله بغير عمد كما تقول لصاحبك أنا بلا سيف ولا رمح ترانى ولا محل لها من الاعراب لانها مستأنفة أو فى محل الجر صفة لعمد أى بغير عمد مرئية يعنى انه عمدها بعمد لاترى وهى امساكها بقدرته (وألقى فى الارض رواسى) جبالا ثوابت (أن تميد بكم) لئلا تضطرب بكم (وبث) ونشر (فيها من كل دابة وأنزلنا من السماء ماء فانبتنا فيها من كل زوج) صنف (كريم) حسن (هذا) اشارة الى ماذكر من مخلوقاته (خلق الله) أى مخلوقه (فارونى ماذا خلق الذين من دونه) يعنى آلهتهم بكتهم بان هذه الاشياء العظيمة مما خلقه الله فارونى ماخلقته آلهتكم حتى استوجبوا عندكم

نافع فى اذنيه وذكر البشارة على التهكم ﴿ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم﴾ اى لهم نعيم جنات فعكس للمبالغة ﴿خالدين فيها﴾ حال من الضمير فى لهم او من جنات والعامل ماتعلق به اللام ﴿وعد الله حقا﴾ مصدران مؤكدان الاول لنفسه والثانى لغيره لان قوله لهم جنات وعد وليس كل وعد حقا ﴿وهو العزيز﴾ الذى لايغلبه شئ فيمنعه عن انجاز وعده ووعيده ﴿الحكيم﴾ الذى لايفعل الا ماتستدعيه حكمته ﴿خلق السموات بغير عمد ترونها﴾ استئناف وقد سبق فى الرعد ﴿والقى فى الارض رواسى﴾ جبالا شوامخ ﴿ان تميد بكم﴾ كراهة ان تميل بكم فان بساطة اجزائها تقتضى تبدل احيازها واوضاعها لامتناع اختصاص كل منها لذاته اولشئ من لوازمه بحيز ووضع معينين ﴿وبث فيها من كل دابة وانزلنا من السماء ماء فانبتنا فيها من كل زوج كريم﴾ من كل صنف كثير المنفعة وكأنه استدل بذلك على عزته التى هى كمال القدرة وحكمته التى هى كمال العلم ومهد به قاعدة التوحيد وقررها بقوله ﴿هذا خلق الله فأرونى ماذا خلق الذين من دونه﴾ هذا الذى ذكر مخلوقه فماذا خلق آلهتكم حتى

ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم خالدين فيها وعد الله حقا﴾ يعنى وعدهم الله ذلك وعدا حقا وهو لايخلف الميعاد ﴿وهو العزيز الحكيم﴾ ﴿قوله تعالى ﴿خلق السموات بغير عمد﴾ قيل ان السماء خلقت مبسوطة كصحفة مستوية وهو قول المفسرين وهى فى الفضاء والفضاء لانهاية له وكون السماء فى بعضه دون بعض ليس ذلك الا بقدرة قادر مختار واليه الاشارة بقوله بغير عمد ﴿ترونها﴾ أى ليس لها شئ يمنعها الزوال من موضعها وهى ثابتة لاتزول وليس ذلك الا بقدرة الله تعالى وفى قوله ترونها وجهان أحدهما انه راجع الى السموات أى ليست هى بعمد وأنتم ترونها كذلك بغير عمد الوجه الثانى انه راجع الى العمد ومعناه بغير عمد مرئية ﴿وألقى فى الارض رواسى أن تميد بكم﴾ أى لئلا تتحرك بكم ﴿وبث فيها﴾ أى فى الارض ﴿من كل دابة﴾ أى يسكنون فيها ﴿وأنزلنا من السماء ماء﴾ يعنى المطر وهو من انعام الله على عباده وفضله ﴿فأنبتنا فيها من كل زوج كريم﴾ أى من كل صنف حسن ﴿هذا﴾ يعنى الذى ذكرت مما تعاينون ﴿خلق الله فارونى ماذا خلق الذين من دونه﴾ أى آلهتكم التى تعبدونها

(ان الذين آمنوا) بمحمد عليه السلام والقرآن (وعملوا الصالحات) الطاعات فيما بينهم وبين ربهم (لهم جنات النعيم) لايفنى نعيمها (خالدين (بل) فيها) مقيمين فيها لايموتون ولايخرجون منها (وعد الله) المؤمنين بالجنة (حقا) صدقا (وهو العزيز) فى ملكه وسلطانه (الحكيم) فى أمره وقضائه (خلق) الله (السموات بغير عمد ترونها) بلا عمد ويقال بعمد لاترونها (وألقى فى الارض) خلق للارض (رواسى) الجبال الثوابت أوتادا لها (أن تميد بكم) لكى لاتميد بكم (وبث فيها) خلق وبسط فى الارض (من كل دابة) فيها الروح (وأنزلنا من السماء ماء) مطرا (فأنبتنا فيها) فى الارض (من كل زوج) لون (كريم) حسن (هذا خلق الله) هذا مخلوقى أنا خلقته (فأرونى ماذا خلق الذين من دونه) من دون الله

استحقوا مشاركته وماذا نصب بخلق او ما مرتفع بالابتداء وخبره ذا بصلته وارونى معلق عنه ﴿ بل الظالمون فى ضلال مبين ﴾ اضراب عن تبكيتهم الى التسجيل عليهم بالضلال الذى لا يخفى على ناظر ووضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على انهم ظالمون باشراكهم ﴿ ولقد آتينا لقمان الحكمة ﴾ يعنى لقمان بن باعوراء من اولاد آزر بن اخت ايوب او خالته وعاش الف سنة حتى ادرك داود واخذ منه العلم وكان يفتى قبل مبعثه والجمهور على انه كان حكيما ولم يكن نبيا والحكمة فى عرف العلماء استكمال النفس الانسانية باقتباس العلوم النظرية واكتساب الملكة التامة على الافعال الفاضلة على قدر طاقتها ومن حكمته انه صحب داود شهورا وكان يسرد الدرع فلم يسأله عنها فلما اتمها لبسها وقال نعم لبوس الحرب انت فقال الصمت حكم وقليل فاعله وان داود قال له يوما كيف اصبحت فقال اصبحت فى يدى غيرى فتفكر داود فيه فصعق صعقة وانه امر بان يذبح شاة ويأتى باطيب مضغتين منها فاتى باللسان والقلب ثم بعد ايام امر بان يأتى باخبث مضغتين منها فأتى بهما ايضا فسأله عن ذلك فقال هما اطيب شئ اذا طابا واخبث شئ اذا خبثا ﴿ ان اشكر الله ﴾ لان اشكر او اى اشكر فان ايتاء الحكمة فى معنى القول

﴿ بل الظالمون فى ضلال مبين ﴾ قوله عز وجل ﴿ ولقد آتينا لقمان الحكمة ﴾ قيل هو لقمان بن باعوراء ابن ناحور بن تارخ وهو آزر وقيل كان ابن أخت أيوب وقيل كان ابن خالته وقيل انه عاش ألف سنة حتى أدرك داود وقيل انه كان قاضيا فى بنى اسرائيل واتفق العلماء على انه كان حكيما ولم يكن نبيا الا عكرمة فانه قال كان نبيا وقيل خير بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة وروى انه كان نائما نصف الليل فنودى يا لقمان هل لك أن نجعلك خليفة فى الارض فتحكم بين الناس فاجاب الصوت فقال ان خيرنى ربى قبلت العافية ولم أقبل البلاء وان عزم على فسمعا وطاعة وانى أعلم ان الله ان فعل بى ذلك أعاننى وعصمنى فقالت الملائكة بصوت لا يراهم لم يا لقمان قال ان الحاكم باشد المنازل وأكدرها يغشاه الظلم من كل مكان ان عدل فبالحرى ان ينجو وان أخطأ الطريق أخطأ طريق الجنة ومن يكن فى الدنيا ذليلا خير من أن يكون شريفا ومن يختر الدنيا على الآخرة تفتنه الدنيا ولم يصب الآخرة فعجبت الملائكة من حسن منطقه فنام نومة فاعطى الحكمة فانتبه وهو يتكلم بها ثم نودى داود بعده فقبلها ولم يشترط ما اشترط لقمان فهوى فى الخطيئة غير مرة كل ذلك يعفو الله عنه وكان لقمان يوازر داود بحكمته وقيل كان لقمان عبدا حبشيا نجارا وقيل كان خياطا وقيل كان راعى غنم فروى انه لقيه رجل وهو يتكلم بالحكمة فقال ألست فلانا الراعى قال بلى قال فبم بلغت ما بلغت قال بصدق الحديث وأداء الامانة وترك ما لا يعنينى وقيل كان عبدا أسود عظيم الشفتين مشقق القدمين وقيل خير السودان بلال بن رباح ومهجع مولى عمر ولقمان والنجاشى رابعهم أوتى الحكمة والعقل والفهم وقيل العلم والعمل به ولا يسمى الرجل حكيما حتى يجمعهما وقيل الحكمة المعرفة والاصابة فى الامور وقيل الحكمة شئ يجعله الله فى القلب ينوره كما ينور البصر فيدرك المبصر ﴿ وقوله ﴿ أن اشكر الله ﴾

الى التسجيل عليهم بالتورط فى ضلال ليس بعده ضلال (ولقد آتينا لقمان الحكمة) وهو لقمان بن باعوراء ابن أخت أيوب او ابن خالته وقيل كان من أولاد آزر وعاش ألف سنة وأدرك داود عليه السلام وأخذ منه العلم وكان يفتى قبل مبعث داود عليه السلام فلما بعث قطع الفتوى فقيل له فقال ألا أكتفى اذا كفيت وقيل كان خياطا وقيل نجارا وقيل راعيا وقيل كان قاضيا فى بنى اسرائيل وقال عكرمة والشعبى كان نبيا والجمهور على انه كان حكيما ولم يكن نبيا وقيل خير بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة وهى الاصابة فى القول والعمل وقيل تتلمذ لالف نبى وتتلمذ له ألف نبى وان فى (أن اشكر لله) مفسرة والمعنى أى اشكر لله لان ايتاء الحكمة فى معنى القول وقد نبه الله تعالى على ان الحكمة الاصلية والعلم الحقيقى هو العمل بهما وعبادة الله والشكر له حيث فسر ايتاء الحكمة بالحث على الشكر وقيل لا يكون الرجل حكيما حتى يكون

يعنى الاوثان (بل الظالمون) المشركون (فى ضلال مبين) فى خطأ بين (ولقد آتينا) أعطينا (لقمان الحكمة) العلم والفهم واصابة القول والفعل (أن اشكر لله) بالتوحيد والطاعة

حكيما فى قوله وفعله ومعاشرته وصحبته وقال السرى السقطى الشكر أن لا تعصى الله بنعمه وقال الجنيد أن لا ترى معه شريكا فى نعمه وقيل هو الاقرار بالعجز عن الشكر والحاصل ان شكر القلب المعرفة وشكر اللسان الحمد وشكر الاركان الطاعة ورؤية العجز فى الكل دليل قبول الكل (ومن يشكر فانما يشكر لنفسه) لان منفعته تعود اليه فهو يريد المزيد (ومن كفر) النعمة (فان الله غنى) غير محتاج الى الشكر (حميد) حقيق بان يحمد وان لم يحمده أحد (واذ) أى واذكر اذ (قال لقمان لابنه) انعم أو اشكم (وهو يعظه يابنى) بالاسكان مكى يابنى حفص بفتحه فى كل القرآن (لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم) لانه تسوية بين من لا نعمة الا وهى منه ومن لا نعمة له أصلا (ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن) أى حملته تهن وهنا على وهن أى تضعف ضعفا فوق ضعف أى يتزايد ضعفها ويتضاعف لان الحمل كلما ازداد أو عظم ازدادت ثقلا وضعفا (وفصاله فى عامين) أى فطامه عن الرضاع لتمام عامين (أن اشكر لى ولوالديك) هو تفسير لوصينا أى وصيناه بشكرنا وبشكر والديه وقوله حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين اعتراض بين المفسر والمفسر لانه لما وصى بالوالدين ذكر ما تكابده الام وتعانيه

﴿ومن يشكر فانما يشكر لنفسه﴾ لان نفعه عائد اليها وهو دوام النعمة واستحقاق مزيدها ﴿ومن كفر فان الله غنى﴾ لا يحتاج الى الشكر ﴿حميد﴾ حقيق بالحمد وان لم يحمد او محمود نطق بحمده جميع مخلوقاته بلسان الحال ﴿واذ قال لقمان لابنه﴾ انعم او اشكم او ماثان ﴿وهو يعظه يابنى﴾ تصغير اشفاق * وقرأ ابن كثير يابنى لا تشرك بالله باسكان الياء وقنبل يابنى اقم الصلاة باسكان الياء وحفص فيهما وفى يابنى انها ان تك بفتح الياء والبزى مثله فى الاخير * وقرأ الباقون فى الثلاثة بكسر الياء ﴿لا تشرك بالله﴾ قيل كان كافرا فلم يزل به حتى اسلم ومن وقف على لا تشرك جعل بالله قسما ﴿ان الشرك لظلم عظيم﴾ لانه تسوية بين من لا نعمة الا منه ومن لا نعمة منه ﴿ووصينا الانسان بوالديه حملته امه وهنا﴾ ذات وهن او تهن وهنا ﴿على وهن﴾ اى تضعف ضعفا فوق ضعف فانها لا تزال يتضاعف ضعفها والجملة فى موضع الحال * وقرئ بالتحريك يقال وهن يهن وهنا ووهن يوهن وهنا ﴿وفصاله فى عامين﴾ وفطامه فى انقضاء عامين وكانت ترضعه فى تلك المدة وقرئ وفصله وفيه دليل على ان اقصى مدة الرضاع حولان ﴿ان اشكر لى ولوالديك﴾

وذلك لان المراد من العلم العمل به والشكر عليه ﴿ومن يشكر فانما يشكر لنفسه﴾ أى عليه يعود نفع ذلك وكذلك كفرانه ﴿ومن كفر﴾ عليه يعود وبال كفره ﴿فان الله غنى﴾ أى غير محتاج الى شكر الشاكرين ﴿حميد﴾ أى هو حقيق بان يحمد وان لم يحمده أحد * قوله تعالى ﴿واذ قال لقمان لابنه﴾ قيل اسمه أنعم وقيل أشكم ﴿وهو يعظه﴾ وذلك لان أعلى مراتب الانسان أن يكون كاملا فى نفسه مكملا لغيره فقوله ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله اشارة الى الكمال وقوله واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه اشارة الى التكميل لغيره وبدأ بالاقرب اليه وهو ابنه وبدأ فى وعظه بالاهم وهو المنع من الشرك وهو قوله ﴿يابنى لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم﴾ لان التسوية بين من يستحق العبادة وبين من لا يستحقها ظلم عظيم لانه وضع العبادة فى غير موضعها * قوله عز وجل ﴿ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن﴾ قال ابن عباس شدة بعد شدة وقيل ان المرأة اذا حملت توالى عليها الضعف والتعب والمشقة وذلك لان الحمل ضعف والطلق ضعف والوضع ضعف والرضاعة ضعف ﴿وفصاله فى عامين﴾ أى فطامه فى سنتين ﴿أن أشكر لى ولوالديك﴾

(ومن يشكر) نعمته بالتوحيد والطاعة (فانما يشكر) بالتوحيد والطاعة (لنفسه) الثواب (ومن كفر) نعمته (فان الله غنى) عن شكره (حميد) فى فعاله (واذ قال لقمان لابنه) (الى سلام (وهو يعظه) ينهاه عن الشر ويأمره بالخير (يابنى لا تشرك بالله ان الشرك) بالله (لظلم عظيم) لذنب عظيم عقوبته عند الله (ووصينا الانسان) سعد بن أبى وقاص (بوالديه) برابهما (حملته أمه) فى بطنها (وهنا على وهن) ضعفا على ضعف وشدة على شدة ومشقة على مشقة كلما كبر الولد فى بطنها كان أشد عليها (وفصاله) فطامه (فى عامين) فى سنتين (ان اشكر لى) بالتوحيد والطاعة (ولوالديك) بالتربية

ن المشاق فى حمله وفصاله هذه المدة الطويلة تذكيرا بحقها العظيم مفردا وعن ابن عيينة من صلى الصلوات الخمس فقد شكر الله ومن دعا للوالدين فى أدبار الصلوات الخمس فقد شكرهما (الى المصير) أى مصيرك الى وحسابك على (وان جاهداك على ان تشرك بى ماليس لك به علم) أراد بنفى العلم به نفيه أى لا تشرك بى ماليس بشئ يريد الاصنام (فلا تطعهما) فى الشرك (وصاحبهما فى الدنيا معروفا)

صفة مصدر محذوف أى صحابا معروفا حسنا بخلق جميل وحلم واحتمال وبر وصلة (واتبع سبيل من أناب الى) أى سبيل المؤمنين فى دينك ولا تتبع سبيلهما فيه وان كنت مأمورا بحسن مصاحبتهما فى الدنيا وقال ابن عطاء صاحب من ترى عليه أنوار خدمتى (ثم الى مرجعكم) أى مرجعك ومرجعهما (فانبئكم بما كنتم تعملون) فاجازيك على ايمانك وأجازيهما على كفرهما وقد اعترض بهاتين الآيتين على سبيل الاستطراد تأكيدا لما فى وصية لقمان من النهى عن الشرك يعنى انا وصيناه بوالديه وأمرناه أن لا يطيعهما فى الشرك وان جهدا كل الجهد لقبحه (يابنى انها ان تك مثقال حبة من خردل) بالرفع مدنى والضمير للقصة

(الى المصير) مصيرك ومصير والديك (وان جاهداك) أمراك وأراداك (على أن تشرك بى ماليس لك به علم) انه شريكى ولك به علم انه ليس بشريكى (فلا تطعهما) فى الشرك (وصاحبهما فى الدنيا معروفا) بالبر والاحسان (واتبع سبيل من أناب الى) دين من أقبل الى والى طاعتى وهو محمد عليه السلام (ثم الى مرجعكم) ومرجع أبويكم (فأنبئكم) أخبركم (بما كنتم تعملون) من الخير والشر ثم رجع الى كلام لقمان (يابنى انها) يعنى الحسنة ويقال الرزق (ان تك مثقال حبة) وزن حبة (من خردل

تفسير لوصينا او علة له او بدل من والديه بدل الاشتمال وذكر الحمل والفصال فى البين اعتراض مؤكد للتوصية فى حقها خصوصا ومن ثمه قال عليه الصلاة والسلام لمن قال له من ابر امك ثم امك ثم امك ثم قال بعد ذلك ثم اباك ﴿الى المصير﴾ فاحاسبك على شكرك وكفرك ﴿وان جاهداك على ان تشرك بى ماليس لك به علم﴾ باستحقاقه الاشراك تقليدا لهما وقيل اراد بنفى العلم به نفيه ﴿فلا تطعهما﴾ فى ذلك ﴿وصاحبهما فى الدنيا معروفا﴾ صحابا معروفا يرتضيه الشرع ويقتضيه الكرم ﴿واتبع﴾ فى الدين ﴿سبيل من اناب الى﴾ بالتوحيد والاخلاص فى الطاعة ﴿ثم الى مرجعكم﴾ مرجعك ومرجعهما ﴿فانبئكم بما كنتم تعملون﴾ بان اجازيك على ايمانك واجازيهما على كفرهما والآيتان معترضتان فى تضاعيف وصية لقمان تأكيدا لما فيها من النهى عن الشرك كأنه قال وقد وصينا بمثل ماوصى به وذكر الوالدين للمبالغة فى ذلك فانهما مع انهما تلو البارى فى استحقاق التعظيم والطاعة لا يجوز ان يستحقا فى الاشراك فما ظنك بغيرهما ونزولهما فى سعد بن ابى وقاص وامه مكثت لاسلامه ثلاثا لم تطعم فيها شيأ ولذلك قيل من اناب اليه ابو بكر رضى الله عنه فانه اسلم بدعوته ﴿يابنى انها ان تك مثقال حبة من خردل﴾ اى ان الخصلة من الاساءة او الاحسان

الى المصير﴾ لما جعل الله بفضله للوالدين صورة التربية الظاهرة وهو الموجد والمربى فى الحقيقة جعل الشكر بينهما فقال اشكر لى ولوالديك ثم فرق فقال الى المصير يعنى ان نعمتهما مختصة بالدنيا ونعمتى عليك فى الدنيا والآخرة وقيل للآمر بشكره وشكر الوالدين قال الجزاء على وقت المصير الى قال سفيان بن عيينة فى هذه الآية من صلى الصلوات الخمس فقد شكر الله ومن دعا للوالدين فى أدبار الصلوات الخمس فقد شكر الوالدين ﴿وان جاهداك على ان تشرك بى ماليس لك به علم فلا تطعهما﴾ قال النخعى يعنى ان طاعتهما واجبة فان أفضى ذلك الى الاشراك بى فلا تطعهما فى ذلك لانه لا طاعة للمخلوق فى معصية الخالق ﴿وصاحبهما فى الدنيا معروفا﴾ أى بالمعروف وهو البر والصلة والعشرة الجميلة ﴿واتبع سبيل من أناب الى﴾ أى اتبع دين من أقبل الى طاعتى وهو النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه وقيل من أناب الى يعنى أبا بكر الصديق قال ابن عباس وذلك انه حين أسلم أتاه عثمان وطلحة والزبير وسعد بن أبى وقاص وعبد الرحمن بن عوف وقالوا له قد صدقت هذا الرجل وآمنت به قال نعم انه صادق فآمنوا به ثم حملهم الى النبى صلى الله عليه وسلم حتى أسلموا فهؤلاء لهم سابقة الاسلام أسلموا بارشاد أبى بكر ﴿ثم الى مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون يابنى انها ان تك مثقال حبة من خردل﴾ وذلك ان ابن لقمان قال لابيه

وأنث المثقال لاضافته الى الحبة كما قال * كما شرقت صدر القناة من الدم * وكان تامة والباقون بالنصب والضمير للهيئة من الاساءة والاحسان أى ان كانت مثلا فى الصغر كحبة خردل (فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الارض) أى فكانت مع صغرها فى أخفى موضع وأحرزه كجوف الصخرة أو حيث كانت فى العالم العلوى أو السفلى والاكثر على انها التى عليها الارض وهى السجين يكتب فيها أعمال الفجار وليست من الارض (يأت بها الله) يوم القيامة فيحاسب بها عاملها (ان الله لطيف)

يتوصل علمه الى كل خفى (خبير) عالم بكنهه اولطيف باستخراجها خبير بمستقرها (يابنى أقم الصلوة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ماأصابك) فى ذات الله تعالى اذا أمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر أو على ماأصابك من المحن فانها تورث المنح (ان ذلك) الذى وصيتك به (من عزم الامور) أى مما عزمه الله من الامور أى قطعه قطع ايجاب والزام أى أمر به أمرا حتما وهو من تسمية المفعول بالمصدر وأصله من معزومات الامور أى مقطوعاتها ومفروضاتها وهذا دليل على ان هذه الطاعات كانت مأمورا بها فى سائر الامم (ولا تصعر خدك للناس) أى ولا تعرض عنهم تكبرا تصاعر أبو عمرو ونافع وحمزة وعلى وهو بمعنى تصعر والصعر داء يصيب البعير يلوى منه عنقه والمعنى أقبل على الناس بوجهك تواضعا ولا تولهم شق وجهك وصفحته كما يفعله (وتعرض)

ان تك مثلا فى الصغر كحبة الخردل ورفع نافع مثقال على ان الهاء ضمير القصة وكان تامة وتأنيثها لاضافة المثقال الى الحبة كقوله

كما شرقت صدر القناة من الدم

اولان المراد به الحسنة او السيئة ﴿ فتكن فى صخرة او فى السموات او فى الارض ﴾ فى اخفى مكان واحرزه كجوف صخرة اواعلاه كمحدب السموات اواسفله كمقعر الارض وقرئ بكسر الكاف من وكن الطائر اذا استقر فى وكنته ﴿ يأت بها الله ﴾ يحضرها فيحاسب عليها ﴿ ان الله لطيف ﴾ يصل علمه الى كل خفى ﴿ خبير ﴾ عالم بكنهه ﴿ يابنى اقم الصلوة ﴾ تكميلا لنفسك ﴿ وأمر بالمعروف وانه عن المنكر ﴾ تكميلا لغيرك ﴿ واصبر على مااصابك ﴾ من الشدائد سيما فى ذلك ﴿ ان ذلك ﴾ اشارة الى الصبر او الى كل ما امر به ﴿ من عزم الامور ﴾ مما عزمه الله من الامور اى قطعه قطع ايجاب مصدر اطلق للمفعول ويجوز ان يكون بمعنى الفاعل من قوله فاذا عزم الامر اى جد ﴿ ولا تصعر خدك للناس ﴾ لاتمله عنهم ولا تولهم صفحة وجهك كما يفعله المتكبرون

ياأبت ان عملت الخطيئة حيث لا يرانى أحد كيف يعلمها الله قال يابنى انها أى الخطيئة ان تك مثقال حبة من خردل أى فى الصغر ﴿ فتكن ﴾ أى مع صغرها ﴿ فى صخرة ﴾ قال ابن عباس صخرة تحت الارضين السبع وهى التى يكتب فيها أعمال الفجار وخضرة السماء منها وقيل خلق الله الارض على حوت وهو النون والحوت فى الماء والماء على ظهر صفاة والصفاة على ظهر ملك وقيل على ظهر ثور وهو على صخرة وهى التى ذكر لقمان ليست فى الارض ولا فى السماء فلذلك قال ﴿ أو فى السموات أو فى الارض ﴾ والصخرة على متن الريح والريح على القدرة ﴿ يأت بها الله ﴾ معناه الله عالم بها قادر على استخراجها وهو قوله ﴿ ان الله لطيف ﴾ أى باستخراجها ﴿ خبير ﴾ أى بمكانها ومعنى الآية له الاحاطة بالاشياء صغيرها وكبيرها قيل ان هذه الكلمة آخر كلمة قالها لقمان فانشقت مرارته من هيبتها وعظمتها فمات ﴿ يابنى أقم الصلوة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ماأصابك ﴾ من الاذى ﴿ ان ذلك من عزم الامور ﴾ يعنى اقامة الصلاة والامر بالمعروف والنهى عن المنكر والصبر على الاذى من الامور الواجبة التى أمر الله بها ﴿ ولا تصاعر ﴾ وقرئ تصعر ﴿ خدك للناس ﴾ قال ابن عباس لا تتكبر فتحقر الناس

فتكن فى صخرة) التى تحت الارضين (أو فى السموات) أو فوق السموات (أو فى الارض) أو فى بطن الارض (يأت بها الله) الى صاحبها حيثما يكون (ان الله لطيف) باستخراجها (خبير) بمكانها (يابنى أقم الصلوة) أتم الصلاة (وأمر بالمعروف) بالتوحيد والاحسان (وانه عن المنكر) عن الشرك والقبيح من القول والعمل (واصبر على ماأصابك) فيهما (ان ذلك) يعنى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ويقال الصبر (من عزم الامور) من حزم الامور وخير الامور (ولا تصعر خدك للناس) لا تعرض وجهك من الناس تكبرا وتعظما عليهم

المتكبرون (ولاتمش فى الارض مرحا) أى تمرح مرحا أو أوقع المصدر موقع الحال أى مرحا أو لاتمش لاجل المرح والاشر (ان الله لايحب كل مختال) متكبر (فخور) من يعدد مناقبه تطاولا (واقصد) القصد التوسط بين العلو والتقصير (فى مشيك) أى اعدل فيه حتى يكون مشيا بين مشيين لاتدب دبيب المتماوتين ولاتثب وثوب الشطار قال عليه والسلام سرعة المشى تذهب بهاء المؤمن وأما قول عائشة فى عمر رضى الله عنه كان اذا مشى أسرع فانما أرادت السرعة المرتفعة عن دبيب المتماوت وعن ابن مسعود رضى الله عنه كانوا ينهون عن خبب اليهود ودبيب النصارى ولكن مشيا بين ذلك معناه وانظر موضع قدميك متواضعا (واغضض من صوتك) وانقص منه أى اخفض صوتك (ان أنكر الاصوات) أى أوحشها (لصوت الحمير) لان أوله زفير وآخره شهيق كصوت أهل النار وعن الثورى صياح كل شئ تسبيح الا الحمار فانه يصيح لرؤية الشيطان ولذلك سماه الله منكرا وفى تشبيه الرافعين أصواتهم بالحمير وتمثيل أصواتهم بالنهاق تنبيه على ان رفع الصوت فى غاية الكراهة يؤيده ماروى انه عليه السلام كان يعجبه أن يكون الرجل خفيض الصوت ويكره ان يكون مجهور الصوت وانما وحد صوت الحمير ولم يجمع لانه لم يرد أن يذكر صوت كل واحد من آحاد هذا الجنس حتى يجمع بل المراد أن كل جنس من الحيوان له صوت وأنكر أصوات هذه الاجناس صوت هذا الجنس فوجب

من الصعر وهو داء يعترى البعير فيلوى منه عنقه *وقرأ نافع وابو عمرو وحمزة والكسائى ولاتصاعر *وقرئ ولاتصعر والكل واحد مثل علاه واعلاه وعالاه ﴿ ولاتمش فى الارض مرحا ﴾ اى فرحا مصدر وقع موقع الحال او تمرح مرحا اولاجل المرح وهو البطر ﴿ ان الله لايحب كل مختال فخور ﴾ علة للنهى وتأخير الفخور وهو مقابل للمصعر خده والمختال للماشى مرحا ليوافق رؤس الآى ﴿ واقصد فى مشيك ﴾ توسط فيه بين الدبيب والاسراع وعنه عليه الصلاة والسلام سرعة المشى تذهب بهاء المؤمن وقول عائشة رضى الله عنها فى عمر رضى الله عنه كان اذ مشى اسرع *فالمراد مافوق دبيب المتماوت *وقرئ بقطع الهمزة من اقصد الرامى اذا سدد سهمه نحو الرمية ﴿ واغضض من صوتك ﴾ وانقص منه واقصر ﴿ ان انكر الاصوات ﴾ اوحشها ﴿ لصوت الحمير ﴾ والحمار مثل فى الذم سيما نهاقه ولذلك يكنى عنه فيقال طويل الاذنين وفى تمثيل الصوت المرتفع بصوته ثم اخراجه مخرج الاستعارة مبالغة شديدة وتوحيد الصوت لان المراد تفضيل الجنس فى النكير دون الآحاد اولانه مصدر فى الاصل

وتعرض عنهم بوجهك اذا كلموك وقيل هو الرجل يكون بينك وبينه محبة فيلقاك فتعرض عنه وقيل هو الذى اذا سلم عليه لوى عنقه تكبرا وقيل معناه لاتحتقر الفقراء فليكن الفقير والغنى عندك سواء ﴿ ولاتمش فى الارض مرحا ﴾ أى خيلاء ﴿ ان الله لايحب كل مختال ﴾ فى مشيه ﴿ فخور ﴾ أى على الناس ﴿ واقصد فى مشيك ﴾ أى ليكن فى مشيتك قصد بين الاسراع والتأنى أما الاسراع فهو من الخيلاء وأما التأنى فهو ان يرى فى نفسه الضعف تزهدا وكلا الطرفين مذموم بل ليكن مشيك بين السكينة والوقار ﴿ واغضض ﴾ أى اخفض وقيل انقص ﴿ من صوتك ان أنكر ﴾ أى أقبح ﴿ الاصوات لصوت الحمير ﴾ لان أوله زفير وآخره شهيق وهما صوت أهل النار وعن الثورى فى هذه الآية قال صياح كل شئ تسبيح الا الحمار وقيل معنى الآية هو العطسة القبيحة المنكرة قال وهب تكلم لقمان باثنى عشر ألف باب من الحكمة أدخلها الناس فى كلامهم وقضاياهم ومن حكمته قيل انه كان عبدا حبشيا فدفع اليه مولاه شاة وقال له اذبحها وائتنى بأطيب مضغتين منها فأتاه باللسان والقلب ثم دفع اليه أخرى وقال له اذبحها وائتنى باخبث مضغتين منها فاتاه باللسان والقلب فسأله مولاه فقال ليس شئ أطيب منهما اذا طابا ولا أخبث منهما اذا خبثا وقال لقمان ليس مال كصحة ولا نعيم كطيب نفس وقيل للقمان أى الناس شر قال الذى لايبالى أن يراه الناس مسيأ

ويقال لاتحقر فقراء المسلمين (ولاتمش فى الارض مرحا) بالتكبر والخيلاء (ان الله لايحب كل مختال) فى مشيته (فخور) بنعم الله (واقصد فى مشيك) تواضع فيها (واغضض من صوتك) واخفض صوتك ولاتكن سليطا (ان أنكر الاصوات) يقول أقبح وأشر الاصوات (لصوت الحمير

توحيده (ألم تروا أن الله سخر لكم مافى السموات) يعنى الشمس والقمر والنجوم والسحاب وغيرذلك (ومافى الارض) يعنى البحار والانهار والمعادن والدواب وغيرذلك (وأسبغ) وأتم (عليكم نعمه) مدنى وأبو عمرو وسهل وحفص نعمته غيرهم والنعمة كل نفع قصدبه الاحسان (ظاهرة) بالمشاهدة (وباطنة) مالايعلم الابدليل ثم قيل الظاهرة البصر والسمع واللسان وسائر الجوارح الظاهرة والباطنة القلب والعقل والفهم وماأشبه ذلك ويروى فى دعاء موسى عليه السلام الهى دلنى على أخفى نعمتك على عبادك فقال أخفى نعمتى عليهم النفس وقيل تخفيف الشرائع وتضعيف الذرائع والخلق والخلق ونيل العطايا وصرف البلايا وقبول الخلق ورضا الرب وقال ابن عباس الظاهرة ماسوى من خلقك والباطنة ماستر من عيوبك (ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير) نزلت فى النضر بن الحرث وقدمر فى الحج (واذا قيل لهم اتبعوا ماأنزل الله قالوا بل نتبع ماوجدنا عليه آباءنا أولو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير) معناه أيتبعونهم ولو كان الشيطان يدعوهم أى فى حال دعاء الشيطان اياهم الى العذاب (ومن يسلم وجهه الى الله) عدى هنا بالى وفى بلى من أسلم وجهه لله باللام فمعناه مع اللام انه جعل وجهه وهو ذاته ونفسه سالما لله أى خالصا له ومعناه مع الى

﴿ألم تروا ان الله سخر لكم مافى السموات﴾ بان جعله اسبابا محصلة لمنافعكم ﴿ومافى الارض﴾ بان مكنكم من الانتفاع به بوسط او بغير وسط ﴿واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة﴾ محسوسة ومعقولة ماتعرفونه ومالاتعرفونه وقد مر شرح النعمة وتفصيلها فى الفاتحة * وقرئ واصبغ بالابدال وهو جار فى كل سين اجتمع مع الغين او الخاء او القاف كصلخ وصقر * وقرأ نافع وابو عمرو وحفص نعمه بالجمع والاضافة ﴿ومن الناس من يجادل فى الله﴾ فى توحيده وصفاته ﴿بغير علم﴾ مستفاد من دليل ﴿ولا هدى﴾ راجع الى رسول ﴿ولا كتاب منير﴾ انزله الله بل بالتقليد كما قال ﴿واذا قيل لهم اتبعوا ماانزل الله قالوا بل نتبع ماوجدنا عليه آباءنا﴾ وهو منع صريح من التقليد فى الاصول ﴿اولو كان الشيطان يدعوهم﴾ يحتمل ان يكون الضمير لهم ولآبائهم ﴿الى عذاب السعير﴾ الى مايؤول اليه من التقليد او الاشراك وجواب لو محذوف مثل لاتبعوه والاستفهام للانكار والتعجيب ﴿ومن يسلم وجهه الى الله﴾

* قوله عز وجل ﴿ألم تروا أن الله سخر لكم مافى السموات ومافى الارض وأسبغ﴾ أى أتم وأكمل ﴿عليكم نعمه ظاهرة وباطنة﴾ قال ابن عباس النعمة الظاهرة الاسلام والقرآن والباطنة ماستر عليكم من الذنوب ولم يعجل عليكم بالنقمة وقيل الظاهرة تسوية الاعضاء وحسن الصورة والباطنة الاعتقاد بالقلب وقيل الظاهرة الرزق والباطنة حسن الخلق وقيل الظاهرة تخفيف الشرائع والباطنة الشفاعة وقيل الظاهرة ظهور الاسلام والنصر على الاعداء والباطنة الامداد بالملائكة وقيل الظاهرة اتباع الرسول والباطنة محبته ﴿ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم﴾ نزلت فى النضر بن الحرث وأبى بن خلف وأمية بن خلف وأشباههم كانوا يجادلون النبى صلى الله عليه وسلم فى الله وفى صفاته بغير علم ﴿ولا هدى ولا كتاب منير واذا قيل لهم اتبعوا ماأنزل الله قالوا بل نتبع ماوجدنا عليه آباءنا﴾ قال الله تعالى ﴿أولو كان الشيطان يدعوهم﴾ معناه أفيتبعونهم وان كان الشيطان يدعوهم ﴿الى عذاب السعير﴾ * قوله عز وجل ﴿ومن يسلم وجهه الى الله﴾ أى يخلص لله دينه

(ألم تروا) ألم تخبروا فى القرآن (ان الله سخر لكم) ذلل لكم (مافى السموات) من الشمس والقمر والنجوم والسحاب والمطر (ومافى الارض) من الشجر والدواب (وأسبغ عليكم) وأتم عليكم (نعمه ظاهرة) بالتوحيد (وباطنة) بالمعرفة (و) ويقال ظاهرة مايعلم الناس من حسناتك وباطنة مالا يعلم الناس من سيئاتك ويقال ظاهرة من الطعام والشراب والدراهم والدنانير وغيرذلك وباطنة من النبات والثمار والامطار والمياه وغير ذلك ويقال ظاهرة ماأكرمك بها وباطنة ماحفظك عنها (ومن الناس) وهو نضر بن الحرث (من يجادل فى الله) يخاصم فى دين الله (بغير علم) بلا علم (ولا هدى) ولا حجة (ولا كتاب منير) مبين بما يقول (واذا قيل لهم) لكفار مكة (اتبعوا ما أنزل الله) على نبيه من القرآن اقرؤه واعملوا بمافيه (قالوا بل نتبع ماوجدنا عليه آباءنا) من الدين والسنة (أولو كان الشيطان يدعوهم) يدعو آباءهم (الى عذاب السعير) الى الكفر والشرك ومايجب به عذاب السعير فهم يقتدون بهم (ومن يسلم وجهه الى الله) من يخلص دينه وعمله لله

انه سلم اليه نفسه كما يسلم المتاع الى الرجل اذا دفع اليه والمراد التوكل عليه والتفويض اليه (وهو محسن) فيما يعمل (فقد استمسك) تمسك وتعلق (بالعروة) هى ما يعلق به الشئ (الوثقى) تأنيث الاوثق مثل حال التوكل بحال من أراد أن يتدلى من شاهق فاحتاط لنفسه بان استمسك باوثق عروة من حبل متين مأمون انقطاعه (والى الله عاقبة الامور) أى هى صائرة اليه فيجازى عليها (ومن كفر) ولم يسلم وجهه لله (فلا يحزنك كفره) من حزن يحزنك نافع من أحزن أى لا يهمنك كفر من كفر (الينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا) فنعاقبهم على أعمالهم (ان الله عليم بذات الصدور) ان الله يعلم ما فى صدور عباده فيفعل بهم على حسبه (نمتعهم) زمانا (قليلا) بدنياهم (ثم نضطرهم) نلجئهم (الى عذاب غليظ) شديد شبه الزامهم التعذيب وارهاقهم اياه باضطرار المضطر الى الشئ والغليظ مستعار من الاجرام الغليظة والمراد الشدة والثقل على المعذب (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل الحمد لله) الزام لهم على اقرارهم بان الذى خلق السموات والارض هو الله وحده وأنه يجب أن يكون له الحمد والشكر وأن لا يعبد معه غيره ثم قال (بل أكثرهم لا يعلمون) أن ذلك يلزمهم واذا نبهوا عليه لم يتنبهوا (لله ما فى السموات والارض ان الله هو الغنى) عن حمد الحامدين (الحميد) المستحق للحمد وان لم يحمدوه قال المشركون ان هذا أى الوحى

بان فوض امره اليه واقبل بشراشره عليه من اسلمت المتاع الى الزبون ويؤيده القراءة بالتشديد وحيث عدى باللام فلتضمن معنى الاخلاص ﴿ وهو محسن ﴾ فى عمله ﴿ فقد استمسك بالعروة الوثقى ﴾ تعلق باوثق ما يتعلق به وهو تمثيل للمتوكل المشتغل بالطاعة بمن اراد ان يترقى شاهق جبل فتمسك باوثق عرى الحبل المتدلى منه ﴿ والى الله عاقبة الامور ﴾ اذ الكل صائر اليه ﴿ ومن كفر فلا يحزنك كفره ﴾ فانه لا يضرك فى الدنيا والآخرة وقرئ فلا يحزنك من احزنه وليس بمستفيض ﴿ الينا مرجعهم ﴾ فى الدارين ﴿ فننبئهم بما عملوا ﴾ بالاهلاك والتعذيب ﴿ ان الله عليم بذات الصدور ﴾ فمجاز عليه فضلا عما فى الظاهر ﴿ نمتعهم قليلا ﴾ تمتعا قليلا او زمانا قليلا فان ما يزول بالنسبة الى ما يدوم قليل ﴿ ثم نضطرهم الى عذاب غليظ ﴾ يثقل عليهم ثقل الاجرام الغلاظ او نضم الى الاحراق الضغط ﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله ﴾ لوضوح الدليل المانع من اسناد الخلق الى غيره بحيث اضطروا الى اذعانه ﴿ قل الحمد لله ﴾ على الزامهم والجائهم الى الاعتراف بما يوجب بطلان معتقدهم ﴿ بل اكثرهم لا يعلمون ﴾ ان ذلك يلزمهم ﴿ لله ما فى السموات والارض ﴾ لا يستحق العبادة فيهما غيره ﴿ ان الله هو الغنى ﴾ عن حمد الحامدين ﴿ الحميد ﴾ المستحق للحمد وان لم يحمد

ويفوض اليه أمره ﴿ وهو محسن ﴾ أى فى عمله ﴿ فقد استمسك بالعروة الوثقى ﴾ أى اعتصم بالعهد الاوثق الذى لا يخلف عهده ولا يخاف انقطاعه ويرتقى بسببه الى أعلى المراتب والغايات ﴿ والى الله عاقبة الامور ﴾ أى مصير جميع الاشياء اليه ﴿ ومن كفر فلا يحزنك كفره الينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا ان الله عليم بذات الصدور ﴾ أى لا يخفى عليه سرهم وعلانيتهم * قوله تعالى ﴿ نمتعهم قليلا ﴾ أى نمهلهم ليتمتعوا بنعيم الدنيا الى انقضاء آجالهم ﴿ ثم نضطرهم ﴾ أى نلجئهم ونردهم ﴿ الى عذاب غليظ ﴾ الى النار فى الآخرة ﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون لله ما فى السموات والارض ان الله هو الغنى الحميد ﴾ تقدم تفسيره * قوله تعالى

(وهو محسن) موحد مخلص (فقد استمسك) فقد أخذ (بالعروة) بلا اله الا الله (الوثقى) لوثيقة التى لا انفصام لها (قا و خا ۹ مس) (والى الله عاقبة الامور) ترجع عواقب الامور فى الآخرة التى يموتون عليها (ومن كفر) بالله من قريش أو من غيرهم (فلا يحزنك) يا محمد (كفره) هلاكه فى كفره (الينا مرجعهم) بعد الموت (فننبئهم) فنخبرهم (بما عملوا) فى الدنيا فى كفرهم (ان الله عليم بذات الصدور) بما فى القلوب من الخير والشر (نمتعهم) نعيشهم (قليلا) يسيرا فى الدنيا (ثم نضطرهم) نصيرهم ويقال نلجئهم (الى عذاب غليظ) شديد لونا بعد لون (ولئن سألتهم) يا محمد (من خلق السموات والارض ليقولن) كفار مكة خلقهما (الله قل الحمد لله) الشكر لله فاشكروه (بل أكثرهم) كلهم (لا يعلمون) توحيد الله ولا يشكرون نعمه (لله ما فى السموات) من الخلق (والارض ان الله هو الغنى) عن خلقه (الحميد) المحمود

كلام سينفد فاعلم الله أن كلامه لاينفد بقوله (ولو أن مافى الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر مانفدت كلمات الله)والبحر بالنصب أبو عمرو ويعقوب عطفا على اسم أن وهو ما والرفع على محل أن ومعمولها أى ولو ثبت كون الاشجار أقلاما وثبت البحر ممدودا بسبعة أبحر أو على الابتداء والواو للحال على معنى ولو أن الاشجار أقلام فى حال كون البحر ممدودا وقرئ يمده وكان مقتضى الكلام أن يقال ولو أن الشجر أقلام والبحر مداد لكن أغنى عن ذكر المداد قوله يمده لانه من قولك مد الدواة وأمدها جعل البحر الاعظم بمنزلة الدواة وجعل الابحر السبعة مملوأة مدادا فهى تصب فيه مدادها أبدا صبا لاينقطع والمعنى ولو أن أشجار الارض أقلام والبحر ممدود بسبعة أبحر وكتبت بتلك الاقلام وبذلك المداد كلمات الله لما نفدت كلماته ونفدت الاقلام والمداد كقوله قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى فان قلت زعمت أن قوله والبحر يمده حال فى أحد وجهى الرفع وليس فيه ضمير راجع الى ذى الحال قلت هو كقولك جئت والجيش مصطف وما أشبه ذلك من الاحوال التى حكمها حكم الظروف وانما ذكر شجرة على التوحيد لانه أريد تفصيل الشجر وتقصيها شجرة شجرة حتى لايبقى من جنس الشجر ولا واحدة الا وقد بريت أقلاما وأوثر الكلمات وهى جمع قلة على الكلم وهى جمع كثرة لان معناه ان كلماته لاتفى بكتبتها البحار فكيف بكلمه (ان الله عزيز) لايعجزه شئ (حكيم) (ان الله) لايخرج من علمه وحكمته شئ فلاتنفد كلماته وحكمه (ماخلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة) الا كخلق نفس واحدة وبعث نفس واحدة فحذف للعلم به أى سواء فى قدرته القليل والكثير فلايشغله شأن عن

﴿ ولو ان مافى الارض من شجرة اقلام ﴾ ولو ثبت كون الاشجار اقلاما وتوحيد شجرة لان المراد تفصيل الآحاد ﴿ والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ﴾ والبحر المحيط بسعته مدادا ممدودا بسبعة ابحر فاغنى عن ذكر المداد يمده لانه من مد الدواة وأمدها ورفعه للعطف على محل ان ومعمولها ويمده حال او للابتداء على انه مستأنف او الواو للحال ونصبه البصريان بالعطف على اسم ان او اضمار فعل يفسره يمده وقرئ تمده ويمده بالتاء والياء ﴿ ما نفدت كلمات الله ﴾ بكتبها بتلك الاقلام بذلك المداد وايثار جمع القلة للاشعار بان ذلك لايفى بالقليل فكيف بالكثير ﴿ ان الله عزيز ﴾ لايعجزه شئ ﴿ حكيم ﴾ لايخرج عن علمه وحكمته امر والآية جواب لليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم اوامروا وفد قريش ان يسألوه عن قوله وما اوتيتم من العلم الا قليلا وقد انزل التوراة وفيها علم كل شئ ﴿ ماخلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة ﴾ الا كخلقها وبعثها اذ لايشغله شأن عن شأن لانه يكفى لوجود الكل تعلق ارادته الواجبة مع قدرته الذاتية كما قال

﴿ ولو أن مافى الارض من شجرة أقلام ﴾ قال المفسرون لما نزلت بمكة ويسئلونك عن الروح الآية وهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة أتاه أحبار اليهود وقالوا يا محمد بلغنا انك تقول وما أوتيتم من العلم الا قليلا أتعنينا أم قومك فقال عليه الصلاة والسلام كلا قد عنيت قالوا ألست تتلو فيما جاءك انا أوتينا التوراة فيها علم كل شئ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هى فى علم الله قليل وقد أتاكم الله بما ان عملتم به انتفعتم به قالوا كيف تزعم هذا وأنت تقول ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا فكيف يجتمع علم قليل مع خير كثير فأنزل الله هذه الآية فعلى هذا تكون هذه الآية مدنية وقيل ان اليهود أمروا وفد قريش ان يسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولوا له ذلك وهو بمكة وقيل ان المشركين قالوا ان القرآن وما يأتى به محمد يوشك أن ينفد فينقطع فأنزل الله تعالى ولو أن مافى الارض من شجرة أقلام أى فبريت أقلاما وقيل بعدد كل شجرة قلم ﴿ والبحر يمده ﴾ أى يزيده وينصب اليه ﴿ من بعده سبعة أبحر ﴾ أى مدادا والخلائق يكتبون به كلام الله ﴿ مانفدت كلمات الله ﴾ لانها لانهاية لها ﴿ ان الله عزيز حكيم ﴾ * قوله تعالى ﴿ ماخلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة ﴾ أى الا كخلق نفس واحدة وبعثها لايتعذر عليه شئ

فى قوله (ولو أن مافى الارض من شجرة أقلام) تبرى اقلاما (والبحر يمده) يعطيه المدد (من بعده) من بعد ماصيرت (سبعة أبحر) مدادا فكتب بها كلام الله وعلم الله (مانفدت كلمات الله) كلام الله وعلم الله ويقال تدبير الله (ان الله عزيز) فى ملكه وسلطانه (حكيم) فى أمره وقضائه (ماخلقكم) على الله اذ خلقكم (ولا بعثكم) اذ يبعثكم (الا كنفس واحدة)

شأن (ان الله سميع) لقول المشركين انه لا بعث (بصير) باعمالهم فيجازيهم (ألم تران الله يولج الليل في النهار) اى يدخل ظلمة الليل في ضوء النهار اذا أقبل الليل (ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر) لمنافع العباد (كل) أى كل واحد من الشمس والقمر (يجرى) في فلكه ويقطعه (الى أجل مسمى) الى يوم القيامة أو الى وقت معلوم الشمس الى آخر السنة والقمر الى آخر الشهر (وأن الله بما تعملون خبير) وبالياء عياش دل أيضا بتعاقب الليل والنهار وزيادتهما ونقصانهما وجرى النيرين في فلكيهما على تقدير وحساب وباحاطته بجميع أعمال الخلق على عظم قدرته وكمال حكمته (ذلك بان الله هو الحق وأن مايدعون) بالياء عراقي غير أبي بكر (من دونه الباطل وأن الله هو العلى الكبير) أى ذلك الوصف الذى وصف به من عجائب قدرته وحكمته التى يعجز عنها الاحياء القادرون العالمون فكيف بالجماد الذى يدعونه من دون الله انما هو بسبب أنه هو الحق الثابت الالهية وأن من دونه باطل الالهية وأنه هو العلى الشأن الكبير السلطان (ألم تران الفلك) وقرئ الفلك وكل فعل يجوز فيه فعل كما يجوز في كل فعل فعل (تجرى في البحر بنعمت الله) باحسانه ورحمته أو بالريح لان الريح من نعم الله (ليريكم من آياته) عجائب قدرته في البحر اذا ركبتموها (ان في ذلك لآيات لكل صبار) على بلائه

انما امرنا الشئ اذا اردناه ان نقول له كن فيكون ﴿ان الله سميع﴾ يسمع كل مسموع ﴿بصير﴾ يبصر كل مبصر لايشغله ادراك بعضها عن بعض فكذلك الخلق ﴿الم تران الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى﴾ كل من النيرين يجرى في فلكه ﴿الى اجل مسمى﴾ الى منتهى معلوم الشمس الى آخر السنة والقمر الى آخر الشهر وقيل الى يوم القيامة والفرق بينه وبين قوله لاجل مسمى ان الاجل ههنا منتهى الجرى وثمه غرضه حقيقة او مجازا وكلا المعنيين حاصل في الغايات ﴿وان الله بما تعملون خبير﴾ عالم بكنهه ﴿ذلك﴾ اشارة الى الذى ذكر من سعة العلم وشمول القدرة وعجائب الصنع واختصاص البارى بها ﴿بان الله هو الحق﴾ بسبب انه الثابت في ذاته الواجب من جميع جهاته او الثابت الهيته ﴿وان ماتدعون من دونه الباطل﴾ المعدوم في حد ذاته لايوجد ولايتصف الا بجعله او الباطل الهيته * وقرأ البصريان والكوفيون غير ابى بكر بالياء ﴿وان الله هو العلى الكبير﴾ مرتفع على كل شئ ومتسلط عليه ﴿الم تران الفلك تجرى في البحر بنعمت الله﴾ باحسانه في تهيئة اسبابه وهو استشهاد آخر على باهر قدرته وكمال حكمته وشمول انعامه والباء للصلة او الحال وقرئ الفلك بالتثقيل وبنعمات الله بسكون العين وقد جوز في مثله الكسر والفتح والسكون ﴿ليريكم من آياته﴾ دلائله ﴿ان في ذلك لآيات لكل صبار﴾ على المشاق

﴿ان الله سميع﴾ أى لاقوالكم ﴿بصير﴾ باعمالكم ﴿ألم ترأن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى الى أجل مسمى وأن الله بما تعملون خبير ذلك بان الله هو الحق﴾ أى ذلك الذى هو قادر على هذه الاشياء التى ذكرت هو الحق المستحق للعبادة ﴿وأن مايدعون من دونه الباطل﴾ أى لايستحق العبادة ﴿وأن الله هو العلى﴾ أى في صفاته له الصفات العليا والاسماء الحسنى ﴿الكبير﴾ في ذاته لانه أكبر من كل كبير * قوله تعالى ﴿ألم ترأن الفلك﴾ أى السفن والمراكب ﴿تجرى في البحر بنعمت الله﴾ أى ذلك من نعمة الله عليكم ﴿ليريكم من آياته﴾ أى من عجائب صنائعه ﴿ان في ذلك لآيات لكل صبار﴾

الا بمنزلة نفس واحدة (ان الله سميع) لمقالتكم كيف بعثنا (بصير) ببعثكم (ألم تر) الم تخبر في القرآن (أن الله يولج الليل في النهار) يزيد الليل على النهار فيكون الليل خمس عشرة ساعة والنهار تسع ساعات (ويولج النهار في الليل) يزيد النهار على الليل فيكون النهار خمس عشرة ساعة والليل تسع ساعات (وسخر الشمس) ذلل الشمس (والقمر كل يجرى الى أجل مسمى) الى وقت معلوم في منازل معروفة لهما (وأن الله بما تعملون) من الخير والشر (خبير ذلك) القدرة لتعلموا وتقروا (بان الله هو الحق) بان عبادته هو الحق (وأن مايدعون) يعبدون (من دونه) من دون الله (الباطل) هو الباطل (وان الله هو العلى) أعلى كل شئ (الكبير) أكبر كل شئ (ألم تر) الم تخبر (ان الفلك) السفن (تجرى في البحر بنعمت الله) بمنة الله (ليريكم من آياته) من عجائبه (ان في ذلك) فيما ذكرت (لآيات) لعلامات وعبرات (لكل صبار) على

(شكور) لنعمائه وهما صفتا المؤمن فالايمان نصفان نصفه شكر ونصفه صبر فكانه قال ان في ذلك لآيات لكل مؤمن (واذا غشيهم) أي الكفار (موج كالظلل)الموج يرتفع فيعود مثل الظلل والظلة كل ما أظلك من جبل أو سحاب أو غيرهما (دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد)أي باق على الايمان والاخلاص الذي كان منه ولم يعد الى الكفر أو مقتصد في الاخلاص الذي كان عليه في البحر يعني ان ذلك الاخلاص الحادث عند الخوف لايبقى لاحد قط والمقتصد قليل نادر (وما يجحد بآياتنا) أي بحقيتها (الاكل ختار) غدار والختر أقبح الغدر (كفور) لربه (ياأيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لايجزى والد عن ولده) لايقضى عنه شيأ والمعنى لايجزى فيه فحذف (ولا مولود هو جاز عن ولده شيأ) وارد على طريق من التوكيد لم يرد عليه ما هو معطوف عليه لان الجملة الاسمية آكد من الجملة الفعلية وقد انضم الى ذلك قوله هو وقوله مولود والسبب في ذلك ان الخطاب للمؤمنين وعليتهم قبض آباؤهم على الكفر فاريد حسم اطماعهم ان ينفعوا آباءهم بالشفاعة في الآخرة ومعنى التأكيد في لفظ المولود أن الواحد منهم لو شفع للاب الادنى الذي ولد منه لم تقبل شفاعته فضلا ان يشفع لاجداده اذ الولد تقع على الولد وولد الولد بخلاف المولود فانه لمن ولد منك كذا (تقريب)

فيتعب نفسه بالتفكر في الآفاق والانفس ﴿ شكور ﴾ يعرف النعم ويتعرف مانحها وللمؤمنين فان الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر ﴿ واذا غشيهم ﴾ علاهم وغطاهم ﴿ موج كالظلل ﴾ كما يظل من جبل او سحاب اوغيرهما وقرئ كالظلال جمع ظلة كقلة وقلال ﴿ دعوا الله مخلصين له الدين ﴾ لزوال ما ينازع الفطرة من الهوى والتقليد بما دهاهم من الخوف الشديد ﴿ فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد ﴾ مقيم على الطريق القصد الذي هو التوحيد او متوسط في الكفر لانزجاره بعض الانزجار ﴿ وما يجحد بآياتنا الاكل ختار ﴾ غدار فانه نقض للعهد الفطري اولما كان في البحر والختر اشد الغدر ﴿ كفور ﴾ للنعم ﴿ ياأيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لايجزى والد عن ولده ﴾ لايقضي عنه وقرئ لايجزئ من اجزأ اذا اغنى والراجع الى الموصوف محذوف اى لايجزى فيه ﴿ ولا مولود ﴾ عطف على والد اومبتدأ خبره ﴿ هو جاز عن والده شيأ ﴾ وتغيير النظم للدلالة على ان المولود اولى بان لايجزى به وقطع طمع من توقع من المؤمنين ان ينفع

أي على ما أمر الله ﴿ شكور ﴾ لانعامه ﴿ واذا غشيهم موج كالظلل ﴾ أى كالجبال وقيل كالسحاب شبه بها الموج في كثرتها وارتفاعها ﴿ دعوا الله مخلصين له الدين ﴾ معناه ان الانسان اذا وقع في شدة ابتهل الى الله بالدعاء وترك كل من عداه ونسى جميع ما سواه فاذا نجا من تلك الشدة فمنهم من يبقى على تلك الحالة وهو المقتصد وهو قوله تعالى ﴿ فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد ﴾ أى عدل موف في البر بما عاهد عليه الله في البحر من التوحيد والثبوت على الايمان وقيل نزلت في عكرمة بن أبي جهل وذلك انه هرب عام الفتح الى البحر فجاءهم ريح عاصف فقال عكرمة لئن أنجانا الله من هذا لارجعن الى محمد صلى الله عليه وسلم ولاضعن يده في يدي فسكت الريح ورجع عكرمة الى مكة وأسلم وحسن اسلامه ومنهم من لم يوف بما عاهد وهو المراد بقوله ﴿ وما يجحد بآياتنا الاكل ختار ﴾ أى غدار ﴿ كفور ﴾ أي جحود لانعمنا عليه ❊ قوله تعالى ﴿ ياأيها الناس اتقوا ربكم ﴾ أى خافوا ربكم ﴿ واخشوا ﴾ أى وخافوا ﴿ يوما لايجزى ﴾ أى لايقضى ولايغنى ﴿ والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيأ ﴾ قيل معنى الآية ان الله ذكر شخصين في غاية الشفقة والمحبة وهما الوالد والولد فنبه بالاعلى على الادنى وبالادنى على الاعلى فالوالد يجزى عن ولده لكمال شفقته عليه والولد يجزى عن والده لما له من حق التربية وغيرها فاذا كان يوم القيامة فكل انسان يقول نفسى نفسى ولا يهتم

الطاعة (شكور) بنعم الله (واذا غشيهم) ركبهم (موج) غمر (كالظلل)في الارتفاع كالسحاب فوقهم (دعوا الله مخلصين له الدين) مفردين له بالدعوة (فلما نجاهم) من البحر (الى البر) الى القرار (فمنهم) من الكفار (مقتصد) بالقول والفعل فيكون ألين مما كان قبل ذلك (وما يجحد بآياتنا) بمحمد عليه السلام والقرآن (الاكل ختار) غدار (كفور) كافر بالله وبنعمته (ياأيها الناس) ياأهل مكة (اتقوا ربكم) أطيعوا ربكم (واخشوا يوما) عذاب يوم (لايجزى) لايغنى (والد عن ولده ولا مولود هو جاز) مغن (عن والده شيأ) من

فى الكشاف (ان وعد الله) بالبعث والحساب والجزاء (حق فلاتغرنكم الحيوة الدنيا) بزينتها فان نعمتها دانية ولذتها فانية (ولايغرنكم بالله الغرور) الشيطان أو الدنيا أو الامل (ان الله عنده علم الساعة) أى وقت قيامها (وينزل) بالتشديد شامى ومدنى وعاصم وهو عطف على ما يقتضيه الظرف من الفعل تقديره ان الله يثبت عنده علم الساعة وينزل (الغيث) فى ابانه من غير تقديم ولا تاخير (ويعلم مافى الارحام) أذكر أم أنثى وتام أم ناقص (وماتدرى نفس) برة أو فاجرة (ماذا تكسب غدا) من خير أو شر وربما كانت عازمة ﴿٦٩﴾ على خير فعملت شرا وعازمة {سورة لقمان} على شر فعملت خيرا (وما تدرى نفس باى أرض تموت) أى أين تموت وربما أقامت بارض وضربت أوتادها وقالت لا أبرحها فترمى بها مرامى القدر حتى تموت فى مكان لم يخطر ببالها روى ان ملك الموت مر على سليمان فجعل ينظر الى رجل من جلسائه فقال الرجل من هذا قال له ملك الموت قال كانه يريدنى وسأل سليمان عليه السلام أن يحمله على الريح ويلقيه ببلاد الهند ففعل ثم قال ملك الموت لسليمان كان دوام نظرى اليه تعجبا منه لانى أمرت ان أقبض روحه بالهند وهو عندك وجعل العلم لله والدراية للعبيد لما فى الدراية من معنى الختل والحيلة والمعنى انها لا تعرف وان أعملت حيلها ما يختص بها لا شئ اخص بالانسان من كسبه وعاقبته فاذا لم يكن له طريق الى معرفتهما

اباه لكافر فى الآخرة ﴿ ان وعد الله ﴾ بالثواب والعقاب ﴿ حق ﴾ لا يمكن خلفه ﴿ فلاتغرنكم الحيوة الدنيا ولايغرنكم بالله الغرور ﴾ الشيطان بان يرجيكم التوبة والمغفرة فيجسركم على المعاصى ﴿ ان الله عنده علم لساعة ﴾ علم وقت قيامها لما روى ان الحارث بن عمرو اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال متى قيام الساعة وانى قد القيت حبانى فى الارض فتى السماء تمطر وحمل امرأتى ذكر ام انثى وما اعمل غدا واين اموت فنزلت وعنه عليه الصلاة والسلام مفاتح الغيب خمس وتلا هذه الآية ﴿ وينزل الغيث ﴾ فى ابانه المقدر له والمحل المعين له فى علمه وقرأ نافع وابن عامر وعاصم بالتشديد ﴿ ويعلم مافى الارحام ﴾ أذكر أم أنثى أتام أم ناقص ﴿ وماتدرى نفس ماذا تكسب غدا ﴾ من خير اوشر وربما تعزم على شئ وتفعل خلافه ﴿ وماتدرى نفس باى ارض تموت ﴾ كما لاتدرى فى اى وقت تموت

بقريب ولا بعيد كما قال ابن عباس كل امرئ تهمه نفسه ﴿ ان وعد الله حق ﴾ قيل انه تحقيق اليوم معناه اخشوا يوما هذا شأنه وهو كائن لوعد الله به ووعده حق وقيل الآية تحقيق بعدم الجزاء يعنى لايجزى والد عن ولده فى ذلك اليوم والقول الاول أحسن وأظهر ﴿ فلاتغرنكم الحيوة الدنيا ﴾ أى لانها فانية ﴿ ولايغرنكم بالله الغرور ﴾ يعنى الشيطان قال سعيد بن جبير يعمل بالمعاصى ويتمنى المغفرة ❊ قوله تعالى ﴿ ان الله عنده علم الساعة ﴾ الآية نزلت فى الحرث بن عمرو بن حارثة بن حفصة من أهل البادية أتى النبى صلى الله عليه وسلم فسأله عن الساعة ووقتها وقال ان ارضنا أجدبت فقل لى متى ينزل الغيث وتركت امرأتى حبلى فتى تلد ولقد علمت أين ولدت فبأى أرض أموت فانزل الله هذه الآية (ق) عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مفاتح الغيب خمس ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم مافى الارحام وماتدرى نفس ماذا تكسب غدا وماتدرى نفس باى أرض تموت ان الله عليم خبير ومعنى الآية ان الله عنده علم الساعة فلا يدرى أحد من الناس متى تقوم الساعة فى أى سنة أو أى شهر أو أى يوم ليلا أو نهارا ﴿ وينزل الغيث ﴾ فلا يعلم أحد متى ينزل الغيث ليلا أو نهارا الا الله ﴿ ويعلم مافى الارحام ﴾ أذكر أم أنثى أحمر أم أسود تام الخلقة أم ناقص ﴿ وماتدرى نفس ماذا تكسب غدا ﴾ من خير أو شر ﴿ وماتدرى نفس باى أرض تموت ﴾ أى ليس

عذاب الله (ان وعد الله) البعث بعد الموت (حق) كائن صدق (فلا تغرنكم الحيوة الدنيا) مافى الدنيا من الزهرة والنعيم (ولايغرنكم بالله الغرور) الشيطان ويقال الاباطيل ان قرأت بضم الغين (ان الله عنده علم الساعة) علم قيام الساعة وهو مخزون عن العباد (وينزل الغيث) المطر يعلم نزول الغيث وهو مخزون عن العباد (ويعلم مافى الارحام) من الولد ذكرا أو أنثى تماما أو غيره شقى أو سعيد وهو مخزون عن العباد (وماتدرى نفس ماذا تكسب غدا) من الخير والشر وهو مخزون عن العباد (وماتدرى نفس باى أرض تموت) باى قدم تؤخذ

كان معرفة ماعداهما أبعد وأما المنجم الذى يخبر بوقت الغيث والموت فانه يقول بالقياس والنظر فى الطالع ومايدرك بالدليل لايكون غيبا على انه مجرد الظن والظن غير العلم وعن النبى صلى الله عليه وسلم مفاتح الغيب خمس وتلا هذه الآية وعن ابن عباس رضى الله عنهما من ادعى علم هذه الخمسة فقد كذب ورأى المنصور فى منامه صورة ملك الموت وساله عن مدة عمره فاشار باصابعه الخمس فعبرها المعبرون بخمس سنوات وبخمسة أشهر وبخمسة أيام فقال أبو حنيفة رضى الله عنه هو اشارة الى هذه العلوم الخمسة لايعلمها الا الله (ان الله عليم) بالغيوب (خبير) بما كان وبما يكون وعن الزهرى رضى الله تعالى عنه أكثروا قراءة سورة لقمان فان فيها أعاجيب والله أعلم

﴿سورة السجدة مكية وهى ثلاثون آية مدنى وكوفى وتسع وعشرون آية بصرى﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(الم) على انها اسم السورة مبتدأ وخبره (تنزيل الكتاب) وان جعلتها تعديدا للحروف ارتفع تنزيل بانه خبر مبتدأ محذوف أوهو مبتدأ خبره (لاريب فيه) أو يرتفع بالابتداء وخبره (من رب العالمين) ولاريب فيه اعتراض لامحل له والضمير فى فيه راجع الى مضمون الجملة كأنه قيل لاريب فى ذلك أى فى كونه منزلا من رب العالمين لانه معجز للبشر ومثله أبعد شئ من الريب ثم اضرب عن ذلك الى قوله (أم يقولون افتراه) أى اختلقه محمد

روى ان ملك الموت مر على سليمان فجعل ينظر الى رجل من جلسائه فقال الرجل من هذا قال ملك الموت فقال كأنه يريدنى فمر الريح ان تحملنى وتلقينى بالهند ففعل فقال الملك كان دوام نظرى اليه تعجبا منه اذ امرت ان اقبض روحه بالهند وهو عندك وانما جعل العلم لله والدراية للعبد لان فيها معنى الحيلة فيشعر بالفرق بين العلمين ويدل على انه ان اعمل حيلة وابعد فيها وسعه لم يعرف ماهو الحق به من كسبه وعاقبته فكيف بغيره مما لم ينصب له دليلا عليه *وقرئ باية ارض وشبه سيبويه تأنيثها بتأنيث كل فى كلتهن ﴿ان الله عليم﴾ يعلم الاشياء كلها ﴿خبير﴾ يعلم بواطنها كما يعلم ظواهرها *وعنه عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة لقمان كان له لقمان رفيقا يوم القيامة واعطى من الحسنات عشرا بعدد من عمل بالمعروف ونهى عن المنكر

سورة السجدة مكية وهى ثلاثون آية وقيل تسع وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الم﴾ ان جعل اسما للسورة او القرآن فمبتدأ خبره ﴿تنزيل الكتاب﴾ على ان التنزيل بمعنى المنزل وان جعل تعديد الحروف كان تنزيل خبر مبتدأ محذوف اومبتدأ خبره ﴿لاريب فيه﴾ فيكون ﴿من رب العالمين﴾ حالا من الضمير فى فيه لان المصدر لايعمل فيما بعد الخبر ويجوز ان يكون خبرا ثانيا ولاريب فيه حال من الكتاب اواعتراض والضمير فى فيه لمضمون الجملة ويؤيده قوله ﴿أم يقولون افتريه﴾ فانه انكار لكونه

أحد من الناس يعلم أين مضجعه من الارض فى بر او بحر فى سهل أو جبل ﴿ان الله عليم﴾ أى بهذه الاشياء وبغيرها ﴿خبير﴾ أى ببواطن الاشياء كلها ليس علمه محيطا بالظاهر فقط بل علمه محيط بالظاهر والباطن قال ابن عباس هذه الخمسة لايعلمها ملك مقرب ولانبى مصطفى فمن ادعى انه يعلم شيأ من هذه فانه كفر بالقرآن لانه خالفه والله تعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

تفسير سورة السجدة وهى مكية

قال عطاء الا ثلاث آيات من قوله أفمن كان مؤمنا وهى تسع وعشرون آية وقيل ثلاثون آية وثلثمائة وثمانون كلمة وألف وخمسمائة وثمانية عشر حرفا والله تعالى أعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل ﴿الم تنزيل الكتاب لاريب فيه﴾ أى لاشك فيه انه ﴿من رب العالمين أم يقولون﴾ أى بل يقولون يعنى المشركين ﴿افتراه﴾ يعنى اختلقه محمد

وهو مخزون عن العباد (ان الله عليم) بخلقه (خبير) باعمالهم وبما يصيبهم من النفع والضر ﴿ومن السورة التى يذكر (صلى) فيها السجدة وهى كلها مكية آياتها تسع وعشرون وكلها ثلثمائة وثلاثون كلمة وحروفها ألف وخمس مائة وثمانية عشر﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (الم) يقول أنا الله أعلم ويقال قسم أقسم به (تنزيل الكتاب) ان هذا الكتاب تكليم من الله (لاريب فيه) لاشك فيه انه (من رب العالمين أم يقولون) بل يقولون كفار مكة (افتراه) اختلق محمد القرآن من تلقاء نفسه

لان أم هى المنقطعة الكائنة بمعنى بل والهمزة معناه بل أيقولون افتراه انكارا لقولهم وتعجيبا منهم لظهور أمره فى عجز بلغائهم عن مثل ثلاث آيات منه (بل هو الحق) ثم اضرب عن الانكار الى اثبات انه الحق (من ربك) ولم يفتره محمد صلى الله عليه وسلم كما قالوا تعنتا وجهلا (لتنذر قوما) أى العرب (ما أتاهم من نذير من قبلك) ما للنفى والجملة صفة لقوما (لعلهم يهتدون) على الترجى من رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان لعله يتذكر على الترجى من موسى وهرون (الله الذى خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش) استولى عليه باحداثه (مالكم من دونه) من دون الله (من ولى ولا شفيع) أى اذا جاوزتم رضاه لم تجدوا لانفسكم وليا أى ناصرا ينصركم ولا شفيعا يشفع لكم (أفلا تتذكرون) تتعظون بمواعظ الله (يدبر الامر) أى أمر الدنيا (من السماء الى الارض) الى أن تقوم الساعة (ثم يعرج اليه) ذلك الامر كله أى يصير اليه ليحكم فيه (فى يوم كانت مقداره ألف سنة) وهو يوم القيامة (مما تعدون) من أيام الدنيا ولا تمسك للمشبهة بقوله اليه فى اثبات الجهة لان معناه الى حيث يرضاه أو أمره

من رب العالمين وقوله ﴿ بل هو الحق من ربك ﴾ فانه تقرير له ونظم الكلام على هذا انه اشار اولا الى اعجازه ثم رتب عليه ان تنزيله من رب العالمين وقرر ذلك بنفى الريب عنه ثم اضرب عن ذلك الى مايقولون فيه على خلاف ذلك انكارا له وتعجيبا منه فان أم منقطعة ثم اضرب عنه الى اثبات انه الحق المنزل من الله وبين المقصود من تنزيله فقال ﴿ لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك ﴾ اذ كانوا اهل الفترة ﴿ لعلهم يهتدون ﴾ بانذارك اياهم ﴿ الله الذى خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة ايام ثم استوى على العرش ﴾ مر بيانه فى الاعراف ﴿ مالكم من دونه من ولى ولا شفيع ﴾ مالكم اذا جاوزتم رضاء الله احد ينصركم ويشفع لكم او مالكم سواه ولى ولا شفيع بل هو الذى يتولى مصالحكم وينصركم فى مواطن نصركم على ان الشفيع متجوز به للناصر فاذا خذلكم لم يبق لكم ولى ولا ناصر ﴿ أفلا تتذكرون ﴾ بمواعظ الله ﴿ يدبر الامر من السماء الى الارض ﴾ يدبر امر الدنيا باسباب سماوية كالملائكة وغيرها نازلة آثارها الى الارض ﴿ ثم يعرج اليه ﴾ ثم يصعد اليه ويثبت فى علمه موجودا ﴿ فى يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون ﴾ فى برهة من الزمان متطاولة يعنى بذلك استطالة ما بين التدبير

صلى الله عليه وسلم من تلقاء نفسه ﴿ بل هو الحق ﴾ أى القرآن ﴿ من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك ﴾ يعنى العرب كانوا أمة أمية لم يأتهم نذير قبل محمد صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس رضى الله عنهما ذلك فى الفترة التى كانت بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم * فان قلت اذا لم يأتهم رسول لم تقم عليهم حجة * قلت أما قيام الحجة بالشرائع التى لا يدرك علمها الا من جهة الرسل فلا وأما قيام الحجة بمعرفة الله وتوحيده فنعم لان معهم أدلة العقل الموصلة الى ذلك فى كل زمان ﴿ لعلهم يهتدون ﴾ يعنى تنذرهم راجيا اهتداءهم ﴿ الله الذى خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش مالكم من دونه من ولى ولا شفيع أفلا تتذكرون ﴾ تقدم تفسيره * قوله تعالى ﴿ يدبر الامر ﴾ أى يحكم الامر وينزل القضاء والقدر وقيل ينزل الوحى مع جبريل عليه السلام ﴿ من السماء الى الارض ثم يعرج ﴾ أى يصعد ﴿ اليه ﴾ جبريل بالامر ﴿ فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون ﴾ يعنى مسافة ما بين السماء والارض خمسمائة سنة فيكون مقدار نزوله الى

(بل هو الحق) يعنى القرآن (من ربك) نزل به جبريل عليك (لتنذر) به لكى تخوف بالقرآن (قوما) يعنى قريشا (ما أتاهم من نذير من قبلك) لم يأتهم رسول مخوف قبلك يا محمد (لعلهم يهتدون) من الضلالة (الله الذى خلق السموات والارض وما بينهما) من الخلق والعجائب (فى ستة أيام) من أيام أول الدنيا طول كل يوم ألف سنة مما تعدون من سنين الدنيا (٤) أول يوم منها يوم الاحد وآخر يوم منها يوم الجمعة (ثم استوى على العرش) وكان الله على العرش قبل ان خلقهما (مالكم) يا أهل مكة (من دونه) من دون الله (من ولى) من قريب ينفعكم (ولا شفيع) يشفع لكم من عذاب الله (أفلا تتذكرون) تتعظون بالقرآن فتؤمنوا (يدبر الامر من السماء الى الارض) يبعث الملائكة بالوحى والتنزيل والمصيبة (ثم يعرج اليه) يصعد اليه يعنى الملائكة (فى يوم كان مقداره) مقدار صعوده على غير الملائكة (ألف سنة مما تعدون) من سنين الدنيا

(٤) قوله من سنين الصواب من سنى للاضافة لمصححه

والوقوع وقيل يدبر الامر باظهاره فى اللوح فينزل به الملك ثم يعرج اليه فى زمان هو كالف سنة لان مسافة نزوله وعروجه مسيرة الف سنة فان ما بين السماء والارض مسيرة خمسمائة سنة وقيل يقضى قضاء الف سنة فينزل به الملك ثم يعرج بعد الالف لالف آخر وقيل يدبر الامر الى قيام الساعة ثم يعرج اليه الامر كله يوم القيامة وقيل يدبر المأمور به من الطاعات منزلا من السماء الى الارض بالوحى ثم لا يعرج اليه خالصا كما يرتضيه الا فى مدة متطاولة لقلة المخلصين والاعمال الخلص * وقرئ يعرج ويعدون ﴿ذلك عالم الغيب والشهادة﴾ فيدبر امرها على وفق الحكمة ﴿العزيز﴾ الغالب على امره ﴿الرحيم﴾ على العباد فى تدبيره وفيه ايماء الى انه تعالى يراعى المصالح تفضلا واحسانا ﴿الذى احسن كل شئ خلقه﴾ خلقه موفرا عليه ما يستعده ويليق به على وفق الحكمة والمصلحة وخلقه بدل من كل بدل الاشتمال وقيل علم كيف يخلقه من قوله عليه السلام قيمة المرء ما يحسنه اى يحسن معرفته وخلقه مفعول ثان وقرأ نافع والكوفيون بفتح

الارض ثم صعوده الى السماء فى مقدار ألف سنة لو ساره أحد من بنى آدم وجبريل ينزل ويصعد فى مقدار يوم من أيام الدنيا وأقل من ذلك وكذلك الملائكة كلهم أجمعون وقيل معنى الآية انه يدبر الامر من السماء الى الارض مدة أيام الدنيا ثم يعرج اليه أى يرجع الامر والتدبير اليه بعد فناء الدنيا وانقطاع أمر الآمر وحكم الحاكم فى يوم كان مقداره ألف سنة و * ويوم القيامة * فان قلت قد قال فى موضع آخر تعرج الملائكة والروح اليه فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة فكيف الجمع بينهما * قلت أراد بقوله خمسين ألف سنة مدة المسافة بين الارض وسدرة المنتهى التى هى مقام جبريل عليه السلام يقول يسير جبريل والملائكة الذين معه من أهل مقامه مسيرة خمسين ألف سنة فى يوم واحد من أيام الدنيا وقيل كلها فى القيامة فيكون على بعضهم مثل ألف سنة وعلى بعضهم خمسين ألف سنة وهذا فى حال الكفار وأما على المؤمنين فدون ذلك كما جاء فى الحديث انه يكون على المؤمن كقدر صلاة مكتوبة صلاها فى الدنيا قال ابراهيم التيمى لا يكون على المؤمنين الا كما يكون ما بين الظهر والعصر وقيل يحتمل ان يكون هذا اخبارا عن شدته وهوله ومشقته وقال ابن أبى مليكة دخلت أنا وعبد الله بن فيروز مولى عثمان على ابن عباس فسأله ابن فيروز عن هذه الآية وعن مقدار خمسين ألف سنة فقال ابن عباس رضى الله عنهما أيام سماها الله تعالى لا أدرى ما هى وأكره أن أقول فى كتاب الله ما لا أعلم ﴿ذلك عالم الغيب والشهادة﴾ يعنى الذى صنع ما ذكر من خلق السموات والارض هو عالم الغيب والشهاده أى ما غاب عن خلقه لا تخفى عليه خافية والشهادة بمعنى ما حضر وظهر ﴿العزيز﴾ أى الممتنع المنتقم من أعدائه ﴿الرحيم﴾ باوليائه وأهل طاعته * قوله تعالى ﴿الذى أحسن كل شئ خلقه﴾ قال ابن عباس أتقنه وأحكمه وقيل علم كيف يخلق كل شئ وقيل خلق كل حيوان على صورة لم يخلق البعض على صورة البعض فكل حيوان كامل فى صورته حسن فى شكله وكل عضو من أعضائه مقدر على ما يصلح به معاشه وقيل

كما لا تشبث لهم بقوله انى ذاهب الى ربى انى مهاجر الى ربى ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله (ذلك عالم الغيب والشهادة) أى الموصوف بما مر عالم ما غاب عن الخلق وما شاهدوه (العزيز) الغالب أمره (الرحيم) البالغ لطفه وتيسيره وقيل لا وقف عليه لان (الذى) صفته (احسن كل شئ) أى حسنه لان كل شئ مرتب على ما اقتضته الحكمة (خلقه) كوفى ونافع وسهل على الوصف أى كل شئ خلقه فقد أحسن خلقه غيرهم على البدل أى احسن خلق كل شئ

(ذلك) المدبر (عالم الغيب) ما غاب عن العباد وما يكون (والشهادة) ما علمه العباد وما كان (العزيز) بالنقمة من الكفار (الرحيم) بالمؤمنين (الذى أحسن كل شئ خلقه) أحكم خلق كل

﴿ فمعناه ﴾

(وبدأ خلق الانسان) آدم (من طين ثم جعل نسله) ذريته (من سلالة) من نطفة (من ماء) أى منى وهو بدل من سلالة
(مهين) ضعيف حقير (ثم سواه) قومه كقوله فى أحسن تقويم (ونفخ) ادخل (فيه من روحه) الاضافة للاختصاص
كأنه قال ونفخ فيه من الشئ الذى اختص هو به وبعلمه (وجعل لكم السمع والابصار والافئدة) لتسمعوا وتبصروا وتعقلوا
(قليلا ماتشكرون) أى تشكرون قليلا (وقالوا) القائل أبى بن خلف ولرضاهم
بقوله أسند اليهم (أئذا
ضللنا فى الارض) أى
صرنا ترابا وذهبنا مختلطين
بتراب الارض لانتميز منه
كما يضل الماء فى اللبن أو غبنا
فى الارض بالدفن فيها وقرأ
على ضللنا بكسر اللام يقال
ضل يضل وضل يضل
وانتصب الظرف فى أئذا
ضللنا بما يدل عليه (أئنا لفى
خلق جديد) وهو نبعث
(بل هم بلقاء ربهم كافرون)
جاحدون لما ذكر كفرهم
بالبعث اضرب عنه الى ماهو
أبلغ وهو انهم كافرون
بجميع مايكون فى العاقبة
لا بالبعث وحده (قل
يتوفاكم ملك الموت الذى
وكل بكم

اللام على الوصف فالشئ على الاول مخصوص بمنفصل وعلى الثانى بمتصل ﴿ وبدأ
خلق الانسان ﴾ يعنى آدم ﴿ من طين ثم جعل نسله ﴾ ذريته سميت به لانها تنسل
منه اى تنفصل ﴿ من سلالة من ماء مهين ﴾ ممتهن ﴿ ثم سواه ﴾ قومه بتصوير
اعضائه على ماينبغى ﴿ ونفخ فيه من روحه ﴾ اضافه الى نفسه تشريفا واشعارا بانه خلق
عجيب وان له شأنا له مناسبة ما الى الحضرة الربوبية ولاجله من عرف نفسه فقد عرف
ربه ﴿ وجعل لكم السمع والابصار والافئدة ﴾ خصوصا لتسمعوا وتبصروا وتعقلوا
﴿ قليلا ماتشكرون ﴾ تشكرون شكرا قليلا ﴿ وقالوا أئذا ضللنا فى الارض ﴾ أى صرنا ترابا
مخلوطا بتراب الارض لانتميز منه أو غبنا فيها وقرئ فيها ضللنا بالكسر من ضل يضل وصللنا
من صل اللحم اذا انتن وقرأ ابن عامر اذا على الخبر والعامل فيه مادل عليه ﴿ أئنا لفى خلق
جديد ﴾ وهو نبعث او يجدد خلقنا وقرأ نافع والكسائى ويعقوب انا على الخبر والقائل
ابى بن خلف واسناده الى جميعهم لرضاهم به ﴿ بل هم بلقاء ربهم ﴾ بالبعث او بتلقى ملك
الموت ومابعده ﴿ كافرون ﴾ جاحدون ﴿ قل يتوفيكم ﴾ يستوفى نفوسكم لايترك
منها شيأ أو لايبقى منكم احدا والتفعل والاستفعال يلتقيان كثيرا كتنقصته واستنقصته
وتعجلته واستعجلته ﴿ ملك الموت الذى وكل بكم ﴾ لقبض ارواحكم واحصاء آجالكم

معناه الهم خلقه مايحتاجون اليه وعلمهم اياه وقيل معناه أحسن الى كل خلقه ﴿ وبدأ
خلق الانسان من طين ﴾ يعنى آدم ﴿ ثم جعل نسله ﴾ يعنى ذريته ﴿ من سلالة ﴾ أى
من نطفة تنسل من الانسان ﴿ من ماء مهين ﴾ أى ضعيف ﴿ ثم سواه ﴾ أى سوى
خلقه ﴿ ونفخ فيه من روحه ﴾ أضاف اليه الروح اضافة تشريف كبيت الله وناقة الله
ثم ذكر مايترتب على نفخ الروح فى الجسد فقال ﴿ وجعل لكم ﴾ أى خلق بعد ان كنتم
نطفا مواتا ﴿ السمع والابصار والافئدة ﴾ قيل قدم السمع لان الانسان يسمع أولا كلاما
فينظر الى قائله ليعرفه ثم يتفكر بقلبه فى ذلك الكلام ليفهم معناه ووحد السمع لان
الانسان يسمع الكلام من أى جهة كان ﴿ قليلا ماتشكرون ﴾ يعنى انكم لاتشكرون
رب هذه النعمة فتوحدوه الاقليلا ۞ قوله تعالى ﴿ وقالوا ﴾ يعنى منكرى البعث
﴿ أئذا ضللنا ﴾ هلكنا ﴿ فى الارض ﴾ والمعنى صرنا ترابا ﴿ أئنا لفى خلق جديد ﴾
استفهام انكارى قال الله تعالى ﴿ بل هم بلقاء ربهم كافرون ﴾ أى بالبعث بعد الموت
﴿ قل يتوفاكم ﴾ أى يقبض أرواحكم حتى لايبقى أحد ممن كتب عليه الموت ﴿ ملك
الموت ﴾ وهو عزرائيل عليه السلام ﴿ الذى وكل بكم ﴾ أى انه لايغفل عنكم واذا جاء

شئ (وبدأ خلق الانسان)
يعنى آدم (من طين) أخذ
من أديم الارض (ثم جعل
نسله) ذريته (من سلالة)
من نطفة (من ماء مهين) من
نطفة ضعيفة من ماء الرجل
والمرأة (ثم سواه) جمع خلقه
فى بطن أمه (ونفخ فيه من روحه) (قا و خا ١٠ مس) جعل الروح فيه (وجعل لكم السمع) خلق لكم السمع لكى
تسمعوا به الحق والهدى (والابصار) لكى تبصروا بها الحق والهدى (والافئدة) يعنى القلوب لكى تفقهوا بها الحق والهدى
(قليلا ماتشكرون) شكركم بما صنع اليكم قليل (وقالوا) يعنى أبا جهل وأصحابه (أئذا ضللنا) هلكنا (فى الارض) بعد الموت (أئنا
لفى خلق جديد) نجدد بعد الموت هذا مالا يكون (بل هم بلقاء ربهم) بالبعث بعد الموت (كافرون) جاحدون (قل) لهم يا محمد
(يتوفاكم) يقبض أرواحكم (ملك الموت الذى وكل بكم) بقبض أرواحكم

ثم الى ربكم ترجعون) أي يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بقبض أرواحكم ثم ترجعون الى ربكم بعد ذلك مبعوثين للحساب والجزاء وهذا معنى لقاء الله والتوفى استيفاء النفس وهى الروح أي يقبض أرواحكم أجمعين من قولك توفيت حقى من فلان اذا أخذته وافيا كملا من غير نقصان وعن مجاهد حويت لملك الموت الارض وجعلت له مثل الطست يتناول منها حيث يشاء وقيل ملك الموت يدعو الارواح فتجيبه ثم يأمر اعوانه بقبضها والله تعالى هو الآمر لذلك كله وهو الخالق لافعال المخلوقات وهذا وجه الجمع بين هذه الآية وبين قوله توفته رسلنا وقوله الله يتوفى الانفس حين موتها (ولو ترى) الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد ولو امتناعية والجواب محذوف أي لرأيت أمرا عظيما (اذ المجرمون) هم الذين قالوا أئذا ضللنا فى الارض ولو واذ للمضى وانما جاز ذلك لان المترقب من الله بمنزلة الموجود ولا يقدر لترى ما يتناوله كانه قيل ولو تكون منك الرؤية واذ ظرف له (ناكسوا رؤسهم) من الذل والحياء والندم (عند ربهم) عند حساب ربهم ويوقف عليه لحق الحذف اذ التقدير يقولون (ربنا أبصرنا) صدق وعدك ووعيدك (وسمعنا) منك تصديق رسلك أو كنا عميا وصما فابصرنا وسمعنا (فارجعنا) الى الدنيا (نعمل صالحا) أي الايمان والطاعة (انا موقنون) بالبعث والحساب الآن (ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها) فى الدنيا أي لو شئنا أعطينا كل نفس ماعندنا من اللطف الذى لو كان منهم اختيار ذلك لاهتدوا لكن لم نعطهم ذلك اللطف لما علمنا منهم اختيار الكفر وايثاره (و) هو حجة على المعتزلة فان عندهم شاء الله ان يعطى كل نفس ما به اهتدت وقد أعطاها لكنها لم تهتد وهم اولوا الآية بمشيئة الجبر وهو تأويل فاسد لما عرف

﴿ ثم الى ربكم ترجعون ﴾ للحساب او الجزاء ﴿ ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم ﴾ من الحياء والخزى ﴿ ربنا ﴾ قائلين ربنا ﴿ ابصرنا ﴾ ماوعدتنا ﴿ وسمعنا ﴾ منك تصديق رسلك ﴿ فارجعنا ﴾ الى الدنيا ﴿ نعمل صالحا انا موقنون ﴾ اذ لم يبق لنا شك بما شاهدنا وجواب لو محذوف تقديره لرأيت امرا فظيعا ويجوز ان تكون للتمنى والمضى فيها وفى اذ لان الثابت فى علم الله بمنزلة الواقع ولا يقدر لترى مفعول لان المعنى لو يكون منك رؤية فى هذا الوقت او يقدر مايدل عليه صلة اذ والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل احد ﴿ ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ﴾ ماتهتدى به الى الايمان

أجل أحدكم لا يؤخر ساعة ولا شغل له الا ذلك روى ان ملك الموت جعلت له الدنيا مثل راحة اليد يأخذ منها صاحبها ما أحب من غير مشقة فهو يقبض أرواح الخلائق من مشارق الارض ومغاربها وله اعوان من الملائكة ملائكة الرحمة وملائكة العذاب وقال ابن عباس ان خطوة ملك الموت مابين المشرق والمغرب وقال مجاهد جعلت له الارض مثل الطست يتناول منها حيث يشاء وقيل ان ملك الموت على معراج بين السماء والارض فتنزع أعوانه روح الانسان فاذا بلغ ثغرة نحره قبضه ملك الموت * عن معاذ ابن جبل قال ان لملك الموت حربة تبلغ مابين المشرق والمغرب وهى تتصفح وجوه الناس فما من أهل بيت الا وملك الموت يتصفحهم فى كل يوم مرتين فاذا رأى انسانا قد انقضى أجله ضرب رأسه بتلك الحربة وقال له الآن تنزل بك سكرات الموت وقوله ﴿ ثم الى ربكم ترجعون ﴾ أي تصيرون الى ربكم احياء فيجزيكم باعمالكم * قوله عز وجل ﴿ ولو ترى اذ المجرمون ﴾ أي المشركون ﴿ ناكسوا رؤسهم عند ربهم ﴾ أي يطأطؤنها حياء من ربهم وندما على مافعلوا عند ربهم يقولون ﴿ ربنا ابصرنا ﴾ اى ماكنا به مكذبين ﴿ وسمعنا ﴾ يعنى منك تصديق ما اتتنا به رسلك وقيل ابصرنا معاصينا وسمعنا ماقيل فيها ﴿ فارجعنا ﴾ أي فارددنا الى الدنيا ﴿ نعمل صالحا انا موقنون ﴾ أي فى الحال آمنا ولكن لا ينفع ذلك الايمان ﴿ ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ﴾ أي رشدها

(ثم الى ربكم ترجعون) فى الآخرة (ولو ترى اذ المجرمون) المشركون (ناكسوا رؤسهم) مطأطؤا رؤسهم (عند ربهم) يوم القيامة ( ) يقولون يا ربنا (ابصرنا) علمنا مالم نعلم (وسمعنا) ايقنا بما لم نكن به موقنين (فارجعنا) حتى نؤمن بك (نعمل صالحا) خالصا (انا موقنون) مقرون بك وبكتابك ورسولك وبالبعث بعد الموت (ولو شئنا لآتينا) لاعطينا (كل نفس هداها) تقواها

فى تبصر الادلة (ولكن حق القول منى لأملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين) ولكن وجب القول منى بما علمت انه يكون منهم مايستوجبون به جهنم وهوما علم منهم انهم يختارون الرد والتكذيب وفى تخصيص الانس والجن اشارة الى انه عصم ملائكته عن عمل يستوجبون به جهنم (فذوقوا) العذاب (بما نسيتم لقاء) بما تركتم من عمل لقاء (يومكم هذا) وهو الايمان به (انا نسيناكم) تركناكم فى العذاب كالمنسى ﴿٧٥﴾ (وذوقوا عذاب الخلد) {سورة السجدة} اى العذاب الدائم الذى لا انقطاع له (بما كنتم تعملون) من الكفر والمعاصى (انما يؤمن بآياتنا الذين اذا ذكروا بها) اى وعظوا بها (خروا سجدا) سجدوا لله تواضعا وخشوعا وشكرا على مارزقهم من الاسلام (وسبحوا بحمد ربهم) ونزهوا الله عما لايليق به واثنوا عليه حامدين له (وهم لايستكبرون) عن الايمان به والسجود له (تتجافى) ترتفع وتتنحى (جنوبهم عن المضاجع) عن الفرش ومضاجع النوم قال سهل وهب لقوم هبة وهوان أذن لهم فى مناجاته وجعلهم من أهل وسيلته ثم مدحهم عليه فقال تتجافى جنوبهم عن المضاجع

والعمل الصالح بالتوفيق له ﴿ولكن حق القول منى﴾ ثبت قضائى وسبق وعيدى وهو ﴿لأملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين﴾ وذلك تصريح بعدم ايمانهم لعدم المشيئة المسبب عن سبق الحكم بأنهم من اهل النار ولا يدفعه جعل ذوق العذاب مسببا عن نسيانهم العاقبة وعدم تفكرهم فيها بقوله ﴿فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا﴾ فانه من الوسائط والاسباب المقتضية له ﴿انا نسيناكم﴾ تركناكم من الرحمة أو فى العذاب ترك المنسى وفى استئنافه وبناء الفعل على ان واسمها تشديد فى الانتقام منهم ﴿وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون﴾ كرر الامر للتأكيد ولما نيط به من التصريح بمفعوله وتعليله بافعالهم السيئة من التكذيب والمعاصى كما علله بتركهم تدبير امر العاقبة والتفكر فيه دلالة على ان كلا منهما يقتضى ذلك ﴿انما يؤمن بآياتنا الذين اذا ذكروا بها﴾ وعظوا بها ﴿خروا سجدا﴾ خوفا من عذاب الله ﴿وسبحوا﴾ نزهوه عما لايليق به كالعجز عن البعث ﴿بحمد ربهم﴾ حامدين له شكرا على ماوفقهم للاسلام وآتاهم الهدى ﴿وهم لايستكبرون﴾ عن الايمان والطاعات كما يفعل من يصر مستكبرا ﴿تتجافى جنوبهم﴾ ترتفع وتتنحى ﴿عن المضاجع﴾ الفرش ومواضع النوم

وتوفيقها للايمان ﴿ولكن حق القول منى﴾ اى وجب القول منى ﴿لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾ أى من كفار الجن والانس ﴿فذوقوا﴾ أى فاذا دخلوا النار قالت لهم الخزنة ذوقوا ﴿بما نسيتم لقاء يومكم﴾ أى تركتم الايمان فى الدنيا ﴿هذا انا نسيناكم﴾ أى تركناكم بالكلية غير ملتفت اليكم كما يفعل بالناسى قطعا لرجائكم ﴿وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون﴾ أى من الكفر والتكذيب * قوله تعالى ﴿انما يؤمن بآياتنا الذين اذا ذكروا بها﴾ أى وعظوا بها ﴿خروا سجدا﴾ أى سقطوا على وجوههم ساجدين ﴿وسبحوا بحمد ربهم﴾ أى صلوا بأمر ربهم وقيل قالوا سبحان الله وبحمده ﴿وهم لايستكبرون﴾ أى عن الايمان به والسجود له (ق) عن ابن عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ السورة التى فيها السجدة فيسجد ويسجدون حتى مايجد أحدنا مكانا لوضع جبهته فى غير وقت الصلاة (م) عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكى ويقول ياويلتا أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت بالسجود فأبيت فلى النار وهذه من عزائم سجود القرآن فتسن للقارئ وللمستمع * قوله تعالى ﴿تتجافى جنوبهم﴾ أى ترتفع وتنبو ﴿عن المضاجع﴾ جمع مضجع وهو الموضع الذى يضطجع عليه يعنى الفرش وهم المتهجدون بالليل الذين يقيمون الصلاة وقال أنس نزلت فينا معاشر الانصار كنا نصلى المغرب فلا نرجع الى رحالنا حتى نصلى العشاء مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أنس

(ولكن حق القول) وجب القول (منى لأملأن جهنم من الجنة والناس) من كفار الجن والانس (اجمعين) لولا ذلك لاكرمت كل نفس بالمعرفة والتوحيد (فذوقوا بما نسيتم) تركتم الاقرار والعمل (لقاء يومكم) بلقاء يومكم (هذا انانسيناكم) تركناكم فى النار (وذوقوا عذاب الخلد) الدائم (بما كنتم تعملون) فى الكفر (انما يؤمن) يصدق (بآياتنا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (الذين اذا ذكروا بها) دعوا بها الى الصلوات الخمس بالاذان والاقامة (خروا سجدا) أتوا تواضعا (وسبحوا بحمد ربهم) صلوا بأمر ربهم (وهم لايستكبرون) لايتعظمون عن الايمان بمحمد عليه السلام والقرآن والصلوات الخمس فى الجماعة نزلت هذه الآية فى شان المنافقين وكانوا لايأتون الصلاة الا كسالى متثاقلين (تتجافى جنوبهم) تتقلب جنوبهم (عن المضاجع) عن الفراش بعد النوم بالليل لصلاة التطوع

في قوله تتجافى جنوبهم عن المضاجع نزلت في انتظار الصلاة التي تدعى العتمة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب صحيح وفي رواية أبي داود عنه قال كانوا يتنفلون ما بين المغرب والعشاء أي يصلون وهو قول أبي حازم ومحمد بن المنكدر وقيل هي صلاة الاوابين وروى عن ابن عباس قال ان الملائكة لتحف بالذين يصلون بين المغرب والعشاء وهي صلاة الاوابين وقال عطاء هم الذين لاينامون حتى يصلوا العشاء الاخيرة والفجر في جماعة بدليل قوله صلى الله عليه وسلم من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما صلى الليل كله أخرجه مسلم من حديث عثمان بن عفان (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو يعلمون ما في العتمة والصبح لاتوهما ولو حبوا وأشهر الاقاويل ان المراد منه صلاة الليل وهو قول الحسن ومجاهد ومالك والاوزاعي وجماعة

فصل في فضل قيام الليل والحث عليه

عن معاذ بن جبل قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفرة فأصبحت يوما قريبا منه وهو يسير فقلت يارسول الله اخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار قال سألت عن عظيم وانه ليسير على من يسره الله تعالى عليه تعبد الله ولاتشرك به شيأ وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ثم قال ألا أدلك على أبواب الخير الصوم جنة والصدقة تطفئ الخطيئة وصلاة الرجل في جوف الليل ثم قرأ تتجافى جنوبهم عن المضاجع حتى بلغ جزاء بما كانوا يعملون ثم قال ألا أخبرك برأس الامر وعموده وذروة سنامه قلت بلى يارسول الله قال رأس الامر الاسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد ثم قال ألا أخبرك بملاك ذلك كله قلت بلى يارسول الله قال فاخذ بلسانه وقال اكفف عليك هذا فقلت يارسول الله وانا لمؤاخذون بما نتكلم فقالت ثكلتك أمك يامعاذ وهل يكب الناس في النار على وجوههم أوقال على مناخرهم الاحصائد ألسنتهم أخرجه الترمذي ❀ عن أبي امامة الباهلي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عليكم بقيام الليل فانه دأب الصالحين قبلكم وقربة الى ربكم وتكفير للسيآت ومنهاة عن الآثام ومطردة الداء عن الجسد أخرجه الترمذي ❀ عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عجب ربنا من رجلين رجل ثار عن وطائه ولحافه من بين جنبيه وأهله الى صلاته فيقول الله عز وجل لملائكته انظروا الى عبدي ثار عن فراشه ووطائه من بين جنبيه وأهله الى صلاته رغبة فيما عندي وشفقة مما عندي ورجل غزا في سبيل الله وانهزم مع أصحابه فعلم ماعليه في الانهزام وماله في الرجوع فرجع حتى أهريق دمه فيقول الله تعالى لملائكته انظروا الى عبدي رجع رغبة فيما عندي وشفقة مما عندي حتى أهريق دمه أخرجه الترمذي بمعناه (م) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل (ق) عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم الليل حتى تورمت قدماه فقلت لم تصنع هذا يارسول الله وقد غفر لك ماتقدم من ذنبك وماتأخر قال أفلا أكون عبدا شكورا ❀ عن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة غرفا يرى باطنها من ظاهرها وظاهرها من باطنها أعدها الله لمن ألان

(يدعون) داعين (ربهم) عابدين له (خوفا وطمعا) مفعول له أى لاجل خوفهم من سخطه وطمعهم فى رحمته وهم المتهجدون وعن النبى صلى الله عليه وسلم فى تفسيرها قيام العبد من الليل وعن ابن عطاء أبت جنوبهم ان تسكن على بساط الغفلة وطلبت بساط القربة يعنى صلاة الليل وعن أنس كان اناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم يصلون من صلاة المغرب الى صلاة العشاء الاخيرة فنزلت فيهم وقيل هم الذين يصلون صلاة العتمة لاينامون عنها (ومما رزقناهم ينفقون) فى طاعة الله تعالى (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم) ما بمعنى الذى اخفى على حكاية النفس حمزة ويعقوب (من قرة أعين) أى لايعلم أحد ما أعد لهؤلاء من الكرامة (جزاء) مصدر أى جوزوا جزاء (بما كانوا يعملون) عن الحسن رضى الله عنه أخفى القوم أعمالا فى الدنيا فاخفى الله لهم ما لاعين رأت ولا اذن سمعت وفيه دليل على ان المراد الصلاة فى جوف الليل ليكون الجزاء وفاقا بين ان من كان فى نور الطاعة والايمان لا يستوى مع من هو فى ظلمة الكفر والعصيان بقوله (أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا) أى كافرا وهما محمولان على لفظ من وقوله (لا يستوون) على المعنى بدليل

﴿ يدعون ربهم ﴾ داعين اياه ﴿ خوفا ﴾ من سخطه ﴿ وطمعا ﴾ فى رحمته وعن النبى صلى الله عليه وسلم فى تفسيرها قيام العبد من الليل وعنه عليه الصلاة والسلام اذا جمع الله الاولين والآخرين جاء مناد ينادى بصوت يسمع الخلائق كلهم سيعلم اهل الجمع اليوم من اولى بالكرم ثم يرجع فينادى ليقم الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل ثم يرجع فينادى ليقم الذين كانوا يحمدون الله فى البأساء والضراء فيقومون وهم قليل فيسرحون جميعا الى الجنة ثم يحاسب سائر الناس وقيل كان ناس من الصحابة يصلون من المغرب الى العشاء فنزلت فيهم ﴿ ومما رزقناهم ينفقون ﴾ فى وجوه الخير ﴿ فلا تعلم نفس ما اخفى لهم ﴾ لا لملك مقرب ولا نبى مرسل ﴿ من قرة اعين ﴾ مما تقر به عيونهم وعنه عليه الصلاة والسلام يقول الله اعددت لعبادى الصالحين مالا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما اطلعتهم عليه اقرؤا ان شئتم فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين وقرأ حمزة ويعقوب اخفى على انه مضارع اخفيت وقرئ نخفى واخفى والفاعل للكل هو الله تعالى وقرات اعين لاختلاف انواعها والعلم بمعنى المعرفة وما موصولة أو استفهامية معلق عنها الفعل ﴿ جزاء بما كانوا يعملون ﴾ اى جزوا جزاء او اخفى للجزاء فان اخفائه لعلو شأنه وقيل هذا القوم اخفوا اعمالهم فاخفى الله ثوابهم ﴿ أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا ﴾ خارجا عن الايمان ﴿ لايستوون ﴾ فى الشرف

الكلام وأطعم الطعام وتابع الصيام وصلى بالليل والناس نيام أخرجه الترمذى (خ) عن الهيثم بن أبى سنان انه سمع أبا هريرة رضى الله عنه فى قصة يذكر النبى صلى الله عليه وسلم يقول ان أخا لكم لا يقول الرفث يعنى بذلك ابن رواحة قال

وفينا رسول الله يتلو كتابه * اذا انشق معروف من الفجر ساطع
أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا * به موقنات ان ما قال واقع
يبيت يجافى جنبه عن فراشه * اذا استثقلت بالكافرين المضاجع

أخرجه البخارى وليس للهيثم بن سنان عن أبى هريرة فى الصحيحين غير هذا الحديث * وقوله تعالى ﴿ يدعون ربهم خوفا وطمعا ﴾ قال ابن عباس خوفا من النار وطمعا فى الجنة ﴿ ومما رزقناهم ينفقون ﴾ قيل أراد به الصدقة المفروضة وقيل بل هو عام فى الواجب والتطوع * قوله عز وجل ﴿ فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين ﴾ أى مما تقر به أعينهم فلا يلتفتون الى غيره قال ابن عباس هذا مما لا تفسير له وقيل أخفوا أعمالهم فاخفى الله ثوابهم ﴿ جزاء بما كانوا يعملون ﴾ أى من الطاعات فى دار الدنيا (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تبارك وتعالى أعددت لعبادى الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر واقرؤا ان شئتم فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين * قوله تعالى ﴿ أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون ﴾

(يدعون ربهم) يعبدون ربهم بالصلوات الخمس ويقال ترفع جنوبهم عن الفراش حتى يصلوا صلاة العشاء الاخيرة ويقال ترفع جنوبهم عن الفراش بعد النوم بالليل لصلاة التطوع (خوفا) منه ومن عذابه (وطمعا) اليه والى رحمته (ومما رزقناهم) أعطيناهم من المال (ينفقون) يتصدقون به (فلا تعلم نفس) فليس تعلم أنفسهم (ما أخفى لهم) ما أعد لهم وما رفع لهم وما ذخر لهم (من قرة أعين) من طيبة النفس والثواب والكرامة فى الجنة (جزاء بما كانوا يعملون) فى الدنيا من الخيرات (أفمن كان مؤمنا) مصدقا فى ايمانه وهو على بن أبى طالب (كمن كان فاسقا) منافقا فى ايمانه وهو الوليد بن عقبة بن أبى معيط (لا يستوون) فى الدنيا بالطاعة

قوله (أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى) هى نوع من الجنان تأوى اليها أرواح الشهداء وقيل هى عن يمين العرش (نزلا بما كانوا يعملون) عطاء باعمالهم والنزل عطاء النازل ثم صار عاما (وأما الذين فسقوا فمأواهم النار) أى ملجؤهم ومنزلهم (كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم) أى تقول لهم خزنة النار (ذوقوا عذاب النار الذى كنتم به تكذبون) وهذا دليل على ان المراد بالفاسق الكافر اذ التكذيب يقابل الايمان (ولنذيقنهم من العذاب الادنى) أى عذاب الدنيا من الاسر وما محنوا به من السنة سبع سنين (دون العذاب الاكبر) أى عذاب الآخرة أى نذيقهم عذاب الدنيا قبل ان يصلوا الى الآخرة وعن الدارانى العذاب الادنى الخذلان والعذاب الاكبر الخلود فى النيران وقيل عذاب الادنى عذاب القبر (لعلهم) لعل المعذبين بالعذاب الادنى (يرجعون) يتوبون عن الكفر (ومن أظلم ممن ذكر) وعظ (بآيات ربه) أى بالقرآن (ثم أعرض عنها)

والمثوبة تأكيد وتصريح والجمع للحمل على المعنى ﴿ اما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى ﴾ فانها المأوى الحقيقى والدنيا منزل مرتحل عنها لامحالة وقيل المأوى جنة من الجنان ﴿ نزلا ﴾ سبق فى آل عمران ﴿ بما كانوا يعملون ﴾ بسبب اعمالهم او على اعمالهم ﴿ واما الذين فسقوا فمأويهم النار ﴾ مكان جنة المأوى للمؤمنين ﴿ كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها ﴾ عبارة عن خلودهم فيها ﴿ وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذى كنتم به تكذبون ﴾ اهانة لهم وزيادة فى غيظهم ﴿ ولنذيقنهم من العذاب الادنى ﴾ عذاب الدنيا يريد ما محنوا به من السنة سبع سنين والقتل والاسر ﴿ دون العذاب الاكبر ﴾ عذاب الآخرة ﴿ لعلهم ﴾ لعل من بقى منهم ﴿ يرجعون ﴾ يتوبون عن الكفر روى ان وليد بن عتبة فاخر عليا يوم بدر فنزلت هذه الآيات ﴿ ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم اعرض عنها ﴾ فلم يتفكر فيها وثم لاستبعاد الاعراض عنها مع

نزلت فى على بن أبى طالب والوليد بن عقبة بن أبى معيط كان بينهما تنازع وكلام فى شئ فقال الوليد لعلى اسكت فانك صبى وأنا شيخ والله انى أبسط منك لسانا وأحد منك سنانا وأشجع منك جنانا وأملأ منك حشوا فى الكتيبة فقال له على اسكت فانك فاسق فانزل الله هذه الآية وقوله لايستوون أراد جنس المؤمنين وجنس الفاسقين ولم يرد مؤمنا واحدا ولا فاسقا واحدا ﴿ أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى ﴾ أى التى يأوى اليها المؤمنون ﴿ نزلا ﴾ هو ما يهيأ للضيف عند نزوله ﴿ بما كانوا يعملون ﴾ يعنى من الطاعات فى دار الدنيا ﴿ وأما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذى كنتم به تكذبون ﴾ ۞ قوله تعالى ﴿ ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر ﴾ أى سوى العذاب الاكبر قال ابن عباس العذاب الادنى مصائب الدنيا واسقامها وعنه انه الحدود وقيل هو الجوع بمكة حتى أكلوا الجيف والعظام والكلاب سبع سنين وقال ابن مسعود هو القتل بالسيف يوم بدر والاكبر هو عذاب جهنم ﴿ لعلهم يرجعون ﴾ أى الى الايمان يعنى من بقى منهم بعد القحط وبعد بدر ﴿ ومن اظلم ﴾ أى لا أحد أظلم ﴿ ممن ذكر بآيات ربه ﴾ أى بدلائل وحدانيته وانعامه عليه ﴿ ثم أعرض عنها ﴾ أى ترك الايمان بها

وفى الآخرة بالثواب والكرامة عند الله وكان بينهما كلام وتنازع حتى قال على بن طالب رضى الله عنه يا فاسق ثم بين مستقرهما بعد الموت فقال (أما الذين آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (وعملوا الصالحات) الخيرات فيما بينهم وبين ربهم (فلهم جنات المأوى نزلا) منزلا ثوابا لهم فى الآخرة (بما كانوا يعملون) فى الدنيا من الخيرات (وأما الذين فسقوا) نافقوا فى ايمانهم (فمأواهم) فمصيرهم (النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها) من النار (أعيدوا) ردوا (انا) (فيها) فى النار بمقامع الحديد (وقيل لهم) قالت لهم الزبانية (ذوقوا عذاب النار الذى كنتم به) فى الدنيا (تكذبون) انه لايكون (ولنذيقنهم) لنصيبنهم يعنى كفار مكة (من العذاب الادنى) من عذاب الدنيا بالقحط والجدوبة والجوع والقتل وغير ذلك ويقال عذاب القبر (دون العذاب الاكبر) قبل عذاب النار يخوفهم بذلك (لعلهم يرجعون) عن كفرهم فيتوبوا (ومن أظلم) ليس أحد أعتى وأظلم (ممن ذكر) وعظ (بآيات ربه) نزلت فى المنافقين المستهزئين بالقرآن (ثم أعرض عنها)

فرط وضوحها وارشادها الى اسباب السعادة بعد التذكير بها عقلا كما فى بيت الحماسة
ولايكشف الغماء الا ابن حرة * يرى غمرات الموت ثم يزورها
﴿ انا من المجرمين منتقمون ﴾ فكيف ممن كان اظلم من كل ظالم ﴿ ولقد آتينا موسى الكتاب ﴾ كما آتيناك ﴿ فلا تكن فى مرية ﴾ فى شك ﴿ من لقائه ﴾ من لقائك الكتاب كقوله وانك لتلقى القرآن فانا آتيناك من الكتاب مثل ما آتيناه منه فليس ذلك ببدع لم يكن قط حتى ترتاب فيه اومن لقاء موسى الكتاب اومن لقائك موسى وعنه عليه السلام رأيت ليلة اسرى بى موسى عليه السلام رجلا آدم طوالا جعدا كأنه من رجال شنوءة

﴿ انا من المجرمين ﴾ يعنى المشركين ﴿ منتقمون ﴾ معناه انهم لما لم يرجعوا بالعذاب الادنى فانا منهم منتقمون بالعذاب الاكبر ﴿ قوله تعالى ﴾ ولقد آتينا موسى الكتاب ﴾ يعنى التوراة ﴿ فلا تكن فى مرية ﴾ أى فى شك ﴿ من لقائه ﴾ أى من لقاء موسى ليلة المعراج قاله ابن عباس (ق) عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال رأيت ليلة أسرى بى موسى رجلا آدم طوالا جعدا كأنه من رجال شنوءة ورأيت عيسى رجلا مربوعا مربوع الخلق الى الحمرة والى البياض سبط الشعر ورأيت مالكا خازن النار والدجال فى آيات أراهن الله اياه فلا تكن فى مرية من لقائه (م) عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتيت على موسى ليلة المعراج ليلة أسرى بى عند الكثيب الاحمر وهو قائم يصلى فى قبره * فان قلت قد صح فى حديث المعراج انه رآه فى السماء السادسة عند مراجعته فى الصلوات فكيف الجمع بين هذين الحديثين * قلت يحتمل أن تكون رؤيته فى قبره عند الكثيب الاحمر كان قبل صعوده الى السماء وذلك فى طريقه الى بيت المقدس ثم لما صعد الى السماء السادسة وجده هناك قد سبقه لما يريد الله عز وجل وهو على كل شئ قدير * فان قلت كيف تصح منه الصلاة فى قبره وهو ميت وقد سقط عنه التكليف وهو فى دار الآخرة وليست دار عمل وكذلك رأى النبى صلى الله عليه وسلم جماعة من الانبياء وهم يحجون فما الجواب عن هذا * قلت يجاب عنه باجوبة أحدها ان الانبياء كالشهداء بل هم أفضل منهم والشهداء أحياء عند ربهم يرزقون فلا يبعد أن يحجوا أو يصلوا كما صح فى الحديث وأن يتقربوا الى الله بما استطاعوا وان كانوا قد ماتوا لانهم بمنزلة الاحياء فى هذه الدار التى هى دار العمل الى أن تفنى ثم يرحلون الى دار الجزاء التى هى الجنة * الجواب الثانى انه صلى الله عليه وسلم رأى حالهم الذى كانوا عليه فى حياتهم ومثلوا له كيف كانوا وكيف كان حجهم وصلاتهم * الجواب الثالث ان التكليف وان ارتفع عنهم فى الآخرة لكن الذكر والشكر والدعاء لا يرتفع قال الله تعالى دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وقال صلى الله عليه وسلم يلهمون التسبيح كما يلهمون النفس فالعبد يعبد ربه فى الجنة أكثر مما كان يعبده فى الدنيا وكيف لا يكون ذلك وقد صار حاله مثل حال الملائكة الذين قال الله فى حقهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون غاية ما فى الباب ان العبادة ليست عليهم بتكليف بل هى على مقتضى الطبع والله اعلم وقيل فى قوله فلا تكن فى مرية من لقائه أى من تلقى

أى فتولى عنها ولم يتدبر فيها وثم للاستبعاد أى ان الاعراض عن مثل هذه الآيات فى وضوحها وانارتها وارشادها الى سواء السبيل والفوز بالسعادة العظمى بعد التذكير بها مستبعد فى العقل كما تقول لصاحبك وجدت منك تلك الفرصة ثم لم تنتهزها استبعادا لتركه الانتهاز (انا من المجرمين منتقمون) ولم يقل منه لانه اذا جعله أعظم كل ظالم ثم توعد المجرمين عامة بالانتقام منهم فقد دل على اصابة الاظلم النصيب الاوفر من الانتقام ولو قال بالضمير لم يفد هذه الفائدة (ولقد آتينا موسى الكتاب) التوراة (فلا تكن فى مرية) شك (من لقائه) من لقاء موسى الكتاب أو من لقائك موسى ليلة المعراج أو يوم القيامة أومن لقاء موسى ربه فى الآخرة كذا عن النبى صلى الله عليه وسلم

جا... ا (انا من المجرمين) من المشركين (منتقمون) بالعذاب (ولقد آتينا) أعطينا (موسى الكتاب) التوراة جملة واحدة (فلا تكن) يا محمد (فى مرية) فى شك (من لقائه) من لقاء موسى ليلة أسرى بك الى بيت المقدس

(وجعلناه هدى لبنى اسرائيل) وجعلنا الكتاب المنزل على موسى لقومه هدى (وجعلنا منهم أئمة) بهمزتين كوفى وشامى (يهدون) بذلك الناس ويدعونهم الى مافى التوراة من دين الله وشرائعه (بامرنا) اياهم بذلك (لماصبروا) حين صبروا على الحق بطاعة الله أو عن المعاصى لماصبروا حمزة وعلى أى لصبرهم عن الدنيا وفيه دليل على أن الصبر ثمرته امامة الناس (وكانوا بآياتنا) التوراة (يوقنون) يعلمون علما لايخالجه شك (ان ربك هو يفصل) يقضى (بينهم يوم القيمة) بين الانبياء وأممهم أو بين المؤمنين والمشركين (فيما كانوا فيه يختلفون) فيظهر المحق من المبطل (أولم) الواو للعطف على معطوف عليه منوى من جنس المعطوف أى أولم يدع (يهد) يبين

والفاعل الله بدليل قراءة زيد عن يعقوب نهد (لهم) لاهل مكة (كم) لايجوز أن يكون كم فاعل يهدى لان كم للاستفهام فلا يعمل فيه ماقبله ومحله نصب بقوله (أهلكنا من قبلهم من القرون) كعاد وثمود وقوم لوط (يمشون فى مساكنهم) أى أهل مكة يمرون فى متاجرهم على ديارهم وبلادهم (ان فى ذلك لآيات أفلا يسمعون) المواعظ فيتعظوا (أو لم يروا أنا نسوق الماء) نجرى المطر والانهار (الى الارض الجرز) أى الارض التى جرز نباتها أى قطع اما لعدم الماء أو لانه رعى ولا يقال للتى لاتنبت كالسباخ جرز بدليل قوله (فنخرج به) بالماء (زرعا تأكل منه) من الزرع (أنعامهم) من عصفه

﴿ وجعلناه ﴾ اى المنزل على موسى ﴿ هدى لبنى اسرائيل وجعلنا منهم أئمة يهدون ﴾ الناس الى مافيه من الحكم والاحكام ﴿ بامرنا ﴾ اياهم به أو بتوفيقنا له ﴿ لماصبروا ﴾ وقرأ حمزة والكسائى ورويس لماصبروا أى لصبرهم على الطاعة اوعن الدنيا ﴿ وكانوا بآياتنا يوقنون ﴾ لامعانهم فيها النظر ﴿ ان ربك هو يفصل بينهم يوم القيمة ﴾ يقضى فيميز الحق من الباطل تمييز المحق من المبطل ﴿ فيما كانوا فيه يختلفون ﴾ من امر الدين ﴿ أولم يهد لهم ﴾ الواو للعطف على منوى من جنس المعطوف والفاعل ضمير مادل عليه ﴿ كم اهلكنا من قبلهم من القرون ﴾ اى كثرة من اهلكناهم من القرون الماضية أو ضمير الله بدليل القراءة بالنون ﴿ يمشون فى مساكنهم ﴾ يعنى اهل مكة يمرون فى متاجرهم على ديارهم وقرئ يمشون بالتشديد ﴿ ان فى ذلك لآيات أفلا يسمعون ﴾ سماع تدبر واتعاظ ﴿ أولم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز ﴾ التى جرز نباتها اى قطع وازيل لا التى لاتنبت لقوله ﴿ فنخرج به زرعا ﴾ وقيل اسم موضع باليمن ﴿ تأكل منه ﴾ من الزرع ﴿ انعامهم ﴾

موسى كتاب الله بالرضا والقبول ﴿ وجعلناه ﴾ يعنى الكتاب ﴿ هدى لبنى اسرائيل وجعلنا منهم ﴾ أى من بنى اسرائيل ﴿ أئمة ﴾ أى قادة للخير يقتدى بهم وهم الانبياء الذين كانوا فى بنى اسرائيل وقيل هم اتباع الانبياء ﴿ يهدون بامرنا ﴾ أى يدعون الناس الى طاعتنا ﴿ لماصبروا ﴾ أى على دينهم وعلى البلاء من عدوهم بمصر ﴿ وكانوا بآياتنا يوقنون ﴾ أى أنها من الله تعالى ﴿ ان ربك هو يفصل ﴾ أى يقضى ويحكم ﴿ بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون ﴾ قيل هم الانبياء وأممهم وقيل هم المؤمنون والمشركون * قوله تعالى ﴿ أولم يهد لهم ﴾ أى نبين لهم ﴿ كم أهلكنا ﴾ أى كثرة من أهلكنا ﴿ من قبلهم من القرون ﴾ أى الامم الخالية ﴿ يمشون فى مساكنهم ﴾ يعنى أهل مكة يسيرون فى بلادهم ومنازلهم اذا سافروا ﴿ ان فى ذلك لآيات أفلا يسمعون ﴾ أى آيات الله ومواعظه فيتعظون بها * قوله عز وجل ﴿ أولم يروا أنا نسوق الماء الى الارض الجرز ﴾ أى الارض اليابسة الغليظة التى لانبات فيها قال ابن عباس هى أرض باليمن وقيل هى أبين ﴿ فنخرج به ﴾ أى بذلك الماء ﴿ زرعا تأكل منه أنعامهم ﴾ أى

(وجعلناه) يعنى كتاب موسى (هدى لبنى اسرائيل) من الضلالة (وجعلنا منهم) من بنى اسرائيل (أئمة) قادة بالخير (يهدون بامرنا) يدعون الخلق الى أمرنا (لماصبروا) حين صبروا على الايمان والطاعة (وكانوا بآياتنا) بمحمد عليه السلام والقرآن (يوقنون) يصدقون فى كتابهم (ان ربك) يامحمد (هو يفصل) يقضى (بينهم) بين الكافر والمؤمن ويقال بين بنى اسرائيل (يوم القيمة فيما كانوا فيه) فى الدين (يختلفون) يخالفون (أولم يهد لهم) أولم يبين لكفار مكة (كم أهلكنا من قبلهم) بالعذاب (من القرون) الماضية (يمشون فى مساكنهم) فى منازلهم منازل قوم شعيب وصالح وهود (ان فى ذلك) فيما فعلنا بهم (لآيات) لعلامات وعبرات لمن بعدهم (أفلا يسمعون) أفلا يطيعون من فعل بهم ذلك (أولم يروا) يعلموا كفار مكة (أنا نسوق الماء الى الارض الجرز) الملساء التى لانبات فيها (فنخرج به) بالمطر (زرعا) نباتا (تأكل منه) من العشب (أنعامهم

(وأنفسهم) من حبه (أفلا يبصرون) بأعينهم فيستدلوا به على قدرته على احياء الموتى (ويقولون متى هذا الفتح) النصر او الفصل
بالحكومة من قوله ربنا افتح بيننا وكان المسلمون يقولون ان الله سيفتح لنا على المشركين او يفتح بيننا وبينهم فاذا سمع المشركون ذلك قالوا
متى هذا الفتح أي في أي وقت يكون (ان كنتم صادقين) في أنه كائن (قل يوم الفتح) أي يوم القيامة وهو يوم الفصل بين المؤمنين
وأعدائهم أو يوم نصرهم عليهم أو يوم بدر أو يوم فتح مكة (لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولا هم ينظرون) وهذا الكلام لم ينطبق
جوابا على سؤالهم ظاهرا ولكن لما كان غرضهم في السؤال عن وقت الفتح استعجالا منهم على وجه التكذيب والاستهزاء
أجيبوا على حسب ما عرف من غرضهم في سؤالهم فقيل لهم لا تستعجلوا به ولا تستهزؤا

كالتبن والورق ﴿ وأنفسهم ﴾ كالحب والثمر ﴿ أفلا يبصرون ﴾ فيستدلون به على
كمال قدرته وفضله ﴿ ويقولون متى هذا الفتح ﴾ النصر او الفصل بالحكومة من قوله
ربنا افتح بيننا ﴿ ان كنتم صادقين ﴾ في الوعد به ﴿ قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا
ايمانهم ولا هم ينظرون ﴾ وهو يوم القيامة فانه يوم نصر المؤمنين على الكفرة والفصل
بينهم وقيل يوم بدر او يوم فتح مكة والمراد بالذين كفروا المقتولون منهم فيه فانه لا ينفعهم ايمانهم
حال القتل ولا يمهلون وانطباقه جوابا عن سؤالهم من حيث المعنى باعتبار ما عرف من
اغراضهم فانهم لما ارادوا به الاستعجال تكذيبا واستهزاء اجيبوا بما يمنع الاستعجال ﴿ فاعرض
عنهم ﴾ ولا تبال بتكذيبهم وقيل هو منسوخ بآية السيف ﴿ وانتظر ﴾ النصرة عليهم ﴿ انهم
منتظرون ﴾ الغلبة عليك وقرئ بالفتح على معنى انهم احقاء بان ينتظر هلاكهم او ان الملائكة
ينتظرونه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ الم تنزيل وتبارك الذي بيده الملك اعطي من الاجر

العشب والتبن ﴿ وأنفسهم ﴾ أي من الحبوب والاقوات ﴿ أفلا يبصرون ﴾ أي فيعتبروا
﴿ قوله تعالى ﴿ ويقولون متى هذا الفتح ان كنتم صادقين ﴾ قيل أراد بيوم الفتح يوم
القيامة الذي فيه الحكم والقضاء بين العباد وذلك ان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
قالوا للكفار ان لنا يوما ننعم فيه ونستريح ويحكم فيه بيننا وبينكم فقال الكفار استهزاء
متى هذا الفتح أي القضاء والحكم وقيل هو فتح مكة وقيل يوم بدر وذلك ان أصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يقولون للكفار ان الله ناصرنا ومظهرنا عليكم فيقولون
متى هذا الفتح ﴿ قل يوم الفتح ﴾ يعني يوم القيامة ﴿ لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ﴾ أي
لا يقبل منهم الايمان ومن حمل يوم الفتح على فتح مكة أو القتل يوم بدر قال معناه لا ينفع
الذين كفروا ايمانهم اذا جاءهم العذاب وقتلوا ﴿ ولا هم ينظرون ﴾ أي يمهلون ليتوبوا
او يعتذروا ﴿ فاعرض عنهم ﴾ قال ابن عباس نسختها آية السيف ﴿ وانتظر ﴾ أي
موعدي لك بالنصر عليهم ﴿ انهم منتظرون ﴾ أي بك حوادث الزمان وقيل معناه
انتظر عذابنا اياهم فهم منتظرون ذلك (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في الفجر يوم الجمعة الم تنزيل الكتاب وهل أتى على
الانسان عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا ينام حتى يقرأ الم تنزيل الكتاب

فكأني بكم وقد حصلتم في ذلك
اليوم وآمنتم فلا ينفعكم
الايمان أو استنظرتم في ادراك
العذاب فلم تنظروا ومن
فسره بيوم الفتح أو بيوم
بدر فهو يريد المقتولين منهم
فانهم لا ينفعهم ايمانهم في حال
القتل كما لم ينفع فرعون ايمانه عند
الغرق (فأعرض عنهم وانتظر)
النصرة وهلاكهم (انهم
منتظرون) الغلبة عليكم
وهلاككم وكان عليه السلام
لا ينام حتى يقرأ الم تنزيل
السجدة وتبارك الذي بيده
الملك وقال من قرأ ألم تنزيل
في بيته لم يدخله الشيطان
ثلاثة أيام وعن ابن مسعود
رضي الله عنه قال سورة
الم تنزيل هي المانعة تمنع من
عذاب القبر والله أعلم

وانفسهم) من الحبوب والثمار
والبقول (أفلا يبصرون)
أفلا يعلمون أنه من الله
(ويقولون) يعني بني
خزيمة وبني كنانة (متى هذا الفتح) (قا و خا ١١ مس) فتح مكة (ان كنتم صادقين) ان يفتح لكم يسخرون بذلك
على المؤمنين (قل) يا محمد لبني خزيمة وكنانة (يوم الفتح) فتح مكة (لا ينفع الذين كفروا) بني خزيمة (ايمانهم) من القتل
(ولا هم ينظرون) يؤجلون من القتل (فأعرض عنهم) عن بني خزيمة ولا تشتغل بهم (وانتظر) هلاكهم يوم فتح مكة (انهم
منتظرون) هلاكك فاهلكهم الله يوم فتح مكة

بسم الله الرحمن الرحيم قال أبي بن كعب رضى الله عنه لابي بلزر كم تعدون سورة الاحزاب قال ثلاثا وسبعين قال فوالذى يحلف به أبي ان كانت لتعدل سورة البقرة أو أطول ولقد قرأنا منها آية الرجم الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم أراد أبي ان ذلك من جملة مانسخ من القرآن وأما مايحكى ان تلك الزيادة كانت فى صحيفة فى بيت عائشة رضى الله عنها فاكلتها الداجن فمن تأليفات الملاحدة والروافض

كأنما احيى ليلة القدر * وعنه عليه السلام من قرأ الم تنزيل فى بيته لم يدخله الشيطان ثلاثة ايام

سورة الاحزاب مدنية وهى ثلاث وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ياايها النبى اتق الله ﴾ ناداه بالنبى وامره بالتقوى تعظيما له وتفخيما لشأن التقوى والمراد به الامر بالثبات عليه ليكون مانعاله عمانهى عنه بقوله ﴿ ولاتطع الكافرين والمنافقين ﴾ فيمايعود بوهن فى الدين روى ان اباسفيان وعكرمة بن ابى جهل واباالاعور السلمى قدموا عليه فى الموادعة التى كانت بينه وبينهم وقام معهم ابن ابى ومعتب بن قشير والجد بن قيس فقالوا له ارفض ذكر آلهتنا وقل ان لها شفاعة وندعك وربك فنزلت

وتبارك الذى بيده الملك أخرجه الترمذى وقال طاوس تفضلان عن كل سورة فى القرآن بسبعين حسنة أخرجه الترمذى والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

تفسير سورة الاحزاب وهى مدنية وثلاث وسبعون آية وألف ومائتان وثمانون كلمة وخمسة آلاف وسبعمائة وتسعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

* قوله تعالى ﴿ ياأيها النبى اتق الله ولاتطع الكافرين والمنافقين ﴾ نزلت فى أبى سفيان ابن حرب وعكرمة بن أبى جهل وأبى الاعور عمرو بن سفيان السلمى وذلك انهم قدموا المدينة فنزلوا على عبدالله بن أبى ابن سلول رأس المنافقين بعد قتال أحد وقد أعطاهم النبى صلى الله عليه وسلم الامان على أن يكلموه فقام معهم عبدالله بن سعد بن أبى سرح وطعمة بن أبيرق فقالوا للنبى صلى الله عليه وسلم وعنده عمر بن الخطاب ارفض ذكر آلهتنا اللات والعزى ومناة وقل ان لها شفاعة لمن عبدها وندعك وربك فشق ذلك على النبى صلى الله عليه وسلم فقال عمر يارسول الله ائذن لى فى قتلهم فقال انى أعطيتهم الامان فقال عمر اخرجوا فى لعنة الله وغضبه فأمر النبى صلى الله عليه وسلم عمر أن يخرجهم من المدينة فانزل الله تعالى ياأيها النبى اتق الله أى دم على التقوى وقيل معناه اتق الله ولاتنقض العهد الذى بينك وبينهم وقيل الخطاب مع النبى صلى الله عليه وسلم والمراد به أمته ولاتطع الكافرين يعنى من أهل مكة يعنى أباسفيان وعكرمة وأبا الاعور والمنافقين يعنى من أهل المدينة عبدالله بن أبى وعبدالله بن سعد وطعمة

(ياأيها النبى) وبالهمز نافع أى ياأيها المخبر عنا المأمون على أسرارنا المبلغ خطابنا الى أحبابنا وانما لم يقل يامحمد كما قال ياآدم ياموسى تشريفا له وتنويها بفضله وتصريحه باسمه فى قوله محمد رسول الله ونحوه لتعليم الناس بانه رسول الله (اتق الله) أثبت على تقوى الله ودم عليه وازدد منه فهو باب لايدرك مداه (ولاتطع الكافرين والمنافقين) ولاتساعدهم على شئ واحترس منهم فانهم أعداء الله والمؤمنين وروى ان أباسفيان وعكرمة ابن أبى جهل وأباالاعور السلمى قدموا المدينة بعد قتال أحد فنزلوا على عبدالله ابن أبى وأعطاهم النبى الامان على أن يكلموه فقالوا ارفض ذكر آلهتنا وقل انها تنفع وتشفع ووازرهم المنافقون على ذلك فهم المسلمون بقتلهم فنزلت أى اتق الله فى نقض العهد ولاتطع الكافرين من أهل مكة والمنافقين من أهل المدينة فيما طلبوا (ان الله)

ومن السورة التى يذكر فيها الاحزاب وهى كلها مدنية آياتها ثلاثة وتسعون وكلها الف ومائتان واثنان وثمانون وحروفها خمسة آلاف وسبعمائة ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (ياأيها النبى اتق الله) يقول اخش الله فى نقض العهد قبل أجله (ولاتطع الكافرين) من أهل مكة أباسفيان بن حرب وعكرمة بن أبى جهل وأباالاعور الاسلمى (والمنافقين) من أهل المدينة عبدالله بن أبى ابن سلول ومعتب بن قشير وجد بن قيس فيما يأمرونك من المعصية

﴿ ان الله كان عليما ﴾ بالمصالح والمفاسد ﴿ حكيما ﴾ لايحكم الا بما تقتضيه الحكمة ﴿ واتبع مايوحى اليك من ربك ﴾ كالنهي عن طاعتهم ﴿ ان الله كان بما تعملون خبيرا ﴾ فموح اليك مايصلحه ومغن عن الاستماع الى الكفرة وقرأ أبو عمرو بالياء على ان الواو ضمير الكفرة والمنافقين اي ان الله خبير بمكائدهم فيدفعها عنك ﴿ وتوكل على الله ﴾ وكل امرك الى تدبيره ﴿ وكفى بالله وكيلا ﴾ موكولا اليه الامور كلها ﴿ ماجعل الله لرجل من قلبين في جوفه ﴾ اي ماجمع قلبين في جوف لان القلب معدن الروح الحيواني المتعلق للنفس الانساني اولا ومنبع القوى باسرها وذلك يمنع التعدد ﴿ وماجعل ازواجكم اللائي تظهرون منهن امهاتكم

﴿ان الله كان عليما﴾ أي بخلقه قبل أن يخلقهم ﴿حكيما﴾ أي فيما دبره لهم ﴿واتبع مايوحى اليك من ربك﴾ أي من وفاء العهد وترك طاعة الكافرين والمنافقين ﴿ان الله كان بما تعملون خبيرا وتوكل على الله﴾ أي ثق بالله وكل أمرك اليه ﴿وكفى بالله وكيلا﴾ أي حافظا لك وقيل كفيلا برزقك * قوله تعالى ﴿ماجعل الله لرجل من قلبين في جوفه﴾ نزلت في أبي معمر حميد بن معمر الفهري وكان رجلا لبيبا حافظا لما يسمع فقال قريش ماحفظ أبو معمر هذه الاشياء الا وله قلبان وكان يقول ان لي قلبين اعقل بكل واحد منهما أفضل من عقل محمد فلما هزم الله المشركين يوم بدر انهزم أبو معمر فيهم فلقيه أبو سفيان واحدى نعليه في يده والاخرى في رجله فقال له ياأبا معمر ماحال الناس فقال انهزموا فقال له فما بال احدى نعليك في يدك والاخرى في رجلك فقال أبو معمر ماشعرت الا انهما في رجلي فعلموا يومئذ انه لو كان له قلبان لما نسي نعله في يده وعن أبي ظبيان قال قلنا لابن عباس أرأيت قول الله ماجعل الله لرجل من قلبين في جوفه ماعنى بذلك قال قام نبي الله صلى الله عليه وسلم يوما يصلي فخطر خطرة فقال المنافقون الذين يصلون معه ألا ترون ان له قلبين قلبا معكم وقلبا معهم فانزل الله ماجعل الله لرجل من قلبين في جوفه أخرجه الترمذي وقال حديث حسن قوله خطر خطرة يريد الوسوسة التي تحصل للانسان في صلاته وقيل في معنى الآية انه لما قال الله تعالى ياأيها النبي اتق الله فكان ذلك أمرا بالتقوى فكأنه قال ومن حقها أن لايكون في قلبك تقوى غير الله فان المرء ليس له قلبان حتى يتقي الله باحدهما وبالآخر غيره وقيل هذا مثل ضربه الله تعالى للمظاهر من امرأته وللمتبني ولد غيره فكما لايكون لرجل قلبان لانه لايخلو اما ان يفعل باحدهما مايفعل بالآخر من أفعال القلوب فالآخر فضلة غير محتاج اليه واما أن يفعل بهذا مالا يفعل بذاك فذلك يؤدي الى اتصاف الجملة بكونه مريدا كارها عالما جاهلا موقنا شاكا في حالة واحدة وهما حالتان متنافيتان فكذلك لاتكون امرأة المظاهر أمه حتى يكون له أمان ولايكون ولد واحد ابن رجلين * قوله تعالى ﴿وماجعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم﴾ وصورة الظهار ان يقول الرجل لامرأته أنت علي كظهر أمي يقول الله وماجعل نساءكم التي تقولون لهن هذا في التحريم كأمهاتكم ولكنه منكر وزور وفيه كفارة

(ان الله كان عليما) بخبث أعمالهم (حكيما) في تأخير الامر بقتالهم (واتبع مايوحى اليك من ربك) في الثبات على التقوى وترك طاعة الكافرين والمنافقين (ان الله) الذي يوحى اليك (كان بما تعملون خبيرا) اي لم يزل عالما باعمالهم وأعمالكم قيل انما جمع لان المراد بقوله اتبع هو وأصحابه وبالياء أبو عمرو أي بما يعمل الكافرون والمنافقون من كيدهم لكم ومكرهم بكم (وتوكل على الله) أسند أمرك اليه وكله الى تدبيره (وكفى بالله وكيلا) حافظا موكولا اليه كل أمر وقال الزجاج لفظه وان كان لفظ الخبر فالمعنى اكتف بالله وكيلا (ماجعل الله لرجل من قلبين في جوفه وماجعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم

(ان الله كان عليما) بمقالتهم وارادتهم قتلك (حكيما) حكم الوفاء بالعهد ونهاكم عن نقض العهد (واتبع) يامحمد (مايوحى اليك من ربك) اعمل بما تؤمر بالقرآن (ان الله كان بما تعملون) من وفاء العهد ونقضه (خبيرا وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا) كفيلا بما وعدلك من النصرة والدولة ويقال حفيظا منهم (ماجعل الله لرجل من قلبين في جوفه) في صدره نزلت في أبي معمر جميل بن أسد كان يقال له ذو قلبين من حفظ حديثه (وماجعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن) باليمين (أمهاتكم) كامهاتكم في الحرام نزلت في أوس بن الصامت أخي عبادة بن الصامت وامرأته خولة

وماجعل أدعياءكم أبناءكم) أى ماجمع الله قلبين فى جوف ولازوجية وأمومة فى امرأة ولابنوة ودعوة فى رجل والمعنى انه تعالى كما لم يجعل لانسان قلبين لانه لايخلو اماأن يفعل بالآخر فعلا من أفعال القلوب فاحدهما فضلة غير محتاج اليه واماأن يفعل بهذا غير مايفعل بذاك فذلك يؤدى الى اتصاف الجملة بكونه مريدا كارها عالما ظانا موقنا شاكا فى حالة واحدة لم يحكم أيضا ان تكون المرأة الواحدة امالرجل زوجا له لان الام مخدومة والمرأة خادمة وبينهما منافاة وان يكون الرجل الواحد دعيا لرجل وابناله لان البنوة اصالة فى النسب والدعوة الصاق عارض بالتسمية لاغير ولا يجتمع فى الشئ الواحد ان يكون أصيلا وغير أصيل وهذا مثل ضربه الله تعالى فى زيد بن حارثة وهو رجل من كلب سبى صغيرا فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة فلما تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهبته له فطلبه أبوه وعمه فخير فاختار رسول الله عليه وسلم فاعتقه وتبناه وكانوا يقولون زيد بن محمد فلما تزوج النبى صلى الله عليه وسلم زينب وكانت تحت زيد قال المنافقون تزوج محمد امرأة ابنه وهو ينهى عنه فانزل الله هذه الآية وقيل كان المنافقون يقولون لمحمد قلبان قلب معكم وقلب مع أصحابه وقيل كان أبو معمر أحفظ العرب فقيل له ذو القلبين فاكذب الله قولهم وضربه مثلا فى الظهار والتبنى والتنكير فى رجل وادخال من الاستغراقية على قلبين وذكر الجواب للتأكيد اللائى بياء بعد (هذه) الهمزة حيث كان كوفى وشامى اللاء نافع ويعقوب وسهل وهى جمع التى تظاهرون عاصم من ظاهر اذا قال لامرأته أنت على كظهر أمى تظاهرون على وحمزة وخلف تظاهرون شامى من اظاهر بمعنى تظاهر غيرهم تظهرون من أظهر بمعنى ظهر وعدى عن لتضمنه معنى البعد لانه كان طلاقا فى الجاهلية ونظيره آلى من امرأته لما ضمن معنى التباعد عدى بعن والا فآلى فى أصله الذى هو معنى حلف وأقسم ليس هذا بحكمه والدعى فعيل بمعنى مفعول وهو الذى يدعى ولدا وجمع على أفعلاء شاذا لان بابه ما كان منه بمعنى فاعل كتقى وأتقياء وشقى وأشقياء ولايكون ذلك فى نحو رمى وسمى للتشبيه اللفظى

وماجعل ادعياءكم ابناءكم ﴾ وماجمع الزوجية والامومة فى امرأة ولا الدعوة والبنوة فى رجل والمراد بذلك رد ما كانت العرب تزعم من ان اللبيب الاريب له قلبان ولذلك قيل لابى معمر وجميل بن اسد الفهرى ذو القلبين والزوجة المظاهر عنها كالام ودعى الرجل ابنه ولذلك كانوا يقولون لزيد بن حارثة الكلبى عتيق رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن محمد او المراد نفى الامومة والبنوة عن المظاهر عنها او المتبنى ونفى القلبين لتمهيد اصل يحملان عليه والمعنى كما لم يجعل الله قلبين فى جوف لادائه الى تناقض وهو ان يكون كل منهما اصلا لكل القوى وغير اصل لم يجعل الزوجة والدعى اللذين لا ولادة بينهما وبينه امه وابنه اللذين بينهما وبينه ولادة وقرأ ابو عمرو و واللاى بالياء وحده على ان اصله اللاء بهمزة فخففت وعن الحجازيين مثله وعنهما وعن يعقوب بالهمزة وحده واصل تظهرون تتظهرون فادغمت التاء الثانية فى الظاء وقرأ ابن عامر تظاهرون بالادغام وحمزة والكسائى بالحذف وعاصم تظاهرون من ظاهر وقرئ تظهرون من ظهر بمعنى ظاهر كعقد بمعنى عاقد وتظهرون من الظهور ومعنى الظهار ان يقول للزوجة انت على كظهر امى مأخوذ من الظهر باعتبار اللفظ كالتلبية من لبيك وتعديته بعن لتضمنه معنى التجنب لانه كان طلاقا فى الجاهلية وهو فى الاسلام يقتضى الطلاق او الحرمة الى اداء الكفارة كما عدى آلى بها وهو بمعنى حلف وذكر الظهر للكناية عن البطن الذى هو عموده فان ذكره يقارب ذكر الفرج او للتغليظ فى التحريم فانهم كانوا يحرمون اتيان المرأة وظهرها الى السماء والادعياء جمع دعى على

وسيأتى الكلام عليه ان شاء الله فى سورة المجادلة ✽ قوله تعالى ﴿ وماجعل أدعياءكم ﴾ يعنى الذين تتبنونهم ﴿ أبناءكم ﴾ وفيه نسخ التبنى وذلك ان الرجل كان فى الجاهلية يتبنى الرجل فيجعله كالابن المولود يدعوه اليه الناس ويرث ميراثه وكان النبى صلى الله عليه وسلم أعتق زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبى وتبناه قبل الوحى وآخى بينه وبين حمزة ابن عبد المطلب فلما تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش وكانت تحت زيد بن حارثة قال المنافقون تزوج محمد امرأة ابنه وهو ينهى الناس عن ذلك فانزل الله

(وماجعل أدعياءكم) الذين تبنيتم فى العون والنصرة (أبناءكم) كابناءكم من النسب

(ذلكم قولكم بأفواهكم) أى ان قولكم للزوجة هى أم وللدعى هو ابن قول تقولونه بالسنتكم لا حقيقة له اذ الابن يكون بالولادة وكذا الام (والله يقول الحق) أى ما هو حق ظاهره وباطنه (وهو يهدى السبيل) أى سبيل الحق ثم قال ما هو الحق وهدى الى ما هو سبيل الحق وهو قوله (ادعوهم لآبائهم هو أقسط) أعدل (عند الله) وبين ان دعاءهم بآبائهم هو ادخل الامرين فى القسط والعدل وقيل كان الرجل فى الجاهلية اذا أعجبه ولد الرجل ضمه الى نفسه وجعل له مثل نصيب الذكر من أولاده من ميراثه وكان ينسب اليه فيقال فلان ابن فلان ثم انظر الى فصاحة هذا الكلام حيث وصل الجملة الطلبية ثم فصل الخبرية عنها ووصل بينها ثم فصل الاسمية عنها ووصل بينها ثم فصل بالطلبية (فان لم تعلموا آباءهم) فان لم تعلموا لهم آباء تنسبونهم اليهم (فاخوانكم فى الدين ومواليكم) أى فهم اخوانكم فى الدين واولياؤكم فى الدين فقولوا هذا أخى وهذا مولاى ويا أخى ويا مولاى يريد الاخوة فى الدين والولاية فيه (وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به) أى لا اثم عليكم فيما فعلتموه من ذلك مخطئين جاهلين قبل ورود النهى (ولكن ما تعمدت قلوبكم) ولكن الاثم عليكم فيما تعمدتموه بعد النهى أو لا اثم عليكم اذا قلتم لولد غيركم يا بنى على سبيل الخطأ وسبق اللسان ولكن اذا قلتموه متعمدين وما فى موضع الجر عطف على ما الاولى ويجوز أن يراد العفو عن الخطأ دون العمد على سبيل العموم ثم تناول لعمومه خطأ التبنى وعمده واذا وجد التبنى فان كان المتبنى مجهول النسب وأصغر سنا منه ثبت نسبه وعتق ان كان عبداله وان كان أكبر سنا منه لم يثبت النسب وعتق عند أبى حنيفة رضى الله عنه وأما المعروف

الشذوذ وكأنه شبه بفعيل بمعنى فاعل فجمع جمعه ﴿ ذلكم ﴾ اشارة الى كل ما ذكر او الى الاخير ﴿ قولكم بافواهكم ﴾ لا حقيقة له فى الاعيان كقوله الهاذى ﴿ والله يقول الحق ﴾ ماله حقيقة عينية مطابقة له ﴿ وهو يهدى السبيل ﴾ سبيل الحق ﴿ ادعوهم لآبائهم ﴾ انسبوهم اليهم وهو افراد للمقصود من اقواله الحقة وقوله ﴿ هو اقسط عند الله ﴾ تعليل له والضمير لمصدر ادعوا واقسط افعل تفضيل قصد به الزيادة مطلقا من القسط بمعنى العدل ومعناه البالغ فى الصدق ﴿ فان لم تعلموا آباءهم ﴾ فتنسبوهم اليهم ﴿ فاخوانكم فى الدين ﴾ فهم اخوانكم فى الدين ﴿ ومواليكم ﴾ واولياؤكم فيه فقولوا هذا اخى ومولاى بهذا التأويل ﴿ وليس عليكم جناح فيما اخطأتم به ﴾ ولا اثم عليكم فيما فعلتموه من ذلك مخطئين قبل النهى اوبعده على النسيان اوسبق اللسان ﴿ ولكن ما تعمدت قلوبكم ﴾ ولكن الجناح فيما تعمدت قلوبكم او ولكن فيما تعمدت فيه الجناح

هذه الآية ونسخ بها التبنى ﴿ ذلكم قولكم بافواهكم ﴾ أى لا حقيقة له يعنى قولهم زيد ابن محمد وادعاء النسب لا حقيقة له ﴿ والله يقول الحق ﴾ أى قوله الحق ﴿ وهو يهدى السبيل) أى يرشد الى سبيل الحق ﴿ ادعوهم لآبائهم ﴾ أى الذين ولدوهم فقولوا زيد بن حارثة ﴿ هو أقسط عند الله ﴾ أى أعدل عند الله (ق) عن ابن عمر قال ان زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كنا ندعوه الا زيد بن محمد حتى نزل ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله الآية ﴿ فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم فى الدين ﴾ أى فهم اخوانكم ﴿ ومواليكم ﴾ أى كانوا محررين وليسوا بنيكم أى فسموهم باسماء اخوانكم فى الدين وقيل معنى مواليكم أولياؤكم فى الدين ﴿ وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ﴾ أى قبل النهى فنسبتموه الى غير أبيه ﴿ ولكن ما تعمدت قلوبكم ﴾ أى من دعاهم الى غير آبائهم بعد النهى وقيل فيما أخطأتم به ان تدعوه الى غير أبيه وهو يظن انه كذلك

(ذلكم قولكم بافواهكم) بالسنتكم فيما بينكم (والله يقول الحق) يبين الحق (وهو يهدى السبيل) يدل الى الصواب (ادعوهم لآبائهم) انسبوهم الى آبائهم (هو أقسط) هو أفضل وأصوب وأعدل (عند الله) فى النسبة (فان لم تعلموا آباءهم) نسبة آبائهم (فاخوانكم فى الدين) فادعوهم باسم اخوانكم فى الدين عبد الله وعبد الرحمن وعبد الرحيم وعبد الرزاق (ومواليكم) وباسم مواليكم (وليس عليكم جناح) مأثم (فيما أخطأتم به) من النسبة (ولكن ما تعمدت) به عقدت به (قلوبكم) بالقربة ان تنسبوهم الى غير آبائهم يؤاخذكم الله بذلك

النسب فلا يثبت نسبه بالتبنى وعتق ان كان عبدا (وكان الله غفورا رحيما) لا يؤاخذكم بالخطأ ويقبل التوبة من المتعمد (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم) أى احق بهم فى كل شى من أمور الدين والدنيا وحكمه أنفذ عليهم من حكمها فعليهم ان يبذلوها دونه ويجعلوها فداءه او هو لى بهم أى أرأف بهم وأعطف عليهم وأنفع لهم كقوله ؤمنين رؤف رحيم وفى قراءة ن مسعود النبى اولى بالمؤمنين ن أنفسهم وهو أب لهم وقال جاهد كل نبى أبو أمته ولذلك سار المؤمنون اخوة لان النبى الله عليه وسلم ابوهم فى الدين (وأزواجه أمهاتهم) تحريم نكاحهن ووجوب عظيمهن وهن فيما وراء ذلك كالارث ونحوه كالاجنبيات ولهذا لم يتعد التحريم الى بناتهن (وأولوا رحام) وذو القرابات (بعضهم أولى ببعض) فى التوارث كان المسلمون فى صدر الاسلام يتوارثون بالولاية فى الدين وبالهجرة لا بالقرابة ثم نسخ ذلك وجعل التوارث بحق القرابة

(وكان الله غفورا) فيما مضى (رحيما) فيما يكون نزلت هذه الآية فى شأن زيد بن حارثة وكان قد تبناه النبى صلى الله عليه وسلم وكانوا يقولون زيد بن محمد فنهاهم الله عن ذلك ودلهم الى الصواب فقال (النبي أولى بالمؤمنين) أحق بحفظ أولاد المؤمنين (من أنفسهم) (قيل) من بعد موتهم لقول النبي صلى الله عليه وسلم من مات وترك كلا فالى أو دينا فعلى أو مالا فلورثته (وأزواجه) أزواج النبي صلى الله عليه وسلم (أمهاتهم) كامهاتهم فى الحرمة (وأولوا الارحام) ذوو القرابة فى النسب (بعضهم أولى) أحق (ببعض) بالميراث

﴿ وكان الله غفورا رحيما ﴾ لعفوه عن المخطئ واعلم ان التبنى لا عبرة له عندنا وعند ابى حنيفة يوجب عتق مملوكه ويثبت النسب لمجهوله الذى يمكن الحاقه به ﴿ النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم ﴾ فى الامور كلها فانه لا يأمرهم ولا يرضى منهم الا بما فيه صلاحهم ونجاحهم بخلاف النفس فلذلك اطلق فيجب ان يكون احب اليهم من انفسهم وامره انفذ عليهم من امرها وشفقتهم عليه اتم من شفقتهم عليها روى انه عليه الصلاة والسلام اراد غزوة تبوك فامر الناس بالخروج فقال ناس نستأذن آباءنا وامهاتنا فنزلت وقرئ وهو اب لهم اى فى الدين فان كل نبى اب لامته من حيث انه اصل فيما به الحياة الابدية ولذلك صار المؤمنون اخوة ﴿ وازواجه امهاتهم ﴾ منزلات منزلتهن فى التحريم واستحقاق التعظيم وفيما عدا ذلك فكالاجنبيات ولذلك قالت عائشة لسنا امهات النساء ﴿ واولوا الارحام ﴾ وذوو القرابات ﴿ بعضهم اولى ببعض ﴾ فى التوارث وهو نسخ لما كان فى صدر الاسلام من التوارث بالهجرة والموالاة فى الدين

(وكان الله غفورا رحيما) (ق) عن سعد بن أبى وقاص وأبى بكرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من ادعى الى غير أبيه وهو يعلم انه غير أبيه فالجنة عليه حرام * قوله عز وجل (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم) أى من بعضهم ببعض فى نفوذ حكمه عليهم ووجوب طاعته وقال ابن عباس اذا دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم ودعتهم أنفسهم الى شئ كانت طاعة النبي صلى الله عليه وسلم أولى بهم من طاعة أنفسهم وهذا صحيح لان أنفسهم تدعوهم الى ما فيه هلاكهم ورسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوهم الى ما فيه نجاتهم وقيل هو أولى بهم فى الحمل على الجهاد وبذل النفس دونه وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم يخرج الى الجهاد فيقول قوم نذهب فنستأذن من آبائنا وأمهاتنا فنزلت الآية (ق) عن أبى هريرة قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من مؤمن الا وأنا أولى الناس به فى الدنيا والآخرة اقرؤا ان شئتم النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم فايما مؤمن ترك مالا فلترثه عصبته من كانوا ومن ترك دينا أو ضياعا فليأتنى فانا مولاه عصبة الميت من يرثه سوى من له فرض مقدر وقوله أو ضياعا أى عيالا وأصله مصدر ضاع يضيع ضياعا وان كسرت الضاد كان جمع ضائع * وقوله تعالى (وأزواجه أمهاتهم) يعنى أمهات المؤمنين فى تعظيم الحرمة وتحريم نكاحهن على التأبيد لا فى النظر اليهن والخلوة بهن فانه حرام فى حقهن كما فى حق الاجانب ولا يقال لبناتهن هن أخوات المؤمنين ولا لاخوانهن واخواتهن هن أخوال المؤمنين وخالاتهم قال الشافعى تزوج الزبير اسماء بنت أبى بكر وهى أخت عائشة أم المؤمنين ولم يقل هى خالة المؤمنين وقيل ان أزواج النبي صلى الله عليه وسلم كن أمهات المؤمنين والمؤمنات الرجال والنساء وقيل كن أمهات الرجال دون النساء بدليل ما روى عن مسروق ان امرأة قالت لعائشة يا أمه فقالت لست لك بأم انما أنا أم رجالكم فبان بذلك ان معنى الامومة انما هو تحريم نكاحهن (وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض) يعنى فى الميراث

(في كتاب الله) في حكمه وقضائه أو في اللوح المحفوظ او فيما فرض الله (من المؤمنين والمهاجرين) يجوز أن يكون بيانا لاولى الارحام أي الاقرباء من هؤلاء بعضهم أولى بان يرث بعضا من الاجانب وان يكون لابتداء الغاية أي أولو الارحام بحق القرابة أولى بالميراث من المؤمنين أي الانصار بحق الولاية في الدين ومن المهاجرين بحق الهجرة (الا ان تفعلوا الى أوليائكم معروفا) الاستثناء من خلاف الجنس أي لكن فعلكم الى أوليائكم معروفا جائز وهو أن توصوا لمن أحببتم من هؤلاء بشئ فيكون ذلك بالوصية لا بالميراث وعدى تفعلوا بالى لانه في معنى تسدوا والمراد بالاولياء المؤمنون والمهاجرون للولاية في الدين (كان ذلك في الكتاب مسطورا) أي التوارث بالارحام كان مسطورا في اللوح (واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم) واذكر حين أخذنا من النبيين ميثاقهم بتبليغ الرسالة والدعاء الى الدين القيم (ومنك) خصوصا وقدم رسول الله على نوح ومن بعده لان هذا العطف لبيان فضيلة هؤلاء لانهم أولو العزم وأصحاب الشرائع فلما كان محمد صلى الله عليه وسلم أفضل هؤلاء قدم عليهم ولولا ذلك لقدم من قدمه زمانه (ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم

﴿ في كتاب الله ﴾ في اللوح او فيما انزل وهو هذه الآية أو آية المواريث او فيما فرض الله تعالى ﴿ من المؤمنين والمهاجرين ﴾ بيان لاولى الارحام او صلة لاولى اى اولوا الارحام بحق القرابة اولى بالميراث من المؤمنين بحق الدين والمهاجرين بحق الهجرة ﴿ الا ان تفعلوا الى اوليائكم معروفا ﴾ استثناء من اعم مايقدر الاولوية فيه من النفع والمراد بفعل المعروف التوصية او منقطع ﴿ كان ذلك في الكتاب مسطورا ﴾ كان ماذكر في الآيتين ثابتا في اللوح او القرآن وقيل في التوراة ﴿ واذا خذنا من النبيين ميثاقهم ﴾ مقدر باذكر وميثاقهم عهودهم بتبليغ الرسالة والدعاء الى الدين القيم ﴿ ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم ﴾ خصهم بالذكر لانهم مشاهير

قيل كان المسلمون يتوارثون بالهجرة وقيل اخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الناس فكان يؤاخي بين الرجلين فاذا مات أحدهما ورثه الآخر دون عصبته حتى نزلت و أولوا الارحام بعضهم أولى ببعض وقيل في معنى الآية لا توارث بين المسلم والكافر ولا بين المهاجر وغير المهاجر ﴿ في كتاب الله ﴾ أي في حكم الله ﴿ من المؤمنين ﴾ الذين آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم ﴿ والمهاجرين ﴾ يعني ان ذوي القرابات أولى بعضهم ببعض فنسخت هذه الآية الموارثة بالمؤاخاة والهجرة وصارت الموارثة بينهم بالقرابة ﴿ الا أن تفعلوا الى أوليائكم معروفا ﴾ يعني الوصية للذين يتولونه من المعاقدين وذلك ان الله تعالى لما نسخ التوارث بالحلف والاخاء والهجرة أباح ان يوصي لمن يتولاه بما أحب من ثلث ماله وقيل أراد بالمعروف النصر وحفظ الحرمة بحق الايمان والهجرة وقيل معناه الا أن توصوا الى قرابتكم بشئ وان كانوا من غير أهل الايمان والهجرة ﴿ كان ذلك ﴾ أي الذي ذكر من أن أولي الارحام بعضهم أولى ببعض ﴿ في الكتاب ﴾ أي في اللوح المحفوظ وقيل في التوراة ﴿ مسطورا ﴾ أي مكتوبا مثبتا * قوله تعالى ﴿ واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ﴾ أي على الوفاء بما حملوا وان يصدق بعضهم بعضا ويبشر بعضهم ببعض وقيل على ان يعبدوا الله ويدعوا الناس الى عبادته وينصحوا لقومهم ﴿ ومنك ﴾ يعني يا محمد ﴿ ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم ﴾ خص هؤلاء الخمسة بالذكر من بين النبيين لانهم أصحاب الكتب والشرائع وأولو العزم من الرسل وقدم النبي صلى الله عليه وسلم في الذكر تشريفا له وتفضيلا ولما روى البغوي باسناد الثعلبي عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث قال قتادة وذلك قول الله واذ أخذنا من النبيين

(في كتاب الله) هكذا مكتوب في اللوح المحفوظ ويقال في التوراة ويقال في القرآن (من المؤمنين والمهاجرين الا أن تفعلوا الى أوليائكم) في الدين أو أصدقائكم (معروفا) وصية من الثلث (كان ذلك) الميراث للقرابة والوصية للاولياء (في الكتاب مسطورا) في اللوح المحفوظ مكتوبا ويقال في التوراة مكتوبا يعمل به بنو اسرائيل (واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم) اقرارهم على عهودهم أن يبلغ بعضهم بعضا (ومنك) أولها أخذنا منك ان تبلغ قومك خبر الرسل والكتب قبلك وتأمرهم أن يؤمنوا به (ومن نوح) وأخذنا من نوح (وابراهيم) وأخذنا من ابراهيم (وموسى) وأخذنا من موسى (وعيسى ابن مريم)وأخذنا

وأخذنا منهم ميثاقا غليظا)وثيقا وأعاد ذكر الميثاق لانضمام الوصف اليه وانما فعلنا ذلك (ليسأل) الله (الصادقين) أى الانبياء(عن صدقهم) عما قالوه لقومهم أو ليسأل المصدقين للانبياء عن تصديقهم لان من قال للصادق صدقت كان صادقا فى قوله أو ليسأل الانبياء ما الذى أجابتهم أممهم وهو كقوله يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم (وأعد للكافرين) بالرسل (عذابا أليما) وهو عطف على أخذنا لان المعنى ان الله أكد على الانبياء الدعوة الى دينه لاجل اثابة المؤمنين وأعد للكافرين عـذابا أليما أو على مادل عليه ليسأل الصادقين كانه قال فأثاب المؤمنين وأعد للكافرين (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم)أى ما أنعم الله به عليكم يوم الاحزاب وهو يوم الخندق وكان بعد حرب أحد بسنة (اذجاءتكم جنود) أى لاحزاب وهم قريش وغطفان وقريظة والنضير (فارسلنا عليهم ريحا)أى الصبا قال عليه السلام نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور (وجنودا لم تروها)وهم الملائكة وكانوا ألفا بعث الله عليهم صبـا باردة فى ليلة شاتية فاخصرتهم وأسفت التراب فى وجوههم وأمر الملائكة فقلعـت الاوتاد وقطعت الاطناب وأطفأت النيران وأكفأت القدور وماجت الخيل بعضها فى بعض وقذف فى قلوبهـم الرعب وكبرت الملائكة فى جوانب عسكرهم فانهزموا من غـير قتال وحين سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم باقبالهم ضرب الخنـدق على المدينة باشارة سلمان ثم

ارباب الشرائع وقدم نبينا تعظيما له ﴿واخذنا منهم ميثاقا غليظا﴾ عظيم الشان او مؤكدا باليمين والتكرير لبيان هذا الوصف ﴿ليسأل الصادقين عن صدقهم﴾ اى فعلنا ذلك ليسأل الله يوم القيامة الانبياء الذين صدقوا عهدهم عما قالوه لقومهم اوتصديقهم اياهم تبكيتا لهم او المصدقين لهم عن تصديقهم فان مصدق الصادق صادق او المؤمنين الذين صدقوا عهدهم حين اشهدهم على انفسهم عن صدقهم عهدهم ﴿واعد للكافرين عذابا اليما﴾ عطف على اخذنا من حيث ان بعثة الرسل واخذ الميثاق منهم لاثابة المؤمنين او على مادل عليه ليسأل كأنه قال فاثاب المؤمنين واعد للكافرين ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذجاءتكم جنود﴾ يعنى الاحزاب وهم قريش وغطفان ويهود قريظة والنضير وكانوا زهاء اثناعشر الفا ﴿فارسلنا عليهم ريحا﴾ ريح الصبا ﴿وجنودا لم تروها﴾ الملائكة روى انه لما سمع باقبالهم ضرب الخندق على المدينة ثم خرج اليهم فى ثلاثة آلاف والخندق بينـه وبينهم ومضى على الفريقـين قريب من شهر لاحرب بينهم الا الترامى بالنبل والحجارة حتى بعث الله عليهم صبا باردة فى ليلة شاتية فاخصرتهم

ميثاقهم ومنك ومن نوح فبدأ به صلى الله عليه وسلم ﴿وأخذنا منهم ميثاقا غليظـا﴾ أى عهدا شديدا على الوفاء بما حملوا من تبليغ الرسالة ﴿ليسأل الصادقين عن صدقهم﴾ يعنى أخذ ميثاقهم لكى يسأل الصادقين يعنى النبيين عن تبليغهم الرسالة والحكمة فى سؤالهم مع علمه سبحانه وتعالى انهم صادقون تبكيت من أرسلوا اليهم وقيل ليسأل الصادقين عن صدقهم عن عملهم لله عز وجل وقيل ليسأل الصادقين بافواههم عن صدقهم فى قلوبهم ﴿وأعـد للكافرين عذابا أليما﴾ قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم﴾ وذلك حين حوصر المسلمون مع النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة أيام الخندق ﴿اذجاءتكم جنود﴾ يعنى الاحزاب وهم قريش وغطفان ويهود قريظة والنضير ﴿فارسلنا عليهم ريحا﴾ يعنى الصبا قال عكرمة قالت الجنوب للشمال ليلة الاحزاب انطلق ننصر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت الشمال ان الحرة لاتسرى بالليل فكانت الريح التى أرسلت عليهم الصبا (ق) عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور وقيل الصبا ريح فيها روح ماهبت على محزون الا ذهب حزنه * قوله تعالى ﴿وجنودا لم تروها﴾ يعنى الملائكة ولم تقاتل الملائكة يومئذ فبعث الله عز وجل تلك الليلة ريحا باردة فقلعت الاوتاد وقطعت اطناب الفساطيط وأطفأت النيران وأكفأت القدور

من عيسى ابن مريم (أخذنا منهم ميثاقا غليظا) وثيقا أن يبلغ الرسالة الاول الآخر وان يصدق الآخر الاول وان يأمروا قومهم أن يؤمنوا به (ليسأل الصادقين عن صدقهم) المبلغين عن تبليغهم والوافين عن وفائهم والمؤمنين عن ايمانهم (وأعد للكافرين) بالكتب والرسل (عذابا أليما) وجيعا فى النار يخلص وجعه الى قلوبهم (يا أيها الذين امنوا اذكروا نعمة الله) احفظوا نعمة الله منة الله (عليكم) بدفع العدو عنكم بالريح ريح الصبا والملائكة (اذجاءتكم جنود) جموع الكفار (فارسلنا)فسلطنا (عليهم ريحا) ريح الصبا (وجنودا) صفا من الملائكة (لم تروها) يعنى الملائكة

(وماجت)

وسفت التراب فى وجوههم واطفأت نيرانهم وقلعت خيامهم وماجت الخيل بعضها فى بعض وكبرت الملائكة فى جوانب العسكر فقال طليحة بن خويلد الاسدى اما محمد فقد بدأكم بالسحر فالنجاء النجاء فانهزموا من غير قتال ﴿ وكان الله بما تعملون ﴾ من حفر الخندق وقرأ البصريان بالياء اى بما يعمل المشركون من التحزب والمحاربة ﴿ بصيرا ﴾ رائيا

وماجت الخيل بعضها فى بعض وكثر تكبير الملائكة فى جوانب عسكرهم حتى كان سيد كل حى يقول يا بنى فلان النجاء النجاء هلموا الى فاذا اجتمعوا عنده قال النجاء النجاء فانهزموا من غير قتال لما بعث الله عليهم من الرعب ﴿ وكان الله بما تعملون بصيرا ﴾

﴿ ذكر غزوة الخندق وهى الاحزاب ﴾

قال البخارى قال موسى بن عقبة كانت فى شوال سنة أربع من الهجرة وروى محمد بن اسحق عن مشايخه قال دخل حديث بعضهم فى بعض ان نفرا من اليهود منهم سلام ابن أبى الحقيق وحيي بن أخطب وكنانة بن الربيع بن أبى الحقيق وهو ابن قيس وأبو عمار الوائلى فى نفر من بنى النضير ونفر من بنى وائل وهم الذين حزبوا الاحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا حتى قدموا على قريش بمكة فدعوهم الى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا انا سنكون معكم عليه حتى نستأصله فقالت لهم قريش يا معشر اليهود انكم أهل الكتاب الاول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد فديننا خير أم دينه قالوا دينكم خير من دينه وأنتم أولى بالحق منه فهم الذين قال الله تعالى فيهم ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت الى قوله وكفى بجهنم سعيرا قال فلما قالوا ذلك لقريش سرهم ماقالوا ونشطوا لما دعوهم اليه من حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتمعوا على ذلك ثم خرج أولئك النفر من اليهود حتى جاؤا غطفان وقيسا وعيلان فاجتمعوا على ذلك وأخبروهم انهم سيكونون معهم عليه وان قريشا قد بايعوهم على ذلك فاجابوهم وخرجت قريش وقائدهم أبو سفيان ابن حرب وخرجت غطفان وقائدهم عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر فى بنى فزارة والحرث ابن عوف بن أبى حارثة المرى فى بنى مرة ومسعر بن رخيلة بن نويرة بن طريف فيمن تابعه من قومه من أشجع فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وبما اجتمعوا له من الامر ضرب الخندق على المدينة وكان الذى أشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخندق سلمان الفارسى وكان أول مشهد شهده سلمان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يومئذ حر فقال يا رسول الله انا كنا بفارس اذا حوصرنا ضربنا خندقا علينا فعمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون حتى أحكموه وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خط الخندق عام الاحزاب ثم قطع لكل عشرة أربعين ذراعا فاختلف المهاجرون والانصار فى سلمان الفارسى وكان رجلا قويا فقال المهاجرون سلمان منا وقال الانصار سلمان منا فقال النبى صلى الله عليه وسلم سلمان منا أهل البيت قال عمرو بن عوف كنت أنا وسلمان وحذيفة والنعمان بن مقرن المزنى وستة من الانصار فى أربعين ذراعا فحفرنا حتى اذا كنا تحت اخرج الله من بطن الخندق صخرة مروة حتى كسرت حديدنا وشقت

خرج فى ثلاثة آلاف من المسلمين فضرب معسكره والخندق بينه وبين القوم وأمر بالذرارى والنسوان فرفعوا فى الآطام واشتد الخوف وكانت قريش قد أقبلت فى عشرة آلاف من الاحابيش وبنى كنانة وأهل تهامة وقائدهم أبو سفيان وخرج غطفان فى ألف ومن تابعهم من أهل نجد وقائدهم عيينة بن حصن وعامر بن الطفيل فى هوازن وضامتهم اليهود من قريظة والنضير ومضى على الفريقين قريب من شهر لا حرب بينهم الا الترامى بالنبل والحجارة حتى أنزل الله النصر (وكان الله بما تعملون) أى بعملكم أيها المؤمنون من التحصن بالخندق والثبات على معاونة النبى صلى الله عليه وسلم (بصيرا) وبالياء أبو عمرو أى بما يعمل الكفار من البغى والسعى فى اطفاء نور الله

(وكان الله بما تعملون) من الخندق وغيره (بصيرا

علينا فقلنا ياسلمان ارق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره بخبر هذه الصخرة فاما أن يعدل عنها فان المعدل قريب واما أن يأمرنا فيها أمره فانالانحب أن نجاوز خطه قال فرقى سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ضارب عليه قبة تركية فقال يارسول الله خرجت لنا صخرة بيضاء مروة من بطن الخندق فكسرت حديدنا وشقت علينا حتى مايحيك فيها قليل ولا كثير فمرنا فيها بأمرك فانالانحب أن نجاوز خطك فهبط رسول الله صلى الله عليه وسلم مع سلمان الى الخندق واستند على شق الخندق وأخذ عليه السلام المعول من سلمان وضربها به ضربة صدعها وبرق منها برق أضاء مابين لابتيها يعني المدينة حتى كأنه مصباح في جوف بيت مظلم فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبير فتح وكبر المسلمون معه ثم ضربها رسول الله صلى الله عليه وسلم الثانية فبرق منها برق حتى أضاء مابين لابتيها حتى لكأن مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبير فتح وكبر المسلمون معه ثم ضربها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكسرها وبرق منها برق أضاء مابين لابتيها حتى لكأن مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبير فتح وكبر المسلمون معه وأخذ بيد سلمان ورقى فقال بأبي أنت وأمي يارسول الله لقد رأيت شيأ مارأيت مثله قط فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم الى القوم وقال أرأيتم مايقول سلمان قالوا نعم يارسول الله قال ضربت ضربتي الاولى فبرق البرق الذي رأيتم فأضاء لي منها قصور الحيرة ومدائن كسرى كأنها أنياب الكلاب وأخبرني جبريل ان أمتي ظاهرة عليها ثم ضربت ضربتي الثانية فبرق البرق الذي رأيتم أضاء لي منها قصور قيصر من أرض الروم كأنها أنياب الكلاب فأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها ثم ضربت الثالثة فبرق الذي رأيتم أضاء لي منها قصور صنعاء كأنها أنياب الكلاب فأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها فابشروا فاستبشر المسلمون وقالوا الحمد لله موعد صدق وعدنا النصر بعد الحصر فقال المنافقون ألا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم انه ينظر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وانها تفتح لكم وأنتم انما تحفرون الخندق من الفرق لاتستطيعون أن تبرزوا قال فنزل القرآن واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ماوعدنا الله ورسوله الا غرورا وأنزل الله قل اللهم مالك الملك الآية (ق) عن أنس قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الخندق فاذا المهاجرون والانصار يحفرون في غداة باردة ولم يكن لهم عبيد يعملون ذلك لهم فلما رأى مابهم من النصب والجوع قال

اللهم ان العيش عيش الآخرة * فاغفر للانصار والمهاجرة

فقالوا مجيبين له

نحن الذين بايعوا محمدا * على الجهاد ماحيينا أبدا

عن البراء بن عازب قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم ينقل معنا التراب وهو يقول

والله لولا الله مااهتدينا * ولاتصدقنا ولاصلينا

فانزلن سكينة علينا * وثبت الاقدام ان لاقينا

والمشركون قدبغوا علينا * اذا أرادوا فتنة أبينا

(ويرفع)

ويرفع بها صوته وفي رواية قد واري التراب بياض ابطيه رجعنا الى حديث بن اسحق
قال فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع
الاسيال من رومة من الجرف والغابة في عشرة آلاف من أحابيشهم ومن تابعهم من بني
كنانة وأهل تهامة وأقبلت غطفان ومن تابعهم من أهل نجد حتى نزلوا بذنب نعمى الى
جانب أحد وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه حتى جعلوا ظهورهم
الى سلع في ثلاثة آلاف من المسلمين فضرب هنالك عسكره والخندق بينه وبين القوم
وأمر بالذراري والنساء فرفعوا الى الآطام وخرج عدو الله حيي بن أخطب من بني
النضير حتى أتى كعب بن أسد القرظي صاحب عقد بني قريظة وكان قد واعد رسول الله
صلى الله عليه وسلم على قومه وعاهده على ذلك فلما سمع صوت ابن أخطب اغلق دونه
حصنه فاستأذن عليه فابى أن يفتح له فناداه حيي يا كعب افتح لنا فقال ويحك يا حيي انك
امرؤ مشؤم اني قد عاهدت محمدا فلست بناقض ما بيني وبينه ولم أر منه الا وفاء وصدقا
فقال ويحك افتح اكلمك قال ما أنا بفاعل قال والله ان أغلقت دوني الا خوفا ان
آكل معك فاحفظ الرجل ففتح له فقال ويحك يا كعب جئتك بعز الدهر وبحر طام
جئتك بقريش على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بمجتمع الاسيال من رومة وبغطفان على قادتها
وسادتها حتى أنزلتهم بذنب نعمى الى جانب أحد قد عاهدوني وعاقدوني ان لا يبرحوا
حتى يستأصلوا محمدا ومن معه فقال له كعب جئتني والله بذل الدهر وبجهام قد هرق ماؤه
ويرعد ويبرق ليس فيه شيء دعني ومحمدا وما أنا عليه فاني لم أر من محمد الا صدقا ووفاء
فلم يزل حيي بن أخطب بكعب يفتله في الذروة والغارب حتى سمح له على ان أعطاه من الله
عهدا وميثاقا لئن رجعت قريش ولم يصيبوا محمدا ان أدخل معك في حصنك حتى يصيبني
ما أصابك فنقض كعب بن أسد العهد وبرئ مما كان عليه فيما بينه وبين رسول الله صلى الله
عليه وسلم فلما انتهى الخبر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى المسلمين بعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ أحد بني عبد الاشهل وهو يومئذ سيد الاوس وسعد بن
عبادة أحد بني ساعدة وهو يومئذ سيد بني الخزرج ومعهما عبد الله بن رواحة أخو الحرث
ابن الخزرج وخوات بن جبير أخو بني عمرو بن عوف فقال انطلقوا حتى تنظروا ما بلغنا
عن هؤلاء القوم أحق أم لا فان كان حقا فالحنوا الى لحنا أعرفه ولا تفتوا اعضاد الناس وان
كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به للناس فخرجوا حتى أتوهم فوجدوهم على
أخبث ما بلغهم عنهم ونالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا لا عقد بيننا
وبينه ولا عهد فشاتمهم سعد بن عبادة وشاتموه وكان رجلا عنده حدة فقال له سعد
ابن معاذ دع عنك مشاتمتهم فما بيننا وبينهم أربى من المشاتمة ثم أقبل سعد وسعد ومن
معهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلموا وقالوا عضل والقارة احذر
عضل القارة باصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحاب الرجيع خبيب بن عدي
وأصحابه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله اكبر ابشروا يا معشر المسلمين وعظم عند
ذلك البلاء واشتد الخوف وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم حتى ظن المؤمنون

كل ظن ونجم النفاق من بعض المنافقين حتى قال معتب بن قشير اخو بني عمرو بن عوف كان محمد يعدنا ان نأكل كنوز كسرى وقيصر واحدنا لايقدر ان يذهب الى الغائط ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا وقال اوس بن قيظى أحد بني حارثة يارسول الله ان بيوتنا لعورة من العدو وذلك على ملأ من رجال قومه فأذن لنا فلنرجع الى ديارنا فانها خارجة من المدينة فاقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقام المشركون عليها بضعا وعشرين ليلة قريبا من شهر ولم يكن بين القوم حرب الا الرمى بالنبل والحصى فلما اشتد البلاء على الناس بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عيينة بن حصن والى الحرث بن عوف وهما قائدا غطفان فاعطاهما ثلث ثمار المدينة على ان يرجعا بمن معهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فجرى بينهما الصلح حتى كتبوا الكتاب ولم تقع الشهادة فذكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد بن معاذ وسعد بن عبادة فاستشارهما فيه فقالا يارسول الله أشئ أمرك الله به لا بد لنا من العمل به أم أمر تحبه فتصنعه ام شئ تصنعه لنا قال بل شئ أصنعه لكم والله ماأصنع ذلك الا انى قد رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحد وكالبوكم من كل جانب فاردت أن أكسر عنكم شوكتهم فقال له سعد بن معاذ يارسول الله قد كنا نحن وهؤلاء القوم على شرك بالله وعبادة الاصنام لا نعبد الله ولا نعرفه ولا يطعمون ان يأكلوا منا تمرة واحدة الا قرى أو بيعا فحين أكرمنا الله بالاسلام وعزنا بك نعطيهم أموالنا مالنا بهذا من حاجة والله مانعطيهم الا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت وذاك فتناول سعد الصحيفة فمحا ما فيها من الكتابة ثم قال ليجهدوا علينا فاقام رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون وعدوهم محاصروهم ولم يكن بينهم قتال الا أن فوارس من قريش عمرو بن عبدود أخو بني عامر بن لؤى وعكرمة بن أبي جهل وهبيرة بن أبي وهب المخزوميان ونوفل بن عبد الله بن ضرار بن الخطاب ومرداس أخو بني محارب بن فهر قد تلبسوا للقتال وخرجوا على خيلهم فمروا على بني كنانة فقالوا تهيؤا للحرب يابني كنانة فستعلمون اليوم من الفرسان ثم أقبلوا نحو الخندق حتى وقفوا عليه فلما رأوه قالوا والله هذه مكيدة ما كانت العرب تكيدها ثم تيمموا مكانا من الخندق ضيقا وضربوا خيولهم فاقتحمت منه فجالت بهم فى السبخة بين الخندق وسلع وخرج على بن أبي طالب فى نفر من المسلمين حتى أخذوا عليهم الثغرة التى اقتحموا منها وأقبلت الفرسان تعنق نحوهم وكان عمرو بن عبدود قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراحة فلم يشهد أحدا فلما كان يوم الخندق خرج معلما ليرى مكانه فلما وقف هو وخيله قال على ياعمرو انك كنت تعاهد الله لا يدعوك رجل من قريش الى خلتين الا أخذت منه احداهما قال أجل قال له على فانى أدعوك الى الله ورسوله والى الاسلام قال لا حاجة لى بذلك قال انى أدعوك الى النزال قال ولم يا ابن أخى فوالله ماأحب انى أقتلك فقال على لكنى والله أحب ان اقتلك فحمى عمرو عند ذلك فاقتحم عن فرسه فعقره أو ضرب وجهه ثم أقبل على على فتناولا وتجاولا فقتله على وخرجت خيله منهزمة حتى اقتحمت من الخندق هاربة وقتل مع عمرو رجلان منبه بن عثمان بن عبيد السباق بن عبد الدار أصابه سهم فمات بمكة

ونوفل بن عبدالله بن المغيرة المخزومي وكان اقتحم الخندق فتورط فيه فرموه بالحجارة فقال يامعشر العرب قتلة أحسن من هذه فنزل اليه علي فقتله فغلب المسلمون على جسده فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبيعهم جسده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاحاجة لنا في جسده وثمنه فشأنكم به فخلى بينهم وبينه قالت عائشة أم المؤمنين كنا يوم الخندق في حصن بني حارثة وكان من أحرز حصون المدينة وكانت ام سعد بن معاذ معنا في الحصن وذلك قبل ان يضرب علينا الحجاب فمر سعد بن معاذ وعليه درع مقلصة قد خرجت منها ذراعه كلها وفي يده حربة وهو يقول * لابأس بالموت اذا حان الاجل * فقالت له الحق يابني فقد والله اخترت قالت عائشة فقلت ياام سعد والله لوددت أن درع سعد كانت أسبغ مما هي وخفت عليه حيث أصاب السهم منه قالت فرمي سعد يومئذ بسهم فقطع منه الاكحل رماه خباب بن قيس بن العرقة أحد بني عامر بن لؤي فلما أصابه قال خذها وانا ابن العرقة قال سعد عرق الله وجهك في النار ثم قال سعد اللهم ان كنت أبقيت من حرب قريش شيأ فابقني لها فانه لاقوم أحب الي ان أجاهدهم من قوم آذوا رسولك وكذبوه وأخرجوه وان كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعلها لي شهادة ولاتمتني حتى تقر عيني من بني قريظة وكانوا حلفاءه ومواليه في الجاهلية قال محمد بن اسحق فيما بلغه ان صفية بنت عبدالمطلب كانت في فارع حصن حسان بن ثابت قالت وكان حسان معنا مع النساء والصبيان قالت صفية فمر بنا رجل من اليهود فجعل يطوف بالحصن وقد حاربت بنو قريظة وقطعت مابينها وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون في نحر عدوهم لايستطيعون ان ينصرفوا الينا عنهم اذا اتانا آت قالت فقلت ياحسان ان هذا اليهودي كما ترى يطيف بالحصن واني والله ما آمنه ان يدل على عورتنا من وراءنا من اليهود وقد شغل عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فانزل اليه فاقتله فقال يغفر الله لك يابنت عبدالمطلب والله لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا قالت فلما قال لي ذلك ولم أر عنده شيأ اعتجرت ثم أخذت عمودا ثم نزلت من الحصن اليه فضربته بالعمود حتى قتلته فلما فرغت منه رجعت الى الحصن فقلت ياحسان انزل اليه فاسلبه فانه لم يمنعني من سلبه الا أنه رجل قال مالي بسلبه حاجة يابنت عبدالمطلب قالوا وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فيما وصف الله من الخوف والشدة لتظاهر عدوهم واتيانهم من فوقهم ومن أسفل منهم ثم ان نعيم بن مسعود بن عامر ابن غطفان أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله اني قد أسلمت وان قومي لم يعلموا باسلامي فأمرني بما شئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما أنت فينا رجل واحد فخذل عنا ان استطعت فان الحرب خدعة فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بني قريظة وكان نديما لهم في الجاهلية فقال لهم يابني قريظة قد عرفتم ودي اياكم وخاصة مابيني وبينكم قالوا صدقت لست عندنا بمتهم فقال لهم ان قريشا وغطفان جاؤا لحرب محمد وقد ظاهرتموهم عليه وان قريشا وغطفان ليسوا كهيئتكم البلد بلدكم به أموالكم وأولادكم ونساؤكم لاتقدرون على ان تحولوا منه الى غيره وان قريشا وغطفان أموالهم وأبناؤهم ونساؤهم بغيره ان رأوا نهزة وغنيمة أصابوها وان كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين

هذا الرجل والرجل ببلدكم لاطاقة لكم به ان خلا بكم فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهنا من أشرافهم يكونون بأيديكم ثقة لكم على ان يقاتلوا معكم محمدا حتى تناجزوه قالوا لقد أشرت برأى ونصح ثم خرج حتى أتى قريشا فقال لابى سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش قد عرفتم ودى اياكم وفراقى محمدا فقد بلغنى أمر رأيت حقا على ان أبلغكم نصحا لكم فاكتموا على قالوا نفعل قال تعلمون ان معشر يهود قد ندموا على ماصنعوا بينهم وبين محمد وقد أرسلوا اليه أن قد ندمنا على مافعلنا فهل يرضيك عنا ان نأخذ من قريش وغطفان رجالا من أشرافهم فنعطيكهم فتضرب أعناقهم ثم نكون معك على من بقى منهم فارسل اليهم ان نعم فان بعث اليكم يهود يلتمسون رهنا من رجالكم فلا تدفعوا اليهم منكم رجلا واحدا ثم خرج حتى أتى غطفان فقال يامعشر غطفان أنتم أهلى وعشيرتى وأحب الناس الى ولا أراكم تتهموننى قالوا صدقت قال فاكتموا على قالوا نفعل فقال لهم مثل ماقال لقريش وحذرهم مثل حذرهم فلما كانت ليلة السبت من شوال سنة خمس وكان مما صنع الله لرسوله صلى الله عليه وسلم أرسل أبو سفيان ورؤس غطفان الى بنى قريظة عكرمة بن ابى جهل فى نفر من قريش وغطفان فقالوا لهم انا لسنا بدار مقام قد هلك الخف والحافر فاغدوا للقتال حتى نناجز محمدا ونفرغ ممابيننا وبينه فارسلوا اليهم ان اليوم السبت وهو لانعمل فيه شيأ وقد كان أحدث فيه بعضنا حدثا فاصابهم مالم يخف عليكم ولسنا مع ذلك بالذى نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا من رجالكم يكون بايدينا ثقة لنا حتى نناجز محمدا فانا نخشى ان ضرستكم الحرب واشتد عليكم القتال ان تسيروا الى بلادكم وتتركونا والرجل فى بلدنا ولا طاقة لنا بذلك من محمد فلما رجعت اليهم الرسل بالذى قالت بنو قريظة قالت قريش وغطفان تعلمن والله ان الذى حدثكم به نعيم بن مسعود لحق فارسلوا الى بنى قريظة انا والله لاندفع اليكم رجلا واحدا من رجالنا فان كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا فقالت بنو قريظة حين انتهت اليهم الرسل بهذا ان الذى ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق مايريد القوم الأن يقاتلوا فان وجدوا فرصة انتهزوها وان كان غير ذلك شمروا الى بلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل فى بلدكم فارسلوا الى قريش وغطفان انا والله لانقاتل معكم حتى تعطونا رهنا فابوا عليهم وخذل الله عز وجل بينهم وبعث عليهم الريح فى ليال شاتية شديدة البرد فجعلت تكفأ قدورهم وتطرح آنيتهم فلما انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مااختلف من أمرهم دعا حذيفة بن اليمان فبعثه اليهم لينظر مافعل القوم ليلا وروى محمد بن اسحق عن يزيد ابن زياد عن محمد بن كعب القرظى وروى غيره عن ابراهيم التيمى عن أبيه قالا قال فتى من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان ياأباعبدالله رأيتم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبتموه قال نعم ياابن أخى قال كيف كنتم تصنعون قال والله لقد كنا نجهد قال الفتى والله لو أدركناه ماتركناه يمشى على الارض ولحملناه على أعناقنا ولخدمناه وفعلنا معه مافعلنا فقال حذيفة ياابن أخى والله لقد رأيتنى ليلة الاحزاب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من يذهب الى هؤلاء القوم فيأتينا بخبرهم أدخله الله الجنة فما قام منا رجل ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هونا من الليل ثم التفت الينا فقال مثله فسكت

(اذجاؤكم) بدل من اذجاءتكم (من فوقكم) أي من أعلى الوادي من قبل المشرق بنوغطفان (ومن أسفل منكم) من أسفل الوادي من قبل المغرب قريش (واذزاغت الابصار) مالت عن سنها ومستوى نظرها حيرة أوعدلت عن كل شئ فلم تلتفت الا الى عدوها لشدة الروع (وبلغت القلوب الحناجر) الحنجرة رأس الغلصمة وهي منتهى الحلقوم والحلقوم مدخل الطعام والشراب قالوا اذا انتفخت الرئة من شدة الفزع أوالغضب ربت وارتفع القلب بارتفاعها الى رأس الحنجرة وقيل هو مثل في اضطراب القلوب وان لم تبلغ الحناجر حقيقة روى ان المسلمين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم هل من شئ نقوله فقد بلغت القلوب الحناجر قال نعم قولوا اللهم استرعوراتنا وآمن روعاتنا

﴿ اذجاؤكم ﴾ بدل من اذجاءتكم ﴿ من فوقكم ﴾ من اعلى الوادي من قبل المشرق بنو غطفان ﴿ ومن اسفل منكم ﴾ من اسفل الوادي من قبل المغرب قريش ﴿ واذزاغت الابصار ﴾ مالت عن مستوى نظرها حيرة وشخوصا ﴿ وبلغت القلوب الحناجر ﴾ رعبا فان الرئة

القوم وماقام منا رجل ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هونا من الليل ثم التفت الينا فقال هل من رجل يقوم فينظرلنا مافعل القوم على ان يكون رفيقي في الجنة فماقام رجل من شدة الخوف وشدة الجوع وشدة البرد فلمالم يقم أحد دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ياحذيفة ولم يكن لي بد من القيام حين دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت لبيك يارسول الله وقمت حتى أتيته فأخذ بيدي ومسح رأسي ووجهي ثم قال ائت هؤلاء القوم حتى تأتيني بخبرهم ولاتحدثن شيأ حتى ترجع الي ثم قال اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته فاخذت سهمي وشددت على اسلابي ثم انطلقت أمشي نحوهم كانما أمشي في حمام فذهبت فدخلت في القوم وقد أرسل الله عليهم ريحا وجنودا وجنود الله تفعل بهم ماتفعل لاتقر لهم قدراولانارا ولابناء قال وابوسفيان قاعد يصطلي فأخذت سهما فوضعته في كبد قوسي فاردت ان أرميه ولورميته لاصبته فذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتحدثن حدثا حتى ترجع فرددت سهمي في كنانتي فلما رأى أبوسفيان ماتفعل الريح وجنود الله بهم لاتقرلهم قدرا ولانارا ولابناء قام فقال يامعشر قريش ليأخذ كل منكم بيد جليسه فلينظر من هو فأخذت بيد جليسي فقلت من أنت فقال سبحان الله أماتعرفني أنا فلان بن فلان رجل من هوازن فقال أبوسفيان يامعشر قريش انكم والله ماأصبحتم بدار مقام لقد هلك الكراع والخف وأخلفتنا بنوقريظة وبلغنا عنهم الذي نكره ولقينا من هذه الريح ماترون فارتحلوا فاني مرتحل ثم قام الى جمله وهو معقول فجلس عليه ثم ضربه فوثب على ثلاث فما أطلق عقاله الا وهو قائم وسمعت غطفان بمافعل قريش فاستمروا راجعين الى بلادهم قال فرجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كأني أمشي في حمام فأتيته وهو قائم يصلي فلما سلم أخبرته فضحك حتى بدت أنيابه في سواد الليل فلما أخبرته وفرغت قررت وذهب عني الدفاء فأدفاني النبي صلى الله عليه وسلم فانامني عند رجليه وألقى علي طرف ثوبه وألصق صدري ببطن قدميه فلم أزل نائما حتى أصبحت فلما أصبحت قال قم يانومان فذلك قوله عزوجل ﴿ اذجاؤكم من فوقكم ﴾ أي من فوق الوادي من قبل المشرق وهم أسد وغطفان وعليهم مالك بن عوف النصري وعيينة بن حصن الفزاري في ألف من غطفان ومعهم طليحة بن خويلد الاسدي في بني أسد وحيي بن أخطب في يهود قريظة ﴿ ومن أسفل منكم ﴾ يعني من بطن الوادي من قبل المغرب وهم قريش وكنانة عليهم أبوسفيان بن حرب من قريش ومن تبعه وأبوالاعور عمرو ابن سفيان السلمي من قبل الخندق وكان الذي جر غزوة الخندق فيما قيل اجلاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بني النضير من ديارهم ﴿ واذزاغت الابصار ﴾ أي مالت وشخصت من الرعب وقيل مالت عن كل شئ فلم تنظر الى عدوها ﴿ وبلغت القلوب الحناجر ﴾ أي زالت عن أماكنها

اذ جاؤكم) كفار مكة (من فوقكم) من فوق الوادي طلحة بن خويلد الاسدي وأصحابه (ومن أسفل منكم) من أسفل الوادي أبوالاعور الاسلمي وأصحابه وأبو سفيان وأصحابه (واذ زاغت الابصار) مالت أبصار المنافقين في الخندق عن موضعها (وبلغت القلوب) قلوب المنافقين (الحناجر) انتفخت عند الحناجر من الخوف الرئة

(وتظنون بالله الظنونا) خطاب للذين آمنوا ومنهم الثبت القلوب والاقدام والضعاف القلوب الذين هم على حرف والمنافقون فظن الاولون بالله انهم يبتليهم فخافوا الزلل وضعف الاحتمال واما الآخرون فظنوا بالله ما حكى عنهم قرأ ابو عمرو وحمزة الظنون بغير الف فى الوصل والوقف وهو القياس وبالالف فيهما مدنى وشامى وابوبكر اجراء للوصل مجرى الوقف وبالالف فى الوقف مكى وعلى وحفص ومثله الرسولا والسبيلا زادوها فى الفاصلة كما زادها فى القافية من قال * أقلى اللوم عاذل والعتابا * وهن كلهن فى الامام بالالف (هنالك

ابتلى المؤمنون) امتحنوا بالصبر على الايمان (وزلزلوا زلزالا شديدا) وحركوا بالخوف تحريكا بليغا (واذ يقول المنافقون) عطف على الاول (والذين فى قلوبهم مرض) قيل هو وصف المنافقين بالواو كقوله * الى الملك القرم وابن الهمام * وليث الكتيبة فى المزدحم * وقيل هم قوم لا بصيرة لهم فى الدين كان المنافقون يستميلونهم بادخال الشبه عليهم (ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا) وروى ان معتب بن قشير حين رأى الاحزاب قال يعدنا محمد فتح فارس والروم وأحدنا لا يقدر ان يتبرز فرقا ما هذا الا وعد غرور (واذ قالت طائفة منهم) من المنافقين وهم عبدالله ابن أبى وأصحابه (يا أهل يثرب) هم أهل المدينة

تنتفخ من شدة الروع فترتفع بارتفاعها الى رأس الحنجرة وهى منتهى الحلقوم مدخل الطعام والشراب ﴿وتظنون بالله الظنونا﴾ الانواع من الظن فظن المخلصون الثبت القلوب ان الله منجز وعده فى اعلاء دينه او ممتحنهم فخافوا الزلل وضعف الاحتمال والضعاف القلوب والمنافقون ما حكى عنهم والالف مزيدة فى امثاله تشبيها للفواصل بالقوافى وقد اجرى نافع وابن عامر وابوبكر فيها الوصل مجرى الوقف ولم يزدها ابو عمرو وحمزة ويعقوب مطلقا وهو القياس ﴿هنالك ابتلى المؤمنون﴾ اختبروا فظهر المخلص من المنافق والثابت من المتزلزل ﴿وزلزلوا زلزالا شديدا﴾ من شدة الفزع وقرئ زلزالا بالفتح ﴿واذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض﴾ ضعف اعتقاد ﴿ما وعدنا الله ورسوله﴾ من الظفر واعلاء الدين ﴿الا غرورا﴾ وعدا باطلا قيل قائله معتب بن قشير قال يعدنا محمد بفتح فارس والروم واحدنا لا يقدر ان يتبرز فرقا ما هذا الا وعد غرور ﴿واذ قالت طائفة منهم﴾ يعنى اوس بن قيظى واتباعه ﴿يا اهل يثرب﴾

حتى بلغت الحلوق من الفزع والحنجرة جوف الحلقوم وهذا على التمثيل عبر به عن شدة الخوف وقيل معناه انهم جبنوا وسبيل الجبان اذ اشتد خوفه ان تنتفخ رئته واذا انتفخت رئته رفعت القلب الى الحنجرة فلهذا يقال للجبان انتفخ سحره ﴿وتظنون بالله الظنونا﴾ أى اختلفت الظنون بالله فظن المنافقون استئصال محمد وأصحابه وظن المؤمنون النصر والظفر لهم ﴿هنالك ابتلى المؤمنون﴾ أى عند ذلك اختبر المؤمنون بالحصر والقتال ليتبين المخلصون من المنافقين ﴿وزلزلوا زلزالا شديدا﴾ أى حركوا حركة شديدة ﴿واذ يقول المنافقون﴾ يعنى معتب بن قشير وقيل عبدالله بن أبى وأصحابه ﴿والذين فى قلوبهم مرض﴾ أى شك وضعف اعتقاد ﴿ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا﴾ هو قول أهل النفاق يعدنا محمد فتح قصور الشأم وفارس وأحدنا لا يستطيع أن يجاوز رحله هذا هو الغرور * قوله تعالى ﴿واذ قالت طائفة منهم﴾ أى من المنافقين وهم أوس بن قيظى وأصحابه ﴿يا أهل يثرب﴾ يعنى يا أهل المدينة وقيل يثرب اسم الارض ومدينة الرسول الله صلى الله عليه وسلم فى ناحية منها سميت يثرب باسم رجل من العماليق كان قد نزلها فى قديم الزمان وفى بعض الاخبار ان النبى صلى الله عليه وسلم نهى ان تسمى المدينة يثرب وقال هى طيبة كأنه كره هذه اللفظة لما فيها من التثريب وهو التقريع والتوبيخ

(وتظنون بالله الظنونا) وظننتم بالله يا معشر المنافقين أن الله لا ينصر نبيه (هنالك) عند ذلك الخوف (ابتلى المؤمنون) اختبر المؤمنون (لا) بالبلاء (وزلزلوا زلزالا شديدا) أجهدوا اجهادا شديدا وحركوا تحريكا شديدا (واذ يقول المنافقون) عبدالله بن أبى ابن سلول وأصحابه (والذين فى قلوبهم مرض) شك ونفاق معتب بن قشير وأصحابه (ما وعدنا الله ورسوله) من فتح المدائن ومجئ الكفار (الا غرورا) باطلا (واذ قالت طائفة منهم) من بنى حارثة بن الحرث لاصحابهم فى الخندق (يا أهل يثرب) يعنون يا أهل المدينة

(لامقام لكم) وبضم الميم حفص أى لاقرار لكم ههنا ولامكان تقومون فيه اوتقيمون (فارجعوا) عن الايمان الى الكفر أومن عسكر رسول الله الى المدينة (ويستأذن فريق منهم النبي) أى بنوحارثة (يقولون ان بيوتنا عورة) أى ذات عورة (وماهى بعورة ان يريدون الا فرارا) العورة الخلل والعورة ذات العورة وهى قراءة ابن عباس يقال عور المكان عورا اذا بدا منه خلل يخاف منه العدو والسارق ويجوز أن يكون عورة تخفيف عورة اعتذروا ان بيوتهم عرضة للعدو والسارق لانها غير محصنة فاستأذنوه ليحصنوها ثم يرجعوا اليه فاكذبهم الله بانهم لايخافون ذلك وانما يريدون الفرار من القتال (ولو دخلت عليهم) المدينة اوبيوتهم من قولك دخلت على فلان داره (من اقطارها) من جوانبها اى ولو دخلت هذه العساكر المتحزبة التى يفرون خوفا منها مدينتهم اوبيوتهم من نواحيها كلها وانثالت على اهاليهم واولادهم ناهبين سابين (ثم سئلوا) عند ذلك الفزع (الفتنة) اى الردة والرجعة الى الكفر ومقاتلة المسلمين (لآتوها) لاعطوها لاتوها بلامد حجازى اى لجاؤها وفعلوها (وما تلبثوا بها) باجابتها (الا يسيرا) ريثما يكون السؤال والجواب من غير توقف او مالبثوا بالمدينة بعد ارتدادهم الا يسيرا فان الله يهلكهم والمعنى انهم يتعللون باعورار بيوتهم ليفروا عن نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وعن مصافة الاحزاب الذين ملؤهم هولا ورعبا وهؤلاء الاحزاب (قا و خا ١٣ مس) كما هم لو كبسوا عليهم أرضهم وديارهم وعرض عليهم الكفر وقيل لهم كونوا على المسلمين لسارعوا اليه وما تعللوا بشئ وما ذلك الا لمقتهم الاسلام وحبهم الكفر

اهل المدينة وقيل هواسم ارض وقعت المدينة فى ناحية منها ﴿لامقام لكم﴾ لاموضع قيام لكم ههنا وقرأ حفص بالضم على انه مكان اومصدر من اقام ﴿فارجعوا﴾ الى منازلكم هاربين وقيل المعنى لامقام لكم على دين محمد صلى الله عليه وسلم فارجعوا الى الشرك او اسلموه لتسلموا اولامقام لكم بيثرب فارجعوا كفارا ليمكنكم المقام بها ﴿ويستأذن فريق منهم النبي﴾ للرجوع ﴿يقولون ان بيوتنا عورة﴾ غير حصينة واصلها الخلل ويجوز ان يكون تخفيف العورة من عورة الدار اذا اختلت وقد قرئ بها ﴿وماهى بعورة﴾ بل هى حصينة ﴿ان يريدون الافرارا﴾ ومايريدون بذلك الا الفرار من القتال ﴿ولو دخلت عليهم﴾ دخلت المدينة اوبيوتهم ﴿من اقطارها﴾ من جوانبها وحذف الفاعل للايماء بان دخول هؤلاء المتحزبين عليهم ودخول غيرهم من العساكر سيان فى اقتضاء الحكم المرتب عليه ﴿ثم سئلوا الفتنة﴾ الردة ومقاتلة المسلمين ﴿لآتوها﴾ لاعطوها وقرأ الحجازيان بالقصر بمعنى لجاؤها وفعلوها ﴿وماتلبثوا بها﴾ بالفتنة او باعطائها ﴿الايسيرا﴾ ريثما يكون السؤال والجواب وقيل ومالبثوا بالمدينة بعد الارتداد الا يسيرا

﴿لامقام لكم﴾ أى لامكان لكم تنزلون وتقيمون فيه ﴿فارجعوا﴾ أى الى منازلكم وقيل عن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم وقيل عن القتال ﴿ويستأذن فريق منهم النبي﴾ يعنى بنى حارثة وبنى سلمة ﴿يقولون ان بيوتنا عورة﴾ أى خالية ضائعة وهى ممايلى العدو ويخشى عليها السراق فكذبهم الله تعالى بقوله ﴿وماهى بعورة ان يريدون الافرارا﴾ أى انهم لايخافون ذلك انما يريدون الفرار من القتال ﴿ولو دخلت عليهم من أقطارها﴾ يعنى لو دخل هؤلاء الجيوش الذين يريدون قتالهم وهم الاحزاب من نواحى المدينة وجوانبها ﴿ثم سئلوا الفتنة﴾ أى الشرك ﴿لآتوها﴾ أى لجاؤها وفعلوها ورجعوا عن الاسلام ﴿وماتلبثوا بها﴾ أى مااحتبسوا عن الفتنة ﴿الايسيرا﴾ أى لاسرعوا الاجابة الى الشرك طيبة به نفوسهم وقيل معناه وماأقاموا بالمدينة بعد

(لامقام لكم) لامكان لكم فى الخندق عند القتال (فارجعوا) الى المدينة (ويستأذن فريق منهم) من المنافقين بنى حارثة (النبي) صلى الله عليه وسلم بالرجوع الى المدينة (يقولون) ائذن لنا يانبى الله بالرجوع الى المدينة (ان بيوتنا عورة) خالية من الرجال نخاف عليها سرق السراق (وماهى بعورة) بخالية (ان يريدون) مايريدون بذلك (الافرارا) من القتل (ولودخلت عليهم) على المنافقين بالمدينة (من أقطارها) من نواحيها (ثم سئلوا الفتنة) دعوا الى الشرك (لآتوها) لاجابوها سريعا (وماتلبثوا بها) ومامكثوا باجابتها ويقال بالمدينة بعد اجابتهم (الايسيرا) قليلا

(ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل) أى بنو حارثة من قبل الخندق أو من قبل نظرهم الى الاحزاب (لا يولون الادبار) منهزمين (وكان عهد الله مسؤلا) مطلوبا بمقتضى حتى يوفى به (قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت أو القتل واذا لا تمتعون الا قليلا) أى ان كان حضر أجلكم لم ينفعكم الفرار وان لم يحضر وفررتم لم تمتعوا فى الدنيا الا قليلا وهو مدة أعماركم وذلك قليل وعن بعض المروانية انه مر بحائط مائل فاسرع فتليت له هذه الآية فقال ذلك القليل نطلب (قل من ذا الذى يعصمكم من الله) أى مما أراد الله انزاله بكم (ان أراد بكم سوأ) فى أنفسكم من قتل أو غيره (أو أراد بكم رحمة) أى اطالة عمر فى عافية وسلامة أو من يمنع الله من ان يرحمكم ان أراد بكم رحمة لما فى العصمة من معنى المنع (ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا) ناصرا (قد يعلم الله المعوقين منكم) أى من يعوق عن نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم أى يمنع وهم المنافقون (والقائلين لاخوانهم) فى الظاهر من المسلمين (هلم الينا) أى قربوا أنفسكم الينا ودعوا محمدا وهى لغة أهل الحجاز فانهم يسوون فيه بين الواحد والجماعة وأما تميم فيقولون هلم يا رجل وهلموا يا رجال وهو صوت سمى به فعل متعد نحو احضر وقرب

﴿ ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار ﴾ يعنى بنى حارثة عاهدوا رسول الله يوم احد حين فشلوا ثم تابوا ان لا يعودوا لمثله ﴿ وكان عهد الله مسؤلا ﴾ عن الوفاء به مجازى عليه ﴿ قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل ﴾ فانه لا بد لكل شخص من حتف انف او قتل فى وقت معين سبق به القضاء وجرى عليه القلم ﴿ واذا لا تمتعون الا قليلا ﴾ أى وان نفعكم الفرار مثلا فمتعتم بالتأخير لم يكن ذلك التمتع الا تمتيعا او زمانا قليلا ﴿ قل من ذا الذى يعصمكم من الله ان أراد بكم سوأ او اراد بكم رحمة ﴾ اى او يصيبكم بسوء ان اراد بكم رحمة فاختصر الكلام كما فى قوله متقلدا سيفا ورمحا او حمل الثانى على الاول لما فى العصمة من معنى المنع ﴿ ولا يجدون لهم من دون الله وليا ﴾ ينفعهم ﴿ ولا نصيرا ﴾ يدفع الضر عنهم ﴿ قد يعلم الله المعوقين منكم ﴾ المثبطين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم المنافقون ﴿ والقائلين لاخوانهم ﴾ من ساكنى المدينة ﴿ هلم الينا ﴾ قربوا انفسكم الينا وقد ذكر اصله فى الانعام

اعطاء الكفر الا قليلا حتى يهلكوا ﴿ قوله عز وجل ﴿ ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل ﴾ أى من قبل غزوة الخندق ﴿ لا يولون الادبار ﴾ أى لا ينهزمون قيل هم بنو حارثة هموا يوم أحد ان يفشلوا مع بنى سلمة فلما نزل فيهم ما نزل عاهدوا الله أن لا يعودوا لمثلها وقيل هم أناس غابوا عن وقعة بدر فلما رأوا ما أعطى الله أهل بدر من الكرامة والفضيلة قالوا لئن أشهدنا الله قتالا لنقاتلن فساق الله اليهم ذلك ﴿ وكان عهد الله مسئولا ﴾ أى عنده فى الآخرة ﴿ قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت أو القتل ﴾ يعنى الذى كتب عليكم لان من حضر أجله مات أو قتل لا بد من ذلك ﴿ واذا لا تمتعون ﴾ أى بعد الفرار ﴿ الا قليلا ﴾ أى مدة آجالكم وهى قليل ﴿ قل من ذا الذى يعصمكم ﴾ اى يمنعكم ﴿ من الله ان أراد بكم سوأ ﴾ أى هزيمة ﴿ أو أراد بكم رحمة ﴾ أى نصرا ﴿ ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا ﴾ اى ناصرا يمنعهم ﴿ قد يعلم الله المعوقين منكم ﴾ أى المثبطين الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ والقائلين لاخوانهم هلم الينا ﴾ أى ارجعوا الينا ودعوا محمدا صلى الله عليه وسلم فلا تشهدوا معه الحرب فانا نخاف عليكم الهلاك قيل هم أناس من المنافقين كانوا يثبطون أنصار النبى صلى الله عليه وسلم ويقولون لهم ما محمد وأصحابه الا أكلة رأس ولو كانوا لحما لالتهمهم أى ابتلعهم أبو سفيان وأصحابه دعوا الرجل فانه هالك وقيل نزلت فى المنافقين وذلك ان اليهود أرسلت اليهم ما الذى يحملكم على قتل أنفسكم بيد ابى سفيان ومن معه فانهم ان قدروا عليكم فى هذه

(ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل) من قبل الخندق يوم الاحزاب (لا يولون الادبار) منهزمين من المشركين (وكان عهد الله) ناقض عهد الله (مسؤلا) يوم القيامة عن نقضه (قل) يا محمد لبنى حارثة (لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت أو القتل واذا (المرة)
لا تمتعون) لا تعيشون فى الدنيا (الا قليلا) يسيرا (قل) يا محمد لبنى حارثة (من ذا الذى يعصمكم) يمنعكم (من الله) من عذاب الله (ان أراد بكم سوأ) عذابا بالقتل (أو أراد بكم رحمة) عافية من القتل (ولا يجدون لهم) لبنى حارثة (من دون الله) من عذاب الله (وليا) حافظا يحفظهم من عذاب الله (ولا نصيرا) مانعا يمنعهم من عذاب الله (قد يعلم الله المعوقين) المانعين بالرجوع الى الخندق (منكم) يعنى المنافقين (والقائلين لاخوانهم) لاصحابهم المنافقين (هلم الينا) بالمدينة وكان هؤلاء عبد الله بن أبى وجد بن قيس ومعتب بن قشير

(ولا يأتون البأس) أى الحرب (الاقليلا) الااتيانا قليلا أى يحضرون ساعة رياء ويقفون قليلا مقدار ما يرى شهودهم ثم ينصرفون (أشحة) جمع شحيح وهو البخيل نصب على الحال من الضمير فى يأتون أى يأتون الحرب بخلاء (عليكم) بالظفر والغنيمة (فاذا جاء الخوف) من قبل العدو أو منه عليه السلام (رأيتهم ينظرون اليك) فى تلك الحالة (تدور أعينهم) عينا وشمالا (كالذى يغشى عليه من الموت) كما ينظر المغشى عليه من معالجة سكرات الموت حذرا وخوفا ولو اذا بك (فاذا ذهب الخوف) زال ذلك الخوف وأمنوا وحزت الغنائم (سلقوكم بالسنة حداد) خاطبوكم مخاطبة شديدة وآذوكم بالكلام خطيب مسلق فصيح ورجل مسلاق مبالغ فى الكلام أى يقولون وفروا قسمتنا فانا قد شاهدناكم وقاتلنا معكم وبمكاننا غلبتم عدوكم (أشحة على الخير) اى خاطبوكم أشحة على المال والغنيمة وأشحة حال من فاعل سلقوكم (أولئك لم يؤمنوا) فى الحقيقة بل بالالسنة (فاحبط الله أعمالهم) أبطل باضمارهم الكفر ما أظهروه من

﴿ ولا يأتون البأس الاقليلا ﴾ الااتيانا اوزمانا اوبأسا قليلا فانهم يعتذرون ويثبطون ما امكن لهم اويخرجون مع المؤمنين ولكن لا يقاتلون الاقليلا لقوله وما قاتلوا الاقليلا وقيل انه من تتمة كلامهم ومعناه ولا يأتى اصحاب محمد حرب الاحزاب ولا يقاومونهم الاقليلا ﴿ اشحة عليكم ﴾ بخلاء عليكم بالمعاونة او النفقة فى سبيل الله او الظفر والغنيمة جمع شحيح ونصبها على الحال من فاعل يأتون او المعوقين او على الذم ﴿ فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور اعينهم ﴾ فى احداقهم ﴿ كالذى يغشى عليه ﴾ كنظر المغشى عليه اوكدوران عينه اومشبهين به اومشبهة بعينه ﴿ من الموت ﴾ من معالجة سكرات الموت خوفا ولو اذا بك ﴿ فاذا ذهب الخوف ﴾ وحيزت الغنائم ﴿ سلقوكم ﴾ ضربوكم ﴿ بالسنة حداد ﴾ ذربة يطلبون الغنيمة والسلق البسط بقهر باليد او باللسان ﴿ اشحة على الخير ﴾ نصب على الحال او الذم ويؤيده قراءة الرفع وليس بتكرير لان كلا منهما مقيد من وجه ﴿ اولئك لم يؤمنوا ﴾ اخلاصا ﴿ فاحبط الله اعمالهم ﴾ فاظهر بطلانها اذ لم يثبت لهم اعمال فتبطل

المزة لم يستبقوا منكم أحدا وانا نشفق عليكم فانتم اخواننا وجيراننا هلموا الينا فاقبل عبدالله بن أبى بن سلول وأصحابه على المؤمنين يعوقونهم ويخوفونهم بابى سفيان ومن معه وقالوا لئن قدر اليوم عليكم لم يستبق منكم أحدا ماترجون عن محمد ما عنده خير ما هو الا ان يقتلنا ههنا انطلقوا بنا الى اخواننا يعنى اليهود فلم يزدد المؤمنون بقول المنافقين الا ايمانا واحتسابا ﴿ وقوله تعالى ﴿ ولا يأتون البأس ﴾ يعنى الحرب ﴿ الاقليلا ﴾ أى رياء وسمعة من غير احتساب ولو كان ذلك القليل لله لكان كثيرا ﴿ أشحة عليكم ﴾ أى بخلاء بالنفقة فى سبيل الله والنصرة وصفهم الله بالبخل والجبن ﴿ فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور أعينهم ﴾ أى فى رؤسهم من الخوف والجبن ﴿ كالذى يغشى عليه من الموت ﴾ أى كدوران عين الذى قرب من الموت وغشيه أسبابه فانه يذهب عقله ويشخص بصره فلا يطرف ﴿ فاذا ذهب الخوف ﴾ أى زال ﴿ سلقوكم ﴾ أى آذوكم ورموكم فى حالة الامن ﴿ بالسنة حداد ﴾ أى ذربة تفعل كفعل الحديد قال ابن عباس معناه عضوكم وتناولوكم بالنقص والغيبة وقيل بسطوا ألسنتهم فيكم وقت قسمة الغنيمة يقولون اعطونا فانا شهدنا معكم القتال فلستم باحق بالغنيمة منا فهم عند الغنيمة أشح قوم وعند الحرب أجبن قوم ﴿ أشحة على الخير ﴾ أى يشاحون المؤمنين عند الغنيمة فعلى هذا المعنى يكون المراد بالخير المال ﴿ أولئك لم يؤمنوا ﴾ أى لم يؤمنوا حقيقة الايمان وان أظهروا الايمان لفظا ﴿ فاحبط الله أعمالهم ﴾ أى التى كانوا يأتون بها مع المسلمين قيل هى الجهاد وغيره

(ولا يأتون البأس) القتال عبدالله بن أبى وصاحباه (الاقليلا) رياء وسمعة (أشحة عليكم) أشفقة عليكم قالوا ذلك ويقال بخلا بالنفقة عليكم (فاذا جاء الخوف) خوف العدو (رأيتهم) يا محمد المنافقين فى الخندق (ينظرون اليك تدور أعينهم) تتقلب أعينهم فى الجفون (كالذى يغشى عليه من الموت) كمن هو فى غشيان الموت ونزعاته (فاذا ذهب الخوف) خوف العدو (سلقوكم) طعنوكم وعابوكم (بالسنة حداد) ذربة سليطة (أشحة على الخير) بخيلة بالنفقة فى سبيل الله (أولئك) أهل هذه الصفة (لم يؤمنوا) لم يصدقوا فى ايمانهم (فأحبط الله أعمالهم) فابطل الله بسيآتهم حسناتهم

الاعمال (وكان ذلك) احباط أعمالهم (على الله يسيرا) هينا (يحسبون الاحزاب لم يذهبوا) أى لجبنهم يظنون ان الاحزاب لم ينهزموا ولم ينصرفوا مع انهم قد انصرفوا (وان يأت الاحزاب) كرة ثانية (يودوا لو أنهم بادون فى الاعراب) البادون جمع البادى أى يتمنى المنافقون لجبنهم انهم خارجون من المدينة الى البادية حاصلون بين الاعراب ليأمنوا على أنفسهم ويعتزلوا مما فيه الخوف من القتال (يسئلون) كل قادم منهم من جانب المدينة (عن أنبائكم) عن أخباركم وعما جرى عليكم (ولو كانوا فيكم)

ولم يرجعوا الى المدينة وكان قتال (ماقاتلوا الاقليلا) رياء وسمعة (لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة) بالضم حيث كان عاصم أى قدوة وهو المؤتسى به أى المقتدى به كما تقول فى البيضة عشرون منا حديدا أى هى فى نفسها هذا المبلغ من الحديد أو فيه خصلة من حقها ان يؤتسى بها حيث قاتل بنفسه (لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر) أى يخاف الله ويخاف اليوم الآخر أو يأمل ثواب الله ونعيم اليوم الآخر قالوا لمن بدل من لكم وفيه ضعف لانه لايجوز البدل من ضمير المخاطب وقيل لمن يتعلق بحسنة أى أسوة حسنة

اوابطل تصنعهم ونفاقهم ﴿ وكان ذلك ﴾ الاحباط ﴿ على الله يسيرا ﴾ هينا التعلق الارادة به وعدم مايمنعه عنه ﴿ يحسبون الاحزاب لم يذهبوا ﴾ اى هؤلاء لجبنهم يظنون ان الاحزاب لم ينهزموا وقد انهزموا ففروا الى داخل المدينة ﴿ وان يأت الاحزاب ﴾ كرة ثانية ﴿ يودوا لو انهم بادون فى الاعراب ﴾ تمنوا انهم خارجون الى البدو حاصلون بين الاعراب ﴿ يسئلون ﴾ كل قادم من جانب المدينة ﴿ عن انبائكم ﴾ عما جرى عليكم ﴿ ولو كانوا فيكم ﴾ هذه الكرة ولم يرجعوا الى المدينة وكان قتال ﴿ ماقاتلوا الا قليلا ﴾ رياء وخوفا من التعيير ﴿ لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة ﴾ خصلة حسنة من حقها ان يؤتسى بها كالثبات فى الحرب ومقاساة الشدائد اوهو فى نفسه قدوة يحسن التأسى به كقولك فى البيضة عشرون منا حديدا اى هى فى نفسها هذا القدر من الحديد وقرأ عاصم بضم الهمزة وهو لغة فيه ﴿ لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر ﴾ اى ثواب الله اولقاءه ونعيم الآخرة اوايام الله واليوم الآخر خصوصا وقيل هو كقولك ارجوزيدا وفضله فان اليوم الآخر داخل فيها بحسب الحكم والرجاء

﴿ وكان ذلك على الله يسيرا ﴾ أى احباط أعمالهم مع ان كل شئ على الله يسير * قوله تعالى ﴿ يحسبون ﴾ يعنى هؤلاء المنافقين ﴿ الاحزاب ﴾ يعنى قريشا وغطفان واليهود ﴿ لم يذهبوا ﴾ أى لم ينصرفوا عن قتالهم جبنا وفرقا وقد انصرفوا عنهم ﴿ وان يأت الاحزاب ﴾ أى يرجعوا اليهم للقتال بعد الذهاب ﴿ يودوا لو أنهم بادون فى الاعراب ﴾ أى يتمنون لو أنهم كانوا فى بادية مع الاعراب من الجبن والخوف ﴿ يسئلون عن أنبائكم ﴾ أى عن أخباركم وما آل اليه أمركم ﴿ ولو كانوا فيكم ﴾ يعنى هؤلاء المنافقين ﴿ ماقاتلوا الا قليلا ﴾ يعنى يقاتلون قليلا يقيمون به عذرهم فيقولون قد قاتلنا معكم وقيل هو الرمى بالحجارة وقيل رياء من غير احتساب * قوله عز وجل ﴿ لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة ﴾ أى قدوة صالحة أى اقتدوا به اقتداء حسنا وهو ان تنصروا دين الله وتوازروا رسوله ولا تتخلفوا عنه وتصبروا على مايصيبكم كما فعل هو اذ قد كسرت رباعيته وجرح وجهه وقتل عمه وأوذى بضروب الاذى فصبر وواساكم مع ذلك بنفسه فافعلوا أنتم كذلك أيضا واستنوا بسنته ﴿ لمن كان يرجوا الله ﴾ يعنى ان الاسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم لمن كان يرجوا الله قال ابن عباس يرجو ثواب الله ﴿ واليوم الآخر ﴾ يعنى ويخشى

(وكان ذلك) ابطال حسناتهم (على الله يسيرا) هينا (يحسبون الاحزاب) يظن عبدالله ابن أبى وأصحابه ان كفار مكة (لم يذهبوا) بعد ماذهبوا من الخوف والجبن ويقال ظنوا ان لا يذهبوا حتى يقتلوا محمدا عليه السلام (وان يأت الاحزاب) كفار مكة (يودوا) تمنى عبدالله بن أبى وأصحابه (لو انهم بادون فى الاعراب) (يوم) خارجون من المدينة من خوفهم وجبنهم (يسئلون) فى المدينة (عن أنبائكم) عن أخباركم فى الخندق (ولو كانوا فيكم) معكم فى الخندق (ماقاتلوا الاقليلا) رياء وسمعة (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة) سنة حسنة واقتداء صالح بالجلوس معه فى الخندق (لمن كان يرجوا الله) يرجو كرامة الله وثوابه ويقال يخاف الله (واليوم الآخر) ويخاف عذاب الآخرة

كائنة لمن كان (وذكر الله كثيرا) أى فى الخوف والرجاء والشدة والرخاء (ولما رأى المؤمنون الاحزاب) وعدهم الله ان يزلزلوا حتى يستغيثوه ويستنصروه بقوله أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم الى قوله قريب فلما جاء الاحزاب واضطربوا ورعبوا الرعب الشديد (قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله) وعلموا ان الغلبة والنصرة قد وجبت لهم وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه ان الاحزاب سائرون اليكم فى آخر تسع ليال أو عشر فلما رأوهم قد أقبلوا للميعاد

قالوا ذلك

وهذا اشارة الى الخطب والبلاء (وما زادهم) ما رأوا من اجتماع الاحزاب عليهم ومجيئهم (الا ايمانا) بالله وبمواعيده (وتسليما) لقضائه وقدره (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) أى فيما عاهدوه عليه فحذف الجار كما فى المثل صدقنى سن بكره أى صدقنى فى سن بكره بطرح الجار وايصال الفعل نذر رجال من الصحابة انهم اذا لقوا حربا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا وهم عثمان بن عفان وطلحة وسعد بن زيد وحمزة ومصعب وغيرهم (فمنهم من قضى نحبه) أى مات شهيدا كحمزة ومصعب وقضاء النحب صار عبارة عن الموت لان كل حى من المحدثات لا بدله ان يموت فكأنه نذر لازم فى رقبته فاذا مات فقد قضى نحبه

يحتمل الامل والخوف ولمن كان صلة لحسنة اوصفة لها وقيل بدل من لكم والاكثر على ان ضمير المخاطب لا يبدل منه ﴿ وذكر الله كثيرا ﴾ وقرن بالرجاء كثرة الذكر المؤدية الى ملازمة الطاعة فان المؤتسى بالرسول من كان كذلك ﴿ ولما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله ﴾ بقوله تعالى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم الآية وقوله عليه الصلوة والسلام سيشتد الامر باجتماع الاحزاب عليكم والعاقبة لكم عليهم وقوله عليه الصلاة والسلام انهم سائرون اليكم بعد تسع او عشر وقرأ حمزة والكسائى بكسر الراء وفتح الهمزة ﴿ وصدق الله ورسوله ﴾ وظهر صدق خبر الله ورسوله اوصدقا فى النصرة والثواب كما صدقا فى البلاء واظهار الاسم للتعظيم ﴿ وما زادهم ﴾ فيه ضمير لما رأوا اوالخطب اوالبلاء ﴿ الا ايمانا ﴾ بالله ومواعيده ﴿ وتسليما ﴾ لاوامره ومقاديره ﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ﴾ من الثبات مع الرسول والمقاتلة لاعلاء الدين من صدقنى اذا قال لك الصدق فان المعاهد اذا وفى بعهده فقد صدق فيه ﴿ فمنهم من قضى نحبه ﴾ نذره بان قاتل حتى استشهد

يوم البعث الذى فيه الجزاء ﴿ وذكر الله كثيرا ﴾ أى فى جميع المواطن على السراء والضراء ثم وصف حال المؤمنين عند لقاء الاحزاب فقال تعالى ﴿ ولما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله ﴾ أى قالوا ذلك تسليما لامر الله وتصديقا بوعده ﴿ وصدق الله ورسوله ﴾ أى فيما وعدا وهو فى مقابلة قول المنافقين ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا وقولهم وصدق الله ورسوله ليس اشارة الى ما وقع فانهم كانوا يعرفون صدق الله ورسوله قبل الوقوع وانما هو اشارة الى البشارة فى جميع ما وعد فيقع الكل مثل فتح مكة وفتح الروم وفارس وقيل انهم وعدوا ان تلحقهم شدة وبلاء فلما رأوا الاحزاب وما أصابهم من الشدة قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله ﴿ وما زادهم الا ايمانا ﴾ أى تصديقا لله ﴿ وتسليما ﴾ أى لامره * قوله تعالى ﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ﴾ أى قاموا بما عاهدوا الله عليه ووفوا به ﴿ فمنهم من قضى نحبه ﴾ أى فرغ من نذره ووفى بعهده وصبر على الجهاد حتى استشهد وقيل قضى نحبه يعنى أجله فقتل على الوفاء يعنى حمزة وأصحابه وقيل قضى نحبه أى بذل جهده فى الوفاء بالعهد وقيل قضى نحبه

(وذكر الله كثيرا) باللسان والقلب ثم ذكر نعت المؤمنين المخلصين فقال (ولما رأى المؤمنون) المخلصون (الاحزاب) كفار مكة أبا سفيان وأصحابه (قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله) لعدة الايام (وصدق الله ورسوله) فى الميعاد وكان قد وعدهم النبى صلى الله عليه وسلم أن يأتى الاحزاب تسعا أو عشرا يعنى الى عشرة أيام (وما زادهم) برؤية الكفار (الا ايمانا) يقينا بقول الله تعالى وبقول رسوله (وتسليما) خضوعا لامر الله وأمر الرسول (من المؤمنين رجال صدقوا) وفوا (ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه) نذره ويقال قضى اجله وهو حمزة بن عبد المطلب عم النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه

أي نذره (ومنهم من ينتظر) الموت أي على الشهادة كعثمان وطلحة (وما بدلوا) العهد (تبديلا) ولا غيروه لا المستشهد ولا

من ينتظر الشهادة وفيه تعريض لمن بدلوا من أهل النفاق

ومرض القلوب كما مر في قوله تعالى ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار (ليجزي الله الصادقين بصدقهم) بوفائهم بالعهد (ويعذب المنافقين ان شاء) اذا لم يتوبوا (او يتوب عليهم) ان تابوا (ان الله كان غفورا) بقبول التوبة (رحيما) بعفو الحوبة جعل المنافقون كانهم قصدوا عاقبة السوء وأرادوها بتبديلهم كما قصد الصادقون عاقبة الصدق بوفائهم لان كلا الفريقين مسوق الى عاقبته من الثواب والعقاب فكأنهما استويا في طلبها والسعي في تحصيلها (ورد الله الذين كفروا) الاحزاب (بغيظهم) حال أي مغيظين كقوله تنبت بالدهن (لم ينالوا خيرا) ظفرا أي لم يظفروا بالمسلمين وسماه خيرا بزعمهم وهو حال أي غير ظافرين

صرف الله (الذين كفروا) كفار مكة أبا سفيان وأصحابه (بغيظهم) بحنقهم (لم ينالوا خيرا) لم يصيبوا سرورا (وكفى)

كحمزة ومصعب بن عمير وانس بن النضر والنحب النذر استعير للموت لانه كنذر لازم في رقبة كل حيوان ﴿ ومنهم من ينتظر ﴾ الشهادة كعثمان وطلحة ﴿ وما بدلوا ﴾ العهد ولا غيروه ﴿ تبديلا ﴾ شيأ من التبديل روى ان طلحة ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد حتى اصيبت يده فقال عليه الصلاة والسلام اوجب طلحة وفيه تعريض لاهل النفاق ومرض القلب بالتبديل وقوله ﴿ ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين ان شاء او يتوب عليهم ﴾ تعليل للمنطوق والمعرض به فكأن المنافقين قصدوا بالتبديل عاقبة السوء كما قصد المخلصون بالثبات والوفاء العاقبة الحسنى والتوبة عليهم مشروطة بتوبتهم اوالمراد بها التوفيق للتوبة ﴿ ان الله كان غفورا رحيما ﴾ لمن تاب ﴿ ورد الله الذين كفروا ﴾ يعني الاحزاب ﴿ بغيظهم ﴾ متغيظين ﴿ لم ينالوا خيرا ﴾ غير

استشهد يوم بدر وأحد ﴿ ومنهم من ينتظر ﴾ يعني من بقي بعد هؤلاء من المؤمنين ينتظرون أحد الامرين اما الشهادة أو النصر على الاعداء ﴿ وما بدلوا ﴾ يعني عهدهم ﴿ تبديلا ﴾ (ق) عن أنس قال غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر فقال يارسول الله غبت عن أول قتال قاتلت المشركين لئن أشهدني الله قتال المشركين ليرين الله ما أصنع فلما كان يوم أحد وانكشف المسلمون قال اللهم اني أعتذر اليك مما صنع هؤلاء يعني أصحابه وأبرأ اليك مما صنع هؤلاء يعني المشركين ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ فقال ياسعد بن معاذ الجنة ورب النضر اني أجد ريحها من دون أحد قال سعد فما استطعت يارسول الله ما صنع قال أنس فوجدنا به بضعا وثمانين ضربة بالسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم ووجدناه قد قتل وقد مثل به المشركون فما عرفه أحد الا أخته ببنانه قال أنس كنا نرى أو نظن ان هذه الآية نزلت فيه وفي اشباهه من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الى آخر الآية (ق) عن خباب بن الارت قال هاجرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نلتمس وجه الله فوقع أجرنا على الله فمنا من مات ولم يأكل من أجره شيأ منهم مصعب بن عمير قتل يوم أحد وترك نمرة وكنا اذا غطينا بها رأسه بدت رجلاه واذا غطينا رجليه بدت رأسه فامرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نغطي رأسه ونجعل على رجليه من الاذخر ومنا من اينعت له ثمرته فهو يهدبها النمرة كساء ملون من صوف وقوله ومنا من أينعت أي أدركت ونضجت له ثمرته وهذه استعارة لما فتح الله لهم من الدنيا وقوله يهدبها أي يجتنيها ويقطفها * عن أبي موسى بن طلحة قال دخلت على معاوية فقال ألا أبشرك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول طلحة ممن قضى نحبه أخرجه الترمذي وقال هذا حديث غريب (خ) عن قيس بن أبي حازم قال رأيت يد طلحة شلاء وقى بها النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد * قوله عز وجل ﴿ ليجزي الله الصادقين بصدقهم ﴾ أي جزاء صدقهم وصدقهم هو الوفاء بالعهد ﴿ ويعذب المنافقين ان شاء أو يتوب عليهم ﴾ أي فيهديهم الى الايمان ويشرح له صدورهم ﴿ ان الله كان غفورا رحيما ورد الله الذين كفروا ﴾ أي من قريش وغطفان ﴿ بغيظهم ﴾ أي لم يشف صدورهم بنيل ما أرادوا ﴿ لم ينالوا خيرا ﴾ أي ظفرا

(ومنهم من ينتظر) الوفاء الى الموت (وما بدلوا) غيروا العهد (تبديلا) تغييرا بالنقض (ليجزي الله الصادقين بصدقهم) الوافين بوفائهم (ويعذب المنافقين ان شاء) ان ماتوا على النفاق (أو يتوب عليهم) قبل الموت (ان الله كان غفورا) لمن تاب (رحيما) لمن مات على التوبة (ورد الله)

(وكفى الله المؤمنين القتال) بالريح والملائكة (وكان الله قويا عزيزا) قادرا غالبا (وأنزل الله الذين ظاهروهم) عاونوا الاحزاب (من أهل الكتاب) من بني قريظة (من صياصيهم) من حصونهم الصيصية ماتحصن به روى ان جبريل عليه السلام أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم صبيحة الليلة التي انهزم فيها الاحزاب ورجع المسلمون الى المدينة ووضعوا سلاحهم على فرسه الحيزوم والغبار على وجه الفرس وعلى السرج فقال ماهذا يا جبريل قال من متابعة قريش فقال يارسول الله ان الله يأمرك بالمسير الى بني قريظة وأنا عامد اليهم فان الله داقهم دق البيض على الصفا وانهم لكم طعمة فاذن في الناس ان من كان سامعا مطيعا فلا يصل العصر الا في بني قريظة فحاصروهم خمسا وعشرين ليلة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تنزلون على حكمي فابوا فقال على حكم سعد بن معاذ فرضوا به فقال سعد حكمت فيهم ان تقتل مقاتلتهم وتسبى ذراريهم ونساؤهم فكبر النبي صلى الله عليه وسلم وقال لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة أرقعة ثم استنزلهم وخندق في سوق المدينة خندقا وقدمهم فضرب أعناقهم وهم من ثمانمائة الى تسعمائة وقيل كانوا ستمائة مقاتل وسبعمائة أسير (وقذف في قلوبهم الرعب) الخوف وبضم العين شامي وعلي ونصب (فريقا) بقوله (تقتلون) وهم الرجال (وتأسرون فريقا) وهم النساء والذراري (وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم) أي المواشي والنقود والامتعة روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل عقارهم للمهاجرين دون الانصار وقال لهم انكم في منازلكم

ظافرين وهما حالان بتداخل او تعاقب ﴿ وكفى الله المؤمنين القتال ﴾ بالريح والملائكة ﴿ وكان الله قويا ﴾ على احداث مايريده ﴿ عزيزا ﴾ غالبا على كل شئ ﴿ وانزل الذين ظاهروهم ﴾ ظاهروا الاحزاب ﴿ من اهل الكتاب ﴾ يعني قريظة ﴿ من صياصيهم ﴾ من حصونهم جمع صيصية وهي مايتحصن به ولذلك يقال لقرن الثور والظبي وشوكة الديك ﴿ وقذف في قلوبهم الرعب ﴾ الخوف وقرئ بالضم ﴿ فريقا تقتلون وتأسرون فريقا ﴾ وقرئ بضم السين روى ان جبرائيل اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم صبيحة الليلة التي انهزم فيها الاحزاب فقال يا محمد اتنزع لامتك والملائكة لم يضعوا السلاح ان الله يأمرك بالسير الى بني قريظة وانا عامد اليهم فاذن في الناس ان لا يصلوا العصر الا ببني قريظة فحاصرهم احدى وعشرين أو خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار فقال لهم تنزلون على حكمي فابوا فقال على حكم سعد بن معاذ فرضوا به فحكم سعد بقتل مقاتليهم وسبي ذراريهم ونسائهم فكبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال حكمت بحكم الله من فوق سبعة ارقعة فقتل منهم ستمائة او اكثروا سر منهم سبعمائة ﴿ واورثكم ارضهم ﴾ مزارعهم ﴿ وديارهم ﴾ حصونهم ﴿ واموالهم ﴾ نقودهم ومواشيهم واثاثهم روى انه عليه الصلاة والسلام جعل عقارهم للمهاجرين فتكلم فيه الانصار فقال انكم في منازلكم فقال عمر اما تخمس كما خمست يوم بدر فقال لا انما جعلت هذه لي طعمة

﴿ وكفى الله المؤمنين القتال ﴾ أي بالملائكة والريح ﴿ وكان الله قويا ﴾ أي في ملكه ﴿ عزيزا) أي في انتقامه ❁ قوله تعالى ﴿ وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب ﴾ أي عاونوا الاحزاب من قريش وغطفان على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى المسلمين وهم بنو قريظة ﴿ من صياصيهم ﴾ أي من حصونهم ومعاقلهم واحدها صيصية ﴿ وقذف في قلوبهم الرعب ﴾ أي الخوف ﴿ فريقا تقتلون ﴾ يعني الرجال يقال كانوا ستمائة ﴿ وتأسرون فريقا ﴾ يعني النساء والذراري يقال كانوا سبعمائة قيل وخمسين ﴿ وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم

ولا غنيمة ولا دولة (وكفى الله المؤمنين القتال) رفع الله مؤنة القتال عن المؤمنين بالريح والملائكة (وكان الله قويا) بنصر المؤمنين (عزيزا) بنقمة الكافرين (وأنزل الذين ظاهروهم) أعانوا كفار مكة (من أهل الكتاب)وهم بنو قريظة والنضير كعب بن الاشرف وحيي بن أخطب واصحابهما (من صياصيهم)من قصورهم وحصونهم (وقذف) وجعل (في قلوبهم الرعب) الخوف من محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه وكانوا اقبل ذلك لايخافون ويقاتلون (فريقا تقتلون) يقول تقتلون فريقا منهم وهم المقاتلة (وتأسرون فريقا) منهم وهم الذراري والنساء (وأورثكم) أنزلكم (أرضهم) قصورهم (وديارهم) منازلهم (وأموالهم) جعل اموالهم غنيمة لكم

﴿ وارضا لم تطؤها ﴾ كفارس والروم وقيل خيبر وقيل كل ارض تفتح الى يوم القيامة ﴿ وكان الله على كل شئ قديرا ﴾ فيقدر على ذلك

وأرضا لم تطؤها ﴾ يعنى بعد قيل هى خيبر ويقال انها مكة وقيل فارس والروم وقيل هى كل أرض تفتح على المسلمين الى يوم القيامة ﴿ وكان الله على كل شئ قديرا ﴾

ذكر غزوة بنى قريظة

قيل كانت فى آخر ذى القعدة سنة خمس وعلى قول البخارى المتقدم فى غزوة الخندق عن موسى بن عقبة أنها كانت فى سنة أربع قال العلماء بالسير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اصبح من الليلة التى انصرف الاحزاب راجعين الى بلادهم انصرف صلى الله عليه وسلم والمؤمنون عن الخندق الى المدينة ووضعوا السلاح فلما كان الظهر أتى جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم متعمما بعمامة من استبرق على بغلة بيضاء عليها رحالة وعليها قطيفة من ديباج ورسول الله صلى الله عليه وسلم عند زينب بنت جحش وهى تغسل رأسه وقد غسلت شقه فقال جبريل يارسول الله قد وضعت السلاح قال نعم قال جبريل عفا الله عنك ماوضعت الملائكة السلاح منذ أربعين ليلة ومارجعت الآن الا من طلب القوم وروى انه كان الغبار على وجه جبريل وفرسه فجعل النبى صلى الله عليه وسلم يمسح الغبار عن وجهه ووجه فرسه فقال ان الله تعالى يأمرك بالمسير الى بنى قريظة وأنا عامد الى بنى قريظة فانهز اليهم فانى قد قطعت أوتارهم وفتحت أبوابهم وتركتهم فى زلزال وبلبال فأمر النبى صلى الله عليه وسلم مناديا فاذن ان من كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر الا فى بنى قريظة وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب برايته اليهم وابتدرها الناس وسار على حتى اذا دنا من الحصون وسمع منها مقالة قبيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع حتى لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطريق فقال يارسول الله لا عليك ان لاتدنو من هؤلاء الاخابث قال أظنك سمعت لى منهم أذى قال نعم يارسول الله قال لو قد رأونى لم يقولوا من ذلك شيأ فلما دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصونهم قال يااخوان القردة قد أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته قالوا ياأبا القاسم ماكنت جهولا ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه بالصورين قبل ان يصل الى بنى قريظة فقال هل مر بكم أحد فقالوا يارسول الله مر بنا دحية ابن خليفة على بغلة بيضاء عليها رحالة وعليها قطيفة ديباج فقال صلى الله عليه وسلم ذاك جبريل عليه السلام بعث الى بنى قريظة يزلزل بهم حصونهم ويقذف الرعب فى قلوبهم فلما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى قريظة نزل على بئر من آبارها فى ناحية أموالهم وتلاحق به الناس فاتاه رجال بعد صلاة العشاء الاخيرة ولم يصلوا العصر لقول النبى صلى الله عليه وسلم لا يصلين أحد العصر الا فى بنى قريظة فصلوا العصر بها بعد العشاء الاخيرة فما عابهم الله بذلك ولا عنفهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العلماء حاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين

(وأرضا لم تطؤها) بقصد القتال وهى مكة أو فارس والروم أو خيبر أو كل أرض تفتح الى يوم القيامة (وكان الله على كل شئ قديرا) قادرا

(وأرضا) أرض خيبر (لم تطؤها) لم تملكوها بعد ستكون لكم (وكان الله على كل شئ) من الفتح والنصرة (قديرا

ليلة حتى جهدهم الحصار وقذف الله في قلوبهم الرعب وكان حيي بن أخطب دخل على بني قريظة حصنهم حين رجعت عنهم قريش وغطفان ووفى لكعب بن أسد عاكان عاهده فلما أيقنوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم غير منصرف عنهم حتى يناجزهم قال كعب بن أسد يامعشر يهود انكم قد نزل بكم من الامر ماترون واني عارض عليكم خلالا ثلاثا فخذوا أيها شئتم قالوا وماهن قال نتابع هذا الرجل ونصدقه فوالله قد تبين لكم انه نبي مرسل وانه الذي تجدونه في كتابكم فتأمنون على دياركم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم فقالوا لانفارق حكم التوراة أبدا ولانستبدل به غيره قال فاذا أبيتم هذه فهلم فلنقتل أبناءنا ونساءنا ثم نخرج الى محمد وأصحابه رجالا مصلتين بالسيوف ولا نترك وراءنا ثقلا يهمنا حتى يحكم الله بيننا وبين محمد فان نهلك نهلك ولم نترك وراءنا شيأ نخشى عليه وان نظهر فلعمري لنتخذن النساء والابناء قالوا نقتل هؤلاء المساكين فما في العيش بعدهم خير قال فان أبيتم هذه الليلة ليلة السبت وانه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمنوا فانزلوا فلعلنا أن نصيب من محمد وأصحابه غرة قالوا نفسد سبتنا ونحدث فيه مالم يكن أحدث فيه من قبلنا الامن قد علمت فاصابهم من المسخ مالم يخف عليك قال مابات رجل منكم منذ ولدته أمه حازماليلة من الدهر ثم انهم بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ابعث لنا أبالبابة بن عبد المنذر أخا بني عمرو بن عوف وكانوا حلفاء الاوس نستشيره في أمرنا فارسله رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فلما رأوه قام اليه الرجال والنساء والصبيان يبكون في وجهه فرق لهم فقالوا ياأبالبابة أترى ان ننزل على حكم محمد قال نعم وأشار بيده الى حلقه انه الذبح قال أبو لبابة فوالله مازالت قدماى حتى عرفت اني قد خنت الله ورسوله ثم انطلق أبو لبابة على وجهه ولم يأت النبي صلى الله عليه وسلم حتى ربط في المسجد الى عمود من عمده وقال والله لاأبرح مكاني حتى يتوب الله علي مما صنعت وعاهد الله لايطأ أرض بني قريظة أبدا ولايراني الله في بلد قد خنت الله ورسوله فيه أبدا فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره وأبطأ عليه قال أما لو قد جاءني لاستغفرت له فاما اذ فعل فما أنا بالذي أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه ثم ان الله أنزل توبة أبي لبابة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في بيت أم سلمة قالت أم سلمة فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك فقلت مم ضحكت يارسول الله اضحك الله سنك قال تيب على أبي لبابة فقلت الا أبشره بذلك يارسول الله قال بلى ان شئت قال فقامت على باب حجرتها وذلك قبل أن يضرب عليهن الحجاب فقالت ياأبالبابة ابشر فقد تاب الله عليك قال فثار الناس اليه ليطلقوه فقال لاوالله حتى يكون رسول الله هو الذي يطلقني بيده فلما مر عليه خارجا الى الصبح أطلقه قال ثم ان ثعلبة بن سعيد واسيد بن سعيد وأسيد بن عبيد وهم نفر من بني هذيل ليسوا من قريظة ولا النضير نسبهم من فوق ذلك هم بنو عم القوم أسلموا تلك الليلة التي نزلت فيها بنو قريظة على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج في تلك الليلة عمرو بن السعدي القرظي فمر بحرس رسول الله صلى الله عليه سلم وعليهم محمد بن مسلمة الانصاري تلك الليلة فلما رآه قال من هذا قال عمرو بن السعدي وكان عمرو قد أبى أن يدخل

مع بني قريظة في غدرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لا أغدر بمحمد صلى الله عليه وسلم أبدا فقال محمد بن مسلمة اللهم لا تحرمني من عثرات الكرام فخلى سبيله فخرج على وجهه حتى بات في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة تلك الليلة ثم ذهب فلا يدري اين ذهب من أرض الله فذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم شأنه فقال ذاك رجل نجاه الله بوفائه وبعض الناس يزعم انه كان أوثق برمة فيمن أوثق من بني قريظة حين نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأصبحت رمته ملقاة ولا يدري أين ذهب فقال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المقالة فلما أصبحوا نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتواثب الاوس وقالوا يارسول الله انهم موالينا دون الخزرج وقد فعلت في موالي الخزرج بالامس ماقد علمت وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بني قريظة حاصر بني قينقاع وكانوا حلفاء الخزرج فنزلوا على حكمه فسأله اياهم عبدالله بن أبي بن سلول فوهبهم له فلما كلمه الاوس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا ترضون يامعشر الاوس أن يحكم فيهم رجل منكم قالوا بلى قال فذلك الى سعد بن معاذ وكان سعد جعله رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجده في خيمة امرأة من المسلمين يقال لها رفيدة وكانت تداوي الجرحى وتحتسب بنفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال لقومه حين أصابه السهم بالخندق اجعلوه في خيمة رفيدة حتى أعوده من قريب فلما حكمه رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني قريظة أتاه قومه فحملوه على حمار قد وطؤا له وسادة من ادم وكان رجلا جسيما ثم أقبلوا معه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يقولون ياأباعمرو أحسن في مواليك فان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما ولاك ذلك لتحسن فيهم فلما أكثروا عليه قال قد آن لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم فرجع بعض من كان معه من قومه الى دار بني الاشهل فنعى لهم رجال بني قريظة قبل أن يصل اليهم سعد بن معاذ عن كلمته التي سمع منه فلما انتهى سعد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قوموا الى سيدكم فانزلوه فقاموا اليه فقالوا ياأباعمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ولاك مواليك فتحكم فيهم فقال سعد عليكم بذلك عهد الله وميثاقه ان الحكم فيهم ماحكمت قالوا نعم قال وعلى من ههنا في الناحية التي فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو معرض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اجلالا له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم قال سعد فاني أحكم فيهم ان تقتل الرجال وتقسم الاموال وتسبى الذراري والنساء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة أرقعة ثم استنزلوا فحبسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في دار بنت الحرث من نساء بني النجار ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سوق المدينة التي هي سوقها اليوم فخندق بها خنادق ثم بعث اليهم فضربت أعناقهم في تلك الخنادق يخرج بهم ارسالا وفيهم عدو الله ورسوله حيي ابن أخطب وكعب بن أسد رأس القوم وهم ستمائة أو سبعمائة والمكثر لهم يقول كانوا بين الثمانمائة الى التسعمائة وقد قالوا لكعب بن أسد وهم يذهب بهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسالا ياكعب ماترى مايصنع بنا قال أفي كل موطن لاتعقلون الاترون الداعي لاينزع

(وان)

وان من يذهب به منكم لا يرجع هو والله القتل فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم النبى صلى الله عليه وسلم وأتى بحيي بن أخطب عدو الله وعليه حلة تفاحية قد شققها عليه من كل ناحية كموضع الانملة أنملة أنملة لئلا يسلبها مجموعة يداه الى عنقه بحبل فلما نظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والله مالمت نفسى فى عداوتك ولكنه من يخذل الله يخذل ثم أقبل على الناس فقال أيها الناس انه لا باس بامر الله كتاب وقدر وملحمة كتبت على بنى اسرائيل ثم جلس فضرب عنقه وروى عن عائشة قالت لم يقتل من نساء بنى قريظة الا امرأة واحدة قالت والله انها لعندى تحدث معى وتضحك ظهرا وبطنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقتل رجالهم بالسيف اذ هتف هاتف باسمها أين فلانة قالت أنا والله قلت ويلك مالك قالت اقتل قلت ولم قالت حدثا أحدثته قالت فانطلق بها فضرب عنقها وكانت عائشة تقول ما أنسى عجبا منها طيب نفس وكثرة ضحك وقد عرفت انها تقتل قال الواقدى وكان اسم المرأة بنانة امرأة الحكم القرظى وكانت قتلت خلاد بن سويد قال وكان على والزبير يضربان أعناق بنى قريظة ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس هناك وروى محمد بن اسحق عن الزهرى ان الزبير بن باطا القرظى ويكنى أبا عبد الرحمن كان قد من على ثابت بن قيس بن شماس فى الجاهلية يوم بعاث أخذه فجز ناصيته ثم خلى سبيله فجاء يوم قريظة وهو شيخ كبير فقال يا أبا عبد الرحمن هل تعرفنى قال وهل يجهل مثلى مثلك قال انى أريد أن أجزيك بيدك عندى قال ان الكريم يجزى الكريم قال ثم أتى ثابت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله قد كان للزبير عندى يد وله على منة وقد أحببت ان أجزيه بها فهب لى دمه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو لك فأتاه فقال له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وهب لى دمك قال شيخ كبير لا أهل له ولا ولد فما يصنع بالحياة فأتى ثابت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أهله وأولاده فقال هم لك فأتاه فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطانى امرأتك وولدك فهم لك فقال أهل بيت بالحجاز لا مال لهم فما بقاؤهم على ذلك فأتى ثابت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ماله يا رسول الله قال هو لك فأتاه فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أعطانى مالك فهو لك فقال أى ثابت ما فعل الذى كان وجهه مرآة صينية تتراءى فيه عذارى الحى كعب بن أسد قال قتل قال فما فعل مقدمتنا اذا شددنا وحاميتنا اذا كررنا عزال ابن شموال قال قتل قال فما فعل المجلسان يعنى بنى كعب بن قريظة وبنى عمرو بن قريظة قال قتلوا قال فانى أسألك بيدى عندك يا ثابت الا ما الحقتنى بالقوم فوالله ما فى العيش بعد هؤلاء من خير فأنا بصابر حتى ألقى الاحبة فقدمه ثابت فضربت عنقه فلما بلغ أبا بكر الصديق قوله حتى يلقى الاحبة قال يلقاهم والله فى نار جهنم خالدا مخلدا أبدا قال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر بقتل من أنبت منهم ثم قسم أموال بنى قريظة ونساءهم على المسلمين وأعلم فى ذلك اليوم سهمين للخيل وسهما للرجال فكان للفارس ثلاثة أسهم سهمان للفرس ولفارسه سهم وللراجل ممن ليس له فرس سهم وكانت الخيل ستة وثلاثين فرسا وكان أول يوم وقع فيه السهمان ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن زيد الانصارى أخا بنى الاشهل بسبايا من سبايا بنى قريظة الى نجد فابتاع له بهم خيلا وسلاحا وكان رسول الله

(ياأيها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحيوة الدنيا وزينتها) أي السعة في الدنيا وكثرة الاموال (فتعالين) أصل تعال ان يقوله من في المكان المرتفع لمن في المكان المستوطى ثم كثر حتى استوى في استعماله الامكنة ومعنى تعالين أقبلن بارادتكن واختياركن لاحد الامرين ولم يرد نهوضهن اليه بانفسهن كقوله قام يهددني (أمتعكن) أعطكن متعة الطلاق وتستحب المتعة لكل مطلقة الا المفوضة قبل الوطء (وأسرحكن) وأطلقكن (سراحا جميلا) لاضرار فيه أردن شيأ من الدنيا من ثياب وزيادة نفقة وتغايرن فغم ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فبدأ بعائشة رضي الله عنها وكانت أحبهن اليه فخيرها وقرأ عليها القرآن فاختارت الله ورسوله والدار الآخرة فروئي الفرح في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اختار جميعهن اختيارها وروى انه قال لعائشة اني ذاكر لك أمرا ولا عليك أن لا تعجلي فيه حتى تستأمري أبويك ثم قرأ عليها القرآن فقالت أفي هذا استأمر ابوي فاني أريد الله ورسوله والدار الآخرة وحكم التخيير في الطلاق انه اذا قال لها اختاري فقالت اخترت نفسي ان تقع تطليقة بائنة واذا اختارت زوجها لم يقع شيء وعن علي رضي الله عنه اذا اختارت زوجها فواحدة رجعية وان اختارت نفسها (وان)

﴿ ياأيها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحيوة الدنيا ﴾ السعة والتنعم فيها ﴿ وزينتها ﴾ وزخارفها ﴿ فتعالين امتعكن ﴾ اعطكن المتعة ﴿ واسرحكن سراحا جميلا ﴾ طلاقا من غير ضرار وبدعة روى انهن سألنه ثياب الزينة وزيادة النفقة فنزلت فبدأ بعائشة فخيرها فاختارت الله ورسوله ثم اختارت الباقيات اختيارها فشكر لهن الله فانزل لا يحل لك النساء من بعد وتعليق التسريح بارادتهن الدنيا وجعلها قسيما لارادتهن الرسول يدل على ان المخيرة اذا اختارت زوجها لم تطلق خلافا لزيد والحسن ومالك واحدى الروايتين عن علي ويؤيده قول عائشة خيرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخترناه ولم يعده طلاقا وتقديم التمتيع على التسريح المسبب عنه من الكرم وحسن الخلق وقيل لان الفرقة كانت بارادتهن كاختيار المخيرة نفسها فانه طلقة رجعية عندنا وبائنة عند الحنفية واختلف في وجوبه للمدخول بها وليس فيه مايدل

صلى الله عليه وسلم قد اصطفى لنفسه من نسائهم ريحانة بنت عمرو بن خنانة احدى نساء بني عمرو بن قريظة فكانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى توفي عنها وهي في ملكه وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرص على ان يتزوجها ويضرب عليها الحجاب فقالت يارسول الله بل تتركني في ملكك فهو أخف علي وعليك فتركها وقد كانت حين سباها كرهت الاسلام وأبت الا اليهودية فعزلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجد في نفسه بذلك من أمرها فبينما هو بين اصحابه اذ سمع وقع نعلين خلفه فقال ان هذا الثعلبة بن شعبة يبشرني باسلام ريحانة فجاءه فقال يارسول الله قد أسلمت ريحانة فسره ذلك فلما قضى شأن بني قريظة انفجر جرح سعد بن معاذ وذلك انه دعا بعد أن حكم في بني قريظة ما حكم فقال اللهم انك قد علمت انه لم يكن قوم أحب الي ان أجاهدهم من قوم كذبوا رسولك اللهم ان كنت أبقيت من حرب قريش على رسولك شيأ فابقني له وان كنت قد قطعت الحرب بينه وبينهم فاقبضني اليك فانفجر كلمه فرجعه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى خيمته التي ضربت عليه في المسجد قالت عائشة فحضره رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر فوالذي نفس محمد بيده اني لاعرف بكاء عمر من بكاء أبي بكر واني لفي حجرتي قالت وكانوا كما قال الله تعالى فيهم رحماء بينهم (خ) عن سلمان بن صرد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين اجلى الاحزاب الآن نغزوهم ولا يغزوننا نحن نسير اليهم (ق) عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول لا اله الا الله وحده لا شريك له أعز جنده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده فلا شيء بعده قوله تعالى ﴿ ياأيها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحيوة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن ﴾ أي متعة الطلاق ﴿ وأسرحكن سراحا جميلا ﴾ أي من غير ضرر

ياأيها النبي) يعني محمدا عليه السلام (قل لازواجك) لنسائك (ان كنتن تردن الحيوة الدنيا) ما في الحياة الدنيا (وزينتها) زهرتها (فتعالين أمتعكن) متعة الطلاق (وأسرحكن) اطلقكن (سراحا جميلا) طلاقا حسنا بالسنة

عليه وقرئ امتعكن واسرحكن بالرفع على الاستئناف ﴿ وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله اعد للمحسنات منكن اجرا عظيما ﴾ تستحقر دونه الدنيا وزينتها

﴿ وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما ﴾ سبب نزول هذه الآية ان نساء النبي صلى الله عليه وسلم سألنه من عرض الدنيا شيأ وطلبن منه زيادة في النفقة وآذينه بغيرة بعضهن على بعض فهجرهن رسول الله صلى الله عليه وسلم والى ان لا يقربهن شهرا ولم يخرج الى أصحابه فقالوا ماشأنه وكانوا يقولون طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه فقال عمر لاعلمن لكم شأنه قال فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله أطلقتهن قال لا قلت يارسول الله انى دخلت المسجد والمسلمون يقولون طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه أفانزل فاخبرهم انك لم تطلقهن قال نعم ان شئت فقمت على باب المسجد وناديت باعلى صوتى لم يطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه ونزلت هذه الآية ولوردوه الى الرسول والى أولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم فكنت أنا استنبطت هذا الامر وأنزل الله آية التخيير وكان تحت رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ تسع نسوة خمس من قريش وهن عائشة بنت أبى بكر وحفصة بنت عمر وأم حبيبة بنت أبى سفيان وأم سلمة بنت أبى أمية وسودة بنت زمعة وأربع غير قرشيات وهن زينب بنت جحش الاسدية وميمونة بنت الحرث الهلالية وصفية بنت حيي بن أخطب الخيبرية وجويرية بنت الحرث المصطلقية فلما نزلت آية التخيير بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بعائشة وكانت أحبهن اليه فخيرها وقرأ عليها القرآن فاختارت الله ورسوله والدار الآخرة فرؤى الفرح فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وتابعنها على ذلك فلما اخترن الله ورسوله شكرهن الله على ذلك وقصره عليهن فقال تعالى لا تحل لك النساء من بعد (م) عن جابر بن عبد الله قال دخل أبو بكر يستأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد الناس جلوسا ببابه لم يؤذن لاحد منهم فاذن لابى بكر فدخل ثم أقبل عمر فاستأذن فاذن له فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا وحوله نساؤه واجما ساكتا فقال لاقولن شيأ أضحك به النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله لقد رأيت بنت خارجة سألتنى النفقة فقمت اليها فوجأت عنقها فضحك النبي صلى الله عليه وسلم فقال هن حولى كما ترى يسألننى النفقة فقام أبو بكر الى عائشة فوجأ عنقها وقام عمر الى حفصة فوجأ عنقها كلاهما يقول تسألن رسول الله صلى الله عليه وسلم ماليس عنده قلن والله لانسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ أبدا ليس عنده ثم اعتزلهن شهرا أو تسعا وعشرين حتى نزلت هذه الآية ياأيها النبي قل لازواجك ان كنتن حتى بلغ للمحسنات منكن أجرا عظيما قال فبدأ بعائشة فقال ياعائشة انى أريد ان أعرض عليك أمرا أحب أن لا تعجلى فيه حتى تستشيرى أبويك قالت وماهو يارسول الله فتلا عليها الآية قالت أفيك يارسول الله أستشير أبوى بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة وأسألك ان لا تخبر امرأة من نسائك بالذى قلت قال لا تسألنى امرأة منهن الا أخبرتها ان الله لم يبعثنى معنتا ولا متعنتا ولكن بعثنى معلما ميسرا قوله واجما أى مهتما

فواحدة بائنة (وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله أعد للمحسنات منكن) من للبيان لا للتبعيض (أجرا عظيما)

(وان كنتن تردن الله ورسوله) طاعة الله وطاعة رسوله (والدار الآخرة) يعنى الجنة (فان الله أعد للمحسنات) الصالحات (منكن أجرا عظيما) ثوابا وافرا فى الجنة

ومن للتبيين لانهن كلهن كن محسنات ﴿ يانساء النبي من يأت منكن بفاحشة ﴾ بكبيرة ﴿ مبينة ﴾ ظاهر قبحها على قراءة ابن كثير وابى بكر والباقون بكسر الياء ﴿ يضاعف لها العذاب ضعفين ﴾ ضعفى عذاب غيرهن اى مثليه لان الذنب منهن اقبح فان زيادة قبحه تبع زيادة فضل المذنب والنعمة عليه ولذلك جعل حد الحر ضعفى حد العبد وعوتب الانبياء بما لا يعاتب به

والواجم الذى أسكته الهم وعلته الكآبة وقيل الوجوم الحزن قوله فوجأت عنقها أي دققته وقوله لم يبعثنى معنتا العنت المشقة والصعوبة (م) عن الزهرى ان النبي صلى الله عليه وسلم أقسم ان لا يدخل على أزواجه شهرا قال الزهرى فاخبرنى عروة عن عائشة قالت لما مضت تسع وعشرون ليلة أعدهن دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بدأ بى فقلت يارسول الله أقسمت أن لا تدخل علينا شهرا وانك دخلت من تسع وعشرين أعدهن قال ان الشهر تسع وعشرون

فصل فى حكم الآية

اختلف العلماء فى هذا الخيار هل كان ذلك تفويض الطلاق اليهن حتى يقع بنفس الاختيار أم لا فذهب الحسن وقتادة وأكثر أهل العلم الى انه لم يكن تفويض الطلاق وانما خيرهن على انهن اذا اخترن الدنيا فارقهن لقوله تعالى فتعالين أمتعكن وأسرحكن بدليل انه لم يكن جوابهن على الفور وانه قال لعائشة لا تعجلى حتى تستشيرى أبويك وفى تفويض الطلاق يكون الجواب على الفور وذهب قوم الى أنه كان تفويض الطلاق ولو اخترن أنفسهن كان طلاقا * التفريع على حكم الآية اختلف أهل العلم فى حكم التخيير فقال عمر وابن مسعود وابن عباس واذا خير الرجل امرأته فاختارت زوجها لا يقع شئ وان اختارت نفسها يقع طلقة واحدة وهو قول عمر بن عبد العزيز وابن أبى ليلى وسفيان والشافعى وأصحاب الرأى الا أن عند أصحاب الرأى يقع طلقة بائنة اذا اختارت نفسها وعند الآخرين رجعية وقال زيد بن ثابت اذا اختارت الزوج يقع طلقة واحدة واذا اختارت نفسها فثلاث وهو قول الحسن وبه قال مالك وروى عن على انها اذا اختارت زوجها يقع طلقة واحدة واذا اختارت نفسها فطلقة بائنة وأكثر العلماء على انها اذا اختارت زوجها لا يقع شئ (ق) عن مسروق قال ما أبالى خيرت امرأتى واحدة أو مائة أو ألفا بعد أن تختارنى ولقد سألت عائشة رضى الله عنها فقالت خيرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فما كان طلاقا وفى رواية فاخترناه فلم يعد ذلك شيأ * قوله تعالى ﴿ يانساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة ﴾ أى بمعصية ظاهرة قيل هو كقوله لئن أشركت ليحبطن عملك لان منهن من أتت بفاحشة فان الله تعالى صان أزواج الانبياء عن الفاحشة وقال ابن عباس المراد بالفاحشة النشوز وسوء الخلق ﴿ يضاعف لها العذاب ضعفين ﴾ أى مثلين وسبب تضعيف العقوبة لهن لشرفهن كتضعيف عقوبة الحرة على الامة وذلك لان نسبة النبي صلى الله عليه وسلم الى غيره من الرجال كنسبة السادات الى العبيد لكونه أولى بالمؤمنين من أنفسهم فكذلك أزواجه بالنسبة الى غيرهن كنسبة

يانساء النبي من يأت منكن بفاحشة) سيئة بليغة فى القبح (مبينة) ظاهر فحشها من بين بمعنى تبين وبفتح الياء مكى وأبو بكر قيل هى عصيانهن رسول الله صلى الله عليه وسلم ونشوزهن وقيل الزنا والله عاصم رسوله من ذلك (يضاعف لها العذاب) يضعف لها العذاب مكى وشامى فضعف أبو عمرو ويزيد ويعقوب (ضعفين) ضعفى عذاب غيرهن من النساء لان ما قبح من سائر النساء كان أقبح منهن فزيادة قبح المعصية تتبع زيادة الفضل وليس لاحد من النساء مثل فضل نساء النبي صلى الله عليه وسلم ولذا كان الذم للعاصى العالم أشد من العاصى الجاهل لان المعصية من العالم أقبح ولذا فضل حد الاحرار على العبيد ولا يرجم الكافر

(يانساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة) بزنا ظاهرة بالشهود (يضاعف لها العذاب ضعفين) بالجلد والرجم

غيرهم * وقرأ البصريان يضعف على البناء للمفعول ورفع العذاب وابن كثير وابن عامر نضعف بالنون وبناء الفاعل ونصب العذاب ﴿ وكان ذلك على الله يسيرا ﴾ لا يمنعه عن التضعيف كونهن نساء النبي وكيف وهو سببه

الحرة الى الامة ﴿ وكان ذلك على الله يسيرا ﴾ أى عذابها

(وكان ذلك) أى تضعيف العذاب عليهن (على الله يسيرا) هينا

(وكان ذلك) العذاب (على الله يسيرا) هينا

(ومن يقنت منكن لله ورسوله) القنوت الطاعة (وتعمل صالحا نؤتها) وبالياء فيهما حمزة وعلى (أجرها مرتين) مثلى ثواب غيرها (وأعتدنا لها رزقا كريما) جليل القدر وهو الجنة (يانساء النبى لستن كاحد من النساء) أى لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء اذا تقصيت أمة النساء جماعة جماعة لم توجد منهن جماعة واحدة تساويكن فى الفضل وأحد فى الاصل بمعنى وحد وهو الواحد ثم وضع فى النفى العام مستويا فيه المذكر والمؤنث والواحد و ماوراءه (ان اتقيتن) ان أردتن التقوى أو ان كنتن متقيات (فلا تخضعن بالقول) أى اذا كلمتن الرجال من وراء الحجاب فلا تجئن بقولكن خاضعا أى لينا خنثا مثل كلام المريبات (فيطمع) بالنصب على جواب النهى (الذى فى قلبه مرض) ريبة وفجور (وقلن قولا معروفا) حسنا مع كونه خشنا (وقرن) مدنى

الجزء الثانى والعشرون

اللهم اجعلنا من القانتين

﴿ومن يقنت منكن﴾ ومن يدم على الطاعة ﴿لله ورسوله﴾ ولعل ذكر الله للتعظيم او لقوله ﴿وتعمل صالحا نؤتها اجرها مرتين﴾ مرة على الطاعة ومرة على طلبهن رضاء النبى صلى الله عليه وسلم بالقناعة وحسن المعاشرة وقرأ حمزة والكسائى ويعمل بالياء ايضا حملا على لفظ من ويؤتها بالياء ايضا على ان فيه ضمير اسم الله ﴿واعتدنا لها رزقا كريما﴾ فى الجنة زيادة على اجرها ﴿يانساء النبى لستن كاحد من النساء﴾ اصل احد وحد بمعنى الواحد ثم وضع فى النفى العام مستويا فيه المذكر والمؤنث والواحد والكثير والمعنى لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء فى الفضل ﴿ان اتقيتن﴾ مخالفة حكم الله ورضى رسوله ﴿فلا تخضعن بالقول﴾ فلا تجبن بقولكن خاضعا لينا مثل قول المريبات ﴿فيطمع الذى فى قلبه مرض﴾ فجور وقرئ بالجزم عطفا على محل فعل النهى على انه نهى مريض القلب عن الطمع عقيب نهيهن عن الخضوع بالقول ﴿وقلن قولا معروفا﴾ حسنا بعيدا عن الريبة ﴿وقرن

﴿ومن يقنت منكن لله ورسوله﴾ أى تطع الله ورسوله ﴿وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين﴾ أى مثلى اجر غيرها قيل الحسنة بعشرين حسنة وتضعيف ثوابهن لرفع منزلتهن وفيه اشارة الى أنهن أشرف نساء العالمين ﴿وأعتدنا لها رزقا كريما﴾ يعنى الجنة * قوله تعالى ﴿يانساء النبى لستن كاحد من النساء﴾ قال ابن عباس يريد ليس قدركن عندى مثل قدر غيركن من النساء الصالحات أنتن أكرم على وثوابكن أعظم لدى ﴿ان اتقيتن﴾ يعنى الله فاطعتنه فان الاكرم عند الله هو الاتقى ﴿فلا تخضعن بالقول﴾ أى لا تلن بالقول للرجال ولا ترققن الكلام ﴿فيطمع الذى فى قلبه مرض﴾ أى فجور وشهوة وقيل نفاق والمعنى لا تقلن قولا يجد المنافق والفاجر به سبيلا الى الطمع فيكن والمرأة مندوبة الى الغلظة فى المقال اذا خاطبت الاجانب لقطع الاطماع فيهن ﴿وقلن قولا معروفا﴾ أى يوجبه الدين والاسلام عند الحاجة اليه ببيان من غير خضوع وقيل القول المعروف ذكر الله تعالى * قوله عز وجل ﴿وقرن

(ومن يقنت) يطع (منكن لله ورسوله وتعمل صالحا) خالصا فيما بينها وبين ربها (نؤتها) نعطها (أجرها) ثوابها (مرتين) ضعفين (وأعتدنا لها رزقا كريما) ثوابا حسنا فى الجنة (يانساء النبى لستن كأحد من النساء) لستن كسائر النساء بالمعصية والطاعة والثواب والعقاب (ان اتقيتن) ان أطعتن الله ورسوله (فلا تخضعن بالقول) فلا ترققن بالقول وتليين الكلام مع الغريب (فيطمع الذى فى قلبه مرض) شهوة الزنا (وقلن قولا معروفا) صحيحا بلا ريبة (وقرن

وعاصم غير هبيرة وأصله اقررن فحذفت الراء تخفيفا وألقيت فتحتها على ماقبلها أو من قار يقار اذا اجتمع والباقون قرن من وقريقر وقارا او من قر يقر حذفت الاولى من راءى اقررن فرارا من التكرار ونقلت كسرتها الى القاف (فى بيوتكن) بضم الباء بصرى ومدنى وحفص (ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى) أى القديمة والتبرج التبختر فى المشى أو اظهار الزينة والتقدير ولا تبرجن تبرجا مثل تبرج النساء فى الجاهلية الاولى وهى الزمان الذى ولد فيه ابراهيم أوما بين آدم ونوح عليهما السلام أو زمن داود وسليمان والجاهلية الاخرى مابين عيسى ومحمد عليهما السلام أو الجاهلية الاولى جاهلية الكفر قبل الاسلام والجاهلية الاخرى جاهلية الفسوق والفجور فى الاسلام (وأقمن الصلوة وآتين الزكوة وأطعن الله ورسوله) خص الصلاة والزكاة بالامر ثم عم بجميع الطاعات تفضيلا لهما لان من واظب عليهما جرتاه الى ماوراءهما (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت) نصب على النداء أو على المدح وفيه دليل على ان نساءه من أهل بيته وقال عنكم لانه أريد الرجال والنساء من آله بدلالة (ويطهركم تطهيرا) من

فى بيوتكن ﴾ من وقر يقر وقارا او من قر يقر حذفت الاولى من رائى اقررن ونقلت كسرتها الى القاف فاستغنى بها عن همزة الوصل ويؤيده قراءة نافع وعاصم بالفتح من قررت اقر وهو لغة فيه ويحتمل ان يكون من قار يقار اذا اجتمع ﴿ ولا تبرجن ﴾ ولا تتبخترن فى مشيكن ﴿ تبرج الجاهلية الاولى ﴾ تبرجا مثل تبرج النساء فى ايام الجاهلية القديمة وقيل هى مابين آدم ونوح وقيل الزمان الذى ولد فيه ابراهيم كانت المرأة تلبس درعا من اللؤلؤ فتمشى وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال والجاهلية الاخرى مابين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام وقيل الجاهلية الاولى جاهلية الكفر قبل الاسلام والجاهلية الاخرى جاهلية الفسوق فى الاسلام ويعضده قوله عليه السلام لابى الدرداء ان فيك جاهلية قال جاهلية كفر او اسلام قال جاهلية كفر ﴿ واقمن الصلوة وآتين الزكوة واطعن الله ورسوله ﴾ فى سائر ما امركن به ونهاكن عنه ﴿ انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس ﴾ الذنب المدنس لعرضكم وهو تعليل لامرهن ونهيهن على الاستئناف ولذلك عمم الحكم ﴿ اهل البيت ﴾ نصب على النداء او المدح ﴿ ويطهركم ﴾ من المعاصى ﴿ تطهيرا ﴾ واستعارة الرجس للمعصية والترشيح بالتطهير للتنفير عنها وتخصيص

فى بيوتكن ﴾ أى الزمن بيوتكن وقيل هو أمر من الوقار أى كن أهل وقار وسكون ﴿ ولا تبرجن تبرج ﴾ قيل هو التكسر والتغنج والتبختر وقيل هو اظهار الزينة وابراز المحاسن للرجال ﴿ الجاهلية الاولى ﴾ قيل الجاهلية الاولى هو مابين عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم وقيل هو زمن داود وسليمان عليهما السلام كانت المرأة تلبس قميصا من الدر غير مخيط الجانبين فيرى خلفها منه وقيل كان فى زمن نمرود الجبار كانت المرأة تتخذ الدرع من اللؤلؤ فتلبسه وتمشى به وسط الطريق ليس عليها شئ غيره وتعرض نفسها على الرجال وقال ابن عباس الجاهلية الاولى مابين نوح وادريس وكانت ألف سنة وقيل ان بطنين من ولد آدم عليه الصلاة والسلام كان أحدهما يسكن السهل والآخر يسكن الجبل وكانت رجال الجبال صباحا وفى النساء دمامة وكان نساء السهل صباحا وفى الرجال دمامة وان ابليس أتى رجلا من اهل السهل وأجره نفسه وكان يخدمه واتخذ شيأ مثل الذى يزمر به الرعاة فجاء بصوت لم يسمع الناس مثله فبلغ ذلك من حولهم فأتوهم يستمعون اليه واتخذوا عيدا يجتمعون اليه فى السنة فتتبرج النساء للرجال وتتزين الرجال لهن وان رجلا من أهل الجبل هجم عليهم فى عيدهم ذلك فرأى النساء وصباحتهن فاتى أصحابه فاخبرهم بذلك فتحولوا اليهم فنزلوا معهم وظهرت الفاحشة فيهن فذلك قوله تعالى ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى وقيل الجاهلية الاولى ماقبل الاسلام والجاهلية الاخرى قوم يفعلون مثل فعلهم فى آخر الزمان وقيل قد تذكر الاولى وان لم تكن لها أخرى ﴿ وأقمن الصلوة ﴾ أى الواجبة ﴿ وآتين الزكوة ﴾ أى المفروضة ﴿ وأطعن الله ورسوله ﴾ أى فيما أمر وفيما نهى ﴿ انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس ﴾ أى الاثم الذى نهى الله النساء عنه وقال ابن عباس يعنى عمل الشيطان وماليس لله فيه رضا وقيل الرجس الشك وقيل السوء ﴿ اهل البيت ويطهركم تطهيرا ﴾ هم نساء النبى صلى الله

فى بيوتكن) استقررن فى بيوتكن ولاتخرجن من البيوت وليكن عليكن الوقار (ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى) ولا تتزين بزينة الكفار فى الثياب الرقاق الملونة (وأقمن الصلوة) أتممن الصلوات الخمس (وآتين الزكوة) أعطين زكاة أموالكن (وأطعن الله ورسوله) فى المعروف (انما يريد الله) بذلك (ليذهب عنكم الرجس) الاثم (أهل البيت) ياأهل بيت النبوة (ويطهركم تطهيرا) من

نجاسة الآثام ثم بين انه انما نهاهن وامرهن ووعظهن لئلا يقارف أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم المآثم وليتصونوا عنها بالتقوى واستعار للذنوب الرجس وللتقوى الطهر لان عرض المقترف للمقبحات يتلوث بها كما يتلوث بدنه بالارجاس وأما المحسنات فالعرض منها نقي كالثوب الطاهر وفيه تنفير لاولي الالباب عن المناهي وترغيب لهم في الاوامر (واذكرن مايتلى في بيوتكن من آيات الله) القرآن (والحكمة) أي السنة أو بيان معاني القرآن (ان الله كان لطيفا) عالما بغوامض الاشياء (خبيرا) عالما بحقائقها أي هو عالم بافعالكن واقوالكن فاحذرن مخالفة أمره ونهيه ومعصية رسوله ولما نزل في نساء النبي صلى الله عليه وسلم مانزل قال نساء المسلمين فما نزل فينا شيء فنزلت (ان المسلمين والمسلمات) المسلم الداخل في السلم بعد الحرب المنقاد الذي لايعاند أو المفوض أمره الى الله المتوكل عليه من أسلم وجهه الى الله

الشيعة اهل البيت بفاطمة وعلي وابنيهما رضي الله عنهم لما روى انه عليه الصلاة والسلام خرج ذات غدوة وعليه مرط مرجل من شعر اسود فجلس فأتت فاطمة فادخلها فيه ثم جاء علي فادخله فيه ثم جاء الحسن والحسين فادخلهما فيه قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت والاحتجاج بذلك على عصمتهم وكون اجتماعهم حجة ضعيف لان التخصيص بهم لايناسب ماقبل الآية ومابعدها والحديث يقتضي انهم اهل البيت لانه ليس غيرهم ﴿ واذكرن مايتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة ﴾ من الكتاب الجامع بين الامرين وهو تذكير بما انعم عليهن من حيث جعلهن اهل بيت النبوة ومهبط الوحي وماشاهدن من برحاء الوحي مما يوجب قوة الايمان والحرص على الطاعة حثا على الانتهاء والائتمار فيما كلفن به ﴿ ان الله كان لطيفا خبيرا ﴾ يعلم ويدبر مايصلح في الدين ولذلك خيركن ووعظكن اويعلم من يصلح لنبوته ويصلح ان يكون اهل بيته ﴿ ان المسلمين والمسلمات ﴾

عليه وسلم لانهن في بيته وهو رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس وتلا قوله تعالى واذكرن مايتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة وهو قول عكرمة ومقاتل وذهب أبو سعيد الخدري وجماعة من التابعين منهم مجاهد وقتادة وغيرهم الى أنهم علي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم يدل عليه ماروى عن عائشة أم المؤمنين قالت خرج النبي صلى الله عليه وسلم ذات غداة وعليه مرط مرجل من شعر أسود فجلس فاتت فاطمة فادخلها فيه ثم جاء علي فادخله فيه ثم جاء الحسن فادخله فيه ثم جاء الحسين فادخله فيه ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا أخرجه مسلم المرط الكساء والمرحل بالحاء المنقوش عليه صور الرحال وبالجيم المنقوش عليه صور الرجال * عن أم سلمة قالت ان هذه الآية نزلت في بيتها انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا قالت وأنا جالسة عند الباب فقلت يارسول الله ألست من أهل البيت فقال انك الى خير أنت من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم قالت وفي البيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي وفاطمة وحسن وحسين فجللهم بكساء وقال اللهم هؤلاء أهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا أخرجه الترمذي وقال حديث صحيح غريب * عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمر بباب فاطمة ستة أشهر اذا خرج الى صلاة الفجر يقول الصلاة ياأهل البيت انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وقال زيد بن أرقم أهل البيت من حرم الصدقة بعده آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس * قوله تعالى ﴿ واذكرن مايتلى في بيوتكن من آيات الله ﴾ يعني القرآن ﴿ والحكمة ﴾ قيل هي السنة وقيل هي أحكام القرآن ومواعظه ﴿ ان الله كان لطيفا ﴾ أي باوليائه وأهل طاعته ﴿ خبيرا ﴾ أي بجميع خلقه * قوله عز وجل ﴿ ان المسلمين والمسلمات ﴾ الآية وذلك ان أزواج النبي صلى الله عليه وسلم قلن يارسول الله ذكر الله

الذنوب (واذكرن) واحفظن (مايتلى) مايقرأ عليكن (في بيوتكن من آيات الله) القرآن (والحكمة) الامر والنهي والحلال والحرام (ان الله كان لطيفا) عالما بما في قلوبهن (خبيرا) باعمالهن ويقال لطيفا اذ أمر النبي عليه السلام أن يطلقهن خبيرا بصلاحهن ثم نزلت في قول أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ونسيبة بنت كعب الانصارية لقولهما (الرجال) يارسول الله مانرى الله يذكر النساء في شيء من الخير انما ذكر الرجال فنزل (ان المسلمين) الموحدين من الرجال (والمسلمات) الموحدات

(والمؤمنين) المصدقين بالله ورسوله وبما يجب أن يصدق به (والمؤمنات والقانتين) القائمين بالطاعة (والقانتات والصادقين) في النيات والاقوال والاعمال (والصادقات والصابرين والصابرات) على الطاعات وعن السيآت (والخاشعين) المتواضعين لله بالقلوب والجوارح أو الخائفين (والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات) فرضا ونفلا (والصائمين والصائمات) فرضا ونفلا وقيل

من تصدق في كل أسبوع بدرهم فهو من المتصدقين ومن صام البيض من كل شهر فهو من الصائمين (والحافظين فروجهم) عما لا يحل (والحافظات والذاكرين الله كثيرا) بالتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير وقراءة القرآن والاشتغال بالعلم من الذكر والمعنى والحافظات فروجهن (والذاكرات) الله فحذف لدلالة ما تقدم عليه والفرق بين عطف الاناث على الذكور وعطف الزوجين على الزوجين لان الاول نظير قوله ثيبات وأبكارا في انهما جنسان مختلفان واشتركا في حكم واحد فلم يكن بد من توسط العاطف

الداخلين في السلم المنقادين لحكم الله ﴿ والمؤمنين والمؤمنات ﴾ المصدقين بما يجب ان يصدق به ﴿ والقانتين والقانتات ﴾ المداومين على الطاعة ﴿ والصادقين والصادقات ﴾ في القول والعمل ﴿ والصابرين والصابرات ﴾ على الطاعات وعن المعاصي ﴿ والخاشعين والخاشعات ﴾ المتواضعين لله بقلوبهم وجوارحهم ﴿ والمتصدقين والمتصدقات ﴾ بما وجب في مالهم ﴿ والصائمين والصائمات ﴾ الصوم المفروض ﴿ والحافظين فروجهم والحافظات ﴾ عن الحرام ﴿ والذاكرين الله كثيرا والذاكرات ﴾ بقلوبهم

الرجال في القرآن ولم يذكر النساء بخير فما فينا خير نذكر به انا نخاف أن لا تقبل منا طاعة فانزل الله هذه الآية عن أم عمارة الانصارية قالت أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت ما لي ارى كل شيء الى الرجال وما أرى النساء يذكرن بشيء فنزلت ان المسلمين والمسلمات أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وقيل ان أم سلمة بنت أبي أمية وأنيسة بنت كعب الانصارية قالتا للنبي صلى الله عليه وسلم ما بال ربنا يذكر الرجال ولا يذكر النساء في شيء من كتابه ونخشى أن لا يكون فيهن خير فنزلت هذه الآية وروي أن أسماء بنت عميس رجعت من الحبشة مع زوجها جعفر بن أبي طالب فدخلت على نساء النبي صلى الله عليه وسلم فقالت هل نزل فينا شيء من القرآن قلن لا فأتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان النساء لفي خيبة وخسار قال ومم ذلك قالت لانهن لم يذكرن بخير كما ذكر الرجال فانزل الله ان المسلمين والمسلمات فذكر لهن عشر مراتب مع الرجال فمدحهن بها معهم الاولى الاسلام وهو الانقياد لامر الله تعالى وهو قوله ان المسلمين والمسلمات الثانية الايمان بما يرد به أمر الله تعالى وهو تصحيح الاعتقاد وموافقة الظاهر للباطن وهو قوله ﴿ والمؤمنين والمؤمنات ﴾ الثالثة الطاعة وهو قوله ﴿ والقانتين والقانتات ﴾ الرابعة الصدق في الاقوال والافعال وهو قوله ﴿ والصادقين والصادقات ﴾ الخامسة الصبر على ما أمر الله وفيما ساء وسر وهو قوله ﴿ والصابرين والصابرات ﴾ السادسة الخشوع في الصلاة وهو أن لا يلتفت وقيل هو التواضع وهو قوله ﴿ والخاشعين والخاشعات ﴾ السابعة الصدقة مما رزق الله وهو قوله ﴿ والمتصدقين والمتصدقات ﴾ الثامنة المحافظة على الصوم وهو قوله ﴿ والصائمين والصائمات ﴾ التاسعة العفة وهو قوله ﴿ والحافظين فروجهم ﴾ يعني عما لا يحل ﴿ والحافظات ﴾ العاشرة كثرة الذكر وهو قوله ﴿ والذاكرين الله كثيرا والذاكرات ﴾ وقيل لا يكون

من النساء (والمؤمنين) المقرين من الرجال (والمؤمنات) المقرات من النساء (والقانتين) المطيعين من الرجال (والقانتات) المطيعات من النساء (والصادقين) في ايمانهم من الرجال (والصادقات) في ايمانهن من النساء (والصابرين) على ما أمر الله والمرازي من الرجال (والصابرات) على ما أمر الله والمرازي من النساء (والخاشعين) المتواضعين من الرجال (والخاشعات) المتواضعات من النساء (والمتصدقين) باموالهم من الرجال (والمتصدقات) باموالهن من النساء (والصائمين) من الرجال (والصائمات) من النساء (والحافظين فروجهم) عن الفجور من الرجال (والحافظات) فروجهن من النساء (والذاكرين الله كثيرا) باللسان والقلب ويقال بالصلوات الخمس من الرجال (والذاكرات) من النساء

والجامعات لهذه الطاعات (أعد الله لهم مغفرة واجرا (عظيما على طاعاتهم خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش بنت عمته أميمة على مولاه زيد بن حارثة فابت وأبى أخوها عبدالله فنزلت (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة) أي وما صح لرجل مؤمن ولا امرأة مؤمنة (اذا قضى الله ورسوله) أي رسول الله (امرا) من الامور (أن تكون لهم الخيرة من أمرهم) ان يختاروا من أمرهم ما شاؤا بل من حقهم ان يجعلوا رأيهم تبعا لرأيه واختيارهم تلوا لاختياره فقالا رضينا يا رسول الله فانكحها اياه ساق عنه اليها مهرها وانما جمع الضمير في لهم وان كان من حقه ان يوحد لان المذكورين وقعا تحت النفي فعما كل مؤمن ومؤمنة فرجع الضمير الى المعنى لا الى اللفظ ويكون بالياء كوفي والخيرة ما يتخير ودل ذلك على ان

والسنتهم ﴿ واعد الله لهم مغفرة ﴾ لما اقترفوا من الصغائر لانهن مكفرات ﴿ واجرا عظيما ﴾ على طاعتهم والآية وعد لهن ولامثالهن على الطاعة والتدرع بهذه الخصال روى ان ازواج النبي عليه الصلاة والسلام قلن يارسول الله ذكر الله الرجال في القرآن بخير افما فينا خير نذكر به فنزلت وقيل لما نزل فيهن ما نزل قال نساء المسلمين فما نزل فينا شيء فنزلت وعطف الاناث على الذكور لاختلاف الجنسين وهو ضروري وعطف الزوجين على الزوجين لتغاير الوصفين فليس بضروري ولذلك ترك في قوله مسلمات مؤمنات وفائدته الدلالة على ان اعداد المعد لهم للجمع بين هذه الصفات ﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة ﴾ وما صح له ﴿ اذا قضى الله ورسوله امرا ﴾ اى قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر الله لتعظيم امره وللاشعار بان قضاءه قضاء الله لانه نزل في زينب بنت جحش بنت عمته اميمة بنت عبد المطلب خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد بن حارثة فابت هي واخوها عبدالله وقيل في ام كلثوم بنت عقبة وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم فزوجها من زيد ﴿ ان تكون لهم الخيرة من امرهم ﴾ ان يختاروا من امرهم شيأ بل يجب عليهم ان يجعلوا اختيارهم

العبد منهم حتى يذكر الله قائما وقاعدا ومضطجعا وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال سبق المفردون قالوا يارسول الله وما المفردون قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات وقال عطاء بن أبي رباح من فوض أمره الى الله فهو داخل في قوله ان المسلمين والمسلمات ومن أقر بان الله ربه ومحمدا رسوله ولم يخالف قلبه لسانه فهو داخل في قوله والمؤمنين والمؤمنات ومن أطاع الله في الفرض والرسول في السنة فهو داخل في قوله والقانتين والقانتات ومن صان قوله عن الكذب فهو داخل في قوله والصادقين والصادقات ومن صبر على الطاعة وعن المعصية وعلى الرزية فهو داخل في قوله والصابرين والصابرات ومن صلى فلم يعرف من عن يمينه وعن شماله فهو داخل في قوله والخاشعين والخاشعات ومن تصدق في كل أسبوع بدرهم فهو داخل في قوله والمتصدقين والمتصدقات ومن صام في كل شهر أيام البيض وهي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر فهو داخل في قوله والصائمين والصائمات ومن حفظ فرجه عما لا يحل فهو داخل في قوله والحافظين فروجهم والحافظات ومن صلى الصلوات الخمس بحقوقها فهو داخل في قوله والذاكرين الله كثيرا والذاكرات ﴿ أعد الله لهم مغفرة ﴾ أي يمحو ذنوبهم ﴿ وأجرا عظيما ﴾ يعني الجنة ﴿ قوله تعالى ﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن تكون لهم الخيرة من أمرهم ﴾ نزلت هذه الآية في زينب بنت جحش الاسدية وأخيها عبدالله بن جحش وأمهما أميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم خطب زينب لمولاه زيد بن حارثة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اشترى زيدا في الجاهلية بعكاظ وأعتقه وتبناه فلما خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب رضيت وظنت أنه يخطبها لنفسه فلما علمت أنه يخطبها لزيد ابن حارثة أبت وقالت أنا ابنة عمتك يارسول الله فلا أرضاه لنفسي وكانت بيضاء جميلة

(أعد الله لهم) للرجال والنساء (مغفرة) لذنوبهم في الدنيا (وأجرا عظيما) ثوابا وافرا في الجنة (وما كان لمؤمن) زيد (ولا مؤمنة) زينب (اذا قضى الله ورسوله أمرا) تزويجا بينهما (أن تكون لهم الخيرة) الاختيار (من أمرهم) خلاف ما اختار (وفيها)

الامر للوجوب (ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا) فان كان العصيان عصيان رد وامتناع عن القبول فهو ضلال كفر وان كان عصيان فعل مع قبول الامر واعتقاد الوجوب فهو ضلال خطأ وفسق (واذ تقول للذى أنعم الله عليه) بالاسلام الذى هو أجل النعمة (وأنعمت عليه) بالاعتاق والتبنى

تبعا لاختيار الله ورسوله والخيرة ما يتخير وجمع الضمير الاول لعموم مؤمن ومؤمنة من حيث انهما فى سياق النفى وجمع الثانى للتعظيم وقرأ الكوفيون وهشام يكون بالياء ﴿ ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا ﴾ بين الانحراف عن الصواب ﴿ واذ تقول للذى انعم الله عليه ﴾ بتوفيقه للاسلام وتوفيقك لعتقه واختصاصه ﴿ وانعمت عليه ﴾ بما وفقك الله فيه وهو زيد بن حارثة ﴿ امسك عليك زوجك ﴾ زينب وذلك انه عليه الصلاة والسلام ابصرها بعدما انكحها اياه فوقعت فى نفسه فقال سبحان الله مقلب القلوب وسمعت زينب بالتسبيحة فذكرت لزيد ففطن ذلك ووقع فى نفسه كراهة صحبتها فاتى النبى صلى الله عليه وسلم وقال اريد ان افارق صاحبتى فقال مالك ارابك منها شئ قال لا والله ما رأيت منها الا خيرا ولكنها لشرفها تتعظم على فقال له امسك عليك زوجك ﴿ واتق الله ﴾ فى امرها فلا تطلقها ضرارا او تعللا بتكبرها ﴿ وتخفى فى نفسك ما الله مبديه ﴾

وفيها حدة وكذلك كره أخوها ذلك فانزل الله تعالى وما كان لمؤمن يعنى عبد الله بن جحش ولا مؤمنة يعنى أخته زينب اذا قضى الله ورسوله أمرا يعنى نكاح زيد لزينب أن تكون لهم الخيرة من أمرهم أى الاختيار على ما قضى والمعنى ان يريد غير ما أراد الله أو يمتنع عما أمر الله ورسوله به ﴿ ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا ﴾ أى أخطأ خطأ ظاهرا فلما سمعت بذلك زينب وأخوها رضيا وسلما وجعلت أمرها بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فانكحها زيدا ودخل بها وساق رسول الله صلى الله عليه وسلم اليها عشرة دنانير وستين درهما وخمارا ودرعا وملحفة وخمسين مدا من طعام وثلاثين صاعا من تمر ❁ قوله عز وجل ﴿ واذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك ﴾ الآية نزلت فى زينب وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما زوجها من زيد مكثت عنده حينا ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى زيدا ذات يوم لحاجة فابصر زينب فى درع وخمار وكانت بيضاء جميلة ذات خلق من أتم نساء قريش وقعت فى نفسه وأعجبه حسنها فقال سبحان الله مقلب القلوب وانصرف فلما جاء زيد ذكرت له ذلك ففطن زيد وألقى فى نفسه كراهيتها فى الوقت وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انى أريد أن أفارق صاحبتى فقال له مالك أرابك منها شئ قال لا والله يا رسول الله ما رأيت منها الا خيرا ولكنها تتعظم على بشرفها وتؤذينى بلسانها فقال له النبى صلى الله عليه وسلم أمسك عليك زوجك واتق الله فى أمرها ثم ان زيدا طلقها فذلك قوله عز وجل واذ تقول للذى أنعم الله عليه أى بالاسلام وأنعمت عليه أى بالاعتاق وهو زيد بن حارثة مولاه أمسك عليك زوجك يعنى زينب بنت جحش ﴿ واتق الله ﴾ أى فيها ولا تفارقها ﴿ وتخفى فى نفسك ﴾ أى تسر وتضمر فى نفسك ﴿ ما الله مبديه ﴾ أى مظهره قيل كان فى قلبه لو فارقها تزوجها

فهو متقلب فى نعمة الله ونعمة رسوله وهو زيد بن حارثة (أمسك عليك زوجك) زينب بنت جحش وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبصرها بعدما أنكحها اياه فوقعت فى نفسه فقال سبحان الله مقلب القلوب وذلك ان نفسه كانت تجفو عنها قبل ذلك لا تريدها وسمعت زينب بالتسبيحة فذكرتها لزيد ففطن وألقى الله فى نفسه كراهة صحبتها والرغبة عنها لرسول الله فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم انى أريد أن أفارق صاحبتى فقال مالك أرابك منها شئ قال لا والله ما رأيت منها الا خيرا ولكنها تتعظم على لشرفها وتؤذينى فقال له أمسك عليك زوجك (واتق الله) فلا تطلقها وهو نهى تنزيه اذ الاولى ان لا يطلق أو واتق الله فلا تذمها بالنسبة الى الكبر وأذى الزوج (وتخفى فى نفسك ما الله مبديه)

الله ورسوله لهما (ومن يعص الله ورسوله) فيما أمره (فقد ضل ضلالا مبينا) فقد أخطأ خطأ بينا عن أمر الله (واذ تقول للذى أنعم الله عليه) بالاسلام يعنى زيدا (وأنعمت عليه) بالعتق (أمسك عليك زوجك) ولا تطلقها (واتق الله) واخش الله ولا تخل سبيلها (وتخفى فى نفسك) تسر فى نفسك حبا وتزويجها (ما الله مبديه) مظهره فى

وهو نكاحها ان طلقها اوارادة طلاقها ﴿ وتخشى الناس ﴾ تعييرهم اياك به ﴿ والله احق ان تخشاه ﴾ انكان فيه مايخشى والواو للحال وليست المعاتبة على الاخفاء وحده فانه حسن بل على الاخفاء مخافة قالة الناس واظهار ماينافى اضماره

قال ابن عباس حبها وقيل ود أنه طلقها ﴿ وتخشى الناس ﴾ قال ابن عباس تستحييهم وقيل تخاف لائمتهم أن يقولوا أمر رجلا بطلاق امرأته ثم نكحها ﴿ والله أحق أن تخشاه ﴾ قال عمر وابن مسعود وعائشة مانزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم آية هي أشد عليه من هذه الآية وعن عائشة قالت لوكتم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحى لكتم هذه الآية واذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب

فصل

فان قلت ماذكروه فى تفسير هذه الآية وسبب نزولها من وقوع محبتها فى قلب النبى صلى الله عليه وسلم عند مارآها وارادته طلاق زيد لها فيه أعظم الحرج ومالايليق بمنصبه صلى الله عليه وسلم من مدعينيه لمانهى عنه من زهرة الحياة الدنيا قلت هذا اقدام عظيم من قائله وقلة معرفة بحق النبى صلى الله عليه وسلم وبفضله وكيف يقال رآها فاعجبته وهى بنت عمته ولم يزل يراها منذ ولدت ولا كان النساء يحتجبن منه صلى الله عليه وسلم وهو زوجها لزيد فلايشك فى تنزيه النبى صلى الله عليه وسلم عن أن يأمر زيدا بامساكها وهو يحب تطليقه اياها كما ذكر عن جماعة من المفسرين وأصح مافى هذا الباب ماروى عن سفيان بن عيينة عن على بن زيد بن جدعان قال سألنى زين العابدين على بن الحسين قال مايقول الحسن فى قوله تعالى وتخفى فى نفسك ماالله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه قلت يقول لما جاء زيد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله انى أريد أن أطلق زينب أعجبه ذلك وقال أمسك عليك زوجك واتق الله فقال على بن الحسين ليس كذلك فان الله عزوجل قد أعلمه انها ستكون من أزواجه وان زيدا سيطلقها فلما جاء زيد قال انى أريد أن أطلقها قال له أمسك عليك زوجك فعاتبه الله تعالى وقال لم قلت أمسك زوجك وقد أعلمتك أنها ستكون من أزوجك وهذا هو الاولى والاليق بحال الانبياء وهو مطابق للتلاوة لان الله تعالى أعلم أنه يبدى ويظهر ماأخفاه ولم يظهر غير تزويجها منه فقال تعالى زوجناكها فلوكان الذى أضمره رسول الله صلى الله عليه وسلم محبتها أوارادة طلاقها الكان يظهر ذلك لانه لايجوز أن يخبر أنه يظهره ثم يكتمه ولايظهره فدل على انه انما عوتب على اخفاء ماأعلمه الله انها ستكون زوجته وانما أخفى ذلك استحياء ان يخبر زيدا ان التى تحتك وفى نكاحك ستكون زوجتى وهذا قول حسن مرضى وكم من شئ يتحفظ منه الانسان ويستحيى من اطلاع الناس عليه وهو فى نفسه مباح متسع وحلال مطلق لامقال فيه ولاعيب عند الله وربما كان الدخول فى ذلك المباح سلما الى حصول واجبات يعظم أثرها فى الدين وهو انما جعل الله طلاق زيد لها وتزويج النبى

أى تخفى فى نفسك نكاحها ان طلقها زيد وهو الذى أبداه الله تعالى وقيل الذى أخفى فى نفسه تعلق قلبه بها ومودة مفارقة زيد اياها والواو فى وتخفى فى نفسك (وتخشى الناس) أى قالة الناس انه نكح امرأة ابنه (والله أحق أن تخشاه) والواو للحال أي تقول لزيد أمسك عليك زوجك مخفيا فى نفسك ارادة أن لا يمسكها وتخفى خاشيا قالة الناس وتخشى الناس حقيقا فى ذلك بان تخشى الله وعن عائشة رضى الله عنها لوكتم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ مما أوحى اليه لكتم هذه الآية

القرآن (وتخشى الناس) تستحى من الناس من ذلك (والله أحق أن تخشاه) أن تستحى منه

فان الاولى فى امثال ذلك ان يصمت او يفوض الامر الى رأيه ﴿ فلما قضى زيد منها وطرا ﴾ حاجة بحيث ملها ولم يبق له فيها حاجة وطلقها وانقضت عدتها ﴿ زوجناكها ﴾ وقيل قضاء الوطر كناية عن الطلاق مثل لا حاجة لى فيك * وقرئ زوجتكها والمعنى انه امر

صلى الله عليه وسلم اياها لازالة حرمة التبنى وابطال سنته كما قال الله تعالى ما كان محمد ابا أحد من رجالكم وقال لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم فان قلت فما الفائدة فى أمر النبى صلى الله عليه وسلم زيدا بامساكها * قلت هو ان الله تعالى أعلم نبيه انها زوجته فنهاه النبى صلى الله عليه وسلم عن طلاقها وأخفى فى نفسه ما أعلمه الله به فلما طلقها زيد خشى قول الناس يتزوج امرأة ابنه فامره الله تعالى بزواجها ليباح مثل ذلك لامته وقيل كان فى أمره بامساكها قمعا للشهوة وردا للنفس عن هواها وهذا اذا جوزنا القول المتقدم الذى ذكره المفسرون وهو انه أخفى محبتها أو نكاحها لو طلقها زيد ومثل ذلك لا يقدح فى حال الانبياء مع ان العبد غير ملوم على ما يقع فى قلبه من مثل هذه الاشياء وانه رآها فجأة فاستحسنها ومثل هذه لا نكرة فيه لما طبع عليه البشر من استحسان الحسن ونظرة الفجأة معفو عنها ما لم يقصد مأثما لان الود وميل النفس من طبع البشر والله أعلم * وقوله أمسك عليك زوجك واتق الله أمر بالمعروف وهو حسن لا اثم فيه * وقوله والله أحق أن تخشاه لم يرد به انه لم يكن يخشى الله فيما سبق فانه عليه الصلاة والسلام قد قال أنا أخشاكم الله وأتقاكم له ولكنه لما ذكر الخشية من الناس ذكر ان الله أحق بالخشية فى عموم الاحوال فى جميع الاشياء * قوله عز وجل ﴿ فلما قضى زيد منها وطرا ﴾ أى حاجته منها ولم يبق له فيها أرب وتقاصرت همته عنها وطابت عنها نفسه وطلقها وانقضت عدتها وذكر قضاء الوطر ليعلم ان زوجة المتبنى تحل بعد الدخول بها ﴿ زوجناكها ﴾ قال أنس كانت زينب تفتخر على أزواج النبى صلى الله عليه وسلم تقول زوجكن آباؤكن وزوجنى الله من فوق سبع سموات وقال الشعبى كانت زينب تقول للنبى صلى الله عليه وسلم انى لادل عليك بثلاث ما من امرأة من نسائك تدل بهن جدى وجدك واحد وانى أنكحنيك الله فى السماء وان السفير جبريل عليه السلام (م) عن أنس قال لما انقضت عدة زينب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد اذهب فاذكرها على قال فانطلق زيد حتى أتاها وهى تخمر عجينها قال فلما رأيتها عظمت فى صدرى حتى ما أستطيع ان انظر اليها لان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرها فوليتها ظهرى ونكصت على عقبى فقلت يا زينب ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرك قالت ما أنا بصانعة شيأ حتى أوامر ربى فقامت الى مسجدها ونزل القرآن وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل عليها بغير اذن قال فلقد رأيتنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اطعمنا الخبز واللحم حتى امتد النهار فخرج الناس وبقى اناس يتحدثون فى البيت بعد الطعام فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم واتبعته فجعل يتتبع حجر نسائه يسلم عليهن ويقلن يا رسول الله كيف وجدت أهلك قال فما أدرى أنا أخبرته أن القوم قد خرجوا

(فلما قضى زيد منها وطرا) الوطر الحاجة فاذا بلغ البالغ حاجته من شئ له فيه همة قيل قضى منه وطره والمعنى فلما لم يبق لزيد فيها حاجة وتقاصرت عنها همته وطلقها وانقضت عدتها (زوجناكها) روى انها لما اعتدت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد ما أجد أحدا أوثق فى نفسى منك اخطب على زينب قال زيد فانطلقت وقلت يا زينب ابشرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطبك ففرحت وتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل بها وما أولم على امرأة من نسائه ما أولم عليها ذبح شاة وأطعم الناس الخبز واللحم حتى امتد النهار

(فلما قضى زيد منها وطرا) حاجة يقول اذا خرجت من عدتها من زيد (زوجناكها

(لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطرا) قيل قضاء الوطر ادراك الحاجة وبلوغ المراد منه (وكان أمر الله) الذى يريد أن يكونه (مفعولا) مكونا لامحالة وهو مثل لما أراد كونه من تزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب (ما كان على النبى من حرج فيما فرض الله له) أحل له وأمر له وهو نكاح زينب امرأة زيد او قدر له من عدد النساء (سنة الله) اسم موضوع موضع المصدر كقولهم ترابا وجندلا مؤكد لقوله ما كان على النبى من حرج كانه قيل سن الله ذلك سنة فى الانبياء الماضين وهو أن لا يحرج عليهم فى الاقدام على ما أباح لهم ووسع عليهم فى باب النكاح وغيره وقد كانت تحتهم المهائر والسرارى وكانت لداود مائة امرأة وثلثمائة سرية ولسليمان ثلثمائة حرة وسبعمائة سرية (فى الذين خلوا من قبل) فى الانبياء الذين مضوا من قبل (وكان امر الله قدرا مقدورا) قضاء مقضيا وحكما مبتوتا ولا وقف عليه ان جعلت (الذين يبلغون رسالات الله) بدلا من الذين الاول ووقف ان جعلته فى محل الرفع أو النصب على المدح أى هم الذين يبلغون أو اعنى الذين يبلغون (ويخشونه

بتزويجها منه او جعلها زوجته بلا واسطة عقد ويؤيده انها كانت تقول لسائر نساء النبى صلى الله عليه وسلم ان الله تولى انكاحى وانتن زوجكن اولياؤكن وقيل كان السفير فى خطبتها وذلك ابتلاء عظيم وشاهد بين على قوة ايمانه (لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا ﴾ علة للتزويج وهو دليل على ان حكمه وحكم الامة واحد الا ما خصه الدليل ﴿ وكان امر الله ﴾ امره الذى يريده ﴿ مفعولا ﴾ مكونا لامحالة كما كان تزويج زينب ﴿ ما كان على النبى من حرج فيما فرض الله له ﴾ قسم له وقدر من قولهم فرض له فى الديوان ومنه فروض العسكر لارزاقهم ﴿ سنة الله ﴾ سن ذلك سنة ﴿ فى الذين خلوا من قبل ﴾ من الانبياء وهو نفى الحرج عنهم فيما اباح لهم ﴿ وكان امر الله قدرا مقدورا ﴾ قضاء مقضيا وحكما مبتوتا ﴿ الذين يبلغون رسالات الله ﴾ صفة للذين خلوا او مدح لهم منصوب او مرفوع وقرئ رسالة الله ﴿ ويخشونه

أم غيرى قال فانطلق حتى دخل البيت وذهبت لادخل معه فالقى الستر بينى وبينه ونزل الحجاب (ق) عن أنس قال ما أولم النبى صلى الله عليه وسلم على شئ من نسائه ما أولم على زينب أولم بشاة وفى رواية أكثر وافضل ما أولم على زينب قال ثابت بم أولم قال أطعمهم خبزا ولحما حتى تركوه * قوله عزوجل ﴿ لكيلا يكون على المؤمنين حرج ﴾ أى اثم ﴿ فى أزواج أدعيائهم ﴾ جمع الدعى وهو المتبنى ﴿ اذا قضوا منهن وطرا ﴾ يقول زوجناك زينب وهى امرأة زيد الذى كنت تبنيته ليعلم ان زوجة المتبنى حلال للمتبنى وان كان قد دخل بها المتبنى بخلاف امرأة ابن الصلب فانها لاتحل للاب ﴿ وكان أمر الله مفعولا ﴾ أى قضاء الله ماضيا وحكمه نافذا وقد قضى فى زينب أن يتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم * قوله تعالى ﴿ ما كان على النبى من حرج فيما فرض الله له ﴾ أى فيما أحل الله له من النكاح وغيره ﴿ سنة الله فى الذين خلوا من قبل ﴾ معناه سن الله سنة فى الانبياء وهو أن لا حرج عليهم فى الاقدام على ما أباح لهم ووسع عليهم فى باب النكاح وغيره فانه كان لهم الحرائر والسرارى فقد كان لداود عليه السلام مائة امرأة ولسليمان ثلثمائة امرأة وسبعمائة سرية فكذلك سن لمحمد صلى الله عليه وسلم فى التوسعة عليه كما سن لهم ووسع عليهم ﴿ وكان أمر الله قدرا مقدورا ﴾ أى قضاء مقضيا ان لا حرج على أحد فيما أحل له ثم أثنى الله تعالى على الانبياء بقوله ﴿ الذين يبلغون رسالات الله ﴾ أى فرائض الله وسننه وأوامره ونواهيه الى من أرسلوا اليهم ﴿ ويخشونه ﴾ أى يخافونه

لكيلا يكون على المؤمنين) بعدك (حرج) مأثم (فى أزواج أدعيائهم) فى تزويج نساء من تبنوهم (اذا قضوا منهن وطرا) حاجة اذا خرجن من عدتهن بعد موتهم أو طلاقهن (وكان أمر الله) تزويج زينب محمدا صلى الله عليه وسلم (مفعولا) كائنا ويقال كان أمر الله قضاء الله مفعولا كائنا (ما كان على النبى من حرج) من مأثم وضيق (فيما فرض الله) فيما (ولا) رخص الله (له) من التزويج (سنة الله) هكذا كان قضاء الله (فى الذين خلوا) مضوا (من قبل) من قبل محمد صلى الله عليه وسلم يعنى داود فى تزوج امرأة أوريا ويقال سليمان فى تزويج بلقيس (وكان أمر الله قدرا مقدورا) كان قضاء الله قضاء كائنا (الذين) فى تزويج الذين (يبلغون رسالات الله) يعنى داود وسليمان ومحمدا صلى الله عليه وسلم (ويخشونه) يخافون الله فى تبليغ الرسالة

ولا يخشون أحدا الا الله) وصف الانبياء بانهم لايخشون الا الله تعريض بعد التصريح فى قوله وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه (وكفى بالله حسيبا) كافيا للمخاوف ومحاسبا على الصغيرة والكبيرة فكان جديرا بان تخشى منه (ما كان محمد أباأحد من رجالكم) أى لم يكن أبا رجل منكم حقيقة حتى يثبت بينه وبينه ما يثبت بين الاب وولده من حرمة الصهر والنكاح والمراد من رجالكم البالغين والحسن والحسين لم يكونا بالغين حينئذ والطاهر والطيب والقاسم وابراهيم توفوا صبيانا (ولكن) كان (رسول الله) وكل رسول أبو امته فيما يرجع الى وجوب التوقير والتعظيم له عليهم ووجوب الشفقة والنصيحة لهم عليه لا فى سائر الاحكام الثابتة بين الآباء والابناء وزيد واحد من رجالكم الذين ليسوا باولاده حقيقة فكان حكمه كحكمهم والتبنى من باب الاختصاص والتقريب لاغير (وخاتم النبيين) بفتح التاء عاصم بمعنى الطابع أى آخرهم يعنى لا ينبأ أحد بعده وعيسى ممن نبئ قبله وحين ينزل ينزل عاملا على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم كأنه بعض أمته وغيره بكسر التاء بمعنى الطابع وفاعل الختم وتقويه قراءة ابن مسعود ولكن نبيا ختم النبيين (وكان الله بكل شئ عليما

ولايخشون أحدا الا الله ﴾ تعريض بعد تصريح ﴿ وكفى بالله حسيبا ﴾ كافيا للمخاوف او محاسبا فينبغى ان لايخشى الا منه ﴿ ما كان محمدأ با أحد من رجالكم ﴾ على الحقيقة فيثبت بينه وبينه مابين الوالد وولده من حرمة المصاهرة وغيرها ولا ينتقض عمومه بكونه ابا للطاهر الطيب والقاسم وابراهيم لانهم لم يبلغوا مبلغ الرجال ولو بلغوا كانوا رجاله لا رجالهم ﴿ ولكن رسول الله ﴾ وكل رسول ابو امته لا مطلقا بل من حيث انه شفيق ناصح لهم واجب التوقير والطاعة عليهم وزيد منهم ليس بينه وبينه ولادة *وقرئ رسول الله بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف ولكن بالتشديد على حذف الخبر اى ولكن رسول الله من عرفتم انه لم يعش له ولد ذكر ﴿ وخاتم النبيين ﴾ وآخرهم الذى ختمهم او ختموا به على قراءة عاصم بالفتح ولو كان له ابن بالغ لاق منصبه ان يكون نبيا كما قال عليه الصلاة والسلام فى ابراهيم حين توفى لو عاش لكان نبيا ولا يقدح فيه نزول عيسى بعده لانه اذا نزل كان على دينه مع ان المراد انه آخر من نبئ ﴿ وكان الله بكل شئ عليما ﴾ فيعلم من يليق بان يختم به النبوة وكيف ينبغى

﴿ ولايخشون أحدا الا الله ﴾ أى لايخافون قالة الناس ولائمتهم فيما أحل لهم وفرض عليهم ﴿ وكفى بالله حسيبا ﴾ أى حافظا لاعمال خلقه ومحاسبهم * قوله عز وجل ﴿ ما كان محمد اباأحد من رجالكم ﴾ وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تزوج زينب قال الناس ان محمدا تزوج امرأة ابنه فانزل الله ما كان محمد اباأحد من رجالكم يعنى زيد بن حارثة والمعنى انه لم يكن أبا رجل منكم على الحقيقة حتى يثبت بينه وبينه مايثبت بين الاب وولده من حرمة الصهر والنكاح *فان قلت قد كان له أبناء القاسم والطيب والطاهر وابراهيم وقال للحسن ان ابنى هذا سيد *قلت قد أخرجوا من حكم النفى بقوله من رجالكم وهؤلاء لم يبلغوا مبلغ الرجال وقيل أراد بالرجال الذين لم يلدهم ﴿ ولكن رسول الله ﴾ أى ان كل رسول هو أبو أمته فيما يرجع الى وجوب التوقير والتعظيم له ووجوب الشفقة والنصيحة لهم عليه ﴿ وخاتم النبيين ﴾ ختم الله به النبوة فلا نبوة بعده أى ولا معه قال ابن عباس يريد لو لم أختم به النبيين لجعلت له ابنا يكون بعده نبيا وعنه قال ان الله لما حكم أن لا نبى بعده لم يعطه ولدا ذكرا يصير رجلا ﴿ وكان الله بكل شئ عليما ﴾ أى دخل فى علمه انه لا نبى بعده *فان قلت قد صح ان عيسى عليه السلام ينزل فى آخر الزمان بعده وهو نبى *قلت ان عيسى عليه السلام ممن نبئ قبله وحين ينزل فى آخر الزمان ينزل عاملا بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم ومصليا الى قبلته كأنه بعض أمته (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مثلى ومثل الانبياء من قبلى كمثل رجل بنى بنيانا فاحسنه وأجمله الا موضع لبنة من زاوية من زواياه فجعل الناس يطوفون ويتعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة فانا اللبنة وانا خاتم النبيين وعن جابر نحوه وفيه جئت فختمت الانبياء (ق) عن جبير بن مطعم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لى خمسة أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحى

(ولايخشون أحدا الا الله وكفى بالله حسيبا) شهيدا (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم) يعنى زيدا (ولكن رسول الله) ولكن كان محمد رسول الله (وخاتم النبيين) ختم الله به النبيين قبله فلا يكون نبى بعده (وكان الله بكل شئ) من قولكم وفعلكم (عليما

يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا) أثنوا عليه بضروب الثناء وأكثروا ذلك (وسبحوه بكرة) أول النهار (وأصيلا) آخر النهار وخصا بالذكر لان ملائكة الليل وملائكة النهار يجتمعون فيهما وعن قتادة قولوا سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم والفعلان أى اذكروا الله وسبحوه موجهان الى البكرة والاصيل كقولك صم وصل يوم الجمعة والتسبيح من جملة الذكر وانما اختص من بين أنواعه اختصاص جبريل وميكائيل من بين الملائكة ابانة لفضله على سائر الاذكار لان معناه تنزيه ذاته عما لا يجوز عليه من الصفات وجاز أن يراد بالذكر واكثاره تكثير الطاعات والعبادات فانها من جملة الذكر ثم خص من ذلك التسبيح بكرة وهى صلاة الفجر وأصيلا وهى صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء أو صلاة الفجر والعشاءين (هو الذى يصلى عليكم وملائكته) لما كان من شأن المصلى ان ينعطف فى ركوعه وسجوده استعير لمن ينعطف على غيره حنوا عليه وترؤفا كعائد المريض فى انعطافه عليه والمرأة فى حنوها على ولدها ثم كثر حتى استعمل فى الرحمة والترؤف ومنه قولهم صلى الله عليك أى ترحم عليك وترأف والمراد بصلاة الملائكة قولهم اللهم صل على المؤمنين جعلوا لكونهم مستجابى الدعوة كأنهم فاعلون الرحمة والرأفة والمعنى هو الذى يترحم عليكم ويترأف حين يدعوكم الى الخير ويأمركم باكثار الذكر والتوفر على الصلاة والطاعة (ليخرجكم من الظلمات الى النور) من ظلمات المعصية (ودعاء)

شأنه ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا﴾ يغلب الاوقات ويعم انواع ما هو اهله من التقديس والتمجيد والتهليل والتحميد ﴿وسبحوه بكرة واصيلا﴾ اول النهار وآخره خصوصا وتخصيصهما بالذكر للدلالة على فضلهما على سائر الاوقات لكونهما مشهودين كافراد التسبيح من جملة الاذكار لانه العمدة فيها وقيل الفعلان موجهان اليهما وقيل المراد بالتسبيح الصلاة ﴿هو الذى يصلى عليكم﴾ بالرحمة ﴿وملائكته﴾ بالاستغفار لكم والاهتمام بما يصلحكم والمراد بالصلاة المشترك وهو العناية بصلاح امركم وظهور شرفكم مستعار من الصلاة وقيل الترحم والانعطاف المعنوى مأخوذ من الصلاة المشتملة للانعطاف الصورى الذى هو الركوع والسجود واستغفار الملائكة ودعاؤهم للمؤمنين ترحم عليهم سيما وهو سبب للرحمة من حيث انهم مجابوا الدعوة ﴿ليخرجكم من الظلمات الى النور﴾ من ظلمات

الذى يمحو الله الكفر بى وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى وأنا العاقب والعاقب الذى ليس بعده نبى وقد سماه الله رؤفا رحيما (م) عن أبى موسى قال كان النبى صلى الله عليه وسلم يسمى لنا نفسه أسماء فقال أنا محمد وأنا أحمد وأنا المقفى وأنا الماحى ونبى التوبة ونبى الرحمة المقفى هو المولى الذاهب يعنى آخر الانبياء المتبع لهم فاذا قفى فلا نبى بعده * قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا﴾ قال ابن عباس لم يفرض الله عز وجل على عباده فريضة الا جعل لها حدا معلوما ثم عذر أهلها فى حال العذر غير الذكر فانه لم يجعل له حدا ينتهى اليه ولم يعذر أحدا فى تركه الا مغلوبا على عقله وأمرهم به فى الاحوال كلها فقال تعالى فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم وقال تعالى واذكروا الله ذكرا كثيرا يعنى بالليل والنهار فى البر والبحر وفى الصحة والسقم وفى السر والعلانية وقيل الذكر الكثير أن لا ينساه أبدا ﴿وسبحوه﴾ معناه اذا ذكرتموه ينبغى لكم أن يكون ذكركم اياه على وجه التعظيم والتنزيه عن كل سوء ﴿بكرة وأصيلا﴾ فيه اشارة الى المداومة لان ذكر الطرفين يفهم منه الوسط أيضا وقيل معناه صلوا له بكرة صلاة الصبح وأصيلا يعنى صلاة العصر وقيل صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء وقيل معنى سبحوه قولوا سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله زاد فى نسخة العلى العظيم فعبر بالتسبيح عن أخواته والمراد بقوله كثيرا هذه الكلمات يقولها الطاهر والجنب والحائض والمحدث ﴿هو الذى يصلى عليكم وملائكته﴾ الصلاة من الله الرحمة ومن الملائكة الاستغفار للمؤمنين وقيل الصلاة من الله على العبد هى اشاعة الذكر الجميل له فى عباده والثناء عليه قال أنس لما نزلت ان الله وملائكته يصلون على النبى قال أبو بكر ما خصك الله يا رسول الله بشرف الا وقد أشركنا فيه فانزل الله هذه الآية ﴿ليخرجكم من الظلمات الى النور﴾ يعنى انه برحمته وهدايته

يا أيها الذين آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (اذكروا الله ذكرا كثيرا) باللسان والقلب عند المعصية والطاعة (وسبحوه بكرة وأصيلا) صلوا له غدوة وعشيا (هو الذى يصلى عليكم) يغفر لكم (وملائكته) يستغفرون لكم (ليخرجكم من الظلمات الى النور) وقد أخرجكم من

الى نور الطاعة (وكان بالمؤمنين رحيما) هو دليل على ان المراد بالصلاة الرحمة وروى انه لما نزل ان الله وملائكته يصلون على النبي قال أبو بكر ماخصك الله يارسول الله بشرف الا وقد أشركنا فيه فنزلت (تحيتهم) من اضافة المصدر الى المفعول أي تحية الله لهم (يوم يلقونه) يرونه (سلام) يقول الله تبارك وتعالى السلام عليكم (وأعد لهم أجرا كريما) يعني الجنة (يا أيها النبي

شاهدا) على من بعثت اليهم على تكذيبهم وتصديقهم أي مقبولا قولك عند الله لهم وعليهم كما يقبل قول الشاهد العدل في الحكم وهو حال مقدرة كما تقول مررت برجل معه صقر صائدا به أي مقدرا به الصيد غدا (ومبشرا) للمومنين بالجنة (ونذيرا) للكافرين بالنار (وداعيا الى الله باذنه) بامره او بتيسيره والكل منصوب على الحال (وسراجا منيرا) جلا به الله ظلمات الشرك واهتدى به الضالون كما يجلى ظلام الليل بالسراج المنير ويهتدى به والجمهور على انه القرآن فيكون التقدير وذا سراج منير أو وتاليا سراجا منيرا ووصف بالانارة لان من السرج مالا يضئ اذا قل سليطه ودقت فتيلته أو شاهدا بوحدانيتنا ومبشرا برحمتنا ونذيرا بنقمتنا وداعيا الى عبادتنا وسراجا وحجة ظاهرة لحضرتنا

الكفر والمعصية الى نور الايمان والطاعة ﴿ وكان بالمؤمنين رحيما ﴾ حتى اعتنى بصلاح امرهم وانافة قدرهم واستعمل في ذلك ملائكته المقربين ﴿ تحيتهم ﴾ من اضافة المصدر الى المفعول اي يحيون ﴿ يوم يلقونه ﴾ يوم لقائه عند الموت او الخروج عن القبر او دخول الجنة ﴿ سلام ﴾ اخبار بالسلامة عن كل مكروه وآفة ﴿ واعد لهم اجرا كريما ﴾ هي الجنة ولعل اختلاف النظم لمحافظة الفواصل والمبالغة فيما هو أهم ﴿ يا أيها النبي انا ارسلناك شاهدا ﴾ على من بعثت اليهم بتصديقهم وتكذيبهم ونجاتهم وضلالهم وهو حال مقدرة ﴿ ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله ﴾ الى الاقرار به وبتوحيده وبما يجب الايمان به من صفاته ﴿ باذنه ﴾ بتيسيره اطلق له من حيث انه من اسبابه وقيد به الدعوة ايذانا بانه امر صعب لا يتأتى الا بمعونة من جناب قدسه ﴿ وسراجا منيرا ﴾ يستضاء به عن ظلمات الجهالة ويقتبس من نوره انوار البصائر

ودعاء الملائكة لكم أخرجكم من ظلمة الكفر الى نور الايمان ﴿ وكان بالمؤمنين رحيما ﴾ فيه بشارة لجميع المؤمنين واشارة الى ان قوله يصلي عليكم غير مختص بالسامعين وقت الوحي بل هو عام لجميع المسلمين ﴿ تحيتهم ﴾ يعني تحية المؤمنين ﴿ يوم يلقونه ﴾ أي يرون الله يوم القيامة ﴿ سلام ﴾ أي يسلم الرب تعالى عليهم ويسلمهم من جميع الآفات وروى عن البراء بن عازب قال تحيتهم يوم يلقونه سلام يعني يلقون ملك الموت لا يقبض روح مؤمن الا يسلم عليه عن ابن مسعود قال اذا جاء ملك الموت لقبض روح المؤمن قال ربك يقرئك السلام وقيل تسلم عليهم الملائكة حين يخرجون من قبورهم تبشرهم ﴿ وأعد لهم أجرا كريما ﴾ يعني الجنة ❁ قوله عز وجل ﴿ يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا ﴾ أي للرسل بالتبليغ وقيل شاهدا على الخلق كلهم يوم القيامة ﴿ ومبشرا ﴾ أي لمن آمن بالجنة ﴿ ونذيرا ﴾ أي لمن كذب بالنار ﴿ وداعيا الى الله ﴾ أي الى توحيده وطاعته ﴿ باذنه ﴾ أي بامره ﴿ وسراجا منيرا ﴾ سماه سراجا منيرا لانه جلا به ظلمات الشرك واهتدى به الضالون كما يجلى ظلام الليل بالسراج المنير وقيل معناه أمد الله بنور نبوته نور البصائر كما يمد بنور السراج نور الابصار ووصفه بالانارة لان من السرج مالا يضئ ❊ فان قلت لم سماه سراجا ولم يسمه شمسا والشمس أشد اضاءة من السراج وأنور ❊ قلت نور الشمس لا يمكن أن يؤخذ منه شئ بخلاف نور السراج فانه يؤخذ منه أنوار كثيرة

الكفر الى الايمان (وكان بالمؤمنين رحيما) رفيقا (تحيتهم) تحية المؤمنين (يوم يلقونه) يلقون الله (سلام) من الله وتسلم عليهم الملائكة عند أبواب الجنة (وأعد لهم أجرا كريما) ثوابا حسنا في الجنة (يا أيها النبي) يعني محمدا عليه السلام (انا أرسلناك شاهدا) على أمتك بالبلاغ (ومبشرا) بالجنة لمن آمن بالله (ونذيرا) من النار لمن كفر به (وداعيا الى الله) الى دين الله وطاعته (باذنه) بامره (وسراجا منيرا) مضيئا يقتدى بك فلما نزل قوله انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال المؤمنون هنيئا لك يارسول الله بالمغفرة فمالنا

(وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا) ثوابا عظيما (ولا تطع الكافرين والمنافقين) المراد به التهييج أو الدوام والثبات على ما كان عليه (ودع أذاهم) هو بمعنى الايذاء فيحتمل أن يكون مضافا الى الفاعل أى اجعل ايذاءهم اياك فى جانب ولا تبال بهم ولا تخف من ايذائهم أو الى المفعول أى دع ايذاءك اياهم مكافاة لهم (وتوكل على الله) فانه يكفيكهم (وكفى بالله وكيلا) وكفى به مفوضا اليه وقيل ان الله تعالى وصفه بخمسة أوصاف وقابل كلا منها بخطاب مناسب له قابل الشاهد بقوله وبشر المؤمنين لانه يكون شاهدا على أمته وهم يكونون شهداء على سائر الامم وهو الفضل الكبير والمبشر بالاعراض عن الكافرين والمنافقين لانه اذا أعرض عنهم أقبل جميع اقباله على المؤمنين وهو مناسب للبشارة والنذير بدع أذاهم لانه اذا ترك أذاهم فى الحاضر والاذى لا بد له من عقاب عاجل أو آجل كانوا منذرين به فى المستقبل والداعى الى الله بتيسيره بقوله وتوكل على الله فان من توكل على الله يسر عليه كل عسير والسراج المنير بالاكتفاء به وكيلا لان من أناره الله برهانا على جميع خلقه كان جديرا بان يكتفى به عن جميع خلقه (ياأيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات) أى تزوجتم والنكاح هو الوطء فى الاصل وتسمية العقد نكاحا لملابسته له من حيث انه طريق اليه كتسمية الخمر اثما لانها سببه وكقول الراجز *أسنمة الآبال فى سحابه* سمى الماء باسنمة الآبال لانه سبب سمن الآبال وارتفاع أسنمتها ولم يرد لفظ النكاح فى كتاب الله تعالى الا فى معنى العقد لانه فى معنى الوطء من باب التصريح به ومن آداب القرآن الكناية (انه) عنه بلفظ الملامسة والمماسة والقربان والتغشى والاتيان وفى تخصيص المؤمنات مع ان الكتابيات تساوى المؤمنات فى هذا الحكم اشارة على ان الاولى بالمؤمن ان ينكح مؤمنة (ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن) والخلوة الصحيحة كالمس

﴿وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا﴾ على سائر الامم او على اجر اعمالهم ولعله معطوف على محذوف مثل فراقب احوال امتك ﴿ولا تطع الكافرين والمنافقين﴾ تهييج له على ما هو عليه من مخالفتهم ﴿ودع اذاهم﴾ ايذاءهم اياك ولا تحتفل به او ايذاءك اياهم مجازاة ومؤاخذة على كفرهم ولهذا قيل منسوخ بآية السيف ﴿وتوكل على الله﴾ فانه يكفيكهم ﴿وكفى بالله وكيلا﴾ موكولا اليه الامر فى الاحوال كلها ولعله تعالى لما وصفه بخمس صفات قابل كلا منها بخطاب يناسبه فحذف مقابل الشاهد وهو الامر بالمراقبة لان ما بعده كالتفصيل له وقابل المبشر بالامر ببشارة المؤمنين والنذير بالنهى عن مراقبة الكفار والمبالاة باذاهم والداعى الى الله بتيسيره بالامر بالتوكل عليه والسراج المنير بالاكتفاء به فان من اناره الله تعالى برهانا على جميع خلقه كان حقيقا بان يكتفى به عن غيره ﴿ياأيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن﴾ تجامعوهن وقرأ حمزة والكسائى تماسوهن بالف وضم التاء

﴿وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا﴾ أى ما يتفضل به عليهم زيادة على الثواب وقيل الفضل هو الثواب وقيل هو تفضيل هذه الامة على سائر الامم ﴿ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم﴾ قال ابن عباس اصبر على أذاهم وقيل لا تجازهم عليه وهذا منسوخ بآية القتال ﴿وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا﴾ أى حافظا ❊ قوله تعالى ﴿ياايها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن﴾ أى تجامعوهن ففى الآية دليل على ان الطلاق قبل النكاح غير واقع لان الله تعالى رتب الطلاق على النكاح حتى لو قال لامرأة أجنبية اذا نكحتك فانت طالق أو قال كل امرأة أنكحها فهى طالق فنكح لا يقع الطلاق وهذا قول على وابن عباس وجابر ومعاذ وعائشة وبه قال سعيد بن المسيب وعروة وشريح وسعيد بن جبير والقاسم وطاوس والحسن وعكرمة وعطاء وسليمان بن يسار ومجاهد والشعبى وقتادة وأكثر أهل العلم وبه قال الشافعى وروى عن ابن مسعود انه يقع الطلاق وهو قول ابراهيم النخعى وأصحاب الرأى وقال ربيعة ومالك والاوزاعى ان عين امرأة وقع وان عمم فلا يقع وروى عكرمة عن ابن عباس

عند الله فقال الله (وبشر) يا محمد (المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا) ثوابا عظيما فى الجنة ثم رجع الى أول السورة فقال (ولا تطع) يا محمد (الكافرين) من أهل مكة أبا سفيان وأصحابه (والمنافقين) من أهل المدينة عبد الله بن أبى وأصحابه (ودع أذاهم) ولا تقتلهم يا محمد (وتوكل على الله) ثق بالله (وكفى بالله وكيلا) كفيلا فيما وعدلك من النصرة ويقال حفيظا (ياأيها الذين آمنوا اذا نكحتم) أى اذا تزوجتم (المؤمنات) ولم تسموا مهورهن (ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن) تجامعوهن

﴿ فالكم عليهن من عدة ﴾ ايام يتربصن فيها بانفسهن ﴿ تعتدونها ﴾ تستوفون عددها من عددت الدراهم فاعتدها كقولك كلته فاكتاله او تعدونها والاسناد الى الرجال للدلالة على ان العدة حق الازواج كما اشعر به فالكم وعن ابن كثير تعتدونها مخففا على ابدال احدى الدالين بالتاء او على انه من الاعتداء بمعنى تعتدون فيها وظاهره يقتضى عدم وجوب العدة بمجرد الخلوة وتخصيص المؤمنات والحكم عام للتنبيه على ان من شان المؤمن ان لاينكح الامؤمنة تخيرا لنطفته وفائدة ثم ازاحة ماعسى يتوهم ان تراخى الطلاق ريثما يمكن الاصابة كما يؤثر فى النسب يؤثر فى العدة ﴿ فمتعوهن ﴾ أى ان لم يكن مفروضا لها فان الواجب للمفروض لها نصف المفروض دون المتعة وهى سنة لها ويجوز ان يأول التمتيع بما يعمهما او الامر بالمشترك بين الوجوب والندب فان المتعة سنة للمفروض لها ﴿ وسرحوهن ﴾ اخرجوهن من منازلكم اذ ليس لكم عليهن عدة ﴿ سراحا جميلا ﴾ من غير ضرار ولا منع حق ولا يجوز تفسيره بالطلاق السنى لانه مرتب على الطلاق والضمير لغير المدخول بهن ﴿ ياأيها النبى انا احللنا لك ازواجك اللاتى آتيت اجورهن ﴾ مهورهن لان المهر اجر على البضع وتقييد الاحلال له باعطائها معجلة لا لتوقف الحل عليه بل لايثار الافضل له كتقييد احلال المملوكة بكونها مسبية بقوله ﴿ وماملكت يمينك مما افاء الله عليك ﴾ فان المشتراة

أنه قال كذبوا على ابن مسعود وان كان قالها فزلة من عالم فى الرجل يقول ان تزوجت فلانة فهى طالق والله يقول اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن ولم يقل اذا طلقتموهن ثم نكحتموهن روى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاطلاق فيما لاتملك ولا عتق فيما لاتملك ولا بيع فيما لاتملك أخرجه أبو داود والترمذى بمعناه (خ) عن ابن عباس قال جعل الله الطلاق بعد النكاح أخرجه البخارى فى ترجمة باب بغير اسناد وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاطلاق قبل النكاح ﴿ فالكم عليهن من عدة تعتدونها ﴾ أى تحصونها بالاقراء والاشهر أجمع العلماء انه اذا كان الطلاق قبل المسيس والخلوة فلا عدة وذهب أحمد الى ان الخلوة توجب العدة والصداق ﴿ فمتعوهن ﴾ أى أعطوهن مايستمتعن به قال ابن عباس هذا اذا لم يكن سمى لها صداقا فلها المتعة وان كان قد فرض لها صداقا فلها نصف الصداق ولا متعة لها وقال قتادة هذه الآية منسوخة بقوله فنصف مافرضتم وقيل هذا أمر ندب فالمتعة مستحبة لها مع نصف المهر وقيل انها تستحق المتعة بكل حال لظاهر الآية ﴿ وسرحوهن سراحا جميلا ﴾ أى خلوا سبيلهن بالمعروف من غير اضرار بهن ❁ قوله عز وجل ﴿ ياأيها النبى انا أحللنا لك أزواجك اللاتى آتيت أجورهن ﴾ أى مهورهن ﴿ وماملكت يمينك مما أفاء الله عليك ﴾ أى من السبى فتملكها مثل صفية وجويرية وقد كانت مارية مما ملكت

(فالكم عليهن من عدة تعتدونها) فيه دليل على ان العدة تجب على النساء للرجال ومعنى تعتدونها تستوفون عددها تفتعلون من العد (فمتعوهن) والمتعة تجب للتى طلقها قبل الدخول بها ولم يسم لها مهر دون غيرها (وسرحوهن سراحا جميلا) أى لاتمسكوهن ضرارا وأخرجوهن من منازلكم اذ لاعدة لكم عليهن (ياأيها النبى انا أحللنا لك أزواجك اللاتى آتيت أجورهن) مهورهن اذ المهر أجر على البضع ولهذا قال الكرخى ان النكاح بلفظ الاجارة جائز وقلنا التأبيد من شرط النكاح والتأقيت من شرط الاجارة وبينهما منافاة وايتاؤها اعطاؤها عاجلا أو فرضها وتسميتها فى العقد (وماملكت يمينك مما أفاء الله عليك) وهى صفية وجويرية فاعتقهما

(فالكم عليهن من عدة تعتدونها) بالشهور أو الحيض (فمتعوهن) متعة الطلاق درعا وخمارا وملحفة ادنى شئ (وسرحوهن سراحا جميلا) طلقوهن طلاقا حسنا بغير أذى (ياأيها النبى انا أحللنا لك أزواجك اللاتى آتيت) أعطيت (أجورهن) مهورهن (وماملكت يمينك) مارية القبطية (مما أفاء الله عليك) مما فتح الله عليك

وتزوجها (وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتى هاجرن معك) ومع ليس للقران بل لوجودها فحسب كقوله وأسلمت مع سليمان وعن أم هانئ بنت أبى طالب خطبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت فعذرنى فانزل الله هذه الآية فلم أحل له لانى لم أهاجر معه (وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبى)وأحللنا لك من وقع لها ان تهب لك نفسها ولا تطلب مهرا من النساء المؤمنات ان اتفق ذلك ولذا نكرها قال ابن عباس هو بيان حكم فى المستقبل ولم يكن عنده احد منهن بالهبة وقيل الواهبة نفسها ميمونة بنت الحرث أو زينب بنت خزيمة أو أم شريك بنت جابر أو خولة بنت حكيم وقرأ الحسن أن بالفتح على

التعليل بتقدير حذف اللام وقرأ ابن مسعود رضى الله عنه بغير ان (ان أراد النبى أن يستنكحها) استنكاحها طلب نكاحها والرغبة فيه وقيل نكح واستنكح بمعنى والشرط الثانى تقييد للشرط الاول شرط فى الاحلال هبتها نفسها وفى الهبة ارادة استنكاح رسول الله صلى الله وعليه وسلم كانه قال أحللناها لك ان وهبت لك نفسها وأنت تريد ان تستنكحها لان ارادته هى قبول الهبة وما به تتم وفيه دليل جواز النكاح بلفظ الهبة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمته سواء فى الاحكام الا فيما خصه الدليل (خالصة) بلا مهر حال من الضمير فى وهبت أو مصدر مؤكد أى خلص لك احلال ما أحللنا لك خالصة بمعنى خلوصا والفاعلة فى المصادر غير عزيز كالعافية والكاذبة (لك من دون المؤمنين) بل يجب المهر لغيرك وان لم يسمه أو نفاه عدل عن الخطاب الى (جماعة)
الغيبة فى قوله ان اراد النبى ثم رجع الى الخطاب ليؤذن ان الاختصاص تكرمة له لاجل النبوة وتكريره اى

لايتحقق بدء امرها وماجرى عليها وتقييد القرائب بكونهـا مهاجرات معه فى قوله ﴿ وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتى هاجرن معك ﴾ ويحتمل تقييد الحل بذلك فى حقه خاصة ويعضده قول ام هانئ بنت أبى طالب خطبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت اليه فعذرنى ثم انزل الله هذه الآية فلم احل له لانى لم اهاجر معه كنت من الطلقاء ﴿ وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبى ﴾ نصب بفعل يفسره ماقبله او عطف على ماسبق ولا يدفعه التقييد بان التى للاستقبال فان المعنى بالاحلال الاعلام بالحل أى اعلمناك حل امرأة مؤمنة تهب لك نفسها ولا تطلب مهرا ان اتفق ولذلك نكرها واختلف فى اتفاق ذلك والقائل به ذكر اربعا ميمونة بنت الحارث وزينب بنت خزيمة الانصارية وام شريك بنت جابر وخولة بنت حكيم * وقرئ أن بالفتح اى لان وهبت او مدة ان وهبت كقولك اجلس مادام زيد جالسا ﴿ ان اراد النبى ان يستنكحها ﴾ شرط للشرط الاول فى استيجاب الحل فان هبتها نفسها منه لا توجب له حلها الا بارادته نكاحها فانها جارية مجرى القبول والعدول عن الخطاب الى الغيبة بلفظ النبى مكررا ثم الرجوع اليه فى قوله ﴿ خالصة لك من دون المؤمنين ﴾ ايذان بانه مما خص به لشرف نبوته وتقرير لاستحقاقه الكرامة لاجله واحتج به اصحابنا على ان النكاح لاينعقد بلفظ الهبة لان

يمينه فولدت له ابراهيم ﴿ وبنات عمك وبنات عماتك ﴾ يعنى نساء قريش ﴿ وبنات خالك وبنات خالاتك ﴾ يعنى نساء بنى زهرة ﴿ اللاتى هاجرن معك ﴾ الى المدينة فمن لم تهاجر منهن لم يجز له نكاحها عن أم هانئ بنت أبى طالب قالت خطبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت اليه فعذرنى ثم أنزل الله انا أحللنا لك أزواجك الآية قالت فلم أكن أحل له لانى لم أهاجر كنت من الطلقاء أخرجه الترمذى وقال حديث حسن ثم نسخ شرط الهجرة فى التحليل ﴿ وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبى ان أراد النبى أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين ﴾ أى أحللنا لك امرأة مؤمنة وهبت نفسها لك بغير صداق فاما غير المؤمنة فلا تحل له اذا وهبت نفسها منه وهل تحل له الكتابية بالمهر فذهب

(وبنات عمك) وأحل لك تزوج بنات عمك (وبنات عماتك) من بنى عبد المطلب (وبنات خالك وبنات خالاتك) من بنى عبد مناف بن زهرة (اللاتى هاجرن معك) من مكة الى المدينة (وامرأة مؤمنة) مصدقة بتوحيد الله وهى أم شريك بنت جابر العامرية (ان وهبت نفسها) مهرها (للنبى ان أراد النبى أن يستنكحها) ان يتزوج بها بغير مهرها (خالصة لك) خصوصية لك ورخصة لك (من دون المؤمنين

اللفظ تابع للمعنى وقد خص النبى عليه الصلاة والسلام بالمعنى فيختص باللفظ والاستنكاح طلب النكاح والرغبة فيه وخالصة مصدر مؤكد أى خلص احلالها أو احلال ما احللنا لك على القيود المذكورة خلوصا لك أو حال من الضمير فى وهبت أو صفة لمصدر محذوف اى هبة خالصة ﴿ قد علمنا ما فرضنا عليهم فى ازواجهم ﴾ من شرائط العقد ووجوب القسم والمهر بالوطئ حيث لم يسم ﴿ وما ملكت ايمانهم ﴾ من توسيع الامر فيها انه كيف ينبغى ان يفرض عليهم والجملة اعتراض بين قوله ﴿ لكيلا يكون عليك حرج ﴾ ومتعلقه وهو خالصة للدلالة على ان الفرق بينه وبين المؤمنين فى نحو ذلك لا لمجرد قصد التوسيع عليه بل لمعان تقتضى التوسيع عليه والتضييق عليهم تارة وبالعكس اخرى ﴿ وكان الله غفورا ﴾ لما يعسر التحرز عنه ﴿ رحيما ﴾ بالتوسعة فى مظان الحرج ﴿ ترجى من تشاء منهن ﴾ تؤخرها وتترك مضاجعتها ﴿ وتؤوى اليك

جماعة الى انها لا تحل له لقوله وامرأة مؤمنة فدل ذلك على انه لا يحل له نكاح غير المسلمة وكان من خصائصه صلى الله عليه وسلم أن النكاح ينعقد فى حقه بمعنى الهبة من غير ولى ولا شهود ولا مهر لقوله خالصة لك من دون المؤمنين والزيادة على أربع ووجوب تخيير النساء واختلفوا فى انعقاد النكاح بلفظ الهبة فى حق الامة فذهب أكثرهم الى انه لا ينعقد الا بلفظ الانكاح أو التزويج وهو قول سعيد بن المسيب والزهرى ومجاهد وعطاء وبه قال ربيعة ومالك والشافعى وقال ابراهيم النخعى وأهل الكوفة ينعقد بلفظ التمليك والهبة ومن قال بالقول الاول اختلفوا فى نكاح النبى صلى الله عليه وسلم فذهب قوم الى انه كان ينعقد فى حقه صلى الله عليه وسلم بلفظ الهبة لقوله تعالى خالصة لك من دون المؤمنين وذهب آخرون الى انه لا ينعقد الا بلفظ الانكاح أو التزويج كما فى حق سائر الامة لقوله تعالى ان أراد النبى أن يستنكحها وكان اختصاصه فى ترك المهر لا فى لفظ النكاح واختلفوا فى التى وهبت نفسها للنبى صلى الله عليه وسلم وهل كانت عنده امرأة منهن فقال ابن عباس ومجاهد لم يكن عند النبى صلى الله عليه وسلم امرأة وهبت نفسها منه ولم يكن عنده امرأة الا بعقد نكاح أو ملك يمين وقوله ان وهبت نفسها على سبيل الفرض والتقدير وقال آخرون بل كانت عنده موهوبة واختلفوا فيها فقال الشعبى هى زينب بنت خزيمة الانصارية الهلالية أم المساكين وقال قتادة هى ميمونة بنت الحرث وقال على بن الحسين والضحاك ومقاتل هى أم شريك بنت جابر من بنى أسد وقال عروة بن الزبير هى خولة بنت حكيم من بنى سليم ❁ وقوله تعالى ﴿ قد علمنا ما فرضنا عليهم ﴾ أى أوجبنا على المؤمنين ﴿ فى أزواجهم ﴾ أى من الاحكام وهو أن لا يتزوجوا أكثر من أربع ولا يتزوجوا الا بولى وشهود ومهر ﴿ وما ملكت أيمانهم ﴾ أى ما أوجبنا من الاحكام فى ملك اليمين ﴿ لكيلا يكون عليك حرج ﴾ وهذا يرجع الى أول الآية معناه أحللنا لك أزواجك وما ملكت يمينك والموهوبة لكى لا يكون عليك ضيق ﴿ وكان الله غفورا ﴾ أى للواقع فى الحرج ﴿ رحيما ﴾ أى بالتوسعة على عباده ❁ قوله تعالى ﴿ ترجى ﴾ أى تؤخر ﴿ من تشاء منهن وتؤوى اليك ﴾ أى تضم

تكرير النبى تفخيم له (قد علمنا ما فرضنا عليهم فى ازواجهم) اى ما اوجبنا من المهور على امتك فى زوجاتهم وما اوجبنا عليهم فى ازواجهم من الحقوق (وما ملكت ايمانهم) بالشراء وغيره من وجوه الملك وقوله (لكيلا يكون عليك حرج ضيق متصل بخالصة لك من دون المؤمنين وقوله قد علمنا ما فرضنا عليهم فى ازواجهم وما ملكت ايمانهم جملة اعتراضية (وكان الله غفورا رحيما) بالتوسعة على عباده (ترجى) بلا همز مدنى وحمزة وعلى وخلف وحفص وبهمز غيرهم تؤخر (من تشاء منهن وتؤوى اليك

قد علمنا ما فرضنا عليهم) ما أحللنا لهم وأوجبنا عليهم على المؤمنين (فى أزواجهم) الاربع بمهر ونكاح (وما ملكت أيمانهم) بغير عدد (لكيلا يكون عليك حرج) مأثم وضيق فى تزوج ما أحل الله لك (وكان الله غفورا) لما كان منك (رحيما) فيما رخص لك (ترجى) تترك (من تشاء منهن) من بنات عمك وبنات خالك ولا تتزوج بها (وتؤوى اليك) تضم اليك

من تشاء) تضم بمعنى تترك مضاجعة من تشاء منهن وتضاجع من تشاء او تطلق من تشاء وتمسك من تشاء او لا تقسم لايتهن شئت او تترك تزوج من شئت وتتزوج من شئت وهذه قسمة جامعة لما هو الغرض لانه اما ان يطلق واما أن يمسك فاذا أمسك ضاجع أو ترك وقسم أو لم يقسم واذا طلق وعزل فاما أن يخلى المعزولة لا يبتغيها أو يبتغيها وروى أنه أرجى منهن جويرية وسودة وصفية وميمونة وأم حبيبة وكان يقسم لهن ماشاء كما شاء وكانت ممن آوى اليه عائشة وحفصة وأم سلمة وزينب أرجى خمسا وآوى أربعا وروى انه كان يسوى معما أطلق له وخير فيه الا سودة فانها وهبت ليلتها لعائشة وقالت لا تطلقنى حتى أحشر فى زمرة نسائك (ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك) أى ومن دعوت الى فراشك وطلبت صحبتها ممن عزلت عن نفسك بالارجاء فلا ضيق عليك فى ذلك أى ليس اذا عزلتها لم يجز لك ردها الى نفسك ومن رفع بالابتداء وخبره فلا جناح (ذلك) التفويض الى مشيئتك (أدنى ان تقر أعينهن ولا يحزن

من تشاء ﴿ وتضم اليك وتضاجعها أو تطلق من تشاء وتمسك من تشاء * وقرأ حمزة والكسائى وحفص ترجى بالياء والمعنى واحد ﴿ ومن ابتغيت ﴾ طلبت ﴿ ممن عزلت ﴾ طلقت بالرجعة ﴿ فلا جناح عليك ﴾ فى شئ من ذلك ﴿ ذلك ادنى ان تقر اعينهن ولا يحزن

اليك ﴿ من تشاء ﴾ قيل هذا للقسم بينهن وذلك ان التسوية بينهن فى القسم كانت واجبة عليه صلى الله عليه وسلم فلما نزلت هذه الآية سقط عنه الوجوب وصار الاختيار اليه فيهن وقيل نزلت هذه الآية حين غار بعض أمهات المؤمنين على النبى صلى الله عليه وسلم وطلب بعضهن زيادة النفقة فهجرهن شهرا حتى نزلت آية التخيير فأمره الله تعالى ان يخيرهن فمن اختارت الدنيا فارقها ويمسك من اختارت الله ورسوله على انهن أمهات المؤمنين لا ينكحن أبدا وعلى انه يؤوى اليه من يشاء منهن ويرجى من يشاء فيرضين به قسم لهن أو لم يقسم أو قسم لبعضهن دون بعض أو فضل بعضهن فى النفقة والكسوة فيكون الامر فى ذلك اليه يفعل كيف يشاء وكان ذلك من خصائصه فرضين بذلك واخترنه على هذا الشرط واختلفوا فى انه هل أخرج أحدا منهن عن القسم فقال بعضهم لم يخرج أحدا بل كان صلى الله عليه وسلم مع ما جعل الله له من ذلك يسوى بينهن فى القسم الا سودة فانها رضيت بترك حقها من القسم وجعلت يومها لعائشة وقيل أخرج بعضهن روى عن أبى رزين قال لما نزل التخيير أشفقن ان يطلقهن فقلن يا نبى الله اجعل لنا من مالك ونفسك ما شئت ودعنا على حالنا فارجى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعضهن وآوى اليه بعضهن فكان ممن آوى اليه عائشة وحفصة وأم سلمة وزينب وكان يقسم بينهن سواء وأرجى منهن خمسا أم حبيبة وميمونة وسودة وجويرية وصفية فكان يقسم لهن ما يشاء وقال ابن عباس تطلق من تشاء منهن وتمسك من تشاء وقال الحسن تترك نكاح من شئت وتنكح من شئت من النساء قال وكان النبى صلى الله عليه وسلم اذا خطب امرأة لم يكن لغيره خطبتها حتى يتركها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل تقبل من تشاء من المؤمنات اللاتى يهبن أنفسهن فتؤويها اليك وتترك من تشاء فلا تقبلها (ق) عن عروة قال كانت خولة بنت حكيم من اللاتى وهبن أنفسهن للنبى صلى الله عليه وسلم فقالت عائشة اما تستحى المرأة ان تهب نفسها للرجل فلما نزلت ترجى من تشاء منهن قلت يا رسول الله ما أرى ربك الا يسارع فى هواك ﴿ ومن ابتغيت ممن عزلت ﴾ أى طلبت ان تؤوى اليك امرأة ممن عزلتهن عن القسمة ﴿ فلا جناح عليك ﴾ أى لا اثم عليك فاباح الله له ترك القسم لهن حتى انه ليؤخر من يشاء منهن فى نوبتها ويطأ من يشاء منهن فى غير نوبتها ويرد الى فراشه من عزل منهن تفضيلا له على سائر الرجال ﴿ ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن ﴾ أى ذلك التخيير الذى خيرتك فى صحبتهن أقرب الى رضاهن وأطيب لانفسهن وأقل لحزنهن اذا علمن ان

(من تشاء) فتتزوج بها (ومن ابتغيت) اخترت بالتزويج (ممن عزلت) تركت (فلا جناح عليك) فلا حرج عليك ويقال فيها وجه آخر ترجى توقف من تشاء منهن من نسائك ولا تأتيها وتؤوى اليك تضم اليك من تشاء (ذلك) وتأتيها ومن ابتغيت اخترت بالاتيان اليها من عزلت عن الاتيان فلا جناح فلا حرج عليك ولا مأثم عليك (ذلك) التوسع والرخصة (أدنى) أى أحرى (أن تقر أعينهن) تطيب أنفسهن ان علمن ان ذلك التوسع من الله (ولا يحزن) بمخافة الطلاق

ويرضين بما آتيتهن كلهن)أى أقرب الى قرة عيونهن وقلة حزنهن ورضاهن جميعا لانهن اذا علمن ان هذا التفويض من عندالله اطمأنت نفوسهن وذهب التغاير وحصل الرضا وقرت العيون كلهن بالرفع تأكيد لنون يرضين وقرئ ويرضين كلهن بما آتيتهن على التقديم وقرئ شاذا كلهن بالنصب تأكيدا لهن فى آتيتهن (والله يعلم مافى قلوبكم) فيه وعيد لمن لم يرض منهن بما دبر الله من ذلك وفوض الى مشيئة رسوله (وكان الله عليما) بذات الصدور (حليما)لايعاجل بالعقوبة فهو حقيق بان يتقى ويحذر (لاتحل لك النساء) بالتاء ابو عمرو ويعقوب وغيرهما بالتذكير لان تأنيث الجمع غير حقيقى

ويرضين بما آتيتهن كلهن ﴾ ذلك التفويض الى مشيئتك اقرب الى قرة عيونهن وقلة حزنهن ورضاهن جميعا لانه حكم كلهن فيه سواء ثم ان سويت بينهن وجدن ذلك تفضلا منك وان رجحت بعضهن علمن انه من حكم الله فتطمئن نفوسهن به وقرئ تقر بضم التاء واعينهن بالنصب وتقر على البناء للمفعول وكلهن توكيد نون يرضين وقرئ بالنصب تأكيدا لهن ﴿ والله يعلم مافى قلوبكم ﴾ فاجتهدوا فى احسانه ﴿ وكان الله عليما ﴾ بذات الصدور ﴿ حليما ﴾ لا يعاجل بالعقوبة فهو حقيق بان يتقى ﴿ لايحل لك النساء ﴾ بالياء لان تأنيث الجمع غير حقيقى وقرأ البصريان بالتاء ﴿ من بعد ﴾ من بعد التسع وهو فى حقه عليه السلام كالاربع فى حقنا اومن بعد اليوم حتى لوماتت واحدة لم يحل له نكاح اخرى ﴿ ولا ان تبدل بهن من ازواج ﴾ فتطلق واحدة وتنكح مكانها اخرى ومن مزيدة لتأكيد

ذلك من الله تعالى ﴿ويرضين بما آتيتهن ﴾ أى أعطيتهن ﴿ كلهن ﴾ من تقريب وارجاء وعزل وايواء ﴿ والله يعلم مافى قلوبكم ﴾ أى من أمر النساء والميل الى بعضهن ﴿ وكان الله عليما ﴾ أى بما فى ضمائركم ﴿ حليما ﴾ أى عنكم ﴿ قوله تعالى ﴿ لاتحل لك النساء من بعد ﴾ أى من بعد هؤلاء التسع اللاتى اخترنك وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم لما خيرهن فاخترن الله ورسوله شكر الله لهن ذلك وحرم عليه النساء سواهن ونهاه عن تطليقهن وعن الاستبدال بهن قاله ابن عباس واختلفوا هل أبيح له النساء بعد ذلك فروى عن عائشة انها قالت مامات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحل له النساء أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح وللنسائى عنها حتى أحل له أن يتزوج من النساء ماشاء وقال أنس مات رسول الله صلى الله عليه وسلم على التحريم وقيل لابى بن كعب لومات نساء النبى صلى الله عليه وسلم أكان يحل له أن يتزوج قال ومايمنعه من ذلك قيل له قوله تعالى لايحل لك النساء من بعد قال انما أحل له ضربا من النساء فقال تعالى ياأيها النبى انا أحللنا لك أزواجك الآية ثم قال لاتحل لك النساء من بعد وقيل معنى الآية لاتحل لك اليهوديات ولا النصرانيات بعد المسلمات ﴿ولا أن تبدل بهن من أزواج ﴾ أى بالمسلمات غيرهن من الكتابيات لانه لاتكون أم المؤمنين يهودية ولا نصرانية الا ماملكت يمينك أى من الكتابيات فتتسرى بهن وقيل فى قوله ولا ان تبدل بهن من أزواج كانت العرب فى الجاهلية يتبادلون بأزواجهم يقول الرجل للرجل انزل لى عن امرأتك وأنزل لك عن امرأتى فأنزل الله تعالى ولا ان تبدل بهن من أزواج أى تبادل بأزواجك غيرك

واذا جاز بغير فصل فمع الفصل اجوز (من بعد) من بعد التسع لان التسع نصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الازواج كما ان الاربع نصاب امته (ولا ان تبدل بهن من ازواج) بالطلاق والمعنى ولا ان تستبدل بهؤلاء التسع أزواجا أخر بكلهن او بعضهن كرامة لهن وجزاء على مااخترن ورضين فقصر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهن وهن التسع التى مات عنهن عائشة حفصة ام حبيبة سودة ام سلمة صفية ميمونة زينب بنت جحش جويرية ومن فى من ازواج لتأكيد النفى وفائدته استغراق جنس

(ويرضين بما آتيتهن) أعطيتهن من قسمة البدن (كلهن) مقدم ومؤخر (والله يعلم مافى قلوبكم) من الرضا والسخط (وكان الله عليما) بصلاحكم وصلاحهن (حليما) فيمابين لكم وتجاوز عنكم (لايحل لك النساء) تزويج النساء(من بعد) من بعد هذه الصفة ويقال من بعد نسائك التسع وكانت عنده تسع نسوة عائشة بنت أبى بكر وحفصة بنت عمر بن الخطاب وزينب بنت جحش الاسدية وأم سلمة بنت أبى أمية المخزومى وأم حبيبة بنت أبى سفيان بن حرب وصفية بنت حيى بن أخطب وميمونة بنت الحرث الهلالية وسودة بنت زمعة بن الاسود وجويرية بنت الحرث المصطلقية (ولاأن تبدل بهن من أزواج) ممابينت لك من بنات عمك وخالك ويقال ولاان تبدل بهن من بنات عمك أزواجا مماعندك من النساء يقول لايحل لك أن تطلق واحدة منهن وتتزوج

الازواج بالتحريم (ولو أعجبك حسنهن) في موضع الحال من الفاعل وهو الضمير في تبـدل أي تتبدل لا من المفعول الذي هو
من أزواج لتوغله في التنكير وتقديره مفروضا اعجابك بهن وقيل هي اسماء بنت عميس امرأة جعفر بن أبي طالب فانها ممن اعجبه حسنهن وعن عائشة وام سلمة ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى احـل له ان يتزوج من النساء ما شاء يعني ان الآية نسخت ونسخها اما بالسنة او بقوله انا احللنا لك ازواجك وترتيب النزول ليس على ترتيب المصحف (الا ما ملكت يمينك) استثنى ممن حرم عليه الاماء ومحل ما رفع بدل من النساء (وكان الله عن كل شئ رقيبا) حافظا وهو تحذير عن مجاوزة حدوده (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا أن يؤذن لكم

الاستغراق ﴿ ولو اعجبك حسنهن ﴾ حسن الازواج المستبدلة وهو حال من فاعل تبـدل دون مفعوله وهو من ازواج لتوغله في التنكير وتقديره مفروضا اعجابك بهن واختلف في ان الآية محكمة أو منسوخة بقوله ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء على المعنى الثاني فانه وان تقدمها قراءة فهو مسبوق بها نزولا وقيل المعنى لا يحل لك النساء من بعـد الاجناس الاربعة اللاتي نص على احلالهن لك ولا ان تبدل بهن ازواجا من اجناس اخر ﴿ الا ما ملكت يمينك ﴾ استثناء من النساء لانه يتناول الازواج والاماء وقيـل منقطع ﴿ وكان الله على كل شئ رقيبا ﴾ فتحفظوا امركم ولا تتخطوا ما حد لكم ﴿ يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم ﴾ الا

بان تعطيه زوجتك وتأخذ زوجته فحرم ذلك الا ما ملكت يمينك أي لا بأس ان تبادل بجاريتك ما شئت فاما الحرائر فلا ﴿ ولو أعجبك حسنهن ﴾ يعني ليس لك أن تطلق أحدا من نسائك وتنكح بدلها أخرى ولو أعجبك جمالها قال ابن عباس يعني أسماء بنت عميس الخثعمية امرأة جعفر بن أبي طالب لما استشهد جعفر أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخطبها فنهي عن ذلك ﴿ الا ما ملكت يمينك ﴾ قال ابن عباس ملك بعد هؤلاء مارية ﴿ وكان الله على كل شئ رقيبا ﴾ أي حافظا وفي الآية دليل على جواز النظر الى من يريد نكاحها من النساء ويدل عليه ما روى عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خطب أحدكم المرأة فان استطاع ان ينظر الى ما يدعوه الى نكاحها فليفعل أخرجه أبو داود (م) عن أبي هريرة ان رجـلا أراد أن يتزوج امرأة من الانصار فقال له النبي صلى الله عليـه وسلم انظر اليهـا فان في أعين الانصار شيأ قال الحميـدي يعـني هو الصغر عن المغيرة بن شعبة قال خطبت امرأة فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم هل نظرت اليها قلت لا قال فانظر اليها فانه أحرى أن يؤدم بينكما أخرجه الترمذي وقال حديث حسـن * قوله عز وجل ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيـوت النبي الا أن يؤذن لكم ﴾ الآية قال أكثر المفسرين نزلت هذه الآية في شأن وليمة زينب بنت جحش حين بنى بها رسول الله صلى الله عليه وسـلم (ق) عن أنس بن مالك انه كان ابن عشر سـنين مقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة قال فكانت أم هانئ تواظبني على خدمة رسول الله صـلى الله عليه وسلم فخدمته عشر سنين وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسـلم وأنا ابن عشرين سـنة وكنت أعلم الناس بشـأن الحجاب حين أنزل وكان أول ما نزل في مبتنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش حين أصبح النبي صلى الله عليه وسـلم بها عروسا فدعا القوم فاصابوا من الطعام ثم خرجوا وبقي رهط عند النبي صلى الله عليه وسلم فاطالوا المكث فقـام النبي صلى الله عليه وسلم فخرج وخرجت معه لكي يخرجوا فمشى النبي صلى الله عليه وسلم ومشيت معه حتى جاء عتبة حجرة عائشـة ثم ظن انهم قد خرجوا فرجع ورجعت معه حتى اذا دخل على زينب فاذاهم جلوس لم يقوموا فرجـع

باخرى (ولو أعجبك حسنهن) حسن المرأة فليس لك ان تتزوج بها (الا ما ملكت يمينك) مارية القبطية (وكان الله على كل شئ) من أعمالكم (رقيبا) حفيظا (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي) نزلت هذه الآية في قوم كانوا يدخلون في بيوت النبي صلى الله عليه وسلم غدوة وعشية فيجلسون وينتظرون حين الطعام حتى يأكلوا ثم يتحدثون مع نساء النبي عليه السلام فاغتم بذلك النبي صلى الله عليه وسلم واستحيا أن يأمرهم بالخروج وينهاهم عن الدخول فنهاهم الله عن ذلك فقال يا أيها الذين آمنوا (النبي) لا تدخلوا بيوت النبي بغير اذن النبي الى طعام غير ناظرين اناه نضجه وحينه (الا أن يؤذن لكم) بالدخول

الى طعام غير ناظرين اناه) ان يؤذن لكم فى موضع الحال أى لاتدخلوا الا مأذونا لكم أو فى معنى الظرف تقديره الاوقت أن يؤذن لكم وغير ناظرين حال من لاتدخلوا وقع الاستثناء على الحال والوقت معا كانه قيل لاتدخلوا بيوت النبى الاوقت الاذن ولاتدخلوها الاغير ناظرين أى غير منتظرين وهؤلاء قوم كانوا يتحينون طعام

رسول الله صلى الله عليه وسلم فيدخلون ويقعدون منتظرين لادراكه ومعناه لاتدخلوا ياأيها المتحينون للطعام الاأن يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه وانى الطعام ادراكه يقال انى الطعام انى كقولك قلاه قلى وقيل اناه وقته أى غير ناظرين وقت الطعام وساعة أكله وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم أولم على زينب بتمر وسويق وشاة وأمرأنسا أن يدعو بالناس فترادفوا أفواجا يأكل فوج ويخرج ثم يدخل فوج الى ان قال يارسول الله دعوت حتى ماأجد أحدا أدعوه فقال ارفعوا طعامكم وتفرق الناس وبقى ثلاثة نفر يتحدثون فاطالوا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخرجوا فطاف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجرات وسلم عليهن ودعون له ورجع فاذا الثلاثة جلوس يتحدثون وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم شديد الحياء فتولى فلما رأوه متوليا خرجوا فرجع ونزلت (ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا) فتفرقوا

وقت ان يؤذن لكم أوالا مأذونا لكم ﴿ الى طعام ﴾ متعلق بيؤذن لانه متضمن معنى يدعى للاشعار بانه لايحسن الدخول على الطعام من غير دعوة وان اذن كما اشعربه قوله ﴿ غير ناظرين اناه ﴾ غير منتظرين وقته أوادراكه وهو حال من فاعل لاتدخلوا أوالمجرور فى لكم وقرئ بالجر صفة لطعام فيكون جاريا على غير من هوله بلا ابراز الضمير وهو غير جائز عند البصريين وقد امال حمزة والكسائى اناه لانه مصدر انى الطعام اذا ادرك ﴿ ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا ﴾ تفرقوا ولا تمكثوا والآية خطاب لقوم كانوا يتحينون طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيدخلون ويقعدون منتظرين لادراكه مخصوصة بهم وبامثالهم والالما جاز لاحد ان يدخل بيوته بالاذن لغير الطعام ولااللبث بعد الطعام لمهم

النبى صلى الله عليه وسلم ورجعت حتى اذا بلغ عتبة حجرة عائشة وظن انهم قد خرجوا فرجع ورجعت معه فاذاهم قد خرجوا فضرب النبى صلى الله عليه وسلم بينى وبينه بالستر وأنزل الحجاب زاد فى رواية قال دخل يعنى النبى صلى الله عليه وسلم البيت وأرخى الستر وانى لفى الحجرة وهو يقول ياأيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوت النبى الاأن يؤذن لكم الى قوله والله لايستحيى من الحق (ق) عن عائشة ان أزواج النبى صلى الله عليه وسلم كن يخرجن بالليل اذا تبرزن الى المناصع وهو صعيد أفيح وكان عمر رضى الله عنه يقول للنبى صلى الله عليه وسلم احجب نساءك فلم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل فخرجت سودة بنت زمعة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ليلة من الليالى عشاء وكانت امرأة طويلة فناداها عمر ألاقد عرفناك ياسودة حرصا على أن ينزل الحجاب فانزل الله الحجاب المناصع المواضع الخالية لقضاء الحاجة من البول أو الغائط والصعيد وجه الارض والافيح الواسع (ق) عن أنس وابن عمر أن عمر قال وافقت ربى فى ثلاث قلت يارسول الله لواتخذت من مقام ابراهيم مصلى فنزل واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وقلت يارسول الله يدخل على نسائك البر والفاجر فلو أمرتهن أن يحتجبن فنزلت آية الحجاب واجتمع نساء النبى صلى الله عليه وسلم فى الغيرة فقلت عسى ربه ان طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن فنزلت كذلك وقال ابن عباس انها نزلت فى ناس من المسلمين كانوا يتحينون طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيدخلون عليه قبل الطعام قبل أن يدرك ثم يأكلون ولايخرجون وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتأذى بهم فنزلت الآية ياأيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوت النبى الاأن يؤذن لكم يعنى الاأن تدعوا ﴿ الى طعام ﴾ فيؤذن لكم فتأكلون ﴿ غير ناظرين اناه ﴾ يعنى منتظرين نضجه ووقت ادراكه ﴿ ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم ﴾ أى أكلتم الطعام ﴿ فانتشروا ﴾ أى فاخرجوا من منزله وتفرقوا

(الى طعام غير ناظرين اناه) نضجه وحينه (ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم) أكلتم (فانتشروا) فاخرجوا

(ولامستأنسين لحديث) هو مجرور معطوف على ناظرين أو منصوب أى ولا تدخلوها مستأنسين نهوا عن أن يطيلوا الجلوس يستأنس بعضهم ببعض لاجل حديث يحدثه به (ان ذلكم كان يؤذى النبي فيستحي منكم) من اخراجكم (والله لايستحي من الحق) يعنى ان اخراجكم حق ما ينبغى أن يستحيا منه ولما كان الحياء مما يمنع الحي من بعض الافعال قيل لايستحي من الحق أى لا يمتنع منه ولا يتركه ترك الحي منكم هذا أدب أدب الله به الثقلاء وعن عائشة رضى الله عنها حسبك فى الثقلاء ان الله تعالى لم يحتملهم وقال فاذا طعمتم فانتشروا (واذا سألتموهن) الضمير لنساء رسول الله صلى الله عليه وسلم لدلالة بيوت النبي لان فيها نساءه (متاعا) عارية أو حاجة (فاسئلوهن) المتاع (من رواء حجاب ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن) من خواطر الشيطان وعوارض الفتن وكانت النساء قبل نزول هذه الآية يبرزن للرجال وكان عمر رضى الله عنه يحب ضرب الحجاب عليهن ويود ان ينزل فيه وقال يارسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو امرت امهات المؤمنين بالحجاب فنزلت وذكر ان بعضهم قال أننهى ان نكلم بنات عمنا الا من وراء حجاب لئن مات محمد لأتزوجن فلانة فنزل (وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا) اى وما صح لكم ايذاء

﴿ ولامستأنسين لحديث ﴾ لحديث بعضكم بعضا أو لحديث اهل البيت بالتسمع له عطف على ناظرين أو مقدر بفعل اى ولا تدخلوا ولا تمكثوا مستأنسين ﴿ ان ذلكم ﴾ اللبث ﴿ كان يؤذى النبي ﴾ لتضييق المنزل عليه وعلى اهله واشتغاله فيما لا يعنيه ﴿ فيستحي منكم ﴾ من اخراجكم لقوله ﴿ والله لايستحي من الحق ﴾ يعنى ان اخراجكم حق فينبغى ان لا يترك حياء كما لم يتركه الله ترك الحي فامركم بالخروج وقرئ لا يستحى بحذف الياء الاولى والقاء حركتها على الحاء ﴿ واذا سألتموهن متاعا ﴾ شيأ ينتفع به ﴿ فاسألوهن ﴾ المتاع ﴿ من وراء حجاب ﴾ ستر روى ان عمر رضى الله عنه قال يارسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو امرت امهات المؤمنين بالحجاب فنزلت وقيل انه عليه الصلاة والسلام كان يطعم ومعه بعض اصحابه فاصابت يد رجل يد عائشة رضى الله عنها فكره النبي عليه الصلاة والسلام ذلك فنزلت ﴿ ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن ﴾ من الخواطر الشيطانية ﴿ وما كان لكم ﴾ وما صح لكم ﴿ ان تؤذوا رسول الله ﴾ ان تفعلوا ما يكرهه ﴿ ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا ﴾ من بعد وفاته

﴿ ولامستأنسين لحديث ﴾ أى لا تطيلوا الجلوس ليستأنس بعضكم بحديث بعض وكانوا يجلسون بعد الطعام يتحدثون فنهوا عن ذلك ﴿ إن ذلكم كان يؤذى النبي فيستحي منكم ﴾ أى فيستحي من اخراجكم ﴿ والله لايستحي من الحق ﴾ أى لا يترك تأديبكم وبيان الحق حياء ولما كان الحياء مما يمنع الحي من بعض الافعال قال لا يستحي من الحق بمعنى لا يمتنع منه ولا يتركه ترك الحي منكم وهذا أدب أدب الله به الثقلاء وقيل بحسبك من الثقلاء ان الله لم يحتملهم ﴿ واذا سألتموهن متاعا ﴾ أى واذا سألتم نساء النبي صلى الله عليه وسلم حاجة ﴿ فاسئلوهن من وراء حجاب ﴾ أى من وراء ستر فبعد آية الحجاب لم يكن لاحد ان ينظر الى امرأة من نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم متنقبة كانت أو غير متنقبة ﴿ ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن ﴾ أى من الريب ﴿ وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ﴾ أى ليس لكم أذاه فى شئ من الاشياء ﴿ ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا ﴾

(ولامستأنسين لحديث) ولا تجلسوا مستأنسين الحديث مع أزواج النبي صلى الله عليه وسلم (ان ذلكم) الدخول والجلوس والحديث مع أزواج النبي صلى الله عليه وسلم (كان يؤذى النبي) (نزلت) صلى الله عليه وسلم (فيستحي منكم) أن يأمركم بالخروج وينهاكم عن الدخول (والله لايستحي من الحق) من أن يأمركم بالخروج وينهاكم عن الدخول (واذا سألتموهن) كلمتموهن يعنى أزواج النبي صلى الله عليه وسلم (متاعا) كلاما لابد لكم منه (فاسألوهن) فكلموهن (من وراء حجاب) من خلف الستر (ذلكم) الذى ذكرت (أطهر لقلوبكم وقلوبهن) من الريبة (وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله) بالدخول عليه بغير اذنه والحديث مع أزواجه (ولا أن تنكحوا) تتزوجوا (أزواجه من بعده) من بعد موته (أبدا) نزلت هذه الآية فى طلحة بن عبيد الله أراد ان يتزوج بعائشة بعد

رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نكاح ازواجه من بعد موته (ان ذلكم كان عندالله عظيما) أى ذنبا عظيما (ان تبدوا شيأ) من ايذاء النبي صلى الله عليه وسلم اومن نكاحهن (أو تخفوه) فى انفسكم من ذلكم (فان الله كان بكل شئ عليما) فيعاقبكم به ولما نزلت آية الحجاب قال الآباء والابناء والاقارب يارسول الله أونحن ايضا نكلمهن من

وراء حجاب فنزل (لاجناح عليهن فى آبائهن ولا أبنائهن ولا اخوانهن ولا أبناء اخوانهن ولا أبناء اخواتهن ولا نسائهن) أى نساء المؤمنات (ولا ماملكت أيمانهن) أى لا اثم عليهن فى ان لا يحتجبن من هؤلاء ولم يذكر العم والخال لانهما يجريان مجرى الوالدين وقد جاءت تسمية العم ابا قال الله تعالى واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق واسمعيل عم يعقوب وعبيدهن عند الجمهور كالاجانب ثم نقل الكلام من الغيبة الى الخطاب وفى هذا النقل فضل تشديد كانه قيل

أوفراقه وخص التى لم يدخل بها لما روى ان اشعث بن قيس تزوج المستعيذة فى ايام عمر رضى الله عنه فهم برجمها فاخبر بانه عليه الصلاة والسلام فارقها قبل ان يمسها فترك من غير نكير ﴿ ان ذلكم ﴾ يعنى ايذاءه ونكاح نسائه ﴿ كان عندالله عظيما ﴾ ذنبا عظيما وفيه تعظيم من الله لرسوله وايجاب لحرمته حيا وميتا ولذلك بالغ فى الوعيد عليه فقال ﴿ ان تبدوا شيأ ﴾ كنكاحهن على ألسنتكم ﴿ أو تخفوه ﴾ فى صدوركم ﴿ فان الله كان بكل شئ عليما ﴾ فيعلم ذلك فيجازيكم به وفى هذا التعميم مع البرهان على المقصود مزيد تهويل ومبالغة فى الوعيد ﴿ لاجناح عليهن فى آبائهن ولا ابنائهن ولا اخوانهن ولا ابناء اخوانهن ولا ابناء اخواتهن ﴾ استيناف لمن لا يجب الاحتجاب عنهم روى انه لما نزلت آية الحجاب قال الآباء والابناء والاقارب يارسول أو نكلمهن ايضا من وراء حجاب فنزلت وانما لم يذكر العم والخال لانهما بمنزلة الوالدين ولذلك سمى العم ابا فى قوله تعالى واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق اولانه كره ترك الاحتجاب عنهما مخافة ان يصفا لابنائهما ﴿ ولا نسائهن ﴾ يعنى النساء المؤمنات ﴿ ولا ماملكت ايمانهن ﴾ من العبيد والاماء وقيل من الاماء خاصة وقدمر فى سورة

نزلت فى رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فلأنكحن عائشة قيل هو طلحة بن عبيدالله فاخبر الله ان ذلك محرم وقال ﴿ ان ذلكم كان عندالله عظيما ﴾ أى ذنبا عظيما وهذا من اعلام تعظيم الله لرسوله صلى الله عليه وسلم وايجاب حرمته حيا وميتا واعلامه بذلك مما طيب نفسه وسر قلبه واستفرغ شكره فان من الناس من تفرط غيرته على حرمته حتى يتمنى لها الموت قبله لئلا تنكح بعده ﴿ ان تبدوا شيأ ﴾ أى من أمر نكاحهن على ألسنتكم ﴿ أو تخفوه ﴾ أى فى صدوركم ﴿ فان الله كان بكل شئ عليما ﴾ أى يعلم سركم وعلانيتكم نزلت فيمن أضمر نكاح عائشة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل قال رجل من الصحابة مابالنا نمنع من الدخول على بنات أعمامنا فنزلت هذه الآية ولما نزلت آية الحجاب قال الآباء والابناء والاقارب لرسول الله ونحن أيضا يارسول الله نكلمهن من وراء حجاب فانزل الله عزوجل ﴿ لاجناح عليهن فى آبائهن ولا أبنائهن ولا اخوانهن ولا أبناء اخوانهن ولا أبناء اخواتهن ﴾ أى لا اثم عليهن فى ترك الحجاب عن هؤلاء الاصناف من الاقارب ﴿ ولا نسائهن ﴾ قيل أراد به النساء المسلمات حتى لا يجوز للكتابيات الدخول على ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل هو عام فى المسلمات والكتابيات وانما قال ولا نسائهن لانهن من أجناسهن ﴿ ولا ماملكت أيمانهن ﴾ اختلفوا فى ان عبد المرأة هل يكون محرما لها أم لا فقال قوم بل يكون محرما لقوله تعالى ولا ملكت أيمانهن وقال قوم العبد كالاجانب والمراد من الآية

موت النبي عليه السلام (ان ذلكم) الذى قلتم وتمنيتم من تزوج أزواجه بعد موته (كان عندالله عظيما) ذنبا عندالله عظيما فى العقوبة (ان تبدوا شيأ) تظهروا شيأ من ذلك (أو تخفوه) تسروه (فان الله كان بكل شئ) من الاسرار والابداء (عليما) يؤاخذكم به (لاجناح عليهن) على أزواج النبي عليه السلام وأزواج المؤمنين (فى آبائهن) فى دخول آبائهن عليهن وكلام آبائهن معهن (ولا أبنائهن ولا اخوانهن ولا أبناء اخوانهن ولا أبناء أخواتهن) من كلا الوجهين (ولا نسائهن) نساء أهل دينهن ولا يحل لمسلمة أن تتجرد عند يهودية أو نصرانية أو مجوسية (ولا ماملكت أيمانهن) الاماء دون العبيد

(واتقين الله) فيما امرتن به من الاحتجاب وانزل فيه الوحى من الاستتار واحتطن

النور ﴿ واتقين الله ﴾ فيما امرتن به ﴿ ان الله كان على كل شئ شهيدا ﴾ لايخفى عليه خافية ﴿ ان الله وملائكته يصلون على النبي ﴾ يعتنون باظهار شرفه وتعظيم شأنه ﴿ ياايها الذين آمنوا صلوا عليه ﴾ اعتنوا انتم ايضا فانكم اولى بذلك وقولوا اللهم صل على محمد ﴿ وسلموا تسليما ﴾ وقولوا السلام عليك ايها النبي وقيل وانقادوا لاوامره والآية تدل على وجوب الصلاة فى الجملة وقيل تجب الصلاة كلما جرى ذكره لقوله عليه الصلاة والسلام رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل على وقوله من ذكرت عنده فلم يصل على فدخل النار فابعده الله وتجوز الصلاة على غيره تبعا له وتكره استقلالا لانه فى العرف صار شعارا لذكر الرسل ولذلك كره ان يقال محمد عز وجل وان كان

الاماء دون العبيد ﴿ واتقين الله ﴾ أى ان يراكن أحد غير هؤلاء ﴿ ان الله كان على كل شئ ﴾ أى من أعمال العباد ﴿ شهيدا ﴾ * قوله عز وجل ﴿ ان الله وملائكته يصلون على النبي ﴾ قال ابن عباس أراد ان الله يرحم النبي والملائكة يدعون له وعنه أيضا يصلون يتبركون وقيل الصلاة من الله الرحمة ومن الملائكة الاستغفار فصلاة الله ثناؤه عليه عند ملائكته وصلاة الملائكة الدعاء ﴿ يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه ﴾ أى ادعوا له بالرحمة ﴿ وسلموا تسليما ﴾ أى حيوه بتحية الاسلام

فصل فى صفة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وفضلها

اتفق العلماء على وجوب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ثم اختلفوا فقيل تجب فى العمر مرة وهو الاكثر وقيل تجب فى كل صلاة فى التشهد الاخير وهو مذهب الشافعى واحدى الروايتين عن أحمد وقيل تجب كلما ذكر (١) واختاره الطحاوى من الحنفية والحليمى من الشافعية والواجب اللهم صل على محمد ومازاد سنة (ق) عن عبد الرحمن بن أبى ليلى قال لقينى كعب بن عجرة فقال ألا أهدى لك هدية ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج علينا فقلنا يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلى عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد (ق) عن أبى حميد الساعدى قال قالوا يا رسول الله كيف نصلى عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى أزواجه وذريته كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد وعلى ازواجه وذريته كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد (م) عن أبى مسعود البدرى قال أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن فى مجلس سعد بن عبادة فقال له بشير بن سعد أمرنا الله أن نصلى عليك يا رسول الله فكيف نصلى عليك فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تمنينا انه لم يسأله ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم فى العالمين انك حميد مجيد والسلام كما قد علمتم (م) عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على واحدة صلى الله عليه بها

فيه (ان الله كان على كل شئ شهيدا) عالما قال ابن عطاء الشهيد الذى يعلم خطرات القلوب كما يعلم حركات الجوارح (ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه) اى قولوا اللهم صل على محمدا وصلى الله على محمد (وسلموا تسليما) أى قولوا اللهم سلم على محمد اوانقادوا لامره وحكمه انقيادا وسئل عليه السلام عن هذه الآية فقال ان الله وكل بى ملكين فلا اذكر عند عبد مسلم فيصلى على الاقال ذانك الملكان غفر الله لك وقال الله وملائكته جوابا لذينك الملكين آمين ولا اذكر عند عبد مسلم فلا يصلى على الاقال ذانك الملكان لاغفر الله لك وقال الله وملائكته جوابا لذينك الملكين آمين ثم هى واجبة مرة عند الطحاوى وكلما ذكر اسمه عند الكرخى وهو الاحتياط وعليه الجمهور وان صلى على غيره على سبيل التبع كقوله صلى الله على النبي وآله فلا كلام فيه واما اذا افرد غيره من اهل البيت بالصلاة فمكروه وهو من شعائر الروافض

(واتقين الله) فى دخول هؤلاء عليكن وكلامكن معهم (ان الله كان على كل شئ) من أعمالكم (شهيدا ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه) بالدعاء (وسلموا تسليما) لامره (عشرا)

(١) قوله واختاره الطحاوى الخ ضعيف والمعتمد قول الكرخى انها واجبة مرة واما كلما ذكر فمستحبة افاده فى مجمع الانهر وبه تعلم ما فى كلام النسفى اه

عزيزا جليلا ﴿ ان الذين يؤذون الله ورسوله ﴾ يرتكبون مايكرهانه من الكفر والمعاصى او يؤذون رسول الله بكسر رباعيته وقولهم شاعر ومجنون ونحو ذلك وذكر الله للتعظيم له ومن جوز اطلاق اللفظ الواحد على معنيين فسره بالمعنيين باعتبار المعمولين ﴿ لعنهم الله ﴾ ابعدهم من رحمته ﴿ فى الدنيا والآخرة واعدلهم عذابا مهينا ﴾

عشرا * عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من صلى على صلاة واحدة صلى الله عليه بها عشرا وحطت عنه عشر خطيآت ورفعت له عشر درجات أخرجه الترمذى * وله عن أبى طلحة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء ذات يوم والبشر فى وجهه فقلت انا لنرى البشر فى وجهك قال أتانى الملك فقال يا محمد ان ربك يقول أما يرضيك أنه لا يصلى عليك أحد الا صليت عليه عشرا ولا يسلم عليك احد الا سلمت عليه عشرا * وله عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله ملائكة سياحين فى الارض يبلغونى عن أمتى السلام * عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان أولى الناس بى يوم القيامة أكثرهم على صلاة أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب * وله عن على بن أبى طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم البخيل الذى ذكرت عنده فلم يصل على أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب صحيح * عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره أن يكتال بالمكيال الاوفى اذا صلى علينا أهل البيت فليقل اللهم صل على محمد النبى الامى وأزواجه امهات المؤمنين وذريته وأهل بيته كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد أخرجه أبو داود * قوله عز وجل ﴿ ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة وأعدلهم عذابا مهينا ﴾ قال ابن عباس هم اليهود والنصارى والمشركون فاما اليهود فقالوا عزير ابن الله ويد الله مغلولة وقالوا ان الله فقير ونحن أغنياء وأما النصارى فقالوا المسيح ابن الله وثالث ثلاثة وأما المشركون فقالوا الملائكة بنات الله والاصنام شركاؤه (خ) عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل كذبنى ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمنى ولم يكن له ذلك فاما تكذيبه اياى فقوله لن يعيدنى كما بدأنى وليس أول الخلق بأهون على من اعادته وأما شتمه اياى فقوله اتخذ الله ولدا وأنا الاحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن كفوا أحد (ق) عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال قال الله عز وجل يؤذينى ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدى أقلب الليل والنهار معنى هذا الحديث أنه كان من عادة العرب فى الجاهلية أن يذموا الدهر ويسبوه عند النوازل لاعتقادهم ان الذى يصيبهم من أفعال الدهر فقال الله تعالى أنا الدهر أى أنا الذى أحل بهم النوازل وأنا فاعل لذلك الذى تنسبونه الى الدهر فى زعمكم وقيل معنى يؤذون الله يلحدون فى اسمائه وصفاته وقيل هم أصحاب التصاوير (ق) عن أبى هريرة قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول قال الله عز وجل ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقى فليخلقوا ذرة أو ليخلقوا حبة أو شعيرة وقيل يؤذون الله أى يؤذون أولياء الله كما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى من آذى لى وليا فقد آذنته بالحرب

(ان الذين يؤذون الله ورسوله) أى يؤذون رسول الله وذكر اسم الله للتشريف أو عبر بايذاء الله ورسوله عن فعل مالا يرضى به الله ورسوله كالكفر وانكار النبوة مجازا وانما جعل مجازا فيهما وحقيقة الايذاء يتصور فى رسول الله لئلا يجتمع المجاز والحقيقة فى لفظ واحد (لعنهم الله فى الدنيا والآخرة) طردهم الله عن رحمته فى الدارين (واعدلهم عذابا مهينا) فى الآخرة

(ان الذين يؤذون الله ورسوله) بالفرية عليهما نزلت هذه الآية فى اليهود والنصارى (لعنهم الله) عذبهم الله (فى الدنيا) بالقتل والاجلاء (والآخرة) فى النار (وأعدلهم عذابا مهينا) يهانون به

(والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنـات بغيرما اكتسبوا) أطلق ايذاء الله ورسوله وقيد ايذاء المؤمنين والمؤمنات لان ذاك يكون غير حق أبدا وأما هذا فمنه حق كالحد والتعزير ومنه باطل قيل نزلت فى ناس من المنـافقين يؤذون عليا رضى الله عنـه ويسمعونه وقيل فى زناة كانوا يتبعون النساء وهن كارهات وعن الفضيل لايحل لك أن تؤذى كلبـا أو خنزيرا بغير حق فكيف أيذاء المؤمنين والمؤمنات (فقد احتملوا) تحملوا (بهتانا) كذبا عظيما (واثما مبينا) ظاهرا (ياايها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلا بيبهن) الجلباب مايستر الكل مثل الملحفة عن المبرد ومعنى يدنين عليهن من جلابيبهن يرخينها عليهن ويغطين بها وجوههن وأعطافهن يقال اذا زال الثوب عن وجه المرأة ادن ثوبك على وجهك ومن للتبعيض اى ترخى بعض جلبابها وفضله على وجهها تتقنع حتى تميز من الامة أو المراد ان يجلببن ببعض مالهن من الجلابيب وأن لاتكون المرأة متبذلة فى درع وخمار كالأمة ولها جلبابان فصاعدا فى بيتها وذلك ان النساء فى أول الاسلام على هجيراهن فى الجاهلية متبذلات تبرز المرأة فى درع وخمار لافصل بين الحرة والامة وكان الفتيان يتعرضون اذا خرجن بالليل لقضاء حوائجهن فى النخيل والغيطان للاماء ربما تعرضوا للحرة لحسبان الامـة فامرن ان يخالفن بزيهن عن زى الاماء بلبس الملاحف وستر الرؤس والوجـوه فلايطمع فيهن طامع وذلك قوله (ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين) أى أولى وأجدر بان يعرفن فلايتعرض لهن

يهيهم مع الايلام ﴿ والذين يؤذون المؤمـنين والمؤمنـات بغيرما اكتسبوا ﴾ بغير جناية استحقوا بهـا ﴿ فقـد احتملوا بهتـانا واثما مبينـا ﴾ ظاهرا قيل انهـا نزلت فى المنافقين يؤذون عليـا رضى الله عنه وقيل فى اهل الافك وقيل فى زناة كانوا يتبعون النساء وهن كارهات ﴿ ياايها النبى قل لأزواجك وبنـاتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ﴾ يغطين وجوههن وابدانهن بملاحفهن اذا برزن لحاجـة ومن للتبعيض فان المرأة ترخى بعض جلبابهـا وتتلفع ببعض ﴿ ذلك ادنى ان يعرفن ﴾ يميزن من الاماء والقينات ﴿ فلايؤذين ﴾ فلايؤذيهن اهل الريبة بالتعرض لهن

وقال تعالى من أهان لى وليا فقد بارزنى بالمحـاربة ومعنى الاذى هو مخالفة أمر الله تعالى وارتكاب معاصيه ذكر ذلك على مايتعارفه الناس بينهم لان الله تعالى منزه عن أن يلحقه أذى من أحد وأما ايذاء الرسول فقال ابن عباس هو أنه شج وجهه وكسرت رباعيته وقيل ساحر شاعر معلم مجنون ﴿ والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغيرما اكتسبوا ﴾ أى من غير أن عملوا ماأوجب أذاهم وقيل يقعون فيهم ويرمونهم بغير جرم ﴿ فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا ﴾ قيل انها نزلت فى على بن أبى طالب كانوا يؤذونه ويسمعونه وقيل نزلت فى شأن عائشة وقيل نزلت فى الزناة الذين كانوا يمشون فى طرق المدينة يتبعون النساء اذا برزن بالليل لقضاء حوائجهن فيتبعون المرأة فان سكتت تبعوها وان زجرتهم انتهوا عنها ولم يكون يطلبون الا الاماء ولكن كانوا لايعرفون الحرة من الامة لان زى الكل كان واحدا تخرج الحرة والامة فى درع وخمار فشكوا ذلك الى ازواجهن فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات الآية ثم نهى الحرائر أن يتشبهن بالاماء فقال تعالى ﴿ ياأيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين ﴾ أى يرخين ويغطين ﴿ عليهن من جلابيبهن ﴾ جمع جلباب وهو الملاءة التى تشتمل بها المرأة فوق الدرع والخمار وقيل هو الملحفة وكل مايستتر به من كساء وغيره قال ابن عباس أمر نساء المؤمنين أن يغطين رؤسهن ووجوههن بالجلابيب الا عينا واحدة ليعلم أنهن حرائر وهو قوله تعالى ﴿ ذلك أدنى أن يعرفن فلايؤذين ﴾ أى لايتعرض

(والذين يؤذون المؤمنين) يعنى صفوان (والمؤمنات) يعنى عائشة بالفرية (بغيرما اكتسبوا) يعنى ما كان منهم (لهن) ذلك (فقد احتملوا) قالوا (بهتانا واثما) كذبا (مبينا) بينا ويقال نزلت هذه الآية فى حق زناة بالمدينة كانوا يؤذون بذلك المؤمنين والمؤمنات فنهاهم الله عن ذلك فانتهوا (يا أيها النبى قل لأزواجك) لنسائك (وبناتك) يعنى بنـات النبى صلى الله عليه وسلم (ونسـاء المؤمنين يدنين عليهن) يرخين عليهن على نحورهن وجيوبهن (من جلابيبهن) من جلبابهن وهى المقنعة والرداء (ذلك) الذى ذكرت من أمر الجلباب (أدنى) أحرى (أن يعرفن) بالحرائر (فلايؤذين) فلايؤذونهن الزناة

(وكان الله غفورا) لما سلف منهن من التفريط (رحيما) بتعليمهن آداب المكارم (لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض)فجورهم الزناة من قوله فيطمع الذى فى قلبه مرض (والمرجفون فى المدينة)هم أناس كانوا يرجفون أخبار السوء من سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون هزموا وقتلوا وجرى عليهم كيت وكيت فيكسرون بذلك قلوب المؤمنين يقال أرجف بكذا اذا أخبر به على غير حقيقة لكونه خبرا متزلزلا غير ثابت من الرجفة وهى الزلزلة (لنغرينك بهم) لنأمرنك بقتالهم أو لنسلطنك عليهم (ثم لا يجاورونك فيها) فى المدينة وهو عطف على لنغرينك لانه يجوز عن أن يجاب به القسم لصحة قولك لئن لم ينتهوا لا يجاورونك ولما كان الجلاء عن الوطن أعظم من جميع ما أصيبوا به

﴿ وكان الله غفورا ﴾ لما سلف ﴿ رحيما ﴾ بعباده حيث يراعى مصالحهم حتى الجزئيات منها ﴿ لئن لم ينته المنافقون ﴾ عن نفاقهم ﴿ والذين فى قلوبهم مرض ﴾ ضعف ايمان وقلة ثبات عليه اوفجور عن تزلزلهم فى الدين اوفجورهم ﴿ والمرجفون فى المدينة ﴾ يرجفون اخبار السوء عن سرايا المسلمين ونحوها من ارجافهم واصله التحريك من الرجفة وهى الزلزلة سمى به الاخبار الكاذب لكونه متزلزلا غير ثابت ﴿ لنغرينك بهم ﴾ لنأمرنك بقتالهم واجلائهم أو ما يضطرهم الى طلب الجلاء ﴿ ثم لا يجاورونك ﴾ عطف على لنغرينك وثم للدلالة على ان الجلاء ومفارقة جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم اعظم ما يصيبهم ﴿ فيها ﴾ فى المدينة ﴿ الا قليلا ﴾ زمانا قليلا أو جوارا قليلا ﴿ ملعونين ﴾ نصب على الشتم أو الحال والاستثناء شامل له ايضا اى لا يجاورونك الا ملعونين ولا يجوز ان ينتصب عن قوله ﴿ اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا ﴾ لان ما بعد كلمة الشرط لا يعمل فيما قبلها ﴿ سنة الله فى الذين خلوا من قبل ﴾

لهن ﴿ وكان الله غفورا رحيما ﴾ أى لما سلف منهن قال أنس مرت بعمر بن الخطاب جارية متنقبة فعلاها بالدرة وقال يا لكاع أتتشبهين بالحرائر ألقى القناع لكاع كلمة تقال لمن يستحقر به مثل العبد والامة والخامل والقليل العقل مثل قولك يا خسيس ❊ قوله تعالى ﴿ لئن لم ينته المنافقون ﴾ أى عن نفاقهم ﴿ والذين فى قلوبهم مرض ﴾ أى فجور وهم الزناة ﴿ والمرجفون فى المدينة ﴾ أى بالكذب وذلك ان ناسا منهم كانوا اذا خرجت سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوقعون فى الناس انهم قد قتلوا وهزموا ويقولون قد أتاكم العدو ونحو هذا من الاراجيف وقيل كانوا يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا وتفشوا الاخبار ﴿ لنغرينك بهم ﴾ أى لنحرشنك بهم ولنسلطنك عليهم ﴿ ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا ﴾ أى لا يساكنونك فى المدينة الا قليلا أى حتى يخرجوا منها وقيل لنسلطنك عليهم حتى تقتلهم وتخلى منهم المدينة ﴿ ملعونين ﴾ أى مطرودين ﴿ أينما ثقفوا ﴾ أى وجدوا أو أدركوا ﴿ أخذوا وقتلوا تقتيلا ﴾ أى الحكم فيهم هذا على الامر به ﴿ سنة الله ﴾ أى كسنة الله ﴿ فى الذين خلوا من قبل ﴾ أى فى المنافقين والذين

عطف بثم لبعد حاله عن حال المعطوف عليه (الا قليلا) زمانا قليلا والمعنى لئن لم ينته المنافقون عن عداوتهم وكيدهم والفسقة عن فجورهم والمرجفون عما يؤلفون من أخبار السوء لنأمرنك بان تفعل الافعال التى تسوءهم ثم بان تضطرهم الى طلب الجلاء عن المدينة والى أن لا يساكنوك فيها الا زمانا قليلا ريثما يرتحلون فسمى ذلك اغراء وهو التحريش على سبيل المجاز (ملعونين) نصب على الشتم أو الحال أى لا يجاورونك الا ملعونين فالاستثناء دخل على الظرف والحال معا كما مر ولا ينتصب عن أخذوا لان ما بعد حروف الشرط لا يعمل فيما قبلها (أينما ثقفوا) وجدوا (أخذوا وقتلوا تقتيلا) والتشديد يدل على التكثير

(سنة الله) فى موضع مصدر مؤكد أى سن الله فى الذين ينافقون الانبياء ان يقتلوا أينما وجدوا (فى الذين خلوا) مضوا (من قبل

(وكان الله غفورا) عما كان منهن (رحيما) فيما يكون منهن (لئن لم ينته المنافقون) عبد الله بن أبى وأصحابه عن المكر والخيانة (والذين فى قلوبهم مرض) شهوة الزنا وهم الزناة (والمرجفون فى المدينة)الطالبون عيوب المؤمنين فى المدينة وهم المؤلفة (لنغرينك بهم) لنسلطنك عليهم (ثم لا يجاورونك فيها) لا يساكنون معك فى المدينة (الا قليلا) يسيرا (ملعونين) مقتولين (أينما ثقفوا) وجدوا (أخذوا وقتلوا تقتيلا سنة الله) هكذا كان عذاب الله فى الدنيا (فى الذين خلوا)مضوا (من قبل) من قبلهم

ولن تجد لسنة الله تبديلا) أى لايبدل الله سنته بل يجريها مجرى واحدا فى الامم (يسئلك الناس عن الساعة) كان المشركون يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت قيام الساعة استعجالا على سبيل الهزء واليهود يسألونه امتحانا لان الله تعالى عمى وقتها فى التوراة وفى كل كتاب فامر رسوله بان يجيبهم بانه علم قد استأثر الله به ثم بين لرسوله انها قريبة الوقوع تهديدا للمستعجلين واسكاتا للممتحنين بقوله (قل انما علمها عند الله ومايدريك لعل الساعة تكون قريبا) شيأ قريبا أو لان الساعة فى معنى الزمان (ان الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا) نارا شديدة الاتقاد (خالدين فيها أبدا) هذا يرد مذهب الجهمية لانهم يزعمون ان الجنة والنار تفنيان ولا وقف على سعيرا لان قوله خالدين فيها حال عن الضمير فى لهم (لايجدون وليا ولا نصيرا) ناصرا يمنعهم اذكر (يوم تقلب وجوههم فى النار) تصرف فى الجهات كما ترى البضعة تدور فى القدر اذا غلت وخصصت الوجوه لان الوجه أكرم موضع على الانسان من جسده أو يكون الوجه عبارة عن الجملة (يقولون) حال (ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا) فنتخلص من هذا العذاب فتمنوا حين لاينفعهم التمنى (وقالوا ربنا انا أطعنا سادتنا) جمع سيد ساداتنا شامى وسهل ويعقوب جمع الجمع والمراد رؤساء الكفرة الذين لقنوهم الكفر وزينوه لهم (وكبراءنا) ذوى

مصدر مؤكد اى سن الله ذلك فى الامم الماضية وهو ان يقتل الذين نافقوا الانبياء وسعوا فى وهنهم بالارجاف ونحوه اينما ثقفوا ﴿ ولن تجد لسنة الله تبديلا ﴾ لانه لايبدلها اولايقدر احد ان يبدلها ﴿ يسئلك الناس عن الساعة ﴾ عن وقت قيامها استهزاء وتعنتا أو امتحانا ﴿ قل انما علمها عند الله ﴾ لم يطلع عليه ملكا ولا نبيا ﴿ ومايدريك لعل الساعة تكون قريبا ﴾ شيأ قريبا أو تكون الساعة عن قريب وانتصابه على الظرف ويجوز ان يكون التذكير لان الساعة فى معنا اليوم وفيه تهديد للمستعجلين واسكات للمتعنتين ﴿ ان الله لعن الكافرين واعد لهم سعيرا ﴾ نارا شديدة الاتقاد ﴿ خالدين فيها ابدا لايجدون وليا ﴾ يحفظهم ﴿ ولا نصيرا ﴾ يدفع العذاب عنهم ﴿ يوم تقلب وجوههم فى النار ﴾ تصرف من جهة الى جهة كاللحم يشوى بالنار أو من حال الى حال • وقرئ تقلب بمعنى تتقلب ونقلب ومتعلق الظرف ﴿ يقولون ياليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا ﴾ فلن نبتلى بهذا العذاب ﴿ وقالوا ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا ﴾

فعلوا امثل مافعل هؤلاء أن يقتلوا حيثما ثقفوا ﴿ ولن تجد لسنة الله تبديلا ﴾ قوله عز وجل ﴿ يسئلك الناس عن الساعة ﴾ قيل ان المشركين كانوا يسئلون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت قيام الساعة استعجالا على سبيل الهزء وكان اليهود يسئلونه عن الساعة امتحانا لان الله تعالى عمى عليهم علم وقتها فى التوراة فامر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يجيبهم بقوله ﴿ قل انما علمها عند الله ﴾ يعنى ان الله تعالى قد استأثر به ولم يطلع عليه نبيا ولا ملكا ﴿ ومايدريك ﴾ أى أى شئ يعلمك أمر الساعة ومتى يكون قيامها ﴿ لعل الساعة تكون قريبا ﴾ أى انها قريبة الوقوع وفيه تهديد للمستعجلين واسكات للممتحنين ﴿ ان الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا خالدين فيها أبدا لايجدون وليا ولا نصيرا يوم تقلب وجوههم فى النار ﴾ أى تتقلب ظهرا لبطن حين يسحبون عليها ﴿ يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا ﴾ أى فى الدنيا ﴿ وقالوا ربنا انا أطعنا سادتنا وكبراءنا ﴾ يعنى رؤس

من المنافقين لما كابروا النبيين والمؤمنين أمر الله أنبياءهم ان يقتلوهم (ولن تجد لسنة الله) لعذاب الله (تبديلا) تغييرا فلما نزلت هذه الآية فيهم فانتهوا عن ذلك (يسئلك الناس) أهل مكة (عن الساعة) عن قيام الساعة (قل) يا محمد (انما علمها) (الكفر) علم قيامها (عند الله ومايدريك) ولم تدر (لعل الساعة تكون قريبا) سريعا (ان الله لعن) عذب (الكافرين) كفار مكة يوم بدر (وأعد لهم سعيرا) نارا وقودا (خالدين فيها) فى النار (أبدا) لايموتون ولايخرجون منها (لايجدون وليا) حافظا يحفظهم من عذاب الله (ولا نصيرا) مانعا يمنعهم من عذاب الله (يوم تقلب) تجر (وجوههم فى النار يقولون) يعنى القادة والسفلة (ياليتنا أطعنا الله) بالايمان (وأطعنا الرسولا) بالاجابة (وقالوا) يعنى السفلة (ربنا) ياربنا (انا أطعنا سادتنا) رؤساءنا (وكبراءنا) أشرافنا وعظماءنا

الاسنان منا وعلماءنا (فاضلونا السبيلا) يقال ضل السبيل وأضله اياه وزيادة الألف لاطلاق الصوت جعلت فواصل الآى كقوافى الشعر وفائدتها الوقف والدلالة على ان الكلام قد انقطع وان مابعده مستأنف

يعنون قادتهم الذين لقنوهم الكفر و قرأ ابن عامر ويعقوب ساداتنا على جمع الجمع للدلالة على الكثرة ﴿ فاضلونا السبيلا ﴾ بما زينوا لنا ﴿ ربنا آتهم ضعفين من العذاب ﴾ مثلى ما آتيتنا منه لأنهم ضلوا واضلوا ﴿ والعنهم لعنا كثيرا ﴾ كثير العدد وقرأ عاصم بالباء اى لعنا هو اشد اللعن واعظمه ﴿ ياايها الذين آمنوا لاتكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا ﴾ فاظهر براءته من مقولهم يعنى مؤداه ومضمونه وذلك ان قارون حرض امرأة على قذفه بنفسها فعصمه الله كما مر فى القصص اواتهمه ناس بقتل هرون لما خرج معه الى الطور فمات هناك فحملته الملائكة ومروا به عليهم حتى رأوه غير مقتول وقيل احياه الله فاخبرهم ببراءة موسى اوقذفوه بعيب فى بدنه من برص اوادرة لفرط تستره حياء فاطلعهم الله انه برئ منه ﴿ وكان عند الله وجيها ﴾ ذا قربة ووجاهة وقرئ وكان عبدالله وجيها

(ربنا آتهم ضعفين من العذاب) للضلال والاضلال (والعنهم لعنا كبيرا) بالباء عاصم ليدل على أشد اللعن وأعظمه وغيره بالثاء تكثيرا لاعداد اللعائن ونزل فى شأن زيد وزينب وماسمع فيه من قالة بعض الناس (يا أيها الذين آمنوا لاتكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا) مامصدرية اوموصولة وأيهما كان فالمراد البراءة عن مضمون القول ومؤداه وهوالامر المعيب وأذى موسى عليه السلام هو حديث المومسة التى أرادها قارون على قذفه بنفسها أواتهامهم اياه بقتل هارون فاحياه الله تعالى فاخبرهم ببراءة موسى عليه السلام كما برأ نبينا عليه السلام بقوله ما كان محمد أبا أحد من رجالكم (وكان عندالله وجيها) ذا جاه ومنزلة مستجاب الدعوة وقرأ ابن مسعود والاعمش وكان عبدالله وجيها

الكفر الذين لقنوهم الكفر وزينوه لهم ﴿ فاضلونا السبيلا ﴾ يعنى عن سبيل الهدى ﴿ ربنا آتهم ﴾ يعنون السادة والكبراء ﴿ ضعفين من العذاب ﴾ يعنى ضعفى عذاب غيرهم ﴿ والعنهم لعنا كبيرا ﴾ أى لعنا متتابعا * قوله تعالى ﴿ ياأيها الذين آمنوا لاتكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا ﴾ أى فطهره الله مما قالوه فيه ﴿ وكان عندالله وجيها ﴾ أى كريما ذا جاه وقدر قال ابن عباس كان حظيا عندالله لايسأل الله شيأ الا أعطاه وقيل كان مستجاب الدعوة وقيل كان محببا مقبولا واختلفوا فيما أوذى به موسى فروى أبوهريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كانت بنواسرائيل يغتسلون عراة ينظر بعضهم الى سوأة بعض وكان موسى عليه السلام يغتسل وحده فقالوا والله مايمنع موسى أن يغتسل معنا الا أنه آدر قال فذهب مرة يغتسل فوضع ثوبه على حجر ففر الحجر بثوبه قال فجمح موسى بأثره يقول ثوبى حجر ثوبى حجر حتى نظرت بنواسرائيل الى سوأة موسى فقالوا والله مابموسى من بأس فقام الحجر حتى نظر اليه قال فاخذ ثوبه فطفق بالحجر ضربا قال أبو هريرة والله ان بالحجر ندبا ستة أوسبعة من ضرب موسى الحجر أخرجه البخارى ومسلم * وللبخارى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان موسى كان رجلا حييا ستيرا لايرى شئ من جسده استحياء منه فآذاه من آذاه من بنى اسرائيل فقالوا مايستتر هذا التستر الا من عيب بجلده اما برص واما أدرة واما آفة وان الله أراد أن يبرئه مما قالوا لموسى فخلا يوما وحده فوضع ثيابه على الحجر ثم اغتسل فلما فرغ أقبل الى ثيابه ليأخذها وان الحجر عدا بثوبه فاخذ موسى العصا وطلب الحجر وجعل يقول ثوبى حجر ثوبى حجر حتى انتهى الى ملأ من بنى اسرائيل ورأوه عريانا أحسن ماخلق الله وبرأه مما يقولون وقام الحجر فاخذ ثوبه فلبسه وطفق بالحجر ضربا بعصاه فوالله ان بالحجر لندبا من أثر الضرب ثلاثا أوأربعا أوخمسا فذلك قوله تعالى ياأيها الذين آمنوا لاتكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عندالله وجيها * الادرة عظم الخصية لنفخة فيها * وقوله فجمح أى أسرع * وقوله ثوبى حجر أى دع ثوبى ياحجر * قوله وطفق أى جعل يضرب الحجر * وقوله ندبا هو

(فاضلونا السبيلا) فصرفونا عن الدين (ربنا) يقولون يا ربنا (آتهم) أعطهم يعنى الرؤساء (ضعفين من العذاب) مما علينا (والعنهم لعنا كبيرا) عذبهم عذابا كبيرا (ياأيها الذين آمنوا لا تكونوا) فى ايذاء محمد صلى الله عليه وسلم (كالذين آذوا موسى) قالوا انه آدر (فبرأه الله مما قالوا وكان عندالله وجيها) له القدر والمنزلة

(ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا) صدقا وصوابا أو قاصدا الى الحق والسداد القصد الى الحق والقول بالعدل والمراد نهيهم عما خاضوا فيه من حديث زينب من غير قصد وعدل فى القول والبعث على ان يسددوا قولهم فى كل باب لان حفظ اللسان وسداد القول رأس كل خير ولا تقف على سديدا لان جواب الامر قوله (يصلح لكم أعمالكم) يقبل طاعاتكم أو يوفقكم لصالح العمل (ويغفر لكم ذنوبكم) أى يمحها والمعنى راقبوا الله فى حفظ ألسنتكم وتسديد قولكم فانكم ان فعلتم ذلك أعطاكم ماهو غاية الطلبة من تقبل حسناتكم والانابة عليها ومن مغفرة سيآتكم وتكفيرها وهذه الآية مقررة للتى قبلها بنيت تلك على النهى عما يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه على الامر باتقاء الله فى حفظ اللسان ليترادف عليهم النهى والامر مع اتباع النهى ما يتضمن الوعيد من قصة موسى عليه السلام واتباع الامر الوعد البليغ فيقوى الصارف عن الاذى والداعى الى تركه ولما علق بالطاعة الفوز العظيم بقوله (ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما) أتبعه قوله (انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال) وهو يريد بالامانة الطاعة لله وبحمل الامانة الخيانة يقال فلان حامل للامانة ومحتمل لها أى لا يؤديها الى صاحبها حتى تزول عن ذمته اذ الامانة كانها راكبة للمؤتمن عليها وهو حاملها ولهذا يقال ركبته الديون ولى عليه حق فاذا أداها لم تبق راكبة له ولا هو حامل لها يعنى ان هذه الاجرام العظام من السموات والارض والجبال قد انقادت لامر الله انقياد مثلها وهو ما يتأتى من الجمادات واطاعت له الطاعة التى تليق بها حيث لم تمتنع على مشيئته

﴿ ياايها الذين آمنوا اتقوا الله ﴾ فى ارتكاب مايكرهه فضلا عما يؤذى رسوله ﴿ وقولوا قولا سديدا ﴾ قاصدا الى الحق من سد يسد سدادا والمراد النهى عن ضده كحديث زينب من غير قصد ﴿ يصلح لكم اعمالكم ﴾ يوفقكم للاعمال الصالحة او يصلحها بالقبول والاثابة عليها ﴿ ويغفر لكم ذنوبكم ﴾ ويجعلها مكفرة باستقامتكم فى القول والعمل ﴿ ومن يطع الله ورسوله ﴾ فى الاوامر والنواهى ﴿ فقد فاز فوزا عظيما ﴾ يعيش فى الدنيا حميدا وفى الآخرة سعيدا ﴿ انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال

بفتح النون والدال وهو الاصح وأصله أثر الجرح اذا لم يرتفع عن الجلد فشبه به الضرب بالحجر والمحدثون يقولون ندبا بسكون الدال وقيل فى معنى الآية ان اذاهم اياه انه لما مات هرون فى التيه ادعوا على موسى انه قتله فامر الله تعالى الملائكة حتى مروا به على بنى اسرائيل فعرفوا أنه لم يقتله فبرأه الله مما قالوا وقيل ان قارون استاجر بغيا لتقذف موسى بنفسها على رأس الملأ فعصمها الله وبرأ موسى من ذلك وأهلك قارون (ق) عن عبد الله بن مسعود قال لما كان يوم حنين آثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ناسا فى القسمة فاعطى الاقرع بن حابس مائة من الابل وأعطى عيينة بن حصن مثل ذلك وأعطى ناسا من أشراف العرب وآثرهم فى القسمة فقال رجل والله ان هذه قسمة ماعدل فيها وما أريد بها وجه الله فقلت والله لاخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فاتيته فاخبرته بما قال فتغير وجهه حتى كان كالصرف ثم قال فمن يعدل اذا لم يعدل الله ورسوله ثم قال يرحم الله موسى قد أوذى باكثر من هذا فصبر * الصرف بكسر الصاد صبغ أحمر يصبغ به الاديم ❁ قوله تعالى ﴿ ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا ﴾ قال ابن عباس صوابا وقيل عدلا وقيل صدقا وقيل هو قول لا اله الا الله ﴿ يصلح لكم أعمالكم ﴾ قال ابن عباس يتقبل حسناتكم ﴿ ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما ﴾ أى ظفر بالخير العظيم ❁ قوله عز وجل ﴿ انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال ﴾ الآية قال ابن عباس أراد بالامانة الطاعة والفرائض التى فرضها الله على عباده عرضها على السموات والارض والجبال على انهم اذا أدوها أثابهم وان ضيعوها عذبهم وقال ابن مسعود الامانة أداء الصلوات وايتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت وصدق

(ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله) أطيعوا الله فيما أمركم (وقولوا قولا سديدا) عدلا لا اله الا الله (يصلح لكم أعمالكم) يقبل أعمالكم بالتوحيد (ويغفر لكم ذنوبكم) بالتوحيد (ومن يطع الله) فيما أمره (ورسوله) فيما أمره (فقد فاز فوزا عظيما) فقد فاز بالجنة ونجا من النار نجاة وافرة (انا عرضنا الامانة) الطاعة والعبادة (على السموات) على أهل السموات (والارض والجبال) على وجه الاختيار والتخصيص

﴿ فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان ﴾ تقرير للوعد السابق بتعظيم الطاعة وسماها امانة من حيث انها واجبة الاداء والمعنى انها لعظمة شأنها بحيث لو عرضت على هذه الاجرام العظام وكانت ذات شعور وادراك لأبين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان مع ضعف بنيته ورخاوة قوته لاجرم فاز الراعي لها والقائم بحقوقها بخير الدارين ﴿ انه كان ظلوما ﴾ حيث لم يف بها ولم يراع حقها ﴿ جهولا ﴾ بكنه عاقبتها وهذا وصف للجنس باعتبار الاغلب وقيل المراد بالامانة الطاعة التي تعم الطبيعية والاختيارية وبعرضها استدعاؤها الذي يعم طلب الفعل من المختار وارادة صدوره من غيره وبحملها الخيانة فيها والامتناع عن ادائها ومنه قولهم حامل الامانة ومحتملها لمن لا يؤديها فيبرأ

الحديث وقضاء الدين والعدل في المكيال والميزان وأشد من هذا كله الودائع وقيل جميع ما أمروا به ونهوا عنه وقيل هي الصوم وغسل الجنابة وما يخفى من الشرائع وقال عبد الله ابن عمرو بن العاص أول ما خلق الله من الانسان الفرج وقال هذه الامانة استودعكها فالفرج امانة والاذن امانة والعين امانة واليد امانة والرجل امانة ولا ايمان لمن لا امانة له وفي رواية عن ابن عباس هي امانات الناس والوفاء بالعهود فحق على كل مؤمن ان لا يغش مؤمنا ولا معاهدا في شيء لا في قليل ولا كثير فعرض الله تعالى هذه الامانة على اعيان السموات والارض والجبال وهذا قول جماعة من التابعين وأكثر السلف فقال لهن اتحملن هذه الامانة بما فيها قلن وما فيها قال ان أحسنتن جوزيتن وان عصيتن عوقبتن قلن لا يارب نحن مسخرات لامرك لا نريد ثوابا ولا عقابا وقلن ذلك خوفا وخشية وتعظيما لدين الله تعالى ان لا يقوموا بها لا معصية ولا مخالفة لامره وكان العرض عليهن تخييرا لا الزاما ولو الزمهن لم يمتنعن من حملها والجمادات كلها خاضعة لله عز وجل مطيعة لامره ساجدة له قال بعض أهل العلم ركب الله تعالى فيهن العقل والفهم حين عرض عليهن الامانة حتى عقلن واجبن بما اجبن وقيل المراد من العرض على السموات والارض هو العرض على أهلها من الملائكة دون اعيانها والقول الاول أصح وهو قول العلماء ﴿ فابين ان يحملنها واشفقن منها ﴾ اى خفن من الامانة ان لا يؤدينها فيلحقهن العقاب ﴿ وحملها الانسان ﴾ يعني آدم قال الله عز وجل لآدم اني عرضت الامانة على السموات والارض والجبال فلم تطقها فهل أنت آخذها بما فيها قال يارب وما فيها قال ان أحسنت جوزيت وان اسأت عوقبت فتحملها آدم فقال بين اذني وعاتقي قال الله اما اذا تحملت فسأعينك واجعل لبصرك حجابا فاذا خشيت ان لا تنظر الى ما يحل فأرخ عليه حجابه واجعل للسانك لحيين وغلاقا فاذا خشيت فاغلقه واجعل لفرجك لباسا فلا تكشفه على ما حرمت عليك قال مجاهد فما كان بين أن تحملها وبين ان اخرج من الجنة الا مقدار ما بين الظهر والعصر وقيل ان ما كلف الانسان حمله بلغ من عظمه وثقل محمله انه عرض على أعظم ما خلق الله تعالى من الاجرام واقواه واشده ان يحتمله ويستقل به فأبى حمله واشفق منه وحمله الانسان على ضعفه وضعف قوته ﴿ انه كان ظلوما جهولا ﴾

وارادته ايجادا وتكوينا وتسوية على هيآت مختلفة وأشكال متنوعة كما قال ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين وأخبر ان الشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب يسجدون لله وان من الحجارة لما يهبط من خشية الله واما الانسان فلم تكن حاله فيما يصح منه من الطاعة ويليق به من الانقياد لاوامر الله ونواهيه وهو حيوان عاقل صالح للتكليف مثل حال تلك الجمادات فيما يصح منها ويليق بها من الانقياد وعدم الامتناع وهذا معنى قوله (فأبين أن يحملنها) أي ابين الخيانة وان لا يؤدينها (وأشفقن منها) وخفن من الخيانة فيها (وحملها الانسان) أي خان فيها أبي ان لا يؤديها (انه كان ظلوما) لكونه تاركا لاداء الامانة (جهولا) لاخطائه ما يسعده مع تمكنه منه وهو أداؤها قال الزجاج الكافر والمنافق حملا الامانة أي خانا ولم يطيعا ومن أطاع من الانبياء والمؤمنين فلا يقال كان ظلوما جهولا وقيل معنى الآية ان ما كلفه الانسان بلغ من عظمه انه عرض

(فأبين أن يحملنها) بالثواب والعقاب (وأشفقن منها) خفن منها من حملها (وحملها الانسان) آدم بالثواب والعقاب (انه كان ظلوما) بحملها ويقال باكله من الشجرة (جهولا) بعاقبتها فلما نزلت بشرى المؤمنين

ذمته فيكون الاباء عنه اتيانا بما يمكن ان يتأتى منه والظلم والجهالة للخيانة والتقصير وقيل انه تعالى لما خلق هذه الاجرام خلق فيها فهما وقال لها انى فرضت فريضة وخلقت الجنة لمن اطاعنى فيها ونارا لمن عصانى فقلن نحن مسخرات على ماخلقتنا لانحتمل فريضة ولانبتغى ثوابا ولاعقابا ولماخلق آدم عرض عليه مثل ذلك فحمله وكان ظلوما لنفسه بتحمله مايشق عليها جهولا بوخامة عاقبته ولعل المراد بالامانة العقل او التكليف وبعرضها عليهن اعتبارها بالاضافة الى استعدادهن وباباءهن الاباء الطبيعى الذى هو عدم القابلية والاستعداد وبحمل الانسان قابليته واستعداده لها وكونه ظلوما جهولا لما غلب عليه من القوة الغضبية والشهوية وعلى هذا يحسن ان يكون علة للحمل عليه فان من فوائد العقل ان يكون مهيمنا على القوتين حافظا لهما عن التعدى ومجاوزة الحد

قال ابن عباس انه كان ظلوما لنفسه جهولا بامر ربه وما تحمل من الامانة وقيل ظلوما حين عصى ربه جهولا أى لايدرى ما العقاب فى ترك الامانة وقيل ظلوما جهولا حيث حمل الامانة ثم لم يف بها وضمنها ولم يف بضمانها وقيل فى تفسير الآية أقوال أخر وهو ان الله تعالى ائتمن السموات الارض والجبال على كل شئ وائتمن آدم وأولاده على شئ فالامانة فى حق الاجرام العظام هى الخضوع والطاعة لما خلقن له وقوله فأبين ان يحملنها أى أدين الامانة ولم يخن فيها واما الامانة فى حق بنى آدم فهى ماذكر من الطاعة والقيام بالفرائض * وقوله وحملها الانسان أى خان فيها وعلى هذا القول حكى عن الحسن انه قال الانسان هو الكافر والمنافق حملا الامانة وخانا فيها والقول الاول هو قول السلف وهو الاولى

فصل

فى الامانة (ق) عن حذيفة بن اليمان قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثين قد رأيت أحدهما وانا انتظر الآخر حدثنا ان الامانة نزلت فى جذر قلوب الرجال ثم نزل القرآن فعلموا من القرآن وعلموا من السنة ثم حدثنا عن رفع الامانة فقال ينام الرجل النومة فتقبض الامانة من قلبه فيظل أثرها مثل الوكت ثم ينام الرجل النومة فتقبض الامانة من قلبه فيظل أثرها مثل المجل كجمر دحرجته على رجلك فنفط فتراه منتبرا وليس فيه شئ ثم اخذ حصاة فدحرجها على رجله فيصبح الناس يتبايعون لايكاد أحد يؤدى الامانة حتى يقال ان فى بنى فلان رجلا أمينا حتى يقال للرجل ما أجلده ما أظرفه ما أعقله وما فى قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان ولقد أتى على زمان وما أبالى أيكم بايعت لئن كان مسلما ليردنه على دينه ولئن كان نصرانيا أو يهوديا ليردنه على ساعيه وأما اليوم فما كنت لابايع منكم الا فلانا وفلانا * قوله نزلت الامانة فى جذر قلوب الرجال جذر الشئ أصله والوكت الأثر اليسير كالنقطة فى الشئ من غير لونه والمجل غلظ الجلد من أثر العمل وقيل انما هو النفطات فى الجلد وقد فسره الحديث والمنتبر المنتفخ وليس فيه شئ (خ) عن أبى هريرة قال بينما رسول الله عليه وسلم فى مجلس يحدث القوم فجاء اعرابى فقال متى الساعة فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث فقال بعض القوم سمع ماقال فكره ماقال وقال بعضهم لم يسمع حتى اذا قضى حديثه قال أين السائل عن الساعة قال ها أنا يارسول الله قال اذا ضيعت الامانة فانتظر الساعة قال كيف اضاعتها يارسول الله قال اذا وسد الامر الى غير أهله فانتظر الساعة * وعنه قال قال

على اعظم ماخلق الله من الاجرام وأقواه فابى حمله واشفق منه وحمله الانسان على ضعفه انه كان ظلوما جهولا حيث حمل الامانة ثم لم يف بها وضمنها ثم خان بضمانه فيها ونحو هذا من الكلام كثير فى لسان العرب وما جاء القرآن الا على اساليبهم من ذلك قولهم لو قيل للشحم اين تذهب لقال أسوى العوج واللام فى

بالفضل قال المنافقون وما لنا يارسول الله فنزل

(ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات) للتعليل لان التعذيب هنا نظير التأديب فى قولك ضربته للتأديب فلا تقف على جهولا (ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات) وقرأ الاعمش ويتوب الله بالرفع ليجعل العلة قاصرة على فعل الحامل ويبتدئ ويتوب الله ومعنى المشهورة ليعذب الله حامل الامانة ويتوب على غيره ممن لم يحملها لانه اذا تيب على الوافى كان نوعا من عذاب الغادر وللعاقبة أى حملها الانسان فآل الامر الى تعذيب الاشقياء وقبول توبة السعداء (وكان الله غفورا) للتائبين (رحيما) بعباده ﴿ ١٤٥ ﴾ المؤمنين والله الموفق ﴿ سورة سبأ ﴾ للصواب ﴿ سورة سبأ مكية وهى أربع وخمسون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (الحمد) ان اجرى على المعهود فهو بما حمد به نفسه محمود وان أجرى على الاستغراق فله لكل المحامد الاستحقاق (لله) بلام التمليك لانه خالق ناطق الحمد أصلا فكان بملكه مالك الحمد للتحميد أهلا (الذى له ما فى السموات وما فى الارض) خلقا وملكا وقهرا فكان حقيقا بان يحمد سرا وجهرا (وله الحمد فى الآخرة) كما هو له فى الدنيا اذ النعم فى الدارين من المولى غير أن الحمد هنا واجب لان الدنيا دار تكليف وثمة لا لعدم التكليف وانما يحمد أهل

ومعظم مقصود التكليف تعديلهما وكسر سورتهما ﴿ ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات ﴾ تعليل للحمل من حيث انه نتيجته كالتأديب للضرب فى ضربته تأديبا وذكر التوبة فى الوعد اشعار بان كونهم ظلوما جهولا فى جبلتهم لا يخليهم عن فرطات ﴿ وكان الله غفورا رحيما ﴾ حيث تاب على فرطاتهم واثاب بالفوز على طاعاتهم * قال عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الاحزاب وعلمها اهله وما ملكت يمينه اعطى الامان من عذاب القبر

سورة سبأ مكية وقيل الا وقال الذين اوتوا العلم الآية وآيها اربع وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الحمد لله الذى له ما فى السموات وما فى الاوض ﴾ خلقا ونعمة فله الحمد فى الدنيا لكمال قدرته وعلى تمام نعمته ﴿ وله الحمد فى الآخرة ﴾ لان ما فى الآخرة ايضا

النبى صلى الله عليه وسلم أد الامانة الى من ائتمنك ولا تخن من خانك أخرجه أبو داود والترمذى وقال حديث حسن غريب * قوله تعالى ﴿ ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ﴾ أى بما خانوا الامانة ونقضوا العهد ﴿ ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات ﴾ اى يهديهم ويرحمهم بما أدوا من الامانة وقيل عرضنا الامانة ليظهر نفاق المنافق وشرك المشرك فيعذبهما الله ويظهر ايمان المؤمن فيتوب عليه أى يعود عليه بالرحمة والمغفرة ان حصل منه تقصير فى بعض الطاعات ﴿ وكان الله غفورا رحيما ﴾ والله اعلم بمراده وأسرار كتابه

تفسير سورة سبأ وهى مكية وأربع وخمسون آية وثمانمائة وثلاث وثلاثون كلمة وألف وخمسمائة واثنا عشر حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

* قوله عز وجل ﴿ الحمد لله الذى له ما فى السموات وما فى الارض ﴾ معناه ان كل نعمة من الله فهو الحقيق بان يحمد ويثنى عليه من أجلها ولما قال الحمد لله وصف ملكه فقال الذى له ما فى السموات وما فى الارض أى ملكا وخلقا ﴿ وله الحمد فى الآخرة ﴾ أى كما هو له فى الدنيا لان النعم

(ليعذب الله المنافقين) ويقال قبل آدم الامانة ليعذب الله المنافقين لكى يعذب الله المنافقين من الرجال (والمنافقات) من النساء (والمشركين) من الرجال (والمشركات) من النساء بتركهم الامانة لانهم (قا و خا ١٩ مس) كانوا فى صلب آدم حيث قبل آدم الامانة (ويتوب الله) لكى يتوب الله (على المؤمنين) المخلصين من الرجال (والمؤمنات) المخلصات من النساء بما يكون منهم من تقصير الامانة (وكان الله غفورا) لمن تاب منهم (رحيما) بالمؤمنين ﴿ ومن السورة التى يذكر فيها سبأ وهى كلها مكية آياتها أربع وخمسون آية وكلها ثمانمائة وثلاثة وثمانون كلمة وحروفها ألف وخمسمائة واثنا عشر حرفا ﴾ ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (الحمد لله) يقول الشكر لله وهو أن صنع الى خلقه فحمدوه (الذى له ما فى السموات) من الخلق (وما فى الارض) من الخلق (وله الحمد) المنة (فى الآخرة) على اهل الجنة

الجنة سرورا بالنعيم وتلذذا بما نالوا من الاجر العظيم بقولهم الحمد لله الذى صدقنا وعده الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن (وهو الحكيم) بتدبير ما فى السماء والارض (الخبير) بضمير من يحمده ليوم الجزاء والعرض (يعلم) مستأنف (مايلج) مايدخل (فى الارض) من الاموات والدفائن (ومايخرج منها) من النبات وجواهر المعادن (وماينزل من السماء) من الامطار وأنواع البركات (ومايعرج فيها) يصعد اليها من الملائكة والدعوات (وهو الرحيم) بانزال مايحتاجون اليه (الغفور) لما يجترؤن عليه (وقال الذين كفروا) أى منكروا البعث (لاتأتينا الساعة) نفى للبعث وانكار لمجئ الساعة (قل بلى) أوجب ما بعد النفى ببلى على معنى أليس الا مر الا ايتانها (وربى لتأتينكم) ثم اعيد ايجابه مؤكدا بما هو الغاية فى التوكيد والتشديد وهو التوكيد باليمين بالله عز وجل ثم أمد التوكيد القسمى بما أتبع المقسم به من الوصف بقوله (عالم الغيب) لان عظمة حال المقسم به تؤذن بقوة حال المقسم عليه وبشدة ثباته واستقامته لانه بمنزلة الاستشهاد على الامر وكلما كان المستشهد به ارفع منزلة كانت الشهادة أقوى وآكد والمستشهد عليه أثبت وأرسخ ولما كان قيام الساعة من مشاهير الغيوب وادخلها فى الخفية كان الوصف بما يرجع الى علم الغيب أولى وأحق عالم الغيب مدنى وشامى أى هو عالم الغيب علام الغيب حمزة وعلى على المبالغة

كذلك وليس هذا من عطف المقيد على المطلق فان الوصف بما يدل على انه المنعم بالنعم الدنيوية قيد الحمد بها وتقديم الصلة للاختصاص فان النعم الدنيوية قد تكون بواسطة من يستحق الحمد لاجلها ولا كذلك نعم الآخرة ﴿ وهو الحكيم ﴾ الذى احكم امور الدارين ﴿ الخبير ﴾ ببواطن الاشياء ﴿ يعلم مايلج فى الارض ﴾ كالغيث ينفذ فى موضع وينبع فى آخر وكالكنوز والدفائن والاموات ﴿ ومايخرج منها ﴾ كالحيوان والنبات والفلزات وماء العيون ﴿ وماينزل من السماء ﴾ كالملائكة والكتب والمقادير والارزاق والانداء والصواعق ﴿ ومايعرج فيها ﴾ كالملائكة واعمال العباد والابخرة والادخنة ﴿ وهو الرحيم الغفور ﴾ للمفرطين فى شكر نعمته مع كثرتها او فى الآخرة مع ماله من سوابق هذه النعم الفائتة للحصر ﴿ وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة ﴾ انكارا لمجيئها او استبطاء استهزاء بالوعد به ﴿ قل بلى ﴾ رد لكلامهم واثبات لما نفوه ﴿ وربى لتأتينكم عالم الغيب ﴾ تكرير لايجابه مؤكدا بالقسم مقررا لوصف المقسم به بصفات تقرر امكانه وتنفى استبعاده على مامر غير مرة * وقرأ حمزة والكسائى علام الغيب للمبالغة ونافع وابن عامر ورويس عالم الغيب بالرفع على انه خبر

فى الدارين كلها منه فكما انه المحمود على نعم الدنيا فهو المحمود على نعم الآخرة وقيل الحمد فى الآخرة هو حمد أهل الجنة كما ورد يلهمون التسبيح والحمد كما يلهمون النفس ﴿ وهو الحكيم ﴾ أى الذى أحكم أمور الدارين ﴿ الخبير ﴾ أى بكل ما كان ومايكون ﴿ يعلم مايلج فى الارض ﴾ أى من المطر والكنوز والاموات ﴿ ومايخرج منها ﴾ أى من النبات والشجر والعيون والمعادن والاموات اذا بعثوا ﴿ وماينزل من السماء ﴾ أى من المطر والثلج والبرد وأنواع البركات والملائكة ﴿ ومايعرج فيها ﴾ أى فى السماء من الملائكة واعمال العباد ﴿ وهو الرحيم الغفور ﴾ أى للمفرطين فى أداء ماوجب عليهم من شكر نعمه * قوله تعالى ﴿ وقال الذين كفروا لاتأتينا الساعة ﴾ معناه انهم انكروا البعث وقيل استبطؤا ماوعدوه من قيام الساعة على سبيل اللهو والسخرية ﴿ قل بلى وربى لتأتينكم ﴾ يعنى الساعة ﴿ عالم الغيب ﴾ أى لايفوت علمه شئ من الخفيات واذا كان كذلك اندرج فى علمه وقت

فى الجنة (وهو الحكيم) فى أمره وقضائه أمر أن لايعبد غيره (الخبير) العليم بخلقه وباعمالهم (يعلم مايلج) (قيام) مايدخل (فى الارض) من الامطار والمياه والاموات والكنوز (ومايخرج منها) ويعلم مايخرج من الارض من النبات ومن المياه والكنوز والموتى (وماينزل من السماء) من الامطار والرزق وغير ذلك (وما يعرج فيها) ويعلم مايصعد اليها من الملائكة والحفظة بديوان العباد (وهو الرحيم) بالمؤمنين (الغفور) لمن تاب (وقال الذين كفروا) كفار مكة أبو جهل وأصحابه (لاتأتينا الساعة) قيام الساعة (قل) لهم يا محمد (بلى وربى) أقسم بنفسه (لتأتينكم) الساعة قيام الساعة (عالم الغيب) ماغاب عن العباد يعلم ذلك

(لايعزب عنه) وبكسر الزاء على يقال عزب يعزب ويعزب اذا غاب وبعد (مثقال ذرة) مقدار أصغر نملة (فى السموات ولا فى الارض ولا أصغر من ذلك) من مثقال ذرة (ولا أكبر) من مثقال ذرة (الا فى كتاب مبين) الا فى اللوح المحفوظ ولا أصغر ولا أكبر بالرفع عطف على مثقال ذرة ويكون الا بمعنى لكن اورفعا بالابتداء والخبر فى كتاب واللام فى (ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة) لما قصروا فيه من مدارج الايمان (ورزق كريم) لما صبروا عليه من مناهج الاحسان متعلق بلتأتينكم تعليلا له (والذين سعوا فى آياتنا) جاهدوا فى رد القرآن (معاجزين) مسابقين ظانين انهم يفوتوننا معجزين مكى وأبو عمرو أى مثبطين الناس عن اتباعها وتأملها أو ناسبين الله الى العجز

مبتدأ محذوف اومبتدأ خبره ﴿لايعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض﴾ وقرأ الكسائى لايعزب بالكسر ﴿ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا فى كتاب مبين﴾ جملة مؤكدة لنفى العزوب ورفعهما بالابتداء ويؤيده القراءة بالفتح على نفى الجنس ولايجوز عطف المرفوع على مثقال والمفتوح على ذرة بانه فتح فى موضع الجر لامتناع الصرف لان الاستثناء يمنعه اللهم الا اذا جعل الضمير فى عنه للغيب وجعل المثبت فى اللوح خارجا عنه لظهوره على المطالعين له فيكون المعنى لا ينفصل عن الغيب شئ الا مسطورا فى اللوح ﴿ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ علة لقوله لتأتينكم وبيان لما يقتضى اتيانها ﴿اولئك لهم مغفرة ورزق كريم﴾ لاتعب فيه ولامن عليه ﴿والذين سعوا فى آياتنا﴾ بالابطال وتزهيد الناس فيها ﴿معاجزين﴾ مسابقين كى يفوتونا وقرأ ابن كثير وابو عمرو معجزين أى مثبطين عن الايمان من اراده ﴿اولئك لهم عذاب من رجز﴾ من سيء العذاب ﴿أليم﴾ مؤلم ورفعه ابن كثير ويعقوب وحفص ﴿ويرى الذين اوتوا العلم﴾ ويعلم اولو العلم من الصحابة ومن شايعهم من الامة اومن مسلمى اهل الكتاب ﴿الذى انزل اليك من ربك﴾ القرآن ﴿هو الحق﴾ ومن رفع الحق جعل هو ضميرا مبتدأ والحق خبره والجملة ثانى مفعول يرى وهو مرفوع مستأنف للاستشهاد باولى العلم على الجهلة الساعين فى الآيات

قيام الساعة وانها آتية ﴿لايعزب عنه﴾ أى لايغيب عنه ﴿مثقال ذرة﴾ أى وزن ذرة ﴿فى السموات ولا فى الارض ولا اصغر من ذلك﴾ أى من الذرة ﴿ولا أكبر الا فى كتاب مبين﴾ أى فى اللوح المحفوظ ﴿ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة﴾ أى لذنوبهم ﴿ورزق كريم﴾ يعنى الجنة ﴿والذين سعوا فى آياتنا﴾ أى فى ابطال أدلتنا ﴿معجزين﴾ أى أى يحسبون انهم يفوتوننا ﴿أولئك لهم عذاب من رجز أليم﴾ قيل الرجز سوء العذاب ﴿ويرى الذين اوتوا العلم﴾ يعنى مؤمنى أهل الكتاب عبدالله بن سلام واصحابه وقيل هم أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ﴿الذى انزل اليك من ربك﴾ يعنى القرآن ﴿هو الحق﴾ يعنى انه من

(أولئك لهم عذاب من رجز أليم) برفع أليم مكى وحفص ويعقوب صفة للعذاب أى عذاب أليم من سيء العذاب قال قتادة الرجز سوء العذاب وغيرهم بالجر صفة لرجز (ويرى) فى موضع الرفع بالاستئناف أى ويعلم (الذين أوتوا العلم) يعنى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن يطأ أعقابهم من أمته أو علماء أهل الكتاب الذين أسلموا كعبد الله بن سلام وأصحابه والمفعول الاول ليرى (الذى أنزل اليك من ربك) يعنى القرآن (هو الحق) أى الصدق وهو فصل والحق مفعول ثان أو فى موضع

(لايعزب عنه) لا يغيب عن الله (مثقال ذرة) وزن نملة وهى النملة الحمراء الصغيرة (فى السموات ولا فى الارض) من أعمال العباد (ولا اصغر) اخف (من ذلك ولا اكبر) اثقل من ذلك (الا فى كتاب مبين) مكتوب فى اللوح المحفوظ محصى عليهم (ليجزى) لكى يجزى (الذين آمنوا) بمحمد عليه السلام والقرآن (وعملوا الصالحات) الخيرات فيما بينهم وبين ربهم (أولئك لهم مغفرة) لذنوبهم فى الدنيا (ورزق كريم) ثواب حسن فى الجنة (والذين سعوا) كذبوا (فى آياتنا) بآياتنا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (معاجزين) ليسوا بفائتين من عذابنا (أولئك لهم عذاب من رجز أليم) عذاب وجيع (ويرى) لكى يرى (الذين أوتوا العلم) أعطوا العلم بالتوراة عبدالله بن سلام وأصحابه (الذى أنزل اليك من ربك هو الحق) يعنى القرآن

النصب معطوف على ليجزى وليعلم أولوا العلم عند مجىء الساعة أنه الحق علما لا يزاد عليه فى الايقان (ويهدى) الله أو الذى أنزل اليك (الى صراط العزيز الحميد) وهو دين الله (وقال الذى كفروا) وقال قريش بعضهم لبعض (هل ندلكم على رجل) يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم وانما نكروه مع انه كان مشهورا علما فى قريش وكان انباؤه بالبعث شائعا عندهم تجاهلا به وبأمره وباب التجاهل فى البلاغة والى سحرها (ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفى خلق جديد) أى يحدثكم بأعجوبة من الاعاجيب انكم تبعثون وتنشؤن خلقا جديدا بعد ان تكونوا رفاتا وترابا ويمزق أجسادكم البلاء كل ممزق أى يفرقكم كل تفريق فالممزق مصدر بمعنى التمزيق والعامل فى اذا مادل عليه انكم لفى خلق جديد أى تبعثون والجديد فعيل بمعنى فاعل عند البصريين تقول جد فهو جديد كقل فهو قليل ولا يجوز انكم بالفتح للام فى خبره (أفترى على الله كذبا) أهو مفتر على الله كذبا فيما ينسب اليه من ذلك والهمزة للاستفهام وهمزة الوصل حذفت استغناء عنها (أم به جنة) جنون يوهمه ذلك ويلقيه على لسانه (بل الذين لا يؤمنون بالآخرة فى العذاب والضلال البعيد) ثم قال سبحانه وتعالى ليس محمد من الافتراء والجنون فى شىء وهو مبرأ منهما بل هؤلاء القائلون الكافرون بالبعث واقعون فى عذاب النار وفيما يؤديهم اليه من الضلال عن الحق وهم غافلون عن ذلك وذلك أجن الجنون جعل وقوعهم فى العذاب رسيلا لوقوعهم فى الضلال كأنهما كائنان فى وقت واحد لان الضلال لما كان

وقيل منصوب معطوف على ليجزى أى وليعلم اولو العلم عند مجىء الساعة انه الحق عيانا كما علموه الآن برهانا ﴿ ويهدى الى صراط العزيز الحميد ﴾ الذى هو التوحيد والتدرع بلباس التقوى ﴿ وقال الذين كفروا ﴾ يعنى منكرى البعث قال بعضهم لبعض ﴿ هل ندلكم على رجل ﴾ يعنون محمدا عليه الصلاة والسلام ﴿ ينبئكم ﴾ يحدثكم بأعجب الاعاجيب ﴿ اذا مزقتم كل ممزق انكم لفى خلق جديد ﴾ انكم تنشأون خلقا جديدا بعد ان تمزق اجسادكم كل تمزيق وتفريق بحيث تصير ترابا وتقديم الظرف للدلالة على البعد والمبالغة فيه وعامله محذوف دل عليه ما بعده فان ما قبله لم يقارنه وما بعده مضاف اليه او محجوب بينه وبينه بان وممزق يحتمل ان يكون مكانا بمعنى اذا مزقتم وذهبت بكم السيول كل مذهب وطرحتكم كل مطرح وجديد بمعنى فاعل من جد فهو كحديد من حد وقيل بمعنى مفعول من جد النساج الثوب اذا قطعه ﴿ أفترى على الله كذبا أم به جنة ﴾ جنون يوهمه ذلك ويلقيه على لسانه واستدل بجعلهم اياه قسيم الافتراء غير معتقدين صدقه على ان بين الصدق والكذب واسطة وهو كل خبر لا يكون عن بصيرة بالمخبر عنه وضعفه بين لان الافتراء اخص من الكذب ﴿ بل الذين لا يؤمنون بالآخرة فى العذاب والضلال البعيد ﴾ رد من الله تعالى عليهم ترديدهم واثبات لهم ما هو افظع من القسمين وهو الضلال البعيد عن الصواب بحيث لا يرجى الخلاص منه وما هو مؤداه من العذاب وجعله رسيلا له فى الوقوع ومقدما عليه فى اللفظ للمبالغة فى استحقاقهم له والبعد فى الاصل صفة الضال ووصف

عند الله ﴿ ويهدى ﴾ يعنى القرآن ﴿ الى صراط العزيز الحميد ﴾ أى الى دين الاسلام ﴿ وقال الذين كفروا ﴾ يعنى المنكرين للبعث المتعجبين منه ﴿ هل ندلكم ﴾ أى قال بعضهم لبعض هل ندلكم ﴿ على رجل ينبئكم ﴾ يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم معناه يحدثكم بأعجوبة من الاعاجيب وهى انكم ﴿ اذا مزقتم كل ممزق ﴾ أى قطعتم كل تقطيع وفرقتم كل تفريق وصرتم ترابا ﴿ انكم لفى خلق جديد ﴾ اى يقول انكم تبعثون وتنشؤن خلقا جديدا بعد ان تكونوا رفاتا وترابا ﴿ أفترى على الله كذبا ﴾ أى أهو مفتر على الله كذبا فيما ينسب اليه من ذلك ﴿ أم به جنة ﴾ اى جنون يوهمه ذلك ويلقيه على لسانه قال الله تعالى ردا عليهم ليس بمحمد صلى الله عليه وسلم من الافتراء والجنون شىء وهو مبرأ منهما ﴿ بل الذين لا يؤمنون بالآخرة ﴾ يعنى منكرى البعث ﴿ فى العذاب والضلال البعيد ﴾ أى عن الحق فى الدنيا

(ويهدى الى صراط العزيز) يدل الى دين العزيز بالنقمة لمن لا يؤمن به (الحميد) لمن وحده (وقال الذين كفروا) كفار مكة أبو سفيان وأصحابه للسفلة (هل ندلكم على رجل ينبئكم) يخبركم (اذا مزقتم) فرقتم فى الارض (كل ممزق) كل مفرق الجلد والعظم هذا محمد يزعم (انكم لفى خلق جديد) يجدد فينا الروح بعد الموت (افترى) اختلق محمد (على الله كذبا أم به جنة) جنون قال الله تعالى (بل الذين لا يؤمنون بالآخرة) بالبعث بعد الموت (فى العذاب) فى الآخرة (والضلال) الخطأ (البعيد) عن الحق { أفلم يروا }

العذاب من لوازمه جعلا كأنهما مقترنان ووصف الضلال بالبعيد من الاسناد المجازي لان البعيد صفة الضال اذا بعد عن الجادة (أفلم يروا الى ما بين أيديهم و ما خلفهم من السماء والارض ان نشأ نخسف بهم)وبالادغام على للتقارب بين الفاء والباء وضعفه البعض لزيادة صوت الفاء على الباء (الارض اونسقط) الثلاثة بالياء كوفي غير عاصم لقوله أفترى على الله كذبا (عليهم كسفا) كسفا حفص (من السماء) أي أعموا فلم ينظروا الى السماء ولارض وانهما حيثما كانوا وأينما ساروا أمامهم وخلفهم محيطتان بهم لايقدرون ان ينفذوا من اقطار وان يخرجوا عما هم فيه من ملكوت الله ولم يخافوا ان يخسف الله بهم أو يسقط عليهم كسفا لتكذيبهم الآيات وكفرهم بالرسل وبما جاء به كما فعل بقارون واصحاب الايكة (ان في ذلك) النظر الى السماء والارض والفكر فيهما وما تدلان عليه من قدرة الله تعالى (لآية) لدلالة (لكل عبد منيب) راجع الى ربه مطيع له اذ المنيب لايخلو من ا لنظر في آيات الله على انه قادر على كل شئ من البعث ومن عقاب من يكفر به (ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال) بدل من فضلا أو من آتينا بتقدير قولنا يا جبال أو قلنا يا جبال (أوبي معه) من التاويب رجعي معه التسبيح ومعنى تسبيح الجبال ان الله يخلق فيها تسبيحا فيسمع منها كما يسمع من المسبح معجزة لداود عليه السلام (والطير) عطف على محل الجبال و الطير عطف على لفظ الجبال وفي هذا النظم من الفخامة مالا يخفى حيث جعلت الجبال بمنزلة العقلاء الذين اذا أمرهم بالطاعة أطاعوا واذا دعاهم أجابوا اشعارا بانه ما من حيوان وجماد الا وهو منقاد لمشيئة الله تعالى ولو قال آتينا داود منا فضلا تأويب الجبال معه والطير لم يكن فيه هذه

الضلال به على الاسناد المجازي ﴿أفلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض ان نشأ نخسف بهم الارض أو نسقط عليهم كسفا من السماء﴾ تذكير بما يعاينونه مما يدل على كمال قدرة الله ومايحتمل فيه ازاحة لاستحالتهم الاحياء حتى جعلوه افتراء وهزؤا وتهديدا عليها والمعنى أعموا فلم ينظروا الى ما احاط بجوانبهم من السماء والارض ولم يتفكروا أهم اشد خلقا ام هي من خلقنا وانا ان نشأ نخسف بهم او نسقط عليهم كسفا لتكذيبهم بالآيات بعد ظهور البينات *وقرأ حمزة والكسائي يشأ ويخسف ويسقط بالياء لقوله افترى على الله وحفص كسفا بالتحريك ﴿ان في ذلك﴾ النظر والفكر فيهما ومايدلان عليه ﴿لآية﴾ لدلالة ﴿لكل عبد منيب﴾ راجع الى ربه فانه يكون كثير التأمل في امره ﴿ولقد آتينا داود منا فضلا﴾ اى على سائر الانبياء وهو ماذكر بعد اوعلى سائر الناس فيندرج فيه النبوة والكتاب والملك والصوت الحسن ﴿ياجبال اوبي معه﴾ رجعي معه التسبيح على الذنب اوالنوحة وذلك اما بخلق صوت مثل صوته فيها اويحملها اياه على التسبيح اذا تأمل مافيها اوسيري معه حيث سار وقرئ اوبي من الاوب اى ارجعي في التسبيح كلما رجع فيه وهو بدل من فضلا أو من آتينا باضمار قولنا اوقلنا ﴿والطير﴾ عطف على محل الجبال ويؤيده القراءة بالرفع عطفا على لفظها تشبيها للحركة البنائية العارضة بالحركة الاعرابية أو على فضلا اومفعول معه لاوبي وعلى هذا يجوز ان يكون الرفع بالعطف على ضميره وكان الاصل ولقد آتينا داود منا فضلا تأويب الجبال والطير فبدل به هذا النظم لما فيه من الفخامة والدلالة على عظمة شأنه وكبرياء سلطانه حيث جعل الجبال والطيور كالعقلاء المنقادين لامره

﴿أفلم يروا الى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والارض﴾ أي فيعلموا انهم حيث كانوا في أرضي وتحت سمائي فان ارضي وسمائي محيطة بهم لايخرجون من اقطارها وأنا قادر عليهم ﴿ان نشأ نخسف بهم الارض﴾ أي كما خسفنا بقارون ﴿أو نسقط عليهم كسفا من السماء﴾ أي كما فعلنا باصحاب الايكة ﴿ان في ذلك﴾ أي فيما ترون من السماء والارض ﴿لآية﴾ أي تدل على قدرتنا على البعث بعد الموت ﴿لكل عبد منيب﴾ اي تائب راجع الى الله بقلبه *قوله عز وجل ﴿ولقد آتينا داود منا فضلا﴾ يعني النبوة والكتاب وقيل الملك وقيل هو جميع ما أوتي من حسن الصوت وغير ذلك مما خص به ﴿ياجبال أوبي معه﴾ أي وقلنا يا جبال سبحي معه اذا سبح وقيل رجعي معه اذا رجع ونوحي معه اذا ناح ﴿والطير﴾ أي وأمرنا الطير أن تسبح معه فكان داود اذا نادى بالتسبيح أو بالنياحة أجابته الجبال بصداها وعكفت الطير عليه من فوقه وقيل كان داود اذا لحقه ملل

والهدى في الدنيا (أفلم يروا) كفار مكة (الى ما بين أيديهم) فوقهم وتحتهم من السماء والارض (وخلفهم) فوقهم وتحتهم (من السماء والارض ان نشأ نخسف) نغر (بهم الارض) في الارض (أو نسقط عليهم كسفا) قطعا (من السماء) فنهلكهم (ان في ذلك) فيما ذكرت لهم من السماء والارض (لآية) لعبرة (لكل عبد منيب) مقبل الى الله والى طاعته (ولقد آتينا) أعطينا (داود منا فضلا) ملكا ونبوة (يا جبال) وقلنا يا جبال (أوبي معه) سبحي مع داود (والطير) وسخرنا له الطير

الفخامة (وألنا له الحديد) وجعلناه له لينا كالطين المعجون يصرفه بيده كيف يشاء من غير نار ولا ضرب بمطرقة وقيل لان الحديد في يده لما أوتي من شدة القوة (أن اعمل) أن بمعنى أي أو أمرناه ان اعمل (سابغات) دروعا واسعة تامة من السبوغ وهو أول من اتخذها وكان يبيع الدرع بأربعة آلاف فينفق منها على نفسه وعياله ويتصدق على الفقراء وقيل كان يخرج متنكرا فيسأل الناس عن نفسه ويقول لهم ماتقولون في داود فيثنوا عليه فقيض الله ملكا في صورة آدمي فسأله على عادته فقال نعم الرجل لولا خصلة فيه وهو انه يطعم عياله من بيت المال فسأل عند ذلك ربه ان يسبب له مايستغني به عن بيت المال فعلمه صنعة الدروع (وقدر في السرد) لا تجعل المسامير دقاقا فتقلق ولا غلاظا فتقصم الحلق والسرد نسج الدروع (واعملوا) الضمير لداود وأهله (صالحا) خالصا يصلح للقبول (اني بما تعملون بصير) فاجازيكم عليه (ولسليمان الريح) أي وسخرنا لسليمان الريح وهي الصبا ورفع الريح أبو بكر وحماد والمفضل أي ولسليمان الريح مسخرة (غدوها شهر ورواحها شهر) جريها بالغداة مسيرة شهر وجريها بالعشي كذلك وكان يغدو من دمشق فيقيل باصطخر فارس وبينهما مسيرة شهر ويروح من اصطخر فيبيت بكابل وبينهما مسيرة شهر للراكب المسرع وقيل كان يتغدى بالري ويتعشى بسمرقند

في نفاذ مشيئته فيها ﴿ وألنا له الحديد ﴾ وجعلناه في يده كالشمع يصرفه كيف يشاء من غير احماء وطرق بالآلة او بقوته ﴿ ان اعمل ﴾ امرناه ان اعمل وان مفسرة أو مصدرية ﴿ سابغات ﴾ دروع واسعات * وقرئ صابغات وهو أول من اتخذها ﴿ وقدر في السرد ﴾ وقدر في نسجها بحيث يتناسب حلقها أو قدر مساميرها فلا تجعلها دقاقا فتقلق ولا غلاظا فتخرق ورد بان دروعه لم تكن مسمرة ويؤيده قوله وألنا له الحديد ﴿ واعملوا صالحا ﴾ الضمير فيه لداود عليه السلام واهله ﴿ اني بما تعملون بصير ﴾ فاجازيكم عليه ﴿ ولسليمان الريح ﴾ أي وسخرنا له الريح * وقرأ ابو بكر الريح بالرفع اي ولسليمان الريح مسخرة وقرئ الرياح ﴿ غدوها شهر ورواحها شهر ﴾ جريها بالغداة مسيرة شهر وبالعشي كذلك * وقرئ غدوتها وروحتها

أو فتور أسمعه الله تعالى تسبيح الجبال فينشط له ﴿ وألنا له الحديد ﴾ يعني كان الحديد في يده كالشمع أو كالعجين يعمل منه مايشاء من غير نار ولا ضرب مطرقة قيل سبب ذلك ان داود عليه السلام لما ملك بني اسرائيل كان من عادته أن يخرج الى الناس متنكرا فاذا رأى انسانا لا يعرفه تقدم اليه وسأله عن داود فيقول له ماتقول في داود واليكم هذا أي رجل هو فيثنون عليه ويقولون خيرا فقيض الله له ملكا في صورة آدمي فلما رآه داود تقدم اليه على عادته فسأله فقال الملك نعم الرجل هو لولا خصلة فيه فراع داود عليه الصلاة والسلام ذلك وقال ماهي يا عبد الله قال انه يأكل ويطعم عياله من بيت المال قال فتنبه لذلك وسأل الله تعالى أن يسبب له سببا يستغني به عن بيت المال فيتقوت منه ويطعم عياله فالان الله له الحديد وعلمه صنعة الدروع وانه أول من اتخذها وكانت قبل ذلك صفائح وقيل انه كان يبيع كل درع بأربعة آلاف فيأكل منها ويطعم عياله ويتصدق منها على الفقراء والمساكين وقد صح في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان داود عليه السلام لا يأكل الا من عمل يده ﴿ أن اعمل سابغات ﴾ أي دروعا كوامل واسعات طوالا تسحب في الارض قيل كان يعمل كل يوم درعا ﴿ وقدر في السرد ﴾ أي ضيق في نسج الدرع وقيل قدر المسامير في حلق الدرع ولا تجعل المسامير دقاقا فتفلت ولا تثبت ولا غلاظا فتكسر الحلق وقيل قدر في السرد أي اجعله على القصد وقدر الحاجة ﴿ واعملوا صالحا ﴾ يريد داود وآله ﴿ اني بما تعملون بصير ﴾ قوله تعالى ﴿ ولسليمان الريح ﴾ أي وسخرنا لسليمان الريح (غدوها شهر ورواحها شهر) معناه ان مسير غدو تلك الريح المسخرة له مسيرة شهر ومسير رواحها مسيرة شهرين فكانت تسير به في كل يوم واحد مسيرة شهرين قيل كان يغدو من دمشق فيقيل باصطخر وبينهما مسيرة شهر ثم يروح من اصطخر فيبيت بكابل وبينهما مسيرة شهر للراكب المسرع وقيل انه كان يتغدى بالري ويتعشى بسمرقند

(وألنا) لينا (له الحديد) يعمل به مايشاء كما يعمل بالطين (ان اعمل سابغات) الدروع الواسعات (وقدر في السرد) قدر (واسلنا) المسمار في الحلق لا تدق المسمار فيمور فيه ويخرج منه ولا تغلظه فيخرمه (واعملوا صالحا) خالصا (اني بما تعملون) من الخير والشر (بصير) عالم (ولسليمان الريح) وسخرنا لسليمان الريح (غدوها شهر) يسير عليها غدوة من بيت المقدس الى اصطخر مسيرة شهر (ورواحها شهر) يسير عليها راجعا من اصطخر الى بيت المقدس، مسيرة شهر

﴿ واسلناله عين القطر ﴾ النحاس المذاب اساله من معدنه فنبع منه نبوع الماء من الينبوع ولذلك سماه عينا وكان ذلك باليمن ﴿ ومن الجن من يعمل بين يديه ﴾ عطف على الريح ومن الجن حال متقدمة أو جملة من مبتدأ وخبر ﴿ باذن ربه ﴾ بامره ﴿ ومن يزغ منهم عن امرنا ﴾ ومن يعدل منهم عما امرناه من طاعة سليمان وقرئ يزغ من ازاغه ﴿ نذقه من عذاب السعير ﴾ عذاب الآخرة ﴿ يعملون له مايشاء من محاريب ﴾ قصورا حصينة

﴿ وأسلناله عين القطر ﴾ أى أذبناله عين النحاس قال أهل التفسير أجريت له عين النحاس ثلاثة أيام بلياليهن كجرى الماء وكان بأرض اليمن وقيل أذاب الله لسليمان النحاس كما ألان لداود الحديد ﴿ ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه ﴾ أى بامر ربه قال ابن عباس سخر الله الجن لسليمان عليه الصلاة و السلام وأمرهم بطاعته فيما يأمرهم به ﴿ ومن يزغ ﴾ أى يعدل ﴿ منهم ﴾ من الجن ﴿ عن أمرنا ﴾ أى الذى امرناه به من طاعة سليمان ﴿ نذقه من عذاب السعير ﴾ قيل هذا فى الآخرة وقيل فى الدنيا وذلك ان الله تعالى وكل بهم ملكا بيده سوط من نار فمن زاغ منهم عن طاعة سليمان ضربه بذلك السوط ضربة أحرقته ﴿ يعملون له مايشاء من محاريب ﴾ أى مساجد وقيل هى الابنية المرتفعة والقصور والمجالس الشريفة المصونة عن الابتذال وكان مما عملوا له بيت المقدس وذلك أن داود عليه الصلاة والسلام أبتدأه ورفعه قامة رجل فأوحى الله اليه لم أقض ذلك على يدك ولكن ابن لك أملكه بعدك اسمه سليمان أقضى اتمامه على يديه فلما توفى داود عليه السلام واستخلف سليمان عليه الصلاة والسلام أحب اتمام بيت المقدس فجمع الجن والشياطين وقسم عليهم الاعمال وخص كل طائفة بعمل فارسل الجن والشياطين فى تحصيل الرخام والبلور من معادنهما وأمر ببناء المدينة بالرخام والصفائح وجعلها اثنى عشر ربضا وأنزل على كل ربض منها سبطا من الاسباط فلما فرغ من بناء المدينة ابتدأ فى بناء المسجد فوجه الشياطين فرقا منهم من يستخرج الذهب والفضة من معادنهما ومنهم من يستخرج الجواهر واليواقيت والدر الصافى من اماكنها ومنهم من يأتيه بالمسك والعنبر والطيب من اماكنها فاتى من ذلك بشئ كثير لا يحصيه الا الله تعالى ثم أحضر الصناع وأمرهم بنحت تلك الاحجار وتصييرها ألواحا واصلاح تلك الجواهر وثقب اليواقيت واللآلى فبنى المسجد بالرخام الابيض والاصفر والاخضر وعمده باساطين البلور الصافى وسقفه بانواع الجواهر الثمينة وفصص سقوفه وحيطانه باللآلئ واليواقيت وسائر الجواهر وبسط أرضه بالواح الفيروزج فلم يكن على وجه تلك الارض يومئذ بيت أبهى ولا أنور من ذلك المسجد فكان يضئ فى الظلمة كالقمر ليلة البدر فلما فرغ منه جمع اليه أحبار بنى اسرائيل وأعلمهم انه بناه لله تعالى وان كل شئ فيه خالص له واتخذ ذلك اليوم عيدا روى عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان سليمان بن داود لما بنى بيت المقدس سأل الله عز وجل

(وأسلناله عين القطر) أى معدن النحاس فالقطر النحاس وهو الصفر ولكنه أساله وكان يسيل فى الشهر ثلاثة أيام كما يسيل الماء وكان قبل سليمان لا يذوب وسماه عين القطر باسم ما آل اليه (ومن الجن من يعمل) من فى موضع نصب أى وسخرنا من الجن من يعمل (بين يديه باذن ربه) بامر ربه (ومن يزغ منهم) ومن يعدل منهم (عن أمرنا) الذى أمرنابه من طاعة سليمان (نذقه من عذاب السعير) عذاب الآخرة وقيل كان معه ملك بيده سوط من نار فمن زاغ عن أمر سليمان عليه السلام ضربه ضربة أحرقته (يعملون له مايشاء من محاريب) أى مساجد أو

يجئ ويذهب فى يوم (واسلناله) أجرينا له (عين القطر) الصفر المذاب يعمل به مايشاء كما يعمل بالطين (ومن الجن) وسخرنا له من الجن (من يعمل بين يديه) بالسخرة من البنيان وغير ذلك (باذن ربه) بأمر ربه (ومن يزغ) يمل ويعص (منهم عن أمرناه) الذى امرناه ويقال عن أمر سليمان (نذقه من عذاب السعير) الوقود فى النار ويقال كان يضربهم ملك بعمود من نار (يعملون له مايشاء من محاريب) يعنى

مساكن (وتماثيل) أى صور السباع والطيور وروى انهم عملوا له أسدين فى اسفل كرسيه ونسرين فوقه فاذا أراد أن يصعد بسط الاسدان له ذراعيهما واذا قعد أظله النسران

باجنحتهما وكان التصوير مباحا حينئذ (وجفان) جمع جفنة (كالجواب) جمع جابية وهى الحياض الكبار قيل كان يقعد على الجفنة ألف رجل كالجوابى فى الوصل والوقف مكى ويعقوب ووافق أبو عمرو فى الوصل الباقون بغير ياء اكتفاء بالكسرة (وقدور راسيات) ثابتات على الأثافى لاتنزل عنها لعظمها وقيل انها باقية باليمن وقلنا لهم (اعملوا آل داود شكرا) أى ارجوا أهل البلاد وأسالوا ربكم العافية عن الفضيل وشكرا مفعول له أوحال أى شاكرين أواشكروا شكرا لان اعملوا فيه معنى اشكروا من حيث ان العمل للمنعم شكر له أو مفعول به يعنى انا سخرنا لكم الجن يعملون لكم ماشئتم فاعملوا أنتم شكرا وسئل الجنيد عن الشكر فقال بذل المجهود بين يدى المعبود (وقليل من عبادى) بسكون الياء حمزة وغيره بفتحها (الشكور) المتوفر على اداء الشكر الباذل وسعه فيه قد شغل به قلبه ولسانه وجوارحه اعتقادا

ومساكن شريفة سميت بها لانها يذب عنها ويحارب عليها ﴿ وتماثيل ﴾ وصورا أو تماثيل للملائكة والانبياء على ما اعتادوا من العبادات ليراها الناس فيعبدوا نحو عبادتهم وحرمة التصاوير شرع مجدد روى انهم عملوا له اسدين فى اسفل كرسيه ونسرين فوقه فاذا اراد ان يصعد بسط الاسدان له ذراعيهما واذا قعد اظله النسران باجنحتهما ﴿ وجفان ﴾ وصحاف ﴿ كالجواب ﴾ كالحياض الكبار جمع جابية من الجباية هى من الصفات الغالبة كالدابة ﴿ وقدور راسيات ﴾ ثابتات على الاثافى لاتنزل عنها لعظمها ﴿ اعملوا آل داود شكرا ﴾ حكاية لما قيل لهم وشكرا نصب على العلة اى اعملوا له واعبدوه شكرا أو المصدر لان العمل له شكر أو الوصف له أو الحال او المفعول به ﴿ وقليل من عبادى الشكور ﴾ المتوفر

حكما يوافق حكمه فأوتيه وسأل الله تعالى ملكا لا ينبغى لاحد من بعده فأوتيه وسأل الله عز وجل حين فرغ من بناء المسجد ان لا يأتيه أحد لا ينهزه الا الصلاة فيه الا أخرجه من خطيئته كيوم ولدته أمه أخرجه النسائى ولغير النسائى سأل ربه ثلاثا فاعطاه اثنتين وأنا أرجو أن يكون أعطاه الثالثة وذكر نحوه قوله لا ينهزه أى لا ينهضه الا الصلاة قالوا فلم يزل بيت المقدس على ما بناه سليمان عليه الصلاة والسلام حتى غزاه بختنصر فخرب المدينة وهدم المسجد وأخذ ما فيه من الذهب والفضة وسائر أنواع الجواهر وحمله الى دار ملكه بالعراق وبنى الشياطين لسليمان باليمن قصورا وحصونا عجيبة من الصخر ﴿ وقوله عز وجل ﴿ وتماثيل ﴾ أى ويعملون له تماثيل أى صورا من نحاس ورخام وزجاج قيل كانوا يصورون سباع والطيور وغيرها وقيل كانوا يصورون صور الملائكة والانبياء والصالحين فى المساجد ليراها الناس فيزدادوا عبادة قيل يحتمل ان اتخاذ الصور كان مباحا فى شريعتهم وهذا مما يجوز ان يختلف فيه الشرائع لانه ليس من الامور القبيحة فى العقل كالقتل والظلم والكذب ونحوها مما يقبح فى كل الشرائع قيل عملوا له أسدين تحت كرسيه ونسرين فوقه فاذا أراد أن يصعد بسط له الاسدان ذراعيهما واذا جلس أظله النسران باجنحتهما وقيل عملوا له الطواويس والعقبان والنسور على درجات سريره وفوق كرسيه لكى يهابه من أراد الدنو منه ﴿ وجفان ﴾ أى قصاع ﴿ كالجواب ﴾ اى كالحياض التى يجبى فيها الماء أى يجتمع قيل كان يقعد على الجفنة الواحدة الف رجل يأكلون منها ﴿ وقدور راسيات ﴾ اى ثابتات على أثافيها لا تحرك ولا تنزل عن أماكنها لعظمهن وكان يصعد اليها بالسلالم وكانت باليمن ﴿ أعملوا آل داود شكرا ﴾ أى وقلنا يا آل داود اعملوا بطاعة الله تعالى شكرا على نعمه قيل المراد من آل داود نفسه وقيل داود وسليمان واهل بيته قال ثابت البنانى كان داود نبى الله عليه الصلاة والسلام قد جزأ ساعات الليل والنهار على اهله فلم تكن تأتى ساعة من ليل أو نهار الا وانسان من آل داود قائم يصلى ﴿ وقليل من عبادى الشكور ﴾ اى قليل العامل بطاعتى

المساجد (وتماثيل) صور الملائكة والنبيين والعباد لكى ينظر اليهم الناس فيعبدوا ربهم على مثالهم (وجفان كالجواب) قصاع كالجواب كحياض الابل لا تحرك (وقدور راسيات) ثابتات عظام لا ترفع يأكل منها ألف رجل (اعملوا آل داود) يعنى سليمان (شكرا) دائما بما أنعمت عليكم يقول اعملوا عملا خيرا حتى تؤدوا بذلك شكر ما أنعمت عليكم (وقليل من عبادى الشكور) من

واعترافا وكدحا وعن ابن عباس رضى الله عنهما من يشكر على أحواله كلها وقيل من يشكر على الشكر وقيل من يرى عجزه عن الشكر و حكى عن داود عليه السلام انه جزأ ساعات الليل و النهار على أهله فلم تكن تأتى ساعة من الساعات الا وانسان من آل داود قائم يصلى (فلما قضينا عليه الموت) أي على سليمان (مادلهم) أي الجن و آل داود (على موته الادابة الارض) أي الارضة وهى دويبة يقال لها سرفة والارض فعلها فاضيفت اليه يقال أرضت الخشبة أرضا اذا أكلتها الارضة (تأكل منسأته) والعصا تسمى منسأة لانه ينسأ بها أي يطرد ومنساته بغير همز مدنى وأبو عمرو (فلما خر) سقط سليمان (تبينت الجن) علمت الجن كلهم علما بينا بعد التباس الامر على عامتهم وضعفتهم (أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا) بعد موت سليمان (فى العذاب المهين) وروى ان داود عليه السلام أسس بناء بيت المقدس فى موضع فسطاط موسى عليه السلام فمات قبل أن يتمه فوصى به الى سليمان فأمر الشياطين باتمامه فلما بقى من عمره سنة سال ربه أن يعمى عليهم موته حتى يفرغوا منه ولتبطل دعواهم علم الغيب وكان عمر سليمان ثلاثا وخمسين سنة

على اداء الشكر بقلبه ولسانه وجوارحه اكثر اوقاته ومع ذلك لا يوفى حقه لان توفيقه للشكر نعمة تستدعى شكرا آخر لا الى نهاية ولذلك قيل الشكور من يرى عجزه عن الشكر ﴿ فلما قضينا عليه الموت ﴾ اى على سليمان ﴿ مادلهم على موته ﴾ مادل الجن وقيل آله ﴿ الادابة الارض ﴾ اى الارضة اضيفت الى فعلها وقرئ بفتح الراء وهو تأثر الخشبة من فعلها يقال أرضت الارضة الخشبة ارضا فارضت ارضا مثل اكلت القوادح الاسنان اكلا فاكلت اكلا ﴿ تأكل منسأته ﴾ عصاه من نسأت البعير اذا طردته لانها تطرد بها وقرئ بفتح الميم وتخفيف الهمزة قلبا وحذفا على غير قياس اذ القياس اخراجها بين بين ومنساته على مفعالة كميضاءة فى ميضأة ومن ساته اى طرف عصاه مشتقا من سأة القوس وفيه لغتان كما فى قحة وقحة ﴿ فلما خر تبينت الجن ﴾ علمت الجن بعد التباس الامر عليهم ﴿ ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين ﴾ انهم لو كانوا يعلمون الغيب كما يزعمون لعلموا موته حيثما وقع فلم يلبثوا بعده

شكرا النعمتى * قوله تعالى ﴿ فلما قضينا عليه الموت ﴾ أى على سليمان قال العلماء كان سليمان يتجرد للعبادة فى بيت المقدس السنة والسنتين والشهر والشهرين وأقل من ذلك وأكثر فيدخل فيه ومعه طعامه وشرابه فدخله المرة التى مات فيها وكان سبب ذلك انه كان لا يصبح يوما الا وقد نبتت فى محرابه ببيت المقدس شجرة فيسألها ما اسمك فتقول كذا وكذا فيقول لاى شئ خلقت فتقول لكذا وكذا فيأمر بها فتقطع فان كانت لغرس أمر بها فغرست وان كانت لدواء كتب ذلك حتى نبتت الخروبة فقال لها ما أنت قالت أنا الخروبة قال ولاى شئ نبت قالت لخراب مسجدك قال سليمان ما كان الله ليخربه وأنا حى أنت التى على وجهك هلاكى وخراب بيت المقدس ثم نزعها وغرسها فى حائط له ثم قال اللهم عم على الجن موتى حتى تعلم الانس ان الجن لا يعلمون الغيب وكانت الجن تخبر الانس انهم يعلمون من الغيب شيأ ويعلمون ما فى غد ثم دخل المحراب وقام يصلى على عادته متكئا على عصاه فمات قائما وكان للمحراب كوى من بين يديه ومن خلفه فكان الجن يعملون تلك الاعمال الشاقة التى كانوا يعملون فى حياة سليمان وينظرون اليه ويحسبون انه حى ولا ينكرون احتباسه عن الخروج الى الناس لطول صلاته وانقطاعه قبل ذلك فمكثوا يدأبون بعد موته حولا كاملا حتى أكلت الارضة عصا سليمان فخر ميتا فعلموا بموته قال ابن عباس فشكرت الجن الارضة فهم يأتونها بالماء والطين فى جوف الخشب فذلك قوله تعالى ﴿ مادلهم على موته الادابة الارض ﴾ يعنى الارضة ﴿ تأكل منسأته ﴾ قال البخارى يعنى عصاه ﴿ فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين ﴾ معناه علمت الجن وأيقنت

يؤدى شكر الشكور (فلما قضينا عليه) على سليمان (الموت) كان سليمان ميتا قائما فى محرابه سنة (مادلهم على موته) موت سليمان (الادابة الارض) لارضة (تأكل (قا و خا ٢٠ مس) منسأته) عصاه ويقال عنزته (فلما خر) وقع سليمان (تبينت الجن) تبين للانس ان الجن لا يعلمون الغيب (ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين) الشديد من العمل بالسخرة وكان قبل ذلك يظن الانس ان الجن يعلمون

حولا فى تسخيره الى ان خر اوظهرت الجن وان بما فى حيزه بدل منه اى ظهر ان الجن لوكانوا يعلمون الغيب مالبثوا فى العذاب وذلك ان داود اسس بيت المقدس فى موضع فسطاط موسى عليه الصلاة والسلام فمات داود وقبل تمامه فوصى به الى سليمان فاستعمل الجن فيه فلم يتم بعد اذدنا اجله فاعلم به فاراد ان يعمى عليهم موته ليتموه فدعاهم فبنوا عليه صرحا من قوارير ليس فيه باب فقام يصلى متكئا على عصاه فقبض روحه وهو متكئ عليها فبقى كذلك حتى اكلتها الارضة فخر ثم فتحوا عنه وارادوا ان يعرفوا وقت موته فوضعوا الارضة على العصا فاكلت يوما وليلة مقدارا فحسبوا على ذلك فوجدوه قدمات منذسنة وكان عمره ثلاثا وخمسين سنة وملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة وابتدأ عمارة بيت المقدس لاربع مضين من ملكه ﴿ لقدكان لسبأ ﴾ لاولاد سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ومنع الصرف عنه ابن كثير وابو عمرو لانه صار اسم القبيلة وعن ابن كثير قلب همزته الفا ولعله اخرجه بين بين فلم يؤده الراوى كما وجب ﴿ فى مساكنهم ﴾ فى مواضع سكناهم وهى باليمن يقال لها مأرب بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاث • وقرأ حمزة وحفص بالافراد والفتح والكسائى بالكسر حملا على ماشذ من القياس كالمسجد والمطلع ﴿ آية ﴾ علامة دالة على وجود الصانع المختار وانه قادر على مايشاء من الامور العجيبة مجاز للمحسن والمسئ معاضدة للبرهان السابق كما فى قصتى داود وسليمان ﴿ جنتان ﴾ بدل من آية اوخبر محذوف وتقديره الآية جنتان • وقرئ بالنصب على المدح والمراد جماعتان من البساتين ﴿ عن يمين وشمال ﴾ جماعة عن يمين بلدهم وجماعة عن شماله كل واحدة منها فى تقاربها وتضايقها كأنها جنة واحدة او بستانا كل

ان لوكانوا يعلمون الغيب مالبثوا فى التعب والشقاء مسخرين لسليمان وهو ميت ويظنونه حيا أراد الله تعالى بذلك أن يعلم الجن انهم لايعلمون الغيب لانهم كانوا يظنون ذلك لجهلهم وقيل فى معنى الآية انه ظهر أمر الجن وانكشف للانس انهم لايعلمون الغيب لانهم كانوا قد شبهوا على الانس ذلك ذكر أهل التاريخ أن سليمان ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة وبقى فى الملك مدة أربعين سنة وشرع فى بناء بيت المقدس لاربع سنين مضين من ملكه وتوفى وهو ابن ثلاث وخمسين ❁ قوله عز وجل ﴿ لقدكان لسبأ فى مسكنهم آية ﴾ عن فروة بن مسيك المرادى قال لما أنزل فى سبأ ما أنزل قال رجل يارسول الله وماسبأ أرض أو امرأة قال ليس بارض ولا امرأة ولكنه رجل ولد عشرة من العرب فتيامن منهم ستة وتشاءم منهم أربعة فاما الذين تشاءموا فلخم وجذام وغسان وعاملة وأما الذين تيامنوا فالازد والاشعريون وحمير وكندة ومذحج وانمار فقال رجل يارسول الله وما انمار قال الذين منهم خثعم وبجيلة أخرجه الترمذى مع زيادة وقال حديث حسن غريب وسبأ هو ابن يشجب بن يعرب بن قحطان فى مسكنهم أى بمأرب من ارض اليمن آية أى دلالة على وحدانيتنا وقدرتنا ثم فسر الآية فقال تعالى ﴿ جنتان ﴾ أى بستانان ﴿ عن يمين وشمال ﴾ أى عن يمين الوادى وشماله وقيل عن يمين من أتاهما وشماله وقيل كان لهم واد قد أحاطت

ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة فبقى فى ملكه أربعين سنة وابتدأ بناء بيت المقدس لاربع مضين من ملكه و روى أن أفريدون جاء ليصعد كرسيه فلما دنا ضرب الاسدان ساقه فكسراها فلم يجسر أحد بعده ان يدنو منه (لقدكان لسبأ) بالصرف بتاويل الحى وبعدمه أبو عمرو بتاويل القبيله (فى مسكنهم) حمزة وحفص مسكنهم على وخلف وهو موضع سكناهم وهو بلدهم وأرضهم التى كانوا مقيمين فيها باليمن أو مسكن كل واحد منهم غيرهم مساكنهم (آية) اسم كان (جنتان) بدل من آية أو خبر مبتدأ محذوف تقديره الآية جنتان ومعنى كونهما آية ان أهلهما لما أعرضوا عن شكر الله سلبهم الله النعمة ليعتبروا ويتعظوا فلا يعودوا الى ما كانوا عليه من الكفر وغمط النعم أو جعلهما آية أى علامة دالة على قدرة الله واحسانه ووجوب شكره (عن يمين وشمال) أراد جماعتين من البساتين جماعة عن يمين بلدهم وأخرى عن

الغيب فتبين لهم بعد ذلك انهم لايعلمون (لقدكان لسبأ) لاهل سبأ قرية من اليمن (فى مساكنهم) فى منازلهم (آية) علامة (جنتان) بستانان (عن يمين) يمين الطريق (وشمال) شمال الطريق وكان ثلاث عشرة قرية نحو اليمين بعث الله اليهم ثلاثة عشر نبيا فقال (به)

شمالها وكل واحدة من الجماعتين في تقاربها وتضامها كانها جنة واحدة كما تكون بساتين البلاد العامرة أو أراد بستان كل رجل منهم عن يمين مسكنه وشماله (كلوا من رزق ربكم واشكروا له) حكاية لما قال لهم أنبياء الله المبعوثون اليهم أو لما قال لهم لسان الحال أو هم أحقاء بان يقال

لهم ذلك ولما امرهم بذلك

اتبعوه قوله (بلدة طيبة ورب غفور) أي هذه البلدة التي فيها رزقكم بلدة طيبة وربكم الذي رزقكم وطلب شكركم رب غفور لمن شكره قال ابن عباس كانت سبأ على ثلاث فراسخ من صنعاء وكانت أخصب البلاد تخرج المرأة وعلى رأسها المكتل فتعمل بيدها وتسير بين تلك الشجر فيمتلئ المكتل مما يتساقط فيه من الثمر وطيبها ليس فيها بعوض ولا ذباب ولا برغوث ولا عقرب ولا حية ومن يمر بها من الغرباء يموت قمله لطيب هوائها (فاعرضوا) عن دعوة أنبيائهم فكذبوهم وقالوا ما نعرف لله علينا نعمة (فارسلنا عليهم سيل العرم) أي المطر الشديد أو العرم اسم الوادي أو هو الجرذ الذي نقب عليهم السكر لما طغوا سلط الله عليهم الجرذ فنقبه من أسفله

رجل منهم عن يمين مسكنه وعن شماله ﴿ كلوا من رزق ربكم واشكروا له ﴾ حكاية لما قال لهم نبيهم اولسان الحال اودلالة بانهم كانوا احقاء بان يقال لهم ذلك ﴿ بلدة طيبة ورب غفور ﴾ استئناف للدلالة على موجب الشكر اي هذه البلدة التي فيها رزقكم بلدة طيبة وربكم الذي رزقكم وطلب شكركم رب غفور فرطات من يشكره *وقرئ الكل بالنصب على المدح قيل كانت اخصب البلاد واطيبها لم يكن فيها عاهة ولا هامة ﴿ فاعرضوا ﴾ عن الشكر ﴿ فارسلنا عليهم سيل العرم ﴾ سيل الامر العرم اى الصعب من عرم الرجل فهو عارم وعرم اذا شرس خلقه وصعب اوالمطر الشديد اوالجرذ اضاف اليه السيل لانه نقب عليهم سكرا ضربت لهم بلقيس فحقنت به ماء الشجر وتركت فيه ثقبا على مقدار ما يحتاجون اليه اوالمسناة التي عقدت سكرا على انه جمع عرمة وهي الحجارة المركومة وقيل اسم وادجاء السيل من قبله وكان ذلك بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام

به الجنتان ﴿ كلوا ﴾ أي قيل لهم كلوا ﴿ من رزق ربكم ﴾ أي من ثمار الجنتين قيل كان المرأة تحمل مكتلها على رأسها وتمر بالجنتين فيمتلئ المكتل من انواع الفواكه من غير ان تمس بيدها شيأ ﴿ واشكروا له ﴾ أي على ما رزقكم من النعمة وعملوا بطاعته ﴿ بلدة طيبة ﴾ اى أرض مارب وهى سبأ بلدة طيبة فسيحة ليست بسبخة وقيل لم يكن يرى في بلدتهم بعوضة ولا ذباب ولا برغوث ولا حية ولا عقرب وكان الرجل يمر ببلدتهم وفي ثيابه القمل فيموت القمل من طيب الهواء ﴿ ورب غفور ﴾ قال وهب اى وربكم ان شكرتم على ما رزقكم رب غفور لمن شكره * قوله عز وجل ﴿ فاعرضوا ﴾ قال وهب أرسل الله اليهم ثلاثة عشر نبيا فدعوهم الى الله تعالى وذكروهم نعمه عليهم وأنذروهم عقابه فكذبوهم وقالوا ما نعرف لله علينا نعمة فقولوا لربكم فليحبس هذه النعمة عنا ان استطاع فذلك اعراضهم ﴿ فارسلنا عليهم سيل العرم ﴾ العرم الذي لا يطاق قيل كان ماء أحمر أرسله الله تعالى عليهم من حيث شاء وقيل العرم السكر الذي يحبس الماء وقيل العرم الوادي قال ابن عباس ووهب وغيرهما كان لهم سد بنته بلقيس وذلك انهم كانوا يقتتلون على ماء واديهم فامرت بواديهم فسد بالصخر والقار بين الجبلين وجعلت لهم ثلاثة أبواب بعضها فوق بعض وبنت دونه بركة ضخمة وجعلت فيها اثنى عشر مخرجا على عدة انهارهم يفتحونها اذا احتاجوا الى الماء واذا استغنوا عنه سدوها فاذا جاء هم المطر اجتمع عليهم ماء أودية اليمن فاحتبس السيل من وراء السد فامرت بالباب الاعلى ففتح فجرى ماؤه الى البركة فكانوا يسقون من الباب الاعلى ثم من الثاني ثم من الثالث الاسفل فلا ينفد الماء حتى يثوب الماء من السنة المقبلة فكانت تقسمه بينهم على ذلك فبقوا بعدها مدة فلما طغوا وكفروا سلط الله عليهم جرذا

لهم الأنبياء (كلوا من رزق ربكم) من فضل ربكم من الثمار والنعيم (واشكروا له) بالتوحيد (بلدة طيبة) هذه بلدة طيبة ليست بسبخة (ورب غفور) لمن آمن به وتاب (فأعرضوا) عن الايمان واجابة الرسل ولم يشكروا بذلك (فأرسلنا) سلطنا (عليهم سيل العرم) سيل الوادي فأهلك ما كان لهم من البساتين والبيوت والنعيم وغير ذلك والعرم وادفي اليمن يقال له وادي الشجر وكان فيه مسناة يحبسون الماء في الوادي بذلك وكان لها ثلاثة أبواب بعضها أسفل من بعض فهدم الله تلك المسناة وأهلكهم بذلك

فغرقهم (وبدلناهم بجنتيهم) المذكورتين (جنتين) وتسمية البدل جنتين للمشاكلة وازدواج الكلام كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها (ذواتى أكل خمط) الاكل الثمر يثقل ويخفف وهو قراءة نافع ومكي والخمط شجر الاراك وقيل كل شجر ذى شوك (وأثل وشئ من سدر قليل) الاثل شجر يشبه الطرفاء أعظم منه وأجود عوداً ووجه من نون الاكل وهو غير أبى عمروان أصله ذواتى أكل أكل خمط فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه أووصف الاكل بالخمط كانه قيل ذواتى أكل بشع ووجه أبى عمروان أكل الخمط فى معنى البرير وهو ثمر الاراك اذا كان غضاً فكانه قيل ذواتى برير والاثل والسدر معطوفان على أكل لا على خمط لان الاثل لا أكل له وعن الحسن قلل السدر لانه أكرم ما بدلوا لانه يكون فى الجنان (ذلك جزيناهم بما كفروا) أى جزيناهم ذلك بكفرهم فهو مفعول ثان مقدم (وهل نجازى الا الكفور) كوفى غير أبى بكر وهل يجازى الا الكفور غيرهم يعنى وهل يجازى مثل هذا الجزاء الا من كفر النعمة ولم يشكرها أو كفر بالله أوهل يعاقب لان الجزاء وان كان عاما يستعمل فى معنى المعاقبة وفى معنى الاثابة لكن المراد الخاص وهو العقاب وعن الضحاك كانوا فى الفترة التى بين عيسى ومحمد عليهما السلام

﴿ وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى اكل خمط ﴾ ثمر بشع فان الخمط كل نبت اخذ طعما من مرارة وقيل الاراك اوكل شجر لا شوك له والتقدير اكل اكل خمط فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فى كونه بدلا او عطف بيان * وقرأ ابو عمرو اكل خمط بالاضافة * وقرأ الحرميان بتخفيف اكل ﴿ واثل وشئ من سدر قليل ﴾ معطوفان على اكل لا على خمط فان الاثل هو الطرفاء ولا ثمر له * وقرئ بالنصب عطفا على جنتين ووصف السدر بالقلة فان جناه وهو النبق مما يطيب اكله ولذلك يغرس فى البساتين وتسمية البدل جنتين للمشاكلة والتهكم ﴿ ذلك جزيناهم بما كفروا ﴾ بكفرانهم النعمة او بكفرهم بالرسل اذ روى انه بعث اليهم ثلاثة عشر نبيا فكذبوهم وتقديم المفعول للتعظيم لا للتخصيص ﴿ وهل نجازى الا الكفور ﴾ وهل يجازى بمثل مافعلنا بهم الا البليغ فى الكفران او الكفر * وقرأ حمزة والكسائى ويعقوب وحفص نجازى بالنون والكفور بالنصب

يسمى الخلد فنقب السد من أسفله فغرق الماء جناتهم وأخرب أرضهم وقال وهب رأوا فيما يزعمون ويجدون فى علمهم ان الذى يخرب سدهم فأرة فلم يتركوا فرجة بين حجرين الا ربطوا عندها هرة فلما جاء زمان ما أراد الله تعالى بهم من التغريق أقبلت فيما يذكرون فارة حمراء كبيرة الى هرة من تلك الهرار فساورتها حتى استأخرت عنها الهرة فدخلت فى الفرجة التى كانت عندها فتغلغلت فى السد وحفرت حتى أوهنت المسيل وهم لا يعلمون بذلك فلما جاء السيل وجد خللا فدخل منه حتى اقتلع السد وفاض الماء حتى علا أموالهم فغرقها ودفن بيوتهم الرمل فغرقوا ومزقوا كل ممزق حتى صاروا مثلا عند العرب يقولون ذهبوا أيدى سبأ وتفرقوا أيادى سبا فذلك قوله تعالى فارسلنا عليهم سيل العرم ﴿ وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط ﴾ قيل هو شجر الاراك وثمره البرير وقيل كل نبت أخذ طعما من المرارة حتى لا يمكن أكله فهو خمط وقيل هو ثمر شجر يقال له فسوة الضبع على صورة الخشخاش يتفرك ولا ينتفع به ﴿ وأثل ﴾ قيل هو الطرفاء وقيل شجر يشبه الطرفاء الا انه أعظم منه ﴿ و شئ من سدر قليل ﴾ هو شجر معروف ينتفع بورقه فى الغسل وثمره النبق ولم يكن السدر الذى بدلوه مما ينتفع به بل كان سدرا بريا لا يصلح لشئ قيل كان شجر القوم من خير الشجر فصيره الله من شر الشجر باعمالهم وهو قوله تعالى ﴿ ذلك جزيناهم بما كفروا ﴾ اى ذلك الذى فعلنا بهم جزاء كفرهم ﴿ وهل نجازى الا الكفور ﴾ أى هل يكافأ بعمله الا الكفور لله فى نعمه قيل المؤمن يجزى ولا يجازى يجزى

الماء (وبدلناهم بجنتيهم) اللتين هلكتا (جنتين ذواتى اكل خمط) ثمر خمط أراك (وأثل) طرفاء (وشئ من سدر قليل) من شجر (بحسناته) قليل الثمر كثير الشوك (ذلك جزيناهم) أى الذى أصابهم عقوبة لهم عاقبناهم (بما كفروا) بالله وبنعمته (وهل نجازى) نعاقب (الا الكفور) الكافر

(وجعلنا بينهم) بين سبأ (وبين القرى التى باركنا فيها) بالتوسعة على أهلها فى النعم والمياه وهى قرى الشام (قرى ظاهرة) متواصلة يرى بعضها من بعض لتقاربها فهى ظاهرة لا عين الناظرين أو ظاهرة للسابلة لم تبعد عن مسالكهم حتى تخفى عليهم وهى أربعة آلاف وسبعمائة قرية متصلة من سبأ الى الشام (وقدرنا فيها السير) أى جعلنا هذه القرى على مقدار معلوم يقيل المسافر فى قرية ويروح فى أخرى (سيروا فيها) وقلنا لهم

﴿ وجعلنا بينهم وبين القرى التى باركنا فيها ﴾ بالتوسعة على اهلها وهى قرى الشام ﴿ قرى ظاهرة ﴾ متواصلة يظهر بعضها لبعض اوراكبة متن الطريق ظاهرة لابناء السبيل ﴿ وقدرنا فيها السير ﴾ بحيث يقيل الغادى فى قرية ويبيت الرائح فى قرية الى ان يبلغ الشام ﴿ سيروا فيها ﴾ على ارادة القول بلسان الحال والمقال ﴿ ليالى واياما ﴾ متى شئتم من ليل ونهار ﴿ آمنين ﴾ لا يختلف الامن فيها باختلاف الاوقات اوسيروا آمنين وان طالت مدة سفركم فيها اوسيروا فيها ليالى اعماركم وايامها لاتلقون فيها الاالامن ﴿ فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا ﴾ اشروا النعمة وملوا العافية كبنى اسرائيل فسألوا الله ان يجعل بينهم وبين الشام مفاوز ليتطاولوا فيها على الفقراء بركوب الرواحل وتزود الازواد فاجابهم الله بتخريب القرى المتوسطة * وقرأ ابن كثير وابو عمرو وهشام بعد ويعقوب ربنا بالرفع باعد بلفظ الخبر على انه شكوى منهم لبعد سفرهم افراطا فى الترفية وعدم الاعتداد بما انعم الله عليهم فيه ومثله قراءة من قرأ ربنا بعد او بعد على النداء واسناد الفعل الى بين ﴿ وظلموا انفسهم ﴾ حيث بطروا النعمة ولم يعتدوا بها ﴿ فجعلناهم احاديث ﴾ يتحدث الناس بهم تعجبا وضرب مثل فيقولون تفرقوا ايدى سبأ ﴿ ومزقناهم كل ممزق ﴾ ففرقناهم غاية التفريق

بحسناته ولا يكافأ بسيئاته ﴿ وجعلنا بينهم وبين القرى التى باركنا فيها ﴾ أى بالماء والشجر وهى قرى الشام ﴿ قرى ظاهرة ﴾ أى متواصلة تظهر الثانية من الاولى لقربها منها قيل كان متجرهم من اليمن الى الشام فكانوا يبيتون بقرية ويقيلون باخرى وكانوا لا يحتاجون الى حمل زاد من سبأ الى الشام وقيل كانت قراهم أربعة آلاف وسبعمائة قرية متصلة من سبأ الى الشام ﴿ وقدرنا فيها السير ﴾ أى قدرنا سيرهم بين هذه القرى فكان سيرهم فى الغدو والرواح على قدر نصف يوم فاذا ساروا نصف يوم وصلوا الى قرية ذات مياه وأشجار فكان ما بين اليمن والشام كذلك ﴿ سيروا ﴾ أى وقلنا لهم سيروا ﴿ فيها ليالى وأياما ﴾ أى فى أى وقت شئتم ﴿ آمنين ﴾ أى لا تخافون عدوا ولا جوعا ولا عطشا فبطروا النعمة وسئموا الراحة وطغوا ولم يصبروا على العافية فقالوا لو كانت جناتنا أبعد مما هى كان أجدر أن نشتهيها وطلبوا الكد والتعب فى الاسفار ﴿ فقالوا ربنا بعد بين أسفارنا ﴾ وقرئ باعد بين أسفارنا أى اجعل بيننا وبين الشام مفاوز وفلوات لنركب فيها الرواحل ونتزود الازواد فلما تمنوا ذلك عجل الله لهم الاجابة ﴿ وظلموا أنفسهم ﴾ أى بالبطر والطغيان ﴿ فجعلناهم أحاديث ﴾ أى عبرة لمن بعدهم يتحدثون بامرهم وشأنهم ﴿ ومزقناهم كل ممزق ﴾ أى فرقناهم فى كل وجه من البلاد

سيروا ولا قول ثمة ولكنهم لما مكنوا من السير وسويت لهم اسبابه فكأنهم أمروا بذلك (ليالى وأياما آمنين) أى سيروا فيها ان شئتم بالليل وان شئتم بالنهار فان الامن فيها لا يختلف باختلاف الاوقات أى سيروا فيها آمنين لا تخافون عدوا ولا جوعا ولا عطشا وان تطاولت مدة سفركم وامتدت أياما وليالى (فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا) قالوا ياليتها كانت بعيدة فنسير على نجائبنا ونربح فى التجارات ونفاخر فى الدواب والاسباب بطروا النعمة وملوا العافية فطلبوا الكد والتعب بعد مكى وأبو عمرو (وظلموا) بما قالوا (أنفسهم فجعلناهم أحاديث) يتحدث الناس بهم ويتعجبون من أحوالهم (ومزقناهم كل ممزق) وفرقناهم تفريقا

بالله وبنعمته (وجعلنا بينهم) بين أهل سبأ (وبين) أهل (القرى التى باركنا فيها)

بالماء والشجر يعنى الاردن وفلسطين (قرى ظاهرة) متصلة معاينة (وقدرنا فيها) يعنى القرى (السير) على قدر المقيل والمبيت (سيروا فيها) سافروا فيها (ليالى وأياما آمنين) من الجوع والعطش واللصوص فقال لهم الانبياء بعد ذلك اشكروا نعمة ربكم لئلا يأخذها منكم كما أخذ النعمة الاولى (فقالوا ربنا) يا ربنا (باعد بين اسفارنا) مسيرنا (وظلموا أنفسهم) بالكفر والشرك وتركوا شكر ذلك (فجعلناهم أحاديث) لمن بعدهم (ومزقناهم) فرقناهم فى البلدان (كل ممزق) مفرق

اتخذه الناس مثلا مضروبا يقولون ذهبوا أيدي سبأ وتفرقوا ايادي سبأ فلحق غسان بالشام وانمار بيثرب وجذام بتهامة والازد بعمان (ان في ذلك لآيات لكل صبار) عن المعاصي (شكور) للنعم أو لكل مؤمن لان الايمان نصفان نصفه شكر ونصفه صبر (ولقد صدق عليهم ابليس ظنه) بالتشديد كوفي أي حقق عليهم ظنه أو وجده صادقا وبالتخفيف غيرهم أي صدق في ظنه (فاتبعوه) الضمير في عليهم واتبعوه لاهل سبأ أو لبني آدم وقلل المؤمنين بقوله (الا فريقا من المؤمنين) لقلتهم بالاضافة الى الكفار ولا تجد أكثرهم شاكرين (وما كان له عليهم) لابليس على الذين صار ظنه فيهم صدقا (من سلطان) من تسليط واستيلاء بالوسوسة (الا لنعلم) موجودا ما علمناه معدوما والتغير على المعلوم لا على العلم (من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك وربك على كل شيء حفيظ) محافظ عليه وفعيل

وأهلكناهم كل مهلك (ان في ذلك) فيما فعلنا بهم (لآيات) لعلامات وعبرات (لكل صبار) على الطاعة (شكور) بنعم الله (ولقد صدق عليهم ابليس ظنه) قوله أي ظن بهم ظنا فوافق ظنه قوله (فاتبعوه) في الكفر (الا فريقا من المؤمنين) جملة المؤمنين ويقال فاتبعوه بالمعصية الا فريقا طائفة من المؤمنين وهم سبعون ألفا الذين يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب (وما كان له) لابليس (عليهم) على بني آدم (من سلطان) (وقيل) من مقدرة ونفاذ أمر (الا لنعلم) الا لنقدر ما نرى ونميز (من يؤمن بالآخرة) من علمت في القدم ان يؤمن بالبعث بعد الموت (ممن هو منها) من قيام الساعة (في شك) ريب (وربك) يا محمد (على كل شيء) من أعمالهم (حفيظ) عليم

حتى لحق غسان منهم بالشام وانمار بيثرب وجذام بتهامة والازد بعمان ﴿ان في ذلك﴾ فيما ذكر ﴿لآيات لكل صبار﴾ عن المعاصي ﴿شكور﴾ على النعم ﴿ولقد صدق عليهم ابليس ظنه﴾ اي صدق في ظنه او صدق يظن ظنه مثل فعلته جهدك ويجوز ان يعدى الفعل اليه بنفسه كما في صدق وعده لانه نوع من القول وشدده الكوفيون بمعنى حقق ظنه او وجده صادقا وقرئ بنصب ابليس ورفع الظن مع التشديد بمعنى وجده ظنه صادقا والتخفيف بمعنى قال له ظنه الصدق حين خيله اغواءهم وبرفعهما والتخفيف على الابدال وذلك اما ظنه بالسبأ حين رأى انهماكهم في الشهوات او ببني آدم حين رأى اباهم آدم ضعيف العزم او ما ركب فيهم من الشهوة والغضب او سمع من الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء فقال لاضلنهم ولاغوينهم ﴿فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين﴾ الا فريقا هم المؤمنون لم يتبعوه وتقليلهم بالاضافة الى الكفار او الا فريقا من فرق المؤمنين لم يتبعوه في العصيان وهم المخلصون ﴿وما كان له عليهم﴾ على المتبعين ﴿من سلطان﴾ تسلط واستيلاء بالوسوسة والاستغواء ﴿الا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك﴾ الا ليتعلق علمنا بذلك تعلقا يترتب عليه الجزاء او ليتميز المؤمن من الشاك او ليؤمن من قدر ايمانه ويشك من قدر ضلاله والمراد من حصول العلم حصول متعلقه مبالغة وفي نظم الصلتين نكتة لا تخفى ﴿وربك على كل شيء حفيظ﴾ محافظ

كل التفريق قيل لما غرقت قراهم تفرقوا في البلاد فاما غسان فلحقوا بالشام ومر الازد الى عمان وخزاعة الى تهامة ومر الاوس والخزرج الى يثرب وكان الذي قدم منهم المدينة عمرو بن عامر وهو جد الاوس والخزرج ولحق آل خزيمة بالعراق ﴿ان في ذلك لآيات﴾ أي لعبرا ودلالات ﴿لكل صبار﴾ أي عن المعاصي ﴿شكور﴾ أي لله على نعمه قيل المؤمن صابر على البلاء شاكر للنعماء وقيل المؤمن اذا أعطي شكر واذا ابتلي صبر * قوله عز وجل ﴿ولقد صدق عليهم ابليس ظنه﴾ قيل على أهل سبأ وقيل على الناس كلهم ﴿فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما يعني المؤمنين كلهم لانهم لم يتبعوه في أصل الدين وقيل هو خاص بالمؤمنين الذين يطيعون الله ولا يعصونه قال ابن قتيبة ان ابليس لما سأل النظرة فانظره الله قال لاغوينهم ولاضلنهم ولم يكن مستيقنا وقت هذه المقالة ان ما قاله فيهم يتم وانما قاله ظنا فلما اتبعوه وأطاعوه صدق عليهم ما ظنه فيهم وقال الحسن انه لم يسل عليهم سيفا ولا ضربهم بسوط انما وعدهم ومناهم فاغتروا ﴿وما كان له عليهم من سلطان﴾ أي ما كان تسليطنا اياه عليهم ﴿الا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك﴾ أي لنرى ونميز المؤمن من الكافر وأراد علم الوقوع والظهور اذا كان معلوما عنده لانه عالم الغيب ﴿وربك على كل شيء حفيظ﴾ أي رقيب

ومفاعل متآخيان (قل) لمشركي قومك (ادعوا الذين زعمتم من دون الله) أي زعمتموهم آلهة من دون الله فالمفعول الاول الضمير الراجع الى الموصول وحذف كما حذف في قوله أهذا الذي بعث الله استخفافا لطول الموصول بصلته والمفعول الثاني آلهة وحذف لانه موصوف صفته من دون الله والموصوف يجوز حذفه واقامة الصفة مقامه اذا كان مفهوما فاذا مفعولا زعم محذوفان بسببين مختلفين والمعنى ادعوا الذين عبدتموهم من دون الله من الاصنام والملائكة وسميتموهم باسمه والتجؤا اليهم فيما يعروكم كما تلتجؤن اليه وانتظروا استجابتهم لدعائكم كما تنتظرون استجابته ثم أجاب عنهم بقوله (لا يملكون مثقال ذرة) من خير أو شر أو نفع أو ضر (في السموات ولا في الارض وما لهم فيهما من شرك) وما لهم في هذين الجنسين من شركة في الخلق ولا في الملك (وماله) تعالى (منهم) من آلهتهم (من ظهير) من عون يعينه على تدبير خلقه يريد انهم على هذه الصفة من العجز فكيف يصح ان يدعوا كما يدعى ويرجوا كما يرجى (ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له) أي أذن له الله يعني الامن وقع الاذن للشفيع لاجله وهي اللام الثانية في قولك أذن لزيد لعمرو أي لاجله وهذا تكذيب لقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله أذن له كوفي غير عاصم الا الاعمش (حتى اذا فزع عن قلوبهم) أي كشف الفزع عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم بكلمة يتكلم بها رب العزة في اطلاق

والزنتان متآخيتان ﴿ قل ﴾ للمشركين ﴿ ادعوا الذين زعمتم ﴾ اي زعمتموهم آلهة وهما مفعولا زعم حذف الاول لطول الموصول بصلته والثاني لقيام صفته وهي من دون الله مقامه ولا يجوز ان يكون هو مفعوله الثاني لانه لا يلتئم مع الضمير كلاما ولا لا يملكون لانهم لا يزعمونه ﴿ من دون الله ﴾ والمعنى ادعوهم فيما يهمكم من جلب نفع اودفع ضر لعلهم يستجيبون لكم ان صح دعواكم ثم اجاب عنهم اشعارا بتعين الجواب وانه لا يقبل المكابرة فقال ﴿ لا يملكون مثقال ذرة ﴾ من خير اوشر ﴿ في السموات ولا في الارض ﴾ في امر ما وذكرهما للعموم العرفي اولان آلهتهم بعضها سماوية كالملائكة والكواكب وبعضها ارضية كالاصنام اولان الاسباب القريبة للشر والخير سماوية وارضية والجملة استئناف لبيان حالهم ﴿ وما لهم فيهما من شرك ﴾ من شركة لا خلقا ولا ملكا ﴿ وماله منهم من ظهير ﴾ يعينه على تدبير امرهما ﴿ ولا تنفع الشفاعة عنده ﴾ فلا ينفعهم شفاعتهم ايضا كما يزعمون اذ لا تنفع الشفاعة عند الله ﴿ الا لمن اذن له ﴾ اذن له ان يشفع او اذن ان يشفع له لعلو شانه ولم يثبت ذلك واللام على الاول كاللام في قولك الكرم لزيد وعلى الثاني كاللام في جئتك لزيد * وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائي بضم الهمزة ﴿ حتى اذا فزع عن قلوبهم ﴾ غاية لمفهوم الكلام من ان ثمه توقفا وانتظارا

وقيل حفيظ بمعنى حافظ * قوله تعالى ﴿ قل ﴾ أي قل يا محمد لكفار مكة ﴿ ادعوا الذين زعمتم ﴾ أي انهم آلهة ﴿ من دون الله ﴾ والمعنى ادعوهم ليكشفوا عنكم الضر الذي نزل بكم في سني الجوع ثم وصف عجز الآلهة فقال تعالى ﴿ لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض ﴾ يعني من خير وشر ونفع وضر ﴿ وما لهم ﴾ أي للآلهة ﴿ فيهما ﴾ أي في السموات والارض ﴿ من شرك ﴾ أي من شركة ﴿ وماله ﴾ أي الله ﴿ منهم ﴾ أي من الالهة ﴿ من ظهير ﴾ عوين ﴿ ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له ﴾ أي أذن الله له في الشفاعة قاله تكذيبا للكفار حيث قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله وقيل يجوز أن يكون المعنى الا لمن أذن الله في ان يشفع له ﴿ حتى اذا فزع عن قلوبهم ﴾ معناه

(قل) يا محمد لكفار مكة بني مليح (ادعوا الذين زعمتم) عبدتم (من دون الله) حتى يجيبوكم وكانوا يعبدون الجن ويظنون انهم الملائكة قال الله لهم (لا يملكون) لا يقدرون ان ينفعوكم (مثقال ذرة) وزن ذرة (في السموات) مما في السموات (ولا في الارض) ولا مما في الارض (وما لهم) للملائكة (فيهما) في خلق السموات والارض (من شرك) من شركة مع الله (وماله) لله (منهم) من الملائكة (من ظهير) من عون في خلق السموات والارض (ولا تنفع الشفاعة) ولا تشفع الملائكة (عنده) يوم القيامة (الا لمن أذن له) بالشفاعة ثم ذكر ضعف الملائكة حيث كلم الله جبريل بالوحي الى محمد صلى الله عليه وسلم فسمعت الملائكة كلام الرب تبارك وتعالى فخروا مغشيا عليهم من هيبة كلام الله فكانوا كذلك (حتى اذا فزع) كشط وجلي (عن قلوبهم) الخوف حين انحدر عليهم جبريل فرفعوا رؤسهم

الاذن وفزع شامي أي الله تعالى والتفزيع ازالة الفزع وحتى غاية لمافهم من ان ثمه انتظارا للاذن وتوقفا وفزعا من الراجين للشفاعة والشفعاء هل يؤذن لهم أولا يؤذن لهم كانه قيل يتربصون ويتوقعون مليا فزعين حتى اذا فزع عن قلوبهم (قالوا) سأل

بعضهم بعضا (ماذا قال ربكم قالوا) قال (الحق)

للاذن اى يتربصون فزعين حتى اذا كشف الفزع عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم بالاذن وقيل الضمير للملائكة وقد تقدم ذكرهم ضمنا وقرأ ابن عامر ويعقوب فزع على البناء للفاعل وقرئ فرغ اى نفى الوجل من فرغ الزاد اذا فنى ﴿ قالوا ﴾ قال بعضهم لبعض ﴿ ماذا قال ربكم ﴾ فى الشفاعة ﴿ قالوا الحق ﴾ قالوا قال القول الحق وهو الاذن بالشفاعة لمن ارتضى وهم المؤمنون وقرئ بالرفع اى مقوله الحق ﴿ وهو العلى الكبير ﴾ ذو العلو والكبرياء ليس لملك اونبى ان يتكلم ذلك اليوم الاباذنه ﴿ قل من يرزقكم من السموات والارض ﴾ يريدبه تقرير قوله لايملكون ﴿ قل الله ﴾ اذلاجواب سواه وفيه اشعار بانهم ان سكتوا اوتلعثموا فى الجواب مخافة الالزام فهم مقرون به بقلوبهم

كشف الفزع وأخرج عن قلوبهم قيل هم الملائكة وسبب ذلك من غشية تصيبهم عند سماع كلام الله تعالى (خ) عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اذاقضى الله الامر فى السماء ضربت الملائكة باجنحتها فاذا فزع عن قلوبهم ﴿قالوا ماذا قال ربكم قالوا ﴾ الذى قال ﴿ الحق وهو العلى الكبير ﴾ وللترمذى اذاقضى الله فى السماء أمرا ضربت الملائكة باجنحتها خضعا لقوله كأنه سلسلة على صفوان فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلى الكبير قال الترمذى حديث حسن صحيح . قوله خضعا جمع خاضع وهو المنقاد المطمئن والصفوان الحجر الاملس عن ابن مسعود رضى الله عنه قال اذا تكلم الله بالوحى سمع أهل السموات صلصلة كجر السلسلة على الصفاة فيصعقون فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل فاذا جاء فزع عن قلوبهم فيقولون يا جبريل ماذا قال ربك فيقول الحق فيقولون الحق أخرجه أبو داود الصلصلة صوت الاجراس الصلبة بعضها على بعض وقيل انما يفزعون حذرا من قيام الساعة قيل كانت الفترة بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام خمسمائة سنة أوستمائة لم تسمع الملائكة فيها صوت وحى فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم كلم جبريل بالرسالة الى محمد صلى الله عليه وسلم فلما سمعت الملائكة ظنوا انها الساعة لان محمدا صلى الله عليه وسلم عند أهل السموات من اشراط الساعة فصعقوا مما سمعوا خوفا من قيام الساعة فلما انحدر جبريل جعل يمر باهل كل سماء فيكشف عنهم فيرفعون رؤسهم ويقول بعضهم لبعض ماذا قال ربكم قالوا قال الحق يعنى الوحى وهو العلى الكبير وقيل الموصوفون بذلك هم المشركون وقيل اذا كشف الفزع عن قلوبهم عند نزول الموت قالت الملائكة لهم ماذا قال ربكم فى الدنيا لاقامة الحجة عليهم قالوا الحق فاقروا به حين لم ينفعهم الاقرار وهو العلى الكبير أى ذو العلو والكبرياء ﴿ قوله عز وجل ﴿ قل من يرزقكم من السموات والارض ﴾ يعنى المطر والنبات ﴿ قل ﴾ الله يعنى ان لم يقولوا ان رازقنا هو الله فقل أنت ان رازقكم هو الله

أى القول الحق وهو الاذن بالشفاعة لمن ارتضى (وهو العلى الكبير) ذو العلو والكبرياء ليس لملك ولا نبى أن يتكلم ذلك اليوم الا باذنه وأن يشفع الا لمن ارتضى (قل من يرزقكم من السموات والارض قل الله) أمره بان يقررهم بقوله من يرزقكم ثم أمره بان يتولى الاجابة والاقرار عنهم بقوله يرزقكم الله وذلك للاشعار بانهم مقرون به بقلوبهم الا انهم ربما أبوا ان يتكلموا به لانهم ان تفوهوا بان الله رازقهم لزمهم ان يقال لهم فما لكم لا تعبدون من يرزقكم وتؤثرون عليه من لا يقدر على الرزق وأمره ان يقول لهم بعد الالزام والالجام الذى ان لم يزد على اقرارهم بالسنتهم لم يتقاصر عنه

(قالوا) يعنى الملائكة لجبريل ومن معه من الملائكة (ماذا قال ربكم) يا جبريل (قالوا) يعنى جبريل ومن معه من الملائكة (الحق) القرآن (وهو العلى) أعلى كل شئ (الكبير) أكبر كل شئ (قل) يا محمد لكفار مكة (من يرزقكم من السموات) بالمطر (والارض) بالنبات (وانا) فان أجابوك وقالوا الله والا (قل الله) يرزقكم

(وانا أو اياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين) ومعناه وان أحد الفريقين من الموحدين ومن المشركين لعلى أحد الامرين من الهدى والضلال وهذا من الكلام المنصف الذى كل من سمعه من موال أو مناف قال لمن خوطب به قد أنصفك صاحبك وفى درجه بعد تقدم ما قدم من التقرير دلالة غير خفية على من هو من الفريقين على الهدى ومن هو فى الضلال المبين ولكن التعريض أوصل بالمجادل الى الغرض ونحوه قولك للكاذب ان أحدنا لكاذب وخولف بين حرفى الجر الداخلين على الهدى والضلال

لان صاحب الهدى كأنه مستعل على فرس جواد يركضه حيث شاء والضال كأنه ينغمس فى ظلام لا يرى أين توجه (قل لا تسئلون عما أجرمنا ولا نسئل عما تعملون) هذا أدخل فى الانصاف من الاول حيث أسند الاجرام الى المخاطبين وهو مزجور عنه محظور والعمل الى المخاطبين وهو مأمور به مشكور (قل يجمع بيننا ربنا) يوم القيامة (ثم يفتح) يحكم (بيننا بالحق) بلا جور ولا ميل (وهو الفتاح) الحاكم (العليم) بالحكم (قل أرونى الذين ألحقتم) أى ألحقتموهم (به) بالله (شركاء) فى العبادة معه ومعنى قوله أرونى وكان يراهم ان يريهم الخطأ العظيم فى الحاق الشركاء بالله وأن يطلعهم على حالة الاشراك به

﴿ وانا أو اياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين ﴾ اى وان احد الفريقين من الموحدين المتوحد بالرزق والقدرة الذاتية بالعبادة والمشركين به الجماد النازل فى ادنى المراتب الامكانية لعلى احد الامرين من الهدى والضلال الواضح وهو بعد ما تقدم من التقرير البليغ الدال على من هو على الهدى ومن هو فى الضلال ابلغ من التصريح لانه فى صورة الانصاف المسكت للخصم المشاغب ونظيره قول حسان

أتهجوه ولست له بكفء * فشركما لخيركما الفداء

وقيل انه على اللف وفيه نظر واختلاف الحرفين لان الهادى كمن صعد منارا ينظر الاشياء ويتطلع عليها او ركب جوادا يركضه حيث يشاء والضال كأنه منغمس فى ظلام مرتبك فيه لا يرى شيأ او محبوس فى مطمورة لا يستطيع ان يتفصى منها ﴿ قل لا تسئلون عما اجرمنا ولا نسئل عما تعملون ﴾ هذا ادخل فى الانصاف وابلغ فى الاخبات حيث اسند الاجرام الى انفسهم والعمل الى المخاطبين ﴿ قل يجمع بيننا ربنا ﴾ يوم القيامة ﴿ ثم يفتح بيننا بالحق ﴾ يحكم ويفصل بان يدخل المحقين الجنة والمبطلين النار ﴿ وهو الفتاح ﴾ الحاكم الفيصل فى القضايا المنغلقة ﴿ العليم ﴾ بما ينبغى ان يقضى به ﴿ قل أرونى الذين ألحقتم به شركاء ﴾ لأرى بأى صفة ألحقتموهم بالله فى استحقاق العبادة وهو استفسار عن شبهتهم بعد الزام

﴿ وانا او اياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين ﴾ معناه ما نحن وأنتم على أمر واحد بل احد الفريقين مهتد والآخر ضال وهذا ليس على طريق الشك بل على جهة الالزام والانصاف فى الحجاج كما يقول القائل أحدنا كاذب وهو يعلم انه صادق وصاحبه كاذب فالنبى صلى الله عليه وسلم ومن اتبعه على الهدى ومن خالفه فى ضلال فكذبهم من غير أن يصرح بالتكذيب ومنه بيت حسان

أتهجوه ولست له بكفء * فشركما لخيركما الفداء

وقيل أو بمعنى الواو ومعنى الآية انا لعلى هدى وانكم لفى ضلال مبين ﴿ قل لا تسئلون عما أجرمنا ﴾ أى لا تؤاخذون به ﴿ ولا نسئل عما تعملون ﴾ أى من الكفر والتكذيب وقيل أراد بالاجرام الصغائر والزلات التى لا يخلو منها مؤمن وبالعمل الكفر والمعاصى العظام ﴿ قل يجمع بيننا ربنا ﴾ يعنى يوم القيامة ﴿ ثم يفتح ﴾ أى يقضى ويحكم ﴿ بيننا بالحق ﴾ أى بالعدل ﴿ وهو الفتاح ﴾ أى القاضى ﴿ العليم ﴾ أى بما يقضى ﴿ قل أرونى ﴾ أعلمونى ﴿ الذين ألحقتم به ﴾ أى بالله ﴿ شركاء ﴾ أى الاصنام التى أشركوها معه فى العبادة هل

(وانا او اياكم) يا أهل مكة (لعلى هدى أو فى ضلال مبين) فى رزق الله سواء ويقال وانا معشر المؤمنين لعلى هدى او اياكم يا أهل مكة فى ضلال (قا و خا ٢١ مس) مبين فى كفر وخطأ بين مقدم ومؤخر فى الكلام (قل) لهم يا محمد (لا تسئلون عما أجرمنا) اذنبنا (ولا نسئل عما تعملون) فى كفركم ثم نسخ بعد ذلك بآية السيف (قل يجمع بيننا ربنا) يوم القيامة (ثم يفتح) يقضى (بيننا بالحق) بالعدل (وهو الفتاح) القاضى بلغة عمان (العليم) بالحكم (قل) يا محمد لاهل مكة (أرونى الذين ألحقتم به) أشركتم به (شركاء) آلهة ماذا خلقوا

(كلا) ردع وتنبيه أي ارتدعوا عن هذا القول وتنبهوا عن ضلالكم (بل هو الله العزيز) الغالب فلا يشاركه أحد وهو ضمير الشان (الحكيم) في تدبيره (وما أرسلناك الا كافة للناس) الا ارسالة عامة لهم محيطة بهم لانها اذا شملتهم فقد كفتهم أن يخرج منها أحد منهم وقال

الزجاج معنى الكافة في اللغة الاحاطة والمعنى ارسلناك جامعا للناس في الانذار والابلاغ فجعله حالا من الكاف والتاء على هذا للمبالغة كتاء الراوية والعلامة (بشيرا) بالفضل لمن اقر (ونذيرا) بالعدل لمن اصر (ولكن اكثر الناس لايعلمون) فيحملهم جهلهم على مخالفتك (ويقولون متى هذا الوعد) اى القيامة المشار اليها في قوله قل يجمع بيننا ربنا (ان كنتم صادقين قل لكم ميعاد يوم) الميعاد ظرف الوعد من مكان او زمان وهو هنا الزمان ويدل عليه قراءة من قرأ ميعاد يوم فابدل منه اليوم واما الاضافة فاضافة تبيين كما تقول سحق ثياب سانية (لاتستأخرون عنه ساعة ولاتستقدمون) اى لا يمكنكم التأخر عنه بالاستمهال

الحجة عليهم زيادة في تبكيتهم ﴿كلا﴾ ردع لهم عن المشاركة بعد ابطال المقايسة ﴿بل هو الله العزيز الحكيم﴾ الموصوف بالغلبة وكمال القدرة والحكمة وهؤلاء الملحقون به متسمة بالذلة متأبية عن قبول العلم والقدرة رأسا والضمير لله او للشان ﴿وما ارسلناك الا كافة للناس﴾ الا ارسالة عامة لهم من الكف فانها اذا عمتهم فقد كفتهم ان يخرج منها احد منهم او الا جامعا لهم في الابلاغ فهي حال من الكاف والتاء للمبالغة ولا يجوز جعلها حالا من الناس على المختار ﴿بشيرا ونذيرا ولكن اكثر الناس لايعلمون﴾ فيحملهم جهلهم على مخالفتك ﴿ويقولون﴾ من فرط جهلهم ﴿متى هذا الوعد﴾ يعنون المبشر به والمنذر عنه او الموعود بقوله يجمع بيننا ربنا ﴿ان كنتم صادقين﴾ يخاطبون به رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ﴿قل لكم ميعاد يوم﴾ وعد يوم او زمان وعد واضافته الى اليوم للتبيين ويؤيده انه قرئ يوم على البدل وقرئ يوما باضمار اعني ﴿لاتستأخرون عنه ساعة ولاتستقدمون﴾ اذا فاجأكم وهو جواب تهديد جاء

يخلقون أو يرزقون وأراد بذلك أن يريهم الخطأ العظيم في ألحاق الشركاء بالله ﴿كلا﴾ كلمة ردع لهم عن مذهبهم والمعنى ارتدعوا فانهم لايخلقون ولا يرزقون ﴿بل هو الله العزيز﴾ أي الغالب على أمره ﴿الحكيم﴾ أي في تدبير خلقه فأنى يكون له شريك في ملكه * قوله عز وجل ﴿وما أرسلناك الا كافة للناس﴾ أي للناس كلهم عامة أحمرهم وأسودهم عربيهم وعجميهم وقيل ارسالة عامة لهم لانها اذا شملتهم فقد كفتهم ان يخرج منها أحد (ق) عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الانبياء قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا فايما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل وأحلت لي الغنائم ولم تحل لاحد قبلي وأعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة * في الحديث بيان الفضائل التي خص الله بها نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم دون سائر الانبياء وان هذه الخمسة لم تكن لاحد ممن كان قبله من الانبياء وفيه اختصاصه بالرسالة العامة لكافة الخلق الانس والجن وكان النبي قبله يبعث الى قومه أو الى أهل بلده فعمت رسالة نبينا صلى الله عليه جميع الخلق وهذه درجة خص بها دون سائر الانبياء عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام وقيل في معنى كافة أي كافا تكفهم عما هم عليه من الكفر فتكون الهاء للمبالغة ﴿بشيرا﴾ أي لمن آمن بالجنة ﴿ونذيرا﴾ أي لمن كفر بالنار ﴿ولكن أكثر الناس لايعلمون ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين﴾ يعني يوم القيامة ﴿قل لكم ميعاد يوم لاتستأخرون عنه ساعة ولاتستقدمون﴾ معناه لاتتقدمون على يوم القيامة وقيل

ثم قال الله (كلا) حقا لم يخلقوا شيأ (بل هو الله) خلق ذلك (العزيز) بالنقمة لمن لايؤمن به (الحكيم) في أمره وقضائه امر أن لايعبد غيره (وما أرسلناك) يا محمد (الا كافة) جماعة (للناس) الانس والجن (بشيرا) بالجنة لمن آمن بالله (ونذيرا) من النار لمن كفر به (ولكن أكثر الناس) أهل مكة (لايعلمون) ذلك (عن) ولا يصدقون (ويقولون) كفار مكة (متى هذا الوعد) يا محمد الذي تعدنا (ان كنتم صادقين) ان كنت من الصادقين ان نبعث بعد الموت (قل) لهم يا محمد (لكم ميعاد يوم) ميقات يوم يوم القيامة (لاتستأخرون عنه ساعة) بعد الاجل (ولاتستقدمون)

ولا التقدم اليه بالاستعجال ووجه انطباق هذا الجواب على سؤالهم انهم سألوا عن ذلك وهم منكرون له تعنتا لا استرشادا فجاء الجواب على طريق التهديد مطابقا للسؤال على الانكار والتعنت وأنهم مرصدون ليوم فاجئهم فلا يستطيعون تأخرا عنه ولا تقدما عليه (وقال الذين كفروا) أي أبو جهل وذووه (لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذى بين يديه) أى ما نزل قبل القرآن من كتب الله أو القيامة والجنة والنار حتى انهم جحدوا أن يكون القرآن من الله وأن يكون لمدلوله من الاعادة للجزاء حقيقة (ولو ترى اذ الظالمون موقوفون) محبوسون (عند ربهم يرجع) يرد (بعضهم الى بعض القول) فى الجدال أخبر عن عاقبة أمرهم ومآلهم فى الآخرة فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو للمخاطب ولو ترى فى الآخرة موقفهم وهم يتجاذبون أطراف المحاورة ويتراجعونها بينهم لرأيت العجب فحذف الجواب (يقول الذين استضعفوا) أى الاتباع (للذين استكبروا) أى للرؤس والمقدمين

مطابقا لما قصدوه بسؤالهم من التعنت والانكار ﴿وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذى بين يديه﴾ ولا بما تقدمه من الكتب الدالة على البعث وقيل ان كفار مكة سألوا اهل الكتاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروهم انهم يجدون نعته فى كتبهم فغضبوا وقالوا ذلك وقيل الذى بين يديه يوم القيامة ﴿ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم﴾ اى فى موضع المحاسبة ﴿يرجع بعضهم الى بعض القول﴾ يتحاورون ويتراجعون القول ﴿يقول الذين استضعفوا﴾ يقول الاتباع ﴿للذين استكبروا﴾ للرؤساء ﴿لولا انتم﴾ لولا اضلالكم وصدكم ايانا عن الايمان ﴿لكنا مؤمنين﴾ باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ﴿قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين﴾ انكروا انهم كانوا صادين لهم عن الايمان واثبتوا انهم هم الذين صدوا انفسهم حيث اعرضوا عن الهدى وآثروا التقليد عليه

عن يوم الموت ولا تتأخرون عنه بأن يزاد فى آجالهم أو ينقص منها ﴿وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذى بين يديه﴾ يعنى التوراة والانجيل ﴿ولو ترى﴾ أى يا محمد ﴿اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول﴾ معناه ولو ترى فى الآخرة موقفهم وهم يتجاذبون أطراف المحاورة ويتراجعونها بينهم لرأيت العجب ﴿يقول الذين استضعفوا﴾ وهم الاتباع ﴿للذين استكبروا﴾ وهم القادة والاشراف ﴿لولا أنتم لكنا مؤمنين﴾ يعنى أنتم منعتمونا عن الايمان بالله ورسوله ﴿قال الذين استكبروا﴾ أى أجاب المتبوعون فى الكفر ﴿للذين استضعفوا أنحن صددناكم﴾ أى منعناكم ﴿عن الهدى﴾ أى عن الايمان ﴿بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين﴾ أى بترك

(لولا أنتم لكنا مؤمنين) لولا دعاؤكم ايانا الى الكفر لكنا مؤمنين بالله ورسوله (قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى) أولى الاسم أى نحن حرف الانكار لان المراد انكار ان يكونوا هم الصادين لهم عن الايمان واثبات انهم هم الذين صدوا بانفسهم عنه وانهم أتوا من قبل اختيارهم (بعد اذ جاءكم) نما وقعت اذ مضافا اليها وان كانت اذ واذا من الظروف اللازمة للظرفية لانه قد اتسع فى الزمان ما لم يتسع فى غيره فاضيف اليها الزمان (بل كنتم مجرمين) كافرين لاختياركم وايثاركم الضلال على الهدى لا بقولنا وتسويلنا

قبل الاجل ساعة (وقال الذين كفروا) كفار مكة أبو جهل بن هشام وأصحابه (لن نؤمن بهذا القرآن) الذى يقرأ علينا محمد عليه السلام (ولا بالذى بين يديه) قبله من التوراة والانجيل والزبور وسائر الكتب (ولو ترى) يا محمد (اذ الظالمون) المشركون أبو جهل وأصحابه (موقوفون) محبوسون (عند ربهم) يوم القيامة (يرجع بعضهم الى بعض القول) يجيب بعضهم بعضا ويرد بعضهم ويلعن بعضهم بعضا (يقول الذين استضعفوا) قهروا وهم السفلة (للذين استكبروا) تعظموا عن الايمان وهم القادة (لولا أنتم لكنا مؤمنين) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (قال الذين استكبروا) تعظموا عن الايمان وهم القادة (للذين استضعفوا) قهروا وهم السفلة (أنحن صددناكم) صرفناكم (عن الهدى) عن الايمان (بعد اذ جاءكم) محمد به (بل كنتم مجرمين) مشركين قبل مجىء محمد عليه السلام اليكم

(وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا) لم يأت بالعاطف في قل الذين استكبروا وأتى به في وقال الذين استضعفوا لان الذين استضعفوا مر أولا كلامهم فجئ بالجواب محذوف العاطف على طريق الاستئناف ثم جئ بكلام آخر للمستضعفين فعطف على كلامهم الاول (بل مكر الليل والنهار) بل مكركم بنا بالليل والنهار فاتسع في الظرف باجرائه مجرى المفعول به واضافة المكر اليه أو جعل ليلهم ونهارهم ماكرين على الاسناد المجازي أي الليل والنهار مكرا بطول السلامة فيهما حتى ظننا انكم على الحق (اذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا) أشباها والمعنى ان المستكبرين لما أنكروا بقولهم أنحن صددناكم ان يكونوا هم السبب في كفر المستضعفين وأثبتوا بقولهم بل كنتم مجرمين ان ذلك بكسبهم واختيارهم كر عليهم المستضعفون بقولهم بل مكر الليل والنهار فابطلوا اضرابهم باضرابهم كانهم قالوا ما كان الاجرام من جهتنا بل من جهة مكركم لنا د[illegible]با ليلا ونهارا وحملكم ايانا على الشرك واتخاذ الانداد (واسروا الندامة) اضمروا أو اظهروا وهو من الاضداد وهم الظالمون في قوله اذ الظالمون موقوفون يندم المستكبرون على ضلالهم واضلالهم والمستضعفون على ضلالهم واتباعهم المضلين (لما رأوا العذاب) الجحيم (وجعلنا الاغلال في اعناق الذين كفروا) اى في اعناقهم فجاء بالصريح للدلالة على ما استحقوا به الاغلال (هل يجزون الا ما كانوا يعملون) في الدنيا (وما ارسلنا في قرية من نذير) نبي (الا قال مترفوها) متنعموها

ولذلك بنوا الانكار على الاسم ﴿وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار﴾ اضراب عن اضرابهم اى لم يكن اجرام منا الصاد بل مكركم لنا دائبا ليلا ونهارا حتى اغرتم علينا رأينا ﴿اذ تأمروننا ان نكفر بالله ونجعل له اندادا﴾ والعاطف يعطفه على كلامهم الاول واضافة المكر الى الظرف على الاتساع وقرئ مكر الليل بالنصب على الاتساع وقرئ مكر الليل بالنصب على المصدر ومكر الليل بالتنوين ونصب الظرف ومكر الليل من الكرور ﴿واسروا الندامة لما رأوا العذاب﴾ واضمر الفريقان الندامة على الضلال والاضلال واخفاها كل عن صاحبه مخافة التعيير او اظهروها فانه من الأضداد اذ الهمزة تصلح للاثبات وللسلب كما في اشكيته ﴿وجعلنا الاغلال في اعناق الذين كفروا﴾ اى في اعناقهم فجاء بالظاهر تنويها بذمهم واشعارا بموجب اغلالهم ﴿هل يجزون الا ما كانوا يعملون﴾ اى لا يفعل بهم ما يفعل الا جزاء على اعمالهم وتعدية يجزى اما لتضمين معنى يقضى او لنزع الخافض ﴿وما ارسلنا في قرية من نذير الا قال مترفوها﴾ تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما منى به من قومه وتخصيص المتنعمين بالتكذيب لان الداعى المعظم اليه التكبر والمفاخرة بزخارف الدنيا والانهماك في الشهوات والاستهانة بمن لم يحظ

الايمان ﴿وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار﴾ أي مكركم بنا في الليل والنهار وقيل مكر الليل والنهار هو طول السلامة في الدنيا وطول الامل فيها ﴿اذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا﴾ أي هو قول القادة للاتباع ان ديننا الحق وان محمدا كذاب ساحر وهذا تنبيه للكفار أن تصير طاعة بعضهم لبعض في الدنيا سبب عداوتهم في الآخرة ﴿وأسروا الندامة﴾ أي أظهروها وقيل اخفوها وهو من الاضداد ﴿لما رأوا العذاب وجعلنا الاغلال في اعناق الذين كفروا﴾ أي في النار الاتباع والمتبوعين جميعا ﴿هل يجزون الا ما كانوا يعملون﴾ أي من الكفر والمعاصي في الدنيا * قوله عز وجل ﴿وما أرسلنا في قرية من نذير الا قال مترفوها﴾ أي رؤساؤها

(وقال الذين استضعفوا) قهروا وهم السفلة (للذين استكبروا) تعظموا عن الايمان وهم القادة (بل مكر الليل (و) والنهار) قولكم ايانا بالليل والنهار (اذ تأمروننا) اذ أمرتمونا (ان نكفر بالله) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (ونجعل له أندادا) اعدالا واشكالا (وأسروا) أخفوا (الندامة) القادة من السفلة ويقال اظهر الندامة القادة والسفلة (لما) حين (رأوا العذاب وجعلنا الاغلال في أعناق الذين كفروا) بمحمد عليه السلام والقرآن يقول غلت ايمانهم الى أعناقهم (هل يجزون) يوم القيامة (الا ما كانوا يعملون) الا بما كانوا يعملون ويقولون في كفرهم (وما أرسلنا في قرية) الى أهل قرية (من نذير) رسول مخوف (الا قال مترفوها) جبابرتها وأغنياؤها

ورؤساؤها (انا بما ارسلتم به كافرون) هـذه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم مما منى به من قومه من التكذيب والكفر بما جاء به وانه لم يرسل قط الى اهل قرية من نذير الاقالوا له مثل ما قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اهل مكة وافتخروا بكثرة الاموال والاولاد كما قال (وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا ومانحن بمعذبين) ارادوا انهم اكرم على الله من ان يعذبهم نظرا الى احوالهم في الدنيا وظنوا انهم لولم يكرموا على الله لما رزقهم الله ولولا ان المؤمنين هانوا عليه لما حرمهم فابطل الله ظنهم بان الرزق فضل من الله يقسمه كيف يشاء فربما وسع على العاصي وضيق على المطيع وربما عكس وربما وسع عليهما اوضيق عليهما فلا ينقاس عليهما امر الثواب بقوله (قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) قدر الرزق تضييقه قال الله تعالى ومن قدر عليه رزقه (ولكن اكثر الناس لايعلمون) ذلك (وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى) اى وما جماعة اموالكم ولا جماعة اولادكم بالتي وذلك ان الجمع المكسر عقلاؤه وغير عقلائه سواء في حكم التأنيث والزلفى والزلفة كالقربى وكالقربة ومحلها النصب على المصدر اى تقربكم قربة كقوله انبتكم من الارض نباتا (الامن آمن وعمل صالحا) الاستثناء من كم في تقربكم يعني ان الاموال لاتقرب احدا الاالمؤمن الصالح الذي ينفقها في سبيل الله والاولاد لاتقرب احدا الامن علمهم الخير وفقههم في الدين ورشحهم للصلاح والطاعة وعن ابن عباس الا بمعنى لكن ومن شرط جوابه (فاولئك لهم جزاء الضعف) وهو من اضافة المصدر الى المفعول اصله

منها ولذلك ضموا التهكم والمفاخرة الى التكذيب فقالوا ﴿ انا بما ارسلتم به كافرون ﴾ على مقابلة الجمع بالجمع ﴿ وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا ﴾ فنحن اولى بما تدعونه ان امكن ﴿ ومانحن بمعذبين ﴾ امالان العذاب لايكون اولانه اكرمنا بذلك فلايهيننا بالعذاب ﴿ قل ﴾ ردا لحسبانهم ﴿ ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ﴾ ولذلك يختلف فيه الاشخاص المتماثلة في الخصائص والصفات ولوكان ذلك لكرامة وهوان يوجبانه لم يكن بمشيئته ﴿ ولكن اكثر الناس لايعلمون ﴾ فيظنون ان كثرة الاموال والاولاد للشرف والكرامة وكثيرا مايكون للاستدراج كما قال ﴿ وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى ﴾ قربة والتي مالان المراد وما جماعة اموالكم والاولاد اولانها صفة محذوف كالتقوى والخصلة وقرئ بالذي اى بالشئ الذي يقربكم ﴿ الا من آمن وعمل صالحا ﴾ استثناء من مفعول تقربكم اى الاموال والاولاد لاتقرب احدا الاالمؤمن الصالح الذي ينفق ماله في سبيل الله ويعلم ولده الخير ويربيه على الصلاح او من اموالكم واولادكم على حذف المضاف ﴿ فاولئك لهم جزاء الضعف ﴾ ان يجازوا الضعف الى عشر فما فوقه والاضافة اضافة المصدر الى المفعول وقرئ بالاعمال على الاصل وعن يعقوب رفعهما على ابدال الضعف ونصب الجزاء على التميز او المصدر لفعله الذي دل

وأغنياؤها ﴿ انا بما أرسلتم به كافرون وقالوا ﴾ يعني المترفين والاغنياء للفقراء الذين آمنوا ﴿ نحن أكثر أموالا وأولادا ﴾ يعني لولم يكن الله راضيا بما نحن عليه من الدين والعمل الصالح لم يخولنا أموالا ولا أولادا ﴿ ومانحن بمعذبين ﴾ أى ان الله قد أحسن الينا في الدنيا بالمال والولد فلا يعذبنا في الآخر ﴿ قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ﴾ يعني انه تعالى يبسط الرزق ابتلاء وامتحانا ولايدل البسط على رضا الله تعالى ولا التضييق على سخطه ﴿ ولكن أكثر الناس لايعلمون ﴾ أى انها كذلك ﴿ وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى ﴾ أى بالتي تقربكم عندنا تقريبا ﴿ الا ﴾ أى لكن ﴿ من آمن وعمل صالحا ﴾ قال ابن عباس يريد ايمانه وعمله يقربه مني ﴿ فاولئك لهم جزاء الضعف

(انا بما ارسلتم به كافرون) جاحدون (وقالوا) للرسل (نحن أكثر أموالا وأولادا) منكم (ومانحن بمعذبين) بدينـنا هذا مع هذه الاموال والاولاد وهكذا قال كفار مكة لمحمد عليه السلام قال الله (قل) لهم يا محمد (ان ربي يبسط الرزق) يوسع المال (لمن يشاء) على من يشاء وهو مكر منه (ويقدر) يقتر على من يشاء وهو نظر منه (ولكن أكثر الناس) أهل مكة (لايعلمون) ذلك ولا يصدقون به (وما أموالكم) كثرة أموالكم يا أهل مكة (ولا أولادكم) كثرة أولادكم (بالتي تقربكم عندنا زلفى) قربى بالدرجات (الامن آمن) بالله ولكن ايمان من آمن بالله (وعمل صالحا) خالصا فيما بينه وبين ربه يقربه الى الله (فاولئك لهم جزاء الضعف) في

فاولئك لهم ان يجازوا الضعف ثم جزاء الضعف ومعنى جزاء الضعف ان تضاعف لهم حسناتهم الواحدة عشرا
وقرأ يعقوب جزاء الضعف على فاولئك لهم الضعف جزاء (بما عملوا) باعمالهم (وهم فى الغرفات) اى غرف منازل
الجنة الغرفة حمزة (آمنون) من كل هائل وشاغل (والذين

يسعون فى آياتنا) فى ابطالها (معجزين أولئك فى العذاب محضرون قل ان ربى يبسط الرزق) يوسع (لمن يشاء من عباده ويقدر له وما أنفقتم) ما شرطية فى موضع النصب (من شىء) بيانه (فهو يخلفه) يعوضه لا معوض سواه اما عاجلا بالمال او آجلا بالثواب جواب الشرط (وهو خير الرازقين) المطعمين لان كل مارزق غيره من سلطان أوسيد أوغيرهما فهو من رزق الله أجراه على أيدى هؤلاء وهو خالق الرزق وخالق الاسباب التى بها ينتفع المرزوق بالرزق وعن بعضهم الحمد لله الذى أوجدنى وجعلنى ممن يشتهى فكم من مشته لا يجد وواجد لا يشتهى (ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون) وبالياء

عليه لهم ﴿ بما عملوا وهم فى الغرفات آمنون ﴾ من المكاره وقرئ بفتح الراء وسكونها وقرأ حمزة فى الغرفة على ارادة الجنس ﴿ والذين يسعون فى آياتنا ﴾ بالرد والطعن فيها ﴿ معاجزين ﴾ مسابقين لانبيائنا اوظانين انهم يفوتوننا ﴿ اولئك فى العذاب محضرون قل ان ربى يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له ﴾ يوسع عليه تارة ويضيق عليه اخرى فهذا فى شخص واحد باعتبار وقتين وماسبق فى شخصين فلا تكرير ﴿ وما انفقتم من شىء فهو يخلفه ﴾ عوضا اما عاجلا او آجلا ﴿ وهو خير الرازقين ﴾ فان غيره وسط فى ايصال رزقه لاحقيقة لرازقيته ﴿ ويوم نحشرهم جميعا ﴾ المستكبرين والمستضعفين ﴿ ثم نقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون ﴾ تقريعا للمشركين

بما عملوا ﴾ أى يضعف الله لهم حسناتهم فيجزى بالحسنة الواحدة عشرا الى سبعمائة ﴿ وهم فى الغرفات آمنون والذين يسعون فى آياتنا ﴾ اى يعملون فى ابطال حججنا ﴿ معجزين ﴾ أى معاندين يحسبون انهم يعجزوننا ويفوتوننا ﴿ أولئك فى العذاب محضرون ﴾ قوله عز وجل ﴿ قل ان ربى يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له وما أنفقتم من شىء فهو يخلفه ﴾ أى يعطى خلفه اذا كان فى غير اسراف ولا تقتير فهو يخلفه ويعوضه لا يعوض سواه اما عاجلا بالمال أو بالقناعة التى هى كنز لا ينفد واما بالثواب فى الآخرة الذى كل خلف دونه وقيل ما تصدقتم من صدقة وأنفقتم من خير فهو يخلفه على المنفق قال مجاهد من كان عنده من هذا المال ما يقيمه فليقتصد فان الرزق مقسوم ولعل ما قسم له قليل وهو ينفق نفقة الموسع عليه فينفق جميع ما فى يده ثم يبقى طول عمره فى فقر ولا يتأولن وما أنفقتم من شىء فهو يخلفه فان هذا فى الآخرة ومعنى الآية ما كان من خلف فهو منه (ق) عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تبارك وتعالى أنفق ينفق عليك ولمسلم يا ابن آدم أنفق أنفق عليك (ق) عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من يوم يصبح العباد فيه الا وملكان ينزلان يقول أحدهما اللهم أعط منفقا خلفا ويقول الآخر اللهم أعط ممسكا تلفا (م) عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبدا بعفو الا عزا وما تواضع أحد لله الا رفعه الله ﴿ وهو خير الرازقين ﴾ أى خير من يعطى ويرزق لان كل مارزق غيره من سلطان يرزق جنده أوسيد يرزق مملوكه أو رجل يرزق عياله فهو من رزق الله أجراه الله على أيدى هؤلاء وهو الرزاق الحقيقى الذى لا رازق سواه قوله تعالى ﴿ ويوم نحشرهم جميعا ﴾ يعنى هؤلاء الكفار ﴿ ثم نقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون ﴾ أى فى

الحسنات (بما عملوا) فى ايمانهم (وهم فى الغرفات) فى الدرجات (آمنون) من الموت والزوال (والذين يسعون فى آياتنا) يكذبون بآياتنا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (معاجزين) ليسوا بفائتين من عذابنا (أولئك فى العذاب) فى النار (الدنيا)
(محضرون) معذبون (قل) لهم يا محمد (ان ربى يبسط الرزق لمن يشاء) يوسع المال على من يشاء (من عباده) وهو مكر منه (ويقدر له) يقتر له وهو نظر منه (وما أنفقتم من شىء) فى سبيل الله (فهو يخلفه) فى الدنيا بالمال وفى الآخرة بالحسنات (وهو خير الرازقين) أفضل المخلفين والمعطين (ويوم نحشرهم) يعنى بنى مليح والملائكة (جميعا ثم نقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون) بامركم

فيهما حفص ويعقوب هذا خطاب للملائكة وتقريع للكفار وارد على المثل السائر * اياك أعني واسمعي ياجاره * ونحوه قوله أأنت قلت للناس اتخذوني الآية (قالوا) أي الملائكة (سبحانك) تنزيها لك أن يعبد معك غيرك (أنت ولينا) الموالاة خلاف المعاداة وهي مفاعلة من الولي وهو القرب والولي يقع على الموالي والموالى جميعا والمعنى أنت الذي نواليه (من دونهم) اذ لا موالاة بيننا وبينهم فبينوا باثبات موالاة الله ومعاداة الكفار براءتهم من الرضا بعبادتهم لهم لان من كان على هذه الصفة كانت حاله منافية لذلك (بل كانوا يعبدون الجن) أي الشياطين حيث أطاعوهم في عبادة غير الله أو كانوا يدخلون في أجواف الاصنام اذا عبدت فيعبدون بعبادتها أو صورت لهم الشياطين صور قوم من الجن وقالوا هذه صور الملائكة فاعبدوها (أكثرهم) أكثر الانس أو الكفار (بهم) بالجن (مؤمنون فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا) لان الامر في ذلك اليوم لله وحده لا يملك فيه أحد منفعة ولا مضرة لاحد لان الدار دار ثواب وعقاب والمثيب والمعاقب هو الله فكانت حالها خلاف حال الدنيا التي هي دار تكليف والناس فيها مخلى بينهم يتضارون ويتنافعون والمراد انه لا ضار ولا نافع يومئذ الا هو ثم ذكر عاقبة الظالمين بقوله (ونقول للذين ظلموا) بوضع العبادة في غير موضعها معطوف على لا يملك (ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون) في الدنيا (واذا تتلى عليهم آياتنا) أي اذا قرئ عليهم القرآن (بينات) واضحات (قالوا) أي المشركون (ماهذا) أي محمد (الا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم وقالوا ماهذا) أي

وتبكيتا لهم واقناطا لهم عما يتوقعون من شفاعتهم وتخصيص الملائكة لانهم اشرف شركائهم والصالحون للخطاب منهم ولان عبادتهم مبدأ الشرك واصله وقرأ حفص ويعقوب يحشرهم ويقول بالياء فيهما ﴿ قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم ﴾ انت الذي نواليه من دونهم لا موالاة بيننا وبينهم كأنهم بينوا بذلك براءتهم من الرضى بعبادتهم ثم اضربوا عن ذلك ونفوا انهم عبدوهم على الحقيقة بقولهم ﴿ بل كانوا يعبدون الجن ﴾ اى الشياطين حيث اطاعوهم في عبادة غير الله وقيل كانوا يتمثلون لهم ويخيلون اليهم انهم الملائكة فيعبدونهم ﴿ اكثرهم بهم مؤمنون ﴾ الضمير الاول للانس او للمشركين والاكثر بمعنى الكل والثاني للجن ﴿ فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا ﴾ اذ الامر فيه كله لان الدار دار جزاء وهو المجازي وحده ﴿ ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون ﴾ عطف على لا يملك مبين للمقصود من تمهيده ﴿ واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ماهذا ﴾ يعنون محمدا عليه الصلاة والسلام ﴿ الا رجل يريد ان يصدكم عما كان يعبد آباؤكم ﴾ فيستتبعكم بما يستبدعه ﴿ وقالوا ماهذا ﴾ يعنون القرآن

الدنيا وهذا استفهام تقريع وتقرير للكفار فتتبرأ الملائكة منهم من ذلك * وهو قوله تعالى ﴿ قالوا سبحانك ﴾ أي تنزيها لك ﴿ انت ولينا من دونهم ﴾ أي نحن نتولاك ولا نتولاهم فبينوا باثبات موالاة الله ومعاداة الكفار براءتهم من الرضا بعبادتهم لهم ﴿ بل كانوا يعبدون الجن ﴾ يعني الشياطين * فان قلت قد عبدوا الملائكة فكيف وجه قوله بل كانوا يعبدون الجن * قلت أراد ان الشياطين زينوا لهم عبادة الملائكة فاطاعوهم في ذلك فكانت طاعتهم للشياطين عبادة لهم وقيل صوروا لهم صورا وقالوا لهم هذه صور الملائكة فاعبدوها فعبدوها وقيل كانوا يدخلون في أجواف الاصنام فيعبدون بعبادتها ﴿ اكثرهم بهم مؤمنون ﴾ أي مصدقون للشياطين قال الله تعالى ﴿ فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ﴾ أي شفاعة ﴿ ولا ضرا ﴾ أي بالعذاب يريد أنهم عاجزون لا نفع عندهم ولا ضر ﴿ ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ماهذا الا رجل ﴾ يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم ﴿ يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم وقالوا ماهذا

(قالوا) يعني الملائكة (سبحانك) نزهوا الله (أنت ولينا) ربنا (من دونهم) من دون أن أمرناهم بعبادتنا (بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون) مقرون يرون انهم الملائكة (فاليوم) وهو يوم القيامة (لا يملك) لا يقدر (بعضكم لبعض) يعني الملائكة والجن لكم (نفعا) من الشفاعة (ولا ضرا) بدفع العذاب (ونقول للذين ظلموا) أشركوا (ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها) في الدنيا (تكذبون) أنها لا تكون (واذا تتلى عليهم) تقرأ على كفار مكة (آياتنا) آيات القرآن (بينات) مبينات بالحلال والحرام (قالوا ماهذا) يعنون محمدا عليه السلام (الا رجل يريد أن يصدكم) يصرفكم (عما كان يعبد آباؤكم) من الآلهة (وقالوا ماهذا)

القرآن (الأأفك مفترى وقال الذين كفروا) أي وقالوا والعدول عنه دليل على انكار عظيم وغضب شديد (للحق) للقرآن أو لامر النبوة كله (لما جاءهم) وعجزوا عن الاتيان بمثله (ان هذا) أي الحق (الاسحر مبين) بتوه على انه سحر ثم بتوه على انه بين ظاهر كل عاقل تأمله سماه سحرا (وما آتيناهم من كتب يدرسونها) أي ما أعطينا مشركي مكة كتبا يدرسونها فيها برهان على صحة الشرك (وما أرسلنا اليهم قبلك من نذير) ولا أرسلنا اليهم نذيرا ينذرهم بالعقاب ان لم يشركوا ثم توعدهم على تكذيبهم بقوله (وكذب الذين من قبلهم) أي وكذب الذين تقدموهم من الامم الماضية والقرون الخالية الرسل كما كذبوا (وما بلغوا

معشار ما آتيناهم) أي وما بلغ أهل مكة عشر ما أوتي الاولون من طول الاعمار وقوة الاجرام وكثرة الاموال والاولاد (فكذبوا رسلي فكيف كان نكير) للمكذبين الاولين فليحذروا من مثله وبالياء في الوصل والوقف يعقوب أي فحين كذبوا رسلهم جاءهم انكاري بالتدمير والاستئصال ولم يغن عنهم استظهارهم بما هم مستظهرون فما بال هؤلاء وانما قال فكذبوا وهو مستغنى عنه بقوله وكذب الذين من قبلهم لانه لما كان معنى قوله وكذب الذين من قبلهم وفعل الذين من قبلهم التكذيب وأقدموا عليه جعل تكذيب الرسل مسببا عنه وهو كقول القائل أقدم فلان على الكفر فكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم (قل أنما أعظكم بواحدة) بخصلة واحدة وقد فسرها بقوله (أن تقوموا)

﴿ الافك ﴾ لعدم مطابقة ما فيه الواقع ﴿ مفترى ﴾ باضافته الى الله سبحانه ﴿ وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم ﴾ لامر النبوة أو للاسلام او للقرآن والاول باعتبار معناه وهذا باعتبار لفظه واعجازه ﴿ ان هذا الا سحر مبين ﴾ ظاهر سحريته وفي تكرير الفعل والتصريح بذكر الكفرة وما في اللامين من الاشارة الى القائلين والمقول فيه وما في لما من المبادهة الى البت بهذا القول انكار عظيم له وتعجيب بليغ منه ﴿ وما آتيناهم من كتب يدرسونها ﴾ وفيها دليل على صحة الاشراك ﴿ وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير ﴾ يدعوهم اليه وينذرهم على تركه فقد بان من قبل ان لا وجه له فمن اين وقع لهم هذه الشبهة وهذا في غاية التجهيل لهم والتسفيه لرأيهم ثم هددهم فقال ﴿ وكذب الذين من قبلهم ﴾ كما كذبوا ﴿ وما بلغوا معشار ما آتيناهم ﴾ وما بلغ هؤلاء عشر ما آتينا اولئك من القوة وطول العمر وكثرة المال او ما بلغ اولئك عشر ما آتينا هؤلاء من البينات والهدى ﴿ فكذبوا رسلي فكيف كان نكير ﴾ فحين كذبوا رسلي جاءهم انكاري بالتدمير فكيف كان نكيري لهم فليحذر هؤلاء من مثله ولا تكرير في كذب لان الاول للتكثير والثاني للتكذيب او الاول مطلق والثاني مقيد ولذلك عطف عليه بالفاء ﴿ قل انما اعظكم بواحدة ﴾ ارشدكم وانصح لكم بخصلة واحدة هي ما دل عليه ﴿ ان تقوموا

الأأفك مفترى ﴾ يعنون القرآن ﴿ وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم ان هذا الا سحر مبين وما آتيناهم ﴾ يعني هؤلاء المشركين ﴿ من كتب يدرسونها ﴾ أي يقرؤنها ﴿ وما أرسلنا اليهم قبلك من نذير ﴾ أي لم يأت العرب قبلك نبي ولا أنزل اليهم كتاب ﴿ وكذب الذين من قبلهم ﴾ أي من الامم السالفة رسلنا ﴿ وما بلغوا ﴾ يعني هؤلاء المشركين ﴿ معشار ﴾ اي عشر ﴿ ما آتيناهم ﴾ أي أعطينا الامم الخالية من القوة والنعمة وطول الاعمار ﴿ فكذبوا رسلي فكيف كان نكير ﴾ أي أنكاري عليهم يحذر بذلك كفار هذه الامة عذاب الامم الماضية ❊ قوله عز وجل ﴿ قل انما أعظكم ﴾ أي آمركم وأوصيكم ﴿ بواحدة ﴾ أي بخصلة واحدة ثم بين تلك الخصلة فقال تعالى ﴿ أن تقوموا

الذي يقول محمد عليه السلام (الافك) كذب (مفترى) مختلق من تلقاء نفسه (وقال الذين كفروا) كفار مكة (للحق) للقرآن (أي) (لما جاءهم) حين جاءهم محمد به صلى الله عليه وسلم (ان هذا) ما هذا (الا سحر مبين) كذب بين (وما آتيناهم) أعطيناهم كفار مكة (من كتب يدرسونها) يقرؤن فيها ما يقولون (وما أرسلنا اليهم قبلك) يا محمد (من نذير) من رسول مخوف لهم الا قالوا له مثل ما يقولون لك (وكذب الذين من قبلهم) من قبل قومك قريش الرسل (وما بلغوا معشار ما آتيناهم) يقول ما بلغت قريش عشر من كان قبلهم من الكفار ويقال ما بلغت أموالهم ولا أولادهم واعمارهم وقوتهم عشر ما أعطينا من كان قبلهم (فكذبوا رسلي فكيف كان نكير) تغييري عليهم بالعذاب حين لم يؤمنوا (قل) يا محمد لكفار مكة (انما أعظكم بواحدة) بكلمة واحدة لا اله الا الله وهذا كقول الرجل للرجل تعال حتى أكلمك كلمة واحدة ثم يكلمه باكثر من ذلك (أن تقوموا

على انه عطف بيان لها او قيل هو بدل وعلى هذين الوجهين هو فى محل الجر وقيل هو فى محل الرفع على تقدير وهى ان تقوموا والنصب على تقدير أعنى وأراد بقيامهم القيام عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرقهم عن مجتمعهم عنده أو قيام القصد الى الشئ دون النهوض والانتصاب والمعنى انما اعظكم بواحدة ان فعلتموها أصبتم الحق وتخلصتم وهى أن تقوموا (لله) أى لوجه الله خالصا لا لحمية

ولا عصبية بل لطلب الحق (مثنى) اثنين اثنين (وفرادى) فردا فردا (ثم تتفكروا) فى أمر محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به أما الاثنان فيتفكران و يعرض كل واحد منهما محصول فكره على صاحبه وينظران فيه نظر الصدق والانصاف حتى يؤديهما النظر الصحيح الى الحق وكذلك الفرد يتفكر فى نفسه بعدل ونصفة ويعرض فكره على عقله ومعنى تفرقهم مثنى وفرادى ان الاجتماع مما يشوش الخواطر ويعمى البصائر و يمنع من الروية ويقل الانصاف فيه ويكثر الاعتساف ويثور عجاج التعصب ولا يسمع الا نصرة المذهب وتتفكروا معطوف على تقوموا (ما بصاحبكم) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (من جنة) جنون والمعنى ثم تتفكروا فتعلموا ما بصاحبكم من جنة (ان هو الا نذير لكم بين يدى عذاب شديد) قدام عذاب شديد وهو عذاب الآخرة وهو كقوله (قاو خا ٢٢ مس) عليه السلام بعثت بين يدى الساعة ثم بين انه لا يطلب أجرا على الانذار بقوله (قل ما سألتكم من أجر) على انذارى وتبليغى الرسالة (فهو لكم)

لله ﴾ وهو القيام من مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم او الانتصاب فى الامر خالصا لوجه الله معرضا عن المراء والتقليد ﴿ مثنى وفرادى ﴾ متفرقين اثنين اثنين وواحدا واحدا فان الازدحام يشوش الخواطر ويخلط القول ﴿ ثم تتفكروا ﴾ فى امر محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به لتعلموا حقيقته ومحله الجر على البدل او البيان او الرفع او النصب باضمار هو او اعنى ﴿ ما بصاحبكم من جنة ﴾ فتعلموا ما به جنون يحمله على ذلك او استئناف منبه لهم على ان ما عرفوا من رجاحة كمال عقله كاف فى ترجح صدقه فانه لا يدعه ان يتصدى لادعاء امر خطير وخطب عظيم من غير تحقق ووثوق ببرهان فيفتضح على رؤس الاشهاد ويلقى نفسه الى الهلاك فكيف وقد انضم اليه معجزات كثيرة وقيل ما استفهامية والمعنى ثم تتفكروا أى شئ به من آثار الجنون ﴿ ان هو الا نذير لكم بين يدى عذاب شديد ﴾ قدامه لانه مبعوث فى نسم الساعة ﴿ قل ما سألتكم من اجر ﴾ اى شئ سألتكم من اجر على الرسالة ﴿ فهو لكم ﴾ والمراد نفى السؤال كأنه جعل التنبى

لله ﴾ أى لأجل الله ﴿ مثنى ﴾ أى اثنين اثنين ﴿ وفرادى ﴾ أى واحدا واحدا ﴿ ثم تتفكروا ﴾ أى تجتمعوا جميعا فتنظروا وتتحاوروا وتتفكروا فى حال محمد صلى الله عليه وسلم فتعلموا أن ﴿ ما بصاحبكم من جنة ﴾ ومعنى الآية انما أعظكم بواحدة ان فعلتموها أصبتم الحق وتخلصتم وهى ان تقوموا لله وليس المراد به القيام على القدمين ولكن هو الانتصاب فى الامر والنهوض فيه بالهمة فتقوموا لوجه الله خالصا ثم تتفكروا فى أمر محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به أما الاثنان فيتفكران ويعرض كل واحد منهما محصول فكره على صاحبه لينظرا فيه نظر متصادقين متناصفين لا يميل بهما اتباع الهوى وأما الفرد فيفكر فى نفسه أيضا بعدل ونصفة هل رأينا فى هذا الرجل جنونا قط أو جربنا عليه كذبا قط وقد علمتم ان محمدا صلى الله صلى الله عليه وسلم ما به من جنة بل قد علمتم انه من أرجح قريش عقلا وأوزنهم حلما وأحدهم ذهنا وأرصنهم رأيا وأصدقهم قولا وازكاهم نفسا وأجمعهم لما يحمد عليه الرجال و يمدحون به واذا علمتم ذلك كفاكم ان تطالبوه بآية واذا جاء بها تبين انه نبى نذير مبين صادق فيما جاء به وقيل تم الكلام عند قوله ثم تتفكروا أى فى السموات والارض فتعلموا ان خالقها واحد لا شريك له ثم ابتدأ فقال ما بصاحبكم من جنة ﴿ ان هو الا نذير لكم بين يدى عذاب شديد قل ما سألتكم ﴾ أى على تبليغ الرسالة ﴿ من أجر ﴾ أى جعل ﴿ فهو لكم ﴾

لله مثنى) اثنين اثنين (وفرادى) واحدا واحدا (ثم تتفكروا) هل كان محمد صلى الله عليه وسلم ساحرا أو كاهنا أو كاذبا أو مجنونا ثم قال الله تعالى (ما بصاحبكم) ما بنبيكم (من جنة) من جنون (ان هو) ما هو يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (الا نذير) رسول مخوف (لكم بين يدى عذاب شديد) يوم القيامة ان لم تؤمنوا (قل) لهم يا محمد (ما سألتكم من أجر) من جعل ومؤنة (فهو لكم

جزاء الشرط تقديره أي شيء سألتكم من أجر كقوله ما يفتح الله للناس من رحمة ومعناه نفي مسئلة الاجر أسا نحو مالي في هذا فهو لك أي ليس لي فيه شيء (ان أجري) مدني وشامي وأبو بكر وحفص وبسكون الياء غيرهم (الا على الله وهو على كل شيء شهيد) فيعلم اني لا أطلب الاجر على نصيحتكم ودعائكم اليه الا منه (قل ان ربي يقذف بالحق) بالوحي والقذف توجيه السهم ونحوه بدفع واعتماد ويستعار لمعنى الالقاء ومنه وقذف في قلوبهم الرعب أن اقذفيه في التابوت ومعنى يقذف بالحق يلقيه وينزله الى أنبيائه أو يرمي به الباطل فيدمغه ويزهقه

(علام الغيوب) مرفوع على البدل من الضمير في يقذف أو على انه خبر مبتدأ محذوف (قل جاء الحق) الاسلام والقرآن (وما يبدئ الباطل وما يعيد) أي زال الباطل وهلك لان الابداء والاعادة من صفات الحي فعدمهما عبارة عن الهلاك والمعنى جاء الحق وزهق الباطل كقوله جاء الحق وزهق الباطل وعن ابن مسعود رضي الله عنه دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة وحول الكعبة أصنام فجعل يطعنها بعود معه ويقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد وقيل الباطل الاصنام وقيل ابليس لانه صاحب الباطل أو لانه هالك كما قيل له الشيطان من شاط اذا هلك أي لا يخلق الشيطان ولا الصنم أحدا ولا يبعثه فالمنشئ والباعث هو الله ولما قالوا قد ضللت بترك دين آبائك قال الله تعالى (قل ان ضللت) عن الحق (فانما أضل على نفسي) ان ضللت فمني وعلى (أضل)

مستلزما لاحد الامرين اما الجنون واما توقع نفع دنيوي عليه لانه اما ان يكون لغرض اولغيره وايا ما كان يلزم احدهما ثم نفى كلا منهما وقيل ما موصولة مراد بها ما سألهم بقوله ما اسألكم عليه من اجر الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى واتخاذ السبيل ينفعهم وقرباه قرباهم ﴿ ان اجري الا على الله وهو على كل شيء شهيد ﴾ مطلع يعلم صدقي وخلوص نيتي وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي باسكان الياء ﴿ قل ان ربي يقذف بالحق ﴾ يلقيه وينزل على من يجتبيه من عباده او يرمي به الباطل فيدمغه او يرمي به الى اقطار الآفاق فيكون وعدا باظهار الاسلام وافشائه ﴿ علام الغيوب ﴾ صفة محمولة على محل ان واسمها او بدل من المستكن في يقذف او خبر ثان او خبر محذوف وقرئ بالنصب صفة لربي او مقدر باعني وقرأ ابن كثير وابن ذكوان وابو بكر وحمزة والكسائي الغيوب بالكسر كالبيوت والباقي بالضم كالعشور وقرئ بالفتح كالصيود على انه مبالغة غائب ﴿ قل جاء الحق ﴾ اي الاسلام ﴿ وما يبدئ الباطل وما يعيد ﴾ وزهق الباطل اي الشرك بحيث لم يبق اثر مأخوذ من هلاك الحي فانه اذا هلك لم يبق له ابداء ولا اعادة قال

اقفر من اهله عبيد • فاليوم لا يبدي ولا يعيد

وقيل الباطل ابليس او الصنم والمعنى لا ينشئ خلقا ولا يعيده ولا يبدئ خيرا لاهله ولا يعيده وقيل ما استفهامية منتصبة بما بعدها ﴿ قل ان ضللت ﴾ عن الحق ﴿ فانما اضل على نفسي ﴾ فان وبال ضلالي عليها فانه بسببها اذ هي الجاهلة بالذات والامارة بالسوء وبهذا الاعتبار قابل الشرطية

أي لم أسألكم شيأ ﴿ ان أجري ﴾ أي ثوابي ﴿ الا على الله وهو على كل شيء شهيد قل ان ربي يقذف بالحق ﴾ أي يأتي بالوحي من السماء فيقذفه الى الانبياء ﴿ علام الغيوب ﴾ أي خفيات الامور ﴿ قل جاء الحق ﴾ أي القرآن والاسلام ﴿ وما يبدئ الباطل وما يعيد ﴾ أي ذهب الباطل وزهق فلم تبق منه بقية تبدي شيأ أو تعيده وقيل الباطل هو ابليس والمعنى لا يخلق ابليس أحدا ابتداء ولا يبعثه اذا مات وقيل الباطل الاصنام ﴿ قل ان ضللت فانما أضل على نفسي ﴾ وذلك ان كفار مكة كانوا يقولون له انك قد ضللت حين تركت دين آبائك فقال الله تعالى قل ان ضللت فيما تزعمون أنتم فانما

ان أجري) ما ثوابي (الا على الله وهو على كل شيء) من أعمالكم (شهيد) عالم (قل) لهم يا محمد (ان ربي يقذف بالحق) يبين الحق ويأمر بالحق (علام الغيوب) ما غاب عن العباد يعلم الله ذلك (قل جاء الحق) ظهر الاسلام وكثر المسلمون (وما يبدئ الباطل) ما يخلق الشيطان والاصنام (وما يعيد) يحيي بعد الموت (قل) لهم يا محمد (ان ضللت) عن الحق والهدى (فانما أضل على نفسي) يقول عقوبة ذلك على نفسي

وان اهتديت فبما يوحى الى ربى) أى فبتسديده بالوحى الى وكان قياس التقابل أن يقال وان اهتديت فانما أهتدى لها كقوله فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فانما يضل عليها ولكن هما متقابلان معنى لان النفس كل ماهو وبال عليها وضار لها فهو بها وبسببها لانها الامارة بالسوء ومالها مما ينفعها فبهداية ربها وتوفيقه وهذا حكم عام لكل مكلف وانما أمر رسوله أن يسنده الى نفسه لان الرسول اذا دخل تحته مع جلالة محله وسداد طريقته كان غيره أولى به (انه سميع) لما أقوله لكم (قريب) منى ومنكم يجازيني ويجازيكم (ولو ترى) جوابه محذوف أى لرأيت أمرا عظيما وحالا هائلة (اذفزعوا) عند البعث أو عند الموت أو يوم بدر (فلافوت) فلا مهرب أو فلا يفوتون الله ولا يسبقونه (وأخذوا) عطف على فزعوا أى فزعوا واخذوا فلافوت لهم أو على لافوت على معنى اذفزعوا فلم يفوتوا وأخذوا (من مكان قريب) من الموقف الى النار اذا بعثوا أو من ظهر الارض الى بطنها اذا ماتوا أو من صحراء بدر الى القليب (وقالوا) حين عاينوا العذاب (آمنابه) بمحمد عليه السلام لمرور ذكره فى قوله مابصاحبكم من جنة أو بالله (وانى لهم التناوش من مكان بعيد) التناوش التناول أى كيف يتناولون التوبة وقد بعدت عنهم يريد ان التوبة كانت تقبل منهم فى الدنيا وقد ذهبت

بقوله ﴿ وان اهتديت فبما يوحى الى ربى ﴾ فان الاهتداء بهدايته وتوفيقه ﴿ انه سميع قريب ﴾ يدرك قول كل ضال ومهتد وفعله وان اخفاه ﴿ ولو ترى اذفزعوا ﴾ عند الموت او البعث اويوم بدر وجواب لو محذوف مثل لرأيت امرا فظيعا ﴿ فلا فوت ﴾ فلا يفوتون الله بهرب اوتحصن ﴿ وأخذوا من مكان قريب ﴾ من ظهر الارض الى بطنها اومن الموقف الى النار اومن صحراء بدر الى القليب والعطف على فزعوا اولافوت ويؤيده انه قرئ واخذ عطفا على محله اى فلافوت هناك وهناك اخذ ﴿ وقالوا آمنابه ﴾ بمحمد صلى الله عليه وسلم وقدمر ذكره فى قوله ما بصاحبكم ﴿ وأنى لهم التناوش ﴾ ومن اين لهم ان يتناولوا الايمان تناولا سهلا ﴿ من مكان بعيد ﴾ فانه فى حيز التكليف وقد بعد عنهم وهو تمثيل حالهم فى الاستخلاص بالايمان بعد مافات منهم وبعد عنهم بحال من يريد ان يتناول الشئ من غلوة تناوله من ذراع فى الاستحالة وقرأ أبو عمرو والكوفيون غير حفص بالهمزة على قلب الواو لضمتها او انه من نأشت الشئ اذا طلبته قال رؤبة

اقحمنى جارابى الخاموش * اليك نأش القدر النؤوش

اومن نأشت اذا تأخرت ومنه قوله

تمنى نئيشا ان يكون اطاعنى * وقد حدثت بعد الامور امور

أضل على نفسى أى اثم ضلالتى على نفسى ﴿ وان اهتديت فبما يوحى الى ربى ﴾ أى من القرآن والحكمة ﴿ انه سميع قريب ﴾ قوله عز وجل ﴿ ولو ترى أى يا محمد ﴾ ﴿ اذفزعوا ﴾ أى عند البعث أى حين يخرجون من قبورهم وقيل عند الموت ﴿ فلافوت ﴾ أى لا يفوتوننا ولا نجاة لهم ﴿ وأخذوا من مكان قريب ﴾ قيل من تحت أقدامهم وقيل أخذوا من بطن الارض الى ظهرها وحيثما كانوا فانهم من الله قريب لا يفوتونه ولا يعجزونه وقيل من مكان قريب يعنى عذاب الدنيا وهو القتل يوم بدر وقيل هو خسف بالبيداء ومعنى الآية ولو ترى اذفزعوا لرأيت أمرا تعتبر به ﴿ وقالوا آمنابه ﴾ أى حين عاينوا العذاب قيل هو عند اليأس وقيل هو عند البعث ﴿ وأنى لهم التناوش ﴾ أى التناول والمعنى كيف لهم تناول مابعد عنهم وهو الايمان والتوبة وقد كان قريبا منهم فى الدنيا فضيعوه وقال ابن عباس يسألون الرد الى الدنيا فيقال وأنى لهم الرد الى الدنيا ﴿ من مكان بعيد ﴾ أى من الآخرة الى الدنيا

(وان اهتديت) الى الحق والهدى (فبما يوحى الى ربى) اهتديت (انه سميع) لمن دعاه (قريب) بالاجابة لمن وحده (ولو ترى) يا محمد (اذفزعوا) خسف بهم الارض وماتوا وهو خسف البيداء بهم (فلا فوت) فلا يفوت منهم أحد (وأخذوا من مكان قريب) من تحت أقدامهم وخسف بهم الارض (وقالوا) عند ما خسف بهم الارض (آمنابه) بمحمد عليه السلام والقرآن قال الله تعالى (وأنى لهم التناوش) التوبة والرجعة (من مكان بعيد) بعد الموت

الدنيا وبعدت من الآخرة وقيل هذا تمثيل لطلبهم ما لا يكون وهو أن ينفعهم ايمانهم فى ذلك الوقت كما نفع المؤمنين ايمانهم فى الدنيا مثلت حالهم بحال من يريد ان يتناول الشئ من غلوة كما يتناول الآخر من قيس ذراع التناؤش بالهمزة أبو عمرو وكوفى غير حفص همزت الواو لان كل واو مضمومة ضمتها لازمة ان شئت أبدلتها همزة وأن شئت لم تبدل نحو قولك ادور وتقاوم وان شئت قلت ادؤر وتقاؤم وعن ثعلب التناؤش بالهمز التناول من بعد وبغير همز التناول من قرب (وقد كفروا به من قبل) من قبل العذاب أو فى الدنيا (ويقذفون بالغيب) معطوف على قد كفروا على حكاية الحال الماضية يعنى وكانوا يتكلمون بالغيب أو بالشئ الغائب يقولون لا بعث ولا حساب ولا جنة ولا نار (من مكان بعيد) عن الصدق أو عن الحق والصواب أو هو قولهم فى رسول الله صلى الله عليه وسلم شاعر ساحر كذاب وهذا تكلم بالغيب والامر الخفى لانهم لم يشاهدوا منه سحرا ولا شعرا ولا كذبا وقد أتوا بهذا الغيب من جهة بعيدة من حاله لان أبعد شئ مما جاء به وأبعد شئ من عادته التى عرفت بينهم وجربت الكذب ويقذفون بالغيب عن أبى عمرو على البناء للمفعول أى تأتيهم به شياطينهم ويلقنونهم اياه وان شئت فعلقه بقوله وقالوا آمنا به على انه مثلهم فى طلبهم تحصيل ما عطلوه من الايمان فى الدنيا بقولهم آمنا فى الآخرة وذلك مطلب مستبعد بمن يقذف شيأ من مكان بعيد لا مجال للظن فى لحوقه حيث يريد ان يقع فيه لكونه غائبا عنه بعيدا ويجوز ان يكون الضمير فى آمنا به للعذاب الشديد فى قوله بين يدى عذاب شديد وكانوا يقولون وما نحن بمعذبين ان كان الامر كما تصفون من قيام الساعة والعقاب والثواب ونحن أكرم على الله من ان يعذبنا قائسين أمر الآخرة على أمر الدنيا فهذا كان قذفهم بالغيب وهو غيب ومقذوف به من جهة بعيدة لان دار الجزاء لا تنقاس على دار التكليف (وحيل) وحجز (بينهم وبين ما يشتهون) من نفع الايمان يومئذ والنجاة به من النار والفوز بالجنة أو من الرد الى الدنيا كما حكى عنهم بقوله ارجعنا نعمل صالحا والافعال التى هى فزعوا وأخذوا وحيل كلها للمضى والمراد بها الاستقبال لتحقق وقوعه (كما فعل باشياعهم من قبل) باشباههم من الكفرة (انهم كانوا فى شك) من أمر الرسل والبعث (مريب) موقع فى الريبة من أرابه اذا أوقعه فى الريبة هذا رد على من زعم ان الله لا يعذب على الشك والله أعلم

فيكون بمعنى التناول من بعد ﴿ وقد كفروا به ﴾ بمحمد عليه الصلاة والسلام او بالعذاب ﴿ من قبل ﴾ من قبل ذلك اوان التكليف ﴿ ويقذفون بالغيب ﴾ ويرجون بالظن ويتكلمون بما لم يظهر لهم فى الرسول عليه الصلاة والسلام من المطاعن او فى العذاب من البت على نفيه ﴿ من مكان بعيد ﴾ من جانب بعيد من امره وهو الشبه التى تمحلوها فى امر الرسول صلى الله عليه وسلم او حال الآخرة كما حكاه من قبل ولعله تمثيل لحالهم فى ذلك بحال من يرمى شيأ لا يراه من مكان بعيد لا مجال للظن فى لحوقه وقرئ ويقذفون على ان الشيطان يلقى اليهم ويلقنهم ذلك والعطف على وقد كفروا على حكاية الحال الماضية او على قالوا فيكون تمثيلا لحالهم بحال القاذف فى تحصيل ما ضيعوه من الايمان فى الدنيا ﴿ وحيل بينهم وبين ما يشتهون ﴾ من نفع الايمان والنجاة به من النار وقرأ ابن عامر والكسائى باشمام الضم للحاء ﴿ كما فعل باشياعهم من قبل ﴾ باشباههم من كفرة الامم الدارجة ﴿ انهم كانوا فى شك مريب ﴾ موقع فى الريبة او ذى ريبة منقول من

﴿ وقد كفروا به من قبل ﴾ أى بالقرآن وقيل بمحمد صلى الله عليه وسلم من قبل أن يعاينوا العذاب وأهوال القيامة ﴿ ويقذفون بالغيب من مكان بعيد ﴾ قيل هو الظن لان علمه غاب عنهم والمكان البعيد بعدهم عن علم ما يقولون والمعنى يرمون محمدا صلى الله عليه وسلم بما لا يعلمون من حيث لا يعلمون وهو قولهم انه شاعر ساحر كاهن لا علم لهم بذلك وقيل يرجون بالظن يقولون لا بعث ولا جنة ولا نار ﴿ وحيل بينهم وبين ما يشتهون ﴾ يعنى الايمان والتوبة والرجوع الى الدنيا ونعيمها وزهرتها ﴿ كما فعل باشياعهم ﴾ أى بنظرائهم ومن كان على مثل حالهم من الكفار ﴿ من قبل ﴾ أى لم تقبل منهم التوبة والايمان فى وقت اليأس ﴿ انهم كانوا فى شك ﴾ أى من البعث ونزول العذاب بهم ﴿ مريب ﴾ أى موقع الريبة والتهمة

(وقد كفروا به) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (من قبل) من قبل ما خسف بهم الارض (ويقذفون بالغيب) يقولون بالظن فى الدنيا ان لا جنة ولا نار (من مكان بعيد) بعد الموت ويقال يقذفون بالغيب يسألون الرجعة الى الدنيا بالظن من مكان بعيد بعد الموت (وحيل بينهم) فرق بينهم (وبين ما يشتهون) من الرجوع الى الدنيا (كما فعل باشياعهم) باشباههم وأهل دينهم (من قبل) من قبلهم من الكفار (انهم كانوا فى شك مريب) ظاهر الشك بفاطر السموات والارض

﴿ سورة الملائكة مكية وهي خمس وأربعون آية ﴾ ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (الحمد لله) حمد ذاته تعليما وتعظيما (فاطر السموات) مبتدئها ومبتدعها قال ابن عباس رضي الله عنهما ما كنت أدري معنى الفاطر حتى اختصم الى اعرابيان في بئر فقال أحدهما أنا فطرتها أي ابتدأتها (والارض جاعل الملائكة رسلا) الى عباده (أولى) ذوي اسم جمع لذو وهو بدل من رسلا أو نعت له (أجنحة)

جمع جناح (مثنى وثلاث ورباع) صفات لاجنحة وانما لم تنصرف لتكرر العدل فيها وذلك انها عدلت عن ألفاظ الاعداد عن صيغ الى صيغ اخر كما عدل عمر عن عامر وعن تكرير الى غير تكرير وقيل للعدل والوصف والتعويل عليه والمعنى ان الملائكة طائفة أجنحتهم اثنان اثنان اي لكل واحد منهم جناحان وطائفة أجنحتهم ثلاثة ثلاثة ولعل الثالث يكون في وسط الظهر بين الجناحين يمدهما بقوة وطائفة أجنحتهم أربعة أربعة (يزيد في الخلق) أي يزيد في خلق الاجنحة وغيره (ما يشاء) وقيل هو الوجه الحسن والصوت الحسن والشعر الحسن والخط الحسن والملاحة في العينين والآية مطلقة تتناول كل زيادة في الخلق من طول قامة واعتدال صورة وتمام في الاعضاء وقوة في البطش وحصافة في العقل وجزالة

﴿ ومن السورة التي يذكر فيها الملائكة وهي كلها مكية آياتها خمس وأربعون وكلماتها مائة وسبع وتسعون وحروفها ثلاثة آلاف ومائة وثلاثون حرفا والله أعلم باسرار كتابه ﴾

المشكك او الشاك نعت به الشك للمبالغة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة سبأ لم يبق رسول ولا نبي الا كان له يوم القيامة رفيقا ومصافحا

﴿ سورة الملائكة مكية وآيها خمس واربعون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ الحمد لله فاطر السموات والارض ﴾ مبدعهما من الفطر بمعنى الشق كأنه شق العدم باخراجهما منه والاضافة محضة لانه بمعنى الماضي ﴿ جاعل الملائكة رسلا ﴾ وسائط بين الله وبين انبيائه والصالحين من عباده يبلغون اليهم رسالاته بالوحي والالهام والرؤيا الصادقة او بينه وبين خلقه يوصلون اليهم آثار صنعه ﴿ اولى اجنحة مثنى وثلاث ورباع ﴾ ذوي اجنحة متعددة متفاوتة بتفاوت ما لهم من المراتب ينزلون بها ويعرجون او يسرعون بها نحو ما وكلهم الله عليه ويتصرفون فيه على ما امرهم به ولعله لم يرد خصوصية الاعداد ونفي ما زاد عليها لما روى انه عليه الصلاة والسلام رأى جبرائيل ليلة المعراج وله ستمائة جناح ﴿ يزيد في الخلق ما يشاء ﴾ استئناف للدلالة على ان تفاوتهم في ذلك بمقتضى مشيئته ومؤدى حكمته لا امر يستدعيه ذواتهم لان اختلاف الاصناف والانواع بالخواص والفصول ان كان لذواتهم المشتركة لزم تنافي لوازم الامور المتفقة وهو محال والآية متناولة زيادات الصور والمعاني كملاحة الوجه وحسن الصوت وحصافة العقل

والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿ تفسير سورة فاطر وتسمى سورة الملائكة وهي مكية وخمس واربعون آية وتسعمائة وسبعون كلمة وثلاثة آلاف ومائة وثلاثون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عز وجل ﴿ الحمد لله فاطر السموات والارض ﴾ أي خالقهما ومبتدعهما على غير مثال سبق ﴿ جاعل الملائكة رسلا ﴾ أي الى الانبياء ﴿ أولى اجنحة ﴾ أي ذوي اجنحة ﴿ مثنى وثلاث ورباع ﴾ أي بعضهم له جناحان وبعضهم له ثلاثة أجنحة وبعضهم له أربعة ﴿ يزيد في الخلق ما يشاء ﴾ أي يزيد في خلق الاجنحة ما يشاء قال عبد الله بن مسعود في قوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى قال رأى جبريل في صورته له

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ وباسناده عن ابن عباس في قوله تعالى (الحمد لله) يقول الشكر لله والمنة لله (فاطر السموات والارض جاعل الملائكة) خالق الملائكة ومكرم الملائكة (رسلا) بالرسالة يعني جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت والرعد والحفظة الى خلقه (أولى أجنحة) ذوي أجنحة يعني الملائكة (مثنى) من له جناحان يطير بهما (وثلاث) من له ثلاثة أجنحة (ورباع) من له أربعة أجنحة (يزيد في الخلق) في خلق الملائكة (ما يشاء) ويقال في هذه الاجنحة ما يشاء ويقال في نعمة حسنة ما يشاء ويقال

فى الرأى وذلاقة فى اللسان ومحبة فى قلوب المؤمنين وما أشبه ذلك (ان الله على كل شئ قدير) قادر (ما يفتح الله للناس من رحمة) نكرت الرحمة للاشاعة والابهام كأنه قال من أية رحمة رزق أو مطر أو صحة أو غير ذلك (فلا ممسك لها) فلا أحد يقدر على امساكها وحبسها واستعير الفتح للاطلاق والارسال ألا ترى الى قوله (وما يمسك) يمنع ويحبس (فلا مرسل له) مطلق له (من بعده) من بعد امساكه وأنث الضمير الراجع الى الاسم المتضمن معنى الشرط على معنى الرحمة ثم ذكر حملا على اللفظ المرجع اليه اذلا تأنيث فيه لان الاول فسر بالرحمة فحسن اتباع الضمير التفسير ولم يفسر الثانى فترك على أصل التذكير وعن معاذ مرفوعا لاتزال يد الله مبسوطة على هذه الامة مالم يرفق خيارهم بشرارهم ويعظم برهم فاجرهم وتعن قراءهم أمراءهم على معصية الله فاذا فعلوا ذلك نزع الله يده عنهم (وهو العزيز) الغالب القادر على الارسال والامساك (الحكيم) الذى يرسل ويمسك ما تقتضى الحكمة ارساله وامساكه (يا أيها الناس اذكروا) باللسان والقلب (نعمت الله عليكم) وهى التى تقدمت من بسط الارض كالمهاد ورفع السماء بلا عماد وارسال الرسل لبيان السبيل دعوة اليه وزلفة لديه والزيادة فى الخلق وفتح أبواب الرزق ثم نبه على رأس النعم وهو اتحاد المنعم بقوله (هل من خالق غير الله) برفع غير على الوصف لان خالق مبتدأ خبره محذوف أى لكم وبالجر على الوصف على وحمزة على الوصف لفظا (يرزقكم) (من) يجوز ان يكون مستأنفا ويجوز ان يكون صفة لخالق

وسماحة النفس ﴿ ان الله على كل شئ قدير ﴾ وتخصيص بعض الاشياء بالتحصيل دون بعض انما هو من جهة الارادة ﴿ ما يفتح الله للناس ﴾ ما يطلق لهم ويرسل وهو من تجوز السبب للمسبب ﴿ من رحمة ﴾ كنعمة وامن وصحة وعلم ونبوة ﴿ فلا ممسك لها ﴾ يحبسها ﴿ وما يمسك فلا مرسل له ﴾ يطلقه واختلاف الضميرين لان الموصول الاول مفسر بالرحمة والثانى مطلق يتناولها والغضب وفى ذلك اشعار بان رحمته سبقت غضبه ﴿ من بعده ﴾ من بعد امساكه ﴿ وهو العزيز ﴾ الغالب على ما يشاء ليس لاحد ان ينازعه فيه ﴿ الحكيم ﴾ لا يفعل الا بعلم واتقان ثم لما بين انه الموجد للملك والملكوت والمتصرف فيهما على الاطلاق امر الناس بشكر انعامه فقال ﴿ يا أيها الناس اذكروا نعمت الله عليكم ﴾ احفظوها بمعرفة حقها والاعتراف بها وطاعة موليها ثم انكر ان يكون لغيره فى ذلك مدخل فيستحق ان يشرك به بقوله ﴿ هل من خالق غير الله يرزقكم

ستمائة جناح وقيل فى قوله يزيد فى الخلق ما يشاء هو حسن الصوت وقيل حسن الخلق وتمامه وقيل هو الملاحة فى العينين وقيل هو العقل والتمييز ﴿ ان الله على كل شئ قدير ﴾ أى مما يريد أن يخلقه * قوله تعالى ﴿ ما يفتح الله للناس من رحمة ﴾ قيل المطر وقيل من خير ورزق ﴿ فلا ممسك لها ﴾ أى لا يستطيع أحد حبسها ﴿ وما يمسك فلا مرسل له من بعده ﴾ أى لا يقدر أحد على فتح ما أمسك ﴿ وهو العزيز ﴾ أى فيما أمسك ﴿ الحكيم ﴾ أى فيما أرسل (م) عن المغيرة بن شعبة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول فى دبر كل صلاة لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطى لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد والجد الغنى والبخت أى لا ينفع المبخوت والغنى حظه وغناه لانهما منك انما ينفعه الاخلاص والعمل بطاعتك * قوله عز وجل ﴿ يا أيها الناس اذكروا نعمت الله عليكم ﴾ قيل الخطاب لاهل مكة ونعمة الله عليهم اسكانهم الحرم ومنع الغارات عنهم ﴿ هل من خالق غير الله ﴾ أى لا خالق الا الله وهو استفهام تقرير وتوبيخ ﴿ يرزقكم

فى صوت حسن ما يشاء (ان الله على كل شئ) من الزيادة والنقصان (قدير ما يفتح الله) ما يرسل الله (للناس من رحمة) من مطر ورزق وعافية (فلا ممسك لها) فلا مانع لها للرحمة (وما يمسك) وما يمنع (فلا مرسل له) لما يمسك غيره (من بعده) من بعد امساكه (وهو العزيز) فى امساكه (الحكيم) فيما أرسل (يا أيها الناس) يا أهل مكة (اذكروا نعمت الله) منة الله (عليكم) بالمطر والرزق والعافية (هل من خالق) من اله (غير الله يرزقكم

(من السماء) بالمطر (والارض) بانواع النبات (لا اله الا هو) جملة مفصولة لا محل لها (فانى تؤفكون) فباى وجه تصرفون عن التوحيد الى الشرك (وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك) نعى به على قريش سوء تلقيهم لآيات الله وتكذيبهم بها وسلى رسوله بان له فى الانبياء قبله اسوة ولهذا نكر رسل أى رسل ذوو عدد كثير وأولو آيات ونذر وأهل اعمار طوال وأصحاب صبر وعزم لانه أسلى له وتقدير الكلام وان يكذبوك فتأس بتكذيب الرسل من قبلك لان الجزاء يتعقب الشرط ولو أجرى على الظاهر يكون سابقا عليه ووضع فقد كذبت رسل من قبلك موضع فتأس استغناء بالسبب عن المسبب

أى بالتكذيب عن التأسى (والى الله ترجع الامور) كلام يشتمل على الوعد والوعيد من رجوع الامور الى حكمه ومجازاة المكذب والمكذب بما يستحقانه ترجع بفتح التاء شامى وحمزة وعلى ويعقوب وخلف وسهل (يا ايها الناس ان وعد الله) بالبعث والجزاء (حق) كائن (فلا تغرنكم الحيوة الدنيا) فلا تخدعنكم الدنيا ولا يذهلنكم التمتع بها والتلذذ بمنافعها عن العمل للآخرة وطلب ما عند الله (ولا يغرنكم بالله الغرور) أى الشيطان فانه يمنيكم الامانى الكاذبة ويقول ان الله غنى عن عبادتك وعن تكذيبك (ان الشيطان لكم عدو) ظاهر العداوة فعل بابيكم ما فعل وأنتم تعاملونه معاملة من لا علم له باحواله (فاتخذوه عدوا) فى عقائدكم وأفعالكم ولا يوجدن منكم الا ما يدل على معاداته فى سركم وجهركم ثم لخص سر أمره وخطأ من اتبعه بان غرضه الذى

من السماء والارض لا اله الا هو فأنى تؤفكون ﴾ فمن اى وجه تصرفون عن التوحيد الى اشراك غيره به ورفع غير للحمل على محل من خالق بانه وصف او بدل فان الاستفهام بمعنى النفى اولانه فاعل خالق وجره حمزة والكسائى حملا على لفظه وقد نصب على الاستثناء ويرزقكم صفة لخالق اواستئناف مفسر له اوكلام مبتدأ وعلى الاخير يكون اطلاق هل من خالق مانعا من اطلاقه على غير الله ﴿ وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك ﴾ اى فتأس بهم فى الصبر على تكذيبهم فوضع فقد كذبت موضعه استغناء بالسبب عن المسبب وتنكير رسل للتعظيم المقتضى زيادة التسلية والحث على المصابرة ﴿ والى الله ترجع الامور ﴾ فيجازيك واياهم على الصبر والتكذيب ﴿ يا أيها الناس ان وعد الله ﴾ بالحشر والجزاء ﴿ حق ﴾ لا خلف فيه ﴿ فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ﴾ فيذهلكم التمتع بها عن طلب الآخرة والسعى لها ﴿ ولا يغرنكم بالله الغرور ﴾ الشيطان بان يمنيكم المغفرة مع الاصرار على المعصية فانها وان امكنت لكن الذنب بهذا التوقع كتناول السم اعتمادا على دفع الطبيعة وقرئ بالضم وهو مصدر اوجمع كقعود ﴿ ان الشيطان لكم عدو ﴾ عداوة عامة قديمة ﴿ فاتخذوه عدوا ﴾ فى عقائدكم وافعالكم وكونوا على حذر منه فى

من السماء ﴾ يعنى المطر ﴿ والارض ﴾ أى النبات ﴿ لا اله الا هو فانى تؤفكون ﴾ أى من أين يقع لكم الافك والتكذيب بتوحيد الله وانكار البعث وأنتم مقرون بان الله خالقكم ورازقكم ﴿ وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك ﴾ يعزى نبيه صلى الله عليه وسلم ﴿ والى الله ترجع الامور ﴾ أى فيجزى المكذب من الكفار بتكذيبه ۞ قوله تعالى ﴿ يا أيها الناس ان وعد الله حق ﴾ يعنى وعد القيامة ﴿ فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ﴾ أى لا تخدعنكم بلذاتها ومافيها عن عمل الآخرة وطلب ما عند الله ﴿ ولا يغرنكم بالله الغرور ﴾ أى لا يقل لكم اعملوا ما شئتم فان الله يغفر كل ذنب وخطيئة ثم بين الغرور من هو فقال تعالى ﴿ ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا ﴾ أى عادوه بطاعة الله ولا تطيعوه فيما يأمركم

من السماء) المطر (والارض) النبات (لا اله الا هو) الذى يرزقكم (فأنى تؤفكون) من أين تكذبون أن الآلهة ترزقكم (وان يكذبوك) قريش (فقد كذبت رسل من قبلك) كذبهم قومهم كما كذبك قومك قريش (والى الله ترجع الامور) عواقب الامور فى الآخرة (يا أيها الناس) يا أهل مكة (ان وعد الله) البعث بعد الموت (حق) كائن (فلا تغرنكم) عن طاعة الله (الحيوة الدنيا) ما فى الحياة الدنيا من الزهرة والنعيم (ولا يغرنكم بالله) عن دين الله (الغرور) الشيطان ويقال أباطيل الدنيا ان قرأت بضم الغين (ان الشيطان لكم عدو) فى الدين والطاعة (فاتخذوه عدوا) فحاربوه ولا تطيعوه فى الدين

يؤمه فى دعوة شيعته هوان يوردهم مورد الهلاك بقوله (انما يدعوا حزبه ليكونوا من أصحاب السعير) ثم كشف الغطاء فبنى الامر كله على الايمان وتركه فقال (الذين كفروا لهم عذاب شديد) أى فمن أجابه حين دعاه فله عذاب شديد لانه صار من حزبه أى اتباعه (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) ولم يجيبوه ولم يصيروا من حزبه بل عادوه (لهم مغفرة وأجر كبير) لكبر جهادهم ولما ذكر الفريقين قال لنبيه عليه الصلاة والسلام (أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا) بتزيين الشيطان كمن لم يزين له فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا فقال (فان الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات) وذكر الزجاج ان المعنى أفمن زين له سوء عمله ذهبت نفسك عليه حسرة فحذف الجواب لدلالة فلا تذهب نفسك عليه أو أفمن زين له سوء عمله كمن هداه الله فحذف لدلالة فان الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء عليه فلا تذهب نفسك يزيد أى لا تهلكها حسرات مفعول له يعنى فلا تهلك نفسك للحسرات وعليهم صلة تذهب كما تقول هلك عليه حبا ومات عليه حزنا ولا يجوز أن يتعلق بحسرات لان المصدر لا تتقدم عليه

مجامع احوالكم ﴿ انما يدعوا حزبه ليكونوا من اصحاب السعير ﴾ تقرير لعداوته وبيان لغرضه فى دعوة شيعته الى اتباع الهوى والركون الى الدنيا ﴿ الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر كبير ﴾ وعيد لمن اجاب دعاءه ووعد لمن خالفه وقطع للامانى الفارغة وبناء للامر كله على الايمان والعمل الصالح وقوله ﴿ أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا ﴾ تقرير له اى أفمن زين له سوء عمله بان غلب وهمه وهواه على عقله حتى انتكس رأيه فرأى الباطل حقا والقبيح حسنا كمن لم يزين له بل وفق حتى عرف الحق واستحسن الاعمال واستقبحها على ما هى عليه فحذف الجواب لدلالة ﴿ فان الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء ﴾ وقيل تقديره أفمن زين سوء عمله ذهبت نفسك عليهم حسرة فحذف لدلالة ﴿ فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ﴾ عليه ومعناه فلا تهلك نفسك عليهم للحسرات على غيهم واصرارهم على التكذيب والفاآت الثلاث للسببية غير ان الاوليين دخلتا على السبب والثالثة دخلت على المسبب وجمع الحسرات للدلالة على تضاعف اغتمامه على احوالهم اوكثرة مساوى افعالهم المقتضية للتأسف وعليهم ليست صلة لها لان صلة المصدر لا تتقدمه بل صلة تذهب

به من الكفر والمعاصى ﴿ انما يدعوا حزبه ﴾ أى أشياعه وأولياءه ﴿ ليكونوا من أصحاب السعير ﴾ ثم بين حال موافقيه ومخالفيه فقال تعالى ﴿ الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر كبير ﴾ قوله عز وجل ﴿ أفمن زين له سوء عمله ﴾ قال ابن عباس نزلت فى أبى جهل ومشركى مكة وقيل نزلت فى أصحاب الاهواء والبدع ومنهم الخوارج الذين يستحلون دماء المسلمين وأموالهم وليس أصحاب الكبائر من الذنوب منهم لانهم لا يستحلونها ويعتقدون تحريمها مع ارتكابهم اياها ومعنى زين له شبه له وموه عليه قبيح عمله ﴿ فرآه حسنا ﴾ وفى الآية حذف مجازه أفمن زين له سوء عمله فرأى الباطل حقا كمن هداه الله فرأى الحق حقا والباطل باطلا ﴿ فان الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء ﴾ وقيل مجاز الآية أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا ﴿ فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ﴾ فان الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء والحسرة شدة الحزن على مافات والمعنى

والطاعة (انما يدعوا حزبه) أهل دينه وطاعته (ليكونوا) ليجتمعوا (من أصحاب السعير) مع أصحاب السعير فى السعير معه (الذين كفروا) بمحمد عليه السلام والقرآن أبو جهل وأصحابه (لهم عذاب شديد) غليظ (والذين آمنوا) بمحمد عليه السلام والقرآن (لا تغتم) (وعملوا الصالحات) الطاعات فيما بينهم وبين ربهم أبو بكر الصديق وأصحابه (لهم مغفرة) لذنوبهم فى الدنيا (وأجر كبير) ثواب عظيم فى الجنة (أفمن زين له) حسن له (سوء عمله) قبيح عمله (فرآه حسنا) حقا وهو أبو جهل كمن أكرمناه بالايمان والطاعة يعنى أبا بكر الصديق وأصحابه (فان الله يضل من يشاء) عن دينه من كان أهلا لذلك يعنى أبا جهل وأصحابه (ويهدى) لدينه (من يشاء) من كان أهلا لذلك يعنى أبا بكر وأصحابه (فلا تذهب نفسك) فلا تهلك نفسك بالحزن (عليهم حسرات) ندامات على هلاكهم ان

(ان الله عليم بما يصنعون) وعيدلهم بالعقاب على سوء صنيعهم (والله الذى أرسل الرياح) الريح مكى وحمزة وعلى (فتثير سحابا فسقناه الى بلدميت) بالتشديد مدنى وحمزة وعلى وحفص وبالتخفيف غيرهم (فاحيينابه) بالمطر لتقدم ذكره ضمنا (الارض بعد موتها) يبسها وأنما قيل فتثير لتحكى الحال التى تقع فيها اثارة الرياح السحاب وتستحضر تلك الصورة الدالة على القدرة الربانية وهكذا يفعلون بفعل فيه نوع تميز وخصوصية بحال تستغرب وكذلك سوق السحاب الى البلد الميت واحياء الارض بالمطر بعد موتها لما كان من الدليل على القدرة الباهرة قيل فسقنا وأحيينا معدولا بهما عن لفظ الغيبة الى ماهو أدخل فى الاختصاص وأدل عليه (كذلك النشور) الكاف فى محل الرفع أى مثل احياء الموات نشور الاموات قيل يحيي الله الخلق بماء يرسله من تحت العرش كمنى الرجال تنبت منه أجساد الخلق (من كان يريد العزة فلله العزة جميعا) أى العزة كلها مختصة بالله عزة الدنيا وعزة الآخرة وكان الكافرون يتعززون بالاصنام كما قال واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا والذين آمنوا بالسنتهم من غير مواطأة قلوبهم كانوا يتعززون بالمشركين كما قال الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فان العزة لله جميعا فبين أن لا عزة الا بالله والمعنى فليطلبها عند الله فوضع قوله فلله العزة جميعا موضعه استغناء عنه به لدلالته عليه لان الشئ لا يطلب الا عند صاحبه و مالكه ونظيره قولك من أراد النصيحة فهى عند الابرار تريد (قا و خا ٢٣ مس) فليطلبها عندهم الا انك أقمت مايدل عليه مقامه وفى الحديث ان ربكم يقول كل يوم أنا العزيز فمن أراد عز الدارين فليطع العزيز ثم عرف ان مايطلب به العزة هو

اوبيان للمتحسر عليه ﴿ ان الله عليم بما يصنعون ﴾ فيجازيهم عليه ﴿ الله الذى ارسل الرياح ﴾ وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى الريح ﴿ فتثير سحابا ﴾ على حكاية الحال الماضية استحضارا لتلك الصور البديعة الدالة على كمال الحكمة ولان المراد بيان احداثها بهذه الخاصية ولذلك اسنده اليها ويجوز ان يكون اختلاف الافعال للدلالة على استمرار الامر ﴿ فسقناه الى بلد ميت ﴾ وقرأ نافع وحمزة والكسائى وحفص بتشديد الياء ﴿ فاحيينا به الارض ﴾ بالمطر النازل منه وذكر السحاب كذكره اوبالسحاب فانه سبب السبب اوالصائر مطرا ﴿ بعد موتها ﴾ بعد يبسها والعدول فيهما من الغيبة الى ماهو ادخل فى الاختصاص لما فيهما من مزيد الصنع ﴿ كذلك النشور ﴾ اى مثل احياء الموات نشور الاموات فى صحة المقدورية اذ ليس بينهما الا احتمال اختلاف المادة فى المقيس عليه وذلك لا مدخل له فيها وقيل فى كيفية الاحياء فانه تعالى يرسل ماء من تحت العرش فتنبت منه اجساد الخلق ﴿ من كان يريد العزة ﴾ الشرف والمنعة ﴿ فلله العزة جميعا ﴾

لا تغتم بكفرهم وهلاكهم ان لم يؤمنوا ﴿ ان الله عليم بما يصنعون ﴾ فيه وعيد بالعقاب على سوء صنيعهم ﴿ والله الذى أرسل الرياح فتثير سحابا ﴾ أى تزعجه من مكانه وقيل تجمعه وتجئ به ﴿ فسقناه ﴾ أى فنسوقه ﴿ الى بلد ميت فاحيينا به الارض بعد موتها كذلك النشور ﴾ أى مثل احياء الموات نشور الاموات روى ابن الجوزى فى تفسيره عن أبى رزين العقيلى قال قلت يارسول الله كيف يحيي الله الموتى وما آية ذلك فى خلقه فقال هل مررت بواد أهلك محلا ثم مررت به يهتز خضرا قلت نعم قال كذلك يحيي الله الموتى وتلك آيته فى خلقه ❀ قوله تعالى ﴿ من كان يريد العزة فلله العزة جميعا ﴾ قيل معناه من كان يريد أن يعلم لمن العزة فلله العزة جميعا وقيل معناه من كان يريد العزة فليتعزز بطاعة الله وهو دعاء الى طاعة من له العزة أى فليطلب العزة من عند الله بطاعته وذلك ان الكفار عبدوا الاصنام

يؤمنوا (ان الله عليم بما يصنعون) فى كفرهم من المكر والخيانة بهلاك محمد صلى الله عليه وسلم فى دار الندوة (والله الذى أرسل الرياح فتثير) فتهيج وترفع (سحابا فسقناه) بالمطر (الى بلد ميت) الى مكان لا نبات فيه (فاحيينا به) بالمطر (الارض بعد موتها) قحطها ويبوستها (كذلك النشور) كذلك تحيون وتخرجون من القبور (من كان يريد العزة) أن يعلم أن العزة والقدرة والمنعة لمن هى (فلله العزة) والقدرة والمنعة (جميعا

الايمان والعمل الصالح بقوله (اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) ومعنى قوله اليه الى محل القبول والرضا وكل ما اتصف بالقبول وصف بالرفعة والصعود أو الى حيث لا ينفذ فيه الا حكمه والكلم الطيب كلمات التوحيد أي لا اله الا الله وكان القياس الطيبة ولكن كل جمع ليس بينه وبين واحده الا التاء يذكر ويؤنث والعمل الصالح العبادة الخالصة يعني والعمل الصالح يرفعه الكلم الطيب فالرافع الكلم والمرفوع العمل لانه لا يقبل عمل الا من موحد وقيل الرافع الله والمرفوع العمل اي العمل الصالح يرفعه الله وفيه اشارة الى ان العمل يتوقف على الرفع والكلم الطيب يصعد بنفسه وقيل العمل الصالح يرفع العامل ويشرفه أي من أراد العزة فليعمل عملا صالحا فانه هو الذي يرفع العبد (والذين يمكرون السيآت) هي صفة لمصدر محذوف أي المكرات السيآت لان مكر فعل غير متعد لا يقال مكر فلان عمله والمراد مكر قريش به عليه السلام حين اجتمعوا في دار الندوة كما قال الله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك الآية

اى فليطلبها من عنده فان له كلها فاستغنى بالدليل عن المدلول ﴿ اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ﴾ بيان لما يطلب به العزة وهو التوحيد والعمل الصالح وصعودهما اليه مجاز عن قبوله اياهما او صعود الكتبة بصحيفتهما والمستكن في يرفعه للكلم فان العمل لا يقبل الا بالتوحيد ويؤيده انه نصب العمل او للعمل فانه يحقق الايمان ويقويه اولله وتخصيص العمل بهذا الشرف لما فيه من الكلفة وقرئ يصعد على البناءين والمصعد هو الله تعالى او المتكلم به او الملك وقيل الكلم الطيب يتناول الذكر والدعاء وقراءة القرآن وعنه عليه الصلاة والسلام هو سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر اذا قالها العبد عرج بها الملك الى السماء فحيي بها وجه الرحمن فاذا لم يكن عمل صالح لم يقبل ﴿ والذين يمكرون السيئات ﴾ المكرات السيئات يعنى مكرات قريش للنبي صلى الله عليه وسلم في دار الندوة وتداورهم الرأى في احدى ثلاث حبسه وقتله

وطلبوا بها التعزز فبين الله ان لا عزة الا لله ولرسوله ولاوليائه المؤمنين ﴿ اليه ﴾ أي الى الله ﴿ يصعد الكلم الطيب ﴾ قيل هو قول لا اله الا الله وقيل هو سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر * روى البغوى باسناده عن ابن مسعود قال اذا حدثتكم حديثا أنبأتكم بمصداقه من كتاب الله عز وجل ما من عبد مسلم يقول خمس كلمات سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر وتبارك الله الا أخذهن ملك تحت جناحه ثم يصعد بهن فلا يمر بهن على جمع من الملائكة الا استغفروا لقائلهن حتى يجيء بها وجه رب العالمين ومصداقه من كتاب الله قوله اليه يصعد الكلم الطيب هذا حديث موقوف على ابن مسعود وفي اسناده الحجاج بن نصير ضعيف وقيل الكلم الطيب ذكر الله تعالى وقيل معنى اليه يصعد أي يقبل الله الكلم الطيب ﴿ والعمل الصالح يرفعه ﴾ قال ابن عباس أي يرفع العمل الصالح الكلم الطيب وقيل الكلم الطيب ذكر الله والعمل الصالح اداء الفرائض فمن ذكر الله ولم يؤد فرائضه رد كلامه على عمله وليس الايمان بالتمني وليس بالتحلي ولكن ما وقر في القلوب وصدقته الاعمال فمن قال حسنا وعمل غير صالح رده الله عليه قوله ومن قال حسنا وعمل صالحا يرفعه العمل ذلك بان الله يقول اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وجاء في الحديث لا يقبل الله قولا الا بعمل ولا قولا ولا عملا الا بنية وقيل الهاء في يرفعه راجعة الى العمل الصالح أي الكلم الطيب يرفع العمل الصالح فلا يقبل عملا الا أن يكون صادرا عن توحيد وقيل معناه العمل الصالح يرفعه الله وقيل العمل الصالح هو الخالص وذلك ان الاخلاص سبب قبول الخيرات من الاقوال والافعال ﴿ والذين يمكرون السيئات ﴾ أي يعملون السيئات أي الشرك وقيل يعنى الذين

اليه يصعد الكلم الطيب) لا اله الا الله (والعمل الصالح يرفعه) يقبله بالكلم الطيب (والذين يمكرون السيئات) (مكروا) يشركون بالله ويقال يصنعون في هلاك محمد صلى الله عليه وسلم في دار الندوة أن يحبسوه سجنا أو يخرجوه طردا أو يقتلو

(لهم عذاب شديد) في الآخرة (ومكر أولئك)مبتدأ(هو) فصل(يبور) خبر أي ومكر أولئك الذين مكروا هو خاصة يبور أي يفسد ويبطل دون مكر الله بهم حين أخرجهم من مكة وقتلهم وأثبتهم في قليب بدر فجمع عليهم مكراتهم جميعا وحقق فيهم قوله تعالى ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين وقوله ولا يحيق المكر السيء الا باهله (والله خلقكم) أي أباكم (من تراب ثم) أنشأكم (من نطفة ثم جعلكم أزواجا) أصنافا أو ذكرانا وإناثا (وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه) هو في موضع الحال أي الا معلومة له (وما يعمر من معمر) أي وما يعمر من أحد وانما سماه معمرا بما هو صائر اليه (ولا ينقص من عمره الا في كتاب) يعني اللوح أو صحيفة الانسان ولا ينقص زيد فان قلت الانسان اما معمر أي طويل العمر أو منقوص العمر أي قصيره فأما ان يتعاقب عليه التعمير وخلافه فمحال فكيف صح قوله وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره قلت هذا من الكلام المتسامح فيه ثقة في تأويله بافهام السامعين واتكالا على تسديدهم معناه بعقولهم وانه لا يلتبس عليهم احالة الطول والقصر في عمر واحد وعليه كلام الناس يقولون لا يثيب الله عبدا ولا يعاقبه الا بحق وتأويل الآية انه يكتب في الصحيفة عمره كذا كذا سنة ثم يكتب في أسفل ذلك ذهب يوم ذهب يومان حتى يأتي على آخره فذلك نقصان عمره وعن قتادة المعمر من بلغ ستين سنة والمنقوص من عمره من يموت قبل ستين سنة (ان ذلك) أي احصاءه أو زيادة العمر ونقصانه (على الله يسير)

واجلاله ﴿ لهم عذاب شديد ﴾ لا يؤبه دونه بما يمكرون به ﴿ ومكر اولئك هو يبور ﴾ يفسد ولا ينفذ لان الامور مقدرة لا تتغير به كما دل عليه بقوله ﴿ والله خلقكم من تراب ﴾ بخلق آدم منه ﴿ ثم من نطفة ﴾ بخلق ذريته منها ﴿ ثم جعلكم ازواجا ﴾ ذكرانا واناثا ﴿ وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه ﴾ الا معلومة له ﴿ وما يعمر من معمر ﴾ وما يمد في عمر من مصيره الى الكبر ﴿ ولا ينقص من عمره ﴾ من عمر المعمر لغيره بان يعطى له عمر ناقص من عمره او لا ينقص من عمر المنقوص عمره بجعله ناقصا والضمير له وان لم يذكر لدلالة مقابله عليه او للمعمر على التسامح فيه ثقة لفهم السامع كقولهم لا يثيب الله عبدا ولا يعاقبه الا بحق وقيل الزيادة والنقصان في عمر واحد باعتبار اسباب مختلفة أثبتت في اللوح مثل ان يكون فيه ان حج عمرو فعمره ستون سنة والا فاربعون وقيل المراد بالنقصان ما يمر من عمره وينقص فانه يكتب في صحيفة عمره يوما فيوما وعن يعقوب ولا ينقص على بناء الفاعل ﴿ الا في كتاب ﴾ هو علم الله او اللوح او الصحيفة ﴿ ان ذلك على الله يسير ﴾ اشارة الى الحفظ او الزيادة والنقص

مكروا برسول الله صلى الله عليه وسلم في دار الندوة وقيل هم أصحاب الرياء ﴿ لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور ﴾ أي يبطل ويهلك في الآخرة * قوله عز وجل ﴿ والله خلقكم من تراب ﴾ يعني آدم ﴿ ثم من نطفة ﴾ يعني ذريته ﴿ ثم جعلكم أزواجا ﴾ يعني أصنافا ذكرانا واناثا وقيل زوج بعضكم بعضا ﴿ وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه وما يعمر من معمر ﴾ أي لا يطول عمر أحد ﴿ ولا ينقص من عمره ﴾ أي عمر آخر وقيل ينصرف الى الاول قال سعيد بن جبير مكتوب في أم الكتاب عمر فلان كذا وكذا سنة ثم يكتب أسفل من ذلك ذهب يوم ذهب يومان ذهب ثلاثة أيام حتى ينقطع عمره وقيل معناه لا يطول عمر انسان ولا يقصر الا في كتاب قال كعب الاحبار حين حضرت عمر الوفاة والله لو دعا عمر ربه أن يؤخر أجله لأخر فقيل له ان الله تعالى يقول فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون قال هذا اذا حضر الاجل فاما قبل ذلك فيجوز أن يزاد ذلك وقرأ هذه الآية ﴿ الا في كتاب ﴾ يعني اللوح المحفوظ ﴿ ان ذلك على الله يسير ﴾ أي كتابة الآجال والاعمال على الله هين * قوله تعالى

جميعا (لهم عذاب شديد) أشد ما يكون (ومكر أولئك) صنع أولئك (هو يبور) يفسد ويهلك وهو أبو جهل وأصحابه ويقال نزلت هذه الآية في أهل الربا (والله خلقكم من تراب) من آدم وآدم من تراب (ثم من نطفة) نطفة آبائكم (ثم جعلكم أزواجا) أصنافا (وما تحمل من أنثى) من حوامل (ولا تضع) لتمام أو لغير تمام (الا بعلمه) بعلم الله وباذنه (وما يعمر من معمر) ما يعطى عمر معمر ولا يعد في عمره (ولا ينقص من عمره الا في كتاب) مكتوب في كتاب مبين في اللوح المحفوظ (ان ذلك) حفظ ذلك (على الله يسير) هين بغير كتابة

سهل (ومايستوى البحران هذا) أى أحدهما (عذب فرات) شديد العذوبة وقيل هو الذى يكسر العطش (سائغ شرابه) مرئ سهل الانحدار لعذوبته وبه يرتفع شرابه (وهذا ملح أجاج) شديد الملوحة وقيل هو الذى يحرق بملوحته (ومن كل) ومن كل واحد منهما (تأكلون لحما طريا) وهو السمك (وتستخرجون حلية تلبسونها) وهى اللؤلؤ والمرجان (وترى الفلك فيه) فى كل (مواخر) شواق للماء بجريها يقال مخرت السفينة الماء أى شقته وهى جمع ماخرة (لتبتغوا من فضله) من فضل الله ولم يجر له ذكر فى الآية ولكن فيما قبلها ولو لم يجر لم يشكل لدلالة المعنى عليه (ولعلكم تشكرون) الله على ما آتاكم من فضله

ثم قال على سبيل الاستطراد فى صفة البحرين وما علق بهما من نعمه وعطائه ويحتمل غير طريقة الاستطراد وهو أن يشبه الجنسين بالبحرين ثم يفضل البحر الاجاج على الكافر بانه قد شارك العذب فى منافع من السمك واللؤلؤ وجرى الفلك فيه والكافر خلو من النفع فهو فى طريقة قوله تعالى ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة أو أشد قسوة ثم قال وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله (يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل) يدخل من ساعات احدهما فى الآخر حتى يصير الزائد منهما خمس عشرة ساعة والناقص تسعا (وسخر الشمس والقمر) أى ذلل أضواء صوره (كل)

﴿ ومايستوى البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج ﴾ ضرب مثل للمؤمن والكافر والفرات الذى يكسر العطش والسائغ الذى يسهل انحداره والاجاج الذى يحرق بملوحته وقرئ سيغ بالتشديد والتخفيف وملح على فعل ﴿ ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها ﴾ استطراد فى صفة البحرين ومافيهما من النعم اوتمام التمثيل والمعنى كانهما وان اشتركا فى بعض الفوائد لايستويان من حيث انهما لايتساويان فيما هو المقصود بالذات من الماء فانه خالط احدهما ماافسده وغيره عن كمال فطرته لايتساوى المؤمن والكافر وان اتفق اشتراكهما فى بعض الصفات كالشجاعة والسخاوة لاختلافهما فيما هو الخاصية العظمى وبقاء احدهما على الفطرة الاصلية دون الآخر اوتفضيل للاجاج على الكافر بما يشارك فيه العذب من المنافع والمراد بالحلية اللآلى واليواقيت ﴿ وترى الفلك ﴾ فيه فى كل ﴿ مواخر ﴾ تشق الماء بجريها ﴿ لتبتغوا من فضله ﴾ من فضل الله بالنقلة فيها واللام متعلقة بمواخر ويجوز ان تتعلق بما دل عليه الافعال المذكورة ﴿ ولعلكم تشكرون ﴾ على ذلك وحرف الترجى باعتبار مايقتضيه ظاهر الحال ﴿ يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وسخر الشمس والقمر

﴿ ومايستوى البحران ﴾ يعنى العذب والمالح ثم وصفهما فقال ﴿ هذا عذب فرات ﴾ أى طيب يكسر العطش ﴿ سائغ شرابه ﴾ أى سهل فى الحلق هنئ مرئ ﴿ وهذا ملح أجاج ﴾ أى شديد الملوحة يحرق الحلق بملوحته وقيل هو المر ﴿ ومن كل ﴾ يعنى من البحرين ﴿ تأكلون لحما طريا ﴾ يعنى السمك ﴿ وتستخرجون ﴾ أى من الملح دون العذب ﴿ حلية تلبسونها ﴾ يعنى اللؤلؤ والمرجان وقيل نسب اللؤلؤ اليهما لانه يكون فى البحر المالح عيون عذبة فتمتزج بالملح فيكون اللؤلؤ منهما ﴿ وترى الفلك فيه مواخر ﴾ أى جوارى مقبلة ومدبرة بريح واحدة ﴿ لتبتغوا من فضله ﴾ أى بالتجارة ﴿ ولعلكم تشكرون ﴾ أى تشكرون الله على نعمه ﴿ يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وسخر الشمس والقمر

(ومايستوى البحران) العذب والمالح (هذا عذب فرات) حلو (سائغ)شهى (شرابه وهذا ملح أجاج) مر مالح زعاق لايستطاع شربه (ومن كل) من كل البحرين العذب والمالح (تأكلون لحما طريا) سمكا طريا (وتستخرجون) من المالح خاصة (حلية) زينة اللؤلؤ والجوهر (تلبسونها وترى الفلك) السفن (فيه) فى البحر (مواخر)مقبلة ومدبرة تجئ وتذهب بريح واحدة (لتبتغوا) لتطلبوا (من فضله) من رزقه (ولعلكم تشكرون) لكى تشكروا نعمته (يولج الليل فى النهار)يدخل الليل فى النهار فيكون النهار أطول من الليل بست ساعات (ويولج النهار) يدخل النهار (فى الليل) فيكون الليل أطول من النهار بست ساعات (وسخر الشمس والقمر) ذلل ضوء الشمس والقمر

لاستواء سيره (كل يجرى لاجل مسمى) اى يوم القيامة ينقطع جريهما (ذلكم) مبتدأ (الله ربكم له الملك) أخبار مترادفة أو الله ربكم خبران وله الملك جملة مبتدأة واقعة فى قران قوله (والذين تدعون من دونه) يعنى الاصنام التى تعبدونها من دون الله يدعون فتيبة (ما يملكون من قطمير) هى القشرة الرقيقة الملتفة على النواة (ان تدعوهم) أى الاصنام (لا يسمعوا دعاءكم) لانهم جماد (ولو سمعوا) على سبيل الفرض (ما استجابوا لكم) لانهم لا يدعون ما تدعون لهم من الالهية ويتبرؤن منها (ويوم القيمة يكفرون بشرككم) باشراككم لهم وعبادتكم اياهم ويقولون ماكنتم ايانا تعبدون (ولا ينبئك مثل خبير) ولا ينبئك أيها المفتون

ينبئك الله الخبير بخبايا الامور وتحقيقه ولا يخبرك بالامر مخبر هو مثل خبير عالم به يريد ان الخبير بالامر وحده هو الذى يخبرك بالحقيقة دون سائر المخبرين به والمعنى ان هذا الذى أخبرتكم به من حال الاوثان هو الحق لانى خبير بما أخبرت به (ياايها الناس أنتم الفقراء الى الله) قال ذو النون الخلق محتاجون اليه فى كل نفس وخطرة ولحظة وكيف لا ووجودهم به وبقاؤهم به (والله هو الغنى) عن الاشياء أجمع (الحميد) المحمود بكل لسان ولم يسمهم بالفقراء للتحقير بل للتعريض على الاستغناء ولهذا وصف نفسه بالغنى الذى هو مطعم الاغنياء وذكر الحميد ليدل به على انه الغنى النافع بغناه خلقه والجواد المنعم عليهم اذ ليس كل غنى نافعا بغناه الا اذا كان الغنى جوادا منعما واذا جادوا نعم حمده المنعم عليهم قال سهل لما

كل يجرى لاجل مسمى ﴾ هى مدة دوره او منتهاه او يوم القيامة ﴿ ذلكم الله ربكم له الملك ﴾ الاشارة الى الفاعل لهذه الاشياء وفيها اشعار بان فاعليته لها موجبة لثبوت الاخبار المترادفة ويحتمل ان يكون له الملك كلاما مبتدأ فى قران ﴿ والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير ﴾ للدلالة على تفرده بالالوهية والربوبية والقطمير لفافة النواة ﴿ ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ﴾ لانهم جماد ﴿ ولو سمعوا ﴾ على سبيل الفرض ﴿ ما استجابوا لكم ﴾ لعدم قدرتهم على الانفاع او لتبرئهم منكم مما تدعون لهم ﴿ ويوم القيمة يكفرون بشرككم ﴾ باشراككم لهم يقرون ببطلانه او يقولون ماكنتم ايانا تعبدون ﴿ ولا ينبئك مثل خبير ﴾ ولا يخبرك بالامر مخبر مثل خبير به اخبرك وهو الله تعالى فانه الخبير به على الحقيقة دون سائر المخبرين والمراد تحقيق ما اخبر به عن حال آلهتهم ونفى ما يدعون لهم ﴿ ياايها الناس انتم الفقراء الى الله ﴾ فى انفسكم وما يعن لكم وتعريف الفقراء للمبالغة فى فقرهم فانهم لشدة افتقارهم وكثرة احتياجهم هم الفقراء او ان افتقار سائر الخلائق بالاضافة الى فقرهم غير معتد به ولذلك قال وخلق الانسان ضعيفا ﴿ والله هو الغنى الحميد ﴾ المستغنى على الاطلاق المنعم على سائر الموجودات حتى

كل يجرى لاجل مسمى ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ﴾ يعنى الاصنام ﴿ ما يملكون من قطمير ﴾ هو لفافة النواة وهى القشرة الرقيقة التى تكون على النواة ﴿ ان تدعوهم ﴾ يعنى الاصنام ﴿ لا يسمعوا دعاءكم ﴾ يعنى انهم جماد ﴿ ولو سمعوا ﴾ أى على سبيل الفرض والتمثيل ﴿ ما استجابوا لكم ﴾ أى ما أجابوكم وقيل ما نفعوكم ﴿ ويوم القيمة يكفرون بشرككم ﴾ أى يتبرؤن منكم ومن عبادتكم اياها ﴿ ولا ينبئك مثل خبير ﴾ يعنى نفسه أى لا ينبئك أحد مثلى لانى عالم بالاشياء ﴿ قوله تعالى ﴿ ياايها الناس أنتم الفقراء الى الله ﴾ أى الى فضله واحسانه والفقير المحتاج الى من سواه والخلق كلهم محتاجون الى الله فهم الفقراء ﴿ والله هو الغنى ﴾ عن خلقه لا يحتاج اليهم ﴿ الحميد ﴾ أى المحمود فى احسانه اليهم

بنى آدم (كل) الشمس والقمر والليل والنهار (يجرى لاجل مسمى) الى وقت معلوم فى منازل معروفة (ذلكم الله ربكم) يفعل ذلك لا الآلهة (له الملك) الخزائن (والذين تدعون) تعبدون (من دونه) من دون الله (ما يملكون من قطمير) لا يقدرون أن يفعلوا من ذلك قدر قطمير وهو الشئ الذى يتعلق به النواة مع القمع (ان تدعوهم) يعنى الآلهة (لا يسمعوا دعاءكم) لانهم صم بكم لا يسمعون (ولو سمعوا ما استجابوا لكم) من بغضهم اياكم (ويوم القيمة يكفرون بشرككم) تتبرأ الآلهة من شرككم وعبادتكم اياهم (ولا ينبئك) يخبرك بهم وباعمالهم (مثل خبير) وهو الله (ياأيها الناس أنتم الفقراء الى الله) الى مغفرته ورحمته ورزقه وعافيته فى الدنيا والى جنته فى الآخرة (والله هو الغنى) عما عندكم من الاموال (الحميد) المحمود فى فعاله

خلق الله الخلق حكم لنفسه بالغنى ولهم بالفقر فمن ادعى الغنى حجب عن الله ومن أظهر فقره أوصله فقره اليه فينبغى للعبد أن يكون مفتقرا بالسر اليه ومنقطعا عن الغير اليه حتى تكون عبوديته محضة فالعبودية هى الذل والخضوع وعلامته ان لا يسأل من احد وقال الواسطى من استغنى بالله لا يفتقر ومن تعزز بالله لا يذل وقال الحسين على مقدار افتقار العبد الى الله يكون غنيا بالله وكلما ازداد افتقارا ازداد غنى وقال يحيي الفقر خير للعبد من الغنى لان المذلة فى الفقر والكبر فى الغنى والرجوع الى الله بالتواضع والذلة خير من الرجوع اليه بتكثير الاعمال وقيل صفة الاولياء ثلاثة الثقة بالله فى كل شئ والفقر اليه فى كل شئ والرجوع اليه من كل شئ وقال الشبلى الفقر بحر البلاء وبلاؤه كله عز (ان يشأ يذهبكم) كلكم الى العدم فان غناه بذاته لا بكم فى القدم (ويأت بخلق جديد) وهو بدون حدكم جيد (وماذلك) الانشاء والافناء (على الله بعزيز) بممتنع وعن ابن عباس يخلق بعدكم من يعبده لا يشرك به شيأ (ولا تزر وازرة وزر أخرى) ولا تحمل نفس آثمة أثم نفس أخرى والوزر والوقر اخوان ووزر الشئ اذا حمله والوزارة صفة للنفس والمعنى ان كل نفس يوم القيامة لا تحمل الا وزرها الذى اقترفته لا تؤاخذ نفس بذنب نفس كما تأخذ جبابرة الدنيا الولى بالولى والجار بالجار وانما قيل وازرة ولم يقل ولا تزر نفس وزر أخرى لان المعنى ان النفوس الوازرات لا ترى منهن واحدة الا حاملة وزرها الا وزر غيرها وقوله وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم وارد فى الضالين المضلين فانهم يحملون أثقال اضلال الناس مع أثقال ضلالهم (فيقول) وذلك كله أوزارهم مافيها شئ من وزر غيرهم ألا ترى كيف كذبهم الله تعالى فى قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم بقوله وماهم بحاملين من خطاياهم من شئ (وان تدع مثقلة) أى نفس مثقلة بالذنوب أحدا (الى حملها) ثقلها أى ذنوبها ليتحمل عنها بعض ذلك (لا يحمل منه شئ ولوكان) اى المدعو وهو مفهوم من قوله وان تدع (ذاقربى) ذاقرابة قريبة كأب أوولد أوأخ والفرق بين معنى قوله ولا تزر وازرة وزر أخرى ومعنى وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شى

استحق عليهم الحمد ﴿ ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد ﴾ بقوم آخرين اطوع منكم اوبعالم آخر غير ماتعرفونه ﴿ وماذلك على الله بعزيز ﴾ بمتعذر اومتعسر ﴿ ولا تزر وازرة وزر اخرى ﴾ ولا تحمل نفس آثمة اثم نفس اخرى واما قوله وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم ففى الضالين المضلين فانهم يحملون اثقال اضلالهم مع اثقال ضلالهم وكل ذلك اوزارهم ليس فيها شئ من اوزار غيرهم ﴿ وان تدع مثقلة ﴾ نفس اثقلتها الاوزار ﴿ الى حملها ﴾ تحمل بعض اوزارها ﴿ لا يحمل منه شئ ﴾ لم يجب بحمل شئ منه نفى ان يحمل عنها ذنبها كما نفى ان يحمل عليها ذنب غيرها ﴿ ولوكان ذاقربى ﴾ ولوكان المدعو ذاقرابتها فاضمر المدعو لدلالة ان تدع عليه

المستحق بانعامه عليهم ان يحمدوه ﴿ ان يشأ يذهبكم ﴾ أى لاتخاذكم أندادا وكفركم بآياته ﴿ ويأت بخلق جديد ﴾ أى يخلق بعدكم من يعبده ولا يشرك به شيأ ﴿ وماذلك على الله بعزيز ﴾ أى بممتنع ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾ أى ان كل نفس يوم القيامة لا تحمل الا وزرها الذى اقترفته لا تؤاخذ بذنب غيرها * فان قلت كيف الجمع بين هذه الآية وبين قوله وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم * قلت هذه الآية فى الضالين وتلك فى المضلين انهم يحملون أثقال من أضلوه من الناس مع أثقال أنفسهم وذلك كله من كسبهم ﴿ وان تدع مثقلة الى حملها ﴾ معناه وان تدع نفس مثقلة بذنوبها الى حمل ذنوب غيرها ﴿ لا يحمل منه شئ ولوكان ذاقربى ﴾ أى ولوكان المدعو ذا قرابة كالاب والام والابن والاخ قال ابن عباس يلقى الاب والام بالابن فيقول يابنى احمل عنى بعض ذنوبى

(ان يشأ يذهبكم) يهلككم ويمتكم ياأهل مكة (ويأت بخلق جديد) خيرا منكم وأطوع لله (وماذلك) الاهلاك والاتيان (على الله بعزيز) بشديد (ولا تزر وازرة وزر أخرى) لا تحمل حاملة حمل أخرى ماعليها من الذنوب بطيبة النفس ولكن يحمل عليها بالكره ويقال لا تؤخذ نفس بذنب نفس أخرى ويقال لا تعذب نفس بغير ذنب (وان تدع مثقلة) من الذنوب (الى حملها) من الذنوب (لا يحمل منه) من الذنوب (شئ ولوكان ذاقربى) ذاقرابة منه فى الرحم أباه وأمه وابنه وابنته

ان الاول دال علي عدل الله في حكمه وان لا يؤاخذ نفسا بغير ذنبها والثاني في بيان أنه لا غياث يومئذ لمن استغاث حتى ان نفسا قد أثقلتها الاوزار لو دعت الى ان يخفف بعض وقرها لم تجب ولم تغث وان كان المدعو بعض قرابتها (انما تنذر الذين يخشون ربهم) أي انما ينتفع بانذارك هؤلاء (بالغيب) حال من الفاعل أو المفعول أي يخشون ربهم غائبين عن عذابه أو يخشون عذابه غائبا عنهم وقيل بالغيب في السر حيث لا اطلاع للغير عليه (وأقاموا الصلوة) في مواقيتها (ومن تزكى) تطهر بفعل الطاعات وترك المعاصي (فانما يتزكى لنفسه) وهو اعتراض مؤكد لخشيتهم واقامتهم الصلاة لانهما من جملة التزكي (والى الله المصير) المرجع وهو وعد للمتزكي بالثواب (وما يستوى الاعمى والبصير) مثل للكافر والمؤمن أو للجاهل والعالم (ولا الظلمات) مثل للكفر (ولا النور) للايمان (ولا الظل ولا الحرور)الحق والباطل أو الجنة والنار والحرور الريح الحار كالسموم الا ان السموم تكون بالنهار والحرور بالليل والنهار عن الفراء (وما يستوى الاحياء ولا الاموات) مثل للذين دخلوا في الاسلام والذين لم يدخلوا فيه وزيادة لا لتأكيد معنى النفي والفرق بين هذه الواوات أن بعضها ضمت شفعا الى شفع وبعضها وترا الى وتر (ان الله يسمع من يشاء وما انت بمسمع من في القبور) يعني انه قد علم من يدخل في الاسلام ممن لا يدخل فيه فيهدي من يشاء هدايته وأما أنت فخفي عليك أمرهم فلذلك تحرص على اسلام قوم مخذولين شبه الكفار بالموتى حيث لا ينتفعون بمسموعهم

وقرئ ذو قربى على حذف الخبر وهو اولى من جعل كان تامة فانها لا تلايم نظم الكلام ﴿ انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب ﴾ غائبين عن عذابه او عن الناس في خلواتهم او غائبا عنهم عذابه ﴿ واقاموا الصلوة ﴾ فانهم المنتفعون بالانذار لا غير واختلاف الفعلين لما مر ﴿ ومن تزكى ﴾ ومن تطهر عن دنس المعاصي ﴿ فانما يتزكى لنفسه ﴾ اذ نفعه لها وقرئ ومن ازكى فانما يزكى وهو اعتراض مؤكد لخشيتهم واقامتهم الصلاة لانهما من جملة المزكى ﴿ والى الله المصير ﴾ فيجازيهم على تزكيتهم ﴿ ومايستوى الاعمى والبصير ﴾ الكافر والمؤمن وقيل هما مثلان للصنم ولله عز وجل ﴿ ولا الظلمات ولا النور ﴾ ولا الباطل ولا الحق ﴿ ولا الظل ولا الحرور ﴾ ولا الثواب ولا العقاب ولا لتأكيد نفي الاستواء وتكريرها على الشقين لمزيد التأكيد والحرور فعول من الحر غلب على السموم وقيل السموم مايهب نهارا والحرور مايهب ليلا ﴿ ومايستوى الاحياء ولا الاموات ﴾ تمثيل آخر للمؤمنين والكافرين ابلغ من الاول ولذلك كرر الفعل وقيل للعلماء والجهلاء ﴿ ان الله يسمع من يشاء ﴾ هدايته فيوفقه لفهم آياته والاتعاظ بعظاته ﴿ وما انت بمسمع من في القبور ﴾ ترشيح لتمثيل المصرين على الكفر

فيقول لا أستطيع حسبي ماعلي ﴿ انما تنذر الذين يخشون ربهم ﴾ أي يخافون ربهم ﴿ بالغيب ﴾ أي لم يروه والمعنى وانما ينفع انذارك الذين يخشون ربهم بالغيب ﴿ وأقاموا الصلوة ومن تزكى ﴾ أي أصلح وعمل خيرا ﴿ فانما يتزكى لنفسه ﴾ أي لها ثوابه ﴿ والى الله المصير ومايستوى الاعمى والبصير ﴾ أي الجاهل والعالم وقيل الاعمى عن الهدى وهو المشرك والبصير بالهدى وهو المؤمن ﴿ ولا الظلمات ولا النور ﴾ يعني الكفر والايمان ﴿ ولا الظل ولا الحرور ﴾ يعني الجنة والنار وقال ابن عباس الحرور الريح الحارة بالليل والسموم بالنهار ﴿ ومايستوى الاحياء ولا الاموات ﴾ يعني المؤمنين والكفار وقيل العلماء والجهال ﴿ ان الله يسمع من يشاء ﴾ يعني حتى يتعظ ويجيب ﴿ وما انت بمسمع من في القبور ﴾ يعني الكفار شبههم بالاموات في القبور لانهم لا يجيبون اذا دعوا

(انما تنذر) ينفع انذارك يا محمد (الذين يخشون ربهم بالغيب) يعملون لربهم وان كان الله غائبا عنهم والله لا يغيب عنه شيء (وأقاموا الصلوة) أتموا الصلوات الخمس (ومن تزكى) وحد وأصلح وتصدق ماله في سبيل الله (فانما يتزكى)يوحد ويصلح ويتصدق (لنفسه)يكون له ثواب ذلك (والى الله المصير) المرجع في الآخرة (ومايستوى الاعمى والبصير) الكافر والمؤمن (ولا الظلمات ولا النور)يعني الكفر والايمان (ولا الظل ولا الحرور) يعني الجنة والنار (ومايستوى الاحياء ولا الاموات) يعني المؤمنين والكافرين في الطاعة والكرامة (ان الله يسمع) يفهم (من يشاء) من كان أهلا لذلك (وما أنت بمسمع) بمفهم (من في القبور) من كأنه ميت

(ان أنت الا نذير) أى ما عليك الا ان تبلغ وتنذر فان كان المنذر ممن يسمع الانذار نفع وان كان من المصرين فلا عليك (انا ارسلناك بالحق) حال من أحد الضميرين يعنى محقا أو محقين أو صفة للمصدر أى ارسالا مصحوبا بالحق (بشيرا) بالوعد (ونذيرا) بالوعيد (وان من امة) وما من أمة قبل أمتك والامة الجماعة الكثيرة وجد عليه أمة من الناس ويقال لاهل كل عصر امة والمراد هنا أهل العصر وقد كانت آثار النذارة باقية فيما بين عيسى ومحمد عليهما السلام فلم تخل تلك الامم من نذير وحين اندرست آثار نذارة عيسى عليه السلام بعث محمد عليه السلام (الا خلا) مضى (فيها نذير) يخوفهم وخامة الطغيان وسوء عاقبة الكفران واكتفى بالنذير عن البشير فى آخر الآية بعدما ذكرهما لان النذارة مشفوعة بالبشارة فدل ذكر النذارة على ذكر البشارة (وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم) رسلهم (جاءتهم رسلهم) حال وقد مضمرة (بالبينات) بالمعجزات (وبالزبر) وبالصحف (والكتاب المنير) أى التوراة والانجيل والزبور ولما كانت هذه الاشياء فى جنسهم أسند المجئ بها اليهم اسنادا مطلقا وان كان بعضها فى جميعهم وهى البينات وبعضها فى بعضهم وهى الزبر والكتاب وفيه مسلاة لرسول الله صلى الله عليه وسلم (ثم أخذت) عاقبت (الذين كفروا) بانواع العقوبة (فكيف كان نكير) انكارى عليهم وتعذيبى لهم (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فاخرجنا به) بالماء (ثمرات مختلفا ألوانها) أجناسها من الرمان والتفاح والتين والعنب وغيرها مما لا يحصر أو هيآتها من الحمرة والصفرة والخضرة ونحوها (والتين)

بالاموات ومبالغة فى اقناطه منهم ﴿ ان انت الا نذير ﴾ فاعليك الا الانذار اما الاسماع فلا اليك ولا حيلة لك اليه فى المطبوع على قلوبهم ﴿ انا ارسلناك بالحق ﴾ محقين او محقا اوارسالا مصحوبا بالحق ويجوز ان يكون صلة لقوله ﴿ بشيرا ونذيرا ﴾ اى بشيرا بالوعد الحق ونذيرا بالوعيد الحق ﴿ وان من امة ﴾ اهل عصر ﴿ الا خلا ﴾ مضى ﴿ فيها نذير ﴾ من نبى او عالم ينذر عنه والاكتفاء بذكره للعلم بان النذرة قرينة البشارة سيما وقد قرن به من قبل اولان الانذار هو المقصود الاهم من البعثة ﴿ وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات ﴾ بالمعجزات الشاهدة على نبوتهم ﴿ وبالزبر ﴾ وبصحف ابراهيم ﴿ وبالكتاب المنير ﴾ كالتوراة والانجيل على ارادة التفصيل دون الجمع ويجوز ان يراد بهما واحد والعطف لتغاير الوصفين ﴿ ثم اخذت الذين كفروا فكيف كان نكير ﴾ اى انكارى بالعقوبة ﴿ ألم تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها ﴾ اجناسها او اصنافها على ان كلا منها ذو اصناف مختلفة او هيآتها

﴿ أن أنت الا نذير ﴾ أى ما أنت الا منذر تخوفهم بالنار ﴿ انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ﴾ أى بشيرا بالثواب لمن آمن ونذيرا بالعقاب لمن كفر ﴿ وان من أمة ﴾ أى من جماعة كثيرة فيما مضى ﴿ الا خلا ﴾ اى سلف ﴿ فيها نذير ﴾ أى نبى منذر * فان قلت كم من أمة فى الفترة بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم لم يخل فيها نذير * قلت اذا كانت آثار النذارة باقية لم تخل من نذير الا أن تندرس وحين اندرست آثار رسالة عيسى عليه السلام بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم وآثار نذارته باقية الى يوم القيامة لانه لا نبى بعده ﴿ وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات ﴾ أى بالمعجزات الدالة على نبوتهم ﴿ وبالزبر ﴾ أى الصحف ﴿ وبالكتاب المنير ﴾ أى الواضح قيل أراد بالكتاب التوراة والانجيل والزبور وقيل ذكر الكتاب بعد الزبر تأكيدا ﴿ ثم أخذت الذين كفروا فكيف كان نكير ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء ﴾ يعنى المطر ﴿ فاخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ﴾ يعنى أجناسها من الرمان والتفاح

فى القبور (ان أنت) ما أنت يا محمد (الا نذير) رسول مخوف بالقرآن (انا أرسلناك) يا محمد (بالحق) بالقرآن (بشيرا) بالجنة لمن آمن بالله (ونذيرا) من النار لمن كفر به (وان من أمة) ما من أمة (الا خلا) مضى (فيها نذير) رسول مخوف (وان يكذبوك) قريش يا محمد (فقد كذب الذين من قبلهم) من قبل قومك قريش رسلهم (جاءتهم رسلهم بالبينات) بالامر والنهى والعلامات (وبالزبر) بخبر كتب الاولين (وبالكتاب المنير) المبين بالحلال والحرام (ثم أخذت) عاقبت (الذين كفروا) بالكتب والرسل (فكيف كان نكير) انظر يا محمد كيف كان تغييرى عليهم بالعذاب حين لم يؤمنوا (ألم تر) ألم تعلم (ان الله أنزل من السماء ماء) مطرا (فاخرجنا به) بالمطر (ثمرات مختلفا ألوانها) أجناسها الحلو والحامض وغير ذلك

(ومن الجبال جدد) طرق مختلفة اللون جمع جدة كمدة ومدد (بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود)
جمع غربيب وهو تأكيد للاسود يقال أسود غربيب وهو الذى أبعد فى السواد وأغرب فيه ومنه الغراب وكان من حق
التأكيد ان يتبع المؤكد كقولك أصفر فاقع الا انه أضمر المؤكد قبله والذى بعده تفسير للمضمر وانما يفعل ذلك لزيادة
التوكيد حيث يدل على المعنى الواحد من طريقى الاظهار والاضمار جميعا ولا بد من تقدير حذف المضاف فى قوله
ومن الجبال جدد أي ومن الجبال ذو جدد بيض وحمر وسود حتى يؤل الى
أقولك ومن الجبال مختلف ألوانه كما قال ثمرات مختلفا ألوانها (ومن الناس والدواب والانعام مختلف ألوانه) يعنى ومنهم بعض مختلف ألوانه (كذلك) أى كاختلاف الثمرات والجبال ولما قال ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء وعدد آيات الله واعلام قدرته وآثار صنعته وما خلق من الفطر المختلفة الاجناس وما يستدل به عليه وعلى صفاته اتبع ذلك (انما يخشى الله من عباده العلماء) أى العلماء به الذين علموه بصفاته فعظموه ومن ازداد علما به ازداد منه خوفا ومن كان علمه به أقل كان آمن وفى الحديث أعلمكم بالله أشدكم له خشية وتقديم اسم الله تعالى وتأخير العلماء يؤذن ان معناه ان الذين يخشون الله من عباده العلماء دون غيرهم ولو عكس لكان المعنى انهم لا يخشون الا الله كقوله ولا يخشون أحدا الا الله وبينهما تغاير ففى الاول
بيان ان الخاشعين هم العلماء وفى الثانى (قا و خا ٢٤ مس) بيان ان المخشى منه هو الله تعالى وقرأ أبو حنيفة وابن عبد العزيز
وابن سيرين رضى الله عنهم انما يخشى الله من عباده العلماء والخشية فى هذه القراءة استعارة والمعنى انما يعظم الله من عباده

من الصفرة والخضرة ونحوهما ﴿ ومن الجبال جدد ﴾ اى ذو جدد اى خطط وطرائق فيقال جدة الحمار للخطة السوداء على ظهره وقرئ جدد بالضم جمع جديدة بمعنى الجدة وجدد بفتحتين وهو الطريق الواضح ﴿ بيض وحمر مختلف الوانها ﴾ بالشدة والضعف ﴿ وغرابيب سود ﴾ عطف على بيض او على جدد كأنه قيل ومن الجبال ذو جدد مختلفة اللون ومنها غرابيب متحدة اللون وهو تأكيد مضمر يفسره فان الغربيب تأكيد للاسود ومن حق التأكيد ان يتبع المؤكد ونظير ذلك فى الصفة قول النابغة

والمؤمن العائذات الطير يمسحها * ركبان مكة بين الغيل والسند

وفى مثله مزيد تأكيد لما فيه من التكرير باعتبار الاضمار والاظهار ﴿ ومن الناس والدواب والانعام مختلف الوانه كذلك ﴾ كاختلاف الثمار والجبال ﴿ انما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ اذ شرط الخشية معرفة المخشى والعلم بصفاته وافعاله فمن كان اعلم به كان اخشى منه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم انى اخشاكم لله واتقاكم له ولهذا اتبعه ذكر افعاله الدالة على كمال قدرته وتقديم المفعول لان المقصود حصر الفاعلية ولو اخر انعكس الامر وقرئ برفع الله ونصب العلماء على ان الخشية مستعارة للتعظيم فان المعظم يكون مهيبا

والتين والعنب والرطب ونحوها وقيل يعنى ألوانها فى الحمرة والصفرة والخضرة وغير ذلك مما لا يحصر ولا يعد ﴿ ومن الجبال جدد بيض وحمر ﴾ يعنى الخطط والطرق فى الجبال ﴿ مختلف ألوانها ﴾ يعنى منها ماهو أبيض ومنها ماهو أحمر ومنها ماهو أصفر ﴿ وغرابيب سود ﴾ أى شديدة السواد كما يقال أسود غربيب تشبيها بلون الغراب ﴿ ومن الناس والدواب والانعام مختلف ألوانه ﴾ أى خلق مختلف ألوانه ﴿ كذلك ﴾ أى كاختلاف الثمرات والجبال وتم الكلام ههنا ثم ابتدأ فقال تعالى ﴿ انما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ قال ابن عباس يريد انما يخافنى من خلقى من علم جبروتى وعزتى وسلطانى وقيل عظموه وقدروا قدره وخشوه حق خشيته ومن ازداد به علما ازداد به خشية (ق) عن عائشة قالت صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ فرخص فيه فتنزه عنه قوم فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فخطب فحمد الله ثم قال ما بال أقوام يتنزهون عن الشئ أصنعه فوالله انى لاعلمهم بالله وأشدهم له خشية * قولها فرخص فيه أى لم يشدد فيه * قولها فتنزه عنه أقوام أى تباعد عنه وكرهه قوم

(ومن الجبال جدد) طرق (بيض وحمر مختلف ألوانها) كالوان الثمار (وغرابيب سود) جبال سود شديدة السواد (ومن الناس) كذلك مختلف ألوانه (والدواب) كذلك مختلف ألوانه (والانعام كذلك مختلف ألوانه) اجناسه مقدم ومؤخر (انما يخشى الله من عباده العلماء) يقول انما العلماء يخشون الله من عباده

العلماء(ان الله عزيز غفور) تعليل لوجوب الخشية لدلالته على عقوبة العصاة وقهرهم واثابة اهل الطاعة والعفو عنهم والمعاقب المثيب حقه ان يخشى (إن الذين يتلون كتاب الله) يداومون على تلاوة القرآن (وأقاموا الصلوة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية) أي مسرين النفل ومعلنين الفرض يعني لا يقتنعون بتلاوته عن حلاوة العمل به (يرجون) خبر ان (تجارة) هي طلب الثواب بالطاعة

لن تكسد يعني تجارة ينتفي عنها الكساد وتنفق عند الله (ليوفيهم) متعلق بلن تبور أي ليوفيهم بنفاقها عنده (أجورهم) ثواب أعمالهم (ويزيدهم من فضله) بتفسيح القبور أو بتشفيعهم فيمن أحسن اليهم أو بتضعيف حسناتهم أو بتحقيق وعد لقائه أو يرجون في موضع الحال أي راجين واللام في ليوفيهم تتعلق بيتلون وما بعده أي فعلوا جميع ذلك من التلاوة واقامة الصلاة والانفاق لهذا الغرض وخبر ان (انه غفور) لفرطاتهم (شكور) أي غفور لهم شكور لاعمالهم أي يعطي الجزيل على العمل القليل (والذي أوحينا اليك من الكتاب) أي القرآن

﴿ان الله عزيز غفور﴾ تعليل لوجوب الخشية لدلالته على انه معاقب المصر على طغيانه غفور للتائب عن عصيانه ﴿ان الذين يتلون كتاب الله﴾ يداومون قراءته او متابعة ما فيه حتى صارت سمة لهم وعنوانا والمراد بكتاب الله القرآن او جنس كتب الله فيكون ثناء على المصدقين من الامم بعد اقتصاص حال المكذبين ﴿واقاموا الصلوة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية﴾ كيف اتفق من غير قصد اليهما وقيل السر في المسنونة والعلانية في المفروضة ﴿يرجون تجارة﴾ تحصيل ثواب بالطاعة وهو خبر ان ﴿لن تبور﴾ لن تكسد ولن تهلك بالخسران صفة للتجارة وقوله ﴿ليوفيهم اجورهم﴾ علة لمدلوله اى ينتفي عنها الكساد وتنفق عند الله ليوفيهم بنفاقها اجور اعمالهم او لمدلول ما عد من افعالهم نحو فعلوا ذلك ليوفيهم او عاقبة ليرجون ﴿ويزيدهم من فضله﴾ على ما يقابل اعمالهم ﴿انه غفور﴾ لفرطاتهم ﴿شكور﴾ لطاعاتهم اى مجازيهم عليها وهو علة للتوفية والزيادة او خبر ان ويرجون حال من واو وانفقوا ﴿والذي اوحينا اليك من الكتاب﴾ يعني القرآن ومن للتبيين او الجنس ومن للتبعيض

(ق) عن أنس قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة ما سمعت مثلها قط فقال لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا فغطى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوههم لهم خنين * الخنين بالخاء المعجمة هو البكاء مع غنة وانتشاق الصوت من الانف وقال مسروق كفى بخشية الله علما وكفى بالاغترار بالله جهلا وقال رجل للشعبي أفتني أيها العالم فقال الشعبي انما العالم من خشي الله عز وجل وقال مقاتل أشد الناس خشية لله أعلمهم به وقال الربيع بن أنس من لم يخش الله فليس بعالم ﴿ان الله عزيز﴾ أي في ملكه ﴿غفور﴾ أي لذنوب عباده وهو تعليل لوجوب الخشية لانه المثيب المعاقب واذا كان كذلك فهو أحق أن يخشى ويتقى * قوله عز وجل ﴿ان الذين يتلون كتاب الله﴾ أي يداومون على قراءته ويعلمون ما فيه ويعملون به ﴿وأقاموا الصلوة﴾ أي ويقيمون الصلاة في أوقاتها ﴿وأنفقوا مما رزقناهم﴾ أي في سبيل الله ﴿سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور﴾ أي لن تفسد ولن تهلك والمراد من التجارة ما وعد الله من الثواب ﴿ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله﴾ قال ابن عباس سوى الثواب يعني مما لم تر عين ولم تسمع أذن ﴿انه غفور شكور﴾ قال ابن عباس يغفر العظيم من ذنوبهم ويشكر اليسير من أعمالهم ﴿والذي أوحينا اليك من الكتاب﴾

(ان الله عزيز) في ملكه وسلطانه (غفور) لمن آمن به (ان الذين يتلون) يقرؤن (كتاب الله) القرآن أبو بكر وأصحابه (وأقاموا الصلوة) أتموا الصلوات الخمس (وأنفقوا) تصدقوا (مما رزقناهم) أعطيناهم من الاموال (سرا) فيما بينهم وبين الله (وعلانية) فيما بينهم وبين الناس (يرجون تجارة) يعني (يعني) الجنة (لن تبور) لن تهلك ولن تفسد (ليوفيهم) الله (أجورهم) ثوابهم في الجنة (ويزيدهم من فضله) بفضله من واحدة الى عشرة (انه غفور) لذنوبهم العظيمة (شكور) لاعمالهم اليسيرة يشكر اليسير ويجزي الجزيل (والذي أوحينا اليك) أنزلنا جبرئيل عليك به (من الكتاب) يعني القرآن

ومن للتبيين (هو الحق مصدقا) حال مؤكدة لان الحق لاينفك عن هذا التصديق (لما بين يديه) لما تقدمه من الكتب (ان الله بعباده لخبير بصير) فعلمك وأبصر أحوالك ورآك أهلا لان يوحى اليك مثل هذا الكتاب المعجز الذى هو عيار على سائر الكتب (ثم أورثنا الكتاب) أى أوحينا اليك القرآن ثم أورثناه من بعدك أى حكمنا بتوريثه (الذين اصطفينا من عبادنا) وهم أمته من الصحابة والتابعين وتابعيهم ومن بعدهم الى يوم القيامة لان الله اصطفاهم على سائر الامم وجعلهم أمة وسطا ليكونوا شهداء على الناس واختصهم بكرامة الانتماء الى افضل رسله ثم رتبهم على مراتب فقال (فمنهم ظالم لنفسه) وهو المرجى لامر الله (ومنهم مقتصد) هو الذى خلط عملا صالحا وآخر سيأ (ومنهم سابق بالخيرات) وهذا التأويل يوافق التنزيل فانه تعالى قال والسابقون الاولون من المهاجرين الآية وقال بعده وآخرون اعترفوا بذنوبهم الآية وقال بعده وآخرون مرجون لامر الله الآية والحديث فقد روى عن

﴿ هو الحق مصدقا لما بين يديه ﴾ احقه مصدقا لما تقدمه من الكتب السماوية حال مؤكدة لان حقيته تستلزم موافقته اياه فى العقائد واصول الاحكام ﴿ ان الله بعباده لخبير بصير ﴾ عالم بالبواطن والظواهر فلو كان فى احوالك ماينافى النبوة لم يوح اليك مثل هذا الكتاب المعجز الذى هو عيار على سائر الكتب وتقديم الخبر للدلالة على ان العمدة فى ذلك الامور الروحانية ﴿ ثم اورثنا الكتاب ﴾ حكمنا بتوريثه منك او نورثه فعبر عنه بالماضى لتحققه او اورثناه من الامم السالفة والعطف على ان الذين يتلون والذين اوحينا اليك اعتراض لبيان كيفية التوريث ﴿ الذين اصطفينا من عبادنا ﴾ يعنى علماء الامة من الصحابة ومن بعدهم او الامة باسرهم فان الله اصطفاهم على سائر الامم ﴿ فمنهم ظالم لنفسه ﴾ بالتقصير فى العمل به ﴿ ومنهم مقتصد ﴾ يعمل به فى اغلب الاوقات ﴿ ومنهم سابق بالخيرات

يعنى القرآن ﴿ هو الحق مصدقا لما بين يديه ﴾ أى من الكتب ﴿ ان الله بعباده لخبير بصير ﴾ ❊ قوله تعالى ﴿ ثم اورثنا الكتاب ﴾ أى أوحينا اليك الكتاب وهو القرآن ثم أورثناه يعنى حكمنا بتوريثه وقيل أورثناه بمعنى نورثه ﴿ الذين اصطفينا من عبادنا ﴾ قال ابن عباس يريد أمة محمد صلى الله عليه وسلم لان الله اصطفاهم على سائر الامم واختصهم بكرامته بان جعلهم اتباع سيد الرسل وخصهم بحمل افضل الكتب ثم قسمهم ورتبهم فقال تعالى ﴿ فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات ﴾ روى عن اسامة بن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم من هذه الامة ذكره البغوى بغير سند ❊ وعن أبى سعيد الخدرى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال فى هذه الآية ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله قال هؤلاء كلهم بمنزلة واحدة وكلهم فى الجنة أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب ❊ وعن عمر بن الخطاب انه قرأ هذه الآية على المنبر ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له قال أبو قلابة أحد رواته فحدثت به يحيى بن معين فجعل يتعجب منه أخرجه البغوى بسنده وروى بسنده عن ثابت ان رجلا دخل المسجد فقال اللهم ارحم غربتى وآنس وحشتى وسق الى جليسا صالحا فقال أبو الدرداء لئن كنت صادقا لانا أسعد بك منك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات قال أما السابق بالخيرات فيدخل الجنة بغير حساب وأما المقتصد فيحاسب حسابا يسيرا وما الظالم لنفسه فيحبس فى المقام حتى يدخله الهم ثم يدخل الجنة ثم قرأ هذه الآية الحمد لله الذى أذهب

(هو الحق) الصدق (مصدقا) موافقا بالتوحيد وبعض الشرائع (لما بين يديه) من الكتاب (ان الله بعباده لخبير) بمن يؤمن ومن لايؤمن (بصير) بأعمالهم (ثم) من بعد ما أنزلنا جبريل بالقرآن على محمد صلى الله عليه وسلم (أورثنا الكتاب) أكرمنا بحفظ القرآن وكتابته وقراءته (الذين اصطفينا) اخترنا (من عبادنا) من بين عبادنا بالايمان وهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم (فمنهم ظالم لنفسه) بالكبائر لاينجو الا بالشفاعة أو بالمغفرة أو بانجاز الوعد (ومنهم مقتصد) وهو من استوت حسناته وسيآته يحاسب حسابا يسيرا ثم ينجو (ومنهم سابق) بالغ (بالخيرات)

عمر رضي الله عنه انه قال على المنبر بعد قراءة هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له وعنه عليه السلام السابق يدخل الجنة بغير حساب والمقتصد يحاسب حسابا يسيرا ثم يدخل الجنة واما الظالم لنفسه فيحبس حتى يظن انه لا ينجو ثم تناله الرحمة فيدخل الجنة رواه أبو الدرداء والاثر فعن ابن عباس رضي الله عنهما السابق المخلص والمقتصد المرائي والظالم الكافر بالنعمة غير الجاحد لها لانه حكم للثلاثة بدخول الجنة وقول السلف فقد قال الربيع بن أنس الظالم صاحب الكبائر والمقتصد صاحب الصغائر والسابق المجتنب لهما وقال الحسن البصري الظالم من رجحت سيآته والسابق من رجحت حسناته والمقتصد من استوت حسناته وسيآته وسئل أبو يوسف رحمه الله عن هذه الآية فقال كلهم مؤمنون وأما صفة الكفار فبعد هذا وهو قوله والذين كفروا لهم نار جهنم وأما الطبقات الثلاث فهم الذين اصطفى من عباده فانه قال فمنهم ومنهم ومنهم والكل راجع الى قوله الذين اصطفينا من عبادنا وهم أهل الايمان وعليه الجمهور وانما قدم الظالم للايذان بكثرتهم وان المقتصدين قليل بالاضافة اليهم والسابقون أقل من القليل وقال ابن عطاء انما قدم الظالم لئلا ييأس من فضله وقيل انما قدمه ليعرفه ان ذنبه لا يبعده من ربه وقيل أن أول الاحوال معصية ثم توبة ثم استقامة وقال سهل السابق العالم والمقتصد المتعلم والظالم الجاهل وقال أيضا السابق الذي اشتغل بمعاده والمقتصد الذي اشتغل بمعاشه ومعاده والظالم الذي اشتغل بمعاشه عن معاده وقيل الظالم الذي يعبده على الغفلة والعادة والمقتصد الذي يعبده على الرغبة والرهبة والسابق الذي يعبده على الهيبة والاستحقاق وقيل الظالم من أخذ الدنيا حلالا كانت أو حراما والمقتصد من يجتهد ان لا يأخذها الا من حلال والسابق من أعرض عنها جملة وقيل الظالم طالب الدنيا والمقتصد طالب العقبى والسابق طالب المولى (باذن الله) بامره او بعلمه أو بتوفيقه (بامر الله)

باذن الله ﴿ بضم التعليم والارشاد الى العمل وقيل الظالم الجاهل والمقتصد المتعلم والسابق العالم وقيل الظالم المجرم والمقتصد الذي خلط الصالح بالسيء والسابق الذي ترجحت حسناته بحيث صارت سيئاته مكفرة وهو معنى قوله عليه الصلاة والسلام

عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور وقال عقبة بن صهبان سألت عائشة عن قول الله عز وجل ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا الآية فقالت يا بني كلهم في الجنة أما السابق فمن مضى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة وأما المقتصد فمن تبع أثره من أصحابه حتى لحق به وأما الظالم لنفسه فمثلي ومثلكم فجعلت نفسها معنا وقال ابن عباس السابق المؤمن المخلص والمقتصد المرائي والظالم الكافر بنعمة الله غير الجاحد لها لانه حكم للثلاثة بدخول الجنة فقال جنات عدن يدخلونها وقيل الظالم هم أصحاب المشأمة والمقتصد أصحاب الميمنة والسابق هم السابقون المقربون من الناس كلهم وقيل السابق من رجحت حسناته على سيآته والمقتصد من استوت سيآته وحسناته والظالم من رجحت سيآته على حسناته وقيل الظالم من كان ظاهره خيرا من باطنه والمقتصد الذي استوى ظاهره وباطنه والسابق الذي باطنه خير من ظاهره وقيل الظالم التالي للقرآن ولم يعمل به والمقتصد التالي له العالم به والسابق القارئ له العالم به العامل بما فيه وقيل الظالم أصحاب الكبائر والمقتصد أصحاب الصغائر والسابق الذي لم يرتكب صغيرة ولا كبيرة وقيل الظالم الجاهل والمقتصد المتعلم والسابق العالم * فان قلت لم قدم الظالم ثم المقتصد ثم السابق * قلت قال جعفر الصادق بدأ بالظالمين اخبارا بانه لا يتقرب اليه الا بكرمه وان الظلم لا يؤثر في الاصطفاء ثم ثنى بالمقتصدين لانهم بين الخوف والرجاء ثم ختم بالسابقين لئلا يأمن أحد مكره وكلهم في الجنة وقيل رتبهم هذا الترتيب على مقامات الناس لان أحوال العباد ثلاثة معصية وغفلة ثم توبة ثم قربة فاذا عصى الرجل دخل في حيز الظالمين فاذا تاب دخل في جملة المقتصدين فاذا صحت توبته وكثرت عبادته ومجاهدته دخل في عدد السابقين وقيل قدم الظالم لكثرة الظلم وغلبته ثم المقتصد قليل بالاضافة الى الظالمين والسابق أقل من القليل فلهذا أخرهم ومعنى سابق بالخيرات أي بالاعمال الصالحة الى الجنة أو الى رحمة الله ﴿ باذن الله ﴾

في الدنيا ومقرب الى جنة عدن في الآخرة (باذن الله) بتوفيق الله وكرامته

(ذلك) أى ايراث الكتاب (هو الفضل الكبير جنات عدن) خبر ثان لذلك أو خبر مبتدأ محذوف أو مبتدأ والخبر (يدخلونها) أى الفرق الثلاثة يدخلونها أبو عمرو (يحلون فيها من أساور) جمع اسورة جمع سوار (من ذهب ولؤلؤا) أى من ذهب مرصع باللؤلؤ ولؤلؤا بالنصب والهمزة نافع وحفص عطفا على محل من أساور أى يحلوا اساورا ولؤلؤا (ولباسهم فيها حرير) لما فيه من اللذة والزينة (وقالوا الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن) خوف النار أو خوف الموت أو هموم الدنيا (ان ربنا لغفور) يغفر الجنايات وان كثرت (شكور) يقبل الطاعات وان قلت (الذى أحلنا دار المقامة) أى الاقامة لا نبرح منها ولا نفارقها يقال أقمت اقامة ومقاما ومقامة (من فضله) من عطائه وافضاله لا باستحقاقنا (لا يمسنا فيها نصب) تعب ومشقة (ولا يمسنا فيها لغوب) اعياء من التعب وفترة وقرأ أبو عبد الرحمن السلمى

اما الذين سبقوا فاولئك يدخلون الجنة بغير حساب واما الذين اقتصدوا فاولئك يحاسبون حسابا يسيرا واما الذين ظلموا انفسهم فاولئك يحبسون فى طول المحشر ثم يتلقاهم الله برحمته وقيل الظالم الكافر على ان الضمير للعباد وتقديمه لكثرة الظالمين ولان الظلم بمعنى الجهل والركون الى الهوى مقتضى الجبلة والاقتصاد والسبق عارضان ﴿ ذلك هو الفضل الكبير ﴾ اشارة الى التوريث او الاصطفاء او السبق ﴿ جنات عدن يدخلونها ﴾ مبتدأ وخبر والضمير للثلاثة او للذين او للمقتصد والسابق فان المراد بهما الجنس وقرئ جنة عدن وجنات عدن منصوبة بفعل يفسره الظاهر وقرأ ابو عمرو يدخلونها على بناء المفعول ﴿ يحلون فيها ﴾ خبر ثان او حال مقدرة وقرئ يحلون من حليت المرأة فهى حالية ﴿ من اساور من ذهب ﴾ من الاولى للتبعيض والثانية للتبيين ﴿ ولؤلؤا ﴾ عطف على ذهب اى من ذهب مرصع باللؤلؤ اومن ذهب فى صفاء اللؤلؤ ونصبه نافع وعاصم عطفا على محل من اساور ﴿ ولباسهم فيها حرير وقالوا الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن ﴾ همهم من خوف العاقبة او همهم من اجل المعاش وآفاته اومن وسوسة ابليس وغيرها وقرئ الحزن ﴿ ان ربنا لغفور ﴾ للمذنبين ﴿ شكور ﴾ للمطيعين ﴿ الذى احلنا دار المقامة ﴾ دار الاقامة ﴿ من فضله ﴾ من انعامه وتفضله اذ لا واجب عليه ﴿ لا يمسنا فيها نصب ﴾ تعب ﴿ ولا يمسنا فيها لغوب ﴾ كلال اذ لا

بامر الله وارادته ﴿ ذلك هو الفضل الكبير ﴾ يعنى ايراثهم الكتاب و اصطفاءهم ثم أخبر بثوابهم فقال تعالى ﴿ جنات عدن يدخلونها ﴾ يعنى الاصناف الثلاثة ﴿ يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير ﴾ تقدم تفسيره ﴿ وقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن ﴾ قال ابن عباس حزن النار وقيل حزن الموت وقيل حزن الذنوب والسيآت وخوف رد الطاعات وأنهم لا يدرون ما يصنع بهم وقيل حزن زوال النعم وتقليب القلوب وخوف العاقبة وقيل حزن أهوال يوم القيامة وهموم الحصر والمعيشة فى الدنيا وقيل اذهب عن أهل الجنة كل حزن كان لمعاش أو معاد ❊ روى البغوى بسنده عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس على أهل لا اله الا الله وحشة فى قبورهم ولا فى نشورهم وكأنى باهل لا اله الا الله ينفضون التراب عن رؤسهم يقولون الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن ﴿ ان ربنا لغفور شكور ﴾ يعنى غفر العظيم من الذنوب وشكر القليل من الاعمال ﴿ الذى أحلنا ﴾ أى أنزلنا ﴿ دار المقامة ﴾ أى الاقامة ﴿ من فضله ﴾ أى لا باعمالنا ﴿ لا يمسنا فيها نصب ﴾ أى لا يصيبنا فيها عناء ولا مشقة ﴿ ولا يمسنا فيها لغوب ﴾ أى اعياء من التعب ❊ قوله تعالى

(ذلك) الاصطفاء والمسابقة (هو الفضل الكبير) المن العظيم من الله عليهم ثم بين مستقرهم فقال (جنات عدن) مقصورة الرحمن داره والجنان حوله (يدخلونها يحلون فيها) يلبسون فى الجنة (من أساور) أساور (من ذهب ولؤلؤا) هذا حلية النساء وحلية الرجال من الذهب (ولباسهم فيها) فى الجنة (حرير وقالوا) أهل الجنة فى الجنة (الحمد لله) الشكر والمنة لله (الذى أذهب عنا الحزن) حزن الموت والزوال وأهوال يوم القيامة ويقال حزن مخاطرة الدنيا (ان ربنا لغفور) للذنوب العظيمة (شكور) للاعمال اليسيرة (الذى أحلنا) أنزلنا (دار المقامة) يعنى الجنة (من فضله) بفضله لا ظعن فيها (لا يمسنا) لا يصيبنا (فيها) فى الجنة (نصب) تعب وعناء (ولا يمسنا) لا يصيبنا (فيها) فى الجنة (لغوب) اعياء

ـوب بفتح اللام وهو شئ يلغب منه أى لانتكلف عملا يلغبنا (والذين كفروا لهم نار جهنم لايقضى عليهم فيموتوا) جواب النفى ونصبه باضمار أن أى لايقضى عليهم بموت ثان فيستريحوا (ولايخفف عنهم من عذابها) من عذاب نار جهنم (كذلك) مثل ذلك الجزاء (نجزى كل كفور) يجزى كل كفور أبو عمرو (وهم يصطرخون فيها) يستغيثون فهو يفتعلون من الصراخ وهو الصياح بجهد ومشقة واستعمل فى الاستغاثة لجهر صوت المستغيث (ربنا) يقولون ربنا (أخرجنا نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل) أى أخرجنا من النار وردنا الى الدنيا نؤمن بدل الكفر ونطع بعد المعصية فيجاوبون بعد قدر عمر الدنيا (أولم نعمركم مايتذكر فيه من تذكر) يجوز أن يكون مانكرة موصوفة أى تعميرا يتذكر فيه من تذكر وهو متناول لكل عمر تمكن منه المكلف من اصلاح شأنه وان قصر الا أن التوبيخ فى المتطاول أعظم ثم قيل هو ثمان عشرة سنة وقيل أربعون وقيل ستون سنة (وجاءكم النذير) الرسول عليه السلام أو الشيب وهو عطف على معنى أولم نعمركم لان لفظه استخبار ومعناه اخبار كانه قيل قد عمرناكم وجاءكم

تكليف فيها ولا كد اتبع نفى النصب نفى مايتبعه مبالغة ﴿ والذين كفروا لهم نار جهنم لايقضى عليهم ﴾ لايحكم عليهم بموت ثان ﴿ فيموتوا ﴾ فيستريحوا ونصبه باضمار ان وقرئ فيموتون عطفا على يقضى كقوله ولايؤذن لهم فيعتذرون ﴿ ولايخفف عنهم من عذابها ﴾ بل كلما خبت زيد اسعارها ﴿ كذلك ﴾ مثل ذلك الجزاء ﴿ نجزى كل كفور ﴾ مبالغ فى الكفر اوالكفران وقرأ ابو عمرو يجزى على بناء المفعول واسناده الى كل وقرئ يجازى ﴿ وهم يصطرخون فيها ﴾ يستغيثون يفتعلون من الصراخ وهو الصياح استعمل فى الاستغاثة لجهر المستغيث صوته ﴿ ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل ﴾ باضمار القول وتقييد العمل الصالح بالوصف المذكور للتحسر على ماعملوه من غير الصالح والاعتراف به والاشعار بان استخراجهم لتلافيه وانهم كانوا يحسبون انه صالح والآن تحقق لهم خلافه ﴿ أولم نعمركم مايتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير ﴾ جواب من الله وتوبيخ لهم ومايتذكر فيه يتناول كل عمر تمكن المكلف فيه من التفكر والتذكر وقيل مابين العشرين الى الستين وعنه عليه الصلاة والسلام العمر الذى اعذر الله فيه الى ابن آدم ستون سنة والعطف على معنى اولم نعمركم فانه للتقرير كأنه قيل عمرناكم

﴿ والذين كفروا لهم نار جهنم لايقضى عليهم فيموتوا ﴾ أى فيستريحوا مما هم فيه ﴿ ولايخفف عنهم من عذابها ﴾ أى من عذاب النار ﴿ كذلك نجزى كل كفور وهم يصطرخون ﴾ أى يستغيثون ويصيحون ﴿ فيها ﴾ يقولون ﴿ ربنا أخرجنا ﴾ أى من النار ﴿ نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل ﴾ أى فى الدنيا من الشرك والسيآت فيقول الله تعالى توبيخا لهم ﴿ أولم نعمركم مايتذكر فيه من تذكر ﴾ قيل هو البلوغ وقيل ثمان عشرة سنة وقيل أربعون سنة وقال ابن عباس ستون سنة ويروى ذلك عن على وهو العمر الذى أعذر الله تعالى لابن آدم (خ) عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال أعذر الله الى كل امرئ أخر أجله حتى بلغ ستين سنة وعنه باسناد الثعلبى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعمار أمتى مابين الستين الى السبعين ﴿ وجاءكم النذير ﴾ يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم بالقرآن قال ابن عباس وقيل هو الشيب والمعنى أولم نعمركم حتى شبتم وقال الشيب نذير الموت وفى الأثر مامن شعرة تبيض الا قالت لاختها استعدى فقد قرب الموت

(والذين كفروا) كذبوا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن أبو جهل وأصحابه (لهم نار جهنم) فى الآخرة (لايقضى عليهم) لايكون عليهم قضاء الموت (فيموتوا) فيستريحوا (ولايخفف) لايهون ولايرفه ولايرفع (عنهم من عذابها) طرفة عين (فذوقوا) (كذلك) هكذا (نجزى) فى الآخرة (كل كفور) كافر بالله وبنعمته (وهم) يعنى الكفار (يصطرخون فيها) يستغيثون فيها فى النار ويدعون ويتضرعون ويقولون (ربنا) يا ربنا (أخرجنا) من النار ردنا الى الدنيا نؤمن بك (نعمل صالحا) خالصا فى الايمان (غير الذى كنا نعمل) فى الشرك فيقول الله لهم (أولم نعمركم) نمهلكم يامعشر الكفار فى الدنيا (مايتذكر فيه) بقدر مايتعظ فيه (من تذكر) من أراد ان يتعظ ويؤمن (وجاءكم النذير) محمد بالقرآن وخوفكم من هذا

النذير (فذوقوا) العذاب (فما للظالمين من نصير) ناصر يعينهم (ان الله عالم غيب السموات والارض) ما غاب فيهما عنكم (انه عليم بذات الصدور) كالتعليل لانه اذا علم ما في الصدور وهو أخفى مايكون فقد علم كل غيب في العالم وذات الصدور مضمراتها وهي تأنيث ذو في نحو قول أبي بكر رضي الله عنه ذو بطن خارجة جارية أي ما في بطنها من الحبل لان الحبل يصحب البطن وكذا المضمرات تصحب الصدور وذو موضوع لمعنى الصحبة (هو الذي جعلكم خلائف في الارض) يقال للمستخلف خليفة ويجمع على خلائف والمعنى انه جعلكم خلفاء في أرضه قد ملككم مقاليد التصرف فيها وسلطكم على ما فيها وأباح لكم منافعها لتشكروه بالتوحيد والطاعة (فمن كفر) منكم وغمط مثل هذه النعمة السنية (فعليه كفره) فوبال كفره راجع عليه وهو مقت الله وخسار الآخرة كما قال (ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا) وهو أشد البغض (ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا) هلاكا وخسرانا (قل أرأيتم شركاءكم) آلهتكم التي أشركتموهم في العبادة (الذين تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الارض) أروني بدل من أرأيتم لان معنى أرأيتم اخبروني كانه قيل أخبروني عن هؤلاء الشركاء وعما استحقوا به الشركة أروني أي جزء من أجزاء الارض استبدوا بخلقه

وجاءكم النذير وهو النبي او الكتاب وقيل العقل او الشيب او موت الاقاريب ﴿فذوقوا فما للظالمين من نصير﴾ يدفع العذاب عنهم ﴿ان الله عالم غيب السموات والارض﴾ لايخفى عليه خافية فلايخفى عليه احوالهم ﴿انه عليم بذات الصدور﴾ تعليل له لانه اذا علم مضمرات الصدور وهي اخفى مايكون كان اعلم بغيرها ﴿هو الذي جعلكم خلائف في الارض﴾ يلقي اليكم مقاليد التصرف فيها وقيل خلفا بعد خلف جمع خليفة والخلفاء جمع خليف ﴿فمن كفر فعليه كفره﴾ جزاء كفره ﴿ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا﴾ بيان له والتكرير للدلالة على ان اقتضاء الكفر لكل واحد من الامرين مستقل باقتضاء قبحه ووجوب التجنب عنه والمراد بالمقت وهو اشد البغض مقت الله وبالخسار خسار الآخرة ﴿قل أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله﴾ يعني آلهتهم والاضافة اليهم لانهم جعلوهم شركاء الله اولانفسهم فيما يملكونه ﴿اروني ماذا خلقوا من الارض﴾ بدل من ارأيتم بدل اشتمال لانه بمعنى اخبروني كأنه قال اخبروني عن هؤلاء الشركاء اروني اي جزء من الارض

﴿فذوقوا﴾ أي يقال لهم ذوقوا العذاب ﴿فما للظالمين من نصير﴾ أي مالهم من مانع يمنعهم من عذابه ﴿ان الله عالم غيب السموات والارض انه عليم بذات الصدور﴾ يعني انه اذا علم ذلك وهو أخفى مايكون فقد علم غيب كل شيء في العالم * قوله تعالى ﴿هو الذي جعلكم خلائف في الارض﴾ أي يخلف بعضكم بعضا وقيل جعلكم أمة خلفت من قبلها من الامم ورأت ماينبغي ان يعتبر به وقيل جعلكم خلفاء في أرضه وملككم منافعها ومقالد التصرف فيها لتشكروه بالتوحيد والطاعة ﴿فمن كفر﴾ أي جحد هذه النعمة وغمطها ﴿فعليه كفره﴾ أي وبال كفره ﴿ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا﴾ أي غضبا وقيل المقت أشد البغض ﴿ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا﴾ أي في الآخرة ﴿قل أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله﴾ يعني الاصنام جعلتموها شركاء بزعمكم ﴿أروني ماذا خلقوا من الارض﴾ يعني أيّ جزء

اليوم فلم تؤمنوا به (فذوقوا) عذاب النار (فما للظالمين) الكافرين (من نصير) مانع من عذاب الله (ان الله عالم غيب السموات والارض) غيب مايكون في السموات والارض علم الله لو ردوا الى الدنيا لعادوا الى ما نهوا عنه (انه عليم بذات الصدور) بما في القلوب من الخير والشر (هو الذي جعلكم) يا أمة محمد صلى الله عليه وسلم (خلائف في الارض) سكان الارض بعد هلاك الامم الماضية (فمن كفر) بالله (فعليه كفره) عقوبة كفره (ولا يزيد الكافرين كفرهم) بمحمد عليه السلام والقرآن (عند ربهم) يوم القيامة (الا مقتا) بغضا (ولا يزيد الكافرين كفرهم) في الدنيا (الا خسارا) غبنا في الآخرة (قل) يا محمد لاهل مكة (أرأيتم شركاءكم) آلهتكم (الذين تدعون) تعبدون (من دون الله أروني ماذا خلقوا من الارض) مما في

دون الله (أم لهم شرك في السموات) أم لهم مع الله شركة في خلق السموات (أم آتيناهم كتابا فهم على بينة منه) أي معهم كتاب من عند الله ينطق بانهم شركاؤه فهم على حجة وبرهان من ذلك الكتاب بينات على وابن عامر ونافع وأبو بكر (بل ان يعد) ما يعد (الظالمون بعضهم) بدل من الظالمون وهم الرؤساء (بعضا) أي الاتباع (الاغرورا) هو قولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله (ان الله يمسك السموات والارض أن تزولا) يمنعهما من أن تزولا لان الامساك منع (ولئن زالتا) على سبيل

(ان أمسكهما) ما أمسكهما (من أحد من بعده) أي بعد امساكه من الاولى مزيدة لتأكيد النفي والثانية للابتداء (انه كان حليما غفورا) غير معاجل بالعقوبة حيث يمسكهما وكانتا جديرتين بان تهدا هدا لعظم كلمة الشرك كما قال تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض الآية (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) نصب على المصدر أي اقساما بليغا أو على الحال أي جاهدين في أيمانهم (لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى

استبدوا بخلقه ﴿ أم لهم شرك في السموات ﴾ أم لهم شركة مع الله في خلق السموات فاستحقوا بذلك شركة في الالوهية ذاتية ﴿ أم آتيناهم كتابا ﴾ ينطق على انا اتخذناهم شركاء ﴿ فهم على بينة منه ﴾ على حجة من ذلك الكتاب بان لهم شركة جعلية ويجوز ان يكون هم للمشركين كقوله ام انزلنا عليهم سلطانا وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب وابو بكر والكسائي على بينات فيكون ايماء الى ان الشرك خطير لا بد فيه من تعاضد الدلائل ﴿ بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضا الا غرورا ﴾ لما نفى انواع الحجج في ذلك اضرب عنه بذكر ما حملهم عليه وهو تغرير الاسلاف الاخلاف او الرؤساء الاتباع بانهم شفعاء عند الله يشفعون لهم بالتقرب اليه ﴿ ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ﴾ كراهة ان تزولا فان الممكن حال بقائه لا بد له من حافظ او يمنعهما ان تزولا لان الامساك منع ﴿ ولئن زالتا ان امسكهما ﴾ ما امسكهما ﴿ من احد من بعده ﴾ من بعد الله او من بعد الزوال والجملة سادة مسد الجوابين ومن الاولى زائدة والثانية للابتداء ﴿ انه كان حليما غفورا ﴾ حيث امسكهما وكانتا جديرتين بان تهدا هدا كما قال تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ﴿ واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى

استبدوا بخلقه من الارض ﴿ أم لهم شرك في السموات ﴾ أي خلق في السموات والارض ﴿ أم آتيناهم كتابا فهم على بينة منه ﴾ أي على حجة وبرهان من ذلك ﴿ بل ان يعد الظالمون بعضهم ﴾ يعني الرؤساء ﴿ بعضا الا غرورا ﴾ يعني قولهم هؤلاء الاصنام شفعاؤنا عند الله ✽ قوله عز وجل ﴿ ان الله يمسك السموات والارض أن تزولا ﴾ أي لكي لا تزولا فيمنعهما من الزوال والوقوع وكانتا جديرتين بان تزولا وتهدا هدا لعظم كلمة الشرك ﴿ ولئن زالتا أن أمسكهما من أحد من بعده ﴾ أي ليس يمسكهما أحد سواه ﴿ انه كان حليما غفورا ﴾ أي غير معاجل بالعقوبة حيث أمسكهما وكانتا قد همتا بعقوبة الكفار لولا حلمه وغفرانه ﴿ وأقسموا بالله جهد أيمانهم ﴾ يعني كفار مكة وذلك لما بلغهم ان أهل الكتاب كذبوا رسلهم قالوا لعن الله اليهود والنصارى أتتهم الرسل فكذبوهم وأقسموا بالله لو جاءنا نذير لنكونن أهدى دينا منهم وذلك قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم فلما بعث محمد كذبوه فانزل الله هذه الآية واقسموا بالله جهد أيمانهم ﴿ لئن جاءهم نذير ﴾ أي رسول ﴿ ليكونن أهدى

الارض (أم لهم شرك) مع الله (في السموات) في خلق السموات (أم آتيناهم) أعطيناهم يعني كفار مكة (كتابا فهم على بينة منه) على بيان من الكتاب أن لا يعذبوا (بل ان يعد الظالمون) ما يقول المشركون يعني في الدنيا (بعضهم بعضا) يعني الرؤساء للسفلة (الاغرورا) باطلا في الآخرة (ان الله يمسك) يمنع (السموات والارض أن تزولا) لكي لا تزولا عن مكانهما بمقالة اليهود والنصارى حيث قالوا عزير ابن الله والمسيح ابن الله (ولئن زالتا) ولو زالتا عن أمكنتهما (ان أمسكهما) ما أمسكهما (من) (من أحد) أحد (من بعده) بعد امساكه غيره (انه كان حليما) عن مقالة اليهود والنصارى (غفورا) لمن تاب منهم (وأقسموا بالله) يعني كفار مكة قبل مجيء محمد صلى الله عليه وسلم (جهد أيمانهم) جهد يمينهم بالله (لئن جاءهم نذير) رسول مخوف (ليكونن أهدى) أسرع

من احدى الامم) بلغ قريشا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ان أهل الكتاب كذبوا رسلهم فقالوا لعن الله اليهود والنصارى أتتهم الرسل فكذبوهم فوالله لئن أتانا رسول لنكونن أهدى من احدى الامم أى من الامة التى يقال فيها هى احدى الامم تفضيلا لها على غيرها فى الهدى والاستقامة كما يقال للداهية العظيمة هى احدى الدواهى (فلما جاءهم نذير) فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم (مازادهم الا نفورا) أى مازادهم مجئ الرسول صلى الله عليه وسلم الا تباعدا عن الحق وهو اسناد مجازى (استكبارا فى الارض) مفعول له وكذا (ومكر السيئ) والمعنى ومازادهم الا نفورا للاستكبار ومكر السيء أو حال يعنى مستكبرين وماكرين برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصل قوله ومكر السيء وأن مكروا السيء أى المكر السيء ثم والمكر السيء ثم والمكر السيء والدليل عليه قوله (ولا يحيق) يحيط وينزل (المكر السيء الا باهله) ولقد حاق بهم يوم بدر وفى المثل من حفر لاخيه جبا وقع فيه مكبا (فهل ينظرون الا سنت الاولين) وهو انزال العذاب على الذين كذبوا برسلهم من الامم قبلهم والمعنى فهل ينظرون بعد تكذيبك الا أن ينزل بهم العذاب مثل الذى نزل بمن قبلهم من مكذبى الرسل جعل استقبالهم لذلك انتظارا له منهم (فلن تجد لسنت الله تبديلا ولن تجد لسنت الله تحويلا) بين ان سنته التى هى الانتقام من مكذبى الرسل سنة لا يبدلها فى ذاتها ولا يحولها عن أوقاتها وان ذلك (قا و خا ٢٥ مس) مفعول لا محالة (أولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة

من احدى الامم ﴾ وذلك ان قريشا لما بلغهم ان اهل الكتاب كذبوا رسلهم قالوا لعن الله اليهود والنصارى لو اتانا رسول لنكونن اهدى من احدى الامم اى من واحدة من الامم اليهود والنصارى وغيرهم او من الامة التى يقال فيها هى احدى الامم تفضيلا لها على غيرها فى الهدى والاستقامة ﴿ فلما جاءهم نذير ﴾ يعنى محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ مازادهم ﴾ اى النذير او مجيئه على التسبب ﴿ الا نفورا ﴾ تباعدا عن الحق ﴿ استكبارا فى الارض ﴾ بدل من نفورا أو مفعول له ﴿ ومكر السيء ﴾ واصله وان مكروا المكر السيء فحذف الموصوف استغناء بوصفه ثم بدل ان مع الفعل بالمصدر ثم اضيف وقرأ حمزة وحده بسكون الهمزة فى الاصل ﴿ ولا يحيق ﴾ ولا يحيط ﴿ المكر السيء الا باهله ﴾ وهو الماكر وقد حاق بهم يوم بدر وقرئ ولا يحيق المكر اى ولا يحيق الله ﴿ فهل ينظرون ﴾ ينتظرون ﴿ الا سنت الاولين ﴾ سنة الله فيهم بتعذيب مكذبيهم ﴿ فلن تجد لسنت الله تبديلا ولن تجد لسنت الله تحويلا ﴾ اذ لا يبدلها بجعله غير التعذيب تعذيبا ولا يحولها بان ينقله من المكذبين الى غيرهم وقوله ﴿ أولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة

من احدى الامم ﴾ يعنى اليهود والنصارى ﴿ فلما جاءهم نذير ﴾ يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم ﴿ مازادهم ﴾ مجيئه ﴿ الا نفورا ﴾ أى تباعدا عن الهدى ﴿ استكبارا فى الارض ﴾ يعنى عتوا وتكبرا عن الايمان به ﴿ ومكر السيء ﴾ يعنى عمل القبيح وهو اجتماعهم على الشرك وقيل هو مكرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ ولا يحيق المكر السيء الا باهله ﴾ أى لا يحل ولا يحيط الا بأهله فقتلوا يوم بدر قال ابن عباس عاقبة الشرك لا تحل الا بمن أشرك ﴿ فهل ينظرون ﴾ أى ينتظرون ﴿ الا سنت الاولين ﴾ يعنى أن ينزل العذاب بهم كما نزل بمن مضى من الكفار ﴿ فلن تجد لسنت الله تبديلا ﴾ أى تغييرا ﴿ ولن تجد لسنت الله تحويلا ﴾ أى تحويل العذاب عنهم الى غيرهم ﴿ أولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة

اجابة وأصوب دينا (من احدى الامم) من اليهود والنصارى (فلما جاءهم نذير) محمد صلى الله عليه وسلم بالقرآن (مازادهم الا نفورا) تباعدا منه (استكبارا فى الارض) للاعراض عن الايمان بمحمد عليه السلام والقرآن (ومكر السيء) فى هلاك محمد عليه السلام (ولا يحيق) لا يجب ولا يحيط (المكر السيء) القول القبيح والعمل القبيح (الا بأهله) الا على أهله (فهل ينظرون) فهل ينتظرون قومك ان كذبوك (الا سنت الاولين) عذاب الاولين قبلهم عند تكذيبهم الرسل (فلن تجد لسنت الله) لعذاب الله (تبديلا) تغييرا (ولن تجد لسنت الله) لعذاب الله (تحويلا) الى غيره (أولم يسيروا) يسافروا كفار مكة (فى الارض فينظروا) يتفكروا ويعتبروا (كيف كان عاقبة) جزاء

الذين من قبلهم) استشهد عليهم بما كانوا يشاهدونه في مسايرهم الى الشام واليمن والعراق من آثار الماضين وعلامات هلاكهم ودمارهم (وكانوا أشد منهم) من أهل مكة (قوة) اقتدارا فلم يتمكنوا من الفرار (وما كان الله ليعجزه) ليسبقه ويفوته (من شئ) أي شئ (في السموات ولا في الارض انه كان عليما) بهم (قديرا) قادرا عليهم (ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا) بما اقترفوا من المعاصي (ما ترك على ظهرها) على ظهر الارض لانه جرى ذكر الارض في قوله ليعجزه من شئ في السموات ولا في الارض (من دابة) من نسمة تدب عليها (ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى) الى يوم القيامة (فاذا جاء أجلهم فان الله كان بعباده بصيرا) أي لم تخف عليه حقيقة امرهم وحكمة حكمهم والله الموفق للصواب

﴿سورة يس مكية وهي ثلاث وثمانون آية﴾

الذين من قبلهم ﴾ استشهاد عليهم بما يشاهدونه في مسايرهم الى الشام واليمن والعراق من آثار الماضين ﴿ وكانوا أشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شئ ﴾ ليسبقه ويفوته ﴿ في السموات ولا في الارض انه كان عليما ﴾ بالاشياء كلها ﴿ قديرا ﴾ عليها ﴿ ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ﴾ من المعاصي ﴿ ما ترك على ظهرها ﴾ ظهر الارض ﴿ من دابة ﴾ من نسمة تدب عليها بشؤم معاصيهم وقيل المراد بالدابة الانس وحده لقوله ﴿ ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى ﴾ وهو يوم القيامة ﴿ فاذا جاء اجلهم فان الله كان بعباده بصيرا ﴾ فيجازيهم على اعمالهم * عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الملائكة دعته ثمانية ابواب الجنة ان ادخل من اي باب شئت

﴿ سورة يس وهي مكية وآيها ثلاث وثمانون آية وعنه عليه ﴾
﴿ الصلاة والسلام يس تدعى المعمة تعم خير الدارين ﴾
﴿ صاحبها والدافعة والقاضية تدفع عنه كل ﴾
﴿ سوء وتقضي له كل حاجة ﴾

الذين من قبلهم ﴾ معناه انهم يعتبرون بمن مضى وبآثارهم وعلامات هلاكهم ﴿ وكانوا أشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه ﴾ أي ليفوت عنه ﴿ من شئ في السموات ولا في الارض انه كان عليما قديرا ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ﴾ أي من الجرائم ﴿ ما ترك على ظهرها ﴾ أي ظهر الارض ﴿ من دابة ﴾ أي من نسمة تدب عليها يريد بني آدم وغيرهم كما أهلك من كان في زمن نوح بالطوفان الا من كان في السفينة ﴿ ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى ﴾ يعني يوم القيامة ﴿ فاذا جاء أجلهم فان الله كان بعباده بصيرا ﴾ قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما يريد أهل طاعته وأهل معصيته وقيل بصيرا بمن يستحق العقوبة وبمن يستحق الكرامة والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿ سورة يس عليه الصلاة والسلام مكية وهي ثلاث وثمانون ﴾
﴿ آية وسبعمائة وتسع وعشرون كلمة وثلاثة آلاف حرف ﴾
﴿ عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴾
﴿ ان لكل شئ قلبا وقلب القرآن يس ومن قرأ يس كتب الله ﴾
﴿ له بقراءتها قراءة القرآن عشر مرات أخرجه الترمذي ﴾
﴿ وقال حديث غريب وفي اسناده شيخ مجهول ﴾
﴿ وعن معقل بن يسار رضي الله عنه قال قال رسول ﴾
﴿ الله صلى الله عليه وسلم اقرؤا على موتاكم ﴾
﴿ يس أخرجه أبو داود وغيره ﴾

(الذين من قبلهم) عند تكذيبهم الرسل (وكانوا أشد منهم قوة) بالبدن والمال (وما كان الله ليعجزه) ليفوته (من شئ) أحد (في السموات ولا في الارض) من الخلق (انه كان عليما) بخلقه (قديرا) عليهم (ولو يؤاخذ الله الناس) الجن والانس (بما كسبوا) بجملة ذنوبهم (ما ترك على ظهرها) على وجه الارض (من دابة) من الجن والانس خاصة أحدا (ولكن يؤخرهم) يؤجلهم (الى أجل مسمى) الى وقت معلوم (فاذا جاء أجلهم) وقت هلاكهم (فان الله كان بعباده بصيرا) بمن يهلك وبمن ينجو

﴿ومن السورة التي يذكر فيها يس وهي كلها مكية آياتها اثنتان وتسعون آية وكلماتها (بسم الله) سبعمائة وتسع وعشرون وحروفها ثلاثة آلاف حرف﴾

بسم الله الرحمن الرحيم (يس) عن ابن عباس رضى الله عنهما معناه يا انسان فى لغة طيء وعن ابن الحنفية يا محمد وفى الحديث ان الله تعالى سمانى فى القرآن بسبعة أسماء محمد وأحمد وطه ويس والمزمل والمدثر وعبد الله وقيل يا سيد يس بالامالة على وحمزة وخلف وحماد ويحيي (والقرآن) قسم (الحكيم) ذى الحكمة أو لانه دليل ناطق بالحكمة أو لانه كلام حكيم فوصف بصفة المتكلم به (انك لمن المرسلين) جواب القسم وهو رد على الكفار حين قالوا لست مرسلا (على صراط مستقيم) خبر بعد خبر أو صلة للمرسلين أى الذين أرسلوا على صراط مستقيم أى طريقة مستقيمة وهو الاسلام (تنزيل) بنصب اللام شامى وكوفى غير أبى بكر على اقرأ تنزيل أو على انه مصدر أى نزل تنزيل وغيرهم بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف أى هو تنزيل والمصدر بمعنى المفعول (العزيز) الغالب بفصاحة نظم كتابه أوهام ذوى العناد (الرحيم) الجاذب بلطافة معنى خطابه افهام اولى الرشاد واللام فى (لتنذر قوما) متصل بمعنى المرسلين اى ارسلت لتنذر قوما (ما أنذر آباؤهم) ما نافية عند الجمهور أى قوما غير منذر آباؤهم على الوصف بدليل قوله لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير أو موصولة منصوبة على المفعول الثانى أى العذاب الذى أنذره آباؤهم كقوله انا أنذرناكم عذابا قريبا أو مصدرية أى لتنذر قوما انذار آبائهم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يس﴾ كألم فى المعنى والاعراب وقيل معناه يا انسان بلغة طى على ان اصله يا انيسين فاقتصر على شطره لكثرة النداء به كما قيل من الله فى ايمن الله وقرئ بالكسر كجير وبالفتح على البناء كأين او الاعراب على اتل يس او باضمار حرف القسم والفتحة لمنع الصرف وبالضم بناء كحيث او اعرابا على هذه يس وامال الياء حمزة والكسائى وابو بكر وحفص وروح وادغم النون فى واو ﴿والقرآن الحكيم﴾ ابن عامر والكسائى وابو بكر وقالون وورش ويعقوب وهى واو القسم او العطف ان جعل يس مقسما به ﴿انك لمن المرسلين على صراط مستقيم﴾ لمن الذين ارسلوا على صراط مستقيم وهو التوحيد والاستقامة فى الامور ويجوز ان يكون على صراط خبرا ثانيا او حالا من المستكن فى الجار والمجرور وفائدته وصف الشرع بالاستقامة صريحا وان دل عليه لمن المرسلين التزاما ﴿تنزيل العزيز الرحيم﴾ خبر محذوف والمصدر بمعنى المفعول وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى وحفص بالنصب على اضمار اعنى او فعله على انه على اصله وقرئ بالجر على البدل من القرآن ﴿لتنذر قوما﴾ متعلق بتنزيل او بمعنى لمن المرسلين ﴿ما انذر آباؤهم﴾ قوما غير منذر آباؤهم يعنى آباءهم الاقربين لتطاول مدة الفترة فيكون صفة مبينة لشدة حاجتهم الى ارساله او الذى انذر به او شيأ انذر به آباؤهم

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

قوله عز وجل ﴿يس﴾ قال ابن عباس هو قسم وعنه ان معناه يا انسان بلغة طيء يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم وقيل يا سيد البشر وقيل هو اسم للقرآن ﴿والقرآن الحكيم﴾ أى ذى الحكمة لانه دليل ناطق بالحكمة وهو قسم وجوابه ﴿انك لمن المرسلين﴾ أى أقسم بالقرآن ان محمدا صلى الله عليه وسلم لمن المرسلين وهو رد على الكفار حيث قالوا لست مرسلا ﴿على صراط مستقيم﴾ معناه وانك على صراط مستقيم وقيل معناه انك لمن المرسلين الذين هم على طريقة مستقيمة ﴿تنزيل العزيز الرحيم﴾ أى القرآن تنزيل العزيز فى ملكه الرحيم بخلقه ﴿لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم﴾ يعنى لم تنذر آباؤهم لان قريشا لم يأتهم نبى قبل محمد صلى الله عليه وسلم وقيل معناه

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

وباسناده عن ابن عباس فى قول البارى جل ذكره (يس) يقول يا انسان بلغة السريانية (والقرآن الحكيم انك) يا محمد (لمن المرسلين) ويقال قسم أقسم بالياء والسين والقرآن الحكيم وأقسم بالقرآن المحكم بالحلال والحرام والامر والنهى انك يا محمد لمن المرسلين ولهذا كان القسم (على صراط مستقيم) ثابت على دين قائم يرضاه وهو الاسلام (تنزيل العزيز) يقول القرآن تكليم العزيز بالنقمة لمن لا يؤمن به (الرحيم) لمن آمن به (لتنذر) لتخوف بالقرآن (قوما) يعنى قريشا (ما أنذر) كما أنذر (آباؤهم) ويقال لم ينذر آباءهم قبلك

أى مثل انذار آبائهم (فهم غافلون) ان جعلت ما نافية فهو متعلق بالنفى أى لم ينذروا فهم غافلون والا فهو متعلق بقوله انك لمن المرسلين لتنذر كما تقول أرسلتك الى فلان لتنذره فانه غافل أو فهو غافل (لقد حق القول على أكثرهم فهم لايؤمنون) يعنى قوله لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين أى تعلق بهم هذا القول وثبت عليهم ووجب لانهم ممن علم انهم يموتون على الكفر ثم مثل تصميمهم على الكفر وانه لا سبيل الى ارعوائهم بان جعلهم كالمغلولين المقمحين فى انهم لا يلتفتون الى الحق ولا يعطفون أعناقهم نحوه ولا يطأطئون رؤسهم له وكالحاصلين بين سدين لا يبصرون ما قدامهم ولا ما خلفهم فى ان لا تأمل لهم ولا تبصر وانهم متعامون عن النظر فى آيات الله بقوله (انا جعلنا فى أعناقهم أغلالا فهى الى الاذقان) معناه فالاغلال واصلة الى الاذقان ملزوقة اليها (فهم مقمحون) مرفوعة رؤسهم يقال قمح البعير فهو قامح اذا روى فرفع رأسه وهذا لان طوق الغل الذى فى عنق المغلول يكون فى ملتقى طرفيه تحت الذقن حلقة فيها رأس العمود خارجا من الحلقة الى الذقن فلا يخليه يطأطئ رأسه فلا يزال مقمحا (وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا) بفتح

الابعدون فيكون مفعولا ثانيا لتنذر او انذار آبائهم على المصدر ﴿ فهم غافلون ﴾ متعلق بالنفى على الاول اى لم ينذروا فبقوا غافلين او بقوله انك لمن المرسلين على الوجوه الاخر اى ارسلناك اليهم لتنذرهم فانهم غافلون ﴿ لقد حق القول على اكثرهم ﴾ يعنى قوله لأملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين ﴿ فهم لايؤمنون ﴾ لانهم ممن علم انهم لايؤمنون ﴿ انا جعلنا فى اعناقهم اغلالا ﴾ تقرير لتصميمهم على الكفر والطبع على قلوبهم بحيث لاتغنى عنهم الآيات والنذر بتمثيلهم بالذين غلت اعناقهم ﴿ فهى الى الاذقان ﴾ فالاغلال واصلة الى اذقانهم فلا تخليهم يطأطئون رؤسهم ﴿ فهم مقمحون ﴾ رافعون رؤسهم غاضون ابصارهم فى انهم لايلتفتون لفت الحق ولا يعطفون اعناقهم نحوه ولا يطأطئون رؤسهم له ﴿ وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا

لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم من العذاب ﴿ فهم غافلون ﴾ أى عما يراد بهم من الايمان والرشد ﴿ لقد حق القول ﴾ أى وجب العذاب ﴿ على أكثرهم فهم لايؤمنون ﴾ فيه اشارة الى ارادة الله تعالى السابقة فيهم فهم لايؤمنون لما سبق لهم من القدر بذلك ❊ قوله عز وجل ﴿ انا جعلنا فى أعناقهم أغلالا ﴾ نزلت فى أبى جهل وصاحبيه المخزوميين وذلك ان أبا جهل حلف لئن رأى محمدا صلى الله عليه وسلم يصلى ليرضخن رأسه بالحجارة فاتاه وهو يصلى ومعه حجر ليدمغه به فلما رفعه انثنت يده الى عنقه ولزق الحجر بيده فلما رجع الى أصحابه وأخبرهم بما رأى سقط الحجر فقال له رجل من بنى مخزوم أنا أقتله بهذا الحجر فاتاه وهو يصلى ليرميه بالحجر فاعمى الله تعالى بصره فجعل يسمع صوته ولا يراه فرجع الى أصحابه فلم يرهم حتى نادوه فقالوا له ما صنعت فقال ما رأيته ولقد سمعت صوته وحال بينى وبينه كهيئة الفحل يخطر بذنبه لو دنوت منه لأكلنى فانزل الله تعالى انا جعلنا فى أعناقهم أغلالا قيل هذا على وجه التمثيل ولم يكن هناك غل أراد منعناهم عن الايمان بموانع فجعل الاغلال مثلا لذلك وقيل حبسناهم عن الانفاق فى سبيل الله بموانع كالاغلال وقيل انها موانع حسية منعت كما يمنع الغل وقيل انها وصف فى الحقيقة وهى ما سينزله الله عز وجل بهم فى النار ﴿ فهى ﴾ يعنى الايدى ﴿ الى الاذقان ﴾ جمع ذقن وهو أسفل اللحيين لان الغل يجمع اليد الى العنق ﴿ فهم مقمحون ﴾ أى رافعون رؤسهم مع غض البصر وقيل أراد ان الاغلال رفعت رؤسهم فهم مرفوعو الرؤس برفع الاغلال لها ﴿ وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا ﴾

رسول (فهم غافلون) عن أمر الآخرة جاحدون بها (لقد حق القول) لقد وجب القول بالسخط والعذاب (على أكثرهم) على أهل مكة أبى جهل وأصحابه (فهم لايؤمنون) فى علم الله ولا يريدون أن يؤمنوا فلم يؤمنوا وقتلوا يوم بدر على الكفر (انا جعلنا فى أعناقهم) فى أيمانهم (أغلالا) من حديد (فهى) مغلولة مردودة (الى الاذقان) الى اللحى (فهم مقمحون) مغلولون ويقال جمعنا أيمانهم الى الاذقان حين أرادوا ان يرجموا النبى صلى الله عليه وسلم بالحجارة وهو فى الصلاة فهم مقمحون مغلولون من كل خير محرومون (وجعلنا من بين أيديهم) من أمر الآخرة (سدا) غطاء (ومن خلفهم) من أمر الدنيا (سدا) غطاء

السين حمزة وعلى وحفص وقيل ما كان من عمل الناس فبالفتح وما كان من خلق الله كالجبل ونحوه فبالضم (فاغشيناهم) أى غطيناها وجعلنا عليها غشاوة (فهم لا يبصرون) الحق والرشاد وقيل نزلت فى بنى مخزوم وذلك أن أباجهل حلف لئن رأى محمدا يصلى ليرضخن رأسه فاتاه وهو يصلى ومعه حجر ليدمغه به فلما رفع يده انثنت الى عنقه ولزق الحجر بيده حتى فكوه عنها بجهد فرجع الى قومه فاخبرهم فقال مخزومى آخر أنا أقتله بهذا الحجر فذهب فاعمى الله بصره (وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون) أى سواء عليهم الانذار وتركه والمعنى من أضله الله هذا الاضلال لم ينفعه الانذار وروى ان عمر بن عبد العزيز قرأ الآية على غيلان القدرى فقال كأنى لم أقرأها أشهدك انى تائب عن قولى فى القدر فقال عمر اللهم ان صدق فتب عليه وان كذب فسلط عليه من لا يرحمه فاخذه هشام بن عبد الملك من عنده فقطع يديه ورجليه وصلبه على باب دمشق (انما تنذر من اتبع الذكر) أى انما ينتفع بانذارك من اتبع القرآن (وخشى الرحمن بالغيب) وخاف عقاب الله ولم يره (فبشره بمغفرة) وهى العفو عن ذنوبه (وأجر كريم) أى الجنة (انا نحن نحيي الموتى) نبعثهم بعد مماتهم أو نخرجهم من الشرك الى الايمان (ونكتب ماقدموا) ما أسلفوا من الاعمال الصالحات وغيرها (وآثارهم) ما هلكوا عنه من أثر حسن كعلم علموه أو كتاب صنفوه أو حبيس حبسوه أو رباط أو مسجد صنعوه أو سيء كوظيفة وظفها بعض الظلمة وكذلك كل سنة حسنة أو سيئة يستن بها ونحوه قوله تعالى

فاغشيناهم فهم لا يبصرون ﴾ وبمن احاط بهم سدان فغطى ابصارهم بحيث لا يبصرون قدامهم ووراءهم فى انهم محبوسون فى مطمورة الجهالة ممنوعون عن النظر فى الآيات والدلائل * وقرأ حمزة والكسائى وحفص سدا بالفتح وهو لغة فيه وقيل ما كان بفعل الناس فبالفتح وما كان بخلق الله فبالضم وقرئ فاعشيناهم من العشى وقيل الآيتان فى بنى مخزوم حلف ابوجهل ان يرضخ رأس النبى صلى الله عليه وسلم فأتاه وهو يصلى ومعه حجر ليدمغه فلما رفع يده انثنت الى عنقه ولزق الحجر بيده حتى فكوه عنها بجهد فرجع الى قومه فاخبرهم فقال مخزومى آخر انا اقتله بهذا الحجر فذهب فاعماه الله ﴿ وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ﴾ سبق فى البقرة ﴿ انما تنذر ﴾ انذارا يترتب عليه البغية المرومة ﴿ من اتبع الذكر ﴾ اى القرآن بالتأمل فيه والعمل به ﴿ وخشى الرحمن بالغيب ﴾ وخاف عقابه قبل حلوله ومعاينة اهواله او فى سريرته ولا يغتر برحمته فانه كما هو رحمن منتقم قهار ﴿ فبشره بمغفرة واجر كريم انا نحن نحيي الموتى ﴾ الاموات بالبعث او الجهال بالهداية ﴿ ونكتب ماقدموا ﴾ ما اسلفوا من الاعمال الصالحة والطالحة ﴿ وآثارهم ﴾

معناه منعناهم عن الايمان بموانع فهم لا يستطيعون الخروج من الكفر الى الايمان كالمضروب أمامه وخلفه بالاسداد وقيل حبسناهم بالظلمة عن أذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قوله تعالى ﴿ فاغشيناهم ﴾ أى فاعميناهم ﴿ فهم لا يبصرون ﴾ يعنى سبيل الهدى ﴿ وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ﴾ يعنى من يرد الله اضلاله لم ينفعه الانذار ﴿ انما تنذر من اتبع الذكر ﴾ يعنى انما ينفع انذارك من اتبع القرآن فعمل بما فيه ﴿ وخشى الرحمن بالغيب ﴾ أى خافه فى السر والعلن ﴿ فبشره بمغفرة ﴾ أى لذنوبه ﴿ وأجر كريم ﴾ يعنى الجنة * قوله تعالى ﴿ انا نحن نحيي الموتى ﴾ أى للبعث ﴿ ونكتب ماقدموا ﴾ أى من الاعمال من خير وشر ﴿ وآثارهم ﴾

(فأغشيناهم) أغشينا أبصار قلوبهم (فهم لا يبصرون) الحق والهدى ويقال وجعلنا من بين أيديهم سدا سترا حيث أرادوا أن يرجموا النبى صلى الله عليه وسلم بالحجارة وهو فى الصلاة فلم يبصروا النبى عليه السلام ومن خلفهم سدا سترا حتى لا يبصروا أصحابه فأغشيناهم أغشينا أبصارهم فهم لا يبصرون النبى فيؤذوه (وسواء عليهم) على بنى مخزوم أبى جهل وأصحابه (أأنذرتهم) خوفتهم بالقرآن (أم لم تنذرهم) لم تخوفهم (لا يؤمنون) لا يريدون ان يؤمنوا وقتلوا يوم بدر على الكفر ونزل من قوله انا جعلنا فى أعناقهم أغلالا الى ههنا فى شأن أبى جهل والوليد وأصحابهما (انما تنذر) يقول ينفع انذارك يا محمد بالقرآن (من اتبع الذكر) يعنى القرآن وعمل به مثل أبى بكر وأصحابه (وخشى الرحمن بالغيب) عمل للرحمن وان كان لا يراه (فبشره بمغفرة) لذنوبه فى الدنيا (وأجر كريم) ثواب حسن فى الجنة (انا نحن نحيي الموتى) للبعث (ونكتب ما قدموا) نحفظ عليهم ما أسلفوا من الخير والشر (وآثارهم) ما تركوا من سنة صالحة فعمل بها بعد موتهم أو سنة سيئة فعمل بها بعد موتهم

الحسنة كعلم علموه وحبيس وقفوه والسيئة كاشاعة باطل وتأسيس ظلم ﴿ وكل شئ احصيناه في امام مبين ﴾ يعني اللوح المحفوظ ﴿ واضرب لهم ﴾ ومثل لهم من قولهم هذه الاشياء على ضرب واحد اى مثال واحد وهو يتعدى الى مفعولين لتضمنه معنى الجعل وهما ﴿ مثلا اصحاب القرية ﴾ على حذف مضاف اى اجعل لهم مثل اصحاب القرية مثلا ويجوز ان يقتصر على واحد ويجعل المقدر بدلا من الملفوظ اوبيانا والقرية انطاكية ﴿ اذ جاءها المرسلون ﴾ بدل من اصحاب القرية والمرسلون رسل عيسى عليه السلام

أي ونكتب ماسنوا من سنة حسنة أو سيئة (م) عن جرير بن عبدالله البجلي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سن في الاسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير ان ينقص من أجورهم شئ ومن سن في الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شئ وقيل تكتب خطاهم الى المسجد * عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال كانت بنو سلمة في ناحية من المدينة فارادوا النقلة الى قرب المسجد فنزلت هذه الآية انا نحن نحيي الموتى ونكتب ماقدموا وآثارهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان آثاركم تكتب فلم ينتقلوا أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب (خ) عن أنس رضي الله عنه قال أراد بنو سلمة ان يتحولوا الى قرب المسجد فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تعرى المدينة فقال يابني سلمة ألا تحتسبون آثاركم فاقاموا * قوله تعرى يعني تخلى فتترك عراء وهو الفضاء من الارض الخالي الذي لايستره شئ (م) عن جابر قال خلت البقاع حول المسجد فاراد بنو سلمة أن ينتقلوا قرب المسجد فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهم بلغني انكم تريدون أن تنتقلوا قرب المسجد فقالوا نعم يارسول الله قد أردنا ذلك فقال بني سلمة دياركم تكتب آثاركم فقالوا مايسرنا اذا تحولنا * قوله بني سلمة أي يابني سلمة * وقوله دياركم أي الزموا دياركم (ق) عن أبي موسى الاشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم الناس أجرا في الصلاة أبعدهم فابعدهم ممشى والذي ينتظر الصلاة حتى يصليها مع الامام أعظم أجرا من الذي يصلي ثم ينام * قوله تعالى ﴿ وكل شئ أحصيناه ﴾ أي حفظناه وعددناه وأثبتناه ﴿ في امام مبين ﴾ يعني اللوح المحفوظ * قوله عز وجل ﴿ واضرب لهم مثلا ﴾ أي صف لهم شبها مثل حالهم من قصة ﴿ أصحاب القرية ﴾ يعني انطاكية ﴿ اذ جاءها المرسلون ﴾ يعني رسل عيسى عليه الصلاة والسلام

ذكر القصة في ذلك

قال العلماء باخبار الانبياء بعث عيسى عليه الصلاة والسلام رسولين من الحواريين الى أهل انطاكية فلما قربا من المدينة رأيا شيخا يرعى غنيمات له وهو حبيب النجار صاحب يس فسلما عليه فقال الشيخ لهما من أنتما فقالا رسولا عيسى عليه الصلاة والسلام ندعوكم من عبادة الاوثان الى عبادة الرحمن فقال الشيخ لهما أمعكما آية قالا نعم نشفي المريض ونبرئ الاكمه

ينبأ الانسان يومئذ بما قدم وأخر قدم من أعماله وأخر من آثاره وقيل هي خطاهم الى الجمعة أو الى الجماعة (وكل شئ أحصيناه) عددناه وبيناه (في امام مبين) يعني اللوح المحفوظ لانه اصل الكتب ومقتداها (واضرب لهم مثلا اصحاب القرية) ومثل لهم من قولهم عندي من هذا الضرب كذا اى من هذا المثال وهذه الاشياء على ضرب واحد على مثال واحد والمعنى واضرب لهم مثلا مثل اصحاب القرية اى انطاكية اى اذكر لهم قصة عجيبة قصة اصحاب القرية والمثل الثاني بيان للاول وانتصاب (اذ) بانه بدل من اصحاب القرية (جاءها المرسلون) رسل عيسى عليه السلام الى

(وكل شئ) من أعمالهم (أحصيناه في امام مبين) كتبناه في اللوح المحفوظ (واضرب لهم) بين لاهل مكة (مثلا) مثل (أصحاب القرية) صفة أهل انطاكية كيف أهلكناهم (اذجاءها المرسلون) يعني جاء اليهم

الى اهلها واضافته الى نفسه فى قوله

والابرص باذن الله قال الشيخ ان لى ابنا مريضا منذ سنين قالا فانطلق بنا نطلع على حاله فاتى بهما الى منزله فمسحا ابنه فقام فى الوقت باذن الله تعالى صحيحا ففشا الخبر فى المدينة وشفى الله تعالى على أيديهما كثيرا من المرضى وكان لهم ملك يعبد الاصنام اسمه انطيخس وكان من ملوك الروم فانتهى خبرهما اليه فدعاهما وقال من أنتما قالا رسولا عيسى عليه الصلاة والسلام قال وفيم جئتما قالا ندعوك من عبادة مالا يسمع ولا يبصر الى عبادة من يسمع ويبصر فقال ولنا اله دون آلهتنا قالا نعم الذى أوجدك وآلهتك قال لهما قوما حتى انظر فى أمركما فتبعهما الناس فاخذوهما وضربوهما وقال وهب بعث عيسى عليه السلام هذين الرجلين الى انطاكية فاتياها فلم يصلا الى ملكها وطالت مدة مقامهما فخرج الملك ذات يوم فكبرا وذكرا الله تعالى فغضب الملك وأمر بهما فحبسا وجلد كل واحد منهما مائتى جلدة فلما كذبا وضربا بعث عيسى عليه الصلاة والسلام رأس الحواريين شمعون الصفا على اثرهما لينصرهما فدخل شمعون البلد متنكرا فجعل يعاشر حاشية الملك حتى أنسوا به فرفعوا خبره الى الملك فدعاه وأنس به وأكرمه ورضى عشرته فقال للملك ذات يوم بلغنى انك حبست رجلين فى السجن وضربتهما حين دعواك الى غير دينك فهل كلمتهما وسمعت قولهما فقال حال الغضب بينى وبين ذلك قال فان رأى الملك دعاهما حتى نطلع ماعندهما فدعاهما الملك فقال لهما شمعون من أرسلكما الى ههنا قالا الله الذى خلق كل شئ وليس له شريك فقال لهما شمعون فصفاه وأوجزا قالا انه يفعل مايشاء ويحكم مايريد فقال شمعون وما آيتكما قالا ماتتمناه فامر الملك حتى جاؤا بغلام مطموس العينين وموضع عينيه كالجبهة فمازالا يدعوان ربهما حتى انشق موضع البصر فاخذا بندقتين من طين فوضعاهما فى حدقتيه فصارتا مقلتين يبصر بهما فتعجب الملك فقال شمعون للملك ان أنت سألت الهك حتى يصنع لك مثل هذا كان لك الشرف ولالهك فقال له الملك ليس لى عنك سر مكتوم فان الهنا الذى نعبده لايسمع ولايبصر ولايضر ولاينفع وكان شمعون يدخل مع الملك على الصنم ويصلى ويتضرع حتى ظنوا أنه على ملتهم فقال الملك للرسولين ان قدر الهكما الذى تعبدانه على احياء ميت آمنا به وبكما قالا الهنا قادر على كل شئ فقال الملك ان ههنا ميتا قد مات منذ سبعة أيام ابن دهقان وأنا أخرته فلم أدفنه حتى يرجع أبوه وكان غائبا فجاؤا بالميت وقد تغير وأروح فجعلا يدعوان ربهما علانية وشمعون يدعو ربه سرا فقام الميت وقال انى ميت منذ سبعة أيام ووجدت مشركا فادخلت فى سبعة أودية من النار وأنا أحذركم ما أنتم عليه فآمنوا بالله ثم قال فتحت أبواب السماء فنظرت شابا حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة قال الملك ومن الثلاثة قال شمعون وهذان وأشار بيده الى صاحبيه فعجب الملك من ذلك فلما علم شمعون ان قوله قد أثر فى الملك أخبره بالحال ودعاه فآمن الملك وآمن معه قوم وكفر آخرون وقيل بل كفر الملك وأجمع على قتل الرسل هو وقومه فبلغ ذلك حبيبا وهو على باب المدينة

أهلها بعثهم دعاة الى الحق وكانوا عبدة أوثان

رسول عيسى شمعون الصفا فلم يؤمنوا به وكذبوه

(اذ) بدل من اذ الاولى (أرسلنا اليهم) أى أرسل عيسى بامرنا (اثنين) صادقا وصدوقا فلما اقربا من المدينة رأيا شيخا يرعى غنيمات له وهو حبيب النجار فسأل عن حالهما فقالا نحن رسولا عيسى ندعوكم من عبادة الاوثان الى عبادة الرحمن فقال أمعكما آية فقالا نشفى المريض ونبرئ الاكمه والابرص وكان له ابن مريض مدة سنتين فمسحاه فقام فآمن حبيب وفشا الخبر فشفى على أيديهما خلق كثير فدعاهما الملك وقال لهما ألنا اله سوى آلهتنا قالا نعم من أوجدك وآلهتك فقال حتى أنظر فى أمركما فتبعهما الناس وضربوهما وقيل حبسا ثم بعث عيسى شمعون فدخل متنكرا وعاشر حاشية الملك حتى استأنسوا به ورفعوا خبره الى الملك فآنس به فقال له ذات يوم بلغنى انك حبست رجلين فهل سمعت قولهما قال لا فدعاهما فقال شمعون من ارسلكما قالا الله الذى خلق كل شئ ورزق كل حى وليس له شريك فقال صفاه واوجزا قالا يفعل مايشاء ويحكم مايريد قال وما آيتكما قالا ماتمنى الملك فدعا بغلام أكمه فدعوا الله فابصر الغلام فقال له شمعون أرأيت لو سألت الهك حتى يصنع مثل هذا فيكون لك وله الشرف قال الملك ليس لى عنك سر ان الهنا لايسمع ولايبصر ولايضر ولاينفع ثم قال ان قدر الهكما على احياء ميت آمنا به فدعوا بغلام مات من سبعة أيام فقام وقال انى ادخلت فى سبعة أودية من النار لما مت عليه من الشرك وأنا أحذركم ما أنتم فيه فآمنوا وقال فتحت أبواب السماء فرأيت شابا حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة قال الملك ومن هم قال شمعون وهذان فتعجب الملك فلما رأى شمعون ان قوله قد أثر فيه نصحه فآمن وآمن قوم ومن لم يؤمن صاح عليهم جبريل فهلكوا (فكذبوهما) فكذب أصحاب القرية الرسولين (فعززنا) فقوينا هما (قالوا) فعززنا أبو بكر من عزه يعزه اذا غلبه أى فغلبنا وقهرنا (بثالث) وهو شمعون وترك ذكر المفعول به لان المراد ذكر المعزز به وهو شمعون وما لطف فيه من التدبير حتى عز الحق وذل الباطل واذا كان الكلام منصبا الى غرض من الاغراض جعل سياقه له وتوجهه اليه كأن ما سواه مرفوض (فقالوا انا اليكم مرسلون) اى قال الثلاثة لاهل القرية

﴿ اذ ارسلنا اليهم اثنين ﴾ لانه فعل رسوله وخليفته وهما يوحنا وبولس وقيل غيرهما ﴿ فكذبوهما فعززنا ﴾ فقوينا وقرأ أبو بكر مخففا من عزه اذا غلبه وحذف المفعول لدلالة ماقبله عليه ولان المقصود ذكر المعزز به ﴿ بثالث ﴾ هو شمعون ﴿ فقالوا انا اليكم مرسلون ﴾ وذلك انهم كانوا عبدة اصنام فارسل اليهم عيسى عليه السلام اثنين فلما قربا الى المدينة رأيا حبيب النجار يرعى غنما فسألهما فاخبراه فقال امعكما آية فقالا نشفى المريض ونبرئ الاكمه والابرص وكان له ولد مريض فمسحاه فبرئ فآمن حبيب وفشا الخبر فشفى على ايديهما خلق وبلغ حديثهما الى الملك وقال لهما ألنا اله سوى الهتنا قالا نعم من اوجدك وآلهتك قال حتى انظر فى امركما فحبسهما ثم بعث عيسى عليه السلام شمعون فدخل متنكرا وعاشر اصحاب الملك حتى استأنسوا به واوصلوه الى الملك فآنس به فقال له يوما سمعت انك حبست رجلين قال فهل سمعت مايقولانه قال لا فدعاهما فقال شمعون من ارسلكما قالا الله الذى خلق كل شئ وليس له شريك فقال صفاه واوجزا قالا يفعل مايشاء ويحكم مايريد قال وما آيتكما قالا ماتمنى الملك فدعا بغلام مطموس العينين فدعوا الله حتى انشق له بصر واخذا بندقتين فوضعاهما فى حدقتيه فصارتا مقلتين ينظر بهما فقال له شمعون أرأيت لو سألت الهك حتى يصنع مثل هذا حتى يكون لك وله الشرف قال ليس لى عنك سر ان الهنا لايبصر ولايسمع ولايضر ولاينفع

فجاء يسعى اليهم يذكرهم ويدعوهم الى طاعة المرسلين فذلك قوله تعالى ﴿ اذ أرسلنا اليهم اثنين فكذبوهما ﴾ قال وهب اسمهما يوحنا وبولس وقال كعب صادق وصدوق ﴿ فعززنا بثالث ﴾ أى قوينا برسول ثالث وهو شمعون وقيل شلوم وانما أضاف الله تعالى الارسال اليه لان عيسى عليه الصلاة والسلام انما بعثهم باذن الله عز وجل ﴿ فقالوا ﴾ يعنى الرسل جميعا لاهل انطاكية ﴿ انا اليكم مرسلون

(اذ أرسلنا اليهم) فأرسلنا اليهم (اثنين) رسولين سمعان وثومان (فكذبوهما فعززنا بثالث) فقويناهما بشمعون حيث صدقهما على تبليغ رسالتهما (فقالوا انا اليكم مرسلون

(قالوا) أى أصحاب القرية (ماأنتم الا بشر مثلنا) رفع بشرهنا ونصب فى قوله ماهـذا بشرا لانتقاض النفى بالا فلم يبق لماشبه بليس وهوالموجب لعمله (وماأنزل الرحمن من شئ) أى وحيا ان (أنتم الاتكذبون) ماأنتم الا كذبة (قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون) أكدالثانى باللام دون الاول لان الاول ابتداء اخبار والثانى جواب عن انكار فيحتاج الى زيادة تأكيدو ربنا يعلم جار مجرى القسم فى التوكيد وكذلك قولهم شهدالله وعلم الله (وماعلينا الاالبلاغ المبين) أى التبليغ الظاهر المكشوف بالآيات الشاهدة بصحته (قالوا اناتطيرنا بكم) تشاءمنا بكم وذلك انهم كرهوا دينهم ونفرت عنه نفوسهم وعادة الجهال أن يتيمنوا بكل شئ مالوا اليه وقبلته طباعهم ويتشاءموا بما نفروا عنه وكرهوه فان أصابهم بلاء أو نعمة قالوا بشؤم هـذا وبركة ذلك وقيل حبس عنهم المطر فقالوا ذلك (لئن لم تنتهوا) عن مقالتكم هذه (لنرجمنكم) لنقتلنكم أو لنطردنكم او لنشتمنكم (وليمسنكم منا عذاب أليم) وليصيبنكم عذاب النار وهو أشد عذاب (قالوا طائركم) أى سبب شؤمكم (معكم) وهوالكفر (أئن) بهمزة الاستفهام وحرف الشرط كوفى وشامى (ذكرتم) وعظتم ودعيتم الى الاسلام وجواب الشرط مضمر وتقديره تطيرتم آين بهمزة ممدودة بعدها ياء مكسورة أبوعمرو واين بهمزة مقصورة بعدها ياء مكسورة مكى ونافع ذكرتم بالتخفيف يزيد (بل أنتم قوم مسرفون) مجاوزون الحد فى العصيان

ثم قال ان قدر الهكما على احياء ميت آمنا به فدعوا بغلام مات منذ سبعة ايام فدعوا فقام وقال انى ادخلت فى سبعة اودية من النار وانا احذركم ماانتم فيه فآمنوا وقال فتحت ابواب السماء فرأيت شابا حسنا يشفع لهؤلاء الثلاثة قال الملك ومن هم قال شمعون وهذان فلما رأى شمعون ان قوله قد اثر فيه نصحه فآمن فى جمع ومن لم يؤمن فصاح عليهم جبريل فهلكوا ﴿ قالوا ماانتم الا بشر مثلنا ﴾ لامزية لكم علينا تقتضى اختصاصكم بما تدعون ورفع بشر لانتقاض النفى المقتضى اعمال ما بالا ﴿ وماانزل الرحمن من شئ ﴾ وحى ورسالة ﴿ ان انتم الا تكذبون ﴾ فى دعوى رسالته ﴿ قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون ﴾ استشهدوا بعلم الله وهو يجرى مجرى القسم وزادوا اللام المؤكدة لانه جواب عن انكارهم ﴿ وماعلينا الا البلاغ المبين ﴾ الظاهر البين بالآيات الشاهدة لصحته وهو المحسن للاستشهاد فانه لا يحسن الا بينة ﴿ قالوا انا تطيرنا بكم ﴾ تشاءمنا بكم وذلك لاستغرابهم ماادعوه واستقباحهم له وتنفرهم عنه ﴿ لئن لم تنتهوا ﴾ عن مقالتكم هذه ﴿ لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب اليم قالوا طائركم معكم ﴾ سبب شؤمكم معكم وهوسوء عقيدتكم واعمالكم وقرئ طيركم ﴿ ائن ذكرتم ﴾ وعظتم وجواب الشرط محذوف مثل تطيرتم اوتوعدتم بالرجم والتعذيب وقد زيد بالالف بين الهمزتين وبفتح ان بمعنى اتطيرتم لان ذكرتم وان بغير استفهام واين ذكرتم بالتخفيف بمعنى طائركم معكم حيث جرى ذكركم وهو ابلغ ﴿ بل انتم قوم مسرفون ﴾ قوم عادتكم

قالوا ماأنتم الا بشر مثلنا وماأنزل الرحمن من شئ ﴾ أى لم يرسل رسولا ﴿ ان أنتم الا تكذبون ﴾ أى فيما تزعمون ﴿ قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون ﴾ أى وان كذبتمونا ﴿ وماعلينا الا البلاغ المبين ﴾ أى بالآيات الدالة على صدقنا ﴿ قالوا انا تطيرنا بكم ﴾ أى تشاءمنا منكم وذلك لان المطر حبس عنهم فقالوا أصابنا ذلك بشؤمكم ﴿ لئن لم تنتهوا ﴾ أى تسكتوا عنا ﴿ لنرجمنكم ﴾ أى لنقتلنكم وقيل بالحجارة ﴿ وليمسنكم مناعذاب اليم قالوا طائركم معكم ﴾ أى شؤمكم معكم بكفركم وتكذيبكم بمعنى أصابكم الشؤم من قبلكم وقال ابن عباس حظكم من الخير والشر ﴿ أئن ذكرتم ﴾ معناه اطيرتم لان ذكرتم ووعظتم ﴿ بل أنتم قوم مسرفون ﴾ أى فى ضلالكم وشرككم متمادون فى غيكم ﴿ قوله عزوجل

قالوا ماأنتم الا بشر) آدمى (مثلنا وماأنزل (قا و خا ٢٦ مس) الرحمن من شئ) من كتاب ولا رسول (ان أنتم) ماأنتم (الا تكذبون) على الله (قالوا) يعنى الرسل (ربنا يعلم) يشهد (انا اليكم لمرسلون وماعلينا الا البلاغ) التبليغ عن الله (المبين) بلغة تعلمونها (قالوا) للرسل (انا تطيرنا بكم) تشاءمنا بكم (لئن لم تنتهوا) عن مقالتكم (لنرجمنكم) لنقتلنكم (وليمسنكم) يصيبنكم (مناعذاب أليم) وجيع وهو القتل (قالوا) يعنى الرسل (طائركم) شدتكم وشؤمكم (معكم) من الله بفعلكم (أئن ذكرتم) أتشاءمتم بأن ذكرناكم وخوفناكم بالله (بل أنتم قوم مسرفون) مشركون

فمن ثم أتاكم الشؤم من قبلكم لا من قبل رسل الله وتذكيرهم أو بل أنتم مسرفون فى ضلالكم وغيكم حيث تتشاءمون بمن يجب التبرك به من رسل الله (وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى) هو حبيب النجار وكان فى غار من الجبل يعبد الله فلما بلغه خبر الرسل أتاهم وأظهر دينه وقال أتسألون على ما جئتم به أجرا قالوا لا (قال ياقوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسئلكم أجرا) على تبليغ الرسالة (وهم مهتدون) أى الرسل فقالوا أو أنت على دين هؤلاء فقال (ومالى لاعبد الذى فطرنى) خلقنى (واليه ترجعون) واليه مرجعكم ومالى حمزة (أأتخذ) بهمزتين كوفى (من دونه آلهة) يعنى الاصنام (ان يردن الرحمن بضر) شرط جوابه (لاتغن عنى شفاعتهم شيأ ولا ينقذون) من مكروه ولا ينقذونى فاسمعونى فى الحالين يعقوب (انى اذا) أى اذا أتخذت (لفى ضلال مبين) ظاهر بين ولما نصح قومه أخذوا يرجمونه فاسرع نحو الرسل قبل ان يقتل فقال

بالله (وجاء من أقصى المدينة) من وسط المدينة (رجل) وهو حبيب النجار (يسعى) يسرع فى المشى حيث سمع بالرسل (قال ياقوم اتبعوا المرسلين) بالايمان بالله (اتبعوا من لا يسألكم أجرا) جعلا ولا مالا على الايمان بالله (وهم مهتدون) وهم مرشدون الى التوحيد قالوا له تبرأت منا ومن ديننا ودخلت فى دين عدونا فقال لهم (ومالى لاأعبد الذى فطرنى) خلقنى (واليه ترجعون) بعد الموت (أأتخذ) أعبد (من دونه) من دون الله بأمركم (آلهة) أصناما (انى) (ان يردن الرحمن بضر) ان يصبنى الرحمن بشدة عذاب (لاتغن عنى شفاعتهم شيأ) ليس لهم شفاعة من عذاب الله (ولا ينقذون) لا يجيرون من عذاب الله يعنى الآلهة (انى اذا) ان عبدت دون الله شيأ (لفى ضلال مبين) فى خطأ بين ثم

الاسراف فى العصيان فمن ثمه جاكم الشؤم او فى الضلال ولذلك توعدتم وتشاءمتم بمن يجب ان يكرم ويتبرك به ﴿وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى﴾ وهو حبيب النجار وكان ينحت اصنامهم وهو ممن آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وبينهما ستمائة سنة وقيل كان فى غار يعبد الله فلما بلغه خبر الرسل اتاهم واظهر دينه ﴿قال ياقوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم اجرا﴾ على النصح وتبليغ الرسالة ﴿وهم مهتدون﴾ الى خير الدارين ﴿ومالى لا اعبد الذى فطرنى﴾ على قراءة غير حمزة فانه يسكن الياء فيه تلطف فى الارشاد بايراده فى معرض المناصحة لنفسه وامحاض النصح حيث اراد لهم ما اراد لها والمراد تقريعهم على تركهم عبادة خالقهم الى عبادة غيره ولذلك قال ﴿واليه ترجعون﴾ مبالغة فى التهديد ثم عاد الى المساق الاول فقال ﴿أأتخذ من دونه آلهة ان يردن الرحمن بضر لاتغن عنى شفاعتهم شيأ﴾ لاتنفعنى شفاعتهم ﴿ولا ينقذون﴾ بالنصرة والمظاهرة ﴿انى اذا لفى ضلال مبين﴾ فان ايثار ما لا ينفع ولا يدفع ضرا بوجه ما على الخالق المقتدر على النفع والضر

﴿وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى﴾ هو حبيب النجار وقيل كان قصارا وقال وهب كان يعمل الحرير وكان سقيما قد أسرع فيه الجذام وكان منزله عند أقصى باب من أبواب المسجد وكان مؤمنا ذا صدقة يجمع كسبه فاذا امسى قسمه نصفين نصفا لعياله ويتصدق بنصفه فلما بلغه أن قومه كذبوا الرسل وقصدوا قتلهم جاءهم ﴿قال ياقوم اتبعوا المرسلين﴾ وقيل كان فى غار يعبد ربه فلما بلغه خبر الرسل أتاهم وأظهر دينه وقال لهم أتسألون على هذا أجرا قالوا لا فاقبل على قومه وقال ياقوم اتبعوا المرسلين ﴿اتبعوا من لا يسئلكم اجرا وهم مهتدون﴾ أى لا تخسرون معهم شيأ من دنياكم وتربحون صحة دينكم فيحصل لكم خير الدنيا والآخرة فلما قال ذلك قالوا أو أنت مخالف لديننا ومتابع دين هؤلاء الرسل ومؤمن بالههم فقال ﴿ومالى لاأعبد الذى فطرنى واليه ترجعون﴾ قيل أضاف الفطرة الى نفسه والرجوع اليهم لان الفطرة أثر النعمة وكانت عليه أظهر والرجوع فيه معنى الزجر فكان بهم أليق وقيل معناه وأى شئ لى اذا لم أعبد خالقى واليه تردون عند البعث فيجزيكم باعمالكم ﴿أأتخذ من دونه آلهة﴾ أى لا أتخذ من دونه آلهة ﴿ان يردن الرحمن بضر﴾ أى بسوء ومكروه ﴿لاتغن عنى﴾ أى لا تدفع عنى ﴿شفاعتهم شيأ﴾ أى لا شفاعة لها فتغنى عنى ﴿ولا ينقذون﴾ أى من ذلك المكروه وقيل من العذاب ﴿انى اذا لفى ضلال مبين﴾ اى خطأ ظاهر

واشراكه به ضلال بين لايخفى على عاقل ﴿ انى آمنت بربكم ﴾ الذى خلقكم ﴿ فاسمعون ﴾ فاسمعوا ايمانى وقيل الخطاب للرسل فانه لما نصح قومه اخذوا يرجونه فاسرع نحوهم قبل ان يقتلوه ﴿ قيل ادخل الجنة ﴾ قيل له ذلك لما قتلوه بشرى بانه من اهل الجنة او اكراما واذنا فى دخولها كسائر الشهداء اولما هموا بقتله فرفعه الله الى الجنة على ماقاله الحسن وانما لم يقل له لان الغرض بيان المقول دون المقول له فانه معلوم والكلام استئناف فى حيز الجواب عن السؤال عن حاله عند لقاء ربه بعد تصلبه فى نصر دينه ولذلك ﴿ قال ياليت قومى يعلمون بما غفرلى ربى وجعلنى من المكرمين ﴾ فانه جواب عن السؤال عن قوله عند ذلك القول له وانما تمنى علم قومه بحاله ليحملهم على اكتساب مثلها بالتوبة عن الكفر والدخول فى الايمان والطاعة على دأب الاولياء فى كظم الغيظ والترحم على الاعداء اوليعلموا انهم كانوا على خطأ عظيم فى امره وانه كان على حق وقرئ المكرمين وما خبرية او مصدرية والباء صلة يعلمون او استفهامية جاءت على الاصل والباء صلة غفر أى بأى شئ غفرلى يريد به المهاجرة عن دينهم والمصابرة على اذيتهم

﴿ انى آمنت بربكم فاسمعون ﴾ أى فاشهد والى بذلك قيل هو خطاب للرسل وقيل هو خطاب لقومه فلما قال ذلك وثب القوم عليه وثبة رجل واحد فقتلوه قال ابن مسعود ووطؤه بارجلهم حتى خرج قصبه من دبره وقيل كانوا يرمونه بالحجارة وهو يقول اللهم اهد قومى حتى أهلكوه وقبره بانطاكية فلما لقى الله تعالى ﴿ قيل ﴾ له ﴿ ادخل الجنة ﴾ فلما أفضى الى الجنة ورأى نعيمها ﴿ قال ياليت قومى يعلمون بما غفرلى ربى وجعلنى من المكرمين ﴾ تمنى أن يعلم قومه ان الله تعالى غفرله وأكرمه ليرغبوا فى دين الرسل فلما قتل غضب الله عز وجل له فعجل لهم العقوبة فامر جبريل عليه الصلاة والسلام فصاح بهم صيحة واحدة فماتوا عن آخرهم فذلك قوله تعالى

لهم (انى آمنت بربكم فاسمعون) أى اسمعوا ايمانى لتشهدوا لى به ولما قتل (قيل) له (ادخل الجنة) وقبره فى سوق انطاكية ولم يقل قيل له لان الكلام سيق لبيان المقول لا لبيان المقول له مع كونه معلوما وفيه دلالة على ان الجنة مخلوقة وقال الحسن لما أراد القوم أن يقتلوه رفعه الله اليه وهو فى الجنة ولا يموت الا بفناء السموات والارض فلما دخل الجنة ورأى نعيمها (قال ياليت قومى يعلمون بما غفرلى ربى) أى بمغفرة ربى لى أو بالذى غفرلى (وجعلنى من المكرمين) بالجنة

قال لهم (انى آمنت بربكم فاسمعون) فأطيعون بالايمان ويقال قال هذا للرسل انى آمنت بربكم فاسمعون فاشهدوا لى انى عبد الله فأخذوه وقتلوه وصلبوه ووطؤه بأرجلهم حتى خرجت قصبه من دبره (قيل ادخل الجنة) فوجب له الجنة وقيل لروحه ادخل الجنة (قال) روحه بعد مادخل الجنة (ياليت قومى يعلمون) يدرون ويصدقون (بما غفرلى ربى) بالذى غفرلى ربى به يعنى التوحيد (وجعلنى من المكرمين) فى الجنة بالثواب بشهادة أن لا اله الا الله

الجزء الثالث والعشرون

اللهم اجعلنا من المكرمين

﴿وما انزلنا على قومه من بعده﴾ من بعد اهلاكه او رفعه ﴿من جند من السماء﴾ لاهلاكهم كما ارسلنا يوم بدر والخندق بل كفينا امرهم بصيحة ملك وفيه استحقار لاهلاكهم وايماء بتعظيم الرسول عليه السلام ﴿وما كنا منزلين﴾ وما صح فى حكمتنا ان ننزل جندا لاهلاك قومه اذ قدرنا لكل شئ سببا وجعلنا ذلك سببا لانتصارك من قومك وقيل ما موصولة معطوفة على جند اى وما كنا منزلين على من قبلهم من حجارة وريح وامطار شديدة ﴿ان كانت﴾ ما كانت الاخذة او العقوبة ﴿الاصيحة واحدة﴾ صاح بها جبريل وقرئ بالرفع على كان التامة ﴿فاذاهم خامدون﴾ ميتون شبهوا بالنار رمزا الى ان الحى كالنار الساطعة والميت كرمادها كما قال لبيد

وما المرء الا كالشهاب وضوءه * يحور رمادا بعد اذهو ساطع

﴿ياحسرة على العباد﴾ تعالى فهذه من الاحوال التى من حقها ان تحضرى فيها

﴿وما انزلنا على قومه من بعده من جند من السماء﴾ يعنى الملائكة ﴿وما كنا منزلين﴾ أى ما كنا لنفعل هذا بل الامر فى اهلاكهم كان أيسر مما تظنون ❋ ثم بين عقوبتهم فقال تعالى ﴿ان كانت الاصيحة واحدة﴾ قال المفسرون أخذ جبريل بعضادتى باب المدينة وصاح بهم صيحة واحدة ﴿فاذاهم خامدون﴾ أى ميتون ﴿ياحسرة على العباد﴾ يعنى يالها حسرة وندامة وكآبة على العباد والحسرة أن تركب الانسان من شدة الندم مالانهاية له حتى يبقى قلبه حسيرا قيل يتحسرون على أنفسهم لما عاينوا من العذاب حيث لم يؤمنوا بالرسل الثلاثة فتمنوا الايمان حيث لم ينفعهم وقيل تتحسر عليهم الملائكة حيث لم يؤمنوا بالرسل وقيل يقول الله تعالى ياحسرة على العباد يوم القيامة حيث لم يؤمنوا بالرسل

(وما أنزلنا) ما نافية (على قومه) قوم حبيب (من بعده) أى من بعد قتله أو رفعه (من جند من السماء) لتعذيبهم (وما كنا منزلين) وما كان يصح فى حكمتنا أن ننزل فى اهلاك قوم حبيب جندا من السماء وذلك لان الله تعالى أجرى هلاك كل قوم على بعض الوجوه دون بعض لحكمة اقتضت ذلك (ان كانت) الاخذة أو العقوبة (الاصيحة واحدة) صاح جبريل عليه السلام صيحة واحدة (فاذاهم خامدون) ميتون كما تخمد النار والمعنى ان الله كفى أمرهم بصيحة ملك ولم ينزل لاهلاكهم جندا من جنود السماء كما فعل يوم بدر والخندق (ياحسرة على العباد

(وما أنزلنا على قومه) بهلاكهم (من بعده) من بعد ما قتلوه (من جند من السماء) بملائكة من السماء (وما كنا منزلين) عليهم الملائكة ويقال ما أرسلنا اليهم الرسل من بعد قتله (ان كانت) ما كانت (الاصيحة واحدة) من جبريل أخذ جبريل بعضادتى الباب فصاح فيهم صيحة واحدة (فاذاهم خامدون) ميتون لايتحركون (ياحسرة) أى حسرة وندامة تكون (على العباد) يوم القيامة بما لم يؤمنوا (ثم)

مايأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن) الحسرة شدة الندم وهذا نداء للحسرة عليهم كانما قيل لها تعالى ياحسرة فهذه من أحوالك السيء حقك أن تحضرى فيها وهى حال استهزائهم بالرسل والمعنى انهم أحقاء بان يتحسر عليهم المتحسرون ويتلهف على حالهم المتلهفون أوهم متحسر عليهم من جهة الملائكة والمؤمنين من الثقلين (ألم يروا) ألم يعلموا (كم اهلكنا قبلهم من القرون) كم نصب باهلكنا ويروا معلق عن العمل فى كم لان كم لا يعمل فيها عامل قبلها كانت للاستفهام أو للخبر لان أصلها الاستفهام الا ان معناه نافذ فى الجملة وقوله (انهم اليهم لايرجعون) بدل من كم اهلكنا على المعنى لا على اللفظ تقديره ألم يروا كثرة اهلاكنا القرون من قبلهم كونهم غير راجعين اليهم (وان كل لما جميع لدينا محضرون) لما بالتشديد شامى وعاصم وحمزة بمعنى الا وان نافية وغيرهم بالتخفيف على ان ما صلة للتأكيد وان مخففة من الثقيلة وهى متلقاة باللام لامحالة والتنوين فى كل عوض من المضاف اليه والمعنى ان كلهم محشورون مجموعون محضرون للحساب أو معذبون وانما أخبر عن كل بجميع لان كلا يفيد معنى الاحاطة والجميع فعيل بمعنى مفعول ومعناه الاجتماع يعنى ان المحشر يجمعهم (وآية لهم) مبتدأ وخبر أي وعلامة تدل على ان الله يبعث الموتى باحياء الارض الميتة ويجوز أن يرتفع آية بالابتداء ولهم صفتها وخبرها (الارض الميتة) اليابسة وبالتشديد مدنى (أحييناها) بالمطر وهو استئناف بيان لكون الارض الميتة آية وكذلك نسلخ ويجوز أن توصف الارض والليل بالفعل لانه أريد بهما جنسان مطلقان لا أرض وليل باعيانهما فعوملا معاملة النكرات فى وصفهما بالافعال ونحوه • ولقد أمر على اللئيم يسبنى • (وأخرجنا منها حبا) أريد به الجنس (فمنه يأكلون)

وهى مادل عليها ﴿ مايأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن ﴾ فان المستهزئين بالناصحين المخلصين المنوط بنصحهم خير الدارين احقاء بان يتحسروا ويتحسر عليهم وقد تلهف على حالهم الملائكة والمؤمنون من الثقلين ويجوز ان يكون تحسرا من الله تعالى عليهم على سبيل الاستعارة لتعظيم ماجنوه على انفسهم ويؤيده قراءة ياحسرتا ونصبها لطولها بالجار المتعلق بها وقيل باضمار فعلها والمنادى محذوف وقرئ ياحسرة العباد بالاضافة الى الفاعل اوالمفعول وياحسرة على العباد باجراء الوصل مجرى الوقف ﴿ ألم يروا ﴾ الم يعلموا وهو معلق عن قوله ﴿ كم اهلكنا قبلهم من القرون ﴾ لان كم لايعمل فيها ماقبلها وان كانت خبرية لان اصلها الاستفهام ﴿ انهم اليهم لايرجعون ﴾ بدل من كم على المعنى اى ألم يروا كثرة اهلاكنا من قبلهم كونهم غير راجعين اليهم وقرئ بالكسر على الاستئناف ﴿ وان كل لما جميع لدينا محضرون ﴾ يوم القيامة للجزاء وان مخففة من الثقيلة واللام هى الفارقة وما مزيدة للتأكيد • وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة لما بالتشديد بمعنى الا فتكون ان نافية وجميع فعيل بمعنى مفعول ولدينا ظرف له او المحضرون ﴿ وآية لهم الارض الميتة ﴾ وقرأ نافع بالتشديد ﴿ احييناها ﴾ خبر للارض والجملة خبر آية او صفة لها اذ لم يرد بها معينة وهى الخبر او المبتدأ والآية خبرها او استئناف لبيان كونها آية ﴿ واخرجنا منها حبا ﴾ جنس الحب ﴿ فمنه يأكلون ﴾ قدم الصلة للدلالة على

ثم بين سبب تلك الحسرة فقال تعالى ﴿ مايأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن ﴾ • قوله تعالى ﴿ ألم يروا ﴾ أى ألم يخبروا خطاب لاهل مكة ﴿ كم أهلكنا قبلهم من القرون ﴾ أى من الامم الخالية من أهل كل عصر سموا بذلك لاقترانهم فى الوجود ﴿ أنهم اليهم لايرجعون ﴾ أى لايعودون الى الدنيا أفلا يعتبرون بهم ﴿ وان كل لما جميع لدينا محضرون ﴾ يعنى ان جميع الامم يحضرون يوم القيامة ﴿ وآية لهم ﴾ يعنى تدلهم على كمال قدرتنا على احياء الموتى ﴿ الارض الميتة أحييناها ﴾ أى بالمطر ﴿ وأخرجنا منها ﴾ أى من الارض ﴿ حبا ﴾ يعنى الحنطة والشعير وماأشبههما ﴿ فمنه يأكلون ﴾

(مايأتيهم) لم يأتهم (من رسول) رسول (الا كانوا به يستهزؤن) يهزؤن ويسخرون به وأخذوا هؤلاء الرسل وقتلوهم ودسوهم فى بئر (ألم يروا) ألم يخبر كفار مكة (كم أهلكنا قبلهم من القرون) من الامم الخالية (أنهم اليهم لايرجعون) الى يوم القيامة (وان كل لما) ماكل الا (جمع) يقول القرون كلهم جمع (لدينا) عندنا (محضرون) للحساب والميم ههنا صلة (وآية لهم) عبرة وعلامة لاهل مكة (الارض الميتة) بالنبات (أحييناها) بالمطر (وأخرجنا منها) أنبتنا فيها (حبا) الحبوب كلها (فمنه يأكلون

قدم الظرف ليدل على ان الحب هو الشيء الذي يتعلق به معظم العيش ويقوم بالارتزاق منه صلاح الانس واذا قل جاء القحط ووقع الضرر واذا فقد حضر الهلاك ونزل البلاء (وجعلنا فيها) في الارض (جنات) بساتين (من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون) من زائدة عند الاخفش وعند غيره المفعول محذوف تقديره ماينتفعون به (ليأكلوا من ثمره) والضمير لله تعالى أي ليأكلوا مما خلقه الله من الثمر من ثمره حمزة وعلي (وما عملته أيديهم) أي ومما عملته أيديهم من الغرس والسقي والتلقيح وغير ذلك من الاعمال الى أن يبلغ الثمر منتهاه يعني ان الثمر في نفسه فعل الله وخلقه وفيه آثار من كد بني آدم وأصله من ثمرنا كما قال وجعلنا وفجرنا فنقل الكلام من التكلم الى الغيبة على طريق الالتفات ويجوز أن يرجع الضمير الى النخيل وتترك الاعناب غير مرجوع اليها لانه علم انها في حكم النخيل مما علق به من اكل ثمره ويجوز أن يراد من ثمر المذكور وهو الجنات كما قال رؤبة *

فيها خطوط من بياض وبلق كانه في الجلد توليع البهق *

فقيل له فقال أردت كان ذاك وما عملت كوفي غير حفص وهي في مصاحف أهل الكوفة كذلك وفي مصاحف أهل الحرمين والبصرة والشأم مع الضمير وقيل ما نافية على ان الثمر خلق الله ولم تعمله أيدي الناس ولا يقدرون عليه (أفلا يشكرون) استبطاء وحث على شكر النعمة (سبحان الذي خلق الازواج) الاصناف (كلها مما تنبت الارض) من النخيل والشجر والزرع والثمر (ومن أنفسهم) الاولاد ذكورا واناثا (ومما لا يعلمون) ومن أزواج لم يطلعهم الله عليها ولا توصلوا الى معرفتها في الاودية والبحار أشياء لا يعلمها الناس (من)

ان الحب معظم مايؤكل ويعاش به ﴿ وجعلنا فيها جنات من نخيل واعناب ﴾ من انواع النخيل والعنب ولذلك جمعهما دون الحب فان الدال على الجنس مشعر بالاختلاف ولا كذلك الدال على الانواع وذكر النخيل دون التمور ليطابق الحب والاعناب لاختصاص شجرها بمزيد النفع وآثار الصنع ﴿ وفجرنا فيها ﴾ وقرئ بالتخفيف والفجر والتفجير كالفتح والتفتيح لفظا ومعنى ﴿ من العيون ﴾ اى شيأ من العيون فحذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه او العيون ومن مزيدة عند الاخفش ﴿ ليأكلوا من ثمره ﴾ ثمر ماذكر وهو الجنات وقيل الضمير لله على طريقة الالتفات والاضافة اليه لان الثمر بخلقه وقرأ حمزة والكسائي بضمتين وهو لغة فيه او جمع ثمار وقرئ بضمة وسكون ﴿ وماعملته ايديهم ﴾ عطف على الثمر والمراد مايتخذ منه كالعصير والدبس ونحوهما وقيل ما نافية والمراد ان الثمر بخلق الله لا بفعلهم ويؤيد الاول قراءة الكوفيين غير حفص بلا هاء فان حذفه من الصلة احسن من غيرها ﴿ أفلا يشكرون ﴾ امر بالشكر من حيث انه انكار لتركه ﴿ سبحان الذى خلق الازواج كلها ﴾ الانواع والاصناف ﴿ مما تنبت الارض ﴾ من النبات والشجر ﴿ ومن انفسهم ﴾ الذكر والانثى ﴿ ومما لا يعلمون ﴾ وازواجا مما لم يطلعهم الله

أى من الحب ﴿ وجعلنا فيها ﴾ أى في الارض ﴿ جنات ﴾ أى بساتين ﴿ من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون ليأكلوا من ثمره ﴾ أى من الثمر الحاصل بالماء ﴿ وماعملته أيديهم ﴾ أى من الزرع والغرس الذى تعبوا فيه وقرئ عملت بغير هاء وقيل ما للنفي والمعنى ولم تعمله أيديهم وليس من صنيعهم بل وجدوها معمولة وقيل أراد العيون والانهار التى لم تعملها يد خلق مثل النيل والفرات ودجلة ﴿ أفلا يشكرون ﴾ أى نعمة الله تعالى ﴿ سبحان الذى خلق الازواج كلها ﴾ يعنى الاصناف كلها ﴿ مما تنبت الارض ﴾ أى من الاشجار والثمار والحبوب ﴿ ومن أنفسهم ﴾ أى الذكر والانثى ﴿ ومما لا يعلمون ﴾ يعنى مما خلق الله تعالى من الاشياء في البر والبحر

وجعلنا فيها) في الارض (جنات) بساتين (من نخيل وأعناب) يعني الكروم (وفجرنا) شققنا (فيها) في الارض (من العيون) الانهار (ليأكلوا من ثمره) من ثمر النخل (وما عملته أيديهم) ما أنبتته أيديهم ويقال ما غرست أيديهم (أفلا يشكرون) من فعل بهم ذلك فيؤمنوا به (سبحان) نزه نفسه (الذى خلق الازواج) الاصناف (كلها مما تنبت الارض) الحلو والحامض وغير ذلك (ومن أنفسهم) أصنافا ذكرا وأنثى (ومما لا يعلمون) في البر والبحر

عليه ولم يجعل لهم طريقا الى معرفته ﴿وآية لهم الليل نسلخ منه النهار﴾ نزيله ونكشف عن مكانه مستعار من سلخ الجلد والكلام فى اعرابه ماسبق ﴿فاذاهم مظلمون﴾ داخلون فى الظلام ﴿والشمس تجرى لمستقرلها﴾ لحد معين ينتهى اليه دورها شبه بمستقر المسافر اذا قطع مسيره او لكبد السماء فان حركتها فيه توجد ابطأ بحيث يظن ان لها هناك وقفة قال

والشمس حيرى لها بالجو تدويم

اولاستقرار لها على نهج مخصوص اولمنتهى مقدر لكل يوم من المشارق والمغارب فان لها فى دورها ثلاثمائة وستين مشرقا ومغربا تطلع كل يوم من مطلع وتغرب من مغرب ثم لاتعود اليهما الى العام القابل اولمنقطع جريها عند خراب العالم وقرئ لامستقر لها اى لاسكون فانها متحركة دائما ولامستقر على ان لا بمعنى ليس ﴿ذلك﴾ الجرى على هذا التقدير المتضمن للحكم التى يكل الفطن عن احصائها ﴿تقدير العزيز﴾ الغالب بقدرته على كل مقدور ﴿العليم﴾ المحيط علمه بكل معلوم ﴿والقمر قدرناه﴾ قدرنا مسيره ﴿منازل﴾

من الدواب ❊ قوله عز وجل ﴿وآية لهم﴾ يعنى تدلهم على قدرتنا ﴿الليل نسلخ﴾ أى ننزع ونكشط ﴿منه النهار فاذاهم مظلمون﴾ أى فاذاهم فى الظلمة وذلك ان الاصل هى الظلمة والنهار داخل عليها فاذا غربت الشمس سلخ النهار من الليل فتظهر الظلمة ﴿والشمس تجرى لمستقرلها﴾ أى الى مستقرلها قيل الى انتهاء سيرها عند انقضاء الدنيا وقيام الساعة وقيل تسير فى منازلها حتى تنتهى الى مستقرها الذى لاتجاوزه ثم ترجع الى أول منازلها وهو أنها تسير حتى تنتهى الى ابعد مغاربها ثم ترجع فذلك مستقرها وقيل مستقرها نهاية ارتفاعها فى السماء فى الصيف ونهاية هبوطها فى الشتاء وقرأ ابن مسعود والشمس تجرى لامستقر لها أى لاقرار لها ولا وقوف فهى جارية أبدا الى يوم القيامة وقد صح عن النبى صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو ذر قال سألت النبى صلى الله عليه وسلم عن قوله والشمس تجرى لمستقرلها قال مستقرها تحت العرش وفى رواية قال النبى صلى الله عليه وسلم لابى ذر حين غربت الشمس أتدرى أين تذهب الشمس قال الله ورسوله أعلم قال انها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها ويوشك أن تسجد فلايقبل منها وتستأذن فلايؤذن لها فيقال لها ارجعى من حيث جئت فتطلع من مغربها فذلك قوله تعالى والشمس تجرى لمستقرلها ذلك تقدير العزيز العليم أخرجاه فى الصحيحين قال الشيخ محيي الدين النووى اختلف المفسرون فيه فقال جماعة بظاهر الحديث قال الواحدى فعلى هذا القول اذا غربت الشمس كل يوم استقرت تحت العرش الى أن تطلع وقيل تجرى الى وقت لها وأصل لاتتعداه وعلى هذا مستقرها انتهاء سيرها عند انقضاء الدنيا وأما سجود الشمس فهو تمييز وادراك يخلقه الله تعالى فيها والله أعلم ﴿ذلك﴾ أى الذى ذكر من جرى الشمس على ذلك التقدير والحساب الذى يكل النظر عن استخراجه وتتحير الافهام عن استنباطه ﴿تقدير العزيز﴾ أى الغالب بقدرته على كل شئ مقدور ﴿العليم﴾ أى المحيط علما بكل شئ ❊ قوله تعالى ﴿والقمر قدرناه منازل﴾ أى قدرناله منازل وهى ثمانية وعشرون منزلا ينزل كل ليلة

النهار أو ننزع عنه الضوء نزع القميص الابيض فيعرى نفس الزمان كشخص زنجى أسود لان أصل ما بين السماء والارض من الهواء الظلمة فاكتسى بعضه ضوء الشمس كبيت مظلم أسرج فيه فاذا غاب السراج أظلم (فاذاهم مظلمون) داخلون فى الظلام (والشمس تجرى) وآية لهم الشمس تجرى (لمستقرلها) لحد لها مؤقت مقدر تنتهى اليه من فلكها فى آخر السنة شبه بمستقر المسافر اذا قطع مسيره أو لحد لها من مسيرها كل يوم فى مرائى عيوننا وهو المغرب أو لانتهاء أمرها عند انقضاء الدنيا (ذلك) الجرى على ذلك التقدير والحساب الدقيق (تقدير العزيز) الغالب بقدرته على كل مقدور (العليم) بكل معلوم (والقمر) نصب بفعل يفسره (قدرناه) وبالرفع مكى ونافع وأبو عمرو وسهل على الابتداء والخبر قدرناه أو على وآية لهم القمر (منازل) وهى

أصنافا (وآية لهم) عبرة وعلامة لاهل مكة (الليل) المظلم (نسلخ منه) نذهب عنه (النهار فاذاهم مظلمون) فى الليل (والشمس تجرى لمستقرلها) منازلها ويقال تجرى ليلا ونهارا لامستقر لها

(ذلك تقدير العزيز) تدبير العزيز بالنقمة (قا و خا ٢٧ مس) لمن لايؤمن به (العليم) بخلقه وتدبيرهم (والقمر قدرناه منازل)

ثمانية وعشرون منزلا ينزل القمر كل ليلة في واحد منها لايتخطاه ولا يتقاصر عنه على تقدير مستو يسير فيها من ليلة المستهل الى الثامنة والعشرين ثم يستتر ليلتين أو ليلة اذا نقص الشهر ولا بد في قدرناه منازل من تقدير مضاف لانه لا معنى لتقدير نفس القمر منازل أي قدرنا نوره فيزيد وينقص أو قدرنا مسيره منازل فيكون ظرفا

فاذا كان في آخر منازله دق واستقوس (حتى عاد كالعرجون) هو عود الشمراخ اذا يبس واعوج ووزنه فعلون من الانعراج وهو الانعطاف (القديم) العتيق المحول واذا قدم دق وانحنى واصفر فشبه القمر به من ثلاثة أوجه (لا الشمس ينبغي لها) أي لا يتسهل لها ولا يصح ولا يستقيم (أن تدرك القمر) فتجتمع معه في وقت واحد وتداخله في سلطانه فتطمس نوره لان لكل واحد من النيرين سلطانا على حياله فسلطان الشمس بالنهار وسلطان القمر بالليل (ولا الليل سابق النهار) ولا يسبق الليل النهار أي آية الليل آية النهار وهما النيران ولا يزال الامر على هذا الترتيب الى أن تقوم القيامة فيجمع الله بين الشمس والقمر وتطلع الشمس من مغربها (وكل) التنوين فيه عوض من المضاف اليه اي وكلهم والضمير للشموس والاقمار (في فلك يسبحون) يسيرون (وآية لهم انا حملنا ذريتهم)

اوسيره في منازل وهي ثمانية وعشرون الشرطين البطين الثريا الدبران الهقعة الهنعة الزراع النثرة الطرف الجبهة الزبرة الصرفة العواء السماك الغفر الزبانا الاكليل القلب الشولة النعائم البلدة سعد الذابح سعد بلع سعد السعود سعد الاخبية فرغ الدلو المقدم فرغ الدلو المؤخر الرشاء وهو بطن الحوت ينزل كل ليلة في واحد منها لايتخطاه ولا يتقاصر عنه فاذا كان في آخر منازله وهو الذي يكون فيه قبيل الاجتماع دق واستقوس وقرأ الكوفيون وابن عامر والقمر بنصب الراء ﴿ حتى عاد كالعرجون ﴾ كالشمراخ المعوج فعلون من الانعراج وهو الاعوجاج وقرئ كالعرجون وهما لغتان كالبزيون والبزيون ﴿ القديم ﴾ العتيق وقيل ما مر عليه حول فصاعدا ﴿ لا الشمس ينبغي لها ﴾ يصح لها ويتسهل ﴿ ان تدرك القمر ﴾ في سرعة سيره فان ذلك يخل بتكون النبات وتعيش الحيوان او في آثاره ومنافعه او مكانه بالنزول الى محله اوسلطانه فتطمس نوره وايلاء حرف النفي الشمس للدلالة على انها مسخرة لا يتيسر لها الا ما اريد بها ﴿ ولا الليل سابق النهار ﴾ يسبقه فيفوته ولكن يعاقبه وقيل المراد بهما آيتاهما وهما النيران وبالسبق سبق القمر الى سلطان الشمس فيكون عكسا للاول وتبديل الادراك بالسبق لانه الملائم لسرعة سيره ﴿ وكل ﴾ وكلهم والتنوين عوض عن المضاف اليه والضمير للشموس والاقمار فان اختلاف الاحوال يوجب تعددا ما في الذات اوللكواكب فان ذكرهما مشعر بها ﴿ في فلك يسبحون ﴾ يسيرون فيه بانبساط ﴿ وآية لهم انا حملنا ذريتهم ﴾ اولادهم الذين يبعثونهم الى تجاراتهم اوصبيانهم ونساءهم الذين

في منزل منها لايتعداه يسير فيها من ليلة المستهل الى الثامنة والعشرين ثم يستتر ليلتين أو ليلة اذا نقص فاذا كان في آخر منازله رق وتقوس فذلك قوله تعالى ﴿ حتى عاد كالعرجون القديم ﴾ وهو العود الذي عليه شماريخ العذق الى منبته من النخلة والقديم الذي أتى عليه الحول فاذا قدم عتق ويبس وتقوس واصفر فشبه القمر به عند انتهائه الى آخر منازله ﴿ لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ﴾ أي لا يدخل النهار على الليل قبل انقضائه ولا يدخل الليل على النهار قبل انقضاءه وهو قوله تعالى ﴿ ولا الليل سابق النهار ﴾ أي هما يتعاقبان بحساب معلوم لا يجيء أحدهما قبل وقته وقيل لا يدخل أحدهما في سلطان الآخر فلا تطلع الشمس بالليل ولا يطلع القمر بالنهار وله ضوء فاذا اجتمعا وأدرك أحدهما صاحبه قامت القيامة وقيل معناه ان الشمس لا تجتمع مع القمر في فلك واحد ولا يتصل ليل بليل لا يكون بينهما نهار فاصل ﴿ وكل في فلك يسبحون ﴾ أي والشمس والقمر في فلك يسيرون * قوله عز وجل ﴿ وآية لهم انا حملنا ذريتهم ﴾ يعني أولادهم

جعلناه منازل كمنازل الشمس يزيد وينقص (حتى عاد) يصير (كالعرجون القديم) كالعذق المقوس اليابس اذا حال (في) عليه الحول (لا الشمس ينبغي لها) يصلح لها (ان تدرك القمر) ان تطلع في سلطان القمر فيذهب ضوؤه (ولا الليل سابق النهار) ولا الليل يطلع في سلطان النهار فيذهب ضوؤه (وكل) الشمس والقمر والنجوم (في فلك يسبحون) في دوران يدورون وفي مجراة يجرون (وآية لهم) عبرة وعلامة لاهل مكة (انا حملنا ذريتهم) في أصلاب

ذرياتهم مدنى وشامى (فى الفلك المشحون) اى المملوء والمراد بالذرية الاولاد ومن يهمهم حمله وكانوا يبعثونهم الى التجارات فى برا وبحرا والآباء لانها من الاضداد والفلك على هذا سفينة نوح عليه السلام وقيل معنى حمل الله ذرياتهم فيها انه حمل فيها آباءهم الاقدمين وفى اصلابهم هم وذرياتهم وانما ذكر ذرياتهم دونهم لانه ابلغ فى الامتنان عليهم (وخلقنا لهم من مثله) من مثل الفلك (مايركبون) من الابل وهى سفائن البر (وان نشأ نغرقهم) فى البحر (فلا صريخ لهم) فلا مغيث اوفلا اغاثة (ولاهم ينقذون) لاينجون (الا رحمة مناومتاعا الى حين) اى ولاينقذون الا لرحمة مناولتمتيع بالحياة الى انقضاء الاجل فهما منصوبان على المفعول له (واذا قيل لهم اتقوا مابين أيديكم وما خلفكم) أى ماتقدم من ذنوبكم وما تاخر ما أنتم تعملون من بعد اومن مثل الوقائع التى ابتليت بها الامم المكذبة بانبيائها وماخلفكم من أمر الساعة أوفتنة الدنيا وعقوبة الآخرة (لعلكم ترحمون) لتكونوا على رجاء رحمة الله وجواب اذا مضمر أى أعرضوا وجاز حذفه لان قوله

يستصحبونهم فان الذرية تقع عليهن لانهن مزارعها وتخصيصهم لان استقرارها فى السفن اشق وتماسكهم فيها اعجب وقرأ نافع وابن عامر ذرياتهم ﴿ فى الفلك المشحون ﴾ المملؤ وقيل المراد فلك نوح عليه السلام وحمل الله ذرياتهم فيها انه حمل فيها آبائهم الاقدمين وفى اصلابهم ذرياتهم وتخصيص الذرية لانه ابلغ فى الامتنان وادخل فى التعجيب مع الايجاز ﴿ وخلقنا لهم من مثله ﴾ من مثل الفلك ﴿ مايركبون ﴾ من الابل فانها سفائن البر اومن السفن والزوارق ﴿ وان نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم ﴾ فلا مغيث لهم يحرسهم عن الغرق اوفلا استغاثة كقولهم اتاهم الصريخ ﴿ ولاهم ينقذون ﴾ ينجون من الموت به ﴿ الا رحمة منا ومتاعا ﴾ الا لرحمة وتمتيع بالحياة ﴿ الى حين ﴾ زمان قدر لآجالهم ﴿ واذا قيل لهم اتقوا مابين ايديكم وماخلفكم ﴾ الوقائع التى خلت والعذاب المعد فى الآخرة اونوازل السماء ونوائب الارض كقوله اولم يروا الى مابين ايديهم وماخلفهم من السماء والارض اوعذاب الدنيا وعذاب الآخرة اوعكسه اوماتقدم من الذنوب وماتأخر ﴿ لعلكم ترحمون ﴾ لتكونوا راجين رحمة الله وجواب اذا محذوف دل عليه قوله

﴿ فى الفلك المشحون ﴾ أى المملوء ﴿ وخلقنا لهم من مثله ﴾ اى مثل الفلك ﴿ مايركبون ﴾ أى من الابل وهى سفائن البر وقيل أراد بالفلك المشحون سفينة نوح عليه الصلاة والسلام ومعنى الآية ان الله عزوجل حمل آباءهم الاقدمين فى أصلاب الذين كانوا فى السفينة فكانوا ذرية لهم ومنه قول العباس

بل نطفة تركب السفين وقد * ألجم نسرا وأهله الغرق

وانما ذكر ذريتهم دونهم لانه أبلغ فى الامتنان عليهم وأبلغ فى التعجب من قدرته فعلى هذا القول يكون قوله من مثله أى من مثل ذلك الفلك مايركبون أى من السفن والزوارق فى الانهار الكبار والصغار ﴿ وان نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم ﴾ أى لامغيث لهم ﴿ ولاهم ينقذون ﴾ أى ينجون من الغرق قال ابن عباس ولا أحد ينقذهم من عذابى ﴿ الا رحمة مناومتاعا الى حين ﴾ أى الا ان يرحمهم الله ويمتعهم الى انقضاء آجالهم ﴿ واذا قيل لهم اتقوا مابين أيديكم وماخلفكم ﴾ قال ابن عباس مابين أيديكم يعنى الآخرة فاعملوا لها وماخلفكم يعنى الدنيا فاحذروها ولا تغتروا بها وقيل مابين أيديكم يعنى وقائع الله تعالى بمن كان قبلكم من الامم وماخلفكم يعنى الآخرة ﴿ لعلكم ترحمون ﴾ أى لتكونوا على رجاء الرحمة وجواب اذا محذوف تقديره واذا قيل لهم اتقوا أعرضوا ويدل على الحذف قوله تعالى

آبائهم حين حمل الآباء والذرية (فى الفلك) فى سفينة نوح (المشحون) الموقرة ويقال المجهزة المملوءة التى فرغ من جهازها التى لم يبق لها الا رفعها (وخلقنا لهم من مثله) من مثل سفينة نوح (مايركبون) من الزواريق والابل (وان نشأ نغرقهم) فى البحر (فلا صريخ لهم) فلا مغيث لهم من الغرق (ولاهم ينقذون) يجارون من الغرق (الا رحمة منا) نعمة منا تنجيهم من الغرق (ومتاعا) أجلا (الى حين) الى وقت موتهم وهلاكهم (واذا قيل لهم) لاهل مكة قال لهم النبى صلى الله عليه وسلم (اتقوا مابين أيديكم) من أمر الآخرة فآمنوا بها واعملوا لها (وماخلفكم) من أمر الدنيا ولاتغتروا بها وبزهوها (لعلكم ترحمون) لكى ترحموا فى الآخرة فلا تعذبوا

(وماتأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين) يدل عليه ومن الاولى لتأكيد النفى والثانية للتبعيض أى ودأبهم الاعراض عن كل آية وموعظة (واذاقيل لهم) لمشركى مكة (أنفقوا ممارزقكم الله) أى تصدقوا على الفقراء (قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لو

يشاء الله أطعمه)

عن ابن عباس رضى الله عنهما كان بمكة زنادقة فاذا أمروا بالصدقة على المساكين قالوا لا والله أيفقره الله ونطعمه نحن (ان أنتم الا فى ضلال مبين) قول الله لهم أو حكاية قول المؤمنين لهم أو هو من جملة جوابهم للمؤمنين (ويقولون متى هذا الوعد) أى وعد البعث والقيامة (ان كنتم صادقين) فيما تقولون خطاب للنبى وأصحابه (ماينظرون) ينتظرون (الاصيحة واحدة) هى النفخة الاولى (تأخذهم وهم يخصمون) حمزة بسكون الخاء وتخفيف الصاد من خصمه اذا غلبه

﴿ وماتأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين ﴾ كأنه قال واذا قيل لهم اتقوا العذاب اعرضوا لانهم اعتادوه وتمرنوا عليه ﴿ واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله ﴾ على محاويجكم ﴿ قال الذين كفروا ﴾ بالصانع يعنى معطلة كانوا بمكة ﴿ للذين آمنوا ﴾ تهكما بهم من اقرارهم به وتعليقهم الامور بمشيئته ﴿ أنطعم من لو يشاء الله اطعمه ﴾ على زعمكم وقيل قاله مشركوا قريش حين استطعمهم فقراء المؤمنين ايهاما بان الله لما كان قادرا ان يطعمهم ولم يطعمهم فنحن احق بذلك وهذا من فرط جهالتهم فان الله يطعم باسباب منها حث الاغنياء على اطعام الفقراء وتوفيقهم له ﴿ ان انتم الا فى ضلال مبين ﴾ حيث امرتمونا بما يخالف مشيئة الله ويجوز ان يكون جوابا من الله لهم او حكاية لجواب المؤمنين لهم ﴿ ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ﴾ يعنون وعد البعث ﴿ ماينظرون ﴾ ماينتظرون ﴿ الا صيحة واحدة ﴾ هى النفخة الاولى ﴿ تأخذهم وهم يخصمون ﴾ يتخاصمون فى متاجرهم ومعاملاتهم لا يخطر ببالهم

﴿ وماتأتيهم من آية من آيات ربهم ﴾ أى دلالة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ الا كانوا عنها معرضين ﴾ قوله عز وجل ﴿ واذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم ﴾ أى مما أعطاكم ﴿ الله ﴾ نزلت فى كفار قريش وذلك ان المؤمنين قالوا لكفار مكة أنفقوا على المساكين مما زعمتم انه لله تعالى من أموالكم وهو ماجعلوه لله من حروثهم وأنعامهم ﴿ قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم ﴾ أى أنرزق ﴿ من لو يشاء الله أطعمه ﴾ أى رزقه قيل كان العاص بن وائل السهمى اذا سأله المسكين قال له اذهب الى ربك فهو أولى منى بك ويقول قد منعه أفأطعمه أنا ومعنى الآية انهم قالوا لو أراد الله أن يرزقهم لرزقهم فنحن نوافق مشيئة الله فيهم فلا نطعم من لم يطعمه وهذا مما تمسك به البخلاء يقولون لا نعطى من حرمه الله وهذا الذى يزعمون باطل لان الله تعالى أغنى بعض الخلق وأفقر بعضهم ابتلاء فمنع الدنيا من الفقير لا بخلا وأعطى الدنيا الغنى لا استحقاقا وأمر الغنى بالانفاق لا حاجة الى ماله ولكن ليبلو الغنى بالفقير فيما فرض له من مال الغنى ولا اعتراض لاحد فى مشيئة الله وحكمته فى خلقه والمؤمن يوافق أمر الله تعالى وقيل قالوا هذا على سبيل الاستهزاء ﴿ ان أنتم الا فى ضلال مبين ﴾ قيل هو من قول الكفار للمؤمنين ومعناه ما أنتم الا فى خطأ بين باتباعكم محمدا وترك مانحن عليه وقيل هو من قول الله تعالى للكفار لما ردوا من جواب المؤمنين ﴿ ويقولون متى هذا الوعد ﴾ يعنى يوم القيامة والبعث ﴿ ان كنتم صادقين ﴾ قال الله تعالى ﴿ ماينظرون ﴾ اى ينتظرون ﴿ الا صيحة واحدة ﴾ قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما يريد النفخة الاولى ﴿ تأخذهم وهم يخصمون

(وماتأتيهم) كفار مكة (من آية) من علامة (من آيات) علامات (ربهم) مثل انشقاق القمر وكسوف الشمس ومحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (الا كانوا عنها) بها (معرضين) مكذبين (واذا قيل لهم) لاهل مكة قال لهم فقراء المؤمنين (أنفقوا) تصدقوا على الفقراء (مما رزقكم الله) أعطاكم الله (قال الذين كفروا) كفار مكة (للذين آمنوا) لفقراء المؤمنين (أنطعم) أنتصدق (من لو يشاء الله) على من لو يشاء الله (أطعمه) رزقه (ان (اى) أنتم) ما أنتم يامعشر المؤمنين ويقال قال لهم المؤمنون ان أنتم ما أنتم (الا فى ضلال مبين) فى خطأ بين ويقال نزلت هذه الآية فى زنادقة قريش (ويقولون) كفار مكة (متى هذا الوعد) الذى تعدنا يا محمد (ان كنتم صادقين) ان كنت من الصادقين أن نبعث بعد الموت (ماينظرون) ماينتظر قومك بالعذاب اذ كذبوك (الا صيحة واحدة) وهى النفخة الاولى (تأخذهم وهم يخصمون) يتنازعون

في الخصومة وشدد الباقون الصاد أي يخصمون بادغام التاء في الصاد لكنه مع فتح الخاء مكي بنقل حركة التاء المدغمة اليها وبسكون الخاء مدني وبكسر الياء والخاء يحيي فاتبع الياء الخاء في الكسر وبفتح الياء وكسر الخاء غيرهم والمعنى

امرها كقوله فاخذتهم الساعة بغتة وهم لايشعرون واصله يختصمون فسكنت التاء وادغمت ثم كسرت الخاء لالتقاء الساكنين وروى ابو بكر بكسر الياء للاتباع وقرأ ابن كثير وورش وهشام بفتح الخاء على القاء حركة التاء اليه وابو عمرو وقالون به مع اختلاس وعن نافع الفتح فيه والاسكان وكأنه جوز الجمع بين الساكنين اذا كان الثاني مدغما وقرأ حمزة يخصمون من خصمه اذا جادله ﴿فلايستطيعون توصية﴾ في شئ من امورهم ﴿ولا الى اهلهم يرجعون﴾ فيروا حالهم بل يموتون حيث تبغتهم الصيحة ﴿ونفخ في الصور﴾ اى مرة ثانية وقد سبق في سورة المؤمنين ﴿فاذاهم من الاجداث﴾ من القبور جمع جدث وقرئ بالفاء ﴿الى ربهم ينسلون﴾ يسرعون وقرئ بالضم ﴿قالوا ياويلنا﴾ وقرئ ياويلتنا ﴿من بعثنا من مرقدنا﴾ وقرئ من اهبنا من هب من نومه اذا انتبه ومن هبنا بمعنى اهبنا وفيه ترشيح ورمز واشعار بانهم لاختلاط

أي في أمر الدنيا من البيع والشراء ويتكلمون في الاسواق والمجالس وفي متصرفاتهم فتأتيهم الساعة اغفل ما كانوا عنها وقد صح في حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبا بينهما فلايتبايعانه ولايطويانه ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلايطعمه ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلايسقي فيه ولتقومن الساعة وقد رفع اكلته الى فيه فلايطعمها أخرجه البخاري وهو طرف من حديث ولمسلم من حديث عبدالله بن عمرو ابن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثم ينفخ في الصور فلايسمعه أحد الاأصغى ليتا فاول من يسمعه رجل يلوط حوض ابله فيصعق ويصعق الناس اللقحة بفتح اللام وكسرها الناقة القريبة العهد من النتاج * وقوله وهو يليط حوضه يعني يطينه ويصلحه وكذلك يلوط حوض ابله واصله من اللوط * وقوله أصغى ليتا الليت صفحة العنق وأصغى يعني امال عنقه يسمع * وقوله تعالى ﴿فلايستطيعون توصية﴾ أي لايقدرون على الايصاء بل أعجلوا عن الوصية فماتوا ﴿ولا الى أهلهم يرجعون﴾ يعني لايقدرون على الرجوع الى أهلهم لان الساعة لاتمهلهم بشئ ﴿ونفخ في الصور﴾ هذه النفخة الثانية وهي نفخة البعث وبين النفختين أربعون سنة (ق) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مابين النفختين أربعون قالوا ياأباهريرة أربعين يوما قال أبيت قالوا اربعين شهرا قال أبيت قالوا أربعين سنة قال أبيت ثم ينزل من السماء ماء فينبتون كماينبت البقل وليس من الانسان شئ لايبلى الاعظما واحدا وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة ﴿فاذاهم من الاجداث﴾ أي القبور ﴿الى ربهم ينسلون﴾ أي يخرجون منها أحياء ﴿قالوا ياويلنا من بعثنا من مرقدنا﴾ قال ابن عباس انما يقولون هذا لان الله تعالى يرفع عنهم العذاب بين النفختين فيرقدون فاذابعثوا بعد الثانية وعاينوا أهوال القيامة دعوا بالويل وقيل اذاعاين الكفار جهنم

تأخذهم وبعضهم يخصم بعضا في معاملاتهم (فلا يستطيعون توصية) فلا يستطيعون ان يوصوا في شئ من أمورهم توصية (ولا الى أهلهم يرجعون) ولا يقدرون على الرجوع الى منازلهم بل يموتون حيث يسمعون الصيحة (ونفخ في الصور) هي النفخة الثانية والصور القرن أو جمع صورة (فاذاهم من الاجداث) أي القبور (الى ربهم ينسلون) يعدون بكسر السين وضمها (قالوا) أي الكفار (ياويلنا من بعثنا) من أنشرنا (من مرقدنا) أي مضجعنا وقف لازم عن حفص وعن مجاهد للكفار مضجعة يجدون فيها طعم النوم فاذا صيح باهل القبور قالوا من بعثنا

في السوق (فلايستطيعون توصية) وصية ويقال كلاما (ولاالى أهلهم يرجعون) من السوق ويقال ولا الى اهلهم يرجعون يحيرون الجواب (ونفخ في الصور) وهي نفخة البعث (فاذاهم من الاجداث) من القبور (الى ربهم ينسلون) يخرجون (قالوا) بعدما خرجوا من القبور يعني الكفار (ياويلنا من بعثنا) من نبهنا (من مرقدنا) من منامنا فيقول بعضهم لبعض

هذاماوعد الرحمن وصدق المرسلون) كلام الملائكة أو المتقين أو الكافرين يتذكرون ماسمعوه من الرسل فيجيبون به أنفسهم أو بعضهم بعضا وما مصدرية ومعناه هذا وعد الرحمن وصدق المرسلين على تسمية الموعود والمصدوق فيه بالوعد والصدق أو موصولة وتقديره هذا الذى وعده الرحمن والذى صدقه المرسلون أى والذى صدق فيه المرسلون (ان كان) النفخة الاخيرة (الاصيحة واحدة فاذاهم جميع لدينا محضرون) للحساب ثم ذكر مايقال لهم فى ذلك اليوم (فاليوم لاتظلم نفس شيأ ولاتجزون الاما كنتم تعملون ان أصحاب الجنة اليوم فى شغل) بضمتين كوفى وشامى وبضمة وسكون مكى ونافع وأبو عمرو والمعنى فى شغل فى أى شغل وفى شغل لايوصف وهو افتضاض الابكار على شط الانهار تحت الاشجار أو ضرب الاوتار أو ضيافة الجبار (فاكهون) خبر ثان فكهون يزيدو الفاكه والفكه المتنعم المتلذذ ومنه الفاكهة لانها مما يتلذذ به وكذا الفكاهة (هم) مبتدأ (وأزواجهم) عطف عليه (فى ظلال)

عقولهم يظنون انهم كانوا نياما ومن بعثنا ومن هبنا على من الجارة والمصدر ﴿ هذا ماوعد الرحمن وصدق المرسلون ﴾ مبتدأ وخبر وما مصدرية اوموصولة محذوفة الراجع اوهذا صفة لمرقدنا وماوعد خبر محذوف اومبتدأ خبره محذوف اى ماوعد الرحمن وصدق المرسلون حق وهو من كلامهم وقيل جواب للملائكة اوللمؤمنين عن سؤالهم معدول عن سننه تذكيرا لكفرهم وتقريعا لهم عليه وتنبيها بان الذى يهمهم هو السؤال عن البعث دون الباعث كأنهم قالوا بعثكم الرحمن الذى وعدكم البعث فارسل اليكم الرسل فصدقوكم وليس الامر كما تظنونه فانه ليس بعث النائم فيهمكم السؤال عن الباعث وانما هو البعث الاكبر ذو الاهوال ﴿ ان كانت ﴾ ما كانت الفعلة ﴿ الاصيحة واحدة ﴾ هى النفخة الاخيرة وقرئت بالرفع على كان التامة ﴿ فاذاهم جميع لدينا محضرون ﴾ بمجرد تلك الصيحة وفى كل ذلك تهوين امر البعث والحشر واستغناؤهما عن الاسباب التى ينوطانها فيما يشاهدونه ﴿ فاليوم لاتظلم نفس شيأ ولاتجزون الاما كنتم تعملون ﴾ حكاية لمايقال لهم حينئذ تصويرا للموعود وتمكينا له فى النفوس وكذا قوله ﴿ ان اصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون ﴾ متلذذون فى النعمة من الفكاهة وفى تنكير شغل وابهامه تعظيم لماهم فيه من البهجة والتلذذ وتنبيه على انه اعلى مايحيط به الافهام ويعرب عن كنهه الكلام وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو فى شغل بالسكون ويعقوب فى رواية فكهون للمبالغة وهما خبران لان ويجوز ان يكون فى شغل صلة لفاكهون وقرئ فكهون بالضم وهو لغة كنطس ونطس وفكهين وفاكهين على الحال من المستكن فى الظرف وشغل بفتحتين وفتحة وسكون والكل لغات ﴿ هم وازواجهم فى ظلال ﴾ جمع ظل كشعاب اوظلة كقباب ويؤيده

وأنواع عذابها صار عذاب القبر فى جنبها كالنوم فقالوا ياويلنا من بعثنا من مرقدنا ﴿ هذاماوعد الرحمن وصدق المرسلون ﴾ أقروا حين لاينفعهم الاقرار وقيل قالت لهم الملائكة ذلك وقيل يقول الكفار من بعثنا من مرقدنا فيقول المؤمنون هذاماوعد الرحمن وصدق المرسلون ﴿ ان كانت الاصيحة واحدة ﴾ يعنى النفخة الاخيرة ﴿ فاذاهم جميع لدينا محضرون ﴾ أى للحساب ﴿ فاليوم لاتظلم نفس شيأ ولاتجزون الاما كنتم تعملون ﴾ ● قوله تعالى ﴿ ان أصحاب الجنة اليوم فى شغل ﴾ قال ابن عباس فى افتضاض الابكار وقيل فى زيارة بعضهم بعضا وقيل فى ضيافة الله تعالى وقيل فى السماع وقيل شغلوا بما فى الجنة من النعيم عما فيه أهل النار من العذاب الاليم ﴿ فاكهون ﴾ قال ابن عباس فرحون وقيل ناعمون وقيل معجبون بماهم فيه ﴿ هم وازواجهم فى ظلال ﴾

(هذاماوعد الرحمن) فى الدنيا ويقال تقول لهم الملائكة يعنى الحفظة هذا ماوعد الرحمن على ألسنة الرسل فى الدنيا (وصدق المرسلون) بالبعث بعد الموت (ان كانت) ما كانت (الاصيحة واحدة) نفخة واحدة وهى نفخة البعث (فاذاهم جميع لدينا) (يعنى) عندنا (محضرون) للحساب (فاليوم) وهو يوم القيامة (لاتظلم نفس شيأ) لاينقص من حسنات أحد ولايزاد على سيئات أحد (ولاتجزون) فى الآخرة (الاما كنتم تعملون) وتقولون فى الدنيا (ان أصحاب الجنة) أهل الجنة (اليوم) وهو يوم القيامة (فى شغل) عما فيه أهل النار (فكهون) معجبون باقتضاضهم الابكار ويقال ناعمون ان قرأت بالالف (هم وأزواجهم) حلائلهم (فى ظلال

حال جمع ظل وهو الموضع الذى لاتقع عليه الشمس كذئب وذئاب أو جمع ظلة كبرمة وبرام دليله قراءة حمزة وعلى ظلل جمع ظلة وهى ماستر ك عن الشمس (على الارائك) جمع اريكة وهى السرير فى الحجلة أو الفراش فيها (متكؤن) خبر أو فى ظلال خبر وعلى الارائك مستأنف (لهم فيها فاكهة ولهم مايدعون) يفتعلون من الدعاء أى كل مايدعو به أهل الجنة يأتيهم أو يتمنون من قولهم ادع على ماشئت أى تمنه على عن الفراء هو من الدعوى ولايدعون مالايستحقون (سلام) بدل مما يدعون كأنه قال لهم سلام يقال لهم (قولا من رب رحيم) والمعنى ان الله يسلم عليهم بواسطة الملائكة أو بغير واسطة تعظيما لهم وذلك متمناهم ولهم ذلك لايمنعونه قال ابن عباس والملائكة يدخلون عليهم بالتحية من رب العالمين (وامتازوا اليوم أيها المجرمون) وانفردوا عن المؤمنين وكونوا على حدة وذلك حين يحشر المؤمنون ويسار بهم الى الجنة وعن الضحاك لكل كافر بيت من النار يكون فيه لايرى ولايرى أبدا ويقول لهم يوم القيامة (ألم أعهد اليكم يابنى آدم أن لاتعبدوا الشيطان

فى ظل الشجر (على الارائك) على السرر فى الحجال (متكؤن) جالسون (لهم فيها) فى الجنة (فاكهة) ألوان الفواكه (ولهم مايدعون) مايسألون ويشتهون (سلام قولا) يسلمون عليهم سلاما (من رب رحيم وامتازوا اليوم) يقول الله لهم تفرقوا اليوم (أيها المجرمون) المشركون فيزهم الله من المؤمنين ويقول لهم (الم أعهد اليكم) ألم أقدم اليكم فى الكتاب مع الرسول (يابنى آدم أن لاتعبدوا الشيطان) لاتطيعوا الشيطان

قراءة حمزة والكسائى فى ظلل ﴿ على الارائك ﴾ على السرر المزينة ﴿ متكؤن ﴾ وهم مبتدأ خبره فى ظلال وعلى الارائك جملة مستأنفة اوخبر ثان اومتكؤن والجاران صلتان له اوتأكيد للضمير فى شغل اوفى فاكهون وعلى الارائك متكئون خبر آخر لان وازواجهم عطف على هم للمشاركة فى الاحكام الثلاثة وفى ظلال حال من المعطوف والمعطوف عليه ﴿ لهم فيها فاكهة ولهم مايدعون ﴾ مايدعون به لانفسهم يفتعلون من الدعاء كاشتوى واجتمل اذاشوى وجمل لنفسه اومايتداعونه كقولك ارتموه بمعنى تراموه اويتمنون من قولهم ادع على ماشئت بمعنى تمنه على او مايدعونه فى الدنيا من الجنة ودرجاتها وماموصولة اوموصوفة مرتفعة بالابتداء ولهم خبرها وقوله ﴿ سلام ﴾ بدل منها اوصفة اخرى ويجوز ان يكون خبرها اوخبر محذوف اومبتدأ محذوف الخبر اى ولهم سلام * وقرئ بالنصب على المصدر اوالحال اى لهم مرادهم خالصا ﴿ قولا من رب رحيم ﴾ اى يقول الله اويقال لهم قولا كائنا من جهته والمعنى ان الله يسلم عليهم بواسطة الملائكة اوبغير واسطة تعظيما لهم وذلك مطلوبهم ومتمناهم ويحتمل نصبه على الاختصاص ﴿ وامتازوا اليوم ايها المجرمون ﴾ وانفردوا عن المؤمنين وذلك حين يسار بهم الى الجنة كقوله ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون وقيل اعتزلوا عن كل خير اوتفرقوا فى النار فان لكل كافر بيتا ينفرد به لايرى ولايرى ﴿ ألم اعهد اليكم يابنى آدم ان لاتعبدوا الشيطان ﴾ من جملة مايقال لهم تقريعا والزاما للحجة

يعنى اكنان القصور ﴿ على الارائك ﴾ يعنى السرر فى الحجال ﴿ متكؤن ﴾ أى ذووا اتكاء تحت تلك الظلال ﴿ لهم فيها فاكهة ﴾ أى فى الجنة ﴿ ولهم مايدعون ﴾ يعنى مايتمنون ويشتهون والمعنى ان كل مايدعون أى أهل الجنة يأتيهم ﴿ سلام قولا من رب رحيم ﴾ يعنى يسلم الله عز وجل عليهم * روى البغوى باسناد الثعلبى عن جابر بن عبدالله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا أهل الجنة فى نعيمهم اذسطع لهم نور فرفعوا رؤسهم فاذا الرب عز وجل قد أشرف عليهم من فوقهم فقال السلام عليكم يا أهل الجنة فذلك قوله عز وجل سلام قولا من رب رحيم ينظر اليهم وينظرون اليه فلا يلتفتون الى شئ من النعيم ماداموا ينظرون اليه حتى يحتجب عنهم فيبقى نوره وبركته عليهم فى ديارهم وقيل تسلم الملائكة عليهم من ربهم وقيل تدخل الملائكة على أهل الجنة من كل باب يقولون سلام عليكم من ربكم الرحيم وقيل يعطيهم السلامة يقول اسلموا السلامة الابدية ﴿ وامتازوا اليوم أيها المجرمون ﴾ اى اعتزلوا وانفردوا وتميزوا اليوم من المؤمنين الصالحين وكونوا على حدة وقيل ان لكل كافر فى النار بيتا فيدخل ذلك البيت ويردم بابه فيكون فيه أبد الآبدين لايرى ولايرى فعلى هذا القول يمتاز بعضهم عن بعض * قوله عز وجل ﴿ ألم أعهد اليكم يابنى آدم ﴾ أى ألم آمركم وأوصكم يابنى آدم ﴿ أن لاتعبدوا الشيطان ﴾

انه لكم عدو مبين) العهد الوصية وعهد اليه اذا وصاه وعهد الله اليهم ماركزه فيهم من أدلة العقل وأنزل عليهم من دلائل السمع وعبادة الشيطان طاعته فيما يوسوس به اليهم ويزينه لهم (وأن اعبدونى) وحدونى وأطيعونى (هذا) اشارة الى ماعهد اليهم من معصية الشيطان وطاعة الرحمن (صراط مستقيم) أى صراط بليغ فى استقامته ولا صراط أقوم منه (ولقد أضل منكم جبلا) بكسر الجيم والباء والتشديد مدنى وعاصم وسهل جبلا بضم الجيم والباء والتشديد يعقوب جبلا مخففا شامى وأبو عمرو وجبلا بضم الجيم والباء وتخفيف اللام غيرهم وهذه لغات فى معنى الخلق (كثيرا أفلم تكونوا تعقلون) استفهام تقريع على تركهم الانتفاع بالعقل (هذه جهنم التى كنتم توعدون) بها (اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون) ادخلوها بكفركم وانكاركم لها (اليوم نختم على أفواههم) أى نمنعهم من الكلام (وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون) يروى أنهم يجحدون ويخاصمون فتشهد عليهم جيرانهم وأهاليهم وعشائرهم فيحلفون ما كانوا مشركين فحينئذ يختم على أفواههم وتكلم أيديهم وأرجلهم وفى الحديث يقول العبد يوم القيامة انى لاأجيز على الاشاهدا من نفسى فيختم على فيه ويقال لاركانه انطق فتنطق بأعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت أناضل

وعهده اليهم مانصب لهم من الحجج العقلية والسمعية الآمرة بعبادته الزاجرة من عبادة غيره وجعلها عبادة الشيطان لانه الآمر بها والمزين لها وقرئ اعهد بكسر حرف المضارعة واعهد واحهد واحد على لغة تميم ﴿ انه لكم عدو مبين ﴾ تعليل للمنع عن عبادته بالطاعة فيما يحملهم عليه ﴿ وان اعبدونى ﴾ عطف على ان لاتعبدوا ﴿ هذا صراط مستقيم ﴾ اشار الى ماعهد اليهم اوالى عبادته فالجملة استئناف لبيان المقتضى للعهد بشقيه اوبشق الآخر والتنكير للمبالغة والتعظيم اوللتبعيض فان التوحيد سلوك بعض الطريق المستقيم ﴿ ولقد اضل منكم جبلا كثيرا أفلم تكونوا تعقلون ﴾ رجوع الى بيان معاداة الشيطان مع ظهور عداوته ووضوح اضلاله لمن له ادنى عقل ورأى والجبل الخلق وقرأ يعقوب بضمتين وابن كثير وحمزة والكسائى بهما مع تخفيف اللام وابن عامر وابو عمرو بضمة وسكون مع التخفيف والكل لغات وقرئ جبلا بتخفيف جمع جبلة كخلق وخلقة وجيلا واحد الاجيال ﴿ هذه جهنم التى كنتم توعدون اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون ﴾ ذوقوا حرها اليوم بكفركم فى الدنيا ﴿ اليوم نختم على افواههم ﴾ نمنعها من الكلام ﴿ وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون ﴾ بظهور آثار المعاصى عليها ودلالتها على افعالها اوبانطاق الله تعالى اياها

يعنى لاتطيعوه فيما يوسوس ويزين لكم من معصية الله ﴿ انه لكم عدو مبين ﴾ أى ظاهر العدواة ﴿ وأن اعبدونى ﴾ أى أطيعونى ووحدونى ﴿ هذا صراط مستقيم ﴾ أى لاصرط أقوم منه * قوله تعالى ﴿ ولقد أضل منكم جبلا كثيرا ﴾ أى خلقا كثيرا ﴿ أفلم تكونوا تعقلون ﴾ يعنى ماأتاكم من هلاك الامم الخالية بطاعة ابليس ويقال لهم لما دنوا من النار ﴿ هذه جهنم التى كنتم توعدون ﴾ يعنى بها فى الدنيا ﴿ اصلوها ﴾ أى أدخلوها ﴿ اليوم بما كنتم تكفرون ﴾ * قوله تعالى ﴿ اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون ﴾ معنى الآية ان الكفار ينكرون ويجحدون كفرهم وتكذيبهم الرسل ويقولون والله ربنا ما كنا مشركين فيختم الله على أفواههم وتنطق جوارحهم ليعلموا ان أعضاءهم التى كانت عونا لهم على المعاصى صارت شاهدة عليهم وذلك ان أقرار الجوارح أبلغ من أقرار اللسان * فان

(انه لكم عدو مبين) ظاهر العداوة (وأن اعبدونى)وحدونى (هذا) التوحيد الذى أمرتكم (صراط مستقيم) (قلت) دين حق مستقيم (ولقد أضل) الشيطان (منكم) يابنى آدم (جبلا) خلقا (كثيرا)قبلكم(أفلم تكونوا تعقلون) تعلمون ما صنع بهم فلاتقتدوا بهم(هذه جهنم التى كنتم توعدون)فى الدنيا(اصلوها) ادخلوها (اليوم بما كنتم تكفرون) تجحدون بها وبالكتاب والرسل (اليوم) وهو يوم القيامة (نختم على أفواههم) نمنع ألسنتهم عن الكلام بعد ما أنكروا (وتكلمنا ايديهم) بما بطشوا بها(ولتشهد أرجلهم) بما مشوا بها وتشهد جوارحهم (بما كانوا يكسبون) يعملون من

وفى الحديث انهم يجحدون ويخاصمون فيختم على افواههم وتكلم ايديهم وتشهد ارجلهم ﴿ ولو نشاء لطمسنا على اعينهم ﴾ لمسخنا اعينهم حتى تصير ممسوحة ﴿ فاستبقوا الصراط ﴾ فاستبقوا الى الطريق الذى اعتادوا سلوكه وانتصابه بنزع الخافض

قلت ما الحكمة فى تسمية نطق اليد كلاما ونطق الرجل شهادة قلت ان اليد مباشرة والرجل حاضرة وقول الحاضر على غيره شهادة بما رأى وقول الفاعل اقرار على نفسه بما فعل (م) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال سأل الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يارسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال هل تضارون فى رؤية الشمس فى الظهيرة ليست فى سحابة قالوا لا يارسول الله قال فهل تضارون فى رؤية القمر ليلة البدر ليس فى سحابة قالوا لا قال فوالذى نفسى بيده لاتضارون فى رؤية ربكم الا كما تضارون فى رؤية أحدهما قال فيلقى العبد ربه فيقول أى فل ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والابل وأذرك ترأس وتربع فيقول بلى يارب أفظننت انك ملاقى فيقول لا فيقول اليوم أنساك كما نسيتنى ثم يلقى الثانى فيقول أى فل ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والابل وأذرك ترأس وتربع فيقول بلى يارب فيقول افظننت انك ملاقى فيقول لا فيقول اليوم أنساك كما نسيتنى ثم يلقى الثالث فيقول له مثل ذلك فيقول يارب آمنت بك وبكتابك وبرسلك وصليت وصمت وتصدقت ويثنى بخير ما استطاع فيقول ههنا اذا قال ثم يقول له الآن نبعث شاهدنا عليك فيتفكر فى نفسه من ذا الذى يشهد على فيختم على فيه ويقال لفخذه ولحمه وعظامه انطقى فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله وذلك ليعذر من نفسه وذلك المنافق وذلك الذى يسخط الله عليه *قوله أى فل يعنى يافلان *قوله وأسودك أى أجعلك سيدا *قوله وأذرك ترأس أى تتقدم على القوم بان تصير رئيسهم وتربع أى تأخذ المرباع وهو ما ياخذه رئيس الجيش لنفسه من الغنائم وهو ربعها وروى ترتع بتاءين أى تتنعم وتنبسط من الرتع * قوله وذلك ليعذر من نفسه أى ليقيم الحجة عليها بشهادة أعضائه عليه (م) عن أنس بن مالك قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك قال هل تدرون مم أضحك قلنا الله ورسوله أعلم قال من مخاطبة العبد ربه فيقول يارب ألم تجرنى من الظلم قال يقول بلى قال فيقول فانى لا أجيز على نفسى الا شاهدا منى قال فيقول كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا وبالكرام الكاتبين شهودا قال فيختم على فيه ويقال لاركانه انطقى قال فتنطق باعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت أناضل قوله لا أجيز أى لا أقبل شاهدا على *قوله بعدا لكن وسحقا أى هلاكا *قوله فعنكن كنت أناضل أى أجادل وأخاصم ✻ قوله تعالى ﴿ ولو نشاء لطمسنا على أعينهم ﴾ أى أذهبنا أعينهم الظاهرة بحيث لا يبدو لها جفن ولا شق والمعنى ولو نشاء لاعمينا أعينهم الظاهرة كما أعمينا قلوبهم ﴿ فاستبقوا الصراط ﴾ أى فبادروا الى الطريق

(ولو نشاء لطمسنا على أعينهم) لاعميناهم وأذهبنا أبصارهم والطمس تعفية شق العين حتى تعود ممسوحة (فاستبقوا الصراطا) على حذف الجار وايصال الفعل والاصل فاستبقوا الى

الشر (ولو نشاء لطمسنا على أعينهم) لفقأنا أعين ضلالتهم (فاستبقوا الصراط) فابصروا الطريق

الصراط (فأنى يبصرون) فكيف يبصرون حينئذ وقد طمسنا أعينهم (ولو نشاء لمسخناهم) قردة أو خنازير او حجارة (على مكانتهم) على مكاناتهم أبو بكر وحماد والمكانة والمكان واحد كالمقامة والمقام أى لمسخناهم فى منازلهم حيث يجترحون المآثم (فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون) فلم يقدروا على ذهاب ولا مجئ أو مضيا امامهم ولا يرجعون خلفهم (ومن نعمره ننكسه) عاصم وحمزة والتنكيس جعل الشئ أعلاه أسفله الباقون ننكسه (فى الخلق) أى نقلبه فيه بمعنى من أطلنا عمره نكسنا خلقه فصار بدل القوة ضعفا وبدل الشباب هرما وذلك انا خلقناه على ضعف فى جسده وخلو من عقل وعلم ثم جعلناه يتزايد الى أن يبلغ أشده ويستكمل قوته ويعقل ويعلم ماله وماعليه فاذا انتهى نكسناه فى الخلق فجعلناه يتناقص حتى يرجع الى حال شبيهة بحال الصبى فى ضعف جسده وقلة عقله وخلوه من العلم كما ينكس السهم فيجعل أعلاه أسفله قال عز وجل ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيأ (أفلا يعقلون) ان من قدر على أن ينقلهم من الشباب الى الهرم ومن القوة الى الضعف ومن رجاحة العقل الى الخرف وقلة التميز قادر على أن يطمس على أعينهم ويمسخهم على مكانتهم ويبعثهم بعد الموت وبالتاء مدنى ويعقوب وسهل وكانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاعر فنزل (وماعلمناه الشعر) أى وما علمنا النبى عليه السلام قول الشعراء أو وما علمناه بتعليم القرآن الشعر (و) على معنى ان القرآن ليس بشعر فهو كلام موزون مقفى يدل على معنى فاين الوزن وأين التقفية فلا مناسبة بينه وبين الشعر اذا حققته

اوبتضمين الاستباق معنى الابتدار اوجعل المسبوق اليه مسبوقا على الاتساع اوبالظرف ﴿ فأنى يبصرون ﴾ الطريق وجهة السلوك فضلا عن غيره ﴿ ولو نشاء لمسخناهم ﴾ بتغيير صورهم وابطال قواهم ﴿ على مكانتهم ﴾ مكانهم بحيث يجمدون فيه وقرأ ابوبكر مكاناتهم ﴿ فما استطاعوا مضيا ﴾ ذهابا ﴿ ولا يرجعون ﴾ ولا رجوعا فوضع الفعل موضعه للفواصل وقيل ولا يرجعون عن تكذيبهم وقرئ مضيا باتباع الميم الضاد المكسورة اقلب الواو ياء كالعتى والعتى ومضيا كصبى والمعنى انهم بكفرهم ونقضهم ماعهد اليهم احقاء بان يفعل بهم ذلك لكنا لم نفعل لشمول الرحمة لهم واقتضاء الحكمة امهالهم ﴿ ومن نعمره ﴾ ومن نطل عمره ﴿ ننكسه فى الخلق ﴾ نقلبه فيه فلا يزال يتزايد ضعفه وانتقاص بنيته وقواه عكس ماكان عليه بدء امره وقرأ عاصم وحمزة ننكسه من التنكيس وهو ابلغ والنكس اشهر ﴿ أفلا يعقلون ﴾ ان من قدر على ذلك قدر على الطمس والمسخ فانه مشتمل عليهما وزيادة غير انه على تدرج وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب بالتاء لجرى الخطاب قبله ﴿ وماعلمناه الشعر ﴾ رد لقولهم ان محمدا

﴿ فأنى يبصرون ﴾ أى كيف يبصرون وقد أعمينا أعينهم والمعنى ولو نشاء لاضللناهم عن الهدى وتركناهم عمايترددون فكيف يبصرون الطريق حينئذ وقال ابن عباس يعنى لو نشاء لفقأنا أعين ضلالتهم فاعميناهم عن غيهم وحولنا أبصارهم من الضلالة الى الهدى فابصروا رشدهم فانى يبصرون ولم نفعل ذلك بهم ﴿ ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم ﴾ يعنى ولو نشاء لجعلناهم قردة وخنازير فى منازلهم وقيل لجعلناهم حجارة لا أرواح فيها ﴿ فما استطاعوا مضيا ﴾ أى لا يقدرون أن يبرحوا ﴿ ولا يرجعون ﴾ أى الى ما كانوا عليه وقيل لا يقدرون على الذهاب ولا الرجوع ﴿ ومن نعمره ننكسه فى الخلق ﴾ أى نرده الى أرذل العمر شبه الصبى فى أول الخلق وقيل نضعف جوارحه بعد قوتها وننقصها بعد زيادتها وذلك ان الله تعالى خلق الانسان فى ضعف من جسده وخلو من عقل وعلم فى حال صغره ثم جعله يتزايد وينتقل من حال الى حال الى أن بلغ أشده واستكمل قوته وعقله وعلم ماله وماعليه فاذا انتهى الى الغاية واستكمل النهاية رجع ينقص حتى يرد الى ضعفه الاول فذلك نكسه فى الخلق ﴿ أفلا يعقلون ﴾ أى فيعتبرون ويعلمون ان الذى قدر على تصريف أحوال الانسان قادر على البعث بعد الموت ❊ قوله عز وجل ﴿ وماعلمناه الشعر

(فأنى يبصرون) من أين يبصرون ولم نفقأ عين ضلالتهم (ولو نشاء لمسخناهم) قردة وخنازير (على مكانتهم) فى منازلهم فى ديارهم (فما استطاعوا مضيا) ذهابا ولا مجيئا (ولا يرجعون) فى ديارهم الى الحال الاول (ومن نعمره) نمهله فى العمر (ننكسه) نحططه (فى الخلق) فى الخلق الاول حتى صار كأنه طفل لا لحى له ولا اسنان ولا قوة يتول ويتغوط كالطفل (أفلا يعقلون) أفلا يصدقون بذلك (وماعلمناه الشعر) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم

شاعر أى ماعلمناه الشعر بتعليم القرآن فانه لا يماثله لفظا ولا معنى لانه غير مقفى ولا موزون وليس معناه مايتوخاه الشعراء من التخيلات المرغبة والمنفرة ونحوها ﴿ ومايبنغى له ﴾ ومايصح له الشعر ولا يتأتى له ان اراد قرضه على مااختبرتم طبعه نحوا من اربعين سنة وقوله عليه الصلاة والسلام انا النبى لا كذب * انا ابن عبدالمطلب
وقوله صلى الله عليه وسلم هل انت الا اصبع دميت * وفى سبيل الله مالقيت
اتفاقى من غير تكلف وقصد منه الى ذلك وقد يقع مثل ذلك كثيرا فى تضاعيف المنثورات على ان الخليل ماعد المشطور من الرجز شعرا هذا وقد روى انه حرك الباءين وكسر التاء الاولى بلا اشباع وسكن الثانية وقيل الضمير للقرآن اى ومايصح للقرآن ان يكون شعرا ﴿ ان هو الا ذكر ﴾ عظة وارشاد

ومايبنغى له ﴾ قيل ان كفار قريش قالوا ان محمدا شاعر ومايقوله شعر فانزل الله تعالى تكذيبا لهم وماعلمناه الشعر ومايبنغى له أى مايسهل له ذلك ومايصلح منه بحيث لو أراد نظم شعر لم يتأت له ذلك كما جعلناه أميا لا يكتب ولا يحسب لتكون الحجة أثبت والشبهة أدحض قال العلماء ماكان يتزن له بيت شعر وان تمثل ببيت شعر جرى على لسانه منكسرا كما روى عن الحسن ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يتمثل بهذا البيت * كفى بالاسلام والشيب للمرء ناهيا * فقال أبو بكر رضى الله تعالى عنه يانبى الله انما قال الشاعر * كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا * أشهد أنك رسول الله وماعلمناه الشعر ومايبنغى له هذا حديث مرسل * وروى عن عائشة رضى الله تعالى عنها وقد قيل لها هل كان النبى صلى الله عليه وسلم يتمثل بشئ من الشعر قالت كان يتمثل بعشر ابن رواحة ويقول * ويأتيك بالاخبار من لم تزود * أخرجه الترمذى وفى رواية لغيره أن عائشة رضى الله عنها سئلت هل كان النبى صلى الله عليه وسلم يتمثل بشئ من الشعر قالت كان الشعر أبغض الحديث ولم يتمثل الا ببيت اخى بنى قيس طرفة
ستبدى لك الايام ماكنت جاهلا * ويأتيك بالاخبار من لم تزود
فجعل يقول * ويأتيك من لم تزود بالاخبار * فقال أبو بكر رضى الله عنه ليس هكذا يارسول الله فقال انى لست بشاعر ولا ينبغى لى * فان قلت قد صح من حديث جندب بن عبدالله قال بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ اصابه حجر فدميت أصبعه فقال
هل أنت الا أصبع دميت * وفى سبيل الله مالقيت
اخرجاه فى الصحيحين ولهما من حديث أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال
اللهم ان العيش عيش الآخره * فاكرم الانصار والمهاجره
وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال
أنا النبى لا كذب * أنا ابن عبدالمطلب
قلت ماهذا الا من كلامه الذى يرمى به من غير صنعة فيه ولا تكلف له الا انه اتفق كذلك من غير قصد اليه وان جاء موزونا كما يتفق فى كثير من انشآت الناس فى خطبهم ورسائلهم ومحاوراتهم كلام موزون يدخل فى وزن البحور ومع ذلك فان الخليل لم يعد المشطور من الرجز شعرا ولما نفى أن يكون القرآن من جنس الشعر قال تعالى ﴿ ان هو الا ذكر ﴾ يعنى ماهو الا ذكر من الله تعالى يعظ به الانس والجن ليس

(ومايبنغى له) ومايصح له ولا يليق بحاله ولا يتطلب لو طلبه أى جعلناه بحيث لو أراد قرض الشعر لم يتأت له ولم يتسهل كما جعلناه أميا لا يهتدى الى الخط لتكون الحجة أثبت والشبهة أدحض وأما قوله
أنا النبى لا كذب
انا ابن عبدالمطلب
وقوله
هل أنت الا أصبع دميت
وفى سبيل الله مالقيت
فما هو الا من جنس كلامه الذى كان يرمى به على السليقة من غير صنعة فيه ولا تكلف الا انه اتفق من غير قصد الى ذلك ولا التفات منه ان جاء موزونا كما يتفق فى خطب الناس ورسائلهم ومحاوراتهم أشياء موزونة ولا يسميها أحد شعرا لان صاحبه لم يقصد الوزن ولا بد منه على انه عليه السلام قال لقيت بالسكون وفتح الباء فى كذب وخفض الباء فى المطلب ولما نفى ان يكون القرآن من جنس الشعر قال (ان هو) أى المعلم (الا ذكر

(ومايبنغى له) مايصلح له الشعر (ان هو) ماهو يعنى القرآن (الا ذكر) عظة

وقرآن مبين) أي ماهو الا ذكر من الله يوعظ به الانس والجن وما هو الا قرآن كتاب سماوي يقرأ في المحاريب ويتلى في المتعبدات وينال بتلاوته والعمل به فوز الدارين فكم بينه وبين الشعر الذي هو من همزات الشياطين (لينذر) القرآن أو الرسول لتنذر مدني وشامي وسهل ويعقوب (من كان حيا) عاقلا متأملا لان الغافل كالميت أو حيا بالقلب (ويحق القول) وتجب كلمة العذاب (على الكافرين) الذين لايتأملون وهم في حكم الاموات (أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما) أي مما تولينا نحن احداثه ولم يقدر على توليه غيرنا (فهم لها مالكون) أي خلقناها لاجلهم فملكناها اياهم فهم متصرفون فيها تصرف الملاك مختصون بالانتفاع بها أو فهم لها ضابطون قاهرون (وذللناها لهم) وصيرناها منقادة لهم والا فمن كان يقدر عليها لولا تذليله تعالى وتسخيره لها ولهذا الزم الله سبحانه الراكب ان يشكر هذه النعمة ويسبح بقوله سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين (فمنها ركوبهم) وهو مايركب (ومنها يأكلون) أي سخرناها

(وقرآن مبين) مبين بالحلال والحرام والامر والنهى (لينذر) محمد صلى الله عليه وسلم بالقرآن (من كان حيا) من كان له عقل (ويحق القول) يجب القول بالسخط والعذاب (على الكافرين) كفار مكة فلا يؤمنون (و) بمحمد عليه السلام والقرآن (أولم يروا) أولم يخبروا (انا خلقنا لهم) لاهل مكة (مما عملت أيدينا) مما خلقنا لهم بقدرتنا بكن فكان (انعاما فهم لها مالكون) ضابطون مالكون عليها (وذللناها لهم) سخرناها لهم (فمنها ركوبهم) منها مايركبون (ومنها يأكلون) ومن لحومها

من الله ﴿ وقرآن مبين ﴾ اوكتاب سماوي يتلى في المعابد ظاهر انه ليس كلام البشر لما فيه من الاعجاز ﴿ لينذر ﴾ القرآن او الرسول صلى الله عليه وسلم ويؤيده قراءة نافع وابن عامر ويعقوب بالتاء ﴿ من كان حيا ﴾ عاقلا فهما فان الغافل كالميت اومؤمنا في علم الله تعالى فان الحياة الابدية بالايمان وتخصيص الانذار به لانه المنتفع به ﴿ ويحق القول ﴾ وتجب كلمة العذاب ﴿ على الكافرين ﴾ المصرين على الكفر وجعلهم في مقابلة من كان حيا اشعار بانهم لكفرهم وسقوط حجتهم وعدم تأملهم اموات في الحقيقة ﴿ أولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا ﴾ مما تولينا احداثه ولم يقدر على احداثه غيرنا وذكر الايدي واسناد العمل اليها استعارة تفيد مبالغة في الاختصاص والتفرد بالاحداث ﴿ انعاما ﴾ خصها بالذكر لما فيها من بدائع الفطرة وكثرة المنافع ﴿ فهم لها مالكون ﴾ متملكون بتمليكنا اياهم اومتمكنون من ضبطها والتصرف فيها بتسخيرنا اياها لهم قال

اصبحت لااحمل السلاح ولا * املك رأس البعير ان نفرا

﴿ وذللناها لهم ﴾ وصيرناها منقادة لهم ﴿ فمنها ركوبهم ﴾ مركوبهم وقرئ ركوبتهم وهي بمعناه كالحلوب والحلوبة وقيل جمعه وركوبهم اي ذو ركوبهم اوفمن منافعها ركوبهم ﴿ ومنها يأكلون ﴾ أي ما يأكلون

بشعر لانه ليس على أساليب الشعر ولا يدخل في بحوره ﴿ وقرآن مبين ﴾ أي انه كتاب سماوي يقرأ في المحاريب ويتلى في المتعبدات وينال بتلاوته الثواب والدرجات وفيه بيان الحدود والاحكام وبيان الحلال والحرام فكم بينه وبين الشعر الذي هو من همزات الشياطين وأقاويل الشعراء الكاذبين ﴿ لتنذر ﴾ أي يامحمد وقرئ بالياء أي القرآن ﴿ من كان حيا ﴾ يعني مؤمنا حي القلب لان الكافر كالميت الذي لايتدبر ولايتفكر ﴿ ويحق القول ﴾ أي وتجب حجة العذاب ﴿ على الكافرين ﴾ * قوله عز وجل ﴿ أولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا ﴾ أي تولينا خلقه بابداعنا له من غير اعانة أحد في انشائه كقول القائل عملت هذا بيدي اذا تفرد به ولم يشاركه فيه أحد وقيل عملناه بقوتنا وقدرتنا وانما قال ذلك لبدائع الفطرة التي لايقدر عليها الا هو ﴿ أنعاما ﴾ انما خص الانعام بالذكر وان كانت الاشياء كلها من خلق الله تعالى وايجاده لان النعم أكثر أموال العرب والنفع بها اعم ﴿ فهم لها مالكون ﴾ أي خلقناها لاجلهم فملكناهم اياها يتصرفون فيها تصرف الملاك وقيل معناه فهم لها ضابطون قاهرون ومنه قول بعضهم

أصبحت لاأحمل السلاح ولا * أملك رأس البعير ان نفرا

أي لاأضبط رأس البعير والمعنى لم نخلق الانعام وحشية نافرة من بني آدم لايقدرون على ضبطها بل خلقناها مذللة مسخرة لهم وهو قوله تعالى ﴿ وذللناها لهم فمنها ركوبهم ﴾ أي الابل ﴿ ومنها يأكلون ﴾ أي الغنم

ليركبوا ظهرها ويأكلوا لحمها (ولهم فيها منافع) من الجلود والاوبار وغير ذلك (ومشارب) من اللبن وهو جمع مشرب وهو موضع الشرب أو الشراب (أفلا يشكرون) الله على انعام الانعام (واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون) أى لعل أصنامهم تنصرهم اذا حزبهم امر (لايستطيعون) أى آلهتهم (نصرهم) نصر عابديهم (وهم لهم) أى الكفار للاصنام (جند) أعوان وشيعة (محضرون) يخدمونهم ويذبون عنهم أو اتخذوهم لينصروهم عند الله ويشفعوا لهم و الامر على خلاف ما توهموا حيث هم يوم القيامة جند معدون لهم محضرون لعذابهم لانهم يجعلون وقود النار (فلا يحزنك قولهم) وبضم الياء و كسر الزاء نافع من حزنه وأحزنه يعنى فلا يهمك تكذيبهم وأذاهم وجفاؤهم (انا نعلم مايسرون) من عداوتهم (ومايعلنون) وانا مجازوهم عليه فحق مثلك ان يتسلى بهذا الوعيد ويستحضر فى نفسه صورة حاله وحالهم فى الآخرة حتى ينقشع عنه الهم ولا يرهقه الحزن

ومن زعم ان من قرأ انا نعلم بالفتح فسدت صلاته وان اعتقد معناه كفر فقد أخطأ لانه يمكن حمله على حذف لام التعليل وهو كثير فى القرآن والشعر وفى كل كلام وعليه تلبية رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الحمد والنعمة لك كسر أبو حنيفة وفتح الشافعى رحمة الله عليهما وكلاهما تعليل فان قلت ان كان المفتوح بدلا من قولهم كانه قيل فلا يحزنك انا نعلم مايسرون ومايعلنون ففساده ظاهر قلت هذا المعنى قائم مع المكسورة اذا جعلتها مقولة للقول فقد تبين ان تعلق الحزن بكون الله عالما وعدم تعلقه لا يدوران على كسر ان و فتحها و انما يدوران على تقديرك فتفصل ان فتحت بان تقدر معنى التعليل ولا تقدر معنى البدل كما انك تفصل بتقدير معنى التعليل اذا كسرت ولا تقدر معنى المفعولية ثم ان قدرته كاسرا أو فاتحا على ماعظم فيه الخطب ذلك القائل فما فيه الا نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن

لحمه ﴿ ولهم فيها منافع ﴾ من الجلود والاصواف والاوبار ﴿ ومشارب ﴾ من اللبن جمع مشرب بمعنى الموضع او المصدر ﴿ أفلا يشكرون ﴾ نعم الله فى ذلك اذ لولا خلقه لها وتذليله اياها لما امكن التوسل الى تحصيل هذه المنافع المهمة ﴿ واتخذوا من دون الله آلهة ﴾ اشركوها به فى العبادة بعد ما رأوا منه تلك القدرة الباهرة والنعم المتظاهرة وعلموا انه المتفرد بها ﴿ لعلهم ينصرون ﴾ رجاء ان ينصروهم فيما حزبهم من الامور والامر بالعكس لانهم ﴿ لايستطيعون نصرهم وهم لهم ﴾ لآلهتهم ﴿ جند محضرون ﴾ معدون لحفظهم والذب عنهم او محضرون اثرهم فى النار ﴿ فلا يحزنك ﴾ فلا يهمنك وقرئ بضم الياء من احزن ﴿ قولهم ﴾ فى الله بالالحاد والشرك اوفيك بالتكذيب والتهجين ﴿ انا نعلم مايسرون ومايعلنون ﴾ فنجازيهم عليه وكفى ذلك ان تتسلى به وهو تعليل للنهى على الاستئناف ولذلك لو قرئ انا بالفتح على حذف لام

﴿ ولهم فيها منافع ﴾ أى من أصوافها وأوبارها وأشعارها وجلودها ونسلها ﴿ ومشارب ﴾ أى من ألبانها ﴿ أفلا يشكرون ﴾ أى رب هذه النعم ﴿ واتخذوا من دون الله آلهة ﴾ يعنى الاصنام ﴿ لعلهم ينصرون ﴾ أى لتمنعهم من عذاب الله ولا يكون ذلك قط ﴿ لايستطيعون نصرهم ﴾ قال ابن عباس لا تقدر الاصنام على نصرهم ومنعهم من العذاب ﴿ وهم لهم جند محضرون ﴾ أى الكفار جند الاصنام يغضبون لها ويحضرونها فى الدنيا وهى لا تسوق اليهم خيرا ولا تستطيع لهم نصرا وقيل هذا فى الآخرة يؤتى بكل معبود من دون الله ومعه أتباعه الذين عبدوه فى الدنيا كانهم جند محضرون فى النار ﴿ فلا يحزنك قولهم ﴾ يعنى قول كفار مكة فى تكذيبك يامحمد ﴿ انا نعلم مايسرون ﴾ أى فى ضمائرهم من التكذيب ﴿ ومايعلنون ﴾ أى من عبادة الاصنام وقيل مايعلنون بالسنتهم من الاذى

أكلون (ولهم) يعنى لاهل مكة (فيها) فى الانعام (منافع) فى حملها وكسبها (ومشارب) من البانها (أفلا يشكرون) من فعل بهم ذلك فيؤمنوا به (واتخذوا) عبدوا كفار مكة (من دون الله آلهة) اصناما (لعلهم ينصرون) يمنعون من عذاب الله (لايستطيعون نصرهم) لا يستطيع الآلهة منع عذاب الله عنهم (وهم) يعنى كفار مكة (لهم) بالباطل الاصنام (جند محضرون) كالعبيد قيام بين أيديهم (فلا يحزنك قولهم) تكذيبهم يامحمد (انا نعلم مايسرون) من المكر والخيانة (ومايعلنون) من

الحزن على علمه تعالى بسرهم وعلانيتهم والنهى عن حزنه ليس اثباتا لحزنه بذلك كما فى قوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله الها آخر ونزل فى أبى بن خلف حين أخذ اعظما باليا وجعل يفتته بيده ويقول يا محمد أترى الله يحيي هذا بعدمارم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم ويبعثك ويدخلك جهنم (أولم يرالانسان اناخلقناه من نطفة) مذرة خارجة من الاحليل الذى هو قناة النجاسة (فاذا هو خصيم مبين) بين الخصومة أى فهو على مهانة أصله ودناءة أوله يتصدى لمخاصمة ربه وينكر قدرته على احياء الميت بعدمارمت عظامه ثم يكون خصامه فى الزم وصفه له والصقه به وهو كونه منشأ من موات وهو وهو ينكر انشاءه من موات وهو غاية المكابرة (وضرب لنا مثلا) بفته العظم (ونسى خلقه) من المنى فهو أغرب من احياء العظم المصدر مضاف الى المفعول أى خلقنا اياه (قال من يحيي العظام وهى رميم) هو اسم لما بلى من العظام غير صفة كالرمة والرفات ولهذا لم يؤنث وقد وقع خبر المؤنث ومن يثبت الحياة فى العظام ويقول ان عظام الميتة نجسة لان الموت يؤثر فيها من قبل ان الحياة تحلها يتشبث بهذه الآية وهى عندنا طاهرة وكذا الشعر والعصب لان الحياة لا تحلها فلا يؤثر فيها الموت والمراد باحياء العظام فى الآية ردها الى ما كانت عليه غضة رطبة فى بدن حى حساس (قل يحييها الذى أنشاها) خلقها (أول مرة) أى (وهو)

التعليل جاز ﴿ أولم يرالانسان اناخلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين ﴾ تسلية ثانية بتهوين مايقولونه بالنسبة الى انكارهم الحشر وفيه تقبيح بليغ لانكاره حيث عجب منه وجعله افراطا فى الخصومة بينا ومنافاة لجحود القدرة على ماهو اهون مما عمله فى بدء خلقته ومقابلة النعمة التى لامزيد عليها وهى خلقه من اخس شئ وامهنه شريفا مكرما بالعقوق والتكذيب روى ان ابى بن خلف اتى النبى صلى الله عليه وسلم بعظم بال يفتته بيده وقال أترى الله يحيي هذا بعدمارم فقال عليه الصلاة والسلام نعم ويبعثك ويدخلك النار فنزلت وقيل معنى فاذا هو خصيم مبين فاذا هو بعدما كان ماء مهينا مميز منطيق قادر على الخصام معرب عما فى نفسه ﴿ وضرب لنا مثلا ﴾ امرا عجيبا وهو نفى القدرة على احياء الموتى وتشبيهه بخلقه بوصفه بالعجز عما عجزوا عنه ﴿ ونسى خلقه ﴾ خلقنا اياه ﴿ قال من يحيي العظام وهى رميم ﴾ منكرا اياه مستبعدا له والرميم مابلى من العظام ولعله فعيل بمعنى فاعل من رم الشئ صار اسما بالغلبة ولذلك لم يؤنث او بمعنى مفعول من رممته وفيه دليل على ان العظم ذو حياة فيؤثر الموت فيه كسائر الاعضاء ﴿ قل يحييها الذى انشأها اول مرة ﴾ فان قدرته كما كانت لامتناع التغير فيه والمادة على حالها فى القابلية

* قوله تعالى ﴿ أولم يرالانسان انا خلقناه من نطفة ﴾ أى من نطفة قذرة خسيسة ﴿ فاذا هو خصيم مبين ﴾ أى جدل بالباطل بين الخصومة والمعنى العجب من جهل هذا المخاصم مع مهانة أصله كيف يتصدى لمخاصمة الجبار ويبرز لمجادلته فى انكاره البعث وكيف لا يتفكر فى بدء خلقه وانه من نطفة قذرة ويدع الخصومة نزلت فى أبى ابن خلف الجمحى خاصم النبى صلى الله عليه وسلم فى انكار البعث وأتاه بعظم قد رم وبلى ففتته بيده وقال أترى يحيي الله هذا بعدمارم فقال النبى صلى الله عليه وسلم نعم ويبعثك ويدخلك النار فانزل الله تعالى هذه الآيات ﴿ وضرب لنا مثلا ونسى خلقه ﴾ أى بدء أمره ﴿ قال من يحيي العظام وهى رميم ﴾ أى بالية والمعنى وضرب لنا مثلا فى انكار البعث بالعظم البالى حين فتته بيده وتعجب ممن يقول ان الله تعالى يحييه ونسى أول خلقه وانه مخلوق من نطفة ﴿ قل يحييها الذى أنشأها أول مرة ﴾ أى خلقها أول مرة وابتدأ خلقها

العداوة (أولم يرالانسان) أولم يعلم أبى بن خلف (اناخلقناه من نطفة) منتنة ضعيفة (فاذا هو خصيم) رجل جدل بالباطل (مبين) ظاهر الجدال (وضرب لنا مثلا) وصف لنا مثلا بالعظام (ونسى خلقه) ترك ذكر خلقه الاول (قال من يحيي العظام وهى رميم) تراب بالية (قل) له يا محمد (يحييها الذى أنشأها) خلقها (أول مرة) من النطفة

ابتداء (وهو بكل خلق) مخلوق (عليم) لا تخفى عليه أجزاؤه وان تفرقت في البر والبحر فيجمعه ويعيده كما كان (الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا أنتم منه توقدون) تقدحون ثم ذكر من بدائع خلقه انقداح النار من الشجر الاخضر مع مضادة النار الماء وانطفائها به وهي الزناد التي تورى به الاعراب وأكثرها من المرخ والعفار وفي أمثالهم في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار لان المرخ شجر سريع الورى والعفار شجر تقدح منه النار يقطع الرجل منهما غصنين مثل السواكين وهما خضراوان يقطر منهما الماء فيسحق المرخ وهو ذكر على العفار وهي أنثى فتنقدح النار باذن الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما ليس من شجرة الا وفيها النار الا العناب لمصلحة الدق للثياب فمن قدر على جمع الماء والنار في الشجر قدر على المعاقبة بين الموت والحياة في البشر واجراء أحد الضدين على الآخر بالتعقيب اسهل في العقل من الجمع معا بلا ترتيب والاخضر على اللفظ وقرئ الخضراء على المعنى ثم بين أن من قدر على خلق السموات والارض مع عظم شأنهما فهو على خلق الاناسي أقدر بقوله (أوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم) في الصغر بالاضافة الى السموات والارض أو أن يعيدهم لان المعاد مثل للمبدأ وليس به (بلى) أي قل بلى هو قادر على ذلك (وهو الخلاق) الكثير المخلوقات (العليم) الكثير المعلومات (انما أمره) شأنه (اذا أراد شيأ ان يقول له كن) أن يكونه (فيكون) فيحدث

اللازمة لذاتها ﴿ وهو بكل خلق عليم ﴾ يعلم تفاصيل المخلوقات بعلمه وكيفية خلقها فيعلم اجزاء الاشخاص المتفتتة المتبددة اصولها وفصولها ومواقعها وطريق تمييزها بضم بعضها الى بعض على نمط السابق واعادة الاعراض والقوى التي كانت فيها اواحداث مثلها ﴿ الذي جعل لكم من الشجر الاخضر ﴾ كالمرخ والعفار ﴿ نارا ﴾ بان يسحق المرخ على العفار وهما خضراوان يقطر منهما الماء فتنقدح النار ﴿ فاذا انتم منه توقدون ﴾ لا تشكون في انها نار خرجت منه فمن قدر على احداث النار من الشجر الاخضر مع ما فيه من المائية المضادة لها بكيفيته كان اقدر على اعادة الغضاضة فيما كان غضا فيبس وبلى وقرئ من الشجر الخضراء على المعنى كقوله فمالؤن منها البطون ﴿ أوليس الذي خلق السموات والارض ﴾ مع كبر جرمهما وعظم شأنهما ﴿ بقادر على ان يخلق مثلهم ﴾ في الصغر والحقارة بالاضافة اليهما اومثلهم في اصول الذات وصفاتها وهو المعاد وعن يعقوب يقدر ﴿ بلى ﴾ جواب من الله لتقرير ما بعد النفي مشعر بانه لا جواب سواه ﴿ وهو الخلاق العليم ﴾ كثير المخلوقات والمعلومات ﴿ انما امره ﴾ انما شأنه ﴿ اذا أراد شيأ ان يقول له كن ﴾ اى تكون ﴿ فيكون ﴾

﴿ وهو بكل خلق ﴾ أي من الابتداء والاعادة ﴿ عليم ﴾ أي يعلم كيف يخلق لا يتعاظمه شئ من خلق المبدأ والمعاد ﴿ الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما شجرتان يقال لاحداهما المرخ بالراء والخاء المعجمة والاخرى العفار بالعين المهملة فمن أراد النار قطع منهما غصنين مثل السواكين وهما خضراوان يقطر منهما الماء فيسحق المرخ على العفار فتخرج منهما النار باذن الله تعالى تقول العرب في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار أي استكثر منها وذلك ان هاتين الشجرتين من أكثر الشجر نارا وقال الحكماء في كل شجر نار الا العناب ﴿ فاذا أنتم منه توقدون ﴾ أي تقدحون فتوقدون النار من ذلك الشجر ثم ذكر ما هو أعظم من خلق الانسان فقال تعالى ﴿ أوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى ﴾ أي هو القادر على ذلك ﴿ وهو الخلاق ﴾ يعني يخلق خلقا بعد خلق ﴿ العليم ﴾ أي بجميع ما خلق ﴿ انما أمره اذا أراد شيأ ﴾ أي احداث شئ وتكوينه ﴿ ان يقول له كن ﴾ أي يكونه من غير توقف ﴿ فيكون ﴾ أي فيحدث ويوجد لا محالة

(وهو بكل خلق) بخلق كل شئ (عليم الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا) غير العناب (فاذا أنتم) يا أهل مكة (منه توقدون) تقدحون منه النار (أوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق) يحيي (مثلهم بلى) قادر على ذلك (وهو الخلاق) الباعث (العليم انما أمره) في البعث (اذا أراد شيأ) اذا أراد أن يكون البعث فيكون البعث (أن يقول له كن فيكون) قيام الساعة

أي فهو كائن موجود لا محالة فالحاصل ان المكونات بتخليقه وتكوينه ولكن عبر عن ايجاده بقوله كن من غير أن كان منه كاف ونون وانما هو بيان لسرعة الايجاد كانه يقول كما لا يثقل قول كن عليكم فكذا لا يثقل على الله ابتداء الخلق واعادتهم فيكون شامي وعلى عطف على يقول وأما الرفع فلانها جملة من مبتدأ وخبر لان تقديرها فهو يكون معطوفة على مثلها وهي أمره أن يقول له كن فيكون (فسبحان)

تنزيه مما وصفه به المشركون وتعجيب من ان يقولوا فيه ما قالوا (الذي بيده ملكوت كل شئ) أي ملك كل شئ وزيادة الواو والتاء للمبالغة يعني هو مالك كل شئ (واليه ترجعون) تعادون بعد الموت بلا فوت ترجعون يعقوب * قال عليه الصلاة والسلام ان لكل شئ قلبا وان قلب القرآن يس من قرأ يس يريد بها وجه الله غفر الله له وأعطي من الاجر كانما قرأ القرآن اثنتين وعشرين مرة * وقال عليه السلام من قرأ يس امام حاجته قضيت له وقال عليه السلام من قرأها ان كان جائعا اشبعه الله وان كان ظمآن ارواه الله وان كان عريانا البسه الله وان كان خائفا أمنه الله وان كان مستوحشا آنسه الله وان كان فقيرا أغناه الله وان كان في السجن أخرجه الله وان كان أسيرا خلصه الله وان كان ضالا هداه الله وان كان مديونا قضى الله دينه من خزائنه وتدعى الدافعة والقاضية تدفع عنه كل سوء وتقضي له كل حاجة والله أعلم

﴿ سورة والصافات ﴾ مكية وهي مائة واحدى أو اثنتان وثمانون آية

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(والصافات صفا

فهو يكون اي يحدث وهو تمثيل لتأثير قدرته في مراده بامر المطاع للمطيع في حصول المأمور من غير امتناع وتوقف وافتقار الى مزاولة عمل واستعمال آلة قطعا لمادة الشبهة وهو قياس قدرة الله تعالى على قدرة الخلق ونصبه ابن عامر والكسائي عطفا على يقول ﴿ فسبحان الذي بيده ملكوت كل شئ ﴾ تنزيه له عما ضربوا له وتعجيب عما قالوا فيه معللا بكونه مالكا للملك كله قادرا على كل شئ ﴿ واليه ترجعون ﴾ وعد ووعيد للمقرين والمنكرين وقرأ يعقوب بفتح التاء * وعن ابن عباس رضي الله عنهما كنت لا اعلم ما روى في فضل يس كيف خصت به فاذا انه لهذه الآية * وعنه عليه الصلاة والسلام ان لكل شئ قلبا وقلب القرآن يس من قرأها يريد بها وجه الله غفر له واعطي من الاجر كانما قرأ القرآن اثنين وعشرين مرة وايما مسلم قرئ عنده اذا نزل به ملك الموت يس نزل بكل حرف منها عشرة املاك يقومون بين يديه صفوفا يصلون عليه ويستغفرون له ويشهدون غسله ويتبعون جنازته ويصلون عليه ويشهدون دفنه وايما مسلم قرأ يس وهو في سكرات الموت لم يقبض ملك الموت روحه حتى يجيبه رضوان بشربة من الجنة يشربها وهو على فراشه فيقبض روحه وهو ريان ويمكث في قبره وهو ريان ولا يحتاج الى حوض من حياض الانبياء حتى يدخل الجنة وهو ريان

﴿ سورة الصافات مكية وآيها مائة واحدى او اثنتان وثمانون ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ والصافات صفا

﴿ فسبحان الذي بيده ملكوت كل شئ ﴾ أي هو مالك كل شئ والمتصرف فيه ﴿ واليه ترجعون ﴾ أي تردون بعد الموت والله أعلم

﴿ تفسير سورة والصافات وهي مكية وهي مائة ﴾

﴿ واثنتان وثمانون آية وثمانمائة وستون كلمة وثلاثة ﴾

﴿ آلاف وثمانمائة وستة وعشرون حرفا ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

* قوله عز وجل ﴿ والصافات صفا ﴾ قال ابن عباس هم الملائكة يصفون كصفوف

(فسبحان) نزه نفسه (الذي بيده ملكوت كل شئ) خزائن كل شئ وخلق كل شئ (واليه ترجعون) بعد الموت فيجزيكم بأعمالكم ﴿ ومن السورة التي يذكر فيها الصافات وهي كلها مكية آياتها مائة واحدى وثمانون وكلماتها ثمانمائة وستون وحروفها ثلاثة آلاف وثمانمائة وتسعة وعشرون ﴾ ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ وباسناده عن ابن عباس في قوله تعالى (والصفات صفا)

فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا) أقسم سبحانه وتعالى بطوائف الملائكة أو بنفوسهم الصافات أقدامها فى الصلاة فالزاجرات السحاب سوقا أو عن المعاصى بالالهام فالتاليات لكلام الله من الكتب المنزلة وغيرها وهو قول ابن عباس وابن مسعود ومجاهد أو بنفوس العلماء العمال الصافات أقدامها فى التهجد وسائر الصلوات فالزاجرات بالمواعظ والنصائح فالتاليات آيات الله والدارسات شرائعه أو بنفوس الغزاة فى سبيل الله التى تصف الصفوف وتزجر الخيل للجهاد وتتلو الذكر مع ذلك وصفا مصدر مؤكد وكذلك زجرا والفاء تدل على ترتيب الصفات فى التفاضل فتفيد الفضل للصف ثم الزجر ثم للتلاوة أو على العكس وجواب القسم (ان الهكم لواحد) قيل هو جواب قولهم أجعل الالهة الها واحدا (رب السموات والارض) خبر بعد خبر أو خبر مبتدأ محذوف أى هو رب (وما بينهما ورب المشارق) أى مطالع الشمس وهى ثلاثمائة وستون مشرقا وكذلك المغارب تشرق الشمس كل يوم فى مشرق منها وتغرب فى مغرب ولا تطلع ولا تغرب فى واحد يومين وأما رب المشرقين ورب المغربين فانه أراد مشرقى الصيف والشتاء ومغربيهما وأما رب

فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا ﴾ اقسم بالملائكة الصافين فى مقام العبودية على مراتب باعتبارها تفيض عليهم الانوار الالهية منتظرين لامر الله الزاجرين الاجرام العلوية والسفلية بالتدبير المأمور به فيها او الناس عن المعاصى بالهام الخير او الشياطين عن التعرض لهم التالين آيات الله وجلايا قدسه على انبيائه واوليائه او بطوائف الاجرام المرتبة كالصفوف المرصوصة والارواح المدبرة لها والجواهر القدسية المستغرقة فى بحار القدس يسبحون الليل والنهار لا يفترون او بنفوس العلماء الصافين فى العبادات الزاجرين عن الكفر والفسوق بالحجج والنصائح التالين آيات الله وشرائعه او بنفوس الغزاة الصافين فى الجهاد الزاجرين الخيل والعدو التالين ذكر الله لا يشغلهم عنه مبارزة العدو والعطف لاختلاف الذوات او الصفات والفاء لترتب الوجود كقوله

يالهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآئب

فان الصف كمال والزجر تكميل بالمنع عن الشر او الاساقة الى قبول الخير والتلاوة افاضة او الرتبة كقوله عليه الصلاة والسلام رحم الله المحلقين فالمقصرين غير انه لفضل المتقدم على المتأخر وهذا بالعكس وادغم ابو عمرو وحمزة التاآت فيما يليها لتقاربها فانها من طرف اللسان واصول الثنايا ﴿ ان الهكم لواحد ﴾ جواب للقسم والفائدة فيه تعظيم المقسم به وتأكيد المقسم عليه على ما هو المألوف فى كلامهم واما تحقيقه فبقوله تعالى ﴿ رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق ﴾ فان وجودها وانتظامها على الوجه

الخلق فى الدنيا للصلاة (م) عن جابر بن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربهم قلنا وكيف تصف الملائكة عند ربهم قال يتمون الصفوف المتقدمة ويتراصون فى الصف لفظ أبى داود وقيل هم الملائكة تصف أجنحتها فى الهواء واقفة حتى يأمرها الله تعالى بما يريد وقيل أراد بالصافات الطير تصف أجنحتها فى الهواء ﴿ فالزاجرات زجرا ﴾ يعنى الملائكة تزجر السحاب وتسوقه وقيل هى زواجر القرآن تنهى وتزجر عن القبيح ﴿ فالتاليات ذكرا ﴾ يعنى الملائكة يتلون ذكر الله تعالى وقيل هم قراء القرآن وهذا كله قسم أقسم الله عز وجل بهذه الاشياء وقيل فيه اضمار تقديره ورب الصافات والزاجرات والتاليات وجواب القسم قوله تعالى ﴿ ان الهكم لواحد ﴾ وذلك ان كفار مكة قالوا أجعل الآلهة الها واحدا فاقسم الله تعالى بهذه الاشياء ان الهكم لواحد وانما أقسم بهذه الاشياء للتنبيه على شرف ذواتها وكمال مراتبها والرد على عبدة الاصنام فى قولهم ثم وصف نفسه فقال تعالى ﴿ رب السموات والارض وما بينهما ﴾ يعنى أنه المالك القادر العالم المنزه عن الشريك ﴿ وقوله ﴿ ورب المشارق ﴾ قيل أراد والمغارب فاكتفى

اقسم الله بالملائكة الذين فى السماء صفوفا كصفوف المؤمنين فى الصلاة (فالزاجرات زجرا) اقسم بالملائكة الذين يزجرون السحاب ويؤلفونه (فالتاليات ذكرا) (قا و خا ٢٩ مس) اقسم بالملائكة قرأة الكتاب ويقال اقسم بقرأة القرآن (ان الهكم لواحد) بلا ولد ولا شريك ولهذا كان القسم ان الهكم يا أهل مكة لواحد بلا ولد ولا شريك (رب السموات والارض) خالق السموات والارض (وما بينهما) من الخلائق والعجائب (ورب المشارق)

الا كمل مع امكان غيره دليل على وجود الصانع الحكيم ووحدته على مامر غيرمرة ورب بدل من واحد او خبر ثان او خبر محذوف ومابينهما يتناول افعال العباد فيدل على انها من خلقه والمشارق مشارق الكواكب او مشارق الشمس فى السنة وهى ثلثمائة وستون تشرق كل يوم فى واحد وبحسبها تختلف المغارب ولذلك اكتفى بذكرها مع ان الشروق ادل على القدرة وابلغ فى النعمة وماقيل انها مائة وثمانون انما يصح لولم تختلف اوقات الانتقال ﴿ انا زينا السماء الدنيا ﴾ القربى منكم ﴿ بزينة الكواكب ﴾ بزينة هى الكواكب والاضافة للبيان ويعضده قراءة حمزة ويعقوب وحفص بتنوين زينة وجر الكواكب على ابداله منه او بزينة هى لها كاضوائها واوضاعها او بان زينا الكواكب فيها على اضافة المصدر الى المفعول فانها كما جاءت اسما كالليقة جاءت مصدر كالنسبة ويؤيده قراءة ابى بكر بالتنوين والنصب على الاصل او بان زينها الكواكب على اضافته الى الفاعل وركوز الثوابت فى الكرة الثامنة وماعدا القمر من السيارات فى الست المتوسطة بينها وبين السماء الدنيا ان تحقق لم يقدح فى ذلك فان اهل الارض يرونها باسرها كجواهر مشرقة متلألئة على سطحها الازرق باشكال مختلفة ﴿ وحفظا ﴾ منصوب باضمار فعله او العطف على زينة باعتبار المعنى كأنه قال انا خلقنا الكواكب زينة للسماء وحفظا ﴿ من كل شيطان مارد ﴾ خارج من الطاعة برمى الشهب ﴿ لا يسمعون

باحدهما قال السدى المشارق ثلثمائة وستون مشرقا وكذلك المغارب فان الشمس تطلع كل يوم فى مشرق وتغرب فى مغرب * فان قلت قد قال فى موضع آخر رب المشرقين ورب المغربين وقال رب المشرق والمغرب فكيف وجه الجمع بين هذه الآيات * قلت أراد بالمشرق والمغرب الجهة التى تطلع فيها الشمس وتغرب وأراد بالمشرقين مشرق الصيف ومشرق الشتاء وبالمغربين مغرب الصيف ومغرب الشتاء وبالمشارق والمغارب ماتقدم من قول السدى وقيل كل موضع شرقت عليه الشمس فهو مشرق وكل موضع غربت عليه فهو مغرب وقيل أراد مشارق الكواكب * قوله تعالى (انا زينا السماء الدنيا) يعنى التى تلى الارض وهى ادنى السموات الى الارض (بزينة الكواكب) قال ابن عباس بضوء الكواكب لان الضوء والنور من احسن الصفات واكملها ولولم تحصل هذه الكواكب فى السماء لكانت شديدة الظلمة عند غروب الشمس وقيل زينتها اشكالها المتناسبة والمختلفة فى الشكل كشكل الجوزاء وبنات نعش وغيرها وقيل ان الانسان اذا نظر فى الليلة المظلمة الى السماء ورأى هذه الكواكب الزواهر مشرقة متلألئة على سطح أزرق نظر غاية الزينة ﴿ وحفظا من كل شيطان مارد ﴾ أى وحفظنا السماء من كل شيطان متمرد عات يرمون بالشهب ﴿ لا يسمعون

المشرق والمغرب فانه أراد به الجهة فالمشرق جهة والمغرب جهة (انا زينا السماء الدنيا) القربى منكم تأنيث الادنى (بزينة الكواكب) حفص وحمزة على البدل من الزينة والمعنى انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب أبو بكر على البدل من محل بزينة أو على اضمار أعنى أو على اعمال المصدر منونا فى المفعول بزينة الكواكب غيرهم باضافة المصدر الى الفاعل اى بان زانتها الكواكب وأصله بزينة الكواكب أو على اضافته الى المفعول أى بان زان الله الكواكب وحسنها لانها انما زينت السماء لحسنها فى أنفسها وأصله بزينة الكواكب لقراءة أبى بكر (وحفظا) محمول على المعنى لان المعنى انا خلقنا الكواكب زينة للسماء وحفظا من الشياطين كما قال ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين أو الفعل المعلل مقدر كانه قيل وحفظا من كل شيطان زيناها بالكواكب أو معناه حفظناها حفظا (من كل شيطان مارد) خارج من الطاعة والضمير فى (لا يسمعون) لكل شيطان لانه فى معنى الشياطين يسمعون كوفى غير أبى بكر وأصله يتسمعون والتسمع تطلب السماع يقال تسمع فسمع أو فلم يسمع وينبغى ان يكون

مشارق الشتاء والصيف (انا زينا السماء الدنيا) الاولى (بزينة الكواكب) يقول زينت بالكواكب (وحفظا) (الى) يقول حفظت بالنجوم (من كل شيطان مارد) متمرد شديد (لا يسمعون) لكى لا يسمعوا

كلاما منقطعا مبتدأ اقتصاصا لما عليه حال المسترقة للسمع وأنهم لا يقدرون أن يسمعوا الى كلام الملائكة أو يتسمعوا وقيل أصله لئلا يسمعوا فحذفت اللام كما حذفت في جئتك أن تكرمني فبقي أن لا يسمعوا فحذفت ان واهدر عملها كما في قوله ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى، وفيه القرآن عن مثله فان كل واحد من الحرفين غير مردود على انفراده ولكن اجتماعهما منكر والفرق بين سمعت فلانا يتحدث وسمعت اليه يتحدث وسمعت حديثه والى حديثه أن المعدى بنفسه يفيد الادراك والمعدى بالى يفيد الاصغاء مع الادراك (الى الملأ الاعلى) أى الملائكة لانهم يسكنون السموات والانس والجن هم الملأ الاسفل لانهم سكان الارض (ويقذفون) يرمون بالشهب (من كل جانب) من جميع جوانب السماء من أى جهة صعدوا للاستراق (دحورا) مفعول له أى ويقذفون للدحور وهو الطرد او مدحورين على الحال أولان القذف والطرد متقاربان في المعنى فكأنه قيل يدحرون أو قذفا (ولهم عذاب واصب) دائم من الوصوب أى انهم في الدنيا مرجومون بالشهب وقد أعد لهم في الآخرة نوع من العذاب دائم غير منقطع ومن في (الامن) في محل الرفع بدل من الواو في لا يسمعون أى لا يسمع الشياطين الا الشيطان الذى (خطف الخطفة) أى سلب السلبة يعنى أخذ شيأ من كلامهم بسرعة (فأتبعه) لحقه (شهاب) أى نجم

الى الملأ الاعلى ﴾ كلام مبتدأ لبيان حالهم بعد ما حفظ السماء عنهم ولا يجوز جعله صفة لكل شيطان فانه يقتضي ان يكون الحفظ من شياطين لا يسمعون ولا علة للحفظ على حذف اللام كما في جئتك ان تكرمني ثم حذف ان واهدارها كقوله

الا ايهذا الزاجري احضر الوغى

فان اجتماع ذلك منكر والضمير لكل باعتبار المعنى وتعدية السماع بالى لتضمنه معنى الاصغاء مبالغة لنفيه وتهويلا لما يمنعهم عنه ويدل عليه قراءة حمزة والكسائي و حفص بالتشديد من التسمع وهو تطلب السماع والملأ الاعلى الملائكة او اشرافهم ﴿ ويقذفون ﴾ ويرمون ﴿ من كل جانب ﴾ من جوانب السماء اذا قصدوا صعوده ﴿ دحورا ﴾ علة اى للدحور وهو الطرد او مصدر لانه والقذف متقاربان او حال بمعنى مدحورين او منزوع عنه الباء جمع دحر وهو ما يطرد به ويقويه القراءة بالفتح وهو يحتمل ايضا ان يكون مصدرا كالقبول او صفة له اى قذفا دحورا ﴿ ولهم عذاب ﴾ اى عذاب آخر ﴿ واصب ﴾ دائم وشديد وهو عذاب الآخرة ﴿ الا من خطف الخطفة ﴾ استثناء من واو يسمعون ومن بدل منه والخطف الاختلاس والمراد اختلاس كلام الملائكة مسارقة ولذلك عرف الخطفة وقرئ خطف بالتشديد مفتوح الخاء ومكسورها واصلهما اختطف ﴿ فاتبعه شهاب ﴾ اتبع بمعنى تبع والشهاب ما يرى كأن كوكبا انقض وما قيل من انه بخار يصعد الى الاثير فيشتعل فتخمين ان صح لم يناف ذلك اذ ليس فيه ما يدل على انه ينقض من الفلك ولا في قوله تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين فان كل نير يحصل في الجو العالي فهو مصباح لاهل الارض وزينة للسماء من حيث انه يرى كأنه على سطحها ولا يبعد ان يصير الحادث كما ذكر في بعض الاوقات رجما للشياطين تتصعد الى قرب الفلك للتسمع وما روى ان ذلك حدث بميلاد النبي عليه الصلاة والسلام ان صح فلعل المراد كثرة وقوعه او مصيره دحورا واختلف في ان المرجوم يتأذى به فيرجع او يحترق به لكن قد يصيب الصاعد مرة وقد لا يصيب كالموج لراكب السفينة ولذلك لا يرتدعون عنه رأسا ولا يقال ان

الى الملأ الاعلى ﴾ يعنى الى الملائكة والكتبة لانهم سكان السماء وذلك ان الشياطين يصعدون الى قرب السماء فربما سمعوا كلام الملائكة فيخبرون به اولياءهم الانس ويوهمون بذلك انهم يعلمون الغيب فمنعهم الله من ذلك بهذه الشهب وهو قوله تعالى ﴿ ويقذفون ﴾ اى يرمون بها ﴿ من كل جانب ﴾ أى من آفاق السماء ﴿ دحورا ﴾ أى يبعدونهم عن مجالس الملائكة ﴿ ولهم عذاب واصب ﴾ أى دائم ﴿ الا من خطف الخطفة ﴾ أى اختلس الكلمة من كلام الملائكة ﴿ فاتبعه ﴾ أى لحقه ﴿ شهاب

(الى الملأ الاعلى) الى كلام الملائكة يعنى الحفظة فيما يكون بينهم (ويقذفون من كل جانب) يرمون من كل ناحية يصعدون اليها (دحورا) يدحرون عن السماء واستماع كلام الملائكة (ولهم عذاب واصب) دائم بالنجوم ويقال في النار (الامن خطف الخطفة) الامن اختلس خلسة واستمع استماعا الى كلام الملائكة (فأتبعه شهاب

الشيطان من النار فلا يحترق لانه ليس من النار الصرف كما ان الانسان ليس من التراب الخالص مع ان النار القوية اذا استولت على الضعيفة استهلكتها ﴿ ثاقب ﴾ مضئ كأنه يثقب الجو بضوئه ﴿ فاستفتهم ﴾ فاستخبرهم والضمير لمشركى مكة او لبنى آدم ﴿ أهم اشد خلقا أم من خلقنا ﴾ يعنى ما ذكر من الملائكة والسماء والارض وما بينهما والمشارق والكواكب والشهب الثواقب ومن لتغليب العقلاء ويدل عليه اطلاقه ومجيئه بعد ذلك وقراءة من قرأ أم من عددنا وقوله تعالى ﴿ انا خلقناهم من طين لازب ﴾ فانه الفارق بينهم وبينها لا بينهم وبين من قبلهم كعاد وثمود ولان المراد اثبات المعاد ورد استحالتهم والامر فيه بالاضافة اليهم والى من قبلهم سواء وتقريره ان استحالة ذلك اما لعدم قابلية المادة ومادتهم الاصلية هى الطين اللازب الحاصل من ضم الجزء المائى الى الجزء الارضى وهما باقيان قابلان للانضمام بعد وقد علموا ان الانسان الاول انما تولد منه اما لاعترافهم بحدوث العالم او بقصة آدم وشاهدوا تولد كثير من الحيوانات منه بلا توسط مواقعة فلزمهم ان يجوزوا اعادتهم لذلك واما لعدم قدرة الفاعل فان من قدر على خلق هذه الاشياء قدر على خلق ما لا يعتد به بالاضافة اليها سيما ومن ذلك بدأهم اولا وقدرته ذاتية لا تتغير ﴿ بل عجبت ﴾ من قدرة الله وانكارهم البعث

ثاقب ﴾ أى كوكب مضئ قوى لا يخطئه بل يقتله ويحرقه أو يخبله وقيل سمى النجم الذى ترمى به الشياطين ثاقبا لانه يثقبهم * فان قلت كيف يمكن أن تذهب الشياطين الى حيث يعلمون ان الشهب تحرقهم ولا يصلون الى مقصودهم ثم يعودون الى مثل ذلك * قلت انما يعودون الى استراق السمع مع علمهم انهم لا يصلون اليه طمعا فى السلامة ورجاء نيل المقصود كراكب البحر يغلب على ظنه حصول السلامة * وقوله عز وجل ﴿ فاستفتهم ﴾ يعنى سل أهل مكة ﴿ أهم أشد خلقا أم من خلقنا ﴾ يعنى من السموات والارض والجبال وهو استفهام تقرير اى هذه الاشياء أشد خلقا وقيل أم من خلقنا يعنى من الامم الخالية والمعنى ان هؤلاء ليسوا باحكم خلقا من غيرهم من الامم وقد أهلكناهم بذنوبهم فما الذى يؤمن هؤلاء من العذاب ثم ذكر مما خلقوا فقال تعالى ﴿ انا خلقناهم من طين لازب ﴾ يعنى آدم من طين جيد حر لاصق لزج يعلق باليد وقيل من طين نتن ﴿ بل عجبت ﴾ قرئ بالضم على اسناد التعجب الى الله تعالى وليس هو كالتعجب من الآدميين لان العجب من الناس محمول على انكار الشئ وتعظيمه والعجب من الله تعالى محمول على تعظيم تلك الحالة فان كانت قبيحة فيترتب عليها العقاب وان كانت حسنة فيترتب عليها الثواب وقيل قد يكون بمعنى الانكار والذم وقد يكون بمعنى الاستحسان والرضا كما جاء فى الحديث عجب ربكم من شاب ليست له صبوة وفى حديث آخر عجب ربكم من الكم وقنوطكم وسرعة اجابته اياكم * وقوله من الكم الال أشد القنوط وقيل هو رفع الصوت بالبكاء وسئل الجنيد رحمه الله تعالى عن هذه الآية فقال ان الله لا يعجب من شئ ولكن وافق رسوله ولما عجب رسوله قال وان تعجب فعجب قولهم أى هو كما تقوله وقرئ بفتح التاء على أنه خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم أى عجبت من تكذيبهم اياك وهم يسخرون من تعجبك وقيل عجب نبى الله صلى الله عليه وسلم

رجم (ثاقب) مضئ (فاستفتهم) فاستخبر كفار مكة (أهم أشد خلقا) أى أقوى خلقا من قولهم شديد الخلق وفى خلقه شدة او اصعب خلقا وأشقه على معنى الرد لانكارهم البعث وان من هان عليه خلق هذه الخلائق العظيمة ولم يصعب عليه اختراعها كان خلق البشر عليه أهون (أم من خلقنا) يريد ما ذكر من خلائقه من الملائكة والسموات والارض وما بينهما وجئ بمن تغليبا للعقلاء على غيرهم ويدل عليه قراءة من قرأ أم من عددنا بالتشديد والتخفيف (انا خلقناهم من طين لازب) لاصق أو لازم وقرئ به وهذا شهادة عليهم بالضعف لان ما يصنع من الطين غير موصوف بالصلابة والقوة أو احتجاج عليهم بان الطين اللازب الذى خلقوا منه تراب فمن أين استنكروا أن يخلقوا من تراب مثله حيث قالوا أئذا كنا ترابا وهذا المعنى يعضده ما يتلوه من ذكر انكارهم البعث (بل عجبت) من تكذيبهم

ثاقب) يلحقه نجم مضئ يحرقه (فاستفتهم) سل أهل مكة (أهم أشد خلقا) بعثا (أمن خلقنا) قبلهم من الملائكة وسائر الخلق (انا خلقناهم من طين) من آدم وآدم من طين (لازب) لاصق (بل عجبت) يا محمد من تكذيبهم (من)

اياك (ويسخرون) هم منك ومن تجبك أو عجبت من انكارهم البعث وهم يسخرون من أمر البعث بل عجبت حمزة وعلى أى استفظمت والعجب روعة تعترى الانسان عند استعظام الشئ فجرد لمعنى الاستعظام فى حقه تعالى لانه لايجوز عليه الروعة أو معناه قل يا محمد بل عجبت (واذا ذكروا لايذكرون) ودأبهم انهم اذا وعظوا بشئ لا يتعظون به (واذا رأوا آية) معجزة كانشقاق القمر ونحوه (يستسخرون) يستدعى بعضهم بعضا ان يسخر منها أو يبالغون فى السخرية (وقالوا ان هذا) ماهذا (الا سحر مبين) ظاهر (أئذا) استفهام انكار (متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا المبعوثون) اى انبعث اذا كنا ترابا وعظاما (أو آباؤنا) معطوف على محل ان واسمها أو على الضمير فى مبعوثون والمعنى أيبعث أيضا آباؤنا على زيادة الاستبعاد يعنون هم اقدم فبعثهم أبعد وأبطل أو آباؤنا بسكون الواو مدنى وشامى أى أيبعث واحدنا على المبالغة فى الانكار (الاولون) الاقدمون (قل نعم) تبعثون نعم على وهما لغتان (وأنتم داخرون) صاغرون (فانما هى) جواب شرط مقدر تقديره اذا كان كذلك فماهى الا (زجرة واحدة) وهى لاترجع الى شئ انما هى مبهمة موضحها خبرها

اياك (ويسخرون) بك وبكتابك (واذا ذكروا) وعظوا بالقرآن (لايذكرون) لايتعظون (واذا رأوا) أهل مكة (آية) علامة مثل انشقاق القمر وكسوف الشمس (يستسخرون) يهزؤن بها (وقالوا ان هذا) ماهذا الذى أتانا به محمد عليه السلام (الا سحر مبين) كذب بين (أئذا متنا وكنا) صرنا (ترابا وعظاما) بالية (أئنا المبعوثون) لمحيون بعد الموت قل لهم يا محمد نعم قالوا (أو آباؤنا الاولون) الاقدمون مثلنا (قل نعم وأنتم) وهم (داخرون) صاغرون ذليلون (فانما هى زجرة واحدة) نفخة واحدة وهى

﴿ويسخرون﴾ من تجبك وتقريرك للبعث وقرأ حمزة والكسائى بضم التاء اى بلغ كمال قدرتى وكثرة خلائقى انى تجبت منها وهؤلاء لجهلهم يسخرون منها او عجبت من ان ينكر البعث ممن هذه افعاله وهم يسخرون ممن يجوزه والتعجب من الله اما على الفرض والتخييل او على معنى الاستعظام اللازم له فانه روعة تعترى الانسان عند استعظامه الشئ وقيل انه مقدر بالقول اى قل يا محمد بل عجبت ﴿واذا ذكروا لايذكرون﴾ واذا وعظوا بشئ لايتعظون به او اذا ذكر لهم مايدل على صحة الحشر لاينتفعون به لبلادتهم وقلة فكرهم ﴿واذا رأوا آية﴾ معجزة تدل على صدق القائل به ﴿يستسخرون﴾ يبالغون فى السخرية ويقولون انه سحر او يستدعى بعضهم من بعض ان يسخر منها ﴿وقالوا ان هذا﴾ يعنون مايرونه ﴿الا سحر مبين﴾ ظاهر سحريته ﴿أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون﴾ اصله انبعث اذا متنا فبدلوا الفعلية بالاسمية وقدموا الظرف وكرروا الهمزة مبالغة فى الانكار واشعارا بان البعث مستنكر فى نفسه وفى هذه الحالة اشد استنكارا فهو ابلغ من قراءة ابن عامر بطرح الهمزة الاولى وقراءة نافع والكسائى ويعقوب بطرح الثانية ﴿او آباؤنا الاولون﴾ عطف على محل ان واسمها او على الضمير فى مبعوثون فانه مفصول منه بهمزة الاستفهام لزيادة الاستبعاد لبعد زمانهم وسكن نافع برواية قالون وابن عامر الواو على معنى الترديد ﴿قل نعم وانتم داخرون﴾ صاغرون وانما اكتفى به فى الجواب لسبق مايدل على جوازه وقيام المعجزة على صدق المخبر عن وقوعه وقرئ قال اى الله او الرسول وقرأ الكسائى وحده نعم بالكسر وهو لغة فيه ﴿فانما هى زجرة واحدة﴾ جواب شرط مقدر اى اذا كان ذلك فانما البعثة زجرة اى صيحة واحدة هى النفخة الثانية من زجر الراعى غنمه اذا صاح عليها وامرها فى الاعادة كامر كن فى الابداء ولذلك

من هذا القرآن حين أنزل وضلال بنى آدم وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يظن ان كل من يسمع القرآن يؤمن به فلما سمع المشركون القرآن وسخروا منه ولم يؤمنوا به عجب من ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فقال الله تعالى بل عجبت ﴿ويسخرون واذا ذكروا لايذكرون﴾ أى واذا وعظوا لايتعظون (واذا رأوا آية) قال ابن عباس يعنى انشقاق القمر ﴿يستسخرون﴾ أى يستهزؤن وقيل يستدعى بعضهم بعضا الى أن يسخر ﴿وقالوا ان هذا الا سحر مبين﴾ أى بين ﴿أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون﴾ أو آباؤنا الاولون قل نعم وأنتم داخرون ﴾ اى صاغرون ﴿فانما هى زجرة واحدة﴾ اى صيحة واحدة وهى نفخة البعث

ويجوز فانما البعثة زجرة واحدة وهى النفخة الثانية والزجرة الصيحة من قولك زجر الراعى الابل أو الغنم اذا صاح عليها (فاذاهم)أحياء بصراء (ينظرون)الى سوء أعمالهم أو ينتظرون مايحل بهم (وقالوا ياويلنا)الويل كلمة يقولها القائل وقت الهلكة (هذا يوم الدين)أى اليوم الذى ندان فيه أى نجازى باعمالنا (هذا يوم الفصل)يوم القضاء والفرق بين فرق الهدى والضلال(الذى كنتم به تكذبون) ثم يحتمل أن يكون هذا يوم الدين الى قوله احشروا من كلام الكفرة بعضهم مع بعض وأن يكون من كلام الملائكة لهم وان يكون ياويلنا هذا يوم الدين من كلام الكفرة وهذا يوم الفصل من كلام الملائكة جوابا لهم (احشروا) خطاب الله للملائكة (الذين ظلموا) كفروا (وأزواجهم) أى وأشباههم وقرناءهم من الشياطين اونساءهم الكافرات والواو بمعنى مع وقيل للعطف وقرئ بالرفع عطفا على الضمير فى ظلموا (وما كانوا يعبدون من دون الله) أى الاصنام (فاهدوهم) دلوهم عن الاصمعى هديته فى الدين هدى وفى الطريق هداية (الى صراط الجحيم) طريق النار (وقفوهم) احبسوهم (انهم مسؤلون) عن أقوالهم وأفعالهم

رتب عليها ﴿فاذاهم ينظرون ﴾فاذاهم قيام من مراقدهم احياء يبصرون او ينتظرون مايفعل بهم ﴿ وقالوا ياويلنا هذا يوم الدين ﴾ اليوم الذى نجازى باعمالنا وقدتم به كلامهم وقوله ﴿ هذا يوم الفصل الذى كنتم به تكذبون ﴾ جواب الملائكة وقيل هو ايضا من كلام بعضهم لبعض والفصل القضاء اوالفرق بين المحسن والمسئ ﴿ احشروا الذين ظلموا ﴾ امر الله للملائكة اوامر بعضهم لبعض بحشر الظلمة من مقامهم الى الموقف وقيل منه الى الجحيم ﴿ وازواجهم ﴾ واشباههم عابد الصنم مع عبدة الصنم وعابد الكوكب مع عبدته كقوله تعالى وكنتم ازواجا ثلاثة او نساءهم اللاتى على دينهم او قرناءهم من الشياطين ﴿ وما كانوا يعبدون من دون الله ﴾ من الاصنام وغيرها زيادة فى تحسيرهم وتخجيلهم وهو عام مخصوص بقوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية وفيه دليل على ان الذين ظلموا هم المشركون ﴿ فاهدوهم الى صراط الجحيم ﴾ فعرفوهم طريقها ليسلكوها ﴿ وقفوهم ﴾ احبسوهم فى الموقف ﴿ انهم مسؤلون ﴾ عن عقائدهم واعمالهم

﴿ فاذاهم ينظرون ﴾ يعنى احياء ﴿ وقالو ياويلنا هذا يوم الدين ﴾ يعنى يوم الحساب والجزاء ﴿ هذا يوم الفصل ﴾ اى القضاء وقيل بين المحسن والمسئ ﴿ الذى كنتم به تكذبون ﴾ أى فى الدنيا ﴿ احشروا ﴾ أى أجمعوا ﴿ الذين ظلموا ﴾ أى أشركوا وقيل هو عام فى كل ظالم ﴿ وأزواجهم ﴾ أى أشباههم وأمثالهم فكل طائفة مع مثلها فاهل الخمر مع أهل الخمر وأهل الزنا مع اهل الزنا وقيل أزواجهم أى قرناءهم من الشياطين يقرن كل كافر مع شيطانه فى سلسلة وقيل أزواجهم المشركات ﴿ وما كانوا يعبدون من دون الله ﴾ أى فى الدنيا يعنى الاصنام والطواغيت وقيل ابليس وجنوده ﴿ فاهدوهم الى صراط الجحيم ﴾ قال ابن عباس اى دلوهم الى طريق النار ﴿ وقفوهم ﴾ أى احبسوهم ﴿ انهم مسؤلون ﴾ لما سيقوا الى النار حبسوا عند الصراط للسؤال قال ابن عباس عن جميع أقوالهم وأفعالهم ويروى عنه عن لا اله الا الله وروى عن أبى برزة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسئل عن أربع عن عمره فيما أفناه وعن علمه ماذا عمل به وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه وعن جسمه فيما ابلاه وفى رواية عن شبابه فيما أبلاه أخرجه الترمذى وله عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مامن داع دعا الى شئ الا كان موقوفا يوم القيامة لازما به لايفارقه وان دعا

نفخة البعث (فاذاهم) قيام من القبور (ينظرون) ماذا يؤمرون به (وقالوا) اذا قاموا من القبور (ياويلنا هذا يوم الدين) يوم الحساب فتقول لهم الملائكة (هذا يوم الفصل) يوم القضاء بينكم وبين المؤمنين (الذى كنتم به)فى الدنيا (تكذبون) انه لايكون فيقول الله للملائكة (رجل) (احشروا الذين ظلموا)أشركوا (وأزواجهم)قرناءهم وضرباءهم من الجن والانس والشياطين (وماكانوا يعبدون من دون الله) من الاصنام (فاهدوهم) فاذهبوا بهم (الى صراط الجحيم) الى وسط النار يقول الله للملائكة (وقفوهم) احبسوهم على النار (انهم مسئولون) عن هذا القول

(ما لكم لاتناصرون) أى لاينصر بعضكم بعضا وهذا توبيخ لهم بالعجز عن التناصر بعد ما كانوا متناصرين فى الدنيا وقيل هو جواب لابى جهل حيث قال يوم بدر نحن جميع منتصر وهو فى موضع النصب على الحال أى مالكم غير متناصرين (بل هم اليوم مستسلمون) منقادون أو قد أسلم بعضهم بعضا وخذله عن عجز فكلهم مستسلم غير منتصر (وأقبل بعضهم على بعض) أى التابع على المتبوع (يتساءلون) يتخاصمون (قالوا) أى الاتباع للمتبوعين (انكم كنتم تأتوننا عن اليمين) عن القوة والقهر اذ اليمين موصوفة بالقوة وبها يقع البطش أى انكم تحملوننا على الضلال وتقسروننا عليه (قالوا) أى الرؤساء (بل لم تكونوا مؤمنين) أى بل أبيتم أنتم الايمان وأعرضتم عنه مع تمكنكم منه مختارين له على الكفر غير ملجئين (وما كان لنا عليكم من سلطان) تسلط نسلبكم به تمكنكم واختياركم (بل كنتم قوما طاغين) بل كنتم قوما مختارين الطغيان (فحق علينا) فلزمنا جميعا (قول ربنا انا لذائقون) يعنى وعيد الله بانا لذائقون لعذابه لامحالة لعلمه بحالنا ولو حكى الوعيد كما هو لقال انكم لذائقون ولكنه عدل به الى لفظ المتكلم لانهم متكلمون بذلك عن أنفسهم ونحوه قوله * فقد زعمت هوازن قل مالى * ولو حكى قولها لقال قل مالك

والواو لاتوجب الترتيب مع جواز ان يكون موقفه ﴿ مالكم لاتناصرون ﴾ لاينصر بعضكم بعضا بالتخليص وهو توبيخ وتقريع ﴿ بل هم اليوم مستسلمون ﴾ منقادون لعجزهم وانسداد الحيل عليهم واصل الاستسلام طلب السلامة اومتسالمون كأنه يسلم بعضهم بعضا ويخذله ﴿ واقبل بعضهم على بعض ﴾ يعنى الرؤساء والاتباع او الكفرة والقرناء ﴿ يتساءلون ﴾ يسأل بعضهم بعضا للتوبيخ ولذلك فسر بيتخاصمون ﴿ قالوا انكم كنتم تأتوننا عن اليمين ﴾ عن اقوى الوجوه وايمنها اوعن الدين او عن الخير كأنكم تنفعوننا نفع السانح فتبعناكم وهلكنا مستعار من يمين الانسان الذى هو اقوى الجانبين واشرفهما وانفعهما ولذلك سمى يمينا وتيمن بالسانح اوعن القوة والقهر فتقسروننا على الضلال اوعن الحلف فانهم كانوا يحلفون لهم انهم على الحق ﴿ قالوا بل لم تكونوا مؤمنين وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوما طاغين ﴾ اجابهم الرؤساء اولا بمنع اضلالهم بانهم كانوا ضالين فى انفسهم وثانيا بانهم ما اجبروهم على الكفر اذ لم يكن لهم عليهم تسلط وانما جنحوا اليه لانهم كانوا قوما مختارين الطغيان ﴿ فحق علينا قول ربنا انا لذائقون ﴾

رجل رجلا ثم قرأ وقفوهم انهم مسؤلون ﴿ مالكم لاتناصرون ﴾ اى تقول لهم خزنة جهنم توبيخا مالكم لاينصر بعضكم بعضا وهذا جواب لابى جهل حيث قال يوم بدر نحن جميع منتصر قال الله تعالى ﴿ بل هم اليوم مستسلمون ﴾ قال ابن عباس خاضعون وقيل منقادون والمعنى هم اليوم أذلاء منقادون لاحيلة لهم ﴿ وأقبل بعضهم على بعض ﴾ يعنى الرؤساء والاتباع ﴿ يتساءلون ﴾ أى يتخاصمون ﴿ قالوا ﴾ يعنى الرؤساء للاتباع ﴿ انكم كنتم تأتوننا عن اليمين ﴾ أى من قبل الدين فتضلوننا وتروننا ان الدين ما تضلوننا به وقيل كان الرؤساء يحلفون لهم ان الدين الذى يدعونهم اليه هو الحق والمعنى انكم حلفتم لنا فوثقنا بايمانكم وقيل عن اليمين أى عن العزة والقدرة والقول الاول أصح ﴿ قالوا ﴾ يعنى الرؤساء للاتباع ﴿ بل لم تكونوا مؤمنين ﴾ أى لم تكونوا على حق حتى نضلكم عنه بل كنتم على الكفر ﴿ وما كان لنا عليكم من سلطان ﴾ أى من قوة وقدرة فنقهركم على متابعتنا ﴿ بل كنتم قوما طاغين ﴾ أى ضالين ﴿ فحق علينا ﴾ أى وجب علينا جميعا ﴿ قول ربنا ﴾ يعنى كلمة العذاب وهى قوله تعالى لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ﴿ انا لذائقون ﴾

(مالكم لا تناصرون) لاتمنعون من عذاب الله ولا يمنع بعضكم بعضا ويقال انهم مسئولون عن تركهم لا اله الا الله (بل هم اليوم) وهو يوم القيامة (مستسلمون) استسلم العابد والمعبود لله وعلموا ان الحق لله (وأقبل بعضهم على بعض) الانس على الشياطين والسفلة على القادة (يتساءلون) يتلاومون ويتخاصمون (قالوا) يعنى الانس للشياطين (انكم كنتم تأتوننا عن اليمين) تغووننا عن الدين (قالوا) يعنى الشياطين للانس (بل لم تكونوا مؤمنين) بالله (وما كان لنا عليكم من سلطان) من عذر وحجة نأخذكم بها (بل كنتم قوما طاغين) كافرين بالله (فحق علينا) فوجب علينا (قول ربنا) بالسخط والعذاب (انا لذائقون) العذاب فى النار

(فاغوينا كم) فدعونا كم الى الغى (انا كنا غاوين) فاردنا اغواءكم لتكونوا أمثالنا (فانهم) فان الاتباع والمتبوعين جميعا (يومئذ) يوم القيامة (فى العذاب مشتركون) كما كانوا مشتركين فى الغواية (انا كذلك نفعل بالمجرمين) أى بالمشركين انا مثل ذلك الفعل نفعل بكل مجرم (انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون) انهم كانوا اذا سمعوا بكلمة التوحيد استكبروا وأبوا الا الشرك (ويقولون أئنا) بهمزتين شامى و كوفى (لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون) يعنون محمدا عليه السلام (بل جاء بالحق) رد على المشركين (وصدق المرسلين) كقوله مصدقا لما بين يديه (انكم لذائقوا العذاب الاليم وما تجزون الا ما كنتم تعملون) بلا زيادة (الا عباد الله المخلصين) بفتح اللام كوفى ومدنى وكذا ما بعده أى لكن عباد الله على الاستثناء المنقطع (أولئك لهم رزق معلوم فواكه) فسر الرزق

فاغوينا كم انا كنا غاوين ﴾ ثم بينوا ان ضلال الفريقين ووقوعهم فى العذاب كان امرا مقضيا لا محيص لهم عنه وان غاية ما فعلوا بهم انهم دعوهم الى الغى لانهم كانوا على الغى فاحبوا ان يكونوا مثلهم وفيه ايماء بان غوايتهم فى الحقيقة ليست من قبلهم اذ لو كان كل غواية لاغواء غاو فمن اغواهم ﴿ فانهم ﴾ فان الاتباع والمتبوعين ﴿ يومئذ فى العذاب مشتركون ﴾ كما كانوا مشتركين فى الغواية ﴿ انا كذلك ﴾ مثل ذلك الفعل ﴿ نفعل بالمجرمين ﴾ بالمشركين لقوله تعالى ﴿ انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون ﴾ اى عن كلمة التوحيد اوعلى من يدعوهم اليها ﴿ ويقولون ائنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون ﴾ يعنون محمدا عليه السلام ﴿ بل جاء بالحق وصدق المرسلين ﴾ رد عليهم بان ما جاء به من التوحيد حق قام به البرهان وتطابق عليه المرسلون ﴿ انكم لذائقوا العذاب الاليم ﴾ بالاشراك وتكذيب الرسول وقرئ بنصب العذاب على تقدير النون كقوله

ولا ذاكر الله الا قليلا

وهو ضعيف فى غير المحل باللام وعلى الاصل ﴿ وما تجزون الا ما كنتم تعملون ﴾ الا مثل ما عملتم ﴿ الا عباد الله المخلصين ﴾ استثناء منقطع الا ان يكون الضمير فى تجزون لجميع المكلفين فيكون استثناؤهم عنه باعتبار المماثلة فان ثوابهم مضاعف والمنقطع ايضا بهذا الاعتبار ﴿ اولئك لهم رزق معلوم ﴾ خصائصه من الدوام او تمحض اللذة ولذلك فسره بقوله ﴿ فواكه ﴾ فان الفاكهة ما يقصد للتلذذ دون التغذى

يعنى ان الضال والمضل جميعا فى النار ﴿ فاغوينا كم ﴾ يعنى فاضللنا كم عن الهدى ودعونا كم الى ما كنا عليه ﴿ انا كنا غاوين ﴾ أى ضالين قال الله تعالى ﴿ فانهم يومئذ فى العذاب مشتركون ﴾ يعنى الرؤساء والاتباع ﴿ انا كذلك نفعل بالمجرمين ﴾ قال ابن عباس الذين جعلوا لله شركاء ثم بين تعالى أنهم انما وقعوا فى ذلك العذاب باستكبارهم عن التوحيد فقال تعالى ﴿ انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون ﴾ أى يتكبرون عن كلمة التوحيد ويمتنعون منها ﴿ ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون ﴾ يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى ردا عليهم ﴿ بل جاء بالحق وصدق المرسلين ﴾ يعنى انه انما أتى بما أتى به المرسلون قبله من الدين والتوحيد ونفى الشرك ﴿ انكم لذائقوا العذاب الاليم وما تجزون الا ما كنتم تعملون ﴾ أى فى الدنيا من الشرك والتكذيب ﴿ الا ﴾ أى لكن وهو استثناء منقطع ﴿ عباد الله المخلصين ﴾ أى الموحدين ﴿ أولئك لهم رزق معلوم ﴾ يعنى بكرة وعشيا وقيل حين يشتهونه يؤتون به وقيل انه معلوم الصفة من طيب طعم ولذة ورائحة وحسن منظر ثم وصف ذلك الرزق فقال تعالى ﴿ فواكه ﴾ جمع فاكهة وهى الثمار كلها

(فأغوينا كم) أضللنا كم عن الدين (انا كنا غاوين) ضالين عن الدين (فانهم يومئذ) يوم القيامة (فى العذاب مشتركو) العابد والمعبود (انا كذلك) هكذا (نفعل بالمجرمين) المشركين (انهم كانوا اذا قيل لهم) فى الدنيا قولوا (لا اله الا الله يستكبرون) يتعاظمون عن ذلك (ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا) عبادة آلهتنا (لشاعر مجنون) مختلق يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم (بل جاء) محمد عليه السلام (بالحق) بالقرآن والتوحيد (وصدق المرسلين) وبتصديق المرسلين قبله (رطبها) (انكم) يا أهل مكة (لذائقون العذاب الاليم) الوجيع فى النار (وما تجزون) فى الآخرة (الا ما كنتم تعملون) فى الدنيا فى الكفر والشرك (الا عباد الله المخلصين) المعصومين من الكفر والشرك ويقال المخلصين بالعبادة والتوحيد ان قرأت بخفض اللام (أولئك لهم رزق معلوم) طعام معروف على قدر غدوة وعشية فى الدنيا وليس ثم بكرة ولا عشية (فواكه)

المعلوم بالفواكه وهي كل مايتلذذ به ولايتقوت لحفظ الصحة يعني ان رزقهم كله فواكه لانهم مستغنون عن حفظ الصحة بالاقوات لان أجسادهم محكمة مخلوقة للابد فما يأكلونه للتلذذ ويجوز ان يراد رزق معلوم منعوت بخصائص خلق عليها من طيب طعم ورائحة ولذة وحسن منظر وقيل معلوم الوقت كقوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا والنفس اليه أسكن (وهم مكرمون) منعمون (في جنات النعيم) يجوز أن يكون ظرفا وأن يكون حالا وأن يكون خبرا بعد خبر وكذا (على سرر متقابلين) التقابل أتم للسرور وآنس (يطاف عليهم بكاس) بغير همز أبو عمرو وحمزة في الوقف وغيرهما بالهمزة يقال للزجاجة فيها الخمر كأس وتسمى الخمر نفسها كأسا وعن الاخفش كل كأس في القرآن فهي الخمر وكذا في تفسير ابن عباس رضي الله عنهما (من معين) من شراب معين أو من نهر معين وهو الجاري على وجه الارض الظاهر للعيون وصف بما وصف به الماء لانه يجري في الجنة في أنهار كما يجري الماء قال الله تعالى وأنهار من خمر (بيضاء) صفة للكأس (لذة) وصفت باللذة كأنها نفس اللذة وعينها أو ذات لذة (للشاربين لافيها غول) أي لاتغتال عقولهم كخمور الدنيا وهو من غاله يغوله غولا اذا أهلكه وأفسده (ولاهم عنها ينزفون) يسكرون من نزف الشارب اذا ذهب عقله ويقال للسكران نزيف ومنزوف ينزفون علي وحمزة اي لايسكرون (قا و خا ۳۰ مس) اولاينزف شرابهم من انزف الشارب اذا ذهب عقله

والقوت بالعكس واهل الجنة لما اعيدوا على خلقة محكمة محفوظة عن التحلل كانت ارزاقهم فواكه خالصة ﴿ وهم مكرمون ﴾ في نيله يصل اليهم من غير تعب وسؤال كما عليه رزق الدنيا ﴿ في جنات النعيم ﴾ في جنات ليس فيها الا النعيم وهو ظرف او حال من المستكن في مكرمون او خبر ثان لاولئك وكذلك ﴿ على سرر ﴾ يحتمل الحال او الخبر فيكون ﴿ متقابلين ﴾ حالا من المستكن فيه او في مكرمون وان يتعلق بمتقابلين فيكون حالا من ضمير مكرمون ﴿ يطاف عليهم بكأس ﴾ باناء فيه خمر او خمر كقوله

وكأس شربت على لذة

﴿ من معين ﴾ من شراب معين او نهر معين اى ظاهر للعيون اوخارج من العيون وهو صفة الماء من عان الماء اذا نبع وصف به خمر الجنة لانها تجري كالماء او للاشعار بان مايكون لهم بمنزلة الشراب جامع لما يطلب من انواع الاشربة لكمال اللذة وكذلك قوله تعالى ﴿ بيضاء لذة للشاربين ﴾ وهما ايضا صفتان لكأس ووصفها بلذة اما للمبالغة اولانها تأنيث لذ بمعنى لذيذ كطب ووزنه فعل قال

ولذ كطعم الصرخدي تركته * بارض العدى من خشية الحدثان

﴿ لافيها غول ﴾ غائلة كما في خمر الدنيا كالخمار من غاله يغوله اذا افسده ومنه الغول ﴿ ولاهم عنها ينزفون ﴾ يسكرون من نزف الشارب فهو نزيف ومنزوف اذا ذهب عقله افرده بالنفي وعطف على مايعمه لانه من عظم فساده كأنه جنس برأسه * وقرأ حمزة

رطبها ويابسها وكل طعام يؤكل للتلذذ لا للقوت وقيل ان أرزاق أهل الجنة كلها فواكه لانهم مستغنون عن حفظ الصحة بالاقوات لان أجسادهم خلقت للابد فكل مايأكلونه على سبيل التلذذ ثم ان ذلك حاصل مع الاكرام والتعظيم كما قال تعالى ﴿ وهم مكرمون ﴾ أي بثواب الله تعالى ثم وصف مساكنهم فقال تعالى ﴿ في جنات النعيم على سرر متقابلين ﴾ يعني لايرى بعضهم قفا بعض ثم وصف شرابهم فقال تعالى ﴿ يطاف عليهم بكأس من معين ﴾ كل اناء فيه شراب يسمى كأسا واذا لم يكن فيه شراب فهو اناء وقد تسمى الخمر نفسها كاسا قال الشاعر

* وكأسا شربت على لذة * ومعنى معين أى من خمر جارية في الانهار ظاهرة تراها العيون ﴿ بيضاء ﴾ يعني ان خمر الجنة أشد بياضا من اللبن ﴿ لذة ﴾ أى لذيذة ﴿ للشاربين لافيها غول ﴾ أى لاتغتال عقولهم فتذهب بها وقيل لااثم فيها ولا وجع البطن ولا صداع وقيل الغول فساد يلحق في خفاء وخمر الدنيا يحصل منها أنواع من الفساد ومنها السكر وذهاب العقل ووجع البطن وصداع الرأس والبول والقيء والخمار والعربدة وغير ذلك ولا يوجد شئ من ذلك في خمر الجنة ﴿ ولاهم عنها ينزفون ﴾ أى لاتغلبهم على عقولهم ولا يسكرون وقيل معناه لاينفد

لهم ألوان الفواكه (وهم مكرمون) بالتحف (في جنات النعيم) لايفنى نعيمها (على سرر متقابلين) متواجهين في الزيارة (يطاف عليهم) في الخدمة (بكأس) بخمر (من معين) من خمر طاهرة (بيضاء لذة) شهوة (للشاربين لافيها) ليس في شربها (غول) وجع البطن وذهاب العقل ولا أذى ولا اثم (ولاهم عنها ينزفون) ينفدون ويقال ولاهم منها يسكرون ولا

أوشرابه (وعندهم قاصرات الطرف) قصرن أبصارهن على ازواجهن لا يمدن طرفا الى غيرهم (عين) جمع عيناء أى نجلاء واسعة العين (كأنهن بيض مكنون) مصون شبههن ببيض النعام المكنون فى الصفاء وبها تشبه العرب النساء وتسميهن بيضات الخدور وعطف (فاقبل بعضهم) يعنى اهل الجنة (على بعض يتساءلون على يطاف عليهم والمعنى يشربون ويتحادثون على الشراب كعادة الشرب قال

وما بقيت من اللذات الا
أحاديث الكرام على المدام

فيقبل بعضهم على بعض يتساءلون عما جرى لهم وعليهم فى الدنيا الا انه جئ به ماضيا على ما عرف فى اخباره (قال قائل منهم انى كان لى قرين يقول أئنك) بهمزتين شامى وكوفى (لمن المصدقين) بيوم الدين (أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمدينون) لمجزيون من الدين وهو الجزاء (قال) ذلك القائل (هل أنتم مطلعون) الى النار لاريكم ذلك القرين قيل ان فى الجنة كوى ينظر أهلها منها الى أهل النار أو قال الله تعالى لاهل الجنة هل أنتم مطلعون الى النار فتعلموا أين منزلتكم من منزلة اهل

والكسائى بكسر الزاء وتابعهما عاصم فى الواقعة من انزف الشارب اذا نفد عقله اوشرابه واصله للنفاد يقال نزف المطعون اذا خرج دمه كله ونزحت الركية حتى نزفتها ﴿وعندهم قاصرات الطرف﴾ اى قصرن ابصارهن على ازواجهن ﴿عين﴾ نجل العيون جمع عيناء ﴿كأنهن بيض مكنون﴾ شبههن ببيض النعام المصون من الغبار ونحوه فى الصفاء والبياض المخلوط بادنى صفرة فانه احسن الوان الابدان ﴿فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون﴾ معطوف على يطاف عليهم اى يشربون فيتحادثون على الشراب قال

وما بقيت من اللذات الا * احاديث الكرام على المدام

والتعبير عنه بالماضى للتأكيد فيه فانه الذ تلك اللذات الى العقل وتساؤلهم عن المعارف والفضائل وماجرى لهم وعليهم فى الدنيا ﴿قال قائل منهم﴾ فى مكالمتهم ﴿انى كان لى قرين﴾ جليس فى الدنيا ﴿يقول ائنك لمن المصدقين﴾ يوبخنى على التصديق بالبعث وقرئ بتشديد الصاد من التصدق ﴿أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمدينون﴾ لمجزيون من الدين بمعنى الجزاء ﴿قال﴾ اى ذلك القائل ﴿هل انتم مطلعون﴾ الى اهل النار لاريكم ذلك القرين وقيل القائل هو الله اوبعض الملائكة يقول لهم هل تحبون ان تطلعون على اهل النار لاريكم ذلك القرين فتعلموا أين منزلتكم من منزلتهم وعن ابى عمرو مطلعون فاطلع بالتخفيف وكسر النون وضم الالف على انه

شرابهم ثم وصف أزواجهم فقال تعالى ﴿وعندهم قاصرات الطرف﴾ أى حابسات الاعين غاضات العيون قصرت أعينهن على أزواجهن فلا ينظر الى غيرهم ﴿عين﴾ أى حسان الاعين عظامها ﴿كأنهن بيض مكنون﴾ أى مصون مستور شبههن ببيض النعام لانها تكنها بالريش من الريح والغبار فيكون لونها أبيض فى صفرة ويقال هذا من أحسن ألوان النساء وهو ان تكون المرأة بيضاء مشوبة بصفرة والعرب تشبه المرأة ببيض النعامة وتسميهن ببيضات الخدور * قوله عز وجل ﴿فاقبل بعضهم على بعض﴾ يعنى أهل الجنة فى الجنة ﴿يتساءلون﴾ أى يسأل بعضهم بعضا عن حاله فى الدنيا ﴿قال قائل منهم﴾ أى من أهل الجنة ﴿انى كان لى قرين﴾ أى فى الدنيا ينكر البعث قيل كان قرينه شيطانا وقيل كان من الانس قيل كانا أخوين وقيل كانا شريكين أحدهما كافر اسمه قطروس والآخر مؤمن اسمه يهوذا وهما اللذان قص الله عز وجل خبرهما فى سورة الكهف فى قوله واضرب لهم مثلا رجلين ﴿يقول أئنك لمن المصدقين﴾ أى بالبعث ﴿أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمدينون﴾ أى مجزيون ومحاسبون وهذا استفهام انكارى ﴿قال﴾ الله تعالى لاهل الجنة ﴿هل أنتم مطلعون﴾ أى الى النار وقيل يقول المؤمن لاخوانه من أهل الجنة هل أنتم مطلعون أى لننظر كيف منزلة أخى فى النار فيقول أهل الجنة أنت أعرف به منا

يتصدع رؤسهم (وعندهم) فى الجنة (قاصرات الطرف) جوار غاضات العين عن غير أزواجهن قانعات بأزواجهن لا يبغين بهم بدلا (عين) عظام الاعين حسان الوجوه (كأنهن) فى الصفاء (بيض مكنون) قد كن من الحر والبرد (فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون) يتحدثون (قال قائل منهم) من أهل الجنة وهو يهوذا المؤمن (انى كان لى قرين) صاحب يقال له أبو قطروس وهو أخوه (يقول أئنك لمن المصدقين أئذا متنا وكنا) صرنا (ترابا وعظاما) بالية (أئنا لمدينون) مملوكون ومحاسبون انكارا منه للبعث (قال) لاخوته فى الجنة (هل أنتم مطلعون) فى النار لعلكم

النار (فاطلع) المسلم (فرآه) أي قرينه (في سواء الجحيم) في وسطها (قال تالله ان كدت لتردين) ان مخففة من الثقيلة وهي تدخل على كاد كما تدخل على كان واللام هي الفارقة بينها وبين النافية والارداء الاهلاك وبالياء في الحالين يعقوب (ولولا نعمة ربي) وهي العصمة والتوفيق في الاستمساك بعروة الاسلام (لكنت من المحضرين) من الذين أحضروا العذاب كما أحضرته أنت وأمثالك (أفما نحن بميتين الا موتتنا الاولى وما نحن بمعذبين) الفاء للعطف على محذوف تقديره أنحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين ولا معذبين والمعنى ان هذا حال المؤمنين وهو ان لا يذوقوا الا الموتة الاولى بخلاف الكفار فانهم فيما يتمنون فيه الموت كل ساعة وقيل لحكيم ما شر من الموت قال الذي يتمنى فيه الموت وهذا قول يقوله المؤمن تحدثا بنعمة الله بمسمع من قرينه ليكون توبيخا له وزيادة تعذيب وموتتنا نصب على المصدر والاستثناء متصل تقديره ولا نموت الا مرة أو منقطع وتقديره لكن الموتة الاولى قد كانت في الدنيا ثم قال لقرينه تقريعا له (ان هذا) أي الامر الذي نحن فيه (لهو الفوز العظيم) ثم قال الله عز وجل (لمثل هذا فليعمل العاملون) وقيل هو أيضا من كلامه

جعل اطلاعهم سبب اطلاعه من حيث ان ادب المجالسة يمنع الاستبداد به او خاطب الملائكة على وضع المتصل موضع المنفصل كقوله

هم الآمرون الخير والفاعلونه

اوشبه اسم الفاعل بالمضارع ﴿ فاطلع ﴾ عليهم ﴿ فرآه ﴾ اى قرينه ﴿ في سواء الجحيم ﴾ وسطه ﴿ قال تالله ان كدت لتردين ﴾ لتهلكني باغواء وقرئ لتغوين وان هي المخففة واللام هي الفارقة ﴿ ولولا نعمة ربي ﴾ بالهداية والعصمة ﴿ لكنت من المحضرين ﴾ معك فيها ﴿ أفما نحن بميتين ﴾ عطف على محذوف اى انحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين اى بمن شأنه الموت وقرئ بمائتين ﴿ الا موتتنا الاولى ﴾ التي كانت في الدنيا وهي متناولة لما في القبر بعد الاحياء للسؤال ونصبها على المصدر من اسم الفاعل وقيل على الاستثناء المنقطع ﴿ وما نحن بمعذبين ﴾ كالكفار وذلك تمام كلامه لقرينه تقريعا له اومعاودة الى مكالمة جلسائه تحدثا بنعمة الله وتبجحا بها وتعجبا منها وتعريضا للقرين بالتوبيخ ﴿ ان هذا لهو الفوز العظيم ﴾ يحتمل ان يكون من كلامهم وان يكون كلام الله لتقرير قوله والاشارة الى ما هم عليه من النعمة والخلود والامن من العذاب ﴿ لمثل هذا فليعمل العاملون ﴾ اى لنيل مثل هذا يجب ان يعمل العاملون

﴿ فاطلع ﴾ أي المؤمن قال ابن عباس ان في الجنة كوى ينظر منها أهلها الى النار ﴿ فرآه في سواء الجحيم ﴾ أي فرأى قرينه في وسط النار سمي وسط الشيء سواء لاستواء الجوانب منه ﴿ قال تالله ان كدت لتردين ﴾ أي والله لقد كدت ان تهلكني وقيل تغويني ومن أغوى انسانا فقد أرداه وأهلكه ﴿ ولولا نعمة ربي ﴾ أي رحمة ربي وانعامه علي بالاسلام ﴿ لكنت من المحضرين ﴾ أي معك في النار ﴿ أفما نحن بميتين الا موتتنا الاولى ﴾ أي في الدنيا ﴿ وما نحن بمعذبين ﴾ قيل يقول هذا أهل الجنة للملائكة حين يذبح الموت فتقول الملائكة لهم لا فيقولون ﴿ ان هذا لهو الفوز العظيم ﴾ وانما يقولونه على جهة التحدث بنعمة الله عليهم في انهم لا يموتون ولا يعذبون ليفرحوا بدوام النعيم لا على طريق الاستفهام لانهم قد علموا انهم ليسوا بميتين ولا معذبين ولكن أعادوا الكلام ليزدادوا سرورا بتكراره وقيل يقوله المؤمن لقرينه على جهة التوبيخ بما كان ينكره قال الله تعالى ﴿ لمثل هذا ﴾ أي المنزل والنعيم الذي ذكره في قوله أولئك لهم رزق معلوم ﴿ فليعمل العاملون ﴾ هذا

ترون حاله (فاطلع) هو بنفسه (فرآه) فرأى أخاه الكافر (في سواء الجحيم) في وسط النار (قال تالله) والله (ان كدت) قد هممت واردت (لتردين) لتغوين عن الدين وتهلكني لو أطعتك (ولولا نعمة ربي) منة ربي بالايمان وعصمته عن الكفر (لكنت من المحضرين) من المعذبين معك في النار ثم سمع مناديا ينادي يا أهل الجنة ذبح الموت فلا موت فيقول لاخوته (أفما نحن بميتين) بعد ما ذبح الموت (الا موتتنا الاولى) بعد موتتنا في الدنيا فيقول له نعم فسمع مناديا ينادي يا أهل النار ان قد أطبقت النار فلا دخول فيها ولا خروج منها فيقول لاخوته (وما نحن بمعذبين) في النار بعد ما أطبقت النار فيقولون له نعم (ان هذا لهو الفوز العظيم) النجاة الوافرة فزنا بالجنة وما فيها ونجونا من النار وما فيها وهي قصة الاخوين اللذين ذكرهما الله في سورة الكهف أحدهما مؤمن وهو يهوذا والآخر كافر وهو أبو قطروس ثم يقول الله له (لمثل هذا) الخلود والنعيم (فليعمل العاملون) فليبادر المبادرون

(أذلك خير نزلا) تميز (أم شجرة الزقوم) أى نعيم الجنة ومافيها من اللذات والطعام والشراب خير نزلا أم شجرة الزقوم خير نزلا والنزل مايقام للنازل بالمكان من الرزق والزقوم شجر مر يكون بتهامة (انا جعلناها فتنة للظالمين) محنة وعذابا لهم فى الآخرة أوابتلاء لهم فى الدنيا وذلك أنهم قالوا كيف يكون فى النار شجرة والنار تحرق الشجر فكذبوا (انها شجرة تخرج فى أصل الجحيم) قيل منبتها فى قعر جهنم وأغصانها ترتفع الى دركاتها (طلعها كأنه رؤس الشياطين) الطلع للنخلة فاستعير لما طلع من شجرة الزقوم من حملها وشبه برؤس الشياطين للدلالة على تناهيه فى الكراهة وقبح المنظر لان الشيطان مكروه مستقبح فى طباع الناس لاعتقادهم انه شر محض وقيل الشيطان حية عرفاء قبيحة المنظر هائلة جدا (فانهم لآكلون منها) من الشجرة أى من طلعها (فمالؤن منها البطون فمالؤن بطونهم لما يغلبهم من

لا للحظوظ الدنيوية المشوبة بالآلام السريعة الانصرام وهو ايضا يحتمل الامرين ﴿أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم﴾ شجرة ثمرها نزل اهل النار وانتصاب نزلا على التميز او الحال وفى ذكره دلالة على ان ماذكر من النعيم لاهل الجنة بمنزلة مايقال للنازل ولهم ماوراء ذلك ماتقصر عنه الافهام وكذلك الزقوم لاهل النار وهو اسم شجرة صغيرة الورق دفرة مرة تكون بتهامة سميت به الشجرة الموصوفة ﴿ انا جعلناها فتنة للظالمين ﴾ محنة وعذابا لهم فى الآخرة اوابتلاء فى الدنيا فانهم لما سمعوا انها فى النار قالوا كيف ذلك والنار تحرق الشجر ولم يعلموا ان من قدر على خلق حيوان يعيش فى النار ويلتذ بها فهو اقدر على خلق الشجر فى النار وحفظه من الاحراق ﴿ انها شجرة تخرج فى اصل الجحيم ﴾ منبتها فى قعر جهنم واغصانها ترتفع الى دركاتها ﴿ طلعها ﴾ حملها مستعار من طلع التمر لمشاركته اياه فى الشكل او الطلوع من الشجر ﴿ كأنه رؤس الشياطين ﴾ فى تناهى القبح والهول وهو تشبيه بالمتخيل كتشبيه الفائق فى الحسن بالملك وقيل الشياطين حيات هائلة قبيحة المنظر لها اعراف ولعلها سميت بها لذلك ﴿ فانهم لآكلون منها ﴾ من الشجرة او من طلعها ﴿ فمالؤن منها البطون ﴾ لغلبة الجوع او الجبر على اكلها

ترغيب فى ثواب الله تعالى وما عنده بطاعته * قوله تعالى ﴿أذلك﴾ أى الذى ذكره لاهل الجنة من النعيم ﴿خير نزلا﴾ أى رزقا ﴿أم شجرة الزقوم﴾ التى هى نزل أهل النار والزقوم شجرة خبيثة مرة كريهة الطعم يكره أهل النار على تناولها فهم يتزقمونه على أشد كراهة وقيل هى شجرة تكون بارض تهامة من أخبث الشجر ﴿انا جعلناها فتنة للظالمين﴾ أى للكافرين وذلك انهم قالوا كيف تكون فى النار شجرة والنار تحرق الشجر وقال ابن الزبعرى لصناديد قريش ان محمدا يخوفنا بالزقوم والزقوم بلسان بربر الزبد والتمر وقيل هو بلغة أهل اليمن فادخلهم أبو جهل بيته وقال ياجارية زقمينا فأتتهم بالزبد والتمر فقال ابو جهل تزقموا فهذا مايوعدكم به محمد فقال الله تعالى ﴿ انها شجرة تخرج فى أصل الجحيم ﴾ أى فى قعر النار وأغصانها ترتفع الى دركاتها ﴿ طلعها ﴾ أى ثمرها سمى طلعا لطلوعه ﴿ كأنه رؤس الشياطين ﴾ قال ابن عباس هم الشياطين باعيانهم شبهها بهم لقبحهم عند الناس * فان قلت قد شبهها بشئ لم يشاهد فكيف وجه التشبيه * قلت انه قد استقر فى النفوس قبح الشياطين وان لم يشاهدوا فكأنه قيل ان أقبح الاشياء فى الوهم والخيال رؤس الشياطين فهذه الشجرة تشبهها فى قبح المنظر والعرب اذا رأت منظرا قبيحا قالت كأنه رأس شيطان قال امرؤ القيس

أيقتلنى والمشرفى مضاجعى * ومسنونة زرق كأنياب أغوال

شبه سنان الرمح بانياب الغول ولم يرها وقيل ان بين مكة واليمن شجرة قبيحة منتنة تسمى رؤس الشياطين فشبهها بها وقيل أراد بالشياطين الحيات والعرب تسمى الحية القبيحة المنظر شيطانا ﴿ فانهم لآكلون منها ﴾ أى من ثمرها ﴿ فمالؤن منها البطون ﴾ وذلك

فى العمل الصالح ويقال فليبذل الباذلون بالنفقة فى سبيل الله ويقال فليجتهد المجتهدون بالعلم والعبادة (أذلك) الذى ذكرت لاهل الجنة من الطعام والشراب (خير نزلا) طعاما وشرابا وثوابا للمؤمنين (أم شجرة الزقوم) لابى جهل وأصحابه (انا جعلناها) ذكرناها (فتنة) بلية (للظالمين) لابى جهل وأصحابه حيث قالوا الزقوم هو التمر والزبد (انها شجرة تخرج) (انهم) تنبت (فى أصل الجحيم) فى وسط النار (طلعها) ثمرها (كأنه رؤس الشياطين) رؤس الحيات أمثال الشياطين يكون نحو اليمن (فانهم) يعنى أهل مكة وسائر الكفار (لآكلون منها) من الزقوم (فمالؤن منها) من الزقوم (البطون

الجوع الشديد (ثم ان لهم عليها) على أكلها (لشوبا) لخلطا ولمزاجا (من حميم) ماء حار يشوى وجوههم ويقطع امعاءهم كما قال في صفة شراب اهل الجنة ومزاجه من تسنيم والمعنى ثم انهم يملؤن البطون من شجرة الزقوم وهو حار يحرق بطونهم ويعطشهم. فلا يسقون الا بعد ملى تعذيبا لهم بذلك العطش ثم يسقون ما هو أحر وهو الشراب المشوب بالحميم (ثم ان مرجعهم لالى الجحيم) أي انهم يذهب بهم عن مقارهم ومنازلهم في الجحيم وهي الدركات التي أسكنوها الى شجرة الزقوم فيأكلون الى ان يمتلؤا ويسقون بعد ذلك ثم يرجعون الى دركاتهم ومعنى التراخي في ذلك ظاهر (انهم ألفوا آباءهم ضالين فهم على آثارهم يهرعون) علل استحقاقهم للوقوع في تلك الشدائد بتقليد الآباء

﴿ ثم ان لهم عليها ﴾ اى بعد ما شبعوا منها وغلبهم العطش وطال استسقاؤهم ويجوز ان يكون ثم لما في شرابهم من مزيد الكراهة والبشاعة ﴿ لشوبا من حميم ﴾ لشرابا من غساق اوصديد مشوبا بماء حميم يقطع امعاءهم وقرئ بالضم وهو اسم مايشاب به والاول مصدر سمى به ﴿ ثم ان مرجعهم ﴾ مصيرهم ﴿ لالى الجحيم ﴾ الى دركاتها اوالى نفسها فان الزقوم والحميم نزل يقدم اليهم قبل دخولها وقيل الحميم خارج عنها لقوله تعالى هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن يوردون اليه كما يورد الابل الى الماء ثم يردون الى الجحيم ويؤيده انه قرئ ثم ان منقلبهم ﴿ انهم الفوا آباءهم ضالين فهم على آثارهم يهرعون ﴾ تعليل لاستحقاقهم تلك الشدائد بتقليد الآباء في الضلال والاهراع الاسراع الشديد كأنهم يزعجون على الاسراع على اثرهم وفيه اشعار بانهم بادروا الى ذلك من غير توقف على نظر وبحث ﴿ ولقد ضل قبلهم ﴾ قبل قومك ﴿ اكثر الاولين ولقد ارسلنا فيهم منذرين ﴾ انبياء انذروهم من العواقب ﴿ فانظر كيف كان عاقبة المنذرين ﴾ من الشدة والفظاعة ﴿ الا عباد الله المخلصين ﴾ الا الذين تنبهوا بانذارهم فاخلصوا دينهم لله وقرئ بالفتح اى الذين اخلصهم الله لدينه والخطاب

انهم يكرهون على أكلها حتى تمتلئ بطونهم ﴿ ثم ان لهم عليها لشوبا ﴾ أى خلطا ومزاجا ﴿ من حميم ﴾ أى من ماء شديد الحرارة يقال انهم اذا اكلوا الزقوم وشربوا عليه الحميم شاب الحميم الزقوم في بطونهم فصار شوبا لهم ﴿ ثم ان مرجعهم لالى الجحيم ﴾ وذلك انهم يردون الى الجحيم بعد شراب الحميم ﴿ انهم ألفوا ﴾ أى وجدوا ﴿ آباءهم ضالين فهم على آثارهم يهرعون ﴾ اى يسرعون وقيل يعملون مثل عملهم ﴿ ولقد ضل قبلهم أكثر الاولين ﴾ أى من الامم الخالية ﴿ ولقد أرسلنا فيهم منذرين ﴾ أى وأرسلنا فيهم رسلا منذرين ﴿ فانظر كيف كان عاقبة المنذرين ﴾ أى الكافرين وكانت عاقبتهم العذاب ﴿ الا عباد الله المخلصين ﴾ أى الموحدين نجوا من العذاب والمعنى انظر كيف أهلكنا المنذرين

في الدين واتباعهم اياهم في الضلال وترك اتباع الدليل والاهراع الاسراع الشديد كأنهم يحثون حثا (ولقد ضل قبلهم) قبل قومك قريش (أكثر الاولين) يعنى الامم الخالية بالتقليد وترك النظر والتأمل (ولقد أرسلنا فيهم منذرين) أنبياء حذروهم العواقب (فانظر كيف كان عاقبة المنذرين) الذين أنذروا وحذروا اى أهلكوا جميعا (الا عباد الله المخلصين) أى الا الذين آمنوا منهم وأخلصوا الله دينهم أو اخلصهم الله لدينه على القراءتين ولما ذكر ارسال

ثم ان لهم عليها) من الزقوم (لشوبا) لخلطا (من حميم) من ماء حار قد انتهى حره (ثم ان مرجعهم) منقلبهم (لالى الجحيم) الى وسط النار (انهم ألفوا) وجدوا (آباءهم) في الدنيا (ضالين) عن الحق والهدى (فهم على آثارهم) على دينهم (يهرعون) يسرعون ويمشون ويعملون بعملهم (ولقد ضل قبلهم) قبل قومك يا محمد (أكثر الاولين) من الامم الماضية (ولقد أرسلنا فيهم) اليهم (منذرين) رسلا مخوفين لهم فلم يؤمنوا بهم فاهلكناهم (فانظر) يا محمد (كيف كان عاقبة) جزاء (المنذرين) لمن أنذرتهم الرسل فلم يؤمنوا كيف أهلكناهم ثم استثنى (الا عباد الله المخلصين) المعصومين من الكفر والشرك ويقال المخلصين بالعبادة والتوحيد ان قرأت بخفض

المنذرين في الامم الخالية وسوء عاقبة المنذرين اتبع ذلك ذكر نوح ودعاه اياه حين أيس من قومه بقوله (ولقد نادينا نوح) دعانا لننجيه من الغرق وقيل أريد به قوله أني مغلوب فانتصر (فلنعم المجيبون) اللام الداخلة على نعم جواب قسم محذف والمخصوص بالمدح محذوف تقديره ولقد نادينا نوح فوالله لنعم المجيبون نحن والجمع دليل العظمة والكبرياء والمعنى انا أجبناه أحسن الاجابة ونصرناه على أعدائه وانتقمنا منهم بابلغ مايكون (ونجيناه وأهله) ومن آمن به وأولاده (من الكرب العظيم) وهو الغرق (وجعلنا ذريته

هم الباقين) وقد فنى غيرهم قال قتادة الناس كلهم من ذرية نوح وكان لنوح عليه السلام ثلاثة أولاد سام وهو أبو العرب وفارس والروم وحام وهو أبو السوذان من المشرق الى المغرب ويافث وهو أبو الترك ويأجوج ومأجوج (وتركنا عليه في الآخرين) من الامم هذه الكلمة وهي (سلام على نوح) يعني يسلمون عليه تسليما ويدعون له وهو من الكلام المحكى كقولك قرأت سورة أنزلناها (في العالمين) أي ثبت هذه التحية فيهم جميعا ولا يخلو أحد منهم منها كأنه قيل ثبت الله التسليم على نوح وأدامه في الملائكة والثقلين يسلمون عليه عن آخرهم (انا كذلك نجزي المحسنين) علل مجازاته بتلك التكرمة السنية بانه كان محسنا (انه من عبادنا المؤمنين) ثم علل كونه

مع الرسول عليه السلام والمقصود خطاب قومه فانهم ايضا سمعوا اخبارهم ورأوا آثارهم ﴿ ولقد نادينا نوح ﴾ شروع في تفصيل القصص بعد اجمالها اى ولقد دعانا حين ايس من قومه ﴿ فلنعم المجيبون ﴾ اى فاجبناه احسن الاجابة والتقدير فوالله لنعم المجيبون نحن فحذف منها ما حذف لقيام مايدل عليه ﴿ ونجيناه واهله من الكرب العظيم ﴾ من الغرق او اذى قومه ﴿ وجعلنا ذريته هم الباقين ﴾ اذ هلك من عداهم وبقوا متناسلين الى يوم القيامة اذ روى انه مات كل من كان معه في السفينة غير بنيه وازواجهم ﴿ وتركنا عليه في الآخرين ﴾ من الامم ﴿ سلام على نوح ﴾ هذا الكلام جيء به على الحكاية والمعنى يسلمون عليه تسليما وقيل هو سلام من الله عليه ومفعول تركنا محذوف مثل الثناء ﴿ في العالمين ﴾ متعلق بالجار والمجرور ومعناه الدعاء بثبوت هذه التحية من الملائكة والثقلين جميعا ﴿ انا كذلك نجزي المحسنين ﴾ تعليل لما فعل بنوح من التكرمة بانه مجازاة له على احسانه ﴿ انه من عبادنا المؤمنين ﴾ تعليل

الا عباد الله المخلصين * قوله عز وجل ﴿ ولقد نادينا نوح ﴾ أى دعا ربه على قومه وقيل دعا ربه أن ينجيه من الغرق ﴿ فلنعم المجيبون ﴾ نحن أى دعانا فاجبناه وأهلكنا قومه ﴿ ونجيناه وأهله من الكرب العظيم ﴾ أى من الغم الذي لحق قومه وهو الغرق ﴿ وجعلنا ذريته هم الباقين ﴾ يعني ان الناس كلهم من ذرية نوح عليه السلام قال ابن عباس لما خرج نوح من السفينة مات من كان معه من الرجال والنساء الا ولده ونساءهم * عن سمرة بن جندب عن النبي صلى الله عليه وسلم في قول الله عز وجل وجعلنا ذريته هم الباقين قال هم سام وحام ويافث أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب * وفي رواية أخرى سام أبو العرب وحام أبو الحبش ويافث أبو الروم وقيل سام أبو العرب وفارس والروم وحام أبو السودان ويافث أبو الترك والخزر ويأجوج ومأجوج وما هنالك ﴿ وتركنا عليه في الآخرين ﴾ أي أبقينا له ثناء حسنا وذكرا جميلا فيمن بعده من الانبياء والامم الى يوم القيامة ﴿ سلام على نوح في العالمين ﴾ أي سلام عليه منا في العالمين وقيل تركنا عليه في الآخرين ان يصلى عليه الى يوم القيامة ﴿ انا كذلك نجزي المحسنين ﴾ أي جزاه الله باحسانه الثناء الحسن في العالمين ﴿ انه من عبادنا المؤمنين

اللام فانهم لم يكذبوهم ولم نهلكهم (ولقد نادينا نوح) دعانا نوح على قومه رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا الى آخر الآية (فلنعم المجيبون) هلاك قومه (ونجيناه وأهله) ومن آمن به (من الكرب العظيم) يعني الغرق (وجعلنا ذريته هم الباقين) الى يوم القيامة وكان له ثلاثة بنين سام وحام ويافث فاما سام فهو أبو العرب ومن في جزائرهم وأما حام فهو أبو الحبش والبربر والسند وأما يافث فهو أبو سائر الناس (وتركنا عليه) على نوح ثناء حسنا (في الآخرين) في الباقين بعد (ثم) (سلام على نوح) سلامة وسعادة منا على نوح (في العالمين) من بين العالمين في زمانه (انا كذلك) هكذا (نجزي المحسنين) بالقول والفعل بالثناء الحسن والنجاة (انه من عبادنا المؤمنين)

محسنا بانه كان عبدا مؤمنا اليريك جلالة محل الايمان وانه انقصارى من صفات المدح والتعظيم (ثم أغرقنا الآخرين) أى الكافرين (وان من شيعته لابراهيم) أى من شيعة نوح أى ممن شايعه على اصول الدين أو شايعه على التصاب فى دين الله ومصابرة المكذبين وكان بين نوح وابراهيم ألفان وستمائة وأربعون سنة وما كان بينهما الانبيان هود وصالح (اذجاء ربه) اذ تعلق بما فى الشيعة من معنى المشايعة يعنى وان ممن شايعه على دينه وتقواه حين جاء ربه (بقلب سليم) من الشرك أو من آفات القلوب لابراهيم أو بمحذوف وهو اذكر ومعنى المجئ بقلبه ربه انه أخلص لله قلبه وعلم الله ذلك منه فضرب المجئ مثلا لذلك (اذ) بدل من الاولى (قال لابيه وقومه ماذا تعبدون أئفكا آلهة دون الله تريدون) أئفكا مفعول له تقديره أتريدون آلهة من دون الله افكا وانما قدم المفعول به على الفعل للعناية وقدم المفعول له على المفعول به لانه كان الاهم عنده ان يكافحهم بانهم على افك وباطل فى شركهم ويجوز ان يكون افكا مفعولا به أى أتريدون افكا ثم فسر الافك بقوله آلهة دون الله على انها افك فى نفسها أو حالا أى أتريدون آلهة من دون الله آفكين (فما ظنكم) أى شئ ظنكم (برب العالمين) وأنتم تعبدون غيره ومارفع بالابتداء والخبر ظنكم أو فما ظنكم به ماذا يفعل بكم وكيف يعاقبكم وقد عبدتم غيره وعلمتم أنه المنعم على الحقيقة فكان حقيقا بالعبادة (فنظر نظرة فى النجوم) أى نظر فى النجوم راميا ببصره الى السماء متفكرا فى نفسه كيف يحتال أو أراهم انه ينظر فى النجوم لاعتقادهم علم النجوم فاوهمهم انه استدل بامارة

لاحسانه بالايمان اظهارا لجلالة قدره واصالة امره ﴿ ثم اغرقنا الآخرين ﴾ يعنى كفار قومه ﴿ وان من شيعته ﴾ ممن شايعه فى الايمان واصول الشريعة ﴿ لابراهيم ﴾ ولا يبعد اتفاق شرعهما فى الفروع اوغالبا وكان بينهما الفان وستمائة واربعون سنة وكان بينهما نبيان هود وصالح صلوات الله عليهم ﴿ اذ جاء ربه ﴾ متعلق بما فى الشيعة من معنى المشايعة او بمحذوف هو اذكر ﴿ بقلب سليم ﴾ من آفات القلوب او من العلائق خالص لله او مخلص له وقيل حزين من السليم بمعنى اللديغ ومعنى المجئ به ربه اخلاصه له كأنه جاء به متحفا اياه ﴿ اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون ﴾ بدل من الاولى اوظرف لجاء أو سليم ﴿ أئفكا آلهة دون الله تريدون ﴾ اى أتريدون آلهة دون الله افكا فقدم المفعول للعناية ثم المفعول له لان الاهم ان يقرر انهم على الباطل ومبنى امرهم على الافك ويجوز ان يكون افكا مفعولا به وآلهة بدل منه على انها افك فى انفسها للمبالغة او المراد بها عبادتها بحذف المضاف اوحالا بمعنى آفكين ﴿ فما ظنكم برب العالمين ﴾ بمن هو حقيق بالعبادة لكونه ربا للعالمين حتى تركتم عبادته او اشركتم به غيره اوامنتم من عذابه والمعنى انكار مايوجب ظنا فضلا عن قطع يصد عن عبادته اويجوز الاشراك به اويقتضى الامن من عقابه على طريقة الالزام وهو كالحجة على ماقبله ﴿ فنظر نظرة فى النجوم ﴾ فرأى مواقعها واتصالاتها اوفى علمها او كتابها ولا منع منه مع ان قصده

ثم أغرقنا الآخرين ﴾ يعنى الكفار ﴿ قوله عز وجل ﴿ وان من شيعته ﴾ أى من شيعة نوح ﴿ لابراهيم ﴾ يعنى انه على دينه وملته ومنهاجه وسنته ﴿ اذ جاء ربه بقلب سليم ﴾ أى مخلص من الشرك والشك وقيل من الغل والغش والحقد والحسد يحب للناس مايحب لنفسه ﴿ اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون ﴾ استفهام توبيخ ﴿ أئفكا آلهة دون الله تريدون ﴾ أى أتأفكون أفكا وهو أسوأ الكذب وتعبدون آلهة سوى الله تعالى ﴿ فما ظنكم برب العالمين ﴾ يعنى اذا لقيتموه وقد عبدتم غيره انه يصنع بكم ﴿ فنظر نظرة فى النجوم

المصدقين (ثم أغرقنا الآخرين) الباقين بعده (وان من شيعته) من شيعة نوح ويقال من شيعة محمد عليه السلام (لابراهيم) يقول ابراهيم كان على دين نوح ومنهاجه ومحمد عليه السلام كان على دين ابراهيم ومنهاجه (اذ جاء ربه) يقول أقبل ابراهيم الى طاعة ربه (بقلب سليم) خالص من كل عيب (اذ قال لابيه) آزر (وقومه) عبدة الاوثان (ماذا تعبدون) من دون الله قالوا نعبد أصناما قال لهم ابراهيم (أئفكا آلهة) بالكذب آلهة (دون الله تريدون) تعبدون (فما ظنكم برب العالمين) ماذا يفعل بكم اذا عبدتم غيره (فنظر نظرة فى النجوم) الى النجوم ويقال

على انه يسقم (فقال انى سقيم) أى مشارف للسقم وهو الطاعون وكان أغلب الاسقام عليهم وكانوا يخافون العدوى ليتفرقوا عنه فهربوا منه الى عيدهم وتركوه فى بيت الاصنام ليس معه أحد ففعل بالاصنام مافعل وقالوا علم النجوم كان حقا ثم نسخ الاشتغال بمعرفته والكذب حرام الا اذا عرض والذى قاله ابراهيم عليه السلام معراض من الكلام أى ساسقم أو من الموت فى عنقه سقيم ومنه المثل كفى بالسلامة داء ومات رجل فجأة فقالوا مات وهو صحيح فقال اعرابى أصحيح من الموت فى عنقه أو أراد انى سقيم النفس لكفركم كما يقول أنا مريض القلب من كذا (فتولوا) فاعرضوا (عنه مدبرين) أى مولين الادبار (فراغ الى الهتهم) فمال اليهم سرا (فقال) استهزاء (ألا تأكلون) وكان عندها طعام (مالكم لاتنطقون) والجمع بالواو والنون لما انه خاطبها خطاب من يعقل (فراغ عليهم ضربا) فاقبل عليهم مستخفيا كانه قال فضربهم ضربا لان راغ عليهم بمعنى ضربهم أو فراغ عليهم يضربهم ضربا أى ضاربا (باليمين) أى ضربا شديدا بالقوة لان اليمين أقوى الجارحتين وأشدهما أو بالقوة والمتانة أو بسبب الحلف الذى سبق منه وهو قوله تالله لاكيد أصنامكم (فاقبلوا اليه) الى ابراهيم

ايهامهم وذلك حين سألوه ان يعيد معهم ﴿فقال انى سقيم﴾ اراهم بانه استدل بها لانهم كانوا منجمين على انه مشارف للسقم لئلا يخرجوه الى معيدهم فانه كان اغلب اسقامهم الطاعون وكانوا يخافون العدوى واراد انى سقيم القلب لكفركم او خارج المزاج عن الاعتدال خروجا قل من يخلو منه او بصدد الموت ومنه المثل كفى بالسلامة داء وقول لبيد

فدعوت ربى بالسلامة جاهدا * ليصحنى فاذا السلامة داء

﴿فتولوا عنه مدبرين﴾ هاربين مخافة العدوى ﴿فراغ الى آلهتهم﴾ فذهب اليها فى خفية من روغة الثعلب واصله الميل بحيلة ﴿فقال﴾ اى للاصنام استهزاء ﴿ألا تأكلون﴾ يعنى الطعام الذى كان عندهم ﴿مالكم لاتنطقون﴾ بجوابى ﴿فراغ عليهم﴾ فمال عليهم مستخفيا والتعدية بعلى للاستعلاء وان الميل لمكروه ﴿ضربا باليمين﴾ مصدر لراغ عليهم لانه فى معنى ضربهم او لمضمر تقديره فراغ عليهم يضربهم ضربا وتقييده باليمين للدلالة على قوته فان قوة الآلة تستدعى قوة الفعل وقيل باليمين بسبب الحلف وهو قوله تالله لاكيدن اصنامكم ﴿فاقبلوا اليه﴾ الى ابراهيم بعد مارجعوا فرأوا اصنامهم مكسرة وبحثوا عن كاسرها فظنوا انه هو كما شرحه فى قوله تعالى من فعل

فقال انى سقيم﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما كان قومه يتعاطون علم النجوم فعاملهم من حيث كانوا يتعاطون ويتعاملون به لئلا ينكروا عليه وذلك انه أراد أن يكايدهم فى أصنامهم ليلزمهم الحجة فى انها غير معبودة وكان لهم من الغد عيد ومجمع فكانوا يدخلون على أصنامهم ويقربون لهم القرابين ويضعون بين أيديهم الطعام قبل خروجهم الى عيدهم وزعموا التبرك عليه فاذا انصرفوا من عيدهم أكلوه فقالوا لابراهيم ألا تخرج معنا الى عيدنا فنظر فى النجوم فقال انى سقيم قال ابن عباس أى مطعون وكانوا يفرون من المطعون فرارا عظيما وقيل مريض وقيل معناه متساقم وهو من معاريض الكلام وقد تقدم الجواب عنه فى سورة الانبياء وقيل أنه خرج معهم الى عيدهم فلما كان ببعض الطريق ألقى نفسه وقال أنى سقيم أشتكى رجلى ﴿فتولوا عنه مدبرين﴾ أى الى عيدهم فدخل ابراهيم عليه الصلاة والسلام على الاصنام فكسرها وهو قوله تعالى ﴿فراغ﴾ أى مال ﴿الى آلهتهم﴾ ميلة فى خفية ﴿فقال﴾ أى للاصنام أستهزاء بها ﴿ألا تأكلون﴾ يعنى الطعام الذى بين أيديكم ﴿مالكم لاتنطقون فراغ﴾ أى مال ﴿عليهم ضربا باليمين﴾ أى ضربهم بيده اليمنى لانها أقوى من الشمال فى العمل وقيل بالقوة والقدرة عليهم وقيل أراد باليمين القسم وهو قوله وتالله لاكيدن أصنامكم ﴿فاقبلوا اليه﴾ أى الى ابراهيم

فتفكر فكرة فى نفسه (فقال انى سقيم) مريض مطعون لكى يتركوه (فتولوا عنه مدبرين) فاعرضوا عنه (يزفون) ذاهبين الى عيدهم وتركوه (فراغ) فاقبل ابراهيم (الى آلهتهم فقال) لهم (ألا تأكلون) مما عليكم من العسل فلم يجيبوهم فقال لهم (مالكم لاتنطقون) لاتجيبون (فراغ عليهم) فاقبل عليهم (ضربا باليمين) بالفأس ويقال بيمينه (فاقبلوا اليه) من عيدهم

(يزفون) يسرعون من الزفيف وهو الاسراع يزفون حمزة من أزف اذا دخل فى الزفيف ازفافا فكانه قد رآه بعضهم يكسرها وبعضهم لم يره فاقبل من رآه مسرعا نحوه ثم جاء من لم يره يكسرها فقال لمن رآه من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين فاجابوه على سبيل التعريض بقولهم سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم ثم قالوا باجمعهم نحن نعبدها وأنت تكسرها فاجابهم بقوله (قال أتعبدون ماتنحتون) بايديكم (والله خلقكم وما تعملون) وخلق ما تعملونه من الاصنام أو ما مصدرية أى وخلق أعمالكم وهو دليلنا فى خلق الافعال أى الله خالقكم وخالق أعمالكم فلم تعبدون غيره (قالوا ابنوا له) أى لاجله (بنيانا) من الحجر طوله ثلاثون ذراعا وعرضه عشرون ذراعا (فالقوه فى الجحيم) فى النار الشديدة وقيل كل نار بعضها فوق بعض فهى جحيم (فارادوا به كيدا) بالقائه فى النار (فجعلناهم الاسفلين) المقهور عند الالقاء فخرج من النار (وقال انى ذاهب الى ربى) الى موضع أمرنى بالذهاب اليه (سيهدين) سيرشدنى الى مافيه صلاحى فى دينى

هذا بآلهتنا الآية ﴿ يزفون ﴾ يسرعون من زفيف النعام وقرأ حمزة على بناء المفعول من ازف اى يحملون على الزفيف ويزفون اى يزف بعضهم بعضا ويزفون من وزف يزف اذا اسرع ويزفون من زفاه اذا حداه كان بعضهم يزفو بعضا لتسارعهم اليه ﴿ قال أتعبدون ماتنحتون ﴾ ماتنحتونه من الاصنام ﴿ والله خلقكم وما تعملون ﴾ اى وما تعملونه فان جوهرها بخلقه وشكلها وان كان بفعلهم ولذلك جعل من اعمالهم فباقداره اياهم عليه وخلقه مايتوقف عليه فعلهم من الدواعى والعدد او عملكم بمعنى معمولكم ليطابق ماتنحتون او انه بمعنى الحدث فان فعلهم اذا كان بخلق الله تعالى فيهم كان مفعولهم المتوقف على فعلهم اولى بذلك وبهذا المعنى تمسك اصحابنا على خلق الاعمال ولهم ان يرجحوه على الاولين لما فيهما من حذف او مجاز ﴿ قالوا ابنوا له بنيانا فألقوه فى الجحيم ﴾ فى النار الشديدة من الجحمة وهى شدة التأجج[٢] واللام بدل الاضافة اى جحيم ذلك البنيان ﴿ فأرادوا به كيدا ﴾ فانه لما قهرهم بالحجة قصدوا تعذيبه بذلك لئلا يظهر للعامة عجزهم ﴿ فجعلناهم الاسفلين ﴾ الاذلين بابطال كيدهم وجعله برهانا نيرا على علو شأنه حيث جعل النار عليه بردا وسلاما ﴿ وقال انى ذاهب الى ربى ﴾ اى الى حيث امرنى ربى وهو الشام او حيث اتجرد فيه لعبادته ﴿ سيهدين ﴾ الى مافيه صلاح دينى او الى مقصدى وانما بت القول لسبق وعده او لفرط توكله او البناء على عادته معه ولم يكن كذلك حال موسى

﴿ يزفون ﴾ أى يسرعون وذلك انهم أخبروا بصنع ابراهيم بآلهتهم فاسرعوا اليه ليأخذوه ﴿ قال ﴾ لهم ابراهيم على وجه الحجاج ﴿ أتعبدون ماتنحتون ﴾ أى بايديكم من الاصنام ﴿ والله خلقكم وما تعملون ﴾ أى وعملكم وقيل وخلق الذى تعملونه بايديكم من الاصنام وفى الآية دليل على ان أفعال العباد مخلوقة لله تعالى ﴿ قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه فى الجحيم ﴾ قيل انهم بنوا له حائطا من الحجر طوله فى السماء ثلاثون ذراعا وعرضه عشرون ذراعا وملؤه من الحطب وأوقدوا عليه النار وطرحوه فيها وهو قوله تعالى ﴿ فارادوا به كيدا ﴾ أى شرا وهو ان يحرقوه ﴿ فجعلناهم الاسفلين ﴾ أى المقهورين حيث سلم الله ابراهيم ورد كيدهم ﴿ وقال ﴾ يعنى ابراهيم ﴿ انى ذاهب الى ربى ﴾ اى مهاجر الى ربى وأهجر دار الكفر قاله بعد خروجه من النار ﴿ سيهدين ﴾ أى الى حيث أمرنى بالمصير اليه وهو أرض الشأم فلما قدم الارض

(يزفون) يسرعون ويمشون (قال) لهم ابراهيم (أتعبدون ماتنحتون) بايديكم من العيدان والحجارة (والله خلقكم) وتتركون عبادة الله الذى خلقكم (وما تعملون) وخلق نحتكم ومنحوتكم (قالوا ابنوا له بنيانا) أتونا (فالقوه) فاطرحوه (فى الجحيم) فى النار (فارادوا به كيدا) حرقا بالنار (فجعلناهم الاسفلين) من الاسفلين فى النار (قا و خا ٣١ مس) ويقال من الاخسرين بالعقوبة (وقال) ابراهيم للوط (انى ذاهب الى ربى) مقبل الى طاعة ربى (سيهدين)

---

[٢] التأجج والاجيج تلهب النار يقال اجت النار تؤج اجيجا واججتها فتأججت لما اورد ابراهيم عليه الصلاة والسلام حجته على قومه بكونهم مبطلين فى امرهم ولم يقدروا على الجواب عدلوا الى طريقة الايذاء والاهلاك عنادا للحق بعد وضوحه لئلا يظهر عجزهم ومغلوبيتهم انتهى من شيخ زاده

عليه الصلاة والسلام حيث قال عسى ربي ان يهديني سواء السبيل ولذلك ذكر بصيغة التوقع ﴿ رب هب لي من الصالحين ﴾ بعض الصالحين يعينني على الدعوة والطاعة ويؤنسني في الغربة يعني الولد لان لفظ الهبة غالب فيه ولقوله تعالى ﴿ فبشرناه بغلام حليم ﴾ بشره بالولد وبانه ذكر يبلغ اوان الحلم فان الصبي لا يوصف بالحلم ويكون حليما واي حلم مثل حلمه حين عرض عليه ابوه الذبح وهو مراهق فقال ستجدني ان شاء الله من الصابرين وقيل ما نعت الله نبيا بالحلم لعزة وجوده غير ابراهيم وابنه عليهما السلام وحالهما المذكورة بعد تشهد عليه ﴿ فلما بلغ معه السعي ﴾ اي فلما وجد وبلغ ان يسعى معه في اعماله ومعه متعلق بمحذوف دل عليه السعي لا به لان صلة المصدر لا تتقدمه ولا ببلغ فان بلوغهما لم يكن معا كأنه قال فلما بلغ السعي فقيل مع من فقيل معه وتخصيصه لان الاب اكمل في الرفق والاستصلاح له فلا يستسعيه قبل اوانه اولانه استوهبه لذلك وكان له يومئذ ثلاث عشرة سنة ﴿ قال يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك ﴾ يحتمل انه

المقدسة سأل ربه الولد فقال ﴿ رب هب لي من الصالحين ﴾ أي هب لي ولدا صالحا ﴿ فبشرناه بغلام حليم ﴾ قيل غلام عليم في صغره حليم في كبره وفيه بشارة انه ابن وانه يعيش وينتهي في السن حتى يوصف بالحلم * قوله تعالى ﴿ فلما بلغ معه السعي ﴾ قال ابن عباس يعني المشي معه الى الجبل وعنه انه لما شب حتى بلغ سعيه سعي ابراهيم والمعنى بلغ ان ينصرف معه ويعينه في عمله وقيل السعي العمل لله تعالى وهو العبادة قيل كان ابن ثلاث عشرة سنة وقيل سبع سنين ﴿ قال يا بني اني أرى في المنام أني أذبحك ﴾ قيل انه لم ير في منامه انه ذبحه وانما أمر بذبحه وقيل بل رأى انه يعالج ذبحه ولم ير اراقة دمه ورؤيا الانبياء حق اذا رأوا شيأ فعلوه واختلف العلماء من المسلمين في هذا الغلام الذي أمر ابراهيم بذبحه على قولين مع اتفاق أهل الكتابين على انه اسحق فقال قوم هو اسحق واليه ذهب من الصحابة عمر وعلي وابن مسعود والعباس ومن التابعين ومن بعدهم كعب الاحبار وسعيد بن جبير وقتادة ومسروق وعكرمة وعطاء ومقاتل والزهري والسدي واختلفت الروايات عن ابن عباس فروي عنه انه اسحق وروي انه اسمعيل ومن ذهب الى انه اسحق قال كانت هذه القصة بالشأم وروي عن سعيد بن جبير قال رأى ابراهيم ذبح اسحق في المنام وهو بالشأم فسار به مسيرة شهر في غدة واحدة حتى أتى به المنحر من منى فلما أمره الله بذبح الكبش ذبحه وسار به مسيرة شهر في روحة واحدة طويت له الاودية والجبال والقول الثاني انه اسمعيل واليه ذهب عبد الله بن سلام والحسن وسعيد بن المسيب والشعبي ومجاهد والربيع ابن أنس ومحمد بن كعب القرظي والكلبي ورواية عطاء بن أبي رباح ويوسف بن ماهك عن ابن عباس قال المفدى اسمعيل وكلا القولين يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتج من ذهب الى ان الذبيح اسحق بقوله تعالى فبشرناه بغلام حليم فلما بلغ معه السعي أمر بذبح من بشر به وليس في القرآن انه بشر بولد سوى اسحق كما قال تعالى في سورة هود فبشرناها باسحق وقوله وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين بعد

بعض الصالحين يريد الولد لان لفظ الهبة غلب في الولد (فبشرناه بغلام حليم) انطوت البشارة على ثلاث على ان الولد غلام ذكر وانه يبلغ اوان الحلم لان الصبي لا يوصف بالحلم وانه يكون حليما وأي حلم أعظم من حلمه حين عرض عليه ابوه الذبح فقال ستجدني ان شاء الله من الصابرين ثم استسلم لذلك (فلما بلغ معه السعي) بلغ أن يسعى مع أبيه في أشغاله وحوائجه ومعه لا يتعلق ببلغ لاقتضائه بلوغهما معا حد السعي ولا بالسعي لان صلة المصدر لا تتقدم عليه فبقي أن يكون بيانا كأنه لما قال فلما بلغ السعي أي الحد الذي يقدر فيه على السعي قيل مع من قال مع أبيه وكان اذ ذاك ابن ثلاث عشرة سنة (قال يا بني) حفص والباقون بكسر الياء (اني أرى في المنام أني أذبحك

سيرشدني وينجيني منهم ربي ثم قال (رب هب لي من الصالحين) ولدا من المرسلين (فبشرناه بغلام) بولد (حليم) عليم في صغره حليم في كبره (فلما بلغ معه السعي) العمل لله بالطاعة ويقال المشي معه الى الجبل (قال) ابراهيم لابنه اسمعيل ويقال اسحق (يا بني اني أرى في المنام) أمرت في المنام (اني أذبحك) (قصة)

رأى ذلك اوانه رأى ماهو تعبيره وقيل انه رأى ليلة التروية ان قائلا يقول له ان الله يأمرك بذبح ابنك فلما اصبح روى انه من الله اومن الشيطان فلما امسى رأى مثل ذلك فعرف انه من الله ثم رأى مثله فى الليلة الثالثة فهم بنحره وقال له ذلك ولهذا سميت الايام الثلاثة بالتروية وعرفة والنحر والاظهر ان المخاطب به اسمعيل لانه الذى وهب له اثر الهجرة ولان البشارة باسحق بعد معطوفة على البشارة بهذا الغلام ولقوله صلى الله عليه وسلم انا ابن الذبيحين فاحدهما جده اسمعيل والآخر ابوه عبدالله فان عبدالمطلب نذران يذبح ولدا ان سهل الله له حفر بئر زمزم اوبلغ بنوه عشرة فلما سهل اقرع فخرج السهم على عبدالله ففداه بمائة من الابل ولذلك سنت الدية مائة ولان ذلك كان بمكة وكان قرنا الكبش معلقين بالكعبة حتى احترقامعها فى ايام ابن الزبير ولم يكن اسحق ثمة ولان البشارة

قصة الذبح يدل على انه تعالى انما بشره بالنبوة لما تحمل من الشدائد فى قصة الذبح فثبت بما ذكرناه ان أول الآية وآخرها يدل على ان اسحق هو الذبيح ومما ذكر أيضا فى كتاب يعقوب الى ولده يوسف لما كان بمصر من يعقوب اسرائيل الله ابن اسحق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله واحتج من ذهب الى ان الذبيح هو اسمعيل بان الله تعالى ذكر البشارة باسحق بعد الفراغ من قصة الذبيح فقال تعالى وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين فدل على ان المذبوح غيره وأيضا فان الله تعالى قال فى سورة هود فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب فكيف يأمره بذبح اسحق وقد وعده بنافلة وهو يعقوب بعده ووصف اسمعيل بالصبر دون اسحق فى قوله واسمعيل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين وهو صبره على الذبح ووصفه بصدق الوعد بقوله انه كان صادق الوعد لانه وعد اباه من نفسه الصبر على الذبح فوفى له بذلك وقال القرطبى سأل عمر بن عبد العزيز رجلا من علماء اليهود وكان أسلم وحسن اسلامه أى ابنى ابراهيم أمره الله تعالى بذبحه فقال اسمعيل ثم قال يا أمير المؤمنين ان اليهود لتعلم ذلك ولكن يحسدونكم يامعشر العرب على أن يكون أبوكم هو الذى أمر الله تعالى بذبحه ويدعون انه اسحق أبوهم ومن الدليل أيضا ان قرنى الكبش كانا معلقين على الكعبة فى أيدى بنى اسمعيل الى ان احترق البيت فى زمن ابن الزبير قال الشعبى رأيت قرنى الكبش منوطين بالكعبة وقال ابن عباس والذى نفسى بيده لقد كان أول الاسلام وان رأس الكبش لمعلق بقرنيه فى ميزاب الكعبة وقد وحش يعنى يبس وقال الاصمعى سألت أباعمرو بن العلاء عن الذبيح أاسحق كان أو اسمعيل فقال يا أصمعى أين ذهب عقلك متى كان اسحق بمكة انما كان اسمعيل وهو الذى بنى البيت مع أبيه والله تعالى أعلم

ذكر الاشارة الى قصة الذبح

قال العلماء بالسير وأخبار الماضين لما دعا ابراهيم ربه فقال رب هب لى من الصالحين وبشربه قال هواذا لله ذبيح فلما ولد وبلغ معه السعى قيل له أوف بنذرك هذا هو السبب فى أمر الله تعالى اياه بالذبح فقال لاسحق انطلق نقرب لله قربانا فاخذ سكينا وحبلا وانطلق معه حتى ذهب به بين الجبال فقال الغلام يا أبت أين قربانك فقال يا بنى انى أرى فى المنام انى

وبفتح الياء فيهما حجازى وأبو عمرو قيل له فى المنام اذبح ابنك ورؤيا الانبياء وحى كالوحى فى اليقظة وانما لم يقل رأيت لانه رأى مرة بعد مرة فقد قيل رأى ليلة التروية كأن قائلا يقول له ان الله يأمرك بذبح ابنك هذا فلما أصبح روى فى ذلك من الصباح الى الرواح أمن الله هذا الحلم ام من الشيطان فمن ثمه سمى يوم التروية فلما أمسى رأى مثل ذلك فعرف أنه من الله فمن ثمه سمى يوم عرفة ثم رأى مثل ذلك فى الليلة الثالثة فهم بنحره فسمى اليوم يوم النحر

باسحق كانت مقرونة بولادة يعقوب منه فلايناسبها الامر بذبحه مراهقا وماروى انه صلى الله عليه وسلم سئل اى النسب اشرف فقال يوسف صديق الله ابن يعقوب اسرائيل الله ابن اسحق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله فالصحيح انه قال يوسف بن يعقوب ابن اسحق ابن ابراهيم والزوائد من الراوى وماروى ان يعقوب كتب الى يوسف مثل ذلك لم يثبت وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو بفتح الياء فيهما ﴿فانظر ماذاترى﴾ من الرأى وانما شاوره فيه وهو حتم ليعلم ماعنده فيما نزل من بلاء الله فيثبت قدمه ان جزع ويأمن عليه ان سلم وليوطن نفسه عليه فيهون عليه ويكتسب المثوبة بالانقياد له قبل نزوله وقرأ حمزة والكسائى ماذاترى بضم التاء وكسر الراء خالصة والباقون بفتحها وابو عمرو يميل فتحة الراء وورش بين بين والباقون باخلاص فتحها ﴿قال ياابت﴾ وقرأ ابن عامر بفتح التاء ﴿افعل ماتؤمر﴾ اى ماتؤمر به فحذفا دفعة اوعلى الترتيب كما عرفت اوامرك على ارادة المأمور به والاضافة الى المأمور ولعله فهم من كلامه انه رأى انه يذبحه مأمورا به اوعلم ان رؤيا الانبياء حق وان مثل ذلك لايقدمون عليه الابامر ولعل الامر به فى المنام دون اليقظة ليكون مبادرتهما الى الامتثال ادل على كمال الانقياد والاخلاص

أذبحك فانظر ماذا ترى قال ياأبت افعل ماتؤمر وقال محمد بن اسحق كان ابراهيم صلى الله عليه وسلم اذا زار هاجر واسمعيل حمل على البراق فيغدو من الشام فيقيل بمكة ويروح من مكة فيبيت عند أهله بالشام حتى اذا بلغ اسمعيل معه السعى وأخذ بنفسه ورجاه لما كان يؤمل فيه من عبادة ربه وتعظيم حرماته أمر فى المنام بذبحه وذلك انه رأى ليلة التروية كأن قائلا يقول له ان الله يأمرك بذبح ابنك هذا فلما أصبح تروى فى نفسه أى فكر من الصباح الى الرواح أمن الله هذا الحلم أم من الشيطان فن ثمه سمى ذلك اليوم يوم التروية فلما أمسى رأى فى المنام ثانيا فلما أصبح عرف ان ذلك من الله تعالى فسمى ذلك اليوم يوم عرفة وقيل رأى ذلك ثلاث ليال متتابعات فلما عزم على نحره سمى ذلك اليوم يوم النحر فلما تيقن ذلك أخبر به ابنه فقال يابنى انى أرى فى المنام انى أذبحك ﴿فانظر ماذاترى﴾ أى من الرأى على وجه المشاورة * فان قلت لم شاوره فى أمر قد علم انه حتم من الله تعالى وما الحكمة فى ذلك * قلت لم يشاوره ليرجع الى رأيه وانما شاوره ليعلم ماعنده فيما نزل به من بلاء الله تعالى وليعلم صبره على أمر الله وعزيمته على طاعته ويثبت قدمه ويصبره ان جزع ويراجع نفسه ويوطنها ويلقى البلاء وهو كالمستأنس به ويكتسب المثوبة بالانقياد لامر الله تعالى قبل نزوله * فان قلت لم كان ذلك فى المنام دون اليقظة وما الحكمة فى ذلك * قلت ان هذا الامر كان فى نهاية المشقة على الذابح والمذبوح فورد فى المنام كالتوطئة له ثم تأكد حال النوم باحوال اليقظة فاذا تظاهرت الحالتان كان ذلك أقوى فى الدلالة ورؤيا الانبياء وحى وحق ﴿قال ياأبت افعل ماتؤمر﴾ أى قال الغلام لابيه افعل ماأمرت به قال ابن اسحق وغيره لما أمر ابراهيم بذلك قال لابنه يابنى خذ الحبل والمدية وانطلق الى هذا الشعب نحتطب فلما خلا ابراهيم بابنه فى الشعب أخبره بما أمره الله به فقال افعل ماتؤمر

(فانظر ماذاترى) من الرأى على وجه المشاورة لا من رؤية العين ولم يشاوره ليرجع الى رأيه ومشورته ولكن ليعلم أيجزع أم يصبر ترى على وحمزة أى ماذا تبصر من رأيك وتبديه (قال ياأبت افعل ماتؤمر) أى ماتؤمر به وقرئ به

فانظر ماذاترى) تشير وتأمر (قال ياابت افعل ماتؤمر) من الذبح

واناذكر بلفظ المضارع لتكرار الرؤيا ﴿ ستجدني ان شاء الله من الصابرين ﴾ على الذبح او على قضاء الله وقرأ نافع بفتح الياء ﴿ فلما اسلما ﴾ استسلما لامر الله اوسلم الذبيح نفسه وابراهيم ابنه وقد قرئ بهما واصلها سلم هذا لفلان اذا خلص له فانه سلم من ان ينازع فيه ﴿ وتله للجبين ﴾ صرعه على شقه فوقع جبينه على الارض وهو احد جانبي الجبهة وقيل كبه على وجهه باشارته كيلا يرى فيه تغيرا يرق له فلا يذبحه وكان ذلك عند الصخرة

﴿ ستجدني ان شاء الله من الصابرين ﴾ انما علق ذلك بمشيئة الله تعالى على سبيل التبرك وانه لا حول عن معصية الله تعالى الا بعصمة الله تعالى ولا قوة على طاعة الله الا بتوفيق الله ﴿ فلما أسلما ﴾ يعني انقادا وخضعا لامر الله وذلك ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام أسلم ابنه وأسلم الابن نفسه ﴿ وتله للجبين ﴾ أي صرعه على الارض قال ابن عباس أضجعه على جبينه على الارض فلما فعل ذلك قال له ابنه يا أبت اشدد رباطي كيلا أضطرب واكفف عني ثيابك حتى لا ينتضح عليها شئ من دمي فينقص أجري وتراه أمي فتحزن واستحد شفرتك وأسرع مر السكين على حلقي ليكون أهون علي فان الموت شديد واذا أتيت أمي فاقرأ عليها السلام مني وان رأيت ان ترد قميصي على أمي فافعل فانه عسى أن يكون أسلى لها عني فقال ابراهيم عليه السلام نعم العون أنت يا بني على أمر الله ففعل ابراهيم ما أمره به ابنه ثم أقبل عليه يقبله وهو يبكي وقد ربطه والابن يبكي ثم انه وضع السكين على حلقه فلم تحك شيأ ثم انه حدها مرتين أو ثلاثا بالحجر كل ذلك لا يستطيع ان يقطع شيأ قيل ضرب الله تعالى صفيحة من نحاس على حلقه والاول أبلغ في القدرة وهو منع الحديد عن اللحم قالوا فقال الابن عند ذلك يا أبت كبني لوجهي فانك اذا نظرت وجهي رحمتني وأدركتك رقة تحول بينك وبين أمر الله تعالى وأنا لا أنظر الى الشفرة فاجزع منها ففعل ابراهيم عليه الصلاة والسلام ذلك ثم وضع السكين على قفاه فانقلبت ونودي يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا وروي عن كعب الاحبار وابن اسحق عن رجاله قالوا لما رأى ابراهيم عليه الصلاة والسلام ذبح ابنه قال الشيطان لئن لم أفتن عند هذا آل ابراهيم لا أفتن منهم أحدا أبدا فتمثل الشيطان في صورة رجل وأتى أم الغلام فقال لها هل تدرين أين ذهب ابراهيم بابنك قالت ذهب به ليحتطبا من هذا الشعب قال لا والله ما ذهب به الا ليذبحه قالت كلا هو أرحم به وأشد حبا له من ذلك قال انه يزعم أن الله أمره بذلك قالت ان كان ربه أمره بذلك فقد أحسن أن يطيع ربه فخرج الشيطان من عندها حتى أدرك الابن وهو يمشي على أثر أبيه فقال له يا غلام هل تدري أين يذهب بك أبوك قال نحتطب لاهلنا من هذا الشعب قال لا والله ما يريد الا أن يذبحك قال ولم قال ان ربه امره بذلك قال فليفعل ما امره به ربه فسمعا وطاعة فلما امتنع الغلام أقبل على ابراهيم فقال له أين تريد أيها الشيخ قال هذا الشعب لحاجة لي فيه قال والله اني لارى الشيطان قد جاءك في منامك فامرك بذبح ابنك هذا فعرفه ابراهيم عليه الصلاة والسلام فقال اليك عني يا عدو الله فوالله لامضين لامر ربي فرجع ابليس بغيظه لم يصب من ابراهيم وآله شيأ مما أراد وامتنعوا منه بعون الله تعالى وروى

(ستجدني ان شاء الله من الصابرين) على الذبح روى ان الذبيح قال لابيه يا أبت خذ بناصيتي واجلس بين كتفي حتى لا أوذيك اذا أصابتني الشفرة ولا تذبحني وأنت تنظر في وجهي عسى أن ترحمني واجعل وجهي الى الارض ويروى اذبحني وأنا ساجد واقرأ على أمي السلام وان رأيت ان ترد قميصي على أمي فافعل فانه عسى أن يكون أسهل لها (فلما أسلما) انقادا لامر الله وخضعا وعن قتادة أسلم هذا ابنه وهذا نفسه (وتله للجبين) صرعه على جبينه ووضع السكين على حلقه فلم يعمل ثم وضع السكين على قفاه فانقلب السكين ونودي يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا روى ان ذلك المكان عند الصخرة التي بمنى وجواب لما محذوف تقديره فلما أسلما وتله للجبين

(ستجدني ان شاء الله من الصابرين) على الذبح (فلما أسلما) اتفقا وسلما لامر الله (وتله للجبين) كبه لوجهه ويقال لجنبه

(وناديناه أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا) أى حققت ما أمرناك به فى المنام من تسليم الولد للذبح كان ما كان مما ينطق به الحال ولا يحيط به الوصف من استبشارهما وحمدهما الله وشكرهما على ما انعم به عليهما من دفع البلاء العظيم بعد حلوله أو الجواب قبلنا منه وناديناه معطوف عليه (انا كذلك نجزى المحسنين) تعليل لتحويل ما حولهما من الفرج بعد الشدة (ان هذا لهو البلاء المبين) الاختبار البين الذى يتميز فيه المخلصون من غيرهم أو المحنة البينة (وفديناه بذبح) هو ما يذبح وعن ابن عباس هو الكبش الذى قربه هابيل فقبل منه وكان يرعى فى الجنة حتى فدى به اسمعيل وعنه لو تمت تلك الذبيحة لصارت سنة وذبح الناس ابناءهم (عظيم) ضخم الجثة سمين وهى السنة فى الاضاحى وروى أنه هرب من ابراهيم عند الجمرة فرماه بسبع حصيات حتى أخذه فبقيت سنة فى الرمى وروى أنه لما ذبحه قال جبريل الله أكبر الله أكبر فقال الذبيح لا اله الا الله والله أكبر فقال ابراهيم الله أكبر ولله الحمد فبقى سنة وقد استشهد أبو حنيفة رضى الله عنه بهذه الآية فيمن نذر ذبح ولده انه يلزمه ذبح شاة والاظهر أن الذبيح اسمعيل وهو قول أبى بكر وابن عباس وابن عمر وجماعة من التابعين رضى الله عنهم لقوله عليه السلام أنا ابن الذبيحين فاحدهما جده اسمعيل والآخر أبوه عبد الله وذلك ان عبد المطلب نذر ان بلغ بنوه عشرة ان يذبح آخر ولده تقربا وكان عبد الله آخر ففداه بمائة من الابل ولان قرنى الكبش كانا منوطين فى الكعبة فى أيدى بنى اسمعيل الى ان احترق البيت فى زمن الحجاج وابن الزبير وعن الاصمعى انه قال سألت أبا عمرو بن العلاء عن الذبيح فقال يا اصمعى اين عزب عنك عقلك ومتى كان اسحق بمكة وانما كان اسمعيل بمكة وهو الذى بنى البيت مع ابيه والمنحر بمكة وعن على وابن مسعود والعباس وجماعة من التابعين رضى الله عنهم انه اسحق ويدل عليه كتاب

منى اوفى الموضع المشرف على مسجده اوالمنحر الذى ينحر فيه اليوم ﴿ وناديناه ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا ﴾ بالعزم والاتيان بالمقدمات وقد روى انه امر السكين بقوته على حلقه مرارا فلم تقطع وجواب لما محذوف تقديره كان ما كان مما ينطق به الحال ولا يحيط به المقال من استبشارهما وشكرهما الله على ما انعم عليهما من دفع البلاء بعد حلوله والتوفيق لما لم يوفق غيرهما لمثله واظهار فضلهما به على العالمين مع احراز الثواب العظيم الى غير ذلك ﴿ انا كذلك نجزى المحسنين ﴾ تعليل لافراج تلك الشدة عنهما باحسانهما واحتج به من جوز النسخ قبل وقوعه فانه عليه الصلاة والسلام كان مأمورا بالذبح لقوله افعل ما تؤمر ولم يحصل ﴿ ان هذا لهو البلاء المبين ﴾ الابتلاء البين الذى يتميز فيه المخلص من غيره اوالمحنة البينة الصعوبة فانه لا اصعب منها ﴿ وفديناه بذبح ﴾ بما يذبح بدله فيتم به الفعل ﴿ عظيم ﴾ عظيم الجثة سمين اوعظيم القدر لانه يفدى به الله نبيا ابن نبى واى نبى من نسله

عن ابن عباس ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام لما أراد ان يذبح ابنه عرض له الشيطان بهذا المشعر فسابقه فسبقه ابراهيم ثم ذهب الى جمرة العقبة فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم عرض له عند الجمرة الوسطى فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم أدركه عند الجمرة الكبرى فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم مضى ابراهيم لامر الله عز وجل وهو قوله تعالى فلما أسلما وتله للجبين ﴿ وناديناه ﴾ أى فنودى من الجبل ﴿ أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا ﴾ أى حصل المقصود من تلك الرؤيا حيث ظهر منه كمال الطاعة والانقياد لامر الله تعالى وكذلك الولد • فان قلت كيف قيل قد صدقت الرؤيا وكان قد رأى الذبح ولم يذبح وانما كان تصديقها لو حصل منه الذبح • قلت جعله مصدقا لانه بذل وسعه ومجهوده وأتى بما أمكنه وفعل ما يفعله الذابح فقد حصل المطلوب وهو اسلامهما لامر الله تعالى وانقيادهما لذلك فلذلك قال له قد صدقت الرؤيا ﴿ انا كذلك نجزى المحسنين ﴾ يعنى جزاه الله باحسانه فى طاعته العفو عن ذبح ولده والمعنى انا كما عفونا عن ذبح ولده كذلك نجزى المحسنين فى طاعتنا ﴿ ان هذا لهو البلاء المبين ﴾ أى الاختبار الظاهر حيث اختبره بذبح ولده ﴿ وفديناه بذبح عظيم ﴾ قيل نظر ابراهيم فاذا هو بجبريل ومعه كبش أملح أقرن فقال هذا فداء ابنك فاذبحه دونه فكبر ابراهيم وكبر

(وناديناه أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا) قد وفيت ما أمرت فى المنام (انا كذلك) هكذا (نجزى المحسنين) بالقول والفعل (ان هذا لهو البلاء المبين) الاختبار البين (وفديناه بذبح عظيم) بكبش

كتاب يعقوب الى يوسف عليهما السلام من يعقوب اسرائيل الله ابن اسحق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله وانما قيل وفديناه وان كان الفادى ابراهيم عليه السلام والله تعالى هو المفتدى منه لانه الآمر بالذبح لانه تعالى وهب له الكبش ليفتدى به وههنا اشكال وهو أنه لايخلوا اما أن يكون ما أتى به أبراهيم عليه السلام من بطحه على شقه وأمرار الشفرة على حلقه فى حكم الذبح أم لا فان كان فى حكم الذبح فما معنى الفداء والفداء هو التخليص من الذبح ببدل وان لم يكن فما معنى قوله قد صدقت الرؤيا وانما كان يصدقها لو صح منه الذبح اصلا أو بدلا ولم يصح والجواب انه عليه السلام قد بذل وسعه وفعل مايفعل الذابح ولكن الله تعالى جاء بما منع الشفرة ان تمضى فيه وهذا لايقدح فى فعل ابراهيم ووهب الله له الكبش ليقيم ذبحه مقام تلك الحقيقة فى نفس اسمعيل بدلا منه وليس هذا بنسخ منه للحكم كما قال البعض بل ذلك الحكم كان ثابتا الا ان المحل الذى أضيف اليه لم يحله الحكم على طريق الفداء دون النسخ وكان ذلك ابتلاء ليستقر حكم الامر عند المخاطب فى آخر الحال على ان المبتغى منه فى حق الولد أن يصير قربانا بنسبة الحكم اليه مكرما بالفداء الحاصل لمعرة الذبح مبتلى بالصبر والمجاهدة الى حال المكاشفة وانما النسخ بعد استقرار المراد بالامر لاقبله وقد سمى فداء فى الكتاب لانسخا (وتركنا عليه فى الآخرين) ولا وقف عليه لان (سلام على ابراهيم) مفعول وتركنا (كذلك نجزى المحسنين) ولم يقل انا كذلك هنا كما فى غيره لانه قد سبق فى هذه القصة فاستخف بطرحها اكتفاء بذكره مرة عن ذكره ثانية (انه من عبادنا المؤمنين وبشرناه باسحق نبيا) حال مقدرة من اسحق ولابد من تقدير مضاف محذوف اى وبشرناه بوجود اسحق نبيا أى بان يوجد مقدرة نبوته فالعامل فى الحال الوجود لا البشارة (من الصالحين) حال ثانية وورودها على سبيل الثناء لان كل نبى لابدوان يكون

سيد المرسلين قيل كان كبشا من الجنة وقيل وعلا اهبط عليه من ثبير وروى انه هرب منه عند الجمرة فرماه بسبع حصيات حتى اخذه فصارت سنة والفادى على الحقيقة ابراهيم وانما قال وفديناه لانه المعطى له والامر به على التجوز فى الفداء او الاسناد واستدل به الحنفية على ان من نذر ذبح ولده لزمه ذبح شاة وليس فيه مايدل عليه ﴿ وتركنا عليه فى الآخرين سلام على ابراهيم ﴾ سبق بيانه فى قصة نوح ﴿ كذلك نجزى المحسنين انه من عبادنا المؤمنين ﴾ لعله طرح منه انا اكتفاء بذكره مرة فى هذه القصة ﴿ وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين ﴾ مقضيا نبوته مقدرا كونه من الصالحين وبهذا الاعتبار وقعا حالين ولا حاجة الى وجود المبشر به وقت البشارة فان وجود ذى الحال غير مشروط بل الشرط مقارنة تعلق الفعل به للاعتبار المعنى بالحال فلا حاجة الى تقدير مضاف يجعل عاملا فيهما مثل وبشرناه بوجود اسحق اى بان يوجد اسحق نبيا من الصالحين ومع ذلك لايصير نظير قوله فادخلوها خالدين فان الداخلين كانوا مقدرين خلودهم وقت الدخول واسحق لم يكن مقدرا نبوة نفسه وصلاحها حيثما يوجد ومن فسر الغلام باسحق جعل المقصود من البشارة نبوته وفى ذكر الصلاح بعد النبوة تعظيم لشأنه وايماء بانه الغاية لها لتضمنها معنى الكمال والتكميل

ابنه وكبر جبريل وكبر الكبش فاخذه ابراهيم وأتى به المنحر من منى فذبحه قال اكثر المفسرين كان هذا الذبح كبشا رعى فى الجنة أربعين خريفا وقال ابن عباس الكبش الذى ذبحه ابراهيم هو الذى قربه ابن آدم قيل حق له ان يكون عظيما وقد تقبل مرتين وقيل سمى عظيما لانه من عند الله تعالى وقيل لعظمه فى الثواب وقيل لعظمه وسمنه وقال الحسن مافدى اسمعيل الا بتيس من الاروى أهبط عليه من ثبير ﴿ وتركنا عليه فى الآخرين ﴾ أى تركنا له ثناء حسنا فيمن بعده ﴿ سلام على ابراهيم كذلك نجزى المحسنين انه من عبادنا المؤمنين ﴾ * قوله تعالى ﴿ وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين ﴾ اى بوجود اسحق وهذا على قول من يقول ان الذبيح هو اسمعيل ومعناه انه بشر باسحق بعد هذه القصة جزاء لطاعته وصبره ومن جعل الذبيح هو اسحق قال معنى الآية وبشرناه

سمين (وتركنا عليه) على ابراهيم ثناء حسنا (فى الآخرين) فى الباقين بعده (سلام) منا سعادة وسلامة (على ابراهيم كذلك) هكذا (نجزى المحسنين) بالثناء الحسن والنجاة (انه) يعنى ابراهيم (من عبادنا المؤمنين) المصدقين فى ايمانهم (وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين)

من الصالحين (وباركناعليه وعلى اسحق) أى أفضناعليهمابركات الدين والدنيا وقيل باركنا على ابراهيم فى أولاده وعلى اسحق بان أخرجنا من صلبه الف نبى أولهم يعقوب وآخرهم عيسى عليهم السلام (ومن ذريتهما محسن) مؤمن (وظالم لنفسه) كافر (مبين) ظاهر أو محسن الى الناس وظالم على نفسه بتعديه عن حدود الشرع وفيه تنبيه على ان الخبيث والطيب لايجرى أمرهما على العرف والعنصر فقد يلد البر الفاجر والفاجر البر وهذا مما يهدم أمر الطبائع والعناصر وعلى ان الظلم فى أعقابهما لم يعد عليهما بعيب ولا نقيصة وان المرء انما يعاب بسوء فعله ويعاقب على مااجترحت يداه لا على ماوجد من أصله وفرعه

(على موسى وهرون) بالنبوة (ونجيناهماوقومهما) بنى اسرائيل (من الكرب العظيم) من الغرق أومن سلطان فرعون وقومه وغشمهم (ونصرناهم) أى موسى وهرون وقومهما (فكانواهم الغالبين) على فرعون وقومه (وآتيناهماالكتاب المستبين) البليغ فى بيانه وهوالتوراة (وهديناهما الصراط المستقيم) صراط أهل الاسلام وهى صراط الذين أنعم الله عليهم غيرالمغضوب عليهم ولا الضالين (وتركنا عليهما فى الآخرين سلام على موسى وهرون انا كذلك نجزى المحسنين انهما من عبادنا المؤمنين وان الياس لمن المرسلين) هو الياس

بالفعل على الاطلاق ﴿ وباركناعليه ﴾ على ابراهيم فى اولاده ﴿ وعلى اسحق ﴾ بان اخرجنا من صلبه انبياء بنى اسرائيل وغيرهم كايوب وشعيب اوافضنا عليهما بركات الدين والدنيا وقرئ وبركنا ﴿ ومن ذريتهما محسن ﴾ فى عمله اوعلى نفسه بالايمان والطاعة ﴿ وظالم لنفسه ﴾ بالكفر والمعاصى ﴿ مبين ﴾ ظاهر ظلمه وفى ذلك تنبيه على ان النسب لااثرله فى الهدى والضلال وان الظلم فى اعقابهما لايعود عليهما بنقيصة وعيب ﴿ ولقدمننا على موسى وهرون ﴾ انعمنا عليهما بالنبوة وغيرها من المنافع الدينية والدنيوية ﴿ ونجيناهماوقومهما من الكرب العظيم ﴾ من تغلب فرعون اوالغرق ﴿ ونصرناهم ﴾ الضمير لهما مع القوم ﴿ فكانواهم الغالبين ﴾ على فرعون وقومه ﴿ وآتيناهماالكتاب المستبين ﴾ البليغ فى بيانه وهوالتوراة ﴿ وهديناهماالصراط المستقيم ﴾ الطريق الموصال الى الحق والصواب ﴿ وتركنا عليهما فى الآخرين سلام على موسى وهرون انا كذلك نجزى المحسنين انهما من عبادنا المؤمنين ﴾ سبق مثل ذلك ﴿ وان الياس لمن المرسلين ﴾ وهوالياس بن ياسين سبط هرون اخ موسى بعث

بنبوة اسحق وكذاروى عن ابن عباس قال بشربه مرتين حين ولد وحين نبئ ﴿ وباركنا عليه ﴾ يعنى على ابراهيم فى أولاده ﴿ وعلى اسحق ﴾ أى بكون أكثر الانبياء من نسله ﴿ ومن ذريتهما محسن ﴾ أى مؤمن ﴿ وظالم لنفسه ﴾ أى كافر ﴿ مبين ﴾ أى ظاهر الكفر وفيه تنبيه على انه لايلزم من كثرة فضائل الاب فضيلة الابن * قوله عزوجل ﴿ ولقدمننا على موسى وهرون ﴾ أنعمنا عليهما بالنبوة والرسالة ﴿ ونجيناهما وقومهما ﴾ يعنى بنى اسرائيل ﴿ من الكرب العظيم ﴾ يعنى الذى كانوافيه من استعباد فرعون اياهم وقيل هوانجاؤهم من الغرق ﴿ ونصرناهم ﴾ يعنى موسى وهرون وقومهما ﴿ فكانواهم الغالبين ﴾ أى على القبط ﴿ وآتيناهم الكتاب ﴾ يعنى التوراة ﴿ المستبين ﴾ المستنير ﴿ وهديناهما الصراط المستقيم ﴾ اى دللناهما على طريق الجنة ﴿ وتركناعليهمافى الآخرين ﴾ أى الثناء الحسن ﴿ سلام على موسى وهرون انا كذلك نجزى المحسنين انهمامن عبادنا المؤمنين ﴾ * قوله عزوجل ﴿ وان الياس لمن المرسلين

من المرسلين (وباركناعليه) بالثناء الحسن والذرية الطيبة (وعلى اسحق ومن ذريتهما) ذرية ابراهيم واسحق (محسن) موحد (وظالم لنفسه) بالكفر (مبين) ظاهر الكفر (ولقد منا على موسى وهرون) بالنبوة والاسلام (ونجيناهما وقومهما) من آمن بهما (من الكرب العظيم) من (روى) الغرق (ونصرناهم) على فرعون وقومه (فكانواهم الغالبين) القاهرين بالحجة (وآتيناهما) أعطيناهما (الكتاب) وهوالتوراة (المستبين) المبين بالحلال والحرام (وهديناهما الصراط المستقيم) ثبتناهما على الدين الحق المستقيم (وتركناعليهما) على موسى وهرون ثناء حسنا (فى الآخرين) الباقين بعدهما (سلام) منا بسعادة وسلامة (على موسى وهرون انا كذلك) هكذا (نجزى المحسنين) بالثناء الحسن (انهما من عبادنا المؤمنين) المصدقين (وان الياس لمن المرسلين)

بعده وقيل ادريس لانه قرئ ادريس وادراس مكانه وفي حرف

روى عن ابن مسعود انه قال الياس هو ادريس وكذلك هو في مصحفه وقال أكثر المفسرين هو نبي من انبياء بني اسرائيل قال ابن عباس هو ابن عم اليسع وقال محمد بن اسحق هو الياس بن بشر بن فنحاص بن العيزار بن هرون بن عمران

ذكر الاشارة الى القصة

قال محمد بن اسحق وعلماء السير والاخبار لما قبض الله عز وجل حزقيل النبي عليه الصلاة والسلام عظمت الاحداث في بني اسرائيل وظهر فيهم الفساد والشرك ونصبوا الاصنام وعبدوها من دون الله عز وجل فبعث الله عز وجل اليهم الياس نبيا وكان الانبياء يبعثون من بعد موسى عليه الصلاة والسلام في بني اسرائيل بتجديد مانسوا من أحكام التوراة وكان يوشع لما فتح الشام قسمها على بني اسرائيل وان سبطا منهم حصل في قسمته بعلبك ونواحيها وهم الذين بعث اليهم الياس وعليهم يومئذ ملك اسمه آجب وكان قد أضل قومه وجبرهم على عبادة الاصنام وكان له صنم من ذهب طوله عشرون ذراعا وله اربعة وجوه اسمه بعل وكانوا قد فتنوا به وعظموه وجعلوا له أربعمائة سادن وجعلوهم أنبياء فكان الشيطان يدخل في جوف بعل ويتكلم بشريعة الضلالة والسدنة يحفظونها عنه ويبلغونها الناس وهم أهل بعلبك وكان الياس يدعوهم الى عبادة الله عز وجل وهم لايسمعون له ولايؤمنون به الا ما كان من أمر الملك فانه آمن به وصدقه فكان الياس يقوم بامره ويسدده ويرشده وكان للملك امرأة جبارة وكان يستخلفها على ملكه اذا غاب فغصبت من رجل مؤمن جنينة كان يتعيش منها فاخذتها وقتله فبعث الله سبحانه وتعالى الياس الى الملك وزوجته وأمره ان يخبرهما أن الله عز وجل قد غضب لوليه حين قتل ظلما وآلى على نفسه انهما ان لم يتوبا عن صنيعهما ويردا الجنينة على ورثة المقتول أهلكهما في جوف الجنينة ثم يدعهما جيفتين ملقاتين فيها ولايتمتعان فيها الا قليلا فجاء الياس فاخبر الملك بما أوحى الله اليه في أمره وأمر امرأته والجنينة فلما سمع الملك ذلك غضب واشتد غضبه عليه وقال ياالياس والله ما أرى ماتدعونا اليه الا باطلا وهم بتعذيب الياس وقتله فلما حس الياس بالشر رفضه وخرج عنه هاربا ورجع الملك الى عبادة بعل ولحق الياس بشواهق الجبال فكان يأوى الى الشعاب والكهوف فبقي سبع سنين على ذلك خائفا مستخفيا يأكل من نبات الارض وثمار الشجر وهم في طلبه وقد وضعوا عليه العيون والله يستره منهم فلما طال الامر على الياس وسكنى الكهوف في الجبال وطال عصيان قومه ضاق بذلك ذرعا فاوحى الله تعالى اليه بعد سبع سنين وهو خائف مجهود ياالياس ماهذا الحزن والجزع الذي أنت فيه ألست أميني على وحيي وحجتي في أرضي وصفوتي من خلقي سلني أعطك فاني ذو الرحمة الواسعة والفضل العظيم قال يارب تميتني وتلحقني بآبائي فاني قد مللت بني اسرائيل وملوني فاوحى الله تعالى اليه ياالياس ماهذا باليوم الذي أعرى منك الارض

ابن ياسين من ولد هرون أخي موسى وقيل هو ادريس النبي عليه السلام

ابى وان ايليس وقرأ ابن ذكوان مع خلاف عنه بحذف همزة الياس

وأهلها وانما صلاحها وقوامها بك وباشباهك وان كنتم قليلا ولكن سلني أعطك فقال الياس ان لم تمتني فاعطني ثأري من بني اسرائيل قال الله عزوجل وأي شئ تريد أن أعطك قال تملكني خزائن السماء سبع سنين فلا تسير عليهم سحابة الابدعوتي ولا تمطر عليهم قطرة الابشفاعتي فانه لايذلهم الاذلك قال الله عزوجل ياالياس أنا أرحم بخلقي من ذلك وان كانوا ظالمين قال فست سنين قال أنا أرحم بخلقي من ذلك قال فخمس سنين قال انا أرحم بخلقي ولكن أعطيك ثأرك ثلاث سنين أجعل خزائن المطر بيدك قال الياس فبأي شئ أعيش يارب قال أسخر لك جيشا من الطير ينقل لك طعامك وشرابك من الريف والارض التي لم تقحط قال الياس قدرضيت فامسك الله عزوجل عنهم المطر حتى هلكت الماشية والهوام والشجر وجهد الناس جهدا شديدا والياس على حاله مستخفيا من قومه يوضع له الرزق حيث كان وقدعرف قومه ذلك قال ابن عباس أصاب بني اسرائيل ثلاث سنين القحط فمر الياس بعجوز فقال لها أعندك طعام قالت نعم شئ من دقيق وزيت قليل قال فدعا به ودعا فيه بالبركة ومسه حتى ملأ جرابها دقيقا وملأ خوابيها زيتا فلما رأوا ذلك عندها قالوا من أين لك هذا قالت مر بي رجل من حاله كذا وكذا فوصفته بصفته فعرفوه وقالوا ذلك الياس فطلبوه فوجدوه فهرب منهم ثم انه اوى الى بيت امرأة من بني اسرائيل ولها ابن يقال له اليسع بن اخطوب به ضر فآوته وأخفت امره فدعا لابنها فعوفي من الضر الذي كان به واتبع اليسع الياس وآمن به وصدقه ولزمه وذهب معه حيثما ذهب وكان الياس قدكبر واسن واليسع غلام شاب ثم ان الله تعالى اوحى الى الياس انك قد اهلكت كثيرا من الخلق ممن لم يعص من البهائم والدواب والطير والهوام بحبس المطر فيزعمون ان الياس قال يارب دعني اكن انا الذي ادعو لهم بالفرج مما هم فيه من البلاء لعلهم يرجعون عما هم فيه وينزعون عن عبادة غيرك فقيل له نعم فجاء الياس الى بني اسرائيل فقال انكم قد هلكتم جوعا وجهدا وهلكت البهائم والدواب والطير والهوام والشجر بخطاياكم وانكم على باطل فان كنتم تحبون أن تعلموا ذلك فاخرجوا باصنامكم فان استجابت لكم فذلك كما تقولون وان هي لم تفعل علمتم أنكم على باطل فنزعتم ودعوت الله تعالى ففرج عنكم ما انتم فيه من البلاء فقالوا انصفت فخرجوا باوثانهم ودعوها فلم تفرج عنهم ما كانوا فيه من البلاء فقالوا ياالياس انا قد اهلكنا فادع الله لنا فدعا الياس ومعه اليسع بالفرج فخرجت سحابة مثل الترس على ظهر البحر وهم ينظرون فاقبلت نحوهم وطبقت الآفاق ثم أرسل الله عزوجل عليهم المطر واغاثهم وحييت بلادهم فلما كشف الله تعالى عنهم الضر نقضوا العهد ولم ينزعوا عن كفرهم وأقاموا على اخبث ما كانوا عليه فلما رأى ذلك الياس دعا ربه عزوجل ان يريحه منهم فقيل له فيما يزعمون انظر يوم كذا وكذا فاخرج الى موضع كذا فما جاءك من شئ فاركبه ولاتهبه فخرج الياس ومعه اليسع حتى اذا كان بالموضع الذي امر به اقبل فرس من نار وقيل لونه كالنار حتى وقف بين يدي الياس فوثب

وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه وان ادريس في موضع الياس

(اذقال لقومه ألا تتقون) ألا تخافون الله (أتدعون) أتعبدون (بعلا) هو علم لصنم كان من ذهب وكان طوله عشرين ذراعا وله أربعة أوجه فتنوا به وعظموه حتى أخدموه أربعمائة سادن وجعلوهم أنبياء وكان موضعه يقال له بك فركب وصار بعلبك وهو من بلاد الشام وقيل فى الياس والخضر انهما حيان وقيل الياس وكل بالفيافى كما وكل الخضر بالبحار والحسن يقول قد هلك الياس والخضر ولا نقول كما يقول الناس انهما حيان (وتدرون أحسن الخالقين) وتتركون عبادة الله الذى هو أحسن المقدرين (الله ربكم ورب آبائكم الاولين) بنصب الكل عراقى غير أبى بكر وأبى عمرو على البدل من أحسن وغيرهم بالرفع على الابتداء (فكذبوه فانهم لمحضرون) فى النار (الا عباد الله المخلصين) من قومه (وتركنا عليه فى الآخرين سلام على الياسين) أى الياس وقومه المؤمنين كقولهم الخبيبون يعنى أبا خبيب عبد الله ابن الزبير وقومه آل ياسين شامى ونافع لان ياسين اسم أبى الياس فاضيف اليه

﴿ اذقال لقومه ألا تتقون ﴾ عذاب الله ﴿ أتدعون بعلا ﴾ أتعبدونه او أتطلبون الخير منه وهو اسم صنم كان لاهل بك بالشام وهو البلد الذى يقال له الآن بعلبك وقيل البعل الرب بلغة اليمن والمعنى أتدعون بعض البعول ﴿ وتذرون احسن الخالقين ﴾ وتتركون عبادته وقد اشار فيه الى المقتضى للانكار المعنى بالهمزة ثم صرح به بقوله ﴿ الله ربكم ورب آبائكم الاولين ﴾ وقرأ حمزة والكسائى ويعقوب وحفص بالنصب على البدل ﴿ فكذبوه فانهم لمحضرون ﴾ اى فى العذاب وانما اطلقه اكتفاء بالقرينة اولان الاحضار المطلق مخصوص بالشر عرفا ﴿ الا عباد الله المخلصين ﴾ مستثنى من الواو لا من المحضرين لفساد المعنى ﴿ وتركنا عليه فى الآخرين سلام على الياسين ﴾ لغة فى الياس كسينا وسينين وقيل جمع له مراد به هو واتباعه كالمهلبين لكن ينافيه ان العلم اذا جمع يجب تعريفه باللام او للمنسوب اليه بحذف ياء النسب كالاعجمين وهو قليل ملبس وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب على

عليه فانطلق به الفرس فناداه اليسع يا الياس ما تأمرنى فقذف اليه الياس بكسائه من الجو الاعلى فكان ذلك علامة استخلافه اياه على بنى اسرائيل وكان ذلك آخر العهد به ورفع الله تعالى الياس من بين أظهرهم وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وكساه الريش فصار انسيا ملكيا أرضيا سماويا وسلط الله عز وجل على آجب الملك وقومه عدوا لهم فقصدهم من حيث لم يشعروا به حتى رهقهم فقتل آجب وامرأته اربيل فى الجنينة التى اغتصبتها امرأة الملك من ذلك المؤمن فلم تزل جثتاهما ملقاتين فى تلك الجنينة حتى بليت لحومهما ورمت عظامهما ونبأ الله سبحانه وتعالى اليسع وبعثه رسولا الى بنى اسرائيل واوحى اليه وايده فآمنت به بنو اسرائيل وكانوا يعظمونه وحكم الله تعالى فيهم قائم الى ان فارقهم اليسع روى السدى عن يحيي بن عبد العزيز عن ابى رواد قال الياس والخضر يصومان رمضان ببيت المقدس ويوافيان الموسم فى كل عام وقيل ان الياس موكل بالفيافى والخضر موكل بالبحار فذلك قوله تعالى وان الياس لمن المرسلين ﴿ اذقال لقومه ألا تتقون أتدعون بعلا ﴾ يعنى أتعبدون بعلا وهو صنم كان لهم يعبدونه ولذلك سميت مدينتهم بعلبك قيل البعل الرب بلغة اهل اليمن ﴿ وتذرون ﴾ اى وتتركون عبادة ﴿ احسن الخالقين ﴾ فلا تعبدونه ﴿ الله ربكم ورب آبائكم الاولين فكذبوه فانهم لمحضرون ﴾ اى فى النار ﴿ الا عباد الله المخلصين ﴾ اى من قومه الذين آمنوا به فانهم نجوا من العذاب ﴿ وتركنا عليه فى الآخرين سلام على الياسين ﴾ قرئ آل ياسين بالقطع قيل أراد آل محمد صلى الله عليه وسلم وقيل آل القرآن لان ياسين من أسماء القرآن

الى قومه (اذقال لقومه الا تتقون) عبادة غير الله (أتدعون بعلا) أتعبدون ربا من دون الله ويقال ثورا ويقال كان لهم صنم طوله ثلاثون ذراعا وله أربعة أوجه يقال له بعل (وتذرون أحسن الخالقين) تتركون عبادة أعظم الخالقين فلا تعبدونه (الله ربكم) هو خالقكم (ورب آبائكم) خالق آبائكم (الاولين) قبلكم (فكذبوه) بالرسالة (فانهم لمحضرون) لمعذبون فى النار (الا عباد الله المخلصين) فى العبادة والتوحيد فانهم ليسوا كذلك (وتركنا عليه) على الياس ثناء حسنا (فى الآخرين) فى الباقين بعده (سلام) مناسعادة وسلامة (على آل ياسين) على آل محمد عليه السلام فان قرأت على الياسين تقول سلام مناسعادة وسلامة على الياسين وهو

الآل (انا كذلك نجزى المحسنين انه من عبادنا المؤمنين وان لوطا لمن المرسلين اذنجيناه وأهله أجمعين الاعجوزا فى الغابرين) فى الباقين (ثم دمرنا) أهلكنا (الآخرين وانكم) ياأهل مكة (لتمرون عليهم مصبحين) داخلين فى الصباح (وبالليل) والوقف عليه مطلق (افلاتعقلون) يعنى تمرون على منازلهم فى متاجركم الى الشأم ليلاونهارا افافيكم عقول تعتبرون بها وانما لم يختم قصة لوط

ويونس بالسلام كما ختم من قبلهما لان الله تعالى قدسلم على جميع المرسلين فى آخر السورة فاكتفى بذلك عن ذكر كل واحد منفردا بالسلام (وان يونس لمن المرسلين اذأبق) الاباق الهرب الى حيث لايهتدى اليه الطلب فسمى هربه من قومه بغيراذن ربه اباقا مجازا (الى الفلك المشحون) المملوء وكان يونس عليه السلام وعدقومه العذاب فلما تأخر العذاب عنهم خرج كالمستور منهم فقصد البحر وركب السفينة فوقفت فقالوا ههنا عبدآبق من سيده وفيما يزعم البحارون ان السفينة اذا كان فيها آبق لم تجر فاقترعوا فخرجت القرعة على يونس فقال أناالآبق وزج بنفسه فى الماء فذلك قوله (فساهم) فقارعهم مرة أوثلاثا بالسهام والمساهمة القاء السهام على جهة القرعة

اضافة آل الى ياسين لانهما فى المصحف مفصولان فيكون ياسين ابا الياس وقيل محمد صلى الله عليه وسلم اوالقرآن اوغيره من كتب الله والكل لايناسب نظم سائر القصص ولاقوله ﴿ انا كذلك نجزى المحسنين انه من عبادنا المؤمنين ﴾ اذالظاهر ان الضمير لالياس ﴿ وان لوطا لمن المرسلين اذنجيناه واهله اجمعين الاعجوزا فى الغابرين ثم دمرنا الآخرين ﴾ سبق بيانه ﴿ وانكم ﴾ ياأهل مكة ﴿ لتمرون عليهم ﴾ على منازلهم فى متاجركم الى الشام فان سدوم فى طريقه ﴿ مصبحين ﴾ داخلين فى الصباح ﴿ وبالليل ﴾ اى ومساء اونهارا وليلا ولعلها وقعت قريب منزل يمربها المرتحل عنه صباحا والقاصد له مساء ﴿ أفلاتعقلون ﴾ أفليس فيكم عقل تعتبرون به ﴿ وان يونس لمن المرسلين ﴾ وقرئ بكسر النون ﴿ اذابق ﴾ هرب واصله الهرب من السيد لكن لما كان هربه من قومه بغيراذن ربه حسن اطلاقه عليه ﴿ الى الفلك المشحون ﴾ المملوء ﴿ فساهم ﴾ فقارع

وفيه بعد وقرئ الياسين بالوصل ومعناه الياس واتباعه من المؤمنين ﴿ انا كذلك نجزى المحسنين انه من عبادنا المؤمنين ﴾ قوله تعالى ﴿ وان لوطا لمن المرسلين اذنجيناه وأهله أجمعين الاعجوزا فى الغابرين ﴾ اى الباقين فى العذاب ﴿ ثم دمرنا ﴾ اى اهلكنا ﴿ الآخرين وانكم ﴾ اى ياأهل مكة ﴿ لتمرون عليهم ﴾ اى على آثارهم ومنازلهم ﴿ مصبحين ﴾ اى فى وقت الصباح ﴿ وبالليل ﴾ اى وبالليل فى اسفاركم ﴿ أفلاتعقلون ﴾ اى فتعتبرون بهم ﴿ قوله عزوجل ﴿ وان يونس لمن المرسلين ﴾ اى من جملة رسل الله تعالى ﴿ اذأبق ﴾ اى هرب ﴿ الى الفلك المشحون ﴾ اى المملوء قال ابن عباس ووهب كان يونس وعدقومه العذاب فتأخر عنهم فخرج كالمستور منهم فقصد البحر فركب السفينة فاحتبست السفينة فقال الملاحون ههنا عبدآبق من سيده فاقترعوا فوقعت على يونس فاقترعوا ثلاثا وهى تقع على يونس فقال اناالآبق وزج نفسه فى الماء وقيل انه لما وصل الى البحر كانت معه امرأته وابنان له فجاء مركب فاراد ان يركب معهم فقدم امرأته ليركب بعدها فحال الموج بينه وبين المركب وذهب المركب وجاءت موجة اخرى فاخذت ابنه الاكبر وجاء ذئب فاخذ الابن الاصغر فبقى فريدا فجاء مركب آخر فركبه وقعد ناحية من القوم فلما مرت السفينة فى البحر ركدت فقال الملاحون ان فيكم عاصيا والالم يحصل وقوف السفينة فيما نراه من غيرريح ولاسبب ظاهر فاقترعوا فمن خرج سهمه نغرقه فلان يغرق واحدخير من غرق الكل فاقترعوا فخرج سهم يونس فذلك قوله تعالى ﴿ فساهم ﴾ أى فقارع

ادريس النبى (انا كذلك) هكذا (نجزى المحسنين) بالقول والفعل والثناء الحسن (انه من عبادنا المؤمنين) المصدقين (وان لوطا لمن المرسلين) الى قومه (اذنجيناه وأهله) ابنتيه زاعورا وريثا (أجمعين الاعجوزا فى الغابرين) (فكان) الامرأته المنافقة تخلفت مع المتخلفين بالهلاك (ثم دمرنا الآخرين) أهلكنا من بقى بعد لوط وابنتيه (وانكم) ياأهل مكة (لتمرون عليهم) على قريات لوط سدوم وعمورا وصبورا وداوما (مصبحين) بالنهار (وبالليل أفلاتعقلون) أفلاتصدقون مافعل بهم فلا تقتدوا بهم (وان يونس لمن المرسلين) الى قومه (اذأبق) خرج من عندقومه ويقال فرمن قومه (الى الفلك المشحون) الى السفينة الموقرة المجهزة (فساهم) فقارع فى السفينة

(فكان من المدحضين)المغلوبين بالقرعة(فالتقمه الحوت) فابتلعه (وهو مليم)داخل فى الملامة (فلولا انه كان من المسبحين) من الذاكرين الله كثيرا بالتسبيح أو من القائلين لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين أو من المصلين قبل ذلك وعن ابن عباس رضى الله عنهما كل تسبيح فى القرآن فهو صلاة ويقال ان العمل الصالح يرفع صاحبه اذا عثر (للبث فى بطنه الى يوم يبعثون) الظاهر لبثه حيا الى يوم البعث وعن قتادة لكان بطن الحوت له قبرا الى يوم القيامة وقد لبث فى بطنه ثلاثة أيام أو سبعة أو أربعين يوما وعن الشعبى التقمه ضحوة ولفظه عشية (فنبذناه بالعراء) فالقيناه بالمكان الخالى الذى لا شجر فيه ولا نبات (وهو سقيم) عليل مما ناله من التقام الحوت وروى انه عاد بدنه كبدن الصبى حين يولد (وأنبتنا عليه شجرة) أى أنبتناها فوقه مظلة له كما يطنب البيت على الانسان (من يقطين) الجمهور على انه القرع وفائدته أن الذباب لا يجتمع عنده وانه أسرع الاشجار نباتا

اهله ﴿ فكان من المدحضين ﴾ فصار من المغلوبين بالقرعة واصله المزلق عن مقام الظفر روى انه لما وعد قومه بالعذاب خرج من بينهم قبل ان يأمره الله تعالى به فركب السفينة فوقفت فقالوا ههنا عبد آبق فاقترعوا له فخرجت القرعة عليه فقال انا الآبق ورمى بنفسه فى الماء ﴿ فالتقمه الحوت ﴾ فابتلعه من اللقمة ﴿ وهو مليم ﴾ داخل فى الملامة او آت بما يلام عليه او مليم نفسه وقرئ بالفتح مبنيا من ليم كمشيب فى مشوب ﴿ فلولا انه كان من المسبحين ﴾ الذاكرين الله كثيرا بالتسبيح مدة عمره او فى بطن الحوت وهو قوله لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين وقيل من المصلين ﴿ للبث فى بطنه الى يوم يبعثون ﴾ حيا وقيل ميتا وفيه حث على اكثار الذكر وتعظيم لشأنه ومن اقبل عليه فى السراء اخذ بيده عند الضراء ﴿ فنبذناه ﴾ بان حملنا الحوت على لفظه ﴿ بالعراء ﴾ بالمكان الخالى عما يغطيه من شجر او نبت روى ان الحوت سار مع السفينة رافعا رأسه يتنفس فيه يونس ويسبح حتى انتهوا الى البر فلفظه واختلف فى مدة لبثه فقيل بعض يوم وقيل ثلاثة ايام وقيل سبعة وقيل عشرون وقيل اربعون ﴿ وهو سقيم ﴾ مما ناله قيل صار بدنه كبدن الطفل حين يولد ﴿ وانبتنا عليه ﴾ اى فوقه مظلة عليه ﴿ شجرة من يقطين ﴾ من شجرة ينبسط على وجه الارض ولا يقوم على ساقه يفعيل من قطن بالمكان اذا اقام به والاكثر على انها كانت الدباء غطته باوراقها عن الذباب فانه لا يقع عليه ويدل

﴿ فكان من المدحضين ﴾ يعنى من المقروعين المغلوبين وقد تقدمت القصة فى سورة يونس والانبياء ﴿ فالتقمه الحوت ﴾ أى ابتلعه ﴿ وهو مليم ﴾ أى آت بما يلام عليه ﴿ فلولا أنه كان من المسبحين ﴾ أى من الذاكرين الله عز وجل قبل ذلك وكان كثير الذكر وقال ابن عباس من المصلين وقيل من العابدين قال الحسن ما كانت له صلاة فى بطن الحوت ولكنه قدم عملا صالحا فشكر الله تعالى له طاعته القديمة قال بعضهم اذكروا الله فى الرخاء يذكركم فى الشدة فان يونس كان عبدا صالحا ذاكرا الله تعالى فلما وقع فى الشدة فى بطن الحوت شكر الله تعالى له ذلك فقال فلولا أنه كان من المسبحين ﴿ للبث فى بطنه الى يوم يبعثون ﴾ وقيل لولا انه كان يسبح فى بطن الحوت بقوله لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين للبث فى بطنه الى يوم يبعثون أى لصار بطن الحوت قبرا له الى يوم القيامة * قوله عز وجل ﴿ فنبذناه ﴾ أى طرحناه انما أضاف النبذ الى نفسه وان كان الحوت هو النابذ لان أفعال العباد كلها مخلوقة لله تعالى ﴿ بالعراء ﴾ أى بالارض الخالية عن الشجر والنبات وقيل بالساحل ﴿ وهو سقيم ﴾ اى عليل كالفرخ الممعط وقيل كان قد بلى لحمه ورق عظمه ولم تبق له قوة قيل انه لبث فى بطن الحوت ثلاثة أيام وقيل سبعة وقيل عشرين يوما وقيل أربعين وقيل التقمه ضحى ولفظه عشية ﴿ وأنبتنا عليه شجرة من يقطين ﴾ يعنى

(فكان من المدحضين) من المقروعين ذاهبى الحجة فالقى نفسه فى الماء (فالتقمه الحوت) السمكة (وهو مليم) يلوم نفسه بما فر من قومه (فلولا انه كان من المسبحين) من المصلين من قبل ذلك (للبث فى بطنه) مكث فى بطن السمكة (الى يوم يبعثون) من القبور (فنبذناه) طرحناه (بالعراء) الصحراء على وجه الارض (وهو سقيم) مريض صار بدنه كبدن الطفل (وأنبتنا عليه شجرة من يقطين) من قرع وكل شئ

عليه انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم انك لتحب القرع قال اجل هي شجرة اخي يونس وقيل التين وقيل الموز يتغطى بورقه ويستظل باغصانه ويفطر على ثماره ﴿وارسلناه الى مائة الف﴾ هم قومه الذين هرب عنهم وهم اهل نينوى والمراد به ماسبق من ارساله او ارسال ثان اليهم او الى غيرهم ﴿أو يزيدون﴾ في مرأى الناظر اى اذا نظر اليهم قال هم مائة الف او اكثر والمراد الوصف بالكثرة وقرئ بالواو ﴿فآمنوا﴾ فصدقوه او فجددوا الايمان بمحضره ﴿فمتعناهم الى حين﴾ الى اجلهم المسمى ولعله انما لم يختم قصته وقصة لوط بما ختم به سائر القصص تفرقة بينهما وبين ارباب الشرائع الكبراء واولى العزم من الرسل او اكتفاء بالتسليم الشامل لكل الرسل المذكورين في آخر السورة ﴿فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون﴾ معطوف على مثله في اول السورة امر رسوله صلى الله عليه وسلم اولا باستفتاء قريش عن وجه انكارهم البعث وساق الكلام في تقريره جاريا لما يلائمه من القصص موصولا بعضها ببعض ثم امر باستفتائهم عن وجه القسمة حيث

القرع قيل ان كل نبت يمتد وينبسط على وجه الارض كالقرع والقثاء والبطيخ ونحوه فهو يقطين قيل أنبتها الله تعالى له ولم تكن قبل ذلك وكانت معروشة ليحصل له الظل وفي شجر القرع فائدة وهي ان الذباب لايجتمع عندها فكان يونس يستظل بتلك الشجرة ولو كانت منبسطة على ارض لم يمكن أن يستظل بها قيل وكانت وعلة تختلف اليه فيشرب من لبنها بكرة وعشية حتى اشتد لحمه ونبت شعره وقوي فنام نومة ثم استيقظ وقد يبست الشجرة وأصابه حر الشمس فحزن حزنا شديدا وجعل يبكي فارسل الله تعالى اليه جبريل وقال أتحزن على شجرة ولا تحزن على مائة ألف من أمتك قد أسلموا وتابوا ﴿وأرسلناه الى مائة ألف﴾ قيل أرسله الى أهل نينوى من أرض الموصل قبل أن يصيبه ما أصابه والمعنى وكنا أرسلناه الى مائة ألف فلما خرج من بطن الحوت أمر ان يرجع اليهم ثانيا وقيل كان ارساله اليهم بعد خروجه من بطن الحوت وقيل يجوز أن يكون ارساله الى قوم آخرين غير القوم الاولين ﴿أو يزيدون﴾ قال ابن عباس معناه ويزيدون وقيل معناه بل يزيدون وقيل أو على أصلها والمعنى أو يزيدون في تقدير الرائي اذا رآهم قال هؤلاء مائة ألف أو يزيدون على ذلك فالشك على تقدير المخلوقين والاصح هو قول ابن عباس الاول وأما الزيادة فقال ابن عباس كانوا عشرين الفا ويعضده ماروى عن ابي بن كعب رضي الله تعالى عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون قال يزيدون عشرين ألفا أخرجه الترمذي وقال حديث حسن وقيل يزيدون بضعا وثلاثين ألفا وقيل سبعين ألفا ﴿فآمنوا﴾ يعني الذين أرسل اليهم يونس بعد معاينة العذاب ﴿فمتعناهم الى حين﴾ أي الى انقضاء آجالهم ﴿ قوله عز وجل ﴿فاستفتهم﴾ أي فسل يا محمد أهل مكة وهو سؤال توبيخ ﴿ألربك البنات ولهم البنون﴾ وذلك ان جهينة وبني سلمة بن عبد الدار زعموا ان الملائكة بنات الله

أجل هي شجرة أخي يونس (وأرسلناه الى مائة ألف) المراد به القوم الذين بعث اليهم قبل الالتقام فتكون قد مضمرة (أو يزيدون) في مرأى الناظر أي اذا رآها الرائي قال هي مائة ألف أو أكثر وقال الزجاج قال غير واحد معناه بل يزيدون قال ذلك الفراء وأبو عبيدة ونقل عن ابن عباس كذلك (فآمنوا) به وبما أرسل به (فمتعناهم الى حين) أي منتهى آجالهم (فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون) معطوف على مثله في أول السورة أي على فاستفتهم أهم أشد خلقا وان تباعدت بينهما المسافة أمر رسول الله باستفتاء قريش عن وجه انكار البعث أولا ثم ساق الكلام موصولا بعضه ببعض ثم أمره باستفتائهم عن وجه القسمة الضيزى التي قسموها حيث جعلوا لله

لايقوم على ساق فهو اليقطين (وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون) بل يزيدون عشرين ألفا (فآمنوا) به (فمتعناهم) فاجلناهم (الى حين) الى وقت الموت بلا عذاب (فاستفتهم) سل أهل مكة بني مليح (ألربك البنات) الاناث (ولهم البنون) الذكور قالوا نعم فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم أترضون لله مالا ترضون (والمعنى)

تعالى الاناث ولانفسهم الذكور فى قولهم الملا' ة بنات الله مع كراهتهم الشديدة لهن ووأدهم واستنكافهم من ذكرهن (أم خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون) حاضرون تخصيص علمهم بالمشاهدة استهزاء بهم وتجهيل لهم لانهم كما لم يعلموا ذلك مشاهدة لم يعلموا بخلق الله علمه فى قلوبهم ولا باخبار صادق ولا بطريق استدلال ونظرأ ومعناه انهم يقولون ذلك عن طمأنينة نفس لافراط جهلهم كانهم شاهدوا خلقهم (ألا انهم من افكهم ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون) فى قولهم (اصطفى البنات على البنين) بفتح الهمزة الاستفهام وهو استفهام توبيخ وحذفت همزة الوصل استغناء عنها بهمزة الاستفهام (مالكم كيف تحكمون) هذا الحكم الفاسد (أفلا تذكرون) بالتخفيف حمزة وعلى وحفص (أم لكم سلطان مبين) حجة نزلت عليكم من السماء بأن الملائكة بنات الله (فأتوا بكتابكم) الذى أنزل عليكم (ان كنتم صادقين) فى دعواكم (وجعلوا بينه) بين الله (وبين الجنة) الملائكة لاستتارهم (نسبا) وهو زعمهم انهم بناته أو قالوا ان الله تزوج من الجن

لانفسكم (أم خلقنا الملائكة اناثا) كما تقولون (وهم شاهدون) حاضرون (الا أنهم) بل أنهم (من افكهم) من تكذبهم (ليقولون ولد الله) حيث قالوا الملائكة بنات الله (وانهم لكاذبون) فى مقالتهم (اصطفى البنات) أختار الاناث (على البنين) على الذكور (مالكم كيف تحكمون) بئسما تقضون لانفسكم ترضون لله مالا ترضون لانفسكم (أفلا تذكرون) أفلا تتعظون بما تقولون (أم لكم) يا أهل مكة (سلطان مبين) كتاب بين فيه ان الملائكة بنات الله (فأتوا بكتابكم ان كنتم صادقين) ان الملائكة بنات الله (وجعلوا) كفار مكة بنو مليح (بينه وبين الجنة نسبا) بين الله وبين الملائكة

جعلوا لله البنات ولانفسهم البنين فى قولهم الملائكة بنات الله وهؤلاء زادوا على الشرك ضلالات اخر وهو التجسيم وتجويز الفناء على الله تعالى فان الولادة مخصوصة بالاجسام الكائنة الفاسدة وتفضيل انفسهم عليه حيث جعلوا اوضع الجنسين له وارفعهما لهم واستهانتهم بالملائكة حيث انثوهم ولذلك كرر الله تعالى انكار ذلك وابطاله فى كتابه مرارا وجعله مما تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا والانكار ههنا مقصور على الاخيرين لاختصاص هذه الطائفة بهما ولان فسادهما مما تدركه العامة بمقتضى طباعهم حيث جعل المعادل للاستفهام على التقسيم ﴿أم خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون﴾ وانما خص علم المشاهدة لان امثال ذلك لا يعلم الا به فان الانوثة ليست من لوازم ذاتهم ليمكن معرفته بالعقل الصرف مع مافيه من الاستهزاء والاشعار بانهم لفرط جهلهم يبتون به كأنهم قد شاهدوا خلقهم ﴿ألا انهم من افكهم ليقولون ولد الله﴾ لعدم ما يقتضيه وقيام ما ينفيه ﴿وانهم لكاذبون﴾ فيما يتدينون به وقرئ ولد الله اى الملائكة ولده فعل بمعنى مفعول يستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ﴿اصطفى البنات على البنين﴾ استفهام انكار واستبعاد والاصطفاء اخذ صفوة الشئ وعن نافع كسر الهمزة على حذف حرف الاستفهام لدلالة ام بعدها عليها او على الاثبات باضمار القول اى لكاذبون فى قولهم اصطفى او ابداله من ولد الله ﴿مالكم كيف تحكمون﴾ بما لا يرتضيه عقل ﴿أفلا تذكرون﴾ انه منزه عن ذلك ﴿ام لكم سلطان مبين﴾ حجة واضحة نزلت عليكم من السماء بان الملائكة بناته ﴿فأتوا بكتابكم﴾ الذى انزل عليكم ﴿ان كنتم صادقين﴾ فى دعواكم ﴿وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا﴾ يعنى الملائكة ذكرهم باسم جنسهم وضعا منهم ان يبلغوا هذه المرتبة وقيل قالوا ان الله تعالى صاهر الجن فخرجت الملائكة وقيل

والمعنى جعلوا لله البنات ولهم البنين وذلك باطل لان العرب كانوا يستنكفون من البنات والشئ الذى يستنكف منه المخاوق كيف ينسب للخالق ﴿أم خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون﴾ أى حاضرون خلقنا اياهم ﴿الا انهم من افكهم﴾ أى من كذبهم ﴿ليقولون ولد الله﴾ اى فى زعمهم ﴿وانهم لكاذبون﴾ اى فيما زعموا ﴿أصطفى البنات﴾ أى فى زعمكم ﴿على البنين﴾ وهو استفهام توبيخ وتقريع ﴿مالكم كيف تحكمون﴾ أى بالبنات لله ولكم بالبنين ﴿أفلا تذكرون﴾ أى أفلا تتعظون ﴿أم لكم سلطان مبين﴾ أى برهان بين على ان لله ولدا ﴿فاتوا بكتابكم﴾ يعنى الذى لكم فيه حجة ﴿ان كنتم صادقين﴾ أى فى قولكم ﴿وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا﴾ قيل أراد بالجنة الملائكة سموا جنة لاجتنانهم

فولدت له الملائكة (ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون) ولقد علمت الملائكة ان الذين قالوا هذا القول لمحضرون فى النار (سبحان الله عما يصفون) نزه نفسه عن الولد والصاحبة (الا عباد الله المخلصين) استثناء منقطع من المحضرين معناه ولكن المخلصين ناجون من النار وسبحان الله اعتراض بين الاستثناء وبين ماوقع منه ويجوز أن يقع الاستثناء من واو يصفون أى يصفه هؤلاء بذلك ولكن المخلصون برآء من أن يصفوه به (فانكم) ياأهل مكة (وما تعبدون) ومعبوديكم (ماأنتم) وهم جميعا (عليه) على الله (بفاتنين) بمضلين (الامن هو صال الجحيم) بكسر اللام

أى لستم تضلون أحدا الا أصحاب النار الذين سبق فى علمه انهم بسوء أعمالهم يستوجبون أن يصلوها يقال فتن فلان على فلان امرأته كما تقول أفسدها عليه وقال الحسن فانكم أيها القائلون بهذا القول والذى تعبدونه من الاصنام ماأنتم على عبادة الاوثان بمضلين أحدا الا من قدر عليه أن يصلى الجحيم أى يدخل النار وقيل ماأنتم بمضلين الامن أوجبت عليه الضلال فى السابقة ومافى ماأنتم نافية ومن فى موضع النصب بفاتنين وقرأ الحسن صال الجحيم بضم اللام ووجهه ان يكون جمعا فحذفت النون للاضافة وحذفت الواو لالتقاء الساكنين هى واللام فى الجحيم ومن موحد اللفظ مجموع المعنى فحمل هو على لفظه والصالون على معناه (ومامنا) أحد (الاله مقام معلوم) فى العبادة لايتجاوزه فحذف الموصوف وأقيمت

قالوا الله والشيطان اخوان ﴿ ولقد علمت الجنة انهم ﴾ إن الكفرة او الانس او الجنة ان فسرت بغير الملائكة ﴿ لمحضرون ﴾ فى العذاب ﴿ سبحان الله عما يصفون ﴾ من الولد والنسب ﴿ الا عباد الله المخلصين ﴾ استثناء من المحضرون منقطع اومتصل ان فسر الضمير بما يعمهم وما بينهما اعتراض اومن يصفون ﴿ فانكم وما تعبدون ﴾ عود الى خطابهم ﴿ ما انتم عليه ﴾ على الله ﴿ بفاتنين ﴾ مفسدين الناس بالاغواء ﴿ الا من هو صال الجحيم ﴾ الا من سبق فى علمه انه من اهل النار يصلاها لامحالة وانتم ضمير لهم ولآلهتهم غلب فيه المخاطب على الغائب ويجوز ان يكون وما تعبدون لمافيه من معنى المقارنة سادا مسد الخبر اى انكم وآلهتكم قرناء لاتزالون تعبدونها ماانتم على ماتعبدونه بفاتنين باعثين على طريق الفتنة الاضالا مستوجبا للنار مثلكم وقرئ صال بالضم على انه جمع محمول على معنى من ساقط واوه لالتقاء الساكنين او تخفيف صائل على القلب كشاك فى شائك او المحذوف منه كالمنسى كما فى قولهم ماباليت به بالة فان اصلها بالية كعافية ﴿ وما منا الا له مقام معلوم ﴾ حكاية اعتراف الملائكة بالعبودية للرد على عبدتهم والمعنى ما منا احد الا له مقام معلوم فى المعرفة والعبادة والانتهاء الى امر الله فى تدبير العالم ويحتمل ان يكون هذا

عن الابصار قال ابن عباس هم حى من الملائكة يقال لهم الجن ومنهم ابليس قالوا هم بنات الله فقال لهم أبو بكر الصديق رضى الله عنه فمن امهاتهم قالوا سروات الجن وقيل معنى النسب انهم أشركوا الشياطين فى عبادة الله تعالى وقيل هو قول الزنادقة الخير من الله والشر من الشيطان ﴿ ولقد علمت الجنة انهم ﴾ يعنى قائلى هذا القول ﴿ لمحضرون ﴾ اى فى النار ﴿ سبحان الله عما يصفون ﴾ نزه الله تعالى نفسه عما يقولون ﴿ الا عباد الله المخلصين ﴾ هذا استثناء من المحضرين والمعنى انهم لايحضرون ﴿ فانكم ﴾ يعنى ياأهل مكة ﴿ وما تعبدون ﴾ اى من الاصنام ﴿ ماأنتم عليه ﴾ أى على ماتعبدون ﴿ بفاتنين ﴾ أى بمضلين أحدا ﴿ الا من هو صال الجحيم ﴾ أى الا من سبق له فى علم الله الشقاوة وانه سيدخل النار * قوله تعالى اخبارا عن حال الملائكة ﴿ وما منا الا له مقام معلوم ﴾ يعنى ان جبريل قال للنبى صلى الله عليه وسلم ومامنا معشر الملائكة ملك الا له مقام معلوم

نسبا حيث قالوا الملائكة بنات الله ويقال نزلت فى الزنادقة حيث قالوا ابليس لعنه الله مع الله شريك الله (يعبد) خالق الخير وابليس خالق الشر (ولقد علمت الجنة) الملائكة (انهم) يعنى كفار مكة بنى مليح (لمحضرون) معذبون فى النار (سبحان الله) نزه نفسه (عما يصفون) عما يقولون من الكذب (الا عباد الله المخلصين) فى العبادة والتوحيد فانهم لايكذبون على الله ويقال انهم لمحضرون لمعذبون الا عباد الله المخلصين المعصومين من الكفر والشرك والفواحش (فانكم) ياأهل مكة (وماتعبدون) من دون الله (ماأنتم عليه) على عبادته (بفاتنين) بمضلين (الامن هو صال الجحيم) داخل النار معكم وهو ابليس ويقال الامن قدرت عليه انه داخل النار معكم (ومامنا) قال جبريل عليه السلام ومامنا (الاله مقام معلوم) معروف

الصفة مقامه (وانا لنحن الصافون) نصف أقدامنا فى الصلاة أو نصف حول العرش داعين للمؤمنين (وانا لنحن المسبحون) المنزهون أو المصلون والوجه أن يكون هذا وماقبله من قوله سبحان الله عما يصفون من كلام الملائكة حتى يتصل بذكرهم فى قوله ولقد علمت الجنة كأنه قيل ولقد علم الملائكة وشهدوا ان المشركين مفترون عليهم فى مناسبة رب العزة وقالوا سبحان الله فنزهوه عن ذلك واستثنوا وبرؤهم منه وقالوا للكفرة فاذا صح ذلك فانكم وآلهتكم لاتقدرون ان تفتنوا على الله أحدا من خلقه وتضلوه الا من كان من أهل النار وكيف نكون مناسبين لرب العزة ومانحن الاعبيد اذلاء بين يديه لكل منا مقام معلوم من الطاعة لايستطيع ان يزل عنه ظفرا خشوعا لعظمته ونحن الصافون أقدامنا لعبادته مسبحين ممجدين كما يجب على العباد لربهم وقيل هو من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى ومامن المسلمين أحد الاله مقام معلوم يوم القيامة على قدر عمله من قوله تعالى عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا ثم ذكر أعمالهم وانهم الذين يصطفون فى الصلاة ويسبحون الله وينزهونه عما لايجوز عليه (وان كانوا ليقولون) أى مشركو قريش قبل مبعثه عليه السلام (لوأن عندنا ذكرا من الاولين) أى كتابا من كتب الاولين الذين نزل عليهم التوراة والانجيل (لكنا عباد الله المخلصين) لاخلصنا (قا و خا ٣٣ مس) العبادة لله ولما كذبنا كما كذبوا ولماخالفنا كما خالفوا فجاءهم الذكر الذى هو سيد الاذكار والكتاب الذى هو معجز من بين الكتب (فكفروا به

وما قبله من قوله سبحان الله من كلامهم ليتصل بقوله ولقد علمت الجنة كأنه قال ولقد علمت الملائكة ان المشركين معذبون بذلك وقالوا سبحان الله تنزيها له عنه ثم استثنوا المخلصين تبرئة لهم منه ثم خاطبوا الكفرة بان الافتتان بذلك للشقاوة المقدرة ثم اعترفوا بالعبودية وتفاوت مراتبهم فيها لايتجاوزونها فحذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه ﴿ وانا لنحن الصافون ﴾ فى اداء الطاعة ومنازل الخدمة ﴿ وانا لنحن المسبحون ﴾ المنزهون لله عما لايليق به ولعل الاول اشارة الى درجاتهم فى الطاعات وهذا فى المعارف ومافى ان واللام وتوسيط الفصل من التأكيد والاختصاص لانهم المواظبون على ذلك دائما من غير فترة دون غيرهم وقيل هو من كلام النبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنين والمعنى ومامنا الا له مقام معلوم فى الجنة اوبين يدى الله فى القيامة وانا لنحن الصافون له فى الصلاة والمنزهون له عن السوء ﴿ وان كانوا ليقولون ﴾ اى مشركوا قريش ﴿ لو ان عندنا ذكرا من الاولين ﴾ كتابا من الكتب التى نزلت عليهم ﴿ لكنا عباد الله المخلصين ﴾ لاخلصنا العبادة له ولم نخالف مثلهم ﴿ فكفروا به ﴾ أى لما جاءهم الذكر الذى هو

يعبد ربه فيه وقال ابن عباس مافى السموات موضع شبر الا وعليه ملك يصلى أو يسبح ✻ وروى أبو ذر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اطت السماء وحق لها ان تئط والذى نفسى بيده مافيها موضع أربع أصابع الا وملك واضع جبهته لله ساجدا أخرجه الترمذى وهو طرف من حديث قيل الاطيط أصوات الاقتاب وقيل أصوات الابل وحنينها ومعنى الحديث مافى السماء من الملائكة قد أثقلها حتى اطت وهذا مثل مؤذن بكثرة الملائكة وان لم يكن ثم أطيط وقيل معنى الا له مقام معلوم أى فى القرب والمشاهدة وقيل يعبد الله على مقامات مختلفة كالخوف والرجاء والمحبة والرضا ﴿ وانا لنحن الصافون ﴾ يعنى الملائكة صفوا أقدامهم فى عبادة الله تعالى كصفوف الناس فى الصلاة فى الارض ﴿ وانا لنحن المسبحون ﴾ اى المصلون لله تعالى وقيل المنزهون لله تعالى من كل سوء يخبر جبريل النبى صلى الله عليه وسلم انهم يعبدون الله تعالى بالصلاة والتسبيح وأنهم ليسوا بمعبودين كما زعمت الكفار ✻ قوله عز وجل ﴿ وان كانوا ليقولون ﴾ يعنى كفار مكة قبل بعثة النبى صلى الله عليه وسلم ﴿ لو أن عندنا ذكرا من الاولين ﴾ يعنى كتابا مثل كتاب الاولين ﴿ لكنا عباد الله المخلصين ﴾ أى لاخلصنا العبادة لله ﴿ فكفروا به ﴾ أى فلما أتاهم الكتاب كفروا به

فى السماء (وانا لنحن الصافون) فى الصلاة (وانا لنحن المسبحون) المصلون (وان كانوا) وقد كان أهل مكة (ليقولون) قبل مجئ محمد صلى الله عليه وسلم اليهم (لو أن عندنا ذكرا من الاولين) رسولا مثل رسل الاولين كما كان الاولين (لكنا عباد الله المخلصين) الموحدين (فكفروا به) بمحمد عليه السلام والقرآن

فسوف يعلمون) مغبة تكذيبهم ومايحل بهم من الانتقام وان مخففة من الثقيلة واللام هى الفارقة وفى ذلك انهم كانوا يقولونه مؤكدين للقول جادين فيه فكم بين أول أمرهم وآخره (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين) الكلمة قوله (انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون) وانما سماها كلمة وهى كلمات لانها لما انتظمت فى معنى واحد كانت فى حكم كلمة مفردة والمراد الموعد بعلوهم على عدوهم فى مقاوم الحجاج وملاحم القتال فى الدنيا وعلوهم عليهم فى الآخرة وعن الحسن ماغلب نبى فى حرب وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان لم ينصروا فى الدنيا نصروا فى العقبى والحاصل ان قاعدة أمرهم وأساسه والغالب منه الظفر والنصرة وان وقع فى تضاعيف ذلك شوب من الابتلاء والمحنة والعبرة للغالب (فتول عنهم) فاعرض عنهم (حتى حين) الى مدة يسيرة وهى المدة التى أمهلوا فيها أو الى يوم بدر أو الى فتح مكة (وأبصرهم) أى أبصرما ينالهم يومئذ (فسوف يبصرون) ذلك وهو للوعيد لا للتبعيد أو انظر اليهم اذا عذبوا فسوف يبصرون ما أنكروا أو أعلمهم فسوف يعلمون (أفبعذابنا يستعجلون) قبل حينه (فاذا نزل) العذاب (بساحتهم) بفنائهم (فساء صباح المنذرين) صباحهم واللام فى المنذرين مبهم فى جنس من أنذروا لان ساء وبئس يقتضيان ذلك وقيل هو نزول رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح بمكة مثل العذاب النازل بهم بعدما أنذروه فانكروه بجيش أنذر بهجومه قومه بعض نصاحهم فلم يلتفتوا الى انذاره حتى أناخ بفنائهم بغتة فشن عليهم الغارة وكانت عادة مغاويرهم ان يغيروا صباحا فسميت الغارة صباحا وان وقعت فى (قال)

اشرف الاذكار والمهيمن عليها ﴿ فسوف يعلمون ﴾ عاقبة كفرهم ﴿ ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ﴾ اى وعدنا لهم بالنصرة والغلبة وهو قوله تعالى ﴿ انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون ﴾ وهو باعتبار الغالب والمقضى بالذات وانما سماه كلمة وهى كلمات لانتظامها فى معنى واحد ﴿ فتول عنهم ﴾ فاعرض عنهم ﴿ حتى حين ﴾ وهو الموعد لنصرك عليهم وهو يوم بدر وقيل يوم الفتح ﴿ وابصرهم ﴾ على ماينالهم حينئذ والمراد بالامر الدلالة على ان ذلك كائن قريب كأنه قدامه ﴿ فسوف يبصرون ﴾ ماقضينالك من التأييد والنصرة والثواب فى الآخرة وسوف للوعيد لاللتبعيد ﴿ أفبعذابنا يستعجلون ﴾ روى انه لما نزل فسوف يبصرون قالوا متى هذا فنزل ﴿ فاذا نزل بساحتهم ﴾ فاذا نزل العذاب بفنائهم بغتة شبه بجيش هجمهم فاناخ بفنائهم بغتة وقيل الرسول وقرئ نزل على اسناده الى الجار والمجرور ونزل اى العذاب ﴿ فساء صباح المنذرين ﴾ فبئس صباح المنذرين صباحهم واللام للجنس والصباح مستعار من صباح الجيش المبيت لوقت نزول العذاب ولما كثرت فيهم منهم الهجوم والغارة فى الصباح سموا الغارة

﴿ فسوف يعلمون ﴾ فيه تهديد لهم ﴿ قوله تعالى ﴿ ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ﴾ يعنى تقدم وعدنا لعبادنا المرسلين بنصرهم ﴿ انهم لهم المنصورون ﴾ أى بالحجة البالغة ﴿ وان جندنا ﴾ أى حزبنا المؤمنين ﴿ لهم الغالبون ﴾ أى لهم النصرة فى العاقبة ﴿ فتول ﴾ أى أعرض ﴿ عنهم حتى حين ﴾ قال ابن عباس يعنى الموت وقيل الى يوم بدر وقيل حتى آمرك بالقتال وهذه الآية منسوخة بآية القتال وقيل الى ان يأتيهم العذاب ﴿ وأبصرهم ﴾ أى اذا نزل بهم العذاب ﴿ فسوف يبصرون ﴾ أى ذلك فعند ذلك قالوا متى هذا العذاب قال الله عز وجل ﴿ أفبعذابنا يستعجلون فاذا نزل ﴾ يعنى العذاب ﴿ بساحتهم ﴾ أى بحضرتهم وقيل بفنائهم ﴿ فساء صباح المنذرين ﴾ أى فبئس صباح الكافرين الذين أنذروا العذاب (ق) عن أنس رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا خيبر فلما دخل القرية

حين جاءهم (فسوف يعلمون) ماذا يفعل بهم عند الموت وفى القبر ويوم القيامة (ولقد سبقت) وجبت (كلمتنا) بالنصرة والدولة (لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون) بالحجة والعذر (وان جندنا) الرسل والمؤمنين (لهم الغالبون) بالحجة والعدد الى يوم القيامة (فتول) فاعرض يامحمد (عنهم) عن كفار مكة (حتى حين) الى وقت هلاكهم يوم بدر (وأبصرهم) أعلمهم عذاب الله (فسوف يبصرون) يعلمون ماذا يفعل بهم (أفبعذابنا يستعجلون) أفبمثل عذابنا يستعجلون قبل أجله (فاذا نزل بساحتهم) بقربهم (فساء صباح المنذرين) فبئس الصباح لمن أنذرتهم الرسل

وقت آخر (وتول عنهم حتى حين وأبصر فسوف يبصرون) وانما ثنى ليكون تسلية على تسلية وتأكيدا لوقوع الميعاد الى تأكيد وفيه فائدة زائدة وهى اطلاق الفعلين معا عن التقييد بالمفعول وانه يبصر وهم يبصرون مالا يحيط به الذكر من صنوف المسرة وأنواع المساءة وقيل أريد باحدهما عذاب الدنيا وبالآخر عذاب الآخرة (سبحان ربك رب العزة) أضيف الرب الى العزة لاختصاصه بها كانه قيل ذو العزة كما تقول صاحب صدق لاختصاصه بالصدق ويجوز أن يراد انه مامن عزة لاحد الا وهو ربها ومالكها كقوله تعز من تشاء (عما يصفون) من الولد والصاحبة والشريك (وسلام على المرسلين) عم الرسل بالسلام بعد ماخص البعض فى السورة لان فى تخصيص كل بالذكر تطويلا (والحمد لله رب العالمين) على هلاك الاعداء ونصرة الانبياء اشتملت السورة على ذكر ماقاله المشركون فى الله ونسبوه اليه مماهو منزه عنه وماعاناه المرسلون من جهتهم وماخولوه فى العاقبة من النصرة عليهم فختمها بجوامع ذلك من تنزيه ذاته عما وصفه به المشركون والتسليم على المرسلين والحمد لله رب العالمين على ماقيض لهم من حسن العواقب والمراد تعليم المؤمنين أن يقولوا ذلك ولايخلوا به ولايغفلوا عن مضمنات كتابه الكريم ومودعات قرآنه المجيد

صباحا وان وقعت فى وقت آخر ﴿ وتول عنهم حتى حين وابصر فسوف يبصرون ﴾ تأكيد الى تأكيد واطلاق بعد تقييد للاشعار بانه يبصر وانهم يبصرون مالا يحيط به الذكر من اصناف المسرة وانواع المساءة او الاول لعذاب الدنيا والثانى لعذاب الآخرة ﴿ سبحان ربك رب العزة عما يصفون ﴾ عما قاله المشركون فيه على ماحكى فى السورة واضافة الرب الى العزة لاختصاصها به اذ لاعزة الا له اولمن اعزه وقد ادرج فيه جملة صفاته السلبية والثبوتية مع الاشعار بالتوحيد ﴿ وسلام على المرسلين ﴾ تعميم للرسل بالتسليم بعد تخصيص بعضهم ﴿ والحمد لله رب العالمين ﴾ على ماافاض عليهم وعلى من اتبعهم من النعم وحسن العاقبة ولذلك اخره عن التسليم والمراد تعليم المؤمنين كيف يحمدونه ويسلمون على رسله * وعن على رضى الله عنه من احب ان يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه اذا قام من مجلسه سبحان ربك الى آخر السورة * وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ والصافات اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد كل جن وشيطان وتباعدت عنه مردة الجن والشياطين وبرئ

قال الله أكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين قالها ثلاث مرات ثم كرر ذكر ماتقدم تأكيدا لوعيد العذاب فقال تعالى ﴿ وتول عنهم حتى حين ﴾ وقيل المراد من الآية الاولى ذكر أحوالهم فى الدنيا وهذه ذكر أحوالهم فى الآخرة فعلى هذا القول يزول التكرار ﴿ وأبصر ﴾ أى العذاب اذا نزل بهم ﴿ فسوف يبصرون ﴾ ثم نزه نفسه فقال تعالى ﴿ سبحان ربك رب العزة ﴾ أى الغلبة والقدرة وفيه اشارة الى كمال القدرة وانه القادر على جميع الحوادث ﴿ عما يصفون ﴾ أى عن اتخاذ الشركاء والاولاد ﴿ وسلام على المرسلين ﴾ أى الذين بلغوا عن الله عز وجل التوحيد والشرائع لان أعلى مراتب البشر ان يكون كاملا فى نفسه مكملا لغيره وهم الانبياء عليهم الصلاة والسلام فلاجرم يجب على كل أحد الاقتداء بهم والاهتداء بهداهم ﴿ والحمد لله رب العالمين ﴾ أى على هلاك الاعداء ونصرة الانبياء وقيل الغرض من ذلك تعليم المؤمنين ان يقولوه ولايخلوا به ولايغفلوا عنه لما روى عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه قال من أحب أن يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه اذا قام من مجلسه

وعن على رضى الله عنه من أحب أن يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه اذا قام من مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

فلم يؤمنوا (وتول) أعرض (عنهم) يا محمد (حتى حين) الى وقت هلاكهم يوم بدر (وأبصر) اعلم (فسوف يبصرون) يعلمون ماذا يفعل بهم (سبحان ربك) نزه نفسه عن الولد والشريك (رب العزة) المنعة والقدرة (عما يصفون) يقولون من الكذب (وسلام) منا سلامة (على المرسلين) بتبليغهم الرسالة (والحمد لله) الشكر والوحدانية لله بنجاة الرسل وهلاك قومهم (رب العالمين) سيد الانس والجن

سورة ص مكية وهى ثمان وثمانون آية كوفى وتسع بصرى وست مدنى

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (ص) ذكر هذا الحرف من حروف المعجم على سبيل التحدى والتنبيه على الاعجاز ثم أتبعه القسم محذوف الجواب لدلالة التحدى عليه كانه قال (والقرآن ذى الذكر) أى ذى الشرف انه لكلام معجز ويجوز ان يكون ص خبر مبتدأ محذوف على انه اسم للسورة كانه قال هذه ص اى هذه السورة التى أعجزت العرب والقرآن ذى الذكر كما تقول هذا حاتم والله تريد هذا هو المشهور بالسخاء والله وكذلك اذا أقسم بها كانه قال أقسمت بص والقرآن ذى الذكر انه لمعجز ثم قال (بل الذين كفروا فى عزة) تكبر عن الاذعان لذلك والاعتراف بالحق (وشقاق) خلاف لله ولرسوله والتنكير فى عزة وشقاق للدلالة على شدتهما

من الشرك وشهد له حافظاه يوم القيامة انه كان مؤمنا بالمرسلين

سورة ص مكية وآيها ثمانون وثمانى آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ص﴾ قرئ بالكسر لالتقاء الساكنين وقيل لانه امر من المصاداة بمعنى المعارضة ومنه الصدى فانه يعارض الصوت الاول اى عارض القرآن بعملك وبالفتح لذلك او لحذف حرف القسم وايصال فعله اليه او اضماره والفتح فى موضع الجر فانها غير مصروفة لانها علم السورة وبالجر والتنوين على تأويل الكتاب ﴿والقرآن ذى الذكر﴾ الواو للقسم ان جعل ص اسما للحرف ومذكورا للتحدى او للرمز بكلام مثل صدق محمد صلى الله عليه وسلم او للسورة خبرا لمحذوف او لفظ الامر وللعطف ان جعل مقسما به والجواب محذوف دل عليه ما فى ص من الدلالة على التحدى او الامر بالمعادلة اى انه لمعجز او لواجب العمل به اوان محمدا صلى الله عليه وسلم لصادق اوقوله ﴿بل الذين كفروا فى عزة وشقاق﴾ اى ما كفر به من كفر لخلل وجده

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

تفسير سورة ص ويقال لها سورة داود عليه الصلاة والسلام وهى مكية وهى ست وقيل ثمان وثمانون آية وسبعمائة واثنتان وثلاثون كلمة وثلاثة آلاف وسبعة وستون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

* قوله عز وجل ﴿ص﴾ قيل هو قسم وقيل اسم للسورة وقيل هو مفتاح اسمه الصمد وصادق الوعد والصبور وقيل معناه صدق الله وعن ابن عباس صدق محمد صلى الله عليه وسلم ﴿والقرآن ذى الذكر﴾ قال ابن عباس أى ذى البيان وقيل ذى الشرف وهو قسم قيل وجوابه قد تقدم وهو قوله تعالى ص أقسم الله سبحانه وتعالى بالقرآن ان محمدا صلى الله عليه وسلم لصادق وقيل جواب القسم محذوف تقديره والقرآن ذى الذكر ما الامر كما تقول الكفار دل على هذا المحذوف قوله تعالى ﴿بل الذين كفروا﴾ وقيل بل الذين كفروا موضع القسم وقيل فيه تقديم وتأخير تقديره بل الذين كفروا ﴿فى عزة وشقاق﴾ والقرآن ذى الذكر وقيل جوابه ان كل

ومن السورة التى يذكر فيها ص وهى كلها مكية آياتها ست وثمانون آية وكلماتها سبعمائة واثنتان وثلاثون كلمة وحروفها ثلاثة آلاف وستة وستون حرفا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (ص) يقول ص والقرآن أى كرروا القرآن حتى تعلموا الايمان من الكفر والسنة من البدعة والحق من الباطل والصدق من الكذب والحلال من الحرام والخير من الشر ويقال ص صد عن الهدى صرف أهل مكة عن الحق والهدى ويقال أبو جهل ويقال ص صادق (الا) فى قوله ويقال ص اسم من أسماء الله صادق ويقال قسم اقسم به (والقرآن) أقسم بالقرآن (ذى الذكر) ذى الشرف والبيان شرف من آمن به وبيان الاولين والآخرين (بل الذين كفروا) كفار مكة (فى عزة) حمية وتكبر (وشقاق) خلاف

وتفاقمهما وقرئ في غرة أي في غفلة عما يجب عليهم من النظر واتباع الحق (كم أهلكنا) وعيد لذوي العزة والشقاق (من قبلهم) من قبل قومك (من قرن) من امة (فنادوا) فدعوا واستغاثوا حين رأوا العذاب (ولات) هي لا المشبهة بليس زيدت عليها تاء التأنيث كازيدت على رب وثم للتوكيد وتغير بذلك حكمها حيث لم تدخل الا على الاحيان ولم يبرز الا أحد مقتضيها اما الاسم أو الخبر وامتنع بروزهما جميعا وهذا مذهب الخليل وسيبويه وعند الاخفش أنها لا النافية للجنس زيدت عليها التاء وخصت بنفي الاحيان وقوله (حين مناص) منجا منصوب بها كانك قلت ولا حين مناص لهم وعندهما أن النصب على تقدير ولات الحين حين مناص أي وليس الحين حين مناص (وعجبوا أن جاءهم) من أن جاءهم (منذر منهم) رسول من أنفسهم ينذرهم يعني استبعدوا ان يكون النبي من البشر (وقال الكافرون

فيه بل الذين كفروا في عزة اى استكبار عن الحق وشقاق خلاف لله ولرسوله ولذلك كفروا به وعلى الاولين الاضراب ايضا من الجواب المقدر ولكن من حيث اشعاره بذلك والمراد بالذكر العظة او الشرف او الشهرة اوذكر ما يحتاج اليه في الدين من العقائد والشرائع والمواعيد والتنكير في عزة وشقاق للدلالة على شدتهما وقرئ في غرة اى في غفلة عما يجب عليهم النظر فيه ﴿كم اهلكنا من قبلهم من قرن﴾ وعيد لهم على كفرهم به استكبارا وشقاقا ﴿فنادوا﴾ استغاثة او توبة واستغفارا ﴿ولات حين مناص﴾ اى ليس الحين حين مناص ولا هي المشبهة بليس زيدت عليها تاء التأنيث للتأكيد كما زيدت على رب وثم وخصت بلزوم الاحيان وحذف احد المعمولين وقيل هي النافية للجنس اى ولا حين مناص لهم وقيل للفعل والنصب باضماره اى ولا ارى حين مناص وقرئ بالرفع على انه اسم او مبتدأ محذوف الخبر اى ليس حين مناص حاصلا لهم او لا حين مناص كائن لهم وبالكسر كقوله

طلبوا صلحنا ولات اوان * فاجبنا ان لات حين بقاء

اما لان لات تجر الاحيان كما ان لولا تجر الضمائر في نحو قوله * لولاك هذا العام لم احجج * اولان اوان شبه باذ لانه مقطوع عن الاضافة اذ اصله اوان صلح ثم حمل عليه مناص تنزيلا لما اضيف اليه الظرف منزلته لما بينهما من الاتحاد اذ اصله حين مناصهم ثم بني الحين لاضافته الى غير متمكن ولات بالكسر كجير ويقف الكوفية عليها بالهاء كالاسماء والبصرية بالتاء كالافعال وقيل ان التاء مزيدة على حين لاتصالها به في الامام ولا يرد عليه ان خط المصحف خارج عن القياس اذ مثله لم يعهد فيه والاصل اعتباره الا فيما خصه الدليل ولقوله * العاطفون تحين لا من عاطف * والمطعمون زمان ما من مطعم * والمناص المنجى من ناصه ينوصه اذا فاته ﴿وعجبوا ان جاءهم منذر منهم﴾ بشر مثلهم اوامي من عدادهم ﴿وقال الكافرون﴾ وضع فيه الظاهر

الا كذب الرسل وقيل جوابه ان هذا لرزقنا وقيل ان ذلك لحق تخاصم أهل النار وهذا ضعيف لانه تخلل بين القسم وهذا الجواب أقاصيص وأخبار كثيرة وقيل بل لتدارك كلام ونفي آخر ومجاز الآية ان الله تعالى أقسم بص والقرآن ذي الذكر بل الذين كفروا من أهل مكة في عزة أي حمية جاهلية وتكبر عن الحق وشقاق أي خلاف وعداوة لمحمد صلى الله عليه وسلم ﴿كم أهلكنا من قبلهم من قرن﴾ يعني من الامم الخالية ﴿فنادوا﴾ أي استغاثوا عند نزول العذاب وحلول النقمة ﴿ولات حين مناص﴾ أي ليس الحين حين فرار وتأخر قال ابن عباس كان كفار مكة اذا قاتلوا فاضطروا في الحرب قال بعضهم لبعض مناص أي اهربوا وخذوا حذركم فلما نزل بهم العذاب ببدر قالوا مناص فانزل الله عز وجل ولات حين مناص أي ليس الحين حين هذا القول ﴿وعجبوا﴾ يعني كفار مكة ﴿أن جاءهم منذر منهم﴾ يعني رسولا من أنفسهم ينذرهم ﴿وقال الكافرون

وعداوة ولهذا كان المقسم عليه (كم أهلكنا من قبلهم) من قبل قريش (من قرن) من الامم الخالية (فنادوا ولات حين مناص) فنادتهم الملائكة عند هلاكهم ولات حين مناص أي ليس بحين حلة ولا فرار فقفوا فوقفوا حتى أهلكهم الله وقد كانوا قبل ذلك اذا قاتلوا عدوا نادى بعضهم بعضا مناص مناص يعنون حلة واحدة فنجا من نجا وهلك من هلك واذا غلب العدو عليهم كانوا يبدرون بعضهم بعضا وينادون بعضهم بعضا مناص مناص بنصب الصاد أي فرارا فرارا فيفرون من القتال وهذه علامة كانت بينهم في القتال اذا أرادوا أن يحملوا على العدو أو يفروا من العدو فلما أراد الله هلاكهم نادتهم الملائكة ولات حين مناص أي ليس بحين حلة ولا فرار (وعجبوا) قريش (أن جاءهم) بأن جاءهم (منذر) رسول مخوف (منهم) من نسبهم (وقال الكافرون) كفار

هذا ساحر كذاب أجعل الآلهة الها واحدا ان هذا الشئ عجاب) ولم يقل وقالوا اظهارا للغضب عليهم ودلالة على أن هذا القول لايجسر عليه الا الكافرون المتوغلون في الكفر المنهمكون في الغي اذ لا كفر أبلغ من أن يسموا من صدقه الله كاذبا ساحرا ويتجبوا من التوحيد وهو الحق الابلج ولا يتعجبوا من الشرك وهو باطل لجلج وروى ان عمر رضي الله عنه لما أسلم فرح به المؤمنون وشق على قريش فاجتمع خمسة وعشرون نفسا من صناديدهم ومشو الى أبي طالب وقالوا أنت كبيرنا وقد علمت مافعل هؤلاء السفهاء يريدون الذين دخلوا في الاسلام وجئناك لتقضي بيننا وبين ابن أخيك فاستحضر أبو طالب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن أخي هؤلاء قومك يسألونك السواء فلا تمل كل الميل على قومك فقال عليه السلام ماذا يسألوني فقالوا ارفضنا وارفض ذكر آلهتنا وندعك والهك فقال عليه السلام أتعطوني كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم قالوا نعم وعشرا أي نعطيكها وعشر كلمات معها فقال قولوا لا اله الا الله فقاموا وقالوا أجعل الآلهة الها واحدا أي أصير ان هذا لشئ عجاب أي بليغ في العجب وقيل العجيب ماله مثل والعجاب مالا مثل له (وانطلق الملأ منهم ان امشوا) وانطلق اشراف قريش عن مجلس أبي طالب بعد ما بكتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجواب العتيد قائلين بعضهم لبعض أن امشوا وان بمعنى أي لان (و)

موضع الضمير غضبا عليهم وذمالهم واشعارا بان كفرهم جسرهم على هذا القول ﴿ هذا ساحر ﴾ فيما يظهره معجزة ﴿ كذاب ﴾ فيما يقول على الله تعالى ﴿ أجعل الآلهة الها واحدا ﴾ بان جعل الالوهية التي كانت لهم لواحد ﴿ ان هذا لشئ عجاب ﴾ بليغ في العجب فانه خلاف ماطبق عليه آباؤنا ومانشاهده من ان الواحد لايفي علمه وقدرته بالاشياء الكثيرة وقرئ مشددا وهو ابلغ ككرام وكرام روي انه لما اسلم عمر رضي الله عنه شق ذلك على قريش فاتوا اباطالب فقالوا انت شيخنا وكبيرنا وقد علمت مافعل هؤلاء السفهاء وانما جئناك لتقضي بيننا وبين ابن اخيك فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هؤلاء قومك يسالونك السواء فلا تمل كل الميل عليهم فقال صلى الله عليه وسلم ماذا تسألوني قالوا ارفضنا وارفض ذكر آلهتنا وندعك والهك فقال أرأيتم ان اعطيتكم ماسألتم امعطي انتم كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم قالوا نعم وعشرا فقال قولوا لا اله الا الله فقاموا وقالوا ذلك ﴿ وانطلق الملأ منهم ﴾ وانطلق اشراف قريش من مجلس ابي طالب بعدما بكتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ ان امشوا ﴾ قائلين

هذا ساحر كذاب ﴾ * قوله عز وجل ﴿ أجعل الآلهة الها واحدا ﴾ وذلك ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه أسلم فشق ذلك على قريش وفرح به المؤمنون فقال الوليد بن المغيرة للملأ من قريش وهم الصناديد والاشراف وكانوا خمسة وعشرين رجلا أكبرهم سنا الوليد بن المغيرة أمشوا الى أبي طالب فأتوا الى أبي طالب وقالوا له أنت شيخنا وكبيرنا وقد علمت مافعل هؤلاء السفهاء وانما أتيناك لتقضي بيننا وبين ابن أخيك فارسل اليه أبو طالب فدعا به فلما أتى النبي صلى الله عليه وسلم اليه قال له يا ابن أخي هؤلاء قومك يسألونك السواء فلا تمل كل الميل على قومك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وماذا يسألوني قالوا ارفض آلهتنا وندعك والهك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتعطوني كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم فقال أبو جهل لله أبوك لنعطينكها وعشرة أمثالها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا لا اله الا الله فنفروا من ذلك وقالوا أجعل الآلهة الها واحدا كيف يسع الخلق اله واحد ﴿ ان هذا الشئ عجاب ﴾ أي عجب ﴿ وانطلق الملا منهم ﴾ أي من مجلسهم الذي كانوا فيه عند أبي طالب ﴿ أن امشوا ﴾ أي يقول بعضهم لبعض امشوا

مكة (هذا) يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم (ساحر) يفرق بين الاثنين (كذاب) يكذب على الله (أجعل الآلهة الها واحدا) أيسعنا ويكفينا اله واحد في حوائجنا كما يقول محمد عليه السلام (ان هذا) الذي يقول محمد عليه السلام (لشئ عجاب) عجيب (وانطلق الملأ) الرؤساء (منهم) من قريش عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبي بن خلف الجمحي وأبو جهل بن هشام (أن امشوا) قال لهم أبو جهل أن امضوا الى آلهتكم

لمنطلقين عن مجلس التقاول لابد لهم من ان يتكلموا ويتفاوضوا فيما جرى لهم فكان انطلاقهم متضمنا معنى القول (واصبروا على) عبادة(آلهتكم ان هذا) الامر (لشئ يراد) أي يريده الله تعالى ويحكم بامضائه فلا مرد له ولا ينفع فيه الا الصبر أو أن هذا الامر لشئ من نوائب الدهر يراد بنا فلا انفكاك لنا منه

(ماسمعنا بهذا) بالتوحيد (في الملة الآخرة) في ملة عيسى التي هي آخر الملل لان النصارى مثلثة غير موحدة أو في ملة قريش التي أدركنا عليها آباءنا (ان هذا) ما هذا (الا اختلاق) كذب اختلقه محمد من تلقاء نفسه (أأنزل عليه الذكر) القرآن (من بيننا) أنكروا أن يختص بالشرف من بين اشرافهم وينزل عليه الكتاب من بينهم حسدا (بل هم في شك من ذكري) من القرآن (بل لما يذوقوا عذاب) بل هم لم يذوقوا عذابي بعد فاذا ذاقوه زال عنهم ما بهم من الشك والحسد حينئذ أي انهم لا يصدقون به الا ان يمسهم العذاب فيصدقون حينئذ (أم عندهم خزائن رحمة ربك

بعضهم لبعض امشوا ﴿ واصبروا ﴾ واثبتوا ﴿ على آلهتكم ﴾ على عبادتها فلا ينفعكم مكالمته وان هي المفسرة لان الانطلاق من مجلس التقاول يشعر بالقول وقيل المراد بالانطلاق الاندفاع في القول وامشوا من مشت المرأة اذا كثرت ولادتها ومنه الماشية اي اجتمعوا وقرئ بغير ان وقرئ يمشون ان اصبروا ﴿ ان هذا لشئ يراد ﴾ ان هذا الامر لشئ من ريب الزمان يراد بنا فلا مرد له او ان هذا الذي يدعيه من التوحيد او يقصده من الرياسة والترفع على العرب والعجم لشئ يتمنى او يريده كل احد او ان دينكم لشئ يطلب ليؤخذ منكم وتغلبوا عليه ﴿ ماسمعنا بهذا ﴾ بالذي يقوله ﴿ في الملة الآخرة ﴾ في الملة التي ادركنا عليها آباءنا او في ملة عيسى عليه السلام التي هي آخر الملل فان النصارى يثلثون ويجوز ان تكون حالا من هذا اي ماسمعنا من أهل الكتاب ولا الكهان بالتوحيد كائنا في الملة المترقبة ﴿ ان هذا الا اختلاق ﴾ كذب اختلقه ﴿ أأنزل عليه الذكر من بيننا ﴾ انكار لاختصاصه بالوحي وهو مثلهم او ادون منهم في الشرف والرياسة كقولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وامثال ذلك دليل على ان مبدأ تكذيبهم لم يكن الا الحسد وقصور النظر على الحطام الدنيوي ﴿ بل هم في شك من ذكري ﴾ من القرآن او الوحي لميلهم الى التقليد واعراضهم عن الدليل وليس في عقيدتهم ما يبتون به من قولهم هذا ساحر كذاب ان هذا الا اختلاق ﴿ بل لما يذوقوا عذاب ﴾ بل لم يذوقوا عذابي بعد فاذا ذاقوه زال شكهم والمعنى انهم لا يصدقون به حتى يمسهم العذاب فيلجئهم الى تصديقه ﴿ أم عندهم خزائن رحمة ربك

﴿ واصبروا على آلهتكم ﴾ أي اثبتوا على عبادة آلهتكم ﴿ ان هذا لشئ يراد ﴾ أي لامر يراد بنا وذلك ان عمر رضي الله عنه لما أسلم وحصل للمسلمين قوة بمكانه قالوا ان هذا الذي نراه من زيادة أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لشئ يراد بنا وقيل يراد باهل الارض وقيل يراد بمحمد صلى الله عليه وسلم ان يملك علينا ﴿ ماسمعنا بهذا ﴾ أي بالذي يقوله محمد من التوحيد ﴿ في الملة الآخرة ﴾ قال ابن عباس يعنون النصرانية لانها آخر الملل وانهم لا يوحدون الله بل يقولون ثالث ثلاثة وقيل يعنون ملة قريش وهي دينهم الذي هم عليه ﴿ ان هذا الا اختلاق ﴾ أي كذب وافتعال ﴿ أأنزل عليه الذكر ﴾ أي القرآن ﴿ من بيننا ﴾ أي يقول أهل مكة ليس هو باكبرنا ولا أشرفنا قال الله تعالى ﴿ بل هم في شك من ذكري ﴾ أي وحيي وما أنزلت ﴿ بل لما يذوقوا عذاب ﴾ أي لو ذاقوه لما قالوا هذا القول ﴿ أم عندهم خزائن رحمة ربك ﴾ يعني مفاتيح النبوة يعطونها من شاؤا

(واصبروا على آلهتكم) اثبتوا على عبادة آلهتكم (ان هذا لشئ) يعنون محمدا عليه السلام (يراد) أن يهلك ويقال ان هذا الذي يقول محمد عليه السلام لشئ يراد يكون بأهل الارض (ماسمعنا بهذا) الذي يقول محمد عليه السلام (في الملة الآخرة) في الملة اليهودية والنصرانية يعنون لم نسمع من اليهود ولا النصارى ان الاله واحد (ان هذا) ما هذا الذي يقول محمد عليه السلام (الا اختلاق) اختلقه محمد صلى الله عليه وسلم من تلقاء نفسه(أأنزل عليه الذكر من بيننا) أخص بالنبوة والكتاب من بيننا(بل هم) كفار مكة (في شك من ذكري) من كتابي ونبوة نبيي (بل لما يذوقوا عذاب) لم يذوقوا عذابي فمن ذلك يكذبون على (أم عندهم خزائن رحمة ربك

العزيز الوهاب) يعنى ماهم بمالكى خزائن الرحمة حتى يصيبوا بها من شاؤا ويصرفوها عمن شاؤا ويتخيروا للنبوة بعض صناديدهم ويترفعوا بها عن محمد وانما الذى يملك الرحمة وخزائنها العزيز القاهر على خلقه الوهاب الكثير المواهب المصيب بها مواقعها الذى يقسمها على ماتقتضيه حكمته ثم رشح هذا المعنى فقال (أم لهم ملك السموات والارض وما بينهما) حتى يتكلموا فى الامور الربانية والتدابير الالهية التى يختص بها رب العزة والكبرياء ثم تهكم بهم غاية التهكم فقال فان كانوا يصلحون لتدبير الخلائق والتصرف فى قسمة الرحمة (فليرتقوا فى الاسباب) فليصعدوا فى المعارج والطرق التى يتوصل بها الى السماء حتى يدبروا أمر العالم وملكوت الله وينزلوا الوحى الى من يختارون ثم وعد نبيه عليه السلام النصرة عليهم بقوله (جند) مبتدأ (ما) صلة مقوية للنكرة المبتدأة (هنالك) اشارة الى بدر ومصارعهم أوالى حيث وضعوا فيه أنفسهم من الانتداب لمثل ذلك القول العظيم من قولهم لمن ينتدب لامر ليس من أهله لست هنالك خبر المبتدا (مهزوم) مكسور (من الاحزاب) متعلق بجند أو بمهزوم يريد ماهم الا جند من الكفار المتحزبين على رسول الله مهزوم عماقريب فلاتبال بما يقولون ولا تكترث لما به يهذون (كذبت قبلهم) قبل اهل مكة (قوم نوح) نوحا (وعاد) هودا (وفرعون) موسى (ذوالاوتاد) قيل كانت له

العزيز الوهاب ﴾ بل اعندهم خزائن رحمته وفى تصرفهم حتى يصيبوا بها من شاؤا ويصرفوها عمن شاؤا فيتخيروا للنبوة بعض صناديدهم والمعنى ان النبوة عطية من الله يتفضل بها على من يشاء من عباده لامانع له فانه العزيز الغالب الذى لايغلب الوهاب الذى له ان يهب كل مايشاء لمن يشاء ثم رشح ذلك فقال ﴿ أم لهم ملك السموات والارض ومابينهما ﴾ كأنه لما انكر عليهم التصرف فى نبوته بان ليس عندهم خزائن رحمته التى لانهاية لها اردف ذلك بانه ليس لهم مدخل فى امر هذا العالم الجسمانى الذى هو جزء يسير من خزائنه فمن اين لهم ان يتصرفوا فيها ﴿ فليرتقوا فى الاسباب ﴾ جواب شرط محذوف اى ان كان لهم ذلك فليصعدوا فى المعارج التى يتوصل بها الى العرش حتى يستووا عليه ويدبروا امر العالم فينزلوا الوحى الى من يستصوبون وهو غاية التهكم بهم والسبب فى الاصل هو الوصلة وقيل المراد بالاسباب السموات لانها اسباب الحوادث السفلية ﴿ جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب ﴾ اى هم جند ما من الكفار المتحزبين على الرسل مهزوم مكسور عماقريب فمن اين لهم التدابير الالهية والتصرف فى الامور الربانية أو فلاتكترث بما يقولون وما مزيدة للتقليل كقولك اكلت شيأ ما وقيل للتعظيم على الهزء وهو لايلائم مابعده وهنالك اشارة الى حيث وضعوا فيه انفسهم من الانتداب لمثل هذا القول ﴿ كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذوالاوتاد ﴾ ذو الملك الثابت بالاوتاد كقوله

﴿ العزيز ﴾ أى فى ملكه ﴿ الوهاب ﴾ الذى وهب النبوة لمحمد صلى الله عليه وسلم ﴿ أم لهم ملك السموات والارض ومابينهما ﴾ اى ليس لهم ذلك ﴿ فليرتقوا فى الاسباب ﴾ يعنى ان ادعوا شيأ من ذلك فليصعدوا فى الاسباب التى توصلهم الى السماء ليأتوا منها بالوحى الى من يختاروا وقيل اراد بالاسباب ابواب السماء وطرقها من سماء الى سماء وهذا أمر توبيخ وتعجيز ﴿ جند ما هنالك ﴾ أى هؤلاء الذين يقولون هذا القول جند ماهنالك ﴿ مهزوم ﴾ أى مغلوب ﴿ من الاحزاب ﴾ يعنى ان قريشا من جملة الاجناد الذين تجمعوا وتحزبوا على الانبياء بالتكذيب فقهروا واهلكوا أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم وهو بمكة انه سيهزم جند المشركين فجاء تأويلها يوم بدر وهنالك اشارة الى مصارعهم ببدر ثم قال عزوجل معزيا النبيه صلى الله عليه وسلم ﴿ كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذوالاوتاد ﴾

العزيز الوهاب) يقول أبأيديهم النبوة والكتب فيعطون من شاؤا وهو العزيز بالنقمة لمن لايؤمن الوهاب وهب النبوة والكتاب لمحمد صلى الله عليه وسلم (أم لهم) ألهم (ملك السموات والارض) مقدرة على السموات والارض (وما بينهما) من الخلق والعجائب (فليرتقوا) فليصعدوا (فى الاسباب) فى أبواب السموات ان كانت لهم مقدرة ذلك فلينظروا أأنزل عليه النبوة والكتاب أم لا (جند)هم جند (ماهنالك) عندما أرادوا قتل النبى صلى الله عليه وسلم يوم بدر (مهزوم) مقتول مغلوب فقتلوا يوم بدر (من الاحزاب) من الكفار كفار مكة (كذبت قبلهم) قبل قومك يامحمد (قوم نوح) نوحا (وعاد) قوم هود هودا (وفرعون) موسى (ذوالاوتاد) صاحب الملك الثابت

أوتادو حبال يلعب بها بين يديه وقيل يوتد من يعذب بأربعة اوتاد في يديه ورجليه (وثمود) وهم قوم صالح صالحا (وقوم لوط) لوطا (وأصحاب الايكة) الغيضة شعيبا (أولئك الاحزاب) أراد بهذه الاشارة الاعلام بان الا حزاب الذين جعل الجند المهزوم منهم هم وانهم الذين وجد منهم التكذيب (ان كل الا كذب الرسل) ذكر تكذيبهم أولا في الجملة الخبرية على وجه الابهام حيث لم يبين المكذب ثم جاء بالجملة الاستثنائية فاوضحه فيها وبين المكذب وهم الرسل وذكر ان كل واحد من الاحزاب كذب جميع الرسل لان في تكذيب الواحد منهم تكذيب الجميع لاتحاد دعوتهم وفي تكرير التكذيب وايضاحه بعد ابهامه والتنويع في تكريره بالجملة الخبرية اولا وبالاستثنائية ثانيا وما في الاستثنائية من الوضع على وجه التوكيد أنواع من المبالغة المسجلة عليهم باستحقاق أشد العقاب وابلغه ثم قال (فحق عقاب) أي فوجب لذلك ان أعاقبهم حق عقابهم عذابي وعقابي في الحالين يعقوب (وما ينظر هؤلاء) وما ينتظر أهل مكة ويجوز ان يكون اشارة الى جميع الاحزاب (الاصيحة واحدة) أي النفخة الاولى وهي الفزع الاكبر (مالها من فواق) وبالضم حمزة وعلي أي مالها من توقف مقدار فواق وهو ما بين حلبتي الحالب أي اذا جاء وقتها لم تستأخر هذا القدر (قا و خا ٣٤ مس) من الزمان وعن ابن عباس رضي الله عنهما مالها من رجوع

ولقد غنوا فيها بانعم عيشة * في ظل ملك ثابت الاوتاد

مأخوذ من ثبات البيت المطنب باوتاده اوذو الجموع الكثيرة سموا بذلك لان بعضهم يشد بعضا كالوتد يشد البناء وقيل نصب اربع سوار وكان يمد يدي المعذب ورجليه اليها ويضرب عليها اوتادا ويتركه حتى يموت ﴿وثمود وقوم لوط واصحاب الايكة﴾ واصحاب الغيضة وهم قوم شعيب ﴿ اولئك الاحزاب ﴾ يعني المتحزبين على الرسل الذين جعل الجند المهزوم منهم ﴿ ان كل الا كذب الرسل ﴾ بيان لما اسند اليهم من التكذيب على الابهام مشتمل على انواع من التأكيد ليكون تسجيلا على استحقاقهم للعذاب ولذلك رتب عليه ﴿ فحق عقاب ﴾ وهو اما مقابلة الجمع بالجمع اوجعل تكذيب الواحد منهم تكذيب جميعهم ﴿وما ينظر هؤلاء ﴾ وما ينتظر قومك اوالاحزاب فانهم كالحضور لاستحضارهم بالذكر اوحضورهم في علم الله تعالى ﴿ الاصيحة واحدة ﴾ هي النفخة ﴿ مالها من فواق ﴾ من توقف مقدار فواق وهو ما بين الحلبتين اورجوع وترداد فان فيه يرجع

قال ابن عباس ذو البناء المحكم وقيل ذو الملك الشديد الثابت والعرب تقول هو في عز ثابت الاوتاد يريدون بذلك انه دائم شديد قال الاسود بن يعفر

ولقد غنوا فيها بانعم عيشة * في ظل ملك ثابت الاوتاد

وقيل ذو قوة وأصل هذا ان بيوتهم تثبت بالاوتاد وقيل ذو القوة والبطش وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما ذو الجنود والجموع الكثيرة يعني انهم يقوون أمره ويشدون ملكه كما يقوي الوتد الشئ وسميت الاجناد أوتادا لكثيرة المضارب التي كانوا يضربونها ويوتدونها في أسفارهم وقيل الاوتاد جمع الوتد وكانت له أوتاد يعذب الناس عليها فكان اذا غضب على أحد مده مستلقيا بين أربعة أوتاد يشد كل طرف منه الى وتد فيتركه حتى يموت وقيل يرسل عليه العقارب والحيات وقيل كانت له أوتاد وأحبال وملاعب يلعب عليها بين يديه ﴿ وثمود وقوم لوط وأصحاب الايكة أولئك الاحزاب ﴾ أي الذين تحزبوا على الانبياء فاعلم الله تعالى ان مشركي قريش حزب من أولئك الاحزاب ﴿ ان كل الا كذب الرسل فحق عقاب ﴾ يعني ان أولئك الطوائف والامم الخالية لما كذبوا أنبياءهم وجب عليهم العذاب فكيف حال هؤلاء الضعفاء المساكين اذا نزل بهم العذاب وفي الآية زجر وتخويف للسامعين ﴿ وما ينظر ﴾ أي تنتظر ﴿ هؤلاء ﴾ يعني كفار مكة ﴿ الاصيحة واحدة مالها من فواق ﴾ أي رجوع

ويقال صاحب العذاب بالاوتاد وانما سمي ذا أوتاد لانه كان اذا غضب على أحد ودتده بأربعة أوتاد (وثمود) قوم صالح صالحا (وقوم لوط) لوطا (وأصحاب الايكة) الغيضة وهم قوم شعيب كذبوا شعيبا (أولئك الاحزاب) الكفار (ان كل الا كذب الرسل) يقول كل هؤلاء كذبوا الرسل كما كذبك قريش (فحق عقاب) فوجبت عليهم عقوبتي (وما ينظر هؤلاء) قومك ان كذبوك (الاصيحة واحدة) لاتثنى وهي نفخة البعث (مالها من فواق) من نظرة ولا رجعة

وتردادمن أفاق المريض اذارجع الى الصحة وفواق النا قةساعةيرجع الدرالى ضرعها يريد انها نفخـةواحـدة فحسب لا ثنى و لاتردد(وقالوا ربناعجل لناقطنا)حظنـامن الجنة لانه عليه السلام ذكر وعـد الله المؤمنـين الجنة فقالوا على سبيل الهزء عجل لنانصيبنامنهاأونصيبنا من العذاب الذى وعدته كقوله ويستعجلونك بالعذاب

الابن الى الضرع وقرأ حمزة والكسائى بالضم وهما لغتان ﴿وقالوا ربنا عجل لناقطنا﴾ قسطنا من العذاب الذى توعدنا به اوالجنة التى تعـد للمؤمنين وهو من قطه اذا قطعه ويقال لصحيفة الجائزة قط لانهاقطعةمن القرطاس وقدفسربهااى عجل لناصحيفةاعمالنالننظر فيها ﴿قبل يوم الحساب﴾ استعجلوا ذلك استهزاء ﴿اصبرعلى مايقولون واذكرعبدناداود﴾ واذكرلهم قصته تعظيما للمعصيةفى اعينهم فانه مع علوشأنه واختصاصه بعظائم النعم والمكرمات لما اتى صغيرة نزل عن منزلته ووبخه الملائكة بالتمثيل والتعريض حتى تفطن فاستغفر ربه واناب فما الظن بالكفرة واهل الطغيان او تذكر قصته وصن نفسـك ان تزل فيلقاك مالقيه من المعاتبة على اهماله عنان نفسه ادنى اهمال ﴿ذا الايد﴾ ذا القوة يقـال فلان ايدوذوأيد وذوآد واياد بمعنى ﴿انه اواب﴾ رجاع الى مرضـاة الله وهوتعليل للايد دليل على ان المراد به القوة فى الدين وكان يصوم يوما ويفطر يوما ويقوم نصف الليـل ﴿انا سخرنا الجبـال معه يسبحن﴾ قدمر تفسيره ويسبحن حال وضع موضـع مسبحـات لاستحضار الحـال الماضية والدلالة على تجدد التسبيح حالا بعد حال ﴿بالعشى والاشراق﴾ ووقت الاشراق وهو حـين تشرق الشمس اى

والمعنى ان تلك الصيحة التى هى ميعادعذابهم اذاجاءت لم تردولم تصرف ﴿وقالوا ربناعجل لناقطنا﴾ أى حظناونصيبنامن الجنةالتى تقول وقيل نصيبنامن العذاب قاله النضر بن الحرث استعجالامنه بالعذاب وقال ابن عباس يعنى كتابنا والقط الصحيفةالتى حصرت كل شئ قيل لمانزلت فى الحاقة فأمامن أوتى كتابه بيمينه واما من اوتى كتابه بشماله قالوا استهزاء عجل لنا كتابنا فى الدنيا ﴿قبل يوم الحساب﴾ وقيل قطنا أى حسابنا يقال لكتاب الحسـاب قط وقيل القط كتاب الجوائز قال الله عزوجل لنبيه صلى الله عليه وسلم ﴿اصبر على مايقولون﴾ أى عـلى مايقول الكفار من التكذيب ﴿واذكر عبدنا داود ذاالايد﴾ قال ابن عباس ذاالقوة فى العبادة (ق) عن عبدالله بن عمرو بن العـاص رضى الله عنهما قال قال رسـول الله صلى الله عليه وسلم ان أحب الصيام الى الله تعالى صيام داودكان يصوم يوما ويفطر يوما وأحب الصلاة الى الله صلاة داود كان ينام نصف الليـل ويقوم ثلثه وينام سدسه وقيل معناه ذاالقوة فى الملك ﴿انه أواب﴾ أى رجاع الى الله عزوجل بالتوبة عن كل مايكره وقال ابن عباس مطيـع لله عزوجـل وقيـل مسبح بلغة الحبشة ﴿انا سخرنا الجبال معه يسبحن﴾ أى بتسبيحه اذاسبح ﴿بالعشى والاشراق﴾ أى غدوة وعشية والاشراق هوان تشرق الشمس ويتناهى ضوءها وفسره ابن عباس بصلاة الضحى وروى البغوى باسـناد الثعلبى عن ابن عباس فى قوله بالعشى والاشراق قال كنت أمر

واصل القط القسـط من الشئ لانه قطعـة منه من قطه اذاقطعه ويقال لصحيفة الجائزة قط لانهاقطعـة من القرطاس (قبل يوم الحساب اصبرعلى مايقولون) فيـك و صن نفسك ان تزل فيمـا كلفت من مصابرتهم وتحمل أذاهـم (واذكر عبـدنا داود) وكرامتـه على الله كيف زل تلك الزلة اليسيرة فلـقى من عتاب الله مالقى (ذاالايد) ذا القـوة فى الدين ومما يدل على ان الايد القوة فى الدين قـوله (انه أواب) أى رجاع الى مرضاة الله تعالى وهو تعليل لذى الايد روى انه كان يصوم يوما ويفطر يوما وهوأشدالصوم ويقوم نصف الليل (اناسخرنا) ذللنا (الجبال معه) قيل كان تسخيرها انها تسير معه اذاأراد سـيرها الى حيث يريد (يسبحن) فى معنى مسبحات على الحال واختار يسبحن على مسبحات ليدل على حدوث التسبيح من الجبال شيأ بعـد شئ وحالا بعد حال (بالعشى والاشراق) أى فى طرفى

(وقالوا) يعنى كفار مكة حين ذكر الله فى كتابه فامامن أوتى كتابه بيمينه وأما من أوتى كتابه بشماله (ربنا) (بهذه) يا ربنا (عجل لناقطنا) يعنون كتابنا أى صحيفة أعمالنا (قبل يوم الحساب) حتى نعلم مافيها (اصبر) يامحمد (على مايقولون) من التكذيب (واذكرعبدنا داود) يقول اذكرلهم خبرعبدنا داود (ذا الايد) ذاالقوة بالعبادة (انه أواب) مطيع لله مقبل الى طاعة الله (اناسخرنا) ذللنا (الجبال معه يسبحن) معه (بالعشى والاشراق) غدوة وعشية

تضيء ويصفو شعاعها وهو وقت الضحى واما شروقها فطلوعها يقال شرقت الشمس ولما تشرق ❁ وعن ام هانئ انه عليه الصلاة والسلام صلى صلاة الضحى وقال هذه صلاة الاشراق وعن ابن عباس رضي الله عنهما ماعرفت صلاة الضحى الا بهذه الآية ﴿ والطير محشورة ﴾ اليه من كل جانب وانما لم يراع المطابقة بين الحالين لان الحشر جملة ادل على القدرة منه مدرجا وقرئ والطير محشورة بالابتداء والخبر ﴿ كل له اواب ﴾ كل واحد من الجبال والطير لاجل تسبيحه رجاع الى التسبيح والفرق بينه وبين ماقبله انه يدل على الموافقة في التسبيح وهذا يدل على المداومة عليها او كل منهما ومن داود مرجع لله التسبيح ﴿ وشددنا ملكه ﴾ وقويناه بالهيبة والنصرة وكثرة الجنود وقرئ بالتشديد للمبالغة وقيل ان رجلا ادعى بقرة على آخر وعجز عن البيان فاوحى اليه ان اقتل المدعى عليه فاعلمه فقال صدقت اني قتلت اباه غيلة واخذت البقرة فعظمت بذلك هيبته ﴿ وآتيناه الحكمة ﴾ النبوة او كمال العلم واتقان العمل

بهذه الآية لأدري ماهي حتى حدثتني أم هانئ بنت أبي طالب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليها فدعا بوضوء فتوضأ ثم صلى الضحى فقال ياأم هانئ ان هذه صلاة الاشراق قلت والذي أخرجاه في الصحيحين من حديث أم هانئ في صلاة الضحى قالت أم هانئ ذهبت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح فوجدته يغتسل وفاطمة بنته تستره بثوب فسلمت عليه فقال من هذه قلت أنا أم هانئ بنت أبي طالب فقال مرحبا ياأم هانئ فلما فرغ من غسله قام وصلى ثمان ركعات ملتحفا بثوب قالت أم هانئ وذلك ضحى ❁ ولهما عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال ماحدثنا أحد انه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يصلي الضحى غير أم هانئ فانها قالت ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل بيتها يوم فتح مكة فاغتسل وصلى ثمان ركعات فلم أر صلاة قط أخف منها غير انه يتم الركوع والسجود ❁ قوله تعالى ﴿ والطير ﴾ أي وسخرنا له الطير ﴿ محشورة ﴾ أي مجموعة اليه تسبح معه ﴿ كل له أواب ﴾ أي رجاع الى طاعته مطيع له بالتسبيح معه ﴿ وشددنا ملكه ﴾ أي قويناه بالحرس والجنود قال ابن عباس كان أشد ملوك الارض سلطانا كان يحرس محرابه كل ليلة ستة وثلاثون ألف رجل وروى عن ابن عباس أن رجلا من بني اسرائيل ادعى على رجل من عظمائهم عند داود عليه الصلاة والسلام فقال ان هذا غصبني بقرة فسأله داود فجحده فسأل الآخر البينة فلم يكن له بينة فقال لهما داود قوما حتى أنظر في أمركما فأوحى الله الى داود في منامه أن يقتل المدعى عليه فقال هذه رؤيا ولست أعجل عليه حتى أتثبت فأوحى اليه مرة أخرى فلم يفعل فأوحى اليه الثالثة أن يقتله أو تأتيه العقوبة فارسل اليه داود فقال ان الله عز وجل أوحى الي أن أقتلك فقال تقتلني بغير بينة فقال داود نعم والله لأنفذن أمر الله فيك فلما عرف الرجل أنه قاتله قال لاتعجل حتى أخبرك اني والله ماأوخذت بهذا الذنب ولكني كنت اغتلت والد هذا فقتلته فبذلك أوخذت فامر به داود فقتل فاشتدت هيبة بني اسرائيل عند ذلك لداود واشتد به ملكه فذلك قوله تعالى وشددنا ملكه ﴿ وآتيناه الحكمة ﴾ يعني النبوة والاصابة في الامور

الاشراق وهو حين تشرق الشمس اي تضيء وهو وقت الضحى وأما شروقها فطلوعها تقول شرقت الشمس ولما تشرق وعن ابن عباس رضي الله عنهما ماعرفت صلاة الضحى الا بهذه الآية (والطير محشورة) وسخرنا الطير مجموعة من كل ناحية وعن ابن عباس رضي الله عنهما كان اذا سبح جاوبته الجبال بالتسبيح واجتمعت اليه الطير فسبحت فذلك حشرها (كل له أواب) كل واحد من الجبال والطير لاجل داود أي لاجل تسبيحه مسبح لانها كانت تسبح لتسبيحه ووضع الاواب موضع المسبح لان الاواب وهو التواب الكثير الرجوع الى الله وطلب مرضاته من عادته أن يكثر ذكر الله ويديم تسبيحه وتقديسه وقيل الضمير لله أي كل من داود والجبال والطير لله أواب أي مسبح مرجع للتسبيح (وشددنا ملكه) قويناه قيل كان يبيت حول محرابه ثلاثة وثلاثون ألف رجل يحرسونه (وآتيناه الحكمة) الزبور وعلم

(والطير) وسخرنا له الطير (محشورة) مجموعة (كل له) الطير والجبال (أواب) لله مطيع (وشددنا ملكه) بالحرس وكان يحرس كل ليلة محرابه ثلاثة وثلاثون ألف رجل (وآتيناه) وأعطيناه (الحكمة) النبوة

الشرائع وقيل كل كلام وافق الحق فهو حكمة (وفصل الخطاب) علم القضاء وقطع الخصام والفصل بين الحق والباطل والفصل هو التمييز بين الشيئين وقيل للكلام البين فصل بمعنى المفصول كضرب الامير وفصل الخطاب البين من الكلام الملخص الذى يتبينه من يخاطب به لا يلتبس عليه وجاز أن يكون الفصل بمعنى الفاصل كالصوم والزور والمراد بفصل الخطاب الفاصل من الخطاب الذى يفصل بين الصحيح والفاسد والحق والباطل وهو كلامه فى القضايا والحكومات وتدابير الملك والمشورات وعن على رضى الله عنه هو الحكم بالبينة على المدعى واليمين على المدعى عليه وهو من الفصل بين الحق والباطل وعن الشعبى هو قوله أما بعد وهو اول من قال أما بعد فان من تكلم فى الامر الذى له شأن يفتتح بذكر الله وتحميده فاذا أراد أن يخرج الى الغرض المسوق له فصل بينه وبين ذكر الله بقوله أما بعد (وهل أتاك نبأ الخصم) ظاهره الاستفهام ومعناه الدلالة على انه من الانباء العجيبة والخصم الخصماء وهو يقع على الواحد والجمع لانه مصدر فى الاصل تقول خصمه خصما وانتصاب (اذ) بمحذوف تقديره وهل أتاك نبأ تحاكم الخصم او بالخصم لما فيه من معنى الفعل (تسوروا المحراب) تصعدوا سوره ونزلوا اليه والسور الحائط المرتفع والمحراب الغرفة أو المسجد أو صدر المسجد

﴿ وفصل لخطاب ﴾ وفصل الخطاب تمييز الحق عن الباطل او الكلام الملخص الذى ينبه المخاطب على المقصود من غير التباس يراعى فيه مظان الفصل والوصل والعطف والاستئناف والاضمار والاظهار والحذف والتكرار ونحوها وانما سمى به اما بعد لانه يفصل المقصود عما سبق مقدمة له من الحمد والصلاة وقيل هو الخطاب القصد الذى ليس فيه اختصار مخل ولا اشباع ممل كما جاء فى وصف كلام الرسول عليه الصلاة والسلام فصل لانزر ولاهذر ﴿ وهل أتاك نبأ الخصم ﴾ استفهام معناه التعجيب والتشويق الى استماعه والخصم فى الاصل مصدر ولذلك اطلق للجمع ﴿ اذتسوروا المحراب ﴾ اذ تصعدوا سور الغرفة تفعل من السور كتسنم من السنام

﴿ وفصل الخطاب ﴾ قال ابن عباس يعنى بيان الكلام وقال ابن مسعود علم الحكم والتبصر بالقضاء وقال على بن أبى طالب هو أن البينة على المدعى واليمين على من أنكر لان كلام الخصوم ينقطع وينفصل به وقال أبى بن كعب فصل الخطاب الشهود والايمان وقيل ان فصل الخطاب هو قول الانسان بعد حمد الله تعالى والثناء عليه أما بعد اذا أراد الشروع فى كلام آخر وأول من قاله داود عليه الصلاة والسلام * قوله عز وجل ﴿ وهل أتاك ﴾ أى وقد اتاك يا محمد ﴿ نبأ الخصم ﴾ أى خبر الخصم فاستمع له نقصصه عليك وقيل ظاهره الاستفهام ومعناه الدلالة على أنه من الاخبار العجيبة والتشويق الى استماع كلام الخصماء والخصم يقع على الواحد والجمع ﴿ اذتسوروا المحراب ﴾ أى صعدوا وعلوا المحراب أى البيت الذى كان يدخل فيه داود ويشتغل بالطاعة والعبادة والمعنى أنهم أتوا المحراب من سوره وهو أعلاه وفى الآية قصة امتحان داود عليه الصلاة والسلام *واختلف العلماء باخبار الانبياء فى سبب ذلك وسأذكر ماقاله المفسرون ثم أتبعه بفصل فيه ذكر نزاهة داود عليه الصلاة والسلام عما لا يليق بمنصبه صلى الله عليه وسلم لان منصب النبوة أشرف المناصب وأعلاها فلا ينسب اليها الا ما يليق بها وأما ماقاله المفسرون فهو ان داود عليه الصلاة والسلام تمنى يوما من الايام منزلة آبائه ابراهيم واسحق ويعقوب وذلك انه كان قد قسم الدهر ثلاثة أيام يوم يقضى فيه بين الناس ويوم يخلو فيه لعبادة ربه عز وجل ويوم لنسائه وأشغاله وكان يجد فيما يقرأ من الكتب فضل ابراهيم واسحق ويعقوب فقال يارب أرى الخير كله قد ذهب به آبائى الذين كانوا قبلى فاوحى الله اليه انهم ابتلوا ببلايا لم تبتل بها فصبروا عليها ابتلى ابراهيم عليه الصلاة والسلام بنمرود وذبح ابنه وابتلى اسحق بالذبح وبذهاب بصره وابتلى يعقوب بالحزن على يوسف فقال داود عليه الصلاة والسلام رب لو ابتليتنى بمثل ما ابتليتهم صبرت أيضا فاوحى الله عز وجل اليه انك مبتلى فى شهر كذا فى يوم كذا فاحترس فلما كان اليوم الذى وعده

(وفصل الخطاب) القضاء كان لايتعتع فى الكلام عند القضاء يقضى بالبينة واليمين البينة على الطالب واليمين على (الله) المطلوب (وهل أتاك) ما أتاك ثم أتاك يا محمد (نبأ الخصم) خبر الخصم خصم داود (اذتسوروا المحراب) نزلوا عليه من فوق المحراب

واذ متعلق بمحذوف اى نبأ تحاكم الخصم اذتسوروا اوبالنبأ على ان المراد به الواقع في عهد داود وان اسناد اتى اليه على حذف مضاف اى قصة نبأ الخصم اوبالخصم لما فيه من معنى الفعل لاباتى لان اتيانه الرسول عليه الصلاة والسلام لم يكن حينئذ

الله به دخل داود محرابه وأغلق بابه وجعل يصلي ويقرأ الزبور فبينما هوكذلك اذجاءه الشيطان وقدتمثل له في صورة حمامة من ذهب فيها من كل لون حسن وجناحاها من الدر والزبرجد فوقعت بين رجليه فاعجبه حسنها فمديده ليأخذها ويريها بنى اسرائيل لينظروا الى قدرة الله تعالى فلماقصدأخذها طارت غيربعيد من غير أن تؤيسه من نفسها فامتداليها ليأخذها فتنحت فتبعها فطارت حتى وقعت في كوة فذهب ليأخذهافطارت من الكوة فنظرداود أين تقع فيبعث من يصيدهاله فابصر امرأة في بستان على شاطئ بركة تغتسل وقيل رآها تغتسل على سطح لها فرآها من أجمل النساء خلقا فعجب داود من حسنها وحانت منها التفاتة فابصرت ظله فنفضت شعرها فغطى بدنها فزاده ذلك اعجابابها فسأل عنها فقيل هي نشابع بنت شايع امرأة أوريا بن حنانا وزوجها في غزاة بالبلقاء مع أيوب بن صوريا ابن أخت داود فكتب داود الى ابن أخته ان ابعث أوريا الى موضع كذاوقدمه قبل التابوت وكان من قدم على التابوت لايحل له أن يرجع وراءه حتى يفتح الله على يديه أويستشهد فبعثه ففتح له فكتب الى داود بذلك فكتب اليه أن ابعثه الى عدو كذاوكذا أشدمنه بأسافبعثه ففتح له فكتب الى داود بذلك فكتب اليه أن ابعثه الى عدو كذاوكذا أشدمنه فبعثه فقتل المرة الثالثة فلما انقضت عدة المرأة تزوجها داود فهى أم سليمان عليه الصلاة والسلام وقيل ان داود أحب ان يقتل أوريا فيتزوج امرأته فهذا كان ذنبه وقال ابن مسعود كان ذنب داود انه التمس من الرجل ان ينزل له عن امرأته وقيل كان ذلك مباحا لهم غير أن الله عزوجل لم يرض لداود ذلك لانه رغبة في الدنيا وازدياد من النساء وقدأغناه الله تعالى عنها بما أعطاه من غيرها وقيل في سبب امتحان داود انه كان جزأ الدهر أجزاء يوما لنسائه ويوما للعبادة ويوما للحكم بين بنى اسرائيل ويوما يذاكرهم ويذاكرونه ويبكيهم ويبكونه فلما كان يوم بنى اسرائيل ذكروا فقالوا هل يأتى على الانسان يوم لايصيب فيه ذنبا فاضمر داود في نفسه أنه سيطيق ذلك وقيل انهم ذكروا فتنة النساء فاضمر داود في نفسه انه ان ابتلى اعتصم فلما كان يوم عبادته أغلق عليه الابواب وأمر أن لايدخل عليه أحد وأكب على قراءة التوراة فبينما هو يقرأ أذدخلت حمامة وذكر نحو ماتقدم فلمادخل بالمرأة لم يلبث الا يسيرا حتى بعث الله عز وجل الملكين اليه وقيل ان داود عليه السلام مازال يجتهد في العبادة حتى برز له حافظاه من الملائكة فكانوا يصلون معه فلما استأنس بهم قال اخبروني بأي شئ أنتم موكلون قالوا نكتب صالح أعمالك ونوافقك ونصرف عنك السوء فقال في نفسه ليت شعرى كيف اكون لوخلونى ونفسى وتمنى ذلك ليعلم كيف يكون فاوحى الله تعالى الى الملكين ان يعتزلاه ليعلم انه لاغنى له عن الله تعالى فلما فقدهم جد واجتهد في العبادة الى ان ظن انه قدغلب نفسه فاراد الله تعالى

(اذ) بدل من الاولى (دخلوا على داود ففزع منهم) روى ان الله تعالى بعث اليه ملكين فى صورة انسانين فطلبا أن يدخلا عليه فوجداه فى يوم عبادته فمنعهما الحرس فتسورا عليه المحراب فلم يشعر الا وهما بين يديه جالسان ففزع منهم لانهم دخلوا عليه المحراب فى غير يوم القضاء ولانهم نزلوا عليه من فوق وفى يوم الاحتجاب والحرس حوله لايتركون من يدخل عليها (قالوا لاتخف خصمان) خبر مبتدأ محذوف اى نحن خصمان (بغى بعضنا على بعض) تعدى وظلم (فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط) ولاتجر من الشطط وهو مجاوزة الحد وتخطى الحق (واهدنا الى سواء الصراط) وارشدنا الى وسط الطريق ومحجته والمراد عين الحق ومحضه روى ان أهل زمان داود عليه السلام كان يسأل بعضهم بعضا ان ينزل له عن أمرأته فيتزوجها اذا أعجبته وكان لهم عادة فى المواساة بذلك وكان الانصار يواسون المهاجرين بمثل ذلك فاتفق ان داود عليه السلام وقعت عينه على امرأة أوريا فاحبها فسأله النزول له عنها فاستحى ان يرده ففعل فتزوجها وهى أم سليمان فقيل له انك مع عظم منزلتك وكثرة نسائك لم يكن ينبغى لك ان تسأل رجلا ليس له الا امرأة واحدة النزول عنها لك بل كان الواجب عليك مغالبة هواك وقهر نفسك والصبر على ما امتحنت به وقيل خطبها اوريا ثم خطبها داود فآثره أهلها فكانت زلته ان خطب على خطبة أخيه المؤمن مع كثرة نسائه وما يحكى انه بعث مرة بعد مرة أوريا الى غزوة البلقاء وأحب ان يقتل ليتزوجها فلا يليق من المتسمين بالصلاح من أفناء المسلمين فضلا عن بعض اعلام الانبياء وقال (ان) على رضى الله عنه من حدثكم بحديث دواد عليه السلام على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين وهو حد الفرية على الانبياء وروى انه حدث بذلك عمر بن عبد العزيز وعنده رجل من أهل الحق فكذب المحدث به وقال ان كانت القصة على ما فى كتاب الله فما ينبغى أن يلتمس خلافها وأعظم بان يقال غير ذلك وان كانت على ما ذكرت وكف الله عنها سترا على نبيه فما ينبغى اظهاره عليه فقال عمر لسماعى هذا الكلام أحب الى مما طلعت عليه الشمس والذى يدل عليه المثل الذى ضربه الله بقصته عليه السلام ليس الا طلبه الى زوج المرأة أن ينزل له عنها فحسب وانما جاءت على طريق التمثيل والتعريض دون التصريح لكونها أبلغ فى التوبيخ من

واذ الثانية فى قوله ﴿ اذ دخلوا على داود ﴾ بدل من الاولى او ظرف لتسوروا ﴿ ففزع منهم ﴾ لانهم نزلوا عليه من فوق فى يوم الاحتجاب والحرس على الباب لايتركون من يدخل عليه فانه كان عليه الصلاة والسلام جزأ زمانه يوما للعبادة ويوما للقضاء ويوما للوعظ ويوما للاشتغال بخاصته فتسور عليه ملائكة على صور الانسان فى يوم الخلوة ﴿ قالوا لاتخف خصمان ﴾ نحن فوجان متخاصمان على تسمية صاحب الخصم خصما ﴿ بغى بعضنا على بعض ﴾ وهو على الفرض وقصد التعريض ان كانوا ملائكة وهو المشهور ﴿ فاحكم بيننا بالحق ولاتشطط ﴾ ولا تجر فى الحكومة وقرئ ولاتشطط اى لاتبعد عن الحق ولا تشطط ولا تشاطط والكل من معنى الشطط وهو مجاوزة الحد ﴿ واهدنا الى سواء الصراط ﴾ الى وسطه وهو العدل

ان يعرفه ضعفه فارسل طائرا من طيور الجنة وذكر نحو ما تقدم وقيل ان داود قال لبنى اسرائيل لاعدلن بينكم ولم يستثن فابتلى وقيل انه أعجبه عمله فابتلى فبعث الله اليه ملكين فى صورة رجلين وذلك فى يوم عبادته فطلبا أن يدخلا عليه فمنعهما الحرس فتسوروا عليه المحراب فما شعر الا وهما بين يديه جالسان وهو يصلى يقال كانا جبريل وميكائيل فذلك قوله عز وجل وهل أتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب ﴿ اذ دخلوا على داود ففزع منهم ﴾ أى خاف منهما حين هجما عليه فى محرابه بغير اذنه فقال لهما من أدخلكما على ﴿ قالوا لاتخف خصمان ﴾ أى نحن خصمان ﴿ بغى بعضنا على بعض ﴾ أى تعدى وخرج عن الحد جئناك لتقضى بيننا * فان قلت اذا جعلتهما ملكين فكيف يتصور البغى منهما والملائكة لايبغى بعضهم على بعض * قلت هذا من معاريض الكلام لا على تحقيق البغى من أحدهما والمعنى رأيت خصمين بغى أحدهما على الآخر ﴿ فاحكم بيننا بالحق ولاتشطط ﴾ أى لاتجر فى حكمك ﴿ واهدنا الى سواء الصراط ﴾ أى ارشدنا الى طريق الحق والصواب فقال لهما داود تكلما فقال أحدهما

(اذ دخلوا على داود ففزع منهم) داود (قالوا) يعنى الملكين اللذين دخلا عليه يا داود (لاتخف خصمان) نحن خصمان (بغى) تطاول وظلم (بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق) بالعدل (ولا تشطط) لاتمل ولا تجر (واهدنا الى سواء الصراط) دلنا الى الصواب

قبل ان التأمل اذا أداه الى الشعور بالمعرض به كان أوقع فى نفسه وأشد تمكنا من قلبه وأعظم أثرا فيه مع مراعاة حسن الادب بترك المجاهرة (ان هذا أخى) هو بدل من هذا أو خبر لان المراد اخوة الدين او اخوة الصداقة والالفة أو اخوة الشركة والخلطة لقوله وان كثيرا من الخلطاء (له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة) ولى حفص والنعجة كناية عن المرأة ولما كان هذا تصويرا للمسئلة وفرضا لها لا يمتنع ان يفرض الملائكة فى أنفسهم كما تقول لى اربعون شاة ولك اربعون فخلطناها ومالكما من الاربعين أربعة ولا ربعها (فقال أكفلنيها) ملكنيها وحقيقته اجعلنى اكفلها كما أكفل ماتحت يدى وعن ابن عباس رضى الله عنهما اجعلها كفلى أى نصيبى (وعزنى) وغلبنى يقال عزه يعزه (فى الخطاب) فى الخصومة أى انه كان أقدر على الاحتجاج منى وأراد بالخطاب مخاطبة المحاج المجادل أو أراد خطبت المرأة وخطبها هو فخاطبنى خطابا أى غالبنى فى الخطبة فغلبنى حيث زوجها دونى ووجه التمثيل ان مثلت قصة أورياء مع داود بقصة رجل له نعجة واحدة ولخليطه تسع وتسعون فاراد صاحبه تتمة المائة فطمع فى نعجة خليطه وأراده على الخروج من ملكها اليه وحاجه فى ذلك محاجة حريص على بلوغ مراده وانما كان ذلك على وجه التحاكم اليه ليحكم بما حكم به من قوله (قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه) حتى يكون محجوجا بحكمه وهذا جواب قسم محذوف وفى ذلك استنكار لفعل خليطه والسؤال مصدر مضاف الى المفعول وقد ضمن معنى الاضافة فعدى تعديتها كأنه قيل باضافة نعجتك الى نعاجه على وجه السؤال والطلب وانما ظلم الآخر بعد ما اعترف به خصمه ولكنه لم يحك فى القرآن لانه معلوم ويروى انه قال أنا أريد ان آخذها منه وأكمل نعاجى مائة فقال داود ان رمت ذلك ضربنا منك هذا وهذا وأشار الى طرف الانف والجبهة فقال يا داود أنت أحق أن يضرب منك هذا وهذا وأنت فعلت كيت وكيت ثم نظر داود فلم ير أحدا فعرف ما وقع فيه

﴿ ان هذا اخى ﴾ بالدين او الصحبة ﴿ له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة ﴾ هى الانثى من الضأن وقد يكنى بها عن المرأة والكناية والتمثيل فيما يساق للتعريض ابلغ فى المقصود وقرئ تسع وتسعون بفتح التاء ونعجة بكسر النون وقرأ حفص بفتح ياء لى نعجة ﴿ فقال اكفلنيها ﴾ ملكنيها وحقيقته اجعلنى اكفلها كما اكفل ماتحت يدى وقيل اجعلها كفلى اى نصيبى ﴿ وعزنى فى الخطاب ﴾ وغلبنى فى مخاطبته اياى محاجة بان جاء بحجاج لم اقدر رده اوفى مغالبته اياى فى الخطبة يقال خطبت المرأة وخطبها هو فخاطبنى خطابا حيث زوجها دونى وقرئ وعازنى اى غالبنى وعزنى على تخفيف عزيت ﴿ قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه ﴾ جواب قسم محذوف قصد به المبالغة فى انكار فعل خليطه وتهجين طمعه ولعله قال ذلك بعد اعترافه او على تقدير صدق المدعى والسؤال مصدر مضاف الى مفعوله وتعديته الى مفعول آخر بالى لتضمينه معنى الاضافة

﴿ ان هذا أخى ﴾ أى على دينى وطريقتى لا من جهة النسب ﴿ له تسع وتسعون نعجة ﴾ يعنى امرأة ﴿ ولى نعجة واحدة ﴾ أى امرأة واحدة والعرب تكنى بالنعجة عن المرأة وهذا على سبيل التعريض للتنبيه والتفهيم لانه لم يكن هناك نعاج ولا بغى ﴿ فقال أكفلنيها ﴾ قال ابن عباس أى أعطنيها وقيل معناه انزل لى عنها وضمها الى واجعلنى كافلها والمعنى طلقها لاتزوجها ﴿ وعزنى فى الخطاب ﴾ يعنى غلبنى وقهرنى فى القول لانه أفصح منى فى الكلام وان حارب كان أبطش منى لقوة ملكه والمعنى ان الغلبة كانت له على لضعفى فى يده وان كان الحق معى وهذا كله تمثيل لامر داود مع أورياء زوج المرأة التى تزوجها داود حيث كان لداود تسع وتسعون امرأة ولاورياء امرأة واحدة فضمها داود الى نسائه ﴿ قال ﴾ داود ﴿ لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه ﴾ أى بضمها الى نعاجه فان قلت كيف قال داود لقد ظلمك ولم يكن سمع قول الآخر قلت معناه ان كان الامر كما تقول فقد ظلمك وقيل انما قال ذلك بعد اعتراف صاحبه بما يقول

(ان هذا أخى له تسع وتسعون نعجة) امرأة (ولى نعجة) امرأة (واحدة فقال أكفلنيها) اعطنيها (وعزنى فى الخطاب) غلبنى فى الكلام وهذا مثل ضربا له لداود لكى يفهم ما فعل باوريا (قال) داود (لقد ظلمك بسؤال نعجتك) باخذ نعجتك (الى نعاجه) مع كثرة نعاجه

﴿ وان كثيرا من الخلطاء ﴾ الشركاء الذين خلطوا اموالهم جمع خليط ﴿ ليبغى ﴾ ليتعدى وقرئ بفتح الياء على تقدير النون الخفيفة وحذفها كقوله

اضرب عنك الهموم طارقها

وبحذف الياء اكتفاء بالكسرة ﴿ بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ماهم ﴾ اى وهم قليل وما مزيدة للابهام والتعجيب من قلتهم ﴿ وظن داود انما فتناه ﴾ ابتليناه بالذنب اوامتحناه

﴿ وان كثيرا من الخلطاء ﴾ أى الشركاء ﴿ ليبغى بعضهم على بعض ﴾ أى يظلم بعضهم بعضا ﴿ الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ فانهم لايظلمون احدا ﴿ وقليل ماهم ﴾ اى هم قليل وما صلة والمعنى الا الصالحين الذين لايظلمون قليل فلما قضى داود بينهما نظر أحدهما الى صاحبه وضحك وصعدا الى السماء فعلم داود أن الله تعالى ابتلاه فذلك قوله تعالى ﴿ وظن داود ﴾ أى أيقن وعلم ﴿ انما فتناه ﴾ أى ابتليناه وامتحناه وقال ابن عباس ان داود لما دخل عليه الملكان فقضى على نفسه تحولا فى صورتهما او عرجا وهما يقولان قضى الرجل على نفسه فعلم داود انما عنى به * وروى البغوى باسناد الثعلبى عن أنس بن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان داود النبى صلى الله عليه وسلم حين نظر الى المرأة فهم فقطع على بنى اسرائيل أوصى صاحب البعث فقال اذا حضر العدو فقرب فلانا بين يدى التابوت وكان التابوت فى ذلك الزمان يستنصر به ومن قدم بين يدى التابوت لم يرجع حتى يقتل أو يهزم عنه الجيش فقتل زوج المرأة ونزل الملكان يقصان عليه قصته ففطن داود فسجد فمكث أربعين ليلة ساجدا حتى نبت الزرع من دموعه على رأسه وأكلت الارض من جبهته وهو يقول فى سجوده رب زل داود زلة أبعد مابين المشرق والمغرب رب ان لم ترحم ضعف داود ولم تغفر ذنبه جعلت ذنبه حديثا فى الخلق من بعده فجاءه جبريل من بعد أربعين ليلة فقال ياداود ان الله تعالى قد غفر لك الهم الذى هممت به فقال داود ان الرب قادر على أن يغفر لى الهم الذى هممت به وقد عرفت ان الله عدل لايميل فكيف بفلان اذا جاء يوم القيامة فقال رب دمى الذى عند داود فقال جبريل ماسألت ربك عن ذلك وان شئت لافعلن قال نعم فعرج جبريل وسجد داود ماشاء الله تعالى ثم نزل جبريل عليه الصلاة والسلام فقال سألت الله ياداود عن الذى ارسلتنى فيه فقال قل لداود ان الله تعالى يجمعكما يوم القيامة فيقول له هب لى دمك الذى عند داود فيقول هولك يارب فيقول الله تعالى فان لك فى الجنة ماشئت وما اشتهيت عوضا عن دمك فهذه أقاويل السلف من أهل التفسير فى قصة امتحان دواد

فصل

فى تنزيه داود عليه الصلاة والسلام عما لايليق به ومانسب اليه * اعلم أن من خصه الله تعالى بنبوته وأكرمه برسالته وشرفه على كثير من خلقه وائتمنه على وحيه وجعله واسطة بينه وبين خلقه لايليق أن ينسب اليه مالو نسب الى آحاد الناس لاستنكف أن يحدث به عنه فكيف يجوز أن ينسب الى بعض أعلام الانبياء والصفوة الامناء ذلك روى سعيد بن المسيب والحرث الاعور عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال من حدثكم بحديث داود على مايرويه القصاص جلدته مائة وستين جلدة وهو حد الفرية على الانبياء وقال القاضى عياض لايجوز أن يلتفت الى ماسطره الاخباريون من أهل

(وان كثيرا من الخلطاء) الشركاء والاصحاب (ليبغى بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) المستثنى منصوب وهو من الجنس والمستثنى منه بعضهم (وقليل ماهم) ما للابهام وهم مبتدأ وقليل خبره (وظن داود) أى علم وأيقن وانما استعيرله لان الظن الغالب يدانى العلم (انما فتناه) ابتليناه

(وان كثيرا من الخلطاء) من الشركاء والاخوان (ليبغى) يظلم (بعضهم على بعض الا الذين آمنوا) بالله (وعملوا الصالحات) فيما بينهم وبين ربهم (وقليل ماهم) ما لايظلمون فخرجا من حيث دخلا (وظن داود) علم وأيقن بعد ذلك (أنما فتناه) ابتليناه بالذنب الذى كان منه

بتلك الحكومة هل يتنبه بها ﴿ فاستغفر ربه ﴾ لذنبه ﴿ وخر راكعا ﴾ ساجدا على تسمية

الكتاب الذين بدلوا وغيروا ونقله بعض المفسرين ولم ينص الله تعالى على شئ من ذلك ولا ورد فى حديث صحيح والذى نص عليه الله فى قصة داود وظن داود انما فتناه وليس فى قصة داود وأوريا خبر ثابت ولا يظن بنبى محبة قتل مسلم وهذا هو الذى ينبغى أن يعول عليه من أمر داود قال الامام فخر الدين حاصل القصة يرجع الى السعى فى قتل رجل مسلم بغير حق والى الطمع فى زوجته وكلاهما منكر عظيم فلا يليق بعاقل أن يظن بداود عليه الصلاة والسلام هذا وقال غيره ان الله تعالى أثنى على داود قبل هذه القصة وبعدها وذلك يدل على استحالة ما نقلوه من القصة فكيف يتوهم عاقل أن يقع بين مدحين ذم ولو جرى ذلك من بعض الناس فى كلامه لاستهجنه العقلاء ولقالوا أنت فى مدح شخص كيف تجرى ذمه أثناء مدحك والله تعالى منزه عن مثل هذا فى كلامه القديم * فان قلت فى الآية ما يدل على صدور الذنب منه وهو قوله تعالى وظن داود أنما فتناه وقوله فاستغفر ربه وقوله وأناب وقوله فغفرنا له ذلك * قلت ليس فى هذه الالفاظ شئ مما يدل على ذلك وذلك لان مقام النبوة أشرف المقامات وأعلاها فيطالبون بأكمل الاخلاق والاوصاف وأسناها فاذا نزلوا من ذلك الى طبع البشرية عاتبهم الله تعالى على ذلك وغفره لهم كما قيل حسنات الابرار سيآت المقربين * فان قلت فعلى هذا القول والاحتمال فما معنى الامتحان فى الآية * قلت ذهب المحققون من علماء التفسير وغيرهم فى هذه القصة الى أن داود عليه الصلاة والسلام ما زاد على أن قال للرجل انزل لى عن امرأتك واكفلنيها فعاتبه الله تعالى على ذلك ونبهه عليه وأنكر عليه شغله بالدنيا وقيل ان داود تمنى أن تكون امرأة أوريا له فاتفق أن أوريا هلك فى الحرب فلما بلغ داود قتله لم يجزع عليه كما جزع على غيره من جنده ثم تزوج امرأته فعاتبه الله تعالى على ذلك لان ذنوب الانبياء وان صغرت فهى عظيمة عند الله تعالى وقيل ان أوريا كان قد خطب تلك المرأة ووطن نفسه عليها فلما غاب فى غزاته خطبها داود فزوجت نفسها منه لجلالته فاغتم لذلك أوريا فعاتبه الله تعالى على ذلك حيث لم يترك هذه الواحدة لخاطبها وعنده تسع وتسعون امرأة ويدل على صحة هذا الوجه قوله وعزنى فى الخطاب فدل هذا على ان الكلام كان بينهما فى الخطبة ولم يكن قد تقدم تزوج أوريا لها فعوتب داود بسببين أحدهما خطبته على خطبة أخيه والثانى اظهار الحرص على التزوج مع كثرة نسائه وقيل ان ذنب داود الذى استغفر منه ليس هو بسبب أوريا والمرأة وانما هو بسبب الخصمين وكونه قضى لاحدهما قبل سماع كلام الآخر وقيل هو قوله لاحد الخصمين لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه فحكم على خصمه بكونه ظالما بمجرد الدعوى فلما كان هذا الحكم مخالفا للصواب اشتغل داود بالاستغفار والتوبة فثبت بهذه الوجوه نزاهة داود عليه الصلاة والسلام مما نسب اليه والله أعلم * وقوله عز وجل ﴿ فاستغفر ربه ﴾ أى سأل ربه الغفران ﴿ وخر راكعا ﴾ أى ساجدا عبر بالركوع عن السجود لان كل واحد منهما فيه انحناء وقيل معناه وخر

(فاستغفر ربه) لزلته (وخر راكعا) أى سقط على وجهه ساجدا لله وفيه دليل على أن الركوع يقوم مقام السجود فى الصلاة اذا نوى لان المراد مجرد ما يصلح تواضعا عند هذه التلاوة والركوع فى الصلاة يعمل هذا العمل بخلاف الركوع فى غير الصلاة

(فاستغفر ربه) من الذنب (وخر راكعا) ساجدا

السجود ركوعا لانه مبدؤه اوخر للسجود راكعا اى مصليا كأنه احرم بركعتى الاستغفار

ساجدا بعدما كان راكعا والله تعالى أعلم بمراده

فصل

اختلف العلماء فى سجدة ص هل هى من عزائم السجود فذهب الشافعى رحمه الله تعالى الى أنها ليست من عزائم سجود التلاوة قال لانها توبة نبى فلا توجب سجدة التلاوة وقال أبو حنيفة هى من عزائم سجود التلاوة واستدل بهذه الآية على ان الركوع يقوم مقام السجود فى سجود التلاوة وعن أحمد فى سجدة ص روايتان وقد ثبت ان النبى صلى الله عليه وسلم سجد فيها (خ) عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال سجدة ص ليست من عزائم السجود وقد رأيت النبى صلى الله عليه وسلم سجد فيها قال مجاهد قلت لابن عباس اسجد فى ص فقرأ ومن ذريته داود وسليمان حتى أتى فبهداهم اقتده فقال نبيكم ممن أمر أن يقتدى بهم فسجدها داود فسجدها رسول الله صلى الله عليه وسلم وللنسائى عن ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم سجد فى ص وقال سجدها داود توبة فنسجدها شكرا عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة ص وهو على المنبر فلما بلغ السجدة نزل فسجد وسجد الناس معه فلما كان فى يوم آخر قرأها فلما بلغ السجدة تشوف الناس لسجوده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما هى توبة نبى ولكنى رأيتكم تشوفتم فنزل وسجد وسجدوا أخرجه أبو داود قوله تشوف الناس يعنى تهيؤا وتأهبوا واستعدوا للسجود وعن ابن عباس قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله رأيتنى الليلة وأنا نائم كانى أصلى خلف شجرة فسجدت فسجدت الشجرة لسجودى فسمعتها تقول اللهم اكتب لى بها أجرا وحط عنى بها وزرا واجعلها لى عندك ذخرا وتقبلها منى كما تقبلتها من عبدك داود عليه الصلاة والسلام قال ابن عباس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ سجدة ثم سجد فقال مثل ماأخبره الرجل عن قول الشجرة أخرجه الترمذى قال المفسرون سجد داود أربعين يوما لا يرفع رأسه الا لحاجة أولوقت صلاة مكتوبة ثم يعود ساجدا تمام أربعين يوما لا يأكل ولا يشرب وهو يبكى حتى نبت العشب حول رأسه وهو ينادى ربه عز وجل ويسأله التوبة وكان من دعائه فى سجوده سبحان الملك الاعظم الذى يبتلى الخلق بما يشاء سبحان خالق النور سبحان الحائل بين القلوب سبحان خالق النور الهى خليت بينى وبين عدوى ابليس فلم أقم لفتنته اذ نزلت بى سبحان خالق النور الهى أنت خلقتنى وكان فى سابق علمك ماأنا اليه صائر سبحان خالق النور الهى الويل لداود يوم يكشف عنه الغطاء فيقال هذا داود الخاطئ سبحان خالق النور الهى بأى عين أنظر اليك يوم القيامة وانما ينظر الظالمون من طرف خفى سبحان خالق النور الهى بأى قدم أقوم أمامك يوم القيامة يوم تزل أقدام الخاطئين سبحان خالق النور الهى من أين يطلب العبد المغفرة الا من عند سيده سبحان خالق النور الهى أنا لا أطيق حر شمسك فكيف

﴿ واناب ﴾ ورجع الى الله بالتوبة واقصى مافى هذه القصة الاشعار بانه عليه السلام ودان يكون له مالغيره وكان له امثاله فنبهه الله بهذه القصة فاستغفر واناب عنه وماروى ان بصره وقع على امرأة فعشقها وسعى حتى تزوجها وولدت منه سليمان ان صح فلعله خطب مخطوبته اواستنزله عن زوجته وكان ذلك معتادا فيما بينهم وقد واسى الانصار المهاجرين بهذا المعنى وماقيل انه ارسل اورياء الى الجهاد مرارا وامر ان يقدم حتى قتل

أطيق حرنارك سبحان خالق النور الهى أنا لاأطيق صوت رعدك فكيف أطيق صوت جهنم سبحان خالق النور الهى الويل لداود من الذنب العظيم الذى أصابه سبحان خالق النور الهى كيف تستتر الخطاؤن بخطاياهم دونك وأنت تشاهدهم حيث كانوا سبحان خالق النور الهى قد تعلم سرى وعلانيتى فاقبل معذرتى سبحان خالق النور الهى اغفرلى ذنوبى ولاتباعدنى من رحمتك لهوانى سبحان خالق النور الهى أعوذ بوجهك الكريم من ذنوبى التى أوبقتنى سبحان خالق النور الهى فررت اليك بذنوبى واعترفت بخطيئتى فلاتجعلنى من القانطين ولاتخزنى يوم الدين سبحان خالق النور وقيل مكث داود أربعين يوما لايرفع رأسه حتى نبت المرعى من دموع عينيه حتى غطى رأسه فنودى ياداود أجائع أنت فتطعم أظمآن أنت فتسقى أمظلوم أنت فتنصر فاجيب فى غير ماطلب ولم يجب فى ذكر خطيئته بشئ فحزن حتى هاج ماحوله من العشب فاحترق من حرجوفه ثم أنزل الله تعالى له التوبة والمغفرة قال وهب ان داود أتاه نداء انى قدغفرت لك قال يارب كيف وأنت لاتظلم أحدا قال اذهب الى قبر أوريا فناده وأنا أسمعه نداءك فتحلل منه قال فانطلق داود وقدلبس المسوح حتى جلس عندقبره ثم نادى ياأوريا فقال من هذا الذى قطع على لذتى وأيقظنى قال أناداود قال ماجاء بك يانبى الله قال أسألك أن تجعلنى فى حل مما كان منى اليك قال وما كان منك الى قال عرضتك للقتل قال بل عرضتنى للجنة فانت فى حل فاوحى الله تعالى اليه ياداود ألم تعلم أنى حكم عدل لاأقضى بالتعنت الاأعلمته انك قدتزوجت امرأته قال فرجع فناداه فاجابه فقال من هذا الذى قطع على لذتى وأيقظنى قال أناداود قال ماجاءبك يانبى الله أليس قدعفوت عنك قال نعم ولكن انمافعلت ذلك بك لمكان امرأتك وقدتزوجتها قال فسكت ولم يجبه ودعاه مرة فلم يجبه وعاوده فلم يجبه فقام عندقبره وجعل التراب على رأسه ثم نادى الويل لداود ثم الويل الطويل لداود اذاوضعت الموازين بالقسط سبحان خالق النور الويل لداود ثم الويل الطويل له حين يسحب على وجهه مع الخاطئين الى النار سبحان خالق النور فاتاه نداء من السماء ياداود قدغفرت لك ذنبك ورحمت بكاءك واستجبت دعاءك وأقلت عثرتك قال يارب كيف وصاحبى لم يعف عنى قال ياداود اعطيه يوم القيامة من الثواب مالم ترعيناه ولم تسمع أذناه فاقول له رضيت عبدى فيقول يارب من اين لى هذا ولم يبلغه عملى فاقول هذا عوض من عبدى داود فاستوهبك منه فيهبك لى قال يارب الآن قدعرفت انك غفرت لى فذلك قوله فاستغفر ربه وخرراكعا ﴿ واناب ﴾

(وأناب) ورجع الى الله بالتوبة وقيل انه بقى ساجدا أربعين يوما وليلة لايرفع رأسه الالصلاة مكتوبة أومالابدمنه ولايرقأدمعه حتى نبت العشب من دمعه ولم يشرب ماء الاوثلثاه دمع

(وأناب) أقبل الى الله بالتوبة والندامة

فتزوجها هراء وافتراء ولذلك قال على رضى الله عنه من حدث بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين وقيل ان قوما قصدوا ان يقتلوه فتسوروا المحراب ودخلوا عليه فوجدوا عنده اقواما فتصنعوا هذا التحاكم فعلم غرضهم وقصد ان ينتقم منهم فظن ان ذلك ابتلاء من الله له فاستغفر ربه مما هم به واناب ﴿ فغفرنا له ذلك ﴾ اى ما استغفر عنه ﴿ وان له عندنا لزلفى ﴾ لقربة بعد المغفرة ﴿ وحسن مآب ﴾ مرجع فى الجنة

اى رجع ﴿ فغفرنا له ذلك ﴾ اى الذنب ﴿ وان له عندنا ﴾ اى يوم القيامة بعد المغفرة ﴿ لزلفى ﴾ اى لقربة ومكانة ﴿ وحسن مآب ﴾ اى حسن مرجع ومنقلب قال وهب بن منبه ان داود عليه الصلاة والسلام لما تاب الله عليه بكى على خطيئته ثلاثين سنة لا يرقأ دمعه ليلا ولا نهارا وكان أصاب الخطيئة وهو ابن سبعين سنة فقسم الدهر بعد الخطيئة على أربعة أيام يوم للقضاء بين بنى اسرائيل ويوم لنسائه ويوم يسيح فى الجبال والفيافى والساحل ويوم يخلو فى دار له فيها أربعة آلاف محراب فيجتمع اليه الرهبان فينوح معهم على نفسه ويساعدونه على ذلك فاذا كان يوم سياحته يخرج الى الفيافى ويرفع صوته بالمزامير فيبكى وتبكى الشجر والرمال والطير والوحوش حتى يسيل من دموعهم مثل الانهار ثم يجئ الى الجبال ويرفع صوته ويبكى وتبكى معه الجبال والحجارة والطير والدواب حتى تسيل من بكائهم الاودية ثم يجئ الى الساحل فيرفع صوته ويبكى فتبكى معه الحيتان ودواب البحر وطين الماء فاذا أمسى رجع فاذا كان يوم نوحه على نفسه نادى مناديه ان اليوم يوم نوح داود على نفسه فليحضره من يساعده ويدخل الدار التى فيها المحاريب فيبسط فيها ثلاث فرش من مسوح حشوها ليف فيجلس عليها ويجئ أربعة آلاف راهب عليهم البرانس وفى أيديهم العصى فيجلسون فى تلك المحاريب ثم يرفع داود عليه الصلاة والسلام صوته بالبكاء والنوح على نفسه ويرفع الرهبان معه أصواتهم فلا يزال يبكى حتى تغرق الفرش من دموعه ويقع داود فيها مثل الفرخ يضطرب فيجئ ابنه سليمان فيحمله ويأخذ داود من تلك الدموع بكفيه ويمسح بها وجهه ويقول يارب اغفر ما ترى فلو عادل بكاء داود بكاء أهل الدنيا لعدله وعن الاوزاعى مرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مثل عينى داود عليه الصلاة والسلام كالقربتين ينطفان ماء ولقد خدت الدموع فى وجهه كخديد الماء فى الارض وقال وهب لما تاب الله تعالى على داود قال يارب غفرت لى فكيف لى أن لا أنسى وخطيئتى فاستغفر منها وللخاطئين الى يوم القيامة قال فوسم الله تعالى خطيئته فى يده اليمنى فما رفع فيها طعاما ولا شرابا الا بكى اذا رآها وما قام خطيبا فى الناس الا وبسط راحته فاستقبل بها الناس ليروا وسم خطيئته وكان يبدأ اذا دعا أو استغفر بالخاطئين قبل نفسه وعن الحسن قال كان داود عليه الصلاة والسلام بعد الخطيئة لا يجالس الا الخاطئين يقول تعالوا الى داود الخاطئ ولا يشرب شرابا الا مزجه بدموع عينيه وكان يجعل خبز الشعير اليابس فى قصعة فلا يزال يبكى عليه حتى يبتل بدموع عينيه وكان يذر عليه الملح والرماد فيأكل ويقول هذا أكل

(فغفرنا له ذلك) أى زلته (وان له عندنا لزلفى) لقربى (وحسن مآب) مرجع وهو الجنة

(فغفرنا له ذلك) الذنب (وان له عندنا لزلفى) قربى فى الدرجات (وحسن مآب) مرجع فى الآخرة

(ياداود انا جعلناك خليفة فى الارض) الى أستخلفناك على الملك فى الارض أو جعلناك خليفة ممن كان قبلك من الانبياء القائمين بالحق وفيه دليل على ان حاله بعد التوبة بقيت على ما كانت عليه لم تتغير (فاحكم بين الناس بالحق) أى بحكم الله ان كنت خليفة أو بالعدل (ولا تتبع الهوى) أى هوى النفس فى قضائك (فيضلك) الهوى (عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله) دينه لهم عذاب شديد (بما نسوا يوم الحساب) اى بنسيانهم يوم الحساب (وما خلقنا السماء والارض وما بينهما) من الخلق (باطلا) خلقا باطلا لا لحكمة بالغة أو مبطلين عابثين كقوله وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين وتقديره ذوى باطل أو عبثا فوضع باطلا موضعه أى ما خلقناهما وما بينهما للعبث واللعب ولكن للحق المبين وهو انا خلقنا نفوسا أودعناها العقل ومنحناها التمكين وأزحنا عللها ثم عرضناها للمنافع العظيمة بالتكليف وأعددنا لها عاقبة وجزاء على حسب أعمالهم (ذلك) اشارة الى خلقها باطلا (ظن الذين كفروا) الظن بمعنى المظنون أى خلقها للعبث لا للحكمة هو مظنون الذين كفروا وانما جعلوا ظانين انه خلقها للعبث لا للحكمة مع اقرارهم بانه خالق السموات والارض وما بينهما لقوله ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله لانه لما كان انكارهم للبعث والحساب والثواب والعقاب مؤديا الى ان خلقها عبث وباطل جعلوا كانهم يظنون ذلك ويقولونه لان الجزاء هو الذى سيقت اليه الحكمة فى خلق العالم فمن جحده فقد جحد الحكمة فى خلق العالم

﴿ ياداود انا جعلناك خليفة فى الارض ﴾ استخلفناك على الملك فيها او جعلناك خليفة ممن قبلك من الانبياء القائمين بالحق ﴿ فاحكم بين الناس بالحق ﴾ بحكم الله ﴿ ولا تتبع الهوى ﴾ ما تهوى النفس وهو يؤيد ما قيل ان ذنبه المبادرة الى تصديق المدعى وتظليم الآخر قبل مسألته ﴿ فيضلك عن سبيل الله ﴾ دلائله التى نصبها على الحق ﴿ ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب ﴾ بسبب نسيانهم وهو ضلالهم عن السبيل فان تذكره يقتضى ملازمة الحق ومخالفة الهوى ﴿ وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ﴾ خلقا باطلا لا حكمة فيه او ذوى باطل بمعنى مبطلين عابثين كقوله وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين او للباطل الذى هو متابعة الهوى بل للحق الذى هو مقتضى الدليل من التوحيد والتدرع بالشرع كقوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون على وضعه موضع المصدر مثل هنيئا ﴿ ذلك ظن الذين كفروا ﴾ الاشارة الى خلقها باطلا والظن بمعنى المظنون

الخاطئين قال وكان داود عليه الصلاة والسلام قبل الخطيئة يقوم نصف الليل ويصوم نصف الدهر فلما كان من خطيئته ما كان صام الدهر كله وقام الليل كله وقال ثابت كان داود اذا ذكر عقاب الله انخلعت أوصاله فلا يشدها الا الاسر واذا ذكر رحمة الله تراجعت وقيل ان الوحوش والطير كانت تستمع الى قراءته فلما فعل ما فعل كانت لا تصغى الى قراءته وقيل انها قالت ياداود ذهبت خطيئتك بحلاوة صوتك * قوله عز وجل ﴿ ياداود انا جعلناك خليفة فى الارض ﴾ أى لتدبر أمر الناس بامرنا فذا الحكم فيهم ﴿ فاحكم بين الناس بالحق ﴾ أى بالعدل ﴿ ولا تتبع الهوى ﴾ أى لا تمل مع ما تشتهى اذا خالف أمر الله تعالى ﴿ فيضلك عن سبيل الله ﴾ أى عن دين الله وطريقه ﴿ ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب ﴾ أى بما تركوا الايمان بيوم الحساب وقيل بتركهم العمل لذلك اليوم وقيل بترك العدل فى القضاء * قوله تعالى ﴿ وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ﴾ قال ابن عباس لا لثواب ولا لعقاب وقيل معناه وما خلقناهما عبثا لا لشئ ﴿ ذلك ظن الذين كفروا ﴾ يعنى أهل مكة هم الذين ظنوا انما خلقناهم لغير شئ وانه لا بعث ولا حساب

(ياداود انا جعلناك خليفة فى الارض) نبيا ملكا على بنى اسرائيل (فاحكم بين الناس بالحق) بالعدل (ولا تتبع الهوى) كما اتبعت فى بتشايع امرأة أوريا وكانت بنت عم داود (فيضلك عن سبيل الله) عن طاعة الله (ان الذين يضلون عن سبيل الله) عن طاعة الله (لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب) بما تركوا العمل ليوم الحساب (وما خلقنا السماء والارض وما بينهما) من الخلق والعجائب (باطلا) عبثا جزافا بلا أمر ولا نهى (ذلك ظن الذين كفروا) انكار الذين كفروا بالبعث بعد الموت

(فويل للذين كفروا من النار أم نجعل الذين امنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الارض أم نجعل المتقين كالفجار) أم منقطعة ومعنى الاستفهام فيها الانكار والمراد انه لو بطن الجزاء كما يقول الكفار لاستوت أحوال من أصلح وأفسد واتقى وفجر ومن سوى بينهم كان سفيها ولم يكن حكيما (كتاب) أى هذا كتاب (أنزلناه اليك) يعنى القرآن (مبارك) صفة أخرى (ليدبروا آياته) وأصله ليتدبروا قرئ به ومعناه ليتفكروا فيها فيقفوا على ما فيه ويعملوا به وعن الحسن قد قرأ هذا القرآن عبيد وصبيان لا علم لهم بتأويله حفظوا حروفه وضيعوا حدوده لتدبروا على الخطاب بحذف احدى التاءين يزيد (وليتذكر أولو الالباب) وليتعظ بالقرآن اولو العقول (ووهبنا لداود سليمان نعم العبد) أى سليمان وقيل داود وليس بالوجه فالمخصوص بالمدح محذوف (انه أواب) وعلل كونه ممدوحا بكونه أوابا أى كثير الرجوع الى الله تعالى (اذ عرض عليه) على سليمان (بالعشى) بعد الظهر (الصافنات) الخيول القائمة على ثلاث قوائم وقد أقامت الاخرى على طرف حافر

﴿ فويل للذين كفروا من النار ﴾ بسبب هذا الظن ﴿ أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الارض ﴾ ام منقطعة والاستفهام فيها لانكار التسوية بين الحزبين التى هى من لوازم خلقها باطلا ليدل على نفيه وكذا التى فى قوله ﴿ أم نجعل المتقين كالفجار ﴾ كانه انكر التسوية اولا بين المؤمنين والكافرين ثم بين المتقين من المؤمنين والمجرمين منهم ويجوز ان يكون تكرير اللانكار الاول باعتبار وصفين آخرين يمنعان التسوية من الحكيم الرحيم والآية تدل على صحة القول بالحشر فان التفاضل بينهما اما ان يكون فى الدنيا والغالب فيها عكس ما يقتضيه الحكمة فيه او فى غيرها وذلك يستدعى ان تكون لهم حال اخرى يجازون فيها ﴿ كتاب انزلناه اليك مبارك ﴾ نفاع وقرئ بالنصب على الحال ﴿ ليدبروا اياته ﴾ ليتفكروا فيها فيعرفوا ما يدبر ظاهرها من التأويلات الصحيحة والمعانى المستنبطة وقرئ ليتدبروا على الأصل ولتدبروا اى انت وعلماء امتك ﴿ وليتذكر اولو الالباب ﴾ وليتعظ به ذوو العقول السليمة او ليستحضروا ما هو كالمركوز فى عقولهم من فرط تمكنهم من معرفته بما نصب عليه من الدلائل فان الكتب الالهية بيان لما لا يعرف الا من الشرع وارشاد الى ما لا يستقل به العقل ولعل التدبر للمعلوم الاول والتذكر للثانى ﴿ ووهبنا لداود سليمان نعم العبد ﴾ اى نعم العبد سليمان اذ ما بعده تعليل للمدح وهو من حاله ﴿ انه اواب ﴾ رجاع الى الله بالتوبة او الى التسبيح مرجع له ﴿ اذ عرض عليه ﴾ ظرف لاواب او لنعم والضمير لسليمان عند الجمهور ﴿ بالعشى ﴾ بعد الظهر ﴿ الصافنات ﴾ الصافن من الخيل الذى يقوم على طرف سنبك يد او رجل وهو من الصفات المحمودة فى الخيل لا يكاد يكون

﴿ فويل للذين كفروا من النار أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الارض ﴾ قيل ان كفار قريش قالوا للمؤمنين انما نعطى فى الآخرة من الخير ما تعطون فنزلت هذه الآية ﴿ أم نجعل المتقين ﴾ يعنى الذين اتقوا الشرك وهم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ كالفجار ﴾ يعنى الكفار والمعنى لا نجعل الفريقين سواء فى الآخرة ﴿ كتاب أنزلناه اليك ﴾ أى هذا كتاب يعنى القرآن أنزلناه اليك ﴿ مبارك ﴾ أى كثير خيره ونفعه ﴿ ليدبروا آياته ﴾ أى ليتدبروا ويتفكروا فى أسراره العجيبة ومعانيه اللطيفة وقيل تدبر آياته اتباعه فى أوامره ونواهيه ﴿ وليتذكر ﴾ أى وليتعظ ﴿ أولو الالباب ﴾ أى ذوو العقول والبصائر * قوله تعالى ﴿ ووهبنا لداود سليمان نعم العبد انه أواب اذ عرض عليه بالعشى الصافنات

(فويل) فشدة العذاب (للذين كفروا) بالبعث بعد الموت (من النار) فى النار (أم نجعل الذين آمنوا) بمحمد عليه السلام والقرآن (وعملوا الصالحات) الطاعات فيما بينهم وبين ربهم وهو على ابن ابى طالب وحمزة بن عبد المطلب وعبيدة بن الحرث (كالمفسدين) كالمشركين (فى الارض) وهو عتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة (أم نجعل المتقين) الكفر والشرك والفواحش عليا وصاحباه (كالفجار) كالكفار عتبة وشيبة والوليد (الجياد) وهم الذين بارزوا يوم بدر عليا وحمزة وعبيدة فقتل على الوليد بن عتبة وقتل حمزة عتبة بن ربيعة وقتل عبيدة شيبة (كتاب) هذا كتاب (انزلناه اليك) انزلنا جبريل به اليك (مبارك) فيه المغفرة والرحمة لمن آمن به (ليدبروا آياته) لكى يتفكروا فى آياته (وليتذكر) لكى يتعظ (اولو الالباب) ذوو العقول من الناس (ووهبنا لداود سليمان نعم العبد انه اواب) مقبل الى الله والى طاعته (اذ عرض عليه بالعشى) بعد الظهر (الصافنات) الخيل العراب الخواص

(الجياد) السراع جمع جواد لانه يجود بالركض ووصفها بالصفون لانه لا يكون في الهجان وانما هو في العراب وقيل وصفها بالصفون والجودة ليجمع لها بين الوصفين المحمودين واقفة وجارية يعني اذا وقفت كانت ساكنة مطمئنة في مواقفها واذا جرت كانت سراعا خفافا في جريها وقيل الجياد الطوال الاعناق من الجيد وروى ان سليمان عليه السلام غزا اهل دمشق ونصيبين فاصاب ألف فرس وقيل ورثها من أبيه وأصابها

أبوه من العمالقة وقيل خرجت من البحر لها أجنحة فقعد يوما بعدما صلى الظهر على كرسيه واستعرضها فلم تزل تعرض عليه حتى غربت الشمس وغفل عن العصر وكانت فرضا عليه فاغتم لما فاته فاستردها وعقرها تقربا لله فبقي مائة فما في أيدي الناس من الجياد فمن نسلها وقيل لما عقرها أبدله الله خيرا منها وهي الريح تجري بامره (فقال اني أحببت حب الخير عن ذكر ربي) أي آثرت حب الخير عن ذكر ربي كذا عن الزجاج فاحببت بمعنى آثرت كقوله تعالى فاستحبوا العمى على الهدى وبمعنى على وسمى الخيل خيرا كأنها نفس الخير لتعلق الخير بها كما قال عليه السلام الخيل معقود بنواصيها الخير الى يوم القيامة وقال أبو علي أحببت بمعنى جلست من احباب البعير وهو بروكه حب الخير أي المال مفعول له مضاف الى المفعول (حتى توارت) الشمس (بالحجاب) والذي دل على ان الضمير للشمس مرور ذكر العشي ولا بد للضمير من جرى ذكر أو دليل ذكر أو الضمير للصافنات أي حتى تورات بحجاب الليل يعني الظلام

الا في العراب الخلص ﴿ الجياد ﴾ جمع جواد او جود وهو الذي يسرع في جريه وقيل الذي يجود بالركض وقيل جمع جيد روي انه عليه الصلاة والسلام غزا دمشق ونصيبين واصاب الف فرس وقيل اصابها ابوه من العمالقة فورثها منه فاستعرضها فلم يزل يعرض عليه حتى غربت الشمس وغفل عن العصر وعن ورد كان له فاغتم لما فاته فاستردها فعقرها تقربا لله تعالى ﴿ فقال اني احببت حب الخير عن ذكر ربي ﴾ اصل حببت ان يعدى بعلى لانه بمعنى آثرت لكن لما انيب مناب انبت عدي تعديته وقيل هو بمعنى تقاعدت من قوله * مثل بعير السوء اذ أحبا * اي برك وحب الخير مفعول له والخير المال الكثير والمراد به الخيل التي شغلته ويحتمل انه سماها خيرا لتعلق الخير بها قال صلى الله عليه وسلم الخيل معقود بنواصيها الخير الى يوم القيامة وقرا ابن كثير ونافع بفتح الياء ﴿ حتى توارت بالحجاب ﴾ اي غربت الشمس شبه غروبها بتواري المخبأة بحجابها واضمارها من غير ذكر لدلالة

الجياد ﴾ قيل ان سليمان عليه الصلاة والسلام غزا أهل دمشق ونصيبين فاصاب منهم ما أصاب وهو ألف فرس وقيل ورثها من أبيه وقيل أنها كانت خيلا من البحر لها أجنحة فصلى سليمان عليه الصلاة والسلام الصلاة الاولى التي هي الظهر وقعد على كرسيه وهي تعرض عليه فعرض عليه منها تسعمائة فرس فتنبه لصلاة العصر فاذا الشمس قد غربت وفاتت الصلاة ولم يعلم بذلك هيبة له فاغتم لذلك وقال ردوها علي فاقبل فضرب سوقها وأعناقها بالسيف تقربا الى الله تعالى وطلبا لمرضاته حيث اشتغل بها عن طاعته وكان ذلك مباحا له وان كان حراما علينا وبقي منها مائة فرس فالذي في أيدي الناس من الخيل يقال انه من نسل تلك المائة فلما عقرها الله تعالى أبدله الله خيرا منها وأسرع وهي الريح تجري بامره كيف شاء وقوله تعالى اذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد قيل هي الخيل القائمة على ثلاث قوائم مقيمة الرابعة على طرف الحافر من رجل أو يد وقيل الصافن القائم وجاء في الحديث من سره أن يقوم له الناس صفوفا فليتبوأ مقعده من النار أي قياما الجياد أي الخيار السراع في الجري واحده جواد قال ابن عباس يريد الخيل السوابق ﴿ فقال اني أحببت حب الخير ﴾ أي آثرت حب الخير وأراد بالخير الخيل سميت به لانه معقود في نواصيها الخير الاجر والغنيمة وقيل حب الخير يعني المال ومنه الخيل التي عرضت عليه ﴿ عن ذكر ربي ﴾ يعني صلاة العصر ﴿ حتى توارت ﴾ أي استترت الشمس ﴿ بالحجاب ﴾ أي ما يحجبها عن الابصار يقال ان الحجاب جبل

(الجياد) السراع ويقال الصافنات هو الفرس اذا قام بثلاث قوائم ورفع احدى يديه حتى يكون على طرف الحافر (فقال اني احببت حب الخير) اخترت المال (عن ذكر ربي) على طاعة ربي (حتى توارت) الشمس (بالحجاب) بجبل قاف

العشى عليها ﴿ ردوها على ﴾ الضمير للصافنات ﴿ فطفق مسحا ﴾ فاخذ يمسح بالسيف مسحا ﴿ بالسوق والاعناق ﴾ اى بسوقها واعناقها بقطعها من قولهم مسح علاوته اذا ضرب عنقه وقيل جعل يمسح بيده اعناقها وسوقها حبالها وعن ابن كثير بالسؤق على همز الواو لضمة ماقبلها كؤقن وعن ابى عمرو بالسؤوق * وقرئ بالساق اكتفاء بالواحد عن الجمع لأمن الالباس ﴿ ولقد فتنا سليمان

دون قاف بمسيرة سنة تغرب الشمس من ورائه ﴿ ردوها على ﴾ أى ردوا الخيل على ﴿ فطفق مسحا بالسوق ﴾ جمع ساق ﴿ والاعناق ﴾ أى جعل يضرب سوقها وأعناقها بالسيف هذا قول ابن عباس وأكثر المفسرين وكان ذلك مباحا له لان نبى الله سليمان لم يكن ليقدم على محرم ولم يكن ليتوب عن ذنب وهو ترك الصلاة بذنب آخر وهو عقر الخيل وقال محمد بن اسحق لم يعنفه الله تعالى على عقره الخيل اذ كان ذلك أسفا على مافاته من فريضة ربه عز وجل وقيل انه ذبحها وتصدق بلحومها وقيل معناه انه حبسها فى سبيل الله تعالى وكوى سوقها وأعناقها بكى الصدقة وحكى عن على رضى الله تعالى عنه انه قال معنى ردوها على يقول بامر الله تعالى للملائكة الموكلين بالشمس ردوها على فردوها عليه فصلى العصر فى وقتها قال الامام فخر الدين بل التفسير الحق المطابق لالفاظ القرآن ان نقول ان رباط الخيل كان مندوبا اليه فى دينهم كما أنه كذلك فى ديننا ثم ان سليمان عليه الصلاة والسلام احتاج الى غزو فجلس وأمر باحضار الخيل وأمر باجرائها وذكر أنى لا أحبها لاجل الدنيا ونصيب النفس وانما أحبها لامر الله تعالى وتقوية دينه وهو المراد بقوله عن ذكر ربى ثم انه عليه الصلاة والسلام أمر باعدائها واجرائها حتى توارت بالحجاب أى غابت عن بصره ثم أمر برد الخيل اليه وهو قوله ردوها على فلما عادت اليه طفق يمسح سوقها وأعناقها والغرض من ذلك المسح أمور الاول تشريفا لها لكونها من أعظم الاعوان فى دفع العدو الثانى انه أراد أن يظهر انه فى ضبط السياسة والمملكة يبلغ الى انه يباشر الامور بنفسه الثالث انه كان أعلم باحوال الخيل وأمراضها وعيوبها من غيره فكان يمسح سوقها وأعناقها حتى يعلم هل فيها مايدل على المرض فهذا التفسير الذى ذكرناه ينطبق عليه لفظ القرآن ولا يلزمنا شئ من تلك المنكرات والمحظورات والعجب من الناس كيف قبلوا هذه الوجوه السخيفة فان قيل فالجمهور قد فسروا الآية بتلك الوجوه فاقولك فيه فنقول لنا ههنا مقامان * المقام الاول أن يدعى ان لفظ الآية لايدل على شئ من تلك الوجوه التى ذكروها وقد ظهر والحمد لله ان الامر كما ذكرنا ظهورا لايرتاب عاقل فيه * المقام الثانى ان يقال هب ان لفظ الآية يدل عليه الا أنه كلام ذكره الناس وان الدلائل الكثيرة قد قامت على عصمة الانبياء ولم يدل دليل على صحة هذه الحكايات * قوله عز وجل ﴿ ولقد فتنا سليمان ﴾ أى اختبرناه وابتليناه بسلب ملكه وكان سبب ذلك ماذكر عن وهب بن منبه قال سمع سليمان بمدينة فى جزيرة من جزائر البحر يقال لها صيدون وبها ملك عظيم الشأن ولم يكن

(ردوها على) أى قال للملائكة ردوا الشمس على لاصلى العصر فردت الشمس له وصلى العصر أو ردوا الصافنات (فطفق مسحا بالسوق والاعناق) فجعل يمسح مسحا أى يمسح السيف بسوقها وهى جمع ساق كدار ودور وأعناقها يعنى يقطعها لانها منعته عن الصلاة تقول مسح علاوته اذا ضرب عنقه ومسح المسفر الكتاب اذا قطع أطرافه بسيفه وقيل انما فعل ذلك كفارة لها أو شكرا لرد الشمس وكانت الخيل مأكولة فى شريعته فلم يكن اتلافا وقيل مسحها بيده استحسانا لها واعجابا بها (ولقد فتنا سليمان) ابتليناه

(ردوها على) مامرض على فردوها (فطفق) عمد (مسحا بالسوق) ضرب سوقهن (والاعناق) واعناقهن ويقال فطفق مسحا بالسوق والاعناق حتى توارت بالحجاب حتى غابت الشمس وذهبت منه صلاة العصر فمن اجل ذلك فعل مافعل (ولقد فتنا) ابتلينا (سليمان) بذهاب ملكه اربعين يوما بقدر ماعبد فى بيته الصنم مكان كل يوم يوما

للناس اليه سبيل لمكانه فى البحر وكان الله تعالى قد آتى سليمان فى ملكه سلطانا لا يمتنع عليه شئ فى بر ولا بحر انما يركب اليه الريح فخرج الى تلك المدينة تحمله الريح على ظهر الماء حتى نزل بها بجنوده من الجن والانس فقتل ملكها وسبى مافيها وأصاب فيما أصاب بنتا لذلك الملك يقال لها جرادة لم ير مثلها حسنا وجمالا فاصطفاها لنفسه ودعاها الى الاسلام فاسلمت على جفاء منها وقلة فقه وأحبها حبا لم يحبه شيأ من نسائه اوكانت على منزلتها عنده لا يذهب حزنها ولا يرقأ دمعها فشق ذلك على سليمان فقال لها ويحك ماهذا الحزن الذى لا يذهب والدمع الذى لا يرقأ قالت انى أذكر أبى وأذكر ملكه وما كان فيه وما أصابه فيحزننى ذلك فقال سليمان فقد أبدلك الله به ملكا هو أعظم من ملكه وسلطانا أعظم من سلطانه وهداك الى الاسلام وهو خير من ذلك قالت ان ذلك كذلك ولكنى اذا ذكرته أصابنى ما تراه من الحزن فلو أنك أمرت الشياطين فصوروا لى صورته فى دارى التى أنا فيها أراها بكرة وعشيا لرجوت أن يذهب ذلك حزنى وأن يسلى عنى بعض ما أجد فى نفسى فامر سليمان الشياطين فقال مثلوا لها صورة أبيها فى دارها حتى لا تنكر منه شيأ فمثلوه لها حتى نظرت الى أبيها بعينه الا أنه لا روح فيه فعمدت اليه حين صنعوه فالبسته ثيابا مثل ثيابه التى كان يلبسها ثم كانت اذا خرج سليمان من دارها تغدو اليه فى ولائدها فتسجد له ويسجدن معها كما كانت تصنع فى ملكه وتروح فى كل عشية بمثل ذلك وسليمان لا يعلم بشئ من ذلك أربعين صباحا وبلغ ذلك آصف ابن برخيا وكان صديقا له وكان لا يرد عن أبواب سليمان أى ساعة أراد دخول شئ من بيوته دخل حاضرا كان سليمان او غائبا فأتاه فقال يانبى الله كبر سنى ورق عظمى ونفد عمرى وقد حان منى الذهاب وقد أحببت أن أقوم مقاما قبل الموت أذكر فيه من مضى من أنبياء الله تعالى وأثنى عليهم بعلمى فيهم وأعلم الناس بعض ما كانوا يجهلون من كثير أمرهم فقال افعل فجمع له سليمان الناس فقام فيهم خطيبا فذكر من مضى من أنبياء الله تعالى وأثنى على كل نبى بما فيه وذكر ما فضله الله تعالى به حتى انتهى الى سليمان فقال ما كان أحكمك فى صغرك وأورعك فى صغرك وأفضلك فى صغرك وأحكم أمرك فى صغرك وأبعدك عن كل ما يكره الله تعالى فى صغرك ثم انصرف فوجد سليمان فى نفسه من ذلك حتى ملئ غضبا فلما دخل سليمان داره دعاه فقال يا آصف ذكرت من مضى من أنبياء الله تعالى فأثنيت عليهم خيرا فى كل زمانهم وعلى كل حال من أمرهم فلما ذكرتنى جعلت تثنى على خيرا فى صغرى وسكت عما سوى ذلك من أمرى فى كبرى فما الذى أحدثت فى آخر عمرى فقال آصف ان غير الله يعبد فى دارك منذ أربعين صباحا فى هوى امرأة فقال سليمان فى دارى قال فى دارك قال فانا لله وانا اليه راجعون قد عرفت انك ما قلت الذى قلت الا عن شئ بلغك ثم رجع سليمان الى داره فكسر ذلك الصنم وعاقب تلك المرأة وولائدها ثم أمر بثياب الطهيرة فاتى بها وهى ثياب لا يغزلها الا الابكار ولا ينسجها الا الابكار ولا يغسلها الا الابكار لم تمسها يد امرأة قد رأت الدم فلبسها ثم خرج الى فلاة من الارض وحده وأمر برماد ففرش له ثم أقبل تائبا الى الله تعالى

حتى جلس على ذلك الرماد وتمعك به في ثيابه تذللا الى الله تعالى وتضرعا اليه يبكي ويدعو ويستغفر مما كان في داره فلم يزل كذلك يومه حتى أمسى ثم رجع الى داره وكانت له أم ولد يقال لها أمينة كان اذا دخل الخلاء أو أراد اصابة امرأة من نسائه وضع خاتمه عندها حتى يتطهر وكان لا يمس خاتمه الا وهو طاهر وكان ملكه في خاتمه فوضعه يوما عندها ثم دخل مذهبه فأتاها شيطان اسمه صخر المارد في صورة سليمان لا تنكر منه شيأ فقال خاتمي أمينة فناولته اياه فجعله في يده ثم خرج حتى جلس على سرير سليمان وعكفت عليه الطير والوحش والجن والانس وخرج سليمان فأتى أمينة وقد تغيرت حالته وهيئته عند كل من رآه فقال يا أمينة خاتمي قالت من أنت قال سليمان ابن داود فقالت كذبت قد جاء سليمان وأخذ خاتمه وهو جالس على سرير ملكه فعرف سليمان أن خطيئته قد أدركته فخرج فجعل يقف على الدار من دور بني اسرائيل فيقول أنا سليمان بن داود فيحثون عليه التراب ويقولون انظروا الى هذا المجنون أي شيء يقول يزعم انه سليمان فلما رأى سليمان ذلك عمد الى البحر فكان ينقل الحيتان لاصحاب السوق ويعطونه كل يوم سمكتين فاذا أمسى باع احدى سمكتيه بارغفة ويشوي الاخرى فيأكلها فمكث على ذلك أربعين صباحا عدة ما كان يعبد الوثن في داره ثم ان آصف وعظماء بني اسرائيل أنكروا حكم عدو الله الشيطان في تلك المدة فقال آصف يا معشر بني اسرائيل هل رأيتم من اختلاف حكم ابن داود ما رأيتم قالوا نعم فقال امهلوني حتى أدخل على نسائه فاسألهن هل أنكرن من خاصة أمره ما أنكرنا في عامة الناس وعلانيتهم فدخل على نسائه فقال ويحكن هل أنكرتن من ابن داود ما أنكرنا فقلن أشده ما يدع امرأة منا في دمها ولا يغتسل من الجنابة فقال انا لله وانا اليه راجعون قال الحسن ما كان الله سبحانه وتعالى ليسلط الشيطان على نساء نبيه صلى الله عليه وسلم قال وهب ثم ان آصف خرج على بني اسرائيل فقال ما في الخاصة أشد مما في العامة فلما مضى أربعون صباحا طار الشيطان عن مجلسه ثم مر بالبحر فقذف الخاتم فيه فبلعته سمكة فاخذها بعض الصيادين وقد عمل له سليمان صدر يومه فلما أمسى أعطاه سمكتيه فباع سليمان احداهما بارغفة وبقر بطن الاخرى ليشويها فاستقبله خاتمه في جوفها فاخذه وجعله في يده ووقع لله ساجدا وعكفت عليه الطير والجن وأقبل الناس عليه وعرف الذي كان دخل عليه لما كان أحدث في داره فرجع الى ملكه وأظهر التوبة من ذنبه وأمر الشياطين ان يأتوه بصخر فطلبوه حتى أخذوه فأتى به فادخله في جوف صخرة وسد عليه باخرى ثم أوثقها بالحديد والرصاص ثم أمر به فقذفوه في البحر ه وقيل في سبب فتنة سليمان عليه الصلاة والسلام ان جرادة كانت أبر نسائه عنده وكان يأتمنها على خاتمه فقالت له يوما ان أخي بينه وبين فلان خصومة فاحب أن تقضي له فقال نعم ولم يفعل فابتلي بقوله نعم وذكروا نحو ما تقدم وقيل ان سليمان لما افتتن سقط الخاتم من يده فاعاده في يده فسقط وكان فيه ملكه فايقن سليمان بالفتنة فأتاه آصف فقال انك مفتون بذلك والخاتم لا يتماسك في يدك ففر الى الله تائبا فاني أقوم مقامك وأسير بسيرتك الى أن يتوب

(الله)

(وألقينا على كرسيه) سرير ملكه (جسدا ثم أناب) رجع الى الله قيل فتن سليمان بعدما ملك عشرين سنة وملك بعد الفتنة عشرين سنة وكان من فتنته أنه ولد له ابن فقالت الشياطين ان عاش لم ننفك من السخرة فسبيلنا ان نقتله او نخبله فعلم ذلك سليمان عليه السلام فكان يغذوه فى السحابة خوفا من مضرة الشياطين فالقى ولده ميتا على كرسيه فتنبه على زلته فى ان لم يتوكل فيه على ربه وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال سليمان لاطوفن الليلة على سبعين امرأة كل واحدة منهن تأتى بفارس يجاهد فى سبيل الله ولم يقل ان شاء الله فطاف عليهن فلم تحمل الا امرأة واحدة جاءت بشق رجل فجئ به على كرسيه فوضع فى حجره فوالذى نفس محمد بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا فى سبيل الله فرسانا أجمعون وأما ما يروى من حديث الخاتم والشيطان وعبادة الوثن فى بيت سليمان عليه السلام فمن أباطيل اليهود

(وألقينا) اجلسنا (على كرسيه جسدا) شيطانا (ثم أناب) ثم رجع الى ملكه والى طاعة ربه وتاب من ذنبه

والقينا على كرسيه جسدا ثم اناب ﴾ واظهر ماقيل فيه ماروى مرفوعا انه قال لأطوفن الليلة على سبعين امرأة تأتى كل واحدة بفارس يجاهد فى سبيل الله ولم يقل ان شاء الله فطاف عليهن فلم يحمل الا امرأة جاءت بشق رجل فوالذى نفس محمد بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا فرسانا وقيل ولد له ابن فاجتمعت الشياطين على قتله فعلم ذلك وكان يغذوه فى السحاب فما شعر به الا ان القى على كرسيه ميتا فتنبه على خطائه بان لم يتوكل على الله وقيل انه غزا صيدون من الجزائر فقتل ملكها واصاب ابنته جرادة فاحبها وكان لا يرقأ دمعها جزعا على ابيها فامر الشياطين فمثلوا لها صورته فكانت تغدو اليها وتروح مع ولائدها يسجدن لها كعادتهن فى ملكه فاخبره آصف رضى الله عنه فكسر الصورة وضرب المرأة وخرج الى الفلاة باكيا متضرعا وكانت له ام ولد اسمها امينة اذا دخل للطهارة اعطاها خاتمه وكان ملكه فيه فاعطاها يوما فتمثل لها

الله عليك ففر سليمان الى الله تعالى تائبا وأعطى آصف الخاتم فوضعه فى يده فثبت فى يده فاقام آصف فى ملك سليمان بسيرته أربعة عشر يوما الى ان رد الله تعالى على سليمان ملكه وتاب عليه فرجع الى ملكه وجلس على سريره وأعاد الخاتم فى يده فثبت فهو الجسد الذى ألقى على كرسيه وروى عن سعيد بن المسيب قال احتجب سليمان عن الناس ثلاثة أيام فاوحى الله تعالى اليه احتجبت عن الناس ثلاثة أيام فلم تنظر فى امور عبادى فابتلاه الله تعالى وذكر نحو ما تقدم من حديث الخاتم وأخذ الشيطان اياه قال القاضى عياض وغيره من المحققين لا يصح ما نقله الاخباريون من تشبيه الشيطان به وتسلطه على ملكه وتصرفه فى أمته بالجور فى حكمه وان الشياطين لا يسلطون على مثل هذا وقد عصم الله تعالى الانبياء من مثل هذا والذى ذهب اليه المحققون ان سبب فتنته ما أخرجاه فى الصحيحين من حديث أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سليمان لاطوفن الليلة على تسعين امرأة كلهن تاتى بفارس يجاهد فى سبيل الله تعالى فقال له صاحبه قل ان شاء الله فلم يقل ان شاء الله فطاف عليهن جميعا فلم تحمل منهن الا امرأة واحدة جاءت بشق رجل وأيم الله الذى نفسى بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا فى سبيل الله فرسانا أجمعون وفى رواية لاطوفن بمائة امرأة فقال له الملك قل ان شاء الله فلم يقل ونسى قال العلماء والشق هو الجسد الذى ألقى على كرسيه وهى عقوبته ومحنته لانه لم يستثن لما استغرقه من الحرص وغلب عليه من التمنى وقيل نسى ان يستثنى كما صح فى الحديث لينفذ أمر الله ومراده فيه وقيل ان المراد بالجسد الذى ألقى على كرسيه انه ولد له ولد فاجتمعت الشياطين وقال بعضهم لبعض ان عاش له ولد لم ننفك من البلاء فسبيلنا ان نقتل ولده أو نخبله فعلم بذلك سليمان فامر السحاب فحمله فكان يربيه فى السحاب خوفا من الشياطين فبينما هو مشتغل فى بعض مهماته اذ ألقى ذلك الولد ميتا على كرسيه فعاتبه الله على خوفه من الشياطين ولم يتوكل عليه فى ذلك فتنبه لخطئه فاستغفر ربه فذلك قوله عز وجل ﴿ وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب ﴾ أى رجع الى ملكه بعد الاربعين يوما

بصورة شيطان اسمه صخر واخذ الخاتم فتختم به وجلس على كرسيه فاجتمع عليه الخلق ونفذ حكمه فى كل شئ الا فيه وفى نسائه وغير سليمان عن هيئته فاتاها لطلب الخاتم فطردته فعلم ان الخطيئة قد ادركته فكان يدور على البيوت يتكفف حتى مضى اربعون يوما عدد ماعبدت الصورة فى بيته فطار الشيطان وقذف الخاتم فى البحر فابتلعته سمكة فوقعت فى يده فبقر بطنها فوجد الخاتم فتختم به وخر ساجدا وعاد اليه الملك فعلى هذا الجسد صخر سمى به وهو جسم لاروح فيه لانه كان متمثلا بما لم يكن كذلك والخطيئة تغافله عن حال اهله لان اتخاذ التماثيل كان جائزا حينئذ وسجود الصورة بغير علمه لايضره ﴿ قال رب اغفرلى وهب لى ملكا لاينبغى لاحد من بعدى ﴾ لايتسهل له ولا يكون ليكون معجزة لى مناسبة لحالى اولا ينبغى لاحد ان يسلبه منى بعد هذه السلبة اولا يصح لاحد من بعدى لعظمته كقولك لفلان ماليس لاحد من الفضل والمال على ارادة وصف الملك بالعظمة لاان لايعطى احد مثله فيكون منافسة وتقديم الاستغفار على الاستيهاب لمزيد اهتمامه بامر الدين ووجوب تقديم مايجعل الدعاء بصدد الاجابة وقرأ نافع وابوعمرو بفتح الياء ﴿ انك انت الوهاب ﴾ المعطى ماتشاء لمن تشاء ﴿ فسخرنا له الريح ﴾ فذللناها لطاعته اجابة لدعوته * وقرئ الرياح ﴿ تجرى بامره رخاء ﴾ لينة من الرخاوة لاتزعزع اولا تخالف ارادته كالمأمور المنقاد ﴿ حيث اصاب ﴾ اراد من قولهم اصاب الصواب فاخطأ الجواب ﴿ والشياطين ﴾ عطف على الريح ﴿ كل بناء وغواص ﴾ بدل منه

وقيل أناب الى الاستغفار وهو قوله ﴿ قال رب اغفرلى ﴾ أى سأل ربه المغفرة ﴿ وهب لى ملكا لاينبغى لاحد من بعدى ﴾ أى لايكون لاحد من بعدى وقيل لاتسلبنيه فى باقى عمرى وتعطيه غيرى كما سلبته منى فيما مضى من عمرى ﴿ انك أنت الوهاب ﴾ فان قلت قول سليمان لاينبغى لاحد من بعدى مشعر بالحسد والحرص على الدنيا قلت لم يقل ذلك حرصا على طلب الدنيا ولا نفاسة بها ولكن كان قصده فى ذلك أن لايسلط عليه الشيطان مرة أخرى وهذا على قول من قال ان الشيطان استولى على ملكه وقيل سأل ذلك ليكون علما وآية لنبوته ومعجزة دالة على رسالته ودلالة على قبول توبته حيث أجاب الله تعالى دعاءه ورد ملكه اليه وزاد فيه وقيل كان سليمان ملكا ولكنه أحب أن يخص بخاصية كما خص داود بالانة الحديد وعيسى باحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص فسأل شيأ يختص به كما روى فى الصحيحين من حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان عفريتا من الجن تفلت على البارحة ليقطع على صلاتى فامكننى الله منه فاخذته فاردت ان أربطه الى سارية من سوارى المسجد حتى تنظروا اليه كلكم فذكرت دعوة أخى سليمان رب اغفرلى وهب لى ملكا لاينبغى لاحد من بعدى فرددته خاسئا * قوله تعالى ﴿ فسخرنا له الريح تجرى بامره رخاء ﴾ أى لينة ليست بعاصفة ﴿ حيث اصاب ﴾ أى حيث أراد ﴿ والشياطين ﴾ أى وسخرنا له الشياطين ﴿ كل بناء ﴾ أى يبنون له مايشاء ﴿ وغواص ﴾ يعنى يستخرجون له اللآلى من البحر وهو أول

عادة الانبياء عليهم السلام والصالحين فى تقديم الاستغفار على السؤال (لاينبغى) لايتسهل ولايكون (لاحد من بعدى) أى دونى وبفتح الياء مدنى وأبوعمرو وانما سأل بهذه الصفة ليكون معجزة له لاحسدا وكان قبل ذلك لم يسخر له الريح والشياطين فلما دعا بذلك سخرت له الريح والشياطين ولم يكن معجزة حتى يخرق العادات (انك أنت الوهاب فسخرنا له الريح) الرياح أبوجعفر (تجرى) حال من الريح (بامره) بامر سليمان (رخاء) لينة طيبة لاتزعزع وهو حال من ضمير تجرى (حيث) ظرف تجرى (أصاب) قصد وأراد و العرب تقول أصاب الصواب فاخطأ الجواب (والشياطين) عطف على الريح أى سخرنا له الشياطين (كل بناء) بدل من الشياطين كانوا يبنون له ماشاء من الابنية (وغواص) أى

(قال رب اغفرلى) ذنبى (وهب لى ملكا لاينبغى) لايصلح (لاحد من بعدى) ويقال لايسلب فيما بقى كما سلب المرة الاولى (انك انت الوهاب) بالملك والنبوة لمن شئت (فسخرنا له الريح) بعد ذلك (تجرى بأمره) بأمر الله ويقال بأمر سليمان (رخاء) لينة (حيث اصاب) اراد (والشياطين) وسخرنا له الشياطين (كل بناء وغواص) (من)

ويغوصون له فى البحر لاخراج اللؤلؤ وهو أول من استخرج اللؤلؤ من البحر والمعنى وسخرنا له كل بناء وغواص من الشياطين (وآخرين) عطف على كل بناء داخل فى حكم البدل (مقرنين فى الاصفاد) وكان يقرن مردة الشياطين بعضهم مع بعض فى القيود والسلاسل للتأديب والكف عن الفساد والصفد القيد وسمى به العطاء لانه ارتباط للمنعم عليه ومنه قول على رضى الله عنه من برك فقد أسرك ومن جفاك فقد أطلقك (هذا) الذى اعطيناك من الملك والمال والبسطة (عطاؤنا فامنن) فاعط منه ما شئت من المنة وهى العطاء (أوأمسك) عن العطاء وكان اذا اعطى اجر وان منع لم يأثم بخلاف غيره (بغير حساب) متعلق بعطاؤنا وقيل هو حال أى هذا عطاؤنا جما كثيرا لا يكاد يقدر على حصره أو هذا التسخير عطاؤنا فامنن على من شئت من الشياطين بالاطلاق او امسك من شئت منهم فى الوثاق بغير حساب اى لا حساب عليك فى ذلك (وان له عندنا لزلفى وحسن مآب) لزلفى اسم ان والخبر له والعامل فى عند الخبر (واذكر عبدنا ايوب) هو بدل من عبدنا او عطف بيان (اذ) بدل اشتمال منه (نادى ربه) دعاه (أنى مسنى) بانى مسنى حكاية لكلامه الذى ناداه بسببه ولو لم يحك لقال بانه مسه لانه غائب (الشيطان بنصب) قراءة العامة بنصب يزيد تثقيل نصب بنصب كرشد ورشد يعقوب بنصب على أصل المصدر هبيرة والمعنى واحد وهو التعب والمشقة (وعذاب) يريد مرضه وما كان

﴿ وآخرين مقرنين فى الاصفاد ﴾ عطف على كل كأنه فصل الشياطين الى عملة استعملهم فى الاعمال الشاقة كالبناء والغوص ومردة قرن بعضهم مع بعض فى السلاسل ليكفوا عن الشر ولعل اجسامهم شفافة صلبة فلا ترى ويمكن تقييدها هذا والاقرب ان المراد تمثيل كفهم عن الشرور بالاقران فى الصفد وهو القيد وسمى به العطاء لانه يرتبط بالمنعم عليه وفرقوا بين فعليهما فقالوا صفده قيده واصفده اعطاه عكس وعده واوعده وفى ذلك نكتة ﴿ هذا عطاؤنا ﴾ اى هذا الذى اعطيناك من الملك والبسطة والتسلط على ما لم يسلط به غيرك عطاؤنا ﴿ فامنن اوامسك ﴾ فاعط من شئت وامنع من شئت ﴿ بغير حساب ﴾ حال من المستكن فى الامر اى غير محاسب على منه وامساكه لتفويض التصرف فيه اليك اومن العطاء اوصلة له وما بينهما اعتراض والمعنى انه عطاء جم لا يكاد يمكن حصره وقيل الاشارة الى تسخير الشياطين والمراد بالمن والامساك اطلاقهم وابقاؤهم فى القيد ﴿ وان له عندنا لزلفى ﴾ فى الآخرة مع ماله من الملك العظيم فى الدنيا ﴿ وحسن مآب ﴾ وهو الجنة ﴿ واذكر عبدنا ايوب ﴾ هو ابن عيص بن اسحق ﴿ اذ نادى ربه ﴾ بدل من عبدنا وايوب عطف بيان له ﴿ انى مسنى ﴾ بانى مسنى وقرأ حمزة باسكان الياء واسقاطها من الوصل ﴿ الشيطان بنصب ﴾ بتعب ﴿ وعذاب ﴾ الم

من استخرج اللؤلؤ من البحر ﴿ وآخرين ﴾ أى وسخرنا له آخرين وهم مردة الشياطين ﴿ مقرنين فى الاصفاد ﴾ أى مشدودين فى القيود سخروا له حتى قرنهم فى الاصفاد ﴿ هذا عطاؤنا ﴾ أى قلنا له هذا عطاؤنا ﴿ فامنن ﴾ أى أحسن الى من شئت ﴿ اوأمسك ﴾ أى عمن شئت ﴿ بغير حساب ﴾ أى لا حرج عليك فيما أعطيت ولا فيما أمسكت قال الحسن ما أنعم الله تعالى على أحد نعمة الا عليه تبعة الا سليمان فانه ان أعطى أجر وان لم يعط لم تكن عليه تبعة وقيل هذا فى أمر الشياطين يعنى هؤلاء الشياطين عطاؤنا فامنن على من شئت منهم فخل عنه وامسك أى احبس من شئت منهم فى العمل وقيل فى الوثاق لا تبعة عليك فيما تتعاطاه ﴿ وان له عندنا لزلفى وحسن مآب ﴾ لما ذكر الله تعالى ما أنعم به عليه فى الدنيا أتبعه بما أنعم به عليه فى الآخرة * قوله عز وجل ﴿ واذكر عبدنا أيوب اذ نادى ربه أنى مسنى الشيطان بنصب ﴾ أى بمشقة ﴿ وعذاب ﴾ أى ضر وذلك

فى قعر البحر (وآخرين) من غيرهم (مقرنين) مصفدين مسلسلين (فى الاصفاد) فى اغلال الحديد وهم المردة من الشياطين الذين لا يبعثهم الى عمل الا انقلبوا (هذا عطاؤنا) ملكنا يا سليمان ملكناك على الشياطين (فامنن) على من شئت من المتمردين وخل سبيلهم من الغل (اوامسك) احبس فى الغل (بغير حساب) من غير ان تحاسب وتأثم بذلك (وان له عندنا لزلفى) قربى فى الدرجات (وحسن مآب) مرجع فى الآخرة (واذكر عبدنا) اذكر لكفار مكة خبر عبدنا (أيوب اذ نادى ربه) دعا ربه (انى مسنى الشيطان) أصابنى من تسليطك الشيطان على (بنصب) تعب وعناء (وعذاب) بلاء ومرض فقال له جبريل يا أيوب

يقاسي فيه من أنواع الوصب وقيل أراد ما كان يوسوس به اليه في مرضه من تعظيم ما نزل به من البلاء ويغريه على الكراهة والجزع فالتجأ الى الله في أن يكفيه ذلك بكشف البلاء أو بالتوفيق في دفعه ورده بالصبر الجميل وروى انه كان يعوده ثلاثة من المؤمنين فارتد أحدهم فسأل عنه فقيل ألقى اليه الشيطان ان الله لا يبتلي الانبياء والصالحين وذكر في سبب بلائه انه ذبح شاة فأكلها وجاره جائع أو رأى منكرا فسكت عنه أو ابتلاه الله لرفع الدرجات بلا زلة سبقت منه (اركض برجلك) حكاية لما أجيب به أيوب عليه السلام أي أرسلنا اليه جبريل عليه السلام فقال له اركض برجلك أي أضرب برجلك الارض وهي أرض الجابية فضرب بها فنبعت عين

فقيل (هذا مغتسل بارد وشراب) أي هذا ما تغتسل به وتشرب منه فيبرأ باطنك وظاهرك وقيل نبعت له عينان فاغتسل من احديهما وشرب من الاخرى فذهب الداء من ظاهره وباطنه باذن الله تعالى (ووهبنا له أهله ومثلهم معهم) قيل أحياهم الله تعالى بأعيانهم وزاده مثلهم (رحمة منا وذكرى لاولي الالباب) مفعول لهما أي الهبة كانت للرحمة له ولتذكير أولي الالباب لانهم اذا سمعوا بما أنعمنا به عليه لصبره رغبهم في الصبر على البلاء (وخذ) معطوف على اركض (بيدك ضغثا) حزمة صغيرة من حشيش أو ريحان أو غير ذلك وعن ابن عباس رضي الله عنهما قبضة من الشجر (فاضرب به ولا تحنث) وكان حلف في مرضه ليضربن امرأته

وهو حكاية لكلامه الذي ناداه به ولولا هي لقال انه مسه والاسناد الى الشيطان اما لان الله مسه بذلك لما فعل بوسوسته كما قيل انه اعجب بكثرة ماله او استغاثه مظلوم فلم يغثه او كانت مواشيه في ناحية ملك كافر فداهنه ولم يغزه او لسؤاله امتحانا لصبره فيكون اعترافا بالذنب او مراعاة للادب او لانه وسوس الى اتباعه حتى رفضوه واخرجوه من ديارهم او لان المراد من النصب والعذاب ما كان يوسوس اليه في مرضه من عظم البلاء والقنوط من الرحمة ويغريه على الجزع وقرأ يعقوب بفتح النون على المصدر وقرئ بفتحتين وهو لغة كالرشد والرشد وبضمتين للتثقيل ﴿ اركض برجلك ﴾ حكاية لما اجيب به اي اضرب برجلك الارض ﴿ هذا مغتسل بارد وشراب ﴾ اي فضرب بها فنبعت عين فقيل هذا مغتسل اي ماء يغتسل به ويشرب منه فيبرأ ظاهرك وباطنك وقيل نبعت عينان حارة وباردة فاغتسل من الحارة وشرب من الاخرى ﴿ ووهبنا له اهله ﴾ بان جمعناهم عليه بعد تفرقهم او احييناهم بعد موتهم وقيل وهبنا له مثلهم ﴿ ومثلهم معهم ﴾ حتى كان له ضعف ما كان ﴿ رحمة منا ﴾ لرحمتنا عليه ﴿ وذكرى لاولي الالباب ﴾ وتذكيرا لهم لينتظروا الفرج بالصبر واللجاء الى الله فيما يحيق بهم ﴿ وخذ بيدك ضغثا ﴾ عطف على اركض والضغث الحزمة الصغيرة من الحشيش ونحوه ﴿ فاضرب به ولا تحنث ﴾ روي ان زوجته ليا بنت يعقوب عليه السلام

في المال والجسد وقد تقدمت قصة أيوب ﴿ اركض ﴾ يعني انه لما انقضت مدة ابتلائه قيل له اركض أي اضرب ﴿ برجلك ﴾ يعني الارض ففعل فنبعت عين ماء عذب ﴿ هذا مغتسل بارد ﴾ أمره الله تعالى أن يغتسل منه ففعل فذهب كل داء كان بظاهره ثم مشى أربعين خطوة فركض برجله الارض مرة أخرى فنبعت عين ماء عذب أخرى فشرب منه فذهب كل داء كان في باطنه فذلك قوله عز وجل ﴿ وشراب ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا ﴾ أي انما فعلنا ذلك معه على سبيل التفضل والرحمة لا على اللزوم ﴿ وذكرى لاولي الالباب ﴾ يعني سلطنا البلاء عليه فصبر ثم أزلناه عنه وكشفنا ضره فشكر فهو موعظة لذوي العقول والبصائر ﴿ وخذ بيدك ضغثا ﴾ أي ملء كفك من حشيش أو عيدان أو ريحان ﴿ فاضرب به ولا تحنث ﴾ وكان قد حلف أن يضرب امرأته

(اركض) اضرب (برجلك) على الارض فضرب فخرج منها عين فقال له جبريل (هذا مغتسل) اغتسل منه فاغتسل منه فالتأم ما به ثم قال له اضرب ضربة اخرى فضرب (مائة) فخرج منها عين اخرى فقال له جبريل (بارد وشراب) اي وهذا شراب بارد عذب اشرب منه فشرب فالتأم ما في جوفه (ووهبنا له أهله) الذين أهلكناهم (ومثلهم معهم) في الآخرة ويقال في الدنيا (رحمة منا) نعمة منا عليه (وذكرى) عظة (لاولي الالباب) لذوي العقول من الناس (وخذ بيدك) يا أيوب (ضغثا) قبضة من سنبل فيها مائة سنبلة (فاضرب به) امرأتك رحمة بنت يوسف الصديق (ولا تحنث) لا تأثم في يمينك وكان

مائة اذا برأ فحلل الله يمينه باهون شئ عليه وعليها لحسن خدمتها اياه وهذه الرخصة باقية ويجب أن يصيب المضروب كل واحدة من المائة والسبب فى يمينه انها أبطأت عليه ذاهبة فى حاجة فحرج صدره وقيل باعت ذؤابتيها برغيفين وكانتا متعلق أيوب عليه السلام اذا قام (انا وجدناه) علمناه (صابرا) على البلاء نعم قد شكا الى الله مابه واسترحمه لكن الشكوى الى الله لا تسمى جزعا فقد قال يعقوب عليه السلام انما أشكو بثى وحزنى الى الله على انه عليه السلام

وقيل رحمة بنت افرائيم بن يوسف ذهبت لحاجة فابطأت فحلف ان برئ ضربها مائة ضربة فحلل الله يمينه بذلك وهى رخصة باقية فى الحدود ﴿ انا وجدناه صابرا ﴾ فيما اصابه فى النفس والاهل والمال ولا يحل به شكواه الى الله من الشيطان فانه لا يسمى جزعا كتمنى العافية وطلب الشفاء مع انه قال ذلك خيفة ان يفتنه او قومه فى الدين ﴿ نعم العبد ايوب ﴾ ﴿ انه اواب ﴾ مقبل بشراشره على الله تعالى ﴿ واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب ﴾ وقرأ ابن كثير عبدنا على وضع الجنس موضع الجمع او على ان ابراهيم وحده لمزيد شرفه عطف بيان له واسحق ويعقوب عطف عليه ﴿ اولى الايدى والابصار ﴾ اولى القوة فى الطاعة والبصيرة فى الدين او اولى الاعمال الجليلة والعلوم الشريفة فعبر بالايدى عن الاعمال لان اكثرها بمباشرتها وبالابصار عن المعارف لانها اقوى مباديها وفيه تعريض بالبطلة الجهال انهم كالزمنى والعمات ﴿ انا اخلصناهم بخالصة ﴾ جعلناهم خالصين لنا بخصلة خالصة لاشوب فيها هى ﴿ ذكرى الدار ﴾

مائة سوط فشكر الله حسن صبرها معه فافتاه فى ضربها وسهل له الامر وأمره بان يأخذ ضغثا يشتمل على مائة عود صغار فيضربها به ضربة واحدة ففعل ولم يحنث فى يمينه وهل ذلك لايوب خاصة أم لا فيه قولان أحدهما انه عام وبه قال ابن عباس وعطاء بن أبى رباح والثانى انه خاص بايوب قاله مجاهد واختلف الفقهاء فيمن حلف أن يضرب عبده مائة سوط فجمعها وضربه بها ضربة واحدة فقال مالك والليث بن سعد وأحمد لا يبر وقال أبو حنيفة والشافعى اذا ضربه ضربة واحدة فاصابه كل سوط على حدة فقد بر واحتجوا بعموم هذه الآية ﴿ انا وجدناه صابرا ﴾ أى على البلاء الذى ابتليناه به ﴿ نعم العبد انه أواب ﴾ ● قوله تعالى ﴿ واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب ﴾ أى اذكر صبرهم فابراهيم ألقى فى النار فصبر واسحق أضجع للذبح فى قول فصبر ويعقوب ابتلى بفقد ولده وذهاب بصره فصبر ﴿ أولى الايدى ﴾ قال ابن عباس أولى القوة فى طاعة الله تعالى ﴿ والابصار ﴾ أى فى المعرفة بالله تعالى وقيل المراد باليد أكثر الاعمال وبالبصر أقوى الادراكات فعبر بهما عن العمل باليد وعن الادرك بالبصر وللانسان قوتان عالمية وعاملية وأشرف مايصدر عن القوة العالمية معرفة الله تعالى وأشرف مايصدر عن القوة العاملية طاعته وعبادته فعبر عن هاتين القوتين بالايدى والابصار ﴿ انا أخلصناهم ﴾ أى اصطفيناهم وجعلناهم لنا خالصين ﴿ بخالصة ذكرى الدار ﴾ قيل معناه أخلصناهم بذكرى الآخرة

كان يطلب الشفاء خيفة على قومه من الفتنة حيث كان الشيطان يوسوس اليهم أنه لو كان نبيا لما ابتلى بمثل ما ابتلى به وارادة القوة على الطاعة فقد بلغ أمره الى أن لم يبق منه الا القلب واللسان (نعم العبد) أيوب (أنه أواب واذكر عبادنا) عبدنا مكى (ابراهيم واسحق ويعقوب) فمن جمع فابراهيم ومن بعده عطف بيان على عبادنا ومن وحد فابراهيم وحده عطف بيان له ثم عطف ذريته على عبدنا ولما كانت اكثر الاعمال تباشر بالايد غلبت فقيل فى كل عمل هذا مما عملت ايديهم وان كان عملا لا يتأتى فيه المباشرة بالايدى أو كان العمال جذما لا أيدى لهم وعلى هذا ورد قوله (أولى الايدى والابصار) أى أولى الاعمال الظاهرة والفكر الباطنة كأن الذين لا يعملون أعمال الآخرة ولا يجاهدون فى الله ولا يتفكرون أفكار ذوى الديانات فى حكم الزمنى الذين لا يقدرون على أعمال جوارحهم والمسلوبى العقول الذين لا استبصار لهم وفيه تعريض بكل من لم يكن من عمال الله ولا من المستبصرين فى دين الله وتوبيخ على تركهم المجاهدة والتأمل مع كونهم متمكنين منهما (انا أخلصناهم) جعلناهم لنا خالصين (بخالصة) بخصلة خالصة لاشوب فيها (ذكرى الدار) ذكرى فى محل

قبل ذلك حلف بالله لئن شفاه الله ليجلدنها مائة جلدة فى سبب كلام تكلمت به لم يرض الله به (انا وجدناه صابرا) على البلاء (نعم العبد انه أواب) مطيع لله مقبل الى طاعة الله (واذكر عبادنا ابراهيم) خليل الرحمن (واسحق ويعقوب أولى الايدى) القوة فى العبادة لله (والابصار) فى الدين (انا أخلصناهم) اختصصناهم (بخالصة ذكرى الدار)

النصب أو الرفع باضمار أعني أو هي أو الجر على البدل من خالصة والمعنى انا أخلصناهم بذكرى الدار والدار هنا الدار الآخرة يعني جعلناهم لنا خالصين بان جعلناهم يذكرون الناس الدار الآخرة ويزهدونهم في الدنيا كما هو ديدن الأنبياء عليهم السلام أو معناه انهم يكثرون ذكر الآخرة والرجوع الى الله وينسون ذكرى الدنيا بخالصة ذكرى الدار على الاضافة مدني ونافع وهي من اضافة الشئ الى ما يبينه لان الخالصة تكون ذكرى وغير ذكرى وذكرى مصدر مضاف الى المفعول أي باخلاصهم ذكرى الدار وقيل خالصة بمعنى خلوص فهي مضافة الى الفاعل أي بان خلصت لهم ذكرى الدار على انهم لايشوبون ذكرى الدار بهم آخر انما همهم ذكرى الدار لاغير وقيل ذكرى الدار الثناء الجميل في الدنيا وهذا شئ قد أخلصهم به فليس يذكر غيرهم في الدنيا بمثل ما يذكرون به يقويه قوله وجعلنا لهم لسان صدق عليا (وانهم عندنا لمن المصطفين) المختارين من بين أبناء جنسهم (الاخيار) جمع خير أو خير على التخفيف كاموات في جمع ميت أو ميت (واذكر اسمعيل واليسع) كان حرف التعريف دخل على يسع (وذا الكفل وكل) التنوين عوض عن المضاف اليه أي وكلهم (من الاخيار هذا ذكر وان للمتقين لحسن مآب) أي هذا شرف وذكر جميل يذكرون به أبدا وان لهم مع ذلك لحسن مرجع يعني يذكرون في الدنيا بالجميل ويرجعون في الآخرة الى مغفرة رب جليل ثم بين كيفية حسن ذلك المرجع (ثم)

تذكرهم للآخرة دائما فان خلوصهم في الطاعة بسببها وذلك لان مطمح نظرهم فيما يأتون ويذرون جوار الله تعالى والفوز بلقائه وذلك في الآخرة واطلاق الدار للاشعار بانها الدار الحقيقية والدنيا معبر واضاف هشام ونافع بخالصة الى ذكرى للبيان اولانه مصدر بمعنى الخلوص فاضيف الى فاعله ﴿ وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار ﴾ لمن المختارين من امثالهم المصطفين عليهم في الخير جمع خير كشر واشرار وقيل جمع خير اوخير على تخفيفه كاموات في جمع ميت اوميت ﴿ واذكر اسمعيل واليسع ﴾ هو ابن اخطوب استخلفه الياس على بنى اسرائيل ثم استنبئ واللام كما في قوله *رأيت الوليد بن اليزيد مباركا* وقرأ حمزة والكسائي والليسع تشبيها بالمنقول من ليسع من اللسع ﴿ وذا الكفل ﴾ ابن عم يسع اوبشر بن ايوب واختلف في نبوته ولقبه فقيل فر اليه مائة نبي من بني اسرائيل من القتل فآواهم وكفلهم وقيل كفل بعمل رجل صالح كان يصلي كل يوم مائة صلاة ﴿ وكل ﴾ اى وكلهم ﴿ من الاخيار هذا ﴾ اشارة الى ماتقدم من امورهم ﴿ ذكر ﴾ شرف لهم اونوع من الذكر وهو القرآن ثم شرع في بيان ما اعدلهم ولامثالهم فقال ﴿ وان للمتقين لحسن مآب ﴾ مرجع

فليس لهم ذكرى غيرها وقيل نزعنا من قلوبهم حب الدنيا وذكراها وأخلصناهم بحب الآخرة وذكراها وقيل كانوا يدعون الى الآخرة والى الله تعالى وقيل أخلصوا بخوف الآخرة وهو الخوف الدائم في القلب وقيل أخلصناهم بافضل ما في الآخرة ﴿ وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار ﴾ يعني من الذين اختارهم الله تعالى واتخذهم صفوة وصفاهم من الادناس والاكدار ﴿ واذكر اسمعيل واليسع وذا الكفل ﴾ أي اذكرهم بفضلهم وصبرهم لتسلك طريقهم ﴿ وكل من الاخيار ﴾ * قوله عز وجل ﴿ هذا ذكر ﴾ أي الذي يتلى عليكم ذكر وقيل شرف وقيل جميل تذكرون به ﴿ وان للمتقين لحسن مآب ﴾ أي حسن مرجع ومنقلب يرجعون وينقلبون اليه في الآخرة

يقول بخالصة ذكر الله وذكر الآخرة (وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار) المختارين في الدنيا بالنبوة والاسلام الاخيار عند الله يوم القيامة (واذكر اسمعيل واليسع) ابن عم الياس (وذا الكفل) الذي كفل وضمن أشياء لقوم فوفاها ويقال تكفل لله بشئ فوفاه ويقال كفل مائة نبي فكان يطعمهم حتى نجاهم الله من القتل وكان رجلا صالحا ولم يكن نبيا (وكل) كل هؤلاء (من الاخيار) عند الله (هذا ذكر) ذكر الصالحين ويقال في هذا القرآن خبر الاولين والآخرين (وان للمتقين) الكفر والشرك والفواحش (لحسن مآب) مرجع في الآخرة ثم بين مستقرهم في الآخرة فقال

فقال (جنات عدن) بدل من حسن مآب (مفتحة) حال من جنات لانها معرفة لاضافتها الى عدن وهو علم والعامل فيها ما فى للمتقين من معنى الفعل (لهم الابواب) ارتفاع الابواب بانها فاعل مفتحة والعائد محذوف أى مفتحة لهم الابواب منها فحذف كما حذف فى قوله فان الجحيم هى المأوى أى لهم أو أبوابها الا ان الاول أجود أو هى بدل من الضمير فى مفتحة وهو ضمير الجنات تقديره مفتحة هى الابواب وهو من بدل الاشتمال (متكئين) حال من المجرور فى لهم والعامل مفتحة (فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب) أى وشراب كثير فحذف اكتفاء بالاول (وعندهم قاصرات الطرف) أى قصرن طرفهن على أزواجهن (أتراب) لدات اسنانهن كاسنانهم لان التحاب بين الاقران أثبت كأن اللدات سمين أترابا لان التراب مسهن فى وقت واحد (هذا ما توعدون) وبالياء مكى وأبو عمرو (ليوم الحساب) أى ليوم تجزى كل نفس بما عملت (أن هذا لرزقنا ماله من نفاد) من انقطاع والجملة حال من الرزق والعامل الاشارة (هذا) خبر والمبتدا محذوف أى الامر هذا أو هذا كما ذكر (وان للطاغين لشر مآب) مرجع (جهنم) بدل منه (يصلونها) يدخلونها (فبئس المهاد) شبه ما تحتهم من النار بالمهاد الذى يفترشه

﴿ جنات عدن ﴾ عطف بيان لحسن مآب وهو من الاعلام الغالبة لقوله جنات عدن التى وعد الرحمن عباده وانتصب عنها ﴿ مفتحة لهم الابواب ﴾ على الحال والعامل فيها ما فى للمتقين من معنى الفعل وقرئتا مرفوعتين على الابتداء والخبر او انهما خبران لمحذوف ﴿ متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب ﴾ حالان متعاقبان او متداخلان من الضمير فى لهم لامن المتقين للفصل والاظهر ان يدعون استئناف لبيان حالهم فيها ومتكئين حال من ضميره والاقتصار على الفاكهة للاشعار بان مطاعمهم لمحض التلذذ فان التغذى للتحلل ولا تحلل ثمة ﴿ وعندهم قاصرات الطرف ﴾ لا ينظرن الى غير ازواجهن ﴿ اتراب ﴾ لدات لهم فان التحاب بين الاقران اثبت او بعضهن لبعض لا عجوز فيهن ولا صبية واشتقاقه من التراب فانه يمسهم فى وقت واحد ﴿ هذا ما توعدون ليوم الحساب ﴾ لاجله فان الحساب علة الوصول الى الجزاء وقرأ ابن كثير وابو عمرو بالياء ليوافق ماقبله ﴿ ان هذا لرزقنا ماله من نفاد ﴾ انقطاع ﴿ هذا ﴾ اى الامر هذا او هذا كما ذكر اوخذ هذا ﴿ وان للطاغين لشر مآب جهنم ﴾ اعرابه ماسبق ﴿ يصلونها ﴾ حال من جهنم ﴿ فبئس المهاد ﴾ المهد والفرش مستعار من فراش النائم والمخصوص بالذم محذوف وهو جهنم

ثم ذكر ذلك فقال تعالى ﴿ جنات عدن مفتحة لهم الابواب ﴾ قيل تفتح أبوابها لهم بغير فتح لها بيد بل بالامر يقال لها انفتحى انغلقى ﴿ متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب وعندهم قاصرات الطرف أتراب ﴾ أى مستويات الاسنان والشباب والحسن بنات ثلاث وثلاثين سنة وقيل متآخيات لا يتباغضن ولا يتغايرن ولا يتحاسدن ﴿ هذا ما توعدون ليوم الحساب ﴾ أى قيل للمؤمنين هذا ما توعدون أو قيل هذا ما يوعد به المتقون ﴿ ان هذا لرزقنا ماله من نفاد ﴾ أى دائم ماله من نفاد وانقطاع بل هو دائم كلما أخذ منه شئ عاد مثله فى مكانه * قوله تعالى ﴿ هذا ﴾ أى الامر الذى ذكرناه ﴿ وان للطاغين ﴾ يعنى الكافرين ﴿ لشر مآب ﴾ يعنى لشر مرجع يرجعون اليه ثم بينه فقال تعالى ﴿ جهنم يصلونها ﴾ أى يدخلونها ﴿ فبئس المهاد ﴾ أى الفراش

(جنات عدن) معدن الانبياء والصالحين (مفتحة لهم الابواب) يوم القيامة (متكئين فيها) جالسين على السرر فى الحجال ناعمين فى الجنة (يدعون فيها) يسألون فى الجنة (بفاكهة) بألوان الفاكهة (كثيرة وشراب) وألوان (قا و خا ٣٧ مس) الشراب (وعندهم) فى الجنة جوار (قاصرات الطرف) غاضات العين قانعات بأزواجهن (أتراب) مستويات فى السن والميلاد يقول الله لهم (هذا ما توعدون) اذ أنتم فى الدنيا (ليوم الحساب) يوم القيامة (ان هذا لرزقنا) اطعامنا ونعيمنا لهم (ماله من نفاد) من فناه ولا انقطاع (هذا) للمؤمنين (وان للطاغين) للكافرين أبى جهل وأصحابه (لشر مآب) مرجع فى الآخرة (جهنم يصلونها) يدخلونها يوم القيامة (فبئس المهاد) الفراش والقرار

الناس (هذا فليذوقوه حميم وغساق) أي هذا حميم وغساق فليذوقوه فهذا مبتدأ وحميم خبره وغساق عطف على الخبر فليذوقوه اعتراض أو العذاب هذا فليذوقوه ثم ابتدأ فقال هو حميم وغساق بالتشديد حمزة وعلي وحفص والغساق بالتشديد والتخفيف مايغسق من صديد أهل النار يقال غسقت العين اذا سال دمعها وقيل الحميم يحرق بحره والغساق يحرق ببرده (وآخر) أي وعذاب آخر أو مذوق آخر (من شكله) من مثل العذاب المذكور وأخر بصري أي ومذوقات اخر من شكل هذا المذوق

في الشدة والفظاعة (أزواج) صفة لآخر لانه يجوز ان يكون ضروبا (هذا فوج مقتحم معكم) هذا جمع كثيف قد اقتحم معكم النار أي دخل النار في صحبتكم والاقتحام الدخول في الشئ بشدة والقحمة الشدة وهذه حكاية كلام الطاغين بعضهم مع بعض أي يقولون هذا والمراد بالفوج أتباعهم الذين اقتحموا معهم الضلالة فيقتحمون معهم العذاب (لامرحبا بهم) دعاء منهم على أتباعهم تقول لمن تدعوله مرحبا أي أتيت رحبا من البلاد لاضيقا أورحبت بلادك رحبا ثم تدخل عليه لا في دعاء السوء وبهم بيان للمدعو عليهم (انهم صالوا النار) أي داخلوها وهو تعليل لاستيجابهم الدعاء عليهم وقيل هذا فوج مقتحم معكم كلام الخزنة لرؤساء الكفرة في أتباعهم ولامرحبا بهم انهم صالوا النار كلام الرؤساء وقيل هذا (أتيت)
كله كلام الخزنة (قالوا) أي الاتباع (بل أنتم لامرحبا بكم) أي الدعاء

لقوله لهم من جهنم مهاد ﴿ هذا فليذوقوه ﴾ اى ليذوقوا هذا فليذوقوه اوالعذاب هذا فليذوقوه ويجوز ان يكون مبتدأ خبره ﴿ حميم وغساق ﴾ وهو على الاولين خبر محذوف اى هو حميم والغساق مايغسق من صديد اهل النار من غسقت العين اذا سال دمعها وقرأ حفص وحمزة والكسائي وغساق بتشديد السين ﴿ وآخر ﴾ اى مذوق اوعذاب آخر وقرأ البصريان واخر اى ومذوقات او انواع عذاب اخر ﴿ من شكله ﴾ من مثل هذا المذوق اوالعذاب في الشدة وتوحيد الضمير على انه لما ذكر اوللشراب الشامل للحميم والغساق اوللغساق وقرئ بالكسر وهي لغة ﴿ ازواج ﴾ اجناس خبر لآخر اوصفة له اوللثلاثة اومرتفع بالجار والخبر محذوف مثل لهم ﴿ هذا فوج مقتحم معكم ﴾ حكاية ماقال للرؤساء الطاغين اذا دخلوا النار واقتحمها معهم فوج تبعهم في الضلال والاقتحام ركوب الشدة والدخول فيها ﴿ لامرحبا بهم ﴾ دعاء من المتبوعين على اتباعهم اوصفة لفوج او حال منه اى مقولا فيهم لامرحبا اى ماأتوابهم رحبا وسعة ﴿ انهم صالوا النار ﴾ داخلون النار باعمالهم مثلنا ﴿ قالوا ﴾ اى الاتباع للرؤساء ﴿ بل انتم لامرحبا بكم ﴾ بل انتم احق

﴿ هذا فليذوقوه حميم وغساق ﴾ معناه هذا حميم وهو الماء الحار وغساق قال ابن عباس هو الزمهرير يحرقهم ببرده كما تحرقهم النار بحرها وقيل هو مايسيل من القيح والصديد من جلود أهل النار ولحومهم وفروج الزناة وقيل الغساق عين في جهنم وقيل هو البارد المنتن والمعنى هذا حميم وغساق فليذوقوه ﴿ وآخر من شكله ﴾ أي مثل الحميم والغساق ﴿ أزواج ﴾ أي أصناف أخر من العذاب ﴿ هذا فوج مقتحم معكم ﴾ قال ابن عباس هو أن القادة اذا دخلوا النار ثم دخل بعدهم الاتباع قالت الخزنة للقادة هذا فوج يعني جماعة الاتباع مقتحم معكم النار أي داخلوها كما دخلتموها أنتم قيل انهم يضربون بالمقامع حتى يقتحموها بانفسهم خوفا من تلك المقامع قالت القادة ﴿ لامرحبا بهم ﴾ أي الاتباع ﴿ انهم صالوا النار ﴾ أي داخلوها كما صليناها نحن ﴿ قالوا ﴾ أي قال الاتباع للقادة ﴿ بل أنتم لامرحبا بكم ﴾ أي لارحبت بكم الارض والعرب تقول مرحبا وأهلا وسهلا أي

لهم النار (هذا) للكافرين (فليذوقوه) عذاب جهنم (حميم) ماء حار قد انتهى حره (وغساق) زمهرير يحرقهم كما تحرقهم النار (وآخر من شكله) من نحو الحميم والغساق (أزواج) ألوان العذاب فيدخلهم الله النار الاول فالاول فكلما دخلت أمة لعنت أختها التي دخلت قبلها فيقول الله لاول أمة دخلت النار (هذا فوج) جماعة (مقتحم) داخل (معكم) النار فيقول أول الامة لآخر الامة (لامرحبا بهم) لاوسع الله عليهم (انهم صالوا النار) داخلوا النار (قالوا) آخر الامة (بل أنتم لامرحبا بكم)

الذى دعوتم به علينا أنتم أحق به وعللوا ذلك بقوله (أنتم قدمتموه لنا) والضمير للعذاب أو لصليهم أى انكم دعوتمونا اليه فكفرنا باتباعكم (فبئس القرار) أى النار (قالوا) أى الاتباع (ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا) أى مضاعفا (فى النار) ومعناه ذا ضعف ونحوه قوله

فآتهم عذابا ضعفا وهوان يزيد على عذابه مثله (وقالوا) الضمير لرؤساء الكفرة (مالنا لانرى رجالا) يعنون فقراء المسلمين (كنا نعدهم) فى الدنيا (من الاشرار) من الارازل الذين لاخير فيهم ولا جدوى (اتخذناهم سخريا) بلفظ الاخبار عراقى غير عاصم على انه صفة لرجالا مثل كنا نعدهم من الاشرار وبهمزة الاستفهام غيرهم على انه انكار على أنفسهم فى الاستسخار منهم سخريا مدنى وحمزة وعلى وخلف والمفضل (أم زاغت) مالت (عنهم الابصار) هو متصل بقوله مالنا أى مالنا لانراهم فى النار كانهم ليسوا فيها بل أزاغت عنهم أبصارنا فلانراهم وهم فيها قسموا أمرهم بين ان يكونوا من أهل الجنة وبين ان يكونوا من أهل النار الا انه خفى عليهم مكانهم (ان ذلك) الذى حكيناعنهم (لحق) لصدق كائن لامحالة لابد

بما قلتم اوقيل لنا لضلالكم واضلالكم كما قالوا ﴿ انتم قدمتموه لنا ﴾ قدمتم العذاب او الصلى لنا باغوائنا واغرائنا على ماقدمناه من العقائد الزائغة والاعمال القبيحة ﴿ فبئس القرار ﴾ فبئس المقر جهنم ﴿ قالوا ﴾ اى الاتباع ايضا ﴿ ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا فى النار ﴾ مضاعفا اى ذا ضعف وذلك ان يزيد على عذابه مثله فيصير ضعفين كقوله ربنا آتهم ضعفين من العذاب ﴿ وقالوا ﴾ اى الطاغون ﴿ مالنا لانرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار ﴾ يعنون فقراء المسلمين الذين يسترذلونهم ويسخرون بهم ﴿ اتخذناهم سخريا ﴾ صفة اخرى لرجالا وقرأ الحجازيان وابن عامر وعاصم بهمزة الاستفهام على انه انكار على انفسهم وتأنيب لها فى الاستسخار منهم وقرأ نافع وحمزة والكسائى سخريا بالضم وقدسبق مثله فى المؤمنين ﴿ أم زاغت ﴾ مالت ﴿ عنهم الابصار ﴾ فلا نراهم وام معادلة لما لنا لانرى على ان المراد نفى رؤيتهم لغيبتهم كانهم قالوا ليسوا ههنا ام زاغت عنهم ابصارنا اولاتخذناهم على القراءة الثانية بمعنى اى الامرين فعلنابهم الاستسخار منهم ام تحقيرهم فان زيغ الابصار كناية عنه على معنى انكارهم على انفسهم اومنقطعة والمراد الدلالة على ان استرذالهم والاستسخار منهم كان لزيغ ابصارهم وقصور انظارهم على رثاثة حالهم ﴿ ان ذلك ﴾ اى الذى حكيناعنهم ﴿ لحق ﴾

أتيت رحبا وسعة ﴿ أنتم قدمتموه لنا ﴾ يعنى وتقول الاتباع للقادة أنتم بدأتم بالكفر قبلنا وشرعتموه لنا وقيل معناه أنتم قدمتم لنا هذا العذاب بدعائكم ايانا الى الكفر ﴿ فبئس القرار ﴾ أى فبئس دار القرار جهنم ﴿ قالوا ﴾ يعنى الاتباع ﴿ ربنا من قدم لنا هذا ﴾ أى شرعه وسنه لنا ﴿ فزده عذابا ضعفا فى النار ﴾ أى ضعف عليه العذاب فى النار قال ابن عباس حيات وأفاعى ﴿ وقالوا ﴾ يعنى كفار قريش وصناديدهم وأشرافهم وهم فى النار ﴿ مالنا لانرى رجالا كنا نعدهم ﴾ اى فى الدنيا ﴿ من الاشرار ﴾ يعنون بذلك فقراء المؤمنين مثل عمار وخباب وصهيب وبلال وسلمان وانما سموهم أشرارا لانهم كانوا على خلاف دينهم ﴿ اتخذناهم سخريا أم زاغت عنهم الابصار ﴾ يعنى ان الكفار اذا دخلوا النار نظروا فلم يروا فيها الذين كانوا يسخرون منهم فقالوا مالنا لانرى هؤلاء الذين اتخذناهم سخريا لم يدخلوا معنا النار أم دخلوها فزاغت عنهم الابصار أى أبصارنا فلم نرهم حين دخلوا وقيل معناه أم هم فى النار ولكن احتجبوا عن أبصارنا وقيل معناه أم كانوا خيرا منا ونحن لانعلم فكانت أبصارنا تزيغ عنهم فى الدنيا فلانعدهم شيأ ﴿ ان ذلك ﴾ اى الذى ذكر ﴿ لحق ﴾

لاوسع الله عليكم (أنتم قدمتموه) شرعتموه (لنا) هذا الدين فاقتدينا بكم (فبئس القرار) المنزل لنا ولكم (قالوا) الاول والآخر (ربنا) يا ربنا (من قدم لنا) من شرع لنا (هذا) الدين يعنون ابليس وسائر الرؤساء (فزده عذابا ضعفا فى النار) مما علينا (وقالوا مالنا لانرى) فى النار (رجالا) يعنون فقراء المؤمنين (كنا نعدهم من الاشرار) من السفلة والفقراء (اتخذناهم سخريا) سخرناهم فى الدنيا (أم زاغت) مالت (عنهم الابصار) أبصارنا فلانراهم (ان ذلك) الذى ذكرت من خبر أهل النار (لحق)

ان يتكلموا به ثم بين ماهو فقال هو (تخاصم أهل النار) ولما شبه تقاولهم وما يجرى بينهم من السؤال والجواب بما يجرى بين المتخاصمين سماه تخاصما ولان قول الرؤساء لامرحبا بهم وقول اتباعهم بل أنتم لامرحبا بكم من باب الخصومة فسمى التقاول كله تخاصما لاشتماله على ذلك (قل) يامحمد لمشركى مكة (انما أنا منذر) ما أنا الا رسول منذر أنذركم عذاب الله تعالى (ومامن اله الا الله) وأقول لكم ان دين الحق توحيد الله

وان تعتقدوا أن لا اله الا الله (الواحد) بلا ند ولا شريك (القهار) لكل شئ (رب السموات والارض وما بينهما) له الملك والربوبية فى العالم كله (العزيز) الذى لايغلب اذا عاقب (الغفار) لذنوب من التجأ اليه (قل هو) أى هذا الذى أنبأتكم به من كونى رسولا منذرا وان الله واحد لاشريك له (نبأ عظيم) لايعرض عن مثله الا غافل شديد الغفلة ثم (أنتم عنه معرضون) غافلون (ما كان لى) حفص (من علم بالملأ الاعلى اذ يختصمون) احتج لصحة نبوته بان ما ينبئ به عن الملأ الاعلى واختصامهم أمر ما كان له به من علم قط ثم علمه ولم يسلك الطريق الذى يسلكه الناس فى علم مالم يعلموا وهو الاخذ

لا بد ان يتكلموا به ثم بين ماهو فقال ﴿ تخاصم اهل النار ﴾ وهو بدل من حق او خبر محذوف * وقرئ بالنصب على البدل من ذلك ﴿ قل ﴾ يامحمد للمشركين ﴿ انما انا منذر ﴾ انذركم عذاب الله ﴿ ومامن اله الا الله الواحد ﴾ الذى لايقبل الشركة والكثرة فى ذاته ﴿ القهار ﴾ لكل شئ ﴿ رب السموات والارض وما بينهما ﴾ منه خلقها واليه امرها ﴿ العزيز ﴾ الذى لايغلب اذا عاقب ﴿ الغفار ﴾ الذى يغفر مايشاء من الذنوب لمن يشاء وفى هذه الاوصاف تقرير للتوحيد ووعد ووعيد للموحدين والمشركين وتثنية مايشعر بالوعيد وتقديمه لان المدعو به هو الانذار ﴿ قل هو ﴾ اى ما انبأتكم به من انى نذير من عقوبة من هذا صفته وانه واحد فى الوهيته وقيل مابعده من نبأ آدم عليه السلام ﴿ نبأ عظيم انتم عنه معرضون ﴾ لتمادى غفلتكم فان العاقل لايعرض عن مثله كيف وقد قامت عليه الحجج الواضحة اما على التوحيد فما مر واما على النبوة فقوله ﴿ ما كان لى من علم بالملأ الاعلى اذ يختصمون ﴾ فان اخباره عن تقاول الملائكة وما جرى بينهم على ماوردت فى الكتب المتقدمة من غير سماع ومطالعة كتاب لايتصور الا بالوحى واذ

ثم بين ذلك فقال تعالى ﴿ تخاصم أهل النار ﴾ أى فى النار وانما سماه تخاصما لان قول القادة للاتباع لامرحبا بهم وقول الاتباع للقادة بل أنتم لامرحبا بكم من باب الخصومة * قوله عز وجل ﴿ قل ﴾ أى يامحمد لمشركى مكة ﴿ انما أنا منذر ﴾ أى مخوف ﴿ ومامن اله الا الله الواحد ﴾ يعنى الذى لاشريك له فى ملكه ﴿ القهار ﴾ أى الغالب وفيه اشعار بالترهيب والتخويف ثم أردفه بمايدل على الرجاء والترغيب فقال تعالى ﴿ رب السموات والارض ومابينهما العزيز الغفار ﴾ فكونه ربا يشعر بالتربية والاحسان والكرم والجود وكونه غفارا يشعر بأنه يغفر الذنوب وان عظمت ويرحم ﴿ قل هو نبأ عظيم ﴾ يعنى القرآن قاله ابن عباس وقيل يعنى القيامة ﴿ أنتم عنه معرضون ﴾ أى لاتتفكرون فيه فتعلمون صدقى فى نبوتى وان ماجئت به لم أعلمه الا بوحى من الله تعالى ﴿ ما كان لى من علم بالملأ الاعلى ﴾ يعنى الملائكة ﴿ اذ يختصمون ﴾ يعنى فى شأن آدم حين قال الله تعالى انى جاعل فى الارض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء فان قلت كيف يجوز ان يقال ان الملائكة اختصموا بسبب قولهم أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء والمخاصمة مع الله تعالى لاتليق ولا تمكن قلت لاشك انه جرى هناك سؤال وجواب وذلك يشبه المخاصمة والمناظرة

صدق (تخاصم أهل النار) كلام أهل النار بالخصومة بعضهم مع بعض (قل) يامحمد لاهل مكة (انما انا منذر) رسول مخوف (ومامن اله الا الله الواحد) بلا ولد ولا شريك (القهار) الغالب على خلقه (رب السموات) خالق السموات (والارض ومابينهما) من الخلق والعجائب (العزيز) هو العزيز بالنقمة لمن لايؤمن به (الغفار) لمن تاب وآمن به (قل) يامحمد (هو) يعنى القرآن (نبأ) خبر (عظيم) كريم شريف فيه خبر الاولين والآخرين (أنتم عنه معرضون) مكذبون به تاركون له (ما كان لى من علم بالملأ الاعلى) يعنى الملائكة لو لم أكن رسولا (اذ يختصمون) اذ يتكلمون حين قالوا أتجعل فيها من

ظرف لعلم ومتعلق به اومحذوف اذالتقدير من علم بكلام الملأ الاعلى ﴿ ان يوحى الى الا انما انا نذير مبين ﴾ اى لانما كأنه لما جوز انالوحى يأتيه بين بذلك ماهو المقصود به تحقيقا لقوله انما انا منذر ويجوز ان يرتفع باسناد يوحى اليه وقرئ

وهوعلة لجواز المجاز فلهذا السبب حسن اطلاق لفظ المخاصمة ﴿ ان يوحى الى ﴾ أى انما علمت هذه المخاصمة بوحى من الله تعالى الى ﴿ الا انما أنا نذير مبين ﴾ يعنى الا انما أنا نبى أنذركم وأبين لكم ماتأتونه وتجتنبونه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتانى ربى فى أحسن صورة قال أحسبه قال فى المنام فقال يامحمد هل تدرى فيم يختصم الملأ الاعلى قلت لاقال فوضع يده بين كتفى حتى وجدت بردها بين ثديى أوقال فى نحرى فعلمت مافى السموات ومافى الارض قال يامحمد هل تدرى فيم يختصم الملأ الاعلى قلت نعم فى الكفارات والكفارات المكث فى المساجد بعد الصلوات والمشى على الاقدام الى الجماعات واسباع الوضوء على المكاره ومن فعل ذلك عاش بخير ومات بخير وخرج من خطيئته كيوم ولدته أمه وقال يامحمد اذا صليت فقل اللهم انى أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين واذا أردت بعبادك فتنة فاقبضنى اليك غير مفتون قال والدرجات افشاء السلام واطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام وفى رواية فقلت لبيك وسعديك فى المرتين وفيها فعلمت مابين المشرق والمغرب خراجه الترمذى وقال حديث حسن غريب

﴿ فصل فى الكلام على معنى هذا الحديث ﴾

وللعلماء فى هذا الحديث وفى أمثاله من أحاديث الصفات مذهبان أحدهما وهو مذهب السلف امراره كما جاء من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل والايمان به من غير تأويل له والسكوت عنه وعن أمثاله مع الاعتقاد بان الله تعالى ليس كمثله شئ وهو السميع البصير المذهب الثانى هو تأويل الحديث وقبل الكلام على معنى الحديث نتكلم على اسناده فنقول قال البيهقى هذا حديث مختلف فى اسناده فرواه زهير بن محمد عن يزيد بن يزيد عن جابر عن خالد بن الحلاج عن عبد الرحمن بن عائش عن رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورواه جهضم بن عبد الله عن يحيى بن أبى كثير عن زيد بن سلام عن عبد الرحمن بن عائش الحضرمى عن مالك بن عامر عن معاذ بن جبل عن النبى صلى الله عليه وسلم ورواه موسى بن خلف العمى عن يحيى عن زيد عن جده ممطور وهو أبو سلام عن ابن السكسكى عن مالك بن يخامر وقيل فيه غير ذلك ورواه أبو أيوب عن قلابة عن ابن عباس وقال فيه احسبه قال فى المنام ورواه قتادة عن أبى قلابة عن خالد بن الحلاج عن ابن عباس قال البخارى عبد الرحمن بن عائش الحضرمى له حديث واحد الا انهم يضطربون فيه وهو حديث الرؤية قال البيهقى وقد روى من طرق كلها ضعيف وفى ثبوته نظر وأحسن طريق فيه رواية جهضم بن عبد الله ثم رواية موسى بن خلف وفيهما مايدل على ان ذلك كان فى المنام فاما تأويله فان الصورة هى التركيب والمصور هو المركب ولا يجوز أن يكون البارى تبارك وتعالى مصورا ولا ان يكون له صورة لأن الصور مختلفة والهيآت متضادة ولا يجوز اضافة ذلك اليه سبحانه

من أهل العلم وقراءة الكتب فعلم أن ذلك لم يحصل له الا بالوحى من الله تعالى (ان يوحى الى الا انما أنا نذير مبين) أى لانما أنا نذير مبين ومعناه مايوحى الى الا للانذار فحذف اللام وانتصب بافضاء الفعل اليه ويجوز ان يرتفع على معنى مايوحى الى الا هذا وهو ان أنذر وأبلغ ولا أفرط فى ذلك أى ماأومر الى بهذا الامر وحده وليس لى غير ذلك وبكسر انما يزيد على الحكاية أى الا هذا القول وهو ان أقول لكم انما أنا نذير مبين ولا أدعى شيا آخر وقيل النبأ

يفسد فيها الآية (ان يوحى) مايوحى (الى الا انما أنا نذير) رسول مخوف (مبين) بلغة تعلمونها ثم بين خصومة

انا بالكسر على الحكاية ﴿ اذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من طين ﴾ بدل من اذ يختصمون مبين له فان القصة التى دخلت اذ عليها مشتملة على تقاول الملائكة وابليس فى خلق آدم عليه السلام واستحقاقه للخلافة والسجود على ما مر فى البقرة غير انها اختصرت اكتفاء بذلك واقتصارا على ماهو المقصود منها وهو انذار المشركين على استكبارهم على النبى صلى الله عليه وسلم بمثل ما حاق ابليس على استكباره على آدم عليه السلام هذا ومن الجائز ان يكون مقاولة الله تعالى اياهم بواسطة ملك وان يفسر الملأ الاعلى بما يعم الله تعالى والملائكة ﴿ فاذا سويته ﴾ عدلت خلقته ﴿ ونفخت فيه من روحى ﴾ واحييته بنفخ الروح فيه واضافته الى نفسه لشرفه وطهارته ﴿ فقعوا له ﴾ فخروا له ﴿ ساجدين ﴾ تكرمة وتبجيلا له وقدس

وتعالى فاستحال أن يكون مصورا وهو الخالق البارئ المصور فقوله أتانى ربى فى أحسن صورة يحتمل وجهين أحدهما وأنا فى أحسن صورة كانه زاده جمالا وكمالا وحسنا عند رؤيته وفائدة ذلك تعريفه لنا ان الله تعالى زين خلقته وحسن صورته عند رؤيته لربه وانما التغيير وقع بمد ذلك لشدة الوحى وثقله الوجه الثانى ان الصورة بمعنى الصفة ويرجع ذلك الى الله تعالى والمعنى انه رآه فى أحسن صفاته من الانعام عليه والاقبال والاتصال اليه وانه تلقاه بالاكرام والاعظام والاجلال وقد يقال فى صفات الله تعالى انه جميل ومعناه أنه مجمل فى أفعاله وذلك نوع من الاحسان والاكرام فذلك من حسن صفة الله تعالى وقد يكون حسن الصورة أيضا يرجع الى صفاته العلية من التناهى فى العظمة والكبرياء والعلو والعز والرفعة حتى لا منتهى ولا غاية وراءه ويكون معنى الحديث على هذا تعريفنا ما تزايد من معارفه صلى الله عليه وسلم عند رؤية ربه عز وجل فاخبر عن عظمته وعزته وكبريائه وبهائه وبعده عن شبه الخلق وتنزيهه عن صفات النقص وانه ليس كمثله شئ وهو السميع البصير * وقوله صلى الله عليه وسلم فوضع يده بين كتفى حتى وجدت بردها بين ثديى فتأويله ان المراد باليد النعمة والمنة والرحمة وذلك شائع فى لغة العرب فيكون معناه على هذا الاخبار باكرام الله تعالى اياه وانعامه عليه بان شرح صدره ونور قلبه وعرفه ما لا يعرفه احد حتى وجد برد النعمة والمعرفة فى قلبه وذلك لما نور قلبه وشرح صدره فعلم ما فى السموات وما فى الارض باعلام الله تعالى اياه وانما أمره اذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون اذ لا يجوز على الله تعالى ولا على صفات ذاته مماسة أو مباشرة أو نقص وهذا هو أليق بتنزيهه وحمل الحديث عليه واذا حملنا الحديث على المنام وان ذلك كان فى المنام فقد زال الاشكال وحصل الغرض ولا حاجة بنا الى التأويل ورؤية البارئ عز وجل فى المنام على الصفات الحسنة دليل على البشارة والخير والرحمة للرائى وسبب اختصام الملأ الاعلى وهم الملائكة فى الكفارات وهى الخصال المذكورة فى الحديث فى أيها أفضل وسميت هذه الخصال كفارات لانها تكفر الذنوب عن فاعلها فهى من باب تسمية الشئ باسم لازمه وانما سماه مخاصمة لانه ورد مورد سؤال وجواب وذلك يشبه المخاصمة والمناظرة فلهذا السبب حسن اطلاق لفظ المخاصمة عليه والله تعالى أعلم * قوله عز وجل ﴿ اذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من طين ﴾ يعنى آدم ﴿ فاذا سويته ﴾ أى أتممت خلقه ﴿ ونفخت فيه من روحى ﴾ أضاف الروح الى نفسه اضافة ملك على سبيل التشريف كبيت الله وناقة الله ولان الروح جوهر شريف قدسى يسرى فى بدن الانسان سريان الضوء فى الفضاء وكسريان النار فى الفحم ﴿ فقعوا له ساجدين

العظيم قصص آدم والانباء به من غير سماع من أحد وعن ابن عباس رضى الله عنهما القرآن وعن الحسن يوم القيامة والمراد بالملأ الاعلى أصحاب القصة الملائكة وآدم وابليس لانهم كانوا فى السماء وكان التقاول بينهم واذ يختصمون متعلق بمحذوف اذ المعنى ما كان لى من علم بكلام الملأ الاعلى وقت اختصامهم (اذ قال ربك) بدل من اذ يختصمون أى فى شأن آدم حين قال تعالى على لسان ملك (للملائكة انى خالق بشرا من طين) وقال انى جاعل فى الارض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها (فاذا سويته) فاذا أتممت خلقته وعدلته (ونفخت فيه من روحى) الذى خلقته وأضافه اليه تخصيصا كبيت الله وناقة الله والمعنى أحييته وجعلته حساسا متنفسا (فقعوا) أمر من وقع يقع أى اسقطوا على الارض والمعنى اسجدوا (له ساجدين) قيل كان انحناء يدل على التواضع وقيل كان سجدة لله أو كان سجدة التحية

الملائكة فقال اذكر يا محمد لهم (اذ قال) قد قال (ربك للملائكة انى خالق بشرا من طين) يعنى آدم (فاذا سويته) جمعت خلقه (ونفخت فيه من روحى) جعلت الروح فيه (فقعوا له) فخروا له (ساجدين (فسجد

﴿ فسجد الملائكة كلهم أجمعون ﴾ كل للاحاطة وأجمعون للاجتماع فافاد انهم سجدوا عن آخرهم جميعهم فى وقت واحد غير متفرقين فى أوقات (الا ابليس استكبر) تعظم عن السجود (وكان من الكافرين) وصار من الكافرين باباه الامر (قال يا ابليس ما منعك أن تسجد) ما منعك عن السجود (لما خلقت بيدى) أى بلا واسطة امتثالا لامرى واعظاما لخطابى وقد مر ان ذا اليدين يباشر اكثر اعماله بيده فغلب العمل باليدين على سائر الاعمال التى تباشر بغيرهما حتى قيل فى عمل القلب هو ما عملت يداك وحتى قيل لمن لا يدين له يداك اوكتا وفوك نفخ وحتى لم يبق فرق بين قولك هذا مما عملته وهذا مما عملته يداك ومنه قوله مما عملت ايدينا ولما خلقت بيدى (استكبرت) استفهام انكار (ام كنت من العالمين) ممن علوت وفقت وقيل استكبرت الآن أم لم تزل مذ كنت من المستكبرين (قال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين) يعنى لو كان مخلوقا من نار لما سجدت له لانه مخلوق مثلى فكيف اسجد لمن هو دونى لانه من طين والنار تغلب الطين وتأكله وقد جرت الجملة الثانية من الاولى وهى خلقتنى من نار مجرى المعطوف عطف البيان والايضاح (قال فاخرج منها) من الجنة أو من السموات أو من الخلقة التى أنت فيها لانه كان يفتخر بخلقته فغير الله خلقته واسود بعدما كان أبيض وقبح بعدما كان حسنا وأظلم بعدما كان

الكلام فيه فى البقرة ﴿ فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس استكبر ﴾ تعظم ﴿ وكان ﴾ وصار ﴿ من الكافرين ﴾ باستكباره امر الله تعالى واستنكافه عن المطاوعة اوكان منهم فى علم الله تعالى ﴿ قال يا ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدى ﴾ خلقته بنفسى من غير توسط كاب وام والتثنية لما فى خلقه من مزيد القدرة واختلاف الفعل * وقرئ على التوحيد وترتيب الانكار عليه للاشعار بانه المستدعى للتعظيم او بانه الذى تشبث به فى تركه سجوده وهو لا يصلح للمانعية اذ للسيد ان يستخدم بعض عبيده لبعض سيما وله مزيد اختصاص ﴿ أستكبرت أم كنت من العالمين ﴾ تكبرت من غير استحقاق او كنت ممن علا واستحق التفوق وقيل استكبرت الآن ام لم تزل كنت من المستكبرين * وقرئ استكبرت بحذف الهمزة لدلالة ام عليها او بمعنى الاخبار ﴿ قال أنا خير منه ﴾ ابداء للمانع وقوله ﴿ خلقتنى من نار وخلقته من طين ﴾ دليل عليه وقد سبق الكلام فيه ﴿ قال فاخرج منها ﴾ من الجنة او السماء او من صورة الملائكة

فسجد الملائكة كلهم أجمعون الا ابليس استكبر ﴾ أى تعظم ﴿ وكان من الكافرين قال يا ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدى ﴾ اى توليت خلقه ﴿ استكبرت ﴾ أى تعظمت بنفسك عن السجود له ﴿ ام كنت من العالين ﴾ أى من القوم الذين يتكبرون فتكبرت عن السجود لكونك منهم فاجاب ابليس بقوله ﴿ قال أنا خير منه ﴾ يعنى لو كنت مساويا له فى الشرف لكان يقبح ان اسجد له فكيف وانا خير منه ثم بين كونه خيرا منه فقال ﴿ خلقتنى من نار وخلقته من طين ﴾ والنار اشرف من الطين وأفضل منه واخطأ ابليس فى القياس لان مآل النار الى الرماد الذى لا ينتفع به والطين اصل كل ما هو نام ثابت كالانسان والشجرة المثمرة ومعلوم ان الانسان والشجرة المثمرة خير من الرماد وأفضل وقيل هب ان النار خير من الطين بخاصية فالطين خير منها وأفضل بخواص وذلك مثل رجل شريف نسيب لكنه عار عن كل فضيلة فان نسبه يوجب رجحانه بوجه واحد ورجل ليس بنسيب ولكنه فاضل عالم فيكون أفضل من ذلك النسيب بدرجات كثيرة ﴿ قال فاخرج منها ﴾ أى من الجنة وقيل من السماء وقيل من الخلقة التى كان فيها وذلك لان ابليس تجبر وافتخر بالخلقة فغير الله تعالى خلقته

فسجد الملائكة كلهم أجمعون) لآدم (الا ابليس استكبر) تعظم عن السجود لآدم (وكان من الكافرين) صار من الكافرين باباته عن أمر الله (قال) الله له (يا ابليس) يا خبيث (ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى) صورت بيدى (أستكبرت) عن السجود لآدم (أم كنت من العالين) من المخالفين لامرى (قال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين) فالنار تأكل الطين فلذلك لم أسجد له (قال) الله له (فاخرج منها) من صورة الملائكة ويقال من الارض

نورانيا (فانك رجيم) مرجوم أى مطرود تكبر ابليس أن يسجد لمن خلق من طين وزل عنه ان الله أمر به ملائكته واتبعوا أمره اجلالا لخطابه وتعظيما لامره فصار مرجوما ملعونا بترك أمره (وان عليك لعنتى) بفتح الياء مدنى أى ابعادى من كل الخير (الى يوم الدين) أى يوم الجزاء ولا يظن ان لعنته غايتها يوم الدين ثم تنقطع لان معناه ان عليه اللعنة فى الدنيا وحدها فاذا كان يوم الدين اقترن بها العذاب فينقطع الانفراد ولما كان عليه اللعنة فى أوان الرحمة فاولى ان تكون عليه فى غير أوانها وكيف تنقطع وقد قال الله تعالى فاذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين (قال رب فأنظرنى) فامهلنى (الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم) الوقت المعلوم الوقت الذى تقع فيه النفخة الاولى ويومه اليوم الذى هو وقت النفخة جزء من أجزائه ومعنى المعلوم أنه معلوم عند الله معين لا يتقدم ولا يتأخر (قال فبعزتك لاغوينهم أجمعين) أى أقسم بعزة الله وهى سلطانه وقهره (الا عبادك منهم المخلصين) وبكسر اللام مكى وبصرى وشامى (قال فالحق) بالرفع كوفى غير على على الابتداء أى الحق منى أو على الخبر أى أنا الحق وغيرهم بالنصب على أنه مقسم به كقوله الله لافعلن كذا يعنى حذف عنه الباء فانتصب وجوابه لأملان (والحق أقول) اعتراض بين المقسم به والمقسم عليه وهو منصوب باقول ومعناه ولا أقول الا الحق والمراد بالحق اما اسمه عز وجل الذى فى قوله ان الله هو الحق أو الحق الذى هو نقيض الباطل عظمه الله باقسامه به (لأملان جهنم منك) من جنسك وهم الشياطين (وممن تبعك منهم) من ذرية آدم (أجمعين) أى لأملان جهنم من المتبوعين والتابعين أجمعين لا أترك منهم أحدا (قل)

﴿فانك رجيم﴾ مطرود من الرحمة ومحل الكرامة ﴿وان عليك لعنتى الى يوم الدين قال رب فانظرنى الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم﴾ مر بيانه فى الحجر ﴿قال فبعزتك﴾ فبسلطانك وقهرك ﴿لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين﴾ الذين اخلصهم الله لطاعته وعصمهم من الضلالة او اخلصوا قلوبهم لله تعالى على اختلاف القراءتين ﴿قال فالحق والحق اقول﴾ اى فاحق الحق واقوله وقيل الحق الاول اسم الله تعالى ونصبه بحذف حرف القسم كقوله

ان عليك الله ان تبايعا

وجوابه ﴿ لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين﴾ وما بينهما اعتراض وهو على الاول جواب محذوف والجملة تفسير للحق المقول. وقرأ عاصم وحمزة برفع الاول على الابتداء اى الحق يمينى او قسمى او الخبر اى انا الحق. وقرئا مرفوعين على حذف الضمير من اقول كقوله

فاسود وقبح بعد حسنه ونورانيته ﴿ فانك رجيم ﴾ أى مطرود ﴿ وان عليك لعنتى الى يوم الدين ﴾ فان قلت اذا كان الرجم بمعنى الطرد وكذلك اللعنة لزم التكرار فما الفرق قلت الفرق ان يحمل الرجم على الطرد من الجنة أو السماء وتحمل اللعنة على معنى الطرد من الرحمة فتكون أبلغ وحصل الفرق وزال التكرار فان قلت كلمة الى لانتهاء الغاية وقوله الى يوم الدين يقتضى انقطاع اللعنة عنه عند مجىء يوم الدين قلت معناه ان اللعنة باقية عليه فى الدنيا فاذا كان يوم القيامة زيد له مع اللعنة من انواع العذاب ما ينسى بذلك اللعنة فكانها انقطعت عنه ﴿ قال رب فأنظرنى الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم ﴾ يعنى النفخة الاولى ﴿ قال فبعزتك لاغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين قال فالحق والحق أقول ﴾ أى أنا أقول الحق وقيل الاول قسم يعنى فبالحق وهو الله تعالى أقسم بنفسه ﴿ لأملأن جهنم منك ﴾ أى بنفسك وذريتك ﴿ وممن تبعك منهم أجمعين ﴾ يعنى من بنى آدم

(فانك رجيم) ملعون مطرود من رحمتى وكرامتى (وان عليك لعنتى) عذابى وسخطى ويقال أجلاه الله الى جزائر البحر ولا يدخل فيها الا كهيئة السارق وعليه أطمار يروع فيها (الى يوم الدين) يوم الحساب (قال) ابليس (رب) يارب (فأنظرنى) فاجلنى (الى يوم يبعثون) من القبور أراد الخبيث أن لا يذوق الموت (قال) الله (فانك من المنظرين) المؤجلين (الى يوم الوقت المعلوم) الى النفخة الاولى (قال فبعزتك) فبنعمتك وقدرتك (لاغوينهم) لاضلنهم عن دينك وطاعتك (أجمعين الا عبادك منهم) من بنى آدم (المخلصين) المعصومين منى (قال) الله له (فالحق) يقول انا الحق (والحق) يقول وبالحق (أقول لأملأن جهنم منك) ومن ذريتك (وممن تبعك منهم) من بنى آدم (أجمعين) جميع من أطاعك

(قل ماأسئلكم عليه من اجر) الضمير للقرآن أو للوحى (وماأنامن المتكلفين) من الذين يتصنعون ويتحلون بماليسوا من اهله وماعرفتمونى قط متصنعا ولا مدعيا بماليس عندى حتى انتحل النبوة وأتقول القرآن (ان هو) ماالقرآن (الاذكر) من الله (للعالمين) للثقلين اوحى الى فاناابلغه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم للمتكلف ثلاث علامات ينازع من فوقه ويتعاطى مالاينال ويقول مالايعلم (ولتعلمن نبأه) نبأ القرآن وما فيه من الوعد والوعيد وذكر البعث والنشور (بعدحين) بعد الموت أو يوم بدر اويوم القيامة ختم السورة بالذكر كماافتتحها بالذكر والله الموفق

﴿ سورة الزمر مكية ﴾
﴿ وهى خمس ﴾
﴿ وسبعون آية ﴾

قداصبحت ام الخيار تدعى * على ذنبا كله لم اصنع

ومجرورين على اضمار حرف القسم فى الاول وحكاية لفظ المقسم به فى الثانى للتوكيد وهو شائع فيه اذاشارك الاول وبرفع الاول وجره ونصب الثانى وتخريجه على ماذكرنا والضمير فى منهم للناس اذالكلام فيهم والمراد من منك من جنسك ليتناول الشياطين وقيل للثقلين واجمعين تأكيده اوللضمير ﴿ قل ماأسألكم عليه من اجر ﴾ اى على القرآن اوعلى تبليغ الوحى ﴿ وماانامن المتكلفين ﴾ المتصنعين بماليسوا من اهله على ماعرفتم من حالى فانتحل النبوة واتقول القرآن ﴿ ان هو الاذكر ﴾ عظة ﴿ للعالمين ﴾ للثقلين ﴿ ولتعلمن نبأه ﴾ وهومافيه من الوعدوالوعيد اوصدقه باتيان ذلك ﴿ بعدحين ﴾ بعدالموت اويوم القيامة اوعند ظهورالاسلام وفيه تهديد* وعن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأسورة ص كان له بوزن كل جبل سخره الله لداود عشرحسنات وعصمه ان يصر على ذنب صغير اوكبير

﴿ سورة الزمر مكية الامن قوله قل ياعبادى الذين اسرفوا ﴾
﴿ الى قوله وانتم لاتشعرون وآيها خمس وسبعون اوثنتان وسبعون ﴾

﴿ قل ماأسألكم عليه ﴾ أى على تبليغ الرسالة ﴿ من أجر ﴾ أى جعل ﴿ وماأنامن المتكلفين ﴾ أى المتقولين القرآن من تلقاء نفسى وكل من قال شيأ من تلقاء نفسه فقد تكلف له (ق) عن مسروق قال دخلنا على ابن مسعود فقال ياأيها الناس من علم شيأ فليقل به ومن لم يعلم فليقل الله أعلم فان من العلم ان يقول لمالا يعلم الله أعلم قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم قل ماأسئلكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين لفظ البخارى ﴿ ان هو ﴾ يعنى القرآن ﴿ الا ذكر ﴾ أى موعظة ﴿ للعالمين ﴾ أى للخلق أجمعين ﴿ ولتعلمن ﴾ يعنى أنتم ياأهل مكة ﴿ نبأه ﴾ أى خبر صدقه ﴿ بعدحين ﴾ قال ابن عباس بعدالموت وقيل يوم القيامة وقيل من بقى علم بذلك اذاظهر أمره وعلاومن مات علمه بعدالموت وقال الحسن ابن آدم عندالموت يأتيك الخبراليقين والله تعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿ تفسير سورة الزمر نزلت بمكة الاقوله تعالى قل ياعبادى ﴾
﴿ الذين أسرفوا على أنفسهم وقوله تعالى الله نزل أحسن ﴾
﴿ الحديث وقيل قل ياعبادى الذين آمنوا اتقوا ربكم عوضا عن ﴾
﴿ قوله الله نزل أحسن الحديث وقيل فيها ثلاث آيات مدنيات من ﴾
﴿ قوله قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم الى قوله ﴾
﴿ لاتشعرون وهى اثنتان وقيل خمس وسبعون آية والف ﴾
﴿ ومائة واثنتان وسبعون كلمة واربعة ﴾
﴿ آلاف وتسعمائة وثمانية احرف ﴾

بالدين (قل) يامحمد لاهل مكة (ماأسألكم عليه) على التوحيدوالقرآن (من أجر) من جعل ورزق (وماأنا من المتكلفين) من المختلقين من تلقاء نفسى (ان هو) ماهو يعنى القرآن (الاذكر) عظة (للعالمين) للجن والانس (ولتعلمن نبأه) خبرالقرآن ومافيه من الوعد والوعيد (بعد حين) بعدالايمان ويقال بعدالموت فنهم من علم بعدالايمان وهم المؤمنون ومنهم من علم بعدالموت وهم الكفار أن ما قال الله فى القرآن هو الحق

﴿ ومن السورة التى يذكر (قا و خا ٣٨ مس) فيها الزمر وهى كلها مكية غير قوله قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم الى آخر الآية فانها مدنية آياتها اثنتان وتسعون آية وكلماتها ألف ومائة واثنتان وتسعون وحروفها أربعة آلاف ﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (تنزيل الكتاب) اى القرآن مبتد خبره (من الله) اى نزل من عند الله أو خبر مبتدأ محذوف والجار صلة التنزيل أو غير صلة بل هو خبر بعد خبر او خبر مبتدأ محذوف تقديره هذا تنزيل الكتاب هذا من الله (العزيز) فى سلطانه (الحكيم) فى تدبيره (انا انزلنا اليك الكتاب بالحق) هذا ليس بتكرار لان الاول كالعنوان للكتاب والثانى لبيان مافى الكتاب (فاعبدالله مخلصا) حال (له الدين) اى ممحضا له الدين من الشرك والرياء بالتوحيد وتصفية السر فالدين منصوب بمخلصا وقرئ الدين بالرفع وحق من رفعه ان يقرأ مخلصا (الا لله الدين الخالص) اى هو الذى وجب اختصاصه بان تخلص له الطاعة من كل شائبة كدر لاطلاعه على الغيوب والاسرار وعن قتادة الدين الخالص شهادة ان لا اله الا الله وعن الحسن الاسلام (والذين اتخذوا من دونه اولياء) اى آلهة وهو مبتدأ محذوف الخبر تقديره والذين عبدوا الاصنام يقولون (مانعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) مصدر اى تقريبا (ان الله يحكم بينهم) بين المسلمين

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿تنزيل الكتاب﴾ خبر محذوف مثل هذا او مبتدأ خبره ﴿من الله العزيز الحكيم﴾ وهو على الاول صلة التنزيل او خبر ثان او حال عمل فيها معنى الاشارة او التنزيل والظاهر ان الكتاب على الاول السورة وعلى الثانى القرآن وقرئ تنزيل بالنصب على اضمار فعل نحو اقرأ اوالزم ﴿انا انزلنا اليك الكتاب بالحق﴾ ملتبسا بالحق او بسبب اثبات الحق واظهاره وتفصيله ﴿فاعبدالله مخلصا له الدين﴾ ممحضا له الدين من الشرك والرياء * وقرئ برفع الدين على الاستئناف لتعليل الامر وتقديم الخبر لتأكيد الاختصاص المستفاد من اللام كما صرح به مؤكدا واجراه مجرى المعلوم المقرر لكثرة حججه وظهور براهينه فقال ﴿الا لله الدين الخالص﴾ اى الا هو الذى وجب اختصاصه بان تخلص له الطاعة فانه المتفرد بصفات الالوهية والاطلاع على الاسرار والضمائر ﴿والذين اتخذوا من دونه اولياء﴾ يحتمل المتخذين من الكفرة والمتخذين من الملائكة وعيسى والاصنام على حذف الراجع واضمار المشركين من غير ذكر لدلالة المساق عليهم وهو مبتدأ خبره على الاول ﴿مانعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى﴾ باضمار القول او ﴿ان الله يحكم بينهم﴾ وهو متعين

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل ﴿تنزيل الكتاب﴾ أى هذا الكتاب وهو القرآن تنزيل ﴿من الله العزيز الحكيم﴾ أى لا من غيره ﴿انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق﴾ أى لم ننزله باطلا لغير شئ ﴿فاعبدالله مخلصا له الدين﴾ أى الطاعة ﴿الا لله الدين الخالص﴾ أى شهادة أن لا اله الا الله وقيل لا يستحق الدين الخالص الا الله وقيل يعنى الخالص من الشرك وما سوى الخالص ليس بدين الله الذى أمر به لان رأس العبادات الاخلاص فى التوحيد واتباع الاوامر واجتناب النواهى ﴿والذين اتخذوا من دونه﴾ أى من دون الله ﴿أولياء﴾ يعنى الاصنام ﴿مانعبدهم﴾ أى قالوا مانعبدهم ﴿الا ليقربونا الى الله زلفى﴾ يعنى قربة وذلك انهم كانوا اذا قيل لهم من خلقكم وخلق السموات والارض ومن ربكم قالوا الله فقيل لهم فما معنى عبادتكم الاصنام فقالوا ليقربونا الى الله زلفى وتشفع لنا عنده ﴿ان الله يحكم بينهم

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

وباسناده عن ابن عباس فى قوله جل ذكره (تنزيل الكتاب) يقول هذا الكتاب تكليم (من الله العزيز) بالنقمة لمن لا يؤمن به (فيما) (الحكيم) فى أمره وقضائه أمر ان لا يعبد غيره (انا انزلنا اليك الكتاب) جبريل بالكتاب (بالحق) لا بالباطل (فاعبدالله مخلصا له الدين) مخلصا له بالعبادة والتوحيد (ألا لله) على الناس. (الدين الخالص) الدين بالاخلاص لا يخالطه شئ (والذين اتخذوا) عبدوا (من دونه) من دون الله كفار مكة (أولياء) أربابا اللات والعزى ومناة قالوا (مانعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) قربى فى المنزلة والشفاعة (ان الله يحكم بينهم) وبين المؤمنين

والمشركين (فيماهم فيه يختلفون) قيل كان المسلمون اذا قالوا لهم من خلق السموات والارض قالوا الله فاذا قالوا لهم فمالكم تعبدون الاصنام قالوا مانعبدهم الاليقربونا الى الله زلفى والمعنى ان الله يحكم يوم القيامة بين المتنازعين من الفريقين (ان الله لايهدى من هو كاذب كفار) أى لا يهدى من هو فى علمه انه يختار الكفر يعنى لا يوفقه للهدى ولايعينه وقت اختياره الكفر ولكنه يخذله وكذبهم قولهم فى بعض من اتخذوا من دون الله أولياء بنات الله ولذا عقبه محتجا عليهم بقوله (لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق مايشاء) أى لو جاز اتخاذ الولد على ماتظنون لاختار مما يخلق ما يشاء لا ماتختارون أنتم وتشاؤن (سبحانه) نزه ذاته عن أن يكون له أخذ مانسبوا اليه من الاولياء والاولاد ودل على ذلك بقوله (هو الله الواحد القهار) يعنى انه واحد متبرئ عن انضمام الاعداد متعال عن التجزؤ والولاد قهار غلاب لكل شئ ومن الاشياء آلهتهم فانى يكون له أولياء وشركاء ثم دل بخلق السموات والارض وتكوير كل واحد من الملوين على الآخر وتسخير النيرين وجريهما لاجل مسمى وبث الناس على كثرة عددهم من نفس واحدة وخلق الانعام على انه واحد لايشارك قهار لايغالب بقوله (خلق السموات والارض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل) والتكوير اللف واللى يقال كار العمامة على رأسه وكورها والمعنى ان كل واحد منهما يغيب الآخر اذا طرأ عليه فشبه فى تغيبه اياه بشئ ظاهر لف عليه ماغيبه عن مطامح الابصار وأن هذا يكر على هذا كرورا متتابعا فشبه ذلك بتتابع أكوار العمامة

على الثانى وعلى هذا يكون القول المضمر بما فى حيزه حالا او بدلا من الصلة وزلفى مصدر او حال ﴿ وقرئ قالوا مانعبدهم وما نعبدكم الا لتقربونا حكاية لما خاطبوا به آلهتهم و نعبدهم بضم النون اتباعا ﴿ فيماهم فيه يختلفون ﴾ من الدين بادخال المحق الجنة والمبطل النار والضمير للكفرة ومقابليهم وقيل لهم ولمعبوديهم فانهم يرجون شفاعتهم وهم يلعنونهم ﴿ ان الله لايهدى ﴾ لايوفق للاهتداء الى الحق ﴿ من هو كاذب كفار ﴾ فانهما فاقدا البصيرة ﴿ لو اراد الله ان يتخذ ولدا ﴾ كما زعموا ﴿ لاصطفى مما يخلق مايشاء ﴾ اذ لا موجود سواه الا وهو مخلوقه لقيام الدلالة على امتناع وجود واجبين ووجوب استناد ماعدا الواجب اليه ومن البين ان المخلوق لايماثل الخالق فيقوم مقام الولد له ثم قرر ذلك بقوله ﴿ سبحانه هو الله الواحد القهار ﴾ فان الالوهية الحقيقية تتبع الوجوب المستلزم للوحدة الذاتية وهى تنافى المماثلة فضلا عن التوالد لان كل واحد من المثلين مركب من الحقيقة المشتركة والتعين المخصوص والقهارية المطلقة تنافى قبول الزوال المحوج الى الولد ثم استدل على ذلك بقوله ﴿ خلق السموات والارض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل ﴾ يغشى كل واحد منهما الآخر كأنه يلف عليه لف اللباس باللابس

﴿ فيماهم فيه يختلفون ﴾ أى من أمر الدين ﴿ ان الله لايهدى ﴾ أى يرشد لدينه ﴿ من هو كاذب ﴾ أى من قال ان الآلهة تشفع له ﴿ كفار ﴾ أى باتخاذه الآلهة دون الله تعالى ﴿ لو أراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى ﴾ أى لاختار ﴿ مما يخلق مايشاء ﴾ يعنى الملائكة ثم نزه نفسه فقال تعالى ﴿ سبحان ﴾ أى تنزيها له عن ذلك وعما لايليق بطهارة قدسه ﴿ هو الله الواحد ﴾ أى فى ملكه الذى لاشريك له ولاولد ﴿ القهار ﴾ أى الغالب الكامل القدرة ﴿ قوله تعالى ﴿ خلق السموات والارض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل ﴾ يعنى يغشى هذا هذا وقيل يدخل أحدهما على

يوم القيامة (فيماهم فيه) فى الدين (يختلفون) يخالفون (ان الله لايهدى) لايرشد الى دينه (من هو كاذب) على الله (كفار) كافر بالله وهم اليهود والنصارى وبنو مليح والمجوس ومشركو العرب (لو أراد الله أن يتخذ ولدا) من الملائكة والآدميين كما قالت اليهود والنصارى وبنو مليح (لاصطفى) لاختار (مما يخلق) عنده فى الجنة (مايشاء) ويقال من الملائكة (سبحانه) نزه نفسه عن ذلك (هو الله الواحد) بلا ولد ولا شريك (القهار) الغالب على خلقه (خلق السموات والارض بالحق) لا بالباطل (يكور الليل على النهار) يدور الليل على النهار فيكون النهار أطول من الليل (ويكور النهار على الليل) يدور النهار على الليل

بعضها على أثر بعض (وسخر الشمس والقمر كل يجرى لاجل مسمى) أى يوم القيامة (الاهو العزيز) الغالب القادر على عقاب من لم يعتبر بتسخير

فليؤمن بمسخرهما (الغفار) لمن فكر واعتبر وآمن بمدبرهما (خلقكم من نفس واحدة) أى آدم عليه السلام ثم جعل منها زوجها) اى حواء من قصيراه وقيل أخرج ذرية آدم من ظهره كالذر ثم خلق بعد ذلك حواء (وأنزل لكم من الانعام) أى جعل عن الحسن أو خلقها فى الجنة مع آدم عليه السلام ثم أنزلها أو لانها لاتعيش الا بالنبات والنبات لايقوم الا بالماء وقد أنزل الماء فكأنه أنزلها (ثمانية أزواج) ذكر وأنثى من الابل والبقر والضأن والمعز كما بين فى سورة الانعام والزوج اسم لواحد معه آخر فاذا انفرد فهو فرد ووتر (يخلقكم فى بطون أمهاتكم

فيكون الليل أطول من النهار (وسخر) ذلل (الشمس والقمر) ضوء الشمس والقمر لبنى آدم (كل) من الشمس والقمر والليل والنهار (يجرى لاجل مسمى) الى وقت معلوم (ألاهو العزيز) الذى فعل ذلك العزيز بالنقمة لمن لا يؤمن به (الغفار) لمن تاب من الشرك وآمن به (خلقكم من نفس واحدة) من نفس آدم وحدها (ثم جعل منها) من نفس آدم (زوجها) حواء خلقها من ضلع من أضلاعه القصرى (وأنزل) خلق (لكم من الانعام) من البهائم (ثمانية أزواج) أصناف ذكر وأنثى من الضأن (خلقا) اثنين ذكرا وأنثى ومن المعز اثنين ذكرا وأنثى ومن الابل اثنين ذكرا وأنثى ومن البقر اثنين ذكرا وأنثى (يخلقكم فى بطون أمهاتكم

اويغيبه به كما يغيب الملفوف باللفافة اويجعله كارا عليه كرورا متتابعا تتابع اكوار العمامة ﴿ وسخر الشمس والقمر كل يجرى لاجل مسمى ﴾ هو منتهى دوره او منقطع حركته ﴿ الا هو العزيز ﴾ القادر على كل ممكن الغالب على كل شئ ﴿ الغفار ﴾ حيث لم يعاجل بالعقوبة وسلب مافى هذه الصنائع من الرحمة وعموم المنفعة ﴿ خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها ﴾ استدلال آخر بما اوجده فى العالم السفلى مبدوأ به من خلق الانسان لانه اقرب واكثر دلالة واعجب صنعا وفيه على ماذكره ثلاث دلالات خلق آدم عليه السلام اولا من غيراب وام ثم خلق حواء من قصيراه ثم تشعيب الخلق الفائت للحصر منهما وثم للعطف على محذوف هو صفة نفس مثل خلقها اوعلى معنى واحدة اى من نفس وجدت ثم جعل منها زوجها فشفعها بها او على خلقكم لتفاوت مابين الآيتين فان الاولى عادة مستمرة دون الثانية وقيل اخرج من ظهره ذريته كالذر ثم خلق منه حواء ﴿ وانزل لكم ﴾ وقضى او قسم لكم فان قضاياه وقسمه توصف بالنزول من السماء حيث كتبت فى اللوح اواحدث لكم باسباب نازلة كاشعة الكواكب والامطار ﴿ من الانعام ثمانية ازواج ﴾ ذكر او انثى من الابل والبقر والضأن والمعز ﴿ يخلقكم فى بطون امهاتكم ﴾ بيان لكيفية خلق ماذكر من الاناسى والانعام اظهارا لما فيها من عجائب

الآخر وقيل ينقص من أحدهما ويزيد فى الآخر فانقص من الليل زاد فى النهار ومانقص من النهار زاد فى الليل ومنتهى النقصان تسع ساعات ومنتهى الزيادة خمس عشرة ساعة وقيل الليل والنهار عسكران عظيمان يكرأحدهما على الآخر وذلك بقدرة قادر عليهما قاهر لهما ﴿ وسخر الشمس والقمر كل يجرى لاجل مسمى ﴾ يعنى الى يوم القيامة ﴿ ألاهو العزيز الغفار ﴾ معناه ان خالق هذه الاشياء العظيمة يدل على كونه سبحانه وتعالى عزيزا كامل القدرة مع انه غفار عظيم الرحمة والفضل والاحسان ﴿ خلقكم من نفس واحدة ﴾ يعنى آدم ﴿ ثم جعل منها زوجها ﴾ يعنى حواء ولما ذكر الله تعالى آيات قدرته فى خلق السموات والارض وتكوير الليل على النهار ثم اتبعه بذكر خلق الانسان عقبه بذكر خلق الحيوان فقال تعالى ﴿ وأنزل لكم من الانعام ثمانية أزواج ﴾ يعنى الابل والبقر والغنم والمعز والمراد بالازواج الذكر والانثى من هذه الاصناف وفى تفسير الانزال وجوه قيل انه هنا بمعنى الاحداث والانشاء وقيل ان الحيوان لايعيش الا بالنبات والنبات لايقوم الا بالماء وهو ينزل من السماء فكان التقدير أنزل الماء الذى تعيش به الانعام وقيل ان أصول هذه الاصناف خلقت فى الجنة ثم أنزلت الى الارض ﴿ يخلقكم فى بطون أمهاتكم ﴾ لما ذكر الله تعالى أصل خلق الانسان ثم اتبعه بذكر الانعام عقبه بذكر حالة مشتركة بين الانسان والحيوان وهى كونها مخلوقة فى بطون الامهات وانما قال فى بطون أمهاتكم لتغليب من يعقل ولشرف الانسان على سائر الخلق

خلقامن بعدخلق) نطفة ثم علقه ثم مضغة ثم الى تمام الخلق (فى ظلمات ثلاث) ظلمة البطن والرحم والمشيمة أو ظلمة الصلب والبطن والرحم (ذلكم) الذى هذه مفعولاته هو (الله ربكم له الملك لا اله الا هو فانى تصرفون) فكيف يعدل بكم عن عبادته الى عبادة غيره ثم بين انه غنى عنهم بقوله (ان تكفروا فان الله غنى عنكم) عن ايمانكم وأنتم محتاجون اليه لتضرركم بالكفر وانتفاعكم بالايمان (ولا يرضى لعباده الكفر) لان الكفر ليس برضا الله تعالى وان كان بارادته (وان تشكروا) فتؤمنوا (يرضه لكم) أى يرض الشكر لكم لانه سبب فوزكم فيثيبكم عليه الجنة يرضه بضم الهاء والاشباع مكى وعلى يرضه بضم الهاء بدون الاشباع نافع وهشام وعاصم غير يحيى وحماد وغيرهم يرضه (ولا تزر وازرة وزر أخرى) أى لا يؤخذ أحد بذنب آخر (ثم الى ربكم مرجعكم) الى جزاء ربكم رجوعكم (فينبئكم بما كنتم تعملون) فيخبركم

القدرة غير انه غلب اولى العقل وخصهم بالخطاب لانهم المقصودون ﴿ خلقا من بعد خلق ﴾ حيوانا سويا من بعد عظام مكسوة اولحما من بعد عظام عارية من بعد مضغ من بعد علق من بعد نطف ﴿ فى ظلمات ثلاث ﴾ ظلمة البطن والرحم والمشيمة او الصلب والرحم والبطن ﴿ ذلكم ﴾ الذى هذه افعاله ﴿ الله ربكم ﴾ هو المستحق لعبادتكم والمالك ﴿ له الملك لا اله الا هو ﴾ اذ لا يشاركه فى الخلق غيره ﴿ فانى تصرفون ﴾ يعدل بكم عن عبادته الى الاشراك ﴿ ان تكفروا فان الله غنى عنكم ﴾ عن ايمانكم ﴿ ولا يرضى لعباده الكفر ﴾ لاستضرارهم به رحمة عليهم ﴿ وان تشكروا يرضه لكم ﴾ لانه سبب فلاحكم وقرأ ابن كثير ونافع فى رواية وأبو عمرو والكسائى باشباع ضمة الهاء لانها صارت بحذف الالف موصولة بمتحرك وعن ابى عمرو ويعقوب اسكانها وهو لغة فيها ﴿ ولا تزر وازرة وزر اخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون ﴾ بالمحاسبة و المجازاة

﴿ خلقا من بعد خلق ﴾ يعنى نطفة ثم علقة ثم مضغة ﴿ فى ظلمات ثلاث ﴾ قال ابن عباس ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة وقيل ظلمة الصلب وظلمة الرحم وظلمة البطن ﴿ ذلكم الله ربكم ﴾ أى الذى خلق هذه الاشياء ربكم ﴿ له الملك ﴾ أى لا لغيره ﴿ لا اله الا هو ﴾ أى لا خالق لهذا الخلق ولا معبود لهم الا الله تعالى ﴿ فانى تصرفون ﴾ أى عن طريق الحق بعد هذا البيان * قوله عز وجل ﴿ ان تكفروا فان الله غنى عنكم ﴾ يعنى أنه تعالى ما كلف المكلفين ليجر الى نفسه نفعا أو ليدفع عن نفسه ضررا وذلك لانه تعالى غنى عن الخلق على الاطلاق فيمتنع فى حقه جر المنفعة ودفع المضرة ولانه لو كان محتاجا لكان ذلك نقصانا والله تعالى منزه عن النقصان فثبت بما ذكرنا انه غنى عن جميع العالمين فلو كفروا واصروا عليه فان الله تعالى غنى عنهم * ثم قال الله تعالى ﴿ ولا يرضى لعباده الكفر ﴾ يعنى انه تعالى وان كان لا ينفعه ايمان ولا يضره كفر الا انه لا يرضى لعباده الكفر قال ابن عباس لا يرضى لعباده المؤمنين بالكفر وهم الذين قال الله تعالى فيهم ان عبادى ليس لك عليهم سلطان فعلى هذا يكون عاما فى اللفظ خاصا فى المعنى كقوله عينا يشرب بها عباد الله يريد بعض عباد الله وأجراه قوم على العموم وقال لا يرضى لاحد من عباده الكفر ومعنى الآية لا يرضى لعباده ان يكفروا به وهو قول السلف قالوا كفر الكافر غير مرضى لله تعالى وان كان بارادته لان الرضا عبارة عن مدح الشئ والثناء عليه بفعله والله تعالى لا يمدح الكفر ولا يثنى عليه ولا يكون فى ملكه الا ما أراد وقد لا يرضى به ولا يمدح عليه وقد بان الفرق بين الارادة والرضا ﴿ وان تشكروا ﴾ أى تؤمنوا بربكم وتطيعوه ﴿ يرضه لكم ﴾ فيثيبكم عليه ﴿ ولا تزر وازرة وزر اخرى ﴾ تقدم بيانه ﴿ ثم الى ربكم مرجعكم ﴾ اى فى الآخرة ﴿ فينبئكم بما كنتم تعملون ﴾ أى فى الدنيا

(خلقا من بعد خلق) حالا من بعد حال نطفة وعلقة ومضغة وعظاما (فى ظلمات ثلاث) ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة (ذلكم الله ربكم) يفعل ذلك (له الملك) الدائم لا يزول ملكه (لا اله الا هو) لا خالق ولا مصور الا هو (فانى تصرفون) بالكذب يقول من أين تكذبون على الله فتجعلون له شريكا (ان تكفروا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن يا أهل مكة (فان الله غنى عنكم) عن ايمانكم (ولا يرضى لعباده الكفر) ولا يقبل منهم الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن لانه ليس دينه (وان تشكروا) تؤمنوا (يرضه لكم) يقبله منكم لانه دينه (ولا تزر وازرة وزر أخرى) لا تحمل حاملة حمل أخرى ما عليها من الذنوب ويقال لا تؤخذ نفس بذنب نفس أخرى كل مأخوذ بذنبه ويقال لا تعذب نفس بغير ذنب (ثم الى ربكم مرجعكم) بعد الموت (فينبئكم) يخبركم يوم القيامة (بما كنتم تعملون) وتقولون

باعمالكم ويجازيكم عليها (انه عليم بذات الصدور) بخفيات القلوب (واذامس الانسان) هو أبو جهل أو كل كافر (ضر) بلاء وشدة والمس في الاعراض مجاز (دعاربه منيبا اليه) راجعا الى الله بالدعاء لايدعو غيره (ثم اذا خوله) أعطاه (نعمة منه) من الله عز وجل (نسى ما كان يدعو اليه من قبل) أى نسى ربه الذى كان يتضرع اليه وما بمعنى من كقوله وما خلق الذكر و الانثى أو نسى الضر الذى كان يدعو الله الى كشفه (وجعل الله أندادا) أمثالا (ليضل) ليضل مكى وأبو عمرو ويعقوب (عن سبيله) أى الاسلام (قل) يا محمد (تمتع) أمر تهديد (بكفرك قليلا) أى فى الدنيا (انك من أصحاب النار) من أهلها (أمن) قرأ بالتخفيف مكى ونافع وحمزة على ادخال همزة الاستفهام على من وبالتشديد غيرهم على ادخال أم عليه ومن مبتدأ خبره محذوف تقديره أمن (هو قانت) كغيره أى أمن هو مطيع كمن هو عاص والقانت المطيع لله وانما حذف لدلالة الكلام عليه وهو جرى ذكر الكافر قبله وقوله بعده قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون (آناء الليل) ساعاته (ساجدا وقائما) حالان من الضمير فى قانت

﴿انه عليم بذات الصدور﴾ فلايخفى عليه خافية من اعمالكم ﴿واذامس الانسان ضر دعاربه منيبا اليه﴾ لزوال ماينازع العقل فى الدلالة على ان مبدأ الكل منه ﴿ثم اذا خوله﴾ اعطاه من الخول وهو التعهد او من الخول وهو الافتخار ﴿نعمة منه﴾ من الله ﴿نسى ما كان يدعو اليه﴾ اى الضر الذى كان يدعو الله الى كشفه او ربه الذى كان يتضرع اليه وما مثله الذى فى قوله وما خلق الذكر والانثى ﴿من قبل﴾ من قبل النعمة ﴿وجعل لله اندادا ليضل عن سبيله﴾ وقرأ ابن كثير وابو عمرو ورويس بفتح الياء والضلال والاضلال لما كانا نتيجة جعله صح تعليله بهما وان لم يكونا غرضين ﴿قل تمتع بكفرك قليلا﴾ امر تهديد فيه اشعار بان الكفر نوع تشهى لاسند له واقناط للكافرين من التمتع فى الآخرة ولذلك علله بقوله ﴿انك من اصحاب النار﴾ على سبيل الاستئناف للمبالغة ﴿امن هو قانت﴾ قائم بوظائف الطاعات ﴿آناء الليل﴾ ساعاته وام متصلة بمحذوف تقديره الكافر خير ام من هو قانت او منقطعة والمعنى بل امن هو قانت له كمن هو بضده وقرأ الحجاز يان وحمزة بتخفيف الميم بمعنى امن هو قانت له كمن هو جعل له اندادا ﴿ساجدا وقائما﴾ حالان من ضمير قانت وقرئا

﴿انه عليم بذات الصدور﴾ أى عالم القلوب * قوله تعالى ﴿واذامس الانسان ضر﴾ أى بلاء وشدة ﴿دعا ربه منيبا﴾ أى راجعا ﴿اليه﴾ مستغيثا به ﴿ثم اذا خوله﴾ أى أعطاه ﴿نعمة منه نسى﴾ أى ترك ﴿ما كان يدعو اليه من قبل﴾ والمعنى نسى الضر الذى كان يدعو الله الى كشفه ﴿وجعل لله أندادا﴾ يعنى الاصنام ﴿ليضل عن سبيله﴾ أى ليرد عن دين الله تعالى ﴿قل﴾ أى لهذا الكافر ﴿تمتع بكفرك قليلا﴾ أى فى الدنيا الى انقضاء أجلك ﴿انك من أصحاب النار﴾ قيل نزلت فى عتبة بن ربيعة وقيل فى أبى حذيفة المخزومى وقيل هو عام فى كل كافر ﴿أمن هو قانت﴾ قيل فيه حذف مجازه كمن هو غير قانت وقيل مجازه الذى جعل لله أندادا اخير أم من هو قانت وقيل معنى الآية تمتع بكفرك انك من أصحاب النار ويامن هو قانت أنت من أصحاب الجنة قال ابن عباس نزلت فى أبى بكر وعمر وعن ابن عمر انها نزلت فى عثمان وقيل نزلت فى ابن مسعود وعمار وسلمان وقيل الآية عامة فى كل قانت وهو المقيم على الطاعة وقال ابن عمر القنوت قراءة القرآن وطول القيام وقيل القانت القائم بما يجب عليه ﴿آناء الليل﴾ أى ساعات الليل أوله ووسطه وآخره ﴿ساجدا وقائما﴾ أى فى الصلاة وفيه دليل على ترجيح قيام الليل على النهار وانما أفضل

فى الدنيا (انه عليم بذات الصدور) بما فى القلوب من الخير والشر (واذامس) أصاب (الانسان) الكافر أباجهل وأصحابه (ضر) شدة وبلاء (دعاربه) برفع الشدة والبلاء عنه (منيبا اليه) مقبلا اليه بالدعاء (ثم اذا خوله) بدله (نعمة منه نسى ما كان يدعو اليه من قبل) (منه) من قبل النعمة (وجعل لله أندادا) أشكالا وأعدالا (ليضل) بذلك الناس (عن سبيله) عن دينه وطاعته (قل) لابى جهل (تمتع بكفرك) عش فى كفرك (قليلا) يسيرا فى الدنيا (انك من أصحاب النار) من أهل النار (أمن هو قانت) مطيع لله وهو النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه (آناء الليل) ساعات الليل (ساجدا وقائما)

(يحذر الآخرة)أى عذاب الآخرة (ويرجو رحمة ربه)أى الجنة ودلت الآية على ان المؤمن يجب أن يكون بين الخوف والرجاء يرجو رحمته لا عمله ويحذر عقابه لتقصيره فى عمله ثم الرجاء اذا جاوز حده يكون امنا والخوف اذا جاوز حده يكون ايا سا وقد قال الله تعالى فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون وقال انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون فيجب أن لا يجاوز أحدهما حده (قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون)أى يعلمون ويعملون به كأنه جعل من لا يعمل غير عالم وفيه ازدراء عظيم بالذين يقتنون العلوم ثم لا يقتنون ويفتنون فيها ثم يفتنون بالدنيا فهم عند الله جهلة حيث جعل القانتين هم العلماء أو أريد به التشبيه أى كما لا يستوى العالم والجاهل كذلك لا يستوى المطيع والعاصى (انما يتذكر أولو الالباب) جمع لب أى انما يتعظ بوعظ الله أولو العقول (قل ياعباد الذين آمنوا) بلا ياء عند الاكثر (اتقوا ربكم) بامتثال أوامره واجتناب نواهيه (للذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة) أى أطاعوا الله فى الدنيا وفى يتعلق باحسنوا لا بحسنة معناه الذين أحسنوا فى هذه الدنيا فلهم حسنة فى الآخرة وهى دخول الجنة أى حسنة لا توصف وقد علقه السدى بحسنه ففسر الحسنة بالصحة والعاقبة

بالرفع على الخبر بعد الخبر والواو للجمع بين الصفتين ﴿ يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه ﴾ فى موضع الحال او الاستئناف للتعليل ﴿ قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾ نفى لاستواء الفريقين باعتبار القوة العلمية بعد نفيها باعتبار القوة العملية على وجه ابلغ لمزيد فضل العلم وقيل تقرير للاول على سبيل التشبيه اى كما لا يستوى العالمون والجاهلون لا يستوى القانتون والعاصون ﴿ انما يتذكر اولو الباب ﴾ بامثال هذه البينات وقرىء يذكر بالادغام ﴿ قل ياعباد الذين آمنوا اتقوا ربكم ﴾ بلزوم طاعته ﴿ للذين احسنوا فى هذه الدنيا حسنة ﴾ اى للذين احسنوا بالطاعات فى الدنيا مثوبة حسنة فى الآخرة وقيل

منه وذلك لان الليل أستر فيكون أبعد عن الرياء ولان ظلمة الليل تجمع الهم وتمنع البصر عن النظر الى الاشياء واذا صار القلب فارغا عن الاشتغال بالاحوال الخارجية رجع الى المطلوب الاصلى وهو الخشوع فى الصلاة ومعرفة من يصلى له وقيل لان الليل وقت النوم ومظنة الراحة فيكون قيامه أشق على النفس فيكون الثواب فيه أكثر ﴿ يحذر ﴾ أى يخاف ﴿ الآخرة ويرجو رحمة ربه ﴾ قيل المغفرة وقيل الجنة وفيه فائدة وهى انه قال فى مقام الخوف يحذر الآخرة فلم يضف الحذر اليه تعالى وقال فى مقام الرجاء ويرجو رحمة ربه وهذا يدل على ان جانب الرجاء أكمل وأولى ان ينسب الى الله تعالى ويعضد هذا ماروى عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم دخل على شاب وهو فى الموت فقال له كيف تجدك قال أرجو الله يارسول الله وأخاف ذنوبى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجتمعان فى قلب عبد فى مثل هذا الموطن الا أعطاه الله تعالى مايرجو منه وآمنه مما يخاف أخرجه الترمذى ﴿ قل هل يستوى الذى يعلمون ﴾ أى ما عند الله من الثواب والعقاب ﴿ والذين لا يعلمون ﴾ ذلك وقيل الذين يعلمون عمار وأصحابه والذين لا يعلمون أبو حذيفة المخزومى وقيل افتتح الله الآية بالعمل وختمها بالعلم لان العمل من باب المجاهدات والعلم من باب المكاشفات وهو النهاية فاذا حصلا للانسان دل ذلك على كماله وفضله ﴿ انما يتذكر أولو الباب ﴾ * قوله تعالى ﴿ قل ياعباد الذين آمنوا اتقوا ربكم ﴾ أى بطاعته واجتناب معاصيه ﴿ للذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة ﴾ يعنى للذين آمنوا وأحسنوا العمل حسنة يعنى الجنة وقيل الصحة والعاقبة

فى الصلاة (يحذر الآخرة) يخاف عذاب الآخرة (ويرجو رحمة ربه) جنة ربه كأبى جهل وأصحابه (قل) لهم يا محمد (هل يستوى) فى الثواب والطاعة (الذين يعلمون) توحيد الله وأمره ونهيه وهو أبو بكر وأصحابه (والذين لا يعلمون) توحيد الله وأمره ونهيه وهو أبو جهل وأصحابه (انما يتذكر) يتعظ بامثال القرآن (أولو الالباب) ذوو العقول من الناس (قل) لهم يا محمد (ياعباد الذين آمنوا) أبو بكر الصديق وعمر الفاروق وعثمان ذو النورين وعلى المرتضى وأصحابهم (اتقوا ربكم) أطيعوا ربكم فى الصغير من الامور والكبير (الذين أحسنوا) وحدوا (فى هذه الدنيا حسنة) لهم جنة يوم

ومعنى (وأرض الله واسعة) أي لا عذر للمفرطين في الاحسان البتة حتى ان اعتلوا بأنهم لا يتمكنون في أوطانهم من التوفر على الاحسان قيل لهم فان أرض الله واسعة وبلاده كثيرة فتحولوا الى بلاد أخر واقتدوا بالانبياء والصالحين في مهاجرتهم الى غير بلادهم ليزدادوا احسانا الى احسانهم وطاعة الى طاعتهم (انما يوفى الصابرون) على مفارقة أوطانهم وعشائرهم وعلى غيرها من تجرع الغصص واحتمال البلايا في طاعة الله وازدياد الخير (أجرهم بغير حساب) عن ابن عباس رضي الله عنهما لا يهتدي اليه حساب الحساب ولا يعرف وهو حال من الاجر أي موفرا (قل اني أمرت ان أعبد الله) بان أعبد الله (مخلصا له الدين) أي أمرت باخلاص الدين (وأمرت لان أكون أول المسلمين) وأمرت بذلك لاجل ان اكون اول المسلمين أي مقدمهم وسابقهم في الدنيا والآخرة والمعنى ان الاخلاص له السبقة في الدين فمن اخلص كان سابقا فالاول امر بالعبادة مع الاخلاص والثاني بالسبق فلاختلاف جهتيهما نزلا منزلة المختلفين فصح عطف احدهما على الآخر (قل اني اخاف ان عصيت ربي

معناه للذين احسنوا حسنة في الدنيا هي الصحة والعافية وفي هذه بيان لمكان حسنة ﴿ وارض الله واسعة ﴾ فمن تعسر عليه التوفر على الاحسان في وطنه فيهاجر الى حيث يتمكن منه ﴿ انما يوفى الصابرون ﴾ على مشاق الطاعة من احتمال البلاء ومهاجرة الاوطان لها ﴿ اجرهم بغير حساب ﴾ اجرا لا يهتدي اليه حساب الحساب وفي الحديث انه تنصب الموازين يوم القيامة لاهل الصلاة والصدقة والحج فيوفون بها اجورهم ولا تنصب لاهل البلاء بل يصب عليهم الاجر صبا حتى يتمنى اهل العافية في الدنيا ان اجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به اهل البلاء من الفضل ﴿ قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين ﴾ موحدا له ﴿ وامرت لأن اكون اول المسلمين ﴾ وامرت بذلك لاجل ان اكون مقدمهم في الدنيا والآخرة لان قصب السبق في الدين بالاخلاص اولانه اول من اسلم وجهه لله من قريش ومن دان بدينهم والعطف لمغايرة الثاني الاول بتقييده بالعلة والاشعار بان العبادة المقرونة بالاخلاص وان اقتضت لذاتها ان يؤمر بها فهي ايضا تقتضيه لما يلزمه من السبقة في الدين ويجوز ان تجعل اللام مزيدة كما في اردت لان افعل فيكون امرا بالتقدم في الاخلاص والبدء بنفسه في الدعاء اليه بعد الامر به ﴿ قل اني اخاف ان عصيت ربي ﴾ بترك

في هذه الدنيا ﴿ وأرض الله واسعة ﴾ قال ابن عباس يعني ارتحلوا من مكة وفيه حث على الهجرة من البلد الذي يظهر فيه المعاصي وقيل من أمر بالمعاصي في بلد فليهرب منه وقيل نزلت في مهاجري الحبشة وقيل نزلت في جعفر بن أبي طالب وأصحابه حيث لم يتركوا دينهم لما نزل بهم البلاء وصبروا وهاجروا ﴿ انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ﴾ قال علي بن أبي طالب كل مطيع يكال له كيلا ويوزن له وزنا الا الصابرون فانه يحثى لهم حثيا وروى انه يؤتى باهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان ويصب عليهم الاجر صبا بغير حساب حتى يتمنى أهل العافية في الدنيا لو أن أجسادهم تقرض بالمقاريض لما يذهب به أهل البلاء من الفضل * قوله عز وجل ﴿ قل ﴾ يا محمد ﴿ اني أمرت ان أعبد الله مخلصا له الدين ﴾ اي مخلصا له التوحيد أي لا أشرك به شيأ ﴿ وأمرت لان أكون أول المسلمين ﴾ أي من هذه الامة قيل أمره أولا بالاخلاص وهو من عمل القلب ثم أمره ثانيا بعمل الجوارح لان شرائع الله تعالى لا تستفاد الا من الرسول صلى الله عليه وسلم وهو المبلغ فكان هو أول الناس شروعا فيها فخص الله سبحانه وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بهذا الامر لينبه على ان غيره أحق بذلك فهو كالترغيب لغيره ﴿ قل اني أخاف ان عصيت ربي

القيامة (وأرض الله) أرض المدينة (واسعة) آمنة من العدو فاخرجوا اليها وهذا قبل الهجرة (انما يوفى الصابرون) على المرازي (أجرهم) ثوابهم (بغير حساب) بلا كيل ولا هنداز ولا منة (قل) يا محمد لاهل مكة حيث قالوا له ارجع الى دين آبائنا (اني أمرت) في القرآن (أن أعبد الله مخلصا له الدين) مخلصا له بالعبادة والتوحيد (وأمرت) في القرآن (لان أكون أول المسلمين) أول من يكون على الاسلام (قل) لهم يا محمد (اني أخاف) أعلم (ان عصيت ربي) رجعت الى دينكم

عذاب يوم عظيم) لمن دعاك بالرجوع الى دين آبائك وذلك ان كفار قريش قالوا له عليه السلام ألا تنظر الى ابيك وجدك وسادات قومك يعبدون اللات والعزى فنزلت ردا عليهم (قل الله أعبد مخلصا له دينى) وهذه الآية اخبار بانه يخص الله وحده بعبادته مخلصا له دينه دون غيره والاولى اخبار بانه مأمور بالعبادة والاخلاص فالكلام اولا واقع فى نفس الفعل واثباته وثانيا فيما يفعل الفعل لاجله ولذلك رتب عليه قوله (فاعبدوا ما شئتم من دونه) وهذا أمر تهديد وقيل له عليه السلام ان خالفت دين آبائك فقد خسرت فنزلت (قل ان الخاسرين) أى الكاملين فى الخسران الجامعين لوجوهه وأسبابه (الذين خسروا أنفسهم) باهلاكها فى النار (وأهليهم) أى وخسروا أهليهم (يوم القيمة) لانهم أضلوهم فصاروا الى النار ولقد وصف خسرانهم بغاية الفظاعة فى قوله (ألا ذلك هو الخسران المبين) حيث صدر الجملة بحرف التنبيه ووسط الفصل بين المبتدأ والخبر وعرف الخسران و نعته بالمبين وذلك لانهم استبدلوا بالجنة نارا وبالدرجات دركات (لهم من فوقهم ظلل) أطباق (من النار ومن تحتهم ظلل) أطباق من النار وهى ظلل لآخرين أى النار محيطة بهم

الاخلاص والميل الى ما انتم عليه من الشرك والرياء ﴿ عذاب يوم عظيم ﴾ لعظمة ما فيه ﴿ قل الله اعبد مخلصا له دينى ﴾ امر بالاخبار عن اخلاصه وان يكون مخلصا له دينه بعد الامر بالاخبار عن كونه مأمورا بالعبادة والاخلاص خائفا على المخالفة من العقاب قطعا لاطماعهم ولذلك رتب عليه قوله ﴿ فاعبدوا ما شئتم من دونه ﴾ تهديدا وخذلانا لهم ﴿ قل ان الخاسرين ﴾ الكاملين فى الخسران ﴿ الذين خسروا انفسهم ﴾ بالضلال ﴿ واهليهم ﴾ بالاضلال ﴿ يوم القيامة ﴾ حين يدخلون النار بدل الجنة لانهم جمعوا وجوه الخسران وقيل وخسروا اهليهم لانهم ان كانوا من اهل النار فقد خسروهم كما خسروا انفسهم وان كانوا من اهل الجنة فقد ذهبوا عنهم ذهابا لا رجوع بعده ﴿ ألا ذلك هو الخسران المبين ﴾ مبالغة فى خسرانهم لما فيه من الاستئناف والتصدير بالا وتوسيط الفصل وتعريف الخسران ووصفه بالمبين ﴿ لهم من فوقهم ظلل من النار ﴾ شرح لخسرانهم ﴿ ومن تحتهم ظلل ﴾ اطباق من النار

عذاب يوم عظيم ﴾ وذلك ان كفار قريش قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم ما حملك على هذا الذى أتيتنا به ألا تنظر الى ملة أبيك وجدك وقومك فتأخذ بها فانزل الله تعالى هذه الآيات ومعنى الآية زجر الغير عن المعاصى لانه مع جلالة قدره وشرف طهارته ونزاهته ومنصب نبوته اذا كان خائفا حذرا من المعاصى فغيره أولى بذلك ﴿ قل الله أعبد مخلصا له دينى ﴾ فان قلت ما معنى التكرار فى قوله قل انى أمرت ان أعبد الله مخلصا له الدين وفى قوله قل الله أعبد مخلصا له دينى قلت هذا ليس بتكرار لان الاول الاخبار بأنه مأمور من جهة الله تعالى بالاتيان بالعبادة والاخلاص والثانى انه اخبار بأنه أمر أن يخص الله تعالى وحده بالعبادة ولا يعبد أحدا غيره مخلصا له دينه لان قوله أمرت أن اعبد الله لا يفيد الحصر وقوله الله أعبد يفيد الحصر والمعنى الله أعبد ولا أعبد أحدا غيره ثم اتبعه بقوله ﴿ فاعبدوا ما شئتم من دونه ﴾ ليس أمرا بل المراد منه الزجر والتهديد والتوبيخ ثم بين كمال الزجر بقوله ﴿ قل ان الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم ﴾ يعنى أزواجهم وخدمهم ﴿ يوم القيمة ﴾ قال ابن عباس وذلك ان الله تعالى جعل لكل انسان منزلا وأهلا فى الجنة فمن عمل بطاعة الله تعالى كان ذلك المنزل والاهل له ومن عمل بمعصية الله تعالى دخل النار وكان ذلك المنزل والاهل لغيره ممن عمل بطاعة الله تعالى فخسر نفسه وأهله ومنزله وقيل خسران النفس بدخول النار وخسران الاهل بأن يفرق بينه وبين أهله ﴿ ألا ذلك هو الخسران المبين لهم من فوقهم ظلل من النار ﴾ أى أطباق وسرادقات ﴿ ومن تحتهم ظلل ﴾ أى فراش ومهاد وقيل أحاطت

(عذاب يوم عظيم) شديد لونا بمدلون (قل الله أعبد مخلصا له) بالعبادة والتوحيد (دينى فاعبدوا ماشئتم من دونه) (قا و خا ٣٩ مس) من دون الله وهذا وعيد وتوبيخ لهم من قبل ان يؤمر النبى صلى الله عليه وسلم بالقتال (قل) لهم يا محمد (ان الخاسرين) المغبونين (الذين خسروا أنفسهم) غبنوا أنفسهم بذهاب الدنيا والآخرة (وأهليهم) خدمهم ومنازلهم فى الجنة (يوم القيمة ألا ذلك هو الخسران المبين) الغبن البين بذهاب الدنيا والآخرة (لهم) لكفار مكة (من فوقهم ظلل من النار) علالى من النار (ومن تحتهم ظلل) فراش من النار وهو علالى من

(ذلك) الذى وصف من العذاب أو ذلك الظلل (يخوف الله به عباده) ليؤمنوا به ويجتنبوا مناهيه (ياعباد فاتقون) ولا تتعرضوا لما يوجب سخطى خوفهم بالنار ثم حذرهم نفسه (والذين اجتنبوا الطاغوت) الشياطين فعلوت من الطغيان كالملكوت والرحموت الا ان فيها قلبا بتقديم اللام على العين أطلقت على الشيطان أو الشياطين لكون الطاغوت مصدرا وفيها مبالغات وهى التسمية بالمصدر كان عين الشيطان طغيان وأن البناء بناء مبالغة فان الرحموت الرحمة الواسعة والملكوت الملك المبسوط

والقلب وهو للاختصاص اذ لا تطلق على غير الشيطان والمراد بها ههنا الجمع وقرئ الطواغيت (أن يعبدوها) بدل الاشتمال من الطاغوت أى عبادتها (وأنابوا) رجعوا (الى الله لهم البشرى) هى البشارة بالثواب تتلقاهم الملائكة عند حضور الموت مبشرين وحين يحشرون (فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه) هم الذين اجتنبوا وأنابوا وانما أراد بهم أن يكونوا مع الاجتناب والانابة على هذه الصفة فوضع الظاهر موضع الضمير أراد أن يكونوا نقادا فى الدين يميزون بين الحسن والاحسن والفاضل والافضل فاذا اعترضهم أمران واجب وندب اختاروا الواجب وكذا المباح والندب حرصا على ما هو أقرب عند الله وأكثر ثوابا أو يستمعون القرآن وغيره فيتبعون القرآن أو يستمعون أوامر الله فيتبعون أحسنها نحو القصاص والعفو ونحو ذلك أو يستمعون الحديث مع القوم فيه محاسن ومساو فيحدث باحسن ما سمع

هى ظلل للآخرين ﴿ ذلك يخوف الله به عباده ﴾ ذلك العذاب هو الذى يخوفهم به ليجتنبوا ما يوقعهم فيه ﴿ ياعباد فاتقون ﴾ ولا تتعرضوا لما يوجب سخطى ﴿ والذين اجتنبوا الطاغوت ﴾ البالغ غاية الطغيان فعلوت منه بتقديم اللام على العين بنى للمبالغة فى المصدر كالرحموت ثم وصف به للمبالغة فى النعت ولذلك اختص بالشيطان ﴿ ان يعبدوها ﴾ بدل اشتمال منه ﴿ وانابوا الى الله ﴾ واقبلوا اليه بشراشرهم عما سواه ﴿ لهم البشرى ﴾ بالثواب على السنة الرسل او الملائكة عند حضور الموت ﴿ فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه ﴾ وضع فيه الظاهر موضع ضمير الذين اجتنبوا للدلالة على مبدأ اجتنابهم

النار بهم من جميع الجهات والجوانب * فان قلت الظلة ما فوق الانسان فكيف سمى ما تحته بالظلة * قلت فيه وجوه * الاول أنه من باب اطلاق اسم أحد الضدين على الآخر * الثانى أن الذى تحته من النار يكون ظلة لآخر تحته فى النار لانها دركات * الثالث أن الظلة التحتانية لما كانت مشابهة للظلة الفوقانية فى الايذاء والحرارة سميت باسمها لاجل المماثلة والمشابهة ﴿ ذلك يخوف الله به عباده ﴾ أى المؤمنين لانهم اذا سمعوا حال الكفار فى الآخرة خافوا فاخلصوا التوحيد والطاعة لله عز وجل وهو قوله تعالى ﴿ ياعباد فاتقون ﴾ أى فخافون * قوله تعالى ﴿ والذين اجتنبوا الطاغوت ﴾ يعنى الاوثان ﴿ ان يعبدوها وأنابوا الى الله ﴾ أى رجعوا الى عبادة الله تعالى بالكلية وتركوا ما كانوا عليه من عبادة غيره ﴿ لهم البشرى ﴾ أى فى الدنيا وفى الآخرة اما فى الدنيا فالثناء عليهم بصالح أعمالهم وعند نزول الموت وعند الوضع فى القبر وأما فى الآخرة فعند الخروج من القبر وعند الوقوف للحساب وعند جواز الصراط وعند دخول الجنة وفى الجنة ففى كل موقف من هذه المواقف تحصل لهم البشارة بنوع من الخير والراحة والروح والريحان ﴿ فبشر عبادى الذين يستمعون القول ﴾ يعنى القرآن ﴿ فيتبعون أحسنه ﴾ أى أحسن ما يؤمرون به فيعملون به وهو ان الله تعالى ذكر فى القرآن الانتصار من الظالم وذكر العفو عنه والعفو أحسن الامرين وقيل ذكر العزائم والرخص فيتبعون الاحسن وهو العزائم وقيل يستمعون القرآن وغيره من الكلام فيتبعون القرآن لانه كله حسن وقال ابن عباس رضى الله عنهما لما أسلم أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه جاءه عثمان وعبد الرحمن

(ابن) تحتهم (ذلك) الظلل (يخوف الله به عباده) فى القرآن (ياعبادى) يعنى أبا بكر وأصحابه (فاتقون) فاطيعونى فيما أمرتكم (والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها) تركوا عبادة الطاغوت وهو الشيطان والصنم (وأنابوا الى الله) أقبلوا الى الله بالتوبة والايمان وسائر الطاعات (لهم البشرى) بالجنة عند الموت وبشرى بكرامة الله على باب الجنة (فبشر عبادى الذين يستمعون القول) الحديث (فيتبعون أحسنه) أحكمه وأبينه

ويكف عما سواه (اولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالبـاب) أى المنتفعون بعقولهم (أفمن حق عليه كلمة العذاب أفانت تنقذ من فى النار) أصـل الكلام أمن حق عليه كلمة العـذاب أى وجب أفانت تنقذه جمله شرطية دخلت عليهـا همزة الانكار والفـاء فاء الجزاء ثم دخلت الفاء التى فى أولها للعطف على محذوف تقديره أأنت مالك أمرهم فمن حق عليه كلمة العذاب ووضع من فى النار موضـع الضمير أى تنقذه فالآية على هـذا جملة واحدة أو معناه أفمن حق عليه كلمة العـذاب ينجو منه أفانت تنقـذه أى لايقدر أحد ان ينقذ من أضله الله وسبق فى علمه انه من أهل النار (لـكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف) أى لهم منازل فى الجنة رفيعـة وفوقهـا منازل أرفع منهـا يعنى للكفار ظلل من النـار وللمتقين غرف (مبنيـة تجرى من تحتها الانهار) أى تحت منازلهـا (وعـد الله لايخلف الله الميعاد) وعد الله مصدر مؤكد لان قوله لهم غرف فى معنى وعدهم الله ذلك (ألم ترأن الله أنزل من السماء ماء) يعـنى المطر

وانهم نقاد فى الدين يميزون بين الحق والباطل ويؤثرون الافضل فالافضل ﴿ اولئك الذين هداهم الله ﴾ لدينه ﴿ واولئك هم اولو الالباب ﴾ العقول السليمة عن منازعة الوهم والعـادة وفى ذلك دلالة على ان الهداية تحصل بفعل الله وقبول النفس لها ﴿ أفمن حق عليه كلمة العذاب أفانت تنقذ من فى النـار ﴾ جملة شرطية معطوفة على محذوف دل عليه اللام تقديره ءانت مالك امرهم فمن حق عليه العذاب فانت تنقذه فكررت الهمزة فى الجزاء لتأكيد الانكار والاستبعاد ووضع من فى النار موضع الضمير لذلك والدلالة على ان من حكم عليه بالعذاب كالواقع فيه لامتنـاع الخلف فيه وان اجتهاد الرسـول صلى الله عليه وسلم فى دعائهم الى الايمـان سعى فى انقاذهم من النـار ويجوز ان يكون افانت تنقذ جملة مستأنفة للدلالة على ذلك والاشعار بالجزاء المحذوف ﴿ لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف ﴾ علالى بعضها فوق بعض ﴿ مبنية ﴾ بنيت بناء المنازل على الارض ﴿ تجرى من تحتها الانهار ﴾ اى من تحت تلك الغرف ﴿ وعد الله ﴾ مصـدر مؤكد لان قوله لهم غرف فى معنى الوعد ﴿ لايخلف الله الميعاد ﴾ لان الخلف نقص وهو على الله تعالى محال ﴿ ألم تر ان الله انزل من السماء ماء ﴾ هو المطر

ابن عوف وطلحة والزبير وسعد بن أبى وقاص وسعيد بن زيد فسـألوه فاخبرهم بايمانه فآمنوا فنزلت فيهم فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه وقيل نزلت هذه الآية فى ثلاثة نفر كانوا فى الجـاهلية يقولون لااله الاالله وهم زيد بن عمرو وأبوذر وسلمان الفارسى ﴿ أولئك الذين هداهم الله ﴾ أى الى عبادته وتوحيده ﴿ وأولئك هم أولو الالباب أفمن حق عليه كلمة العذاب ﴾ قال ابن عباس سبق فى علم الله تعالى انه فى النار وقيل كلمة العذاب قوله لاملأن جهنم وقيل قوله هؤلاء فى النار ولا أبالى ﴿ أفأنت تنقذ من فى النار ﴾ أى لاتقدر عليه قال ابن عباس رضى الله عنهما يريد ابالهب وولده ﴿ لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية ﴾ أى منازل فى الجنة رفيعة وفوقها منازل هى أرفع منها ﴿ تجرى من تحتها الانهار وعد الله لايخلف الله الميعاد ﴾ أى وعـدهم الله تلك الغرف والمنازل وعدا لايخلفه (ق) عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم كما يتراءون الكوكب الدرى الغابر فى الافق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم فقالوا يارسـول الله تلك منازل الانبياء لايبلغها غيرهم قال بلى والذى نفسى بيـده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين * قوله الغابر اى الباقى فى الافق اى فى ناحية المشرق او المغرب قوله تعالى ﴿ ألم تر ان الله أنزل من السماء ماء ﴾

يعملون به ويريدونه (اولئك الذين هداهم الله) للصدق والصواب ويقال لمحاسن الامور (وأولئك هم أولو الالباب) ذوو العقول من الناس وهم أبوبكر وأصحابه ومن اتبعهم بالسنة والجماعة (أفمن حق عليه) وجب عليه (كلمة العذاب) وهو أبو جهل وأصحابه (أفأنت تنقذ) تنجى (من فى النار) من قدرت عليه النار (لكن الذين اتقوا) وحدوا (ربهم) يعنى أبابكر وأصحابه (لهم غرف) علالى (من فوقها غرف) علالى أخر (مبنية) مشيدة مرفوعة فى الهواء (تجرى من تحتها) من تحت شجرها ومساكنها (الانهار) أنهار الخمر والماء والعسل واللبن (وعد الله لايخلف الله الميعاد) للمؤمنين (ألم تر) ألم تخبر يا محمد فى القرآن (ان الله أنزل من السماء ماء)

وقيل كل ماء فى الارض فهو من السماء ينزل منها الى الصخرة ثم يقسمه الله (فسلكه) فادخله (ينابيع فى الارض) عيونا ومسالك ومجارى كالعروق فى الاجساد وينابيع نصب على الحال أو على الظرف وفى الارض صفة لينابيع (ثم يخرج به) بالماء (زرعا مختلفا الوانه) هيئاته من خضرة وحمرة وصفرة وبياض أو أصنافه من بر وشعير وسمسم وغير ذلك (ثم يهيج) يجف (فتراه مصفرا) بعد نضارته وحسنه (ثم يجعله حطاما) فتاتا متكسرا فالحطام ماتفتت وتكسر من النبت وغيره (ان فى ذلك) فى انزال الماء واخراج الزرع (لذكرى لاولى الالباب) لتذكيرا وتنبيها على انه لابد من صانع حكيم وان ذلك كائن عن تقدير وتدبير لا عن اهمال وتعطيل (أفمن شرح الله صدره) أى وسع صدره (للاسلام) فاهتدى وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الشرح فقال اذا دخل النور القلب انشرح وانفسح فقيل فهل لذلك من علامة قال نعم الانابة الى دار الخلود والتجافى عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزول الموت (فهو على نور من ربه) بيان وبصيرة والمعنى أفمن شرح الله صدره فاهتدى كمن طبع على قلبه فقسا قلبه فحذف لان قوله (فويل للقاسية قلوبهم) يدل عليه (من ذكر الله) أى من ترك ذكر الله أو من أجل ذكر الله أى اذا ذكر الله عندهم أو آياته ازدادت قلوبهم قساوة كقوله فزادتهم رجسا الى رجسهم

﴿فسلكه﴾ فادخله ﴿ينابيع فى الارض﴾ هى عيون ومجار كائنة فيها او مياه نابعات فيها اذ الينبوع جاء للمنبع وللنابع فنصبها على المصدر او الحال ﴿ثم يخرج به زرعا مختلفا الوانه﴾ اصنافه من بر وشعير وغيرهما او كيفياته من خضرة وحمرة وغيرهما ﴿ثم يهيج﴾ يتم جفافه لانه اذا تم جفافه حان له ان يثور عن منبته ﴿فتراه مصفرا﴾ من يبسه ﴿ثم يجعله حطاما﴾ فتاتا ﴿ان فى ذلك لذكرى﴾ لتذكيرا بانه لابد له من صانع حكيم دبره وسواه وبانه مثل الحياة الدنيا فلا تغتربها ﴿لاولى الالباب﴾ اذ لا يتذكر به غيرهم ﴿أفمن شرح الله صدره للاسلام﴾ حتى تمكن فيه بيسر عبر به عمن خلق نفسه شديدة الاستعداد لقبوله غير متأبية عنه من حيث ان الصدر محل القلب المنبع للروح المتعلق للنفس القابل للاسلام ﴿فهو على نور من ربه﴾ يعنى المعرفة والاهتداء الى الحق وعنه عليه الصلاة والسلام اذا دخل النور القلب انشرح وانفسح فقيل وما علامة ذلك قال الانابة الى دار الخلود والتجافى عن دار الغرور والتأهب للموت قبل نزوله وخبر من محذوف دل عليه ﴿فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله﴾ من اجل ذكره وهو ابلغ من ان يكون عن مكان من لان القاسى

فسلكه﴾ أى أدخل ذلك الماء ﴿ينابيع فى الارض﴾ أى عيونا وركايا ومسالك ومجارى فى الارض كالعروق فى الجسد قال الشعبى كل ما فى الارض فمن السماء نزل ﴿ثم يخرج به﴾ أى بالماء ﴿زرعا مختلفا ألوانه﴾ أى مثل أصفر وأخضر واحمر وأبيض وقيل أصنافه مثل البر والشعير وسائر أنواع الحبوب ﴿ثم يهيج﴾ أى ييبس ﴿فتراه﴾ أى بعد خضرته ونضرته ﴿مصفرا ثم يجعله حطاما﴾ أى فتاتا متكسرا ﴿ان فى ذلك لذكرى لاولى الالباب﴾ * قوله عز وجل ﴿أفمن شرح الله صدره﴾ أى وسعه ﴿للاسلام﴾ وقبول الحق كمن طبع الله تعالى على قلبه فلم يهتد ﴿فهو على نور من ربه﴾ على يقين وبيان وهداية * روى البغوى باسناد الثعلبى عن ابن مسعود قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه قلنا يارسول الله كيف انشراح صدره قال اذا دخل النور القلب انشرح وانفسح قلنا يارسول الله فما علامة ذلك قال الانابة الى دار الخلود والتجافى عن دار الغرور والتأهب للموت قبل نزول الموت ﴿فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله﴾ القسوة جمود وصلابة تحصل فى القلب * فان قلت كيف يقسو القلب عن ذكر الله وهو سبب لحصول النور والهداية * قلت انهم كلما تلى ذكر الله على الذين يكذبون به قست قلوبهم من الايمان به وقيل ان النفس اذا كانت خبيثة الجوهر كدرة العنصر بعيدة

مطرا (فسلكه ينابيع فى الارض) فجعل منه العيون والانهار فى الارض (ثم يخرج به) ينبت بالمطر (زرعا مختلفا ﴿عن﴾ الوانه) حبوبه (ثم يهيج) يتغير (فتراه مصفرا) بعد خضرته (ثم يجعله حطاما) يابسا كذلك الدنيا تفنى ولا تبقى (ان فى ذلك) فيما ذكرت من فناء الدنيا (لذكرى) لعظة (لاولى الالباب) لذوى العقول من الناس (أفمن شرح الله صدره) وسع الله ولين الله قلبه (للاسلام) بنور الاسلام (فهو على نور من ربه) على كرامة وبيان من ربه وهو عمار بن ياسر كمن شرح الله صدره للكفر وهو أبو جهل (فويل) شدة عذاب ويقال ويل واد فى جهنم من قيح ودم (للقاسية) لليابسة (قلوبهم) لا تلين قلوبهم (من ذكر الله)

(أولئك فى ضلال مبين) غواية ظاهرة (الله نزل أحسن الحديث) فى ايقاع اسم الله مبتدأ وبناء نزل عليه تفخيم لاحسن الحديث (كتابا) بدل من أحسن الحديث أو حال منه (متشابها) يشبه بعضه بعضا فى الصدق والبيان والوعظ والحكمة والاعجاز وغير ذلك (مثانى) نعت كتابا جمع مثنى بمعنى مردد ومكرر لما ثنى من قصصه وأنبائه وأحكامه وأوامره ونواهيه ووعده ووعيده ومواعظه فهو بيان لكونه متشابها لان القصص المكررة وغيرها لا تكون الا متشابهة وقيل لانه يثنى فى التلاوة فلا يمل وانما جاز وصف الواحد بالجمع لان الكتاب جملة ذات تفاصيل وتفاصيل الشئ هى جملته الا تراك تقول القرآن اسباع واخماس وسور وآيات فكذلك تقول أقاصيص وأحكام ومواعظ مكررات أو منصوب على التمييز من متشابها كما تقول رأيت رجلا حسنا شمائل والمعنى متشابهة مثانية (تقشعر) تضطرب وتتحرك (منه جلود الذين يخشون ربهم) يقال اقشعر الجلد اذا تقبض تقبضا شديدا والمعنى انهم اذا سمعوا بالقرآن وبآيات وعيده أصابتهم خشية تقشعر منها جلودهم وفى الحديث اذا اقشعر جلد المؤمن من خشية الله

وهو أبو جهل وأصحابه

من اجل الشئ اشد تأبيا من قبوله من القاسى عنه بسبب آخر وللمبالغة فى وصف اولئك بالقبول وهؤلاء بالامتناع ذكر شرح الصدر واسنده الى الله وقابله بقساوة القلب واسنده اليهم ﴿ اولئك فى ضلال مبين ﴾ يظهر للناظر بادنى نظر والآية نزلت فى حمزة وعلى وابى لهب وولده ﴿ الله نزل احسن الحديث ﴾ يعنى القرآن روى ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ملوا ملة فقالوا له حدثنا فنزلت وفى الابتداء باسم الله وبناء نزل عليه تأكيد الاسناد اليه وتفخيم المنزل واستشهاد على حسنه ﴿ كتابا متشابها ﴾ بدل من احسن او حال منه وتشابهه تشابه ابعاضه فى الاعجاز وتجاوب النظم وصحة المعنى والدلالة على المنافع العامة ﴿ مثانى ﴾ جمع مثنى او مثنى على فى مامر فى الحجر وصف به كتابا باعتبار تفاصيله كقولك القرآن سور وآيات والانسان عظام وعروق واعصاب اوجعل تمييزا من متشابها كقولك رأيت رجلا حسنا شمائل ﴿ تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ﴾ تشمئز خوفا مما فيه من الوعيد وهو مثل فى شدة الخوف واقشعرار الجلد تقبضه وتركيبه من حروف القشع وهو الاديم اليابس بزيادة الراء ليصير رباعيا

عن قبول الحق فان سماعها لذكر الله لا يزيدها الا قسوة وكدورة كحر الشمس يلين الشمع ويعقد الملح فكذلك القرآن يلين قلوب المؤمنين عند سماعه ولا يزيد الكافرين الا قسوة قال مالك بن دينار ماضرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة القلب وما غضب الله تعالى على قوم الا نزع منهم الرحمة ﴿ أولئك فى ضلال مبين ﴾ قيل نزلت هذه الآية فى ابى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه وفى أبى بن خلف وقيل فى على وحمزة وفى أبى لهب وولده وقيل فى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى أبى جهل * قوله عز وجل ﴿ الله نزل أحسن الحديث ﴾ يعنى القرآن وكونه أحسن الحديث لوجهين أحدهما من جهة اللفظ والآخر من جهة المعنى اما الاول فلان القرآن من أفصح الكلام وأجزله وأبلغه وليس هو من جنس الشعر ولا من الخطب والرسائل بل هو نوع يخالف الكل فى أسلوبه واما الوجه الثانى وهو كون القرآن من أحسن الحديث لاجل المعنى فلانه كتاب منزه عن التناقض والاختلاف مشتمل على أخبار الماضين وقصص الاولين وعلى أخبار الغيوب الكثيرة وعلى الوعد والوعيد والجنة والنار ﴿ كتابا متشابها ﴾ أى يشبه بعضه بعضا فى الحسن ويصدق بعضه بعضا ﴿ مثانى ﴾ أى يثنى فيه ذكر الوعد والوعيد والامر والنهى والاخبار والاحكام ﴿ تقشعر ﴾ أى تضطرب وتشمئز ﴿ منه جلود الذين يخشون ربهم ﴾ والمعنى تأخذهم قشعريرة وهى تغير يحدث فى جلد الانسان عند ذكر الوعيد والوجل والخوف وقيل المراد من الجلود القلوب أى قلوب الذين يخشون ربهم

(أولئك) أهل هذه الصفة (فى ضلال مبين) فى كفر بين (الله نزل أحسن الحديث) أحسن الكلام يعنى القرآن (كتابا متشابها) تشبه آيات الوعد والرحمة والنصرة والمغفرة والعفو بعضها بعضا وتشبه آيات الوعد والعذاب والزجر والتخويف بعضها بعضا (مثانى) مثنى مثنى آية الرحمة والعذاب والوعد والوعيد والامر والنهى والناسخ والمنسوخ وغير ذلك ويقال مكرر (تقشعر منه) تهيج من آيات العذاب والوعيد (جلود الذين يخشون) يخافون (ربهم

كتركيب اقطر من القمط وهو الشد ﴿ ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله ﴾ بالرحمة وعموم المغفرة والاطلاق للاشعار بان اصل امره الرحمة وان رحمته سبقت غضبه والتعدية بالى لتضمين معنى السكون والاطمئنان وذكر القلوب لتقدم الخشية التى هى من عوارضها ﴿ ذلك ﴾ اى الكتاب او الكائن من الخشية والرجاء ﴿ هدى الله يهدى به من يشاء ﴾ هدايته ﴿ ومن يضلل الله ﴾ ومن يخذله ﴿ فماله من هاد ﴾ يخرجه من الضلالة

﴿ ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله ﴾ أى لذكر الله تعالى قيل اذا ذكرت آيات الوعيد والعذاب اقشعرت جلود الخائفين لله واذا ذكرت آيات الوعد والرحمة لانت جلودهم وسكنت قلوبهم وقيل حقيقة المعنى ان جلودهم تقشعر عند الخوف وتلين عند الرجاء روى عن العباس بن عبد المطلب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اقشعر جلد العبد من خشية الله تعالى تحاتت عنه ذنوبه كما يتحات عن الشجرة اليابسة ورقها وفى رواية حرمه الله تعالى على النار قال بعض العارفين السيارون فى بيداء جلال الله اذا نظروا الى عالم الجلال طاشوا واذا لاح لهم جمال من عالم الجمال عاشوا وقال قتادة هذا نعت أولياء الله الذى نعتهم الله به ان تقشعر جلودهم وتطمئن قلوبهم بذكر الله ولم ينعتهم بذهاب عقولهم والغشيان عليهم انما ذلك فى أهل البدع وهو من الشيطان وروى عن عبد الله بن عروة الزبير قال قلت لجدتى أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنهما كيف كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعلون اذا قرئ عليهم القرآن قالت كانوا كما نعتهم الله عز وجل تدمع أعينهم وتقشعر جلودهم قال عبد الله فقلت لها ان ناسا اليوم اذا قرئ عليهم القرآن خر أحدهم مغشيا عليه قالت أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وروى ان ابن عمر رضى الله تعالى عنهما مر برجل من اهل العراق ساقط فقال ما بال هذا قالوا انه اذا قرئ عليه القرآن أو سمع ذكر الله سقط فقال ابن عمر انا لنخشى الله وما نسقط وقال ابن عمر ان الشيطان يدخ[ل] فى جوف أحدهم ما كان هذا صنيع أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وذكر عند ابن سيرين الذين يصرعون اذا قرئ عليهم القرآن فقال بيننا وبينهم ان يقعد أحدهم على ظهر بيت باسطا رجليه ثم يقرأ عليه القرآن من أوله الى آخره فان رمى بنفسه فهو صادق فان قلت لم ذكرت الجلود وحدها أولا فى جانب الخوف ثم قرنت معها القلوب ثانيا فى الرجاء قلت اذا ذكرت الخشية التى محلها القلوب اقشعرت الجلود من ذكر آيات الوعيد فى أول وهلة واذا ذكر الله ومبنى أمره على الرأفة والرحمة استبدلوا بالخشية رجاء فى قلوبهم وبالقشعريرة لينا فى جلودهم وقيل ان المكاشفة فى مقام الرجاء أكمل منها فى مقام الخوف لان الخير مطلوب بالذات والخوف ليس بمطلوب واذا حصل الخوف اقشعر منه الجلد واذا حصل الرجاء اطمأن اليه القلب ولان الجلد ﴿ ذلك ﴾ أى القرآن الذى هو أحسن الحديث ﴿ هدى الله يهدى به من يشاء ﴾ أى هو الذى يشرح الله به صدره لقبول الهداية ﴿ ومن يضلل الله ﴾ أى يجعل قلبه قاسيا منافيا لقبول الهداية ﴿ فماله من هاد ﴾ أى يهديه قوله عز وجل

تحاتت عنه ذنوبه كما يتحات عن الشجرة اليابسة ورقها (ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله) أى اذا ذكرت آيات الرحمة لانت جلودهم وقلوبهم وزال عنها ما كان بها من الخشية والقشعريرة وعدى بالى لتضمنه معنى فعل متعد بالى كانه قيل اطمأنت الى ذكر الله لينة غير منقبضة واقتصر على ذكر الله من غير ذكر الرحمة لان رحمته سبقت غضبه فلاصالة رحمته اذا ذكر الله لم يخطر بالبال الا كونه رؤفا رحيما وذكرت الجلود وحدها أولا ثم قرنت بها القلوب ثانيا لان محل الخشية القلب فكان ذكرها يتضمن ذكر القلوب (ذلك) اشارة الى الكتاب وهو (هدى الله يهدى به من يشاء) من عباده وهو من علم منهم اختيار الاهتداء (ومن يضلل الله) بخلق الضلالة فيه (فماله من هاد)

ثم تلين جلودهم) بآية الرحمة (وقلوبهم) راجعة (الى ذكر الله ذلك) يعنى القرآن (هدى الله) بيان الله (يهدى به من يشاء) الى دينه (ومن يضلل الله) عن دينه (فماله من هاد) مرشد لدينه

الى الحق (أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب يوم القيمة) كمل أمن من العذاب فحذف الخبر كما حذف فى نظائره وسوء العذاب شدته ومعناه ان الانسان اذا اتقى مخوفا من المخاوف استقبله بيده وطلب أن يقى بها وجهه لانه أعز أعضائه عليه والذى يلقى فى النار يلقى مغلولة يداه الى عنقه فلا يتهيأ له ان يتقى النار الا بوجهه الذى كان يتقى المخاوف بغيره وقاية له ومحاماة عليه (وقيل للظالمين) أى تقول لهم خزنة النار (ذوقوا) وبال (ما كنتم تكسبون) أى كسبكم (كذب الذين من قبلهم) من قبل قريش (فاتاهم العذاب من حيث لا يشعرون) من الجهة التى لا يحتسبون ولا يخطر ببالهم ان الشر يأتيهم منها بيناهم آمنون اذ فوجئوا من مأمنها (فاذاقهم الله الخزى) الذل والصغار كالمسخ والخسف والقتل والجلاء ونحو ذلك من عذاب الله (فى الحيوة الدنيا ولعذاب الآخرة أكبر) من عذاب الدنيا (لو كانوا يعلمون) لامنوا (ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون) ليتعظوا (قرآنا عربيا) حال مؤكدة كما تقول جاءنى زيد رجلا صالحا وانسانا عاقلا فتذكر رجلا أو انسانا توكيدا أو نصب على المدح (غير ذى عوج) مستقيما بريئا من التناقض والاختلاف ولم يقل

﴿ أفمن يتقى بوجهه ﴾ يجعله درقة يقى به نفسه لانه يكون مغلولة يداه الى عنقه فلا يقدر ان يتقى الا بوجهه ﴿ سوء العذاب يوم القيمة ﴾ كمن هو آمن منه فحذف الخبر كما حذف فى نظائره ﴿ وقيل للظالمين ﴾ اى لهم فوضع الظاهر موضعه تسجيلا عليهم بالظلم واشعار بالموجب لما يقال لهم وهو ﴿ ذوقوا ما كنتم تكسبون ﴾ اى وباله والواو للحال وقد مقدرة ﴿ كذب الذين من قبلهم فاتاهم العذاب من حيث لا يشعرون ﴾ من الجهة التى لا يخطر ببالهم ان الشر يأتيهم منها ﴿ فاذاقهم الله الخزى ﴾ الذل ﴿ فى الحيوة الدنيا ﴾ كالمسخ والخسف والقتل والسبى والاجلاء ﴿ ولعذاب الآخرة ﴾ المعد لهم ﴿ اكبر ﴾ لشدته ودوامه ﴿ لو كانوا يعلمون ﴾ لو كانوا من اهل العلم والنظر لعلموا ذلك واعتبروا به ﴿ ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل ﴾ يحتاج اليه الناظر فى امر دينه ﴿ لعلهم يتذكرون ﴾ يتعظون به ﴿ قرآنا عربيا ﴾ حال من هذا والاعتماد فيها على الصفة كقولك جاءنى زيد رجلا صالحا او مدح له ﴿ غير ذى عوج ﴾ لا اختلال فيه

﴿ أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب ﴾ أى شدته ﴿ يوم القيمة ﴾ قيل يجر على وجهه فى النار وقيل يرمى به فى النار منكوسا فاول شئ تمسه النار وجهه وقيل هو الكافر يرمى به منكوسا فى النار مغلولة يداه الى عنقه وفى عنقه صخرة من كبريت مثل الجبل العظيم فتشعل النار فى تلك الصخرة وهى فى عنقه فحرها ووهجها على وجهه لا يطيق دفعها عنه للاغلال التى فى يديه وعنقه ومعنى الآية أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب كمن هو آمن من العذاب ﴿ وقيل للظالمين ﴾ أى تقول لهم الخزنة ﴿ ذوقوا ما ﴾ أى وبال ما ﴿ كنتم تكسبون ﴾ أى فى الدنيا من المعاصى ﴿ كذب الذين من قبلهم ﴾ أى من قبل كفار مكة كذبوا الرسل ﴿ فاتاهم العذاب من حيث لا يشعرون ﴾ يعنى وهم غافلون آمنون من العذاب ﴿ فاذاقهم الله الخزى ﴾ أى العذاب والهوان ﴿ فى الحيوة الدنيا ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون ﴾ * قوله عز وجل ﴿ ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون ﴾ أى يتعظون ﴿ قرآنا عربيا ﴾ أى فصيحا أعجز الفصحاء والبلغاء عن معارضته ﴿ غير ذى عوج ﴾ أى منزها عن التناقض وقال ابن عباس غير مختلف

(أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب) شدة العذاب (يوم القيمة) وهو أبو جهل وأصحابه تجمع يده الى عنقه بغل من حديد فمن ذلك يتقى العذاب بوجهه (وقيل للظالمين) للكافرين أبى جهل وأصحابه تقول لهم الزبانية (ذوقوا) عذاب (ما كنتم تكسبون) تقولون وتعملون فى الدنيا من المعاصى (كذب الذين من قبلهم) من قبل قومك يا محمد قوم هود وصالح وشعيب وغيرهم (فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون) لا يعلمون بنزوله (فاذاقهم الله الخزى فى الحيوة الدنيا) عذاب الدنيا (ولعذاب الآخرة أكبر) أعظم مما كان لهم فى الدنيا (لو كانوا يعلمون) ولكن لم يكونوا يعلمون (ولقد ضربنا للناس) بينا للناس (فى هذا القرآن من كل مثل) وجه (لعلهم يتذكرون) لكى يتعظوا (قرآنا عربيا) على مجرى اللغة العربية (غير ذى عوج) غير مخالف للتوراة والانجيل والزبور وسائر الكتب بالتوحيد وبعض الاحكام والحدود ويقال غير ذى

بوجه ما فهو ابلغ من المستقيم واختص بالمعاني وقيل المراد بالعوج الشك استشهادا بقوله

وقد اتاك يقين غير ذي عوج * من الاله وقول غير مكذوب

وهو تخصيص له ببعض مدلوله ﴿ لعلهم يتقون ﴾ علة اخرى مرتبة على الاولى ﴿ ضرب الله مثلا ﴾ للمشرك والموحد ﴿ رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل ﴾ مثل المشرك على ما يقتضيه مذهبه من ان يدعى كل واحد من معبوديه عبوديته ويتنازعون فيه بعبد يتشارك فيه جمع يتجاذبونه ويتعاورونه فى مهامهم المختلفة فى تحيره وتوزع قلبه والموحد بمن خاص لواحد ليس لغيره عليه سبيل ورجلا بدل من مثلا وفيه صلة شركاء والتشاكس والتشاخص الاختلاف * وقرأ نافع وابن عامر والكوفيون سلما بفتحين وقرئ بفتح السين وكسرها مع سكون العين وثلاثتها مصادر سلم نعت بها او حذف منها ذا ورجل سالم اى وهناك رجل سالم وتخصيص الرجل لانه افطن للضر والنفع ﴿ هل يستويان مثلا ﴾ صفة وحالا ونصبه على التمييز ولذلك وحده وقرئ مثلين للاشعار باختلاف النوع اولان المراد هل يستويان فى الوصفين على ان الضمير للمثلين فان التقدير مثل رجل ومثل رجل ﴿ الحمد لله ﴾ كل الحمد له لايشاركه فيه على الحقيقة سواه لانه المنعم بالذات والمالك على الاطلاق ﴿ بل اكثرهم لايعلمون ﴾ فيشركون به غيره من فرط جهلهم

وقيل غير ذى لبس وقيل غير مخلوق ويروى ذلك عن مالك بن أنس وحكى عن سفيان ابن عيينة عن سبعين من التابعين ان القرآن ليس بخالق ولا مخلوق ﴿ لعلهم يتقون ﴾ أى الكفر والتكذيب * فان قلت ما الحكمة فى تقديم التذكر فى الآية الاولى على التقوى فى هذه الآية * قلت سبب تقديم التذكر أن الانسان اذا تذكر وعرف ووقف على فحوى الشئ واختلط بمعناه اتقاه واحترز منه قوله تعالى ﴿ ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ﴾ أى متنازعون مختلفون سيئة أخلاقهم والشكس السيئ الخلق المخالف للناس لايرضى بالانصاف ﴿ ورجلا سالما لرجل ﴾ أى خالصا له لاشريك له فيه ولا منازع والمعنى واضرب يا محمد لقومك مثلا وقل لهم ما تقولون فى رجل مملوك قد اشترك فيه شركاء بينهم اختلاف وتنازع كل واحد يدعى انه عبده وهم يتجاذبونه فى مهن شتى فاذا عنت لهم حاجة يتدافعونه فهو متحير فى أمره لايدرى أيهم يرضى بخدمته وعلى أيهم يعتمد فى حاجاته وفى رجل آخر مملوك قد سلم لمالك واحد يخدمه على سبيل الاخلاص وذلك السيد يعين خادمه فى حاجاته فأى هذين العبدين أحسن حالا وأحمد شأنا وهذا مثل ضربه الله تعالى للكافر الذى يعبد آلهة شتى والمؤمن الذى يعبد الله تعالى وحده فكان حال المؤمن الذى يعبد الها واحدا أحسن وأصلح من حال الكافر الذى يعبد آلهة شتى وهو قوله تعالى ﴿ هل يستويان مثلا ﴾ وهذا استفهام انكار أى لايستويان فى الحال والصفة قال تعالى ﴿ الحمد لله ﴾ أى لله الحمد كله وحده دون غيره من المعبودين وقيل لما ثبت انه لا اله الا الله الواحد الاحد الحق بالدلائل الظاهرة والامثال الباهرة قال الحمد لله على حصول هذه البينات وظهور هذه الدلالات ﴿ بل أكثرهم لايعلمون ﴾

(لعلهم يتقون) الكفر (ضرب الله مثلا رجلا) بدل (فيه شركاء متشاكسون) متنازعون ومختلفون (ورجلا سلما) مصدر سلم والمعنى ذا سلامة (لرجل) أى ذا خلوص له من الشركة سالما مكى وأبو عمرو أى خالصا له (هل يستويان مثلا) صفة وهو تمييز والمعنى هل تستوى صفتاهما وحالاهما وانما اقتصر فى التمييز على الواحد لبيان الجنس وقرئ مثلين (الحمد لله) الذى لا اله الا هو (بل أكثرهم لايعلمون) فيشركون به غيره مثل الكافر ومعبوديه بعبد اشترك فيه شركاء بينهم تنازع واختلاف وكل واحد منهم

عوج غير مخلوق وهو قول السدى (لعلهم يتقون) لكى يتقوا بالقرآن عما نهاهم الله (ضرب الله مثلا) بين الله شبه رجل (رجلا فيه شركاء) سادات (متشاكسون) مختالفون يأمر هذا بشئ وينهى ذلك عنه وهذا مثل الكافر يعبد آلهة شتى (ورجلا سلما) خالصا (لرجل) وهذا مثل المؤمن يعبد ربه وحده وأسلم دينه وعمله لله (هل يستويان مثلا) فى المثل المؤمن والكافر (الحمد لله) الشكر لله والوحدانية لله (بل أكثرهم لايعلمون) (أى)

يدعى انه عبده فهم يتجاذبونه ويتعاورونه في مهن شتى وهو متحير لا يدرى أيهم يرضى بخدمته وعلى أيهم يعتمد في حاجاته وممن يطلب رزقه وممن يلتمس رفقه فهمه شعاع وقلبه أوزاع والمؤمن بعبد له سيد واحد فهمه واحد وقلبه مجتمع (انك ميت) أي ستموت (وانهم ميتون) وبالتخفيف من حل به الموت وقال الخليل أنشد أبو عمرو * وتسألني تفسير ميت وميت * فدونك قد فسرت ان كنت تعقل * فمن كان ذا روح فذلك ميت * وما الميت الا من الى القبر يحمل * كانوا يتربصون برسول الله صلى الله عليه وسلم موته فاخبر ان الموت يعمهم فلا معنى للتربص وشماتة الفاني بالفاني وعن قتادة نعى الى نبيه نفسه ونعى اليكم أنفسكم أي انك واياهم في عداد الموتى لان ما هو كائن فكان قد كان (ثم انكم) أي انك واياهم فغلب ضمير المخاطب على ضمير الغيب (يوم القيمة عند ربكم تختصمون) فتحتج أنت عليهم بانك بلغت فكذبوا واجتهدت في الدعوة فلجوا في العناد ويعتذرون بما لا طائل تحته تقول الاتباع أطعنا ساداتنا وكبراءنا وتقول السادات أغوتنا الشياطين وآباؤنا الاقدمون قال الصحابة رضي الله عنهم أجمعين ما خصومتنا ونحن اخوان فلما قتل عثمان رضي الله عنه قالوا هذه خصومتنا وعن أبي العالية نزلت في أهل القبلة وذلك (قا و خا ٤٠ مس) في الدماء والمظالم التي بينهم والوجه هو الاول ألا ترى الى قوله

﴿ انك ميت وانهم ميتون ﴾ فان الكل بصدد الموت وفي عداد الموتى * وقرئ مائت ومائتون لانه مما سيحدث ﴿ ثم انكم ﴾ على تغليب المخاطب على الغيب ﴿ يوم القيمة عند ربكم تختصمون ﴾ فتحتج عليهم بانك كنت على الحق في التوحيد وكانوا على الباطل في التشريك واجتهدت في الارشاد والتبليغ ولجوا في التكذيب والعناد ويعتذرون بالاباطيل مثل اطعنا سادتنا ووجدنا آباءنا وقيل المراد به الاختصام العام يخاصم الناس بعضهم بعضا فيما دار بينهم في الدنيا

أي ان المستحق للعبادة هو الله تعالى وحده لا شريك له * قوله تعالى ﴿ انك ميت ﴾ أي ستموت ﴿ وانهم ميتون ﴾ أي سيموتون وذلك انهم كانوا يتربصون برسول الله صلى الله عليه وسلم موته فاخبر الله تعالى ان الموت يعمهم جميعا فلا معنى للتربص وشماتة الفاني بالفاني وقيل نعى الى نبيه نفسه واليكم أنفسكم والمعنى انك ميت وانهم ميتون وان كنتم أحياء فانكم في عداد الموتى ﴿ ثم انكم يوم القيمة عند ربكم تختصمون ﴾ قال ابن عباس يعني المحق والمبطل والظالم والمظلوم * عن عبد الله بن الزبير قال لما نزلت ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون قال الزبير يا رسول الله أتكون علينا الخصومة بعد الذي كان بيننا في الدنيا قال نعم فقال ان الامر اذا لشديد أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وقال ابن عمر رضي الله عنهما عشنا برهة من الدهر وكنا نرى ان هذه الآية نزلت فينا وفي أهل الكتابين ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون قلنا كيف نختصم وديننا واحد وكتابنا واحد حتى رأيت بعضنا يضرب وجوه بعض بالسيف فعرفت انها فينا نزلت * وعن أبي سعيد الخدري في هذه الآية قال كنا نقول ربنا واحد وديننا واحد ونبينا واحد فما هذه الخصومة فلما كان يوم صفين وشد بعضنا على بعض بالسيوف قلنا نعم هو هذا وعن ابراهيم قال لما نزلت هذه الآية ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون قالوا كيف نختصم ونحن اخوان فلما قتل عثمان قالوا هذه خصومتنا (خ) عن أبي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من كان عنده مظلمة لاخيه من عرض أو مال فليحلله اليوم من قبل أن لا يكون دينار ولا درهم ان كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته وان لم يكن له حسنات أخذ من سيآت صاحبه فحملت عليه (م) عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتدرون من المفلس قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع قال ان المفلس من أمتي من يأتي يوم القيمة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار

أمثال القرآن (انك) يا محمد (ميت) ستموت (وانهم) يعني كفار مكة (ميتون) سيموتون (ثم انكم يوم القيمة عند ربكم تختصمون) تتكلمون بالحجة يعني النبي صلى الله عليه وسلم ورؤساء الكفار

(فمن أظلم ممن كذب على الله) وقوله والذي جاء بالصدق وصدق به وما هو الابيان وتفسير للذين تكون بينهم الخصومة

الجزء الرابع والعشرون

اللهم اجعلنا من الصادقين

﴿فمن اظلم ممن كذب على الله﴾ باضافة الولد والشريك اليه ﴿وكذب بالصدق﴾ وهو ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ﴿اذ جاءه﴾ من غير توقف وتفكر في أمره ﴿أليس في جهنم مثوى للكافرين﴾ وذلك يكفيهم مجازاة لاعمالهم واللام يحتمل العهد والجنس واستدل به على تكفير المبتدعة فانهم مكذبون بما علم صدقه وهو ضعيف لانه مخصوص بمن فاجأ ما علم مجيء الرسول به بالتكذيب ﴿والذي جاء بالصدق وصدق به﴾ للجنس ليتناول الرسول والمؤمنين لقوله ﴿اولئك هم المتقون﴾ وقيل هو النبي صلى الله عليه وسلم والمراد هو ومن تبعه كما في قوله ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون وقيل الجائي هو الرسول صلى الله عليه وسلم والمصدق ابو بكر رضي الله

قوله تعالى ﴿فمن أظلم ممن كذب على الله﴾ فزعم ان له ولدا اوشريكا ﴿وكذب بالصدق اذ جاءه﴾ أي بالقرآن وقيل بالرسالة اليه ﴿أليس في جهنم مثوى﴾ أي منزلة ومقام ﴿للكافرين﴾ قوله تعالى ﴿والذي جاء بالصدق وصدق به﴾ أي والذي صدق به قال ابن عباس الذي جاء بالصدق هو رسول صلى الله عليه وسلم جاء بلا اله الا الله وصدق به هو رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضا بلغه الى الخلق وقيل الذي جاء بالصدق هو جبريل عليه الصلاة والسلام جاء بالقرآن وصدق به محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل الذي جاء بالصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدق به أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وقيل وصدق به المؤمنون وقيل الذي جاء بالصدق الانبياء وصدق به الاتباع وقيل الذي جاء بالصدق أهل القرآن وهو الصدق يجيئون به يوم القيامة وقد أدوا حقه فهم الذين صدقوا به ﴿أولئك هم المتقون﴾ أي

كذب على الله افترى عليه باضافة الولد والشريك اليه (وكذب بالصدق) بالامر الذي هو الصدق بعينه وهو ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم (اذ جاءه) فاجأه بالتكذيب لما سمع به من غير وقفة لاعمال روية أو اهتمام بتمييز بين حق وباطل كما يفعل أهل النصفة فيما يسمعون (أليس في جهنم مثوى للكافرين) أي لهؤلاء الذين كذبوا على الله وكذبوا بالصدق واللام في الكافرين اشارة اليهم (والذي جاء بالصدق وصدق به) هو رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بالحق وآمن به وأراد به اياه ومن تبعه كما أراد بموسى اياه وقومه في قوله ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون فلذا قال تعالى (أولئك هم المتقون) وقال الزجاج روي عن علي رضي الله عنه انه قال والذي جاء بالصدق محمد رسول الله

(فمن أظلم) في كفره (ممن كذب على الله) بالقرآن يجعل له ولدا وشريكا وهو أبو جهل وأصحابه (وكذب بالصدق) بالقرآن والتوحيد (اذ جاءه) محمد به (أليس في جهنم مثوى) منزل مقام (للكافرين) لابي جهل وأصحابه (والذي جاء بالصدق) بالقرآن والتوحيد وهو محمد صلى الله عليه وسلم (وصدق به) أبو بكر وأصحابه (أولئك هم المتقون) الكفر (الذين)

صلى الله عليه وسلم والذى صدق به أبو بكر الصديق رضى الله عنه وروى ان الذى جاء بالصدق محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى صدق به المؤمنون والكل صحيح كذا قاله قالوا والوجه فى العربية ان يكون جاء وصدق لفاعل واحد لان التغاير يستدعى اضمار الذى وذا غير جائز أو اضمار الفاعل من غير تقدم الذكر وذا بعيد (لهم مايشاؤن عند ربهم ذلك جزاء المحسنين ليكفر الله عنهم أسوأ الذى عملوا ويجزيهم أجرهم باحسن الذى كانوا يعملون) اضافة أسوأ وأحسن من اضافة الشئ الى ماهو بعضه من غير تفضيل كقولك الاشج أعدل بنى مروان (أليس الله بكاف) أدخلت همزة الانكار على كلمة النفى فافيد معنى اثبات الكفاية وتقريره (عبده) أى محمدا صلى الله عليه وسلم عباده حمزة وعلى أى الانبياء والمؤمنين وهو مثل انا كفيناك المستهزئين (ويخوفونك بالذين من دونه) أى بالاوثان التى اتخذوها آلهة من دونه وذلك ان قريشا قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم انا نخاف أن تخبلك آلهتنا وانا نخشى عليك مضرتها لعيبك اياها (ومن يضلل الله فماله من هاد ومن يهدى الله فماله من مضل أليس الله بعزيز) بغالب منيع (ذى انتقام)

عنه وذلك يقتضى اضمار الذى وهو غير جائز * وقرئ وصدق به بالتخفيف اى صدق به الناس فاداه اليهم كما نزل اوصار صادقا بسببه لانه معجز يدل على صدقه وصدق به على البناء للمفعول ﴿ لهم مايشاؤن عند ربهم ﴾ فى الجنة ﴿ ذلك جزاء المحسنين ﴾ على احسانهم ﴿ ليكفر الله عنهم اسوأ الذى عملوا ﴾ خص الاسوأ للمبالغة فانه اذا كفر كان غيره اولى بذلك اوللاشعار بانهم لاستعظامهم الذنوب يحسبون انهم مقصرون مذنبون وان ما يفرط منهم من الصغائر اسوأ ذنوبهم ويجوز ان يكون بمعنى السيئ كقولهم الناقص والاشج اعدلا بنى مروان وقرئ اسواء جمع سوء ﴿ ويجزيهم اجرهم ﴾ ويعطيهم ثوابهم ﴿ باحسن الذى كانوا يعملون ﴾ فيعدلهم محاسن اعمالهم باحسنها فى زيادة الاجر وعظمه لفرط اخلاصهم فيها ﴿ أليس الله بكاف عبده ﴾ استفهام انكار للنفى مبالغة فى الاثبات والعبد رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحتمل الجنس ويؤيده قراءة حمزة والكسائى عباده وفسر بالانبياء ﴿ ويخوفونك بالذين من دونه ﴾ يعنى قريشا فانهم قالوا له انا نخاف ان تخبلك آلهتنا بعيبك اياها وقيل انه صلى الله عليه وسلم بعث خالدا رضى الله عنه ليكسر العزى فقال له سادنها احذركها ان لها شدة فعمد اليها خالد فهشم انفها فنزل تخويف خالد منزلة تخويفه عليه الصلاة والسلام لانه الآمر له بما خوف عليه ﴿ ومن يضلل الله ﴾ حتى غفل عن كفاية الله له وخوفه بما لاينفع ولايضر ﴿ فماله من هاد ﴾ يهديه الى الرشاد ﴿ ومن يهدى الله فماله من مضل ﴾ اذ لاراد لفعله كما قال ﴿ أليس الله بعزيز ﴾ غالب منيع ﴿ ذى انتقام ﴾

الذين اتقوا الشرك ﴿ لهم مايشاؤن عند ربهم ﴾ أى من الجزاء والكرامة ﴿ ذلك جزاء المحسنين ﴾ أى فى أقوالهم وأفعالهم ﴿ ليكفر الله عنهم أسوأ الذى عملوا ﴾ أى يستره عليهم بالمغفرة ﴿ ويجزيهم أجرهم باحسن الذى كانوا يعملون ﴾ أى يجزيهم بمحاسن أفعالهم ولايجزيهم بمساويها * قوله عزوجل ﴿ أليس الله بكاف عبده ﴾ يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم وقرئ عباده يعنى الانبياء عليهم الصلاة والسلام قصدهم قومهم بالسوء فكفاهم الله تعالى شر من عاداهم ﴿ ويخوفونك بالذين من دونه ﴾ وذلك انهم خوفوا النبى صلى الله عليه وسلم مضرة الاوثان وقالوا لتكفن عن شتم آلهتنا أو ليصيبنك منهم خبل أو جنون ﴿ ومن يضلل الله فماله من هاد ومن يهد الله فماله من مضل أليس الله بعزيز ﴾ أى منيع فى ملكه ﴿ ذى انتقام ﴾ أى منتقم من أعدائه.

والشرك والفواحش (لهم مايشاؤن) مايشتهون (عند ربهم) فى الجنة (ذلك) الكرامة (جزاء المحسنين) الموحدين (ليكفر الله عنهم أسوأ الذى عملوا) أقبح أعمالهم (ويجزيهم أجرهم) ثوابهم (بأحسن الذى كانوا يعملون) باحسانهم (أليس الله بكاف عبده) يعنى النبى صلى الله عليه وسلم ويقال خالد بن الوليد مما يريدون به (ويخوفونك) يامحمد (بالذين من دونه) من دون الله يعنى اللات والعزى ومناة يقولون لك لاتشتمها ولا تعبها فتخبلك (ومن يضلل الله) عن دينه (فماله من هاد) مرشد الى دينه وهو أبو جهل وأصحابه (ومن يهدى الله) لدينه (فماله من مضل) عن دينه وهو أبو بكر وأصحابه ويقال هو أبو القاسم عليه السلام (أليس الله بعزيز) فى ملكه وسلطانه (ذى انتقام) ذى نقمة لمن لايؤمن به

ينتقم من أعدائه وفيه وعيد لقريش ووعد للمؤمنين بانه ينتقم لهم منهم وينصرهم عليهم ثم أعلم بانهم مع عبادتهم الاوثان مقرون بان الله تعالى خلق السموات والارض بقوله (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل أفرأيتم ماتدعون من دون الله ان أرادني الله) بفتح الياء سوى حمزة (بضر) مرض أو فقر أو غير ذلك (هل هن كاشفات ضره) دافعات شدته عني (أو أرادني برحمة) صحة أو غنى أو نحوهما (هل هن ممسكات رحمته) كاشفات ضره وممسكات رحمته بالتنوين على الاصل بصري وفرض المسئلة في نفسه دونهم لانهم خوفوه معرة الاوثان وتخبيلها فامر بان يقررهم أولا بان خالق العالم هو الله وحده ثم يقول لهم بعد التقرير فان أرادني خالق العالم الذي أقررتم به بضر أو برحمة هل يقدرون على خلاف ذلك فلما أفحمهم قال الله تعالى (قل حسبي الله) كافيا لمعرة أوثانكم (عليه يتوكل المتوكلون) يروى ان النبي صلى الله عليه وسلم سألهم فسكتوا فنزل قل حسبي الله وانما قال كاشفات وممسكات على التأنيث بعد قوله ويخوفونك بالذين من دونه لانهن اناث وهن اللات والعزى ومناة وفيه تهكم بهم وبمعبوديهم (قل ياقوم اعملوا على مكانتكم) على حالكم التي أنتم عليها وجهتكم من العداوة التي تمكنتم منها والمكانة بمعنى المكان فاستعيرت عن العين للمعنى كما يستعار هنا وحيث للزمان وهما للمكان (اني عامل) أي على مكانتي وحذف للاختصار ولما فيه من زيادة الوعيد والايذان بان حالته تزداد كل يوم قوة لان الله تعالى ناصره ومعينه (فسوف)

ينتقم من اعدائه ﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله ﴾ لوضوح البرهان على تفرده بالخالقية ﴿ قل افرأيتم ماتدعون من دون الله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره ﴾ اى ارأيتم بعدما تحققتم ان خالق العالم هو الله ان آلهتكم ان اراد الله ان يصيبني بضر هل يكشفنه ﴿ اوارادني برحمة ﴾ بنفع ﴿ هل هن ممسكات رحمته ﴾ فيمسكنها عني وقرأ ابو عمرو كاشفات ضره ممسكات رحمته بالتنوين فيهما ونصب ضره ورحمته ﴿ قل حسبي الله ﴾ كافيا في اصابة الخير ودفع الضر اذ تقرر بهذا التقرير انه القادر الذي لامانع لما يريده من خير او شر روى ان النبي عليه الصلاة والسلام سألهم فسكتوا فنزل ذلك وانما قال كاشفات وممسكات على مايصفونها به من الانوثة تنبيها على كمال ضعفها ﴿ عليه يتوكل المتوكلون ﴾ لعلمهم بان الكل منه تعالى ﴿ قل ياقوم اعملوا على مكانتكم ﴾ على حالكم اسم للمكان استعير للحال كما استعير هنا وحيث من المكان للزمان وقرئ مكاناتكم ﴿ اني عامل ﴾ اى على مكانتي فحذف للاختصار والمبالغة في الوعيد والاشعار بان حاله لاتقف فانه تعالى يزيده على مر الايام قوة ونصرة ولذلك

﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله ﴾ يعني ان هؤلاء المشركين مقرون بوجود الاله القادر العالم الحكيم وذلك متفق عليه عند جمهور الخلائق فان فطرة الخلق شاهدة بصحة هذا العلم فان من تأمل عجائب السموات والارض ومافيهما من أنواع الموجودات علم بذلك انها من ابتداع قادر حكيم ثم أمره الله تعالى ان يحتج عليهم بان مايعبدون من دون الله لاقدرة لها على جلب خير أو دفع ضر وهو قوله تعالى ﴿ قل أفرأيتم ماتدعون من دون الله ﴾ يعني الاصنام ﴿ ان أرادني الله بضر ﴾ أي بشدة وبلاء ﴿ هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة ﴾ أي بنعمة وخير وبركة ﴿ هل هن ممسكات رحمته ﴾ فسألهم النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فسكتوا فقال الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم ﴿ قل حسبي الله ﴾ أي هو ثقتي وعليه اعتمادي ﴿ عليه يتوكل المتوكلون ﴾ أي عليه يثق الواثقون ﴿ قل ياقوم اعملوا على مكانتكم ﴾ أي اجتهدوا في أنواع مكركم وكيدكم وهو امر تهديد وتقريع ﴿ اني عامل ﴾ أي فيما أمرت به من اقامة الدين

(ولئن سألتهم) يعني كفار مكة (من خلق السموات والارض ليقولن) كفار مكة (الله) خلقهما (قل) لهم يامحمد (أفرأيتم ماتدعون) تعبدون (من دون الله) اللات والعزى ومناة (ان أرادني الله بضر) بشدة وبلاء (هل هن) اللات والعزى ومناة (كاشفات ضره) دافعات بلاءه وشدته عني (أو أرادني برحمة) بعافية (هل هن) اللات والعزى ومناة (ممسكات) مانعات (رحمته) عني حتى تأمروني بعبادتها (قل) يامحمد (حسبي الله) ثقتي بالله (عليه يتوكل المتوكلون) يعني به يثق الواثقون ويقال على المؤمنين ان يتوكلوا على الله (قل) يامحمد لكفار مكة (ياقوم اعملوا على مكانتكم) على دينكم وفي منازلكم بهلاكي (اني عامل) بهلاككم

لاترى الى قوله (فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم) كيف توعدهم بكونه منصورا عليهم غالبا عليهم فى الدنيا والآخرة لانهم اذا أتاهم الخزى والعذاب فذاك عزه وغلبته من حيث ان الغلبة تتم له بعز عزيز من أوليائه وبذل ذليل من أعدائه ويخزيه صفة للعذاب كمقيم أى عذاب مخذله وهو يوم بدر وعذاب دائم وهو عذاب النار مكاناتكم أبوبكر وحماد (انا أنزلنا عليك الكتاب) القرآن (للناس) لاجلهم ولاجل حاجتهم اليه ليبشروا وينذروا فتقوى دواعيهم الى اختيار الطاعة على المعصية (بالحق فمن اهتدى فلنفسه) فمن اختار الهدى فقد نفع نفسه (ومن ضل فانما يضل عليها) ومن اختار الضلالة فقد ضرها (وما أنت عليهم بوكيل) بحفيظ ثم أخبر بانه الحفيظ القدير عليهم بقوله (الله يتوفى الانفس حين موتها) الانفس الجمل كما هى وتوفيها اماتتها وهو أن يسلب ما هى به حية حساسة دراكة (والتى لم تمت فى منامها) ويتوفى الانفس التى لم تمت فى منامها أى يتوفاها حين تنام تشبيها للنائمين بالموتى حيث لا يميزون ولا يتصرفون كما ان الموتى كذلك ومنه قوله تعالى وهو الذى يتوفاكم بالليل (فيمسك) الانفس (التى قضى) قضى حمزة وعلى (عليها الموت) الحقيقى أى لا يردها فى وقتها حية (ويرسل الاخرى) النائمة (الى أجل مسمى) الى وقت ضربه لموتها وقيل يتوفى الانفس أى يستوفيها ويقبضها وهى الانفس التى تكون معها الحياة والحركة ويتوفى الانفس التى لم تمت فى منامها وهى انفس التمييز قالوا فالتى تتوفى فى المنام هى نفس التمييز لا نفس الحياة اذ لو زالت زال معها

توعدهم بكونه منصورا عليهم فى الدارين فقال ﴿فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه﴾ فان خزى اعدائه دليل غلبته وقد اخزاهم الله يوم بدر ﴿ويحل عليه عذاب مقيم﴾ دائم وهو عذاب النار ﴿انا انزلنا عليك الكتاب للناس﴾ لاجلهم فانه مناط مصالحهم فى معاشهم ومعادهم ﴿بالحق﴾ ملتبسا به ﴿فمن اهتدى فلنفسه﴾ اذ نفع به نفسه ﴿ومن ضل فانما يضل عليها﴾ فان وباله لا يتخطاها ﴿وما انت عليهم بوكيل﴾ وما وكلت عليهم لتجبرهم على الهدى وانما امرت بالبلاغ وقد بلغت ﴿الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها﴾ اى يقبضها عن الابدان بان يقطع تعلقها عنها وتصرفها فيها ظاهرا وباطنا وذلك عند الموت ظاهرا لا باطنا وهو فى النوم ﴿فيمسك التى قضى عليها الموت﴾ ولا يردها الى البدن وقرأ حمزة والكسائى قضى بضم القاف وكسر الضاد والموت بالرفع ﴿ويرسل الاخرى﴾ اى النائمة الى بدنها عند اليقظة ﴿الى اجل مسمى﴾ هو الوقت

﴿فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه﴾ أى أنا وأنتم ﴿ويحل عليه عذاب مقيم﴾ أى دائم وهو تهديد وتخويف ﴿انا أنزلنا عليك الكتاب﴾ يعنى القرآن ﴿للناس بالحق﴾ أى ليهتدى به كافة الخلق ﴿فمن اهتدى فلنفسه﴾ أى ترجع فائدة هدايته اليه ﴿ومن ضل فانما يضل عليها﴾ أى يرجع وبال ضلالته عليه ﴿وما أنت عليهم بوكيل﴾ أى لم توكل بهم ولم تؤاخذ عنهم قيل هذا منسوخ بآية القتال * قوله تعالى ﴿الله يتوفى الانفس﴾ أى الارواح ﴿حين موتها﴾ أى فيقبضها عند فناء أكلها وانقضاء أجلها وهو موت الاجساد ﴿والتى لم تمت فى منامها﴾ والنفس التى يتوفاها عند النوم وهى التى يكون بها العقل والتميز ولكل انسان نفسان نفس هى التى تكون بها الحياة وتفارقه عند الموت وتزول بزوالها الحياة والنفس الاخرى هى التى يكون بها التميز وهى التى تفارقه عند النوم ولا يزول بزوالها التنفس ﴿فيمسك التى قضى عليها الموت﴾ أى فلا يردها الى جسدها ﴿ويرسل الاخرى﴾ أى يرد النفس التى لم يقض عليها الموت الى جسدها ﴿الى أجل مسمى﴾ أى الى أن يأتى وقت موتها وقيل ان للانسان نفسا وروحا فعند النوم تخرج النفس وتبقى الروح وقال

(فسوف) وهذا وعيد لهم من الله (تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه) يذله ويهلكه (ويحل عليه) يجب عليه (عذاب مقيم) دائم (انا أنزلنا عليك الكتاب) جبريل بالقرآن (للناس بالحق) يقول بتبيان الحق والباطل للناس (فمن اهتدى) بالقرآن وآمن به (فلنفسه) الثواب (ومن ضل) كفر بالقرآن (فانما يضل عليها) يجب على نفسه عقوبة ذلك (وما أنت عليهم) على كفار مكة (بوكيل) كفيل تؤخذ بهم (الله يتوفى الانفس) يقبض أرواح الانفس (حين موتها) حين منامها (والتى لم تمت) أيضا (فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الاخرى) التى لم تمت فى منامها (الى أجل مسمى) الى وقت

النفس والنائم يتنفس ولكل انسان نفسان احداهما نفس الحياة وهى التى تفارق عند الموت والاخرى نفس التميز وهى التى تفارقه اذا نام وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما فى ابن آدم نفس وروح بينهما شعاع مثل شعاع الشمس فالنفس هى التى بها العقل والتميز والروح هى التى بها النفس والتحرك فاذا نام العبد قبض الله نفسه ولم يقبض روحه وعن على رضى الله عنه قال تخرج الروح عند النوم ويبقى شعاعها فى الجسد فبذلك يرى الرؤيا فاذا انتبه من النوم عاد الروح الى جسده باسرع من لحظة وعنه مارأت نفس النائم فى السماء فهى الرؤيا الصادقة ومارأت بعد الارسال فيلقنها الشيطان فهى كاذبة وعن سعيد بن جبيران

وأرواح الاموات تلتقى فى المنام فيتعارف منها ما شاء الله ان يتعارف فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى اجسادها الى انقضاء مدة حياتها وروى أن أرواح المؤمنين تعرج عند النوم فى السماء فمن كان منهم طاهرا أذن له فى السجود ومن لم يكن منهم طاهرا لم يؤذن له فيه (ان فى ذلك) ان فى توفى الانفس مائتة ونائمة وامساكها وارسالها الى أجل (لآيات) على قدرة الله وعلمه (لقوم يتفكرون) يجيلون فيه أفكارهم ويعتبرون (أم اتخذوا) بل اتخذ قريش والهمزة للانكار (من دون الله) من دون اذنه (شفعاء) حين قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله ولا يشفع عنده أحد الا باذنه (قل اولو كانوا لا يملكون شيأ ولا يعقلون) معناه أيشفعون ولو كانوا لا يملكون شيأ

المضروب لموته وهو غاية جنس الارسال وماروى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان فى ابن آدم نفسا وروحا بينهما مثل شعاع الشمس فالنفس التى بها العقل والتميز والروح التى بها النفس والحياة فتتوفيان عند الموت وتتوفى النفس وحدها عند النوم قريب مما ذكرناه ﴿ ان فى ذلك ﴾ من التوفى والامساك والارسال ﴿ لآيات ﴾ على كما قدرته وحكمته وشمول رحمته ﴿ لقوم يتفكرون ﴾ فى كيفية تعلقها بالابدان وتوفيها عنها بالكلية حين الموت وامساكها باقية لاتفنى بفنائها ومايعتريها من السعادة والشقاوة والحكمة فى توفيها عن ظواهرها وارسالها حينا بعد حين الى توفى آجالها ﴿ أم اتخذوا ﴾ بل اتخذ قريش ﴿ من دون الله شفعاء ﴾ تشفع لهم عند الله ﴿ قل اولو كانوا لا يملكون شيأ ولا يعقلون ﴾ أيشفعون ولو كانوا على هذه الصفة كما

على بن أبى طالب تخرج الروح عند النوم ويبقى شعاعها فى الجسد فبذلك يرى الرؤيا فاذا انتبه من النوم عادت الروح الى الجسد باسرع من لحظة وقيل ان أرواح الاحياء والاموات تلتقى فى المنام فتتعارف ماشاء الله تعالى فاذا أرادت الرجوع الى أجسادها أمسك الله تعالى أرواح الاموات عنده وأرسل أرواح الاحياء الى أجسادها الى حين انقضاء مدة آجالها (ق) عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أوى أحدكم الى فراشه فلينفض فراشه بداخلة ازاره فانه لايدرى ماخلفه عليه ثم يقول باسمك ربى وضعت جنبى وبك ارفعه ان أمسكت نفسى فارحمها وان أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين * فان قلت كيف الجمع بين قوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها وبين قوله قل يتوفاكم ملك الموت وبين قوله تعالى حتى اذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا * قلت المتوفى فى الحقيقة هو الله تعالى وملك الموت هو القابض للروح باذن الله تعالى ولملك الموت أعوان وجنود من الملائكة ينتزعون الروح من سائر البدن فاذا بلغت الحلقوم قبضها ملك الموت ﴿ ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ أى فى البعث وذلك أن توفى نفس النائم وارسالها بعد التوفى دليل على البعث وقيل ان فى ذلك دليلا على قدرتنا حيث لم نغلط فى امساك مانمسك من الارواح وارسال مانرسل منها * قوله تعالى ﴿ أم اتخذوا من دون الله شفعاء ﴾ يعنى الاصنام ﴿ قل ﴾ يا محمد ﴿ أولو كانوا ﴾ يعنى الآلهة ﴿ لا يملكون شيأ ﴾ أى من الشفاعة ﴿ ولا يعقلون ﴾ أى

معلوم (ان فى ذلك) فى امساكه وارساله (لآيات) لعلامات وعبرا (لقوم يتفكرون) فيها (أم اتخذوا) عبدوا (من دون الله) كفار مكة (شفعاء) آلهة لكى يشفعوا لهم (قل) لهم يا محمد (أولو كانوا لا يملكون شيأ) يقول هم لا يقدرون على شئ من الشفاعة (ولا يعقلون) الشفاعة فكيف

قط ولاعقل لهم (قل لله الشفاعة جميعا) أى هو مالكها فلايستطيع أحد شفاعة الاباذنه وانتصب جميعا على الحال (له ملك السموات والارض) تقرير لقوله لله الشفاعة جميعا لانه اذا كان له الملك كله والشفاعة من الملك كان مالكا لها (ثم اليه ترجعون) متصل بما يليه معناه له ملك السموات والارض اليوم ثم اليه ترجعون يوم القيامة فلايكون الملك فى ذلك اليوم الا له فله ملك الدنيا والآخرة (واذا ذكر الله وحده) مدار المعنى على قوله وحده أى اذا أفرد الله بالذكر ولم تذكر معه آلهتهم

تشاهدونهم جمادات لاتقدر ولا تعلم ﴿ قل لله الشفاعة جميعا ﴾ رد لما عسى يجيبون به وهو ان الشفعاء اشخاص مقربون هى تماثيلهم والمعنى انه مالك الشفاعة كلها لايستطيع احدشفاعة الاباذنه ولا يستقل بها ثم قرر ذلك فقال ﴿ له ملك السموات والارض ﴾ فانه مالك الملك كله لايملك احد ان يتكلم فى امره دون اذنه ورضاه ﴿ ثم اليه ترجعون ﴾ يوم القيامة فيكون الملك له ايضا حينئذ ﴿ واذا ذكر الله وحده ﴾ دون آلهتهم ﴿ اشمأزت قلوب الذين لايؤمنون بالآخرة ﴾ انقبضت ونفرت ﴿ واذا ذكر الذين من دونه ﴾ يعنى الاوثان ﴿ اذاهم يستبشرون ﴾ لفرط افتنانهم بها ونسيانهم حق الله وقد بالغ فى الامرين حتى بلغ الغاية فيهما فان الاستبشار ان يمتلئ قلبه سرورا حتى تبسط له بشرة وجهه والاشمئزاز ان يمتلئ غما حتى ينقبض اديم وجهه والعامل فى اذا المفاجأة ﴿ قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة ﴾ التجئ الى الله بالدعاء لما تحيرت فى امرهم وعجزت فى عنادهم وشدة شكيمتهم فانه القادر على الاشياء والعالم بالاحوال كلها ﴿ انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ﴾ فانت وحدك تقدر ان تحكم بينى وبينهم

انكم تعبدونهم وان كانوا بهذه الصفة ﴿ قل لله الشفاعة جميعا ﴾ أى لايشفع أحد الا باذنه فكان الاشتغال بعبادته أولى لانه هو الشفيع فى الحقيقة وهو يأذن فى الشفاعة لمن يشاء من عباده ﴿ له ملك السموات والارض ﴾ أى لاملك لاحد فيهما سواه ﴿ ثم اليه ترجعون ﴾ أى فى الآخرة * قوله تعالى ﴿ واذا ذكر الله وحده اشمأزت ﴾ أى نفرت وقال ابن عباس انقبضت عن التوحيد وقيل استكبرت ﴿ قلوب الذين لايؤمنون بالآخرة ﴾ قيل اذا اشمأز القلب من عظيم غمه وغيظه انقبض الروح الى داخله فيظهر على الوجه أثر ذلك مثل الغبرة والظلمة ﴿ واذا ذكر الذين من دونه ﴾ يعنى الاصنام ﴿ اذاهم يستبشرون ﴾ أى يفرحون والاستبشار أن يمتلئ القلب سرورا حتى يظهر على الوجه فيتهلل * قوله عزوجل ﴿ قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة ﴾ وصف نفسه بكمال القدرة وكمال العلم ﴿ أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ﴾ أى من أمر الدين (م) عن أبى سلمة بن عبد الرحمن قال سألت عائشة

ذكر الذين من دونه) يعنى آلهتهم ذكر الله معهم أولم يذكر (اذاهم يستبشرون) لافتتانهم بها واذا قيل لا اله الا الله وحده لاشريك له نفروا لان فيه نفيا لآلهتهم ولقد تقابل الاستبشار والاشمئزاز اذ كل واحد منهما غاية فى بابه فالاستبشار أن يمتلئ قلبه سرورا حتى تنبسط له بشرة وجهه ويتهلل والاشمئزاز ان يمتلئ غما وغيظا حتى يظهر الانقباض فى أديم وجهه والعامل فى اذا ذكر هو العامل فى اذا المفاجأة تقديره وقت ذكر الذين من دونه فاجؤا وقت الاستبشار (قل اللهم فاطر السموات والارض) أى يافاطر وليس بوصف كما يقوله المبرد والفراء (عالم الغيب والشهادة) السر والعلانية (أنت تحكم) تقضى (بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون)

يشفعون (قل لله الشفاعة جميعا) (قا و خا ٤١ مس) بيد الله الشفاعة جميعا فى الآخرة (له ملك) خزائن (السموات) المطر (والارض) النبات (ثم اليه ترجعون) فى الآخرة فيجزيكم بأعمالكم (واذا ذكر الله وحده) اذا قيل لهم قولوا لا اله الا الله (اشمأزت) نفرت (قلوب الذين لايؤمنون بالآخرة) بالبعث بعد الموت (واذا ذكر الذين من دونه) من دون الله اللات والعزى ومناة (اذاهم يستبشرون) بذكر آلهتهم (قل اللهم) قل يا الله أم بنا أى اقصد بنا الى الخير (فاطر السموات والارض) ياخالق السموات والارض (عالم الغيب) ياعالم الغيب ماغاب عن العباد (والشهادة) ماعلمه العباد (أنت تحكم بين عبادك) تقضى بين عبادك يوم القيامة (فيما كانوا فيه) فى الدين (يختلفون) يخالفون

من الهدى والضلالة وقيل هذه محاكمة من النبي للمشركين الى الله وعن ابن المسيب لا أعرف آية قرئت فدعى عندها الا أجيب سواهـا ومن الربيع بن خيثم وكان قليل الكلام انه أخبر بقتل الحسين رضي الله عنه وقالوا الآن يتكلم فما زاد ان قال آه أوقد فعلوا وقرأ هذه الآية وروى انه قال على أثره قتل من كان صلى الله عليه وسلم يجلسه في حجره ويضع فاه على فيه (ولو أن للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه) الهاء تعود الى ما (لافتدوا به من سوء العذاب) شدته (يوم القيمة وبدا لهم

من الله مالم يكونوا يحتسبون) وظهر لهم من سخط الله وعذابه مالم يكن قط في حسبانهم ولا يحدثون به نفوسهم وقيل عملوا أعمالا حسبوها حسنات فاذا هي سيآت وعن سفيان الثوري انه قرأها فقال ويل لاهل الرياء ويل لاهل الرياء وجزع محمد بن المنكدر عند موته فقيل له فقال أخشى آية من كتاب الله وتلاها فانا أخشى أن يبدو لي من الله مالم أحتسبه (وبدا لهم سيآت ما كسبوا) أى سيآت أعمالهم التي كسبوها أو سيآت كسبهم حين تعرض صحائف أعمالهم وكانت خافية عليهم أو عقاب ذلك (وحاق بهم) ونزل بهم وأحاط (ما كانوا به يستهزؤن) جزاء هزئهم (فاذا مس الانسان ضر دعانا ثم اذا خولناه) أى أعطيناه تفضلا يقال خولني اذا أعطاك على غير جزاء (نعمة منا) ولا تقف عليه لان جواب اذا (قال انما أوتيته على علم) مني أني سأعطاه لما في من

﴿ ولو ان للذين ظلموا ما فى الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيمة ﴾ وعيد شديد واقناط كلي لهم من الخلاص ﴿ وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون ﴾ زيادة مبالغة فيه وهو نظير قوله فلا تعلم نفس ما اخفي لهم في الوعد ﴿ وبدا لهم سيآت ما كسبوا ﴾ سيآت اعمالهم او كسبهم حين يعرض صحائفهم ﴿ وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن ﴾ واحاط بهم جزاؤه ﴿ فاذا مس الانسان ضر دعانا ﴾ اخبار عن الجنس بما يغلب فيه والعطف على قوله واذا ذكر الله وحده بالفاء لبيان مناقضتهم وتعكيسهم في التسبب بمعنى انهم يشمئزون عن ذكر الله وحده ويستبشرون بذكر الآلهة فاذا مسهم ضر دعوا من اشمأزوا من ذكره دون من استبشروا بذكره وما بينهما اعتراض مؤكد لانكار ذلك عليهم ﴿ ثم اذا خولناه نعمة منا ﴾ اعطيناه اياها تفضلا فان التخويل مختص به ﴿ قال انما اوتيته على علم ﴾ اى على علم مني بوجوه كسبه او باني سأعطاه لما لي من استحقاقه او من الله تعالى بي واستحقاقي والهاء لما

رضى الله تعالى عنها بأى شئ كان نبي الله صلى الله عليه وسلم يفتتح صلاته اذا قام من الليل قالت كان اذا قام من الليل افتتح صلاته قال اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم * قوله عز وجل ﴿ ولو ان للذين ظلموا ما فى الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيمة وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون ﴾ أى ظهر لهم حين بعثوا مالم يحتسبوا أنه نازل بهم في الآخرة وقيل ظنوا ان لهم حسنات فبدت لهم سيآت والمعنى انهم كانوا يتقربون الى الله تعالى بعبادة الاصنام فلما عوقبوا عليها بدا لهم من الله مالم يحتسبوا وروى أن محمد بن المنكدر جزع عند الموت فقيل له في ذلك فقال أخشى أن يبدو لي مالم أكن أحتسب ﴿ وبدا لهم سيآت ما كسبوا ﴾ أى مساوى أعمالهم من الشرك وظلم أولياء الله تعالى ﴿ وحاق ﴾ أى نزل ﴿ بهم ما كانوا به يستهزؤن فاذا مس الانسان ضر ﴾ أى شدة ﴿ دعانا ثم اذا خولناه ﴾ أى أعطيناه ﴿ نعمة منا قال انما أوتيته على علم ﴾ أى من الله تعالى علم اني له أهل وقيل على خير علمه الله عنده

(ولو أن للذين ظلموا) أشركوا (ما فى الارض جميعا ومثله معه) ضعفه معه (لافتدوا به) لفادوا به أنفسهم (من سوء العذاب) من شدة العذاب (يوم القيمة وبدا لهم) ظهر لهم (من الله) من عذاب الله (مالم يكونوا يحتسبون) يظنون (وبدا لهم) ظهر لهم (سيآت ما كسبوا) أقبح أعمالهم (وحاق بهم) نزل بهم عذاب (ما كانوا به يستهزؤن) يهزؤن بالانبياء والكتب ويقال عذاب ما كانوا يستهزؤن به (فاذا مس) أصاب (الانسان) الكافر (ضر) شدة (دعانا) لكشف الشدة (ثم اذا خولناه) بدلناه (نعمة منا قال انما أوتيته) أعطيت هذا المال الذي أعطيت (على علم) صلاح وخير علمه الله في

فضل واستحقاق أو على علم منى بوجوه الكسب كما قال قارون على علم عندى وانما ذكر الضمير فى أوتيته وهو للنعمة نظرا الى المعنى لان قوله نعمة منا شيأ من النعمة وقسما منها وقيل ما فى انما موصولة لا كافة فيرجع الضمير اليها أى ان الذى أوتيته على علم (بل هى فتنة) انكار له كأنه قال ما خولناك من النعمة لما تقول بل هى فتنة أى ابتلاء وامتحان لك أتشكر أم تكفر ولما كان الخبر مؤنثا أعنى فتنة ساغ تأنيث المبتدأ لاجله وقرئ بل هو فتنة على وفق انما أوتيته (ولكن أكثرهم لايعلمون) انها فتنة والسبب فى عطف هذه الآية بالفاء وعطف مثلها فى أول السورة بالواو ان هذه وقعت مسببة عن قوله واذا ذكر الله وحده اشمأزت على معنى انهم يشمئزون من ذكر الله ويستبشرون بذكر الآلهة واذا مس أحدهم ضر دعا من اشمأز بذكره دون من استبشر بذكره وما بينهما من الآى اعتراض • فان قلت حق الاعتراض ان يؤكد المعترض بينه وبينه • قلت ما فى الاعتراض من دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم ربه بأمر من الله وقوله أنت تحكم بين عبادك ثم ما عقبه من الوعيد العظيم تأكيد لانكار اشمئزازهم واستبشارهم ورجوعهم الى الله فى الشدائد دون آلهتهم كأنه قيل قل يارب لايحكم بينى وبين هؤلاء الذين

يجترؤن عليك مثل هذه الجراءة الا أنت وقوله ولو أن للذين ظلموا متناول لهم ولكل ظالم ان جعل عاما أو اياهم خاصة ان عنيتهم به كأنه قيل ولو أن لهؤلاء الظالمين ما فى الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به حين حكم عليهم بسوء العذاب وأما الآية الاولى فلم تقع مسببة وما هى الا جملة ناسبت جملة قبلها فعطفت عليها بالواو نحو قام زيد وقعد عمرو وبيان وقوعها مسببة انك تقول زيد يؤمن بالله فاذا مسه ضر التجأ اليه فهذا تسبيب ظاهر ثم تقول زيد كافر بالله فاذا مسه ضر التجأ اليه فتجئ بالفاء مجيئك بها ثمة كأن الكافر حين التجأ الى الله التجأ المؤمن اليه مقيم كفره مقام الايمان فى جعله سببا فى الالتجاء (قد قالها) هذه المقالة وهى قوله انما أوتيته على علم (الذين من قبلهم) أى قارون وقومه حيث قال انما أوتيته على علم عندى وقومه راضون بها فكأنهم قالوها ويجوز أن يكون فى الامم الخالية آخرون قائلون مثلها (فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون) من متاع الدنيا وما يجمعون منها (فاصابهم سيآت ما كسبوا) أى جزاء سيآت كسبهم أو سمى جزاء السيئة سيئة للازدواج كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها (والذين ظلموا) كفروا (من هؤلاء) أى من مشركى قومك (سيصيبهم سيآت ما كسبوا) أى

ان جعلت موصولة والا فللنعمة والتذكير لان المراد شئ منها ﴿ بل هى فتنة ﴾ امتحان له أيشكر أم يكفر وهو رد لما قاله وتأنيث الضمير باعتبار الخبر او لفظ النعمة وقرئ بالتذكير ﴿ ولكن اكثرهم لايعلمون ﴾ ذلك وهو دليل على ان الانسان للجنس ﴿ قد قالها الذين من قبلهم ﴾ الهاء لقوله انما اوتيته على علم لانها كلمة او جملة وقرئ بالتذكير والذين من قبلهم قارون وقومه فانه قاله ورضى به قومه ﴿ فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون ﴾ من متاع الدنيا ﴿ فاصابهم سيآت ما كسبوا ﴾ جزاء سيآت اعمالهم او جزاء اعمالهم وسماه سيئة لانه فى مقابلة اعمالهم السيئة رمزا الى ان جميع اعمالهم كذلك ﴿ والذين ظلموا ﴾ بالعتو ﴿ من هؤلاء ﴾ المشركين ومن للبيان او التبعيض ﴿ سيصيبهم سيآت ما كسبوا ﴾

﴿ بل هى فتنة ﴾ يعنى تلك النعمة استدراج من الله تعالى وامتحان وبلية ﴿ ولكن أكثرهم لايعلمون ﴾ يعنى انها استدراج من الله تعالى ﴿ قد قالها الذين من قبلهم ﴾ يعنى قارون فانه قال انما أوتيته على علم عندى ﴿ فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون ﴾ أى فما أغنى الكفر من العذاب شيأ ﴿ فاصابهم سيآت ما كسبوا ﴾ أى جزاؤها وهو العذاب ثم أوعد كفار مكة فقال تعالى ﴿ والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيآت ما كسبوا

(بل هى فتنة) بلية ومكر منا لهم (ولكن أكثرهم) كلهم (لايعلمون) ذلك (قد قالها) يعنى هذه المقالة (الذين من قبلهم) من قبل قومك يا محمد مثل قارون وغيره (فما أغنى عنهم) ما نفع لهم من عذاب الله (ما كانوا يكسبون) يقولون ويعملون ويعبدون من دون الله ولا ما كانوا يجمعون من المال (فاصابهم سيآت ما كسبوا) عذاب ما قالوا وعملوا وجمعوا فى الدنيا من المال (والذين ظلموا) أشركوا (من هؤلاء) من كفار مكة (سيصيبهم سيآت ما كسبوا) أى عقوبات ما عملوا مثل

كما أصاب اولئك وقد اصابهم فانهم قحطوا سبع سنين وقتل ببدر صناديدهم ﴿وماهم بمعجزين﴾ فائتين ﴿أولم يعلموا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر﴾ حيث حبس عنهم الرزق سبعا ثم بسط لهم سبعا ﴿ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون﴾ بان الحوادث كلها من الله بوسط او بغيره ﴿قل ياعبادى الذى اسرفوا على انفسهم﴾ افرطوا فى الجناية عليها بالاسراف فى المعاصى واضافة العباد تخصصه بالمؤمنين على ماهو عرف القرآن ﴿لاتقنطوا من رحمة الله﴾ لاتيأسوا من مغفرته اولا وتفضله ثانيا

وماهم بمعجزين﴾ أى بفائتين لان مرجعهم الى الله تعالى ﴿أولم يعلموا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء﴾ أى يوسع الرزق لمن يشاء ﴿ويقدر﴾ أى يقتر ويضيق على من يشاء ﴿ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون﴾ أى يصدقون * قوله تعالى ﴿قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله﴾ روى عن ابن عباس رضى الله عنهما فى سبب نزول هذه الآية ان ناسا من أهل الشرك قتلوا فأكثروا وزنوا فأكثروا وانتهكوا الحرمات فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يامحمد ان الذى تقول وتدعو اليه لحسن لو تخبرنا بان لما عملنا كفارة فنزلت والذين لايدعون مع الله الها آخر الى قوله فأولئك يبدل الله سيآتهم حسنات قال يبدل شركهم ايمانا وزناهم احصانا ونزلت قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله أخرجه النسائى وعن ابن عباس أيضا قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى وحشى يدعوه الى الاسلام فارسل اليه كيف تدعونى الى دينك وأنت تزعم ان من قتل أو أشرك أو زنى يلق أثاما يضاعف له العذاب وأنا قد فعلت ذلك كله فانزل الله تعالى الامن تاب وآمن وعمل عملا صالحا فقال وحشى هذا شرط شديد لعلى لاأقدر عليه فهل غير ذلك فانزل الله تعالى ان الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء فقال وحشى أرانى بعد فى شبهة فلاأدرى أيغفر لى أم لا فانزل الله تعالى قل ياعبادى الذى أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله فقال وحشى نعم هذا فجاء فاسلم وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال نزلت هذه الآيات فى عياش بن أبى ربيعة والوليد بن الوليد ونفر من المسلمين كانوا قد أسلموا ثم فتنوا وعذبوا فافتتنوا فكنا نقول لايقبل الله من هؤلاء صرفا ولاعدلا أبدا قوم أسلموا ثم تركوا دينهم لعذاب عذبوا به فانزل الله تعالى هذه الآية فكتبها عمر بن الخطاب رضى الله عنه بيده ثم بعث بها الى عياش بن أبى ربيعة والوليد بن الوليد والى أولئك النفر فاسلموا جميعا وهاجروا * وعن ابن عمر أيضا قال كنا معشر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نرى أونقول ليس شئ من حسناتنا الاوهى مقبولة حتى نزلت أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولاتبطلوا أعمالكم فلما نزلت هذه الآية قلنا ماهذا الذى يبطل أعمالنا فقال الكبائر والفواحش قال فكنا اذا رأينا من أصاب شيأ منها قلنا هلك فنزلت هذه الآية فكففنا عن القول فى ذلك وكنا اذا رأينا من أصحابنا من أصاب شيأ من ذلك خفنا عليه وان لم يصب منها شيأ رجونا له * وقوله اسرفوا على أنفسهم أى تجاوزوا الحد فى كل فعل مذموم وقيل هو ارتكاب الكبائر وغيرها من الفواحش لاتقنطوا من رحمة الله أى لاتيأسوا من رحمة الله والقنوط من رحمة الله

سيصيبهم مثل ماأصاب أولئك فقتل صناديدهم ببدر وحبس عنهم الرزق فقحطوا سبع سنين (وماهم بمعجزين) بفائتين من عذاب الله ثم بسط لهم فمطروا سبع سنين فقيل لهم (أولم يعلموا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) ويضيق وقيل يجعله على قدر القوت (ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون) بانه لاقابض ولا باسط الا الله عزوجل (قل ياعبادى الذين) وبسكون الياء بصرى وحمزة وعلى (أسرفوا على أنفسهم) جنوا عليها بالاسراف فى المعاصى والغلو فيها (لاتقنطوا) لاتيأسوا وبكسر النون على وبصرى (من رحمة الله

ما أصاب الذين من قبلهم (وماهم بمعجزين) بفائتين من عذاب الله (أولم يعلموا) كفار مكة (ان الله يبسط الرزق لمن يشاء) يوسع المال على من يشاء وهو مكر منه (ويقدر) يقتر على من يشاء وهو نظر منه (ان فى ذلك) فى البسط والتقتير (لآيات) لعلامات وعبرا (لقوم يؤمنون) بمحمد عليه السلام والقرآن (قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم) بالكفر والشرك والزنا والقتل (لاتقنطوا من رحمة الله) لاتيأسوا من مغفرة الله

﴿ان الله يغفر الذنوب جميعا﴾ عفوا ولو بعد تعذيب وتقييده بالتوبة خلاف الظاهر ويدل على اطلاقه فيما عدا الشرك قوله ان الله لا يغفر ان يشرك به الآية والتعليل بقوله ﴿انه هو الغفور الرحيم﴾ على المبالغة وافادة الحصر والوعد بالرحمة بعد المغفرة وتقديم ما يستدعى عموم المغفرة مما فى عبادى من الدلالة على الذلة والاختصاص المقتضيين للترحم وتخصيص ضرر الاسراف بانفسهم والنهى عن القنوط مطلقا عن الرحمة فضلا عن المغفرة واطلاقها وتعليله بان الله يغفر الذنوب ووضع اسم الله موضع الضمير لدلالته على انه المستغنى والمنعم على الاطلاق والتأكيد بالجميع وما روى انه عليه الصلاة والسلام قال ما احب ان يكون لى الدنيا وما فيها بها فقال رجل يارسول الله ومن اشرك فسكت ساعة ثم قال ألا ومن اشرك ثلاث مرات وما روى ان اهل مكة قالوا ايزعم محمد ان من عبد الوثن وقتل النفس بغير حق لم يغفر له فكيف ولم نهاجر وقد عبدنا الاوثان وقتلنا النفس فنزلت وقيل فى عياش والوليد بن الوليد فى جماعة فتنوا فافتتنوا او فى الوحشى لا ينفى عمومها وكذا قوله

والامن من مكر الله من الكبائر ﴿ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم﴾ فان قلت حمل هذه الآية على ظاهرها يكون اغراء بالمعاصى واطلاقا فى الاقدم عليها وذلك لا يمكن قلت المراد منها التنبيه على انه لا يجوز ان يظن العاصى انه لا مخلص له من العذاب فان من اعتقد ذلك فهو قانط من رحمة الله اذ لا أحد من العصاة الا ومتى تاب زال عقابه وصار من أهل المغفرة والرحمة فمعنى قوله ان الله يغفر الذنوب جميعا أى اذا تاب وصحت التوبة غفرت ذنوبه ومن مات قبل أن يتوب فهو موكول الى مشيئة الله تعالى فان شاء غفر له وعفا عنه وان شاء عذبه بقدر ذنوبه ثم يدخله الجنة بفضله ورحمته فالتوبة واجبة على كل أحد وخوف العقاب مطلوب فلعل الله تعالى يغفر مطلقا ولعله يعذب ثم يعفو بعد ذلك والله اعلم

فصل فى ذكر أحاديث تتعلق بالآية

روى عن ابن مسعود رضى الله عنه انه دخل المسجد فاذا قاص يقص وهو يذكر النار والاغلال فقام على رأسه فقال لم تقنط الناس ثم قرأ قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا * عن أسماء بنت يزيد قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا ولا يبالى أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب (ق) عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال كان فى بنى اسرائيل رجل قتل تسعة وتسعين انسانا ثم خرج يسأل هل له توبة فأتى راهبا فسأله فقال هل لى من توبة قال لا فقتله وجعل يسأل فقال له رجل أئت قرية كذا وكذا فادركه الموت فضرب صدره نحوها فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فاوحى الله تعالى الى هذه ان تقربى وأوحى الله الى هذه أن تباعدى وقال قيسوا ما بينهما فوجد أقرب الى هذه بشبر فغفر له لفظ البخارى ولمسلم قال فدل على راهب

ان الله يغفر الذنوب جميعا) بالعفو عنها الا الشرك وفى قراءة النبى عليه السلام يغفر الذنوب جميعا ولا يبالى ونظير نفى المبالات ونفى الخوف فى قوله ولا يخاف عقباها قيل نزلت فى وحشى قاتل حمزة رضى الله عنه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحب ان لى الدنيا وما فيها بهذه الآية (انه هو الغفور) بستر عظائم الذنوب (الرحيم) بكشف فظائع الكروب

(ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور) لمن تاب من الكفر وآمن بالله (الرحيم) لمن مات على التوبة

﴿وانيبوا الى ربكم واسلموا له من قبل ان يأتيكم العذاب ثم لاتنصرون﴾ فانها لاتدل على حصول المغفرة لكل احد من غير توبة وسبق تعذيب لتغنى عن التوبة والاخلاص فى العمل وتنافى الوعيد بالتعذيب ﴿واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم﴾ القرآن اوالمأمور به دون المنهى عنه اوالعزائم دون الرخص اوالناسخ دون المنسوخ ولعله

فأتاه فقال له ان رجلا قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة فقال لا فقتله فكمل به مائة ثم سأل عن أعلم أهل الارض فدل على رجل عالم فقال انه قتل مائة نفس فهل له من توبة قال نعم ومن يحول بينه وبين التوبة انطلق الى أرض كذا وكذا فان بها اناسا يعبدون الله تعالى فاعبد الله معهم ولاترجع الى أرضك فانها أرض سوء فانطلق حتى اذا كان نصف الطريق أتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فاوحى الله الى هذه ان تقربى والى هذه أن تباعدى وقال قيسوا ما بينهما فأتاهم ملك فى صورة آدمى فجعلوه بينهم فقال قيسوا ما بين الارضين فالى أيهما كان أدنى فهو له فقاسوا فوجدوه أدنى الى الارض الذى أراد فقبضته ملائكة الرحمة (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان رجل أسرف على نفسه وفى رواية لم يعمل خيرا قط وفى رواية لم يعمل حسنة قط فلما حضره الموت قال لبنيه اذا أنامت فاحرقونى ثم اطحنونى ثم ذرونى فى الريح فوالله لئن قدر على ربى ليعذبنى عذابا ماعذبه أحدا فلما مات فعل به ذلك فامر الله تعالى الارض فقال اجمعى مافيك منه ففعلت فاذا هو قائم فقال ماحملك على ماصنعت قال خشيتك يارب أو قال مخافتك فغفر له بذلك وعنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كان فى بنى اسرائيل رجلان متحابان أحدهما مذنب والآخر فى العبادة مجتهد فكان المجتهد لايزال يرى الآخر على ذنب فيقول له اقصر فوجده يوما على ذنب فقال له اقصر فقال له خلنى وربى أبعثت على رقيبا فقال والله لايغفر لك الله أو قال لايدخلك الجنة فقبض الله أرواحهما فاجتمعا عند رب العالمين فقال الرب تبارك وتعالى للمجتهد أكنت على مافى يدى قادرا وقال للمذنب اذهب فادخل الجنة برحمتى وقال للآخر اذهبوا به الى النار قال أبو هريرة تكلم والله بكلمة أوبقت دنياه وآخرته أخرجه أبو داود عن أنس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله عز وجل يا ابن آدم انك مادعوتنى ورجوتنى غفرت لك على ما كان منك ولا أبالى يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتنى غفرت لك ولا أبالى يا ابن آدم لو أنك أتيتنى بقراب الارض خطايا ثم لقيتنى لاتشرك بى شيأ لاتيتك بقرابها مغفرة أخرجه الترمذى قوله عنان السماء العنان السحاب وقيل هو ما عن لك منها وقراب الارض بضم القاف هو ما يقارب ملأها * قوله عز وجل ﴿ وأنيبوا الى ربكم ﴾ أى ارجعوا اليه بالتوبة والطاعة ﴿ وأسلموا له ﴾ أى أخلصوا له التوحيد ﴿ من قبل ان يأتيكم العذاب ثم لاتنصرون ﴾ أى لاتمنعون منه ﴿ واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم ﴾ يعنى القرآن لانه كله حسن ومعنى الآية على ماقاله الحسن الزموا طاعة الله واجتنبوا معصيته فانه أنزل فى القرآن ذكر القبيح

(وأنيبوا الى ربكم) وتوبوا اليه (واسلموا له) وأخلصوا له العمل (من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لاتنصرون) ان لم تتوبوا قبل نزول العقاب (واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم) مثل قوله الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه وقوله

(وأنيبوا الى ربكم) أقبلوا الى ربكم بالتوبة من الكفر (وأسلموا له) آمنوا بالله وأطيعوا الله (من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لاتنصرون) لاتمنعون من عذاب الله نزلت هذه الآية فى الوحشى وأصحابه ثم قال (واتبعوا أحسن ما نزل اليكم من ربكم)

(ليجتنب)

(من قبل أن يأتيكم العذاب بغته وأنتم لاتشعرون) أى يفجؤكم وأنتم غافلون كانكم لاتخشون شيأ لفرط غفلتكم (أن تقول) لئلا تقول (نفس) انما نكرت لان المراد بها بعض الانفس وهى نفس الكافر ويجوز ان يراد نفس متميزة من الانفس اما بلجاج فى الكفر شديد أو بعذاب عظيم ويجوز ان يراد التكثير (ياحسرتا) الالف بدل من ياء المتكلم وقرئ ياحسرتى على الاصل ويا حسرتاى على الجمع بين العوض والمعوض منه (على مافرطت) قصرت وما مصدرية مثلها فى بما رحبت (فى جنب الله) أمر الله أو فى طاعة الله أو فى ذاته وفى حرف عبدالله فى ذكر الله والجنب الجانب يقال أنا فى جنب فلان وجانبه وناحيته وفلان لين الجانب والجنب ثم قالوا افرط فى جنبه وفى جانبه يريدون فى حقه وهذا من باب الكناية لانك اذا أثبت الامر فى مكان الرجل وحيزه فقد أثبته فيه ومنه الحديث من الشرك الخفى ان يصلى الرجل لمكان الرجل أى لاجله وقال الزجاج معناه فرط فى طريق الله وهو توحيده والاقرار بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم (وان كنت لمن الساخرين) المستهزئين قال قتادة لم يكفه ان ضيع طاعة الله حتى سخر من أهلها ومحل وان كنت النصب على الحال كانه قال فرطت وأنا ساخر أى فرطت فى حال سخريتى (أو تقول لو أن الله هدانى) أى أعطانى الهداية (لكنت من المتقين) من الذين يتقون الشرك قال الشيخ الامام أبو منصور رحمه الله تعالى هذا الكافر أعرف بهداية الله من

ماهو انجى واسلم كالانابة والمواظبة على الطاعة ﴿من قبل ان يأتيكم العذاب بغتة وانتم لاتشعرون﴾ بمجيئه فتتدار كون ﴿ان تقول نفس﴾ كراهة ان تقول وتنكير نفس للتقليل لان القائل بعض الانفس او للتكثير كقول الاعشى

ورب بقيع لو هتفت بجوه * اتانى كريم ينفض الرأس مغضبا

﴿ياحسرتا﴾ وقرئ بالياء على الاصل ﴿على مافرطت﴾ قصرت ﴿فى جنب الله﴾ فى جانبه اى فى حقه وهو طاعته قال سابق البربرى

اماتتقين الله فى جنب وامق * له كبد حرى عليك تقطع

وهو كناية فيها مبالغة كقوله

ان السماحة والمروءة والندى * فى قبة ضربت على ابن الحشرج

وقيل فى ذاته على تقدير مضاف كالطاعة وقيل فى قربه من قوله والصاحب بالجنب وقرئ فى ذكر الله ﴿وان كنت لمن الساخرين﴾ المستهزئين باهله ومحل ان كنت نصب على الحال كأنه قال فرطت وانا ساخر ﴿أو تقول لو ان الله هدانى﴾ بالارشاد الى الحق ﴿لكنت من المتقين﴾ الشرك والمعاصى

ليجتنب وذكر الادون لئلا يرغب فيه وذكر الحسن لتؤثره وتأخذ به وقيل الاحسن اتباع الناسخ وترك العمل بالمنسوخ ﴿من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لاتشعرون﴾ يعنى غافلين عنه ﴿أن تقول نفس﴾ أى لئلا تقول وقيل معناه بادروا واحذروا ان تقول وقيل خوف أن تصيروا الى حال ان تقول نفس ﴿ياحسرتا﴾ أى ياندمى ويا حزنى والتحسر الاغتمام والحزن على مافات ﴿على مافرطت فى جنب الله﴾ أى على ماقصرت فى طاعة الله وقيل فى أمر الله وقيل فى حق الله وقيل على ماضيعت فى ذات الله وقيل معناه على ماقصرت فى الجانب الذى يؤدى الى رضا الله تعالى ﴿وان كنت لمن الساخرين﴾ أى المستهزئين بدين الله وبكتابه وبرسوله وبالمؤمنين قيل لم يكفه ان ضيع طاعة الله حتى سخر باهلها ﴿أو تقول لو أن الله هدانى﴾ أى أرشدنى الى دينه وطاعته ﴿لكنت من المتقين﴾ أى الشرك

يعنى القرآن أحلوا حلاله وحرموا حرامه واعملوا بمحكمه وآمنوا بمتشابهه (من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة) فجأة (وأنتم لاتشعرون) لاتعلمون نزوله (أن تقول نفس) لكى لاتقول نفس (ياحسرتا) ياندامتا (على ما فرطت فى جنب الله) تركت من طاعة الله (وان كنت لمن الساخرين) وقد كنت من المستهزئين بالكتاب والرسول (أو تقول) ولكى لاتقول (لو أن الله هدانى) بين لى الايمان (لكنت من المتقين) من الموحدين

المعتزلة وكذا أولئك الكفرة الذين قالوا لاتباعهم لو هدانا الله لهديناكم يقولون لو وفقنا الله للهداية وأعطانا الهدى لدعوناكم اليه ولكن علم منا اختيار الضلالة والغواية فخذلنا ولم يوفقنا والمعتزلة يقولون بل هداهم وأعطاهم التوفيق لكنهم لم يهتدوا والحاصل ان عند الله لطفا من أعطى ذلك اهتدى وهو التوفيق والعصمة ومن لم يعطه ضل وغوى وكان استحبابه العذاب وتضييعه الحق بعدما مكن من تحصيله لذلك (أو تقول حين ترى العذاب لو ان لى كرة) رجعة الى الدنيا (فأكون من المحسنين) من الموحدين (بلى قد جاءتك آياتى فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين) بلى رد من الله عليه فانه يقول بلى قد جاءتك آياتى وبينت لك الهداية من الغواية وسبيل الحق من الباطل ومكنتك من اختيار الهداية على الغواية واختيار الحق على الباطل

ولكن تركت ذلك وضيعته واستكبرت عن قبوله وآثرت الضلالة على الهدى واشتغلت بضد ما امرت به فانما جاء التضييع من قبلك فلا عذر لك وبلى جواب لنفى تقديرى لان المعنى لو أن الله هدانى ما هديت وانما لم يقرن الجواب به لانه لابد من حكاية اقوال النفس على ترتيبها ثم الجواب من بينها عما اقتضى الجواب (ويوم القيمة ترى الذين كذبوا على الله) وصفوه بما لا يجوز عليه من اضافة الشريك والولد اليه ونفى الصفات عنه (وجوههم) مبتدأ (مسودة) خبر والجملة فى محل النصب على الحال ان كان ترى من رؤية البصر وان كان من رؤية القلب فمفعول ثان (أليس فى جهنم مثوى) منزل (للمتكبرين) هو اشارة الى قوله واستكبرت (وينجى الله) وينجى روح (الذين اتقوا) من الشرك (بمفازتهم) بفلاحهم يقال فاز بكذا اذا أفلح به وظفر بمراده منه وتفسير المفازة (لا يمسهم)

﴿ اوتقول حين ترى العذاب لو ان لى كرة فاكون من المحسنين ﴾ فى العقيدة والعمل واو للدلالة على انه لا تخلو من هذه الاقوال تحيرا وتعللا بما لا طائل تحته ﴿ بلى قد جاءتك آياتى فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين ﴾ رد من الله عليه لما تضمنه قوله لو ان الله هدانى من معنى النفى وفصله عنه لان تقديمه يفرق القرائن وتأخير المردود يخل بالنظم المطابق للوجود لانه يتحسر بالتفريط ثم يتعلل بفقد الهداية ثم يتمنى الرجعة وهو لا يمنع تأثير قدرة الله تعالى فى فعل العبد ولا ما فيه من اسناد الفعل اليه كما عرفت وتذكير الخطاب على المعنى وقرئ بالتأنيث للنفس ﴿ ويوم القيمة ترى الذين كذبوا على الله ﴾ بان وصفوه بما لا يجوز كاتخاذ الولد ﴿ وجوههم مسودة ﴾ بما ينالهم من الشدة اوما يتخيل عليها من ظلمة الجهل والجملة حال اذ الظاهر ان ترى من رؤية البصر واكتفى فيها بالضمير عن الواو ﴿ أليس فى جهنم مثوى ﴾ مقام ﴿ للمتكبرين ﴾ عن الايمان والطاعة وهو تقرير لانهم يرون كذلك ﴿ وينجى الله الذين اتقوا ﴾ وقرئ وينجى ﴿ بمفازتهم ﴾ بفلاحهم

﴿ أو تقول حين ترى العذاب ﴾ أى عيانا ﴿ لو أن لى كرة ﴾ أى رجعة الى الدنيا ﴿ فأكون من المحسنين ﴾ أى الموحدين ثم أجاب الله تعالى هذا التأويل بان الاعذار زائلة والتعلل باطل وهو قوله تعالى ﴿ بلى قد جاءتك آياتى ﴾ يعنى القرآن ﴿ فكذبت بها ﴾ أى قلت ليست من الله ﴿ واستكبرت ﴾ أى تكبرت عن الايمان بها ﴿ وكنت من الكافرين ويوم القيمة ترى الذين كذبوا على الله ﴾ أى زعموا ان له ولدا وشريكا وقيل هم الذين يقولون الاشياء الينا ان شئنا فعلنا وان شئنا لم نفعل ﴿ وجوههم مسودة ﴾ قيل هو سواد مخالف لسائر انواع السواد ﴿ أليس فى جهنم مثوى للمتكبرين ﴾ أى عن الايمان * قوله تعالى ﴿ وينجى الله الذين اتقوا ﴾ أى الشرك ﴿ بمفازتهم ﴾ أى الطرق التى تؤديهم الى الفوز والنجاة وقرئ بمفازاتهم أى ينجيهم بفوزهم بالاعمال الحسنة من النار

(أو تقول) ولكى لا تقول (حين ترى العذاب لو أن لى كرة) رجعة الى دار الدنيا (فأكون من المحسنين) من الموحدين فيقول الله لهم (بلى قد جاءتك آياتى) كتابى ورسولى (فكذبت بها) بالكتاب والرسول (واستكبرت) عن الايمان (وكنت من الكافرين) مع الكافرين على دينهم (ويوم القيمة ترى الذين كذبوا على الله) فى عزير وعيسى والملائكة حين قالوا الملائكة بنات الله وعزير وعيسى ولد الله (وجوههم مسودة) وأعينهم مزرقة (أليس فى جهنم مثوى للمتكبرين) منزل للكافرين (وينجى الله الذين اتقوا) آمنوا وأطاعوا ربهم (بمفازتهم) بايمانهم واحسانهم

(لايمسهم السوء) النار (ولاهم يحزنون) كانه قيل وما مفازتهم فقيل لايمسهم السوء أي ينجيهم بنفي السوء والحزن عنهم أي لايمس أبدانهم أذى ولا قلوبهم خزي أو بسبب منجاتهم من قوله تعالى فلاتحسبنهم بمفازة من العذاب أي منجاة منه لان النجاة من أعظم الفلاح وسبب منجاتهم العمل الصالح ولهذا فسر ابن عباس رضي الله عنهما المفازة بالاعمال الحسنة ويجوز بسبب فلاحهم

لان العمل الصالح سبب الفلاح وهو دخول الجنة ويجوز أن يسمى العمل الصالح في نفسه مفازة لانه سببها ولامحل للايمسهم على التفسير الاول لانه كلام مستأنف ومحله النصب على الحال على الثاني بمفازاتهم كوفي غير حفص (الله خالق كل شيء) رد على المعتزلة والثنوية (وهو على كل شيء وكيل) حافظ (له مقاليد السموات والارض) أي هو مالك أمرهما وحافظهما وهو من باب الكناية لان حافظ الخزائن ومدبر أمرها هو الذي يملك مقاليدها ومنه قولهم فلان يملك مقاليد الملك وهي المفاتيح واحدها اقليد وقيل لاواحد لها من لفظها أو الكلمة أصلها فارسية (والذين كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون) هو متصل بقوله وينجي الله الذين اتقوا أي ينجي الله المتقين بمفازاتهم والذين كفروا هم الخاسرون واعترض بينهما بانه خالق كل شيء (قا و خا ٤٢ مس) فهو مهيمن عليه فلا يخفى عليه شيء من أعمال المكلفين فيها وما يجزون عليها أو بما يليه على ان كل شيء في السموات والارض فالله خالقه وفاتح بابه والذين كفروا وجحدوا ان يكون

مفعلة من الفوز وتفسيرها بالنجاة تخصيصها بأهم اقسامه وبالسعادة والعمل الصالح اطلاق لها على السبب وقرأ الكوفيون غير حفص بالجمع تطبيقاله بالمضاف اليه والباء فيها للسببية صلة لينجي اولقوله ﴿لايمسهم السوء ولاهم يحزنون﴾ وهو حال اواستئناف لبيان المفازة ﴿الله خالق كل شيء﴾ من خير وشر وايمان وكفر ﴿وهو على كل شيء وكيل﴾ يتولى التصرف فيه ﴿له مقاليد السموات والارض﴾ لايملك امرها ولايتمكن من التصرف فيها غيره وهو كناية عن قدرته وحفظه لها وفيها مزيد دلالة على الاختصاص لان الخزائن لايدخلها ولايتصرف فيها الا من بيده مفاتيحها وهو جمع مقليد اومقلاد من قلدته اذا الزمته وقيل جمع اقليد معرب اكليد على الشذوذ كمذاكير وعن عثمان رضي الله عنه انه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن المقاليد فقال تفسيرها لا اله الا الله والله اكبر وسبحان الله وبحمده واستغفر الله ولاحول ولاقوة الا بالله هو الاول والآخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير والمعنى على هذا ان لله هذه الكلمات يوحد بها ويمجد وهي مفاتيح خير السموات والارض من تكلم بها اصابه ﴿والذين كفروا بآيات الله اولئك هم الخاسرون﴾ متصل بقوله وينجي الله الذين اتقوا ومابينهما اعتراض للدلالة على انه مهيمن على العباد مطلع على افعالهم مجاز عليها وتغيير النظم للاشعار بان العمدة في فلاح المؤمنين فضل الله وفي هلاك الكافرين بان خسروا انفسهم وللتصريح بالوعد والتعريض بالوعيد قضية للكرم او بما يليه والمراد بآيات الله دلائل قدرته واستبداده بامر السموات والارض اوكلمات توحيده وتمجيده

﴿لايمسهم السوء﴾ أي لايصيبهم المكروه ﴿ولاهم يحزنون الله خالق كل شيء﴾ أي مما هو كائن أو يكون في الدنيا والآخرة ﴿وهو على كل شيء وكيل﴾ أي ان الاشياء كلها موكولة اليه فهو القائم بحفظها ﴿له مقاليد السموات والارض﴾ أي مفاتيح خزائن السموات والارض واحدها مقلاد مثل مفتاح وقيل اقليد على غير قياس قيل هو فارسي معرب قال الراجز

لم يؤذها الديك بصوت تغريد * ولم يعالج غلقها باقليد

والمعنى ان الله تعالى مالك أمرها وحافظها وهو من باب الكناية لان حافظ الخزائن ومدبر أمرها هو الله الذي يملك مقاليدها وقيل مقاليد السموات خزائن الرحمة والرزق والمطر ومقاليد الارض النبات ﴿والذين كفروا بآيات الله﴾ أي جحدوا بآياته الظاهرة الباهرة ﴿أولئك هم الخاسرون﴾ * قوله عز وجل

(لايمسهم السوء) لايصيبهم الشدة والعذاب (ولاهم يحزنون) اذا حزن غيرهم (الله خالق كل شيء) بائن منه (وهو على كل شيء وكيل) على قوت كل شيء كفيل ويقال على كل شيء من أعمالهم شهيد وكيل (له مقاليد السموات والارض) خزائن السموات المطر والارض النبات (والذين كفروا بآيات الله) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (اولئك هم الخاسرون) في الآخرة

الامر كذلك أولئك هم الخاسرون وقيل سأل عثمان رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير قوله له مقاليد السموات والارض فقال ياعثمان ماسألني عنها أحد قبلك تفسيرها لا اله الا الله والله اكبر وسبحان الله وبحمده وأستغفر الله ولا حول ولا قوة الا بالله وهو الاول والآخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شئ قدير وتأويله على هذا ان لله هذه الكلمات يوحد بها ويمجد وهي مفاتيح خير السموات والارض من تكلم بها من المتقين أصابه والذين كفروا بآيات الله وكلمات توحيده وتمجيده أولئك هم الخاسرون (قل) لمن دعاك الى دين آبائك (أفغير الله تأمروني أعبد) تأمروني مكي تأمرونني على الاصل

مدني وانتصب أفغير الله باعبد وتأمروني اعتراض ومعناه أفغير الله أعبد بامركم بعد هذا البيان (أيها الجاهلون) بتوحيد الله (ولقد أوحي اليك والى الذين من قبلك) من الانبياء عليهم السلام (لئن أشركت ليحبطن عملك) الذي عملت قبل الشرك (ولتكونن من الخاسرين) وانما قال لئن أشركت على التوحيد والموحى اليهم جماعة لان معناه أوحي اليك لئن اشركت ليحبطن عملك والى الذين من قبلك مثله واللام الاولى موطئة للقسم المحذوف والثانية لام الجواب وهذا الجواب ساد مساد الجوابين أعني جوابي القسم والشرط وانما صح هذا الكلام مع علمه تعالى بان رسله لا يشركون لان الخطاب للنبي عليه السلام والمراد به غيره ولانه على سبيل الفرض والمحالات يصح فرضها وقيل لئن طالت غيري في السر ليحبطن (وما) ما بيني وبينك من السر (بل الله فاعبد) رد لما امروه به من عبادة آلهتهم كانه قال لاتعبد ما امروك بعبادته بل ان عبدت فاعبد الله فحذف الشرط وجعل تقديم المفعول عوضا عنه (وكن من الشاكرين) على ما أنعم به عليك من ان

وتخصيص الخسار بهم لان غيرهم ذو حظ من الرحمة والثواب ﴿ قل أفغير الله تأمروني اعبد ايها الجاهلون ﴾ اى أفغير الله اعبد بعد هذه الدلائل والمواعيد وتأمروني اعتراض للدلالة على انهم امروه به عقيب ذلك وقالوا استلم بعض آلهتنا نؤمن بالهك لفرط غباوتهم ويجوز ان ينتصب غير بما دل عليه تأمروني اعبد لانه بمعنى تعبدونني على ان اصله تأمرونني ان اعبد فحذف ان ورفع اعبد كقوله احضر الوغى ويؤيده قرآءة اعبد بالنصب وقرأ ابن عامر تأمرونني باظهار النونين على الاصل ونافع بحذف الثانية فانها تحذف كثيرا ﴿ ولقد اوحي اليك والى الذين من قبلك ﴾ اى من الرسل ﴿ لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين ﴾ كلام على سبيل الفرض والمراد تهييج الرسل واقناط الكفرة والاشعار على حكم الامة وافراد الخطاب باعتبار كل واحد واللام الاولى موطئة للقسم والاخريان للجواب واطلاق الاحباط يحتمل ان يكون من خصائصهم لان شركهم اقبح وان يكون على التقييد بالموت كما صرح به في قوله ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم وعطف الخسران عليه من عطف المسبب على السبب ﴿ بل الله فاعبد ﴾ رد لما امروه به ولولا دلالة التقديم على الاختصاص لم يكن كذلك ﴿ وكن من الشاكرين ﴾ انعامه عليك وفيه اشارة الى موجب الاختصاص

﴿ قل أفغير الله تأمروني أعبد ايها الجاهلون ﴾ وذلك ان كفار قريش دعوه الى دين آبائه فوصفهم بالجهل لان الدليل القاطع قد قام بانه هو المستحق للعبادة فمن عبد غيره فهو جاهل ﴿ ولقد أوحي اليك والى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ﴾ أي الذي عملته قبل الشرك وهذا خطاب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره لان الله عز وجل عصم نبيه صلى الله عليه وسلم من الشرك وفيه تهديد لغيره ﴿ ولتكونن من الخاسرين بل الله فاعبد وكن من الشاكرين ﴾ أي لانعامه عليك ۞ قوله تعالى

المغبونون بالعقوبة (قل) يامحمد لاهل مكة حين قالوا له ارجع الى دين آبائك (أفغير) دين (الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون) الكافرون (ولقد أوحي اليك) في القرآن (والى الذين من قبلك) من الرسل (لئن أشركت ليحبطن عملك) في الشرك (ولتكونن من الخاسرين) من المغبونين بالعقوبة (بل الله فاعبد) وحد (وكن من الشاكرين) بما أنعم الله عليك من النبوة

جمالك سيد ولد آدم (وماقدروا الله حق قدره) وماعظموه حق عظمته اذ دعوك الى عبادة غيره ولما كان العظيم من الاشياء اذا عرفه الانسان حق معرفته وقدره فى نفسه حق تقديره عظمه حق تعظيمه قيل وماقدروا الله حق قدره ثم نبههم على عظمته وجلالة شانه على طريقة التخييل فقال (والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه) والمراد بهذا الكلام اذا أخذته كما هو بجملته ومجموعه تصوير عظمته والتوقيف على كنه جلاله لاغير من غير ذهاب بالقبضة ولا باليمين الى جهة حقيقة أو جهة مجاز والمراد بالارض

يشهد لذلك قوله جميعا وقوله

﴿ وماقدروا الله حق قدره ﴾ ماقدروا عظمته فى انفسهم حق تعظيمه حيث جعلوا له شريكا ووصفوه بما لايليق به وقرئ بالتشديد ﴿ والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه ﴾ تنبيه على عظمته وكمال قدرته وحقارة الافعال العظام التى تتحير فيها الاوهام بالاضافة الى قدرته ودلالة على ان تخريب العالم اهون شئ عليه على طريقة التمثيل والتخييل من غير اعتبار القبضة واليمين حقيقة ولا مجازا كقولهم شابت لمة الليل والقبضة المرة من القبض اطلقت بمعنى القبضة وهى المقدار المقبوض بالكف تسمية بالمصدر اوبتقدير ذات قبضة وقرئ قبضته بالنصب على الظرف تشبيها للوقت بالمبهم وتأكيد الارض بالجميع لان المراد بها الارضون السبع اوجميع ابعاضها البادية والغائرة وقرئ مطويات على انها حال والسموات معطوفة على الارض منظومة فى حكمها ﴿ سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾ ما ابعدوما اعلى من هذه قدرته وعظمته عن اشراكهم اوما يضاف اليه من الشركاء

﴿ وماقدروا الله حق قدره ﴾ أى ماعظموه حق عظمته حين أشركوا به غيره ثم أخبر عن عظمته فقال ﴿ والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾ (ق) عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه قال جاء جبريل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد ان الله يضع السماء على أصبع والارض على أصبع والجبال على أصبع والشجر والانهار على أصبع وسائر الخلق على أصبع ثم يقول أنا الملك فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال وماقدروا الله حق قدره وفى رواية والماء والثرى على أصبع وسائر الخلق على أصبع ثم يهزهن وفيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه تعجبا وتصديقا له ثم قرأ وماقدروا الله حق قدره الآية (ق) عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوى الله السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون ثم يطوى الارضين بشماله ثم يقول أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون وفى رواية يقول أنا الله ويقبض أصابعه ويبسطها ثم يقول أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون وفى رواية يقول أنا الله ويقبض

والسموات ولان الموضع موضع تعظيم فهو مقتض للمبالغة والارض مبتدأ وقبضته الخبر وجميعا منصوب على الحال أى والارض اذا كانت مجتمعة قبضته يوم القيامة والقبضة المرة من القبض والقبضة المقدار المقبوض بالكف ويقال اعطنى قبضة من كذا تريد معنى القبضة تسمية بالمصدر وكلا المعنيين محتمل والمعنى والارضون جميعا قبضته أى ذوات قبضته يقبضهن قبضة واحدة يعنى ان الارضين مع عظمهن وبسطهن لايبلغن الاقبضة واحدة من قبضاته كانه يقبضها قبضة بكف واحد كما تقول الجزور اكلة لقمان أى لاتفى الاباكلة فذة من أكلاته واذا اريد معنى القبضة فظاهر لان المعنى ان الارضين بجملتها مقدار مايقبضه بكف واحدة

والمطويات من الطى الذى هو ضد النشر كما قال يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب وعادة طاوى السجل ان يطويه بيمينه وقيل قبضته ملكه بلامدافع ولامنازع وبيمينه بقدرته وقيل مطويات بيمينه مفنيات بقسمه لانه اقسم ان يفنيها (سبحانه وتعالى عما يشركون) ما ابعد من هذه قدرته وعظمته وما اعلاه عما يضاف اليه من الشركاء

والكتاب والاسلام (وماقدروا الله حق قدره) ماعظموا الله حق عظمته حين قالوا يدالله مغلولة وحين قالوا ان الله فقير محتاج يطلب منا القرض وهذه مقالة مالك بن الصيف اليهودى خذله الله (والارض جميعا قبضته) فى قبضته (يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه) بقدرته يوم القيمة وكلتا يدى الله يمين (سبحانه) نزه نفسه عن مقالة اليهود (وتعالى) تبرأ وارتفع (عما يشركون)

(ونفخ في الصور فصعق)مات (من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله)أي جبريل وميكائيل و اسرافيل وملك الموت وقيل هم حملة العرش أو رضوان والحور العين ومالك والزبانية(ثم نفخ فيه أخرى)هي في محل الرفع لان المعنى ونفخ في الصور نفخة واحدة ثم نفخ فيه نفخة أخرى وانما حذفت لدلالة أخرى عليها ولكونها معلومة بذكرها في غير مكان (فاذاهم قيام ينظرون) يقلبون أبصارهم في الجهات نظر المبهوت اذا فاجأه خطب أو ينتظرون أمر الله فيهم ودلت الآية على ان النفخة اثنتان الاولى للموت والثانية للبعث والجمهور على انها ثلاث الاولى للفزع كما قال ونفخ في الصور ففزع والثانية للموت والثالثة للاعادة(وأشرقت الارض)أضاءت (بنور ربها) أي بعدله بطريق الاستعارة يقال للملك العادل أشرقت الآفاق بعدلك وأضاءت الدنيا بقسطك كما يقال أظلمت البلاد بجور فلان وقال عليه الصلاة والسلام الظلم ظلمات يوم القيامة واضافة اسمه الى الارض لانه يزينها حيث ينشر فيها عدله وينصب فيها موازين قسطه ويحكم بالحق بين اهلها ولا ترى أزين للبقاع من العدل ولا أعمر لها منه وقال الامام أبو منصور رحمه الله يجوز أن يخلق الله نورا فينور به أرض الموقف واضافته اليه تعالى للتخصيص كبيت الله

﴿ ونفخ في الصور ﴾ يعني المرة الاولى ﴿ فصعق من في السموات ومن في الارض ﴾ خروا ميتا او مغشيا عليهم ﴿ الا من شاء الله ﴾ قيل جبرائيل وميكائيل واسرافيل فانهم يموتون بعد وقيل حملة العرش ﴿ ثم نفخ فيه اخرى ﴾ نفخة اخرى وهي تدل على ان المراد بالاولى ونفخ في الصور نفخة واحدة كما صرح به في مواضع واخرى يحتمل الرفع والنصب ﴿ فاذاهم قيام ﴾ قائمون من قبورهم او متوقفون وقرئ بالنصب على ان الخبر ﴿ ينظرون ﴾ وهو حال من ضميره والمعنى يقلبون ابصارهم في الجوانب كالمبهوتين او ينتظرون ما يفعل بهم ﴿ واشرقت الارض بنور ربها ﴾ بما اقام فيها من العدل سماه نورا لانه يزين البقاع ويظهر الحقوق كما سمى الظلم ظلمة وفي الحديث

أصابعه أنا الملك حتى نظرت الى المنبر يتحرك من أسفل شيء منه حتى اني أقول أساقط هو برسول الله صلى الله عليه وسلم لفظ مسلم وللبخاري ان الله يقبض يوم القيامة الارضين وتكون السموات بيمينه ويقول أنا الملك (خ) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يقبض الله الارض ويطوي السماء بيمينه ثم يقول أنا الملك أين ملوك الارض قال أبو سليمان الخطابي ليس فيما يضاف الى الله عز وجل من صفة اليدين شمال لان الشمال محل النقص والضعف وقد روي كلتا يديه يمين وليس عندنا معنى اليد الجارحة انما هي صفة جاء بها التوقيف فنحن نطلقها على ما جاءت ولا نكيفها وننتهي الى حيث انتهى بنا الكتاب والاخبار المأثورة الصحيحة وهذا مذهب أهل السنة والجماعة وقال سفيان بن عيينة كل ما وصف الله به نفسه في كتابه فتفسيره تلاوته والسكوت عليه * قوله عز وجل ﴿ ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض ﴾ أي ماتوا من الفزع وهي النفخة الاولى ﴿ الا من شاء الله ﴾ تقدم في سورة النمل تفسير هذا الاستثناء وقال الحسن الا من شاء الله يعني الله وحده ﴿ ثم نفخ فيه ﴾ أي في الصور ﴿ أخرى ﴾ مرة أخرى وهي النفخة الثانية ﴿ فاذاهم قيام ﴾ أي من قبورهم ﴿ ينظرون ﴾ أي ينتظرون أمر الله فيهم (ق) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين النفختين أربعون قالوا أربعون يوما قال أبو هريرة أبيت قالوا أربعون شهرا قال أبو هريرة أبيت قالوا أربعون سنة قال أبيت ثم ينزل الله عز وجل من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل وليس من الانسان شيء الا يبلى الا عظم واحد وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة * قوله تعالى ﴿ وأشرقت الارض بنور ربها ﴾ وذلك حين يتجلى الرب تبارك وتعالى لفصل القضاء بين خلقه

به من الاوثان (ونفخ في الصور) وهي نفخة الموت (فصعق) فمات (من في السموات ومن في الارض الا من شاء (الله) من في الجنة والنار ويقال جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت فانهم لا يموتون في النفخة الاولى ولكن يموتون بعد ذلك (ثم نفخ فيه أخرى) وهي نفخة البعث وبينهما أربعون سنة تمطر السماء كنطف الرجال (فاذاهم قيام) من القبور (ينظرون) ما يقال لهم (وأشرقت الارض) اضاءت الارض (بنور ربها) بضوء نور ربها

وناقة الله (ووضع الكتاب) أي صحائف الاعمال ولكنه اكتفى باسم الجنس أو اللوح المحفوظ (وجيء بالنبيين) ليسألهم
ربهم عن تبليغ الرسالة وما أجابهم قومهم (والشهداء) الحفظة وقيل هم الابرار في كل زمان يشهدون على أهل ذلك الزمان
(وقضى بينهم) بين العباد (بالحق) بالعدل (وهم لايظلمون) ختم الآية بنفي الظلم كما افتتحها باثبات العدل (ووفيت كل نفس
ماعملت) أي جزاءه (وهو اعلم بما يفعلون) من غير كتاب ولا شاهد وقيل هذه
الآية تفسير قوله وهم
لايظلمون أي ووفيت كل
نفس ما عملت من خير
وشر لايزاد في شر ولا ينقص
من خير (وسيق الذين
كفروا الى جهنم) سوقا
عنيفا كما يفعل بالاسارى
والخارجين على السلطان
اذا سيقوا الى حبس او قتل
(زمرا) حال أي أفواجا
متفرقة بعضها في أثر بعض
(حتى اذا جاؤها فتحت)
بالتخفيف فيهما كوفي (أبوابها)
وهي سبعة (وقال لهم
خزنتها) أي حفظة جهنم
وهم الملائكة الموكلون
بتعذيب أهلها (ألم يأتكم
رسل منكم) من بني آدم
(يتلون عليكم آيات ربكم
وينذرونكم لقاء يومكم هذا)
أي وقتكم هذا وهو قت

الظلم ظلمات يوم القيامة ولذلك اضاف اسمه الى الارض او بنور خلق فيها بلا توسط
اجسام مضيئة ولذلك اضافها الى نفسه ﴿ ووضع الكتاب ﴾ الحساب والجزاء من
وضع المحاسب كتاب المحاسبة بين يديه او صحائف الاعمال في ايدي العمال واكتفى باسم
الجنس عن الجمع وقيل اللوح المحفوظ يقابل به الصحائف ﴿ وجيء بالنبيين والشهداء ﴾
الذين يشهدون للامم وعليهم من الملائكة والمؤمنين وقيل المستشهدون ﴿ وقضى
بينهم ﴾ بين العباد ﴿ بالحق وهم لايظلمون ﴾ بنقص ثواب اوزيادة عقاب على
ماجرى به الوعد ﴿ ووفيت كل نفس ماعملت ﴾ جزاءه ﴿ وهو اعلم بما يفعلون ﴾
فلا يفوته شيء من افعالهم ثم فصل التوفية وقال ﴿ وسيق الذين كفروا الى جهنم
زمرا ﴾ افواجا متفرقة بعضها في اثر بعض على تفاوت اقدامهم في الضلالة والشرارة
والزمر وهي جمع زمرة واشتقاقها من الزمر وهو الصوت اذ الجماعة لاتخلو عنه او من
قولهم شاة زمرة قليلة الشعر ورجل زمر قليل المروءة وهي جمع القليل ﴿ حتى اذا
جاؤها فتحت ابوابها ﴾ ليدخلوها وحتى هي التي تحكى بعدها الجملة وقرأ الكوفيون
فتحت بتخفيف التاء ﴿ وقال لهم خزنتها ﴾ تقريعا وتوبيخا ﴿ ألم يأتكم رسل
منكم ﴾ من جنسكم ﴿ يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا ﴾

فما يضارون في نوره كما لايضارون في الشمس في اليوم الصحو وقيل بعدل ربها وأراد
بالارض عرصات القيامة ﴿ ووضع الكتاب ﴾ أي كتاب الاعمال وقيل اللوح
المحفوظ لان فيه أعمال جميع الخلق من المبدأ الى المنتهى ﴿ وجيء بالنبيين ﴾ يعني ليكونوا
شهداء على أممهم ﴿ والشهداء ﴾ قال ابن عباس يعني الذين يشهدون للرسل بتبليغ الرسالة
وهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل يعني الحفظة ﴿ وقضى بينهم بالحق ﴾ أي
بالعدل ﴿ وهم لايظلمون ﴾ أي لايزاد في سيآتهم ولا ينقص من حسناتهم ﴿ ووفيت
كل نفس ماعملت ﴾ أي ثواب ماعملت ﴿ وهو أعلم بما يفعلون ﴾ يعني انه سبحانه وتعالى
عالم بافعالهم لايحتاج الى كاتب ولا الى شاهد ❊ قوله تعالى ﴿ وسيق الذين كفروا الى
جهنم ﴾ يعني سوقا عنيفا ﴿ زمرا ﴾ أفواجا بعضهم على أثر بعض كل أمة على حدة وقيل
جماعات متفرقة واحدتها زمرة ﴿ حتى اذا جاؤها فتحت أبوابها ﴾ يعني السبعة وكانت
قبل ذلك مغلقة ﴿ وقال لهم خزنتها ﴾ يعني توبيخا وتقريعا ﴿ ألم يأتكم رسل منكم ﴾
أي من أنفسكم ومن جنسكم ﴿ يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا

ويقال بعدل ربها (ووضع
الكتاب) في الايمان والشمائل
وهو ديوان الحفظة (وجيء
بالنبيين) الذين ليسوا
بمرسلين (والشهداء) يعني
المرسلين ويقال وجيء بالنبيين والمرسلين والشهداء شهداء المرسلين على قومهم (وقضى بينهم) وبين النبيين (بالحق) بالعدل
(وهم لايظلمون) لاينقص من حسناتهم ولا يزاد على سيئاتهم (ووفيت) وفرت (كل نفس) برة أو فاجرة (ماعملت) من خير
أو شر (وهو أعلم بما يفعلون) من الخير والشر (وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا) أمما الاول فالاول (حتى اذا جاؤها)
يعني النار (فتحت أبوابها) طرقها لهم ولم تكن قبل ذلك مفتوحة (وقال لهم خزنتها) يعني الزبانية (ألم يأتكم) يامعشر الكفار
(رسل منكم) آدميون مثلكم (يتلون) يقرؤن (عليكم آيات ربكم) بالامر والنهي (وينذرونكم) يخوفونكم (لقاء) عذاب (يومكم هذا

دخولهم النار لا يوم القيامة (قالوا بلى) أتونا وتلوا علينا (ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين) أى ولكن وجبت

قوما ضالين فذكروا اعلمهم الموجب لكلمة العذاب وهو الكفر والضلال (قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها) حال مقدرة أى مقدرين الخلود (فبئس مثوى المتكبرين) اللام فيه للجنس لان مثوى المتكبرين فاعل بئس وبئس فاعلها اسم معرف بلام الجنس أو مضاف اليه مثله والمخصوص بالذم محذوف تقديره فبئس مثوى المتكبرين جهنم (وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا) المراد سوق مراكبهم لانه لا يذهب بهم الا راكبين الى دار الكرامة والرضوان كما يفعل بمن يكرم ويشرف من الوافدين على بعض الملوك (حتى اذا جاؤها) هى التى تحكى بعدها الجمل والجملة المحكية بعدها هى الشرطية الا ان جزاءها محذوف وانما حذف لانه فى صفة ثواب أهل الجنة فدل بحذفه على انه شئ لا يحيط به الوصف وقال الزجاج تقديره حتى اذا جاؤها (وفتحت أبوابها

وتبكيتهم هذا وهو وقت دخولهم النار وفيه دليل على انه لا تكليف قبل الشرع من حيث انهم علّلوا توبيخهم باتيان الرسل وتبليغ الكتب ﴿ قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين ﴾ كلمة الله بالعذاب علينا وهو الحكم عليهم بالشقاوة وانهم من اهل النار ووضع الظاهر موضع الضمير للدلالة على اختصاص ذلك بالكفرة وقيل هو قوله لأملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين ﴿ قيل ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها ﴾ ابهم القائل لتهويل ما يقال لهم ﴿ فبئس مثوى المتكبرين ﴾ اللام فيه للجنس والمخصوص بالذم محذوف سبق ذكره ولا ينافى اشعاره بان مثواهم فى النار لتكبرهم عن الحق ان يكون دخولهم فيها لان كلمة العذاب حقت عليهم فان تكبرهم وسائر مقابحهم مسببة عنه كما قال عليه السلام ان الله تعالى اذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل اهل الجنة حتى يموت على عمل من اعمال اهل الجنة فيدخل به الجنة واذا خلق العبد للنار استعمله بعمل اهل النار حتى يموت على عمل من اعمال اهل النار فيدخل به النار ﴿ وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة ﴾ اسراعا بهم الى دار الكرامة وقيل سيق مراكبهم اذ لا يذهب بهم الا راكبين ﴿ زمرا ﴾ على تفاوت مراتبهم فى الشرف وعلو الطبقة ﴿ حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها ﴾ حذف جواب اذا للدلالة على ان لهم حينئذ من الكرامة والتعظيم مالا يحيط به الوصف وان ابواب الجنة تفتح

قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب ﴾ أى وجبت ﴿ على الكافرين ﴾ وهى قوله تعالى لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ﴿ قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين ﴾ * قوله عز وجل ﴿ وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا ﴾ فان قلت عبر عن الفريقين بلفظ السوق فما الفرق بينهما قلت المراد بسوق أهل النار طردهم الى العذاب بالهوان والعنف كما يفعل بالاسير اذا سيق الى الحبس أو القتل والمراد بسوق أهل الجنة سوق مراكبهم لانهم لا يذهبون اليها الا راكبين أو المراد بذلك السوق اسراعهم الى دار الكرامة والرضوان فشتان ما بين السوقين ﴿ حتى اذا جاؤها وفتحت أبوابها ﴾ فان قلت قال فى أهل النار فتحت بغير واو وهنا زاد حرف الواو فما الفرق * قلت فيه وجوه أحدها انها زائدة * الثانى انها واو الحال مجازه وقد فتحت أبوابها فادخل الواو لبيان انها كانت مفتحة قبل مجيئهم اليها وحذف الواو فى الآية الاولى لبيان ان أبواب جهنم كانت مغلقة قبل مجيئهم اليها ووجه الحكمة فى ذلك ان أهل الجنة اذا جاؤها ووجدوا أبوابها مفتحة حصل لهم السرور والفرح بذلك واهل النار اذ ارادها مغلقة كان ذلك نوع ذل وهوان لهم * الثالث زيدت الواو هنا لبيان ان أبواب الجنة ثمانية ونقصت هناك لان أبواب جهنم سبعة والعرب تعطف بالواو فيما فوق السبعة تقول سبعة وثمانية * فان قلت حتى اذا جاؤها شرط فأين جوابه * قلت فيه وجوه أحدها انه محذوف والمقصود من الحذف أن يدل على انه بلغ فى الكمال الى حيث لا يمكن ذكره الثانى ان

قالوا بلى) قد أتونا بالرسالة

(ولكن حقت) وجبت (كلمة العذاب على الكافرين) قبل ذلك (قيل) يقول لهم الزبانية (ادخلوا أبواب جهنم (الجواب) خالدين فيها) دائمين فى النار (فبئس مثوى المتكبرين) منزل المتعظمين عن الايمان بالكتاب والرسول (وسيق الذين اتقوا) أطاعوا (ربهم الى الجنة زمرا) فوجا فوجا (حتى اذا جاؤها) الجنة (وفتحت ابوابها) وقد كانت مفتوحة قبل ذلك

وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين) دخلوها فحذف دخلوها لان فى الكلام دليلا عليه وقال قوم
حتى اذا جاؤها جاؤها وفتحت أبوابها فعندهم جاؤها محذوف والمعنى اذا جاؤها وقع مجيئهم مع فتح أبوابها وقيل أبواب جهنم
لا تفتح الا عند دخول اهلها فيها وأما أبواب الجنة فتقدم فتحها لقوله تعالى جنات عدن مفتحة لهم الابواب فلذلك جيء بالواو
كأنه قال حتى اذا جاؤها وقد فتحت أبوابها طبتم من دنس المعاصى وطهرتم من خبث الخطايا
وقال الزجاج أى كنتم طيبين فى الدنيا ولم تكونوا خبيثين أى لم تكونوا أصحاب خبائث وقال ابن عباس طاب لكم المقام وجعل دخول الجنة مسببا عن الطيب والطهارة لانها دار الطيبين ومثوى الطاهرين قد طهرها الله من كل دنس وطيبها من كل قذر فلا يدخلها الا مناسب لها موصوف بصفتها (وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده) أنجزنا ما وعدنا فى الدنيا من نعيم العقبى (واورثنا الارض) ارض الجنة وقد اورثوها أى ملكوها وجعلوا ملوكها واطلق تصرفهم فيها كما يشاؤن تشبيها بحال الوارث وتصرفه فيما يرث واتساعه فيه (نتبوأ) حال من الجنة (حيث نشاء) أى يكون لكل واحد منهم جنة لا توصف سعة وزيادة على الحاجة فيتبوأ أى فيتخذ متبوأ مقرا من جنته حيث يشاء (فنعم أجر العاملين) فى الدنيا الجنة (وترى الملائكة حافين) حال من الملائكة (من حول العرش

لهم قبل مجيئها منتظرين وقرأ الكوفيون فتحت بالتخفيف ﴿ وقال لهم خزنتها سلام عليكم ﴾ لا يعتريكم بعد مكروه ﴿ طبتم ﴾ طهرتم من دنس المعاصى ﴿ فادخلوها خالدين ﴾ مقدرين الخلود والفاء للدلالة على ان طيبهم سبب لدخولهم وخلودهم وهو لا يمنع دخول العاصى بعفوه لانه يطهره ﴿ وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده ﴾ بالبعث والثواب ﴿ واورثنا الارض ﴾ يريدون المكان الذى استقروا فيه على الاستعارة وايراثها تمليكها مخلفة عليهم من اعمالهم او تمكينهم من التصرف فيها تمكين الوارث فيما يرثه ﴿ نتبوأ من الجنة حيث نشاء ﴾ اى يتبوأ كل منا فى اى مقام اراده من جنته الواسعة مع ان فى الجنة مقامات معنوية لا يتمانع واردوها ﴿ فنعم اجر العاملين ﴾ الجنة ﴿ وترى الملائكة حافين ﴾ محدقين ﴿ من حول العرش ﴾ اى حوله ومن مزيدة اولا بتداء الحفوف

الجواب هو قوله وقال لهم خزنتها سلام عليكم بغير واو * الثالث تقديره فادخلوها خالدين دخلوها فحذف دخلوها لدلالة الكلام عليه ﴿ وقال لهم خزنتها سلام عليكم ﴾ أى أبشروا بالسلامة من كل الآفات ﴿ طبتم ﴾ قال ابن عباس معناه طاب لكم المقام وقيل اذا قطعوا النار حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص بعضهم من بعض حتى اذا هذبوا وطيبوا دخلوا الجنة فيقول لهم رضوان وأصحابه سلام عليكم طبتم ﴿ فادخلوها خالدين ﴾ وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه اذا سيقوا الى الجنة فاذا انتهوا اليها وجدوا عند بابها شجرة يخرج من تحتها عينان فيغتسل المؤمن من احدهما فيطهر ظاهره ويشرب من الاخرى فيطهر باطنه وتتلقاهم الملائكة على أبواب الجنة يقولون سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين ﴿ وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده ﴾ اى بالجنة ﴿ وأورثنا الارض ﴾ أى أرض الجنة نتصرف فيها كما نشاء تشبيها بحال الوارث وتصرفه فيما يرثه وهو قوله تعالى ﴿ نتبوأ ﴾ أى نتنزل ﴿ من الجنة ﴾ فى أى الجنة ﴿ حيث نشاء ﴾ فان قلت فما معنى قوله حيث نشاء وهل تبوأ أحدهم مكان غيره * قلت يكون لكل واحد منهم جنة لا توصف سعة وحسنا وزيادة على الحاجة فيتبوأ من جنته حيث يشاء ولا يحتاج الى غيره وقيل ان أمة محمد صلى الله عليه وسلم يدخلون الجنة قبل الامم فينزلون فيها حيث شاؤا ثم تنزل الامم بعدهم فيما فضل منها قال الله عز وجل ﴿ فنعم أجر العاملين ﴾ أى ثواب المطيعين فى الدنيا الجنة فى العقبى ﴿ وترى الملائكة حافين من حول العرش ﴾ أى محدقين محيطين بحافته وجوانبه

(وقال لهم خزنتها) خزان الجنان على باب الجنان (سلام عليكم) يسلمون عليكم بالتحية والسلام (طبتم) فزتم ونجوتم ويقال طهرتم وصلحتم (فادخلوها) يعنى الجنة (خالدين) دائمين مقيمين فيها لا تموتون ولا تخرجون منها (وقالوا) بعد ذلك حين علوا كرامة الله (الحمد لله) المنة لله (الذى صدقنا وعده) أنجزنا وعده (وأورثنا الارض) أنزلنا أرض الجنة (نتبوأ) ننزل (من الجنة حيث نشاء) نشتهى (فنعم أجر العاملين) ثواب العاملين لله فى الدنيا (وترى الملائكة حافين) محدقين (من حول العرش

شاء الله (يسبحون) حال من الضمير فى حافين (بحمد ربهم) أى يقولون سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر أو سبوح قدوس ربنا ورب الملائكة والروح وذلك للتلذذ دون التعبد لزوال التكليف (وقضى بينهم) بين الانبياء والامم أو بين أهل الجنة والنار (بالحق) بالعدل (وقيل الحمد لله رب العالمين) أى يقول أهل الجنة شكرا حين دخولها وتم وعد الله لهم كما قال وآخر دعواهم الحمد لله رب العالمين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ كل ليلة بنى اسرائيل والزمر والحواميم السبع كلها مكية عن ابن عباس رضى الله عنهما

﴿سورة المؤمن مكية وهى خمس وثمانون آية﴾

يسبحون بحمد ربهم) بأمر ربهم (وقضى بينهم) بين النبيين والامم (بالحق) بالعدل (وقيل) لهم بعد الفراغ من الحساب قولوا (الحمد لله) الشكر لله والمنة لله (رب العالمين) سيد الجن والانس على ما فرق بيننا وبين أعدائنا وهو منزل حم وهو العزيز العليم

﴿ومن السورة التى يذكر فيها المؤمن وهى كلها مكية آياتها اثنتان وثمانون آية وكلماتها ألف ومائة وتسع وتسعون وحروفها أربعة آلاف وتسعمائة وستون﴾ (بسم)

﴿يسبحون بحمد ربهم﴾ ملتبسين بحمده والجملة حال ثانية او مقيدة للاولى والمعنى ذاكرين له بوصفى جلاله واكرامه تلذذا به وفيه اشعار بان منتهى درجات العليين واعلى لذائذهم هو الاستغراق فى صفات الحق ﴿وقضى بينهم بالحق﴾ اى بين الخلق بادخال بعضهم النار وبعضهم الجنة او بين الملائكة باقامتهم فى منازلهم على حسب تفاضلهم ﴿وقيل الحمد لله رب العالمين﴾ اى على ماقضى بيننا بالحق والقائلون هم المؤمنون من المقضى بينهم اوالملائكة وطى ذكرهم لتعينهم وتعظيمهم * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الزمر لم يقطع الله رجاءه يوم القيامة واعطاه الله ثواب الخائفين وعنه عليه السلام انه كان يقرأ كل ليلة بنى اسرائيل والزمر

﴿سورة المؤمن مكية وآيها ثمانون وخمس آيات﴾

﴿يسبحون بحمد ربهم﴾ وقيل هذا تسبيح تلذذ لا تسبيح تعبد لان التكليف يزول فى ذلك اليوم ﴿وقضى بينهم بالحق﴾ بين أهل الجنة وأهل النار بالعدل ﴿وقيل الحمد لله رب العالمين﴾ أى يقول أهل الجنة شكرا حين تم وعد الله لهم وقيل ابتدأ الله ذكر الخلق بالحمد فى قوله الحمد لله الحمد لله الذى خلق السموات والارض وختم بالحمد فى آخر الامر وهو استقرار الفريقين فى منازلهم فيه فنبه بذلك على تحميده فى بداءة كل أمر وخاتمته والله تعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿تفسير سورة حم المؤمن وتسمى سورة غافر وهى مكية﴾
﴿قيل غير آيتين وهما قوله تعالى الذين يجادلون فى آيات﴾
﴿الله والتى بعدها وهى خمس وثمانون آية والف ومائة﴾
﴿وتسع وتسعون كلمة وأربعة آلاف وتسعمائة وستون﴾
﴿حرفا عن عبدالله بن مسعود رضى الله تعالى عنه قال ان مثل﴾
﴿صاحب القرآن كمثل رجل انطلق يرتاد لاهله منزلا فمر﴾
﴿بأثر غيث فبينما هو يسير فيه ويتعجب منه اذهبط على﴾
﴿روضات دمثات فقال عجبت من الغيث الاول فهذا﴾
﴿أعجب منه وأعجب فقيل له ان مثل الغيث الاول مثل عظم﴾
﴿القرآن وان مثل هذه الروضات الدمثات مثل آل حم﴾
﴿فى القرآن وعن ابن عباس قال لكل شئ لباب ولباب﴾
﴿القرآن الحواميم وقال ابن مسعود اذا وقعت فى آل حم﴾
﴿وقعت فى روضات الجنة أتأنق فيهن وقال سعد﴾
﴿ابن ابراهيم كن آل حم تسمى العرائس﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (حم) ومابعده بالامالة حمزة وعلى وخلف ويحيى وحماد وبين الفتح والكسر مدنى وغيرهم بالتفخيم وعن ابن عباس انه اسم الله الاعظم (تنزيل الكتاب) أى هذا تنزيل الكتاب (من الله العزيز) أى المنيع سلطانه عن أن يتقول عليه متقول (العليم) بمن صدق به وكذب فهو تهديد للمشركين وبشارة للمؤمنين (غافر الذنب) ساتر ذنب المؤمنين (وقابل التوب) قابل توبة الراجعين (شديد العقاب) على المخالفين (ذى الطول) ذى الفضل على العارفين أو ذى الغنى عن الكل وعن ابن عباس غافر الذنب وقابل التوب لمن قال لااله الا الله شديد العقاب لمن لايقول لااله الا الله والتوب والثوب والاوب أخوات فى معنى الرجوع والطول الغنى والفضل ● فان قلت كيف اختلفت هذه الصفات تعريفا وتنكيرا والموصوف معرفة ● قلت أما غافر الذنب وقابل التوب فمعرفتان لانه لم يرد بهما حدوث الفعلين كما يكون فى تقدير الانفصال فتكون اضافتهما غير حقيقية وانما أريد ثبوت ذلك ودوامه وأما شديد العقاب فهو فى تقدير شديد عقابه فتكون نكرة فقيل هو بدل وقيل لما وجدت هذه النكرة بين هذه المعارف آذنت بان كلها أبدال غير أوصاف وادخال الواو فى وقابل التوب لنكتة وهى افادة الجمع للمذنب التائب بين رحمتين بين أن يقبل توبته فيكتبها له طاعة من الطاعات وان يجعلها محاءة للذنوب كان لم يذنب كأنه قال جامع المغفرة والقبول وروى ان عمر رضى الله عنه افتقد رجلا ذا بأس شديد من أهل الشام فقيل له تتابع فى هذا الشراب فقال عمر لكاتبه اكتب من عمر (قا و خا ٤٣ مس) الى فلان سلام عليك وأنا أحمد اليك الله الذى لااله الا هو بسم الله الرحمن الرحيم حم الى قوله المصير وختم الكتاب وقال لرسوله لاتدفعه اليه حتى تجده صاحيا ثم أمر من عنده بالدعاء له بالتوبة فلما أتته الصحيفة جعل يقرؤها ويقول قد وعدنى الله أن يغفر لى وحذرنى عقابه فلم يبرح يرددها حتى بكى ثم نزع فاحسن النزوع وحسنت توبته فلما بلغ عمر أمره قال هكذا فاصنعوا اذا رأيتم أخا لكم زل زلة فسددوه ووقفوه وادعوا له الله أن يتوب عليه ولا تكونوا أعوانا للشياطين

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿حم﴾ اماله ابن عامر وحمزة والكسائى وابو بكر صريحا ونافع برواية ورش وابو عمرو بين بين وقرئ بفتح الميم على التحريك لالتقاء الساكنين والنصب باضمار اقرأ ومنع صرفه للتعريف والتأنيث اولانها على زنة اعجمى كقابيل وهابيل ﴿تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم﴾ لعل تخصيص الوصفين لما فى القرآن من الاعجاز والحكم الدال على القدرة الكاملة والحكمة البالغة ﴿غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول﴾ صفات اخر لتحقيق مافيه من الترغيب والترهيب والحث على ماهو المقصود منه والاضافة فيها حقيقية على انه لم يرد بها زمان مخصوص واريد بشديد العقاب مشدده او الشديد عقابه فحذف اللام للازدواج وامن الالباس او ابدال وجعله وحده بدلا مشوش للنظم وتوسيط الواو بين الاولين لافادة الجمع

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

❋ قوله عزوجل ﴿حم﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما حم اسم الله الاعظم وعنه قال الرحم ون حروف اسمه الرحمن مقطعة وقيل حم اسم للسورة وقيل الحاء افتتاح أسمائه حليم وحميد وحى وحكيم وحنان والميم افتتاح أسمائه ملك ومجيد ومنان وقيل حم معناه حم بضم الحاء أى قضى ماهو كائن ﴿تنزيل الكتاب من الله العزيز﴾ أى الغالب القادر وقيل الذى لامثل له ﴿العليم﴾ أى بكل المعلومات ﴿غافر الذنب﴾ أى ساتر الذنب ﴿وقابل التوب﴾ اى التوبة قال ابن عباس غافر الذنب لمن قال لااله الا الله وقابل التوب ممن قال لااله الا الله ﴿شديد العقاب﴾ لمن لايقول لااله الا الله ﴿ذى الطول﴾ أى السعة والغنى وقيل ذى الفضل والنعم

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ وباسناده عن ابن عباس فى قوله جل ذكره (حم) يقول قضى أو بين ماهو كائن الى يوم القيامة ويقال قسم أقسم به (تنزيل الكتاب) ان هذا القرآن تنزيل (من الله العزيز العليم) على محمد عليه السلام العزيز بالنقمة لمن لايؤمن به العليم بمن آمن به وبمن لايؤمن به (غافر الذنب) لمن قال لااله الا الله (وقابل التوب) لمن تاب من الشرك (شديد العقاب) لمن مات على الشرك (ذى الطول) ذى المن والفضل والغنى يعنى ذا المن والفضل على من آمن به وذا الغنى على من لايؤمن به

عليه (لا اله الا هو) صفة أيضا الذى الطول ويجوز أن يكون مستأنفا (اليه المصير) المرجع (ما يجادل فى آيات الله الا الذين كفروا) ما يخاصم فيها بالتكذيب بها والانكار لها وقد دل على ذلك فى قوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فاما الجدال فيها لايضاح ملتبسها وحل مشكلها واستنباط معانيها ورد أهل الزيغ بها فاعظم جهاد فى سبيل الله (فلا يغررك تقلبهم فى البلاد) بالتجارات النافقة والمكاسب المربحة سالمين غانمين فان عاقبة أمرهم الى العذاب ثم بين كيف ذلك فاعلم ان الامم الذين كذبت قبلهم أهلكت فقال (كذبت قبلهم قوم نوح) نوحا (والاحزاب) أى الذين تحزبوا على الرسل و ناصبوهم وهم عاد وثمود وقوم لوط وغيرهم (من بعدهم) من بعد قوم نوح (وهمت كل أمة) من هذه الامم التى هى قوم نوح والاحزاب (برسولهم ليأخذوه) ليتمكنوا منه

بين محو الذنوب وقبول التوبة او تغاير الوصفين اذ ربما يتوهم الاتحاد او تغاير موقع الفعلين لان الغفر هو الستر فيكون الذنب باقيا وذلك لمن لم يتب فان التائب من الذنب كمن لاذنب له والتوب مصدر كالتوبة وقيل جمعها والطول الفضل بترك العقاب المستحق وفى توحيد صفة العذاب مغمورة بصفات الرحمة دليل رجحانها ﴿ لا اله الا هو ﴾ فيجب الاقبال الكلى على عبادته ﴿ اليه المصير ﴾ فيجازى المطيع والعاصى ﴿ ما يجادل فى آيات الله الا الذين كفروا ﴾ لما حقق امر التنزيل سجل بالكفر على المجادلين فيه بالطعن وادحاض الحق لقوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فاما الجدال فيه لحل عقده واستنباط حقائقه وقطع تشبث اهل الزيغ به وقطع مطاعنهم فيه فمن اعظم الطاعات ولذلك قال عليه الصلاة والسلام ان جدالا فى القرآن كفر بالتنكير مع انه ليس جدالا فيه على الحقيقة ﴿ فلا يغررك تقلبهم فى البلاد ﴾ فلا يغررك امهالهم واقبالهم فى دنياهم وتقلبهم فى بلاد الشام واليمن بالتجارات المربحة فانهم مأخوذون عما قريب بكفرهم اخذ من قبلهم كما قال ﴿ كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم ﴾ والذين تحزبوا على الرسل وناصبوهم بعد قوم نوح كعاد وثمود ﴿ وهمت كل امة ﴾ من هؤلاء ﴿ برسولهم ﴾ وقرئ برسولها ﴿ ليأخذوه ﴾ ليتمكنوا من اصابته بما ارادوا من تعذيب

وأصل الطول الانعام الذى تطول مدته على صاحبه ﴿ لا اله الا هو ﴾ أى هو الموصوف بصفات الوحدانية التى لا يوصف بها غيره ﴿ اليه المصير ﴾ أى مصير العباد اليه فى الآخرة ٭ قوله تعالى ﴿ ما يجادل ﴾ أى ما يخاصم ويحاجج ﴿ فى آيات الله ﴾ أى فى دفع آيات الله بالتكذيب والانكار ﴿ الا الذين كفروا ﴾ قال أبو العالية آيتان ما اشدهما على الذين يجادلون فى القرآن قوله تعالى ما يجادل فى آيات الله الا الذين كفروا وقوله وان الذين اختلفوا فى الكتاب لفى شقاق بعيد ٭ وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان جدالا فى القرآن كفر أخرجه أبو داود وقال المراء فى القرآن كفر وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قوما يتمارون فقال انما هلك من كان قبلكم بهذا ضربوا كتاب الله عز وجل بعضه ببعض وانما أنزل الكتاب يصدق بعضه بعضا فلا تكذبوا بعضه ببعض فما علمتم منه فقولوه وما جهلتم منه فكلوه الى عالمه (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال هاجرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فسمع أصوات رجلين اختلفا فى آية فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف فى وجهه الغضب فقال انما هلك من كان قبلكم باختلافهم فى الكتاب ﴿ فلا يغررك تقلبهم ﴾ أى تصرفهم ﴿ فى البلاد ﴾ للتجارات وسلامتهم فيها مع كفرهم فان عاقبة أمرهم العذاب ﴿ كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم ﴾ أى الكفار الذين تحزبوا على أنبيائهم بالتكذيب من بعد قوم نوح ﴿ وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه ﴾ قال ابن عباس ليقتلوه

(لا اله) يفعل ذلك (الا هو اليه المصير) مصير من آمن به ومصير من لم يؤمن به (ما يجادل فى آيات الله) ما يكذب بمحمد عليه السلام والقرآن (الا الذين كفروا) بالله أهل مكة (فلا يغررك تقلبهم فى البلاد) فلا تغتر يا محمد بذهابهم ومجيئهم فى الاسفار بالتجارة فانهم ليسوا على شئ (كذبت قبلهم) قبل قومك (قوم نوح) نوحا (والاحزاب) الكفار (من بعدهم) من بعد قوم نوح كذبوا الرسل كما كذبك قومك (وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه) أراد (ويهلكوه)

فيقتلوه والاخيذ الاسير (وجادلوا بالباطل) بالكفر (ليدحضوا به الحق) ليبطلوا به الايمان (فاخذتهم) مظهر مكى وحفص يعنى انهم قصدوا أخذه فجعلت جزاءهم على ارادة أخذ الرسل ان أخذتهم فعاقبتهم (فكيف كان عقاب) وبالياء يعقوب أى فانكم تمرون على بلادهم فتعاينون أثر ذلك وهذا تقرير فيه معنى التعجب وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا) كلمات ربك مدنى وشامى (انهم أصحاب النار) فى محل الرفع بدل من كلمة ربك أى مثل ذلك الوجوب وجب على الكفرة كونهم من أصحاب النار ومعناه كما وجب اهلاكهم فى الدنيا بالعذاب المستأصل كذلك وجب اهلاكهم بعذاب النار فى الآخرة أو فى محل النصب بحذف لام التعليل وايصال الفعل والذين كفروا قريش ومعناه كما وجب اهلاك أولئك الامم كذلك وجب اهلاك هؤلاء لان علة واحدة تجمعهم انهم من اصحاب النار ويلزم الوقف على النار لانه لو وصل لصار (الذين يحملون العرش

وقتل من الاخذ بمعنى الاسر ﴿ وجادلوا بالباطل ﴾ بما لا حقيقة له ﴿ ليدحضوا به الحق ﴾ ليزيلوه به ﴿ فاخذتهم ﴾ بالاهلاك جزاء لهمهم ﴿ فكيف كان عقاب ﴾ فانكم تمرون على ديارهم وترون اثره وهو تقرير فيه تعجيب ﴿ وكذلك حقت كلمة ربك ﴾ وعيده او قضاؤه بالعذاب ﴿ على الذين كفروا ﴾ لكفرهم ﴿ انهم اصحاب النار ﴾ بدل من كلمة ربك بدل الكل او الاشتمال على ارادة اللفظ او المعنى ﴿ الذين يحملون العرش

ويهلكوه وقيل ليأسروه ﴿ وجادلوا ﴾ أى خاصموا ﴿ بالباطل ليدحضوا ﴾ أى ليبطلوا ﴿ به الحق ﴾ الذى جاءت به الرسل ﴿ فاخذتهم فكيف كان عقاب ﴾ أى أنزلت بهم من الهلاك ماهموا بانزاله بالرسل وقيل معناه فكيف كان عقابى اياهم أليس كان مهلكا مستأصلا ﴿ وكذلك حقت ﴾ أى وجبت ﴿ كلمة ربك ﴾ أى كما وجبت كلمة العذاب على الامم المكذبة حقت ﴿ على الذين كفروا ﴾ أى من قومك ﴿ انهم ﴾ أى بانهم ﴿ أصحاب النار ﴾ * قوله عز وجل ﴿ الذين يحملون العرش ﴾ قيل حملة العرش اليوم أربعة فاذا كان يوم القيامة أردفهم الله تعالى باربعة أخر كما قال تعالى ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية وهم أشرف الملائكة وأفضلهم لقربهم من الله عز وجل وهم على صورة الاوعال وجاء فى الحديث ان لكل ملك منهم وجه رجل ووجه أسد ووجه ثور ووجه نسر ولكل واحد منهم أربعة أجنحة جناحان منها على وجهه مخافة أن ينظر الى العرش فيصعق وجناحان يهفوا بهما فى الهواء ليس لهم كلام غير التسبيح والتحميد والتمجيد مابين اظلافهم الى ركبهم كما بين سماء الى سماء وقال ابن عباس حملة العرش مابين كعب أحدهم الى أسفل قدميه مسيرة خمسمائة عام ويروى ان أقدامهم فى تخوم الارضين والارضون والسموات الى حجزهم تسبيحهم سبحان ذى العزة والجبروت سبحان ذى الملك والملكوت سبحان الحى الذى لايموت سبوح قدوس رب الملائكة والروح وقيل ان أرجلهم فى الارض السفلى ورؤسهم خرقت العرش وهم خشوع لايرفعون طرفهم وهم أشد خوفا من أهل السماء السابعة وأهل السماء السابعة أشد خوفا من التى تليها والتى تليها أشد خوفا من التى تليها وروى جابر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال أذن لى ان أحدث عن ملك من ملائكة الله عز وجل من حملة العرش أن مابين شحمة أذنه الى عاتقه مسيرة سبعمائة عام أخرجه أبو داود وأما صفة العرش فقيل انه جوهرة خضراء وهو من أعظم المخلوقات خلقا وروى جعفر بن محمد عن أبيه عن جده انه قال ان مابين القائمة من قوائم العرش والقائمة الثانية كخفقان الطير المسرع ثلاثين ألف عام ويكسى العرش كل يوم ألف لون من النور لايستطيع أن ينظر اليه خلق من خلق الله تعالى والاشياء كلها فى العرش كحلقة فى فلاة وقال مجاهد بين السماء السابعة وبين العرش سبعون

كل قوم قتل رسولهم (وجادلوا بالباطل) خاصموا الرسل بالشرك (ليدحضوا به الحق) ليبطلوا بالشرك الحق ماجاءت به الرسل (فاخذتهم) عاقبتهم عند التكذيب (فكيف كان عقاب) انظر يا محمد كيف كان عقوبتى عليهم عند التكذيب (وكذلك) هكذا (حقت) وجبت (كلمة ربك) بالعذاب (على الذين كفروا) بالرسل (أنهم أصحاب النار) أهل النار فى الآخرة (الذين يحملون العرش) عرش الرحمن وهو السرير وهم عشرة أجزاء من الملائكة

ومن حوله) يعنى حاملين العرش والحافين حوله وهم الكربيون سادة الملائكة صفة لاصحاب النار وفساده ظاهر
وروى ان حملة العرش أرجلهم فى الارض السفلى ورؤسهم قد خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وفى الحديث
ان الله تعالى أمر جميع الملائكة

أن يغدوا ويروحوا بالسلام على حملة العرش تفضيلا لهم على سائر الملائكة وقيل حول العرش سبعون ألف صف من الملائكة يطوفون به مهللين مكبرين ومن ورائهم سبعون ألف صف من الملائكة قيام قد وضعوا أيديهم على عواتقهم يهللون ويكبرون ومن ورائهم مائة ألف صف قد وضعوا الايمان على الشمائل ما منهم أحد الا وهو يسبح بما لا يسبح به الآخر (يسبحون) خبر المبتدأ وهو الذين (بحمد ربهم) أى مع حمده اذ الباء تدل على ان تسبيحهم بالحمدلة (ويؤمنون به) وفائدته مع علمنا بان حملة العرش ومن حوله من الملائكة الذين يسبحون بحمده مؤمنون اظهار شرف الايمان وفضله والترغيب فيه كما وصف الانبياء فى غير موضع بالصلاح لذلك وكما عقب أعمال الخير بقوله ثم كان من الذين آمنوا فابان بذلك فضل الايمان وقد روعى التناسب فى قوله ويؤمنون به (ويستغفرون للذين آمنو) كأنه قيل ويؤمنون به ويستغفرون لمن فى مثل حالهم وفيه دليل على ان الاشتراك فى الايمان يجب أن يكون ادعى شئ الى النصيحة والشفقة وان تباعدت الاجناس والا ماكن (أ بجمل)

ومن حوله ﴾ الكروبيون اعلى طبقات الملائكة واولهم وجودا وحملهم اياه وحفيفهم حوله مجاز عن حفظهم وتدبيرهم له اوكناية عن قربهم من ذى العرش ومكانتهم عنده وتوسطهم فى نفاذ امره ﴿ يسبحون بحمد ربهم ﴾ يذكرون الله بمجامع الثناء من صفات الجلال والاكرام وجعل التسبيح اصلا والحمد حالا لان الحمد مقتضى حالهم دون التسبيح ﴿ ويؤمنون به ﴾ اخبر عنهم بالايمان اظهارا لفضله وتعظيما لاهله ومساق الآية لذلك كما صرح به بقوله ﴿ ويستغفرون للذين آمنوا ﴾ واشعارا بان حملة العرش

ألف حجاب حجاب نور وحجاب ظلمة وحجاب نور وحجاب ظلمة وقيل ان العرش قبلة لاهل السماء كما ان الكعبة قبلة لاهل الارض * قوله ﴿ ومن حوله ﴾ يعنى الطائفين به وهم الكروبيون وهم سادات الملائكة قال وهب بن منبه ان حول العرش سبعين ألف صف من الملائكة صف خلف صف يطوفون بالعرش يقبل هؤلاء ويدبر هؤلاء فاذا استقبل بعضهم بعضا هلل هؤلاء وكبر هؤلاء ومن ورائهم سبعون ألف صف قيام أيديهم الى أعناقهم قد وضعوها على عواتقهم فاذا سمعوا تكبير أولئك وتهليلهم رفعوا أصواتهم فقالوا سبحانك وبحمدك ما أعظمك وأجلك أنت الله لا اله غيرك أنت الاكبر والخلق كلهم اليك راجعون ومن وراء هؤلاء وهؤلاء مائة ألف صف من الملائكة قد وضعوا اليمنى على اليسرى ليس منهم أحد الا يسبح بتحميد لا يسبحه الآخر ما بين جناحى أحدهم مسير ثلثمائة عام وما بين شحمة أذنه الى عاتقه أربعمائة عام واحتجب الله عز وجل من الملائكة الذين حول العرش بسبعين حجابا من نار وسبعين حجابا من ظلمة وسبعين حجابا من نور وسبعين حجابا من در أبيض وسبعين حجابا من ياقوت أحمر وسبعين حجابا من زبرجد أخضر وسبعين حجابا من ثلج وسبعين حجابا من ماء وسبعين حجابا من برد وما لا يعلمه الا الله عز وجل * قوله تعالى ﴿ يسبحون بحمد ربهم ﴾ أى ينزهون الله تعالى عما لا يليق بجلاله والتحميد هو الاعتراف بانه هو المنعم على الاطلاق ﴿ ويؤمنون به ﴾ أى يصدقون بانه واحد لا شريك له ولا مثل له ولا نظير له * فان قلت قدم قوله يسبحون بحمد ربهم على قوله ويؤمنون به ولا يكون التسبيح الا بعد الايمان فما فائدة قوله ويؤمنون به * قلت فائدته التنبيه على شرف الايمان وفضله والترغيب فيه ولما كان الله عز وجل محتجبا عنهم بحجب جلاله وجماله وكماله وصفهم بالايمان به قال شهر بن حوشب حملة العرش ثمانية أربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك وأربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك قال وكانهم يرون ذنوب بنى آدم ﴿ ويستغفرون للذين آمنوا ﴾ أى يسألون الله تعالى المغفرة لهم قيل هذا الاستغفار من الملائكة مقابل لقوله

الحملة (ومن حوله) من الملائكة (يسبحون بحمد ربهم) بأمر ربهم (ويؤمنون به) وهم يؤمنون بالله (ويستغفرون) يدعون (للذين آمنوا) بمحمد عليه السلام والقرآن ويقولون

(ربنا)أي يقولون ربنا وهذا المحذوف حال (وسعت كل شئ رحمة وعلما) والرحمة والعلم هما اللذات وسعا كل شئ في المعنى اذ الاصل وسع كل شئ رحمتك وعلمك ولكن أزيل الكلام عن أصله بان أسند الفعل الى صاحب الرحمة والعلم وأخرجا منصوبين على التميز مبالغة في وصفه بالرحمة والعلم (فاغفر للذين تابوا) أي الذين علمت منهم التوبة لتناسب ذكر الرحمة والعلم (واتبعوا سبيلك) أي طريق الهدى الذي دعوت اليه (وقهم عذاب الجحيم ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم) من في موضع نصب عطف على هم في وأدخلهم أو في وعدتهم ووعدت من صلح من آبائهم والمعنى وعدتهم (وأزواجهم وذرياتهم انك أنت العزيز الحكيم) أي الملك الذي لا يغلب وأنت مع ملكك وعزتك لا تفعل شيأ خاليا عن الحكمة وموجب حكمتك ان تفي بوعدك (وقهم السيآت) أي جزاء السيآت وهو عذاب النار (ومن تق السيآت يومئذ فقد رحمته وذلك) أي رفع العذاب (هو الفوز العظيم

وسكان الفرش في معرفته سواء ردا على المجسمة واستغفارهم شفاعتهم وحملهم على التوبة والهامهم ما يوجب المغفرة وفيه تنبيه على ان المشاركة في الايمان توجب النصح والشفقة وان تخالفت الاجناس لانه اقوى المناسبات كما قال تعالى انما المؤمنون اخوة ﴿ربنا﴾ اي يقولون ربنا وهو بيان ليستغفرون او حال ﴿وسعت كل شئ رحمة وعلما﴾ اي وسعت رحمته وعلمه فازيل عن اصله للاغراق في وصفه بالرحمة والعلم والمبالغة في عمومهما وتقديم الرحمة لانها المقصودة بالذات ههنا ﴿فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك﴾ للذين علمت منهم التوبة واتباع سبيل الحق ﴿وقهم عذاب الجحيم﴾ واحفظهم عنه وهو تصريح بعد اشعار للتأكيد والدلالة على شدة العذاب ﴿ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم﴾ اياها ﴿ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم﴾ عطف على هم الاول اي ادخلهم معهم هؤلاء ليتم سرورهم او الثاني لبيان عموم الوعد وقرئ جنة عدن وصلح بالضم وذريتهم بالتوحيد ﴿انك انت العزيز﴾ الذي لا يمتنع عليه مقدور ﴿الحكيم﴾ الذي لا يفعل الا ما تقتضيه حكمته ومن ذلك الوفاء بالوعد ﴿وقهم السيآت﴾ العقوبات او جزاء السيآت وهو تعميم بعد تخصيص او مخصوص بمن صلح او المعاصي في الدنيا لقوله ﴿ومن تق السيآت يومئذ فقد رحمته﴾ أي ومن تقها في الدنيا فقد رحمته في الآخرة كأنهم طلبوا السبب بعد ما سألوا المسبب ﴿وذلك هو الفوز العظيم﴾ يعني الرحمة او الوقاية

أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء فلما صدر هذا منهم أولا تداركوه بالاستغفار لهم ثانيا وهو كالتنبيه لغيرهم فيجب على كل من تكلم في أحد بشئ يكرهه ان يستغفر له ﴿ربنا﴾ أي ويقولون ربنا ﴿وسعت كل شئ رحمة وعلما﴾ أي وسعت رحمتك وعلمك كل شئ وفيه تنبيه على تقديم الثناء على الله تعالى بما هو أهله قبل المطلوب بالدعاء فلما قدموا الثناء على الله عز وجل قالوا ﴿فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك﴾ أي دينك ﴿وقهم عذاب الجحيم﴾ قال مطرف أنصح عباد الله للمؤمنين الملائكة وأغش الخلق للمؤمنين هم الشياطين ﴿ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم انك أنت العزيز الحكيم﴾ قيل اذا دخل المؤمن الجنة قال أين أبي وأين أمي وأين ولدي وأين زوجتي فيقال انهم لم يعملوا عملك فيقول اني كنت أعمل لي ولهم فيقال أدخلوهم الجنة فاذا اجتمع باهله في الجنة كان أكمل لسروره ولذته ﴿وقهم السيآت﴾ أي عقوبات السيآت بان تصونهم عن الاعمال الفاسدة التي توجب العقاب ﴿ومن تق السيآت يومئذ﴾ أي من تقه في الدنيا ﴿فقد رحمته﴾ أي في القيامة ﴿وذلك هو الفوز العظيم﴾ أي النعيم الذي لا ينقطع في جوار مليك لا تصل العقول

(ربنا) يا ربنا (وسعت كل شئ رحمة) ملأت كل شئ نعمة (وعلما) عالم أنت بكل شئ (فاغفر للذين تابوا) من الشرك (واتبعوا سبيلك) دينك الاسلام (وقهم عذاب الجحيم) ادفع عنهم عذاب النار (ربنا) يا ربنا (وادخلهم جنات عدن) معدن الانبياء والصالحين (التي وعدتهم) في الكتاب (ومن صلح) من وحد أيضا (من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم انك أنت العزيز) في ملكك وسلطانك (الحكيم) في أمرك وقضائك (وقهم السيآت) ادفع عنهم عذاب يوم القيامة (ومن تق السيآت) ومن دفعت عنه العذاب (يومئذ) يوم القيامة (فقد رحمته) غفرت له وعصمته وعظمته (وذلك) الغفران والدفع (هو الفوز العظيم) النجاة الوافرة فازوا بالجنة ونجوا

ان الذين كفروا ينادون) أى يوم القيمة اذا دخلوا النار ومقتوا أنفسهم فيناديهم خزنة النار (لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم) أى لمقت الله أنفسكم أكبر من مقتكم انفسكم فاستغنى بذكرها مرة والمقت أشد البغض وانتصاب (اذ تدعون الى الايمان) بالمقت الاول عند الزمخشرى والمعنى انه يقال لهم يوم القيامة كان الله يمقت أنفسكم الامارة بالسوء والكفر حين كان الانبياء يدعونكم الى الايمان فتأبون قبوله وتختارون عليه الكفر أشد مما تمقتونهن اليوم وأنتم فى النار اذا وقعتم فيها باتباعكم هواهن وقيل معناه لمقت الله اياكم الآن أكبر من مقت بعضكم لبعض كقوله ويوم القيامة يكفر بعضكم ببعض يلعن بعضكم بعضا واذ تدعون تعليل وقال جامع العلوم وغيره اذ منصوب بفعل مضمر دل عليه لمقت الله أى مقتهم الله حين دعوا الى الايمان فكفروا ولا ينتصب بالمقت الاول لان قوله لمقت الله مبتدأ وهو مصدر وخبره أكبر من مقتكم أنفسكم فلا يعمل فى اذ تدعون لان المصدر اذا أخبر عنه لم يجز ان يتعلق به شئ يكون فى صلته لان الاخبار عنه يؤذن بتمامه وما يتعلق به يؤذن بنقصانه ولا بالثانى لاختلاف الزمانين وهذا لانهم مقتوا أنفسهم فى النار وقد دعوا الى الايمان فى الدنيا (فتكفرون) فتصرون على الكفر (قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين) أى اماتتين واحياءتين أو موتتين وحياتين وأراد بالاماتتين خلقهم أمواتا أولا واماتتهم عند انقضاء آجالهم وصح ان يسمى خلقهم أمواتا اماتة كما صح ان يقال سبحان من صغر جسم البعوضة وكبر جسم الفيل وليس ثمة نقل من كبر الى صغر ولا من صغر الى كبر والسبب فيه ان الصغر والكبر جائزان على المصنوع الواحد فاذا اختار الصانع أحد الجائزين فقد صرف المصنوع عن الجائز الآخر فجعل صرفه عنه كنقله منه وبالاحياءتين الاحياءة الاولى فى الدنيا والاحياءة (الثانية) البعث ويدل عليه قوله وكنتم أمواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم وقيل الموتة الاولى فى الدنيا والثانية فى القبر بعد الاحياء للسؤال والاحياء الاول احياؤه فى القبر بعد موته للسؤال

او مجموعهما ﴿ ان الذين كفروا ينادون ﴾ يوم القيامة فيقال لهم ﴿ لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم ﴾ أى لمقت الله اياكم اكبر من مقتكم انفسكم الامارة بالسوء ﴿ اذ تدعون الى الايمان فتكفرون ﴾ ظرف لفعل دل عليه المقت الاول لا له لانه اخبر عنه ولا للثانى لان مقتهم انفسهم يوم القيامة حين عاينوا جزاء اعمالهم الخبيثة الا ان يأول بنحو « فى الصيف ضيعت اللبن » او تعليل للحكم وزمان المقتين واحد ﴿ قالوا ربنا امتنا اثنتين ﴾ اماتتين بان خلقتنا امواتا اولا ثم صيرتنا امواتا عند انقضاء آجالنا فان الاماتة جعل الشئ عادم الحياة ابتداء او بتصيير كالتصغير والتكبير ولذلك قيل سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل وان خص بالتصيير فاختيار الفاعل احد مقبوليه تصيير وصرف له عن الآخر ﴿ واحييتنا اثنتين ﴾ الاحياءة الاولى واحياءة البعث وقيل الاماتة الاولى عند انخرام الاجل والثانية فى القبر بعد الاحياء للسؤال والاحياآن ما فى القبر والمبعث اذ المقصود اعترافهم

الى كنه عظمته وجلاله ❁ قوله تعالى ﴿ ان الذين كفروا ينادون ﴾ أى يوم القيامة وهم فى النار وقد مقتوا أنفسهم حين عرضت عليهم سيآتهم وعاينوا العذاب فيقال لهم ﴿ لمقت الله ﴾ أى اياكم فى الدنيا ﴿ أكبر من مقتكم انفسكم اذ تدعون الى الايمان فتكفرون ﴾ أى اليوم عند حلول العذاب بكم ﴿ قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما كانوا أمواتا فى أصلاب آبائهم فاحياهم الله تعالى فى الدنيا ثم أماتهم الموتة التى لا بد منها ثم أحياهم للبعث يوم القيامة فهذه موتتان وحياتان وقيل أميتوا فى الدنيا ثم أحيوا فى القبر للسؤال ثم أميتوا فى قبورهم ثم أحيوا للبعث فى الآخرة وذلك انهم عدوا أوقات البلاء والمحنة وهى اربعة الموتة الاولى ثم الحياة فى القبر ثم الموتة

من النار (ان الذين كفروا) بالله وبالكتب والرسل اذا دخلوا النار يقول كل واحد منهم مقتك يا نفسى (ينادون) فيناديهم الملائكة (لمقت الله) فى الدنيا (أكبر من مقتكم أنفسكم) اليوم فى النار (اذ تدعون الى الايمان فتكفرون) فتجحدون (قالوا) يعنى الكفار فى النار (ربنا) يا ربنا (أمتنا اثنتين) مرتين مرة بقبض أرواحنا ومرة بعد ما سألنا منكر ونكير فى القبور (وأحييتنا اثنتين) مرتين مرة قبل ان سألنا منكر ونكير فى القبور ومرة للبعث

والثانى للبعث (فاعترفنا بذنوبنا) لما رأوا الاماتة والاحياء قد تكررا عليهم علموا أن الله قادر على الاعادة كما هو قادر على الانشاء فاعترفوا بذنوبهم التى اقترفوها من انكار البعث وما تبعه من معاصيهم (فهل الى خروج) من النار أى الى نوع من الخروج سريع أو بطئ لنتخلص (من سبيل) قط أم اليأس واقع دون ذلك فلا خروج ولا سبيل اليه وهذا كلام من غلب عليه اليأس وانما يقولون ذلك تحيرا ولهذا جاء الجواب على حسب ذلك وهو قوله (ذلكم بانه اذا دعى الله وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا) أى ذلكم الذى أنتم فيه وأن لاسبيل لكم الى خروج قط بسبب كفركم بتوحيد الله وايمانكم بالاشراك به (فالحكم لله) حيث حكم عليكم بالعذاب السرمد (العلى) شأنه فلا يرد قضاؤه (الكبير) العظيم سلطانه فلا يحد جزاؤه وقيل كان الحرورية أخذوا قولهم لا حكم الا لله من هذا وقال قتادة لما خرج أهل حروراء قال على رضى الله عنه من هؤلاء قيل المحكمون أى يقولون لا حكم الا لله فقال على رضى الله عنه كلمة حق اريد بها باطل (هو الذى يريكم آياته) من الريح والسحاب والرعد والبرق والصواعق ونحوها (وينزل لكم من السماء) وبالتخفيف مكى وبصرى (رزقا) مطرا لانه سبب الرزق (وما يتذكر

بعد المعاينة بما غفلوا عنه ولم يكترثوا به ولذلك تسبب بقوله ﴿ فاعترفنا بذنوبنا ﴾ فان اقترافهم بها من اغترارهم بالدنيا وانكارهم للبعث ﴿ فهل الى خروج ﴾ نوع خروج من النار ﴿ من سبيل ﴾ طريق فنسلكه وذلك انما يقولونه من فرط قنوطهم تعللا وتحيرا ولذلك اجيبوا بقوله ﴿ ذلكم ﴾ اى الذى انتم فيه ﴿ بانه ﴾ بسبب انه ﴿ اذا دعى الله وحده ﴾ متوحدا او توحد وحده فحذف الفعل واقيم مقامه فى الحالية ﴿ كفرتم ﴾ بالتوحيد ﴿ وان يشرك به تؤمنوا ﴾ بالاشراك ﴿ فالحكم لله ﴾ المستحق للعبادة حيث حكم عليكم بالعذاب السرمد ﴿ العلى الكبير ﴾ من ان يشرك به ويسوى بغيره حيث حكم به على من اشرك وسوى به بعض مخلوقاته فى استحقاق العبادة ﴿ هو الذى يريكم آياته ﴾ الدالة على التوحيد وسائر ما يجب ان يعلم تكميلا لنفوسكم ﴿ وينزل لكم من السماء رزقا ﴾ اسباب رزق كالمطر مراعاة لمعاشكم ﴿ وما يتذكر ﴾ بالآيات التى هى كالمركوزة فى العقول لظهورها المغفول

الثانية فيه ثم الحياة للبعث فاما الحياة الاولى التى هى من الدنيا فلم يعدوها لانها ليست من أقسام البلاء وقيل ذكر حياتين وهى حياة الدنيا وحياة القيامة وموتتين وهى الموتة الاولى فى الدنيا ثم الموتة الثانية فى القبر بعد حياة السؤال ولم يعدوا حياة السؤال لقصر مدتها ﴿ فاعترفنا بذنوبنا ﴾ يعنى انكارهم البعث بعد الموت فلما شاهدوا البعث اعترفوا بذنوبهم ثم سألوا الرجعة بقولهم ﴿ فهل الى خروج ﴾ أى من النار ﴿ من سبيل ﴾ والمعنى فهل الى رجوع الى الدنيا من سبيل لنصلح أعمالنا ونعمل بطاعتك وهذا كلام من غلب عليه اليأس والقنوط من الخروج وانما قالوا ذلك تعللا وتحيرا والمعنى فلا خروج ولا سبيل اليه ولهذا جاء الجواب على حسب ذلك وهو قوله تعالى ﴿ ذلكم بانه اذا دعى الله وحده كفرتم ﴾ معناه فاجيبوا أن لا سبيل الى الخروج وهذا العذاب والخلود فى النار بانكم اذا دعى الله وحده كفرتم يعنى اذا قيل لا اله الا الله أنكرتم ذلك ﴿ وان يشرك به ﴾ أى غيره ﴿ تؤمنوا ﴾ أى تصدقوا ذلك الشرك ﴿ فالحكم لله العلى ﴾ أى الذى لا أعلى منه ﴿ الكبير ﴾ أى الذى لا أكبر منه ❊ قوله عز وجل ﴿ هو الذى يريكم آياته ﴾ أى عجائب مصنوعاته التى تدل على كمال قدرته ﴿ وينزل لكم من السماء رزقا ﴾ يعنى المطر الذى هو سبب الارزاق ﴿ وما يتذكر ﴾ أى يتعظ بهذه الآيات

(فاعترفنا) فأقررنا (بذنوبنا) بشركنا وجحودنا من ذلك (فهل الى خروج) رجوع الى الدنيا (من سبيل) من حيلة فنؤمن بك يقول الله لهم (ذلكم) العذاب فى النار والمقت (بأنه اذا دعى الله وحده) اذا قيل لكم قولوا لا اله الا الله (كفرتم) جحدتم (وان يشرك به) الاوثان (تؤمنوا) تقروا (فالحكم لله) فالقضاء بين العباد لله حكم بالنار لمن كفر به (العلى) أعلى كل شئ (الكبير) أكبر كل شئ (هو الذى يريكم) يا أهل مكة (آياته) علامات وحدانيته وقدرته وعجائبه من خراب مساكن الذين ظلموا (وينزل لكم من السماء رزقا) مطرا (وما يتذكر)

الا من ينيب) وما يتعظ وما يعتبر بآيات الله الا من يتوب من الشرك ويرجع الى الله فان المعاند لا يتذكر ولا يتعظ ثم قال للمنيبين (فادعوا الله) فاعبدوا (مخلصين له الدين) من الشرك (ولو كره الكافرون) وان غاظ ذلك اعداءكم ممن ليس على دينكم (رفيع الدرجات ذوالعرش يلقى الروح)

ثلاثة أخبار لقوله وهو مرتبة على قوله الذي يريكم أو اخبار مبتدأ محذوف ومعنى رفيع الدرجات رافع السموات بعضها فوق بعض أو رافع درجات عباده فى الدنيا بالمنزلة أو رافع منازلهم فى الجنة وذو العرش مالك عرشه الذى فوق السموات خلقه مطافا للملائكة اظهار العظمته مع استغنائه فى مملكته والروح جبريل عليه السلام أو الوحى الذى تحيي به القلوب (من أمره) من أجل امره أو بامره (على من يشاء من عباده لينذر) أى الله او الملقى عليه وهو النبي عليه السلام ويدل عليه قراءة يعقوب لتنذر (يوم التلاق) يوم القيامة لانه يلتقى فيه أهل السماء واهل الارض والاولون والآخرون التلاقى مكى ويعقوب (يوم هم بارزون)

عنها للانهماك فى التقليد واتباع الهوى ﴿ الا من ينيب ﴾ يرجع عن الانكار بالاقبال عليها والتفكر فيها فان الجازم بشئ لا ينظر فيما ينافيه ﴿ فادعوا الله مخلصين له الدين ﴾ من الشرك ﴿ ولو كره الكافرون ﴾ اخلاصكم وشق عليهم ﴿ رفيع الدرجات ذوالعرش ﴾ خبران آخران للدلالة على علو صمديته من حيث المعقول والمحسوس الدال على تفرده فى الالوهية فان من ارتفعت درجات كماله بحيث لا يظهر دونها كمال وكان العرش الذى هو اصل العالم الجسمانى فى قبضة قدرته لا يصح ان يشرك به وقيل الدرجات مراتب المخلوقات اومصاعد الملائكة الى العرش او السموات او درجات الثواب وقرئ رفيع بالنصب على المدح ﴿ يلقى الروح من امره على من يشا من عباده ﴾ خبر رابع للدلالة على ان الروحانيات ايضا مسخرات لامره باظهار آثارها وهو الوحى وتمهيد للنبوة بعد تقرير التوحيد والروح الوحى ومن امره بيانه لانه امر بالخير او مبدؤه والامر هو الملك المبلغ ﴿ على من يشآء من عباده ﴾ يختاره للنبوة وفيه دليل على انها عطائية ﴿ لينذر ﴾ غاية الالقاء والمستكن فيه لله تعالى او لمن او للروح واللام مع القرب يؤيد الثانى ﴿ يوم التلاق ﴾ يوم القيامة فان فيه تتلاقى الارواح والاجساد واهل السماء والارض والمعبودون والعباد والاعمال والعمال ﴿ يوم هم بارزون ﴾ خارجون من قبورهم اوظاهرون لا يسترهم شئ اوظاهرة نفوسهم لا يحجبهم غواشى الابدان

﴿ الا من ينيب ﴾ أى يرجع الى الله تعالى فى جميع أموره ﴿ فادعوا الله مخلصين له الدين ﴾ أى الطاعة والعبادة ﴿ ولو كره الكافرون ﴾ ❁ قوله تعالى ﴿ رفيع الدرجات ﴾ أى رافع درجات الانبياء والاولياء والعلماء فى الجنة وقيل معناه المرتفع أى انه سبحانه وتعالى هو المرتفع بعظمته فى صفات جلاله وكماله ووحدانيته المستغنى عن كل ماسواه وكل الخلق فقراء اليه ﴿ ذوالعرش ﴾ أى خالقه ومالكه والفائدة فى تخصيص العرش بالذكر لانه أعظم الاجسام والمقصود بيان كمال التنبيه على كمال القدرة فكل ما كان أعظم كانت دلالته على كمال القدرة أقوى ﴿ يلقى الروح ﴾ يعنى ينزل الوحى سماه روحا لان به تحيي الارواح كما تحيي الابدان بالارواح ﴿ من أمره ﴾ قال ابن عباس من قضائه وقيل بامره وقيل من قوله ﴿ على من يشاء من عباده ﴾ يعنى الانبياء ﴿ لينذر يوم التلاق ﴾ يعنى لينذر النبى صلى الله عليه وسلم بالوحى يوم التلاق وهو يوم القيامة لانه يلتقى فيه أهل السماء وأهل الارض وقيل يلتقى الخلق والخالق وقيل يلتقى العابدون والمعبودون وقيل يلتقى المرء مع عمله وقيل يلتقى الظالم والمظلوم ﴿ يوم هم بارزون ﴾ أى خارجون من قبورهم

ما يتعظ بالقرآن (الامن ينيب) الامن يقبل الى الله (فادعوا الله) فاعبدوا الله (مخلصين له الدين) لله بالعبادة والتوحيد (ولو كره) وان كره (الكافرون) أهل مكة (رفيع الدرجات) (ظاهرون) خالق السموات رفعها فوق كل شئ (ذوالعرش) السرير (يلقى الروح من أمره) ينزل جبريل بالقرآن (على من يشاء) على من يحب (من عباده) يعنى محمدا عليه السلام (لينذر) ليخوف محمد صلى الله عليه وسلم بالقرآن (يوم التلاق) يوم يلتقى أهل السماء وأهل الارض ويقال يوم يلتقى الخالق والمخلوق (يوم هم بارزون) خارجون من القبور

ظاهرون لا يسترهم شئ من حبل اوا كمة اوبناء (لايخفى على الله منهم شئ) أى من أعمالهم وأحوالهم (لمن الملك اليوم)
أى يقول الله تعالى ذلك حين لا أحد يجيبه ثم يجيب نفسه بقوله (لله الواحد القهار) أى الذى قهر الخلق بالموت وينتصب اليوم
بمدلول لمن اى لمن ثبت الملك فى هذا اليوم ﴿٣٤٥﴾ وقيل ينادى مناد فيقول { سورة المؤمن } لمن الملك اليوم فيجيبه أهل
المحشر لله الواحد القهار
(اليوم تجزى كل نفس
بما كسبت لاظلم اليوم ان
الله سريع الحساب)
لما قرر ان الملك لله وحده
فى ذلك اليوم عدد نتائج ذلك
وهى ان كل نفس تجزى بما
كسبت عملت فى الدنيا
من خير وشر وان الظلم
مأمون منه لانه ليس بظلام
للعبيد وان الحساب لا يبطئ
لانه لا يشغله حساب عن
حساب فيحاسب الخلق
كله فى وقت واحد وهو
أسرع الحاسبين (وأنذرهم
يوم الآزفة) أى القيامة
سميت بها لازوفها أى لقربها
ويبدل من يوم الآزفة
(اذ القلوب لدى الحناجر)
أى التراقى يعنى ترفع قلوبهم
عن مقارها فتلصق بحناجرهم
فلا هى تخرج فيموتوا
ولا ترجع الى موضعها
فيتنفسوا ويتروحوا

اواعمالهم وسرائرهم ﴿ لايخفى على الله منهم شئ ﴾ من اعيانهم واعمالهم واحوالهم
وهو تقرير لقوله هم بارزون وازاحة لنحو ما يتوهم فى الدنيا ﴿ لمن الملك اليوم لله
الواحد القهار ﴾ حكاية لما يسأل عنه فى ذلك اليوم ولما يجاب به اولما دل عليه
ظاهر الحال فيه من زوال الاسباب وارتفاع الوسائط واما حقيقة الحال فناطقة
بذلك دائما ﴿ اليوم تجزى كل نفس بما كسبت ﴾ كأنه نتيجة لما سبق وتحقيقه ان النفوس
تكتسب بالعقائد والاعمال هيآت توجب لذتها وألمها لكنها لا تشعر بها فى الدنيا
لعوائق تشغلها فاذا قامت قيامتها زالت العوائق وادركت لذتها وألمها ﴿ لاظلم اليوم ﴾
بنقص الثواب وزيادة العقاب ﴿ ان الله سريع الحساب ﴾ اذ لا يشغله شأن عن شأن
فيصل اليهم ما يستحقونه سريعا ﴿ وانذرهم يوم الآزفة ﴾ اى القيامة سميت بها
لأزوفها اى قربها اوالخطة الآزفة وهى مشارفتهم النار وقيل الموت ﴿ اذ القلوب
لدى الحناجر ﴾ فانها ترتفع عن اماكنها فتلتصق بحلوقهم فلا تعود فيتروحوا ولا تخرج

ظاهرون لا يسترهم شئ ﴿ لايخفى على الله منهم شئ ﴾ أى من أعمالهم وأحوالهم
فان قلت ان الله تعالى لا يخفى عليه شئ فى سائر الايام فما وجه تخصيص ذلك اليوم
قلت كانوا يتوهمون فى الدنيا اذا استتروا بالحيطان والحجب ان الله تعالى لا يراهم
وتخفى عليه أعمالهم وهم فى ذلك اليوم صائرون من البروز والانكشاف الى حال لا يتوهمون
فيها مثل ما كانوا يتوهمونه فى الدنيا ﴿ لمن الملك اليوم ﴾ أى يقول الله عز وجل
فى ذلك اليوم بعد فناء الخلق لمن الملك فلا أحد يجيبه فيجيب نفسه تعالى فيقول ﴿ لله
الواحد القهار ﴾ أى الذى قهر الخلق بالموت وقيل اذا حضر الاولون والآخرون
فى يوم القيامة نادى مناد لمن الملك فيجيبه جميع الخلائق فى يوم القيامة لله الواحد القهار
فالمؤمنون يقولونه تلذذا حيث كانوا يقولونه فى الدنيا ونالوا به المنزلة الرفيعة فى العقبى
والكفار يقولونه على سبيل الذل والصغار والندامة حيث لم يقولوه فى الدنيا ﴿ اليوم
تجزى كل نفس بما كسبت ﴾ يعنى يجزى المحسن باحسانه والمسئ باساءته ﴿ لاظلم
اليوم ﴾ أى ان الخلق آمنون فى ذلك اليوم من الظلم لان الله تعالى ليس بظلام للعبيد
﴿ ان الله سريع الحساب ﴾ أى انه تعالى لا يشغله حساب عن حساب بل يحاسب الخلق
كلهم فى وقت واحد * قوله تعالى ﴿ وأنذرهم يوم الآزفة ﴾ يعنى يوم القيامة سميت
آزفة لقرب وقتها وكل ما هو آت فهو قريب ﴿ اذ القلوب لدى الحناجر ﴾ وذلك انها
تزول عن أماكنها من الخوف حتى تصير الى الحناجر فلا هى تعود الى أماكنها ولا هى

(لايخفى على الله منهم
شئ)ولا من اعمالهم شئ
فيقول الله بعد نفخة الموت
(لمن الملك اليوم) فليس
يجيبه احد فيرد على نفسه فيقول (لله الواحد) (قا و خا ٤٤ مس) بلا ولد ولا شريك (القهار)لخلقه بالموت الغالب عليهم
(اليوم)وهو يوم القيامة (تجزى كل نفس) برة أو فاجرة (بما كسبت)من الخير والشر (لاظلم اليوم) على أحد أى لا ينقص
من حسناتهم ولا يزاد على سيآتهم (ان الله سريع الحساب) اذا حاسب ويقال شديد العقاب اذا عاقب (وأنذرهم) خوفهم يا محمد
(يوم الآزفة) من أهوال يوم الآزفة وهو يوم القيامة يزف بعضهم الى بعض ويسرع (اذ القلوب لدى الحناجر)عند الحناجر

(كاظمين) ممسكين بحناجرهم من كظم القربة شد رأسها وهو حال من القلوب محمول على أصحابها وانما جمع الكاظم جمع السلامة لانه وصفها بالكظم الذى هو من أفعال العقلاء (ماللظالمين) الكافرين (من حميم) محب مشفق (ولاشفيع يطاع) أى يشفع وهو مجاز عن الطاعة لان الطاعة حقيقة لاتكون الا لمن فوقك والمراد نفى الشفاعة والطاعة كما فى قوله «ولاترى الضب بها ينجحره» يريد به نفى الضب وانجحاره وان احتمل اللفظ انتفاء الطاعة دون الشفاعة فعن الحسن والله مايكون لهم شفيع البتة (يعلم خائنة الاعين) مصدر بمعنى الخيانة كالعافية بمعنى المعافاة والمراد استراق النظر الى مالا يحل (وماتخفى الصدور) ومالسره من أمانة وخيانة وقيل هو ان ينظر الى أجنبية بشهوة مسارقة ثم يتفكر بقلبه فى جمالها ولايعلم بنظرته وفكرته من بحضرته والله يعلم ذلك كله ويعلم خائنة الاعين خبر من أخبار هو فى قوله هو الذى يريكم آياته مثل يلقى الروح ولكن يلقى الروح قد علل بقوله لينذر يوم التلاق ثم استطرد ذكر أحوال يوم التلاق الى قوله ولاشفيع يطاع فبعد لذلك عن أخواته (والله يقضى بالحق) أى والذى هذه صفاته لايحكم الا بالعدل (والذين يدعون من دونه لايقضون بشئ) وآلهتهم لايقضون بشئ وهذا تهكم بهم لان مالا يوصف بالقدرة لايقال فيه يقضى أولا يقضى تدعون نافع (ان الله هو السميع البصير) تقرير لقوله يعلم خائنة الاعين وماتخفى الصدور ووعيد لهم بانه يسمع مايقولون ويبصر مايعملون وانه يعاقبهم عليه وتعريض بما يدعون من دونه وانها لاتسمع ولاتبصر (أولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان

(عاقبة)

فيستريحوا ﴿ كاظمين ﴾ على الغم حال من اصحاب القلوب على المعنى لانه على الاضافة اومنها اومن ضميرها فى لدى وجمعه كذلك لان الكظم من افعال العقلاء كقوله فظلت اعناقهم لها خاضعين اومن مفعول أنذرهم على انه حال مقدرة ﴿ ماللظالمين من حميم ﴾ قريب مشفق ﴿ ولاشفيع يطاع ﴾ ولاشفيع مشفع والضمائر ان كانت للكفار وهو الظاهر كان وضع الظالمين موضع ضميرهم للدلالة على اختصاص ذلك بهم وانه لظلمهم ﴿ يعلم خائنة الاعين ﴾ النظرة الخائنة كالنظرة الثانية الى غير المحرم واستراق النظر اليه اوخيانة الاعين ﴿ وماتخفى الصدور ﴾ من الضمائر والجملة خبر خامس للدلالة على انه مامن خفى الا وهو متعلق العلم والجزاء ﴿ والله يقضى بالحق ﴾ لانه المالك الحاكم على الاطلاق فلايقضى بشئ الا وهو حقه ﴿ والذين يدعون من دونه لايقضون بشئ ﴾ تهكم بهم لان الجماد لايقال فيه انه يقضى او لايقضى وقرأ نافع وهشام بالتاء على الالتفات او اضمار قل ﴿ ان الله هو السميع البصير ﴾ تقرير لعلمه بخائنة الاعين وقضائه بالحق ووعيد لهم على مايقولون ويفعلون وتعريض بحال مايدعون من دونه ﴿ اولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان

تخرج من أفواههم فيموتوا ويستريحوا ﴿ كاظمين ﴾ أى مكروبين ممتلئين خوفا وحزنا حتى يضيق القلب عنه ﴿ ماللظالمين من حميم ﴾ أى من قريب ينفعهم ﴿ ولاشفيع ﴾ أى يشفع لهم ﴿ يطاع ﴾ أى فيهم ﴿ يعلم خائنة الاعين ﴾ أى خيانتها وهى مسارقة النظر الى مالايحل وقيل هو نظر الاعين لمانهى الله عنه ﴿ وماتخفى الصدور ﴾ أى يعلم مضمرات القلوب ﴿ والله يقضى بالحق ﴾ أى يحكم بالعدل ﴿ والذين يدعون من دونه ﴾ يعنى الاصنام ﴿ لايقضون بشئ ﴾ لانها لاتعلم شيأ ولاتقدر على شئ ﴿ ان الله هو السميع ﴾ أى لاقوال الخلق ﴿ البصير ﴾ بافعالهم ﴿ أولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان

(كاظمين) مغمومين محزونين يتردد الغيظ فى أجوافهم (ماللظالمين) المشركين (من حميم) من قريب ينفعهم (ولا شفيع يطاع) فيهم بالشفاعة (يعلم خائنة الاعين) النظرة بعد النظرة الثانية من الخيانة (وماتخفى الصدور) ماتضمر القلوب عند النظرة الثانية يعلم الله ذلك (والله يقضى بالحق) يحكم بالشفاعة لمن يشاء يوم القيامة ويقال يأمر بالعدل (والذين يدعون) يعبدون (من دونه) من دون الله من الاوثان (لايقضون بشئ) لايحكمون بشئ من الشفاعة يوم القيامة لانه ليس لهم مقدرة على ذلك ويقال لايقضون بشئ لايأمرون بخير فى الدنيا لانهم صم بكم (ان الله هو السميع) لمقالتهم (البصير) بهم وباعمالهم (أولم يسيروا) يسافروا كفار مكة (فى الارض فينظروا) فيتفكروا (كيف كان

عاقبة الذين كانوا من قبلهم) أي آخر أمر الذين كذبوا الرسل من قبلهم (كانوا هم أشد منهم قوة) هم فصل وحقه ان يقع بين معرفتين الا أن أشد منهم ضارع المعرفة في انه لا يدخله الالف واللام فاجرى مجراه منكم شامي (وآثارا في الارض) أي حصونا وقصورا (فأخذهم الله بذنوبهم) عاقبهم بسبب ذنوبهم (وما كان لهم من الله من واق) ولم يكن لهم شئ يقيهم من عذاب الله (ذلك بانهم) أي الاخذ بسبب انهم (كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فكفروا فأخذهم الله انه قوى) قادر على كل شئ (شديد العقاب) اذا عاقب (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا) التسع (وسلطان مبين) وحجة ظاهرة (الى فرعون وهامان وقارون فقالوا) هو (ساحر كذاب) فسموا السلطان المبين سحرا وكذبا (فلما جاءهم بالحق) بالنبوة من عندنا (قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه) أي أعيدوا عليهم القتل كالذي كان أولا (واستحيوا نساءهم) للخدمة (وما كيد الكافرين الا في ضلال) ضياع يعني انهم

عاقبة الذين كانوا من قبلهم ﴾ مآل حال الذين كذبوا الرسل قبلهم كعاد وثمود ﴿ كانوا هم اشد منهم قوة ﴾ قدرة وتمكنا وانما جيء بالفصل وحقه ان يقع بين معرفتين لمضارعة افعل من للمعرفة في امتناع دخول اللام عليه وقرأ ابن عامر اشد منكم بالكاف ﴿ وآثارا في الارض ﴾ مثل القلاع والمدائن الحصينة وقيل المعنى واكثر آثارا كقوله «متقلدا سيفا ورمحا» ﴿ فاخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق ﴾ يمنع العذاب عنهم ﴿ ذلك ﴾ الاخذ ﴿ بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات ﴾ بالمعجزات والاحكام الواضحة ﴿ فكفروا فاخذهم الله انه قوى ﴾ متمكن مما يريده غاية التمكن ﴿ شديد العقاب ﴾ لا يؤبه بعقاب دون عقابه ﴿ ولقد ارسلنا موسى بآياتنا ﴾ يعني المعجزات ﴿ وسلطان مبين ﴾ وحجة ظاهرة والعطف لتغاير الوصفين اولافراد بعض المعجزات كالعصا تفخيما لشأنه ﴿ الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب ﴾ يعنون موسى وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وبيان لعاقبة من هوا شد الذين كانوا من قبلهم بطشا واقربهم زمانا ﴿ فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا ابناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم ﴾ اي اعيدوا عليهم ما كنتم تفعلون بهم اولا كي يصدوا عن مظاهرة موسى ﴿ وما كيد الكافرين الا في ضلال ﴾

عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم أشد منهم قوة وآثارا في الارض ﴾ أي المعنى ان العاقل من اعتبر بغيره فان الذين مضوا من الكفار كانوا أشد قوة من هؤلاء فلم تنفعهم قوتهم ﴿ فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق ﴾ يدفع عنهم العذاب ﴿ ذلك ﴾ أي ذلك العذاب الذي نزل بهم ﴿ بانهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فكفروا فأخذهم الله انه قوى شديد العقاب ﴾ قوله عز وجل ﴿ ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا ﴾ يعني فرعون وقومه ﴿ اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه ﴾ قيل هذا القتل غير القتل الاول لان فرعون كان قد أمسك عن قتل الولدان فلما بعث موسى عليه الصلاة والسلام أعاد القتل عليهم فمعناه أعيدوا عليهم القتل ﴿ واستحيوا نساءهم ﴾ أي استحيوا النساء ليصدوهم بذلك عن متابعة موسى عليه الصلاة والسلام ومظاهرته ﴿ وما كيد الكافرين ﴾ أي وما مكر فرعون وقومه واحتيالهم ﴿ الا في ضلال ﴾ أي يذهب كيدهم باطلا ويحيق بهم ما يريده الله

عاقبة) جزاء (الذين كانوا من قبلهم كانوا هم أشد منهم قوة) بالبدن (وآثارا في الارض) أشد لها طلبا وأبعد ذهابا في طلبها (فأخذهم الله بذنوبهم) فعاقبهم الله بذنوبهم بتكذيبهم الرسل (وما كان لهم من الله) من عذاب الله (من واق) من مانع (ذلك) العذاب في الدنيا (بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات) بالامر والنهي والعلامات (فكفروا) بالرسل وبما جاؤا به (فأخذهم الله) بالعقوبة (انه قوى) بأخذه (شديد العقاب) لمن عاقبه (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا) التسع (وسلطان مبين) حجة مبينة (الى فرعون وهامان) وزير فرعون (وقارون) ابن عم موسى (فقالوا) لموسى هذا (ساحر) يفرق بين الاثنين (كذاب) يكذب على الله (فلما جاءهم) موسى (بالحق) بالكتاب (من عندنا قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه) أي أعيدوا عليهم القتل (واستحيوا نساءهم) استخدموا نساءهم ولا تقتلوهن (وما كيد الكافرين) ما صنع فرعون وقومه (الا في ضلال) في خطأ

باشروا قتلهم أولا فما أغنى عنهم ونفذ قضاء الله باظهار من خافوه فما يغنى عنهم هذا القتل الثانى وكان فرعون قد كف عن قتل الولدان فلما بعث موسى عليه السلام وأحس بانه قد وقع أعاده عليهم غيظا وظنا منه أنه يصدهم بذلك عن مظاهرة موسى عليه السلام وما علم ان كيده ضائع فى الكرتين جميعا (وقال فرعون) لملئه (ذرونى أقتل موسى) كان اذا هم بقتله كفوه بقولهم ليس بالذى تخافه وهو أقل من ذلك وما هو الا ساحر واذا قتلته دخلت الشبهة على الناس واعتقدوا انك عجزت عن معارضته بالحجة والظاهر أن فرعون قد استيقن أنه نبى وان ما جاء به آيات وما هو بسحر ولكن كان فيه خب وكان قتالا سفاكا للدماء فى أهون شئ فكيف لا يقتل من أحس بانه هو الذى يهدم ملكه ولكن كان يخاف ان هم بقتله ان يعاجل بالهلاك وقوله (وليدع ربه) شاهد صدق على فرط خوفه منه ومن دعوته ربه وكان قوله ذرونى أقتل موسى تمويها على قومه وايهاما انهم هم الذين يكفونه وما كان يكفه الا ما فى نفسه من هول الفزع (انى أخاف) ان لم أقتله (ان يبدل دينكم) ان يغير ما أنتم عليه وكانوا يعبدونه ويعبدون الاصنام (أوأن يظهر) موسى (فى الارض الفساد) بضم الياء ونصب الدال مدنى وبصرى وحفص وغيرهم بفتح الياء ورفع الدال والاول أولى لموافقة يبدل والفساد فى الارض التقاتل والتهايج الذى يذهب معه الامن وتتعطل المزارع والمكاسب والمعايش ويهلك الناس قتلا وضياعا كانه قال انى أخاف أن يفسد عليكم (و) دينكم بدعوتكم الى دينه أو يفسد عليكم دنياكم بما يظهر من الفتن بسببه وقرأ غير أهل الكوفة وأن ومعناه انى أخاف فساد دينكم ودنياكم معا (وقال موسى) لما سمع بما أجراه فرعون من حديث قتله لقومه (انى عذت بربى وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب) وفى قوله

فى ضياع ووضع الظاهر فيه موضع الضمير لتعميم الحكم والدلالة على العلة ﴿وقال فرعون ذرونى اقتل موسى﴾ كانوا يكفونه عن قتله ويقولون انه ليس الذى تخافه بل هو ساحر ولو قتلته ظن انك عجزت عن معارضته بالحجة وتعلله بذلك مع كونه سفاكا فى اهون شئ دليل على انه تيقن انه نبى فخاف من قتله او ظن انه لو حاوله لم يتيسر له ويؤيده قوله ﴿وليدع ربه﴾ فانه تجلد وعدم مبالاة بدعاء ربه ﴿انى اخاف﴾ ان لم اقتله ﴿ان يبدل دينكم﴾ ان يغير ما انتم عليه من عبادتى وعبادة الاصنام لقوله ويذرك وآلهتك ﴿او ان يظهر فى الارض الفساد﴾ ما يفسد دنياكم من التحارب والتهارج ان لم يقدر ان يبطل دينكم بالكلية وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو وابن عامر بالواو على معنى الجمع وابن كثير وابن عامر والكوفيون غير حفص بفتح الياء والهاء ورفع الفساد ﴿وقال موسى﴾ اى لقومه لما سمع كلامه ﴿انى عذت بربى وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب﴾ صدر

تعالى ﴿وقال فرعون﴾ أى لملئه ﴿ذرونى أقتل موسى﴾ وانما قال فرعون هذا لانه كان فى خاصة قومه من يمنعه من قتل موسى وانما منعوه عن قتله لانه كان فيهم من يعتقد بقلبه انه كان صادقا وقيل قالوا لا تقتله فانما هو ساحر ضعيف فلا يقدر ان يغلب سحرنا وان قتلته قالت العامة كان محقا صادقا وعجزوا عن جوابه فقتلوه ﴿وليدع ربه﴾ أى وليدع موسى ربه الذى يزعم انه أرسله الينا فيمنعه منا ﴿انى أخاف أن يبدل دينكم﴾ يعنى يقول فرعون أخاف أن يغير دينكم الذى أنتم عليه ﴿أو ان يظهر فى الارض الفساد﴾ يعنى بذلك تغيير الدين وتبديله وعبادة غيره ﴿وقال موسى﴾ يعنى لما توعده فرعون بالقتل ﴿انى عذت بربى وربكم﴾ يعنى أن موسى عليه الصلاة والسلام لم يأت فى دفع الشدة الا بان استعاذ بالله واعتمد عليه فلا جرم أن صانه الله عن كل بلية ﴿من كل متكبر﴾ أى متعظم عن الايمان ﴿لا يؤمن بيوم الحساب﴾ قوله عز وجل

(وقال فرعون ذرونى أقتل) أى اتركونى أقتل (موسى وليدع ربه) الذى يزعم أنه أرسله الى (انى أخاف أن يبدل دينكم) الذى أنتم عليه (او ان يظهر فى الارض الفساد) يقتل أبناءكم ويستخدم نساءكم كما قتلتم واستخدمتم ويقال أو أن يظهروا فى الارض الفساد بترك دينكم ودين آبائكم ويدخلكم فى دينه ان قرأت بنصب الياء والهاء (وقال موسى انى عذت) اعتصمت (بربى وربكم من كل متكبر) متعظم عن الايمان (لا يؤمن بيوم الحساب)

وربكم بعث لهم على أن يقتدوا به فيعوذوا بالله عياذه ويعتصموا بالتوكل عليه اعتصامه وقال من كل متكبر لتشتمل استعاذته فرعون وغيره من الجبابرة وليكون على طريقة التعريض فيكون أبلغ وأراد بالتكبر الاستكبار عن الاذعان للحق وهو أقبح استكبار وأدل على دناءة صاحبه وعلى فرط ظلمه وقال لا يؤمن بيوم الحساب لانه اذا اجتمع فى الرجل التكبر والتكذيب بالجزاء وقلة المبالاة بالعاقبة فقد استكمل أسباب القسوة والجراءة على الله وعباده ولم يترك عظيمة الا ارتكبها وعذت ولذت اخوان وعت بالادغام ابو عمرو وحمزة وعلى (وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه) قيل كان قبطيا ابن عم لفرعون آمن بموسى سرا ومن آل فرعون صفة لرجل وقيل كان اسرائيليا ومن آل فرعون صلة ليكتم

اى يكتم ايمانه من آل فرعون واسمه سمعان اوحبيب اوخربيل اوحزبيل والظاهر الاول (أتقتلون رجلا ان يقول) لان يقول وهذا انكار منه عظيم كأنه قيل اترتكبون الفعلة الشنعاء التى هى قتل نفس محرمة ومالكم علة فى ارتكابها الا كلمة الحق وهى قوله (ربى الله) وهو ربكم أيضا لا ربه وحده (وقدجاءكم) الجملة حال (بالبينات من ربكم) يعنى أنه لم يحضر لتصحيح قوله ببينة واحدة ولكن ببينات من عند من نسب اليه الربوبية وهو استدراج لهم الى الاعتراف به (وان يك كاذبا فعليه كذبه وان يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم) احتج عليهم بطريق التقسيم فانه لا يخلو من أن يكون كاذبا أو صادقا فان

الكلام بان تأكيدا واشعارا على ان السبب المؤكد فى دفع الشر هو العياذ بالله وخص اسم الرب لان المطلوب هو الحفظ والتربية واضافه اليه واليهم حثالهم على موافقته لما فى تظاهر الارواح من استجلاب الاجابة ولم يسم فرعون وذكر وصفا يعمه وغيره لتعميم الاستعاذة ورعاية الحق والدلالة على الحامل له على القول وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائى عت فيه وفى الدخان بالادغام وعن نافع مثله ﴿ وقال رجل مؤمن من آل فرعون ﴾ من اقاربه وقيل من متعلق بقوله ﴿ يكتم ايمانه ﴾ والرجل اسرائيلى اوغريب موحد كان ينافقهم ﴿ أتقتلون رجلا ﴾ أتقصدون قتله ﴿ ان يقول ﴾ لان يقول اووقت ان يقول من غير روية وتأمل فى امره ﴿ ربى الله ﴾ وحده وهو فى الدلالة على الحصر مثل صديقى زيد ﴿ وقدجاءكم بالبينات ﴾ المتكثرة على صدقه من المعجزات والاستدلالات ﴿ من ربكم ﴾ اضافه اليهم بعد ذكر البينات احتجاجا عليهم واستدراجا لهم الى الاعتراف به ثم اخذهم بالاحتجاج من باب الاحتياط فقال ﴿ وان يك كاذبا فعليه كذبه ﴾ لا يتخطاه وبال كذبه فيحتاج فى دفعه الى قتله ﴿ وان يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم ﴾ فلا اقل من ان يصيبكم بعضه وفيه مبالغة فى التحذير واظهار

﴿ وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه ﴾ قيل كان ابن عم فرعون وقيل كان من القبط وقيل كان من بنى اسرائيل فعلى هذا يكون معنى الآية وقال رجل مؤمن يكتم ايمانه من آل فرعون وكان اسم هذا المؤمن حزبيل عند ابن عباس رضى الله عنهما وأكثر العلماء وقال ابن اسحق كان اسمه جبريل وقيل حبيب ﴿ أتقتلون رجلا ان يقول ﴾ أى لان يقول ﴿ ربى الله ﴾ وهذا استفهام انكار وهو اشارة الى التوحيد * وقوله ﴿ وقدجاءكم بالبينات من ربكم ﴾ فيه اشارة الى تقرير نبوته باظهار المعجزة والمعنى وقدجاءكم بما يدل على صدقه ﴿ وان يك كاذبا فعليه كذبه ﴾ أى لا يضركم ذلك انما يعود وبال كذبه عليه ﴿ وان يك صادقا ﴾ أى فكذبتموه ﴿ يصبكم بعض الذى يعدكم ﴾

يك كاذبا فعليه وبال كذبه ولا يتخطاه وان يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم من العذاب ولم يقل كل الذى يعدكم مع انه وعد من نبى صادق القول مداراة لهم وسلوكا لطريق الانصاف فجاء بما هو أقرب الى تسليمهم له وليس فيه نفى اصابة الكل فكأنه قال لهم أقل مايكون فى صدقه أن يصيبكم بعض مايعدكم وهو العذاب العاجل وفى ذلك هلاككم وكان وعدهم عذاب الدنيا والآخرة وتقديم الكاذب على الصادق من هذا القبيل أيضا وتفسير البعض بالكل

بيوم القيامة (وقال رجل مؤمن) وهو حزقيل (من آل فرعون) وهو ابن عم فرعون (يكتم ايمانه) من فرعون وقومه مائة سنة ويقال وقال رجل مؤمن وهو حزقيل يكتم ايمانه من آل فرعون وقومه مقدم ومؤخر (أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله) أرسلنى اليكم (وقدجاءكم بالبينات) بالامر والنهى وعلامات النبوة (من ربكم وان يك كاذبا) فيما يقول (فعليه كذبه) عقوبة كذبه (وان يك صادقا) فيما يقول وقد كذبتموه (يصبكم بعض الذى يعدكم) من العذاب فى الدنيا

مزيف (ان الله لايهدى من هو مسرف) مجاوز للحد (كذاب) فى ادعائه وهذا أيضا من باب المجاهلة والمعنى انه ان كان مسرفا كذابا خذله الله وأهلكه فتتخلصون منه اذ لو كان مسرفا كذابا لما هداه الله بالنبوة ولما عضده بالبينات وقيل أوهم انه عنى بالمسرف موسى وهو يعنى به فرعون (ياقوم لكم الملك اليوم ظاهرين) عالين وهو حال من كم فى لكم (فى الارض) فى أرض مصر (فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا) يعنى ان لكم ملك مصر وقد علوتم الناس وقهرتموهم فلا تفسدوا أمركم على أنفسكم ولاتتعرضوا لبأس الله أى عذابه فانه لاطاقة لكم به ان جاءكم ولا يمنعكم منه أحد وقال ينصرنا وجاءنا لانه منهم فى القرابة وليعلمهم بان الذى ينصحهم به هو مساهم لهم فيه (قال فرعون ماأريكم الاماأرى) أى ما أشير عليكم برأى الا بما أرى من قتله يعنى لا أستصوب الا قتله وهذا الذى تقولونه غير صواب (وماأهديكم) بهذا الرأى (الاسبيل الرشاد) طريق الصواب والصلاح أوماأعلمكم الا ماأعلم من الصواب ولاأدخر منه شيأ ولا أسر عنكم خلاف ماأظهر يعنى ان لسانه وقلبه متواطئان على مايقول وقد كذب فقد كان مستشعرا للخوف الشديد من جهة موسى عليه السلام ولكنه كان يتجلد ولولا استشعاره لم يستشر أحدا ولم يقف الامر

الانصاف وعدم التعصب ولذلك قدم كونه كاذبا ويصيبكم مايعدكم من عذاب الدنيا وهو بعض مواعيده كأنه خوفهم بما هو اظهر احتمالا عندهم وتفسير البعض بالكل كقول لبيد

تراك امكنة اذا لم ارضها * او يرتبط بعض النفوس حمامها

مردود لانه اراد بالبعض نفسه ﴿ ان الله لايهدى من هو مسرف كذاب ﴾ احتجاج ثالث ذو وجهين احدهما انه لوكان مسرفا كذابا لماهداه الله الى البينات ولماعضده بتلك المعجزات وثانيهما ان من خذله الله واهلكه فلا حاجة لكم الى قتله ولعله اراد به المعنى الاول وخيل اليهم الثانى ليلين شكيمتهم وعرض به لفرعون بانه مسرف كذاب لايهديه الله تعالى سبيل الصواب وسبيل النجاة ﴿ ياقوم لكم الملك اليوم ظاهرين ﴾ غالبين عالين ﴿ فى الارض ﴾ ارض مصر ﴿ فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا ﴾ اى فلاتفسدوا امركم ولاتتعرضوا لبأس الله تعالى بقتله فانه ان جاءنا لم يمنعنا منه احد وانما ادرج نفسه فى الضميرين لانه كان منهم فى القرابة وليريهم انه معهم ومساهمهم فيما ينصح لهم ﴿ قال فرعون ماأريكم ﴾ ماأشير اليكم ﴿ الا ماأرى ﴾ واستصوبه من قتله ﴿ وما اهديكم ﴾ وما اعلمكم الا ماعلمت من الصواب وقلبى ولسانى متواطئان عليه ﴿ الا سبيل الرشاد ﴾

قيل معناه يصبكم الذى يعدكم ان قتلتموه وهو صادق وقيل بعض على أصلها ومعناه كأنه قال على طريق الاحتجاج أقل مافى صدقه ان يصيبكم بعض الذى يعدكم وفيه هلاككم فذكر البعض ليوجب الكل ﴿ ان الله لايهدى ﴾ أى الى دينه ﴿ من هو مسرف كذاب ﴾ أى على الله تعالى (خ) عن عروة بن الزبير قال سألت عبدالله بن عمرو بن العاص عن أشد ماصنع المشركون برسول الله صلى الله عليه سلم فقال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى بفناء الكعبة اذ أقبل عقبة بن أبى معيط فاخذ بمنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولوى ثوبه فى عنقه وخنقه خنقا شديدا فاقبل أبو بكر فاخذ بمنكبه ودفعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم * قوله عزوجل ﴿ ياقوم لكم الملك اليوم ظاهرين فى الارض ﴾ أى غالبين فى الارض أى أرض مصر ﴿ فمن ينصرنا ﴾ أى يمنعنا ﴿ من بأس الله ان جاءنا ﴾ والمعنى لكم الملك فلاتتعرضوا لعذاب الله بالتكذيب وقتل النبى فانه لامانع من عذاب الله تعالى ان حل بكم ﴿ قال فرعون ماأريكم ﴾ أى من الرأى والنصيحة ﴿ الاماأرى ﴾ أى لنفسى ﴿ وماأهديكم الاسبيل الرشاد ﴾ أى ماأدعوكم الا الى طريق الهدى ثم حكى الله تعالى ان مؤمن آل فرعون رد على فرعون هذا الكلام وخوفه

(ان الله لايهدى) لايرشد الى دينه (من هو مسرف) مشرك (كذاب) كاذب على الله (ياقوم لكم الملك اليوم) (ان) ظاهرين) غالبين (فى الارض) أرض مصر (فمن ينصرنا) يمنعنا (من بأس الله) من عذاب الله (ان جاءنا) حين جاءنا (قال فرعون ماأريكم) ماآمركم (الاماأرى) لنفسى حقا ان تعبدونى (وماأهديكم) أدعوكم (الاسبيل الرشاد) طريق الحق والهدى

على الاشارة (وقال الذى آمن ياقوم انى أخاف عليكم مثل يوم الاحزاب) أى مثل أيامهم لانه لما أضافه الى الاحزاب وفسرهم بقوله (مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم) ولم يلتبس ان كل حزب منهم كان له يوم دمار اقتصر على الواحد من الجمع ودأب هؤلاء دؤبهم فى عملهم من الكفر والتكذيب وسائر المعاصى وكون ذلك دائبا دائما منهم ولا يفترون عنه ولا بد من حذف مضاف اى مثل جزاء دأبهم وانتصاب مثل الثانى بانه عطف بيان لمثل الاول (وما الله يريد ظلما للعباد) أى وما يريد الله ان يظلم عباده فيعذبهم بغير ذنب أو يزيد على قدر ما يستحقون من العذاب يعنى ان تدميرهم كان عدلا لانهم استحقوه باعمالهم وهو أبلغ من قوله وما ربك بظلام للعبيد حيث جعل المنفى ارادة ظلم منكر ومن بعد عن ارادة ظلم ما لعباده كان عن الظلم أبعد وأبعد وتفسير المعتزلة بانه لا يريد لهم ان يظلموا بعيد لان أهل اللغة قالوا اذا قال الرجل لآخر لا أريد ظلما لك معناه لا أريد ان اظلمك وهذا تخويف بعذاب الدنيا ثم خوفهم من عذاب الآخرة بقوله (وياقوم انى أخاف عليكم يوم التناد) أى يوم القيامة التنادى مكى ويعقوب فى الحالين واثبات الياء هو الاصل وحذفها حسن لان الكسرة تدل على الياء وآخر هذه الآية على الدال وهو ما حكى الله تعالى فى سورة الاعراف ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ونادى أصحاب النار اصحاب الجنة ونادى اصحاب الاعراف وقيل ينادى مناد ألا ان فلانا سعد سعادة لا يشقى بعدها ابدا ألا ان فلانا شقى شقاوة لا يسعد بعدها ابدا (يوم تولون مدبرين) منصرفين عن موقف الحساب الى

طريق الصواب وقرئ بالتشديد على انه فعال للمبالغة من رشد كعلام او من رشد كعباد لا من ارشد كجبار لانه مقصور على السماع او للنسبة الى الرشد كعواج وبتات ﴿ وقال الذى آمن ياقوم انى اخاف عليكم ﴾ فى تكذيبه والتعرض له ﴿ مثل يوم الاحزاب ﴾ مثل ايام الامم الماضية يعنى وقائعهم وجمع الاحزاب مع التفسير اغنى عن جمع اليوم ﴿ مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود ﴾ مثل جزاء ما كانوا عليه دائبا من الكفر وايذاء الرسل ﴿ والذين من بعدهم ﴾ كقوم لوط ﴿ وما الله يريد ظلما للعباد ﴾ فلا يعاقبهم بغير ذنب ولا يخلى الظالم منهم بغير انتقام وهو ابلغ من قوله وما ربك بظلام للعبيد من حيث ان المنفى فيه نفى حدوث تعلق ارادته بالظلم ﴿ وياقوم انى اخاف عليكم يوم التناد ﴾ يوم القيامة ينادى فيه بعضهم بعضا للاستغاثة او يتصايحون بالويل والثبور او يتنادى اصحاب الجنة واصحاب النار كما حكى فى الاعراف وقرئ بالتشديد وهو ان يفر بعضهم من بعض كقوله يوم يفر المرء من اخيه ﴿ يوم تولون ﴾ عن الموقف ﴿ مدبرين ﴾ منصرفين عنه الى

ان يحل به ما حل بالامم قبله بقوله ﴿ وقال الذى آمن ياقوم انى أخاف عليكم مثل يوم الاحزاب مثل دأب قوم نوح وعاد ثمود والذين من بعدهم ﴾ أى مثل عادتهم فى الاقامة على التكذيب حتى أتاهم العذاب ﴿ وما الله يريد ظلما للعباد ﴾ أى لا يهلكهم الا بعد اقامة الحجة عليهم ﴿ وياقوم انى أخاف عليكم يوم التناد ﴾ يعنى يوم القيامة سمى يوم القيامة يوم التناد لانه يدعى فيه كل أناس بامامهم وينادى بعضهم بعضا فينادى أصحاب الجنة أصحاب النار وينادى أصحاب النار أصحاب الجنة وينادى فيه بالسعادة والشقاوة ألا ان فلان بن فلان سعد سعادة لا يشقى بعدها أبدا وفلان بن فلان شقى شقاوة لا يسعد بعدها أبدا وينادى حين يذبح الموت يا أهل الجنة خلود بلا موت ويا أهل النار خلود بلا موت وقيل ينادى المؤمن هاؤم اقرؤا كتابيه وينادى الكافر ياليتنى لم أوت كتابيه وقيل يوم التناد يعنى يوم التنافر من ند البعير اذا نفر وهرب وذلك انهم اذا سمعوا زفير النار ندوا هربا فلا يأتون قطرا من الاقطار الا وجدوا الملائكة صفوفا عليه فيرجعون الى المكان الذى كانوا فيه ﴿ يوم تولون مدبرين ﴾ أى منصرفين عن موقف الحساب الى النار

(وقال الذى آمن) يعنى حزقيل (ياقوم انى أخاف عليكم) اعلم أن يكون عليكم (مثل يوم الاحزاب) مثل عذاب الكفار قبلكم (مثل دأب) مثل عذاب (قوم نوح وعاد) قوم هود (وثمود) قوم صالح (والذين من بعدهم) من الكفار (وما الله يريد ظلما للعباد) أن يكون منه ظلم على العباد وأن يأخذهم بلا جرم (وياقوم انى أخاف عليكم) أعلم ان يكون عليكم العذاب (يوم التناد) يوم ينادى بعضكم بعضا ويناديكم أصحاب الاعراف ويقال يوم الفرار ان قرأت مثقلة الدال (يوم تولون مدبرين) هاربين

النار (مالكم من الله) من عذاب الله (من عاصم) مانع ودافع (ومن يضلل الله فماله من هاد) مرشد (ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات) هو يوسف بن يعقوب وقيل يوسف بن افرائيم بن يوسف بن يعقوب أقام فيهم نبيا عشرين سنة وقيل ان فرعون موسى هو فرعون يوسف عمر الى زمنه وقيل فرعون آخر وبخهم بان يوسف أتاكم من قبل موسى بالمعجزات (فما زلتم فى شك مما جاءكم به) فشككتم فيها ولم تزالوا شاكين (حتى اذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا) حكما من عند أنفسكم من غير برهان أى أقمتم على كفركم

وظننتم انه لا يجدد

عليكم ايجاب الحجة (كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب) اى مثل هذا الاضلال يضل الله كل مسرف فى عصيانه مرتاب شاك فى دينه (الذين يجادلون) بدل من من هو مسرف وجاز ابداله منه وهو جمع لانه لا يريد مسرفا واحدا بل كل مسرف (فى آيات الله) فى دفعها وابطالها (بغير سلطان) حجة (أتاهم كبر مقتا) أى عظم بغضا وفاعل كبر ضمير من هو مسرف وهو جمع معنى وموحد لفظا فحمل البدل على معناه والضمير الراجع اليه على لفظه ويجوز ان يرفع الذين على الابتداء ولا بد فى هذا الوجه من حذف مضاف يرجع اليه الضمير فى كبر تقدير جدال الذين يجادلون كبر مقتا (عند الله وعند الذين آمنوا

النار وقيل فارين عنها ﴿ مالكم من الله من عاصم ﴾ يعصمكم من عذابه ﴿ ومن يضلل الله فماله من هاد ولقد جاءكم يوسف ﴾ يوسف بن يعقوب على ان فرعونه فرعون موسى اوعلى نسبة احوال الآباء الى الاولاد اوسبطه يوسف بن ابراهيم بن يوسف صلى الله عليه وسلم ﴿ من قبل ﴾ من قبل موسى ﴿ بالبينات ﴾ بالمعجزات ﴿ فما زلتم فى شك مما جاءكم به ﴾ من الدين ﴿ حتى اذا هلك ﴾ مات ﴿ قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا ﴾ ضما الى تكذيب رسالته تكذيب رسالة من بعده اوجزما بان لا يبعث بعده رسول مع الشك فى رسالته وقرئ الن يبعث الله على ان بعضهم يقرر بعضا بنفى البعث ﴿ كذلك ﴾ مثل ذلك الاضلال ﴿ يضل الله ﴾ فى العصيان ﴿ من هو مسرف مرتاب ﴾ اى شاك فيما تشهد به البينات لغلبة الوهم والانهماك فى التقليد ﴿ الذين يجادلون فى آيات الله ﴾ بدل من الموصول الاول لانه بمعنى الجمع ﴿ بغير سلطان ﴾ بغير حجة بل اما بتقليد اوشبهة داحضة ﴿ اتاهم كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا ﴾ فيه

﴿ مالكم من الله من عاصم ﴾ أى يعصمكم من عذابه ﴿ ومن يضلل الله فماله من هاد ﴾ أى يهديه ﴿ ولقد جاءكم يوسف ﴾ يعنى يوسف بن يعقوب ﴿ من قبل ﴾ اى من قبل موسى ﴿ بالبينات ﴾ يعنى قوله أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار قيل مكث فيهم يوسف عشرين سنة نبيا وقيل ان فرعون يوسف هو فرعون موسى وقيل هو فرعون آخر ﴿ فما زلتم فى شك مما جاءكم به ﴾ قال ابن عباس من عبادة الله وحده لا شريك له والمعنى انهم بقوا شاكين فى نبوته لم ينتفعوا بتلك البينات التى جاءهم بها ﴿ حتى اذا هلك ﴾ يعنى مات ﴿ قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا ﴾ أى أقمتم على كفركم وظننتم ان الله لا يجدد عليكم الحجة وانما قالوا ذلك على سبيل التشهى والتمنى من غير حجة ولا برهان عليه بل قالوا ذلك ليكون لهم أساسا فى تكذيب الانبياء الذين يأتون بعده وليس قولهم لن يبعث الله من بعده رسولا تصديقا لرسالة يوسف كيف وقد شكوا فيها وانما هو تكذيب لرسالة من بعده مضموم الى التكذيب لرسالته ﴿ كذلك يضل الله من هو مسرف ﴾ أى فى شركه وعصيانه ﴿ مرتاب ﴾ أى فى دينه ﴿ الذين يجادلون فى آيات الله ﴾ قيل هذا تفسير للمسرف المرتاب يعنى الذين يجادلون فى ابطال آيات الله بالتكذيب ﴿ بغير سلطان ﴾ أى بغير حجة وبرهان ﴿ أتاهم ﴾ من الله ﴿ كبر ﴾ أى ذلك الجدال ﴿ مقتا عند الله وعند الذين آمنوا

من عذاب الله (مالكم من الله) من عذاب الله (من عاصم) من مانع (ومن يضلل الله) عن دينه (فماله من هاد) من مرشد غير الله (ولقد جاءكم يوسف) قال لهم حزقيل هذا (من قبل) من قبل موسى (بالبينات) بالامر والنهى وتعبير الرؤيا وشق القميص (فما زلتم فى شك مما جاءكم به) يوسف (حتى اذا هلك) مات (قلتم لن يبعث الله من بعده) من بعد موته (رسولا كذلك يضل الله) عن دينه (من هو مسرف) مشرك (مرتاب) فى شركه (الذين يجادلون فى آيات الله) يكذبون بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (بغير سلطان) حجة (أتاهم) من الله وهو أبو جهل وأصحابه المستهزؤن (كبر مقتا) عظم بغضا (عند الله) يوم القيامة (وعند الذين آمنوا) فى الدنيا

كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار) قلب بالتنوين أبو عمرو وانما وصف القلب بالتكبر والتجبر لانه منبعهما كما تقول سمعت الاذن وهو كقوله فانه آثم قلبه وان كان الآثم هو الجملة (وقال فرعون) تمويها على قومه أو جهلا منه (ياهامان ابن لى صرحا) أى قصرا وقيل الصرح البناء الظاهر الذى لايخفى على الناظر وان بعد ومنه يقال صرح الشئ اذا ظهر (لعلى) وبفتح الياء حجازى وشامى وأبو عمرو (أبلغ الاسباب) ثم أبدل منها تفخيما لشأنها وابانة انه

يقصد أمرا عظيما (أسباب السموات) أى طرقها وأبوابها ومايؤدى اليها وكل ما أداك الى شئ فهو سبب اليه كالرشاء ونحوه (فاطلع) بالنصب حفص على جواب الترجي تشبيها للترجي بالتمني وغيره بالرفع عطفا على أبلغ (الى اله موسى) والمعنى فانظر اليه (وانى لأظنه) أى موسى (كاذبا) فى قوله له اله غيرى (وكذلك) ومثل ذلك التزيين وذلك الصد (زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل) المستقيم وبفتح الصاد كوفى ويعقوب أى غيره صدا أوهو بنفسه صدودا والمزين الشيطان بوسوسته كقوله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل أو الله تعالى ومثله زينا لهم أعمالهم فهم يعمهون (وما كيد فرعون الا فى تباب) خسران وهلاك

ضمير من وافراده للفظ ويجوز ان يكون الذين مبتدأ وخبره كبر على حذف مضاف اى وجدال الذين يجادلون كبر مقتا او بغير سلطان وفاعل كبر ﴿ كذلك ﴾ اى كبر مقتا مثل ذلك الجدال فيكون قوله ﴿ يطبع الله على كل قلب متكبر جبار ﴾ استئنافا للدلالة على الموجب لجدالهم وقرأ أبو عمرو وابن ذكوان قلب بالتنوين على وصفه بالتكبر والتجبر لانه منبعهما كقولهم رأت عينى وسمعت اذنى او على حذف مضاف اى على كل ذى قلب متكبر ﴿ وقال فرعون ياهامان ابن لى صرحا ﴾ بناء مكشوفا عاليا من صرح الشئ اذا ظهر ﴿ لعلى أبلغ الاسباب ﴾ الطرق ﴿ اسباب السموات ﴾ بيان لها وفى ابهامها ثم ايضاحها تفخيم لشأنها وتشويق للسامع الى معرفتها ﴿ فأطلع الى اله موسى ﴾ عطف على ابلغ وقرأ حفص بالنصب على جواب الترجي ولعله اراد ان يبنى له رصدا فى موضع عال يرصد منه احوال الكواكب التى هى اسباب سماوية تدل على الحوادث الارضية فيرى هل فيها مايدل على ارسال الله اياه اوان يرى فساد قول موسى بان اخباره من اله السماء يتوقف على اطلاعه ووصوله اليه وذلك لايتأتى الا بالصعود الى السماء وهو مما لايقوى عليه الانسان وذلك لجهله بالله وكيفية استنبائه ﴿ وانى لاظنه كاذبا ﴾ فى دعوى الرسالة ﴿ وكذلك ﴾ ومثل ذلك التزيين ﴿ زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل ﴾ سبيل الرشاد والفاعل على الحقيقة هو الله تعالى ويدل عليه انه قرئ زين بالفتح وبتوسط الشيطان وقرأ الحجازيان والشامى وابو عمرو وصد على ان فرعون صد الناس عن الهدى بامثال هذه التمويهات والشبهات ويؤيده ﴿ وما كيد فرعون الا فى تباب ﴾ اى خسار

كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار ﴾ ﴿ قوله عز وجل ﴿ وقال فرعون ﴾ يعنى لوزيره ﴿ ياهامان ابن لى صرحا ﴾ أى بناء ظاهرا لايخفى على الناظرين وان بعد وقد تقدم ذكره فى سورة القصص ﴿ لعلى أبلغ الاسباب أسباب السموات ﴾ أى طرقها وأبوابها من سماء الى سماء ﴿ فاطلع الى اله موسى وانى لأظنه ﴾ يعنى موسى ﴿ كاذبا ﴾ أى فيما يدعى ويقول ان له ربا غيرى ﴿ وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما صده الله تعالى عن سبيل الهدى وقرئ وصد بالفتح أى وصد فرعون الناس عن السبيل ﴿ وما كيد فرعون الا فى تباب ﴾ أى وما كيده فى ابطال آيات موسى الا فى خسار وهلاك ﴿ قوله تعالى

(كذلك) هكذا (يطبع الله) يختم الله (على كل قلب متكبر) عن الايمان (جبار) عن قبول الحق والهدى (وقال فرعون لوزيره (ياهامان ابن لى صرحا) (قا و خا ٤٥ مس) قصرا (لعلى أبلغ الاسباب) أصعد الابواب (أسباب السموات) أبواب السموات (فاطلع) فانظر (الى اله موسى) الذى يزعم انه فى السماء أرسله الى (وانى لأظنه كاذبا) مافى السماء من اله فلم يبن واشتغل بموسى (وكذلك) هكذا (زين لفرعون سوء عمله) قبح عمله (وصد عن السبيل) صرف فرعون عن الحق والهدى (وما كيد فرعون) صنع فرعون (الا فى تباب) فى خسار

(وقال الذى آمن ياقوم اتبعون) اتبعونى فى الحالين مكى ويعقوب وسهل (أهدكم سبيل الرشاد) وهو نقيض الغى وفيه تعريض شبيه بالتصريح ان ماعليه فرعون وقومه سبيل الغى أجمل أولا ثم فسر فافتتح بذم الدنيا وتصغير شأنها بقوله (ياقوم انما هذه الحيوة الدنيا متاع) تمتع يسير فالاخلاد اليها أصل الشر ومنبع الفتن وثنى بتعظيم الآخرة وبين انها هى الوطن والمستقر بقوله (وان الآخرة هى دار القرار) ثم ذكر الاعمال سيئها وحسنها وعاقبة كل منهما ليثبط عما يتلف وينشط لما يزلف بقوله (من عمل سيئة فلا يجزى الامثلها ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب) يدخلون مكى وبصرى ويزيد وأبو بكر ثم وازن بين الدعوتين دعوته الى دين الله الذى ثمرته الجنات ودعوتهم الى اتخاذ الانداد الذى عاقبته النار بقوله (ويا قوم مالى) وبفتح الياء حجازى وأبو عمرو (أدعوكم الى النجاة) أى الجنة (وتدعوننى الى النار تدعوننى لاكفر بالله) هو بدل من تدعوننى الاول يقال دعاه الى كذا ودعاه له كما يقال هداه الى الطريق وهداه له (وأشرك به ماليس لى به علم)

﴿ وقال الذى آمن ﴾ يعنى مؤمن آل فرعون وقيل موسى ﴿ ياقوم اتبعون اهدكم ﴾ بالدلالة ﴿ سبيل الرشاد ﴾ سبيلا يصل سالكه الى المقصود وفيه تعريض بان ماعليه فرعون وقومه سبيل الغى ﴿ ياقوم انما هذه الحيوة الدنيا متاع ﴾ تمتع يسير لسرعة زوالها ﴿ وان الآخرة هى دار القرار ﴾ لخلودها ﴿ من عمل سيئة فلا يجزى الامثلها ﴾ عدلا من الله وفيه دليل على ان الجنايات تغرم بمثلها ﴿ ومن عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب ﴾ بغير تقدير وموازنة بالعمل بل اضعافا مضاعفة فضلا منه ورحمة ولعل تقسيم العمال وجعل الجزاء جملة اسمية مصدرة باسم الاشارة وتفضيل الثواب لتغليب الرحمة وجعل العمل عمدة والايمان حالا للدلالة على انه شرط فى اعتبار العمل وان ثوابه اعلى من ذلك ﴿ ويا قوم مالى ادعوكم الى النجاة وتدعوننى الى النار ﴾ كرر نداءهم ايقاظا لهم عن سنة الغفلة واهتماما بالمنادى له ومبالغة فى توبيخهم على مايقابلون به نصحه وعطفه على النداء الثانى الداخل على ماهو بيان لما قبله ولذلك لم يعطفه على الاول فان مابعده ايضا تفسير لما اجمل فيه تصريحا او تعريضا او على الاول ﴿ تدعوننى لاكفر بالله ﴾ بدل او بيان فيه تعليل والدعاء كالهداية فى التعدية بالى واللام ﴿ واشرك به ماليس لى به ﴾ بربوبيته ﴿ علم ﴾ والمراد نفى المعلوم

﴿ وقال الذى آمن ياقوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد ﴾ أى طريق الهدى ﴿ ياقوم انما هذه الحيوة الدنيا متاع ﴾ أى متعة ينتفعون بها مدة ثم تنقطع ﴿ وان الآخرة هى دار القرار ﴾ أى التى لاتزول والمعنى ان الدنيا فانية منقرضة لامنفعة فيها وان الآخرة باقية دائمة والباقى خير من الفانى قال بعض العارفين لو كانت الدنيا ذهبا فانيا والآخرة خزفا باقيا لكانت الآخرة خيرا من الدنيا فكيف والدنيا خزف فان والآخرة ذهب باق ﴿ من عمل سيئة فلا يجزى الامثلها ﴾ قيل معناه من عمل الشرك فجزاؤه جهنم خالدا فيها ومن عمل بالمعاصى فجزاؤه العقوبة بقدرها ﴿ ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب ﴾ أى لاتبعة عليهم فيما يعطون فى الجنة من الخير وقيل يصب عليهم الرزق صبا بغير تقتير ﴿ ويا قوم مالى أدعوكم الى النجاة وتدعوننى الى النار ﴾ معناه أنا أدعوكم الى الايمان الذى يوجب النجاة من النار وأنتم تدعوننى الى الشرك الذى يوجب النار ثم فسر ذلك فقال ﴿ تدعوننى لاكفر بالله وأشرك به ماليس لى به علم ﴾ أى لاأعلم ان الذى تدعوننى اليه اله وماليس

(وقال الذى آمن) يعنى حزقيل (ياقوم اتبعون) فى دينى (أهدكم سبيل الرشاد) أدعكم الى الحق والهدى (ياقوم انما هذه الحيوة الدنيا متاع) كمتاع البيت لايبقى (وان الآخرة) يعنى الجنة (هى دار القرار) المقام الدائم لاتحويل منها (من عمل سيئة) فى الشرك (فلا يجزى الامثلها) النار (ومن عمل صالحا) خالصا (من ذكر أو أنثى) من رجال أو نساء (وهو مؤمن) ومع ذلك مؤمن مخلص بايمانه (فاولئك يدخلون الجنة يرزقون) يطعمون (فيها) فى الجنة (بغير حساب) بلا قوة ولا هنداز ولا منة (ويا قوم مالى أدعوكم الى النجاة) الى التوحيد وهذا قول حزقيل أيضا (وتدعوننى الى النار) الى عمل أهل النار الشرك بالله (تدعوننى لاكفر بالله) (وأشرك به ماليس لى به علم)

أي ربوبيته والمراد بنفي العلم نفي المعلوم كأنه قال و اشرك به ما ليس باله وماليس باله كيف يصح ان يعلم الها (وأنا ادعوكم الى العزيز الغفار) وهو الله سبحانه وتعالى وتكرير النداء لزيادة التنبيه لهم والايقاظ عن سنة الغفلة وفيه انهم قومه وانه من آل فرعون وجيء بالواو في النداء الثالث دون الثاني لان الثاني داخل على كلام هو بيان للمجمل وتفسير له بخلاف الثالث (لا جرم) عند البصريين لا رد لما دعاه اليه قومه وجرم فعل بمعنى حق وان مع ما في حيزه فاعله اي حق ووجب بطلان دعوته (ان ماتدعونني اليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة) معناه ان ما يدعونني اليه ليس له دعوة الى نفسه قط اي من حق المعبود بالحق ان يدعو العباد الى طاعته وما تدعون اليه والى عبادته لا يدعو هو الى ذلك ولا يدعي الربوبية او معناه ليس له استجابة دعوة في الدنيا ولا في الآخرة او دعوة مستجابة جعلت الدعوة التي لا استجابة لها ولا منفعة كلا دعوة أو سميت الاستجابة باسم الدعوة كما سمي الفعل المجازى عليه بالجزاء في قوله كما تدين تدان (وأن مردنا الى الله) وأن رجوعنا اليه (وأن المسرفين) وأن المشركين (هم أصحاب النار فستذكرون ما أقول لكم) أي من النصيحة عند نزول العذاب (وأفوض) وأسلم (أمري) وبفتح الياء مدني وأبو عمرو (الى الله) لانهم توعدوه (ان الله بصير بالعباد)

والاشعار بان الالوهية لا بد لها من برهان واعتقادها لا يصح الا عن ايقان ﴿ وانا ادعوكم الى العزيز الغفار ﴾ المستجمع بصفات الالوهية من كمال القدرة والغلبة وما يتوقف عليه من العلم والارادة والتمكن من المجازاة والقدرة على التعذيب والغفران ﴿ لا جرم ﴾ لا رد لما دعوه اليه وجرم فعل بمعنى حق وفاعله ﴿ ان ماتدعونني اليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة ﴾ اى حق عدم دعوة آلهتكم الى عبادتها اصلا لانها جمادات ليس لها ما يقتضي الوهيتها او عدم دعوة مستجابة او عدم استجابة دعوة لها وقيل جرم بمعنى كسب وفاعله مستكن فيه اى كسب ذلك الدعاء اليه ان لا دعوة له بمعنى ما حصل من ذلك الا ظهور بطلان دعوته وقيل فعل من الجرم بمعنى القطع كما ان بدا من لا بد فعل من التبديد وهو التفريق والمعنى لا قطع لبطلان دعوة الوهية الاصنام اى لا ينقطع في وقت ما فينقلب حقا ويؤيده قولهم لا جرم انه لغة فيه كالرشد والرشد ﴿ وان مردنا الى الله ﴾ بالموت ﴿ وان المسرفين ﴾ في الضلالة والطغيان كالاشراك وسفك الدماء ﴿ هم اصحاب النار ﴾ ملازموها ﴿ فستذكرون ﴾ فسيذكر بعضكم بعضا عند معاينة العذاب ﴿ ما اقول لكم ﴾ من النصيحة ﴿ وافوض امري الى الله ﴾ ليعصمني من كل سوء ﴿ ان الله بصير بالعباد ﴾ فيحرسهم فكأنه جواب توعدهم

باله كيف يعقل جعله شريكا للاله الحق ولما بين انهم يدعونه الى الكفر والشرك بين انه يدعوهم الى الايمان بقوله ﴿ وأنا أدعوكم الى العزيز ﴾ أي في انتقامه ممن كفر ﴿ الغفار ﴾ أي لذنوب أهل التوحيد ﴿ لا جرم ﴾ يعني حقا ﴿ ان ماتدعونني اليه ﴾ يعني الصنم ﴿ ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة ﴾ يعني ليست له استجابة دعوة لاحد في الدنيا ولا في الآخرة وقيل ليست له دعوة الى عبادته في الدنيا ولا في الآخرة لان الاصنام لا تدعي الربوبية ولا تدعو الى عبادتها وفي الآخرة تتبرأ من عابديها ﴿ وأن مردنا الى الله ﴾ أي مرجعنا الى الله فيجازي كلا بما يستحقه ﴿ وأن المسرفين ﴾ يعني المشركين ﴿ هم أصحاب النار فستذكرون ما أقول لكم ﴾ أي اذا عاينتم العذاب حين لا ينفعكم الذكر ﴿ وأفوض أمري الى الله ﴾ أي أرد أمري الى الله وذلك انهم توعدوه لمخالفته دينهم ﴿ ان الله بصير بالعباد ﴾ يعني يعلم المحق من المبطل ثم خرج المؤمن من

أنه شريكه ولي به علم انه ليس له شريك (وأنا أدعوكم الى العزيز) الى توحيد العزيز بالنقمة لمن لا يؤمن به (الغفار) لمن آمن به (لا جرم) حقا (ان ماتدعونني اليه ليس له دعوة) مقدرة (في الدنيا ولا في الآخرة وأن مردنا) مرجعنا (الى الله) بعد الموت (وأن المسرفين) المشركين (هم أصحاب النار) أهل النار (فستذكرون) فستعلمون يوم القيمة (ما أقول لكم) في الدنيا من العذاب (وأفوض) أكل (أمري الى الله)وأثق به (ان الله بصير بالعباد) لمن آمن به وبمن

باعمالهم ومآلهم (فوقاه الله سيآت مامكروا) شدائد مكرهم وماهموا به من الحاق أنواع العذاب بمن خالفهم وقيل انه خرج من عندهم هاربا الى جبل فبعث قريبا من ألف فى طلبه فمنهم من أكلته السباع ومن رجع منهم صلبه فرعون (وحاق) ونزل (بآل فرعون سوء العذاب النار) بدل من سوء العذاب او خبر مبتدأ محذوف كأنه قيل ما سوء العذب فقيل هو النار أو مبتدأ خبره (يعرضون عليها) وعرضهم عليها احراقهم بها يقال عرض الامام الاسارى على السيف اذا قتلهم به (غدوا وعشيا) أى فى هذين الوقتين يعذبون بالنار وفيما بين ذلك اما أن يعذبوا بجنس آخر أو ينفس عنهم ويجوز أن يكون غدوا وعشيا عبارة عن الدوام هذا فى الدنيا (ويوم تقوم الساعة) يقال لخزنة جهنم (أدخلوا آل فرعون) من الادخال مدنى وحمزة وعلى وحفص وخلف ويعقوب وغيرهم ادخلوا أى يقال لهم ادخلوا يا آل فرعون (أشد العذاب) أى عذاب جهنم وهذه الآية دليل على عذاب القبر (واذ يتحاجون) واذكر وقت تخاصمهم (فى النار

المفهوم من قوم ﴿ فوقاه الله سيآت ما مكروا ﴾ شدائد مكرهم وقيل الضمير لموسى ﴿ وحاق بآل فرعون ﴾ بفرعون وقومه واستغنى بذكرهم عن ذكره للعلم بانه اولى بذلك وقيل بطلبة المؤمن من قومه فانه فر الى جبل فاتبعه طائفة فوجدوه يصلى والوحوش صفوف حوله فرجعوا رعبا فقتلهم ﴿ سوء العذاب ﴾ الغرق او القتل او النار ﴿ النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ﴾ جملة مستأنفة او النار خبر محذوف ويعرضون استئناف للبيان او بدل ويعرضون حال منها او من الآل وقرئت منصوبة على الاختصاص او باضمار فعل يفسره يعرضون مثل يصلون فان عرضهم على النار احراقهم بها من قولهم عرض الاسارى على السيف اذا قتلوا به وذلك لارواحهم كما روى ابن مسعود رضى الله عنه ان ارواحهم فى اجواف طير سود تعرض على النار بكرة وعشيا الى يوم القيمة وذكر الوقتين يحتمل التخصيص والتأبيد وفيه دليل على بقاء النفس وعذاب القبر ﴿ ويوم تقوم الساعة ﴾ اى هذا مادامت الدنيا فاذا قامت الساعة قيل لهم ﴿ ادخلوا آل فرعون ﴾ يا آل فرعون ﴿ اشد العذاب ﴾ عذاب جهنم فانه اشد مما كانوا فيه او اشد عذاب جهنم وقرأ نافع وحمزة والكسائى ويعقوب وحفص أدخلوا على امر الملائكة بادخالهم النار ﴿ واذ يتحاجون فى النار ﴾ واذكر وقت تخاصمهم فيها ويحتمل عطفه على غدوا

بينهم فطلبوه فلم يقدروا عليه وذلك قوله تعالى ﴿ فوقاه الله سيآت مامكروا ﴾ أى ماأرادوا به من الشر قيل انه نجا مع موسى عليه الصلاة والسلام وكان قبطيا ﴿ وحاق ﴾ أى نزل ﴿ بآل فرعون سوء العذاب ﴾ يعنى الغرق فى الدنيا والنار فى الآخرة وذلك قوله تعالى ﴿ النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ﴾ يعنى صباحا ومساء قال ابن مسعود أرواح آل فرعون فى أجواف طيور سود يعرضون على النار كل يوم مرتين تغدو وتروح الى النار ويقال يا آل فرعون هذه منازلكم حتى تقوم الساعة وقيل تعرض روح كل كافر على النار بكرة وعشيا مادامت الدنيا ويستدل بهذه الآية على اثبات عذاب القبر أعاذنا الله تعالى منه بمنه وكرمه (ق) عن عبدالله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان أحدكم اذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشى ان كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وان كان من أهل النار فمن أهل النار يقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله تعالى اليه يوم القيامة ❊ ثم اخبر الله تعالى عن مستقرهم يوم القيامة فقال تعالى ﴿ ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون ﴾ أى يقال لهم ادخلوا يا آل فرعون ﴿ أشد العذاب ﴾ قال ابن عباس ألوان من العذاب غير الذى كانوا يعذبون بها منذ أغرقوا ❊ قوله تعالى ﴿ واذ يتحاجون ﴾ أى واذكر يا محمد لقومك اذ يختصمون يعنى أهل النار ﴿ فى النار

لايؤمن به (فوقاه الله سيآت مامكروا) فدفع الله عنه ماأرادوا به من القتل (وحاق) نزل ودار (بآل فرعون) بفرعون وقومه (سوء العذاب) شدة العذاب وهو الغرق (النار يعرضون عليها) يقول يعرض أرواح آل فرعون على النار (غدوا وعشيا) غدوة وعشية الى يوم القيامة (ويوم تقوم الساعة) وهو يوم القيامة يقول الله (فيقول) للملائكة (أدخلوا آل فرعون) قومه (أشد العذاب) أسفل النار (واذ يتحاجون) يتخاصمون (فى النار) القادة

فيقول الضعفاء للذين استكبروا) يعني الرؤساء (انا كنا لكم تبعا) أتباعا كخدم في جميع خادم (فهل أنتم مغنون) دافعون (عنا نصيبا) جزأ (من النار قال الذين استكبروا انا كل فيها) التنوين عوض من المضاف اليه أي انا كلنا فيها لا يغني أحد عن أحد (ان الله قد حكم بين العباد) قضى بينهم بان ادخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار (وقال الذين في النار لخزنة جهنم) للقوام بتعذيب أهلها وانما لم يقل لخزنتها الان في ذكر جهنم تهويلا وتفظيعا و يحتمل ان جهنم هي أبعد النار قعرا من قولهم بئر جهنام بعيدة القعر وفيها أعتى الكفار وأطغاهم فلعل الملائكة الموكلين بعذاب أولئك أجوب دعوة لزيادة قربهم من الله تعالى فلهذا تعمدهم أهل النار بطلب الدعوة منهم (ادعوا ربكم يخفف عنا يوما) بقدر يوم من الدنيا (من العذاب قالوا) أي الخزنة توبيخا لهم بعد مدة طويلة (أولم تك) أي أولم تك قصة وقوله (تأتيكم) تفسير للقصة (بالبينات) بالمعجزات (قالوا) أي الكفار (بلى قالوا) أي الخزنة تهكما بهم (فادعوا) أنتم ولا استجابة لدعائكم (وما دعاء الكافرين الا في ضلال) بطلان وهو من قول الله تعالى ويحتمل ان يكون من كلام الخزنة

﴿ فيقول الضعفاء للذين استكبروا ﴾ تفصيل له ﴿ انا كنا لكم تبعا ﴾ اتباعا كخدم جمع خادم اوذوى تبع بمعنى اتباع على الاضمار او التجوز ﴿ فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار ﴾ بالدفع او الحمل ونصيبا مفعول لما دل عليه مغنون اوله بالتضمن او مصدر كشيأ في قوله لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيأ فيكون من صلة مغنون ﴿ قال الذين استكبروا انا كل فيها ﴾ نحن وانتم فكيف نغني عنكم ولو قدرنا لأغنينا عن انفسنا وقرئ كلا على التأكيد لانه بمعنى كلنا وتنوينه عوض عن المضاف اليه ولا يجوز جعله حالا من المستكن في الظرف فانه لا يعمل في الحال المتقدمة كما يعمل في الظرف المتقدم كقولك كل يوم لك ثوب ﴿ ان الله قد حكم بين العباد ﴾ بان ادخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار ولا معقب لحكمه ﴿ وقال الذين في النار لخزنة جهنم ﴾ اى لخزنتها فوضع جهنم موضع الضمير للتهويل اوليبان محلهم فيها اذ يحتمل ان يكون جهنم ابعد دركاتها من قولهم بئر جهنام بعيدة القعر ﴿ ادعوا ربكم يخفف عنا يوما ﴾ قدر يوم ﴿ من العذاب ﴾ شيأ من العذاب ويجوز ان يكون المفعول يوما بحذف المضاف ومن العذاب بيانه ﴿ قالوا اولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات ﴾ ارادوا به الزامهم للحجة وتوبيخهم على اضاعتهم اوقات الدعاء وتعطيلهم اسباب الاجابة ﴿ قالوا بلى قالوا فادعوا ﴾ فانا لا نجترئ فيه اذ لم يؤذن لنا في الدعاء لامثالكم وفيه اقناط لهم عن الاجابة ﴿ وما دعاء الكافرين الا في ضلال ﴾ ضياع لا يجاب

فيقول الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا ﴾ أي في الدنيا ﴿ فهل أنتم مغنون عنا نصيبا من النار قال الذين استكبروا ﴾ يعني الرؤساء والقادة ﴿ انا كل فيها ﴾ يعني نحن وأنتم ﴿ ان الله قد حكم بين العباد ﴾ أي قضى علينا وعليكم ﴿ وقال الذين في النار ﴾ يعني حين اشتد عليهم العذاب ﴿ لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب قالوا ﴾ يعني الخزنة ﴿ أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات ﴾ يعني لا عذر لكم بعد مجيء الرسل ﴿ قالوا بلى ﴾ أي اعترفوا بذلك ﴿ قالوا فادعوا ﴾ يعني انتم انا لا ندعو لكم لانهم علموا انه لا يخفف عنهم العذاب قال الله تعالى ﴿ وما دعاء الكافرين الا في ضلال ﴾

والسفلة (فيقولوا اضعفاه) السفلة (للذين استكبروا) تعظموا عن الايمان يعني القادة (انا كنا لكم) في الدنيا (تبعا) مطيعا على دينكم (فهل أنتم مغنون) حاملون (عنا نصيبا) بعضا (من النار) مما علينا (قال الذين استكبروا) تعظموا عن الايمان وهم القادة للسفلة (انا كل) العابد والمعبود والقادة والسفلة (فيها) في النار (ان الله قد حكم بين العباد) بين العابد والمعبود والقادة والسفلة بالنار ويقال بين المؤمنين والكافرين بالجنة والنار (وقال الذين في النار) اذا اشتدت عليهم النار وقل صبرهم وأيسوا من دعائهم (لخزنة جهنم) للزبانية (ادعوا ربكم يخفف) يرفع (عنا يوما من العذاب) بقدر يوم من أيام الدنيا (قالوا) يعني الزبانية للكفار (أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات) بالامر والنهي والعلامات وتبليغ الرسالة من الله (قالوا بلى) قد أتونا بالرسالة (قالوا) يعني الزبانية لهم استهزاء بهم (فادعوا وما دعاء الكافرين) في النار (الا في ضلال) في باطل ويقال وما عبادة الكافرين في الدنيا الا في خطأ

(انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحيوة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد) أى فى الدنيا والآخرة يعنى انه يغلبهم فى الدارين جميعا بالحجة والظفر على مخالفيهم وان غلبوا فى الدنيا فى بعض الاحايين امتحانا من الله والعاقبة لهم ويتيح الله من يقتص من أعدائهم ولو بعد حين ويوم نصب محمول على موضع الجار والمجرور كما تقول جئتك أمس واليوم والاشهاد جمع شاهد كصاحب وأصحاب يريد الحفظة والانبياء فالانبياء يشهدون عند رب العزة على الكفرة بالتكذيب والحفظة يشهدون على بنى آدم بما عملوا من الاعمال تقوم بالتاء الرازى عن هشام (يوم لاتنفع الظالمين معذرتهم) هذا بدل من يوم يقوم أى لايقبل عذرهم لاينفع كوفى ونافع (ولهم اللعنة) البعد من رحمة الله (ولهم سوء الدار) أى سوء دار الآخرة وهو عذابها (ولقد آتينا موسى الهدى) يريد به جميع ما أتى به فى باب الدين من المعجزات والتوراة والشرائع (واورثنا بنى اسرائيل الكتاب) أى التوراة والانجيل والزبور لان الكتاب جنس اى تركنا الكتاب من بعده الى هذا (هدى وذكرى) ارشادا وتذكرة وانتصابهما على المفعول له او على الحال (لاولى الالباب) لذوى العقول (فاصبر) على ما يجرعك قومك من الغصص (ان وعد الله حق) يعنى ان ما سبق به وعدى من نصرتك واعلاء كلمتك

﴿ انا لننصر رسلنا والذين آمنوا ﴾ بالحجة والظفر والانتقام لهم من الكفرة ﴿ فى الحيوة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد ﴾ اى فى الدارين ولا ينقض ذلك بما كان لاعدائهم عليهم من الغلبة امتحانا احيانا اذ العبرة بالعواقب وغالب الامر والاشهاد جمع شاهد كصاحب واصحاب والمراد بهم من يقوم يوم القيامة للشهادة على الناس من الملائكة والانبياء والمؤمنين ﴿ يوم لاينفع الظالمين معذرتهم ﴾ بدل من الاول وعدم نفع المعذرة لانها باطلة اولانه لايؤذن لهم فيعتذرون وقرأ غير الكوفيين ونافع بالتاء ﴿ ولهم اللعنة ﴾ البعد من الرحمة ﴿ ولهم سوء الدار ﴾ جهنم ﴿ ولقد آتينا موسى الهدى ﴾ ما يهدى به فى الدين من المعجزات والصحف والشرائع ﴿ واورثنا بنى اسرائيل الكتاب ﴾ وتركنا عليهم بعده من ذلك التوراة ﴿ هدى وذكرى ﴾ هداية وتذكرة او هاديا ومذكرا ﴿ لاولى الالباب ﴾ لذوى العقول السليمة ﴿ فاصبر ﴾ على اذى المشركين ﴿ ان وعد الله حق ﴾ بالنصر

يعنى يبطل ويضل ولا ينفعهم * قوله عز وجل ﴿ انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحيوة الدنيا ﴾ قال ابن عباس بالغلبة والقهر وقيل بالحجة وقيل بالانتقام من الاعداء فى الدنيا والآخرة وكل ذلك حاصل لهم فهم منصورون بالحجة على من خالفهم تارة وقد نصرهم الله بالقهر على من عاداهم وأهلك أعداءهم بالانتقام منهم كما نصر يحيى ابن زكريا لما قتل فانه قتل به سبعين ألفا ﴿ ويوم يقوم الاشهاد ﴾ يعنى وننصرهم يوم القيامة يوم يقوم الاشهاد وهم الحفظة من الملائكة يشهدون للرسل بالتبليغ وعلى الكفار بالتكذيب ﴿ يوم لاينفع الظالمين معذرتهم ﴾ أى ان اعتذروا عن كفرهم لم تقبل منهم ﴿ ولهم اللعنة ﴾ أى البعد من الرحمة ﴿ ولهم سوء الدار ﴾ يعنى جهنم ﴿ ولقد آتينا موسى الهدى ﴾ يعنى النبوة وقيل التوراة ﴿ وأورثنا بنى اسرائيل الكتاب ﴾ يعنى التوراة وقيل سائر الكتب المنزلة على أنبيائهم ﴿ هدى وذكرى لاولى الالباب ﴾ * قوله تعالى ﴿ فاصبر ﴾ أى يا محمد على أذاهم ﴿ ان وعد الله حق ﴾ أى فى اظهار دينك

(انا لننصر رسلنا والذين آمنوا) بالرسل (فى الحيوة الدنيا) بالنصرة والغلبة على أعدائهم (ويوم) وهو يوم القيامة (يقوم الاشهاد) الملائكة ينصرونهم بالعذر (واهلاك) والحجة والاشهاد هم الرسل ويقال هم الحفظة يشهدون عليهم بما عملوا (يوم لاينفع الظالمين) الكافرين (معذرتهم) اعتذارهم من الكفر (ولهم اللعنة) السخط والعذاب (ولهم سوء الدار) النار (ولقد آتينا) أعطينا (موسى الهدى) يعنى التوراة وآتينا داود الزبور وعيسى ابن مريم الانجيل (وأورثنا بنى اسرائيل الكتاب) أنزلنا على بنى اسرائيل من بعدهم الكتاب كتاب داود وعيسى (هدى) من الضلالة (وذكرى) عظة (لاولى الالباب) لذوى العقول من الناس (فاصبر) يا محمد على أذى اليهود والنصارى والمشركين (ان وعد الله) لك بالنصرة على هلاكهم (حق) كائن

حق (واستغفر لذنبك)أى لذنب أمتك (وسبح بحمدربك بالعشى والابكار)أى دم على عبادة ربك والثناء عليه وقيل هما صلاتا الفجر والعصر وقيل قل سبحان الله وبحمده (ان الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان أتاهم)لاوقف عليه لان خبران (ان فى صدورهم الا كبر)تعظم وهو ارادة التقدم والرياسة وأن لايكون أحد فوقهم فلهذا عادوك ودفعوا آياتك خيفة ان تقدمهم ويكونوا تحت يدك وأمرك ونهيك لان النبوة تحتها كل ملك ورياسة أوارادة أن تكون لهم النبوة دونك حسدا وبغيا ويدل عليه قوله لوكان خيرا ماسبقونا اليه أوارادة دفع الآيات بالجدال (ماهم ببالغيه) ببالغى موجب الكبر ومقتضاه وهو متعلق ارادتهم من الرياسة أوالنبوة أودفع الآيات (فاستعذ بالله) فالتجئ اليه من كيد من يحسدك ويبغى عليك (انه هو السميع) لما تقول ويقولون (البصير) بما تعمل ويعملون فهو ناصرك عليهم وعاصمك من شرهم (لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس)

لايخلفه واستشهد بحال موسى وفرعون ﴿ واستغفر لذنبك ﴾ واقبل على امر دينك وتدارك فرطاتك كترك الاولى والاهتمام بامر العدى بالاستغفار فانه تعالى كافيك فى النصر واظهار الامر ﴿ وسبح بحمد ربك بالعشى والابكار ﴾ ودم على التسبيح والتحميد لربك وقيل صل لهذين الوقتين اذ كان الواجب بمكة ركعتين بكرة وركعتين عشيا ﴿ان الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان اتاهم ﴾ عام فى كل مجادل مبطل وان نزلت فى مشركى مكة اواليهود حين قالوا لست صاحبنا بل هو المسيح بن داود يبلغ سلطانه البر والبحر وتسير معه الانهار ﴿ ان فى صدورهم الا كبر ﴾ الا تكبر عن الحق وتعظم عن التفكر والتعلم اوارادة الرياسة اوان النبوة والملك لايكون الالهم ﴿ ماهم ببالغيه ﴾ ببالغى دفع الآيات اوالمراد ﴿ فاستعذ بالله ﴾ فالتجئ اليه ﴿ انه هو السميع البصير ﴾ لاقوالكم وافعالكم ﴿ لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس ﴾ فمن قدر

واهلاك أعدائك قال الكلبي نسخت آية القتال آية الصبر ﴿ واستغفر لذنبك ﴾ يعنى الصغائر وهذا على قول من يجوزها على الانبياء عليهم الصلاة والسلام وقيل يعنى على ترك الاولى والافضل وقيل على ماصدر منه قبل النبوة وعند من لايجوز الصغائر على الانبياء يقول هذا تعبد من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ليزيده درجة ولتصير سنة لغيره من بعده وذلك لان مجامع الطاعات محصورة فى قسمين التوبة عما لا ينبغى والاشتغال بما ينبغى والاول مقدم وهو التوبة من الذنوب والثانى الاشتغال بالطاعات وهو قوله تعالى ﴿وسبح بحمد ربك ﴾ أى نزه ربك عما لايليق بجلاله وقيل صل شاكرا لربك ﴿ بالعشى والابكار ﴾ يعنى صلاة العصر وصلاة الفجر وقال ابن عباس الصلوات الخمس ﴿ ان الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان أتاهم ﴾ يعنى كفار قريش ﴿ان فى صدورهم ﴾ أى مافى قلوبهم ﴿ الا كبر ﴾ قال ابن عباس ماحملهم على تكذيبك الا مافى صدورهم من الكبر والعظمة ﴿ ماهم ببالغيه ﴾ يعنى ببالغى مقتضى ذلك الكبر وقيل معناه ان فى صدورهم الا كبر على محمد صلى الله عليه وسلم وطمع ان يغلبوه وماهم ببالغى ذلك وقيل نزلت فى اليهود وذلك أنهم قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم ان صاحبنا المسيح ابن داود يعنون الدجال يخرج فى آخر الزمان فيبلغ سلطانه البر والبحر ويرد الملك الينا قال الله تعالى ﴿ فاستعذ بالله ﴾ أى من فتنة الدجال ﴿ انه هو السميع ﴾ أى لاقوالهم ﴿ البصير ﴾ أى بأفعالهم * قوله عز وجل ﴿ لخلق السموات والارض ﴾ أى مع عظمها ﴿ أكبر من خلق الناس ﴾ أى من اعادتهم بعد الموت والمعنى أنهم مقرون ان الله تعالى

(واستغفر لذنبك) لتقصير شكر ماأنعم الله عليك وعلى أصحابك (وسبح بحمد ربك) وصل بامر ربك (بالعشى والابكار) غدوة وعشية (ان الذين يجادلون فى آيات الله) يكذبون بمحمد عليه السلام والقرآن وهم اليهود وكانوا أيضا يجادلون مع محمد صلى الله عليه وسلم بصفة الدجال وعظمته ورجوع الملك اليهم عند خروج الدجال (بغير سلطان) حجة (أتاهم) من الله على مازعموا (ان فى صدورهم) مافى قلوبهم (الا كبر) عن الحق (ماهم ببالغيه) ببالغى مافى صدورهم من الكبر ومايريدون من رجوع الملك اليهم عند خروج الدجال (فاستعذ بالله) يامحمد من فتنة الدجال (انه هو السميع) لمقالة اليهود (البصير) بهم وباعمالهم وبفتنة الدجال وبخروجه (لخلق السموات والارض أكبر) أعظم (من خلق الناس) من خلق الدجال

على خلقها مع عظمها اولا من غير اصل قدر على خلق الانسان ثانيا من اصل وهو بيان لأشكل ما يجادلون فيه من امر التوحيد ﴿ ولكن أكثر الناس لايعلمون ﴾ لانهم لاينظرون ولا يتأملون لفرط غفلتهم واتباعهم اهواءهم

خلق السموات والارض وذلك أعظم فى الصدور من خلق الناس فكيف لايقرون بالبعث بعد الموت ﴿ ولكن أكثر الناس لايعلمون ﴾ يعنى ان الكفار لايعلمون حيث لايستدلون بذلك على توحيد خالقها وقال قوم معنى أكبر من خلق الناس أى أعظم من خلق الدجال ولكن أكثر الناس لايعلمون يعنى اليهود الذين يخاصمون فى أمر الدجال

فصل فى ذكر الدجال

(م) عن هشام بن عروة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مابين خلق آدم الى قيام الساعة خلق أكبر من الدجال معناه أكبر فتنة وأعظم شوكة من الدجال (ق) عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم ذكر الدجال فقال انه أعور العين اليمنى كأنها عنبة طافئة * ولابى داود والترمذى عنه قال قام النبى صلى الله عليه وسلم فى الناس فاثنى على الله بما هو أهله ثم ذكر الدجال فقال انى أنذركموه ومامن نبى الا وقد أنذره قومه لقد أنذره نوح قومه لكنى سأقول لكم فيه قولا لم يقله نبى لقومه تعلمون أنه أعور وان الله ليس بأعور (ق) عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن نبى الا وقد أنذر أمته الاعور الكذاب ألا انه أعور وان ربكم ليس بأعور مكتوب بين عينيه كافر * وفى رواية لمسلم بين عينيه كافر ثم تهجى ك ف ر يقرؤه كل مسلم * عن أسماء بنت يزيد الانصارية قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيتى فذكر الدجال فقال ان بين يديه ثلاث سنين سنة تمسك السماء ثلث قطرها والارض ثلث نباتها والثانية تمسك السماء ثلثى قطرها والارض ثلثى نباتها والثالثة تمسك السماء قطرها والارض نباتها كله فلاتبقى ذات ظلف ولاضرس من البهائم الاهلكت ومن أشد فتنته أنه يأتى الاعرابى فيقول أرأيت ان أحييت لك ابلك ألست تعلم أنى ربك قال فيقول بلى فيتمثل له الشيطان نحو ابله كأحسن ماتكون ضروعا وأعظمه أسنمة ويأتى الرجل قد مات أخوه ومات أبوه فيقول أرأيت ان أحييت لك أخاك وأباك ألست تعلم أنى ربك فيقول بلى فيتمثل له الشيطان نحو أخيه ونحو أبيه قالت ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجته ثم رجع والقوم فى اهتمام وغم مما حدثهم قالت وأخذ بلحمتى الباب فقال مهيم أسماء فقلت يارسول الله لقد خلعت أفئدتنا بذكر الدجال قال ان يخرج وأناحى فأنا حجيجه والا فان ربى خليفتى على كل مؤمن قالت أسماء فقلت يارسول الله والله انا لنعجن عجينا فما نخبزه حتى نجوع فكيف بالمؤمنين يومئذ قال يجزيهم مايجزى أهل السماء من التسبيح والتقديس وفى رواية عنها قالت قال النبى صلى الله عليه وسلم يمكث الدجال فى الارض أربعين سنة السنة كالشهر والشهر كالجمعة والجمعة كاليوم واليوم كاضطرام السعفة فى النار هذا حديث أخرجه البغوى بسنده والذى

لما كانت مجادلتهم فى آيات الله مشتملة على انكار البعث وهو أصل المجادلة ومدارها حج بخلق السموات والارض لانهم كانوا مقرين بأن الله خالقها فان من قدر على خلقها مع عظمها كان على خلق الانسان مع مهانته أقدر (ولكن أكثر الناس لايعلمون) لانهم لايتأملون لغلبة الغفلة عليهم

(ولكن أكثر الناس) يعنى اليهود (لايعلمون) فتنة الدجال

جاء في صحيح مسلم قال قلنا يارسول الله مالبثه في الارض قال أربعون يوما يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كايامكم هذه قلنا يارسول الله فذاك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم قال لا أقدروا له قدره قلنا يارسول الله وما اسراعه في الارض قال كالغيث استدبرته الريح وفي رواية ابي داود عنه فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف فانها جواركم من فتنته وفيه ثم ينزل عيسى عليه الصلاة والسلام عند المنارة البيضاء شرقي دمشق فيدركه عند باب لد فيقتله (ق) عن حذيفة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان مع الدجال اذا خرج ماء ونارا فاما الذي يرى الناس انه نار فماء بارد والذي يرى الناس أنه ماء فنار محرقة فمن أدرك ذلك منكم فليقع في الذي يرى أنه نار فانه ماء عذب بارد (ق) عن ابي هريره رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا احدثكم حديثا عن الدجال ماحدث به نبي قومه انه أعور وانه يجيء بمثال الجنة والنار فالتي يقول انها الجنة هي النار واني انذركم كما أنذر نوح قومه (ق) عن المغيرة بن شعبة قال ما سأل أحد رسول الله صلى الله عليه عليه وسلم عن الدجال ماسألته وانه قال لي مايضرك قلت انهم يقولون ان معه جبل خبز ونهر ماء قال هو أهون على الله من ذلك ۞ عن عمران بن حصين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سمع الدجال فليتأ منه فوالله ان الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن فيتبعه مما يبعث به من الشبهات أو قال لما يبعث به من الشبهات أخرجه أبو داود (ق) عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس من بلد الا سيطؤه الدجال الا مكة والمدينة ليس نقب من نقابها الا عليه الملائكة صافين يحرسونها فينزل السبخة ثم ترجف المدينة باهلها ثلاث رجفات فيخرج اليه كل كافر ومنافق (م) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يأتي المسيح من قبل المشرق وهمته المدينة حتى ينزل دبر أحد ثم تصرف الملائكة وجهه قبل الشام وهنالك يهلك ۞ عن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الدجال يخرج بارض بالمشرق يقال لها خراسان يتبعه أقوام كأن وجوههم المجان المطرقة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب (م) عن أنس رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفا عليهم الطيالسة ۞ عن مجمع بن جارية الانصاري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يقتل ابن مريم الدجال بباب لد أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح قال الشيخ محي الدين النووي قال القاضي عياض هذه الاحاديث التي وردت في قصة الدجال حجة لمذهب الحق في صحة وجوده وأنه شخص بعينه ابتلى الله تعالى به عباده فاقدره على أشياء من المقدورات من احياء الميت الذي يقتله ومن ظهور زهرة الدنيا والخصب معه وجنته وناره واتباع كنوز الارض له وأمره السماء أن تمطر فتمطر والارض أن تنبت فتنبت ويقع كل ذلك بقدرة الله تعالى وفتنته ثم يعجزه الله تعالى بعد ذلك فلا يقدر على قتل ذلك الرجل ولا غيره ويبطل أمره ويقتله عيسى ابن مريم عليه السلام ويثبت الله الذين آمنوا بالقول

﴿ وما يستوى الاعمى والبصير ﴾ الغافل والمستبصر ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسىء ﴾ والمحسن والمسىء فينبغى ان يكون لهم حال فيها يظهر التفاوت وهى فيما بعد البعث وزيادة لا فى المسىء لان المقصود نفى مساواته للمحسن فيماله من الفضل والكرامة والعاطف الثانى عطف الموصول بما عطف عليه على الاعمى والبصير لتغاير الوصفين فى المقصود او الدلالة بالصراحة والتمثيل ﴿ قليلا ما يتذكرون ﴾ اى تذكرا ما قليلا يتذكرون والضمير للناس او للكفار وقرأ الكوفيون بالتاء على تغليب المخاطب او الالتفات او امر الرسول عليه السلام بالمخاطبة ﴿ ان الساعة لآتية لاريب فيها ﴾ فى مجيئها لوضوح الدلالة على جوازها واجماع الرسل على الوعد بوقوعها ﴿ ولكن اكثر الناس لايؤمنون ﴾ لايصدقون بها لقصور نظرهم على ظاهر مايحسون به ﴿ وقال ربكم ادعونى ﴾ اعبدونى ﴿ استجب لكم ﴾ اثبكم لقوله

الثابت هذا مذهب أهل السنة وجميع المحدثين والفقهاء خلافا لمن أنكره وأبطل أمره من الخوارج والجهمية وبعض المعتزلة وخلافا للجبائى المعتزلى وموافقيه من الجهمية وغيرهم فى أنه صحيح الوجود ولكن الاشياء التى يأتى بها زعموا أنها مخاريق وخيالات لاحقائق لها وزعموا أنها لو كانت حقا لضاهت معجزات الانبياء وهذا غلط من جميعهم لانه لم يدع النبوة فيكون مامعه كالتصديق له وانما يدعى الربوبية وهو فى نفس دعواه مكذب لها بصورة حاله ووجود دلائل الحدوث فيه ونقص صورته وعجزه عن ازالة العور الذى فى عينه وعن ازالة الشاهد بكفره المكتوب بين عينيه ولهذه الدلائل لايغتر به الاعوام من الناس لشدة الحاجة والفاقة رغبة فى سد الرمق أو خوفا من فتنته لان فتنته عظيمة جدا تدهش العقول وتحير الالباب ولهذا حذرت الانبياء من فتنته فاما أهل التوفيق فلا يغترون به ولا يخدعون بما معه لما سبق لهم من العلم بحاله ولهذا يقول له الذى يقتله ثم يحييه ما ازددت فيك الا بصيرة *قوله قلت يارسول الله انهم يقولون ان معه جبل خبز ونهر ماء قال هو أهون على الله من ذلك معناه هذا أهون على الله تعالى من أن يجعل ماخلقه الله عزوجل على يده مضلا للمؤمنين ومشككا لقلوبهم بل انما جعله الله له ليزداد الذين آمنوا ايمانا وتثبت الحجة على الكافرين والمنافقين وليس معناه أنه ليس معه شىء من ذلك لانه ثبت فى الحديث ان معه ماء ونارا فاؤه نار وناره ماء بارد والله تعالى أعلم * قوله عزوجل ﴿ ومايستوى الاعمى والبصير ﴾ أى الجاهل والعالم ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسىء ﴾ أى لايستوون ﴿ قليلا ماتذكرون ان الساعة ﴾ يعنى القيامة ﴿ لآتية لاريب فيها ﴾ أى لاشك فى قيامها ومجيئها ﴿ ولكن أكثر الناس لايؤمنون ﴾ أى لايصدقون بالبعث بعد الموت * قوله تعالى ﴿ وقال ربكم ادعونى أستجب لكم ﴾ أى اعبدونى دون غيرى أجبكم وأثبكم وأغفر لكم فلما عبر عن العبادة بالدعاء جعل الاثابة استجابة * عن النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر الدعاء هو العبادة ثم قرأ وقال ربكم ادعونى أستجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتى

(ومايستوى الاعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسىء) لا زائدة (قليلا ماتتذكرون) تتعظون بتاء وياء كوفى وبتاء وتاء غيرهم وقليلا صفة مصدر محذوف أى تذكرا قليلا يتذكرون وما صلة زائدة (ان الساعة لآتية لاريب فيها) لابد من مجيئها وليس بمرتاب فيها لانه لابد من جزاء لئلا يكون خلق الخلق للفناء خاصة (ولكن أكثر الناس لايؤمنون) لايصدقون بها (وقال ربكم ادعونى) اعبدونى (أستجب لكم) أثبكم فالدعاء بمعنى العبادة كثير فى القرآن ويدل عليه قوله

(ومايستوى الاعمى) يعنى الكافر (والبصير) يعنى المؤمن بالثواب والكرامة (والذين آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (وعملوا الصالحات) الطاعات فيما بينهم وبين ربهم (ولا المسىء) المشرك بالله (قليلا ماتتذكرون) ماتتعظون بقليل ولا بكثير من أمثال القرآن (ان الساعة) قيام الساعة (لآتية) لكائنة (لاريب فيها) لاشك فى قيامها (ولكن أكثر الناس) أهل مكة (لايؤمنون) بقيام الساعة (وقال ربكم ادعونى) وحدونى (أستجب لكم) اغفر لكم ويقال ادعونى أستجب لكم أسمع منكم وأقبل اليكم (سيدخلون)

(ان الذين يستكبرون عن عبادتى) وقال عليه السلام الدعاء هو العبادة وقرأ هذه الآية صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس رضى الله عنهما وحدونى أغفر لكم وهذا تفسير للدعاء بالعبادة ثم للعبادة بالتوحيد وقيل سلونى أعطكم (سيدخلون جهنم) سيدخلون مكى وأبو عمرو (داخرين) صاغرين (الله الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا) هو من الاسناد المجازى أى مبصرا فيه لان الابصار فى الحقيقة لاهل النهار وقرن الليل بالمفعول له والنهار بالحال ولم يكونا حالين أو مفعولا لهما رعاية لحق المقابلة لانهما متقابلان معنى لان كل واحد منهما يؤدى مؤدى الآخر ولانه لو قيل لتبصروا فيه فاتت الفصاحة التى فى الاسناد المجازى ولو قيل ساكنا لم تتميز الحقيقة من المجاز اذ الليل يوصف بالسكون على الحقيقة ألا ترى الى قولهم ليل ساج اى ساكن لاريح فيه (ان الله لذو فضل على الناس) ولم يقل لمفضل أو لمتفضل لان المراد تنكير الفضل وأن يجعل فضلا لايوازيه فضل وذلك انما يكون بالاضافة (ولكن أكثر الناس لايشكرون) ولم يقل ولكن أكثرهم حتى لايتكرر ذكر الناس لان فى هذا التكرير تخصيصا لكفران النعمة بهم وأنهم هم الذين يكفرون فضل الله ولايشكرونه كقوله ان الانسان لكفور وقوله ان الانسان لظلوم كفار (ذلكم) الذى خلق لكم الليل والنهار (الله ربكم

﴿ ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين ﴾ صاغرين وان فسر الدعاء بالسؤال كان الاستكبار الصارف عنه منزلا منزلته للمبالغة اوالمراد بالعبادة الدعاء فانه من ابوابها وقرأ ابن كثير وابوبكر سيدخلون بضم الياء وفتح الخاء ﴿ الله الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه ﴾ لتستريحوا فيه بان خلقه باردا مظلما ليؤدى الى ضعف المحركات وهدوء الحواس ﴿ والنهار مبصرا ﴾ يبصر فيه اوبه واسناد الابصار اليه مجاز فيه مبالغة ولذلك عدل به عن التعليل الى الحال ﴿ ان الله لذو فضل على الناس ﴾ لايوازيه فضل وللاشعار به لم يقل لمفضل ﴿ ولكن اكثر الناس لايشكرون ﴾ لجهلهم بالمنعم واغفالهم مواقع النعم وتكرير الناس لتخصيص الكفران بهم ﴿ ذلكم ﴾ المخصوص بالافعال المقتضية للالوهية والربوبية ﴿ الله ربكم

سيدخلون جهنم داخرين أخرجه أبو داود والترمذى وقال حديث حسن صحيح وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يسأل الله يغضب عليه أخرجه الترمذى وقال حديث غريب ❁ عن أنس بن مالك قال الدعاء مخ العبادة أخرجه الترمذى ❁ وعنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ليس شئ أكرم على الله من الدعاء أخرجه الترمذى وقال حديث غريب ❁ فان قلت كيف قال ادعونى أستجب لكم وقد يدعو الانسان كثيرا فلا يستجاب له ❁ قلت الدعاء له شروط منها الاخلاص فى الدعاء وأن لا يدعو وقلبه لاه مشغول بغير الدعاء. وأن يكون المطلوب بالدعاء مصلحة للانسان وأن لايكون فيه قطيعة رحم فاذا كان الدعاء بهذه الشروط كان حقيقا بالاجابة فاما ان يعجلها له واما أن يؤخرها له يدل عليه ماروى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن رجل يدعو الله تعالى بدعاء الا استجيب له فاما أن يعجل له به فى الدنيا واما أن يدخر له فى الآخرة واما أن يكفر عنه من ذنوبه بقدر مادعا مالم يدع باثم أو قطيعة رحم أو يستعجل قالوا يارسول الله وكيف يستعجل قال يقول دعوت ربى فما استجاب لى أخرجه الترمذى وقال حديث غريب وقيل الدعاء هو الذكر والسؤال ﴿ ان الذين يستكبرون عن عبادتى ﴾ أى عن توحيدى وقيل عن دعائى ﴿ سيدخلون جهنم داخرين ﴾ أى صاغرين ذليلين ❁ قوله عز وجل ﴿ الله الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه ﴾ أى لتحصل لكم الراحة فيه بسبب النوم والسكون ﴿ والنهار مبصرا ﴾ أى لتحصل لكم فيه مكنة التصرف فى حوائجكم ومهماتكم ﴿ ان الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لايشكرون ذلكم الله ربكم ﴾ أى ذلكم المميز

(ان الذين يستكبرون) يتعاظمون (عن عبادتى) عن توحيدى وطاعتى (سيدخلون جهنم داخرين) صاغرين (الله الذى جعل لكم) خلق لكم (الليل لتسكنوا فيه) لتستقروا فى الليل (والنهار مبصرا) مطلبا مضيئا (ان الله لذو فضل) لذو من (على الناس) أهل مكة (ولكن أكثر الناس) أهل مكة (لايشكرون) بذلك ولايؤمنون بالله (ذلكم الله ربكم) الذى فعل ذلك هو

خالق كل شئ لا اله الا هو) أخبار مترادفة اى هو الجامع لهذه الاوصاف من الربوبية والالهية وخلق كل شئ والوحدانية (فأنى تؤفكون) فكيف ومن أى وجه تصرفون عن عبادته الى عبادة الاوثان (كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون) اى كل من جحد بآيات الله ولم يتأملها ولم يطلب الحق أفك كما افكوا (الله الذى جعل لكم الارض قرارا) مستقرا (والسماء بناء) سقفا فوقكم (وصوركم فاحسن صوركم) قيل لم يخلق حيوانا أحسن صورة من الانسان وقيل لم يخلقهم منكوسين كالبهائم (ورزقكم من الطيبات) اللذيذات (ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين هو الحى لا اله الا هو فادعوه) فاعبدوه (مخلصين له الدين) أى الطاعة من الشرك والرياء قائلين (الحمد لله رب العالمين) وعن ابن عباس رضى الله عنهما من قال لا اله الا الله فليقل على أثرها الحمد لله رب العالمين ولما طلب الكفار منه عليه السلام عبادة الاوثان نزل

خالق كل شئ لا اله الا هو ﴾ اخبار مترادفة تخصص اللاحقة السابقة وتقررها وقرئ خالق بالنصب على الاختصاص فيكون لا اله الا هو استئنافا بما هو كالنتيجة للاوصاف المذكورة ﴿ فأنى تؤفكون ﴾ فكيف ومن اى وجه تصرفون من عبادته الى عبادة غيره ﴿ كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون ﴾ اى كما أفكوا أفك عن الحق كل من جحد بآيات الله ولم يتأملها ﴿ الله الذى جعل لكم الارض قرارا والسماء بناء ﴾ استدلال ثان بافعال اخر مخصوصة ﴿ وصوركم فاحسن صوركم ﴾ بان خلقكم منتصب القامة بادى البشرة متناسب الاعضاء والتخطيطات متهيئا لمزاولة الصنائع واكتساب الكمالات ﴿ ورزقكم من الطيبات ﴾ اللذائذ ﴿ ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين ﴾ فان كل ماسواه مربوب مفتقر بالذات معرض للزوال ﴿ هو الحى ﴾ المتفرد بالحياة الذاتية ﴿ لا اله الا هو ﴾ اذلا موجود يساويه اويدانيه فى ذاته وصفاته ﴿ فادعوه ﴾ فاعبدوه ﴿ مخلصين له الدين ﴾ اى الطاعة من الشرك والرياء ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾

بالافعال الخاصة التى لا يشاركه فيها أحد هو الله ربكم ﴿ خالق كل شئ لا اله الا هو ﴾ أى هو الجامع لهذه الاوصاف من الالهية والربوبية وخلق الاشياء كلها وأنه لا شريك له فى ذلك ﴿ فأنى تؤفكون ﴾ أى فانى تصرفون عن الحق ﴿ كذلك ﴾ أى كما أفكتم عن الحق مع قيام الدلائل كذلك ﴿ يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون الله الذى جعل لكم الارض قرارا ﴾ أى فراشا لتستقروا عليها وقيل منزلا فى حال الحياة وبعد الموت ﴿ والسماء بناء ﴾ أى سقفا مرفوعا كالقبة ﴿ وصوركم فاحسن صوركم ﴾ أى خلقكم فأحسن خلقكم قال ابن عباس خلق ابن آدم قائما معتدلا يأكل ويتناول بيده وغير ابن آدم يتناول بفيه ﴿ ورزقكم من الطيبات ﴾ قيل هو ما خلق الله تعالى لعباده من المأكل والمشرب من غير رزق الدواب ﴿ ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين هو الحى ﴾ وهذا يفيد الحصر أى لاحى الا هو فوجب أن يحمل ذلك على الذى يمتنع أن يموت امتناعا تاما ثابتا وهو الله تعالى الذى لا يوصف بالحياة الكاملة الا هو والحى هو المدرك الفعال لما يريد وهذه اشارة الى العلم التام والقدرة التامة ولما نبه على هذه الصفات نبه على كمال الوحدانية بقوله ﴿ لا اله الا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين ﴾ أى فاعوه واحمدوه قال ابن عباس من قال لا اله الا الله فليقل على أثرها الحمد لله رب العالمين

ربكم فاشكروه (خالق كل شئ) بائن منه (لا اله) لا خالق (الا هو فأنى تؤفكون) من أين تكذبون على الله (كذلك) هكذا (يؤفك) يكذب على الله (الذين كانوا بآيات الله) بمحمد عليه السلام والقرآن (يجحدون) يكفرون (الله الذى جعل لكم (الارض قرارا) منزلا للاحياء والاموات (والسماء بناء) سقفا مرفوعا (وصوركم) فى الارحام (فاحسن صوركم) من صور الدواب ويقال احكم صوركم (ورزقكم من الطيبات) جعل أرزاقكم أطيب وألين من رزق الدواب ويقال رزقكم من الحلال (قل) (ذلكم الله ربكم) الذى فعل ذلك هو ربكم فاشكروه (فتبارك الله) ذو بركة (رب العالمين) رب كل ذى روح دب على وجه الارض (هو الحى) الذى لا يموت (لا اله) يفعل ذلك (الا هو فادعوه) فوحدوه (مخلصين له الدين) مخلصين له بالعبادة والتوحيد (الحمد لله) الشكر لله والربوبية لله (رب العالمين) رب كل ذى روح دب على وجه

(قل انى نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءنى البينات من ربى) هى القرآن وقيل العقل والوحى (وأمرت أن أسلم)أستقيم وأنقاد (لرب العالمين هو الذى خلقكم) أى أصلكم (من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا) اقتصر على الواحد لان المراد بيان الجنس (ثم لتبلغوا أشدكم) متعلق بمحذوف تقديره ثم يبقيكم لتبلغوا وكذلك (ثم لتكونوا شيوخا) وبكسر الشين مكي وحمزة وعلي وحماد ويحيي والاعشى (ومنكم من يتوفى من قبل) أى من قبل بلوغ الاشد أو من قبل الشيخوخة (ولتبلغوا أجلا مسمى) معناه ويفعل ذلك لتبلغوا أجلا مسمى وهو وقت الموت أو يوم القيامة (ولعلكم تعقلون) ما فى ذلك من العبر والحجج (هو الذى يحيي ويميت فاذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون) أى فانما يكونه

قائلين له ﴿ قل انى نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءنى البينات من ربى ﴾ من الحجج والآيات او من الآيات فانها مقوية لادلة العقل منبهة عليها ﴿ وامرت ان اسلم لرب العالمين ﴾ اى انقاد له واخلص له دينى ﴿ هو الذى خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ﴾ اطفالا والتوحيد لارادة الجنس اوعلى تأويل كل واحد منكم ﴿ ثم لتبلغوا أشدكم ﴾ اللام فيه متعلقة بمحذوف تقديره ثم يبقيكم لتبلغوا وكذا فى قوله ﴿ ثم لتكونوا شيوخا ﴾ ويجوز عطفه على لتبلغوا وقرأ نافع وابو عمرو وحفص وهشام شيوخا بضم الشين وقرئ شيوخا بالكسر وشيخا كقوله طفلا ﴿ ومنكم من يتوفى من قبل ﴾ من قبل الشيخوخة اوبلوغ الاشد ﴿ ولتبلغوا ﴾ ويفعل ذلك لتبلغوا ﴿ اجلا مسمى ﴾ وهو وقت الموت اويوم القيامة ﴿ ولعلكم تعقلون ﴾ ما فى ذلك من الحجج والعبر ﴿ هو الذى يحيي ويميت فاذا قضى امرا ﴾ فاذا اراده ﴿ فانما يقول له كن فيكون ﴾ فلا يحتاج فى تكوينه الى عدة وتجشم كلفة والفاء

﴿ قل انى نهيت ان أعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءنى البينات من ربى وأمرت أن أسلم لرب العالمين ﴾ وذلك حين دعى الى الكفر أمره الله تعالى أن يقول ذلك * قوله تعالى ﴿ هو الذى خلقكم من تراب ﴾ يعنى أصلكم آدم وقيل يحتمل ان كل انسان خلق من تراب لأنه خلق من النطفة وهى من الاغذية والاغذية من النبات والنبات من التراب ﴿ ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخا ﴾ يعنى ان مراتب الانسان بعد خروجه من بطن أمه ثلاث الطفولية وهى حالة النمو والزيادة الى أن يبلغ كمال الاشد من غير ضعف ثم يتناقص بعد ذلك وهى الشيخوخة ﴿ ومنكم من يتوفى من قبل ﴾ أى من قبل ان يصير شيخا ﴿ ولتبلغوا ﴾ أى جميعا ﴿ أجلا مسمى ﴾ أى وقتا محدودا لا تجاوزونه يعنى أجل الحياة الى الموت ﴿ ولعلكم تعقلون ﴾ أى ما فى هذه الاحوال العجيبة من القدرة الباهرة الدالة على توحيده وقدرته ﴿ هو الذى يحيي ويميت فاذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون ﴾ أى يكونه من غير كلفة ولا معاناة ولا تعب وكل ذلك من كمال قدرته على الاحياء والاماتة وسائر

الارض (قل) لاهل مكة يا محمد حين قالوا له ارجع الى دين آبائك (انى نهيت) فى القرآن (أن أعبد الذين تدعون) تعبدون (من دون الله) من الاوثان (لما جاءنى البينات) حين جاءنى البيان (من ربى) بان الله واحد لا شريك له (وأمرت) فى القرآن (أن أسلم) ان استقيم على الاسلام (لرب العالمين) رب كل ذى روح دب على وجه الارض (هو الذى خلقكم من تراب) من آدم وآدم من تراب (ثم من نطفة) ثم خلقكم من نطفة آبائكم (ثم من علقة) من دم عبيط (ثم يخرجكم) من بطون أمهاتكم (طفلا) صغارا (ثم لتبلغوا أشدكم) ما بين ثمان عشرة سنة الى ثلاثين سنة (ثم لتكونوا شيوخا) بعد الاشد (ومنكم من يتوفى) تقبض روحه (من قبل) من قبل البلوغ والشيخوخة (ولتبلغوا أجلا مسمى) معلوما منتهى آجالكم (ولعلكم تعقلون) لكى تصدقوا بالبعث بعد الموت (هو الذى يحيي) البعث (ويميت) فى الدنيا (فاذا قضى أمرا) فاذا أراد ان يخلق ولدا بلا أب مثل عيسى (فانما يقول له كن فيكون) ولدا بلا أب ويقال فاذا قضى أمرا فاذا أراد أن تكون القيامة فانما يقول له للقيامة كن فتكون بين الكاف والنون قبل أن تتصل الكاف مع النون فيكون

سريعا من غير كلفة (ألم تر الى الذين يجادلون فى آيات الله أنى يصرفون) ذكر الجدال فى هذه السورة فى ثلاثة مواضع فجاز أن يكون فى ثلاثة أقوام أو ثلاثة أصناف أو للتأكيد (الذين كذبوا بالكتاب) بالقرآن (وبما أرسلنا به رسلنا) من الكتب (فسوف يعلمون اذ الاغلال فى أعناقهم) اذ ظرف زمان ماض والمراد به هنا الاستقبال وهذا لان الامور المستقبلة لما كانت فى اخبار الله تعالى مقطوعا بها عبر عنها بلفظ ما كان ووجد والمعنى على الاستقبال (والسلاسل) عطف على الاغلال والخبر فى أعناقهم والمعنى اذ الاغلال

فى أعناقهم (يسحبون فى الحميم) يجرون فى الماء الحار (ثم فى النار يسجرون) من سجر التنور اذا ملأه بالوقود ومعناه انهم فى النار فهى محيطة بهم وهم مسجورون بالنار مملوأة بها أجوافهم (ثم قيل لهم) أى تقول لهم الخزنة (أينما كنتم تشركون من دون الله) يعنى الاصنام التى تعبدونها (قالوا ضلوا عنا) غابوا عن عيوننا فلا نراهم ولا ننتفع بهم (بل لم نكن ندعوا من قبل شيأ) اى تبين لنا انهم لم يكونوا شيأ وما كنا نعبد بعبادتهم شيأ كما تقول حسبت ان فلانا شئ فاذا هو ليس بشئ اذا خبرته فلم تر عنده خيرا (كذلك يضل الله الكافرين) مثل ضلال

الاولى للدلالة على ان ذلك نتيجة ما سبق من حيث انه يقتضى قدرة ذاتية غير متوقفة على العدد والمواد ﴿ألم تر الى الذين يجادلون فى آيات الله أنى يصرفون﴾ عن التصديق به وتكرير ذم المجادلة لتعدد المجادل او المجادل فيه او للتأكيد ﴿الذين كذبوا بالكتاب﴾ بالقرآن او بجنس الكتب السماوية ﴿وبما ارسلنا به رسلنا﴾ من سائر الكتب اوالوحى والشرائع ﴿فسوف يعلمون﴾ جزاء تكذيبهم ﴿اذ الاغلال فى اعناقهم﴾ ظرف ليعلمون اذ المعنى على الاستقبال والتعبير بلفظ المضى لتيقنه ﴿والسلاسل﴾ عطف على الاغلال اومبتدأ خبره ﴿يسحبون فى الحميم﴾ والعائد محذوف اى يسحبون بها وهو على الاول حال وقرئ والسلاسل يسحبون بالنصب وفتح الياء على تقديم المفعول وعطف الفعلية على الاسمية والسلاسل بالجر حملا على المعنى اذ الاغلال فى اعناقهم بمعنى اعناقهم فى الاغلال اواضمارا للباء ويدل عليه القراءة به ﴿ثم فى النار يسجرون﴾ يحرقون من سجر التنور اذا ملأه بالوقود ومنه السجير للصديق كأنه سجر بالحب اى ملئ والمراد تعذيبهم بانواع من العذاب وينقلون من بعضها الى بعض ﴿ثم قيل لهم أين ما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا﴾ غابوا عنا وذلك قبل ان يقرن بهم آلهتهم اوضاعوا عنا فلم نجد منهم ما كنا نتوقع منهم ﴿بل لم نكن ندعوا من قبل شيأ﴾ اى بل تبين لنا انا لم نكن نعبد شيأ بعبادتهم فانهم ليسوا شيأ يعتد به كقولك حسبته شيأ فلم يكن ﴿كذلك﴾ مثل هذا الضلال ﴿يضل الله الكافرين﴾ حتى لا يهتدوا

ماذكر من الافعال الدالة على قدرته كأنه قال من الاقتدار اذا قضى أمرا كان أهون شئ وأسرعه * قوله تعالى ﴿ألم تر الى الذين يجادلون فى آيات الله﴾ يعنى القرآن ﴿أنى يصرفون﴾ أى عن دين الحق وقيل نزلت فى القدرية ﴿الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا فسوف يعلمون﴾ فيه وعيد وتهديد ثم وصف ما أوعدهم به فقال تعالى ﴿اذ الاغلال فى أعناقهم والسلاسل يسحبون﴾ أى يجرون بتلك السلاسل ﴿فى الحميم ثم فى النار يسجرون﴾ أى توقد بهم النار ﴿ثم قيل لهم أينما كنتم تشركون من دون الله﴾ يعنى الاصنام ﴿قالوا ضلوا عنا﴾ أى فقدناهم فلم نرهم ﴿بل لم نكن ندعوا من قبل شيأ﴾ قيل انهم أنكروا عبادتها وقيل لم نكن ندعو شيأ ينفع ويضر وقيل ضاعت عبادتنا لها فكأنا لم نكن ندعو من قبل شيأ ﴿كذلك يضل الله الكافرين﴾ أى كما أضل هؤلاء

(ألم تر) ألم تخبر يا محمد فى القرآن (الى الذين) عن الذين (يجادلون فى آيات الله) يكذبون بالقرآن (أنى يصرفون) بالكذب فكيف يكذبون على الله (الذين كذبوا بالكتاب) بالقرآن (وبما أرسلنا به رسلنا) من الكتب (فسوف) وهذا وعيد لهم (يعلمون) (ذلكم) يوم القيامة ماذا يفعل بهم (اذ الاغلال فى أعناقهم) أغلال الحديد فى أعناقهم (والسلاسل) فى أعناقهم مع الشياطين (يسحبون فى الحميم) يجرون فى النار (ثم فى النار يسجرون) يوقدون (ثم قيل لهم) تقول الزبانية (أينما كنتم تشركون) تعبدون (من دون الله) وتقولون انهم شركاء الله (قالوا ضلوا عنا) اشتغلوا بانفسهم عنا ثم جحدوا ذلك وقالوا (بل لم نكن ندعوا) نعبد (من قبل) من قبل هذا (شيأ) من دون الله (كذلك) هكذا (يضل الله الكافرين)

آلهتهم عنهم يضلهم عن آلهتهم حتى لو طلبوا الآلهة اوطلبتهم الآلهة لم يتصادقوا اوكما اضل هؤلاء المجادلين يضل سائر الكافرين الذين علم منهم اختيار الضلالة على الدين (ذلكم) اى العذاب الذين نزل بكم (بما كنتم تفرحون فى الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون) بسبب ما كان لكم من الفرح والمرح بغير الحق وهو الشرك وعبادة الاوثان فيقال لهم (ادخلوا أبواب جهنم) السبعة المقسومة لكم قال الله تعالى لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم (خالدين فيها) مقدرين الخلود (فبئس مثوى المتكبرين) عن الحق جهنم (فاصبر) يا محمد (ان وعد الله) باهلاك الكفار (حق) كائن (فاما نرينك) أصله فان نريك وما مزيدة لتوكيد معنى الشرط ولذلك ألحقت النون بالفعل الا تراك لا تقول ان تكرمنى أكرمك ولكن اما تكرمنى أكرمك (بعض الذى نعدهم أو نتوفينك فالينا يرجعون) هذا الجزاء متعلق بنتوفينك وجزاء نرينك محذوف وتقديره واما نرينك بعض الذى نعدهم من العذاب وهو القتل يوم بدر فذاك أو ان نتوفينك قبل يوم بدر فالينا يرجعون يوم القيامة فننتقم منهم أشد الانتقام (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك) الى أممهم (منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك) قيل بعث الله ثمانية آلاف نبى أربعة آلاف من بنى اسرائيل وأربعة آلاف من سائر الناس وعن على رضى الله عنه ان الله تعالى بعث نبيا أسود فهو ممن لم تذكر قصته فى القرآن

الى شئ ينفعهم فى الآخرة او يضلهم عن آلهتهم حتى لو تطالبوا لم يتصادفوا ﴿ذلكم﴾ الا ضلال ﴿بما كنتم تفرحون فى الارض﴾ تبطرون وتتكبرون ﴿بغير الحق﴾ وهو الشرك والطغيان ﴿وبما كنتم تمرحون﴾ تتوسعون فى الفرح والعدول الى الخطاب للمبالغة فى التوبيخ ﴿ادخلوا ابواب جهنم﴾ الابواب السبعة المقسومة لكم ﴿خالدين فيها﴾ مقدرين الخلود ﴿فبئس مثوى المتكبرين﴾ عن الحق جهنم وكان مقتضى النظم فبئس مدخل المتكبرين ولكن لما كان الدخول المقيد بالخلود سبب الثواء عبر بالمثوى ﴿فاصبر ان وعد الله﴾ بهلاك الكافرين ﴿حق﴾ كائن لامحالة ﴿فاما نرينك﴾ فان نرك وما مزيدة لتأكيد الشرطية فلذلك لحقت النون الفعل ولا تلحق مع ان وحدها ﴿بعض الذى نعدهم﴾ وهو القتل والاسر ﴿او نتوفينك﴾ قبل ان تراه ﴿فالينا يرجعون﴾ يوم القيامة فيجازيهم باعمالهم وهو جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف مثل فذاك ويجوز ان يكون جوابا لهما بمعنى ان نعذبهم فى حياتك اولم نعذبهم فانا نعذبهم فى الآخرة اشد العذاب ويدل على شدته الاقتصار بذكر الرجوع فى هذا المعرض ﴿ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك﴾ اذ قيل عدد الانبياء مائة الف واربعة وعشرون الفا والمذكور

﴿ذلكم﴾ أى العذاب الذين نزل بكم ﴿بما كنتم تفرحون﴾ أى تبطرون وتاشرون ﴿فى الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون﴾ أى تختالون وتفرحون به ﴿ادخلوا أبواب جهنم﴾ يعنى السبعة ﴿خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين﴾ أى عن الايمان * قوله تعالى ﴿فاصبر ان وعد الله حق﴾ الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم أى بنصرك على الاعداء ﴿فاما نرينك بعض الذى نعدهم﴾ أى من العذاب فى حياتك ﴿أو نتوفينك﴾ أى قبل أن يحل ذلك بهم ﴿فالينا يرجعون ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك﴾ أى خبره وحاله فى القرآن ﴿ومنهم من لم نقصص عليك﴾ أى ولم نذكر لك حال الباقين منهم وليس منهم أحد الا أعطاه الله تعالى آيات ومعجزات وقد جادله قومه وكذبوه فيها وماجرى عليهم يقارب ماجرى عليك

عن الحجة (ذلكم) العذاب فى النار (بما كنتم تفرحون) تبطرون (فى الارض بغير الحق) بلاحق (وبما كنتم تمرحون) تتكبرون فى الشرك (ادخلوا أبواب جهنم خالدين) مقيمين (فيها) لايموتون ولايخرجون منها (فبئس مثوى المتكبرين) منزل الكافرين النار (فاصبر) يا محمد على أذى الكفار (ان وعد الله) بالنصرة لك على هلاكهم (حق) كائن (فاما نرينك بعض الذى نعدهم) من العذاب يوم بدر (أو نتوفينك) قبل أن نريك (فالينا يرجعون) بعد الموت ان رأيت عذابهم أولم تر (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك) الى قومهم (منهم من قصصنا عليك) من الرسل من سميناهم لك لتعلمهم (ومنهم من لم نقصص عليك) لم نسمهم لك

(وما كان لرسول أن يأتي بآية الا باذن الله) وهذا جواب اقتراحهم الآيات عنادا يعني انا قد أرسلنا كثيرا من الرسل وما كان لواحد منهم أن يأتي بآية الا باذن الله فمن أين لي بان آتي بآية مما تقترحونه الا أن يشاء الله ويأذن في الاتيان بها (فاذا جاء أمر الله) أي يوم القيامة وهو وعيد ورد عقيب اقتراحهم الآيات (قضي بالحق وخسر هنالك المبطلون) المعاندون الذين اقترحوا الآيات عنادا (الله الذي جعل) خلق (لكم الانعام) الابل (لتركبوا منها ومنها تأكلون) أي لتركبوا بعضها وتأكلوا بعضها (ولكم فيها منافع) أي الالبان والاوبار (ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم) أي لتبلغوا عليها ما تحتاجون اليه من الامور (وعليها) وعلى الانعام (وعلى الفلك تحملون) أي على الانعام وحدها لا تحملون ولكن عليها وعلى الفلك في البر والبحر (ويريكم آياته فأي آيات الله تنكرون) انها ليست من عند الله وأي نصب بتنكرون وقد جاءت على اللغة المستفيضة وقولك فأية آيات الله قليل لان التفرقة بين المذكر والمؤنث في الاسماء غير الصفات نحو حمار وحمارة غريب وهي في أي أغرب لابهامه

قصتهم اشخاص معدودة ﴿ وما كان لرسول ان يأتي بآية الا باذن الله ﴾ فان المعجزات عطايا الله قسمها بينهم على ما اقتضته حكمته كسائر القسم ليس لهم احتيار في ايثار بعضها والاستبداد باتيان المقترح بها ﴿ فاذا جاء امر الله ﴾ بالعذاب في الدنيا والآخرة ﴿ قضي بالحق ﴾ بانجاء المحق وتعذيب المبطل ﴿ وخسر هنالك المبطلون ﴾ المعاندون باقتراح الآيات بعد ظهور ما يغنيهم عنها ﴿ الله الذي جعل لكم الانعام لتركبوا منها ومنها تأكلون ﴾ فان من جنسها ما يؤكل كالغنم ومنها ما يؤكل ويركب وهو الابل والبقر ﴿ ولكم فيها منافع ﴾ كالالبان والجلود والاوبار ﴿ ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم ﴾ بالمسافرة عليها ﴿ وعليها ﴾ في البر ﴿ وعلى الفلك ﴾ في البحر ﴿ تحملون ﴾ وانما قال على الفلك ولم يقل في الفلك للمزاوجة وتغيير النظم في الاكل لانه في حيز الضرورة وقيل لانه يقصد به التعيش والتلذذ والركوب والمسافرة عليها قد يكون لاغراض دينية واجبة او مندوبة او للفرق بين العين والمنفعة ﴿ ويريكم آياته ﴾ دلائله الدالة على كمال قدرته وفرط رحمته ﴿ فأي آيات الله ﴾ اي فأي آية من تلك الآيات ﴿ تنكرون ﴾ فانها لظهورها لا تقبل الانكار وهو ناصب اى اذ لو قدرته متعلقا بضميره كان الاولى رفعه والتفرقة بالتاء في اى اغرب منها في الاسماء غير الصفات لابهامه

فصبروا وهذا تسلية لنبيه صلى الله عليه وسلم ﴿ وما كان لرسول أن يأتي بآية الا باذن الله ﴾ أي بامره وارادته ﴿ فاذا جاء أمر الله ﴾ أي قضاؤه بين الانبياء والامم ﴿ قضي بالحق ﴾ أي بالعدل ﴿ وخسر هنالك المبطلون ﴾ أي الذين يجادلون في آيات الله بغير حق وفيه وعيد وتهديد لهم * قوله تعالى ﴿ الله الذي جعل لكم الانعام لتركبوا منها ومنها تأكلون ولكم فيها منافع ﴾ أي في أصوافها وأوبارها وأشعارها وألبانها ﴿ ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم ﴾ أي تحمل أثقالكم من بلد الى بلد في أسفاركم وحاجاتكم ﴿ وعليها وعلى الفلك تحملون ﴾ أي على الابل في البر وعلى السفن في البحر ﴿ ويريكم آياته ﴾ أي دلائل قدرته ﴿ فأي آيات الله تنكرون ﴾ يعني ان هذه الآيات التي ذكرها ظاهرة باهرة فليس شئ منها يمكن انكاره

لا تعلمهم (وما كان لرسول أن يأتي بآية) بعلامة (الا باذن الله) بامر الله وذلك حين طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم آية (فاذا جاء أمر الله) وقت عذاب الله في الامم الماضية (قضي بالحق) عذبوا بالحق ويقال قضي يوم القيامة بالعدل بين الرسل والامم (وخسر هنالك) غبن عند ذلك (المبطلون) الكافرون

(الله الذي جعل لكم) خلق لكم (الانعام لتركبوا منها ومنها تأكلون) من لحومها تأكلون (ولكم فيها منافع) (قوله) من ألبانها وأصوافها (ولتبلغوا) لكي تطلبوا (عليها حاجة في صدوركم) في قلوبكم (وعليها) على ظهورها في البر (وعلى الفلك) على السفن في البحر (تحملون) تسافرون (ويريكم) يا أهل مكة (آياته) عجائبه الشمس والقمر والنجوم والليل والنهار والجبال والسحاب والبحار وغير ذلك وكل هذا من آيات الله (فأي آيات الله) أي فبأي آيات الله (تنكرون) تجحدون انها

(أفلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اكثر منهم) عددا (وأشد قوة) بدنا (وآثارا فى الارض) قصورا ومصانع (فما أغنى عنهم) ما نافية (ما كانوا يكسبون فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم) يريد علمهم بامور الدنيا ومعرفتهم بتدبيرها كما قال يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون فلما جاءتهم الرسل بعلوم الديانات وهى أبعد شئ من علمهم لبعثها على رفض الدنيا والظلف عن الملاذ والشهوات لم يلتفتوا اليها وصغروها واستهزؤا بها واعتقدوا انه لا علم أنفع وأجلب للفوائد من علمهم ففرحوا به أو علم الفلاسفة والدهريين فانهم كانوا اذا سمعوا بوحى الله دفعوه وصغروا علم الانبياء الى علمهم وعن سقراط انه سمع بموسى عليه

السلام وقيل له لو هاجرت اليه فقال نحن قوم مهذبون فلا حاجة بنا الى من يهذبنا أو المراد فرحوا بما عند الرسل من العلم فرح ضحك منه واستهزاء به كأنه قال استهزؤا بالبينات وبما جاؤا به من علم الوحى فرحين به مرحين ويدل عليه قوله (وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن) أو الفرح للرسل أى الرسل لما رأوا جهلهم واستهزاءهم بالحق وعلموا سوء عاقبتهم وما يلحقهم من العقوبة على جهلهم واستهزائهم فرحوا بما اوتوا من العلم وشكروا الله عليه وحاق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزائهم (فلما رأوا بأسنا) شدة عذابنا (قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم ايمانهم (قا و خا ٤٧ مس) لما رأوا بأسنا) أى فلم يصح ولم يستقم ان ينفعهم ايمانهم

﴿أفلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اكثر منهم واشد قوة وآثارا فى الارض﴾ ما بقى منهم من القصور والمصانع ونحوهما وقيل آثار أقدامهم فى الارض لعظم اجرامهم ﴿فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون﴾ ما الاولى نافية او استفهامية منصوبة باغنى والثانية موصولة او مصدرية مرفوعة به ﴿فلما جاءتهم رسلهم بالبينات﴾ بالمعجزات او الآيات الواضحات ﴿فرحوا بما عندهم من العلم﴾ واستحقروا علم الرسل والمراد بالعلم عقائدهم الزائغة وشبههم الداحضة كقوله بل ادارك علمهم فى الآخرة وهو قولهم لا نبعث ولا نعذب وما اظن الساعة قائمة ونحوها وسماها علما على زعمهم تهكما بهم او من علم الطبائع والتنجيم والصنائع ونحو ذلك او علم الانبياء وفرحهم به فرح ضحكهم منه واستهزاؤهم به ويؤيده ﴿وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن﴾ وقيل الفرح ايضا للرسل فانهم لما رأوا تمادى جهل الكفار وسوء عاقبتهم فرحوا بما اوتوا من العلم وشكروا الله عليه وحاق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزائهم ﴿فلما رأوا بأسنا﴾ شدة عذابنا ﴿قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين﴾ يعنون الاصنام ﴿فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا﴾

* قوله تعالى ﴿أفلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا فى الارض﴾ يعنى مصانعهم وقصورهم والمعنى لو سار هؤلاء فى أطراف الارض لعرفوا ان عاقبة هؤلاء المنكرين المتمردين الهلاك والبوار مع انهم كانوا أكثر عددا وأموالا من هؤلاء ﴿فما أغنى عنهم﴾ أى لم ينفعهم ﴿ما كانوا يكسبون﴾ أى أى شئ أغنى عنهم كسبهم ﴿فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا﴾ أى رضوا ﴿بما عندهم من العلم﴾ قيل هو قولهم لن نبعث ولن نعذب وقيل هو علمهم بأحوال الدنيا سمى ذلك علما على ما يدعونه ويزعمون وهو فى الحقيقة جهل ﴿وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن فلما رأوا بأسنا﴾ أى عذابنا ﴿قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين﴾ أى تبرأنا مما كنا نعدل بالله ﴿فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا

ليست من الله (أفلم يسيروا) يسافروا كفار مكة (فى الارض فينظروا) ويتفكروا (كيف كان عاقبة) جزاء (الذين من قبلهم) كيف أهلكناهم عند تكذيبهم الرسل (كانوا أكثر منهم) من أهل مكة فى العدد (وأشد قوة) بالبدن (وآثارا فى الارض) أشد لها طلبا وأبعد ذهابا (فما أغنى عنهم) من عذاب الله (ما كانوا يكسبون) يقولون ويعملون فى دينهم (فلما جاءتهم رسلهم بالبينات) بالامر والنهى (فرحوا) عجبوا (بما عندهم من العلم) لدين والعمل وكان ذلك منهم ظنا بغير يقين (وحاق) نزل ودار (بهم ما كانوا به يستهزؤن) عقوبة استهزائهم بالرسل (فلما رأوا بأسنا) عذابنا لهلاكهم (قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به) بالله (مشركين) وهذا باللسان دون القلب عند معاينة العذاب (فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا) عذابنا لهلاكهم فالايمان عند المعاينة لا ينفع وقبل ذلك ينفع وكذلك التوبة

(سنت الله) بمنزلة وعد الله ونحوه من المصادر المؤكدة (التي قد خلت في عباده) أن الايمان عند نزول العذاب لا ينفع وان العذاب نازل بمكذبي الرسل (وخسر هنالك الكافرون) هنالك مكان مستعار للزمان والكافرون خاسرون في كل أوان ولكن يتبين خسرانهم اذا عاينوا العذاب

وفائدة ترادف الفاآت في هذه الآيات أن فما أغنى عنهم نتيجة قوله كانوا أكثر منهم وفلما جاءتهم رسلهم كالبيان والتفسير لقوله فما أغنى عنهم كقولك رزق زيد المال فمنع المعروف فلم يحسن الى الفقراء وفلما رأوا بأسنا تابع لقوله فلما جاءتهم كأنه قال فكفروا فلما رأوا بأسنا آمنوا وكذلك فلم يك ينفعهم تابع لايمانهم لما رأوا بأس الله والله أعلم ﴿ سورة فصلت مكية وهي ثلاث وخمسون آية ﴾ ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (حم) ان جعلته اسما للسورة كان مبتدأ (تنزيل) خبر وان جعلته تعديدا للحروف كان تنزيل خبرا لمبتدأ محذوف وكتاب بدل من تنزيل أو خبر بعد خبر أو خبر مبتدأ محذوف أو تنزيل مبتدأ (من الرحمن الرحيم) صفته (كتاب) خبره (فصلت آياته) ميزت وجعلت تفاصيل في معان مختلفة من أحكام وأمثال ومواعظ ووعد ووعيد وغير ذلك

لامتناع قبوله حينئذ ولذلك قال لم يك بمعنى لم يصح ولم يستقم والفاء الاولى لان قوله فما اغنى كالنتيجة لقوله كانوا اكثر منهم والثانية لان قوله فلما جاءتهم رسلهم كالتفسير لقوله فما اغنى عنهم والباقيتان لان رؤية البأس مسببة عن مجيء الرسل وامتناع نفع الايمان مسبب عن الرؤية ﴿ سنت الله التي قد خلت في عباده ﴾ اي سن الله ذلك سنة ماضية في العباد وهي من المصادر المؤكدة ﴿ وخسر هنالك الكافرون ﴾ اي وقت رؤيتهم البأس اسم مكان استعير للزمان * عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المؤمن لم يبق روح نبي ولا صديق ولا شهيد ولا مؤمن الا صلى عليه واستغفر له

﴿ سورة حم السجدة مكية وآيها ثلاث او اربع وخمسون ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ حم ﴾ ان جعلته مبتدأ فخبره ﴿ تنزيل من الرحمن الرحيم ﴾ وان جعلته تعديدا للحروف فتنزيل خبر محذوف او مبتدأ لتخصصه بالصفة وخبره ﴿ كتاب ﴾ وهو على الاولين بدل منه او خبر آخر او خبر محذوف ولعل افتتاح هذه السور السبع بحم وتسميتها به لكونها مصدرة ببيان الكتاب متشاكلة في النظم والمعنى واضافة التنزيل الى الرحمن الرحيم للدلالة على انه مناط المصالح الدينية والدنيوية ﴿ فصلت آياته ﴾ ميزت باعتبار اللفظ والمعنى وقرئ فصلت اى فصل بعضها من بعض باختلاف

سنت الله التي قد خلت في عباده ﴾ يعني ان سنة الله قد جرت في الامم الخالية بعدم قبول الايمان عند معاينة البأس وهو العذاب يعني بتلك السنة انهم اذا رأوا العذاب آمنوا ولا ينفعهم ايمانهم عند معاينة العذاب ﴿ وخسر هنا الكافرون ﴾ أي بذهاب الدارين قيل الكافر خاسر في كل وقت ولكنه يتبين خسرانه اذا رأى العذاب والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿ تفسير سورة فصلت وتسمى سورة السجدة وسورة المصابيح ﴾

﴿ وهي مكية وهي أربع وخمسون آية وسبعمائة وست وتسعون ﴾

﴿ كلمة وثلاثة آلاف وثلاثمائة وخمسون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عز وجل ﴿ حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته ﴾ أي بينت وميزت

(سنت الله) هكذا سيرة الله (التي قد خلت) مضت (في) على (عباده) بالعذاب عند التكذيب وبرد الايمان والتوبة عند المعاينة (وخسر هنالك) (و) غبن بالعقوبة عند المعاينة (الكافرون) بالله ◄ ومن السورة التي يذكر فيها السجدة وهي كلها مكية ► ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ وباسناده عن ابن عباس في قوله تعالى (حم) يقول قضى ما هو كائن أي بين وهو قسم أقسم به (تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب) يقول هذا كتاب تنزيل من الرحمن الرحيم على محمد عليه السلام (فصلت) بينت (آياته) بالامر والنهي والحلال

(قرآناعربيا)نصب على الاختصاص والمدح أى أريد بهذا الكتاب المفصل قرآنا من صفته كيت وكيت أو على الحال أى فصلت آياته فى حال كونه قرآنا عربيا (لقوم يعلمون) أى لقوم عرب يعلمون مانزل عليهم من الآيات المفصلة المبينة بلسانهم العربى ولقوم يتعلق بتنزيل أو بفصلت أى تنزيل من الله لاجلهم أو فصلت آياته لهم والاظهر أن يكون صفة مثل ماقبله ومابعده أى قرآنا عربيا كائنا لقوم عرب (بشيرا ونذيرا) صفتان لقرآنا (فاعرض أكثرهم فهم لايسمعون) أى لايقبلون من قولك تشفعت الى فلان فلم يسمع قولى ولقد سمعه ولكنه لمالم يقبله ولم يعمل بمقتضاه فكأنه لم يسمعه (وقالوا قلوبنا فى أكنة) أغطية جمع كنان وهو الغطاء (مماتدعونا اليه) من التوحيد (وفى آذاناوقر) ثقل يمنع من استماع قولك (ومن بينناوبينك حجاب) ستر وهذه تمثيلات لنبو قلوبهم عن تقبل الحق واعتقاده كأنها فى غلف وأغطية تمنع من نفوذه فيها ومج اسماعهم له كأن بها صمما عنه ولتباعد المذهبين والدينين كأن بينهم وماهم عليه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وماهو عليه حجابا ساترا وحاجزا منيعا من جبل أونحوه فلاتلاقى ولا ترائى (فاعمل) على دينك (اناعاملون) على ديننا أو فاعمل فى ابطال أمرنا انا عاملون فى أبطال أمرك وفائدة زيادة من ان الحجاب ابتدأ مناوابتدأ منك فالمسافة المتوسطة لجهتنا وجهتك مستوعبة بالحجاب لافراغ فيها ولوقليل بيننا وبينك حجاب لكان المعنى ان حجابا حاصل وسط الجهتين (قل انما أنابشر مثلكم يوحى الى

الفواصل والمعانى اوفصلت بين الحق والباطل ﴿ قرآنا عربيا ﴾ نصب على المدح اوالحال من فصلت آياته وفيه امتنان بسهولة قراءته وفهمه ﴿ لقوم يعلمون ﴾ العربية اولاهل العلم والنظر وهو صفة اخرى لقرآنا او صلة لتنزيل اولفصلت والاول اولى لوقوعه بين الصفات ﴿ بشيرا ونذيرا ﴾ للعاملين به والمخالفين له وقرئتا بالرفع على الصفة لكتاب اوالخبر لمحذوف ﴿ فاعرض اكثرهم ﴾ لوقوعه عن تدبره وقبوله ﴿ فهم لايسمعون ﴾ سماع تأمل وطاعة ﴿ وقالوا قلوبنا فى اكنة مماتدعونا اليه ﴾ اغطية جمع كنان ﴿ وفى آذاننا وقر ﴾ صمم واصله الثقل وقرئ بالكسر ﴿ ومن بيننا وبينك حجاب ﴾ يمنعنا عن التواصل ومن للدلالة على ان الحجاب مبتدئ منهم ومنه بحيث استوعب المسافة المتوسطة ولم يبق فراغ وهذه تمثيلات لنبوقلوبهم عن ادراك ماليدعوهم اليه واعتقادهم ومج اسماعهم له وامتناع مواصلتهم وموافقتهم للرسول صلى الله عليه وسلم ﴿ فاعمل ﴾ على دينك اوفى ابطال امرنا ﴿ اننا عاملون ﴾ على ديننا اوفى ابطال امرك ﴿ قل انما انابشر مثلكم يوحى الى

وجعلت معانى مختلفة من أحكام وأمثال ومواعظ ووعد ووعيد ﴿ قرآنا عربيا ﴾ اى باللسان العربى ﴿ لقوم يعلمون ﴾ أى انا أنزلناه على العرب بلغتهم ليفهموا منه المراد ولو كان بغير لسانهم مافهموه ﴿ بشيرا ونذيرا ﴾ نعتان للقرآن أى بشيرا لاولياء الله بالثواب ونذيرا لاعدائه بالعقاب ﴿ فاعرض اكثرهم ﴾ أى عنه ﴿ فهم لايسمعون ﴾ أى لايصغون اليه تكبرا ﴿ وقالوا ﴾ يعنى مشركى مكة ﴿ قلوبنا فى أكنة ﴾ أى أغطية ﴿ مماتدعونا اليه ﴾ أى فلا نفقه ماتقول ﴿ وفى آذاننا وقر ﴾ أى صمم فلا نسمع ماتقول والمعنى انا فى ترك القبول منك بمنزلة من لايفهم ولايسمع ﴿ ومن بيننا وبينك حجاب ﴾ أى خلاف فى الدين وحاجز فى الملة فلانوافقك على ماتقول ﴿ فاعمل ﴾ أى أنت على دينك ﴿ اننا عاملون ﴾ أى على ديننا ﴿ قل ﴾ يامحمد ﴿ انما أنا بشر مثلكم ﴾ أى كواحد منكم ﴿ يوحى الى ﴾ أى لولا الوحى مادعوتكم قال الحسن علمه الله تعالى التواضع

والحرام (قرآناعربيا) على مجرى لغة العرب نزل الله جبريل به على محمد صلى الله عليه وسلم (لقوم يعلمون) يصدقون بمحمد عليه السلام والقرآن (بشيرا) بالجنة (ونذيرا) من النار يبشر بالجنة من آمن بالقرآن ويخوف من النار من كفر بالقرآن (فاعرض أكثرهم) كفار مكة عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (فهم لايسمعون) لايصدقون بمحمد عليه السلام والقرآن ولايطيعون الله (وقالوا) كفار مكة أبو جهل وأصحابه (قلوبنا فى أكنة) فى أغطية (مماتدعونا اليه) من القرآن والتوحيد (وفى آذانناوقر) صمم لانسمع قولك لنا (ومن بيننا وبينك حجاب) ستر غطوا رؤسهم بالثياب ثم قالوا يامحمد بينناوبينك حجاب ستر لانسمع كلامك استهزاء منهم بك (فاعمل) فى دينك لالهك بهلاكنا (انناعاملون) لآلهتنا فى ديننا بهلاكك (قل) لهم يامحمد (انما أنابشر) آدمى (مثلكم يوحى الى) ارسل الى جبريل

انما الهكم اله واحد) هذا جواب لقولهم قلوبنا فى أكنة ووجهه أنه قال لهم انى لست بملك وانما أنا بشر مثلكم وقد اوحى الى دونكم فصحت نبوتى بالوحى الى وأنا بشر واذا صحت نبوتى وجب عليكم اتباعى وفيما يوحى الى ان الهكم اله واحد (فاستقيموا اليه) فاستووا اليه بالتوحيد واخلاص العبادة غير ذاهبين يمينا ولا شمالا ولا ملتفتين الى ما يسول لكم الشيطان من اتخاذ الاولياء والشفعاء (واستغفروه) من الشرك (وويل للمشركين الذين لايؤتون الزكوة) لايؤمنون بوجوب الزكاة ولا يعطونها أولا يفعلون مايكونون به أزكياء وهو الايمان (وهم بالآخرة) بالبعث والثواب والعقاب (هم كافرون) وانما جعل منع الزكاة مقرونا بالكفر بالآخرة لان أحب الشئ الى الانسان ماله وهو شقيق روحه فاذا بذله فى سبيل الله فذلك أقوى دليل على استقامته وصدق نيته ونصوع طويته وما خدع المؤلفة قلوبهم الا بلمظة من الدنيا فقرت عصبيتهم ولانت شكيمتهم وما ارتدت بنو حنيفة الا بمنع الزكاة وفيه بعث للمؤمنين على أداء الزكاة وتخويف شديد من منعها (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون) مقطوع قيل نزلت فى المرضى والزمنى والهرمى اذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم الاجر كاصح ما كانوا يعملون (قل أئنكم

انما الهكم اله واحد ﴾ لست ملكا ولا جنيا لا يمكنكم التلقى منه ولا ادعوكم الى ما تنبو عنه العقول والاسماع وانما ادعوكم الى التوحيد والاستقامة فى العمل وقد يدل عليهما دلائل العقل وشواهد النقل ﴿ فاستقيموا اليه ﴾ فاستقيموا فى افعالكم متوجهين اليه اوفاستووا اليه بالتوحيد والاخلاص فى العمل ﴿ واستغفروه ﴾ مما انتم عليه من سوء العقيدة والعمل ثم هددهم على ذلك فقال ﴿ وويل للمشركين ﴾ من فرط جهالتهم واستخفافهم بالله ﴿ الذين لايؤتون الزكوة ﴾ لبخلهم وعدم اشفاقهم على الخلق وذلك من اعظم الرذائل وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بالفروع وقيل معناه لايفعلون مايزكى انفسهم وهو الايمان والطاعة ﴿ وهم بالآخرة هم كافرون ﴾ حال مشعرة بان امتناعهم عن الزكاة لاستغراقهم فى طلب الدنيا وانكارهم للآخرة ﴿ ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون ﴾ لايمن به عليهم من المن واصله الثقل اولا يقطع من مننت الحبل اذا قطعته وقيل نزلت فى المرضى والزمنى والهرمى اذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم الاجر كأصح ما كانوا يعملون ﴿ قل ائنكم

﴿ أنما الهكم اله واحد فاستقيموا اليه ﴾ أى توجهوا اليه بطاعته ولا تميلوا عن سبيله ﴿ واستغفروه ﴾ أى من ذنوبكم وشرككم ﴿ وويل للمشركين الذين لايؤتون الزكوة ﴾ قال ابن عباس لايقولون لا اله الا الله لانها زكاة الانفس والمعنى لايطهرون أنفسهم من الشرك بالتوحيد وقيل لايقرون بالزكاة المفروضة ولا يرون اتيانها واجبا يقال الزكاة قنطرة الاسلام فمن قطعها نجا ومن تخلف عنها هلك وقيل معناه لاينفقون فى طاعة الله ولا يتصدقون وقيل لايزكون أعمالهم ﴿ وهم بالآخرة هم كافرون ﴾ أى جاحدون بالبعث بعد الموت ﴿ ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون ﴾ قال ابن عباس غير مقطوع وقيل غير منقوص وقيل غير ممنون عليهم به وقيل غير محسوب قيل نزلت هذه الآية فى المرضى والزمنى والهرمى اذا عجزوا عن العمل والطاعة يكتب لهم الاجر كاصح ما كانوا يعملون فيه (خ) عن أبى موسى الاشعرى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مرة ولا مرتين يقول اذا كان العبد يعمل عملا صالحا فشغله عنه مرض أو سفر كتب الله تعالى له كصالح ما كان يعمل وهو صحيح مقيم * قوله عز وجل ﴿ قل أئنكم ﴾ استفهام بمعنى الانكار وذكر عنهم شيئين منكرين

بالقرآن أبلغكم (انما الهكم اله واحد) بلا ولد ولا شريك (فاستقيموا اليه) فاقبلوا اليه بالتوبة من الشرك (واستغفروه) وحدوه (وويل) شدة العذاب ويقال ويل واد فى جهنم من قيح ودم (للمشركين) لابى جهل وأصحابه (الذين لايؤتون الزكوة) لايقرون بلا اله الا الله (وهم بالآخرة) بالبعث بعد الموت والجنة والنار (هم كافرون) جاحدون (ان الذين آمنوا) بمحمد عليه السلام والقرآن (وعملوا الصالحات) الطاعات فيما بينهم وبين ربهم (لهم أجر) ثواب (غير ممنون) غير منقوص ويقال غير منقطع عنهم ويقال لايمنون بذلك ويقال يكتب ثواب اعمالهم بعد الهرم أو الموت الى يوم القيامة غير منقوص (قل) يا محمد (أئنكم) يا أهل مكة (احدهما)

لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين) الاحد والاثنين تعليما للاناة ولو أراد ان يخلقها فى لحظة لفعل (وتجعلون له أندادا) شركاء وأشباها (ذلك) الذى خلق ماسبق (رب العالمين) خالق جميع الموجودات وسيدها ومربيها (وجعل فيها) فى الارض (رواسى) جبالا ثوابت (من فوقها) انما اختار ارساءها فوق الارض لتكون منافع الجبال ظاهرة لطالبيها وليبصر أن الارض والجبال أثقال على أثقال كلها مفتقرة الى ممسك وهو الله عزوجل (وبارك) بالماء والزرع والشجر والثمر (فيها) فى الارض وقيل وبارك فيها وأكثر خيرها (وقدر فيها أقواتها) أرزاق أهلها ومعايشهم ومايصلحهم وقرأ ابن مسعود رضى الله عنه وقسم فيها أقواتها (فى أربعة أيام) فى تتمة أربعة أيام يريد بالتتمة اليومين تقول سرت من البصرة الى بغداد فى عشرة والى الكوفة فى خمسة عشرة أى تتمة خمسة عشر ولابد من هذا التقدير لانه لو أجرى على الظاهر لكانت ثمانية أيام لانه قال خلق الارض فى يومين ثم قال وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام ثم قال فقضاهن سبع سموات فى يومين فيكون خلاف قوله فى ستة أيام فى موضع آخر وفى الحديث ان الله تعالى خلق الارض يوم الاحد والاثنين وخلق الجبال يوم الثلاثاء وخلق يوم الاربعاء

لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين ﴾ فى مقدار يومين او بنوبتين وخلق فى كل نوبة ماخلق فى اسرع مايكون ولعل المراد من الارض مافى جهة السفل من الاجرام البسيطة ومن خلقها فى يومين انه خلق لها اصلا مشتركا ثم خلق لها صورا بها صارت انواعا وكفرهم به الحادهم فى ذاته وصفاته ﴿ وتجعلون له اندادا ﴾ ولا يصح ان يكون له ند ﴿ ذلك ﴾ الذى خلق الارض فى يومين ﴿ رب العالمين ﴾ خالق جميع ماوجد من الممكنات ومربيها ﴿ وجعل فيها رواسى ﴾ استئناف غير معطوف على خلق للفصل بما هو خارج عن الصلة ﴿ من فوقها ﴾ مرتفعة عليها ليظهر للنظار مافيها من وجوه الاستبصار وتكون منافعها معرضة للطلاب ﴿ وبارك فيها ﴾ واكثر خيرها بان خلق فيها انواع النبات والحيوانات ﴿ وقدر فيها اقواتها ﴾ اقوات اهلها بان عين لكل نوع مايصلحه ويعيش به او اقواتا تنشأ منها بان خص حدوث كل قوت بقطر من اقطارها وقرئ وقسم فيها اقواتها ﴿ فى اربعة ايام ﴾ فى تتمة اربعة ايام كقولك سرت من البصرة الى بغداد فى عشرة ايام والى الكوفة فى خمسة عشر يوما ولعله قال ذلك ولم يقل فى يومين للاشعار باتصالهما

احدهما الكفر بالله تعالى وهو قوله تعالى ﴿ لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين ﴾ وثانيهما ﴿ وتجعلون له أندادا ﴾ اثبات الشركاء والانداد له والمعنى كيف يجوز جعل هذه الاصنام الخسيسة أندادا لله تعالى مع انه تعالى هو الذى خلق الارض فى يومين يعنى الاحد والاثنين ﴿ ذلك رب العالمين ﴾ أى هو رب العالمين وخالقهم المستحق للعبادة لا الاصنام المنحوتة من الخشب والحجر ﴿ وجعل فيها رواسى ﴾ أى جبالا ثوابت ﴿ من فوقها ﴾ أى من فوق الارض ﴿ وبارك فيها ﴾ أى فى الارض بكثرة الخيرات الحاصلة فيها وهو ما خلق فيها من البحار والانهار والاشجار والثمار وخلق أصناف الحيوانات وكل مايحتاج اليه ﴿ وقدر فيها أقواتها ﴾ أى قسم فى الارض أرزاق العباد والبهائم وقيل قدر فى كل بلدة مالم يجعله فى الاخرى ليعيش بعضهم من بعض بالتجارة وقيل قدر البر لاهل قطر من الارض والتمر لاهل قطر آخر والذرة لاهل قطر والسمك لاهل قطر وكذلك سائر الاقوات وقيل ان الزراعة أكثر الحرف بركة لان الله تعالى وضع الاقوات فى الارض قال الله تعالى وقدر فيها أقواتها ﴿ فى أربعة أيام ﴾ أى مع اليومين الاولين فخلق الارض فى يومين وقدر الاقوات فى يومين وهما يوم الثلاثاء ويوم الاربعاء فصارت أربعة أيام

(لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين) طول كل يوم ألف سنة مما تعدون يوم الاحد ويوم الاثنين (وتجعلون له أندادا) اعدالا من الاصنام (ذلك) الذى خلقهما (رب العالمين) رب كل شئ ذى روح (وجعل فيها) خلق فيها (رواسى) الجبال الثوابت (من فوقها) أوتادا لها (وبارك فيها) فى الارض بالماء والشجر والنبات والثمار (وقدر فيها أقواتها) معايشها فى كل أرض معيشة ليست فى غيرها (فى أربعة أيام) يقول خلق الله الارواح قبل الاجساد باربعة آلاف

الشجر والماء والعمران والخراب فتلك أربعة أيام وخلق يوم الخميس السماء وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر
والملائكة وخلق آدم عليه السلام في آخر ساعة من يوم الجمعة قيل هي الساعة
التي تقوم فيها القيامة (سواء) يعقوب صفة للايام أي في أربعة أيام مستويات تامات سواء بالرفع يزيد أي هي سواء غيرهما سواء على المصدر اى استوت سواء أي استواء أو على الحال (للسائلين) متعلق بقدر أي قدر فيها الاقوات لاجل الطالبين لها والمحتاجين اليها لان كلا يطلب القوت ويسأله أو بمحذوف كانه قيل هذا الحصر لاجل من سأل في كم خلقت الارض وما فيها (ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين)

باليومين الاولين والتصريح على الفذلكة ﴿ سواء ﴾ اى استوت سواء بمعنى استواء والجملة صفة ايام ويدل عليه قراءة يعقوب بالجر وقيل حال من الضمير في اقواتها او في فيها وقرئ بالرفع على هي سواء ﴿ للسائلين ﴾ متعلق بمحذوف تقديره هذا الحصر للسائلين عن مدة خلق الارض وما فيها او بقدر اى قدر فيها الاقوات للطالبين لها ﴿ ثم استوى الى السماء ﴾ قصد نحوها من قولهم استوى الى مكان كذا اذا توجه اليه توجها لايلوى على غيره والظاهر ان ثم لتفاوت ما بين الخلقين لا للتراخي في المدة لقوله والارض بعد ذلك دحاها ودحوها متقدم على خلق الجبال من فوقها ﴿ وهي دخان ﴾ امر ظلماني ولعله اراد به مادتها او الاجزاء المتصعدة التي ركبت منها ﴿ فقال لها وللارض ائتيا ﴾ بما خلقت فيكما من التأثير والتأثر وابرزاما اودعتكما من الاوضاع المختلفة والكائنات المتنوعة او ائتيا في الوجود على ان الخلق السابق بمعنى التقدير او الترتيب للرتبة او الاخبار او اتيان السماء حدوثها واتيان الارض ان تصير مدحوة وقد عرفت ما فيه اوليأت كل منكما الاخرى في حدوث ما اريد توليده منكما ويؤيده قراءة وآتيا من المؤاتاة اى ليوافق كل واحدة اختها فيما اردت منكما ﴿ طوعا اوكرها ﴾ شئتما ذلك او ابيتما والمراد اظهار كمال قدرته ووجوب وقوع مراده لااثبات الطوع والكره لهما وهما مصدران وقعا موقع الحال ﴿ قالتا آتينا طائعين ﴾ منقادين بالذات والاظهر ان المراد

ردالآخر على الاول في الذكر ﴿ سواء للسائلين ﴾ معناه سواء لمن سأل عن ذلك أي فهكذا الامر سواء لازيادة فيه ولانقصان جوابا لمن سأل في كم خلقت الارض والاقوات ﴿ ثم استوى الى السماء ﴾ أي عمد الى خلق السماء ﴿ وهي دخان ﴾ ذلك الدخان كان بخار الماء قيل كان العرش قبل خلق السموات والارض على الماء فلما أراد الله تعالى ان يخلق السموات والارض أمر الريح فضربت الماء فارتفع منه بخار كالدخان فخلق منه السماء ثم أيبس الماء فخلقه أرضا واحدة ثم فتقها فجعلها سبعا فان قلت هذه الآية مشعرة بان خلق الارض كان قبل خلق السماء وقوله والارض بعد ذلك دحاها مشعر بان خلق الارض بعد خلق السماء فكيف الجمع بينهما قلت الجواب المشهور انه تعالى خلق الارض أولا ثم خلق السماء بعدها ثم بعد خلق السماء دحا الارض ومدها وجواب آخر وهو ان يقال ان خلق السماء مقدم على خلق الارض فعلى هذا يكون معنى الآية خلق الارض في يومين وليس الخلق عبارة عن الايجاد والتكوين فقط بل هو عبارة عن التقدير أيضا فيكون المعنى قضى ان يحدث الارض في يومين بعد احداث السماء فعلى هذا يزول الاشكال والله أعلم بالحقيقة ﴿ فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها ﴾ أي ائتيا ما أمرتكما به أي افعلاه وقيل افعلا ما أمرتكما طوعا والا ألجأتكما الى ذلك حتى تفعلاه كرها فاجابتا بالطوع ﴿ قالتا أتينا طائعين ﴾ معناه أتينا بما فينا طائعين فلما وصفهما بالقول أجراهما في الجمع مجرى من يعقل قيل قال الله تعالى لهما اخرجا ما خلقت فيكما

سنة من سني الدنيا وقدر فيها ارزاق الاجساد قبل أرواحها باربعة آلاف سنة من سني الدنيا (سواء للسائلين) سواء لمن سأل ولمن لم يسأل يعني الرزق ويقال بيانا للسائلين كيف خلقها هكذا خلقها (ثم استوى الى السماء) ثم عمد الى خلق السماء (وهي دخان) بخار الماء (فقال لها) للسماء (وللارض) بعد ما فرغ منهما (ائتيا) أعطيا ما فيكما من الماء والنبات (طوعا أو كرها قالتا أتينا) أعطينا (طائعين) لله كارهين بجفاء ﴿ من ﴾

هو مجاز عن ايجاد الله تعالى السماء على ما أراد تقول العرب فعل فلان كذا ثم استوى الى عمل كذا يريدون انه أكمل الاول وابتدأ الثاني ويفهم منه ان خلق السماء كان بعد خلق الارض وبه قال ابن عباس رضي الله عنهما وعنه انه قال أول ما خلق الله تعالى جوهرة طولها وعرضها مسيرة ألف سنة في مسيرة عشرة آلاف سنة فنظر اليها بالهيبة فذابت واضطربت ثم ثار منها دخان بتسليط النار عليها فارتفع واجتمع زبد فقام فوق الماء فجعل الزبد أرضا والدخان سماء ومعنى أمر السماء والارض بالاتيان وامتثالهما انه أراد ان يكونهما فلم يمتنعا عليه ووجدتا كما أرادهما وكانتا في ذلك كالمأمور المطيع اذا ورد عليه فعل الآمر المطاع وانما ذكر الارض مع السماء في الامر بالاتيان والارض مخلوقة قبل السماء بيومين لانه قد خلق جرم الارض أولا غير مدحوة ثم دحاها بعد خلق السماء كما قال والارض بعد ذلك دحاها فالمعنى ائتيا على ما ينبغي أن تأتيا عليه من الشكل والوصف ﴿ ٣٧٥ ﴾ ائتي يا أرض مدحوة {سورة فصلت} قرارا ومهادا لاهلك وائتي يا سماء مقبية سقفا لهم ومعنى الاتيان الحصول والوقوع كما تقول أتى عمله مرضيا وقوله طوعا أو كرها لبيان تأثير قدرته فيهما وان امتناعهما من تأثير قدرته محال كما تقول لمن تحت يدك لتفعلن هذا شئت أو أبيت ولتفعلنه طوعا أو كرها وانتصابهما على الحال بمعنى طائعتين أو مكرهتين وانما لم يقل طائعتين على اللفظ أو طائعات على المعنى لانهما سموات وأرضون لانهن لما جعلن مخاطبات ومجيبات ووصفهن بالطوع والكره قيل طائعين في موضع طائعات كقوله ساجدين (فقضاهن) فاحكم خلقهن قال وعليهما مسرودتان قضاهما والضمير يرجع الى السماء لان السماء للجنس ويجوز ان يكون ضميرا مبهما مفسرا بقوله (سبع سموات) والفرق بين النصبين في سبع سموات الاول على الحال والثاني على التمييز (في يومين) في يوم الخميس والجمعة (وأوحى في كل سماء أمرها) ما أمر به فيها ودبره من خلق الملائكة والنيران وغير ذلك (وزينا السماء الدنيا) القريبة من الارض (بمصابيح) بكواكب (وحفظا) وحفظناها من المسترقة بالكواكب حفظا

تصوير تأثير قدرته فيهما وتأثرهما بالذات عنها وتمثيلهما بامر المطاع واجابة المطيع الطائع كقوله كن فيكون وما قيل انه تعالى خاطبهما واقدرهما على الجواب انما يتصور على الوجه الاول والاخير وانما قال طائعين على المعنى باعتبار كونهما مخاطبتين كقوله تعالى ساجدين ﴿ فقضاهن سبع سموات ﴾ فخلقهن خلقا ابداعيا واتقن امرهن والضمير للسماء على المعنى او مبهم وسبع سموات حال على الاول وتمييز على الثاني ﴿ في يومين ﴾ قيل خلق السموات يوم الخميس والشمس والقمر والنجوم يوم الجمعة ﴿ واوحى في كل سماء امرها ﴾ شأنها وما يتأتى منها بان حملها عليه اختيارا او طبعا وقيل اوحى الى اهلها باوامره ﴿ وزينا السماء الدنيا بمصابيح ﴾ فان الكواكب كلها ترى كانها تتلألأ عليها ﴿ وحفظا ﴾ اى وحفظناها من الآفات او من المسترقة حفظا وقيل مفعول له على المعنى كأنه قال وخصصنا السماء الدنيا بمصابيح زينة وحفظا

من المنافع لمصالح العباد اما أنت يا سماء فاطلعي شمسك وقمرك ونجومك وأنت يا أرض فشقي أنهارك وأخرجي ثمارك ونباتك * وقوله تعالى ﴿ فقضاهن سبع سموات ﴾ أي أتمهن وفرغ من خلقهن ﴿ في يومين ﴾ وهما الخميس والجمعة ﴿ وأوحى في كل سماء أمرها ﴾ قال ابن عباس خلق في كل سماء خلقا من الملائكة وخلق ما فيها من البحار وجبال البرد وما لا يعلمه الا الله تعالى وقيل أوحى الى كل سماء ما أراد من الامر والنهي ﴿ وزينا السماء الدنيا ﴾ أي التي تلي الارض ﴿ بمصابيح ﴾ أي بكواكب تشرق كالمصابيح ﴿ وحفظا ﴾ أي وجعلناها يعني الكواكب حفظا للسماء من الشياطين الذين يسترقون

الخلق (فقضاهن) خلقهن (سبع سموات) بعضها فوق بعض (في يومين) طول كل يوم ألف سنة (وأوحى في كل سماء امرها) خلق لكل سماء أهلا وأمرها أمرها (وزينا السماء الدنيا) الاولى (بمصابيح) بالنجوم (وحفظا) وحفظناها بالنجوم من الشياطين فبعض النجوم زينة السماء لا يتحرك وبعضها يهتدى به في ظلمات البر والبحر وبعضها رجوم للشياطين

(ذلك تقديرالعزيز) الغالب غيرالمغلوب (العليم) بمواقع الامور (فان أعرضوا) عن الايمان بعد هذا البيان (فقل أنذرتكم) خوفتكم (صاعقة) عذابا شديدالوقع كانه صاعقة وأصلها رعد معه نار (مثل صاعقة عاد وثمود اذجاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم) أى أتوهم من كل جانب وعملوا فيهم كل حيلة فلم يروا منهم الاالاعراض وعن الحسن أنذروهم من وقائع الله فيمن قبلهم من الامم وعذاب الآخرة (أن) بمعنى أى أومخففة من الثقيلة أصله بانه (لاتعبدوا الاالله قالوا) أى القوم (لوشاء ربنا) ارسال الرسل فمفعول شاء محذوف (لانزل ملائكة فانا بما أرسلتم به كافرون) معناه فاذا أنتم بشر ولستم بملائكة فانالن

نؤمن بكم وبما جئتم به وقوله أرسلتم به ليس باقرار بالارسال وانما هو على كلام الرسل وفيه تهكم كما قال فرعون ان رسولكم الذى أرسل اليكم لمجنون وقولهم فانا بما أرسلتم به كافرون خطاب منهم لهود وصالح ولسائر الانبياء الذين دعوا الى الايمان بهم روى ان قريشا بعثوا عتبة ابن ربيعة وكان أحسنهم حديثا ليكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم وينظر مايريد فاتاه وهو فى الحطيم فلم يسأل شيأ الا اجابه ثم قرأ عليه السلام السورة الى قوله مثل صاعقة عاد وثمود فناشده بالرحم وأمسك على فيه ووثب مخافة ان يصب عليهم العذاب فاخبرهم به وقال لقد عرفت السحر والشعر فوالله ماهو بساحر ولابشاعر فقالوا لقد صبأت أما فهمت منه كلمة فقال لا لم اهتد الى جوابه فقال عثمان بن مظعون ذلك والله لتعلموا انه من رب العالمين ثم بين ما ذكر من صاعقة عاد وثمود فقال

﴿ ذلك تقدير العزيز العليم ﴾ البالغ فى القدرة والعلم ﴿ فان اعرضوا ﴾ عن الايمان بعد هذا البيان ﴿ فقل انذرتكم صاعقة ﴾ فحذرهم ان يصيبهم عذاب شديد الوقع كأنه صاعقة ﴿ مثل صاعقة عاد وثمود ﴾ وقرئ صعقة مثل صعقة عاد وهى المرة من الصعق او الصعق يقال صعقته الصاعقة صعقا فصعق صعقا ﴿ اذجاءتهم الرسل ﴾ حال من صاعقة عاد ولا يجوز جعله صفة لصاعقة او ظرفا لانذرتكم لفساد المعنى ﴿ من بين ايديهم ومن خلفهم ﴾ من جميع جوانبهم واجتهدوا بهم من كل جهة او من جهة الزمن الماضى بالانذار عما جرى فيه على الكفار ومن جهة المستقبل بالتحذير عما اعدلهم فى الآخرة وكل من اللفظين يحتملهما او من قبلهم ومن بعدهم اذ قد بلغهم خبر المتقدمين واخبرهم هود وصالح عن المتأخرين داعين الى الايمان بهم اجمعين ويحتمل ان يكون عبارة عن الكثرة كقوله تعالى يأتيها رزقها رغدا من كل مكان ﴿ ألا تعبدوا الا الله ﴾ بان لا تعبدوا او اى لا تعبدوا ﴿ قالوا لوشاء ربنا ﴾ ارسال الرسل ﴿ لانزل ملائكة ﴾ برسالته ﴿ فانا بما ارسلتم به ﴾ على زعمكم ﴿ كافرون ﴾ اذ انتم بشر مثلنا لا فضل

السمع ﴿ ذلك ﴾ أى الذى ذكر من صنعه وخلقه ﴿ تقدير العزيز ﴾ أى فى ملكه ﴿ العليم ﴾ أى بخلقه وفيه اشارة الى كمال القدرة والعلم * قوله تعالى ﴿ فان أعرضوا ﴾ يعنى هؤلاء المشركين عن الايمان بعد هذا البيان ﴿ فقل أنذرتكم ﴾ أى خوفتكم ﴿ صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود ﴾ أى هلاكا مثل هلاكهم والصاعقة المهلكة من كل شئ ﴿ اذجاءتهم الرسل ﴾ يعنى الى عاد وثمود ﴿ من بين أيديهم ﴾ يعنى الرسل الذين أرسلوا الى آبائهم ﴿ ومن خلفهم ﴾ يعنى ومن بعد الرسل الذين أرسلوا الى آبائهم وهم الرسل الذين أرسلوا اليهم وهما هود وصالح وانما خص هاتين القبيلتين لان قريشا كانوا يمرون على بلادهم ﴿ أن لا ﴾ أى بان لا ﴿ تعبدوا الا الله قالوا لوشاء ربنا لانزل ملائكة ﴾ يعنى لوشاء ربنا دعوة الخلق لانزل ملائكة بدل هؤلاء الرسل ﴿ فانا بما أرسلتم به كافرون ﴾ روى البغوى باسناد الثعلبى عن جابر بن عبدالله قال قال الملأ من قريش وأبو جهل قد

(التبس)

(ذلك تقدير) تدبير (العزيز) بالنقمة لمن لا يؤمن به (العليم) بتدبيره وبمن آمن به وبمن لا يؤمن به (فان أعرضوا) كفار مكة عن الايمان وهو عتبة وأصحابه (فقل أنذرتكم) خوفتكم بالقرآن (صاعقة) عذابا (مثل صاعقة) مثل عذاب (عاد وثمود اذجاءتهم الرسل من بين أيديهم) من قبل عاد وثمود الى قومهم (ومن خلفهم) من بعدهم أيضا جاءت الرسل الى قومهم وقالوا لقومهم (ألا تعبدوا) أن لا توحدوا (الا الله قالوا) كل قوم لرسولهم (لوشاء ربنا) أن ينزل الينا رسولا (لانزل ملائكة) من الملائكة الذين عنده (فانا بما أرسلتم به كافرون) جاحدون ما أنتم الا بشر مثلنا

التبس علينا أمر محمد فلو التمستم رجلا عالما بالشعر والكهانة والسحر فاتاه فكلمه ثم اتانا ببيان من أمره فقال عتبة بن ربيعة والله لقد سمعت الشعر والكهانة والسحر وعلمت من ذلك علما ومايخفى على ان كان كذلك فاتاه فلما خرج اليه قال يامحمد أنت خير أم هاشم أنت خير أم عبد المطلب أنت خير أم عبد الله فيم تشتم آلهتنا وتضلل آباءنا فان كان مابك للرياسة عقدنا لك ألويتنا فكنت رئيسا مابقيت وان كان بك الباءة زوجناك عشر نسوة تختارهن من أى بنات قريش وان كان بك المال جمعنا لك ماتستغنى به أنت وعقبك من بعدك ورسول الله صلى الله عليه وسلم ساكت لايتكلم فلما فرغ قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته الى قوله تعالى فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فامسك عتبة على فيه وناشده الرحم ورجع الى أهله ولم يخرج الى قريش واحتبس عنهم فقال أبو جهل يامعشر قريش والله مانرى عتبة الاقد صبأ الى محمد وأعجبه طعامه وماذاك الامن حاجة أصابته فانطلقوا بنا اليه فانطلقوا اليه فقال أبو جهل والله ياعتبة ماحبسك عنا الاأنك صبوت الى محمد وأعجبك طعامه فان كانت بك حاجة جمعنا لك من أموالنا مايغنيك عن طعام محمد فغضب عتبة وأقسم لايكلم محمدا أبدا وقال والله لقد علمتم أنى من أكثر قريش مالا ولكنى أتيته وقصصت عليه القصة فاجابنى بشئ والله ماهو بشعر ولا كهانة ولا سحر وقرأ السورة الى قوله تعالى فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فامسكت بفيه وناشدته الرحم أن يكف وقد علمتم أن محمدا اذا قال شيأ لم يكذب فخفت ان ينزل بكم العذاب وقال محمد بن كعب القرظى حدثت ان عتبة بن ربيعة كان سيدا حليما قال يوما وهو جالس فى نادى قريش ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس وحده فى المسجد يامعشر قريش ألا اقوم الى محمد فاكلمه وأعرض عليه أمورا لعله يقبل منا بعضها فنعطيه ويكف عنا وذلك حين أسلم حمزة ورأوا ان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يزيدون ويكثرون قالوا بلى ياأبا الوليد فقم اليه وكلمه فقام عتبة حتى جلس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ياابن أخى انك منا حيث علمت من البسطة فى العشيرة والمكانة فى النسب وانك قد أتيت قومك بامر عظيم فرقت جماعتهم وسفهت أحلامهم وعبت آلهتهم وكفرت من مضى من آبائهم فاستمع منى أعرض عليك أمورا تنظر فيها فقال صلى الله عليه وسلم قل ياأبا الوليد فقال ياابن اخى ان كنت انما تريد بما جئت به مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون من أكثرنا مالا وان كنت تريد شرفا سودناك علينا وان كان هذا الذى بك رئيا تراه لاتستطيع رده طلبنا لك الطب أو لعل هذا شعر جاش به صدرك فنعذرك فانكم لعمرى بنى عبد المطلب تقدرون من ذلك على مالايقدر عليه أحد حتى اذا فرغ قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أقد فرغت ياأبا الوليد قال نعم قال فاستمع منى قال فافعل فقال بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته ثم مضى فيها يقرأ فلما سمعها عتبة أنصت وألقى يديه خلف ظهره معتمدا عليها يستمع منه حتى انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى السجدة فسجد ثم قال اسمعت ياأبا الوليد قال سمعت فانت وذاك فقام عتبة الى أصحابه فقال بعضهم

(فاما عاد فاستكبروا فى الارض بغير الحق) أى تعظموا فيها على أهلها بمالايستحقون به التعظيم وهو القوة وعظم الاجرام أواستولواعلى الارض بغير استحقاق للولاية (وقالوامن اشد مناقوة) كانوا ذوى أجسام طوال وخلق عظيم وبلغ من قوتهم أن الرجل كان يقتلع الصخرة من الجبل بيده (أولم يروا) أولم يعلموا علما يقوم مقام العيان (أن الله الذى خلقهم هوأشد منهم قوة) أوسع منهم قدرة لانه قادر على كل شئ وهم قادرون على بعض الاشياء باقداره (وكانوا باياتنا يجحدون) معطوف على فاستكبروا أى كانوا يعرفون انها حق ولكنهم جحدوها كما يجحد المودع الوديعة (فارسلنا عليهم ريحا صرصرا) عاصفة تصرصر أى تصوت فى هبوبها من الصرير أوباردة تحرق بشدة بردها تكرير لبناء الصر وهو البرد قيل انها الدبور (فى أيام نحسات) مشؤمات عليهم نحسات مكى وبصرى ونافع ونحس نحسا نقيض سعد سعدا وهو نحس وأما نحس فاما مخفف نحس أو صفة على فعل أو وصف بمصدر وكانت من الاربعاء فى آخر شوال الى الاربعاء وماعذب قوم الا فى الاربعاء (لنذيقهم عذاب الخزى فى الحيوة الدنيا) أضاف العذاب الى الخزى وهو الذل على أنه وصف للعذاب كانه قال عذاب خزى كما تقول فعل السوء

لكم علينا ﴿ فاما عاد فاستكبروا فى الارض بغير الحق ﴾ فتعظموا فيها على اهلها بغير استحقاق ﴿ وقالوا من اشد مناقوة ﴾ اغترارا بقوتهم وشوكتهم قيل كان من قوتهم ان الرجل منهم ينزع الصخرة فيقلعها بيده ﴿ أولم يروا ان الله الذى خلقهم هواشد منهم قوة ﴾ قدرة فانه قادر بالذات مقتدر على مالايتناهى قوى على مالا يقدر عليه غيره ﴿ وكانوا بآياتنا يجحدون ﴾ يعرفون انها حق وينكرونها وهو عطف على فاستكبروا ﴿ فارسلنا عليهم ريحا صرصرا ﴾ باردة تهلك بشدة بردها من الصر وهو البرد الذى يصر اى يجمع اوشديد الصوت فى هبوبها من الصرير ﴿ فى ايام نحسات ﴾ جمع نحسة من نحس نحسا نقيض سعد سعدا وقرأ الحجازيان والبصريان بالسكون على التخفيف او النعت على فعل او الوصف بالمصدر قيل كن آخر شوال من الاربعاء الى الاربعاء وماعذب قوم الا فى يوم الاربعاء ﴿ لنذيقهم عذاب الخزى فى الحيوة الدنيا ﴾ اضاف

لبعض نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذى ذهب به فلما جلس اليهم قالوا ماوراءك ياأبا الوليد قال ورائى انى سمعت قولا والله ماسمعت بمثله قط ماهو بشعر ولا بسحر ولا كهانة يامعشر قريش أطيعونى يامعشر قريش خلوا بين هذا الرجل وبين ماهو فيه واعتزلوه فوالله ليكونن لقوله الذى سمعت منه نبأ فان تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم وان يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم وأنتم أسعد الناس به قالوا سحرك والله محمد ياأبا الوليد بلسانه قال هذا رأيى لكم فاصنعوا مابدا لكم * قوله عز وجل ﴿ فاما عاد فاستكبروا فى الارض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة ﴾ وذلك أن هودا هددهم بالعذاب فقالوا نحن نقدر على دفع العذاب عنا بفضل قوتنا وكانوا ذوى أجسام طوال قال الله تعالى ردا عليهم ﴿ أولم يروا ﴾ أى أولم يعلموا ﴿ ان الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون فارسلنا عليهم ريحا صرصرا ﴾ أى عاصفا شديد الصوت وقيل هى الريح الباردة قيل ان الريح ثمانية فاربع منها عذاب وهى الريح الصرصر والعاصف والقاصف والعقيم وأربع منها رحمة وهى الناشرات والمبشرات والمرسلات والذاريات قيل أرسل عليهم من الريح على قدر خرق الخاتم فاهلكوا جميعا ﴿ فى أيام نحسات ﴾ أى نكدات مشؤمات ذات نحس وقيل ذات غبار وتراب ثائر لايكاد يبصر فيه وقيل أمسك الله عز وجل عنهم المطر ثلاث سنين ودأبت عليهم الريح من غير مطر ﴿ لنذيقهم عذاب الخزى ﴾ أى عذاب الذل والهوان وذلك مقابل لقوله فاستكبروا فى الارض بغير الحق ﴿ فى الحيوة الدنيا ﴾ أى ذلك الذى نزل بهم من

(فاماعاد) قوم هود (فاستكبروا) تعظموا عن الايمان (فى الارض بغير الحق) بلا حق كان لهم (وقالوا) لهود (من أشد مناقوة) بالبدن والمنعة فيهلكنا (أولم يروا) أولم يعلموا (ان الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة) منعة يقدر على اهلاكهم (وكانوا بآياتنا) بكتابنا ورسولنا هود (يجحدون) يكفرون (فارسلنا) سلطنا (عليهم ريحا صرصرا) باردا شديدا (فى أيام نحسات) مشئومات عليهم بالعذاب ويقال شديدة (لنذيقهم عذاب الخزى) الشديد (فى الحيوة الدنيا

تريد الفعل السيء ويدل عليه قوله (ولعذاب الآخرة أخزى) وهو من الاسناد المجازى ووصف العذاب بالخزى أبلغ من وصفهم به فشتان ما بين قوليك هو شاعر وله شعر شاعر (وهم لا ينصرون) من الاصنام التى عبدوها على رجاء النصر لهم (وأما ثمود) بالرفع على الابتداء وهو الفصيح لوقوعه بعد حرف الابتداء والخبر (فهديناهم) وبالنصب المفضل باضمار فعل يفسره فهديناهم أى بينا لهم الرشد (فاستحبوا العمى على الهدى) فاختاروا الكفر على الايمان (فأخذتهم صاعقة العذاب) داهية العذاب (الهون) الهوان وصف به العذاب مبالغة أو أبدله منه (بما كانوا يكسبون) بكسبهم وهو شركهم ومعاصيهم وقال الشيخ أبو منصور يحتمل ما ذكر من الهداية التبيين كما بينا ويحتمل خلق الاهتداء فيهم فصاروا مهتدين ثم كفروا بعد ذلك وعقروا الناقة لان الهدى المضاف الى الخالق يكون بمعنى البيان والتوفيق وخلق فعل الاهتداء فاما الهدى المضاف الى الخلق يكون بمعنى البيان لا غير وقال صاحب الكشاف فيه فان قلت أليس معنى قولك هديته جعلت فيه الهدى والدليل عليه قولك هديته فاهتدى بمعنى تحصيل البغية وحصولها كما تقول ردعته فارتدع فكيف ساغ استعماله فى الدلالة المجردة قلت للدلالة على انه مكنهم فازواح عللهم ولم يبق لهم عذر فكأنه حصل البغية فيهم بتحصيل ما يوجبها ويقتضيها وانما تمحل بهذا لانه لا يتمكن من أن يفسره بخلق الاهتداء لانه يخالف مذهبه الفاسد (ونجينا الذين آمنوا) أى اختاروا الهدى على العمى من تلك الصاعقة (وكانوا يتقون) اختيار العمى على الهدى (ويوم يحشر أعداء الله الى النار) أى الكفار من الاولين والآخرين نحشر أعداء نافع ويعقوب (فهم يوزعون) يحبس أولهم على آخرهم أى يستوقف سوابقهم حتى يلحق بهم تواليهم وهى عبارة عن كثرة أهل النار وأصله من وزعته أى كففته

العذاب الى الخزى وهو الذل على قصد وصفه به لقوله ﴿ ولعذاب الآخرة اخزى ﴾ وهو فى الاصل صفة المعذب وانما وصف به العذاب على الاسناد المجازى للمبالغة ﴿ وهم لا ينصرون ﴾ بدفع العذاب عنهم ﴿ واما ثمود فهديناهم ﴾ فدللناهم على الحق بنصب الحجج وارسال الرسل وقرئ ثمود بالنصب بفعل مضمر يفسره ما بعده ومنونا فى الحالين وبضم الثاء ﴿ فاستحبوا العمى على الهدى ﴾ فاختاروا الضلالة على الهدى ﴿ فاخذتهم صاعقة العذاب الهون ﴾ صاعقة من السماء فاهلكتهم واضافتها الى العذاب ووصفه بالهون للمبالغة ﴿ بما كانوا يكسبون ﴾ من اختيار الضلالة ﴿ ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾ من تلك الصاعقة ﴿ ويوم يحشر اعداء الله الى النار ﴾ وقرأ نافع نحشر بالنون مفتوحة وضم الشين ونصب اعداء وقرئ يحشر على البناء للفاعل وهو الله تعالى ﴿ فهم يوزعون ﴾ يحبس اولهم على آخرهم لئلا يتفرقوا

الخزى والهوان فى الحياة الدنيا ﴿ ولعذاب الآخرة أخزى ﴾ أى أشد اهانة ﴿ وهم لا ينصرون ﴾ أى لا يمنعون من العذاب ﴿ وأما ثمود فهديناهم ﴾ قال ابن عباس بينا لهم سبيل الهدى وقيل دللناهم على الخير والشر ﴿ فاستحبوا العمى على الهدى ﴾ أى اختاروا الكفر على الايمان ﴿ فاخذتهم صاعقة العذاب الهون ﴾ أى ذى الهوان ﴿ بما كانوا يكسبون ﴾ أى من الشرك ﴿ ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾ أى يتقون الشرك والاعمال الخبيثة وهم صالح ومن آمن معه من قومه ● قوله تعالى ﴿ ويوم يحشر أعداء الله الى النار فهم يوزعون ﴾ أى يساقون ويدفعون وقيل يحبس أولهم حتى يلحق آخرهم

ولعذاب الآخرة أخزى) أشد مما كان لهم فى الدنيا (وهم لا ينصرون) لا يمنعون من عذاب الله (وأما ثمود) قوم صالح (فهديناهم) بعثنا اليهم صالحا وبينا لهم الكفر والايمان والحق والباطل (فاستحبوا العمى على الهدى) فاختاروا الكفر على الايمان (فأخذتهم صاعقة العذاب) الصيحة بالعذاب (الهون) الشديد (بما كانوا يكسبون) يقولون ويعملون فى كفرهم وبعقرهم الناقة (ونجينا الذين آمنوا) بصالح (وكانوا يتقون) الكفر والشرك وعقر الناقة (ويوم) وهو يوم القيامة (يحشر أعداء الله الى النار) صفوان بن امية وختناه ربيعة بن عمرو وحبيب بن عمرو وسائر الكفار (فهم يوزعون) يحبس الاول على الآخر

(حتى اذا ماجاؤها) صاروا بحضرتها وما مزيدة للتأكيد ومعنى التأكيد ان وقت مجيئهم النار لامحالة أن يكون وقت الشهادة عليهم ولا وجه لان يخلوها (شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون) شهادة الجلود بملامسة الحرام وقيل هى كناية عن الفروج (وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا) لما تعاظمهم من شهادتها عليهم (قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شئ) من الحيوان والمعنى ان نطقنا ليس بعجب من قدرة الله الذى قدر على انطاق كل حيوان (وهو خلقكم أول مرة واليه ترجعون) وهو قادر على انشائكم أول مرة وعلى اعادتكم ورجوعكم الى جزائه (وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم) أى انكم كنتم تستترون بالحيطان والحجب عند ارتكاب الفواحش وما كان استتاركم ذلك خيفة ان يشهد عليكم جوارحكم لانكم كنتم غير عالمين بشهادتها عليكم بل كنتم جاحدين بالبعث والجزاء أصلا (ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون) ولكنكم انما

وهى عبارة عن كثرة اهل النار ﴿ حتى اذا ماجاؤها ﴾ اذا حضروها وما مزيدة لتأكيد اتصال الشهادة بالحضور ﴿ شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون ﴾ بان ينطقها الله اويظهر عليها آثارا تدل على مااقترف بها فتنطق بلسان الحال ﴿ وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا ﴾ سؤال توبيخ اوتعجب ولعل المراد به نفس التعجب ﴿ قالوا انطقنا الله الذى انطق كل شئ ﴾ اى مانطقنا باختيارنا بل انطقنا الله الذى انطق كل شئ اوليس نطقنا بعجب من قدرة الله الذى انطق كل حى ولو اول الجواب والنطق بدلالة الحال بقى الشئ عاما فى الموجودات الممكنة ﴿ وهو خلقكم اول مرة واليه ترجعون ﴾ يحتمل ان يكون تمام كلام الجلود وان يكون استئنافا ﴿ وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم ﴾ اى كنتم تستترون عن الناس عند ارتكاب الفواحش مخافة الفضاحة وماظننتم ان اعضاءكم تشهد عليكم فما استترتم عنها وفيه تنبيه على ان المؤمن ينبغى ان يتحقق ان لايمر عليه حال الاوعليه رقيب ﴿ ولكن ظننتم ان الله لايعلم كثيرا مما تعملون ﴾ فلذلك اجترأتم

﴿ حتى اذا ماجاؤها ﴾ يعنى النار ﴿ شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم ﴾ أى بشراتهم وقيل فروجهم ﴿ بما كانوا يعملون ﴾ معناه ان الجوارح تنطق بما كتمت الالسن من عملهم (م) عن أنس رضى الله تعالى عنه قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه فضحك فقال هل تدرون مم أضحك قلنا الله ورسوله أعلم قال من مخاطبة العبد ربه عز وجل يقول يارب ألم تجرنى من الظلم قال فيقول بلى قال فيقول فانى لاأجيز اليوم على نفسى الاشاهدا منى قال فيقول كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وبالكرام الكاتبين عليك شهودا قال فيختم على فيه ويقال لاعضائه انطقى فتنطق باعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت أناضل ﴿ وقالوا ﴾ يعنى الكفار الذين يجرون الى النار ﴿ لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شئ ﴾ معناه ان القادر الذى خلقكم أول مرة فى الدنيا وأنطقكم ثم أعادكم بعد الموت قادر على انطاق الاعضاء والجوارح وهو قوله تعالى ﴿ وهو خلقكم أول مرة واليه ترجعون ﴾ وقيل تم الكلام عند قوله الذى أنطق كل شئ ثم ابتدأ بقوله وهو خلقكم أول مرة واليه ترجعون وقيل انه ليس من جواب الجلود ﴿ وما كنتم تستترون ﴾ أى تستخفون وقيل معناه تظنون ﴿ أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ﴾ والمعنى انكم لاتقدرون على الاستخفاء من جوارحكم ولا تظنون انها تشهد عليكم ﴿ ولكن ظننتم أن الله لايعلم كثيرا مما تعملون ﴾

(حتى اذا ماجاؤها) اى النار (شهد عليهم سمعهم) بما سمعوا بها (وابصارهم) بما ابصروا بها (وجلودهم) اعضاؤهم (بما كانوا يعملون) بها فى كفرهم (وقالوا لجلودهم) لاعضائهم ويقال لفروجهم (لم شهدتم علينا) وكنا نحابس عنكم بالجدال (قالوا انطقنا الله) بالكلام (الذى انطق كل شئ) من الدواب اليوم (وهو خلقكم) أنطقكم (قال) (أول مرة) فى الدنيا (واليه ترجعون) بعد الموت (وما كنتم تستترون) تقدرون ان تمنعوا أعضاءكم (أن يشهد) من أن يشهد (عليكم سمعكم) فى الآخرة (ولا ابصاركم ولا جلودكم) ويقال وما كنتم تستترون تقدرون فى الدنيا أن تستروا اكتساب الاعضاء عن الاعضاء أن يشهد لكى لايشهد عليكم ويقال وما كنتم تستترون تستيقنون ان يشهد عليكم سمعكم فى الآخرة ولا أبصاركم ولا جلودكم (ولكن ظننتم) وقلتم (ان الله لايعلم كثيرا مما تعملون) وتقولون

استترتم لظنكم أن الله لايعلم كثيرا مما كنتم تعملون وهو الخفيات من أعمالكم (وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرديكم) وذلك الظن هو الذى أهلككم وذلكم مبتدأ وظنكم خبر والذى ظننتم بربكم صفته وأرديكم خبر ثان أو ظنكم بدل من ذلكم وأرديكم الخبر (فاصبحتم من الخاسرين فان يصبروا فالنار مثوى لهم) أى فان يصبروا لم ينفعهم الصبر ولم ينفكوا به من الثواء فى النار (وان يستعتبوا فماهم من المعتبين) وان يطلبوا الرضا فماهم من المرضيين أو ان يسألوا العتبى وهى الرجوع جزعا مماهم فيه لم يعتبوا أى لم يعطوا العتبى ولم يجابوا اليها (وقيضنالهم) أى قدرنا لمشركى مكة يقال هذان ثوبان قيضان أى مثلان والمقايضة المعاوضة وقيل سلطنا عليهم (قرناء) اخدانا من الشياطين جمع قرين كقوله ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين (فزينوا لهم مابين أيديهم وماخلفهم) أى ما تقدم من أعمالهم وماهم عازمون عليها أو مابين أيديهم من امر الدنيا واتباع الشهوات وماخلفهم من أمر العاقبة وان لابعث ولاحساب (وحق عليهم القول) كلمة العذاب (فى أمم) فى جملة

ابن أمية وأصحابه (وان يستعتبوا) يسألوا الرجعة الى الدنيا (فماهم من المعتبين) الراجعين الى الدنيا (وقيضنالهم) وجعلنا لهم (قرناء) أعوانا وشركاء من الشياطين (فزينوا لهم مابين أيديهم) من أمر الآخرة ان لاجنة ولانار ولابعث ولاحساب (وماخلفهم) من خلفهم من أمر الدنيا أن لاتنفقوا ولاتعطوا وان الدنيا باقية لاتفنى (وحق) وجب (عليهم القول) بالعذاب (فى أمم) مع

فى السر (وذلكم ظنكم) قولكم بالظن (الذى ظننتم بربكم) وقلتم على ربكم بالكذب (أرديكم) أهلككم (فاصبحتم) صرتم (من الخاسرين) من المغبونين بالعقوبة (فان يصبروا) فى النار أو لايصبروا (فالنار مثوى لهم) منزل لهم لصفوان

على مافعلتم ﴿ وذلكم ﴾ اشارة الى ظنهم هذا وهو مبتدأ وقوله ﴿ ظنكم الذى ظننتم بربكم اريكم ﴾ خبران له ويجوز ان يكون ظنكم بدلا وارديكم خبرا ﴿ فاصبحتم من الخاسرين ﴾ اذصار مامنحوا للاستسعاد به فى الدارين سببا لشقاء المنزلين ﴿ فان يصبروا فالنار مثوى لهم ﴾ لاخلاص لهم عنها ﴿ وان يستعتبوا ﴾ يسألوا العتبى وهى الرجوع الى مايحبون ﴿ فماهم من المعتبين ﴾ المجابين اليها ونظيره قوله تعالى حكاية اجزعنا ام صبرنا مالنا من محيص * وقرئ وان يستعتبوا فماهم من المعتبين اى ان يسئلوا ان يرضوا ربهم فماهم فاعلون لفوات المكنة ﴿ وقيضنا ﴾ وقدرنا ﴿ لهم ﴾ للكفرة ﴿ قرناء ﴾ اخدانا من الشياطين يستولون عليهم استيلاء القيض على البيض وهو القشر وقيل اصل القيض البدل ومنه المقايضة للمعاوضة ﴿ فزينوا لهم مابين ايديهم ﴾ من امر الدنيا واتباع الشهوات ﴿ وماخلفهم ﴾ من امر الآخرة وانكاره ﴿ وحق عليهم القول ﴾ اى كلمة العذاب ﴿ فى امم ﴾ فى جملة امم كقوله

ان تك عن احسن الصنيعة مأ * فوكا ففى آخرين قدافكوا

قال ابن عباس رضى الله عنهما كان الكفار يقولون ان الله لايعلم ما فى أنفسنا ولكنه يعلم مايظهر (ق) عن عبدالله بن مسعود رضى الله تعالى عنه قال اجتمع عند البيت ثقفيان وقرشى أو قرشيان وثقفى كثير شحم بطونهم قليل فقه قلوبهم فقال أحدهم أترون ان الله تعالى يسمع مانقول قال الآخر يسمع اذا جهرنا ولايسمع ان أخفينا وقال الآخر ان كان يسمع اذا جهرنا فانه يسمع اذا أخفينا فانزل الله تعالى وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولاجلودكم ولكن ظننتم أن الله لايعلم كثيرا مما تعملون قيل الثقفى هو عبدياليل وختناه القرشيان ربيعة وصفوان بن أمية * قوله تعالى ﴿ وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم ﴾ أى ظنكم ان الله لايعلم كثيرا مما تعملون ﴿ أرديكم ﴾ أى أهلككم قال ابن عباس طرحكم فى النار ﴿ فاصبحتم من الخاسرين ﴾ ثم أخبر عن حالهم بقوله تعالى ﴿ فان يصبروا فالنار مثوى لهم ﴾ أى مسكن ﴿ وان يستعتبوا ﴾ أى يسترضوا ويطلبوا العتبى والمعتب هو الذى قبل عتابه وأجيب الى ماسأل ﴿ فماهم من المعتبين ﴾ أى المرضيين ﴿ وقيضنالهم ﴾ أى بعثنا ووكلنا وقيل هيأنا لهم وسببنا لهم ﴿ قرناء ﴾ أى نظراء من الشياطين حتى اضلوهم ﴿ فزينوا لهم مابين أيديهم ﴾ أى من أمر الدنيا حتى آثروهم على الآخرة ﴿ وماخلفهم ﴾ أى فدعوهم الى التكذيب بالآخرة وانكار البعث وقيل حسنوا لهم أعمالهم القبيحة الماضية والمستقبلة ﴿ وحق عليهم القول ﴾ أى وجب ﴿ فى أمم ﴾ أى مع أمم

أمم ومحله النصب على الحال من الضمير فى عليهم أى حق عليهم القول كائنين فى جملة أمم (قدخلت من قبلهم) قبل أهل مكة (من الجن والانس انهم كانوا خاسرين) هو تعليل لاستحقاقهم العذاب والضمير لهم وللامم (وقال الذين كفروا لاتسمعوا لهذا القرآن) اذا قرئ (والغوا فيه لعلكم تغلبون) وعارضوه بكلام غير مفهوم حتى تشوشوا عليه وتغلبوا على قراءته واللغو الساقط من الكلام الذى لاطائل تحته (فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا) يجوز ان يريد بالذين كفروا هؤلاء اللاغين والآمرين لهم باللغو خاصة ولكن يذكر الذين كفروا عامة لينطووا تحت ذكرهم (ولنجزينهم أسوأ الذى كانوا يعملون) أى أعظم عقوبة على أسوأ أعمالهم وهو الكفر (ذلك جزاء أعداء الله) ذلك اشارة الى الاسوأ ويجب أن يكون التقدير أسوأ جزاء الذى كانوا يعملون حتى تستقيم هذه الاشارة (النار) عطف بيان للجزاء أو خبر مبتدأ محذوف (لهم فيها دار الخلد) أى النار فى نفسها دار الخلد كما تقول لك فى هذه الدار دار السرور وأنت تعنى الدار بعينها (جزاء) أى جوزوا بذلك جزاء (بما كانوا بآياتنا يجحدون وقال الذين كفروا ربنا أرنا) وبسكون الراء لثقل الكسرة كما قالوا فى فخذ فخذ مكى وشامى وأبو بكر وبالاختلاس أبو عمرو

وهو حال من الضمير المجرور ﴿ قدخلت من قبلهم من الجن والانس ﴾ وقد عملوا مثل اعمالهم ﴿ انهم كانوا خاسرين ﴾ تعليل لاستحقاقهم العذاب والضمير لهم وللامم ﴿ وقال الذين كفروا لاتسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه ﴾ وعارضوه بالخرافات اوارفعوا اصواتكم بها لتشوشوه على القارئ ․ وقرئ بضم الغين والمعنى واحد يقال لغى يلغى ولغى يلغو اذا هذى ﴿ لعلكم تغلبون ﴾ اى تغلبونه على قراءته ﴿ فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا ﴾ المراد بهم هؤلاء القائلون او عامة الكفار ﴿ ولنجزينهم اسوء الذى كانوا يعملون ﴾ سيئات اعمالهم وقد سبق مثله ﴿ ذلك ﴾ اشارة الى الاسوء ﴿ جزاء اعداء الله ﴾ خبره ﴿ النار ﴾ عطف بيان للجزاء او خبر محذوف ﴿ لهم فيها ﴾ فى النار ﴿ دار الخلد ﴾ فانها دار اقامتهم وهو كقولك فى هذه الدار دار سرور وتعنى بالدار عينها على ان المقصود هو الصفة ﴿ جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون ﴾ ينكرون الحق او يلغون وذكر الجحود الذى هو سبب اللغو ﴿ وقال الذين كفروا ربنا ارنا

﴿ قدخلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين ﴾ * قوله تعالى ﴿ وقال الذين كفروا ﴾ يعنى مشركى قريش ﴿ لاتسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه ﴾ قال ابن عباس والغطوا فيه من اللغط وهو كثرة الاصوات كان بعضهم يوصى الى بعض اذا رأيتم محمدا يقرأ فعارضوه بالرجز والشعر وقيل أكثروا الكلام حتى يختلط عليه مايقول وقيل والغوا فيه بالمكاء والصفير وقيل صيحوا فى وجهه ﴿ لعلكم تغلبون ﴾ يعنى محمدا على قراءته ﴿ فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا ولنجزينهم أسوأ ﴾ يعنى باسوأ ﴿ الذى كانوا يعملون ﴾ أى فى الدنيا وهو الشرك ﴿ ذلك ﴾ أى الذى ذكر من العذاب ﴿ جزاء أعداء الله ﴾ ثم بين ذلك الجزاء فقال ﴿ النار لهم فيها دار الخلد ﴾ أى دار الاقامة لاانتقال لهم عنها ﴿ جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون وقال الذين كفروا ﴾ أى النار ﴿ ربنا ﴾ أى يقولون ياربنا ﴿ ارنا

أمم (قدخلت) قدمضت (من قبلهم من الجن والانس) من كفار الجن والانس (انهم كانوا خاسرين) مغبونين بالعقوبة (وقال الذين كفروا) كفار مكة أبو جهل وأصحابه (لاتسمعوا لهذا القرآن) الذى يقرأ عليكم محمد صلى الله عليه وسلم (والغوا) (الذين) الغطوا (فيه) وهو الشغب (لعلكم تغلبون) لكى تغلبوا محمدا صلى الله عليه وسلم فيسكت (فلنذيقن الذين كفروا) أبا جهل وأصحابه (عذابا شديدا) فى الدنيا يوم بدر (ولنجزينهم أسوأ الذى كانوا يعملون) باقبح ما كانوا يعملون فى الدنيا (ذلك) لهم فى الدنيا (جزاء أعداء الله) وجزاء أعداء الله فى الآخرة (النار لهم فيها) فى النار (دار الخلد) قد يخلدوا فيها (جزاء بما كانوا بآياتنا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (يجحدون) يكفرون (وقال الذين كفروا) فى النار (ربنا) ياربنا (أرنا

(اللذين أضـلانا) أى الشيطانين اللذين أضلانا (من الجن والانس) لان الشيطان على ضربين جنى وانسى قال الله تعالى وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس والجن (نجعلهما تحت اقدامنا ليكونا من الاسفلين) فى النار جزاء اضلالهم ايانا (ان الذين قالوا ربنا الله)

اى نطقوا بالتوحيد (ثم استقاموا) ثم ثبتوا على الاقرار ومقتضياته وعن الصديق رضى الله عنه استقاموا فعلا كما استقاموا قولا وعنه انه تلاها ثم قال ماتقولون فيها قالوا لم يذنبوا قال حملتم الامر على اشده قالوا فما تقول قال لم يرجعوا الى عبادة الاوثان وعن عمر رضى الله عنه لم يروغوا روغان الثعالب اى لم ينافقوا وعن عثمان رضى الله عنه اخلصوا العمل وعن على رضى الله عنه ادوا الفرائض وعن الفضيل زهدوا فى الفانية ورغبوا فى الباقية وقيل حقيقة الاستقامة القرار بعد الاقرار لا الفرار بعد الاقرار (تتنزل عليهم الملائكة) عند الموت (ان) بمعنى أى أو مخففة من الثقيلة وأصله بانه (لاتخافوا) والهاء ضمير الشأن أى لاتخافوا ماتقدمون عليه (ولا تحزنوا) على ماخلفتم

اللذين اضلانا من الجن والانس ﴾ يعنى شيطانى النوعين الحاملين على الضلالة والعصيان وقيل هما ابليس وقابيل فانهما سنا الكفر والقتل * وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب وابو بكر والسوسى ارنا بالتخفيف كفخذ فى فخذ وقرأ الدورى باختلاس كسرة الراء ﴿ نجعلهما تحت اقدامنا ﴾ ندسهما انتقاما منهما وقيل نجعلهما فى الدرك الاسفل ﴿ ليكونا من الاسفلين ﴾ مكانا اوذلا ﴿ ان الذين قالوا ربنا الله ﴾ اعترافا بربوبيته واقرارا بوحدانيته ﴿ ثم استقاموا ﴾ فى العمل وثم لتراخيه عن الاقرار فى الرتبة من حيث انه مبدأ الاستقامة اولانها عسر قلما يتبع الاقرار وماروى عن الخلفاء الراشدين فى معنى الاستقامة من الثبات على الايمان واخلاص العمل واداء الفرائض فجزئياتها ﴿ تتنزل عليهم الملائكة ﴾ فيما يعن لهم بمايشرح صدورهم ويدفع عنهم الخوف والحزن اوعند الموت اوالخروج من القبر ﴿ ان لاتخافوا ﴾ ماتقدمون عليه ﴿ ولاتحزنوا ﴾ على ماخلفتم وان مصدرية اومخففة مقدرة بالباء اى بانه لاتخافوا او

اللذين أضلانا من الجن والانس ﴾ يعنون ابليس وقابيل بن آدم الذى قتل أخاه لانهما سنا المعصية ﴿ نجعلهما تحت أقدامنا ﴾ أى فى النار ﴿ ليكونا من الاسفلين ﴾ أى فى الدرك الاسفل من النار وقال ابن عباس ليكونا أشد عذابا منا * قوله عز وجل ﴿ ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ﴾ قال اهل التحقيق كمال الانسان أن يعرف الحق لذاته لا لاجل العمل به ورأس المعرفة اليقينية معرفة الله تعالى واليه الاشارة بقوله ان الذين قالوا ربنا الله ورأس الاعمال الصالحة أن يكون الانسان مستقيما فى الوسط غير مائل الى طرفى الافراط والتفريط فتكون الاستقامة فى أمر الدين والتوحيد فتكون فى الاعمال الصالحة سئل أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه عن الاستقامة فقال ان لاتشرك بالله شيأ وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه الاستقامة ان تستقيم على الامر والنهى ولاتروغ روغان الثعلب وقال عثمان رضى الله تعالى عنه استقاموا أخلصوا فى العمل وقال على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه أدوا الفرائض وهو قول ابن عباس وقيل استقاموا على أمر الله فعملوا بطاعته واجتنبوا معاصيه وقيل استقاموا على شهادة أن لا اله الا الله حتى لحقوا بالله وكان الحسن اذا تلا هذه الآية قال اللهم أنت ربنا فارزقنا الاستقامة ﴿ تتنزل عليهم الملائكة ﴾ قال ابن عباس عند الموت وقيل اذا قاموا من قبورهم وقيل البشرى تكون فى ثلاثة مواطن عند الموت وفى القبر وعند البعث ﴿ أن لاتخافوا ﴾ أى من الموت وقيل لاتخافوا على ماتقدمون عليه من أمر الآخرة ﴿ ولاتحزنوا ﴾ أى على ماخلفتم من أهل وولد فانا نخلفكم فى ذلك

(اللذين أضلانا) عن الحق والهدى (من الجن والانس) من الجن ابليس والانس قابيل الذى قتل أخاه هابيل ويقال من الجن ابليس والشياطين ومن الانس رؤساؤهم (نجعلهما تحت أقدامنا) بالعذاب (ليكونا من الاسفلين) من الاضلين بالعذاب (ان الذين قالوا ربنا الله) وحدوا الله (ثم استقاموا) على الايمان ولم يكفروا ويقال على أداء الفرائض ولم يروغوا روغان الثعلب (تتنزل عليهم الملائكة) عند قبض أرواحهم (ألا تخافوا) على ما أمامكم من العذاب (ولاتحزنوا) على ماخلفتم من خلفكم

فالخوف غم يلحق الانسان لتوقع المكروه والحزن غم يلحق لوقوعه من فوات نافع أو حصول ضار والمعنى ان الله كتب لكم الامن من كل غم فلن تذوقوه (وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون) فى الدنيا وقال محمد بن على الترمذى تتنزل عليهم ملائكة الرحمة عند مفارقة الارواح الأبدان أن لاتخافوا سلب الايمان ولاتحزنوا على ما كان من العصيان وأبشروا بدخول الجنان التى كنتم توعدون فى سالف الزمان (نحن أولياؤكم فى الحيوة الدنيا وفى الآخرة) كما أن الشياطين قرناء العصاة واخوانهم فكذلك الملائكة أولياء المتقين وأحباؤهم فى الدارين (ولكم فيها ماتشتهى أنفسكم) من النعيم (ولكم فيها ماتدعون) تمنون (نزلا) هو رزق النزيل وهو الضيف وانتصابه على الحال من الهاء المحذوفة أو من ما (من غفور رحيم) نعت له (ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله) الى عبادته هو رسول الله دعا الى التوحيد (وعمل صالحا) خالصا

مفسرة ﴿ وابشروا بالجنة التى كنتم توعدون ﴾ فى الدنيا على لسان الرسل ﴿ نحن اولياؤكم فى الحيوة الدنيا ﴾ نلهمكم الحق ونحملكم على الخير بدل ما كانت الشياطين تفعل بالكفرة ﴿ وفى الآخرة ﴾ بالشفاعة والكرامة حيثما تتعادى الكفرة وقرناؤهم ﴿ ولكم فيها ﴾ فى الآخرة ﴿ ماتشتهى انفسكم ﴾ من اللذائذ ﴿ ولكم فيها ماتدعون ﴾ ماتمنون من الدعاء بمعنى الطلب وهو اعم من الاول ﴿ نزلا من غفور رحيم ﴾ حال من ماتدعون للاشعار بان ماتمنون بالنسبة الى مايعطون ممالا يخطر ببالهم كالنزل للضيف ﴿ ومن احسن قولا ممن دعا الى الله ﴾ الى عبادته ﴿ وعمل صالحا ﴾ فيما بينه وبين ربه

كله وقيل لاتخافوا من ذنوبكم ولاتحزنوا فانا أغفرها لكم ﴿ وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون نحن أولياؤكم ﴾ أى تقول لهم الملائكة عند نزولهم بالبشرى نحن أولياؤكم أى أنصاركم وأحباؤكم وقيل تقول لهم الحفظة نحن كنا معكم ﴿ فى الحيوة الدنيا و ﴾ نحن أولياؤكم ﴿ فى الآخرة ﴾ لانفارقكم حتى تدخلوا الجنة ﴿ ولكم فيها ﴾ أى فى الجنة ﴿ ماتشتهى أنفسكم ﴾ أى من الكرامات واللذات ﴿ ولكم فيها ماتدعون ﴾ أى تتمنونه ﴿ نزلا ﴾ أى رزقا والنزل رزق النزيل والنزيل هو الضيف ﴿ من غفور رحيم ﴾ قال أهل المعانى كل هذه الاشياء المذكورة فى هذه الآية جارية مجرى النزل والكريم اذا أعطى هذا النزل فاظنك بمابعده من الالطاف والكرامة * قوله تعالى ﴿ ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله ﴾ أى الى طاعة الله تعالى قيل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الناس الى شهادة أن لااله الا الله وقيل هو المؤمن اجاب الله تعالى فيما دعاه اليه ودعا الناس الى ما اجاب اليه ﴿ وعمل صالحا ﴾ فى اجابته وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها أرى هذه الآية نزلت فى المؤذنين وقيل ان كل من دعا الى الله تعالى بطريق من الطرق فهو داخل فى هذه الآية وللدعوة الى الله تعالى مراتب * الاولى دعوة الانبياء عليهم الصلاة والسلام الى الله تعالى بالمعجزات وبالحجج والبراهين وبالسيف وهذه المرتبة لم تتفق لغير الانبياء * المرتبة الثانية دعوة العلماء الى الله وبالحجج والبراهين فقط والعلماء أقسام علماء بالله وعلماء بصفات الله وعلماء باحكام الله * المرتبة الثالثة دعوة المجاهدين الى الله تعالى بالسيف فهم يجاهدون الكفار حتى يدخلوا فى دين الله وطاعته * المرتبة الرابعة دعوة المؤذنين الى الصلاة فهم أيضا دعاة الى الله تعالى والى طاعته وعمل صالحا قيل العمل الصالح على قسمين قسم يكون من أعمال القلوب وهو معرفة الله تعالى وقسم يكون بالجوارح وهو سائر الطاعات وقيل وعمل صالحا صلى ركعتين بين الاذان والاقامة (ق) عن عبد الله بن مغفل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بين كل أذانين صلاة بين كل اذانين صلاة بين كل أذانين صلاة وقال فى الثالثة لمن شاء * عن أنس ابن مالك رضى الله عنه قال الدعاء بين الاذان والاقامة لا يرد أخرجه أبو داود والترمذى وقال

(وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون) فى الدنيا (نحن أولياؤكم فى الحيوة الدنيا) تولينا كم فى الدنيا (وفى الآخرة) ونتولاكم فى الآخرة وهم الحفظة (ولكم فيها) فى الجنة (ماتشتهى) ماتمنى (انفسكم ولكم فيها) فى الجنة (ماتدعون) تسألون (نزلا) ثوابا وطعاما وشرابا لكم (من غفور) لمن تاب (رحيم) لمن مات على التوبة (ومن أحسن قولا) أحكم قولا ويقال أحسن دعوة (ممن دعا الى الله) بالتوحيد وهو محمد صلى الله عليه وسلم (وعمل صالحا) ادى الفرائض ويقال نزلت (هذا) هذه الآية فى المؤذنين يقول ومن احسن قولا دعوة ممن دعا الى الله بالاذان وعمل صالحا صلى ركعتين بعد الاذان غير اذان صلاة

(وقال انني من المسلمين) تفاخرا بالاسلام ومعتقداله أو أصحابه عليه السلام أو المؤذنون أو جميع الهداة والدعاة الى الله (ولاتستوى الحسنة ولاالسيئة ادفع بالتى هى أحسن) يعنى ان الحسنة والسيئة متفاوتتان فى انفسهما فخذ بالحسنة التى هى احسن من اختها اذا اعترضتك حسنتان فادفع بها السيئة التى تردعليك من بعض اعدائك كالو اساء اليك رجل إساءة فالحسنة ان تعفوعنه والتى هى احسن ان تحسن اليه مكان اساءته اليك مثل ان يذمك فتمدحه اويقتل ولدك فتفتدى ولده من يدعدوه (فاذا الذى بينك وبينه عداوة كانه ولى حميم) فانك اذا فعلت ذلك انقلب عدوك المشاق مثل الولى الحميم مصافاة لك ثم قال (ومايلقيها) اى ومايلقى هذه الخصلة التى هى مقابلة الاساءة بالاحسان (الاالذين صبروا) الااهل الصبر (ومايلقيها الاذوحظ عظيم) الارجل خير وفق لحظ عظيم من الخير وانمالم يقل فادفع بالتى هى احسن لانه على تقدير قائل قال فكيف اصنع فقال ادفع بالتى هى احسن وقيل لامزيدة للتاكيد والمعنى لاتستوى الحسنة والسيئة وكان القياس على هذا التفسير ان يقال ادفع بالتى هى حسنة ولكن وضع التى هى احسن موضع الحسنة ليكون ابلغ فى الدفع بالحسنة لان من دفع بالحسنى هان عليه الدفع بما دونها وعن ابن عباس رضى الله عنهما بالتى هى احسن الصبر عند الغضب والحلم عند الجهل والعفو عند الاساءة وفسرا لحظ بالثواب وعن الحسن والله ماعظم حظ دون الجنة وقيل نزلت فى ابى سفيان بن حرب وكان عدوا مؤذيا للنبى صلى الله عليه وسلم

﴿وقال انني من المسلمين﴾ تفاخرا به واتخاذا للاسلام دينا ومذهبا من قولهم هذا قول فلان لمذهبه والآية عامة لمن استجمع تلك الصفات وقيل نزلت فى النبى عليه السلام وقيل فى المؤذنين ﴿ولاتستوى الحسنة ولاالسيئة﴾ فى الجزاء وحسن العاقبة ولاالثانية مزيدة لتأكيد النفى ﴿ادفع بالتى هى احسن﴾ ادفع السيئة حيث اعترضتك بالتى هى احسن منها وهى الحسنة على ان المراد بالاحسن الزائد مطلقا او بالحسن مايمكن دفعها به من الحسنات وانما اخرجه مخرج الاستئناف على انه جواب من قال كيف اصنع للمبالغة ولذلك وضع احسن موضع الحسنة ﴿فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم﴾ اى اذا فعلت ذلك صار عدوك المشاق مثل الولى الشفيق ﴿ومايلقيها﴾ ومايلقى هذه السجية وهى مقابلة الاساءة بالاحسان ﴿الاالذين صبروا﴾ فانها تحبس النفس عن الانتقام ﴿ومايلقيها الا ذوحظ عظيم﴾ من الخير

هذا حديث حسن ﴿وقال انني من المسلمين﴾ قيل ليس الغرض منه القول فقط بل يضم اليه اعتقاد القلب فيعتقد بقلبه دين الاسلام مع التلفظ به ● قوله تعالى ﴿ولاتستوى الحسنة ولاالسيئة﴾ يعنى الصبر والغضب والحلم والجهل والعفو والاساءة ﴿ادفع بالتى هى أحسن﴾ قال ابن عباس أمره بالصبر عند الغضب وبالحلم عند الجهل وبالعفو عند الاساءة ﴿فاذا الذى بينك وبينه عداوة كانه ولى حميم﴾ أى صديق قريب قيل نزلت فى أبى سفيان بن حرب وذلك حيث لان للمسلمين بعد شدة عداوته بالمصاهرة التى حصلت بينه وبين النبى صلى الله عليه وسلم فصار وليا بالاسلام حميما بالقرابة ﴿ومايلقيها﴾ أى ومايلقى هذه الخصلة والفعلة وهى دفع السيئة بالحسنة ﴿الاالذين صبروا﴾ أى على تحمل المكاره وتجرع الشدائد وكظم الغيظ وترك الانتقام ﴿ومايلقيها الاذو حظ عظيم﴾ أى من الخير والثواب وقيل الحظ العظيم الجنة يعنى مايلقاها الامن وجبت

المغرب (وقال اننى من المسلمين) انحل (قا و خا ٤٩ مس) الاسلام وقال انى مؤمن حقا وهو محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه (ولاتستوى الحسنة) الدعوة الى التوحيد من محمد صلى الله عليه وسلم (ولاالسيئة) الدعوة الى الشرك من ابى جهل ويقال ولاتستوى الحسنة شهادة ان لا اله الاالله ولاالسيئة الشرك بالله (ادفع) يامحمد الشرك من ابى جهل ان يفتنك (بالتى هى احسن) بلا اله الاالله ويقال ادفع السيئة من ابى جهل عن نفسك بالتى هى احسن بالكلام الحسن والسلام واللطف (فاذا) فعلت ذلك صار (الذى بينك وبينه عداوة) فى الدين وهو ابو جهل (كانه ولى) فى الدين (حميم) قريب فى النسب (ومايلقيها) مايعطى الجنة فى الآخرة (الاالذين صبروا) على المرازى واذى الاعداء فى الدنيا (ومايلقيها) ومايوفق لدفع السيئة بالحسنة (الاذوحظ عظيم) ثواب وافر فى الجنة مثل محمد عليه السلام وأصحابه

فصار وليا مصافيا (واما ينزغنك من الشيطان نزغ) النزغ شبه النخس والشيطان ينزغ الانسان كانه ينخسه يبعثه على ما لا ينبغي وجعل النزغ نازغا كما قيل جد جده أو اريد واما ينزغنك نازغ وصفا للشيطان بالمصدر أو لتسويله والمعنى وان صرفك الشيطان عما وصيت به من الدفع بالتي هي أحسن (فاستعذ بالله) من شره وامض على حلمك ولا تطعه (انه هو السميع) لاستعاذتك (العليم) بنزغ الشيطان (ومن آياته) الدالة على وحدانيته (الليل والنهار) في تعاقبهما على حد معلوم وتناوبهما على قدر مقسوم (والشمس والقمر) في اختصاصهما بسير مقدر ونور مقرر (لا تسجدوا للشمس ولا للقمر) فانهما مخلوقان وان كثرت منافعهما

الضمير في خلقهن للآيات أو الليل والنهار والشمس والقمر لان حكم جماعة ما لا يعقل حكم الانثى أو الاناث تقول الاقلام بريتها وبريتهن ولعل ناسا منهم كانوا يسجدون للشمس والقمر كالصابئين في عبادتهم الكواكب ويزعمون انهم يقصدون بالسجود لهما السجود لله تعالى فنهوا عن هذه الواسطة وأمروا أن يقصدوا بسجودهم وجه الله خالصا ان كانوا اياه يعبدون وكانوا موحدين غير مشركين فان من عبد مع الله غيره لا يكون عابدا لله (فان استكبروا فالذين عند ربك) أي الملائكة (يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون) لا يملون

وكمال النفس وقيل الحظ العظيم الجنة ﴿ واما ينزغنك من الشيطان نزغ ﴾ نخس شبه به وسوسته لانها بعث على ما لا ينبغي كالدفع بما هو اسوء وجعل النزغ نازغا على طريقة جد جده او اريد به نازغ وصفا للشيطان بالمصدر ﴿ فاستعذ بالله ﴾ من شره ولا تطعه ﴿ انه هو السميع ﴾ لاستعاذتك ﴿ العليم ﴾ بنيتك او بصلاحك ﴿ ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر ﴾ لانهما مخلوقان مأموران مثلكم ﴿ واسجدوا لله الذى خلقهن ﴾ الضمير للاربعة المذكورة والمقصود تعليق الفعل بهما اشعارا بانهما من عداد ما لا يعلم ولا يختار ﴿ ان كنتم اياه تعبدون ﴾ فان السجود اخص العبادات وهو موضع السجود عندنا لاقتران الامر به وعند ابي حنيفة آخر الآية الاخرى لانه تمام المعنى ﴿ فان استكبروا ﴾ عن الامتثال ﴿ فالذين عند ربك ﴾ من الملائكة ﴿ يسبحون له بالليل والنهار ﴾ اى دائما لقوله ﴿ وهم لا يسأمون ﴾ لا يملون

له الجنة ﴿ واما ينزغنك من الشيطان نزغ ﴾ النزغ شبه النخس والشيطان ينزغ الانسان كانه ينخسه أي يبعثه الى ما لا ينبغي ومعنى الآية وان صرفك الشيطان عما وصيت به من الدفع بالتي هي أحسن ﴿ فاستعذ بالله ﴾ أي من شره ﴿ انه هو السميع ﴾ أي لاستعاذتك ﴿ العليم ﴾ باحوالك * قوله تعالى ﴿ ومن آياته ﴾ أي ومن دلائل قدرته وحكمته الدالة على وحدانيته ﴿ الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر ﴾ أي انهما مخلوقان مسخران فلا ينبغي السجود لهما لان السجود عبارة عن نهاية التعظيم ﴿ واسجدوا لله الذى خلقهن ﴾ أي المستحق للسجود والتعظيم هو الله خالق الليل والنهار والشمس والقمر ﴿ ان كنتم اياه تعبدون ﴾ يعني أن ناسا كانوا يسجدون للشمس والقمر والكواكب ويزعمون ان سجودهم لهذه الكواكب هو سجود لله عز وجل فنهوا عن السجود لهذه الوسائط وأمروا بالسجود لله الذى خلق هذه الاشياء كلها ﴿ فان استكبروا ﴾ أي عن السجود لله ﴿ فالذين عند ربك ﴾ يعني الملائكة ﴿ يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون ﴾ أي لا يفترون ولا يملون

(واما ينزغنك من الشيطان نزغ) أن يصيبك من الشيطان وسوسة بالجفاء عند جفاء أبي جهل (فاستعذ بالله) من الشيطان الرجيم (انه هو السميع) لمقالة أبي جهل (العليم) بعقوبته ويقال السميع باستعاذتك العليم بوسوسة الشيطان (ومن آياته) من علامات وحدانيته وقدرته (الليل والنهار والشمس والقمر) كل هذا من آيات الله (لا تسجدوا للشمس) لا تعبدوا الشمس (ولا للقمر) ولا القمر (واسجدوا لله) واعبدوا الله (الذى خلقهن) يعني خلق الشمس والقمر والليل والنهار (ان كنتم اياه تعبدون) ان كنتم تريدون عبادة الله فلا تعبدوا الشمس والقمر ولكن اعبدوا الله الذى خلقهما ويقال ان كنتم تريدون بعبادة الشمس والقمر عبادة الله فلا تعبدوهما فان عبادة الله في ترك عبادتهما (فان استكبروا) تعظموا عن الايمان والعبادة لله (فالذين عند ربك) يعني الملائكة (يسبحون له) يصلون لله (بالليل والنهار وهم لا يسأمون) لا يملون من عبادة

(فصل)

والمعنى فان استكبروا ولم يمتثلوا ما امروا به وأبوا الا الواسطة وأمروا ان يقصدوا بسجودهم وجه الله خالصا فدعهم وشأنهم فان الله تعالى لا يعدم عابدا وساجدا بالاخلاص وله العباد المقربون الذين ينزهونه بالليل والنهار عن الانداد وعند ربك عبارة عن الزلفى والمكانة والكرامة وموضع السجدة عندنا عند لا يسأمون وعند الشافعي رحمه الله عند تعبدون والاول أحوط (ومن آياته أنك ترى الارض خاشعة) يابسة متغبرة والخشوع التذلل فاستعير لحال الارض اذا كانت قحطة لا نبات فيها (فاذا أنزلنا عليها الماء) المطر (اهتزت) تحركت بالنبات (وربت) انتفخت (ان الذى أحياها لمحيي الموتى انه على كل شئ قدير) فيكون قادرا على البعث ضرورة (ان الذين يلحدون فى آياتنا) يميلون عن الحق فى أدلتنا بالطعن يقال الحد الحافر ولحد اذا مال عن الاستقامة فحفر فى شق فاستعير لحال الارض اذا كانت ملحودة فاستعير الانحراف فى تاويل آيات القرآن عن جهة الصحة والاستقامة يلحدون حمزة (لا يخفون علينا) وعيد لهم على التحريف (أفمن يلقى فى النار خير أم من يأتى آمنا يوم القيمة) هذا تمثيل للكافر والمؤمن (اعملوا ما شئتم)هذا نهاية فى التهديد ومبالغة فى

﴿ ومن آياته انك ترى الارض خاشعة ﴾ يابسة متطامنة مستعار من الخشوع بمعنى التذلل ﴿ فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت ﴾ تزخرفت وانتفخت بالنبات *وقرئ ربأت اى زادت ﴿ ان الذى احياها ﴾ بعد موتها ﴿ لمحيي الموتى انه على كل شئ ﴾ من الاحياء والاماتة ﴿ قدير ان الذين يلحدون ﴾ يميلون عن الاستقامة ﴿ فى آياتنا ﴾ بالطعن والتحريف والتأويل الباطل والالغاء فيها ﴿ لا يخفون علينا ﴾ فنجازيهم على الحادهم ﴿ افمن يلقى فى النار خير أمن يأتى آمنا يوم القيمة ﴾ قابل الالقاء فى النار بالاتيان آمنا مبالغة فى احماد حال المؤمنين ﴿ اعملوا ما شئتم ﴾ تهديد شديد

فصل

وهذه السجدة من عزائم سجود التلاوة وفى موضع السجود فيها قولان للعلماء وهما وجهان لاصحاب الشافعي أحدهما انه عند قوله تعالى ان كنتم اياه تعبدون وهو قول ابن مسعود والحسن وحكاه الرافعي عن أبى حنيفة وأحمد لان ذكر السجدة قبله والثانى وهو الاصح عند أصحاب الشافعي وكذلك نقله الرافعي انه عند قوله تعالى وهم لا يسأمون وهو قول ابن عباس وابن عمر وسعيد بن المسيب وقتادة وحكاه الزمخشري عن أبى حنيفة لان عنده يتم الكلام ﴿ ومن آياته أنك ترى الارض خاشعة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت ان الذى أحياها لمحيي الموتى انه على كل شئ قدير ﴾ قوله تعالى ﴿ ان الذين يلحدون ﴾ أي يميلون عن الحق ﴿ فى آياتنا ﴾ أى فى أدلتنا قيل بالمكاء والتصدية واللغو واللغط وقيل يكذبون بآياتنا ويعاندون ويشاقون ﴿ لا يخفون علينا ﴾ تهديد ووعيد قيل نزلت فى أبى جهل ﴿ أفمن يلقى فى النار ﴾ هو أبو جهل ﴿ خير أم من يأتى آمنا يوم القيمة ﴾ المعنى الذين يلحدون فى آياتنا يلقون فى النار والذين يؤمنون بآياتنا آمنون يوم القيامة قيل هو حمزة وقيل عثمان وقيل عمار بن ياسر ﴿ اعملوا ما شئتم ﴾

الله ولا يفترون (ومن آياته) ومن علامات وحدانيته وقدرته (انك ترى الارض خاشعة) ذليلة منكسرة ميتة (فاذا أنزلنا عليها الماء) المطر (اهتزت) استبشرت بالمطر ويقال تحركت بالنبات (وربت) كثر نباتها ويقال انتفخت بنباتها (ان الذى أحياها) بعد موتها (لمحيي الموتى) للبعث (انه على كل شئ) من الاماتة والاحياء (قدير ان الذين يلحدون فى آياتنا) يجحدون بآياتنا بمحمد عليه السلام والقرآن ويقال يكذبون بآياتنا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن ان قرأت بضم الياء (لا يخفون علينا) لا يخفى علينا من أعمالهم شئ (أفمن يلقى فى النار)وهو أبو جهل وأصحابه (خير أم من يأتى آمنا)من العذاب (يوم القيمة) وهو محمد عليه السلام وأصحابه (اعملوا)يا أهل مكة (ما شئتم) وهذا

الوعيد (انه بما تعملون بصير) فيجازيكم عليه (ان الذين كفروا بالذكر)بالقرآن لانهم لكفرهم به طعنوا فيه وحرفوا تاويله(لما جاءهم) حين جاءهم وخبران محذوف أى يعذبون أوهالكون أوأولئك ينادون من مكان بعيد وما بينهما اعتراض(وانه لكتاب عزيز)أى منيع محمى بحماية الله(لا يأتيه الباطل)التبديل أوالتناقض(من بين يديه ولا من خلفه) أى بوجه من الوجوه (تنزيل من حكيم حميد) مستحق للحمد (ما يقال لك) ما يقول لك كفار قومك (الا ماقد قيل للرسل) من قبلك) الامثل ماقال

للرسل كفار قومهم من الكلمات المؤذية والمطاعنة في الكتب المنزلة (ان ربك لذو مغفرة) ورحمة لانبيائه (وذو عقاب أليم) لاعدائهم ويجوز أن يكون ما يقول لك الله الامثل ماقال للرسل من

﴿ انه بما تعملون بصير ﴾ وعيد بالمجازاة ﴿ ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم ﴾ بدل من قوله ان الذين يلحدون فى آياتنا اومستأنف وخبر ان محذوف مثل معاندون اوهالكون اواولئك ينادون والذكر القرآن ﴿وانه لكتاب عزيز ﴾ كثيرا لنفع عديم النظير اومنيع لايتأتى ابطاله وتحريفه ﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ﴾ لا يتطرق اليه الباطل من جهة من الجهات اومما فيه من الاخبار الماضية والامور الآتية ﴿تنزيل من حكيم ﴾ واى حكيم ﴿ حميد ﴾ يحمده كل مخلوق بما ظهر عليه من نعمة ﴿ ما يقال لك ﴾ اى ما يقول لك كفار قومك ﴿ الا ماقد قيل للرسل من قبلك ﴾ الامثل ماقال لهم كفار قومهم اوما يقول الله لك الامثل ماقال لهم ﴿ان ربك لذو مغفرة ﴾ لمن آمن لانبيائه ﴿ وذو عقاب اليم ﴾ لاعدائهم وهو على الثانى يحتمل ان يكون المقول بمعنى ان حاصل ما اوحى

أمر تهديد ووعيد﴿ انه بما تعملون بصير ﴾ أى انه عالم باعمالكم فيجازيكم عليها ﴿ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم ﴾ يعنى القرآن وفى جواب ان وجهان أحدهما أنه محذوف تقديره ان الذين كفروا بالذكر يجازون بكفرهم والثانى جوابه أولئك ينادون من مكان بعيد ثم أخذ فى وصف الذكر فقال تعالى ﴿ وانه لكتاب عزيز ﴾ قال ابن عباس كريم على الله تعالى وقيل العزيز العديم النظير وذلك أن الخلق عجزوا عن معارضته وقيل أعزه الله بمعنى منعه فلا يجد الباطل اليه سبيلا وهو قوله تعالى ﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ﴾ قيل الباطل هو الشيطان فلا يستطيع أن يغيره وقيل انه محفوظ من أن ينقص منه فيأتيه الباطل من بين يديه أو يزاد فيأتيه الباطل من خلفه فعلى هذا يكون معنى الباطل الزيادة والنقصان وقيل لا يأتيه التكذيب من الكتب التى قبله ولا يجئ بعده كتاب فيبطله وقيل معناه أن الباطل لا يتطرق اليه ولا يجد اليه سبيلا من جهة من الجهات حتى يصل اليه وقيل لا يأتيه الباطل عما أخبر فيما تقدم من الزمان ولا فيما تأخر ﴿ تنزيل من حكيم ﴾ أى فى جميع أفعاله ﴿ حميد ﴾ أى الى جميع خلقه بسبب نعمه عليهم ثم عزى الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم على تكذيبهم اياه فقال عز وجل ﴿ ما يقال لك ﴾ أى من الاذى والتكذيب ﴿ الا ماقد قيل للرسل من قبلك ﴾ يعنى أنه قد قيل للانبياء قبلك ساحر كما يقال لك وكذبوا كما كذبت ﴿ان ربك لذو مغفرة ﴾ أى لمن تاب وآمن بك ﴿ وذو عقاب أليم ﴾ أى لمن أصر على التكذيب * قوله عز وجل

وعيد لهم (انه بما تعملون بصير) يجزيكم باعمالكم (ان الذين كفروا بالذكر) بالقرآن (لما جاءهم)حين جاءهم محمد عليه السلام به وهو أبو جهل وأصحابه لهم فى الآخرة نار جهنم (وانه) يعنى القرآن (لكتاب عزيز) كريم شريف (لا يأتيه الباطل) لم يخالفه التوراة والانجيل والزبور وسائر الكتب (من بين يديه) من قبله (ولا من خلفه) ولا يكون من بعده كتاب فيخالفه ويقال لا تكذبه التوراة والانجيل والزبور وسائر الكتب من قبله ولا يكون من بعده كتاب فيكذبه ويقال لم يأت ابليس الى محمد عليه السلام من قبل اتيان جبريل فزاد فى القرآن ولا من بعد ذهاب جبريل فنقص من القرآن ويقال لا يخالف القرآن (ولو) بعضه بعضا ولكن يوافق بعضه بعضا(تنزيل من حكيم) تكليم من حكيم فى أمره وقضائه (حميد) محمود فى فعاله (ما يقال لك) يا محمد من الشتم والتكذيب(الا ماقد قيل للرسل)من الشتم والتكذيب من قبلك ويقال ما يقال لك ما أمرك من تبليغ الرسالة الا ماقد قيل أمر للرسل (من قبلك) بتبليغ الرسالة (ان ربك)يا محمد(لذو مغفرة)لمن تاب من الكفر وآمن بالله (وذو عقاب اليم)

قبلك والمقول هو قوله ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب اليم (ولو جعلناه) اى الذكر (قرآنا أعجميا) أى بلغة العجم كانوا لتعنتهم يقولون هلا نزل القرآن بلغة العجم فقيل فى جوابهم لو كان كما يقترحون (لقالوا لولا فصلت اياته) أى بينت بلسان العرب حتى نفهمها لتعنتنا (أأعجمى وعربى) بهمزتين كوفى غير حفص والهمزة للانكار يعنى لا نكروا وقالوا أقرآن أعجمى ورسول عربى أو مرسل اليه عربى الباقون بهمزة واحدة ممدودة مستفهمة والاعجمى الذى لايفصح ولايفهم كلامه سواء كان من العجم أو العرب والعجمى منسوب الى أمة العجم فصيحا كان أو غير فصيح والمعنى ان آيات الله على أى طريقة جاءتهم وجدوا فيها متعنتا لانهم غير طالبين للحق وانما يتبعون أهواءهم وفيه اشارة على أنه لو أنزله بلسان العجم لكان قرآنا فيكون دليلا لابى حنيفة رضى الله عنه فى جواز الصلاة اذا قرأ بالفارسية (قل هو) أى أى القرآن (للذين آمنوا هدى) ارشاد الى الحق (وشفاء) لما فى صدور من الشك اذ الشك مرض (والذين لايؤمنون فى آذانهم وقر) فى موضع الجر لكونه معطوفا على للذين آمنوا أى هو للذين آمنوا هدى وشفاء وهو للذين لايؤمنون فى آذانهم وقر أى صمم الا ان فيه عطفا على عاملين وهو جائز عند الاخفش أو الرفع وتقديره والذين لايؤمنون هو فى آذانهم وقر على حذف المبتدأ أو فى آذانهم منه وقر (وهو) أى القرآن (عليهم عمى) ظلمة وشبهة

اليك واليهم وعد المؤمنين بالمغفرة والكافرين بالعقوبة ﴿ ولو جعلناه قرآنا اعجميا ﴾ جواب لقولهم هلا نزل القرآن بلغة العجم والضمير للذكر ﴿ لقالوا لولا فصلت آياته ﴾ بينت بلسان نفقهه ﴿ أأعجمى وعربى ﴾ أكلام اعجمى ومخاطب عربى انكار مقرر للتحضيض والاعجمى يقال للذى لايفهم كلامه ولكلامه وهذه قراءة ابى بكر وحمزة والكسائى وقرأ قالون وابو عمرو بالمد والتسهيل وورش بالمد وابدال الثانية الفا وابن كثير وابن ذكوان وحفص بغير المد بتسهيل الثانية وقرئ أعجمى وهو منسوب الى العجم وقرأ هشام اعجمى على الاخبار وعلى هذا يجوز ان يكون المراد هلا فصلت آياته فجعل بعضها اعجميا لافهام العجم وبعضها عربيا لافهام العرب والمقصود ابطال مقترحهم باستلزامه المحذور اوللدلالة على انهم لاينفكون عن التعنت فى الآيات كيف جاءت ﴿ قل هو للذين آمنوا هدى ﴾ الى الحق ﴿ وشفاء ﴾ لما فى الصدور من الشك والشبهة ﴿ والذين لايؤمنون ﴾ مبتدأ خبره ﴿ فى آذانهم وقر ﴾ على تقدير هو فى آذانهم وقر لقوله ﴿ وهو عليهم عمى ﴾ وذلك لتصامهم عن سماعه وتعاميهم

﴿ ولو جعلناه ﴾ أى هذا الكتاب الذى تقرؤه على الناس ﴿ قرآنا اعجميا ﴾ أى بغير لغة العرب ﴿ لقالوا لولا فصلت آياته ﴾ أى هلا بينت آياته بالعربية حتى نفهمها ﴿ أأعجمى وعربى ﴾ أى أكتاب أعجمى ورسول عربى وهذا استفهام انكار والمعنى لو نزل الكتاب بلغة العجم لقالوا كيف يكون المنزل عليه عربيا والمنزل أعجميا وقيل فى معنى الآية انا لو أنزلنا هذا القرآن بلغة العجم لكان لهم أن يقولوا كيف أنزل الكلام العجمى الى القوم العرب ولصح قولهم أن يقولوا قلوبنا فى أكنة وفى آذاننا وقر لانا لانفهمه ولانحيط بمعناه وانا لما أنزلنا هذا القرآن بلغة العرب وهم يفهمونه فكيف يمكنهم أن يقولوا قلوبنا فى أكنة وفى آذاننا وقر وقيل ان رسول الله صلى الله عليه سلم كان يدخل على يسار غلام عامر بن الحضرمى وكان يهوديا أعجميا يكنى أبا فكيهة فقال المشركون انما يعلمه يسار فضربه سيده وقال انك تعلم محمدا فقال هو والله يعلمنى فانزل الله تعالى هذه الآية ﴿ قل ﴾ يا محمد ﴿ هو ﴾ يعنى القرآن ﴿ للذين آمنوا هدى ﴾ أى من الضلالة ﴿ وشفاء ﴾ أى لما فى القلوب من مرض الشرك والشك وقيل شفاء من الاوجاع والاسقام ﴿ والذين لايؤمنون فى آذانهم وقر وهو عليهم عمى ﴾

لمن مات على الكفر (ولو جعلناه قرآنا أعجميا) لو نزلنا جبريل بالقرآن على غير مجرى لغة العربية (لقالوا) كفار مكة (لولا فصلت) هلا بينت وعربت (آياته) بالعربية ((أأعجمى وعربى) قرآن أعجمى ورجل عربى كيف هذا (قل) لهم يا محمد (هو) يعنى القرآن (للذين آمنوا) أبى بكر وأصحابه (هدى) من الضلالة (وشفاء) بيان لما فى الصدور من العمى (والذين لايؤمنون) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وهو أبو جهل وأصحابه (فى آذانهم وقر) صمم (وهو) يعنى القرآن (عليهم عمى) حجة

(أولئك ينادون من مكان بعيد) يعنى أنهم لعدم قبولهم وانتفاعهم كأنهم ينادون الى الايمان بالقرآن من حيث لايسمعون لبعد المسافة وقيل ينادون فى القيامة من مكان بعيد باقبح الاسماء (ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه) فقال بعضهم هو حق وقال بعضهم هو باطل كما اختلف قومك فى كتابك (ولولا كلمة سبقت من ربك) بتاخير العذاب (لقضى بينهم) لاهلكهم اهلاك استئصال وقيل الكلمة السابقة هى العدة بالقيامة وان الخصومات تفصل فى ذلك اليوم ولولا ذلك لقضى بينهم فى الدنيا (وانهم) وان الكفار (لفى شك منه مريب) موقع فى الريبة (من عمل صالحا فلنفسه) فنفسه نفع (ومن أساء فعليها) فنفسه ضر (وما ربك بظلام للعبيد) فيعذب غير المسىء

(أولئك) أهل مكة أبو جهل وأصحابه (ينادون من مكان بعيد) كأنهم ينادون الى التوحيد من السماء (ولقد آتينا) اعطينا (موسى الكتاب) يعنى التوراة (فاختلف فيه) فى كتاب موسى فنهم مصدق به ومنهم مكذب به (ولولا كلمة سبقت) وجبت (من ربك) بتأخير العذاب عن هذه الامة (لقضى) بينهم) لفرغ من هلاك اليهود والنصارى والمشركين يقول عذبوا عند التكذيب كما عذب الذين من قبلهم عند التكذيب (وانهم) يعنى اليهود والنصارى والمشركين (لفى شك منه) من القرآن (مريب) ظاهر الشك ويقال من كتاب موسى (من عمل صالحا) خالصا فيما بينه وبين ربه (فلنفسه) ثواب ذلك (ومن أساء فعليها) من أشرك بالله فعليها على نفسه عقوبة ذلك (وما ربك) يا محمد (بظلام للعبيد) أن يأخذهم بلاجرم

عما يريهم من الآيات ومن جوز العطف على عاملين مختلفين عطف ذلك على للذين آمنوا هدى ﴿أولئك ينادون من مكان بعيد﴾ اى هم تمثيل لهم فى عدم قبولهم واستماعهم له بمن يصيح به من مسافة بعيدة ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه﴾ بالتصديق والتكذيب كما اختلف فى القرآن ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك﴾ وهى العدة بالقيامة وفصل الخصومة حينئذ اوتقدير الآجال ﴿لقضى بينهم﴾ باستئصال المكذبين ﴿وانهم﴾ وان اليهود او الذين لايؤمنون ﴿لفى شك منه﴾ من التوراة او القرآن ﴿مريب﴾ موجب للاضطراب ﴿من عمل صالحا فلنفسه﴾ نفعه ﴿ومن اساء فعليها﴾ ضره ﴿وما ربك بظلام العبيد﴾ فيفعل بهم ماليس له ان يفعله

أى صموا عن استماع القرآن وعموا عنه فلاينتفعون به ﴿أولئك ينادون من مكان بعيد﴾ أى كان من دعى من مكان بعيد لم يسمع ولم يفهم كذلك هؤلاء فى قلة انتفاعهم بما يوعظون به كانهم ينادون من حيث لايسمعون ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه﴾ أى فمصدق به ومكذب كما اختلف قومك فى كتابك ﴿واولا كلمة سبقت من ربك﴾ أى فى تاخير العذاب عن المكذبين بالقرآن ﴿لقضى بينهم﴾ أى لفرغ من عذابهم وعجل اهلاكهم ﴿وانهم لفى شك منه مريب﴾ أى من كتابك وصدقك ﴿من عمل صالحا فلنفسه﴾ أى يعود نفع ايمانه وعمله لنفسه ﴿ومن ساء فعليها﴾ أى ضر اساءته أو كفره يعود على نفسه أيضا ﴿وما ربك بظلام للعبيد﴾ يعنى فيعذب غير المسىء

(اليه يردعلم الساعة)أى علم قيامها يرداليه أى يجب على المسؤل أن يقول الله يعلم ذلك (وماتخرج من ثمرات) مدنى وشامى

وحفص وغيرهم بغير ألف (من أكامها) أوعيتها قبل أن تنشق جمع كم (وما تحمل من أنثى) حملها (ولاتضع الابعلمه) أى مايحدث شئ من خروج ثمرة ولاحمل حامل ولا وضع واضع الاوهوعالم به يعلم عددأيام الحمل وساعاته وأحواله من الخداج والتمام والذكورةوالانوثةوالحسن والقبح وغيرذلك (ويوم يناديهم أين شركائى) أضافهم الى نفسه على زعمهم وبيانه فى قوله أين شركائى الذين زعمتم وفيه تهكم وتقريع (قالوا آذناك) أعلمناك وقيل أخبرناك وهو الاظهر اذالله تعالى كان عالما بذلك واعلام العالم محال أما الاخبار للعالم بالشئ تحقق بماعلم به الا أن يكون المعنى انك علمت من قلوبنا الآن انالانشهد تلك الشهادة الباطلة لانه اذاعلمه من نفوسهم فكأنهم أعلموه

الجزء الخامس والعشرون

اللهم لاتردنا خائبين

﴿ اليه يرد علم الساعة ﴾ اى اذاسئل عنها اذلايعلمها الاهو ﴿ وماتخرج من ثمرة من اكامها ﴾ من اوعيتها جمع كم بالكسر وقرأ نافع وابن عامر وحفص من ثمرات بالجمع لاختلاف الانواع وقرئ بجمع الضمير ايضا وما نافية ومن الاولى مزيدة للاستغراق وتحتمل ان تكون ماموصولة معطوفة على الساعة ومن مبينة بخلاف قوله ﴿ وماتحمل من انثى ولاتضع ﴾ بمكان ﴿ الابعلمه ﴾ الامقرونا بعلمه واقعا حسب تعلقه به ﴿ ويوم يناديهم اين شركائى ﴾ بزعمكم ﴿ قالوا آذناك ﴾

* قوله عزوجل ﴿ اليه يردعلم الساعة ﴾ يعنى اذاسأل عنهاسائل قيل له لايعلم وقت قيام الساعة الاالله تعالى ولاسبيل للخلق الى معرفة ذلك ﴿ وماتخرج من ثمرة من أكمامها ﴾ أى من أوعيتها وقال ابن عباس هوالكفرى قبل أن ينشق ﴿ وماتحمل من أنثى ولاتضع الابعلمه ﴾ أى يعلم قدرأيام الحمل وساعاته ومتى يكون الوضع وذكر الحمل هو أم أنثى ومعنى الآية كمايرد اليه علم الساعة فكذلك يرداليه علم مايحدث من كل شئ كالثمار والنتاج وغيره * فان قلت قديقول الرجل الصالح من أصحاب الكشف قولا فيصيب فيه وكذلك الكهان والمنجمون * قلت أما أصحاب الكشف اذاقالوا قولا فهو من الهام الله تعالى واطلاعه اياهم عليه فكان من علمه الذى يرداليه وأما الكهان والمنجمون فلايمكنهم القطع والجزم فى شئ مما يقولونه البتة وانما غايته ادعاء ظن ضعيف قدلايصيب وعلم الله تعالى هو العلم اليقين المقطوع به الذى لايشركه فيه أحد ﴿ ويوم يناديهم ﴾ أى ينادى الله تعالى المشركين فيقول ﴿ أين شركائى ﴾ أى الذين تدعون أنها آلهة ﴿ قالوا ﴾ يعنى المشركين ﴿ آذناك ﴾

(اليه يرد علم الساعة) علم قيام الساعة لايعلم قيامها احد غيرالله (وماتخرج من ثمرات من اكامها) من كفراها (وماتحمل من انثى) الحوامل (ولاتضع) حملها (الابعلمه) باذنه لايعلمه غيره (ويوم يناديهم) فى النار فيقول الله (اين شركائى) الذين كنتم تعبدون وتقولون انهم شركائى (قالوا آذناك) (اى)

(مامنا من شهيد) أى مامنا أحد اليوم يشهد بان لك شريكا ومامنا الا من هو موحد لك أومامنا من أحد يشاهدهم لانهم ضلوا عنهم وضلت عنهم آلهتهم لايبصرونها فى ساعة التوبيخ وقيل هو كلام الشركاء أى مامنا من شهيد يشهد بما اضافوا الينا من الشرك (وضل عنهم ماكانوا يدعون) يعبدون (من قبل) فى الدنيا (وظنوا) وأيقنوا (مالهم من محيص) مهرب (لايسأم) لايمل (الانسان) الكافر بدليل قوله وماأظن الساعة قائمة (من دعاء الخير) من طلب السعة فى المال والنعمة والتقدير من دعائه الخير فحذف الفاعل وأضيف الى المفعول (وان مسه الشر) الفقر (فيؤس) من الخير (قنوط) من الرحمة بولغ فيه من طريقين من طريق بناء فعول ومن طريق التكرير والقنوط ان يظهر عليه أثر اليأس فيتضاءل وينكسر

اعلمناك ﴿ مامنا من شهيد ﴾ من احد يشهد لهم بالشرك اذ تبرأنا عنهم لما عاينا الحال فيكون السؤال عنهم للتوبيخ اومن احد يشاهدهم لانهم ضلوا عنا وقيل هو قول الشركاء اى مامنا من يشهد لهم بانهم كانوا محقين ﴿ وضل عنهم ماكانوا يدعون ﴾ يعبدون ﴿ من قبل ﴾ لاينفعهم او لايرونه ﴿ وظنوا ﴾ وايقنوا ﴿ مالهم من محيص ﴾ مهرب والظن معلق عنه بحرف النفى ﴿ لايسأم الانسان ﴾ لايمل ﴿ من دعاء الخير ﴾ من طلب السعة فى النعمة وقرئ من دعاء بالخير ﴿ وان مسه الشر ﴾ الضيقة ﴿ فيؤس قنوط ﴾ من فضل الله ورحمته وهذا صفة الكافر لقوله انه لاييأس من روح الله الا القوم الكافرون وقد بولغ فى يأسه من جهة البنية والتكرير ومافى القنوط من ظهور اثر اليأس ﴿ ولئن اذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ﴾ بتفريجها عنه ﴿ ليقولن هذا لى ﴾ استحقه بمالى من الفضل والعمل اولى دائما لايزول ﴿ وماأظن الساعة قائمة ﴾ تقوم ﴿ ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى ﴾ اى ولئن قامت على التوهم كان لى عند الله تعالى الحالة الحسنى من الكرامة وذلك لاعتقاده ان ما اصابه من نعم الدنيا فلاستحقاق لاينفك

أى أعلمناك ﴿ مامنا من شهيد ﴾ أى يشهد أن لك شريكا وذلك لما رأوا العذاب تبرؤا من الاصنام ﴿ وضل عنهم ماكانوا يدعون من قبل ﴾ أى يعبدون فى الدنيا ﴿ وظنوا مالهم من محيص ﴾ أى مهرب * قوله تعالى ﴿ لايسأم الانسان ﴾ أى لايمل الكافر ﴿ من دعاء الخير ﴾ يعنى لايزال يسأل ربه الخير وهو المال والغنى والصحة ﴿ وان مسه الشر ﴾ أى الشدة والفقر ﴿ فيؤس ﴾ أى من روح الله تعالى ﴿ قنوط ﴾ أى من رحمته ﴿ ولئن أذقناه رحمة منا ﴾ أى آتيناه خيرا وعافية وغنى ﴿ من بعد ضراء مسته ﴾ أى من بعد شدة وبلاء أصابه ﴿ ليقولن هذا لى ﴾ أى أستحقه بعملى ﴿ وما أظن الساعة قائمة ﴾ أى ولست على يقين من البعث ﴿ ولئن رجعت الى ربى ﴾ يقول هذا الكافر اى فان كان الامر على ذلك ورددت الى ربى ﴿ ان لى عنده للحسنى ﴾ أى الجنة

أى يقطع الرجاء من فضل الله وروحه وهذا صفة الكافر بدليل قوله تعالى انه لاييأس من روح الله الا القوم الكافرون (ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لى) واذا فرجنا عنه بصحة بعد مرض أوسعة بعد ضيق قال هذا لى أى هذا حق وصل الى لانى استوجبته بما عندى من خير وفضل وأعمال بر أو هذا لى لايزول عنى (وما أظن الساعة قائمة) أى ما أظنها تكون قائمة (ولئن رجعت الى ربى) كما يقول المسلمون (ان لى عنده) عند الله (للحسنى) أى

اعلمناك وقلنالك قبل هذا

(مامنا من شهيد) يشهد على نفسه (قا و خا ٥٠ مس) أنه عبد دونك احدا (وضل عنهم) اشتغل عنهم (ما كانوا يدعون) يعبدون (من قبل) فى الدنيا (وظنوا) علموا وايقنوا (مالهم من محيص) من ملجأ ولا مغيث ولا نجاة من النار (لايسأم الانسان) يعنى الكافر لايمل ولايفتر (من دعاء الخير) المال والولد والصحة (وان مسه الشر) ان اصابته الشدة والفقر (فيؤس قنوط) فيصير آيس شئ وأقنطه من رحمة الله (ولئن اذقناه) أصبناه (رحمة منا) نعمة منا بالمال والولد (من بعد ضراء مسته) شدة اصابته (ليقولن هذا لى) بخير علم الله فى (وماأظن الساعة) قيام الساعة (قائمة) كائنة كما يقول محمد عليه السلام انكارا منه للبعث (ولئن رجعت الى ربى) كما يقول محمد صلى الله عليه وسلم (ان لى عنده) فى الآخرة (للحسنى) الجنة وهو عتبة بن أبى ربيعة وأصحابه

الجنة أو الحالة الحسنى من الكرامة والنعمة قائسا أمر الاخرة على أمر الدنيا (فلننبئن الذين كفروا بما عملوا) فلنخبرنهم بحقيقة ما عملوا من الاعمال الموجبة للعذاب (ولنذيقنهم من عذاب غليظ) شديد لا يفترعنهم (واذا أنعمنا على الانسان أعرض) هذا ضرب آخر من طغيان الانسان اذا أصابه الله بنعمة أبطرته النعمة فنسى المنعم وأعرض عن شكره (ونأى بجانبه) وتباعد عن ذكر الله ودعائه أو ذهب بنفسه وتكبر وتعظم وتحقيقه أن يوضع جانبه موضع نفسه لان مكان الشئ وجهته ينزل منزلة نفسه ومنه قول الكتاب كتبت الى جهته والى جانبه العزيز يريدون نفسه وذاته فكانه قال ونأى بنفسه (واذا مسه الشر) الضر والفقر (فذو دعاء عريض) كثير أى أقبل على دوام الدعاء وأخذ فى الابتهال والتضرع وقد استعير العرض لكثرة الدعاء ودوامه وهو من صفة الاجرام

كما استعير الغلظ لشدة العذاب ولا منافاة بين قوله فيؤس قنوط وبين قوله فذو دعاء عريض لان الاول فى قوم والثانى فى قوم أو قنوط فى البر وذو دعاء عريض فى البحر أو قنوط بالقلب ذو دعاء عريض باللسان أو قنوط من الصنم ذو دعاء لله تعالى (قل أرأيتم) أخبرونى (ان كان) القرآن (من عند الله ثم كفرتم به) ثم جحدتم انه من عند الله (من أضل) منكم الا انه وضع قوله (ممن هو فى شقاق بعيد) موضع منكم بيانا لحالهم وصفتهم (سنريهم آياتنا فى الآفاق) من فتح البلاد شرقا وغربا (وفى أنفسهم) فتح مكة

عنه ﴿ فلننبئن الذين كفروا ﴾ فلنخبرنهم ﴿ بما عملوا ﴾ بحقيقة اعمالهم ولنبصرنهم عكس ما اعتقدوا فيها ﴿ ولنذيقنهم من عذاب غليظ ﴾ لا يمكنهم التفصى عنه ﴿ واذا انعمنا على الانسان اعرض ﴾ عن الشكر ﴿ ونأى بجانبه ﴾ وانحرف عنه او ذهب بنفسه وتباعد عنه بكليته تكبرا والجانب مجاز عن النفس كالجنب فى قوله تعالى فى جنب الله ﴿ واذا مسه الشر فذو دعاء عريض ﴾ كثير مستعار مما له عرض متسع للاشعار بكثرته واستمراره وهو ابلغ من الطويل اذ الطول اطول الامتدادين فاذا كان عرضه كذلك فما ظنك بطوله ﴿ قل أرأيتم ﴾ اخبرونى ﴿ ان كان من عند الله ﴾ اى القرآن ﴿ ثم كفرتم به ﴾ من غير نظر واتباع دليل ﴿ من اضل ممن هو فى شقاق بعيد ﴾ اى من اضل منكم فوضع الموصول موضع الصلة شرحا لحالهم وتعليلا لمزيد ضلالهم ﴿ سنريهم آياتنا فى الآفاق ﴾ يعنى ما اخبرهم النبى عليه السلام به من الحوادث الآتية وآثار النوازل الماضية وما يسر الله له ولخلفائه من الفتوح والظهور على ممالك الشرق والغرب على وجه خارق للعادة ﴿ وفى انفسهم ﴾ ما ظهر فيما بين اهل مكة وما حل بهم او ما فى بدن الانسان من عجائب الصنع الدالة على كمال القدرة

والمعنى كما أعطانى فى الدنيا سيعطينى فى الآخرة ﴿ فلننبئن الذين كفروا بما عملوا ﴾ قال ابن عباس لنوقفنهم على مساوى أعمالهم ﴿ ولنذيقنهم من عذاب غليظ واذا أنعمنا على الانسان أعرض ونأى بجانبه ﴾ أى ذهب بنفسه وتكبر وتعظم ﴿ واذا مسه الشر ﴾ أى الشدة والفقر ﴿ فذو دعاء عريض ﴾ أى كثير ﴿ قل ﴾ أى قل يا محمد لكفار مكة ﴿ أرأيتم ان كان من عند الله ﴾ يعنى هذا القرآن ﴿ ثم كفرتم به ﴾ أى جحدتموه ﴿ من أضل ممن هو فى شقاق بعيد ﴾ أى فى خلاف للحق بعيد عنه والمعنى فلا أحد أضل منكم ﴿ سنريهم آياتنا فى الآفاق ﴾ قال ابن عباس يعنى منازل الامم الخالية ﴿ وفى أنفسهم ﴾ أى بالبلاء والامراض وقيل ما نزل بهم يوم بدر وقيل فى الآفاق هو ما يفتح من القرى والبلاد

(فلننبئن) فلنخبرن (الذين كفروا بما عملوا) فى كفرهم (ولنذيقنهم من عذاب غليظ) شديد لونا بعد لون فى النار (واذا أنعمنا على الانسان) يعنى الكافر بالمال والولد (أعرض) عن شكر ذلك (ونأى بجانبه) تباعد عن الايمان (واذا مسه الشر) اصابه الفقر (فذو دعاء عريض) طويل بالمال ويقال كثير الولد وهو عتبة (قل) لهم يا محمد (أرأيتم ان كان من عند الله) يقول هذا القرآن من الله (ثم كفرتم به) بالقرآن انه ليس من عند الله ماذا يفعل بكم ربكم (من أضل) عن الحق والهدى (ممن هو فى شقاق) فى خلاف (بعيد) عن الحق والهدى ويقال فى معاداة شديدة مع محمد صلى الله عليه وسلم وهو أبو جهل (سنريهم) يا محمد أهل مكة (آياتنا) علامات عجائبنا ووحدانيتنا وقدرتنا (فى الآفاق) فى اطراف الارض من خراب مساكن الذين من قبلهم مثل عاد وثمود والذين من بعدهم (وفى أنفسهم) ونريهم فى أنفسهم من الامراض والاوجاع والمصائب وغير ذلك (على)

(حتى يتبين لهم أنه الحق) أى القرآن أو الاسلام (أولم يكف بربك) موضع بربك الرفع على انه فاعل والمفعول محذوف وقوله (انه على كل شئ شهيد) بدل منه تقديره أولم يكفهم ان ربك على كل شئ شهيد أى أولم تكفهم شهادة ربك على كل شئ ومعناه ان هذا الموعود من اظهار آيات الله فى الآفاق وفى أنفسهم سيرونه ويشاهدونه فيتبينون عند ذلك ان القرآن تنزيل عالم الغيب الذى هو على كل شئ شهيد (ألا انهم فى مرية) شك (من لقاء ربهم ألا انه بكل شئ محيط) عالم بجمل الاشياء وتفاصيلها وظواهرها وبواطنها فلا تخفى عليه خافية فيجازيهم على كفرهم ومريتهم فى لقاء ربهم

﴿ سورة شورى مكية وهى ثلاث وخمسون آية ﴾

(حتى يتبين لهم أنه الحق) ان ما يقول لهم النبى هو الحق (أولم يكف بربك) أولم يكفهم ما بين لهم ربك من أخبار الامم الماضية من غير أن يريهم (انه على كل شئ) من أعمالهم (شهيد ألا انهم) أهل مكة (فى مرية) فى شك وارتياب (من لقاء ربهم) من البعث بعد الموت (ألا انه بكل شئ) من أعمالهم وعقوبتهم (محيط) عالم

﴿ ومن السورة التى يذكر فيها حم عسق وهى كلها مكية الا سبع آيات قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى والذين يحاجون فى الله من بعد ما استجيب له الى آخر الآية وخمس آيات نزلت فى أبى بكر الصديق وأصحابه من قوله والذين يجتنبون كبائر الاثم الى قوله ان ذلك لمن عزم الامور فانهن مدنيات آياتها خمسون آية وكلماتها ثمانمائة وستة وثمانون وحروفها ثلاثة آلاف وخمسمائة وثمانية وثمانون حرفا ﴾

﴿ حتى يتبين لهم انه الحق ﴾ الضمير للقرآن او الرسول صلى الله عليه وسلم او التوحيد او الله ﴿ أولم يكف بربك ﴾ اى اولم يكف ربك والباء مزيدة للتأكيد كانه قيل اولم يحصل الكفاية به ولا يكاد تزاد فى الفاعل الامع كفى ﴿ انه على كل شئ شهيد ﴾ بدل منه والمعنى اولم يكفك انه تعالى على كل شئ شهيد محقق له فيحقق امرك باظهار الآيات الموعودة كما حقق سائر الاشياء الموعودة او مطلع فيعلم حالك وحالهم او اولم يكف الانسان رادعا عن المعاصى انه تعالى مطلع على كل شئ لا يخفى عليه خافية ﴿ الا انهم فى مرية ﴾ شك وقرئ بالضم وهو لغة كخفية وخفية ﴿ من لقاء ربهم ﴾ بالبعث والجزاء ﴿ الا انه بكل شئ محيط ﴾ عالم بجمل الاشياء وتفاصيلها مقتدر عليها لا يفوته شئ منها * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة السجدة اعطاه الله تعالى بكل حرف عشر حسنات

﴿ سورة حم عسق مكية وتسمى سورة الشورى وآيها ثلاث وخمسون ﴾

على محمد صلى الله عليه وسلم والمسلمين وفى أنفسهم وهو فتح مكة ﴿ حتى يتبين لهم أنه الحق ﴾ يعنى دين الاسلام وقيل يتبين القرآن انه من عند الله وقيل يتبين لهم أن محمدا صلى الله عليه وسلم مؤيد من قبل الله تعالى وقيل فى الآفاق يعنى أقطار السموات والارض من الشمس والقمر والنجوم والاشجار والانهار والنبات وفى أنفسهم يعنى من لطف الحكمة وبديع الصنعة حتى يتبين لهم أنه الحق يعنى لا يقدر على هذه الاشياء الا الله تعالى ﴿ أولم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد ﴾ يعنى يشهد أن القرآن من عند الله تعالى وقيل أولم يكفهم الدلائل الكثيرة التى أوضحها الله لهم على التوحيد وانه شاهد لا يغيب عنه شئ ﴿ ألا انهم فى مرية من لقاء ربهم ﴾ أى فى شك عظيم من البعث والقيامة ﴿ ألا انه بكل شئ محيط ﴾ أى عالم بجميع المعلومات التى لا نهاية لها أحاط بكل شئ علما وأحصى كل شئ عددا والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿ تفسير سورة حم عسق وتسمى سورة الشورى وهى ﴾
﴿ مكية فى قول ابن عباس والجمهور وحكى عن ابن عباس الا ﴾
﴿ أربع آيات نزلت بالمدينة أولها قل لا اسئلكم عليه أجرا ﴾
﴿ وقيل فيها من المدنى ذلك الذى يبشر الله عباده الى قوله ﴾
﴿ تعالى بذات الصدور وقوله والذين اذا أصابهم البغى هم ﴾
﴿ ينتصرون الى قوله من سبيل وهى ثلاث وخمسون آية ﴾
﴿ وثمانمائة وستون كلمة وثلاثة آلاف وخمسمائة ﴾
﴿ وثمانية وثمانون حرفا والله تعالى أعلم ﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ فصل (حم) من (عسق) كتابة مخالفا لكهيعص تلفيقا باخواتها ولانه آيتان وكهيعص آية واحدة (كذلك يوحى اليك) أى مثل ذلك الوحى أو مثل ذلك الكتاب يوحى اليك (والى الذين من قبلك) والى الرسل من قبلك (الله) يعنى ان ما تضمنته هذه السورة من المعانى قد أوحى الله اليك مثله فى غيرها من السور وأوحاه الى من قبلك يعنى الى رسله والمعنى ان الله كرر هذه المعانى فى القرآن فى جميع الكتب السماوية لما فيها من التنبيه البليغ واللطف العظيم لعباده وعن ابن عباس رضى الله عنهما ليس من نبى صاحب كتاب الا أوحى اليه بحم عسق يوحى بفتح الحاء مكى ورافع اسم الله على هذه القراءة مادل عليه يوحى كأن قائلا قال من الموحى فقيل الله (العزيز) الغالب بقهره (الحكيم) المصيب فى فعله وقوله

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿حم عسق﴾ لعله اسمان للسورة ولذلك فصل بينهما وعدا آيتين وان كان اسما واحدا فالفصل ليطابق سائر الحواميم وقرئ حم سق ﴿كذلك يوحى اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم﴾ اى مثل مافى هذه السورة من المعانى اوايحاء مثل ايحائها اوحى الله اليك والى الرسل قبلك وانما ذكر بلفظ المضارع على حكاية الحال الماضية للدلالة على استمرار الوحى وان ايحاء مثله عادته وقرأ ابن كثير يوحى بالفتح على ان كذلك مبتدأ ويوحى خبره المسند الى ضميره او مصدر ويوحى مسند الى اليك والله مرتفع بمادل عليه يوحى والعزيز الحكيم صفتان له مقررتان لعلو شأن الموحى به كامر فى السورة السابقة او بالابتداء كما فى قراءة نوحى بالنون والعزيز ومابعده اخبار او العزيز الحكيم صفتان وقوله

بسم الله الرحمن الرحيم

* قوله عز وجل ﴿حم عسق﴾ سئل الحسين بن الفضل لم قطع حروف حم عسق ولم يقطع حروف المص والمر وكهيعص فقال لانها بين سور أوائلها حم فجرت مجرى نظائرها فكان حم مبتدأ وعسق خبره لان حم عسق عدت آيتين وعدت أخواتها التى لم تقطع آية واحدة وقيل لان أهل التأويل لم يختلفوا فى كهيعص واخواتها انها حروف التهجى واختلفوا فى حم فاخرجها بعضهم من حيز الحروف وجعلها فعلا فقال معناها حم الامر أى قضى وبقى عسق على أصله وقال ابن عباس ح حلمه م مجده ع علمه س سناه ق قدرته أقسم الله عز وجل بها وقيل ان العين من العزيز والسين من قدوس والقاف من قاهر وقيل ح حرب فى قريش يعز فيها الذليل ويذل فيها العزيز م ملك يتحول من قوم الى قوم ع عدو لقريش يقصدهم س سنون كسنى يوسف ق قدرة الله فى خلقه وقيل هذا فى شأن محمد صلى الله عليه وسلم فالحاء حوضه المورود والميم ملكه الممدود والعين عزه الموجود والسين سناؤه المشهود والقاف قيامه فى المقام المحمود وقربه من الملك المعبود وقال ابن عباس ليس من نبى صاحب كتاب الا وقد أوحى اليه حم عسق فلذلك قال الله تعالى ﴿كذلك يوحى اليك والى الذين من قبلك﴾ وقيل معناه كذلك نوحى اليك اخبار الغيب كما أوحينا الى الذين من قبلك ﴿الله العزيز﴾ فى ملكه ﴿الحكيم﴾ فى صنعه والمعنى كانه قيل من يوحى فقال الله العزيز الحكيم ثم وصف نفسه وسعة ملكه

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (حم عسق) قال هى ثناء اثنى بها على نفسه يقول الحاء حلمه والميم ملكه والعين علمه والسين سناؤه والقاف قدرته على خلقه ويقال الحاء كل حرب يكون والميم تحويل كل ملك يكون والعين كل وعد يكون والسين سنون كسنى يوسف والقاف كل قذف يكون ويقال قسم أقسم بها ان لا يعذب فى النار أبدا من قال لا اله الا الله مخلصا بها له ولقى بها ربه (كذلك يوحى اليك والى الذين من قبلك) من الرسل يقول كما أوحينا اليك حم عسق (فقال) كذلك أوحينا الى الذين من قبلك من الرسل (الله العزيز) بالنقمة لمن لا يؤمن به (الحكيم) فى أمره وقضائه أمر أن لا يعبد غيره ويقال العزيز فى ملكه وسلطانه الحكيم فى أمره او قضائه

(له ما في السموات وما في الارض) ملكا وملكا (وهو العلى) شانه (العظيم) برهانه (تكاد السموات) وبالياء نافع وعلى (يتفطرن من فوقهن) يتشققن ينفطرن بصرى وأبو بكر ومعناه يكدن يتفطرن من علو شان الله وعظمته يدله عليه مجيئه بعد قوله العلى العظيم وقيل من دعائهم له ولدا كقوله تكاد السموات يتفطرن منه ومعنى من فوقهن أي يبتدئ الانفطار من جهتهن الفوقانية وكان القياس ان يقال يتفطرن من تحتهن من الجهة التي جاءت منها كلمة الكفر لانها جاءت من الذين تحت السموات ولكنه بولغ في ذلك فجعلت مؤثرة في جهة الفوق كأنه قيل يكدن ينفطرن من الجهة التي فوقهن دع الجهة التي تحتهن وقيل من فوقهن من فوق الارض فالكناية راجعة الى الارض لانه بمعنى الارضين وقيل يتشققن لكثرة ما على السموات من الملائكة قال عليه السلام أطت السماء أطا وحق لها ان تئط ما فيها موضع قدم الا وعليه ملك قائم أو راكع أو ساجد (والملائكة يسبحون بحمد ربهم) خضوعا لما يرون من عظمته (ويستغفرون لمن في الارض) أى للمؤمنين منهم كقوله ويستغفرون للذين آمنوا خوفا عليهم من سطواته أو يوحدون الله وينزهونه عما لا يجوز عليه من الصفات حامدين له على ما أولاهم من الطاعة متعجبين مما رأوا من تعرضهم لسخط الله تعالى ويستغفرون لمؤمني أهل الارض الذين تبرؤا من تلك الكلمة أو يطلبون الى ربهم أن يحلم عن أهل الارض ولا يعاجلهم بالعقاب (ألا ان الله هو الغفور الرحيم) لهم (والذين اتخذوا من دونه أولياء) أى جعلوا له شركاء وأندادا (الله حفيظ

﴿ له ما في السموات وما في الارض وهو العلى العظيم ﴾ خبران له وعلى الوجوه الاخر استئناف مقرر لعزته وحكمته ﴿ تكاد السموات ﴾ وقرأ نافع والكسائي بالياء ﴿ يتفطرن ﴾ يتشققن من عظمة الله وقيل من ادعاء الولد له وقرأ البصريان وابو بكر ينفطرن والاول ابلغ لانه مطاوع فطر وهذا مطاوع فطر وقرئ تتفطرن بالتاء لتأكيد التأنيث وهو نادر ﴿ من فوقهن ﴾ اى يبتدئ الانفطار من جهتهن الفوقانية وتخصيصها على الاول لان اعظم الآيات وادلها على علو شأنه من تلك الجهة وعلى الثاني ليدل على الانفطار من تحتهن بالطريق الاولى وقيل الضمير للارض فان المراد بها الجنس ﴿ والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الارض ﴾ بالسعى فيما يستدعى مغفرتهم من الشفاعة والالهام واعداد الاسباب المقربة الى الطاعة وذلك في الجملة يعم المؤمن والكافر بل لو فسر الاستغفار بالسعى فيما يدفع الخلل المتوقع عم الحيوان بل الجماد وحيث خص بالمؤمنين فالمراد به الشفاعة ﴿ ألا ان الله هو الغفور الرحيم ﴾ اذ ما من مخلوق الا وهو ذو حظ من رحمته والآية على الاول زيادة تقرير لعظمته وعلى الثاني دلالة على تقدسه عما نسب اليه وان عدم معاجلتهم بالعقاب على تلك الكلمة الشنعاء باستغفار الملائكة وفرط غفرانه ورحمته ﴿ والذين اتخذوا من دونه اولياء ﴾ شركاء وانداداً ﴿ الله حفيظ

فقال تعالى ﴿ له ما في السموات وما في الارض وهو العلى العظيم تكاد السموات يتفطرن من فوقهن ﴾ أى من فوق الارضين وقيل تنفطر كل واحدة فوق التي تليها من عظمة الله تعالى وقيل من قول المشركين اتخذ الله ولدا ﴿ والملائكة يسبحون بحمد ربهم ﴾ أى ينزهونه عما لا يليق بجلاله وقيل يصلون بامر ربهم ﴿ ويستغفرون لمن في الارض ﴾ أى من المؤمنين دون الكفار لان الكافر لا يستحق ان تستغفر له الملائكة وقيل يحتمل ان يكون للجميع من في الارض اما في حق الكافرين فبواسطة طلب الايمان لهم ويحتمل ان يكون المراد من الاستغفار أن لا يعاجلهم بالعقاب وأما في حق المؤمنين فبالتجاوز عن سيآتهم وقيل استغفارهم لمن في الارض هو سؤال الرزق لهم فيدخل فيه المؤمن والكافر ﴿ ألا ان الله هو الغفور الرحيم ﴾ يعني انه تعالى يعطي المغفرة التي سألوها ويضم اليها بمنه وكرمه الرحمة العامة الشاملة * قوله تعالى ﴿ والذين اتخذوا من دونه أولياء ﴾ أى جعلوا له شركاء وانداداً ﴿ الله حفيظ

(له ما في السموات وما في الارض) من الخلق كلهم عبيده وإماؤه (وهو العلى) اعلى كل شئ (العظيم) أعظم كل شئ (تكاد السموات يتفطرن) يتشققن (من فوقهن) بعضها فوق بعض من هيبة الرحمن ويقال من مقالة اليهود (والملائكة) في السماء (يسبحون بحمد ربهم) يصلون بامر ربهم (ويستغفرون) يدعون بالمغفرة (لمن في الارض) من المؤمنين المخلصين (ألا ان الله هو الغفور) لمن تاب (الرحيم) لمن مات على التوبة (والذين اتخذوا) عبدوا (من دونه) من دون الله (أولياء) أربابا من الاصنام (الله حفيظ

عليهم) رقيب على أقوالهم وأعمالهم لايفوته منها شئ فيجازيهم عليها (وماأنت) يامحمد (عليهم بوكيل) بموكل عليهم ولامفوض اليك أمرهم انما أنت منذر فحسب (وكذلك) ومثل ذلك (اوحينا اليك)وذلك اشارة الى معنى الآية التى قبلها من أن الله رقيب عليهم لاأنت بل أنت منذر لان هذا المعنى كرره الله فى كتبه أوهو مفعول به لاوحينا (قرآنا عربيا) حال من المفعول به أى أوحيناه اليك وهو قرآن عربى بين (لتنذر أم القرى)أى مكة لان الارض دحيت من تحتها أولانها أشرف البقاع والمراد أهل أم القرى (ومن حولها) من العرب (وتنذر يوم الجمع)يوم القيامة لان الخلائق تجتمع فيه (لاريب فيه) اعتراض لامحل له يقال أنذرته كذا وانذرته بكذا وقد عدى لتنذر أم القرى الى المفعول الاول وتنذر يوم الجمع الى المفعول الثانى (فريق فى الجنة وفريق فى السعير)أى منهم فريق فى الجنة ومنهم فريق فى السعير والضمير للمجموعين لان المعنى يوم جمع الخلائق (ولوشاء الله لجعلهم أمة واحدة) أى مؤمنين كلهم

عليهم ﴾ رقيب على احوالهم واعمالهم فيجازيهم بها ﴿ ومالنت ﴾ يامحمد ﴿ عليهم بوكيل ﴾ بموكل بهم اوبموكول اليه امرهم ﴿ وكذلك اوحينا اليك قرآنا عربيا ﴾ الاشارة الى مصدر يوحى اوالى معنى الآية المتقدمة فانه مكرر فى القرآن فى مواضع جمة فيكون الكاف مفعولا به وقرآنا عربيا حالا منه ﴿ لتنذرام القرى ﴾ اهل ام القرى وهى مكة ﴿ ومن حولها ﴾ من العرب ﴿ وتنذر يوم الجمع ﴾ يوم القيامة يجمع الخلائق فيه اوالارواح والاشباح اوالاعمال والعمال وحذف ثانى مفعولى الاول واول مفعولى الثانى للتهويل وايهام التعميم وقرئ لينذر بالياء والفعل للقرآن ﴿ لاريب فيه ﴾ اعتراض لامحل له ﴿ فريق فى الجنه وفريق فى السعير ﴾ اى بعد جمعهم فى الموقف يجمعون اولانهم يفرقون والتقدير منهم فريق والضمير للمجموعين لدلالة الجمع عليه وقرئا منصوبين على الحال من هم اى وتنذر يوم جمعهم متفرقين بمعنى مشارفين للتفرق اومتفرقين فى دارى الثواب والعقاب ﴿ ولوشاء الله لجعلهم امة واحدة ﴾

عليهم ﴾ أى رقيب على أحوالهم وأعمالهم ﴿ وماأنت عليهم بوكيل ﴾ أى لم توكل بهم حتى تؤخذ بهم انما انت نذير ﴿ وكذلك ﴾ أى ومثل ماذكرنا ﴿ أوحينا اليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ﴾ يعنى مكة والمراد أهلها ﴿ ومن حولها ﴾ يعنى قرى الارض كلها ﴿ وتنذر يوم الجمع ﴾ أى وتنذرهم بيوم الجمع وهو يوم القيامة يجمع الله سبحانه وتعالى فيه الاولين والآخرين وأهل السموات وأهل الارضين ﴿ لاريب فيه ﴾ أى لاشك فى الجمع انه كائن ثم بعد ذلك الجمع يتفرقون وهو قوله تعالى ﴿ فريق فى الجنة وفريق فى السعير ﴾ عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم قابضا على كفه ومعه كتابان فقال أتدرون ماهذان الكتابان قلنا لا يارسول الله فقال للذى فى يده اليمنى هذا كتاب من رب العالمين باسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وعشائرهم وعدتهم قبل ان يستقروا نطفا فى الاصلاب وقبل ان يستقروا نطفا فى الارحام اذهم فى الطينة منجدلون فليس بزائد فيهم ولاناقص منهم اجمال من الله عليهم الى يوم القيامة ثم قال للذى فى يساره هذا كتاب من رب العالمين باسماء أهل النار وأسماء آبائهم وعشائرهم وعدتهم قبل ان يستقروا نطفا فى الاصلاب وقبل ان يستقروا نطفا فى الارحام اذهم فى الطينة منجدلون فليس بزائد فيهم ولاناقص منهم اجمال من الله تعالى عليهم الى يوم القيامة فقال عبدالله بن عمرو ففيم العمل اذا قال اعملوا وسددوا وقاربوا فان صاحب الجنة يختم له بعمل أهل الجنة وان عمل أى عمل ثم قال فريق فى الجنة وفريق فى السعير عدل من الله تعالى أخرجه أحمد بن حنبل فى مسنده * قوله تعالى ﴿ ولوشاء الله لجعلهم أمة واحدة ﴾ قال ابن عباس على دين واحد وقيل على ملة الاسلام

عليهم) شهيد عليهم وعلى أعمالهم (وماأنت عليهم بوكيل) بكفيل تؤخذ بهم ثم أمره بعد ذلك بقتالهم (وكذلك) هكذا (أوحينا اليك) أنزلنا اليك جبريل بالقرآن (قرآنا عربيا) بقرآن على مجرى لغة العرب (لتنذر) لتخوف بالقرآن (أم القرى) أهل مكة (ومن حولها) من البلدان (وتنذر) تخوف (ولكن) (يوم الجمع) من أهوال يوم الجمع يجتمع فيه أهل السماء وأهل الارض (لاريب فيه) لاشك فيه (فريق) منهم من أهل الجمع (فى الجنة) وهم المؤمنون (وفريق) طائفة منهم (فى السعير) فى نار الوقود وهم الكافرون (ولوشاء الله لجعلهم أمة واحدة)

(ولكن يدخل من يشاء فى رحمته) أى يكرم من يشاء بالاسلام (والظالمون) والكافرون (مالهم من ولى) شافع (ولا نصير) دافع (أم اتخذوا من دونه أولياء فالله هو الولى) الفاء لجواب شرط مقدر كانه قيل بعد انكار كل ولى سواه ان أرادوا أولياء بحق فالله هو الولى بالحق وهو الذى يجب ان يتولى وحده لا ولى سواه (وهو يحيي الموتى وهو على كل شئ قدير) فهو الحقيق بان يتخذ وليا دون من لا يقدر على شئ (وما اختلفتم فيه من شئ) حكاية قول رسول الله صلى الله عليه وسلم للمؤمنين أى ما خالفيكم فيه الكفار من أهل الكتاب والمشركين

من أمر من أمور الدين

مهتدين اوضالين ﴿ ولكن يدخل من يشاء فى رحمته ﴾ بالهداية والحمل على الطاعة ﴿ والظالمون مالهم من ولى ولا نصير ﴾ اى ويدعهم بغير ولى ولا نصير فى عذاب ولعل تغيير المقابلة للمبالغة فى الوعيد اذ الكلام فى الانذار ﴿ ام اتخذوا ﴾ بل اتخذوا ﴿ من دونه اولياء ﴾ كالاصنام ﴿ فالله هو الولى ﴾ جواب شرط محذوف مثل ان ارادوا اولياء بحق فالله هو الولى بالحق ﴿ وهو يحيي الموتى وهو على كل شئ قدير ﴾ كالتقرير لكونه حقيقا بالولاية ﴿ وما اختلفتم ﴾ انتم والكفار ﴿ فيه من شئ ﴾ من امر من امور الدين اوالدنيا ﴿ فحكمه الى الله ﴾ مفوض اليه يميز المحق عن المبطل بالنصر اوبالاثابة والمعاقبة وقيل وما اختلفتم فيه من تأويل متشابه فارجعوا فيه الى المحكم من كتاب الله ﴿ ذلكم الله ربى عليه توكلت ﴾ فى مجامع الامور ﴿ واليه انيب ﴾ ارجع فى المعضلات ﴿ فاطر السموات والارض ﴾ خبر آخر لذلكم اومبتدأ خبره ﴿ جعل لكم ﴾ وقرئ بالجر على البدل من الضمير اوالوصف لالى الله وبالرفع ﴿ من انفسكم ﴾ من جنسكم ﴿ ازواجا ﴾ نساء ﴿ ومن الانعام ازواجا ﴾ اى وخلق

﴿ ولكن يدخل من يشاء فى رحمته ﴾ أى فى دين الاسلام ﴿ والظالمون ﴾ أى الكافرون ﴿ مالهم من ولى ﴾ أى يدفع عنهم العذاب ﴿ ولا نصير ﴾ أى يمنعهم من العذاب ﴿ أم اتخذوا ﴾ يعنى الكفار ﴿ من دونه أولياء فالله هو الولى ﴾ قال ابن عباس هو وليك يا محمد وولى من اتبعك ﴿ وهو يحيي الموتى وهو على كل شئ قدير ﴾ يعنى ان من يكون بهذه الصفة فهو الحقيق بان يتخذ وليا ومن لا يكون بهذه الصفة فليس بولى ﴿ وما اختلفتم فيه من شئ ﴾ أى من أمر الدين ﴿ فحكمه الى الله ﴾ أى يقضى فيه ويحكم يوم القيامة بالفصل الذى يزيل الريب وقيل علمه الى الله وقيل تحاكموا فيه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لان حكمه من حكم الله تعالى ولا تؤثروا حكومة غيره على حكومته ﴿ ذلكم الله ﴾ أى الذى يحكم بين المختلفين هو الله ﴿ ربى عليه توكلت ﴾ أى فى جميع أمورى ﴿ واليه أنيب ﴾ أى واليه أرجع فى كل المهمات ﴿ فاطر السموات والارض جعل لكم من أنفسكم ﴾ أى من جنسكم ﴿ أزواجا ﴾ أى حلائل وانما قال من أنفسكم لان الله تعالى خلق حواء من ضلع آدم ﴿ ومن الانعام أزواجا ﴾ أى أصنافا ذكرانا واناثا

(فحكمه) أى حكم ذلك المختلف فيه مفوض (الى الله) وهو اثابة المحقين فيه من المؤمنين ومعاقبة المبطلين (ذلكم) الحاكم بينكم (الله ربى عليه توكلت) فى رد كيد أعداء الدين (واليه أنيب) أرجع فى كفاية شرهم وقيل وما وقع بينكم الخلاف فيه من العلوم التى لا تتصل بتكليفكم ولا طريق لكم الى علمه فقولوا الله أعلم كمعرفة الروح وغيره (فاطر السموات والارض) ارتفاعه على انه أحد اخبار ذلكم أو خبر مبتدأ محذوف (جعل لكم من انفسكم) خلق لكم من جنسكم من الناس (أزواجا ومن الانعام وازواجا)

لجمع اليهود والنصارى والمشركين على ملة واحدة ملة الاسلام (ولكن يدخل) يكرم (من يشاء فى رحمة) بدينه الاسلام (والظالمون) اليهود والنصارى والمشركون (مالهم من ولى) قريب ينفعهم (ولا نصير) مانع عنهم من عذاب الله (أم اتخذوا من دونه) عبدوا من دون الله (أولياء) أربابا (فالله هو الولى) بهم جميعا (وهو يحيي الموتى) للبعث (وهو على كل شئ) من الاحياء والاماتة (قدير وما اختلفتم فيه) فى الدين (من شئ فحكمه الى الله) فاطلبوا حكمه من كتاب الله (ذلكم الله ربى) أمركم بذلك (عليه توكلت) اتكلت (واليه أنيب) أقبل (فاطر السموات) أى هو خالق السموات (والارض جعل لكم) خلق لكم (من أنفسكم) آدميا مثلكم (أزواجا) أصنافا ذكرا وأنثى (ومن الانعام أزواجا) اصنافا

أى وخلق للانعام أيضا من أنفسها أزواجا (يذرؤكم) يكثركم يقال ذرأالله الخلق بثهم وكثرهم
(فيه) فى هذا التدبير وهوان جعل الناس والانعام أزواجا حتى كان بين ذكورهم واناثهم التوالد والتناسل واختير فيه على
به لانه جعل هذا التدبير كالمنبع والمعدن للبث والتكثير والضمير فى يذرؤكم يرجع الى المخاطبين والانعام مغلبا فيه المخاطبون العقلاء
على الغيب ممالايعقل (ليس كمثله شئ) قيل ان كلمة التشبيه كررت لتأكيد نفى التماثل وتقديره ليس مثله شئ
وقيل المثل زيادة وتقديره

كقوله تعالى فان آمنوا بمثل ما آمنتم به
وهذالان المراد نفى المثلية
واذا لم تجعل الكاف
أوالمثل زيادة كان اثبات
المثل وقيل المراد ليس
كذاته شئ لانهم يقولون
مثلك لايبخل يريدون به
نفى البخل عن ذاته
ويقصدون المبالغة فى ذلك
بسلوك طريق الكناية
لانهم اذانفوه عمن يسد
مسده فقدنفوه عنه فاذاعلم
انه من باب الكناية لم يقع
فرق بين قوله ليس كالله
شئ وبين قوله ليس كمثله
شئ الاماتعطيه الكناية
من فائدتها وكانهما عبارتان
معتقبتان على معنى واحد
وهونفى المماثلة عن ذاته
ونحوه بل يداه مبسوطتان
فمعناه بل هوجواد من غير
تصوريدولا بسط لها لانها
وقعت عبارة عن الجود
حتى انهم استعملوها فيمن
لايدله فكذلك استعمل
هذا فيمن له مثل ومن
لامثل له (وهوالسميع) لجميع المسموعات بلاأذن (البصير) لجميع المرئيات بلاحدقة وكأنه ذكرهما لئلا يتوهم (و)
انه لاصفة له كالامثل له (له مقاليد السموات والارض) مر فى الزمر (يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) أى يضيق (انه بكل شئ عليم

للانعام من جنسها ازواجا اوخلق لكم من الانعام اصنافا اوذكورا واناثا ﴿ يذرأكم ﴾ يكثركم من الذرء وهوالبث وفى معناه الذر والذرو ﴿ فيه ﴾ اى فى هذا التدبير وهو جعل الناس والانعام ازواجا يكون بينهم توالد فانه كالمنبع للبث والتكثير ﴿ ليس كمثله شئ ﴾ اى ليس مثله شئ يزاوجه ويناسبه والمراد من مثله ذاته كما فى قولهم مثلك لايفعل كذا على قصد المبالغة فى نفيه عنه فانه اذانفى عمن يناسبه ويسدمسده كان نفيه عنه اولى ونظيره قول رقيقة بنت صيفى فى سقيا عبد المطلب الاوفيهم الطيب الطاهر لذاته ومن قال الكاف فيه زائدة لعله عنى انه يعطى معنى ليس مثله غير انه آكد لما ذكرناه وقيل مثله صفة اى ليس كصفته صفة ﴿ وهوالسميع البصير ﴾ لكل مايسمع ويبصر ﴿ له مقاليد السموات والارض ﴾ خزائنهما ﴿ يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ﴾ يوسع ويضيع على وفق مشيئته ﴿ انه بكل شئ عليم ﴾ فيفعله على ماينبغى

﴿ يذرؤكم ﴾ أى يخلقكم وقيل يكثركم ﴿ فيه ﴾ أى فى الرحم وقيل فى البطن لانه قدتقدم ذكر الازواج وقيل نسلا بعدنسل حتى كان بين ذكورهم واناثهم التوالد والتناسل وقيل الضمير فى يذرؤكم يرجع الى المخاطب من الناس والانعام الا انه غلب جانب الناس وهم العقلاء على غير العقلاء من الانعام وقيل فى بمعنى الباء أى يذرؤكم به أى يكثركم بالتزويج ﴿ ليس كمثله شئ ﴾ المثل صلة أى ليس كهو شئ وقيل الكاف صلة مجازه ليس مثله شئ قال ابن عباس ليس له نظير * فان قلت هذه الآية دالة على نفى المثل وقوله تعالى وله المثل الاعلى فى السموات والارض يقتضى اثبات المثل فما الفرق * قلت المثل الذى يكون مساويا فى بعض الصفات الخارجة عن الماهية فقوله ليس كمثله شئ معناه ليس له نظير كما قاله ابن عباس أو يكون معناه ليس لذاته سبحانه وتعالى مثل وقوله وله المثل الاعلى معناه وله الوصف الاعلى الذى ليس لغيره مثله ولايشاركه فيه أحد فقد ظهر بهذا التفسير معنى الآيتين وحصل الفرق بينهما ﴿ وهوالسميع ﴾ أى لسائر المسموعات ﴿ البصير ﴾ أى لسائر المبصرات ﴿ له مقاليد السموات والارض ﴾ أى مفاتيح الرزق فى السموات يعنى المطر وفى الارض يعنى النبات يدل عليه قوله تعالى ﴿ يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ﴾ يعنى انه يوسع على من يشاء ويضيق على من يشاء لان مفاتيح الرزق بيده ﴿ انه بكل شئ عليم ﴾ أى من البسط

ذكرا وأنثى (يذرؤكم فيه) يخلقكم فى الرحم ويقال يكثركم بالتزويج (ليس كمثله شئ) فى الصفة والعلم والقدرة والتدبير
(وهوالسميع) لمقالتكم (البصير) باعمالكم (له مقاليد السموات) خزائن السموات المطر (والارض) النبات (يبسط الرزق
لمن يشاء) يوسع المال على من يشاء (ويقدر) يقتر على من يشاء (انه بكل شئ) من البسط والتقتير (عليم

شرع) بين واظهر (لكم من الدين ماوصى به نوحا والذى اوحينا اليك وماوصينا به ابراهيم وموسى وعيسى) اى شرع لكم من الدين دين نوح ومحمد ومابينهما من الانبياء عليهم السلام ثم فسر المشروع الذى اشترك هؤلاء الاعلام من رسله فيه بقوله (ان اقيموا الدين) والمراد اقامة دين الاسلام الذى هو توحيد الله وطاعته والايمان برسله وكتبه وبيوم الجزاء وسائر مايكون المرء باقامته مسلما ولم يرد به الشرائع فانها مختلفة قال الله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ومحل ان اقيموا نصب بدل من مفعول شرع والمعطوفين عليه أو رفع على الاستئناف كأنه قيل وماذلك المشروع فقيل هو اقامة الدين (ولا تتفرقوا فيه) ولاتختلفوا فى الدين قال على رضى الله عنه لاتتفرقوا فالجماعة رحمة والفرقة عذاب (كبر على المشركين) عظم عليهم وشق عليهم (ماتدعوهم اليه) من اقامة دين الله والتوحيد (الله يجتبى) يجتلب ويجمع (اليه) الى الدين بالتوفيق والتسديد (من يشاء ويهدى اليه من ينيب)

﴿ شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذى اوحينا اليك وماوصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ﴾ اى شرع لكم من الدين دين نوح ومحمد ومن بينهما عليهم السلام من ارباب الشرائع وهو الاصل المشترك فيما بينهم المفسر بقوله ﴿ ان اقيموا الدين ﴾ وهو الايمان بما يجب تصديقه والطاعة فى احكام الله ومحله النصب على البدل من مفعول شرع او الرفع على الاستئناف كأنه جواب وماذلك المشروع او الجر على البدل من هاء به ﴿ ولاتتفرقوا فيه ﴾ ولاتختلفوا فى هذا الاصل امافروع الشرائع فمختلفة كما قال لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ﴿ كبر على المشركين ﴾ عظم عليهم ﴿ ماتدعوهم اليه ﴾ من التوحيد ﴿ الله يجتبى اليه من يشاء ﴾ يجتلب اليه والضمير لماتدعوهم اوللدين ﴿ ويهدى اليه ﴾ بالارشاد والتوفيق ﴿ من ينيب ﴾ يقبل اليه

والتضييق * قوله عز وجل ﴿ شرع لكم من الدين ﴾ أى بين وسن لكم طريقا واضحا من الدين أى دينا تطابقت على صحته الانبياء وهو قوله تعالى ﴿ ماوصى به نوحا ﴾ يعنى انه أول الانبياء أصحاب الشرائع والمعنى قد وصيناه واياك يامحمد دينا واحدا ﴿ والذى أوحينا اليك ﴾ أى من القرآن وشرائع الاسلام ﴿ وماوصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ﴾ انما خص هؤلاء الانبياء الخمسة بالذكر لانهم أكابر الانبياء وأصحاب الشرائع المعظمة والاتباع الكثيرة وأولو العزم ثم فسر المشروع الذى اشترك فيه هؤلاء الاعلام من رسله بقوله تعالى ﴿ أن أقيموا الدين ولاتتفرقوا فيه ﴾ والمراد باقامة الدين هو توحيد الله والايمان به وبكتبه ورسله واليوم الآخر وطاعة الله فى أوامره ونواهيه وسائر مايكون الرجل به مسلما ولم يرد الشرائع التى هى مصالح الامم على حسب أحوالها فانها مختلفة متفاوتة قال الله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وقيل أراد تحليل الحلال وتحريم الحرام وقيل تحريم الامهات والبنات والاخوات فانه مجمع على تحريمهن وقيل لم يبعث الله نبيا الا وصاه باقام الصلاة وايتاء الزكاة والاقرار لله تعالى بالوحدانية والطاعة وقيل بعث الله الانبياء كلهم باقامة الدين والالفة والجماعة وترك الفرقة ﴿ كبر على المشركين ماتدعوهم اليه ﴾ أى من التوحيد ورفض الاوثان ﴿ الله يجتبى اليه من يشاء ﴾ اى يصطفى لدينه من يشاء من عباده ﴿ ويهدى اليه من ينيب ﴾ أى يقبل على طاعته

شرع لكم) اختار لكم ياأمة محمد عليه السلام (من الدين) دين الاسلام (ماوصى به نوحا) الذى أوحينا به الى نوح وامرنا ان يدعو الخلق اليه ويستقيم عليه (والذى أوحينا اليك) وفى الذى أوحينا اليك يامحمد يعنى القرآن أمرناك ان تدعو الخلق الى الاسلام وتستقيم عليه (وما وصينا به ابراهيم) والذى اخترنا بالاسلام (قا و خا ٥١ مس) ابراهيم وامرناه ان يدعو الخلق اليه ويستقيم عليه (وموسى وعيسى) كذلك (ان أقيموا الدين) أمر الله جلة الانبياء ان أقيموا الدين أن اتفقوا فى الدين (ولاتتفرقوا فيه) لاتختلفوا فى الدين (كبر) عظم (على المشركين) أبى جهل وأصحابه (ماتدعوهم اليه) من التوحيد والقرآن (الله يجتبي اليه) لدينه (من يشاء) وهو من ولد فى الاسلام ويموت على ذلك (ويهدى اليه من ينيب) يرشد الى دينه من يقبل اليه من أهل الكفر

يقبل على طاعته (وماتفرقوا) أى أهل الكتاب بعد أنبيائهم (الامن بعد ماجاءهم العلم) الامن بعد ان علموا ان الفرقة ضلال وأمر متوعد عليه على ألسنة الانبياء عليهم السلام (بغيا بينهم) حسدا وطلبا للرياسة والاستطالة بغير حق (ولولا كلمة سبقت من ربك الى أجل مسمى) وهى بل الساعة موعدهم (لقضى بينهم) لاهلكوا حين افترقوا العظم مااقترفو (وان الذين أورثوا الكتاب من بعدهم) هم أهل الكتاب الذين كانوا فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم (لفى شك منه) من كتابهم لايؤمنون به حق الايمان

مدخل فى ريبة وقيل وماتفرق أهل الكتاب الامن بعد ماجاءهم العلم بمبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله تعالى وماتفرق الذين أوتوا الكتاب الامن بعدماجاءتهم البينة وان الذين أورثوا الكتاب من بعدهم هم المشركون أورثوا القرآن من بعدما أورث أهل الكتاب التوراة والانجيل (فلذلك) فلاجل ذلك التفرق ولما حدث بسببه من تشعب الكفرشعبا (فادع) الى الاتفاق والائتلاف على الملة الحنيفية القوية (واستقم) عليها وعلى الدعوة اليها (كما أمرت) كما أمرك الله (ولاتتبع أهواءهم) المختلفة الباطلة (وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب) باى

﴿وماتفرقوا﴾ يعنى الامم السالفة وقيل اهل الكتاب لقوله تعالى وماتفرق الذين اوتوا الكتاب ﴿الامن بعدما جاءهم العلم﴾ بان التفرق ضلال متوعد عليه او العلم بمبعث الرسول عليه السلام اواسباب العلم من الرسل والكتب وغيرهما فلم يلتفتوا اليها ﴿بغيا بينهم﴾ عداوة اوطلبا للدنيا ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك﴾ بالامهال ﴿الى اجل مسمى﴾ هو يوم القيامة او آخر اعمارهم المقدرة ﴿لقضى بينهم﴾ باستئصال المبطلين حين افترقوا العظم مااقترفوا ﴿وان الذين اورثوا الكتاب من بعدهم﴾ يعنى اهل الكتاب الذين كانوا فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم اوالمشركين الذين اورثوا القرآن من بعد اهل الكتاب وقرئ ورثوا وورثوا ﴿لفى شك منه﴾ من كتابهم لايعلمونه كما هو او لايؤمنون به حق الايمان اومن القرآن ﴿مريب﴾ مقلق اومدخل فى الريبة ﴿فلذلك﴾ فلاجل ذلك التفرق اوالكتاب اوالعلم الذى اوتيته ﴿فادع﴾ الى الاتفاق على الملة الحنيفية اوالاتباع لما اوتيت وعلى هذا يجوز ان يكون اللام فى موضع الى لافادة الصلة اوللتعليل ﴿واستقم كما أمرت﴾ واستقم على الدعوة كما امرك الله تعالى ﴿ولاتتبع اهواءهم﴾ الباطلة ﴿وقل آمنت بما انزل الله من كتاب﴾ يعنى جميع الكتب المنزلة لا كالكفار الذين

﴿وماتفرقوا﴾ يعنى أهل الاديان المختلفة وقال ابن عباس يعنى أهل الكتاب ﴿الامن بعدما جاءهم العلم﴾ أى بان الفرقة ضلالة ﴿بغيا بينهم﴾ أى ولكنهم فعلوا ذلك للبغى وقيل بغيا منهم على محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك﴾ أى فى تأخير العذاب عنهم ﴿الى أجل مسمى﴾ يعنى الى يوم القيامة ﴿لقضى بينهم﴾ أى بين من آمن وكفر يعنى لانزل العذاب بالمكذبين فى الدنيا ﴿وان الذين أورثوا الكتاب﴾ يعنى اليهود والنصارى ﴿من بعدهم﴾ أى من بعد أنبيائهم وقيل من الامم الخالية ﴿لفى شك منه﴾ أى من أمر محمد صلى الله عليه وسلم فلايؤمنون به ﴿مريب﴾ يعنى مرتابين شاكين فيه ﴿فلذلك﴾ أى الى ذلك ﴿فادع﴾ أى الى ماوصى الله تعالى به الانبياء من التوحيد وقيل لاجل ماحدث به من الاختلاف فى الدين الكثير فادع أنت الى الاتفاق على الملة الحنيفية ﴿واستقم كما أمرت﴾ أى اثبت على الدين الذى أمرت به ﴿ولاتتبع أهواءهم﴾ أى المختلفة الباطلة ﴿وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب﴾ أى آمنت بكتب الله المنزلة

(وماتفرقوا) وما اختلف اليهود والنصارى فى محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن والاسلام (الامن بعدما جاءهم العلم) بيان مافى كتابهم من صفة محمد عليه السلام ونعته (بغيا بينهم) حسدا منهم كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (ولولا كلمة سبقت) وجبت (من ربك) (كلها) بتأخير عذاب هذه الامة (الى أجل مسمى) الى وقت معلوم (لقضى بينهم) لفرغ من هلاك اليهود والنصارى (وان الذين أورثوا الكتاب) أعطوا التوراة (من بعدهم) من بعد الرسل ويقال من بعد الاولين (لفى شك منه) من التوراة ويقال القرآن (مريب) ظاهر الشك (فلذلك فادع) الى توحيد ربك وكتاب ربك (واستقم) على التوحيد (كما أمرت) فى القرآن (ولاتتبع اهواءهم) قبلتهم ودينهم قبلة اليهود ودين اليهود (وقل آمنت بما انزل الله) على الانبياء (من كتاب) من كتاب الله

كتاب صح أن الله تعالى أنزله يعني الايمان بجميع الكتب المنزلة لان المتفرقين آمنوا ببعض وكفروا ببعض كقوله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض الى قوله أولئك هم الكافرون حقا (وأمرت لاعدل بينكم) فى الحكم اذا تخاصمتم فتحاكمتم الى (الله ربنا وربكم) أى كلنا عبيده (لنا أعمالنا ولكم أعمالكم) هو كقوله لكم دينكم ولى دين ويجوز أن يكون معناه انا لا نؤاخذ بأعمالكم وأنتم لا تؤاخذون بأعمالنا (لا حجة بيننا وبينكم) أى لا خصومة لان الحق قد ظهر وصرتم محجوجين به فلا حاجة الى المحاجة ومعناه لا ايراد حجة بيننا لان المتحاجين يورد هذا حجته وهذا حجته (الله يجمع بيننا) يوم القيامة (واليه المصير) المرجع لفصل القضاء فيفصل بيننا وينقم لنا منكم (والذين يحاجون فى الله) يخاصمون فى دينه (من بعد ما استجيب له) من بعد ما استجاب له الناس ودخلوا فى الاسلام ليردوهم الى دين الجاهلية كقوله ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا كان اليهود والنصارى يقولون للمؤمنين كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم فنحن خير منكم وأولى بالحق وقيل من بعد ما استجيب لمحمد عليه السلام دعاؤه على المشركين يوم بدر (حجتهم داحضة) باطلة وسماها حجة وان كانت شبهة لزعمهم انها حجة (عند ربهم وعليهم غضب) بكفرهم ولهم عذاب شديد) فى الآخرة (الله الذى أنزل الكتاب) اى جنس الكتاب

آمنوا ببعض وكفروا ببعض ﴿وامرت لاعدل بينكم﴾ فى تبليغ الشرائع والحكومات والاول اشارة الى كمال القوة النظرية وهذا اشارة الى كمال القوة العملية ﴿الله ربنا وربكم﴾ خالق الكل ومتولى امره ﴿لنا اعمالنا ولكم اعمالكم﴾ فكل مجازى بعمله ﴿لا حجة بيننا وبينكم﴾ لا حجاج بمعنى لا خصومة اذ الحق قد ظهر ولم يبق للمحاجة مجال ولا للخلاف مبدأ سوى العناد ﴿الله يجمع بيننا﴾ يوم القيامة ﴿واليه المصير﴾ مرجع الكل بفصل القضاء وليس فى الآية مايدل على متاركة الكفار رأسا حتى تكون منسوخة بآية القتال ﴿والذين يحاجون فى الله﴾ فى دينه ﴿من بعد ما استجيب له﴾ من بعد ما استجاب له الناس ودخلوا فيه او من بعد ما استجاب الله لرسوله فاظهر دينه بنصره يوم بدر او من بعد ما استجاب له اهل الكتاب بان اقروا بنبوته واستفتحوا به ﴿حجتهم داحضة عند ربهم﴾ زائلة باطلة ﴿وعليهم غضب﴾ بمعاندتهم ﴿ولهم عذاب شديد﴾ على كفرهم ﴿الله الذى انزل الكتاب﴾ جنس الكتاب

كلها وذلك لان المتفرقين آمنوا ببعض الكتب وكفروا ببعض ﴿وأمرت لاعدل بينكم﴾ قال ابن عباس أمرت ان لا أحيف عليكم باكثر مما افترض الله عليكم من الاحكام وقيل لاعدل بينكم فى جميع الاحوال والاشياء وقيل لاعدل بينكم فى الحكم اذا تخاصمتم وتحاكمتم الى ﴿الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم﴾ يعنى ان الاله الكل واحد وكل أحد مخصوص بعمل نفسه وان اختلفت أعمالنا فكل يجازى بعمله ﴿لا حجة﴾ أى لا خصومة ﴿بيننا وبينكم﴾ وهذه الآية منسوخة بآية القتال اذ لم يؤمر بالقتال وأمر بالدعوة فلم يكن بينه وبين من لا يجيب خصومة ﴿الله يجمع بيننا﴾ أى فى المعاد لفصل القضاء ﴿واليه المصير﴾ قوله عز وجل ﴿والذين يحاجون فى الله﴾ أى يخاصمون فى دين الله قيل هم اليهود قالوا كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم فنحن خير منكم فهذه خصومتهم ﴿من بعد ما استجيب له﴾ أى من بعد ما استجاب الناس لدين الله تعالى فاسلموا ودخلوا فى دينه لظهور معجزة نبيه صلى الله عليه وسلم ﴿حجتهم داحضة﴾ أى خصومتهم باطلة ﴿عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد﴾ أى فى الآخرة ﴿الله الذى أنزل الكتاب

(وامرت) فى القرآن (لاعدل بينكم) بالتوحيد (الله ربنا وربكم) يقضى بيننا وبينكم يوم القيامة (لنا اعمالنا) لنا عبادة الله ودين الاسلام (ولكم اعمالكم) عليكم اعمالكم عبادة الاصنام ودين الشيطان (لا حجة) لا خصومة (بيننا وبينكم) فى الدين (الله يجمع بيننا) وبينكم يوم القيامة (واليه المصير) مصير المؤمنين والكافرين ثم أمر الله بعد ذلك بالقتال (والذين يحاجون فى الله) يخاصمون فى دين الله يعنى اليهود والنصارى (من بعد ما استجيب له) فى الكتاب ويقال هم المشركون من بعد ما استجيب له يوم الميثاق (حجتهم داحضة) خصومتهم باطلة (عند ربهم وعليهم غضب) سخط (ولهم عذاب شديد) أشد ما يكون (الله الذى أنزل الكتاب) جبريل

(بالحق) بالصدق أو ملتبسا به (والميزان) والعدل والتسوية ومعنى انزال العدل أنه أنزله في كتبه المنزلة وقيل هو عين الميزان أنزله في زمن نوح عليه السلام (ومايدريك لعل الساعة قريب) أي لعل الساعة قريب منك وأنت لاتدرى والمراد مجيء الساعة والساعة في تأويل البعث ووجه مناسبة اقتراب الساعة مع انزال الكتب والميزان ان الساعة يوم الحساب ووضع الموازين بالقسط فكأنه قيل أمركم بالعدل والتسوية والعمل الصالح فاعملوا بالكتاب والعدل قبل ان يفاجئكم يوم حسابكم ووزن أعمالكم (يستعجل بها الذين لايؤمنون بها) استهزاء (والذين آمنوا مشفقون) خائفون (منها) وجلون لهولها (ويعلمون انها الحق) الكائن

لامحالة (ألا ان الذين يمارون في الساعة) المماراة الملاحة لان كل واحد منهما يرى ماعند صاحبه (لفي ضلال بعيد) عن الحق لان قيام الساعة غير مستبعد من قدرة الله تعالى وقد دل الكتاب والسنة على وقوعها والعقول تشهد على انه لابد من دار جزاء (الله لطيف بعباده) في ايصال المنافع وصرف البلاء من وجه يلطف ادراكه أو هو بر بليغ البر بهم وقد توصل بره الى جميعهم وقيل هو من لطف بالغوامض علمه وعظم عن الجرائم حلمه او من ينشر المناقب ويستر المثالب اويعفو عمن يهفو أو يعطى العبد فوق الكفاية ويكلفه الطاعة دون الطاقة وعن الجنيد لطف باوليائه فعرفوه ولو لطف باعدائه ماجحدوه (يرزق من يشاء) أي يوسع رزق من يشاء اذا علم مصلحته فيه في الحديث ان من عبادى (يعنى)

﴿ بالحق ﴾ ملتبسا به بعيدا من الباطل او بما يحق انزاله من العقائد والاحكام ﴿ والميزان ﴾ والشرع الذي يوزن به الحقوق ويسوى بين الناس اوالعدل بان انزل الامر به او آلة الوزن بان أوحى باعدادها ﴿ ومايدريك لعل الساعة قريب ﴾ اتيانها فاتبع الكتاب واعمل بالشرع وواظب على العدل قبل ان يفجأك اليوم الذي يوزن فيه اعمالك ويوفى جزاؤك وقيل تذكير القريب لانه بمعنى ذات قرب اولان الساعة بمعنى البعث ﴿ يستعجل بها الذين لايؤمنون بها ﴾ استهزاء ﴿ والذين آمنوا مشفقون منها ﴾ خائفون منها مع اعتنائها لتوقع الثواب ﴿ ويعلمون انها الحق ﴾ الكائن لامحالة ﴿ ألا ان الذين يمارون في الساعة ﴾ يجادلون فيها من المرية او من مريت الناقة اذا مسحت ضرعها بشدة للحلب لان كلا من المتجادلين يستخرج ماعند صاحبه بكلام فيه شدة ﴿ لفي ضلال بعيد ﴾ عن الحق فان البعث اشبه الغائبات الى المحسوسات فمن لم يهتد لتجويزها فهو ابعد عن الاهتداء الى ماوراءه ﴿ الله لطيف بعباده ﴾ يبرهم بصنوف من البر لايبلغها الافهام ﴿ يرزق من يشاء ﴾ اي يرزقه كما يشاء فيخص كلا من عباده بنوع من البر على مااقتضته حكمته

بالحق ﴾ أي الكتاب المشتمل على أنواع الدلائل والاحكام ﴿ والميزان ﴾ أي العدل سمى العدل ميزانا لان الميزان آلة الانصاف والتسوية قال ابن عباس رضى الله عنهما أمر الله تعالى بالوفاء ونهى عن البخس ﴿ ومايدريك لعل الساعة قريب ﴾ أي وقت اتيانها قريب وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الساعة وعنده قوم من المشركين فقالوا تكذيبا له متى تكون الساعة فانزل الله تعالى ﴿ يستعجل بها الذين لايؤمنون بها ﴾ أي ظنا منهم انها غير آتية ﴿ والذين آمنوا مشفقون ﴾ أي خائفون ﴿ منها ويعلمون أنها الحق ﴾ أي انها آتية لاشك فيها ﴿ ألا ان الذين يمارون ﴾ أي يخاصمون ﴿ في الساعة ﴾ وقيل يشكون فيها ﴿ لفي ضلال بعيد ﴾ قوله عز وجل ﴿ الله لطيف بعباده ﴾ أي كثير الاحسان اليهم قال ابن عباس حفي بهم وقيل رفيق وقيل لطيف بالبر والفاجر حيث لم يهلكهم جوعا بمعاصيهم يدل عليه قوله تعالى ﴿ يرزق من يشاء ﴾

بالقرآن (بالحق) لبيان الحق والباطل (والميزان) بين فيه العدل (ومايدريك) يامحمد ولم تدر (لعل الساعة قريب) قيام الساعة يكون قريبا (يستعجل بها) بقيام الساعة (الذين لايؤمنون بها) بقيام الساعة وهو أبو جهل وأصحابه (والذين آمنوا) بمحمد عليه السلام والقرآن وقيام الساعة وهو أبو بكر وأصحابه (مشفقون منها) خائفون من قيام الساعة وأهوالها وشدائدها (ويعلمون أنها) يعنى قيام الساعة (الحق) الكائن (ألا ان الذين يمارون) يجادلون ويشكون (في الساعة) في قيام الساعة (لفي ضلال بعيد) عن الحق والهدى (الله لطيف بعباده) البر والفاجر ويقال لطف علمه بعباده البر والفاجر (يرزق من يشاء) يوسع على من يشاء

المؤمنين من لايصلح ايمانه الا الغنى ولو أفقرته لافسده ذلك وان من عبادى المؤمنين من لايصلح ايمانه الا الفقر ولو أغنيته لافسده ذلك (وهو القوى) الباهر القدرة الغالب على كل شئ (العزيز) المنيع الذى لايغلب (من كان يريد حرث الآخرة) سمى مايعمله العامل مما يبتغى به الفائدة حرثا مجازا (نزد له فى حرثه) بالتوفيق فى عمله أو التضعيف فى احسانه أو بان ينال به الدنيا والآخرة (ومن كان يريد حرث

الدنيا) اى من كان عمله للدنيا ولم يؤمن بالآخرة

(نؤته منها) أى شيأ منها لان من للتبعيض وهو رزقه الذى قسم له مايريده ويبتغيه (وماله فى الآخرة من نصيب) وماله نصيب قط فى الآخرة وله فى الدنيا نصيب ولم يذكر فى عامل الآخرة ان رزقه المقسوم يصل اليه للاستهانة بذلك الى جنب ماهو بصدده من زكاء عمله وفوزه فى المآب (أم لهم شركاء) قيل هى أم المنقطعة وتقديره بل ألهم شركاء وقيل هى المعادلة لالف الاستفهام وفى الكلام اضمار تقديره أيقبلون ماشرع الله من الدين أم لهم آلهة (شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله) أى لم يأمر به (ولولا كلمة الفصل) أى القضاء السابق بتأجيل الجزاء أى ولولا العدة بان الفصل يكون يوم القيامة

﴿وهو القوى ﴾ الباهر القدرة ﴿ العزيز ﴾ المنيع الذى لايغلب ﴿ من كان يريد حرث الآخرة ﴾ ثوابها شبهه بالزرع من حيث انه فائدة تحصل بعمل الدنيا ولذلك قيل الدنيا مزرعة الآخرة والحرث فى الاصل القاء البذر فى الارض ويقال للزرع الحاصل منه ﴿ نزد له فى حرثه ﴾ فنعطه بالواحد عشرة الى سبعمائة فما فوقها ﴿ ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها ﴾ شيأ منها على ماقسمنا له ﴿ وماله فى الآخرة من نصيب ﴾ اذ الاعمال بالنيات ولكل امرئ مانوى ﴿ أم لهم شركاء ﴾ بل ألهم شركاء والهمزة للتقرير والتقريع وشركاؤهم شياطينهم ﴿ شرعوا لهم ﴾ بالتزيين ﴿ من الدين مالم يأذن به الله ﴾ كالشرك وانكار البعث والعمل للدنيا وقيل شركاؤهم اوثانهم واضافتها اليهم لانهم متخذوها شركاء واسناد الشرع اليها لانها سبب ضلالتهم وافتتانهم بما تدينوا به اوصور من سنه لهم ﴿ ولولا كلمة الفصل ﴾ اى القضاء

يعنى ان الاحسان والبر انعام فى حق كل العباد وهو اعطاء مالابد منه فكل من رزقه الله تعالى من مؤمن وكافر وذى روح فهو ممن يشاء الله أن يرزقه وقيل لطفه فى الرزق من وجهين أحدهما انه جعل رزقكم من الطيبات والثانى انه لم يدفع اليكم مرة واحدة ﴿ وهو القوى ﴾ أى القادر على كل مايشاء ﴿ العزيز ﴾ أى الذى لايغالب ولا يدافع ﴿ من كان يريد حرث الآخرة ﴾ أى كسب الآخرة والمعنى من كان يريد بعمله الآخرة ﴿ نزد له فى حرثه ﴾ أى بالتضعيف الواحدة الى عشرة الى مايشاء الله تعالى من الزيادة وقيل انا نزيد فى توفيقه واعانته وتسهيل سبيل الخيرات والطاعات اليه ﴿ ومن كان يريد حرث الدنيا ﴾ يعنى يريد بعمله الدنيا مؤثرا لها على الآخرة ﴿ نؤته منها ﴾ أى ماقدر وقسم له منها ﴿ وماله فى الآخرة من نصيب ﴾ يعنى لانه لم يعمل لها ۞ عن أبى بن كعب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بشر هذه الامة بالسناء والرفعة والتمكين فى الارض فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له فى الآخرة نصيب ذكره فى جامع الاصول ولم يعزه الى واحد من الكتب الستة وأخرجه البغوى باسناده ۞ قوله تعالى ﴿ أم لهم ﴾ يعنى كفار مكة ﴿ شركاء ﴾ يعنى الاصنام وقيل الشياطين ﴿ شرعوا لهم من الدين ﴾ قال ابن عباس شرعوا لهم دينا غير دين الاسلام ﴿ مالم يأذن به الله ﴾ يعنى ان تلك الشرائع باسرها على خلاف دين الله تعالى الذى أمر به وذلك انهم زينوا لهم الشرك وانكار البعث والعمل للدنيا لانهم لايعلمون غيرها ﴿ ولولا كلمة الفصل ﴾

بالمال (وهو القوى) بارزاق لعباد (العزيز) بالنقمة لمن لايؤمن به (من كان يريد حرث الآخرة) ثواب الآخرة بعمله لله (نزد له فى حرثه) فى ثوابه ويقال فى قوته ونشاطه وحسنته فى العمل (ومن كان يريد حرث الدنيا) ثواب الدنيا بعمله الذى افترض الله عليه (نؤته) نعطه (منها) من الدنيا وندفع عنه منها (وماله فى الآخرة) فى الجنة (من نصيب) من ثواب لانه عمل لغير الله (أم لهم) ألهم لكفار مكة (شركاء) آلهة (شرعوا لهم) اختاروا لهم (من الدين مالم يأذن به الله) مالم يأمر الله به الكافرين أبا جهل وأصحابه (ولولا كلمة الفصل) الحق بتأخير العذاب عن هذه الامة

(لقضى بينهـم) بين الكافرين والمؤمنين أو لعجلت لهم العقوبة (وان الظالمين لهم عذاب أليم) وان المشركين لهم عذاب أليم فى الآخرة وان أخرعهم فى دار الدنيا (ترى الظالمين) المشركين فى الاخرة (مشفقين) خائفين (مما كسبوا) من جزاء كفرهم (وهو واقع بهم) نازل بهم لا محالة أشفقوا أولم يشفقوا (والذين آمنوا وعملوا الصالحات فى روضات الجنات) كأن روضة جنـة المؤمن أطيب بقعة فيها وأنزههـا (لهم مايشاؤن عندربهـم) عند نصب بالظرف لا بيشاؤن

(ذلك هو الفضل الكبير) على العمل القليل (ذلك) أى الفضل الكبير (الذى يبشر الله) يبشر مكى وأبو عمرو وحمزة وعلى (عبـاده الذين آمنـوا وعمـلوا الصـالحات) اى به عباده الذين آمنو فحـذف الجار كقوله واختار موسى قومه ثم حـذف الراجـع الى الموصول كقوله أهذا الذى بعث الله رسولا ولمـا قال المشركون أيبتغى محمد على تبليغ الرسالة أجرا نزل (قل لا أسئلكم عليه) على التبليغ (أجرا الا المودة فى القربى

السـابق بتأجيل الجزاء او العدة بان الفصـل يكون يوم القيـامة ﴿ لقضى بينهم ﴾ بين الكافرين والمؤمنين او المشركين وشركائهم ﴿ وان الظالمين لهم عذاب اليم ﴾ وقرئ ان بالفتح عطفا على كلمة الفصل اى ولا كلمة لفصل وتقدير عذاب الظالمين فى الآخرة لقضى بينهم فى الدنيا فان العذاب الاليم غالب فى عذاب الآخرة ﴿ ترى الظالمين ﴾ فى القيامة ﴿ مشفقين ﴾ خائفين ﴿ مما كسبوا ﴾ من السيآت ﴿ وهو واقع بهم ﴾ اى وباله لاحق بهم اشفقوا اولم يشفقوا ﴿ والذين آمنوا وعموا الصالحات فى روضات الجنات ﴾ فى اطيب بقاعها وانزهها ﴿ لهم مايشـاؤن عنـد ربهم ﴾ اى مايشتهونه ثابت لهم عند ربهم ﴿ ذلك ﴾ اشـارة الى ماللمؤمنين ﴿ هو الفضل الكبير ﴾ الذى يصغر دونه ما لغيرهم فى الدنيا ﴿ ذلك الذى يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ ذلك الثواب الذى يبشرهم الله به فحذف الجار ثم العـائد او ذلك التبشير الذى يبشره الله عباده وقرأ ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائى يبشر من بشره وقرئ يبشر من ابشره ﴿ قل لا اسألكم عليه ﴾ على ما اتعاطـاه من التبليغ والبشـارة ﴿ اجرا ﴾ نفعـا منكم ﴿ الا المودة فى القربى ﴾ ان تودونى لقرابتى منكم او تودوا قرابتى وقيـل الاسـتثناء

يعنى ان الله حكم بين الخلق بتأخير العذاب عنهم الى يوم القيامة ﴿ لقضى بينهم ﴾ اى لفرغ من عذاب الذين يكذبونك فى الدنيا ﴿ وان الظالمين ﴾ يعنى المشركين ﴿ لهم عذاب أليم ﴾ أى فى الآخرة ﴿ ترى الظالمين ﴾ يعنى يوم القيامة ﴿ مشفقين ﴾ أى وجلين خائفين ﴿ مما كسبوا ﴾ أى من الشرك والاعمال الخبيثة ﴿ وهو واقع بهـم ﴾ أى جزاء كسبهم واقع بهم ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات فى روضات الجنات ﴾ لان هذه الروضات أطيب بقاع الجنة فلذلك خص الذين آمنوا وعملوا الصالحات بها وفيه تنبيه على أن فى الجنة منازل غير الروضات هى لمن هو دون هؤلاء الذين عملوا الصالحات من أهل القبلة ﴿ لهم مايشاؤن عند ربهم ﴾ أى من الكرامة ﴿ ذلك هو الفضل الكبير ذلك ﴾ أى الذى ذكر من نعيم الجنة ﴿ الذى يبشر الله ﴾ به ﴿ عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ قوله عز وجل ﴿ قل لا أسئلكم عليه ﴾ أى على تبليغ الرسالة ﴿ أجرا ﴾ أى جزاء ﴿ الا المودة فى القربى ﴾ (خ) عن ابن عباس رضى الله عنهما انه سئل عن

(لقضى بينهم) لفرغ من هلاكهم (وان الظالمين) الكافرين أبا جهل وأصحابه (لهم عذاب اليم) وجيع (ترى الظالمين) الكافرين يوم القيامة (مشـفقين) خائفين (مما كسبوا) مما قالوا وعملوا فى الكفر (وهو واقع) نازل (بهم) ما يحذرون (والذين آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (وعملوا الصالحات) فيما بينهم وبين ربهم وهو ابو بكر واصحابه (فى روضات الجنات) فى رياض الجنة (لهم مايشاؤن) ما يتمنون ويشتهون (قوله) (عند ربهم) فى الجنة (ذلك) الجنة (هو الفضل الكبير) المن العظيم (ذلك) الفضل (الذى يبشر الله عباده) فى الدنيا (الذين آمنوا) بمحمد والقرآن (وعملوا الصالحات) فيما بينهم وبين ربهم (قل) لهم يا محمد لاصحابك ويقال لاهل مكة (لا اسألكم عليه) على التوحيد والقرآن (اجرا) جعلا (الا المودة فى القربى) الا ان تودوا

منقطع والمعنى لا اسألكم اجرا قط لكن اسالكم المودة فى القربى حال منها اى الا المودة ثابتة فى ذوى القربى متمكنة فى اهلها او فى حق القرابة ومن اجلها كما جاء فى الحديث الحب فى الله والبغض فى الله روى انها لما نزلت قيل يارسول الله من قرابتك قال على وفاطمة وابناهما وقيل القربى التقرب الى الله اى الا ان تودوا الله ورسوله

قوله الا المودة فى القربى فقال سعيد بن جبير قربى آل محمد صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس عجبت ان النبى صلى الله عليه وسلم لم تكن بطن من قريش الا وله فيهم قرابة فقال الا أن تصلوا ما بينى وبينكم من القرابة وعن ابن عباس أيضا فى قوله الا المودة فى القربى يعنى أن تحفظوا قرابتى وتودونى وتصلوا رحمى واليه ذهب مجاهد وقتادة وعكرمة ومقاتل والسدى والضحاك (خ) عن ابن عمر ان أبابكر قال ارقبوا محمدا صلى الله عليه وسلم فى أهل بيته واختلفوا فى قرابته فقيل على وفاطمة والحسن والحسين رضى الله تعالى عنهم وقيل أهل بيته من تحرم عليهم الصدقة من أقاربه وهم بنو هاشم وبنو المطلب الذين لم يفترقوا فى جاهلية ولا فى الاسلام (م) عن زيد بن أرقم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انى تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله تعالى واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال وأهل بيتى أذكركم الله فى أهل بيتى أذكركم الله فى أهل بيتى فقال له حصين من أهل بيته يا زيد أليس نساؤه من أهل بيته قال نساؤه من أهل بيته ولكن أهل بيته من حرمت عليه الصدقة بعده قال ومن هم قال هم آل على وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس * فان قلت طلب الاجر على تبليغ الرسالة والوحى لا يجوز لقوله فى قصة نوح عليه السلام وغيره من الانبياء وما أسئلكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين * قلت لا نزاع فى أنه لا يجوز طلب الاجر على تبليغ الرسالة بقى الجواب عن قوله الا المودة فى القربى فالجواب عنه من وجهين * الاول معناه لا أطلب منكم الا هذا وهذا فى الحقيقة ليس باجر ومنه قول الشاعر

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

معناه اذا كان هذا عيبهم فليس فيهم عيب بل هو مدح فيهم ولان المودة بين المسلمين أمر واجب واذا كان كذلك فى حق جميع المسلمين كان فى أهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم أولى فقوله قل لا أسئلكم عليه أجرا الا المودة فى القربى المودة فى القربى ليست أجرا فى الحقيقة لان قرابته قرابتهم فكانت مودتهم وصلتهم لازمة لهم فثبت ان لا اجر البتة * والوجه الثانى ان هذا الاستثناء منقطع وتم الكلام عند قوله قل لا أسئلكم عليه أجرا ثم ابتدأ فقال الا المودة فى القربى أى لكن أذكركم المودة فى قرابتى الذين هم قرابتكم فلا تؤذوهم وقيل ان هذه الآية منسوخة وذلك لانها نزلت بمكة وكان المشركون يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى هذه الآية فامرهم فيها بمودة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلة رحمه فلما هاجر الى المدينة وآواه الانصار ونصروه أحب الله تعالى ان يلحقه باخوانه من النبيين فانزل الله تعالى قل ما سئلكم من اجر فهو لكم ان أجرى الا على الله فصارت هذه الآية ناسخة لقوله

يجوز أن يكون استثناء متصلا ويجوز ان يكون منقطعا أى لا أسألكم أجرا قط ولكنى أسألكم أن تودوا قرابتى أى لا أسألكم عليه أجرا الا هذا وهو أن تودوا أهل قرابتى الذين هم قرابتكم ولا تؤذوهم ولم يقل الا مودة القربى أو المودة للقربى لانهم جعلوا مكانا للمودة ومقرا لها كقولك لى فى آل فلان مودة ولى فيهم حب شديد تريد أحبهم وهم مكان حبى ومحله وليست فى بصلة للمودة كاللام اذا قلت الا المودة للقربى انما هى متعلقة بمحذوف تعلق الظرف به فى قولك المال فى الكيس وتقديره الا المودة ثابتة فى القربى ومتمكنة فيها والقربى مصدر كالزلفى والبشرى بمعنى القرابة والمراد فى أهل القربى وروى أنه لما نزلت قيل يارسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم قال على وفاطمة وابناهما وقيل معناه الا أن تودونى لقرابتى فيكم ولا تؤذونى ولا تهيجوا على اذ لم يكن بطن من بطون قريش الا بين رسول الله وبينهم قرابة وقيل القربى التقرب الى الله تعالى أى الا أن تحبوا الله ورسوله فى تقربكم اليه بالطاعة والعمل الصالح

قرابتى من بعدى ويقال الا ان تتقربوا الى الله بالتوحيد فى قول الحسن البصرى وفى قول الفراء تتقربوا الى الله بالتوبة

(ومن يقترف حسنة) يكتسب طاعة عن السدى انها المودة فى آل رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت فى ابى بكر رضى الله عنه ومودته فيهم والظاهر العموم فى اى حسنة كانت الا انها تتناول المودة تناولا أوليا لذكرها عقيب ذكر المودة فى القربى (نزد له فيها حسنا) اى تضاعفا كقوله من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة وقرئ حسنى وهو مصدر كالبشرى والضمير يعود الى الحسنة اوالى الجنة (ان الله غفور) لمن أذنب بطوله (شكور) لمن اطاع بفضله وقيل قابل للتوبة حامل عليها وقيل الشكور فى صفة الله تعالى عبارة عن الاعتداد بالطاعة وتوفية ثوابها او التفضل على المثاب (ام يقولون افترى على الله كذبا) ام منقطعة ومعنى الهمزة فيه التوبيخ كانه قيل أيتمالكون أن ينسبوا مثله الى الافتراء على الله الذى هو اعظم الفرى وافحشها (فان يشأ الله يختم على قلبك) قال مجاهد اى يربط على قلبك بالصبر على اذاهم وعلى قولهم افترى على الله كذبا لئلا تدخله مشقة بتكذيبهم (ويمح الله الباطل) أى الشرك وهو كلام مبتدأ غير معطوف على يختم لان محو الباطل غير متعلق بالشرط بل هو وعد مطلق دليله تكرار اسم الله تعالى ورفع ويحق وانما سقطت الواو فى الخط كما سقطت فى ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير وسندع الزبانية على انها مثبتة فى مصحف نافع (ويحق الحق) ويظهر الاسلام ويثبته (بكلماته) بما أنزل من كتابه على لسان نبيه عليه السلام وقد فعل الله ذلك فمحا (كتابه)

فى تقربكم اليه بالطاعة والعمل الصالح وقرئ الا مودة فى القربى ﴿ ومن يقترف حسنة ﴾ ومن يكتسب طاعة سيما حب آل الرسول وقيل نزلت فى ابى بكر رضى الله عنه ومودته لهم ﴿ نزد له فيها ﴾ اى فى الحسنة ﴿ حسنا ﴾ بمضاعفة الثواب وقرئ يزد اى يزد الله وحسنى ﴿ ان الله غفور ﴾ لمن اذنب ﴿ شكور ﴾ لمن اطاع بتوفية الثواب والتفضل عليه بالزيادة ﴿ أم يقولون ﴾ بل أيقولون ﴿ افترى على الله كذبا ﴾ افترى محمد بدعوى النبوة اوالقرآن ﴿ فان يشأ الله يختم على قلبك ﴾ استبعاد للافتراء عن مثله بالاشعار على انه انما يجترئ عليه من كان مختوما على قلبه جاهلا بربه فاما من كان ذا بصيرة ومعرفة فلا وكأنه قال ان يشأ الله خذلانك يختم على قلبك لتجترئ بالافتراء عليه وقيل يختم على قلبك يمسك القرآن والوحى عنه اويربط عليه بالصبر فلا يشق عليك اذاهم ﴿ ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته

قل لا اسئلكم عليه أجرا الا المودة فى القربى واليه ذهب الضحاك والحسين بن الفضل والقول بنسخ هذه الآية غير مرضى لان مودة النبى صلى الله عليه وسلم وكف الاذى عنه ومودة أقاربه من فرائض الدين وهو قول السلف فلا يجوز المصير الى نسخ هذه الآية وروى عن ابن عباس فى معنى الآية قول آخر قال الا ان تتوادوا الله وتتقربوا اليه بطاعته وهو قول الحسن قال هو القربى الى الله يقول الا التقرب الى الله تعالى والتودد اليه بالطاعة والعمل الصالح ❁ وقوله تعالى ﴿ ومن يقترف حسنة ﴾ أى يكتسب طاعة ﴿ نزد له فيها حسنا ﴾ أى بالتضعيف ﴿ ان الله غفور ﴾ للذنوب ﴿ شكور ﴾ أى للقليل من الاعمال حتى يضاعفها ﴿ أم يقولون ﴾ أى بل يقول كفار مكة ﴿ افترى على الله كذبا ﴾ فيه توبيخ لهم معناه أيقع فى قلوبهم ويجرى على لسانهم أن ينسبوا مثله الى الكذب وانه افترى على الله كذبا وهو أقبح أنواع الكذب ﴿ فان يشأ الله يختم على قلبك ﴾ اى يربط على قلبك بالصبر حتى لا يشق عليك اذاهم وقولهم انه مفتر وقيل معناه يطبع على قلبك فينسيك القرآن وما آتاك فاخبرهم أنه لو افترى على الله كذبا لفعل به ما أخبر به فى هذه الآية ﴿ ويمح الله الباطل ﴾ أخبره الله تعالى أن ما يقولونه الباطل والله عز وجل يمحوه ﴿ ويحق الحق بكلماته ﴾ أى يحق الاسلام بما أنزل من

(ومن يقترف) يكتسب (حسنة نزد له فيها حسنا) تسعا (ان الله غفور) لمن تاب (شكور) يشكر اليسير ويجزى الجزيل (ام يقولون) بل يقولون (افترى) اختلق محمد (على الله كذبا) فاغتم بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الله عز وجل (فان يشأ الله يختم) يربط (على قلبك) ويقال يحفظ قلبك (ويمح الله الباطل) يهلك الله الشرك وأهله (ويحق الحق بكلماته) يظهر دينه الاسلام بتحقيقه

باطلهم واظهر الاسلام (انه عليم ﴿٤٠٩﴾ بذات الصدور) اى ﴿ سورة الشورى ﴾ عليم بما فى صدرك وصدورهم

انه عليم بذات الصدور ﴾ استئناف لنفى الافتراء عما يقوله بانه لوكان مفترى لمحقه اذ من عادته تعالى محو الباطل واثبات الحق بوحيه او بقضائه او بوعده بمحق باطلهم واثبات حقه بالقرآن او بقضائه الذى لا مرد له وسقوط الواو من يمح فى بعض المصاحف لاتباع اللفظ كما فى قوله ويدع الانسان ﴿ وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ﴾ بالتجاوز عما تابوا عنه والقبول يعدى الى مفعول ثان بمن وعن لتضمنه معنى الاخذ والابانة وقد عرفت حقيقة التوبة وعن على رضى الله عنه هى اسم يقع على ستة معان على الماضى من الذنوب الندامة ولتضييع الفرائض الاعادة ورد المظالم واذابة النفس فى الطاعة كما ربيتها فى المعصية واذاقتها

كتابه وقد فعل الله تعالى ذلك فمحا باطلهم وأعلى كلمة الاسلام ﴿ انه عليم بذات الصدور ﴾ قال ابن عباس لما نزلت قل لا أسئلكم عليه أجرا الا المودة فى القربى وقع فى قلوب قوم منها شئ وقالوا يريد ان يحثنا على أقاربه من بعده فنزل جبريل عليه الصلاة والسلام فاخبره أنهم اتهموه وأنزل الله هذه الآية فقال القوم يارسول الله فانا نشهد انك صادق فنزل عز وجل ﴿ وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما يريد أولياءه وأهل طاعته

فصل فى ذكر التوبة وحكمها

قال العلماء التوبة واجبة من كل ذنب فان كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لا تتعلق بحق آدمى فلها ثلاثة شروط أحدها ان يقلع عن المعصية والثانى ان يندم على فعلها والثالث أن يعزم أن لا يعود اليها أبدا فاذا حصلت هذه الشروط صحت التوبة وان فقد أحد الثلاثة لم تصح توبته وان كانت المعصية تتعلق بحق آدمى فشروطها أربعة هذه الثلاثة والشرط الرابع ان يبرأ من حق صاحبها فهذه شروط التوبة وقيل التوبة الانتقال عن المعاصى نية وفعلا والاقبال على الطاعات نية وفعلا وقال سهل بن عبد الله التسترى التوبة الانتقال من الاحوال المذمومة الى الاحوال المحمودة (خ) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول والله انى لاستغفر الله وأتوب اليه فى اليوم أكثر من سبعين مرة (م) عن الاغر بن بشار المزنى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أيها الناس توبوا الى الله فانى اتوب اليه فى اليوم مائة مرة (ق) عن عبد الله ابن مسعود قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لله أفرح بتوبة عبده المؤمن من رجل نزل فى أرض دوية مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه فوضع رأسه فنام نومة فاستيقظ وقد ذهبت راحلته فطلبها حتى اذا اشتد الحر والعطش أو ماشاء الله قال أرجع الى مكانى الذى كنت فيه فانام حتى أموت فوضع رأسه على ساعده ليموت فاستيقظ فاذا راحلته عنده عليها طعامه وشرابه فالله اشد فرحا بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته وزاده الدوية الفلاة والمفازة (ق) عن أنس رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لله أفرح بتوبة عبده المؤمن من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله فى أرض فلاة * ولمسلم عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لله أشد فرحا بتوبة عبده حين

فيجرى الامر على حسب ذلك (وهو الذى يقبل التوبة عن عباده) يقال قبلت منه الشئ اذا اخذته منه وجعلته مبدأ قبولى ويقال قبلته عنه اى عزلته عنه وابنته عنه والتوبة ان يرجع عن القبيح والاخلال بالواجب بالندم عليهما والعزم على ان لا يعود وان كان لعبد فيه حق لم يكن بد من التقصى على طريقه وقال على رضى الله عنه هو اسم يقع على ستة معان على الماضى من الذنوب الندامة ولتضييع الفرائض الاعادة ورد المظالم واذابة النفس فى الطاعة كما ربيتها فى المعصية واذاقة النفس مرارة الطاعة كما اذقتها حلاوة المعصية والبكاء بدل كل ضحك ضحكته وعن السدى هو صدق العزيمة على ترك الذنوب والانابة بالقلب الى علام الغيوب وعن غيره هو ان لا يجد حلاوة الذنب فى القلب عند ذكره وعن سهل هو الانتقال من الاحوال المذمومة الى الاحوال المحمودة وعن الجنيد هو الاعراض عما

(انه عليم بذات الصدور) بما فى القلوب (قا و خا ٥٢ مس) من الخير والشر (وهو الذى يقبل التوبة عن عباده

دون الله (ويعفوا عن السيآت) وهو ما دون الشرك يعفو لمن يشاء بلا توبة (ويعلم ما تفعلون) بالتاء كوفي غير
ابي بكر اي من التوبة والمعصية ولا وقف عليه للعطف عليه واتصال المعنى (ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم
من فضله) اي اذا دعوه استجاب دعاءهم واعطاهم ما طلبوا وزادهم
على مطلوبهم واستجاب
واجاب بمعنى والسين في مثله
لتوكيد الفعل كقولك
تعظم واستعظم والتقدير
ويجيب الله الذين آمنوا
وقيل معناه ويستجيب للذين
فحذف اللام من عليهم بان
يقبل توبتهم اذا تابوا ويعفوا
عن سيآتهم ويستجيب
اذا دعوه ويزيدهم على ما
سألوه وعن ابراهيم بن ادهم
انه قيل له ما بالنا ندعوه
فلا نجاب قال لانه دعاكم
فلم تجيبوه (والكافرون لهم
عذاب شديد) في الآخرة
(ولو بسط الله الرزق لعباده)
اي لو اغناهم جميعا (لبغوا في
الارض) من البغي وهو
الظلم اي لبغى هذا على ذاك
وذاك على هذا لان الغنى
مبطرة مأشرة وكفى بحال
قارون وفرعون عبرة أو من
البغي وهو الكبر أي لتكبروا

ويعفوا عن السيآت
ويعلم ما تفعلون) من الخير
والشر (ويستجيب الذين
آمنوا) يغفر للذين آمنوا
بمحمد عليه السلام والقرآن
(وعملوا الصالحات) فيما بينهم
وبين ربهم (ويزيدهم من فضله) بكرامته الثواب والكرامة في الجنة ويقال رؤية الله (والكافرون) أبو جهل (و)
وأصحابه (لهم عذاب شديد ولو بسط الله الرزق) وسع الله المال (لعباده) على عباده (لبغوا) لطغوا وتطاولوا (في الارض

مرارة الطاعة كما اذاقتها حلاوة المعصية والبكاء بدل كل ضحك ضحكته ﴿ ويعفوا
عن السيآت ﴾ صغيرها وكبيرها لمن يشاء ﴿ ويعلم ما يفعلون ﴾ فيجازي ويتجاوز عن اتقان
وحكمة وقرأ الكوفيون غير ابي بكر ماتفعلون بالتاء ﴿ ويستجيب الذين آمنوا وعملوا
الصالحات ﴾ اي يستجيب الله لهم فحذف اللام كما حذف في واذا كالوهم والمراد اجابة
الدعاء او الاثابة على الطاعة فانها كدعاء وطلب لما يترتب عليه ومنه قوله عليه الصلاة والسلام
افضل الدعاء الحمد لله او يستجيبون الله بالطاعة اذا دعاهم اليها ﴿ ويزيدهم من فضله ﴾
على ما سألوا أو استحقوا واستوجبوا له بالاستجابة ﴿ والكافرون لهم عذاب شديد ﴾
بدل ما للمؤمنين من الثواب والتفضل ﴿ ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض ﴾
لتكبروا وافسدوا فيها بطرا او لبغى بعضهم على بعض استيلاء واستعلاء وهذا على الغالب

يتوب اليه من أحدكم كان على راحلته بارض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه
فايس منها فاتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته فبينا هو كذلك اذ هو بها
قائمة عنده فاخذ بخطامها ثم قال من شدة فرحه اللهم أنت عبدي وانا ربك أخطأ من
شدة الفرح * عن صفوان بن عسال المرادي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
الله جعل بالمغرب بابا عرضه مسيرة سبعين عاما للتوبة لا يغلق مالم تطلع الشمس من قبله
وذلك قوله تعالى يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها الآية أخرجه الترمذي
وقال حديث حسن * صحيح وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال ان الله عز وجل يقبل توبة العبد مالم يغرغر أخرجه الترمذي وقال حديث حسن
غريب (م) عن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله
عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء
الليل حتى تطلع الشمس من مغربها * وقوله عز وجل ﴿ ويعفوا عن السيآت ﴾ أي
يمحوها اذا تابوا ﴿ ويعلم ما يفعلون ﴾ يعني من خير وشر فيجازيهم عليه ﴿ ويستجيب
الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ يعني يجيب المؤمنون الله تعالى فيما دعاهم لطاعته وقيل
معناه ويجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات اذا دعوه وقال ابن عباس ويثيب الذين
آمنوا ﴿ ويزيدهم من فضله ﴾ أي سوى ثواب أعمالهم تفضلا منه وقال ابن عباس
يشفعهم في اخوانهم ويزيدهم من فضله قال في اخوان اخوانهم ﴿ والكافرون لهم
عذاب شديد ﴾ * قوله عز وجل ﴿ ولو بسط الله الرزق لعباده ﴾ قال خباب بن
الارت فينا نزلت هذه الآية وذلك انا نظرنا الى أموال بني قريظة والنضير وبني
قينقاع فتمنيناها فانزل الله تعالى ولو بسط الله الرزق لعباده أي وسع الله الرزق لعباده
﴿ لبغوا ﴾ أي لطغوا وعتوا ﴿ في الارض ﴾ قال ابن عباس بغيهم طلبهم منزلة بعد منزلة

في الارض (ولكن ينزل) بالتخفيف مكي وأبو عمرو (بقدر ما يشاء) بتقدير يقال قدره قدرا وقدرا (انه بعباده خبير بصير) يعلم أحوالهم فيقدر لهم ماتقتضيه حكمته فيفقر ويغني ويمنع ويعطي ويقبض ويبسط ولو أغناهم جميعا لبغوا ولو فقرهم لهلكوا وما ترى من البسط على من يبغي ومن البغي بدون البسط فهو قليل ولاشك ان البغي مع الفقر أقل ومع البسط أكثر وأغلب (وهو الذي ينزل الغيث) وبالتشديد مدني وشامي وعاصم (من بعد ماقنطوا) وقرئ قنطوا (وينشر رحمته) أي بركات الغيث ومنافعه ومايحصل به من الخصب وقيل لعمر رضي الله عنه اشتد القحط وقنط الناس فقال مطروا اذا أراد هذه الآية أو اراد رحمته في كل شئ (وهو الولي) الذي يتولى عباده باحسانه (الحميد) المحمود على ذلك يحمده أهل طاعته (ومن آياته) أي علامات قدرته (خلق السموات والارض) مع عظمهما

واصل البغي طلب تجاوز الاقتصاد فيما يتحرى كمية وكيفية ﴿ ولكن ينزل بقدر ﴾ بتقدير ﴿ مايشاء ﴾ ما اقتضته مشيئته ﴿ انه بعباده خبير بصير ﴾ يعلم خفايا امرهم وجلايا حالهم فيقدر لهم ماينا سب شأنهم روي ان اهل الصفة تمنوا الغنى فنزلت وقيل في العرب كانوا اذا اخصبوا تحاربوا واذا اجدبوا انتجعوا ﴿ وهو الذي ينزل الغيث ﴾ المطر الذي يغيثهم من الجدب ولذلك خص بالنافع وقرأ النافع وابن عامر وعاصم ينزل بالتشديد ﴿ من بعد ماقنطوا ﴾ ايسوا منه وقرئ بكسر النون ﴿ وينشر رحمته ﴾ في كل شئ من السهل والجبل والنبات والحيوان ﴿ وهو الولي ﴾ الذي يتولى عباده باحسانه ونشر رحمته ﴿ الحميد ﴾ المستحق للحمد على ذلك ﴿ ومن آياته خلق السموات والارض ﴾ فانها

ومركبا بعد مركب وملبسا بعد ملبس وقيل ان الانسان متكبر بالطبع فاذا وجد الغنى والقدرة رجع الى مقتضى طبعه وهو التكبر واذا وقع في شدة ومكروه وفقر انكسر فرجع الى الطاعة والتواضع وقيل ان البغي مع القبض والفقر أقل ومع البسط والغنى أكثر لان النفس مائلة الى الشر لكنها اذا كانت فاقدة لآلاته كان الشر أقل واذا كانت واجدة لها كان الشر أكثر فثبت ان وجدان المال يوجب الطغيان ﴿ ولكن ينزل بقدر مايشاء ﴾ يعني الارزاق نظرا لمصالح عباده وهو قوله تعالى ﴿ انه بعباده خبير بصير ﴾ والمعنى انه تعالى عالم باحوال عباده وبطبائعهم وبعواقب أمورهم فيقدر أرزاقهم على وفق مصالحهم يدل على ذلك ماروى أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم عن جبريل عن الله عزوجل قال يقول الله عزوجل من أهان لي وليا فقد بارزني بالمحاربة واني لاغضب لاوليائي كما يغضب الليث الحرد وماتقرب الى عبدي المؤمن بمثل أداء ماافترضت عليه ومايزال عبدي المؤمن يتقرب الي بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت له سمعا وبصرا ويدا ومؤيدا ان دعاني أجبته وان سألني أعطيته وماترددت في شئ أنا فاعله ترددي في قبض روح عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولابد له منه وان من عبادي المؤمنين لمن يسألني الباب من العبادة فاكفه عنه ان لايدخله عجب فيفسده ذلك وان من عبادي المؤمنين لمن لايصلح ايمانه الا الغنى ولو أفقرته لافسده ذلك وان من عبادي المؤمنين لمن لايصلح ايمانه الا الفقر ولو أغنيته لافسده ذلك وان من عبادي المؤمنين لمن لايصلح ايمانه الا الصحة ولو أسقمته لافسده ذلك وان من عبادي المؤمنين لمن لايصلح ايمانه الا السقم ولو أصححته لافسده ذلك اني ادبر أمر عبادي بعلمي بقلوبهم اني عليم خبير أخرجه البغوي باسناده ﴿ قوله عزوجل ﴿ وهو الذي ينزل الغيث من بعد ماقنطوا ﴾ اي يئس الناس منه وذلك ادعى لهم الى الشكر قيل حبس الله المطر عن اهل مكة سبع سنين حتى قنطوا ثم أنزل الله عزوجل المطر فذكرهم نعمته لان الفرح بحصول النعمة بعد الشدة أتم ﴿ وينشر رحمته ﴾ أي يبسط بركات الغيث ومنافعه ومايحصل به من الخصب ﴿ وهو الولي ﴾ أي لاهل طاعته ﴿ الحميد ﴾ أي المحمود على مايوصل الى الخلق من أقسام رحمته ﴿ ومن آياته خلق السموات والارض

ولكن ينزل) يوسع (بقدر مايشاء) على من يشاء (انه بعباده) بصلاح عباده (خبير بصير) باعمالهم (وهو الذي ينزل الغيث) يعني المطر (من بعد ماقنطوا) أي أيسوا من المطر (وينشر رحمته) ينزل رحمته يعني المطر (وهو الولي) بالمطر عاما بعام (الحميد) المحمود في فعاله (ومن آياته) من علامات وحدانيته وقدرته (خلق السموات والارض

(ومابث) فرق ومايجوز أن يكون مرفوعا ومجرورا حملا على المضاف أو المضاف اليه (فيهما) فى السموات والارض (من دابة) الدواب تكون فى الارض وحدها لكن يجوز أن ينسب الشئ الى جميع المذكور وان كان ملتبسا ببعضه كما يقال بنو تميم فيهم شاعر مجيد وانما هو فى فخذ من أفخاذهم ومنه قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج من الملح ولا يبعد أن يخلق فى السموات حيوانات يمشون فيها مشى الاناسى على الارض أو يكون للملائكة مشى مع الطيران فوصفوا بالدبيب كما وصف به الاناسى (وهو على جمعهم) يوم القيامة (اذا يشاء قدير) اذا تدخل على المضارع كما تدخل على الماضى قال الله تعالى والليل اذا يغشى (وما أصابكم من مصيبة) غم وألم ومكروه (فبما كسبت أيديكم) أى بجناية كسبتموها عقوبة عليكم بما كسبت بغير الفاء مدنى وشامى على أن ما مبتدأ وبما كسبت خبره من غير تضمين معنى الشرط ومن أثبت الفاء فعلى تضمين معنى الشرط وتعلق بهذه الآية من يقول بالتناسخ وقال لو لم يكن للاطفال حالة كانوا عليها قبل هذه الحالة لما تألموا وقلنا الآية مخصوصة بالمكلفين بالسباق والسياق وهو (ويعفوا عن كثير) أى من الذنوب فلا يعاقب عليه أو عن كثير من الناس فلا يعاجلهم بالعقوبة وقال ابن عطاء من لم يعلم ان ما وصل اليه من الفتن والمصائب باكتسابه وان ما عفا عنه مولاه أكثر كان قليل النظر فى احسان ربه اليه وقال محمد بن حامد العبد ملازم للجنايات فى كل أوان (شوكة) وجناياته فى طاعته أكثر من جنايته فى معاصيه لان جناية المعصية من وجه وجناية الطاعة من وجوه والله يطهر عبده من جناياته بانواع من المصائب ليخفف عنه أثقاله فى القيامة ولولا عفوه ورحمته لهلك فى أول خطوة وعن على رضى الله تعالى عنه هذه أرجى آية للمؤمنين فى القرآن لان الكريم اذا عاقب مرة لا يعاقب ثانيا

بذاتها وصفاتها تدل على وجود صانع قادر حكيم ﴿ ومابث فيهما ﴾ عطف على السموات او الخلق ﴿ من دابة ﴾ من حى على اطلاق اسم المسبب للسبب او مما يدب على الارض وما يكون فى احد الشيئين يصدق انه فيهما فى الجملة ﴿ وهو على جمعهم اذا يشاء ﴾ فى أى وقت يشاء ﴿ قدير ﴾ متمكن منه واذا كما تدخل على الماضى تدخل على المضارع ﴿ وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ﴾ فبسبب معاصيكم والفاء لان ما شرطية او متضمنة معناه ولم يذكرها نافع وابن عامر استغناء بما فى الباء من معنى السببية ﴿ ويعفوا عن كثير ﴾ من الذنوب فلا يعاقب عليها والآية مخصوصة بالمجرمين

ومابث ﴾ أى اوجد ﴿ فيهما ﴾ أى فى السموات والارض ﴿ من دابة ﴾ فان قلت كيف يجوز اطلاق لفظ الدابة على الملائكة قلت الدبيب فى اللغة المشى الخفيف على الارض فيحتمل ان يكون للملائكة مشى مع الطيران فيوصفون بالدبيب كما يوصف به الانسان وقيل يحتمل ان الله تعالى خلق فى السموات انواعا من الحيوانات يدبون دبيب الانسان ﴿ وهو على جمعهم اذا يشاء قدير ﴾ يعنى يوم القيامة ❁ قوله عز وجل ﴿ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ﴾ المراد بهذه المصائب الاحوال المكروهة نحو الاوجاع والاسقام والقحط والغلاء والغرق والصواعق وغير ذلك من المصائب فبما كسبت أيديكم من الذنوب والمعاصى ﴿ ويعفوا عن كثير ﴾ قال ابن عباس لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده ما من خدش عود ولا عثرة قدم ولا اختلاج عرق الا بذنب وما يعفو الله عنه أكثر ❁ وروى البغوى باسناد الثعلبى عن أبى سخيلة قال قال على بن أبى طالب رضى الله عنه الا أخبركم بافضل آية فى كتاب الله حدثنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفوا عن كثير وسأفسرها لكم يا على ما أصابكم من مصيبة أى من مرض أو عقوبة أو بلاء فى الدنيا فبما كسبت أيديكم والله أكرم من أن يثنى عليكم العقوبة فى الآخرة وما عفا الله عنه فى الدنيا فالله أحلم من ان يعود بعد عفوه وقال عكرمة ما من نكبة أصابت عبدا فما فوقها الا بذنب لم يكن الله ليغفره له الا بها أو درجة لم يكن الله ليرفعه لها الا بها (ق) عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصيب المؤمن

ومابث) نشر (فيهما) ما خلق فى الارض (من دابة) كلها آية لكم (وهو على جمعهم) على احيائهم (اذا يشاء قدير وما أصابكم من مصيبة) ما تصابون فى أنفسكم (فبما كسبت أيديكم) فبما جنت أيديكم يصيبكم (ويعفوا عن كثير) من الذنوب فلا يجزيكم به

واذا عفالا يعود (ومانتم بمعجزين فى الارض) أى بفائتين ماقضى عليكم من المصائب (ومالكم من دون الله من ولى) متول بالرحمة (ولانصير) ناصر يدفع عنكم العذاب اذا حل بكم (ومن آياته الجوار) جمع جارية وهى السفينة الجوارى فى الحالين مكى وسهل ويعقوب وافقهم مدنى وأبوعمرو فى الوصل (فى البحر كالاعلام) كالجبال (ان يشأ يسكن الريح) الرياح مدنى (فيظللن رواكد) ثوابت لاتجرى (على ظهره) على ظهر البحر (ان فى ذلك لآيات لكل صبار) على بلائه (شكور) لنعمائه أى لكل مؤمن مخلص فالايمان نصفان نصف شكر ونصف صبر أو صبار على طاعته شكور لنعمته (أو يوبقهن) يهلكهن فهو عطف على يسكن والمعنى ان يشأ يسكن الريح فيركدن أو يعصفها فيغرقن بعصفها (بما كسبوا) من الذنوب (ويعف عن كثير) منها فلا يجازى عليها وانما أدخل العفو فى حكم الايباق حيث جزم جزمه لان المعنى أو ان يشأ يهلك ناسا وينج ناسا على طريق العفو عنهم (ويعلم) بالنصب عطف على تعليل محذوف تقديره لينتقم منهم ويعلم (الذين يجادلون فى آياتنا) أى فى ابطالها ودفعها ويعلم مدنى وشامى عطف على الاستئناف (مالهم من محيص) مهرب

فان ما اصاب غيرهم فلاسباب اخر منها تعريضه للاجر العظيم بالصبر عليه ﴿ومانتم بمعجزين فى الارض﴾ فائتين ماقضى عليكم من المصائب ﴿ومالكم من دون الله من ولى﴾ يحرسكم منها ﴿ولانصير﴾ يدفعها عنكم ﴿ومن آياته الجوار﴾ السفن الجارية ﴿فى البحر كالاعلام﴾ كالجبال قالت الخنساء

وان صخرا لتأتم الهداة به * كأنه علم فى رأسه نار

﴿ان يشأ يسكن الريح﴾ وقرأ نافع الرياح ﴿فيظللن رواكد على ظهره﴾ فيبقين ثوابت على ظهر البحر ﴿ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور﴾ لكل من وكل همته وحبس نفسه على النظر فى آيات الله والتفكر فى آلائه اولكل مؤمن كامل فان الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر ﴿أو يوبقهن﴾ اويهلكهن بارسال الريح العاصفة المغرقة والمراد اهلاك اهلها لقوله ﴿بما كسبوا﴾ واصله او يرسلها فيوبقهن لانه قسيم يسكن فاقتصر فيه على المقصود كما فى قوله ﴿ويعف عن كثير﴾ اذالمعنى او يرسلها عاصفة فيوبق ناسا بذنوبهم وينج ناسا على العفو منهم وقرئ ويعفو على الاستئناف ﴿ويعلم الذين يجادلون فى آياتنا﴾ عطف على علة مقدرة مثل لينتقم منهم ويعلم او على الجزاء ونصب نصب الواقع جوابا للاشياء الستة لانه ايضا غير واجب وقرأ نافع وابن عامر بالرفع على الاستئناف وقرئ بالجزم عطفا على يعف فيكون المعنى اويجمع بين اهلاك قوم وانجاء قوم وتحذير آخرين ﴿مالهم من محيص﴾ محيد

شوكة فمافوقها الارفعه الله بها درجة وحط عنه بها خطيئة ﴿وماأنتم بمعجزين﴾ أى بفائتين ﴿فى الارض﴾ هربا يعنى لاتعجزونى حيثما كنتم ﴿ومالكم من دون الله من ولى ولانصير﴾ قوله عزوجل ﴿ومن آياته الجوار﴾ يعنى السفن وهى السيارة ﴿فى البحر كالاعلام﴾ أى كالقصور وكل شئ مرتفع عند العرب فهو علم ﴿ان يشأ يسكن الريح﴾ أى التى تجرى بها السفن ﴿فيظللن﴾ يعنى السفن الجوارى ﴿رواكد﴾ أى ثوابت ﴿على ظهره﴾ أى على ظهر البحر لاتجرى ﴿ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور﴾ وهذه صفة المؤمن لانه يصبر فى الشدة ويشكر فى الرخاء ﴿أو يوبقهن﴾ أى يغرقهن ويهلكهن ﴿بما كسبوا﴾ أى بما كسبت ركابها من الذنوب ﴿ويعف عن كثير﴾ أى من ذنوبهم فلا يعاقب عليها ﴿ويعلم الذين يجادلون فى آياتنا مالهم من محيص﴾ يعنى يعلم الذين يكذبون بالقرآن اذا صاروا الى الله تعالى مالهم

(وماأنتم بمعجزين فى الارض) بفائتين من عذاب الله (وما لكم من دون الله) من عذاب الله (من ولى) قريب ينفعكم (ولانصير) مانع يمنعكم من عذاب الله (ومن آياته) من علامات وحدانيته وقدرته (الجوار) يعنى السفن (فى البحر كالاعلام) كالجبال (ان يشأ يسكن الريح) التى تجرى بها السفن (فيظللن) فيصرن (رواكد) ثوابت (على ظهره) على ظهر الماء (ان فى ذلك) فيما ذكرت من السفن (لآيات) لعلامات وعبرا (لكل صبار) على الطاعة (شكور) بنعم الله (أو يوبقهن) يهلكهن يعنى السفن فى البحر (بما كسبوا) بمعصية أهلهن (ويعف عن كثير) لايجازيهم به (ويعلم) لكى يعلم (الذين يجادلون فى آياتنا) يكذبون بمحمد عليه السلام والقرآن (مالهم من محيص) من مغيث ولانجاة

من عذابه (فما أوتيتم من شئ فمتاع الحيوة الدنيا وما عند الله) من الثواب (خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) ما الاولى ضمنت معنى الشرط فجاءت الفاء فى جوابها بخلاف الثانية نزلت فى أبى بكر الصديق رضى الله عنه حين تصدق بجميع ماله فلامه الناس (والذين يجتنبون)عطف على الذين آمنوا وكذا ما بعده (كبائر الاثم)أى الكبائر من هذا الجنس كبير الاثم على وحزة وعن ابن عباس كبير الاثم هو الشرك (والفواحش)قيل ما عظم قبحه فهو فاحشة كالزنا (واذا ما غضبوا) من أمور دنياهم (هم

يغفرون) أى هم الاخصاء بالغفران فى حال الغضب والمجئ بهم وايقاعه مبتدأ واسناد يغفرون اليه لهذه الفائدة ومثله هم ينتصرون (والذين استجابوا لربهم) نزلت فى الانصار دعاهم الله عز وجل للايمان به وطاعته فاستجابوا له بان آمنوا به وأطاعوه (وأقاموا الصلوة) وأتموا الصلوات الخمس (وأمرهم شورى بينهم) أى ذو شورى لا ينفردون برأى حتى يجتمعوا عليه وعن الحسن ما تشاور قوم الا هدوا لارشد أمرهم والشورى مصدر كالفتيا بمعنى التشاور (ومما رزقناهم ينفقون) يتصدقون (والذين اذا أصابهم البغى) الظلم (هم ينتصرون) ينتقمون ممن

من العذاب والجملة معلق عنها الفعل ﴿ فما اوتيتم من شئ فمتاع الحيوة الدنيا ﴾ تمتعون به مدة حياتكم ﴿ وما عند الله ﴾ من ثواب الآخرة ﴿ خير وابقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ﴾ لخلوص نفعه ودوامه وما الاولى موصولة تضمنت معنى الشرط من حيث ان ايتاء ما اوتوا سبب للتمتع بها فى الحياة الدنيا فجازت الفاء فى جوابها بخلاف الثانية وعن على رضى الله عنه تصدق ابو بكر رضى الله عنه بماله كله فلامه جمع فنزلت ﴿ والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش واذا ما غضبوا هم يغفرون ﴾ بما بعده عطف على الذين آمنوا اومدح منصوب اومرفوع وبناء يغفرون على ضميرهم خبرا للدلالة على انهم الاحقاء بالمغفرة حال الغضب وقرأ حمزة والكسائى كبير الاثم ﴿ والذين استجابوا لربهم واقاموا الصلوة ﴾ نزلت فى الانصار دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الايمان فاستجابوا له ﴿ وامرهم شورى بينهم ﴾ ذو شورى لا ينفردون برأى حتى يتشاوروا ويجتمعوا عليه وذلك من فرط تدبرهم وتيقظهم فى الامور وهى مصدر كالفتيا بمعنى التشاور ﴿ ومما رزقناهم ينفقون ﴾ فى سبيل الخير ﴿ والذين اذا اصابهم البغى هم ينتصرون ﴾ على ما جعله الله لهم كراهة

من مهرب من عذابه ﴿ فما أوتيتم من شئ ﴾ أى من زينة الدنيا ﴿ فمتاع الحيوة الدنيا ﴾ أى ليس هو من زاد المعاد ﴿ وما عند الله ﴾ أى من الثواب ﴿ خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ﴾ والمعنى ان المؤمن والكافر يستويان فى متاع الحياة الدنيا فاذا صارا الى الله تعالى كان ما عند الله من الثواب خيرا وأبقى للمؤمن ﴿ والذين يجتنبون كبائر الاثم ﴾ يعنى كل ذنب تعظم عقوبته كالقتل والزنا والسرقة وشبه ذلك ﴿ والفواحش ﴾ يعنى ما عظم قبحه من الاقوال والافعال ﴿ واذا ما غضبوا هم يغفرون ﴾ يعنى يكظمون الغيظ ويحلمون ﴿ والذين استجابوا لربهم ﴾ يعنى أجابوه الى ما دعاهم اليه من طاعته ﴿ وأقاموا الصلوة ﴾ يعنى المفروضة ﴿ وأمرهم شورى بينهم ﴾ يعنى يتشاورون فيما يبدو لهم ولا يعجلون ولا ينفردون برأى ما لم يجتمعوا عليه قيل ما تشاور قوم الا هدوا لأرشد أمرهم ﴿ ومما رزقناهم ينفقون والذين اذا أصابهم البغى ﴾ يعنى الظلم والعدوان ﴿ هم ينتصرون ﴾ يعنى ينتقمون من ظالمهم

من عذاب الله (فما أوتيتم) أعطيتم (من شئ) من المال والزهرة (فمتاع الحيوة الدنيا) لا يبقى (وما عند الله) من الثواب (خير) مما عندكم فى الدنيا (وأبقى) أدوم من متاع الدنيا فانها فانية ثم بين لمن هو فقال (للذين آمنوا) بمحمد عليه السلام والقرآن يعنى أبا بكر وأصحابه (وعلى ربهم يتوكلون) لا على المال (من) (والذين يجتنبون كبائر الاثم) يعنى الشرك (والفواحش) يعنى الزنا والمعاصى (واذا ما غضبوا هم) بالجفاء (يغفرون) يتجاوزون ولا يكافئون به (والذين استجابوا لربهم) أجابوا لربهم بالتوحيد والطاعة (وأقاموا الصلوة) أتموا الصلوات الخمس (وأمرهم شورى بينهم) اذا أرادوا أمرا وحاجة تشاوروا فيما بينهم ثم عملوا به (ومما رزقناهم) أعطيناهم من المال (ينفقون) يتصدقون (والذين اذا أصابهم البغى) المظلمة (هم ينتصرون) ينتصفون

ظلمهم أي يقتصرون في الانتصار على ماجعله الله تعالى لهم ولا يعتدون وكانوا يكرهون أن يذلوا أنفسهم فيجترئ عليهم الفساق وانما حمدوا على الانتصار لان من انتصر وأخذ حقه ولم يجاوز في ذلك حد الله فلم يسرف في القتل ان كان ولي دم فهو مطيع لله وكل مطيع محمود ثم بين حد الانتصار فقال (وجزاء سيئة سيئة مثلها) فالاولى سيئة حقيقة والثانية لا وانما سميت سيئة لانها مجازاة السوء أولانها تسوء من تنزل به ولانه لولم تكن الاولى لكانت الثانية سيئة لانها اضرار وانما صارت حسنة لغيرها أو في تسمية الثانية سيئة اشارة الى

والمعنى أنه يجب اذا قوبلت الاساءة أن تقابل بمثلها من غير زيادة (فمن عفا وأصلح) بينه وبين خصمه بالعفو والاغضاء (فاجره على الله) عدة مبهمة لايقاس أمرها في العظم (انه لا يحب الظالمين) الذين يبدؤن بالظلم أو الذين يجاوزون حد الانتصار في الحديث ينادي مناد يوم القيامة من كان له أجر على الله فليقم فلا يقوم الا من عفا (ولمن انتصر بعد ظلمه) أي أخذ حقه بعدما ظلم على اضافة المصدر الى المفعول (فاولئك) اشارة الى معنى من دون لفظه (ماعليهم من سبيل) للمعاقب ولا للمعاتب والمعايب (انما السبيل على الذين يظلمون الناس) يبتدؤنهم بالظلم (ويبغون في الارض) يتكبرون فيها ويعلون ويفسدون (بغير الحق

التذال وهو وصفهم بالشجاعة بعد وصفهم بسائر امهات الفضائل وهو لايخالف وصفهم بالغفران فانه ينبئ عن عجز المغفور والانتصار عن مقاومة الخصم والحلم على العاجز محمود وعلى المتغلب مذموم لانه اجراء واغراء على البغي ثم عقب وصفهم بالانتصار بالمنع عن التعدي فقال ﴿ وجزاء سيئة سيئة مثلها ﴾ وسمى الثانية سيئة للازدواج او لانها تسوء من تنزل به ﴿ فمن عفا واصلح ﴾ بينه وبين عدوه ﴿ فأجره على الله ﴾ عدة مبهمة تدل على عظم الموعود ﴿ انه لايحب الظالمين ﴾ المبتدئين بالسيئة والمتجاوزين في الانتقام ﴿ ولمن انتصر بعد ظلمه ﴾ بعد ماظلم وقد قرئ به ﴿ فاولئك ماعليهم من سبيل ﴾ بالمعاتبة والمعاقبة ﴿ انما السبيل على الذين يظلمون الناس ﴾ يبتدئونهم بالاضرار اويطلبون مالايستحقونه تجبرا عليهم ﴿ ويبغون في الارض بغير الحق

من غير تعد قال ابن زيد جعل الله تعالى المؤمنين صنفين صنف يعفون عمن ظلمهم فبدأ بذكرهم وهو قوله تعالى واذا ماغضبواهم يغفرون وصنف ينتصرون من ظالمهم وهم الذين ذكروا في هذه الآية وقال ابراهيم النخعي كانوا يكرهون أن يذلوا أنفسهم فاذا قدروا عفوا وقيل ان العفو اغراء للسفيه وقال عطاء هم المؤمنون الذين أخرجهم الكفار من مكة وبغوا عليهم ثم مكنهم الله عز وجل في الارض حتى انتصروا ممن ظلمهم ثم بين الله تعالى ان شرعة الانتصار مشروطة برعاية المماثلة فقال تعالى ﴿ وجزاء سيئة سيئة مثلها ﴾ سمى الجزاء سيئة وان لم يكن سيئة لتشابههما في الصورة وقيل لان الجزاء يسوء من ينزل به وقيل هو جزاء القبيح اذا قال أخزاك الله فقل له اخزاك الله ولا تزد واذا شتمك فاشتمه بمثلها ولا تعتد وقيل هو في القصاص في الجراحات والدماء يقتص بمثل ماجنى عليه وقيل ان الله تعالى لم يرغب في الانتصار بل بين انه مشروع ثم بين ان العفو أولى بقوله تعالى ﴿ فمن عفا ﴾ أي عمن ظلمه ﴿ وأصلح ﴾ أي بالعفو بينه وبين الظالم ﴿ فاجره على الله ﴾ قال الحسن اذا كان يوم القيامة نادى مناد من كان له على الله أجر فليقم فلا يقوم الا من عفا ثم قرأ هذه الآية ﴿ انه لايحب الظالمين ﴾ قال ابن عباس الذين يبدؤن بالظلم ﴿ ولمن انتصر بعد ظلمه ﴾ أي بعد ظلم الظالم اياه ﴿ فاولئك ﴾ يعني المنتصرين ﴿ ماعليهم من سبيل ﴾ أي بعقوبة ومؤاخذة ﴿ انما السبيل على الذين يظلمون الناس ﴾ أي يبدؤن بالظلم ﴿ ويبغون في الارض بغير الحق ﴾ أي

بالقصاص لا بالمكابرة

(وجزاء سيئة سيئة مثلها) جزاء جراحة جراحة مثلها (فمن عفا) عن مظلمته (وأصلح) ترك القصاص ولايكافئ به (فأجره على الله) فثوابه على الله (انه لايحب الظالمين) المبتدئين بالظلم (ولمن انتصر) انتصف بالقصاص (بعد ظلمه) مظلمته (فأولئك ماعليهم من سبيل) من مأثم بالقصاص (انما السبيل) المأثم (على الذين يظلمون الناس) بالابتداء بغير قصاص (ويبغون) يتطاولون (في الارض بغير الحق) بلا حق يكون لهم

اولئك لهم عذاب أليم)وفسر السبيل بالتبعة والحجة (ولمن صبر) على الظلم والاذى (وغفر)ولم ينتصر (ان ذلك) أى الصبر والغفران منه (لمن عزم الامور)أى من الامور التى ندب اليها أو مما ينبغى أن يوجبه العاقل على نفسه ولا يترخص فى تركه وحذف الراجع أى منه لانه مفهوم كما حذف من قولهم السمن منوان بدرهم وقال أبو سعيد القرشى الصبر على المكاره من علامات الانتباه فمن صبر على مكروه يصيبه ولم يجزع أورثه الله تعالى حال الرضا وهو أجل الاحوال ومن جزع من المصيبات وشكا وكله الله تعالى الى نفسه ثم لم تنفعه شكواه (ومن يضلل الله فماله من ولى من بعده) فماله من أحد يلى هدايته من بعد اضلال الله اياه

ويمنعه من عذابه (وترى الظالمين) يوم القيامة (لما رأوا العذاب) حين يرون العذاب واختير لفظ الماضى للتحقيق (يقولون هل الى مرد من سبيل) يسألون ربهم الرجوع الى الدنيا ليؤمنوا به (وتراهم يعرضون عليها) على النار اذ العذاب يدل عليها (خاشعين) متضائلين متقاصرين مما يلحقهم (من الذل ينظرون) الى النار (من طرف خفى) ضعيف بمسارقة كما ترى المصبور ينظر الى السيف (وقال الذين آمنوا ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم وأهليهم يوم القيمة) يوم متعلق بخسروا وقول

اولئك لهم عذاب اليم ﴾ على ظلمهم وبغيهم ﴿ ولمن صبر ﴾ على الاذى ﴿ وغفر ﴾ ولم ينتصر ﴿ ان ذلك لمن عزم الامور ﴾ اى ان ذلك منه فحذف كما حذف فى قولهم السمن منوان بدرهم للعلم به ﴿ ومن يضلل الله فماله من ولى من بعده ﴾ من ناصر يتولاه من بعد خذلان الله اياه ﴿ وترى الظالمين لما رأوا العذاب ﴾ حين يرونه فذكر بلفظ الماضى تحقيقا ﴿ يقولون هل الى مرد من سبيل ﴾ اى الى رجعة الى الدنيا ﴿ وتريهم يعرضون عليها ﴾ على النار ويدل عليها العذاب ﴿ خاشعين من الذل ﴾ متذللين متقاصرين مما يلحقهم من الذل ﴿ ينظرون من طرف خفى ﴾ اى يبتدئ نظرهم الى النار من تحريك لاجفانهم ضعيف كالمصبور ينظر الى السيف ﴿ وقال الذين آمنوا ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم ﴾ بالتعريض للعذاب المخلد ﴿ يوم القيمة ﴾ ظرف لخسروا والقول فى الدنيا اولقال اى يقولون اذا رأوهم على تلك

يعملون فيها بالمعاصى ﴿ أولئك لهم عذاب أليم ولمن صبر ﴾ اى لم ينتصر ﴿ وغفر ﴾ تجاوز عن ظالمه ﴿ ان ذلك ﴾ أى الصبر والتجاوز ﴿ لمن عزم الامور ﴾ يعنى تركه الانتصار لمن عزم الامور الجيدة التى أمر الله عزوجل بها وقيل ان الصابر يؤتى بصبره الثواب فالرغبة فى الثواب أتم عزما ﴿ ومن يضلل الله فماله من ولى من بعده ﴾ يعنى ماله من أحد يلى هدايته بعد اضلال الله اياه أو يمنعه من عذابه ﴿ وترى الظالمين لما رأوا العذاب ﴾ يعنى يوم القيامة ﴿ يقولون هل الى مرد من سبيل ﴾ يعنى انهم يسألون الرجعة الى الدنيا ﴿ وتراهم يعرضون عليها ﴾ أى على النار ﴿ خاشعين من الذل ﴾ أى خاضعين متواضعين ﴿ ينظرون من طرف خفى ﴾ يعنى يسارقون النظر الى النار خوفا منها وذلة أنفسهم وقيل ينظرون بطرف خفى أى ضعيف من الذل وقيل ينظرون الى النار بقلوبهم لانهم يحشرون عميا والنظر بالقلب خفى ﴿ وقال الذين آمنوا ان الخاسرين الذين خسروا أنفسهم ﴾ يعنى بان صاروا الى النار ﴿ وأهليهم يوم القيمة ﴾ يعنى وخسروا أهليهم بان صاروا لغيرهم

(أولئك لهم عذاب أليم) وجيع (ولمن صبر) على مظلمته (وغفر) تجاوز ولم يقتص ولم يكافئ به (ان ذلك) الصبر والتجاوز (لمن عزم الامور) من خير الامور

ويقال من حزم الامور ونزل من قوله والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الى قوله لمن عزم الامور (فى) فى شأن أبى بكر الصديق وصاحبه عمرو بن غزية الانصارى فى كلام وتنازع كان بينهما فشتم الانصارى أبابكر الصديق فأنزل الله فيهما هؤلاء الآيات (ومن يضلل الله) عن دينه (فماله من ولى) من مرشد (من بعده) غير الله (وترى الظالمين) المشركين أباجهل وأصحابه يوم القيامة (لما رأوا العذاب) حين رأوا العذاب (يقولون هل الى مرد من سبيل)هل الى رجوع الى الدنيا من حيلة (وتراهم يعرضون عليها) على النار (خاشعين من الذل) ذليلين من الحزن (ينظرون) اليك (من طرف خفى) مسارقة الاعين (وقال الذين آمنوا) بمحمد عليه السلام والقرآن (ان الخاسرين) المغبونين (الذين خسروا) الذين غبنوا (أنفسهم وأهليهم) خدمهم فى الجنة (يوم القيمة

المؤمنين واقع في الدنيا أو يقال أي يقولون يوم القيامة اذا رأوهم على تلك الصفة (ألا ان الظالمين في عذاب مقيم) دائم (وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله) من دون عذابه (ومن يضلل الله فماله من سبيل) الى النجاة (استجيبوا لربكم) أجيبوه الى مادعاكم اليه (من قبل أن يأتي يوم) أي يوم القيامة (لا مرد له من الله) من يتصل بلا مرد أي لا يرده الله بعدما حكم به أو بيأتي أي من قبل أن يأتي من الله يوم لا يقدر احد على رده (مالكم من ملجأ يومئذ ومالكم من نكير) أي ليس لكم مخلص من العذاب ولا تقدرون ان تنكروا شيأ مما اقترفتموه ودون في صحائف أعمالكم والنكير الانكار (فان أعرضوا) عن الايمان (فما أرسلناك عليهم حفيظا) رقيبا (ان عليك الا البلاغ) ما عليك الا تبليغ الرسالة وقد فعلت (وانا اذا أذقنا الانسان) المراد الجمع لا الواحد (منا رحمة) نعمة وسعة وأمنا وصحة (فرح بها) بطر لاجلها (وان تصبهم سيئة) بلاء كالمرض والفقر ونحوهما وتوحيد فرح باعتبار اللفظ والجمع في وان تصبهم باعتبار المعنى (بما قدمت أيديهم) بسبب معاصيهم (فان الانسان كفور) ولم يقل فانه كفور ليسجل على أن هذا الجنس

الحال ﴿ ألا ان الظالمين في عذاب مقيم ﴾ تمام كلامهم او تصديق من الله لهم ﴿ وما كان لهم من اولياء ينصرونهم من دون الله ومن يضلل الله فماله من سبيل ﴾ الى الهدى او النجاة ﴿ استجيبوا لربكم من قبل ان يأتي يوم لا مرد له من الله ﴾ لا يرده الله بعد ما حكم به ومن صلة لمرد وقيل صلة يأتي اى من قبل ان يأتي يوم من الله لا يمكن رده ﴿ مالكم من ملجأ ﴾ مفر ﴿ يومئذ ومالكم من نكير ﴾ انكار لما اقترفتموه لانه مدون في صحائف اعمالكم تشهد عليه السنتكم وجوارحكم ﴿ فان اعرضوا فما ارسلناك عليهم حفيظا ﴾ رقيبا او محاسبا ﴿ ان عليك الا البلاغ ﴾ وقد بلغت ﴿ وانا اذا اذقنا الانسان منا رحمة فرح بها ﴾ اراد بالانسان الجنس لقوله ﴿ وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم فان الانسان كفور ﴾ بليغ الكفران ينسى النعمة رأسا ويذكر البلية ويعظمها ولا يتأمل سببها وهذا وان اختص بالمجرمين جاز اسناده الى الجنس لغلبتهم واندراجهم فيه وتصدير الشرطية الاولى باذا والثانية بان لان اذاقة النعمة محققة من حيث انها عادة مقتضية بالذات بخلاف اصابة البلية واقامة علة الجزاء مقامه ووضع الظاهر موضع الضمير في

في الجنة ﴿ ألا ان الظالمين في عذاب مقيم وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله ومن يضلل الله فماله من سبيل ﴾ أي وصول الى الحق في الدنيا والجنة في العقبى فقد استدت عليهم طرق الخير ﴿ استجيبوا لربكم ﴾ أي أجيبوا داعي الله يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ﴿ من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله ﴾ أي لا يقدر أحد على دفعه وهو يوم القيامة وقيل هو يوم الموت ﴿ مالكم من ملجأ يومئذ ﴾ أي مالكم من مخلص من العذاب وقيل من الموت ﴿ ومالكم من نكير ﴾ أي ينكر حالكم وقيل النكير الانكار يعني لا تقدرون ان تنكروا من أعمالكم شيأ ﴿ فان أعرضوا ﴾ أي عن الاجابة ﴿ فما أرسلناك عليهم حفيظا ﴾ أي تحفظ أعمالهم ﴿ ان عليك الا البلاغ ﴾ أي ليس عليك الا البلاغ وفيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم ﴿ وانا اذا أذقنا الانسان منا رحمة ﴾ قال ابن عباس يعني الغنى والصحة ﴿ فرح بها وان تصبهم سيئة ﴾ أي قحط ﴿ بما قدمت أيديهم ﴾ أي من الاعمال الخبيثة ﴿ فان الانسان كفور ﴾ أي لما تقدم من نعمة الله تعالى عليه ﴿ قوله

(ألا ان الظالمين) المشركين أبا جهل وأصحابه (في عذاب مقيم) دائم (وما كان لهم من أولياء) أقرباء (ينصرونهم) يمنعونهم (من دون الله) من عذاب الله (قا و خا ٥٣ مس) (ومن يضلل الله) عن دينه مثل أبي جهل (فماله من سبيل) من دين ولا حجة (استجيبوا لربكم) بالتوحيد (من قبل أن يأتي يوم) وهو يوم القيامة (لا مرد له) لا مانع له (من الله) من عذاب الله (مالكم من ملجأ) من نجاة (يومئذ) من عذاب الله (ومالكم من نكير) من معين (فان أعرضوا) عن الايمان (فما أرسلناك عليهم حفيظا) تحفظهم (ان عليك) ما عليك (الا البلاغ) التبليغ عن الله ثم أمره بالقتال بعد ذلك (وانا اذا أذقنا الانسان) أصبنا الكافر (منا رحمة) نعمة (فرح بها) أعجب بها غير شاكر لها (وان تصبهم سيئة) شدة وفقر وبلية (بما قدمت) عملت (أيديهم) في الشرك (فان الانسان) يعني أبا جهل (كفور)

موسوم بكفران النعم كاقال ان الانسان لظلوم كفار والكفور البليغ الكفران والمعنى أنه يذكر البلاء وينسى النعم ويغمطها قيل أريد به كفران النعمة وقيل اريد به الكفر بالله تعالى (لله ملك السموات والارض يخلق مايشاء يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم) أى يقرنهم (ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيما) لما ذكر اذاقة الانسان الرحمة واصابته بضدها اتبع ذلك ان له تعالى الملك وأنه يقسم النعمة والبلاء كيف أراد ويهب لعباده من الاولاد مايشاء فيخص بعضا بالاناث وبعضا بالذكور وبعضا

بالصنفين جيعا ويجعل البعض عقيما والعقيم التى لاتلد وكذلك رجل عقيم اذا كان لايولد له وقدم الاناث أولا على الذكور لان سياق الكلام أنه فاعل مايشاؤه لامايشاؤه الانسان فكان ذكر الاناث اللاتى من جملة مالايشاؤه الانسان أهم والاهم واجب التقديم وليلى الجنس الذى كانت العرب تعده بلاء ذكر البلاء ولما أخر الذكور وهم أحقاء بالتقديم تدارك تأخيرهم بتعريفهم لان التعريف تنويه وتشهير ثم أعطى بعد ذلك كلا الجنسين حقه من التقديم والتأخير وعرف أن تقديمهن لم يكن لتقدمهن ولكن لمقتض آخر فقال ذكرانا واناثا وقيل نزلت فى الانبياء عليهم السلام حيث وهب للوط وشعيب اناثا ولابراهيم ذكورا ولمحمد صلى الله عليه وسلم ذكورا واناثا وجعل يحيى وعيسى عليهما السلام عقيمين (انه عليم) بكل شئ (قدير) قادر على كل شئ (وما كان لبشر) وماصح لاحد من البشر (أن يكلمه الله الاوحيا) أى الهاما (ان) كاروى نفث فى روعى أو رؤيا فى المنام كقوله عليه السلام رؤيا الانبياء وحى وهو كامر ابراهيم عليه السلام بذبح

الثانية للدلالة على ان هذا الجنس موسوم بكفران النعمة ﴿لله ملك السموات والارض﴾ فله ان يقسم النعمة والبلية كيف يشاء ﴿يخلق مايشاء يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور﴾ من غير لزوم ومجال اعتراض ﴿او يزوجهم ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيما﴾ بدل من يخلق بدل البعض والمعنى يجعل أحوال العباد فى الاولاد مختلفة على مقتضى المشيئة فيهب لبعض اما صنفا واحدا من ذكر او انثى او الصنفين جيعا ويعقم آخرين ولعل تقديم الاناث لانها اكثر لتكثير النسل اولان مساق الآية للدلالة على ان الواقع مايتعلق به مشيئة الله لامشيئة الانسان والاناث كذلك اولان الكلام فى البلاء والعرب تعدهن بلاء اولتطييب قلوب آبائهن اوللمحافظة على الفواصل ولذلك عرف الذكور اولجبر التأخير وتغيير العاطف فى الثالث لانه قسيم المشترك بين القسمين ولم يحتج اليه الرابع لافصاحه بانه قسيم المشترك بين الاقسام المتقدمة ﴿انه عليم قدير﴾ فيفعل مايفعل بحكمة واختيار ﴿وما كان لبشر﴾ وماصح له ﴿ان يكلمه الله الاوحيا﴾ كلاما خفيا يدرك بسرعة لانه تمثيل ليس فى ذاته مركبا من حروف مقطعة تتوقف على

عزوجل ﴿لله ملك السموات والارض﴾ يعنى له التصرف فيهما بما يريد ﴿يخلق مايشاء﴾ أى لايقدر أحد أن يعترض عليه فى ملكه وارادته ﴿يهب لمن يشاء اناثا﴾ أى فلا يولد له ذكر ﴿ويهب لمن يشاء الذكور﴾ أى فلا يولد له أنثى ﴿أو يزوجهم ذكرانا واناثا﴾ أى يجمع بينهما فيولد له الذكور والاناث ﴿ويجعل من يشاء عقيما﴾ أى فلا يولد له ولد وقيل هذا فى الانبياء عليهم الصلاة والسلام فقوله يهب لمن يشاء اناثا يعنى لوطا لم يولد له ذكر انما ولد له ابنتان ويهب لمن يشاء الذكور يعنى ابراهيم عليه الصلاة والسلام لم يولد له أنثى أو يزوجهم ذكرانا واناثا يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم ولد له أربع بنين وأربع بنات ويجعل من يشاء عقيما يعنى يحيى وعيسى عليهما الصلاة والسلام لم يولد لهما وهذا على وجه التمثيل والافالآية عامة فى جميع الناس ﴿انه عليم﴾ أى بما يخلق ﴿قدير﴾ أى على مايريد ان يخلق ❁ قوله تعالى ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله الاوحيا﴾ قيل فى سبب نزولها ان اليهود قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم الاتكلم الله وتنظر اليه

كافر بالله وبنعمته (لله ملك السموات والارض) خزائن السموات والارض المطر والنبات (يخلق مايشاء) كما يشاء (يهب لمن يشاء اناثا) مثل لوط لم يكن له ولد ذكر (ويهب لمن يشاء الذكور) مثل ابراهيم لم يكن له أنثى (أو يزوجهم) يخلطهم (ذكرانا واناثا) مثل محمد صلى الله عليه وسلم كان له الذكر والانثى (ويجعل من يشاء عقيما) بلا ولد مثل يحيى بن زكريا (انه عليم قدير) فيما وهب من الذكور والاناث (وما كان) ماجاز (لبشر أن يكلمه الله) مواجهة بغير ستر (الاوحيا) فى المنام

الولد (أومن وراء حجاب) أي يسمع كلاما من الله كما سمع موسى عليه السلام من غير ان يبصر السامع من يكلمه وليس المراد به حجاب الله تعالى لان الله تعالى لا يجوز عليه ما يجوز على الاجسام من الحجاب ولكن المراد به ان السامع محجوب عن الرؤية في الدنيا (أو يرسل رسولا) أي يرسل ملكا (فيوحي) أي الملك اليه وقيل وحيا كما أوحى الى الرسل بواسطة الملائكة أو يرسل رسولا أي نبيا كما كلم أمم الانبياء على ألسنتهم ووحيا وان يرسل مصدران واقعان موقع الحال لان أن يرسل في معنى ارسالا ومن وراء حجاب ظرف

واقع موقع الحال كقوله وعلى جنوبهم والتقدير وما صح ان يكلم أحد الا موحيا أو مسمعا من وراء حجاب او مرسلا ويجوز أن يكون المعنى وما كان لبشر أن يكلمه الله الا بان يوحى أو ان يسمع من وراء حجاب أو ان يرسل رسولا وهو اختيار الخليل أو يرسل رسولا فيوحي بالرفع نافع على تقدير أو هو يرسل (باذنه) باذن الله (ما يشاء) من الوحي (انه على) قاهر فلا يمانع (حكيم) مصيب في أقواله وافعاله فلا يعارض (وكذلك) أي كما أوحينا الى الرسل قبلك أو كما وصفنا لك (أوحينا اليك) ايحاء كذلك (روحا من أمرنا) يريد ما أوحي اليه لان الخلق يحيون به في دينهم كما يحيا الجسد بالروح (ما كنت تدري) الجملة حال من الكاف في اليك (ما الكتاب) القرآن (ولا الايمان) أي شرائعه أو ولا الايمان بالكتاب لانه اذا كان لا يعلم بان الكتاب ينزل عليه لم يكن عالما بذلك الكتاب وقيل الايمان يتناول أشياء بعضها الطريق

تموجات متعاقبة وهو ما يعم المشافهة به كما روى في حديث المعراج وما وعد به في حديث الرؤية والمهتف به كما اتفق لموسى في طوى والطور لكن عطف قوله ﴿ او من وراء حجاب ﴾ عليه يخصه بالاول فالآية دليل على جواز الرؤية لا على امتناعها وقيل المراد به الالهام والالقاء في الروع او الوحي المنزل به الملك الى الرسل فيكون المراد بقوله ﴿ او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء ﴾ او يرسل اليه نبيا فيبلغ وحيه كما امره وعلى الاول المراد بالرسول الملك الموحي الى الرسول ووحيا بما عطف عليه منتصب بالمصدر لان من وراء حجاب صفة كلام محذوف والارسال نوع من الكلام ويجوز ان يكون وحيا ويرسل مصدرين ومن وراء حجاب ظرفا وقعت احوال وقرأ نافع او يرسل برفع اللام ﴿ انه على ﴾ عن صفات المخلوقين ﴿ حكيم ﴾ يفعل ما يقتضيه حكمته فيكلم تارة بوسط وتارة بغير وسط اما عيانا واما من وراء حجاب ﴿ وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ﴾ يعني ما اوحي اليه وسماه روحا لان القلوب تحيي به وقيل جبريل والمعنى ارسلناه اليك بالوحي ﴿ ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ﴾ اي قبل الوحي وهو

ان كنت نبيا كما كلمه موسى صلى الله عليه وسلم ونظر اليه فقال لم ينظر موسى الى الله تعالى فانزل الله تعالى وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أي يوحي اليه في المنام أو بالالهام كما رأى ابراهيم في المنام ان يذبح ولده وهو وحي وكما الهمت أم موسى أن تقذفه في البحر ﴿ أو من وراء حجاب ﴾ أي يسمعه كلامه من وراء حجاب ولا يراه كما كلم موسى عليه الصلاة والسلام ﴿ أو يرسل رسولا ﴾ يعني من الملائكة اما جبريل أو غيره ﴿ فيوحي باذنه ما يشاء ﴾ يعني يوحي ذلك الرسول الى المرسل اليه باذن الله ما يشاء وهذه الآية محمولة على انه لا يكلم بشرا الا من وراء حجاب في الدنيا ويأتي بيان هذه المسئلة ان شاء الله تعالى في سورة النجم ﴿ انه على ﴾ أي عن صفات المخلوقين ﴿ حكيم ﴾ أي في جميع أفعاله ❁ قوله عز وجل ﴿ وكذلك ﴾ أي وكما أوحينا الى سائر رسلنا ﴿ أوحينا اليك روحا من أمرنا ﴾ قال ابن عباس نبوة وقيل قرآنا لان به حياة الارواح وقيل رحمة وقيل جبريل ﴿ ما كنت تدري ﴾ أي قبل الوحي ﴿ ما الكتاب ﴾ يعني القرآن ﴿ ولا الايمان ﴾ اختلف العلماء في هذه الآية مع

(أو من وراء حجاب) ستر كما كلم موسى عليه السلام (أو يرسل رسولا) جبريل كما أرسل الى محمد عليه السلام (فيوحي باذنه) بأمره (ما يشاء) الذي شاء من الامر والنهي (انه على) أعلى من كل شيء (حكيم) في أمره وقضائه (وكذلك) هكذا (أوحينا اليك روحا من أمرنا) يعني جبريل بالقرآن (ما كنت تدري ما الكتاب) ما القرآن قبل نزول جبريل عليك وما كنت تحسن قراءة القرآن قبل القرآن (ولا الايمان) ولا الدعوة

اليه العقل وبعضها الطريق اليه السمع فعنى به ما الطريق اليه السمع دون العقل وذلك ما كان له فيه علم حتى كسبه بالوحي (ولكن جعلناه) أي الكتاب (نورا

نهدى به من نشاء من عبادنا وانك لتهدى) لتدعو وقرئ به (الى صراط مستقيم) الاسلام (صراط الله) بدل (الذى له ما فى السموات وما فى الارض) ملكا وملكا (ألا الى الله تصير الامور) هو وعيد بالجحيم ووعد بالنعيم والله أعلم بالصواب

(سورة الزخرف تسع وثمانون آية مكية)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(حم والكتاب المبين) أقسم بالكتاب المبين وهو القرآن وجعل قوله

دليل على انه لم يكن متعبدا قبل النبوة بشرع وقيل المراد هو الايمان بما لا طريق اليه الا السمع ﴿ ولكن جعلناه ﴾ اى الروح او الكتاب او الايمان ﴿ نورا نهدى به من نشاء من عبادنا ﴾ بالتوفيق للقبول والنظر فيه ﴿ وانك لتهدى الى صراط مستقيم ﴾ هو الاسلام وقرئ لتهدى اى ليهديك الله ﴿ صراط الله ﴾ بدل من الاول ﴿ الذى له ما فى السموات وما فى الارض ﴾ خلقا وملكا ﴿ الا الى الله تصير الامور ﴾ بارتفاع الوسائط والتعلقات وفيه وعد ووعيد للمطيعين والمجرمين * عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ حم عسق كان ممن يصلى عليه الملائكة ويستغفرون له ويسترحمون له

سورة الزخرف مكية وقيل الا قوله واسأل من ارسلنا الآيه وآيها تسع وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

(حم والكتاب المبين

اتفاقهم على أن الانبياء قبل النبوة كانوا مؤمنين فقيل معناه ما كنت تدرى قبل الوحي شرائع الايمان ومعالمه وقال محمد بن اسحق عن ابن خزيمة الايمان فى هذا الموضع الصلاة دليله وما كان الله ليضيع ايمانكم يعنى صلاتكم ولم يرد به الايمان الذى هو الاقرار بالله تعالى لان النبي صلى الله عليه وسلم كان قبل النبوة يوحد الله تعالى ويحج ويعتمر ويبغض اللات والعزى ولا يأكل ما ذبح على النصب وكان يتعبد على دين ابراهيم عليه الصلاة والسلام ولم تتبين له شرائع دينه الا بعد الوحي اليه ﴿ ولكن جعلناه نورا ﴾ قال ابن عباس يعنى الايمان وقيل القرآن لانه يهتدى به من الضلالة وهو قوله تعالى ﴿ نهدى به من نشاء من عبادنا وانك لتهدى ﴾ أى لتدعو ﴿ الى صراط مستقيم ﴾ يعنى الى دين الاسلام ﴿ صراط الله ﴾ يعنى دين الله الذى شرعه لعباده ﴿ الذى له ما فى السموات وما فى الارض ألا الى الله تصير الامور ﴾ يعنى أمور الخلائق فى الآخرة فيثيب المحسن ويعاقب المسئ والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

تفسير سورة الزخرف وهى مكية وهى تسع وثمانون آية وثمانمائة وثلاث وثلاثون كلمة وثلاثة آلاف وأربعمائة حرف

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل ﴿ حم والكتاب المبين ﴾ أقسم بالكتاب وهو القرآن الذى أبان طرق

الى التوحيد (ولكن جعلناه) قلناه يعنى القرآن (نورا) بيانا للامر والنهى والحلال والحرام والحق والباطل (نهدى به) بالقرآن (من نشاء) من كان أهلا لذلك (من عبادنا وانك لتهدى) لتدعو (الى صراط مستقيم) دين مستقيم حق (صراط الله) دين الله (الذى له ما فى السموات وما فى الارض) من الخلق (ألا الى الله تصير الامور) عواقب الامور فى الآخرة تصير الى الحكيم الملك ﴿ ومن السورة التى يذكر فيها الزخرف وهى كلها مكية آياتها تسع وثمانون آية وكلماتها ثمانمائة وثلاثة وثلاثون وحروفها ثلاثة آلاف وأربعمائة حرف ﴾

(الهدى)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (حم) يقول قضى ما هو كائن أى بين (والكتاب المبين) يقول واقسم بالكتاب المبين بالحلال والحرام

(اناجعلناه) صيرناه (قرآناعربيا) جواباللقسم وهومن الايمان الحسنة البديعة لتناسب القسم والمقسم عليه والمبين البين الذين أنزل عليهم لانه بلغتهم وأساليبهم أوالواضح للمتدبرين أوالذى أبان طرق الهدى من طرق الضلالة وأبازكل ماتحتاج اليه الامة فى أبواب الديانة (لعلكم تعقلون) لكى تفهموامعانيه (وانه فى أم الكتاب لدينا) وان القرآن مثبت عندالله فى اللوح المحفوظ دليله قوله بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ وسمى أم الكتاب لانه الاصل الذى أثبتت فيه الكتب منه تنقل وتستنسخ ام الكتاب بكسر الالف على وحمزة (لعلى) خبران أى فى أعلى طبقات البلاغة أو رفيع الشان فى الكتب لكونه معجزا من بينها (حكيم ذو حكمة بالغة (أفنضرب عنكم الذكر) أفننحى عنكم الذكر ونذوده عنكم على سبيل المجاز من قولهم ضرب الغرائب عن الحوض والفاء للعطف على محذوف تقديره أنهملكم فنضرب عنكم الذكر انكارا لان يكون الامر على خلاف ماقدم من انزاله الكتاب وجعله قرآنا عربيا ليعقلوه وليعلموا بمواجبه (صفحا) مصدر من صفح عنه اذا أعرض منتصب على انه مفعول له على معنى أفنعزل عنكم انزال القرآن والزام الحجة به اعراضا

انا جعلناه قرآنا عربيا ﴾ اقسم بالقرآن على انه جعله قرآناعربيا وهو من البدائع لتناسب القسم والمقسم عليه كقول ابى تمام

وثناياك انها اغريض

ولعل اقسام الله بالاشياء استشهاد بما فيها من الدلالة على المقسم عليه والقرآن من حيث انه معجز عظيم مبين طرق الهدى ومايحتاج اليه فى الديانة او بين للعرب يدل على انه تعالى صيره كذلك ﴿ لعلكم تعقلون ﴾ لكى تفهموا معانيه ﴿ وانه ﴾ عطف على انا ﴿ فى ام الكتاب ﴾ فى اللوح المحفوظ فانه اصل الكتب السماوية وقرأ حمزة والكسائى ام الكتاب بالكسر ﴿ لدينا ﴾ محفوظا عندنا من التغيير ﴿ لعلى ﴾ رفيع الشأن فى الكتب لكونه معجزا من بينها ﴿ حكيم ﴾ ذو حكمة بالغة او محكم لاينسخه غيره وهما خبران لان وفى ام الكتاب متعلق بعلى واللام لايمنع او حال منه ولدينا بدل منه او حال من ام الكتاب ﴿ افنضرب عنكم الذكر صفحا ﴾ افنذوده ونبعده عنكم مجاز من قولهم ضرب الغرائب عن الحوض قال طرفة

اضرب عنك الهموم طارقها * ضربك بالسيف قونس الفرس

والفاء للعطف على محذوف يعنى انهملكم فنضرب عنكم الذكر وصفحا مصدر من غير لفظه فان تنحية الذكر عنهم اعراض او مفعول له او حال بمعنى صافحين واصله ان تولى الشئ صفحة عنقك وقيل انه بمعنى الجانب فيكون ظرفا ويؤيده انه قرئ صفحا بالضم وحينئذ يحتمل ان يكون تخفيف صفح جمع صفوح بمعنى صافحين والمراد انكار ان يكون الامر على خلاف

الهدى من طرق الضلالة وأبان مايحتاج اليه الامة من الشريعة وقيل المبين يعنى الواضح للمتدبرين وجواب القسم ﴿ اناجعلناه ﴾ أى صيرنا هذا الكتاب عربيا وقيل بيناه وقيل سميناه وقيل وصفناه وقيل أنزلناه ﴿ قرآناعربيا لعلكم تعقلون ﴾ يعنى معانيه وأحكامه ﴿ وانه ﴾ يعنى القرآن ﴿ فى أم الكتاب ﴾ أى فى اللوح المحفوظ قال ابن عباس أول ماخلق الله عزوجل القلم فامره أن يكتب مايريد ان يخلق فى الكتاب عنده ثم قرأ وانه فى أم الكتاب ﴿ لدينا ﴾ أى عندنا فالقرآن مثبت عندالله تعالى فى اللوح المحفوظ ﴿ لعلى حكيم ﴾ أخبر عن شرفه وعلو منزلته والمعنى ان كذبتم ياأهل مكة بالقرآن فانه عندنا لعلى أى رفيع شريف وقيل على على جميع الكتب حكيم أى محكم لايتطرق اليه الفساد والبطلان * قوله تعالى ﴿ أفنضرب عنكم الذكر صفحا ﴾ معناه أفنترك عنكم الوحى ونمسك عن انزال القرآن فلانأمركم ولاننهاكم من أجل أنكم

والنهى والامر أن قدقضى ماهو كائن أى بين قال حكيم الايا القوى كل ماحم واقع * وذا الطير يسرى والنجوم الطوالع * ويقال قسم أقسم به بالحاء والميم والكتاب المبين بالحلال والحرام والامر والنهى (اناجعلناه) قلناه ووضعناه (قرآنا عربيا) على مجرى لغة العرب ولهذا كان القسم (لعلكم تعقلون) لكى تعلموا مافى القرآن من الحلال والحرام والامر والنهى (وانه) يعنى القرآن (فى أم الكتاب) فى اللوح المحفوظ مكتوب (لدينا) عندنا (لعلى) كريم شريف مرتفع (حكيم) محكم بالحلال والحرام (أفنضرب عنكم الذكر) أفنرفع عنكم الوحى والرسول يا أهل مكة (صفحا) أونترككم هملا

عنكم ويجوزان يكون مصدرا على خلاف الصدر لانه يقال ضربت عنه أى أعرضت عنه كذا قاله الفراء (ان كنتم) لان كنتم مدنى وحمزة وهو من باب الشرط الذى يصدر من المدل بصحة الامر المتحقق لثبوته كما يقول الاجير ان كنت عملت لك فوفنى حقى وهو عالم بذلك (قومامسرفين) مفرطين فى الجهالة مجاوزين الحد فى الضلالة (وكم أرسلنا من نبى فى الاولين) أى كثيرا من الرسل أرسلنا الى من تقدمك (ومايأتيهم من نبى الا كانوا به يستهزؤن) هى حكاية حال ماضية مستمرة أى كانوا على ذلك وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزاء قومه (فاهلكنا أشد منهم بطشا) تمييز والضمير للمسرفين لانه صرف الخطاب عنهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره عنهم (ومضى مثل الاولين) أى سلف فى القرآن فى غير موضع منه ذكر قصتهم وحالهم العجيبة التى حقها أن تسير مسير المثل وهذا وعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم ووعيد لهم (ولئن سألتهم) أى المشركين (من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم الذى جعل لكم الارض مهدا) كوفى وغيره

ماذكر من انزال الكتاب على لغتهم ليفهموه ﴿ ان كنتم قومامسرفين ﴾ اى لان كنتم وهو فى الحقيقة علة مقتضية لترك الاعراض عنهم وقرأ نافع وحمزة والكسائى ان بالكسر على ان الجملة شرطية مخرجة للمحقق مخرج المشكوك استجهالا لهم وماقبلها دليل الجزاء ﴿ وكم ارسلنا من نبى فى الاولين ومايأتيهم من نبى الا كانوا به يستهزؤن ﴾ تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزاء قومه ﴿ فاهلكنا اشد منهم بطشا ﴾ اى من القوم المسرفين لانه صرف الخطاب عنهم الى الرسول مخبرا عنهم ﴿ ومضى مثل الاولين ﴾ وسلف فى القرآن قصتهم العجيبة وفيه وعد للرسول ووعيد لهم بمثل ماجرى على الاولين ﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم ﴾ لعله لازم مقولهم اومادل عليه اجمالا اقيم مقامه تقريرا لالزام الحجة عليهم فكأنهم قالوا الله كما حكى عنهم فى مواضع اخر وهو الذى من صفته ماسرد من الصفات ويجوز ان يكون مقولهم ومابعده استئناف ﴿ الذى جعل لكم الارض مهدا ﴾ فتستقرون فيها وقرأ غير الكوفيين مهادا بالالف

أسرفتم فى كفركم وتركتم الايمان وهو قوله تعالى ﴿ أن كنتم ﴾ أى لان كنتم ﴿ قوما مسرفين ﴾ والمعنى لانفعل ذلك قال قتادة والله لوكان هذا القرآن رفع حين رده أوائل هذه الامة لهلكوا ولكن الله عزوجل عاد بعائدته وكرمه ورحمته فكرره عليهم عشرين سنة أوماشاء الله وقيل معناه أفنضرب عنكم بذكرنا اياكم صافحين أى معرضين عنكم وقيل معناه أفنطوى الذكر عنكم طيا فلاتدعون ولاتوعظون وقيل أفنترككم فلا نعاقبكم على كفركم ﴿ وكم أرسلنا من نبى فى الاولين وما يأتيهم من نبى الا كانوا به يستهزؤن ﴾ يعنى كاستهزاء قومك بك وفيه تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم ﴿ فاهلكنا أشد منهم بطشا ﴾ أى أقوى من قومك قوة ﴿ ومضى مثل الاولين ﴾ أى صفتهم والمعنى ان كفار قريش سلكوا فى الكفر والتكذيب مسلك من كان قبلهم فليحذروا ان ينزل بهم مثل مانزل بالاولين من الخزى والعقوبة ❊ قوله عزوجل ﴿ ولئن سألتهم ﴾ أى ولئن سألت يامحمد قومك ﴿ من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم ﴾ يعنى انهم أقروا بان الله تعالى خلقهما وأقروا بعزته وعلمه ومع اقرارهم بذلك عبدوا غيره وأنكروا قدرته على البعث لفرط جهلهم ثم ابتدأ تعالى دالا على نفسه بذكر مصنوعاته فقال تعالى ﴿ الذى جعل لكم الارض مهدا ﴾ معناه واقفة ساكنة يمكن الانتفاع بها ولما كان المهد موضع

بلا أمر ولانهى (ان كنتم قوما مسرفين) بان كنتم قوما مشركين لاتؤمنون فى علم الله (وكم أرسلنا من نبى) قبلك يامحمد (فى الاولين) فى الامم الماضية قد علمنا انهم لايؤمنون فلم نتركهم بلا كتاب ولا رسول (ومايأتيهم) أى الاولين (من نبى الا كانوا به) بالنبى (يستهزؤن) يهزؤن بالنبى (فأهلكنا أشد منهم) من أهل مكة (بطشا) قوة ومنعة (ومضى مثل الاولين) سنة الاولين بالعذاب عند تكذيبهم الرسل (ولئن سألتهم) كفار مكة (من خلق السموات والارض ليقولن) كفار مكة (خلقهن العزيز) فى ملكه وسلطانه (العليم) بتدبيره وبخلقه فقال الله نعم خلق (الذى جعل لكم الارض مهدا)

مهادا أى موضع قرار (وجعل لكم فيها سبلا) طرقا (لعلكم تهتدون) لكي تهتدوا فى أسفاركم (والذى نزل من السماء ماء بقدر) بمقدار تسلم معه العباد ويحتاج اليه البلاد (فانشرنا) فاحيينا عدول من المغايبة الى الاخبار لعلم المخاطب بالمراد (به بلدة ميتا) يزيد ميتا (كذلك تخرجون) من قبوركم أحياء تخرجون حمزة وعلى ولا وقف على العليم لان الذى صفته وقد وقف عليه أبو حاتم على تقدير هو الذى لان هذه الاوصاف ليست من مقول الكفار لانهم ينكرون الاخراج من القبور فكيف يقولون كذلك تخرجون بل الآية حجة عليهم فى انكار البعث (والذى خلق الازواج) الاصناف (كلها وجعل لكم من الفلك والانعام ماتركبون) أى تركبونه يقال ركبوا فى الفلك وركبوا الانعام فغلب المتعدى بغير واسطة لقوته على المتعدى بواسطة فقيل تركبونه (لتستووا على ظهوره) على ظهور ماتركبونه وهو الفلك والانعام (ثم تذكروا) بقلوبكم (نعمة ربكم اذا استويتم عليه وتقولوا) بالسنتكم (سبحان الذى سخر لنا هذا) ذال لنا هذا المركوب (وما كناله مقرنين) مطيقين يقال أقرن الشئ اذا أطاقه وحقيقة أقرنه وجده قرينته لان الصعب لايكون قرينة

﴿ وجعل لكم فيها سبلا ﴾ تسلكونها ﴿ لعلكم تهتدون ﴾ لكي تهتدوا الى مقاصدكم اوالى حكمة الصانع بالنظر فى ذلك ﴿ والذى نزل من السماء ماء بقدر ﴾ بمقدار ينفع ولايضر ﴿ فانشرنا به بلدة ميتا ﴾ مال عنه النماء وتذكيره لان البلدة بمعنى البلد والمكان ﴿ كذلك ﴾ مثل ذلك الانشار ﴿ تخرجون ﴾ تنشرون من قبوركم وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى تخرجون بفتح التاء وضم الراء ﴿ والذى خلق الازواج كلها ﴾ اصناف المخلوقات ﴿ وجعل لكم من الفلك والانعام ماتركبون ﴾ ماتركبونه على تغليب المتعدى بنفسه المتعدى بغيره اذ يقال ركبت الدابة وركبت فى السفينة اوالمخلوق للركوب على المصنوع له اوالغالب على النادر ولذلك قال ﴿ لتستووا على ظهوره ﴾ اى ظهور ماتركبون وجمعه للمعنى ﴿ ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه ﴾ تذكروها بقلوبكم معترفين بها حامدين عليها ﴿ وتقولوا سبحان الذى سخر لنا هذا وما كناله مقرنين ﴾ مطيقين من اقرن الشئ اذا اطاقه واصله وجده قرينته اذ الصعب لايكون قرينة الضعيف وقرئ بالتشديد والمعنى واحد وعنه عليه الصلاة والسلام انه كان اذا وضع رجله فى الركاب قال بسم الله فاذا استوى على الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحان الذى سخر لنا هذا الى قوله

راحة الصبى فلذلك سمى الارض مهادا لكثرة مافيها من الراحة للخلق ﴿ وجعل لكم فيها سبلا ﴾ أى طرقا ﴿ لعلكم تهتدون ﴾ يعنى الى مقاصدكم فى أسفاركم ﴿ والذى نزل من السماء ماء بقدر ﴾ أى بقدر حاجاتكم اليه لا كما انزل على قوم نوح حتى أهلكهم ﴿ فانشرنا به ﴾ أى بالمطر ﴿ بلدة ميتا ﴾ أى كما أحيينا هذه البلدة الميتة بالمطر ﴿ كذلك تخرجون ﴾ أى من قبوركم أحياء ﴿ والذى خلق الازواج كلها ﴾ أى الاصناف والانواع كلها قيل ان كل ماسوى الله تعالى فهو زوج وهو الفرد المنزه عن الاضداد والانداد والزوجية ﴿ وجعل لكم من الفلك والانعام ماتركبون ﴾ يعنى فى البر والبحر ﴿ لتستووا على ظهوره ﴾ أى على ظهور الفلك والانعام ﴿ ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه ﴾ يعنى بتسخير المركب فى البر والبحر ﴿ وتقولوا سبحان الذى سخر لنا هذا ﴾ أى ذال لنا هذا ﴿ وما كناله مقرنين ﴾ أى مطيقين وقيل ضابطين

فراشا (وجعل لكم فيها سبلا) طرقا (لعلكم تهتدون) لكى تهتدوا بالطرق (والذى نزل من السماء ماء) مطرا (بقدر) معلوم بعلم الخزان (فأنشرنا به) أحيينا بالمطر (بلدة ميتا) مكانا لانبات فيه (كذلك) هكذا (تخرجون) تحيون وتخرجون من القبور كما أحيينا الارض بالمطر (والذى خلق الازواج) الاصناف (كلها) الذكر والانثى (وجعل لكم)وخلق لكم (من الفلك)يعنى السفن فى البحر (والانعام) يعنى الابل (ماتركبون) الذى تركبون عليه (لتستووا على ظهوره) ظهور الانعام يعنى الابل (ثم تذكروا نعمة ربكم) بتسخيرها (اذا استويتم عليه) على ظهورها وسخرها لكم (وتقولوا سبحان الذى سخر لنا هذا) الابل (وما كناله مقرنين)

للضعيف (وانا الى ربنا لمنقلبون) لراجعون فى المعاد قيل يذكرون عند ركوبهم مراكب الدنيا آخر مركبهم منها وهو الجنازة وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان اذا وضع رجله فى الركاب قال بسم الله فاذا استوى على الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحان الذى سخرلنا هذا الى قوله لمنقلبون وكبر ثلاثا وهلل ثلاثا وقالوا اذا ركب فى السفينة قال بسم الله مجراها ومرساها ان ربى لغفور رحيم وحكى ان قوما ركبوا وقالوا سبحان الذى سخرلنا هذا الآية وفيهم رجل على ناقة لاتتحرك هزالا فقال انى مقرن لهذه فسقط منها لوثبتها واندقت عنقه وينبغى أن لايكون ركوب العاقل للتنزه والتلذذ بل للاعتبار ويتأمل عنده انه هالك لا محالة ومنقلب الى الله غير منفلت من قضائه (وجعلوا له من عباده جزأ) متصل بقوله ولئن سألتهم أى ولئن سألتهم عن خالق السموات والارض ليعترفن به وقد جعلوا له مع ذلك الاعتراف من عباده جزأ أى قالوا الملائكة بنات الله فجعلوهم جزأ له وبعضا منه كما يكون الولد جزأ لوالده جزأ أبو بكر وحماد (ان الانسان لكفور مبين) لجحود للنعمة ظاهر جحوده لان نسبة الولد اليه كفر والكفر أصل الكفران كله (أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين) أى بل اتخذ والهمزة للانكار تجهيلا لهم وتعجيبا من شأنهم حيث ادعوا انه اختار لنفسه المنزلة الادنى ولهم (واذا)

﴿وانا الى ربنا لمنقلبون﴾ اى راجعون واتصاله بذلك لان الركوب للتنقل والنقلة العظمى هو الانقلاب الى الله تعالى اولانه مخطر فينبغى للراكب ان لايغفل عنه ويستعد للقاء الله تعالى ﴿وجعلوا له من عباده جزأ﴾ متصل بقوله ولئن سألتهم اى وقد جعلوا له بعد ذلك الاعتراف من عباده ولدا فقالوا الملائكة بنات الله ولعله سماه جزأ كما سمى بعضا لانه بضعة من الوالد دلالة على استحالته على الواحد الحق فى ذاته وقرئ جزأ بضمتين ﴿ان الانسان لكفور مبين﴾ ظاهر الكفران ومن ذلك نسبة الولد الى الله تعالى لانها من فرط الجهل به والتحقير لشأنه ﴿ام اتخذ مما يخلق بنات واصفاكم بالبنين﴾

﴿وانا الى ربنا لمنقلبون﴾ أى لمنصرفون فى المعاد (م) عن ابن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا استوى على بعيره خارجا للسفر حمد الله تعالى وسبح وكبر ثلاثا ثم قال سبحان الذى سخرلنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون اللهم انا نسألك فى سفرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ماترضى اللهم هون سفرنا هذا واطوعنا بعده اللهم أنت الصاحب فى السفر والخليفة فى الاهل اللهم انى أعوذبك من وعثاء السفر وكآبة المنظر وسوء المنقلب فى الاهل والمال والولد واذا رجع قالهن وزاد فيهن آئبون تائبون عابدون لربنا حامدون قوله وعثاء السفر يعنى تعبه وشدته ومشقته وكآبة المنظر وسوء المنقلب الكآبة الحزن والمنقلب المرجع وذلك أن يعود من سفره حزينا كئيبا أويصادف مايحزنه فى أهل أومال عن على بن ربيعة قال شهدت على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه وقد أتى بدابة ليركبها فلما وضع رجله فى الركاب قال بسم الله فلما استوى على ظهرها قال الحمد لله سبحان الذى سخرلنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون ثم قال الحمد لله ثلاث مرات ثم قال الله أكبر ثلاث مرات ثم قال سبحانك انى ظلمت نفسى فاغفرلى فانه لايغفر الذنوب الا أنت ثم ضحك فقلت يا أمير المؤمنين مم ضحكك قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل كما فعلت فقلت يارسول الله من أى شئ ضحكت قال ان ربك يعجب من عبده اذا قال رب اغفرلى ذنوبى انه لايغفر الذنوب غيرك أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب * قوله تعالى ﴿وجعلوا له من عباده جزأ﴾ يعنى ولدا وهو قولهم الملائكة بنات الله لان الولد جزء من الاب ومعنى جعلوا هنا حكموا وأثبتوا ﴿ان الانسان لكفور مبين﴾ أى لجحود لنعم الله تعالى عليه ﴿أم اتخذ مما يخلق بنات﴾ هذا استفهام انكار وتوبيخ يقول أتخذ ربكم لنفسه البنات ﴿وأصفاكم﴾ أى أخلصكم ﴿بالبنين﴾

مطيعين مالكين (وانا الى ربنا لمنقلبون) راجعون بعد الموت (وجعلوا) وصفوا (له من عباده) يعنى الملائكة (جزأ) ولدا قالوا الملائكة بنات الله وهم بنو مليح (ان الانسان) يعنى بنى مليح (لكفور) كافر بالله (مبين) ظاهر الكفر (أم اتخذ) اختار (مما يخلق) يعنى الملائكة (بنات وأصفاكم) اختاركم يابنى مليح (بالبنين) بالذكور

الاعلى (واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا) بالجنس الذي جعله له مثلا أي شبها لانه اذا جعل الملائكة جزأ لله وبعضهم منه فقد جعله من جنسه ومماثلا له لان الولد لايكون الا من جنس الوالد (ظل وجهه مسودا وهو كظيم) يعني انهم نسبوا اليه هذا الجنس ومن حالهم ان أحدهم اذا قيل له قد ولدت لك بنت اغتم واربد وجهه غيظا وتأسفا وهو مملوء من الكرب والظلول بمعنى الصيرورة (أومن ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين) أي أو يجعل للرحمن من الولد من هذه الصفة المذمومة صفته وهو انه ينشأ في الحلية أي يتربى في الزينة والنعمة وهو اذا احتاج الى مجاثاة الخصوم ومجاراة الرجال كان غير مبين ليس عنده بيان ولا يأتي ببرهان وذلك لضعف عقولهن قال مقاتل لاتتكلم المرأة الا وتأتي بالحجة عليها وفيه انه جعل النشأة في الزينة من المعايب فعلى الرجل أن يجتنب ذلك ويتزين بلباس التقوى ومن منصوب المحل والمعنى أوجعلوا من ينشأ في الحلية يعني البنات لله عزوجل ينشأ حمزة وعلي وحفص أي يربى قد جمعوا في كفرهم ثلاث كفرات وذلك انهم نسبوا الى الله الولد ونسبوا اليه أخس النوعين وجعلوه من الملائكة المكرمين فاستخفوا بهم (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا) أي سموهم وقالوا انهم اناث عند الرحمن مكي ومدني وشامي أي عندية منزلة ومكانة لا منزل ومكان والعباد جمع عبد وهو ألزم

(قا و خا ٥٤ مس)

معنى الهمزة في أم الانكار والتعجيب من شأنهم حيث لم يقنعوا بان جعلوا له جزأ حتى جعلوا له من مخلوقاته جزأ أخس مما اختير لهم وابغض الاشياء اليهم بحيث اذا بشر احدهم بها اشتد غمهم به كما قال ﴿واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا﴾ بالجنس الذي جعله له مثلا اذ الولد لابد وان يماثل الوالد ﴿ظل وجهه مسودا﴾ صار وجهه اسود في الغاية لما يعتريه من الكآبة ﴿وهو كظيم﴾ مملوء قلبه من الكرب وفي ذلك دلالات على فساد ما قالوه وتعريف البنين لما مر في الذكور* وقرئ مسود ومسواد على ان في ظل ضمير المبشر ووجهه مسود جملة وقعت خبرا ﴿اومن ينشأ في الحلية﴾ اي اوجعلوا له اواتخذ من يتربى في الزينة يعني البنات ﴿وهو في الخصام﴾ في المجادلة ﴿غير مبين﴾ مقرر لما يدعيه من نقصان العقل وضعف الرأي ويجوز ان يكون من مبتدأ محذوف الخبر اي اومن هذا حاله ولده وفي الخصام متعلق بمبين واضافة غير اليه لاتمنعه كما عرفت وقرأ حمزة والكسائي وحفص ينشأ اي يربى وقرئ ينشأ ويناشأ بمعناه ونظير ذلك اعلاه وعلاه وعالاه بمعنى ﴿وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا﴾

واذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا﴾ أي بالجنس الذي جعله للرحمن شبها لان الولد لايكون الا من جنس الوالد والمعنى انهم نسبوا اليه البنات ومن حالهم ان أحدهم اذا قيل له قد ولدت لك بنت اغتم وتربد وجهه غيظا وأسفا وهو قوله تعالى ﴿ظل وجهه﴾ أي صار وجهه ﴿مسودا وهو كظيم﴾ أي من الحزن والغيظ قيل ان بعض العرب ولدت له أنثى فهجر بيت امرأته التي ولدت فيه الانثى فقالت المرأة

مالابي حمزة لايأتينا • يظل في البيت الذي يلينا
غضبان أن لانلد البنينا • ليس لنا من أمرنا ماشينا
وانما نأخذ ما أعطينا • حكمة رب ذي اقتدار فينا

﴿ قوله عزوجل ﴿أومن ينشأ﴾ يعني أومن يتربى ﴿في الحلية﴾ يعني الزينة والنعمة والمعنى أو يجعل للرحمن من الولد من هذه الصفة المذمومة صفته ولولا نقصانها لما احتاجت الى تزيين نفسها بالحلية ثم بين نقصان حالها بوجه آخر وهو قوله ﴿وهو في الخصام﴾ أي المخاصمة ﴿غير مبين﴾ للحجة وذلك لضعف حالها وقلة عقلها قال قتادة قلما تكلمت امرأة فتريد أن تتكلم بحجتها الا تكلمت بالحجة عليها ﴿وجعلوا﴾ أي وحكموا وأثبتوا ﴿الملائكة الذين هم عباد﴾ وقرئ عند ﴿الرحمن اناثا

(واذا بشر أحدهم) احد بني مليح (بما ضرب) بما وصف (للرحمن مثلا) أناثا (ظل) صار (وجهه مسودا و كظيم) مغموم مكروب يتردد الغيظ في جوفه أفترضون لله مالاترضون لانفسكم (أومن ينشأ) يغذى ويربى (في الحلية) حلية الذهب والفضة (وهو في الخصام) في الكلام (غير مبين) غير ثابت الحجة وهن النساء منهن كيف ينبغي ان يكن بنات الله (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا) بنات الله

في الحجاج مع أهل العناد لتضاد بين العبودية والولاد (أشهدوا خلقهم) وهذا تهكم بهم يعني انهم يقولون ذلك من غير أن يستند قولهم الى علم فان الله لم يضطرهم الى علم ذلك ولا تطرقوا اليه باستدلال ولا أحاطوا به عن تهكم بهم يعني انهم يقولون ذلك من غير ان يستند قولهم الى علم فان الله لم يضطرهم الى علم ذلك ولا تطرقوا اليه باستدلال ولا احاطوا به عن خبر يوجب العلم ولم يشاهدوا خلقهم حتى يخبروا عن المشاهدة (ستكتب شهادتهم) التي شهدوا بها على الملائكة من أنوثتهم (ويسئلون) عنها وهذا وعيد (وقالوا لوشاء الرحمن ماعبدناهم) أي الملائكة تعلقت المعتزلة بظاهر هذه الآية في ان الله تعالى لم يشأ الكفر من الكافر وانما شاء الايمان فان الكفار ادعوا ان الله شاء منهم الكفر وماشاء منهم ترك عبادة الاصنام حيث قالوا لوشاء الرحمن ماعبدناهم أي لوشاء منا ترك عبادة الاصنام لمنعنا عن عبادتها ولكن شاء منا عبادة الاصنام والله تعالى ردعليهم قولهم واعتقادهم بقوله (مالهم بذلك) المقول (من علم ان هم الا يخرصون) أي يكذبون ومعنى الآية عندنا انهم أرادوا بالمشيئة الرضا وقالوا لولم يرض بذلك لعجل عقوبتنا أولمنعنا عن عبادتها مع قهر واضطرار واذا لم يفعل ذلك فقد رضي بذلك فرد الله تعالى عليهم بقوله مالهم بذلك من علم الآية أوقالوا هذا القول استهزاء لاجدا واعتقادا فاكذبهم الله تعالى فيه وجهلهم حيث لم يقولوا عن اعتقاد كما قال مخبرا عنهم انطعم من لو يشاء الله أطعمه وهذا حق في الاصل ولكن لما قالوا ذلك استهزاء كذبهم الله بقوله ان أنتم الا في ضلال مبين وكذلك قال الله تعالى قالوا نشهد انك لرسول الله ثم قال والله يشهد ان المنافقين لكاذبون لانهم لم يقولوه عن اعتقاد وجعلوا المشيئة حجة لهم فيما فعلوا باختيارهم وظنوا (بعبادتها)

كفر آخر تضمنه مقالهم شنع به عليهم وهو جعلهم اكمل العباد واكرمهم على الله انقصهم رأيا واخسهم صنفا* وقرئ عبيد وقرأ الحجازيان وابن عامر ويعقوب عند على تمثيل زلفاهم* وقرئ انثا وهو جمع الجمع ﴿ اشهدوا خلقهم ﴾ احضروا خلق الله آياهم فشاهدوهم اناثا فان ذلك مما يعلم بالمشاهدة وهو تجهيل وتهكم بهم* وقرأ نافع ءأشهدوا بهمزة الاستفهام وهمزة مضمومة بين بين وآأشهدوا بمدة بينهما ﴿ ستكتب شهادتهم ﴾ التي شهدوا بها على الملائكة ﴿ ويسألون ﴾ اى عنها يوم القيامة وهو وعيد* وقرئ سيكتب وسنكتب بالياء والنون وشهاداتهم وهي ان لله جزأ وان له بنات وهن الملائكة ويساءلون من المساءلة ﴿ وقالوا لوشاء الرحمن ماعبدناهم ﴾ اى لوشاء عدم عبادة الملائكة ماعبدناهم فاستدلوا بنفي مشيئة عدم العبادة على امتناع النهي عنها او على حسنها وذلك باطل لان المشيئة ترجيح بعض الممكنات على بعض مأمورا كان اومنهيا حسنا كان اوغيره ولذلك جهلهم فقال ﴿ مالهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون ﴾ يتمحلون تمحلا باطلا ويجوز ان تكون الاشارة الى اصل الدعوى كأنه لما ابدى وجوه فسادها وحكى شبهتهم المزيفة نفى ان يكون لهم بها علم من طريق العقل ثم اضرب عنه

أشهدوا خلقهم ﴾ أي حضروا خلقهم حين خلقوا وهذا استفهام انكار أي لم يشهدوا ذلك ﴿ ستكتب شهادتهم ﴾ أي على الملائكة انهم بنات الله ﴿ ويسئلون ﴾ أي عنها قيل لما قالوا هذا القول سألهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال ومايدريكم انها بنات الله قالوا سمعنا من آبائنا ونحن نشهد انهم لم يكذبوا فقال الله تعالى ستكتب شهادتهم ويسئلون عنها في الآخرة ﴿ وقالوا لوشاء الرحمن ماعبدناهم ﴾ يعني الملائكة وقيل الاصنام وانما لم يعجل عقوبتنا على عبادتنا اياها لرضاه منا بذلك قال الله تعالى رداعليهم ﴿ مالهم بذلك من علم ﴾ أي فيما يقولون ﴿ ان هم الا يخرصون ﴾ يعني ماهم الا كاذبون في قولهم ان الله رضي منا

(أشهدوا خلقهم)حين خلقوا أنهم أناث فيعلمون بذلك انهم اناث قالوا لا يا محمد ولكن سمعنا من آبائنا يقولون ذلك فقال الله يا محمد (ستكتب شهادتهم) بالكذب على الله بمقالتهم ان الملائكة بنات الله (ويسئلون) عنه يوم القيمه أي قيل لهم حين جعلوا الملائكة بنات الله أشهدتم قالوا لا قال فمايدريكم انهن اناث وانهن بنات الله قالوا سمعنا هذا من آبائنا قال الله ستكتب شهادتهم يعني ماتكلموا به ويسئلون عنه يوم القيامة (وقالوا) بنو مليح (لوشاء الرحمن) لونهانا الرحمن وصرفنا (ماعبدناهم) استهزاء ولكن أمرنا بعبادتهم ولم ينهنا عن عبادتهم (مالهم بذلك) بما يقولون (من علم)من حجة ولابيان (ان هم) ماهم (الا يخرصون) يكذبون على الله

ان الله لايعاقبهم على شئ فعلوه بمشيئة وجعلوا أنفسهم معذورين في ذلك فرد الله تعالى عليهم (ام آتيناهم كتابا من قبله) من قبل القرآن أو من قبل قولهم هذا (فهم به مستمسكون) آخذون عاملون وقيل فيه تقديم وتاخير تقديره أشهدوا خلقهم أم آتيناهم كتابا فيه ان الملائكة اناث (بل قالوا) بل لاحجة لهم يتمسكون بها لا من حيث العيان ولا من حيث العقل ولا من حيث السمع الا قولهم (انا وجدنا آباءنا على أمة) على دين فقلدناهم وهي من الام وهو القصد فالامة الطريقة التي تؤم أي تقصد (وانا على آثارهم مهتدون) الظرف صلة لمهتدون أو هما خبران (وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير) نبي (الاقال مترفوها) أي متنعموها وهم الذين أترفتهم النعمة أي أبطرتهم فلا يحبون الا الشهوات والملاهي ويعافون مشاق الدين وتكاليفه (انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون) وهذه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وبيان ان تقليد الآباء داء قديم (قال) شامي وحفص أي النذير قل غيرهما أي قيل للنذير قل (أولو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه آباءكم) أي أتتبعون آباءكم ولو جئتكم بدين أهدى من دين آبائكم (قالوا انا بما أرسلتم به كافرون) انا ثابتون على دين آبائنا وان جئتنا بما هو أهدى وأهدى (فانتقمنا منهم) فعاقبناهم بما استحقوه على اصرارهم (فانظر

الى انكار ان يكون لهم سند من جهة النقل فقال ﴿ ام آتيناهم كتابا من قبله ﴾ من قبل القرآن اوادعائهم ينطق على صحة ماقالوه ﴿ فهم به مستمسكون ﴾ بذلك الكتاب متمسكون ﴿ بل قالوا انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مهتدون ﴾ اى لاحجة لهم على ذلك عقلية ولانقلية وانما جنحوا فيه الى تقليد آبائهم الجهلة والامة الطريقة التي تؤم كالرحلة للمرحول اليه وقرئت بالكسر وهي الحالة التي يكون عليها الآم اى القاصد ومنها الدين ﴿ وكذلك ماارسلنا من قبلك في قرية من نذير الاقال مترفوها انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون ﴾ تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ودلالة على ان التقليد في نحو ذلك ضلال قديم وان مقدميهم ايضا لم يكن لهم سند منظور اليه وتخصيص المترفين اشعار بان التنعم وحب البطالة صرفهم عن النظر الى التقليد ﴿ قل اولو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه آباءكم ﴾ اى اتتبعون اباءكم ولو جئتكم بدين اهدى من دين آبائكم وهو حكاية امر ماض اوحي الى النذير او خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويؤيد الاول انه قرأ ابن عامر وحفص قال وقوله ﴿ قالوا انا بما ارسلتم به كافرون ﴾ اى وان كان اهدى اقناطا للنذير من ان ينظروا او يتفكروا فيه ﴿ فانتقمنا منهم ﴾ بالاستئصال ﴿ فانظر

بعبادتها وقيل يكذبون في قولهم ان الملائكة اناث وانهم بنات الله ﴿ أم آتيناهم كتابا من قبله ﴾ أي من قبل القرآن بأن يعبدوا غير الله ﴿ فهم به مستمسكون ﴾ أي يأخذون بما فيه ﴿ بل قالوا انا وجدنا آباءنا على أمة ﴾ أي على دين وملة ﴿ وانا على آثارهم مهتدون ﴾ يعني انهم جعلوا أنفسهم مهتدين باتباع آبائهم وتقليدهم من غير حجة ثم أخبر ان غيرهم قد قال هذه المقالة بقوله تعالى ﴿ وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها ﴾ أي أغنياؤها ورؤساؤها ﴿ انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون ﴾ أي بهم ﴿ قل أولو جئتكم باهدى ﴾ أي بدين هو أصوب ﴿ مما وجدتم عليه آباءكم ﴾ فأبوا أن يقبلوا ﴿ قالوا انا بما أرسلتم به كافرون فانتقمنا منهم فانظر

لان الله نهاهم عن ذلك (أم آتيناهم) أعطيناهم (كتابا من قبله) من قبل القرآن (فهم به) بالكتاب (مستمسكون) آخذون منه ويقولون ان الملائكة بنات الله قالوا لا يا محمد ولكن وجدنا آباءنا على هذا الدين فقال الله (بل قالوا انا وجدنا آباءنا على أمة) على هذا الدين (وانا على آثارهم) على دينهم وأعمالهم (مهتدون) مقتدون (وكذلك) هكذا أي كما قال قومك (ما أرسلنا من قبلك في قرية) الى أهل قرية (من نذير) من نبي مخوف (الاقال مترفوها) جبابرتها (انا وجدنا آباءنا على أمة) على هذا الدين (وانا على آثارهم) على دينهم وأعمالهم (مقتدون) مستنون (قل) لهم يا محمد (أولو جئتكم) قد جئتكم (باهدى) باصوب دينا (مما وجدتم عليه آباءكم) ألا تقبلون ذلك (قالوا انا بما أرسلتم به) من الكتاب (كافرون) جاحدون (فانتقمنا منهم) بالعذاب عند تكذيبهم الرسل والكتب (فانظر

كيف كان عاقبة المكذبين واذ قال ابراهيم لابيه وقومه) أى واذكر اذقال (اننى براء) أى برئ وهو مصدر يستوى فيه الواحد والاثنان والجمع والمذكر والمؤنث كما تقول رجل عدل وامرأة عدل وقوم عدل والمعنى ذو عدل وذات

عدل (مما تعبدون الا الذى فطرنى) استثناء منقطع كانه قال لكن الذى فطرنى (فانه سيهدين) يثبتنى على الهداية (وجعلها) وجعل ابراهيم عليه السلام كلمة التوحيد التى تكلم بها وهى قوله اننى براء مما تعبدون الا الذى فطرنى (كلمة باقية فى عقبه) فى ذريته فلم يزل فيهم من يوحد الله ويدعوا الى توحيده (لعلهم يرجعون) لعل من أشرك منهم يرجع بدعاء من وحد منهم والترجى لابراهيم (بل متعت هؤلاء وآباءهم) يعنى أهل مكة وهم من عقب ابراهيم بالمد فى العمر والنعمة فاغتروا بالمهلة وشغلوا بالتنعم واتباع الشهوات وطاعة الشيطان عن كلمة التوحيد (حتى جاءهم الحق) أى القرآن (ورسول) محمد عليه السلام (مبين) واضح الرسالة بما معه من الآيات البينة (ولما جاءهم الحق

كيف كان عاقبة المكذبين) آخر أمر المكذبين بالكتب والرسل (واذقال ابراهيم لابيه) آزر (وقومه) حين جاء اليهم (اننى براء مما تعبدون الا الذى فطرنى) (قالوا) الا معبودى الذى خلقنى (فانه سيهدين) سيحفظنى على دينه وطاعته (وجعلها) يعنى لا اله الا الله (كلمة باقية) ثابتة (فى عقبه) فى نسله نسل ابراهيم (لعلهم يرجعون) عن كفرهم الى لا اله الا الله (بل متعت) أجلت (هؤلاء) أهل مكة (وآباءهم) قبلهم (حتى جاءهم الحق) يعنى الكتاب (ورسول مبين) يبين لهم لهؤلاء بلغة يعلمونها (ولما جاءهم الحق) الكتاب والرسول

كيف كان عاقبة المكذبين ﴾ ولا تكترث بتكذيبهم ﴿ واذقال ابراهيم ﴾ واذكر وقت قوله هذا ليروا كيف تبرأ عن التقليد وتمسك بالدليل اوليقلدوه ان لم يكن لهم بد من التقليد فانه اشرف آبائهم ﴿ لابيه وقومه انى براء مما تعبدون ﴾ برئ من عبادتكم اومعبوديكم مصدر نعت به ولذلك استوى فيه الواحد والمتعدد والمذكر والمؤنث * وقرئ برئ وبراء ككريم وكرام ﴿ الا الذى فطرنى ﴾ استثناء منقطع اومتصل على ان ما تعم اولى العلم وغيرهم وانهم كانوا يعبدون الله والاوثان اوصفة على ان ما موصوفة اى اننى براء من آلهة تعبدونها غير الذى فطرنى ﴿ فانه سيهدين ﴾ سيثبتنى على الهداية اوسيهدينى الى ماوراء ما هدانى اليه ﴿ وجعلها ﴾ وجعل ابراهيم عليه السلام اوالله كلمة التوحيد ﴿ كلمة باقية فى عقبه ﴾ فى ذريته فيكون فيهم ابدا من يوحد الله ويدعو الى توحيده وقرئ كلمة وفى عقبه على التخفيف وفى عاقبه اى فيمن عقبه ﴿ لعلهم يرجعون ﴾ يرجع من اشرك منهم بدعاء من وحده ﴿ بل متعت هؤلاء ﴾ هؤلاء المعاصرين للرسول من قريش ﴿ وآباءهم ﴾ بالمد فى العمر والنعمة فاغتروا بذلك وانهمكوا فى الشهوات * وقرئ متعت بالفتح على انه تعالى اعترض به على ذاته فى قوله وجعلها كلمة باقية مبالغة فى تعييرهم ﴿ حتى جاءهم الحق ﴾ دعوة التوحيد اوالقرآن ﴿ ورسول مبين ﴾ ظاهر الرسالة بما له من المعجزات اومبين للتوحيد بالحجج والآيات ﴿ ولما جاءهم الحق ﴾ لينبههم عن غفلتهم

كيف كان عاقبة المكذبين ﴾ * قوله تعالى ﴿ واذقال ابرهيم لابيه وقومه اننى براء ﴾ أى برئ ﴿ مما تعبدون الا الذى فطرنى ﴾ معناه أنا أتبرأ مما تعبدون الا من الله الذى خلقنى ﴿ فانه سيهدين ﴾ أى يرشدنى الى دينه ﴿ وجعلها ﴾ أى وجعل ابراهيم كلمة التوحيد التى تكلم بها وهى لا اله الا الله ﴿ كلمة باقية فى عقبه ﴾ أى فى ذريته فلا يزال فيهم من يوحد الله تعالى ويدعو الى توحيده ﴿ لعلهم يرجعون ﴾ أى لعل من أشرك منهم يرجع بدعاء من وحد منهم وقيل لعل أهل مكة يتبعون هذا الدين ويرجعون عما هم عليه من الشرك الى دين ابراهيم عليه الصلاة والسلام ﴿ بل متعت هؤلاء ﴾ يعنى كفار مكة ﴿ وآباءهم ﴾ فى الدنيا بالمد فى العمر والنعمة ولم أعاجلهم بالعقوبة على كفرهم ﴿ حتى جاءهم الحق ﴾ يعنى القرآن وقيل الاسلام ﴿ ورسول ﴾ هو محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ مبين ﴾ أى يبين لهم الاحكام وقيل بين الرسالة وأوضحها بما معه من الآيات والمعجزات وكان من حق هذا الانعام ان يطيعوه فلم يفعلوا بل كذبوا وعصوا وسموه ساحرا وهو قوله تعالى ﴿ ولما جاءهم الحق ﴾ يعنى القرآن

القرآن (قالوا هذا سحر وانا به كافرون وقالوا) فيه متحكمين بالباطل (لولا نزل هذا القرآن) فيه استهانة به (على رجل من القريتين عظيم) اى رجل عظيم من احدى القريتين كقوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان اى من احدهما والقريتان مكة والطائف وعنوا بعظيم مكة الوليد بن المغيرة وبعظيم الطائف عروة بن مسعود الثقفى وارادوا بالعظيم من كان ذا مال وذا جاه ولم يعرفوا ان العظيم من كان عند الله عظيما (اهم يقسمون رحمت ربك) اى النبوة

﴿قالوا هذا سحر وانا به كافرون﴾ زادوا شرارة فضموا الى شركهم معاندة الحق والاستخفاف به فسموا القرآن سحرا وكفروا به واستحقروا الرسول ﴿وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين﴾ اى من احدى القريتين مكة والطائف ﴿عظيم﴾ بالجاه والمال كالوليد بن المغيرة وعروة بن مسعود الثقفى فان الرسالة منصب عظيم لايليق الا بعظيم ولم يعلموا انها رتبة عظيمة روحانية تستدعى عظم النفس بالتحلى بالفضائل والكمالات القدسية لا التزخرف بالزخارف الدنيوية ﴿اهم يقسمون رحمت ربك﴾ انكار فيه تجهيل وتعجيب من تحكمهم والمراد بالرحمة النبوة ﴿نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحيوة الدنيا﴾ وهم عاجزون عن تدبيرها وهى خويصة امرهم فى دنياهم فمن اين لهم ان يتدبروا امر النبوة التى هى اعلى المراتب الانسية واطلاق المعيشة يقتضى ان يكون حلالها وحرامها من الله تعالى ﴿ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات﴾ وأوقعنا بينهم التفاوت فى الرزق وغيره ﴿ليتخذ بعضهم بعضا سخريا﴾ ليستعمل بعضهم

﴿قالوا هذا سحر وانا به كافرون﴾ قوله عز وجل ﴿وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم﴾ معناه انهم قالوا منصب النبوة منصب عظيم شريف لايليق الا برجل شريف عظيم كثير المال والجاه من احدى القريتين وهما مكة والطائف واختلفوا فى هذا الرجل العظيم قيل الوليد بن المغيرة بمكة وعروة بن مسعود الثقفى بالطائف وقيل عتبة بن ربيعة من مكة وكنانة بن عبد ياليل الثقفى من الطائف وقال ابن عباس الوليد بن المغيرة من مكة ومن الطائف حبيب بن عمير الثقفى قال الله تعالى ردا عليهم ﴿أهم يقسمون رحمت ربك﴾ معناه أبايديهم مفاتيح الرسالة فيضعوها حيث شاؤا وفيه الانكار الدال على تجهيلهم والتعجب من اعتراضهم وتحكمهم وان يكونوا هم المدبرين لامر النبوة ثم ضرب لهذا مثلا فقال تعالى ﴿نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحيوة الدنيا﴾ أى نحن أوقعنا هذا التفاوت بين العباد فجعلنا هذا غنيا وهذا فقيرا وهذا مالكا وهذا مملوكا وهذا قويا وهذا ضعيفا ثم ان أحدا من الخلق لم يقدر على تغيير حكمنا ولا على الخروج عن قضائنا فاذا عجزوا عن الاعتراض فى حكمنا فى أحوال الدنيا مع قلتها وذلتها فكيف يقدرون على الاعتراض على حكمنا فى تخصيص بعض عبادنا بمنصب النبوة والرسالة والمعنى كما فضلنا بعضهم على بعض كما شئنا كذلك اصطفينا بالرسالة من شئنا ثم قال تعالى ﴿ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا﴾ يعنى

والهمزة للانكار المستقل بالتجهيل والتعجيب من تحكمهم فى اختيار من يصلح للنبوة (نحن قسمنا بينهم معيشتهم) ما يعيشون به وهو أرزاقهم (فى الحيوة الدنيا) أى لم نجعل قسمة الادون اليهم وهو الرزق فكيف النبوة أو كما فضلت البعض على البعض فى الرزق فكذا أخص بالنبوة من أشاء (ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات) أى جعلنا البعض أقوياء وأغنياء وموالى والبعض ضعفاء وفقراء وخدما (ليتخذ بعضهم بعضا سخريا) ليصرف بعضهم بعضا فى حوائجهم ويستخدموهم فى مهنهم ويتسخروهم فى أشغالهم حتى يتعايشوا ويصلوا الى منافعهم هذا

(قالوا هذا) يعنون الكتاب (سحر) كذب (وانا به) بمحمد عليه السلام والقرآن (كافرون) جاحدون (وقالوا) يعنى كفار مكة وليد وأصحابه (لولا) هلا (نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) يقول على رجل عظيم كالوليد بن المغيرة وأبى مسعود الثقفى من القريتين من مكة والطائف (أهم يقسمون رحمت ربك) يعنى نبوة ربك وكتاب ربك فيقسمون لمن شاؤا (نحن قسمنا بينهم معيشتهم) بالمال والولد (فى الحيوة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات) فضائل بالمال والولد (ليتخذ بعضهم بعضا سخريا) أى مسخرا خدما وعبيدا

عاله وهذا باعماله (ورحت ربك) أى النبوة أو دين الله ومايتبعه من الفوز فى المآب (خير مما يجمعون) مما يجمع هؤلاء من حطام الدنيا ولما قلل أمر الدنيا وصغرها أردفه مايقرر قلة الدنيا عنده فقال (ولولا أن يكون الناس أمة واحدة) ولولا كراهة ان يجتمعوا على الكفر ويطبقوا عليه (لجعلنا) لحقارة الدنيا عندنا (لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكؤن وزخرفا) أى لجعلنا للكفار سقوفا ومصاعد وأبوابا وسررا كلها من فضة وجعلنالهم زخرفا أى زينة من كل شئ والزخرف الذهب والزينة ويجوز أن يكون الاصل سقفا من فضة وزخرف أى بعضها من فضة وبعضها من ذهب فنصب عطفا على محل من فضة لبيوتهم بدل اشتمال من لمن يكفر سقفا على الجنس مكى وأبو عمرو ويزيد والمعارج جمع معرج وهى المصاعد الى العلالى عليها يظهرون على المعارج يظهرون السطوح أى يعلونها (وان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا) ان نافية ولما بمعنى الا أى وما كل ذلك الا متاع الحياة الدنيا وقد قرئ به وقرأ لما غير عاصم وحمزة على ان اللام هى الفارقة بين ان المخففة والنافية وما صلة

بعضا فى حوائجهم فيحصل بينهم تألف وتضام ينتظم بذلك نظام العالم لا لكمال فى الموسع ولا لنقصان فى المقتر ثم انه لا اعتراض لهم علينا فى ذلك ولا تصرف فكيف يكون التصرف فيما هو اعلى منه ﴿ ورحمة ربك ﴾ هذه يعنى النبوة ومايتبعها ﴿ خير مما يجمعون ﴾ من حطام الدنيا والعظيم من رزق منها لامنه ﴿ ولولا ان يكون الناس امة واحدة ﴾ لولا ان يرغبوا فى الكفر اذا رأوا الكفار فى سعة وتنعم لحبهم الدنيا فيجتمعوا عليه ﴿ لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج ﴾ ومصاعد جمع معرج. وقرئ معاريج جمع معراج ﴿ عليها يظهرون ﴾ يعلون السطوح لحقارة الدنيا ولبيوتهم بدل من لمن بدل الاشتمال اوعلة كقولك وهبت له ثوبا لقميصه * وقرأ ابن كثير وابو عمرو سقفا اكتفاء بجمع البيوت. وقرئ سقفا بالتخفيف وسقوفا وسقفا وهو لغة فى سقف ﴿ ولبيوتهم ابوابا وسررا عليها يتكؤن ﴾ اى ابوابا وسررا من فضة ﴿ وزخرفا ﴾ وزينة عطف على سقفا اوذهبا عطف على محل من فضة ﴿ وان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا ﴾ ان هى المخففة واللام هى الفارقة. وقرأ عاصم وحمزة وهشام بخلاف عنه لما بالتشديد بمعنى الا وان نافية * وقرئ به مع ان وما

لوانا سوينا بينهم فى كل الاحوال لم يخدم أحد أحدا ولم يصر أحد منهم مسخرا لغيره وحينئذ يفضى ذلك الى خراب العالم وفساد حال الدنيا ولكنا فعلنا ذلك ليستخدم بعضهم بعضا فتسخر الاغنياء باموالهم الاجراء الفقراء بالعمل فيكون بعضهم لبعض سبب المعاش فهذا بماله وهذا بعمله فيلتئم قوام العالم وقيل يملك بعضهم بماله بعضا بالملك ﴿ ورحمت ربك ﴾ يعنى الجنة ﴿ خير ﴾ يعنى للمؤمنين ﴿ مما يجمعون ﴾ أى يجمع الكفار من الاموال لان الدنيا على شرف الزوال والانقراض وفضل الله ورحمته تبقى أبد الآبدين * قوله عز وجل ﴿ ولولا أن يكون الناس أمة واحدة ﴾ أى لولا أن يصيروا كلهم كفارا فيجتمعون على الكفر ويرغبون فيه اذا رأوا الكفار فى سعة من الخير والرزق لاعطيت الكفار أكثر الاسباب المفيدة للتنعم وهو قوله تعالى ﴿ لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج ﴾ يعنى مصاعد ودرجات من فضة ﴿ عليها يظهرون ﴾ يعنى يصعدون ويرتقون عليها ﴿ ولبيوتهم أبوابا ﴾ أى من فضة ﴿ وسررا ﴾ أى ولجعلنا لهم سررا من فضة ﴿ عليها يتكؤن وزخرفا) أى ولجعلنا من ذلك زخرفا وهو الذهب وقيل الزخرف الزينة من كل شئ ﴿ وان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا ﴾ يعنى ان الانسان

(ورحمة ربك) النبوة والكتاب ويقال الجنة للمؤمنين (خير مما يجمعون) مما يجمع الكفار فى الدنيا من المال والزهرة (ولولا أن يكون الناس أمة واحدة) على ملة واحدة ملة الكفر (لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا) سماء بيوتهم (من فضة ومعارج) درجات (عليها يظهرون) يرتقون من فضة (ولبيوتهم أبوابا) من فضة (وسررا) من فضة (عليها يتكؤن) ينامون (وزخرفا) ذهبا وكل شئ لهم من أوانى منازلهم من الذهب والفضة (وان كل ذلك لما) يقول وما كل ذلك الا (متاع الحيوة الدنيا) والميم

﴿يستمتع﴾

أي وان كل ذلك لمتاع الحياة الدنيا (والآخرة) أي ثواب الآخرة (عند ربك للمتقين) لمن يتقي الشرك (ومن يعش) وقرئ ومن يعش والفرق بينهما أنه اذا حصلت الآفة في بصره قيل عشي يعشى واذا نظر نظر العشي ولا آفة به قيل عشا يعشو أو معنى القراءة بالفتح ومن يعم (عن ذكر الرحمن) وهو القرآن

لقوله صم بكم عمي ومعنى القراءة بالضم ومن يتعام عن ذكره أي يعرف انه الحق وهو يتجاهل كقوله وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم (نقيض له شيطانا فهو له قرين) قال ابن عباس رضي الله عنهما نسلطه عليه فهو معه في الدنيا والآخرة يحمله على المعاصي وفيه اشارة الى ان من داوم عليه لم يقرنه الشيطان (وانهم) أي الشياطين (ليصدونهم) ليمنعون العاشين (عن السبيل) عن سبيل الهدى (ويحسبون) أي العاشون (انهم مهتدون) وانما جمع ضمير من وضمير الشيطان لان من مبهم في جنس العاشي وقد قيض له شيطان مبهم من جنسه فجاز ان يرجع الضمير اليهما مجموعا (حتى اذا جاءنا) على الواحد عراقي غير أبي بكر اي العاشي جاآنا غيرهم أي العاشي وقرينه

﴿والآخرة عند ربك للمتقين﴾ الكفر والمعاصي وفيه دلالة على ان العظيم هو العظيم في الآخرة لا في الدنيا واشعار بما لاجله لم يجعل ذلك للمؤمنين حتى يجتمع الناس على الايمان وهو انه تمتع قليل بالاضافة الى مالهم في الآخرة مخل في الاغلب لما فيه من الآفات التي قل من يتخلص منها كما اشار اليه بقوله ﴿ومن يعش عن ذكر الرحمن﴾ يتعام و يعرض عنه بفرط اشتغاله بالمحسوسات وانهماكه في الشهوات * وقرئ يعش بالفتح اي يعم يقال عشي اذا كان في بصره آفة وعشا اذا تعشى بلا آفة كعرج وعرج وقرئ يعشو على ان من موصولة ﴿نقيض له شيطانا فهو له قرين﴾ يوسوسه ويغويه دائما * وقرأ يعقوب بالياء على اسناده الى ضمير الرحمن ومن رفع يعشو ينبغي ان يرفعه ﴿وانهم ليصدونهم عن السبيل﴾ عن الطريق الذي من حقه ان يسبل وجمع الضميرين للمعنى اذ المراد جنس العاشي والشيطان المقيد له ﴿ويحسبون انهم مهتدون﴾ الضمائر الثلاثة الاول له والباقيان للشيطان ﴿حتى اذا جاءنا﴾ اي العاشي وقرأ الحجازيان وابن عامر وابو بكر جاآنا اي العاشي

يستمتع بذلك قليلا ثم ينقضي لان الدنيا سريعة الزوال والذهاب ﴿والآخرة عند ربك للمتقين﴾ يعني الجنة خاصة للمتقين الذين تركوا الدنيا * عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا عند الله تزن جناح بعوضة ماسقى كافرا منها شربة ماء أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب * وعن المستورد بن شداد جد بني فهر قال كنت في الركب الذين وقفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على السخلة الميتة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أترون هذه هانت على أهلها حين ألقوها قالوا من هوانها القوها يارسول الله قال فان الدنيا أهون على الله من هذه الشاة على أهلها أخرجه الترمذي وقال حديث حسن * وعن قتادة بن النعمان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا أحب الله عبدا حماه من الدنيا كما يظل أحدكم يحمي سقيمه الماء أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب (م) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر * قوله تعالى ﴿ومن يعش﴾ أي يعرض ﴿عن ذكر الرحمن﴾ أي فلم يخف عقابه ولم يرد ثوابه وقيل يول ظهره عن القرآن ﴿نقيض له شيطانا﴾ أي نسبب له شيطانا ونضمه اليه ونسلطه عليه ﴿فهو له قرين﴾ يعني لايفارقه يزين له العمى ويخيل اليه انه على الهدى ﴿وانهم﴾ يعني لشياطين ﴿ليصدونهم عن السبيل﴾ يعني يمنعونهم عن الهدى ﴿ويحسبون انهم مهتدون﴾ يعني ويحسب كفار بني آدم انهم على الهدى ﴿حتى اذا جاءنا﴾ يعني الكافر وحده وقرئ

صلة ويقال كل ذلك متاع الحيوة الدنيا والماصلة (والآخرة) يعني الجنة (عند ربك للمتقين) الكفر والشرك والفواحش خير من متاع الدنيا (ومن يعش) يعرض ويقال يعم ان قرأت بالخفض ويقال يعم ان قرأت بالنصب (عن ذكر الرحمن) عن توحيد الرحمن وكتابه (نقيض له شيطانا) نجعل له قرينا من الشيطان (فهو له قرين) في الدنيا وفي النار (وانهم) يعني الشياطين (ليصدونهم) ليصرفونهم (عن السبيل) عن سبيل الحق والهدى (ويحسبون) يظنون (أنهم مهتدون) بالحق والهدى (حتى اذا جاءنا) يعني ابن آدم وقرينه الشيطان في سلسلة واحدة

(قال) لشيطانه (ياليت بيني وبينك بعد المشرقين) يريد المشرق والمغرب فغلب كما قيل العمران والقمران والمراد بعد المشرق من المغرب والمغرب من المشرق (فبئس القرين) أنت (ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم) اذ صح ظلمكم أي كفركم وتبين ولم يبق لكم ولا لاحد شبهة في انكم كنتم ظالمين واذ بدل من اليوم (أنكم في العذاب مشتركون) انكم في محل الرفع على الفاعلية اي ولن ينفعكم اشتراككم في العذاب أو كونكم مشتركين في العذاب كما كان عموم البلوى يطيب القلب في الدنيا كقول الخنساء ولولا كثرة الباكين حولي * على اخوانهم لقتلت نفسي * ولا يبكون مثل أخي ولكن * أعزي النفس عنه بالتأسي * أما هؤلاء فلا يؤسيهم اشتراكهم ولا يروحهم لعظم ماهم فيه وقيل الفاعل مضمر أي ولا ينفعكم هذا التمني أو الاعتذار لانكم في العذاب مشتركون لاشتراككم في سببه وهو الكفر ويؤيده قراءة من قرأ انكم بالكسر (أفأنت تسمع الصم) أي من فقد سمع القبول (أو تهدي العمي) أي من فقد البصر (ومن كان في ضلال مبين) ومن كان في علم الله انه يموت على الضلال (فاما) دخلت ما على ان توكيدا للشرط وكذا النون الثقيلة في (نذهبن بك) أي نتوفينك قبل ان ننصرك عليهم ونشفي صدور المؤمنين منهم

والشيطان ﴿ قال ﴾ اي العاشي للشيطان ﴿ ياليت بيني وبينك بعد المشرقين ﴾ بعد المشرق والمغرب فغلب المشرق من المغرب وثنى واضيف البعد اليهما ﴿ فبئس القرين ﴾ انت ﴿ ولن ينفعكم اليوم ﴾ اي ما انتم عليه من التمني ﴿ اذ ظلمتم ﴾ اذ صح انكم ظلمتم انفسكم في الدنيا بدل من اليوم ﴿ انكم في العذاب مشتركون ﴾ لان حقكم ان تشتركوا انتم وشياطينكم في العذاب كما كنتم مشتركين في سببه ويجوز ان يسند الفعل اليه بمعنى ولن ينفعكم اشتراككم في العذاب كما ينفع الواقعين في امر صعب معاونتهم في تحمل اعبائه وتقسمهم بمكابدة عنائه اذ بكل منكم مالا يسعه طاقته وقرئ انكم بالكسر وهو يقوي الاول ﴿ أفأنت تسمع الصم اوتهدي العمي ﴾ انكار تعجيب من ان يكون هو الذي يقدر على هدايتهم بعد تمرنهم على الكفر واستغراقهم في الضلال بحيث صار عشاهم عمى مقرونا لصمم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعب نفسه في دعاء قومه وهم لايزيدون الا غيا فنزلت ﴿ ومن كان في ضلال مبين ﴾ عطف على العمي باعتبار تغاير الوصفين وفيه اشعار بان الموجب لذلك تمكنهم في ضلال لايخفى ﴿ فاما نذهبن بك ﴾

جاآنا على التثنية يعني الكافر وقرينه وقد جعلا في سلسلة واحدة ﴿ قال ﴾ الكافر لقرينه الشيطان ﴿ ياليت بيني وبينك بعد المشرقين ﴾ أي بعد مابين المشرق والمغرب فغلب اسم أحدهما على الآخر كما يقال للشمس والقمر القمران ولابي بكر وعمر العمران وقيل أراد بالمشرقين مشرق الصيف ومشرق الشتاء والقول الاول أصح ﴿ فبئس القرين ﴾ يعني الشيطان قال أبو سعيد الخدري اذا بعث الكافر زوج بقرينه من الشياطين فلا يفارقه حتى يصيرا الى النار ﴿ ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم ﴾ يعني أشركتم ﴿ انكم في العذاب مشتركون ﴾ يعني لاينفعكم الاشتراك في العذاب ولايخفف عنكم شيأ لان كل واحد من الكفار والشياطين له الحظ الاوفر من العذاب وقيل لن ينفعكم الاعتذار والندم اليوم فانتم وقرناؤكم اليوم مشتركون في العذاب كما كنتم مشتركين في الكفر ﴿ أفأنت تسمع الصم اوتهدي العمي ومن كان في ضلال مبين ﴾ يعني الكافرين الذين حقت عليهم كلمة العذاب انهم لايؤمنون * قوله عز وجل (فاما نذهبن بك) اي بان نميتك قبل ان نعذبهم

(قال) لقرينه الشيطان (ياليت بيني وبينك بعد المشرقين) مشرق الشتاء والصيف (فبئس القرين) الصاحب والرفيق الشيطان (ولن ينفعكم) يقول الله ولن ينفعكم (اليوم) (فانا) هذا الكلام (اذ ظلمتم) كفرتم في الدنيا (أنكم في العذاب مشتركون) الشياطين وبنو آدم (أفأنت تسمع) الحق والهدى يامحمد (الصم) من يتصامم وهو الكافر (أو تهدي العمي) حتى يبصر الحق والهدى وهو الكافر (ومن كان في ضلال مبين) في كفر بين لاتقدر أن ترشده الى الهدى (فاما نذهبن بك) نميتك

(فانامنهم منتقمون) أشد الانتقام فى الآخرة (أونرينك الذى وعدناهم) قبل ان نتوفينك يوم بدر (فانا عليهم مقتدرون)
قادرون وصفهم بشدة الشكيمة فى الكفر والضلال عن بقوله أفأنت تسمع الصم

اى فان قبضناك قبل ان يبصرك عذابهم ومامزيدة مؤكدة بمنزلة لام القسم فى استجلاب النون المؤكدة ﴿ فانا منهم منتقمون ﴾ بعذاب فى الدنيا والآخرة ﴿ أو نرينك الذى وعدناهم ﴾ اوان اردنا ان نريك ما وعدناهم من العذاب ﴿ فانا عليهم مقتدرون ﴾ لايفوتوننا ﴿ فاستمسك بالذى اوحى اليك ﴾ من الآيات والشرائع * وقرئ اوحى على البناء للفاعل وهوالله تعالى ﴿ انك على صراط مستقيم ﴾ لاعوج له ﴿ وانه لذكر لك ﴾ لشرف لك ﴿ ولقومك وسوف تسئلون ﴾ اى عنه يوم القيامة وعن قيامكم بحقه ﴿ واسئل من ارسلنا من قبلك من رسلنا ﴾ اى واسئل اممهم وعلماء دينهم ﴿ أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون ﴾ هل حكمنا بعبادة الاوثان وهل جاءت فى ملة من

﴿ فانا منهم منتقمون ﴾ اى بالقتل بعدك ﴿ اونرينك ﴾ اى فى حياتك ﴿ الذى وعدناهم ﴾ اى من العذاب ﴿ فانا عليهم مقتدرون ﴾ اى قادرون على ذلك متى شئنا عذبناهم واراد بهم مشركى مكة وقد انتقم منهم يوم بدر وهذا يفيد التسلية للنبى صلى الله عليه وسلم لانه وعده الانتقام له منهم اما حال حياته او بعد وفاته وهذا قول اكثر المفسرين وقيل عنى به مايكون فى امته وقد كان بعد النبى صلى الله عليه وسلم نقمة شديدة فى امته ولكن اكرم الله عزوجل نبيه صلى الله عليه وسلم وذهب به ولم يره فى امته الا الذى تقر به عينه وابقى النقمة بعده وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم ارى مايصيب امته بعده فما رؤى ضاحكا منبسطا حتى قبضه الله تعالى ﴿ فاستمسك بالذى اوحى اليك ﴾ يعنى القرآن ﴿ انك على صراط مستقيم ﴾ اى على دين مستقيم لايميل عنه الا الضال ﴿ وانه ﴾ يعنى القرآن ﴿ لذكر ﴾ اى لشرف عظيم ﴿ لك ولقومك وسوف تسئلون ﴾ يعنى عن حقه واداء شكره وروى ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا سئل لمن هذا الامر بعدك لم يخبر بشئ حتى نزلت هذه الآية فكان بعد ذلك اذا سئل قال لقريش (ق) عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايزال هذا الامر فى قريش مابقى منهم اثنان (خ) عن معاوية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان هذا الامر فى قريش لايعاديهم احد الا اكبه الله تعالى على وجهه ما اقاموا الدين وقيل القوم هم العرب والقرآن لهم شرف اذ نزل بلغتهم ثم يختص بذلك الشرف الاخص فالاخص من العرب حتى يكون الاكثر لقريش ولبنى هاشم وقيل ذكرلك اى ذلك شرف لك مما اعطاك الله من النبوة والحكمة ولقومك يعنى المؤمنين بما هداهم الله تعالى به وسوف تسئلون عن القرآن وعما يلزمكم من القيام بحقه * قوله تعالى ﴿ واسئل من ارسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون ﴾ اختلف العلماء من هؤلاء المسؤلون فروى عن ابن عباس فى رواية عنه لما اسرى بالنبى صلى الله عليه وسلم بعث الله عز وجل له آدم وولده من المرسلين

الآية ثم أوعدهم بعذاب الدنيا والآخرة بقوله فاما نذهبن بك الآيتين (فاستمسك) فتمسك (بالذى أوحى اليك) وهو القرآن واعمل به (انك على صراط مستقيم) على الدين الذى لاعوج له (وانه) وان الذى اوحى اليك (لذكر لك) لشرف لك (ولقومك) ولامتك (وسوف تسئلون) عنه يوم القيامة وعن قيامكم بحقه وعن تعظيمكم له وعن شكركم هذه النعمة (واسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) ليس المراد بسؤال الرسل حقيقة السؤال ولكنه مجاز عن النظر فى أديانهم والفحص عن مللهم هل

(فانامنهم منتقمون) بالعذاب (أونرينك الذى وعدناهم) يوم بدر (فاناعليهم مقتدرون) على عذابهم قادرون قبل موتك وبعد موتك (فاستمسك) اعمل (بالذى أوحى اليك) يعنى القرآن (انك) يامحمد (على صراط مستقيم) على دين قائم برضاه (وانه) يعنى القرآن (لذكرلك) شرف لك (ولقومك) قريش لانه بلغتهم (وسوف تسئلون) عن شكر هذا الشرف (واسئل من أرسلنا من قبلك) يامحمد (من رسلنا) مثل عيسى وموسى وابراهيم وهذا فى الليلة التى أسرى به الى السماء وصلى بسبعين نبيا مثل ابراهيم وموسى وعيسى فأمر الله نبيه أن سلهم يامحمد (أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) يقول سلهم هل جعلنا آلهة يعبدون

{ قا و خا ٥٥ مس }

جاءت عبادة الاوثان قط فى ملة من ملل الانبياء وكفاه نظرا وفحصا نظره فى كتاب الله المعجز المصدق لمابين يديه واخبار الله فيه بانهم يعبدون من دون الله مالم ينزل به سلطانا وهذه الآية فى نفسها كافية لاحاجة الى غيرها وقيل انه عليه السلام جمع له الانبياء ليلة الاسراء فامهم وقيل له سلهم فلم يشكك ولم يسأل وقيل معناه سل أمم من أرسلنا وهم أهل الكتابين أى التوارة والانجيل وانما يخبرونه عن كتب الرسل فاذا سألهم فكأنه سأل الانبياء ومعنى هذا السؤال التقرير لعبدة الاوثان انهم على الباطل وسل بلاهمز مكى وعلى رسلنا أبو عمرو ثم سلى رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا الى فرعون وملئه فقال انى رسول رب العالمين) ما أجابوه به عند قوله انى رسول رب العالمين محذوف دل عليه قوله (فلما جاءهم بآياتنا) وهو مطالبتهم اياه باحضار البينة على دعواه وابراز الآية (اذاهم منها يضحكون) يسخرون منها ويهزؤن بها ويسمونها سحرا واذا للمفاجأة وهو جواب فلما لان فعل المفاجأة معها مقدر وهو عامل النصب فى محل اذا كأنه قيل فلما جاءهم بآياتنا فاجؤا وقت ضحكهم (ومانريهم من آية الاهى أكبر من أختها) قرينتها وصاحبتها التى كانت قبلها فى نقض العادة وظاهر النظم يدل على أن اللاحقة أعظم من السابقة وليس كذلك بل المراد بهذا الكلام أنهن موصوفات بالكبر ولايكدن يتفاوتن فيه وعليه كلام الناس يقال هما اخوان كل واحد منهما أكرم من الآخر

مللهم والمراد به الاستشهاد باجماع الانبياء على التوحيد والدلالة على انه ليس ببدع ابتدعه فيكذب ويعادى له فانه كان اقوى ماحملهم على التكذيب والمخالفة ﴿ ولقد ارسلنا موسى بآياتنا الى فرعون وملئه فقال انى رسول من رب العالمين ﴾ يريد باقتصاصه تسلية الرسول صلى الله عليه وسلم ومناقضة قولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم والاستشهاد بدعوة موسى عليه الصلاة والسلام الى التوحيد ﴿ فلماجاءهم بآياتنا اذاهم منها يضحكون ﴾ فاجأوا وقت ضحكهم منها اى استهزؤا بها اول مارأوها ولم يتأملوا فيها ﴿ ومانريهم من آية الاهى اكبر من اختها ﴾ الا وهى بالغة اقصى درجات الاعجاز بحيث يحسب الناظر فيها انها اكبر مما يقاس اليها من الآيات والمراد وصف الكل بالكبر كقولك رأيت رجالا بعضهم افضل من بعض وكقوله

فاذن جبريل ثم اقام وقال يامحمد تقدم فصل بهم فلمافرغ من الصلاة قال له جبريل سل يا محمد من ارسلنا من قبلك من رسلنا الآية فقال النبى صلى الله عليه وسلم لااسأل قدا كتفيت وهذا قول الزهرى وسعيد بن جبير وابن زيد قالوا جمع له الرسل ليلة اسرى به وامر ان يسألهم فلم يشك ولم يسأل فعلى هذا القول قال بعضهم هذه الآية نزلت ببيت المقدس ليلة اسرى بالنبى صلى الله عليه وسلم وقال اكثر المفسرين معناه سل مؤمنى اهل الكتاب الذين ارسلت اليهم الانبياء عليهم الصلاة والسلام هل جاءتهم الرسل الابالتوحيد وهوقول ابن عباس فى اكثر الروايات عنه ومجاهد وقتادة والضحاك والسدى والحسن ومقاتل ومعنى الامر بالسؤال التقرير لمشركى قريش انه لم يأت رسول ولا كتاب بعبادة غيرالله عزوجل * قوله تعالى ﴿ ولقدارسلنا موسى بآياتنا الى فرعون وملئه فقال انى رسول رب العالمين فلماجاءهم بآياتنا اذاهم منها يضحكون ﴾ اى يسخرون ﴿ ومانريهم من آية الاهى اكبر من اختها ﴾ اى من قرينتها

من دون الرحمن مقدم ومؤخر ويقال سلهم هل أمرنا من دون الرحمن آلهة يعبدون (التى) وفيها وجه آخر يقول سل الذى أرسلنا اليهم الرسل من قبلك يعنى أهل الكتاب أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون يقول سل هل جاءت الرسل الابالتوحيد فلم يسألهم النبى صلى الله عليه وسلم لانه كان موقنا بذلك (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا) باليد والعصا (الى فرعون وملئه) قومه القبط (فقال انى رسول رب العالمين) اليكم (فلماجاءهم) موسى (بآياتنا) باليد والعصا (اذاهم منها) من الآيات (يضحكون) يتجبون ويسخرون فلايؤمنون بها (ومانريهم من آية) من علامة (الاهى أكبر من أختها) أعظم من التى كانت قبلها فلم يؤمنوا بها

(وأخذناهم بالعذاب) وهو ماقال تعالى ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات وأرسلنا عليهم الطوفان الآية (لعلهم يرجعون) عن الكفر الى الايمان (وقالوا ياأيه الساحر) كانوا يقولون للعالم الماهر ساحر لتعظيمهم علم السحر ياأيه الساحر بضم الهاء بلا ألف شامي ووجهه أنها كانت مفتوحة لوقوعها قبل الالف فلما سقطت لالتقاء الساكنين اتبعت حركتها حركة ماقبلها (ادع لنا ربك بما عهد عندك) بعهده عندك من أن دعوتك مستجابة أو بعهده عندك وهو النبوة أو بما عهد عندك من كشف العذاب عمن اهتدى (اننا لمهتدون) مؤمنون به (فلما كشفنا عنهم العذاب اذاهم ينكثون) ينقضون العهد بالايمان ولايفون به (وقالوا ياأيه الساحر) كانوا يقولون للعالم الماهر ساحر

(ونادى فرعون) نادى بنفسه عظماء القبط أو أمر منادياً فنادى كقولك قطع الامير اللص اذا أمر بقطعه (فى قومه) جعلهم محلا لندائه وموقعاله (قال ياقوم أليس لى ملك مصر وهذه الانهار) أى أنهار النيل ومعظمها أربعة (تجرى من تحتى) من تحت قصرى وقيل بين يدى فى جنانى والواو عاطفة للانهار على ملك مصر وتجرى نصب على الحال منها أو الواو للحال واسم الاشارة مبتدأ والانهار صفة لاسم الاشارة وتجرى خبر للمبتدأ وعن الرشيد انه لما قرأها قال لاولينها أخس عبيدى فولاها

من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم * مثل النجوم التى يسرى بها السارى

اوالا وهى مختصة بنوع من الاعجاز مفضلة على غيرها بذلك الاعتبار ﴿ واخذناهم بالعذاب ﴾ كالسنين والطوفان والجراد ﴿ لعلهم يرجعون ﴾ على وجه يرجى رجوعهم ﴿ وقالوا ياأيه الساحر ﴾ نادوه بذلك فى تلك الحال لشدة شكيمتهم وفرط حماقتهم اولانهم كانوا يسمون العالم الباهر ساحرا ﴿ ادع لنا ربك ﴾ اى تدعولنا فيكشف عنا العذاب ﴿ بماعهدعندك ﴾ بعهده عندك من النبوة او من ان يستجيب دعوتك او ان يكشف العذاب عمن اهتدى او بما عهد عندك فوفيت به وهو الايمان والطاعة ﴿ اننا لمهتدون فلما كشفنا عنهم العذاب اذاهم ينكثون ﴾ فاجأوا نكث عهدهم بالاهتداء ﴿ ونادى فرعون ﴾ بنفسه او بمناديه ﴿ فى قومه ﴾ فى مجمعهم اوفيما بينهم بعد كشف العذاب عنهم مخافة ان يؤمن بعضهم ﴿ قال ياقوم أليس لى ملك مصر وهذه الانهار ﴾ انهار النيل ومعظمها اربعة نهر الملك ونهر طولون ونهر دمياط ونهر تنيس ﴿ تجرى من تحتى ﴾ تحت قصرى اوامرى اوبين يدى فى جنانى والواو اما عاطفة لهذه الانهار على الملك

التى قبلها ﴿ واخذناهم بالعذاب ﴾ اى بالسنين والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس فكانت هذه آيات دلالات لموسى عليه الصلاة والسلام وعذابالهم وكانت كل واحدة أكبر من التى قبلها ﴿ لعلهم يرجعون ﴾ أى عن كفرهم ﴿ وقالوا ﴾ يعنى لموسى عليه الصلاة والسلام لما عاينوا العذاب ﴿ ياأيه الساحر ﴾ أى العالم الكامل الحاذق وانما قالوا ذلك له تعظيما وتوقيرا لان السحر كان عندهم علما عظيما وصنعة ممدوحة وقيل معناه ياأيها الذى غلبنا بسحره ﴿ ادع لنا ربك بما عهد عندك ﴾ أى بما أخبرتنا عن عهده اليك انا ان آمنا كشف عنا العذاب فاسأله أن يكشفه عنا ﴿ اننا لمهتدون ﴾ أى لمؤمنون فدعا موسى ربه فكشف عنهم فلم يؤمنوا فذلك قوله سبحانه وتعالى ﴿ فلما كشفنا عنهم العذاب اذاهم ينكثون ﴾ أى ينقضون عهدهم ويصرون على كفرهم ﴿ ونادى فرعون فى قومه قال ياقوم أليس لى ملك مصر وهذه الانهار تجرى من تحتى ﴾ يعنى أنهار النيل الكبار وكانت تجرى تحت قصره وقيل معناه

(وأخذناهم بالعذاب) بالطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والنقص والسنين (لعلهم يرجعون) لكى يرجعوا عن كفرهم (وقالوا ياأيه الساحر) العالم يوقرونه بذلك وكان الساحر فيهم عظيما (ادع لنا ربك بما عهد عندك) سل لنا ربك بما عهد الله لك وكان عهد الله لموسى ان آمنوا كشفنا عنهم العذاب فمن ذلك قالوا بما عهد الله عندك (اننا لمهتدون) مؤمنون بك وبما جئت به (فلما كشفنا) رفعنا (عنهم العذاب اذاهم ينكثون) ينقضون عهودهم ولايؤمنون (ونادى فرعون فى قومه) خطب فرعون قومه القبط (قال ياقوم أليس لى ملك مصر) اربعين فرسخا فى اربعين فرسخا (وهذه الانهار تجرى من تحتى) من حولى ويقال عنى بها الافراس تجرى من تحتى

الخصيب وكان خادمه على وضوئه وعن عبدالله بن طاهر أنه وليها فخرج اليها فلما شارفها قال أهى القرية التى افتخر بها فرعون حتى قال أليس لى ملك مصر والله لهى أقل عندى من أن أدخلها فثنى عنانه (أفلا تبصرون) قوتى وضعف موسى وغناى وفقره

(أم أنا خير) أم منقطعة بمعنى بل والهمزة كأنه قال أثبت عندكم واستقر أنى أنا خير وهذه حالى (من هذا الذى هو مهين) ضعيف حقير (ولا يكاد يبين) الكلام لما كان به من الرتة (فلولا) فهلا (ألقى عليه أسورة) حفص ويعقوب وسهل جمع اسوار غيرهم أساورة جمع أسورة وأساوير جمع أسوار وهو السوار حذف الياء من أساوير وعوض منها التاء (من ذهب) أراد بالقاء الاسورة عليه القاء مقاليد الملك اليه لانهم كانوا اذا أرادوا تسويد الرجل سوروه بسوار وطوقوه بطوق من ذهب (أو جاء معه الملائكة مقترنين) يمشون معه يقترن بعضهم ببعض ليكونوا أعضاده وأنصاره وأعوانه (فاستخف قومه) استفزهم بالقول واستزلهم وعمل فيهم كلامه وقيل طلب منهم الخفة فى الطاعة وهى الاسراع (فاطاعوه انهم كانوا قوما فاسقين) خارجين من دين الله (فلما

فتجرى حال منها أو واو حال وهذه مبتدأ والانهار صفتها وتجرى خبرها ﴿ أفلا تبصرون ﴾ ذلك ﴿ أم انا خير ﴾ مع هذه المملكة والبسطة ﴿ من هذا الذى هو مهين ﴾ ضعيف حقير لا يستعد للرياسة من المهانة وهى القلة ﴿ ولا يكاد يبين ﴾ الكلام لما به من الرتة فكيف يصلح للرسالة وام اما منقطعة والهمزة فيها للتقرير اذ قدم من اسباب فضله او متصلة على اقامة المسبب مقام السبب والمعنى افلا تبصرون ام تبصرون فتعلمون انى خير منه ﴿ فلولا القى عليه اساورة من ذهب ﴾ اى فهلا القى اليه مقاليد الملك ان كان صادقا اذ كانوا اذا سودوا رجلا سوروه وطوقوه بسوار وطوق من ذهب واساورة جمع اسوار بمعنى السوار على تعويض التاء من ياء اساوير وقد قرئ به وقرأ يعقوب وحفص اسورة وهى جمع سوار وقرئ اساور جمع اسورة والقى عليه اسورة واساور على البناء للفاعل وهو الله تعالى ﴿ اوجاء معه الملائكة مقترنين ﴾ مقرونين به يعينونه او يصدقونه من قرنته به فاقترن او متقارنين من اقترن بمعنى تقارن ﴿ فاستخف قومه ﴾ فطلب منهم الخفة فى مطاوعته اوفاستخف احلامهم ﴿ فاطاعوه ﴾ فيما امرهم به ﴿ انهم كانوا قوما فاسقين ﴾ ولذلك اطاعوا ذلك الفاسق ﴿ فلما

تجرى بين يدى جنانى وبساتينى وقيل تجرى بامرى ﴿ أفلا تبصرون ﴾ أى عظمتى وشدة ملكى ﴿ أم انا ﴾ أى بل أنا ﴿ خير ﴾ وليس بحرف عطف على قول أكثر المفسرين وقيل فيه اضمار مجازه أفلا تبصرون أم تبصرون ثم ابتدأ فقال أنا خير ﴿ من هذا الذى هو مهين ﴾ أى ضعيف حقير يعنى موسى ﴿ ولا يكاد يبين ﴾ أى يفصح بكلامه للثغة التى كانت فى لسانه وانما عابه بذلك لما كان عليه أولا وقيل معناه ولا يكاد يبين حجته التى تدل على صدقه فيما يدعى ولم يرد به انه لا قدرة له على الكلام ﴿ فلولا ألقى عليه ﴾ أى ان كان صادقا ﴿ أسورة من ذهب ﴾ قيل انهم كانوا اذا سودوا رجلا سوروه بسوار من ذهب وطوقوه بطوق من ذهب يكون ذلك دلالة لسيادته فقال فرعون هلا ألقى رب موسى عليه اسورة من ذهب ان كان سيدا تجب طاعته ﴿ أو جاء معه الملائكة مقترنين ﴾ أى متتابعين يقارن بعضهم بعضا يشهدون له بصدقه ويعينونه على أمره قال الله تعالى ﴿ فاستخف ﴾ يعنى فرعون ﴿ قومه ﴾ يعنى القبط أى وجدهم جهالا وقيل حملهم على الخفة والجهل ﴿ فأطاعوه ﴾ أى على تكذيب موسى ﴿ انهم كانوا قوما فاسقين ﴾ يعنى حيث أطاعوا فرعون فيما استخفهم به ﴿ فلما

(أفلا تبصرون ام انا خير) انى خير (من هذا الذى هو مهين) ضعيف فى بدنه (ولا يكاد يبين) (آسفونا)
يبين حجته (فلولا التى عليه اسورة) هلا ألبس عليه اقبية (من ذهب) كالكم (اوجاء معه الملائكة مقترنين) معاونين مصدقين له بالرسالة (فاستخف) فاستزل (قومه) القبط (فاطاعوه) فى قوله (انهم كانوا قوما فاسقين) كافرين (فلما

آسفونا انتقمنا منهم فاغرقناهم أجمعين) آسف منقول من أسف أسفا اذا اشتد غضبه ومعناه انهم أفرطوا فى المعاصى فاستوجبوا أن يعجل لهم عذابنا وانتقامنا وأن لانحلم عنهم (فجعلناهم سلفا) جمع سالف كخادم وخدم سلفا حمزة وعلى جمع سليف أى فريق قد سلف (ومثلا) وحديثا عجيب الشان سائرا مسير المثل يضرب بهم الامثال ويقال مثلكم مثل قوم فرعون (للآخرين) لمن يجئ بعدهم ومعناه فجعلناهم قدوة للآخرين من الكفار يقتدون بهم فى استحقاق مثل عقابهم ونزوله بهم لاتيانهم بمثل أفعالهم ومثلا يحدثون به (ولما ضرب ابن مريم مثلا) لما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على قريش انكم وماتعبدون من دون الله حصب جهنم غضبوا فقال ابن الزبعرى يامحمد أخاصة لنا ولآلهتنا أم لجميع الامم فقال عليه السلام هو لكم ولآلهتكم ولجميع الامم فقال ألست تزعم ان عيسى ابن مريم نبى وتثنى عليه وعلى أمه خيرا وقد علمت ان النصارى يعبدونهما وعزير يعبد والملائكة يعبدون فان كان هؤلاء فى النار فقد رضينا أن نكون نحن وآلهتنا معهم ففرحوا وضحكوا وسكت النبى صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون ونزلت هذه الآية والمعنى ولما ضرب ابن الزبعرى عيسى ابن مريم مثلا لآلهتهم وجادل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعبادة النصارى اياه (اذا قومك) قريش (منه) من هذا المثل (يصدون) يرتفع لهم جلبة وضجيج فرحا وضحكا بما سمعوا منه من اسكات النبى صلى الله عليه وسلم بجدله يصدون مدنى وشامى والاعشى وعلى من الصدود أى من أجل هذا المثل يصدون عن الحق ويعرضون

آسفونا ﴾ اغضبونا بالافراط فى العناد والعصيان منقول من اسف اذا اشتد غضبه ﴿ انتقمنا منهم فاغرقناهم اجمعين ﴾ فى اليم ﴿ فجعلناهم سلفا ﴾ قدوة لمن بعدهم من الكفار يقتدون بهم فى استحقاق مثل عقابهم مصدر نعت به اوجمع سالف كخدم وخادم *وقرأ حمزة والكسائى بضم السين واللام جمع سليف كرغف اوسالف كصبر او سلف كخشب وقرئ سلفا بابدال ضمة اللام فتحة اوعلى انه جمع سلفة اى ثلة سلفت ﴿ ومثلا للآخرين ﴾ وعظة لهم اوقصة عجيبة تسير مسير الامثال لهم فيقال مثلكم مثل قوم فرعون ﴿ ولما ضرب ابن مريم مثلا ﴾ اى ضربه ابن الزبعرى لما جادل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى انكم وماتعبدون من دون الله حصب جهنم او غيره بان قال النصارى اهل كتاب وهم يعبدون عيسى ويزعمون انه ابن الله والملائكة اولى بذلك اوعلى قوله واسأل من ارسلنا من قبلك من رسلنا او ان محمدا عليه السلام يريد ان نعبده كما عبد المسيح ﴿ اذا قومك ﴾ قريش ﴿ منه ﴾ من هذا المثل ﴿ يصدون ﴾ يضجون فرحا لظنهم ان الرسول صار ملزما به *وقرأ نافع وابن

آسفونا ﴾ أى أغضبونا وهو فى حق الله تعالى ارادته العقاب وهو قوله تعالى ﴿ انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين ﴾ يعنى جعلنا المتقدمين الماضين عبرة وموعظة لمن يجئ من بعدهم قوله تعالى ﴿ ولما ضرب ابن مريم مثلا ﴾ قال ابن عباس نزلت هذه الآية فى مجادلة عبدالله بن الزبعرى مع النبى صلى الله عليه وسلم فى شأن عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام وذلك لما نزل قوله تعالى انكم وماتعبدون من دون الله حصب جهنم وقد تقدم ذكره فى سورة الانبياء ومعنى الآية ولما ضرب عبدالله بن الزبعرى عيسى ابن مريم مثلا وجادل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعبادة النصارى اياه ﴿ اذا قومك ﴾ يعنى قريشا ﴿ منه ﴾ أى من المثل ﴿ يصدون ﴾

آسفونا) اغضبوا نبينا موسى ومالوا الى غضبنا (انتقمنا منهم) بالعذاب (فاغرقناهم اجمعين) فى البحر (فجعلناهم سلفا) ذهابا بالعذاب (ومثلا) عبرة (للآخرين) لمن بقى بعدهم (ولما ضرب ابن مريم مثلا) شبهوه بآلهتهم (اذا قومك منه) من قول عبدالله بن الزبعرى واصحابه (يصدون) يضحكون

عنه وقيل من الصديد وهو الجلبة وانهما لغتان نحو يعكف ويعكف (وقالوا أ آلهتنا خير أم هو) يعنون ان آلهتنا عندك ليست بخير من عيسى فاذا كان عيسى من حصب النار كان أمر آلهتنا هينا (ماضربوه) أى ماضربوا هذا المثل (لك الا جدلا) الا لاجل الجدل والغلبة فى القول لا لطلب الميز بين الحق والباطل (بل هم قوم خصمون) لدشداد الخصومة دأبهم اللجاج

وذلك ان قوله تعالى انكم وماتعبدون لم يرد به الا الاصنام لان ما لغير العقلاء الا أن ابن الزبعرى بخداعه لما رأى كلام الله محتملا لفظه وجه العموم مع علمه بان المراد به أصنامهم لا غير وجد للحيلة مساغا فصرف اللفظ الى الشمول والاحاطة بكل معبود غير الله على طريق اللجاج والجدال وحب المغالبة والمكابرة وتوقح فى ذلك فتوقر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أجاب عنه ربه (ان هو) ماعيسى (الا عبد) كسائر العبيد (أنعمنا عليه) بالنبوة (وجعلناه مثلا لبنى اسرائيل) وصيرناه عبرة عجيبة كالمثل السائر لبنى اسرائيل (ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة فى الارض) اى بدلا منكم كذا قاله الزجاج وقال جامع العلوم لجعلنا بدلكم ومن بمعنى البدل (يخلفون)

عامر والكسائى بالضم من الصدود اى يصدون عن الحق ويعرضون عنه وقيل هما لغتان نحو يعكف ويعكف ﴿ وقالوا أ آلهتنا خير أم هو ﴾ اى آلهتنا خير عندك أم عيسى فان كان فى النار فلتكن آلهتنا معه أو آلهتنا الملائكة خير أم عيسى فاذا جاز ان يعبد ويكون ابن الله كانت آلهتنا اولى بذلك او آلهتنا خير أم محمد عليه السلام فنعبده وندع آلهتنا وقرأ الكوفيون أ آلهتنا بتحقيق الهمزتين والالف بعدهما والباقون بتليين الثانية ﴿ ماضربوه لك الا جدلا ﴾ ماضربوا هذا المثل الا لاجل الجدل والخصومة لا لتمييز الحق من الباطل ﴿ بل هم قوم خصمون ﴾ شداد الخصومة حراص على اللجاج ﴿ ان هو الا عبد انعمنا عليه ﴾ بالنبوة ﴿ وجعلناه مثلا لبنى اسرائيل ﴾ امرا عجيبا كالمثل السائر لبنى اسرائيل وهو كالجواب المزيح لتلك الشبهة ﴿ ولو نشاء لجعلنا منكم ﴾ لولدنا منكم يا رجال كما ولدنا عيسى من غير اب او لجعلنا بدلكم ﴿ ملائكة فى الارض يخلفون ﴾ ملائكة يخلفونكم فى الارض والمعنى ان حال عيسى عليه السلام

أى يرتفع لهم ضجيج وصياح وفرح وقيل يقولون ان محمدا مايريد منا الا أن نعبده ونتخذه الها كما عبدت النصارى عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام ﴿ وقالوا أ آلهتنا خير أم هو ﴾ يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم فنعبده ونطيعه ونترك آلهتنا وقيل معنى أم هو يعنى عيسى والمعنى قالوا يزعم محمد ان كل ماعبد من دون الله فى النار فنحن قد رضينا ان تكون آلهتنا مع عيسى وعزير والملائكة فى النار قال الله تعالى ﴿ ما ضربوه ﴾ يعنى هذا المثل ﴿ لك الا جدلا ﴾ أى خصومة بالباطل وقد علموا أن المراد من قوله انكم وماتعبدون من دون الله حصب جهنم هؤلاء الاصنام ﴿ بل هم قوم خصمون ﴾ أى بالباطل ❊ عن أبى امامة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا أوتوا الجدل ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ماضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب صحيح ثم ذكر عيسى فقال تعالى ﴿ ان هو ﴾ أى ماعيسى ﴿ الا عبد أنعمنا عليه ﴾ أى بالنبوة ﴿ وجعلناه مثلا ﴾ أى آية وعبرة ﴿ لبنى اسرائيل ﴾ يعرفون به قدرة الله على مايشاء حيث خلقه من غير أب ﴿ ولو نشاء لجعلنا منكم ﴾ الخطاب لاهل مكة ﴿ ملائكة ﴾ معناه لو نشاء لاهلكناكم ولجعلنا بدلا منكم ملائكة ﴿ فى الارض يخلفون ﴾ أى يكونون خلفا منكم يعمرون

(وقالوا) يعنى عبد الله بن الزبعرى (أ آلهتنا خير) يا محمد (أم هو) يعنى عيسى ابن مريم ان جازله فى النار مع النصارى يجوز لنا فى النار مع آلهتنا (ماضربوه لك) ماذكروا لك عيسى ابن مريم (الا جدلا) الا للجدال والخصومة (بل هم قوم خصمون) جدلون بالباطل (ان هو) ماهو يعنى عيسى ابن مريم (الا عبد انعمنا عليه) بالرسالة وليس هو كآلهتهم (وجعلناه مثلا) عبرة (لبنى اسرائيل) ولدا بلا اب (ولو نشاء لجعلنا منكم) بمكانكم ويقال خلقنا منكم (ملائكة فى الارض يخلفون) خلفاء منكم بدلكم ويقال يمشون فى الارض بدلكم (الارض)

وان كانت عجيبة فالله تعالى قادر على ما هو اعجب من ذلك وان الملائكة مثلكم من حيث انها ذوات ممكنة يحتمل خلقها توليدا كما جاز خلقها ابداعا فمن اين لهم استحقاق الالوهية والانتساب الى الله سبحانه وتعالى ﴿ وانه ﴾ وان عيسى ﴿ لعلم للساعة ﴾ لان حدوثه او نزوله من اشراط الساعة يعلم به دنوها او لان احياءه الموتى يدل على قدرة الله عليه وقرئ لعلم اى علامة ولذكر على تسمية ما يذكر به ذكرا ٭ وفي الحديث ينزل عيسى على ثنية بالارض المقدسة يقال لها افيق وبيده حربة بها يقتل الدجال فيأتي بيت المقدس والناس في صلاة الصبح والامام يؤم بهم فيتأخر الامام فيقدمه عيسى ويصلي خلفه على شريعة محمد عليهما السلام ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب ويخرب البيع والكنائس ويقتل النصارى الا من آمن به وقيل الضمير للقرآن فان فيه الاعلام بالساعة والدلالة عليها ﴿ فلا تمترن بها ﴾ فلا تشكن فيها ﴿ واتبعون ﴾ واتبعوا هداى او شرعى او رسولى وقيل هو قول الرسول امر ان يقوله ﴿ هذا ﴾ هذا الذى ادعوكم اليه ﴿ صراط مستقيم ﴾ لا يضل سالكه ﴿ ولا يصدنكم الشيطان ﴾ عن المتابعة ﴿ انه لكم عدو مبين ﴾ ثابت عداوته بان اخرجكم من الجنة وعرضكم

الارض ويعبدوني ويطيعوني وقيل يخلف بعضهم بعضا ﴿ وانه ﴾ يعني عيسى ﴿ لعلم للساعة ﴾ يعني نزوله من اشراط الساعة يعلم به قربها (ق) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ليوشكن ان ينزل فيكم ابن مريم حكما عادلا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد وفي رواية أبي داود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس بيني وبين عيسى نبي وانه نازل فيكم فاذا رأيتموه فاعرفوه فانه رجل مربوع الى الحمرة والبياض ينزل بين ممصرتين كان رأسه يقطر وان لم يصبه بلل فيقاتل الناس على الاسلام فيدق الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويهلك الله تعالى في زمانه الملل كلها الا الاسلام ويهلك الدجال ثم يمكث في الارض أربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون (ق) عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف أنتم اذا نزل ابن مريم وامامكم منكم ٭ وفي رواية فأمكم منكم قال ابن أبي ذؤيب فأمكم بكتاب ربكم عز وجل وسنة نبيكم صلى الله عليه وسلم ويروى أنه ينزل عيسى وبيده حربة وهي التي يقتل بها الدجال فيأتي بيت المقدس والناس في صلاة العصر فيتأخر الامام فيقدمه عيسى ويصلي خلفه على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب ويخرب البيع والكنائس ويقتل النصارى الا من آمن وقيل في معنى الآية وانه أى وان القرآن لعلم للساعة أى يعلم قيامها ويخبركم باحوالها وأهوالها ﴿ فلا تمترن بها ﴾ أى لا تشكون فيها وقال ابن عباس لا تكذبوا بها ﴿ واتبعوني ﴾ أى على التوحيد ﴿ هذا ﴾ أى الذي أنا عليه ﴿ صراط مستقيم ولا يصدنكم ﴾ أى لا يصرفكم ﴿ الشيطان ﴾ أى عن دين الله الذي أمرتكم به ﴿ انه ﴾ يعني الشيطان ﴿ لكم عدو مبين ﴾

يخلفونكم في الارض او يخلف الملائكة بعضهم بعضا وقيل ولو نشاء لقدرتنا على عجائب الامور لجعلنا منكم لولدنا منكم يا رجال ملائكة يخلفونكم في الارض كما يخلفكم اولادكم كما ولدنا عيسى من انثى من غير فحل لتعرفوا تميزنا بالقدرة الباهرة ولتعلموا ان الملائكة اجسام لا تتولد الا من اجسام والقديم متعال عن ذلك (وانه لعلم للساعة) وان عيسى مما يعلم به مجيء الساعة وقرأ ابن عباس لعلم للساعة وهو العلامة اى وان نزوله لعلم للساعة (فلا تمترن بها) فلا تشكن فيها من المرية وهو الشك (واتبعون) وبالياء فيهما سهل ويعقوب اى واتبعوا هداى وشرعي او رسولي او هو امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقوله (هذا صراط مستقيم) اى هذا الذي ادعوكم اليه (ولا يصدنكم الشيطان) عن الايمان بالساعة او عن الاتباع (انه لكم عدو مبين) ظاهر العداوة اذ

(وانه) يعني نزول عيسى ابن مريم (لعلم للساعة) لبيان قيام الساعة ويقال علامة لقيام الساعة ان قرأت بنصب العين واللام (فلا تمترن بها) فلا تشكن بها بقيام الساعة (واتبعون) بالتوحيد (هذا) التوحيد (صراط مستقيم) دين قائم يرضاه وهو الاسلام (ولا يصدنكم) لا يصرفنكم (الشيطان) عن دين الاسلام والاقرار بقيام الساعة (انه لكم عدو مبين) ظاهر العداوة

اخرج اباكم من الجنة ونزع عنه لباس النور (ولما جاء عيسى بالبينات) بالمعجزات اوبآيات الانجيل والشرائع البينات الواضحات (قال قدجئتكم بالحكمة) اى بالانجيل والشرائع (ولأبين لكم بعض الذى تختلفون فيه) وهو امر الدين لاامر الدنيا (فاتقوا الله واطيعون ان الله هو ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم) هذا تمام كلام عيسى عليه السلام (فاختلف الاحزاب) الفرق المتحزبة بعدعيسى وهم اليعقوبية والنسطورية والملكانية والشمعونية (من بينهم) من بين النصارى (فويل للذين ظلموا) حيث قالوا فى عيسى ما كفروا به (من عذاب يوم اليم) وهو يوم القيامة (هل ينظرون الا الساعة) الضمير لقوم عيسى اوللكفار (ان تأتيهم) بدل من الساعة اى هل ينظرون الاتيان الساعة (بغتة وهم لا يشعرون) اى وهم غافلون لاشتغالهم بامر دنياهم كقوله تأخذهم وهم يخصمون (الاخلاء) جمع خليل (يومئذ) يوم القيامة (بعضهم لبعض عدو الا المتقين) اى المؤمنين وانتصاب يومئذ بعدو اى تنقطع فى ذلك اليوم كل خلة بين المتخالين فى غير ذات الله وتنقلب عداوة ومعناه الاخلة المتصادقين فى الله

للبلية ﴿ولما جاء عيسى بالبينات﴾ بالمعجزات أوبآيات الانجيل أوبالشرائع الواضحات ﴿قال قد جئتكم بالحكمة﴾ بالانجيل اوالشريعة ﴿ولأبين لكم بعض الذى تختلفون فيه﴾ وهو مايكون من امر الدين لامايتعلق بامر الدنيا فان الانبياء لم تبعث لبيانه ولذلك قال عليه السلام انتم اعلم بامور دنياكم ﴿فاتقوا الله واطيعون﴾ فيما ابلغه عنه ﴿ان الله هو ربى وربكم فاعبدوه﴾ بيان لما امرهم بالطاعة فيه وهو اعتقاد التوحيد والتعبد بالشرائع ﴿هذا صراط مستقيم﴾ الاشارة الى مجموع الامرين وهو تتمة كلام عيسى صلى الله عليه وسلم اواستئناف من الله يدل على ماهو المقتضى للطاعة فى ذلك ﴿فاختلف الاحزاب﴾ الفرق المتحزبة ﴿من بينهم﴾ من بين النصارى اواليهود والنصارى من بين قومه المبعوث اليهم ﴿فويل للذين ظلموا﴾ من المتحزبين ﴿من عذاب يوم اليم﴾ القيامة ﴿هل ينظرون الا الساعة﴾ الضمير لقريش اوللذين ظلموا ﴿ان تأتيهم﴾ بدل من الساعة والمعنى هل ينتظرون الاتيان الساعة ﴿بغتة﴾ فجأة ﴿وهم لايشعرون﴾ غافلون عنها لاشتغالهم بامور الدنيا وانكارهم لها ﴿الاخلاء﴾ الاحباء ﴿يومئذ بعضهم لبعض عدو﴾ اى يتعادون يومئذ لانقطاع العلق لظهور ما كانوا يتخالون له سببا للعذاب ﴿الا المتقين﴾ فان خلتهم

ولما جاء عيسى بالبينات قال قدجئتكم بالحكمة﴾ أى بالنبوة ﴿ولأبين لكم بعض الذى تختلفون فيه﴾ أى من أحكام التوراة وقيل من اختلاف الفرق الذين تحزبوا فى أمر عيسى وقيل الذى جاء به عيسى الانجيل وهو بعض الذى اختلفوا فيه فبين لهم عيسى فى غير الانجيل مااحتاجوا اليه ﴿فاتقوا الله وأطيعون﴾ أى فيما آمركم به ﴿ان الله هو ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فاختلف الاحزاب من بينهم﴾ أى اختلف الفرق المتحزبة بعد عيسى ﴿فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم هل ينظرون﴾ أى ينتظرون ﴿الا الساعة أن تأتيهم بغتة﴾ أى فجأة والمعنى انها تأتيهم لامحالة ﴿وهم لايشعرون الاخلاء﴾ أى على الكفر والمعصية فى الدنيا ﴿يومئذ﴾ يعنى يوم القيامة ﴿بعضهم لبعض عدو﴾ أى ان الخلة اذا كانت كذلك صارت عداوة يوم القيامة ﴿الا المتقين﴾

(ولما جاء عيسى بالبينات) بالامر والنهى والعجائب (قال قدجئتكم بالحكمة) بالامر والنهى والنبوة (ولأبين لكم بعض الذى تختلفون فيه) تخالفون فى الدين (فاتقوا الله) فاخشوا الله فيما امركم (واطيعون) اتبعوا وصيتى وقولى (ان الله هو ربى) خالقى (وربكم) خالقكم (فاعبدوه) فوحدوه (هذا) التوحيد (صراط مستقيم) (اى) دين قائم يرضاه (فاختلف الاحزاب) النصارى (من بينهم) فيما بينهم فى عيسى فقال بعضهم هو ابن الله وهم النسطورية وقال بعضهم هو الله وهم الماريعقوبية وقال بعضهم هو شريكه وهم الملكانية وقال بعضهم هو ثالث ثلاثة وهم المرقوسية (فويل) شدة عذاب (للذين ظلموا) تحزبوا فى عيسى (من عذاب يوم اليم) وجيع (هل ينظرون) ماينتظرون اذ لايتوبون عن مقالتهم (الا الساعة) الاقيام الساعة (ان تأتيهم بغتة) فجأة (وهم لايشعرون) لايعلمون بنزول العذاب بهم (الاخلاء) فى المعصية (يومئذ) يوم القيامة مثل عقبة بن ابى معيط وابى بن خلف (بعضهم لبعض عدو الا المتقين) الكفر والشرك والفواحش مثل ابى بكر وعمر وعثمان وعلى واصحابهم فانهم ليسوا كذلك فيقول الله

(ياعبادى) بالياء فى الوصل والوقف مدنى وشامى وابوعمرو وبفتح الياء ابوبكر الباقون بحذف الياء (لاخوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون) هو حكاية لماينادى به المتقون المتحابون فى الله يومئذ (الذين) منصوب المحل صفة لعبادى لانه منادى مضاف (آمنوا بآياتنا) صدقوا بآياتنا (وكانوا مسلمين) لله منقادين له (ادخلوا الجنة انتم وازواجكم) المؤمنات فى الدنيا (تحبرون) تسرون سرورا يظهر حباره اى اثره على وجوهكم (يطاف عليهم بصحاف) جميع صحفة (من ذهب واكواب) اى من ذهب ايضا والكوب الكوز لا عروة له (وفيها) وفى الجنة (ماتشتهيه الانفس) مدنى وشامى وحفص باثبات الهاء العائدة الى الموصول وحذفها غيرهم لطول الموصول بالفعل والفاعل والمفعول (وتلذ الاعين) وهذا حصر لانواع النعم لانها اما مشتهيات فى القلوب او مستلذة فى العيون

لما كانت فى الله تبقى نافعة ابدالآباد ﴿ ياعبادى لاخوف عليكم اليوم ولاانتم تحزنون ﴾ حكاية لما ينادى به المتقون المتحابون فى الله يومئذ وقرأ ابوعمرو وحمزة والكسائى وحفص بغير الياء ﴿ الذين آمنوا بآياتنا ﴾ صفة للمنادى ﴿ وكانوا مسلمين ﴾ حال من الواو اى الذين آمنوا مخصلين غير ان هذه العبارة آكد وابلغ ﴿ ادخلوا الجنة انتم وازواجكم ﴾ نساءكم المؤمنات ﴿ تحبرون ﴾ تسرون سرورا يظهر حباره اى اثره على وجوهكم اوتزينون من الحبر وهو حسن الهيئة اوتكرمون اكراما يبالغ فيه والحبرة المبالغة فيما وصف بجميل ﴿ يطاف عليهم بصحاف من ذهب واكواب ﴾ الصحاف جمع صحفة والاكواب جمع كوب وهو كوز لاعروة له ﴿ وفيها ﴾ وفى الجنة ﴿ ماتشتهى الانفس ﴾ وقرأ نافع وابن عامر وحفص تشتهيه على الاصل ﴿ وتلذ الاعين ﴾ بمشاهدته

أى الاالموحدين المتحابين فى الله عزوجل المجتمعين على طاعته روى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه فى الآية قال خليلان مؤمنان وخليلان كافران مات أحد المؤمنين فقال يارب ان فلانا كان يامرنى بطاعتك وطاعة رسولك صلى الله عليه وسلم ويامرنى بالخير وينهانى عن الشر ويخبرنى أنى ملاقيك يارب فلاتضله بعدى واهده كما هديتنى وأكرمه كما أكرمتنى فاذا مات خليله المؤمن جمع بينهما فيقول ليثن كل منكما على صاحبه فيقول نعم الاخ ونعم الخليل ونعم الصاحب قال ويموت أحد الكافرين فيقول رب ان فلانا كان ينهانى عن طاعتك وطاعة رسولك ويامرنى بالشر وينهانى عن الخير ويخبرنى انى غير ملاقيك فيقول ليثن كل منكما على صاحبه فيقول بئس الاخ وبئس الخليل وبئس الصاحب قوله عزوجل ﴿ياعبادى لاخوف عليكم اليوم ولاانتم تحزنون﴾ قيل ان الناس حين يبعثون ليس أحد منهم الافزع فينادى مناد ياعبادى لاخوف عليكم اليوم ولاأنتم تحزنون فيرجوها الناس كلهم فيتبعها ﴿الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين﴾ فييأس الناس كلهم غير المسلمين فيقال لهم ﴿ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون﴾ أى تسرون وتنعمون ﴿يطاف عليهم بصحاف من ذهب﴾ جمع صحفة وهى القصعة الواسعة ﴿وأكواب﴾ جمع كوب وهو اناء مستدير بلاعروة ﴿وفيها﴾ أى فى الجنة ﴿ماتشتهيه الانفس وتلذ الاعين﴾ عن عبدالرحمن بن سابط قال قال رجل يارسول الله هل فى الجنة خيل فانى أحب الخيل قال ان يدخلك الله الجنة فلا تشاء ان تركب فرسا من ياقوتة حمراء فتطير بك فى أى الجنة شئت الافعلت وسأله آخر فقال يارسول الله هل فى الجنة من ابل فانى أحب الابل قال فلم يقل له ماقال لصاحبه فقال ان يدخلك الله الجنة يكن لك فيها مااشتهت نفسك ولذت عينك

(ياعباد لاخوف عليكم اليوم) حين يخاف غيركم (ولاانتم تحزنون) حين يحزن غيركم (الذين آمنوا بآياتنا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (وكانوا مسلمين) مخلصين بالعبادة والتوحيد (ادخلوا الجنة انتم وازواجكم) حلائلكم الجنة (تحبرون) تكرمون بالتحف وتنعمون فى الجنة (يطاف (قا و خا ٥٦ مس) عليهم) فى الخدمة (بصحاف) بقصاع (من ذهب) فيها ألوان الطعام (واكواب) كيزان بلا آذان ولاعرى مدورة الرؤس فيها شرابهم (وفيها) فى الجنة (ماتشتهى الانفس) تمنى الانفس (وتلذ الاعين) تعجب الاعين بالنظر اليه

(وانتم فيهاخالدون وتلك الجنة التى اورثتموها بماكنتم تعملون) تلك اشارة الى الجنة المذكورة وهى مبتدأ والجنة خبر والتى اورثتموها صفة الجنة او الجنة صفة للمبتدأ الذى هو اسم الاشارة والتى اورثتموها صفة الجنة و بما كنتم تعملون الخبر والباء يتعلق بمحذوف اى حاصلة اوكائنة كما فى الظروف التى تقع اخبارا وفى الوجه الاول يتعلق باورثتموها وشبهت فى بقائها على اهلها بالميراث الباقى على الورثة (لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون) من للتبعيض اى لاتأكلون الا بعضها

واعقابها باقية فى شجرها فهى مزينة بالثمار ابدا وفى الحديث لاينزع احد فى الجنة من ثمرها الانبت مكانها مثلاها (ان المجرمين فى عذاب جهنم خالدون) خبر بعد خبر (لا يفتر عنهم) خبر آخر اى لا يخفف ولاينقص (وهم فيه) فى العذاب (مبلسون) آيسون من الفرج متحيرون (وما ظلمناهم) بالعذاب (ولكن كانوا هم الظالمين) هم فصل (ونادوا يامالك) لما ايسوا من فتور العذاب نادوا يامالك وهو خازن النار وقيل لابن عباس ان ابن مسعود قرأ يامال فقال ما اشغل اهل النار عن الترخيم (ليقض علينا ربك) ليميتنا من قضى عليه اذا اماته فوكزه موسى فقضى عليه والمعنى سل ربك ان يقضى علينا

وذلك تعميم بعد تخصيص مايعد من الزوائد فى التنعم والتلذذ ﴿ وانتم فيها خالدون ﴾ فان كل نعيم زائل موجب لكلفة الحفظ وخوف الزوال ومستعقب للتحسر فى ثانى الحال ﴿ وتلك الجنة التى اورثتموها بما كنتم تعملون ﴾ وقرئ ورثتموها شبه جزاء العمل بالميراث لانه يخلفه عليه العامل وتلك اشارة الى الجنة المذكورة وقعت مبتدأ والجنة خبرها والتى اورثتموها صفتها او تلك مبتدأ والجنة صفتها والتى اورثتموها خبرها او صفة الجنة والخبر بما كنتم تعملون وعليه تتعلق الباء بمحذوف لاباورثتموها ﴿ لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون ﴾ بعضها تأكلون لكثرتها ودوام نوعها ولعل تفصيل التنعم بالمطاعم والملابس وتكريره فى القرآن وهو حقير بالاضافة الى سائر نعائم الجنة لما كان بهم من الشدة والفاقة ﴿ ان المجرمين ﴾ الكاملين فى الاجرام وهم الكفار لانه جعل قسيم المؤمنين بالآيات وحكى عنهم مايخص بالكفار ﴿ فى عذاب جهنم خالدون ﴾ خبر ان او خالدون خبر والظرف متعلق به ﴿ لايفتر عنهم ﴾ لايخفف عنهم من فترت عنه الحمى اذا سكنت قليلا والتركيب للضعف ﴿ وهم فيه ﴾ فى العذاب ﴿ مبلسون ﴾ آيسون من النجاة ﴿ وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين ﴾ مر مثله غير مرة وهم فصل ﴿ ونادوا يامالك ﴾ وقرئ يامال على الترخيم مكسورا اومضموما ولعله اشعار بانهم لضعفهم لايستطيعون تأدية اللفظ بالتمام ولذلك اختصروا فقالوا ﴿ ليقض علينا ربك ﴾ والمعنى سل ربنا ان يقضى علينا من قضى عليه اذا اماته وهو لاينافى ابلاسهم

أخرجه الترمذى ﴿ وأنتم فيها خالدون وتلك الجنة التى أورثتموها بما كنتم تعملون لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون ﴾ ورد فى الحديث أنه لاينزع أحد فى الجنة من ثمرها ثمرة الانبت مكانها مثلاها قوله تعالى ﴿ ان المجرمين ﴾ يعنى المشركين ﴿ فى عذاب جهنم خالدون لايفتر عنهم ﴾ أى لايخفف عنهم ﴿ وهم فيه مبلسون ﴾ أى آيسون من رحمة الله تعالى ﴿ وماظلمناهم ﴾ أى وماعذبناهم بغيرذنب ﴿ ولكن كانوا هم الظالمين ﴾ أى لانفسهم بماجنوا عليها ﴿ ونادوا يامالك ﴾ يعنى يدعون مالكا خازن النار يستغيثون به فيقولون ﴿ ليقض علينا ربك ﴾ أى ليمتنا ربك فنستريح والمعنى أنهم توسلوابه ليسأل الله تعالى لهم الموت فيجيبهم بعد ألف سنة قاله ابن عباس وقيل بعد

(وانتم فيها) فى الجنة (خالدون) دائمون لاتموتون ولاتخرجون منها (وتلك الجنة) هذه الجنة (التى اورثتموها) انزلتموها جعلت لكم ميراثا (بماكنتم تعملون) وتقولون (مائة) فى الدنيا (لكم فيها) فى الجنة (فاكهة) الوان الفاكهة (كثيرة منها) من الوان الفاكهة (تأكلون ان المجرمين) المشركين اباجهل واصحابه (فى عذاب جهنم خالدون) لايموتون ولايخرجون منها (لايفتر) لايرفع (عنهم) العذاب ولايقطع (وهم فيه) فى العذاب (مبلسون) آيسون من الرفع ومن كل خير (وماظلمناهم) بهلاكهم وعذابهم (ولكن كانوا هم الظالمين) بالكفر والشرك (ونادوا يامالك) فلماقل صبرهم نادوا يامالك خازن النار (ليقض علينا ربك) الموت فيجيبهم مالك بعد اربعين

(قال انكم ماكثون) لابثون فى العذاب لاتتخلصون عنه بموت ولافتور (لقد جئناكم بالحق) كلام الله تعالى ويجب ان يكون فى قال ضمير الله لما سالوا مالكا ان يسأل الله القضاء عليهم اجابهم الله بذلك وقيل هو متصل بكلام مالك والمراد بقوله جئناكم الملائكة اذهم رسل الله وهو منهم (ولكن اكثركم للحق كارهون) لاتقبلونه وتنفرون منه لان مع الباطل الدعة ومع الحق التعب ام احكم مشركو مكة امرا من كيدهم ومكرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم (فانا مبرمون) كيدنا كما ابرموا كيدهم وكانوا يتنادون فيتناجون فى امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى دار الندوة (أم يحسبون انا لانسمع سرهم) حديث انفسهم (ونجواهم) ما يحدثون فيما بينهم ويخفونه عن غيرهم (بلى) نسمعها ونطلع عليها (ورسلنا) اى الحفظة (لديهم يكتبون) عندهم يكتبون ذلك وعن يحيي بن معاذ من ستر من الناس ذنوبه وابداها لمن لاتخفى عليه خافية فقد جعله اهون الناظرين اليه وهو من امارات النفاق (قل ان كان للرحمن ولد) وصح ذلك ببرهان (فانا اول العابدين) فانا اول من يعظم ذلك الولد

فانه رجاء وتمن للموت من فرط الشدة ﴿ قال انكم ماكثون ﴾ لاخلاص لكم بموت ولاغيره ﴿ لقد جئناكم بالحق ﴾ بالارسال والانزال وهو تتمة الجواب ان كان فى قال ضمير الله والاجواب منه وكأنه تعالى تولى جوابهم بعد جواب مالك ﴿ ولكن اكثركم للحق كارهون ﴾ لما فى اتباعه من اتعاب النفس وآداب الجوارح ﴿ أم أبرموا أمرا ﴾ فى تكذيب الحق ورده ولم يقتصروا على كراهته ﴿ فانا مبرمون ﴾ امرا فى مجازاتهم والعدول عن الخطاب للاشعار بان ذلك اسوء من كراهتهم او انه احكم المشركون امرا من كيدهم بالرسول فانا مبرمون كيدنا بهم ويؤيده قوله ﴿ أم يحسبون انا لانسمع سرهم ﴾ حديث نفسهم بذلك ﴿ ونجواهم ﴾ وتناجيهم ﴿ بلى ﴾ نسمعهما ﴿ ورسلنا ﴾ والحفظة مع ذلك ﴿ لديهم ﴾ ملازمة لهم ﴿ يكتبون ﴾ ذلك ﴿ قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين ﴾ منكم فان النبي يكون اعلم بالله وبما يصح له وما لايصح واولى بتعظيم مايوجب تعظيمه ومن تعظيم الوالد تعظيم ولده ولايلزم من ذلك صحة كينونة الولد وعبادته له اذ المحال قد يستلزم المحال بل المراد نفيهما على ابلغ الوجوه كقوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا غير ان لو ثمة مشعرة بانتفاء الطرفين وان هنا لاتشعر به ولا بنقيضه فانها لمجرد الشرطية بل الانتفاء معلوم بانتفا اللازم الدال على انتفاء ملزومه والدلالة على ان انكاره للولد ليس لعناد ومراء بل لو كان لكان اولى الناس بالاعتراف به وقيل معناه

مائة سنة وروى عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال ان أهل النار يدعون مالكا فلا يجيبهم أربعين عاما ثم يرد عليهم ﴿ قال انكم ماكثون ﴾ قال هانت والله دعوتهم على مالك وعلى رب مالك ومعنى ماكثون مقيمون فى العذاب ﴿ لقد جئناكم بالحق ﴾ يقول أرسلنا اليكم يامعشر قريش رسولنا بالحق ﴿ ولكن أكثركم للحق كارهون أم أبرموا أمرا ﴾ أى أحكموا أمرا فى المكر بالرسول صلى الله عليه وسلم ﴿ فانا مبرمون ﴾ أى محكمون أمرا فى مجازاتهم ان كادوا شرا كدتهم بمثله ﴿ أم يحسبون أنا لانسمع سرهم ونجواهم ﴾ أى مايسرونه من غيرهم ويتناجون به بينهم ﴿ بلى ﴾ نسمع ذلك كله ونعلمه ﴿ ورسلنا ﴾ يعنى الحفظة من الملائكة ﴿ لديهم يكتبون ﴾ قوله عز وجل ﴿ قل ان كان للرحمن ولد فانا أول العابدين ﴾ معناه ان كان للرحمن ولد فى قولكم وعلى زعمكم فأنا أول من عبد الرحمن فانه لاشريك له ولا ولد له وقال ابن

سنة (قال انكم ماكثون) دائمون فى العذاب ولا تخرجون (لقد جئناكم بالحق) يقول جاء جبريل الى نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم بالقرآن (ولكن اكثركم) كلكم (للحق) بمحمد عليه السلام والقرآن (كارهون) جاحدون (أم أبرموا أمرا) احكموا امرا فى شأن محمد (فانا مبرمون) محكمون امرا بهلاكهم (ام يحسبون) أيظنون يعنى صفوان بن امية وصاحبيه (انا لانسمع سرهم) فيما بينهم (ونجواهم) خلوتهم حول الكعبة (بلى) نسمع (ورسلنا لديهم) عند هم (يكتبون) سرهم ونجواهم وهم الحفظة (قل) يا محمد لنضر بن الحرث وعلقمة (ان كان) ما كان (للرحمن ولد فانا اول العابدين)

واسبقكم الى طاعته والانقياد اليه كما يعظم الرجل ولد الملك لتعظيم أبيه وهذا كلام وادر على سبيل الفرض والمراد نفى الولد وذلك انه علق العبادة بكينونة الولد وهى محال فى نفسها فكان المعلق بها محالا مثلها ونظيره قول سعيد بن جبير للحجاج حين قال له والله لابدلنك بالدنيا نارا تلظى لو عرفت ان ذلك اليك ماعبدت الها غيرك وقيل ان كان للرحمن ولد فى زعمكم فأنا أول العابدين أى الموحدين لله المكذبين قولكم باضافة الولد اليه وقيل ان كان للرحمن ولد فى زعمكم فأنا أول الآنفين من أن يكون له ولد من عبد يعبد اذا اشتد أنفه فهو عبد وعابد وقرئ العبدين وقيل هى ان النافية أى ماكان للرحمن ولد فأنا أول من قال بذلك وعبد ووحد وروى ان النضر قال الملائكة بنات الله فنزلت فقال النضر ألاترون أنه صدقنى فقال له الوليد ماصدقك ولكن قال ماكان للرحمن ولد فأنا أول الموحدين من أهل مكة ان لاولد له ولد حمزة وعلى ثم نزه ذاته عن اتخاذ الولد فقال (سبحان رب السموات والارض رب العرش عما يصفون) أى هو رب السموات والارض والعرش فلا يكون جسما اذ لو كان جسما لم يقدر على خلقها واذا لم يكن جسما لايكون له ولد لان التولد من صفة الاجسام (فذرهم يخوضوا) فى باطلهم (ويلعبوا) فى دنياهم (حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون) أى القيامة وهذا دليل على أن مايقولونه من باب الجهل والخوض واللعب (وهو الذى فى السماء اله وفى الارض اله) ضمن اسمه تعالى معنى وصف فلذلك علق به الظرف فى قوله فى السماء وفى الارض كما يقول هو حاتم فى طيئ وحاتم فى تغلب على تضمين معنى الجواد الذى شهر به كأنك قلت هو جواد فى طيئ جواد فى تغلب وقرئ وهو الذى فى السماء الله وفى الارض الله ومثله قوله وهو الله فى السموات وفى الارض فكأنه ضمن معنى المعبود والراجع الى الموصول محذوف لطول الكلام كقولهم ما أنا بالذى قائل لك شيأ والتقدير وهو الذى هو فى السماء اله واله يرتفع على أنه خبر مبتدأ (السماء)

ان كان له ولد فى زعمكم فانا اول العابدين لله الموحدين له او الآنفين منه او من ان يكون له ولد من عبد يعبد اذا اشتد انفه او ماكان له ولد فانا اول الموحدين من اهل مكة وقرأ حمزة والكسائى ولد بالضم ﴿ سبحان رب السموات والارض رب العرش عما يصفون ﴾ عن كونه ذا ولد فان هذه الاجسام لكونها اصولا ذات استمرار تبرأت عما يتصف به سائر الاجسام من توليد المثل فالذى بعد عنها وخالقها ﴿ فذرهم يخوضوا ﴾ فى باطلهم ﴿ ويلعبوا ﴾ فى دنياهم ﴿ حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون ﴾ اى القيامة وهو دلالة على ان قولهم هذا جهل واتباع هوى وانهم مطبوع على قلوبهم معذبون فى الآخرة ﴿ وهو الذى فى السماء اله وفى الارض اله ﴾ مستحق لان يعبد فيهما والظرف متعلق به لانه بمعنى المعبود او متضمن معناه كقولك هو حاتم

عباس ان كان أى ماكان للرحمن ولد فأنا أول العابدين أى الشاهدين له بذلك وقيل معناه لو كان للرحمن ولد فأنا أول من عبده بذلك ولكن لاولد له وقيل العابدين بمعنى الآنفين أى أنا أول الجاحدين المنكرين لما قلتم وأنا أول من غضب للرحمن أن يقال له ولد وقال الزمخشرى فى معنى الآية ان كان للرحمن ولد وصح وثبت ببرهان صحيح توردونه وحجة واضحة تدلون بها فأنا أول من يعظم ذلك الولد وأسبقكم الى طاعته كما يعظم الرجل ولد الملك لتعظيم أبيه وهذا كلام وارد على سبيل الفرض والتمثيل لغرض وهو المبالغة فى نفى الولد والاطناب فيه مع الترجمة عن نفسه بثبات القدم فى باب التوحيد وذلك انه علق العبادة بكينونة الولد وهى محال فى نفسها فكان المعلق عليها محالا مثلها ثم نزه نفسه عن الولد فقال تعالى ﴿ سبحان رب السموات والارض رب العرش عما يصفون ﴾ أى عما يقولونه من الكذب ﴿ فذرهم يخوضوا ﴾ أى فى باطلهم ﴿ ويلعبوا ﴾ أى فى دنياهم ﴿ حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون ﴾ يعنى يوم القيامة ﴿ وهو الذى فى السماء اله وفى الارض اله ﴾ أى هو الاله الذى يعبد فى

اول المقرين بان ليس لله ولد ولاشريك (سبحان رب السموات والارض رب العرش عما يصفون) يقولون من الولد والشريك (فذرهم) اتركهم يامحمد (يخوضوا) فى الباطل (ويلعبوا) يهزؤا بالقرآن (حتى يلاقوا) يعاينوا (يومهم الذى يوعدون) فيه الموت والعذاب (وهو الذى فى السماء اله) هو اله كل شئ فى السماء (وفى الارض اله) اله كل شئ

مضمر ولا يرتفع اله بالابتداء وخبره فى السماء لخلو الصلة حينئذ من عائد يعود الى الموصول (وهو الحكيم) فى أقواله وأفعاله (العليم) بما كان ويكون (وتبارك الذى له ملك السموات والارض ومابينهما وعنده علم الساعة) أى علم قيامها (واليه ترجعون) يرجعون مكي وحمزة وعلى (ولا يملك) آلهتهم (الذين يدعون)

فى البلد وكذا فيمن قرأ الله والراجع مبتدأ محذوف لطول الصلة بتعلق الخبر والعطف عليه ولا يجوز جعله خبرا له لانه لا يبقى له عائد لكن لو جعل صلة وقدر لاله مبتدأ محذوف يكون به جملة مبينة للصلة دالة على ان كونه فى السماء بمعنى الالوهية دون الاستقرار وفيه نفى الآلهة السماوية والارضية واختصاصه باستحقاق الالوهية ﴿ وهو الحكيم العليم ﴾ كالدليل عليه ﴿ وتبارك الذى له ملك السموات والارض ومابينهما ﴾ كالهواء ﴿ وعنده علم الساعة ﴾ العلم بالساعة التى تقوم القيامة فيها ﴿ واليه يرجعون ﴾ للجزاء وقرأ نافع وابن عامر وابو عمرو وعاصم وروح بالتاء على الالتفات للتهديد ﴿ ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة ﴾ كما زعموا انهم شفعاؤهم عند الله ﴿ الا من شهد بالحق وهم يعلمون ﴾ بالتوحيد والاستثناء متصل ان اريد بالموصول كل ماعبد من دون الله لاندراج الملائكة والمسيح فيه ومنفصل ان خص بالاصنام ﴿ ولئن سألتهم من خلقهم ﴾ سألت العابدين او المعبودين ﴿ ليقولن الله ﴾ لتعذر المكابرة فيه من فرط ظهوره ﴿ فانى يؤفكون ﴾ يصرفون عن عبادة غيره ﴿ وقيله ﴾ وقول الرسول ونصبه للعطف على سرهم او على محل الساعة اولا ضمار فعله اى وقال قيله وجره عاصم وحمزة عطفا على الساعة وقرئ بالرفع على انه مبتدأ

السماء وفى الارض لا اله الا هو ﴿ وهو الحكيم ﴾ أى فى تدبير خلقه ﴿ العليم ﴾ أى بمصالحهم ﴿ وتبارك الذى له ملك السموات والارض ومابينهما وعنده علم الساعة واليه ترجعون ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة ﴾ قيل سبب نزولها ان النضر بن الحرث ونفرا معه قالوا ان كان مايقول محمد حقا فنحن نتولى الملائكة فهم أحق بالشفاعة من محمد صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية وأراد بالذين يدعون من دونه آلهتهم ثم استثنى عيسى وعزيرا والملائكة بقوله ﴿ الا من شهد بالحق ﴾ لانهم عبدوا من دون الله ولهم شفاعة وقيل المراد بالذين يدعون من دونه عيسى وعزير والملائكة وفان الله تعالى لا يملك لاحد من هؤلاء الشفاعة الا لمن شهد بالحق وهى كلمة الاخلاص وهى لا اله الا الله فمن شهدها بقلبه شفعوا له وهو قوله ﴿ وهم يعلمون ﴾ أى بقلوبهم ما شهدوا به بألسنتهم وقيل يعلمون أن الله عزوجل خلق عيسى وعزيرا والملائكة ويعلمون أنهم عباده ﴿ ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله ﴾ يعنى انهم اذا أقروا بان الله خالق العالم بأسره فكيف قدموا على عبادة غيره ﴿ فأنى يؤفكون ﴾ أى يصرفون عن عبادته الى غيره ﴿ وقيله

يدعونهم (من دونه) من دون الله (الشفاعة) كما زعموا أنهم شفعاؤهم عند الله (الا من شهد بالحق) أى ولكن من شهد بالحق بكلمة التوحيد (وهم يعلمون) ان الله ربهم حقا ويعتقدون ذلك هو الذى يملك الشفاعة وهو استثناء منقطع أو متصل لان فى جملة الذين يدعون من دون الله الملائكة (ولئن سألتهم) أى المشركين (من خلقهم ليقولن الله) لا الاصنام والملائكة (فأنى يؤفكون) فكيف أو من أين يصرفون عن التوحيد مع هذا الاقرار (وقيله) بالجر عاصم وحمزة أى وعنده علم الساعة وعلم قيله

فى الارض (وهو الحكيم) فى امره وقضائه (العليم) بخلقه وتدبيره (وتبارك) تعالى وتبرأ عن الولد والشريك (الذى له ملك السموات والارض وما بينهما) من الخلق (وعنده علم الساعة) علم قيام الساعة (واليه ترجعون) فى الآخرة (ولا يملك الذين يدعون) يعبدون (من دونه) من دون الله (الشفاعة) يقول لا تقدر الملائكة ان يشفعوا الاحد (الا من شهد بالحق) بلا اله الا الله مخلصا بها (وهم يعلمون) انها حق من قبل انفسهم نزلت هذه الآية فى بنى مليح حيث قالوا الملائكة بنات الله (ولئن سألتهم) يعنى بنى مليح (من خلقهم ليقولن الله) خلقنا (فأنى يؤفكون) فمن اين يكذبون على الله بعد الاقرار (وقيله) قال محمد صلى الله عليه وسلم

(يارب) والهاء يعود الى محمد صلى الله عليه وسلم لتقدم ذكره فى قوله قل ان كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين وبالنصب الباقون عطفا على محل الساعة ويعلم قيله أى قيل محمد يارب والقيل والقول والقال والمقال واحد ويجوز أن يكون الجر والنصب على اضمار حرف القسم وحذفه وجواب القسم (ان هؤلاء قوم لايؤمنون) كأنه قيل وأقسم بقيله يارب ان هؤلاء قوم لايؤمنون واقسام الله بقيله رفع منه وتعظيم لدعائه والتجائه اليه (فاصفح عنهم) فأعرض عن دعوتهم يائسا عن ايمانهم وودعهم وتاركهم (وقل) لهم (سلام) أى تسلم منكم ومتاركة (فسوف يعلمون) وعيد من الله لهم وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وبالتاء مدنى وشامى

سورة الدخان تسع وخمسون آية مكية

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

فى الخبر من قرأها ليلة جمعة أصبح مغفورا له (حم والكتاب المبين) أى القرآن الواو فى والكتاب واو القسم ان جعلت حم تعديدا للحروف أو اسما للسورة مرفوعا على خبر الابتداء المحذوف وواو العطف ان كانت حم مقسما بها وجواب القسم (انا أنزلناه فى ليلة مباركة)

خبره ﴿يارب ان هؤلاء قوم لايؤمنون﴾ او معطوف على علم الساعة بتقدير مضاف وقيل هو قسم منصوب بحذف الجار او مجرور باضماره او مرفوع بتقدير وقيله يارب قسمى وان هؤلاء جوابه ﴿فاصفح عنهم﴾ فاعرض عن دعواهم آيسا عن ايمانهم ﴿وقل سلام﴾ تسلم منكم ومتاركة ﴿فسوف يعلمون﴾ تسلية للرسول وتهديد لهم * وقرأ نافع وابن عامر بالتاء على انه من المأمور بقوله * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الزخرف كان ممن يقال لهم يوم القيامة ياعباد لاخوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون

سورة الدخان مكية الا قوله انا كاشفوا العذاب الآية

وهى سبع اوتسع وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿حم والكتاب المبين﴾ القرآن والواو للعطف ان كان حم مقسما بها والا فللقسم والجواب قوله ﴿انا انزلناه فى ليلة مباركة﴾ فى ليلة القدر او البراءة ابتدئ فيها انزاله او انزل فيها جملة

يارب ﴾ يعنى قول محمد صلى الله عليه وسلم شاكيا الى ربه يارب ﴿ان هؤلاء قوم لايؤمنون﴾ قال ابن عباس شكا الى الله تعالى تخلف قومه عن الايمان وقال قتادة هذا نبيكم يشكو قومه الى ربه ﴿فاصفح عنهم﴾ أى أعرض عنهم وفى ضمنه منعه من أن يدعو عليهم بالعذاب ﴿وقل سلام﴾ معناه المتاركة وقيل معناه قل خيرا بدلا من شرهم ﴿فسوف يعلمون﴾ أى عاقبة كفرهم وفيه تهديد لهم وقيل معناه يعلمون انك صادق قال مقاتل نسختها آية السيف والله تعالى أعلم

تفسير سورة الدخان وهى مكية وهى سبع وقيل تسع

وخمسون آية وثلثمائة وست واربعون كلمة وألف

وأربعمائة واحد وثلاثون حرفا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

* قوله عز وجل ﴿حم والكتاب المبين﴾ أى المبين مايحتاج الناس اليه من حلال وحرام وغير ذلك من الاحكام ﴿انا انزلناه فى ليلة مباركة﴾ قيل هى

(يارب ان هؤلاء قوم لايؤمنون) بك وبالقرآن فافعل بهم ماشئت (فاصفح عنهم) قيل له اعرض عنهم (وقل سلام) سداد من القول (فسوف) وهذا وعيد لهم (يعلمون) ماذا نفعل بهم يوم بدر ويوم احد ويوم الاحزاب ثم امره بالقتال بعد ذلك فسوف يعلمون ماذا ينزل بهم من الجوع والدخان

ومن السورة التى يذكر فيها الدخان وهى كلها مكية آياتها تسع وخمسون آية وكلمها ثلاثمائة وست واربعون كلمة وحروفها الف واربعمائة واحد وثلاثون حرفا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

وباسناده عن ابن عباس (فى قوله جل ذكر (حم) يقول قضى ماهو كائن أى بين (والكتاب المبين) وأقسم بالكتاب المبين لقد قضى ماهو كائن أى بين ويقال قسم أقسم بالحاء والميم والقرآن المبين بالحلال والحرام والامر والنهى (انا انزلناه) أنزلنا جبريل بالقرآن ولهذا كان القسم أنزل الله جبريل الى سماء الدنيا حتى املى القرآن على الكتبة وهم أهل سماء الدنيا (فى ليلة مباركة) فيها الرحمة والمغفرة والبركة وهى (ليلة)

أى ليلة القدر أو ليلة النصف من شعبان وقيل بينها وبين ليلة القدر أربعون ليلة والجمهور على الاول لقوله انزلناه فى ليلة القدر وقوله شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن وليلة القدر فى أكثر الاقاويل فى شهر رمضان ثم قالوا أنزله جملة من اللوح المحفوظ الى سماء الدنيا ثم نزل به جبريل فى وقت وقوع الحاجة الى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقيل ابتداء نزوله فى ليلة القدر والمباركة الكثيرة الخير لماينزل فيها من الخير والبركة ويستجاب من الدعاء ولولم يوجد فيها الا انزال القرآن وحده لكفى به بركة (اناكنا منذرين فيها يفرق كل أمر) هما جملتان مستأنفتان ملفوفتان فسر بهما جواب القسم كانه قيل أنزلناه لان من شأننا الانذار والتحذير من العقاب وكان انزالنا اياه فى هذه الليلة خصوصا لان انزال القرآن من الامور الحكمية وهذه الليلة مفرق كل أمر حكيم ومعنى يفرق يفصل ويكتب كل أمر من أرزاق العباد وآجالهم وجميع أمورهم من هذه الليلة الى ليلة القدر التى تجئ فى السنة المقبلة (حكيم) ذى حكمة أى مفعول على ماتقتضيه الحكمة وهو من الاسناد المجازى لان الحكيم صفة صاحب الامر على الحقيقة ووصف الامر به مجازا (أمرا من عندنا) نصب على الاختصاص جعل كل أمر جزلا فخما بان وصفه بالحكيم ثم زاده جزالة وفخامة بان قال أعنى بهذا الامر أمرا حاصلا من عندنا كما اقتضاه علمنا وتدبيرنا (انا كنا مرسلين) بدل من انا كنا منذرين (رحمة من ربك) مفعول له على معنى انا أنزلنا القرآن لان من شأننا

الى سماء الدنيا من اللوح ثم انزل على الرسول عليه السلام نجوما وبركتها لذلك فان نزول القرآن سبب للمنافع الدينية والدنيوية اولما فيها من نزول الملائكة والرحمة واجابة الدعوة وقسم النعمة وفصل الاقضية ﴿ انا كنا منذرين ﴾ استئناف يبين فيه المقتضى للانزال وكذلك قوله ﴿ فيها يفرق كل امر حكيم ﴾ فان كونها مفرق الامور المحكمة اوالملتبسة بالحكمة استدعى ان ينزل فيها القرآن الذى هو من عظائمها ويجوز ان يكون صفة ليلة مباركة ومابينهما اعتراض وهو يدل على ان الليلة ليلة القدر لانه صفتها لقوله تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل امر وقرئ يفرق بالتشديد ويفرق اى يفرقه الله ونفرق بالنون ﴿ امرا من عندنا ﴾ اى اعنى بهذا الامر امرا حاصلا من عندنا على مقتضى حكمتنا وهو مزيد تفخيم للامر ويجوز ان يكون حالا من كل اوامر او ضميره المستكن فى حكيم لانه موصوف وان يراد به مقابل النهى وقع مصدرا ليفرق اولفعله مضمرا من حيث ان الفرق به اوحالا من احد ضميرى انزلنا بمعنى آمرين او مأمورا ﴿ انا كنا مرسلين رحمة من ربك ﴾ بدل من انا كنا

ليلة القدر أنزل الله تعالى فيها القرآن جملة من اللوح المحفوظ الى سماء الدنيا ثم نزل به جبريل نجوما على حسب الوقائع فى عشرين سنة وقيل هى ليلة النصف من شعبان عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى ينزل ليلة النصف من شعبان الى سماء الدنيا فيغفر لاكثر من عدد شعر غنم كلب أخرجه الترمذى ﴿ اناكنا منذرين ﴾ أى مخوفين عقابنا ﴿ فيها ﴾ أى فى تلك الليلة المباركة ﴿ يفرق ﴾ أى يفصل ﴿ كل أمر حكيم ﴾ أى محكم قال ابن عباس يكتب من أم الكتاب فى ليلة القدر ماهو كائن فى السنة من الخير والشر والارزاق والآجال حتى الحجاج يقال يحج فلان ويحج فلان وقيل هى ليلة النصف من شعبان يبرم فيها أمر السنة وينسخ الاحياء من الاموات وروى البغوى بسنده أن النبى صلى الله عليه وسلم قال تقطع الآجال من شعبان الى شعبان حتى ان الرجل لينكح ويولد له وقد خرج اسمه فى الموتى وعن ابن عباس ان الله يقضى الاقضية فى ليلة النصف من شعبان ويسلمها الى أربابها فى ليلة القدر ﴿أمرا﴾ أى أنزلناه أمرا ﴿من عندنا اناكنا مرسلين﴾ يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم ومن قبله من الانبياء ﴿رحمة من ربك﴾ قال ابن عباس رأفة منى بخلقى ونعمة عليهم بمابعثنا اليهم من الرسل وقيل انزلناه فى ليلة مباركة رحمة من

الليلة القدر ثم أنزل الله جبريل بعد ذلك على محمد عليه السلام بآية وسورة وكان بين أوله وآخره عشرون سنة (انا كنامنذرين) انا كنا مخوفين بالقرآن (فيها) فى ليلة القدر (يفرق) يبين (كل أمر حكيم) كائن من سنة الى سنة (أمرا من عندنا) بيانا منا نبين لجبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت ماهم موكلون عليه من سنة الى سنة (انا كنا مرسلين) الرسل بالكتب (رحمة) نعمة (من ربك)

وعادتنا ارسال الرسل بالكتب الى عبادنا لاجل الرحمة عليهم أوتعليل لقوله أمرا من عندنا ورحمة مفعول به وقد وصف الرحمة بالارسال كما وصفها به فى قوله ومايمسك فلا مرسل له من بعده والاصل اناكنا مرسلين رحمة منا فوضع الظاهر موضع الضمير ايذانا بان الربوبية تقتضى الرحمة على المربوبين (انه هو السميع) لاقوالهم (العليم) بأحوالهم (رب) كوفى بدل من ربك وغيرهم بالرفع أى هورب (السموات والارض ومابينهما ان كنتم موقنين) ومعنى الشرط انهم كانوا يقرون بان للسموات والارض ربا وخالقا فقيل لهم ان ارسال الرسل وانزال الكتب رحمة من الرب ثم قيل ان هذا الرب هو السميع العليم الذى أنتم مقرون به ومعترفون بانه رب السموات والارض ومابينهما

ان كان اقراركم عن علم وايقان كما تقول ان هذا انعام زيد لذى تسامع الناس بكرمه ان بلغك حديثه وحدثت بقصته (لااله الاهو يحيي ويميت ربكم) أى هو ربكم (ورب آبائكم الاولين) عطف عليه ثم ردأن يكونوا موقنين بقوله (بل هم فى شك يلعبون) فان اقرارهم غير صادر عن علم وايقان بل قول مخلوط بهزء ولعب (فارتقب) فانتظر يوم (يوم تأتى السماء بدخان) يأتى دخان من السماء قبل يوم القيامة يدخل فى أسماع الكفرة حتى يكون رأس الواحد كالرأس الحنيذ ويعترى المؤمن منه كهيئة الزكام وتكون الارض كلها كبيت أوقد فيه ليس فيه خصاص وقيل ان قريشا لما استعصت على رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف فاصابهم الجهد حتى أكلوا الجيف والعلهز وكان الرجل يرى بين السماء والارض الدخان وكان يحدث الرجل فيسمع كلامه ولايراه من الدخان (مبين) ظاهر حاله لايشك أحد فى أنه دخان (يغشى)

منذرين اى انا انزلنا القرآن لان من عادتنا ارسال الرسل بالكتب الى العباد لاجل الرحمة عليهم ووضع الرب موضع الضمير للاشعار بان الربوبية اقتضت ذلك فانه اعظم انواع التربية اوعلة ليفرق اوامرا ورحمة مفعول به اى يفصل فيها كل امر اوتصدر الاوامر من عندنا لان من شأننا ان نرسل رحمتنا فان فصل كل امر من قسمة الارزاق وغيرها وصدور الاوامر الالهية من باب الرحمة وقرئ رحمة على تلك رحمة ﴿ انه هو السميع العليم ﴾ يسمع اقوال العباد ويعلم احوالهم وهو بما بعده تحقيق لربوبيته وانها لاتحق الا لمن هذه صفاته ﴿ رب السموات والارض ومابينهما ﴾ خبر آخر او استئناف وقرأ الكوفيون بالجر بدلا من ربك ﴿ ان كنتم موقنين ﴾ اى ان كنتم من اهل الايقان فى العلوم او ان كنتم موقنين فى اقراركم اذا سئلتم من خلقها فقلتم الله علمتم ان الامر كما قلنا اوان كنتم مريدين اليقين فاعلموا ذلك ﴿ لااله الاهو ﴾ اذلاخالق سواه ﴿ يحيي ويميت ﴾ كما تشاهدون ﴿ ربكم ورب آبائكم الاولين ﴾ وقرئتا بالجر بدلا ﴿ بل هم فى شك يلعبون ﴾ رد لكونهم موقنين ﴿ فارتقب ﴾ فانتظر لهم ﴿ يوم تأتى السماء بدخان مبين ﴾ يوم شدة ومجاعة فان الجائع يرى بينه وبين السماء كهيئة الدخان من ضعف بصره اولان الهواء يظلم عام القحط لقلة الامطار وكثرة الغبار او لان العرب تسمى الشر الغالب دخانا وقد قحطوا حتى اكلوا جيف الكلاب وعظامها واسناد الاتيان الى السماء لان ذلك يكفه عن الامطار اويوم ظهور الدخان المعدود من اشراط الساعة لما روى انه عليه السلام لما قال اول الآيات الدخان ونزول عيسى ونار تخرج

ربك ﴿انه هو السميع﴾ أى لاقوالهم ﴿العليم﴾ أى باحوالهم ﴿رب السموات والارض ومابينهما ان كنتم موقنين﴾ أى ان الله رب السموات والارض ومابينهما ﴿لا اله الا هو يحيي ويميت ربكم ورب آبائكم الاولين﴾ قوله تعالى ﴿بل هم فى شك﴾ أى من هذا القرآن ﴿يلعبون﴾ أى يهزؤن به لاهون عنه ﴿فارتقب﴾ أى يامحمد ﴿يوم تأتى السماء بدخان مبين

على عباده ارساله الرسل بالكتب (انه هو السميع) لمقالة قريش حيث قالوا ربنا اكشف عنا العذاب (العليم) بهم وبعقوبتهم (رب) خالق (السموات والارض ومابينهما) من الخلق هو الله (ان كنتم موقنين) مصدقين بذلك (لااله) لاخالق (الا هو) الذى خلق السموات والارض (يحيي) للبعث (ويميت) فى الدنيا (ربكم ورب آبائكم الاولين) خالقكم وخالق آبائكم الاقدمين (بل هم) يعنى كفار مكة (فى شك) من قيام الساعة (يلعبون) يهزؤن بقيام الساعة (فارتقب) فانتظر عذابهم يامحمد (يوم تأتى السماء بدخان مبين) بين السماء والارض

من قعر عدن ابين تسوق الناس الى المحشر قيل وماالدخان فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم الآية وقال يملأ مابين المشرق والمغرب يمكث اربعين يوما وليلة اماالمؤمن فيصيبه كهيئة الزكام واماالكافر فهو كالسكران يخرج من منخريه واذنيه ودبره أو يوم القيامة والدخان يحتمل المعنيين ﴿ يغشى الناس ﴾ يحيط بهم صفة الدخان وقوله ﴿ هـذا عذاب اليم ربنـا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون ﴾ مقـدر بقول وقع

يغشى النـاس هذا عذاب أليم ﴾ * (ق) عن مسروق قال كنـا جلوسـا عند عبدالله بن مسعود وهو مضطجع بيننا فاتاه رجل فقال ياأبا عبدالرحمن ان قاصا عند باب كندة يقص ويزعم ان آية الدخان تجئ فتأخذ بانفاس الكفار ويأخذ المؤمنين منها كهيئة الزكام فقام عبدالله وجلس وهو غضبـان فقـال ياأيها النـاس اتقوا الله من علم منكم شيأ فليقل به ومن لايعلم شيأ فليقل الله أعلم فان من العلم ان يقول لما لايعلم الله أعلم فان الله عزوجل قال لنبيه صلى الله عليه وسلم قل ما أسئلكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى من الناس ادبارا قال اللهم سبعا كسبع يوسف وفى رواية لما دعا قريشا فكذبوه واستعصوا عليه قال اللهم أعنى عليهم بسبع كسبع يوسـف فاخذتهم سنة حصت كل شئ حتى أكلوا الجلود والميتة من الجوع وينظر أحدهم الى السماء فيرى كهيئة الدخان فاتاه أبو سفيان فقال يامحمد انك جئت تأمر بطاعة الله وبصلة الرحم وان قومك قد هلكوا فادع الله لهم قال الله عزوجل فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين الى قوله عائدون قال عبد الله أفيكشف عذاب الآخرة يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون فالبطشة يوم بدر وفى رواية للبخارى قالوا ﴿ ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون ﴾ فقيل له ان كشفناه عنهم عادوا فدعا ربه فكشف عنهم فعادوا فانتقم الله منهم يوم بدر فذلك قوله تعالى فارتقب يوم تاتى السماء بدخان مبين الى قوله انا منتقمون قوله حصت كل شئ بالحاء والصاد المهملتين أى أهلكت واستأصلت كل شئ (ق) عن عبدالله بن مسعود قال خمس قدمضين اللزام والروم والبطشة والقمر والدخان قيل أصابهم من الجوع كالظلمة فى أبصارهم وسبب ذلك ان فى سنة القحط العظيم تيبس الارض بسبب انقطاع المطر ويرتفع الغبار ويظلم الهواء والجو وذلك يشبه الدخان وقيل هو دخان يجئ قبل قيام الساعة ولم يات بعد فيدخل فى اسماع الكفار والمنـافقين حتى يكون الرجل رأسه كالرأس الحنيذ يعنى المشوى ويعترى المؤمن منه كهيئة الزكام وتكون الارض كلها كبيت أوقدفيه وهوقول ابن عباس وابن عمر والحسن يدل عليه ماروى البغوى باسناد الثعلبى عن حذيفة بن اليمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول الآيات الدخان ونزول عيسى بن مريم ونار تخرج من قعر عدن أبين تسوق الناس الى المحشر تقيل معهم اذا قالوا قال حذيفة يارسـول الله وما الدخان فتلا هذه الآية يوم تاتى السماء بدخان مبين يملأ مابين المشرق والمغرب يمكث أربعين

(يغشى النـاس) يشملهم ويلبسهم و هو فى محل الجر صفة لدخان وقوله (هذا عذاب أليم ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون) أى سنؤمن ان تكشف عنا العذاب منصوب المحل بفعل مضمر وهو يقولون ويقولون منصوب المحل على الحال أى قائلين ذلك

(يغشى النـاس) ذلك الدخان (هـذا) الدخان (عذاب أليم) وجيع وهوالجوع (ربنا اكشف)قالوا ربنا اكشف (عناالعذاب) يعنى الجوع (انا مؤمنـون) بك وبكتابك ورسولك

(أنى لهم الذكرى) كيف يذكرون ويتعظون ويفون بما وعدوه من الايمان عند كشف العذاب (وقد جاءهم رسول مبين ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون) أى وقد جاءهم ماهو أعظم وأدخل فى وجوب الاذكار من كشف الدخان وهو ماظهر على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الآيات والبينات من الكتاب المعجز وغيره فلم يذكروا وتولوا عنه وبهتوه بان عداسا غلاما

أعجميا لبعض ثقيف هو الذى علمه ونسبوه الى الجنون (انا كاشفوا العذاب قليلا) زمانا قليلا أو كشفا قليلا (انكم عائدون) الى الكفر الذى كنتم فيه أو الى العذاب (يوم نبطش البطشة الكبرى) هى يوم القيامة او يوم بدر (انا منتقمون) أى ننتقم منهم فى ذلك اليوم وانتصاب يوم نبطش باذكر أو بما دل عليه انا منتقمون وهو ننتقم لا بمنتقمون لان مابعد ان لا يعمل فيما قبلها (ولقد فتنا قبلهم) قبل هؤلاء المشركين أى فعلنا بهم فعل المختبر ليظهر منهم ماكان باطنا (قوم فرعون وجاءهم رسول كريم) على الله وعلى عباده المؤمنين أو كريم فى نفسه حسيب نسيب لان الله

حالا وانا مؤمنون وعد بالايمان ان كشف العذاب عنهم ﴿ انى لهم الذكرى ﴾ من اين وكيف يتذكرون بهذه الحالة ﴿ وقد جاءهم رسول مبين ﴾ بين لهم ما هو اعظم منها فى ايجاب الادكار من الآيات والمعجزات ﴿ ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون ﴾ قال بعضهم يعلمه غلام اعجمى لبعض ثقيف وقال آخرون انه مجنون ﴿ انا كاشفوا العذاب ﴾ بدعاء النبى صلى الله عليه وسلم فانه دعا فرفع القحط ﴿ قليلا ﴾ كشفا قليلا او زمانا قليلا وهو مابقى من اعمارهم ﴿ انكم عائدون ﴾ الى الكفر غب الكشف ومن فسر الدخان بما هو من الاشراط قال اذا جاء الدخان غوث الكفار بالدعاء فيكشفه الله عنهم بعد الاربعين فريثما يكشفه عنهم يرتدون ومن فسره بما فى القيامة اوله بالشرط والتقدير ﴿ يوم نبطش البطشة الكبرى ﴾ يوم القيامة او يوم بدر ظرف افعل دل عليه ﴿ انا منتقمون ﴾ لا لمنتقمون فان ان تحجزه عنه اوبدل من يوم تأتى * وقرئ نبطش اى نجعل البطشة الكبرى باطشة بهم او نحمل الملائكة على بطشهم وهو التناول بصولة ﴿ ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون ﴾ امتحناهم بارسال موسى عليه السلام اليهم اواوقعناهم فى الفتنة بالامهال وتوسيع الرزق عليهم * وقرئ بالتشديد للتأكيد اولكثرة القوم ﴿ وجاءهم رسول كريم ﴾ على الله اوعلى المؤمنين اوفى نفسه

يوما وليلة أما المؤمن فيصيبه منه كهيئة الزكام وأما الكافر كمنزلة السكران يخرج من منخريه وأذنيه ودبره ﴿ أنى لهم الذكرى ﴾ أى كيف يتذكرون ويتعظون بهذه الحالة ﴿ وقد جاءهم رسول مبين ﴾ معناه وقد جاءهم ماهو اعظم وأدخل فى وجوب الطاعة وهو ماظهر على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم من المعجزات الظاهرات والآيات البينات الباهرات ﴿ ثم تولوا عنه ﴾ أى أعرضوا عنه ﴿ وقالوا معلم ﴾ أى يعلمه بشر ﴿ مجنون ﴾ أى تلقى اليه الجن هذه الكلمات حال مايعرض له الغشى ﴿ انا كاشفوا العذاب ﴾ أى الجوع ﴿ قليلا ﴾ أى زمنا يسيرا قيل الى يوم بدر ﴿ انكم عائدون ﴾ أى الى كفركم ﴿ يوم نبطش البطشة الكبرى ﴾ هو يوم بدر ﴿ انا منتقمون ﴾ أى منكم فى ذلك اليوم وهو قول ابن مسعود وأكثر العلماء وفى رواية عن ابن عباس أنه يوم القيامة * قوله تعالى ﴿ ولقد فتنا قبلهم ﴾ أى قبل هؤلاء ﴿ قوم فرعون وجاءهم رسول كريم ﴾ أى على الله وهو موسى بن عمر ان عليه (السلام)

(أنى لهم الذكرى) من أين لهم العظة والتوبة اذا كشفنا عنهم العذاب ويقال اذا اهلكناهم يوم بدر ويقال يوم القيامة (وقد جاءهم رسول) محمد صلى الله تعالى عليه وسلم (مبين) يبين لهم بلغة يعلمونها (ثم تولوا عنه) اعرضوا عن الايمان به (وقالوا معلم) يعنون محمدا يعلمه جبر ويسار (مجنون) مخنوق يختنق (انا كاشفوا العذاب) يعنى الجوع (قليلا) يسيرا الى يوم بدر (انكم) يا أهل مكة (عائدون) راجعون الى المعصية فلما رفع عنهم العذاب عادوا الى المعصية فاهلكهم الله يوم بدر لقوله (يوم نبطش البطشة الكبرى) نعاقبهم العقوبة العظمى يوم بدر بالسيف (انا منتقمون) منهم بالعذاب (ولقد فتنا) ابتلينا (قبلهم) قبل قريش (قوم فرعون) فرعون وقومه بالعذاب (وجاءهم رسول كريم) على ربه يعنى موسى

تعالى لم يبعث نبيا الا من سراة قوله وكرامهم (ان أدوا الى) هى ان المفسره لان مجئ الرسل الى من بعث اليهم متضمن لمعنى القول لانه لايجيئهم الا مبشرا ونذيرا وداعيا الى الله أو المخففة من الثقيلة ومعناه وجاءهم بان الشأن والحديث أدوا الى سلموا الى (عباد الله) هو مفعول به وهم بنو اسرائيل يقول أدوهم الى وأرسلوهم معى كقوله أرسل معنا بنى اسرائيل ولاتعذبهم ويجوز أن يكون نداء لهم على معنى أدوا الى ياعباد الله ماهو واجب لى عليكم من الايمان لى وقبول دعوتى واتباع سبيلى وعلل ذلك بقوله (انى لكم رسول أمين) أى على رسالتى غير متهم (وأن لاتعلوا على الله) أن هذه مثل الاولى فى وجهيها أى لاتستكبروا على الله بالاستهانة برسوله ووحيه أولاتستكبروا على نبى الله (انى آتيكم بسلطان مبين) بحجة واضحة تدل على أنى نبى مدغم أبو عمرو وحمزة وعلى (بربى وربكم ان ترجون) ان تقتلونى رجما ومعناه انه عائذ بربه متكل على انه يعصمه منهم ومن كيدهم فهو غير مبال بما كانوا يتوعدونه من الرجم والقتل (وان لم تؤمنوا لى فاعتزلون) أى ان لم تؤمنوا لى فلا موالاة بينى وبين من لا يؤمن فتنحوا عنى أو فخلونى كفافا لالى ولا على ولاتتعرضوا لى بشركم وأذاكم فليس جزاء من دعاكم الى مافيه فلاحكم ذلك ترجمونى فاعتزلونى فى الحالين يعقوب (فدعا ربه) شاكيا قومه (ان هؤلاء قوم مجرمون) بان هؤلاء أى دعا ربه بذلك قيل كان دعاؤه اللهم عجل لهم مايستحقونه باجرامهم وقيل هو قوله ربنا لاتجعلنا فتنة للقوم الظالمين وقرئ ان هؤلاء بالكسر على اضمار القول أى فدعا ربه فقال ان هؤلاء (فاسر) من أسرى فاسر بالوصل حجازى من سرى والقول مضمر بعد الفاء أى فقال اسر (بعبادى) أى بنى اسرائيل (ليلا

اشرف نسبه وفضل حسبه ﴿ان ادوا الى عباد الله﴾ بان ادوهم الى وارسلوهم معى اوبان ادوا الى حق الله من الايمان وقبول الدعوة ياعباد الله ويجوز ان تكون ان مخففة ومفسرة لان مجئ الرسول يكون برسالة ودعوة ﴿انى لكم رسول امين﴾ غير متهم لدلالة المعجزات على صدقه اولائتمان الله اياه على وحيه وهو علة الامر ﴿وان لاتعلوا على الله﴾ ولاتتكبروا عليه بالاستهانة بوحيه ورسوله عليه السلام وان كالاولى فى وجوهها ﴿انى آتيكم بسلطان مبين﴾ علة النهى ولذكر الامين مع الاداء والسلطان مع العلاء شان لايخفى ﴿وانى عذت بربى وربكم﴾ التجأت اليه وتوكلت عليه ﴿ان ترجون﴾ ان تؤذونى ضربا اوشتما اوان تقتلونى * وقرأ ابوعمرو وحمزة والكسائى عت بالادغام ﴿وان لم تؤمنوا لى فاعتزلون﴾ فكونوا بمعزل منى لاعلى ولالى ولاتتعرضوا لى بسوء فانه ليس جزاء من دعاكم الى مافيه فلاحكم ﴿فدعا ربه﴾ بعدما كذبوه ﴿ان هؤلاء﴾ بان هؤلاء ﴿قوم مجرمون﴾ وهو تعريض بالدعاء عليهم بذكر مااستوجبوه به ولذلك سماه دعاء * وقرئ بالكسر على اضمار القول ﴿فاسر بعبادى ليلا﴾

السلام ﴿ أن أدوا الى عباد الله ﴾ أى اطلقوا الى بنى اسرائيل ولاتعذبوهم ﴿ انى لكم رسول أمين ﴾ أى على الوحى ﴿ وان لاتعلوا على الله ﴾ أى لاتتجبروا عليه بترك طاعته ﴿ انى آتيكم بسلطان مبين ﴾ أى ببرهان بين على صدق قولى فلما قال ذلك توعدوه بالقتل فقال ﴿ وانى عذت بربى وربكم ان ترجون ﴾ أى تقتلون وقال ابن عباس تشتمون وتقولوا هذا ساحر وقيل ترجمونى بالحجارة ﴿ وان لم تؤمنوا لى فاعتزلون ﴾ أى فاتركون لامعى ولا على وقال ابن عباس اعتزلوا أذاى باليد واللسان فلم يؤمنوا ﴿ فدعا ربه ان هؤلاء قوم مجرمون ﴾ أى مشركون ﴿ فأسر بعبادى ليلا ﴾ أى أجاب الله دعاءه وأمره أن يسرى ببنى اسرائيل بالليل

(أن أدوا الى) ادفعوا الى وأرسلوا معى (عباد الله) بنى اسرائيل (انى لكم رسول) من الله (أمين) على الرسالة (وان لاتعلوا) لاتتكبروا ولاتفتروا (على الله انى آتيكم بسلطان مبين) بحجة بينة وعذر بين (وانى عذت) اعتصمت (بربى وربكم أن ترجون) من أن تقتلون (وان لم تؤمنوا لى) ان لم تصدقونى بالرسالة (فاعتزلون) فاتركونى لالى ولا على (فدعا ربه ان هؤلاء قوم مجرمون) مشركون اجترموا الهلاك على أنفسهم (فاسر بعبادى) قال الله لموسى سر بعبادى بنى اسرائيل (ليلا) من اول الليل

انكم متبعون) أى دبر الله أن تتقدموا ويتبعكم فرعون وجنوده فينجى المتقدمين ويغرق التابعين (واترك البحر رهوا) ساكنا أراد موسى عليه السلام لما جاوز البحر ان يضربه بعصاه فينطبق فامر بان يتركه ساكنا على هيئته قارا على حاله من انتصاب الماء وكون الطريق يبسا لايضربه بعصاه ولايغير منه شيأ ليدخله القبط فاذا حصلوا فيه أطبقه الله عليهم وقيل الرهو الفجوة الواسعة أى اتركه مفتوحا على حاله منفرجا (انهم جند مغرقون) بعد خروجكم من البحر وقرئ بالفتح أى لانهم (كم) عبارة عن الكثرة منصوب بقوله (تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم) هو ما كان لهم من المنازل الحسنة وقيل المنابر (ونعمة تنعم (كانوا فيها فاكهين) متنعمين (كذلك) أى الامر كذلك فالكاف فى موضع الرفع على انه خبر مبتدأ مضمر (وأورثناها قوما آخرين) ليسوا منهم فى شئ من قرابة ولادين ولا ولاء وهم بنو اسرائيل (فما بكت عليهم السماء والارض) لانهم ماتوا كفارا والمؤمن اذا مات تبكى عليه السماء والارض فيبكى على المؤمن من الارض مصلاه ومن السماء مصعد عمله وعن الحسن أهل السماء والارض

اى فقال اسر اوقال ان كان الامر كذلك فأسر * وقرأ نافع وابن كثير بوصل الهمزة من سرى ﴿انكم متبعون﴾ يتبعكم فرعون وجنوده اذا علموا بخروجكم ﴿واترك البحر رهوا﴾ مفتوحا ذا فجوة واسعة اوساكنا على هيئته بعدما جاوزته ولاتضربه بعصاك ولاتغير شيأ ليدخله القبط ﴿انهم جند مغرقون﴾ وقرئ بالفتح بمعنى لانهم ﴿كم تركوا﴾ كثيرا تركوا ﴿من جنات وعيون وزروع ومقام كريم﴾ محافل مزينة ومنازل حسنة ﴿ونعمة﴾ وتنعم ﴿كانوا فيها فاكهين﴾ متنعمين وقرئ فكهين ﴿كذلك﴾ مثل ذلك الاخراج اخرجناهم منها اوالامر كذلك ﴿واورثناها﴾ عطف على الفعل المقدر اوعلى تركوا ﴿قوما آخرين﴾ ليسوا منهم فى شئ وهم بنو اسرائيل وقيل غيرهم لانهم لم يعودوا الى مصر ﴿فما بكت عليهم السماء والارض﴾

﴿انكم متبعون﴾ أى يتبعكم فرعون وقومه ﴿واترك البحر﴾ أى اذا قطعته أنت وأصحابك ﴿رهوا﴾ أى ساكنا والمعنى لاتامره أن يرجع بل اتركه على حالته حتى يدخله فرعون وقومه وقيل اتركه طريقا يابسا وذلك انه لما قطع موسى البحر رجع ليضربه بعصاه ليلتئم وخاف ان يتبعه فرعون بجنوده فقيل لموسى اترك البحر كما هو ﴿انهم جند مغرقون﴾ يعنى أخبر موسى بغرقهم ليطمئن قلبه فى تركه البحر كما هو ﴿كم تركوا﴾ أى بعد الغرق ﴿من جنات وعيون وزروع ومقام كريم﴾ أى مجلس شريف حسن ﴿ونعمة﴾ أى وعيش لين رغد ﴿كانوا فيها﴾ أى فى تلك النعمة ﴿فاكهين﴾ أى ناعمين وقرئ فكهين أى أشرين بطرين ﴿كذلك﴾ أى افعل بمن عصانى ﴿وأورثناها قوما آخرين﴾ يعنى بنى اسرائيل ﴿فما بكت عليهم السماء والارض﴾ وذلك ان المؤمن اذا مات تبكى عليه السماء والارض أربعين صباحا وهؤلاء لم يكن يصعد لهم عمل صالح فتبكى السماء على فقده ولا لهم على الارض عمل صالح فتبكى الارض عليه عن أنس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال مامن مؤمن الاوله بابان باب يصعد منه عمله وباب ينزل منه رزقه فأذا مات بكيا عليه فذلك قوله تعالى فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين أخرجه الترمذى وقال حديث غريب لانعرفه مرفوعا الا من هذا الوجه قيل بكاء السماء حمرة أطرافها وقال مجاهد ما مات مؤمن الابكت عليه السماء والارض أربعين صباحا فقيل أوتبكى

(انكم متبعون) فى البحر (واترك البحر رهوا) طرقا واسعة بقدر ماعبر موسى وقومه (انهم) يعنى فرعون وقومه (جند مغرقون) (فقال) فى البحر (كم تركوا) خلفوا (من جنات) بساتين (وعيون) ماء ظاهر فى البساتين (وزروع) حروث (ومقام كريم) منازل حسنة (ونعمة كانوا فيها فاكهين) معجبين (كذلك) فعلنا بهم (وأورثناها قوما آخرين) جعلت ميراثا لبنى اسرائيل من بعدهم (فما بكت عليهم) على فرعون وقومه (السماء) باب السماء (والارض) ولا مصلاه على الارض لان المؤمن اذا مات بكى عليه باب السماء الذى يصعد منه عمله وينزل منه رزقه ومصلاه فى الارض التى كان يصلى فيها ولم يبك على فرعون وقومه لانه

(وماكانوا منظرين) أي لم ينظروا الى وقت آخر ولم يمهلوا (ولقدنجينابني اسرائيل من العذاب المهين) أي الاستخدام والاستعباد وقتل الاولاد (من فرعون) بدل من العذاب المهين باعادة الجار كانه في نفسه كان عذابا مهينا لافراطه في تعذيبهم واهانتهم أوخبر مبتدأ محذوف أي ذلك من فرعون (انه كان عاليا) متكبرا (من المسرفين) خبر ثان أي كان متكبرا مسرفا (ولقد اخترناهم) أي بني اسرائيل (على علم) حال من ضمير الفاعل أي عالمين بمكان الخيرة وبانهم أحقاء بان يختاروا (على العالمين) على عالمي زمانهم (وآتيناهم من الآيات) كفلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى وغير ذلك (مافيه بلاء مبين) نعمة ظاهرة أو اختبار ظاهر لننظر كيف يعملون (ان هؤلاء) يعني كفار قريش (ليقولون ان هي) ماالموتة (الا موتتنا الاولى) والاشكال ان الكلام وقع في الحياة الثانية لافي الموت فهلا قيل ان هي الاحياتنا الدنيا ومامعنى ذكر الاولى كانهم وعدوا موتة أخرى حتى جحدوها وأثبتوا الاولى والجواب انه قيل لهم انكم تموتون موتة تتعقبها حياة كما تقدمتكم موتة قد تعقبتها حياة وذلك قوله تعالى وكنتم أمواتا فاحياكم

مجاز عن عدم الاكتراث بهلاكهم والاعتداد بوجودهم كقولهم بكت عليهم السماء وكسفت لمهلكهم الشمس في نقيض ذلك ومنه ماروى في الاخبار ان المؤمن ليبكي عليه مصلاه ومحل عبادته ومصعد عمله ومهبط رزقه وقيل تقديره فمابكت عليهم اهل السماء والارض ﴿ وماكانوا منظرين ﴾ ممهلين الى وقت آخر ﴿ ولقدنجينا بني اسرائيل من العذاب المهين ﴾ من استعباد فرعون وقتله ابناءهم ﴿ من فرعون ﴾ بدل من العذاب على حذف المضاف اوجعله عذابا لافراطه في التعذيب اوحال من المهين بمعنى واقعا من جهته * وقرئ من فرعون على الاستفهام تنكيراله لنكرماكان عليه من الشيطنة ﴿ انه كان عاليا ﴾ متكبرا ﴿ من المسرفين ﴾ في العتو والشرارة وهو خبر ثان اي كان متكبرا مسرفا اوحال من الضمير في عاليا اي كان رفيع الطبقة من بينهم ﴿ ولقد اخترناهم ﴾ اخترنا بني اسرائيل ﴿ على علم ﴾ عالمين بانهم احقاء بذلك اومع علم منابانهم يزيغون في بعض الاحوال ﴿ على العالمين ﴾ لكثرة الانبياء فيهم اوعلى عالمي زمانهم ﴿ وآتيناهم من الآيات ﴾ كفلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى ﴿ مافيه بلاء مبين ﴾ نعمة جلية اواختبار ظاهر ﴿ ان هؤلاء ﴾ يعني كفار قريش لان الكلام فيهم وقصة فرعون وقومه مسوقة للدلالة على انهم مثلهم في الاصرار على الضلالة والانذار عن مثل ماحل بهم ﴿ ليقولون ان هي الاموتتنا الاولى ﴾ ما العاقبة ونهاية الامر الا

فقال ومالارض لاتبكي على عبد كان يعمرها بالركوع والسجود ومالسماء لاتبكي على عبد كان لتسبيحه وتكبيره فيها دوي كدوي النحل وقيل المراد أهل السماء وأهل الارض ﴿ وماكانوا منظرين ﴾ أي لم يمهلوا حين أخذهم العذاب لتوبة ولا لغيرها * قوله عزوجل ﴿ ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب المهين ﴾ أي من قتل الابناء واستحياء النساء والتعب في العمل ﴿ من فرعون انه كان عاليا ﴾ أي جبارا ﴿ من المسرفين ولقد اخترناهم على علم ﴾ أي علمه الله تعالى فيهم ﴿ على العالمين ﴾ أي عالمي زمانهم ﴿ وآتيناهم من الآيات مافيه بلاء مبين ﴾ أي نعمة بينة من فلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى والنعم التي أنعمنا بها عليهم وقيل ابتلاءهم بالرخاء والشدة ﴿ ان هؤلاء ﴾ يعني مشركي مكة ﴿ ليقولون ان هي الا موتتنا الاولى ﴾ أي لاموتة لنا الا هذه التي نموتها في الدنيا ولا بعث بعدها

لم يكن لهم باب في السماء لرفع عملهم ولا مصلى في الارض (وماكانوا منظرين) مؤجلين من الغرق (ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب المهين) الاليم الشديد (من فرعون وقومه) من ذبح الابناء واستخدام النساء وغير ذلك (انه كان عاليا) مخالفا عاتيا (من المسرفين) في الشرك (ولقد اخترناهم) اخترنا بني اسرائيل (على علم) كما علمنا (على العالمين) عالمي زمانهم بالمن والسلوى والكتاب والرسول والنجاة من فرعون وقومه والنجاة من الغرق (وآتيناهم) اعطيناهم (من الآيات) من العلامات (مافيه بلاء مبين) نعمة عظيمة ويقال اختبار بين وهو الذي نجاهم من فرعون ومن الغرق وانزل عليهم المن والسلوى في التيه وغير ذلك (ان هؤلاء) قومك يامحمد (ليقولون ان هي) ماهي اي حياتنا (الاموتتنا) بعد موتتنا (الاولى)

ثم يميتكم ثم يحييكم فقالوا ان هى الا موتتنا الاولى يريدون ما الموتة التى من شأنها ان يتعقبها حياة الا الموتة الاولى فلا فرق اذا بين هـذا وبين قوله الا حياتنـا الدنيـا فى المعنى ويحتمل أن يكون هـذا انكارا لما فى قوله ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنـا اثنتين (و مانحن بمنشرين) بمبعوثين يقـال انشر الله الموتى ونشرهم اذا بعثهم (فأتوا بآبائنا) خطاب للذين كانوا يعدونهم النشور من رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين (ان كنتم صادقين) أى ان صدقتم فيما تقولون فعجلوا لنا احياء من مات من آبائنا بسؤالكم ذلك حتى يكون دليلا على ان ما تعدونه من قيام الساعة وبعث الموتى حق (أهم خير) فى القوة والمنعة (أم قوم تبع) هو تبع الحميرى كان مؤمنا وقومه كافرين وقيل كان نبيا وفى الحديث ما أدرى أكان تبع نبيا أو غير نبي

الموتة الاولى المزيلة للحياة الدنيوية ولا قصد فيه الى اثبات ثانية كما فى قولك حج زيد الحجة الاولى ومات وقيل لما قيل لهم انكم تموتون موتة يعقبهـا حياة كما تقـدمتكم موتة كذلك قالوا ان هى الا موتتنـا الاولى اى ما الموتـة التى من شأنهـا تلك الا الموتة الاولى ﴿ ومانحن بمنشرين ﴾ بمبعوثين ﴿ فأتوا بآبائنـا ﴾ خطـاب لمن وعدهم بالنشور من الرسل والمؤمنين ﴿ ان كنتم صادقين ﴾ فى وعدكم ليدل عليه ﴿ اهم خير ﴾ فى القوة والمنعة ﴿ أم قوم تبع ﴾ تبع الحميرى الذى سـار بالجيوش

وهو قوله ﴿ ومانحن بمنشرين ﴾ أى بمبعوثين بعد موتتنا هذه ﴿ فأتوا بآبائنا ﴾ أى الذين ماتوا قبل ﴿ ان كنتم صـادقين ﴾ أى انا نبعث أحياء بعد الموت قيل طلبوا من النبى صلى الله عليه وسلم أن يحيي لهم قصى بن كلاب ثم خوفهم مثل عذاب الامم الخالية فقال تعالى ﴿ أهم خير أم قوم تبع ﴾ أى ليسوا خيرا من قوم تبع يعنى فى الشدة والقوة والكثرة قيل هو تبع الحميرى وكان من ملوك اليمن سمى تبعـا لكثرة اتبـاعه وقيل كل واحـد من ملوك اليمن يسمى تبعـا لانه يتبع صـاحبه الذى قبـله كما يسمى فى الاسلام خليفة وكان تبع هذا يعبد النار فاسلم ودعا قومه وهم حمير الى الاسـلام فكذبوه عن سهل بن سعد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لاتسبوا تبعا فانه كان قد أسلم أخرجه أحمد بن حنبل فى مسنده وعن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أدرى أكان تبع نبيا أو غير نبى وعن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت لاتسبوا تبعا فانه كان رجلا صالحا ﴿وكان من قصته على ماذكر محمد بن اسحق وغيره وذكره عكرمة عن ابن عباس قالوا كان تبع الآخر وهو أبو كرب أسـعد بن مليك وكان سـار بالجيوش نحو المشرق حتى حير الحيرة وبنى سمرقند ورجع من قبل المشرق فجعل طريقه على المدينة وقد كان حين مربها خلف بين أظهرهم ابناله فقتل غيلة فقدمهـا وهو مجمع على خرابها واستئصـال أهلها فجمع له هذا الحى من الانصـار حين سمعوا بذلك من أمره فخرجوا لقتاله فكان الانصار يقاتلونه بالنهار ويقرونه بالليل فاعجبه ذلك وقال ان هؤلاء لكرام فبينما هو كذلك اذجاءه حبران عالمان من أحبـار بنى قريظة وكانا ابنى عم اسم أحدهما كعب والآخر أسـد حين سمعا مايريد من اهلاك المدينة وأهلها فقالا له أيها الملك لاتفعل فانك ان أبيت الا ماتريد حيل بينك وبينه ولم نأمن عليك عاجل العقوبة فان هذه المدينة مهاجر نبى يخرج من هذا الحى من قريش اسمه محمد مولده بمكة وهـذه دار هجرته ومنزلك الذى أنت فيه يكون به من القتل والجراح أمر كبير فى أصحابه و فى عدوهم قال تبع ومن يقـاتله وهو نبى قالا يسير اليـه قومه فيقتتلون ههنا فتناهى الى قولهما عما كان يريد بالمدينة ثم انهما دعواه الى دينهما فاجابهما واتبعهما على دينهما و أكرمهما وانصرف عن المدينة وخرج بهما ونفر من اليهود عامدين الى اليمن فاتاه فى الطريق نفر من هذيل وقالوا

(وما نحن بمنشرين) بمحيين بعد الموت (فأتوا بآبائنا) فاحى يا محمد آباؤنا الذين ماتوا حتى نسألهم أحق ما تقول أم باطل (ان كنتم صادقين) ان كنت من الصادقين ان نبعث بعد الموت قال الله تعالى (أهم خير) أقومك خير (أم قوم تبع) حمير واسمه اسعد بن ملكيكوب وكنيته ابوكرب سمى تبعا لكثرة تبعه

(له)

وحير الحيرة وبنى سمرقند وقيل هدمها وكان مؤمنا وقومه كافرين ولذلك ذمهم دونه وعنه عليه الصلاة والسلام ما ادرى أكان تبع نبيا أم غير نبى وقيل لملوك اليمن التبابعة لانهم يتبعون كما قيل الاقيال لانهم يتقيلون ﴿ والذين من قبلهم ﴾ كعاد وثمود ﴿ اهلكناهم ﴾ استئناف بمآل قوم تبع والذين من قبلهم هدد به كفار قريش اوحال باضمار قد اوخبر من الموصول ان استؤنف به ﴿ انهم كانوا مجرمين ﴾ بيان للجامع المقتضى للاهلاك ﴿ وماخلقنا السموات والارض ومابينهما ﴾ اى وما بين الجنسين وقرئ ومابينهن ﴿ لاعبين ﴾ لاهين وهو دليل على صحة الحشر كما مر فى الانبياء وغيرها ﴿ ماخلقناهما الا بالحق ﴾ الابسبب الحق الذى اقتضاه الدليل من الايمان والطاعة او البعث والجزاء ﴿ ولكن اكثرهم لايعلمون ﴾ لقلة نظرهم ﴿ ان يوم الفصل ﴾ فصل الحق عن الباطل او المحق عن المبطل بالجزاء اوفصل الرجل عن اقاربه

له انا ندلك على بيت فيه كنز من لؤلؤ وزبرجد وفضة قال أى بيت هذا قالوا بيت بمكة وانما أراد هذيل هلاكه لانهم عرفوا انه لم يرده أحد بسوء الا هلك فذكر الملك ذلك للاحبار فقالوا مانعلم لله فى الارض بيتا غير هذا البيت الذى بمكة فاتخذه مسجدا وانسك عنده وانحر واحلق رأسك وما أراد القوم الا هلاكك وما ناواه أحد قط الاهلك فاكرمه واصنع عنده مايصنعه أهله فلما قالوا له ذلك أخذ أولئك النفر من هذيل فقطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم ثم صلبهم فلما قدم مكة شرفها الله تعالى نزل بالشعب شعب المطابخ وكسا البيت الوصائل وهى برود تصنع باليمن وهو أول من كسا البيت ونحر بالشعب ستة آلاف بدنة وأقام به ستة أيام وطاف به وحلق وانصرف فلما دنا من اليمن ليدخلها حالت حمير بينه وبين ذلك وقالوا له لاتدخلها علينا وأنت قد فارقت ديننا فدعاهم الى دينه وقال انه دين خير من دينكم قالوا فحاكمنا الى النار وكانت باليمن نار فى أسفل جبل يتحاكمون اليها فيما يختلفون فيه فتأكل الظالم ولاتضر المظلوم قال تبع أنصفتم فخرج القوم باوثانهم ومايتقربون به فى دينهم وخرج الحبران ومصاحفهما فى أعناقهما حتى قعدوا للنار عند مخرجها الذى تخرج منه فخرجت النار فاقبلت حتى غشيتهم فاكلت الاوثان وماقربوا معها ومن حمل ذلك من رجال حمير وخرج الحبران بمصاحفهما يتلوان التوراة تعرق جباههما لم تضرهما النار ونكصت فى النار حتى رجعت الى مخرجها الذى خرجت منه فاصفقت عند ذلك حمير على دينها فمن هناك كان أصل اليهودية باليمن وقال الرياشى كان أبوكرب أسعد الحميرى من التبابعة ممن آمن بالنبى محمد صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث بسبعمائة سنة وقال كعب ذم الله قومه ولم يذمه قوله تعالى ﴿ والذين من قبلهم ﴾ أى من الامم الكافرة ﴿ أهلكناهم انهم كانوا مجرمين وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ماخلقناهما الا بالحق ﴾ أى بالعدل وهو الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية ﴿ ولكن اكثرهم لايعلمون ﴾ قوله عزوجل ﴿ ان يوم الفصل ﴾ أى

(والذين من قبلهم) مرفوع بالعطف على قوم تبع (أهلكناهم انهم كانوا مجرمين) كافرين منكرين للبعث (وماخلقنا السموات والارض ومابينهما) أى ومابين الجنسين (لاعبين) حال ولو لم يكن بعث ولاحساب ولاثواب كان خلق الخلق للفناء خاصة فيكون لعبا (ماخلقناهما الابالحق) بالجد ضد اللعب (ولكن أكثرهم لايعلمون) انه خلق لذلك (ان يوم الفصل) بين المحق والمبطل وهو يوم القيامة

(والذين من قبلهم) من قبل قوم تبع (اهلكناهم انهم كانوا مجرمين) مشركين افلا يخاف قومك من هلاكهم وعذابهم (وماخلقنا السموات والارض ومابينهما) من الخلق (لاعبين) لاهين (ما خلقناهما الابالحق) للحق لا للباطل (ولكن اكثرهم) اهل مكة (لا يعلمون) ذلك ولايصدقون (ان يوم الفصل) يوم القضاء بين الخلائق

(ميقاتهم أجمعين) وقت موعدهم كلهم (يوم لايغنى مولى عن مولى شيأ) أى ولى كان عن أى ولى كان شيأ من اغناء أى قليلا منه (ولاهم ينصرون) الضمير للمولى لانهم فى المعنى كثير لتناول اللفظ على الابهام والشياع كل مولى (الا من رحم الله) فى محل الرفع على البدل من الواو فى ينصرون أى لايمنع من العذاب الا من رحمه الله (انه هوالعزيز) الغالب على اعدائه (الرحيم) لاوليائه (ان شجرة الزقوم) هى على صورة شجرة الدنيا لكنها فى النار والزقوم ثمرها وهو كل طعام ثقيل (طعام الاثيم) هوالفاجر الكثير الآثام وعن أبى الدرداء انه كان يقرئ رجلا فكان يقول طعام اليتيم فقال قل طعام الفاجر ياهذا وبهذا نستدل على ان ابدال الكلمة مكان الكلمة جائز اذا كانت مؤدية معناها ومنه أجاز أبو حنيفة رضى الله عنه القراءة بالفارسية بشرط أن يؤدى القارئ المعانى كلها على كمالها من غير أن يخرم منها شيأ قالوا وهذه الشريطة تشهد انها اجازة كلا اجازة لان فى كلام العرب خصوصا فى القرآن الذى هو معجز بفصاحته وغرابة نظمه واساليبه من لطائف المعانى والدقائق مالا يستقل باداته لسان من فارسية وغيرها ويروى رجوعه الى قولهما وعليه الاعتماد (كالمهل) هو دردى الزيت والكاف رفع خبر بعد خبر (تغلى فى البطون) وبالياء مكى وحفص فالتاء للشجرة والياء للطعام (كغلى الحميم) أى الماء الحار الذى انتهى غليانه ومعناه غليا كغلى الحميم فالكاف منصوب المحل ثم يقال للزبانية

واحبائه ﴿ ميقاتهم ﴾ وقت موعدهم ﴿ اجمعين ﴾ وقرئ ميقاتهم بالنصب على انه الاسم اى ان ميعاد جزائهم فى يوم الفصل ﴿ يوم لايغنى ﴾ بدل من يوم الفصل او صفة لميقاتهم اوظرف لمادل عليه الفصل لاله للفصل ﴿ مولى ﴾ من قرابة او غيرها ﴿ عن مولى ﴾ اى مولى كان ﴿ شيأ ﴾ شيأ من الاغناء ﴿ ولاهم ينصرون ﴾ الضمير لمولى الاول باعتبار المعنى لانه عام ﴿ الا من رحم الله ﴾ بالعفو عنه وقبول الشفاعة فيه ومحله الرفع على البدل من الواو اوالنصب على الاستثناء ﴿ انه هوالعزيز ﴾ لاينصر منه من اراد تعذيبه ﴿ الرحيم ﴾ لمن اراد ان يرحمه ﴿ ان شجرة الزقوم ﴾ وقرئ بكسر الشين ومعنى الزقوم سبق فى الصافات ﴿ طعام الاثيم ﴾ الكثير الآثام والمراد به الكافر لدلالة ماقبله ومابعده عليه ﴿ كالمهل ﴾ وهو مايمهل فى النار حتى يذوب وقيل دردى الزيت ﴿ تغلى فى البطون ﴾ وقرأ ابن كثير وحفص ورويس بالياء على ان الضمير للطعام او الزقوم لا المهل اذ الاظهر ان الجملة حال من احدهما ﴿ كغلى الحميم

الذى يفصل الله فيه بين العباد ﴿ ميقاتهم أجمعين ﴾ أى يوافى يوم القيامة الاولون والآخرون ﴿ يوم لايغنى مولى عن مولى شيأ ﴾ أى لاينفع قريب قريبه ولايدفع عنه شيأ ﴿ ولاهم ينصرون ﴾ اى يمنعون من عذاب الله ﴿ الا من رحم الله ﴾ يعنى المؤمنين فانه يشفع بعضهم لبعض ﴿ انه هوالعزيز ﴾ أى فى انتقامه من أعدائه ﴿ الرحيم ﴾ أى باوليائه المؤمنين قوله تعالى ﴿ ان شجرة الزقوم طعام الاثيم ﴾ أى ذى الاثم وهو أبوجهل ﴿ كالمهل ﴾ أى كدردى الزيت الاسود ﴿ يغلى فى البطون ﴾ أى فى بطون الكفار ﴿ كغلى الحميم ﴾ يعنى كالماء الحار اذا اشتد غليانه عن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله كالمهل قال كعكر الزيت فاذا قرب الى وجهه سقطت فروة وجهه فيه أخرجه الترمذى وقال لانعرفه الا من حديث رشد بن سعد وقد تكلم فيه من قبل حفظه عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولاتموتن الا وأنتم مسلمون ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لوأن قطرة من الزقوم قطرت فى دار الدنيا لافسدت على أهل الدنيا معايشهم فكيف بمن تكون طعامه أخرجه (الترمذى)

(ميقاتهم) ميعادهم (اجمعين يوم لايغنى مولى عن مولى شيأ) ولى حميم يعنى قرابة عن قرابة شيأ وكافر عن كافر وقريب عن قريب شيأ من الشفاعة ولا من عذاب الله (ولاهم ينصرون) يمنعون عما يراد بهم من العذاب (الا من رحم الله) من المؤمنين فانهم ليسوا كذلك ولكن يشفع بعضهم لبعض (انه هوالعزيز) بالنقمة من الكافرين (الرحيم) بالمؤمنين (ان شجرة الزقوم طعام الاثيم) طعام الفاجر فى النار ابى جهل واصحابه (كالمهل) سوداء كدردى الزيت ويقال حارة كالفضة المذابة (يغلى فى البطون كغلى الحميم) الماء الحار

(خذوه) أي الاثيم (فاعتلوه) فقودوه بعنف وغلظة فاعتلوه مكي ونافع وشامي وسهل ويعقوب (الى سواء الجحيم) الى وسطها ومعظمها (ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم) المصبوب هو الحميم لا عذابه الا انه اذا صب عليه الحميم فقد صب عليه عذابه وشدته وصب العذاب استعارة ويقال له (ذق انك أنت العزيز الكريم) على سبيل الهزء والتهكم انك أي لانك على (ان هذا) أي العذاب أو هذا الامر هو (ما كنتم تمترون) تشكون (ان المتقين في مقام) بالفتح وهو موضع القيام والمراد المكان وهو من الخاص الذي وقع

مستعملا في معنى العموم وبالضم مدني وشامي وهو موضع الاقامة (أمين) من أمن الرجل أمانة فهو أمين وهو ضد الخائن فوصف به المكان استعارة لان المكان المخيف كانما يخوف صاحبه بما يلقى فيه من المكاره (في جنات وعيون) بدل من مقام أمين (يلبسون من سندس) مارق من الديباج (واستبرق) ماغلظ منه وهو تعريب استبر واللفظ اذا عرب خرج من أن يكون أعجميا لان معنى التعريب ان يجعل عربيا بالتصرف فيه وتغييره عن منهاجه واجرائه على أوجه الاعراب فساغ أن يقع

غليانا مثل غليه ﴿ خذوه ﴾ على ارادة القول والمقول له الزبانية ﴿ فاعتلوه ﴾ فجروه والعتل الاخذ بمجامع الشئ وجره بقهر وقرأ الحجازيان وابن عامر ويعقوب بالضم وهما لغتان ﴿ الى سواء الجحيم ﴾ وسطه ﴿ ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم ﴾ كان اصله يصب من فوق رؤسهم الحميم فقيل يصب من فوق رؤسهم عذاب هو الحميم للمبالغة ثم اضيف العذاب الى الحميم للتخفيف وزيد من للدلالة على ان المصبوب بعض هذا النوع ﴿ ذق انك انت العزيز الكريم ﴾ اى وقولوا له ذلك استهزاء به وتقريعا على ما كان يزعمه ﴿ وقرأ الكسائي انك بالفتح اى ذق لانك او عذاب انك ﴿ ان هذا ﴾ اى هذا العذاب ﴿ ما كنتم به تمترون ﴾ تشكون وتمارون فيه ﴿ ان المتقين في مقام ﴾ في موضع اقامة وهو قراءة نافع وابن عامر والباقون بفتح الميم ﴿ امين ﴾ يأمن صاحبه من الآفة والانتقال ﴿ في جنات وعيون ﴾ بدل من مقام جئ به للدلالة على نزاهته واشتماله على ما يستلذ به من المآكل والمشارب ﴿ يلبسون من سندس واستبرق ﴾ خبر ثان او حال من الضمير في الجار او استئناف والسندس مارق من الحرير

الترمذي وقال حديث حسن صحيح قوله تعالى ﴿ خذوه ﴾ أى يقال للزبانية خذوه يعنى الاثيم ﴿ فاعتلوه ﴾ أى ادفعوه وسوقوه بالعنف ﴿ الى سواء الجحيم ﴾ أى الى وسط النار ﴿ ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم ﴾ قيل ان خازن النار يضرب على رأسه فينقب رأسه من دماغه ثم يصب فيه ماء حميما قد انتهى حره ثم يقال له ﴿ ذق ﴾ أى هذا العذاب ﴿ انك أنت العزيز الكريم ﴾ أى عند قومك بزعمك وذلك أن أبا جهل لعنه الله كان يقول أنا أعز أهل الوادى وأكرمهم فيقول له خزنة النار هذا على طريق الاستخفاف والتوبيخ ﴿ ان هذا ما كنتم به تمترون ﴾ أى تشكون فيه ولا تؤمنون به ثم ذكر مستقر المتقين فقال تعالى ﴿ ان المتقين في مقام أمين ﴾ أى في مجلس أمنوا فيه من الغير ﴿ في جنات وعيون يلبسون من سندس واستبرق ﴾ قيل السندس مارق من الديباج والاستبرق ماغلظ منه وهو معرب استبر فان قلت كيف ساغ أن يقع في القرآن العربي المبين لفظ اعجمى قلت اذا عرب خرج من أن يكون أعجميا لان معنى التعريب أن يجعل عربيا بالتصرف فيه وتغييره عن منهاجه

(خذوه) يقول الله للزبانية خذوا ابا جهل (فاعتلوه) فتلتلوه ويقال فسوقوه واذهبوا به (الى سواء الجحيم) الى وسط النار (ثم صبوا فوق رأسه) على رأسه (من عذاب الحميم) من ماء حار بعدما يضرب رأسه بمقامع الحديد (ذق) يا اباجهل (انك انت العزيز) في قومك (الكريم) عليهم ويقال انك انت العزيز المتعزز في قومك الكريم المتكرم عليهم (ان هذا) يعني العذاب (ما كنتم به تمترون) تشكون في الدنيا انه لا يكون (ان المتقين) من الكفر والشرك والفواحش يعنى ابابكر واصحابه (في مقام) مكان (امين) من الموت والزوال والعذاب (في جنات) بساتين (وعيون) انهار الخمر والماء واللبن والعسل (يلبسون من سندس) مالطف من الديباج (واستبرق) وماثخن من الديباج

فى القرآن العربى (متقابلين) فى مجالسهم وهو أتم للانس (كذلك) الكاف مرفوعة أى الامر كذلك (وزوجناهم) وقرناهم ولهذا عدى بالباء (بحور) جمع حوراء وهى الشديدة سواد العين والشديدة بياضها (عين) جمع عيناء وهى واسعة العين (يدعون فيها) يطلبون فى الجنة (بكل فاكهة آمنين) من الزوال والانقطاع وتولد الضرر من الاكثار (لايذوقون فيها) اى فى الجنة (الموت) البتة (الاالموتة الاولى) اى سوى الموتة الاولى التى ذاقوها فى الدنيا وقيل لكن الموتة قد ذاقوها فى الدنيا (ووقاهم عذاب الجحيم فضلامن ربك) اى للفضل فهو مفعول له او مصدر مؤكد لماقبله لان قوله ووقاهم عذاب الجحيم تفضل منه لهم لان العبد لا يستحق على الله شيأ (ذلك) أى صرف العذاب ودخول الجنة (هو الفوز العظيم فانما يسرناه) اى الكتاب وقد جرى ذكره فى اول السورة (بلسانك لعلهم يتذكرون) يتعظون

والاستبرق ماغلظ منه معرب اومشتق من البراقة ﴿ متقابلين ﴾ فى مجالسهم ليستأنس بعضهم ببعض ﴿ كذلك ﴾ الامر كذلك او اثبناهم مثل ذلك ﴿ وزوجناهم بحور عين ﴾ وقرناهم بهن ولذلك عدى بالباء والحوراء البيضاء والعيناء عظيمة العينين واختلف فى انهن نساء الدنيا اوغيرهن ﴿ يدعون فيها بكل فاكهة ﴾ يطلبون ويأمرون باحضار مايشتهون من الفواكه لايتخصص شئ منها بمكان ولازمان ﴿ آمنين ﴾ من الضرر ﴿ لايذوقون فيها الموت الاالموتة الاولى ﴾ بل يحيون فيها دائما والاستثناء منقطع او متصل والضمير للآخرة والموت اول احوالها اوالجنة والمؤمن يشارفها بالموت ويشاهدها عنده فكأنه فيها اوالاستثناء للمبالغة فى تعميم النفى وامتناع الموت فكأنه قال لايذوقون فيها الموت الا اذا امكن ذوق الموتة الاولى فى المستقبل ﴿ ووقيهم عذاب الجحيم ﴾ وقرئ ووقيهم على المبالغة ﴿ فضلا من ربك ﴾ اى اعطوا كل ذلك عطاء وتفضلا منه ﴿ وقرئ بالرفع اى ذلك فضل ﴿ ذلك هو الفوز العظيم ﴾ لانه خلاص عن المكاره وفوز بالمطالب ﴿ فانما يسرناه بلسانك ﴾ سهلناه حيث انزلناه بلغتك وهو فذلكة للسورة ﴿ لعلهم يتذكرون ﴾ لعلهم يفهمونه فيتذكرون به لما لم

واجرائه على أوجه الاعراب ﴿متقابلين﴾ أى يقابل بعضهم بعضا ﴿كذلك﴾ أى كما اكرمناهم بما وصفنا من الجنات والعيون واللباس كذلك (و) اكرمناهم بان ﴿زوجناهم بحور عين﴾ اى قرناهم بهن وليس هو من عقد التزويج وقيل جعلناهم ازواجا لهن اى جعلناهم اثنين اثنين والحور من النساء النقيات البيض وقيل يحار الطرف من بياضهن وصفاء لونهن وقيل الحور الشديدات بياض العينين ﴿ يدعون فيها بكل فاكهة ﴾ يعنى ارادوها واشتهوها ﴿ آمنين ﴾ اى من نفادها ومن مضرتها وقيل آمنين فيها من الموت والاوصاب والشيطان ﴿ لايذوقون فيها الموت الاالموتة الاولى ﴾ اى لا يذوقون فى الجنة الموت البتة سوى الموتة التى ذاقوها فى الدنيا وقيل الا بمعنى لكن وتقديره لايذوقون فيها الموت لكن الموتة الاولى قد ذاقوها وقيل انما استثنى الموتة من موت الجنة لان السعداء حين يموتون يصيرون بلطف الله الى اسباب الجنة يلقون الروح والريحان ويرون منازلهم فى الجنة فكان موتهم فى الدنيا كأنه فى الجنة لاتصالهم باسبابها ومشاهدتهم اياها ﴿ ووقاهم عذاب الجحيم فضلا من ربك ﴾ يعنى كل ماوصل اليه المتقون من الخلاص من عذاب النار والفوز بالجنة انما حصل لهم ذلك بفضل الله تعالى وفعل ذلك بهم تفضلا منه ﴿ ذلك هو الفوز العظيم فانما يسرناه بلسانك ﴾ اى سهلنا القرآن على لسانك كناية عن غير مذكور ﴿ لعلهم يتذكرون ﴾ اى يتعظون

(متقابلين) فى الزيادة (كذلك) هكذا مقام المؤمنين فى الجنة (وزوجناهم) قرناهم فى الجنة (بحور) بجوار بيض (عين) عظام الاعين حسان الوجوه (يدعون فيها) يسألون فى الجنة ويقال يتعاطون فى الجنة (بكل فاكهة) بالوان كل فاكهة (آمنين) من الموت والزوال والعذاب (لايذوقون فيها) فى الجنة (الموت الاالموتة الاولى) بعد موتهم فى الدنيا (ووقاهم) رفع عنهم ربهم (عذاب الجحيم) عذاب النار (فضلا من ربك) منا من ربك ويقال عطاء من ربك (ذلك) المن (هو الفوز العظيم) النجاة الوافرة فازوا بالجنة ونجوا من النار (فانما يسرناه بلسانك) يقول هونا عليك قراءة القرآن (لعلهم يتذكرون) لكى يتعظوا (فارتقب)

(فارتقب) فانتظر مايحل بهم (انهم مرتقبون) منتظرون مايحل بك الدوائر

سورة الجاثية مكية وهى سبع وثلاثون آية

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (حم) ان جعلتها اسما للسورة فهى مرفوعة بالابتداء والخبر (تنزيل الكتاب من الله) صلة للتنزيل وان جعلتها تعديدا للحروف كان تنزيل الكتاب مبتدأ والظرف خبره (العزيز) فى انتقامه (الحكيم) فى تدبيره (ان فى السموات والارض لآيات) لدلالات على وحدانيته ويجوز ان يكون المعنى ان فى خلق السموات والارض لآيات (للمؤمنين) دليله قوله (وفى خلقكم) ويعطف (وما يبث من دابة) على الخلق المضاف لان المضاف اليه ضمير مجرور متصل بقبح العطف

يتذكروا ﴿ فارتقب ﴾ فانتظر ما يحل بهم ﴿ انهم مرتقبون ﴾ منتظرون مايحل بك * عن النبى عليه السلام من قرأ حم الدخان فى ليلة الجمعة اصبح يستغفر له سبعون الف ملك وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الدخان ليلة جمعة اصبح مغفورا له

سورة الجاثية مكية وهى سبع اوست وثلاثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ حم تنزيل الكتاب ﴾ ان جعلت حم مبتدأ خبره تنزيل الكتاب احتجت الى اضمار مثل تنزيل حم وان جعلتها تعديدا للحروف كان تنزيل مبتدأ خبره ﴿ من الله العزيز الحكيم ﴾ وقيل حم مقسم به وتنزيل الكتاب صفته وجواب القسم ﴿ ان فى السموات والارض لآيات للمؤمنين ﴾ وهو يحتمل ان يكون على ظاهره وان يكون المعنى ان فى خلق السموات لقوله ﴿ وفى خلقكم وما يبث من دابة ﴾ ولا يحسن عطف ماعلى الضمير

﴿ فارتقب ﴾ اى فانتظر النصر من ربك وقيل انتظر لهم العذاب ﴿ انهم مرتقبون ﴾ اى منتظرون قهرك بزعمهم وقيل منتظرون موتك قيل هذه الآية منسوخة بآية السيف عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عيه وسلم من قرأ حم الدخان فى ليلة اصبح يستغفر له سبعون الف ملك اخرجه الترمذى وقال حديث غريب وعمر ابن خثعم احد رواته وهو ضعيف وقال البخارى هو منكر الحديث وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الدخان ليلة الجمعة غفر له اخرجه الترمذى وقال هشام ابو المقدام احد رواته ضعيف والله اعلم

سورة الجاثية وتسمى سورة الشريعة وهى مكية وهى سبع وثلاثون آية واربعمائة وثمان وثمانون كلمة والفان ومائة واحد وتسعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

* قوله عز وجل ﴿ حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ان فى السموات والارض ﴾ اى ان فى خلق السموات والارض وهما خلقان عظيمان يدلان على قدرة القادر المختار وهو قوله ﴿ لآيات للمؤمنين وفى خلقكم ﴾ اى وفى خلق انفسكم من تراب ثم من نطفة الى ان يصير انسانا ذا عقل وتمييز ﴿ وما يبث من دابة ﴾ اى ومايفرق فى الارض

بالقرآن (فارتقب) فانتظر هلاكهم يوم بدر (انهم مرتقبون) منتظرون هلاكك فاهلكهم الله يوم بدر

ومن السورة التى يذكر فيها الجاثية وهى كلها مكية آياتها ست وثلاثون آية وكلماتها ستمائة وأربع وأربعون وحروفها ألفان وستمائة حرف

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (حم) يقول قضى ماهو كائن أى بين ويقال قسم أقسم به (تنزيل الكتاب) ان هذا الكتاب تكليم (من الله العزيز) بالنقمة لمن لا يؤمن به (الحكيم) أمر أن لا يعبد غيره ويقال العزيز فى ملكه وسلطانه الحكيم فى أمره وقضائه (ان فى السموات) مافى السموات من الشمس والقمر والنجوم والسحاب وغير ذلك (والارض) ومافى الارض من الشجر والجبال والبحار وغير ذلك (لآيات) لعلامات وعبرا (للمؤمنين) المصدقين فى ايمانهم (وفى خلقكم) فى تحويل أحوالكم حالا بعد حال آية وعبرة لكم (ومايبث من دابة) وفيما خلق من ذوى الارواح

عليه (آيات) حمزة وعلى بالنصب وغيرهما بالرفع مثل قولك ان زيدا فى الدار وعمرا فى السوق اووعمرو فى السوق (لقوم يوقنون واختلاف الليل والنهار وماانزل الله من السماء من رزق) اى مطر وسمى به لانه سبب الرزق (فاحيابه الارض بعد موتها وتصريف الرياح) الريح حمزة وعلى (آيات لقوم يعقلون) بالنصب على وحمزة وغيرهما بالرفع وهذا من العطف على عاملين سـواء نصبت اورفعت فالعاملان اذا نصبت ان وفى اقيمت الواو مقامهما فعملت الجر فى واختلاف الليل والنهار والنصب فى آيات واذا رفعت فالعاملان الابتداء وفى عملت الرفع فى آيات والجر فى واختلاف هذا مذهب الاخفش لانه يجوز العطف على عاملين واما سيبويه فانه لايجيزه وتخريج الآية عنده ان يكون على اضمار فى والذى حسنه تقديم ذكر فى فى الآيتين قبل هذه الآية ويؤيده قراءة ابن مسعود رضى الله عنه وفى اختلاف الليل والنهار ويجوز ان ينصب آيات على الاختصاص بعد انقضاء المجرور ومعطوفا على ماقبله او على التكرير توكيدا الآيات فى الاولى كأنه قيل آيات آيات ورفعها باضمار هى والمعنى فى تقديم الآيات على الايقان وتوسيطه وتأخير الآخر ان المتصفين من العباد اذا نظروا فى السموات والارض نظرا صحيحا علموا انها مصنوعة وانه لابد لها من صانع فآمنوا بالله فاذا نظروا فى خلق انفسهم وتنقلها من حال الى حال وفى خلق ما ظهر على الارض من صنوف الحيوان ازدادوا ايمانا وايقنوا فاذا نظروا فى سائر الحوادث التى تتجدد فى كل وقت كاختلاف الليل والنهار ونزول الامطار وحياة الارض بعد موتها وتصريف الرياح جنوبا وشمالا وقبولا ودبورا عقلوا واستحكم علمهم وخلص يقينهم (تلك) اشارة الى الآيات المتقدمة اى تلك الآيات (آيات الله) وقوله (نتلوها)

المجرور بل عطفه على المضاف اليه باحد الاحتمالين فان بثه وتنوعه واستجماعه لمابه يتم معاشه الى غير ذلك دلائل على وجود الصانع المختار ﴿ آيات لقوم يوقنون ﴾ محمول على محل ان واسمها ✻ وقرأ حمزة والكسائى ويعقوب بالنصب حملا على الاسم ﴿ واختلاف الليل والنهار وما انزل الله من السماء من رزق ﴾ من مطر وسماه رزقا لانه سببه ﴿ فاحيا به الارض بعد موتها ﴾ يبسها ﴿ وتصريف الرياح ﴾ باختلاف جهاتها واحوالها ✻ وقرأ حمزة والكسائى وتصريف الريح ﴿ آيات لقوم يعقلون ﴾ فيه القراءتان ويلزمهما العطف على عاملين فى والابتداء اوان الا ان يضمر فى، اوينصب آيات على الاختصاص او يرفع باضمار هى ولعل اختلاف الفواصل الثلاث لاختلاف الآيات فى الدقة والظهور ﴿ تلك آيات الله ﴾ اى تلك آيات دلائله

من جميع الحيوانات على اختلاف اجناسها فى الخلق والشكل والصورة ﴿ آيات ﴾ دلالات تدل على وحدانية من خلقها وانه الاله القادر المختار ﴿ لقوم يوقنون ﴾ يعنى انه لااله غيره ﴿ واختلاف الليل والنهار ﴾ يعنى بالظلام والضياء والطول والقصر ﴿ وماانزل الله من السماء من رزق ﴾ يعنى المطر الذى هو سبب ارزاق العباد ﴿ فاحيابه ﴾ اى بالمطر ﴿ الارض بعد موتها ﴾ اى بعد يبسها ﴿ وتصريف الرياح ﴾ اى فى مهابها فمنها الصبا والدبور والشمال والجنوب ومنها الحارة والباردة وغير ذلك ﴿ آيات لقوم يعقلون ﴾ فان قلت ماوجه هذا الترتيب فى قوله لآيات للمؤمنين ولقوم يوقنون ويعقلون قلت معناه ان المنصفين من العباد اذا نظروا فى هذه الدلائل النظر الصحيح علموا انها مصنوعة وانه لابد لها من صانع فآمنوا به واقروا انه الاله القادر على كل شئ ثم اذا أمعنوا النظر ازدادوا ايقانا وزال عنهم اللبس فحينئذ استحكم علمهم وعدوا فى زمرة العقلاء الذين عقلوا عن الله مراده فى اسرار كتابه ﴿ تلك آيات الله

(آيات) علامات وعبرا (لقوم يوقنون) يصدقون (واختلاف الليل والنهار) فى تقليب الليل والنهار وزيادتهما ونقصانهما وذهابهما ومجيئهما آية وعبرة لكم (وما أنزل الله) وفيما أنزل الله (من السماء من رزق) من مطر (فاحي به) بالمطر (الارض بعد موتها) قحطها ويبوستها علامات وعبرا لكم (وتصريف الرياح) وفى تقليب الرياح يمينا وشمالا قبولا ودبورا عذابا ورحمة (آيات) علامات وعبرا (لقوم يعقلون) يصدقون انها من الله (تلك) هذه (آيات الله

(نتلوها) في محل الحال اى متلوة (عليك بالحق) والعامل مادل عليه تلك من معنى الاشارة (فبأى حديث بعدالله وآياته) اى بعد آيات الله كقولهم أعجبني زيد وكرمه يريدون اعجبني كرم زيد (يؤمنون) حجازى وابوعمرو وسهل وحفص وبالتاء غيرهم على تقدير قل يا محمد (ويل لكل افاك) كذاب (اثيم) يبالغ في اقتراف الآثام (يسمع آيات الله) في موضع جر صفة (تتلى عليه) حال من آيات الله (ثم يصر) يقبل على كفره ويقيم عليه (مستكبرا) عن الايمان بالآيات والاذعان لما تنطق به من الحق مزدريا لها معجبا بما عنده قيل نزلت في النضر بن الحرث وماكان يشترى من احاديث العجم ويشغل بها الناس عن استماع القرآن والآية عامة في كل من كان مضارا لدين الله وجئ بثم لان الاصرار على الضلالة والاستكبار عن الايمان عند سماع آيات القرآن مستبعد في العقول (كأن لم يسمعها) كأن مخففة والاصل كأنه لم يسمعها والضمير ضمير الشأن ومحل الجملة النصب على الحال اى يصر مثل غير السامع (فبشره بعذاب اليم) فاخبره خبرا يظهر اثره على البشرة (واذا علم من آياتنا شيأ) واذا بلغه شئ من آياتنا وعلم انه منها (اتخذها) اتخذ الآيات (هزوا) ولم يقل اتخذه للاشعار بانه اذا احس بشئ من الكلام انه من جملة الآيات خاض في الاستهزاء بجميع الآيات ولم يقتصر على الاستهزاء بما بلغه ويجوز ان يرجع الضمير الى شئ لانه في معنى الآية كقول ابى العتاهية

نفسى بشئ من الدنيا معلقة * الله والقائم المهدى يكفيها * حيث اراد عتبة (اولئك) اشارة الى كل افاك اثيم لشموله الافاكين (لهم عذاب مهين) مخز (من ورائهم) من قدامهم الوراء اسم للجهة التى يواريها الشخص من خلف اوقدام (جهنم

﴿نتلوها عليك﴾ حال عاملها معنى الاشارة ﴿بالحق﴾ ملتبسين به او ملتبسة به ﴿فبأى حديث بعدالله وآياته تؤمنون﴾ اى بعد آيات الله وتقديم اسم الله للمبالغة والتعظيم كما في قولك اعجبني زيد وكرمه او بعد حديث الله وهو القرآن كقوله الله نزل احسن الحديث وآياته دلائله المتلوة او القرآن والعطف لتغاير الوصفين ﴿وقرأ الحجازيان وحفص وابو عمرو وروح يؤمنون بالياء ليوافق ماقبله ﴿ويل لكل افاك﴾ كذاب ﴿اثيم﴾ كثير الآثام ﴿يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر﴾ يقيم على كفره ﴿مستكبرا﴾ عن الايمان بالآيات وثم لاستبعاد الاصرار بعد سماع الآيات كقوله * يرى غمرات الموت ثم يزورها * ﴿كان لم يسمعها﴾ اى كأنه فخففت وحذف ضمير الشان والجملة في موضع الحال اى يصر مثل غير السامع ﴿فبشره بعذاب اليم﴾ على اصراره والبشارة على الاصل او التهكم ﴿واذا علم من آياتنا شيأ﴾ واذا بلغه شئ من آياتنا وعلم انه منها ﴿اتخذها هزوا اولئك لهم عذاب مهين﴾ لذلك من غير ان يرى فيها ماينا سب الهزؤ والضمير لآياتنا وفائدته الاشعار بانه اذا سمع كلاما وعلم انه من الآيات بادر الى الاستهزاء بالآيات كلها ولم يقتصر على ماسمعه او لشئ لانه بمعنى الآية ﴿من ورائهم جهنم﴾ من قدامهم لانهم

﴿نتلوها عليك بالحق فبأى حديث بعدالله﴾ اى بعد كتاب الله ﴿وآياته يؤمنون﴾ قوله تعالى ﴿ويل لكل افاك اثيم﴾ اى كذاب صاحب اثم يعنى النضر بن الحرث ﴿يسمع آيات الله﴾ يعنى آيات القرآن ﴿تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كان لم يسمعها فبشره بعذاب اليم واذا علم من آياتنا شيأ﴾ يعنى آيات القرآن ﴿اتخذها هزوا﴾ اى سخر منها ﴿اولئك﴾ اشارة الى من هذه صفته ﴿لهم عذاب مهين﴾ ثم وصفهم فقال تعالى ﴿من ورائهم جهنم﴾ يعنى امامهم جهنم وذلك خزيهم في الدنيا

نتلوها عليك) نزل عليك جبريل بها (بالحق) لتبيان الحق والباطل (فبأى حديث) كلام (بعدالله) بعد كلام الله (وآياته) كتابه ويقال عجائبه (يؤمنون) ان لم يؤمنوا بهذا القرآن (ويل) شدة العذاب ويقال ويل واد في جهنم من قيح ودم (لكل أفاك) كذاب (أثيم) فاجر وهو نضر بن الحرث (يسمع آيات الله) قراءة آيات الله تتلى عليه تقرأ عليه بالامر والنهى (ثم يصر) يقيم على كفره (مستكبرا) متعظما عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (كأن لم يسمعها) لم يعها (فبشره) يا محمد (بعذاب اليم) وجيع فقتل يوم بدر صبرا (واذا علم) سمع (من آياتنا) القرآن (شيأ اتخذها هزوا) سخرية (أولئك لهم عذاب مهين) شديد وهو النضر (من ورائهم جهنم) من قدامهم بعدالموت جهنم

ولايغنى عنهم ما كسبوا) من الاموال (شيأ) من عذاب الله (ولا مااتخذوا) مافيهما مصدرية اوموصولة (من دون الله) من الاوثان (اولياء ولهم عذاب عظيم) فى جهنم (هذا هدى) اشارة الى القرآن ويدل عليه (والذين كفروا بآيات ربهم) لان آيات ربهم هى القرآن اى هـذا القرآن كامل فى الهداية كما تقول زيد رجل اى كامل فى الرجولية (لهم عذاب من رجز)هواشد العذاب (اليم) بالرفع مكى ويعقوب وحفص صفة العذاب وغيرهم بالجر صفة لرجز (الله الذى سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بامره) باذنه (ولتبتغوا من فضله) بالتجارة اوبالغوص على اللؤلؤ والمرجان واستخراج اللحم الطرى (ولعلكم تشكرون وسخر لكم مافى السموات ومافى الارض جميعا) هو تأكيد مافى السموات وهو مفعول سخر وقيل جميعا نصب على الحال (منه) حال اى سخر هذه الاشياء كائنة منه حاصلة من عنده اوخبر مبتدأ محذوف اى هذه النعم كلها منه اوصفة للمصدر اى تسخيرا منه (ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون قل للذين آمنوا يغفروا) اى قل لهم اغفروا يغفروا فحذف المقول لان الجواب يدل عليه ومعنى يغفروا يعفوا ويصفحوا وقيل انه مجزوم بلام مضمرة تقديره ليغفروا فهو امر مستأنف وجاز

متوجهون اليها اومن خلفهم لانه بعد آجالهم ﴿ ولايغنى عنهم ﴾ ولايدفع ﴿ ما كسبوا ﴾ من الاموال والاولاد ﴿ شيأ ﴾ من عذاب الله ﴿ ولاما اتخذوا من دون الله اولياء ﴾ اى الاصنام ﴿ ولهم عذاب عظيم ﴾ لايتحملونه ﴿ هذا هدى ﴾ الاشارة الى القرآن ويدل عليه قوله ﴿والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز اليم ﴾ وقرأ ابن كثير ويعقوب وحفص برفع اليم والرجز اشد العذاب ﴿الله الذى سخر لكم البحر ﴾ بان جعله املس السطح يطفو عليه ما يتخلخل كالاخشاب ولايمنع الغوص فيه ﴿ لتجرى الفلك فيه بامره ﴾ بتسخيره وانتم راكبوها ﴿ولتبتغوا من فضله ﴾ بالتجارة والغوص والصيد وغيرها ﴿ ولعلكم تشكرون ﴾ هذه النعم ﴿ وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض جميعا ﴾ بان خلقها نافعة لكم ﴿ منه ﴾ حال مما اى سخر هذه الاشياء كائنة منه اوخبر لمحذوف اى هى جميعا منه اولما فى السموات وسخر لكم تكرير للتأكيد اولما فى الارض وقرئ منة على المفعول له ومنه على انه فاعل سخر على الاسناد المجازى اوخبر محذوف ﴿ ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ فى صنائعه ﴿ قل للذين آمنوا يغفروا ﴾ حذف المفعول لدلالة الجواب عليه

ولهم فى الآخرة النار ﴿ ولا يغنى عنهم ما كسبوا ﴾ اى من الاموال ﴿ شيأ ولا ما اتخذوا من دون الله اولياء ﴾ اى ولايغنى عنهم ماعبدوا من دون الله من الآلهة ﴿ ولهم عذاب عظيم هذا ﴾ يعنى القرآن ﴿ هدى ﴾ اى هو هدى من الضلالة ﴿ والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز اليم الله الذى سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بامره ولتبتغوا من فضله ﴾ اى بسبب التجارة واستخراج منافعه ﴿ ولعلكم تشكرون ﴾ نعمته على ذلك ﴿ وسخر لكم مافى السموات ومافى الارض ﴾ يعنى انه تعالى خلقها ومنافعها فهى مسخرة لنا من حيث انا ننتفع بها ﴿ جميعا منه ﴾ قال ابن عباس كل ذلك رحمة منه وقيل كل ذلك تفضل منه واحسان ﴿ ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ قوله عز وجل ﴿ قل للذين آمنوا يغفروا

(ولا يغنى عنهم ما كسبوا شيأ) ماجمعوا من المال ولا ماعملوا من السيئات شيأ من عذاب الله (ولا ما اتخذوا) عبدوا (من دون الله أولياء) أربابا (ولهم عذاب عظيم) أعظم مايكون وكل هذا العذاب للنضر (هذا) يعنى القرآن (للذين) (هدى) من الضلالة (والذين كفروا بآيات ربهم) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وهو النضر وأصحابه (لهم عذاب من رجز أليم) وجيع (الله الذى سخر) ذلل (لكم البحر لتجرى الفلك) السفن (فيه بأمره) باذنه (ولتبتغوا) لتطلبوا (من فضله) من رزقه (ولعلكم تشكرون) لكى تشكروا نعمته (وسخر لكم) ذلل لكم (مافى السموات) من الشمس والقمر والنجوم والسحاب (ومافى الارض) من الشجر والدواب والجبال والبحار (جميعا منه) من الله (ان فى ذلك) فيما ذكرت (لآيات) لعلامات وعبرا (لقوم يتفكرون) فيما خلق الله (قل) يامحمد (للذين آمنوا) عمر وأصحابه (يغفروا) يتجاوزوا

حذف اللام للدلالة على الامر (للذين لايرجون ايام الله) لايتوقعون وقائع الله باعدائه من قولهم لوقائع العرب أيام العرب وقيل لايؤملون الاوقات التى وقتها الله تعالى لثواب المؤمنين ووعدهم الفوز فيها قيل نزلت فى عمر رضى الله عنه حين شتمه رجل من المشركين من بنى غفار فهم ان يبطش به (ليجزى) تعليل للامر بالمغفرة أى أنما أمروا بان يغفروا ليوفيهم جزاء مغفرتهم يوم القيامة وتنكير (قوما) على المدح لهم كأنه قيل ليجزى ايما قوم وقوما مخصوصين بصبرهم على أذى أعدائهم لنجزى شامى وحمزة وعلى ليجزى قوما يزيد أى ليجزى الخير قوما فاضمر الخير لدلالة الكلام عليه كما أضمر الشمس فى قوله حتى توارت بالحجاب لان قوله اذ عرض عليه بالعشى دليل على توارى الشمس وليس التقدير ليجزى الجزاء قوما لان المصدر لايقوم مقام الفاعل ومعك مفعول صحيح أما اقامة المفعول الثانى مقام الفاعل فجائز وأنت تقول جزاك الله خيرا (بما كانوا يكسبون) من الاحسان (من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها) أى لها الثواب وعليها العقاب (ثم الى ربكم ترجعون) أى الى جزائه (ولقد آتينا بنى اسرائيل الكتاب) التوراة (والحكم) الحكمة والفقه أوفصل الخصومات بين الناس لان الملك كان فيهم (والنبوة) خصها بالذكر لكثرة الانبياء عليهم السلام فيهم (ورزقناهم من الطيبات) مما أحل الله لهم وأطاب من الارزاق (وفضلناهم على العالمين)

والمعنى قل لهم اغفروا يغفروا اى يعفوا ويصفحوا ﴿ للذين لايرجون ايام الله ﴾ لايتوقعون وقائعه باعدائه من قولهم ايام العرب لوقائعهم اولا يأملون الاوقات التى وقتها الله لنصر المؤمنين وثوابهم ووعدهم بها والآية نزلت فى عمر رضى الله عنه شتمه غفارى فهم ان يبطش به وقيل انها منسوخة بآية القتال ﴿ ليجزى قوما بما كانوا يكسبون ﴾ علة للامر والقوم هم المؤمنون او الكافرون اوكلاهما فيكون التنكير للتعظيم او التحقير او الشيوع والكسب المغفرة او الاساءة اومايعمهما * وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى لنجزى بالنون * وقرئ ليجزى قوم وليجزى قوما اى ليجزى الخير او الشر او الجزاء اعنى مايجزى به لا المصدر فان الاسناد اليه سيما مع المفعول به ضعيف ﴿ من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها ﴾ اذ لها ثواب العمل وعليها عقابه ﴿ ثم الى ربكم ترجعون ﴾ فيجازيكم على اعمالكم ﴿ ولقد آتينا بنى اسرائيل الكتاب ﴾ التوراة ﴿ والحكم ﴾ والحكمة النظرية والعملية اوفصل الخصومات ﴿ والنبوة ﴾ اذ كثر فيهم الانبياء مالم يكثر فى غيرهم ﴿ ورزقناهم من الطيبات ﴾ مما احل الله من اللذائذ ﴿ وفضلناهم على العالمين ﴾ حيث آتيناهم

للذين لايرجون ايام الله ﴾ اى لايخافون وقائع الله ولايبالون نقمته قال ابن عباس نزلت فى عمر بن الخطاب وذلك ان رجلا من بنى غفار شتمه بمكة فهم عمر أن يبطش به فانزل الله هذه الآية وأمره أن يعفو عنه وقيل نزلت فى ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل مكة كانوا فى اذى شديد من المشركين قبل أن يؤمروا بالقتال فشكوا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الآية ثم نسخها بآية القتال ﴿ ليجزى قوما بما كانوا يكسبون ﴾ أى من الاعمال ثم فسر ذلك فقال تعالى ﴿ من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها ثم الى ربكم ترجعون ﴾ قوله تعالى ﴿ ولقد آتينا بنى اسرائيل الكتاب ﴾ يعنى التوراة ﴿ والحكم ﴾ يعنى معرفة أحكام الله ﴿ والنبوة ورزقناهم من الطيبات ﴾ أى الحلالات وهو ماوسع عليهم فى الدنيا وأورثهم أموال قوم فرعون وديارهم وأنزل عليهم المن والسلوى ﴿ وفضلناهم على العالمين ﴾ اى على عالمى زمانهم قال ابن عباس

(للذين لايرجون) لايخافون (أيام الله) عذاب الله يعنى أهل مكة (ليجزى قوما) يعنى عمر وأصحابه (بما كانوا يكسبون) يعملون من الخيرات وهذا العفو قبل الهجرة ثم أمروا بالقتال (من عمل صالحا) خالصا فى الايمان (فلنفسه) ثواب ذلك (ومن أساء) أشرك بالله (فعليها) فعلى نفسه عقوبة ذلك (ثم الى ربكم ترجعون) بعد الموت فيجزيكم بأعمالكم (ولقد آتينا) أعطينا (بنى اسرائيل الكتاب والحكم) العلم والفهم (والنبوة) وكان فيهم الانبياء والكتب (ورزقناهم من الطيبات) من المن والسلوى ويقال من الغنائم (وفضلناهم على العالمين) عالمى زمانهم بالكتاب والرسول

على عالمى زمانهم (وآتيناهم بينات) آيات ومعجزات (من الامر) من أمر الدين (فما اختلفوا) فما وقع الخلاف بينهم فى الدين (الا من بعد ماجاءهم العلم بغيا بينهم) أى الا من بعد ماجاءهم ماهو موجب لزوال الخلاف وهو العلم وانما اختلفوا لبغى حدث بينهم أى لعداوة وحسد بينهم (ان ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) قيل المراد اختلافهم فى أوامر الله ونواهيه فى التورات حسدا وطلبا للرياسة لاعن جهل يكون الانسان به معذورا (ثم جعلناك) بعد اختلاف أهل الكتاب

على طريقة ومنهاج (من الامر) من أمر الدين (فاتبعها) فاتبع شريعتك الثابتة بامرنا والدلائل (ولا تتبع أهواء الذين لايعلمون) ولا تتبع مالا حجة عليه من أهواء الجهال ودينهم المبنى على هوى وبدعة وهم روساء قريش حين قالوا ارجع الى دين آبائك (انهم) ان هؤلاء الكافرين (لن يغنوا عنك من الله شيا وان الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولى المتقين) وهم موالوه وما أبين الفضل بين الولايتين (هذا) أى القرآن (بصائر للناس)

مالم نؤت غيرهم ﴿ وآتيناهم بينات من الامر ﴾ ادلة فى امر الدين ويندرج فيها المعجزات وقيل آيات من امر النبى عليه السلام مبينة لصدقه ﴿ فما اختلفوا ﴾ فى ذلك الامر ﴿ الا من بعد ماجاءهم العلم ﴾ بحقيقة الحال ﴿ بغيا بينهم ﴾ عداوة وحسدا ﴿ ان ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ﴾ بالمؤاخذة والمجازاة ﴿ ثم جعلناك على شريعة ﴾ طريقة ﴿ من الامر ﴾ امر الدين ﴿ فاتبعها ﴾ فاتبع شريعتك الثابتة بالحجج ﴿ ولا تتبع اهواء الذين لايعلمون ﴾ آراء الجهال التابعة للشهوات وهم رؤساء قريش قالوا له ارجع الى دين آبائك ﴿ انهم لن يغنوا عنك من الله شيأ ﴾ مما اراد بك ﴿ وان الظالمين بعضهم اولياء بعض ﴾ اذ الجنسية علة للانضمام فلا توالهم باتباع اهوائهم ﴿ والله ولى المتقين ﴾ فواله بالتقى واتباع الشريعة ﴿ هذا ﴾ اى القرآن اواتباع الشريعة ﴿ بصائر للناس ﴾

لم يكن أحد من العالمين فى زمانهم أكرم على الله ولا أحب اليه منهم ﴿ وآتيناهم بينات من الامر ﴾ أى بيان الحلال والحرام وقيل العلم ببعث محمد صلى الله عليه وسلم ومابين لهم من أمره ﴿ فما اختلفوا الا من بعد ماجاءهم العلم بغيا بينهم ﴾ معناه التعجب من حالهم وذلك لان حصول العلم يوجب ارتفاع الاختلاف وهنا صار مجئ العلم سببا لحصول الاختلاف وذلك أنه لم يكن مقصودهم من العلم نفس العلم وانما كان مقصودهم منه طلب الرياسة والتقدم ثم انهم لما علموا عاندوا وأظهروا النزاع والحسد والاختلاف ﴿ ان ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ثم جعلناك ﴾ يامحمد ﴿ على شريعة ﴾ أى على طريقة ومنهاج وسنة بعد موسى ﴿ من الامر ﴾ أى من الدين ﴿ فاتبعها ﴾ أى اتبع شريعتك الثابتة ﴿ ولا تتبع أهواء الذين لايعلمون ﴾ يعنى مراد الكافرين وذلك انهم كانوا يقولون له ارجع الى دين آبائك فانهم كانوا أفضل منك قال تعالى ﴿ انهم لن يغنوا عنك من الله شيأ ﴾ أى لن يدفعوا عنك من عذاب الله شيأ ان اتبعت أهواءهم ﴿ وان الظالمين بعضهم أولياء بعض ﴾ يعنى ان الظالمين يتولى بعضهم بعضا فى الدنيا ولا ولى لهم فى الآخرة ﴿ والله ولى المتقين ﴾ أى هو ناصرهم فى الدنيا ووليهم فى الآخرة ﴿ هذا ﴾ يعنى القرآن ﴿ بصائر للناس ﴾ أى

(وآتيناهم) أعطيناهم (بينات من الامر) أى واضحات من أمر الدين (فما اختلفوا) فى محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن والاسلام (الا من بعد ماجاءهم العلم) بيان مافى كتابهم (بغيا بينهم) حسدا منهم كفروا بمحمد عليه السلام والقرآن (ان ربك) يامحمد (يقضى بينهم) بين اليهود والنصارى والمؤمنين (يوم القيامة (معالم)

فيما كانوا فيه) فى الدين (يختلفون) يخالفون فى الدنيا (ثم جعلناك) اخترناك (على شريعة من الامر) على سنة ومنهاج من أمرى وطاعتى (فاتبعها) استقم عليها واعمل بها ويقال أكرمناك بالاسلام وأمرناك أن تدعوا الخلق اليه (ولا تتبع أهواء الذين) دين الذين (لايعلمون) توحيدالله يعنى اليهود والنصارى والمشركين (انهم لن يغنوا عنك من الله) من عذاب الله (شيأ) ان اتبعت أهواءهم (وان الظالمين) الكافرين (بعضهم أولياء بعض) على دين بعض (والله ولى المتقين) الكفر والشرك والفواحش (هذا) القرآن (بصائر) بيان (للناس

جعل مافيه من معالم الدين والشرائع بمنزلة البصائر فى القلوب كما جعل روحا وحياة (وهدى) من الضلالة (ورحمة) من العذاب (لقوم يوقنون) لمن آمن وأيقن بالبعث (أم حسب الذين) أم منقطعة ومعنى الهمزة فيها انكار الحسبان (اجترحوا السيآت) اكتسبوا المعاصى والكفر ومنه الجوارح وفلان جارحة أهله أى كاسبهم (أن نجعلهم) أن نصيرهم وهو من جعل المتعدى الى مفعولين فاولهما الضمير والثانى الكاف فى (كالذين آمنوا وعملوا الصالحات) والجملة التى هى (سواء محياهم ومماتهم) بدل من الكاف لان الجملة تقع مفعولا ثانيا فكانت فى حكم المفرد سواء على وحمزة وحفص بالنصب على الحال من الضمير فى نجعلهم ويرتفع محياهم ومماتهم بسواء وقرأ الاعمش ومماتهم بالنصب جعل محياهم ومماتهم ظرفين كمقدم الحاج أى سواء

وفى مماتهم والمعنى انكار أن يستوى المسيؤن والمحسنون محيا وان يستووا مماتا لافتراق أحوالهم أحياء حيث عاش هؤلاء على القيام بالطاعة وأولئك على اقتراف السيآت ومماتا حيث مات هؤلاء على البشرى بالرحمة والكرامة وأولئك على اليأس من الرحمة والندامة وقيل معناه انكار أن يستووا فى الممات كما استووا فى الحياة فى الرزق والصحة وعن تميم الدارى رضى الله عنه أنه كان يصلى ذات ليلة عند المقام فبلغ هذه الآية فجعل يبكى ويردد الى الصباح وعن الفضيل أنه بلغها فجعل يرددها ويبكى ويقول يافضيل ليت شعرى من أى الفريقين أنت (ساء مايحكمون)

بينات تبصرهم وجه الفلاح ﴿وهدى﴾ من الضلال ﴿ورحمة﴾ ونعمة من الله ﴿لقوم يوقنون﴾ يطلبون اليقين ﴿ام حسب الذين اجترحوا السيآت﴾ ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها انكار الحسبان والاجتراح الاكتساب ومنه الجارحة ﴿ان نجعلهم﴾ ان نصيرهم ﴿كالذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ اى مثلهم وهو ثانى مفعولى نجعل وقوله ﴿سواء محياهم ومماتهم﴾ بدل منه ان كان الضمير للموصول الاول لان المماثلة فيه اذ المعنى انكار ان يكون حياتهم ومماتهم سيان فى البهجة والكرامة كما هو للمؤمنين ويدل عليه قراءة حمزة والكسائى وحفص سواء بالنصب على البدل اوالحال من الضمير فى الكاف او المفعولية والكاف حال وان كان للثانى فحال منه اواستئناف يبين المقتضى للانكار وان كان لهما فبدل اوحال من الثانى والضمير الاول والمعنى انكار ان يستووا بعد الممات فى الكرامة اوترك المؤاخذة كما استووا فى الرزق والصحة فى الحياة اواستئناف مقرر لتساوى محيا كل صنف ومماته فى الهدى والضلال وقرئ مماتهم بالنصب على ان محياهم ومماتهم ظرفان كمقدم الحاج ﴿ساء مايحكمون﴾ ساء حكمهم هذا اوبئس شيأ حكموا به ذلك

معالم للناس فى الحدود والاحكام يبصرون به ﴿وهدى ورحمة لقوم يوقنون أم حسب الذين اجترحوا السيآت﴾ اى اكتسبوا المعاصى والكفر ﴿ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ نزلت فى نفر من مشركى مكة قالوا للمؤمنين لئن كان ماتقولون حقا لنفضلن عليكم فى الآخرة كما فضلنا عليكم فى الدنيا ﴿سواء محياهم ومماتهم﴾ معناه أحسبوا ان حياة الكافرين ومماتهم كحياة المؤمنين وموتهم سواء كلا والمعنى ان المؤمن مؤمن فى محياه ومماته فى الدنيا والآخرة والكافر كافر فى محياه ومماته فى الدنيا والآخرة وشتان مابين الحالين فى الحال والمآل ﴿ساء مايحكمون﴾ أى بئس مايقضون قال

وهدى) من الضلالة (قا و خا ٥٩ مس) (ورحمة) من العذاب (لقوم يوقنون) يصدقون بمحمد عليه السلام والقرآن (أم حسب) أيظن (الذين اجترحوا السيآت) أشركوا بالله يعنى عتبة وشيبة والوليد بن عتبة الذين بارزوا يوم بدر عليا وحمزة وعبيدة بن الحرث وقالوا ان كان لهم مايقول محمد عليه السلام فى الآخرة حقا وثوابا لنفضلن كما فضلنا عليهم فى الدنيا فقال الله أيظنون (ان نجعلهم) نجعل الكفار فى الآخرة بالثواب (كالذين آمنوا) على وصاحبيه (وعملوا الصالحات) الطاعات فيما بينهم وبين ربهم (سواء) ليسوا بسواء (محياهم) محيى المؤمنين على الايمان (ومماتهم) على الايمان ومحيى الكافرين على الكفر ومماتهم على الكفر ويقال محيى المؤمنين وممات المؤمنين سواء بسواء على الايمان والطاعة ومرضاة الله ومحيى الكافرين ومماتهم سواء بسواء على الكفر والمعصية وغضب الله (ساء مايحكمون) بئس مايقضون

بئس مايقضون اذا حسبوا أنهم كالمؤمنين فليس من أقعد على بساط الموافقة كمن أقعد فى مقام المخالفة بل نفرق بينهم فنعلى المؤمنين ونخزى الكافرين (وخلق الله السموات والارض بالحق) ليدل على قدرته (ولتجزى) معطوف على هذا المعلل المحذوف (كل نفس بما كسبت وهم لايظلمون أفرأيت من اتخذ الهه هواه) أى هو مطواع لهوى النفس يتبع مايدعوه اليه فكأنه يعبده كما يعبد الرجل الهه (وأضله الله على علم) منه باختياره الضلال اوأنشأ فيه فعل الضلال على علم منه بذلك (وختم على سمعه) فلا يقبل وعظا (وقلبه) فلا يعتقد حقا (وجعل على بصره غشاوة) فلا يبصر عبرة غشوة حمزة وعلى (فمن يهديه من بعد الله) من بعد اضلال الله اياه (أفلا تذكرون) بالتخفيف حمزة وعلى وحفص وغيرهم بالتشديد فاصل الشرمتابعة الهوى والخير كله فى مخالفته فنعم ماقال *
اذا طلبتك النفس يوما بشهوة * وكان اليها للخلاف طريق * فدعها وخالف ماهويت فانما * هواك عدو والخلاف صديق *

﴿ وخلق الله السموات والارض بالحق ﴾ كانه دليل على الحكم السابق من حيث ان خلق ذلك بالحق المقتضى للعدل يستدعى انتصار المظلوم من الظالم والتفاوت بين المسئ والمحسن واذا لم يكن فى المحيا كان بعد الممات ﴿ ولتجزى كل نفس بما كسبت ﴾ عطف على بالحق لانه فى معنى العلة اوعلى علة محذوفة مثل ليدل بها على قدرته اوليعدل ولتجزى ﴿ وهم لايظلمون ﴾ بنقص ثواب وتضعيف عقاب وتسمية ذلك ظلما ولوفعله الله لم يكن منه ظلما لانه لوفعله غيره لكان ظلما كالابتلاء والاختبار ﴿ افرأيت من اتخذ الهه هواه ﴾ ترك متابعة الهدى الى مطاوعة الهوى فكأنه يعبده وقرئ آلهة هواه لانه كان احدهم يستحسن حجرا فيعبده فاذا رأى احسن منه رفضه اليه ﴿ واضله الله ﴾ وخذله ﴿ على علم ﴾ عالما بضلاله وفساد جوهر روحه ﴿ وختم على سمعه وقلبه ﴾ فلايبالى بالمواعظ ولايتفكر فى الآيات ﴿ وجعل على بصره غشاوة ﴾ فلاينظر بعين الاستبصار والاعتبار وقرأ حمزة والكسائى غشوة ﴿ فمن يهديه من بعد الله ﴾ من بعد اضلاله ﴿ افلا تذكرون ﴾ وقرئ تتذكرون

مسروق قال لى رجل من أهل مكة هذا مقام أخيك تميم الدارى ولقد رأيته قام ذات ليلة حتى أصبح أوقرب ان يصبح يقرأ آية من كتاب الله يركع بها ويسجد ويبكى أم حسب الذين اجترحوا السيآت الآية ﴿ وخلق الله السموات والارض بالحق ﴾ أى بالعدل ﴿ ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لايظلمون ﴾ ومعنى الآية أن المقصود من خلق هذا العالم اظهار العدل والرحمة وذلك لايتم الا فى القيامة ليحصل التفاوت بين المحقين والمبطلين فى الدرجات والدركات * قوله عزوجل ﴿ أفرأيت من اتخذ الهه هواه ﴾ قال ابن عباس اتخذ دينه مايهواه فلا يهوى شيأ الاركبه لانه لايؤمن بالله ولايخافه ولايحرم ماحرم الله وقيل معناه اتخذ معبوده ماتهواه نفسه وذلك ان العرب كانت تعبد الحجارة والذهب والفضة فاذا رأوا شيأ أحسن من الاول رموا بالاول وكسروه وعبدوا الآخر وقيل انما سمى هوى لانه يهوى بصاحبه فى النار ﴿ وأضله الله على علم ﴾ أى علما منه بعاقبة أمره وقيل على ماسبق فى علم الله انه ضال قبل أن يخلقه ﴿ وختم على سمعه وقلبه ﴾ أى فلم يسمع الهدى ولم يعقله بقلبه ﴿ وجعل على بصره غشاوة ﴾ أى ظلمة فهو لايبصر الهدى ﴿ فمن يهديه من بعد الله ﴾ أى من بعد أن أضله الله ﴿ أفلا تذكرون ﴾ قال الواحدى ليس يبقى للقدرية مع (هذه)

لانفسهم (وخلق الله السموات والارض بالحق) للحق (ولتجزى كل نفس) برة وفاجرة (بما كسبت) من خير أوشر (وهم لايظلمون) لاينقص من حسناتهم ولايزاد على سيآتهم (أفرأيت) يامحمد (من اتخذ آلهه هواه) من عبدالآلهة بهوى نفسه كلما هوى نفسه شيأ عبده وهو النضر ويقال هو أبوجهل ويقال هوالحرث بن قيس (وأضله الله) عن الايمان (على علم) كما علم الله انه من أهل الضلالة (وختم على سمعه) لكى لايسمع الحق (وقلبه) لكى لايفهم الحق (وجعل على بصره غشاوة) غطاء لكى لايبصر الحق (فمن يهديه) فمن يرشده الى دين الله (من بعدالله) من بعد أن أضله الله (أفلا تذكرون) تتعظون

(وقالواماهى) أي ماالحياة لأنهم وعدوا حياة ثانية (الاحياتنا الدنيا) التي نحن فيها (نموت ونحيا) نموت نحن ونحيا ببقاء أولادنا أو يموت بعض ويحيا بعض أونكون نطفا في الاصلاب امواتا ونحيا بعدذلك أويصيبنا الامر ان الموت والحياة يريدون الحياة في الدنيا والموت بعدها وليس وراء ذلك حياة وقيل هذا كلام من يقول بالتناسخ أي يموت الرجل ثم تجعل روحه في موات فيحيا به (ومايهلكنا الاالدهر) كانوا يزعمون أن مرور الايام والليالى هوالمؤثر في هلاك الانفس وينكرون ملك الموت وقبض الارواح باذن الله وكانوا يضيفون كل حادثة تحدث الى الدهر والزمان وترى أشعارهم ناطقة بشكوى الزمان ومنه قوله عليه السلام لاتسبوا الدهر فان الله هوالدهر أى فان الله هوالآتى بالحوادث لاالدهر (ومالهم بذلك من علم انهم الايظنون) ومايقولون ذلك من علم ويقين ولكن من ظن وتخمين (واذاتتلى عليهم آياتنا) أى القرآن يعنى مافيه من ذكر البعث (بينات ماكان حجتهم) وسمى قولهم حجة وان لم يكن حجة لانه في زعمهم حجة (الاأن قالوا ائتوا بآبائنا) أى أحيوهم (ان كنتم صادقين) في دعوى البعث

﴿ وقالوا ماهى ﴾ ماالحياة اوالحال ﴿ الاحياتنا الدنيا ﴾ التى نحن فيها ﴿ نموت ونحيا ﴾ اى نكون امواتا نطفا وماقبلها ونحيي بعد ذلك اونموت بانفسنا ونحيي ببقاء اولادنا اويموت بعضنا ويحيي بعضنا اويصيبنا الموت والحياة فيها وليس وراء ذلك حياة ويحتمل انهم ارادوا به التناسخ فانه عقيدة اكثر عبدة الاوثان ﴿ ومايهلكنا الاالدهر ﴾ الامرور الزمان وهو في الاصل مدة بقاء العالم من دهره اذا غلبه ﴿ ومالهم بذلك من علم ﴾ يعنى نسبة الحوادث الى حركات الافلاك ومايتعلق بها على الاستقلال اوانكار البعث اوكليهما ﴿ ان هم الايظنون ﴾ اذلادليل لهم عليه وانما قالوه بناء على التقليد والانكار لما لم يحسبوا به ﴿ واذا تتلى عليهم آياتنا بينات ﴾ واضحات الدلالة على ما يخالف معتقدهم اومبينات لهم ﴿ ما كان حجتهم ﴾ ماكان لهم متشبث يعارضونها به ﴿ الا ان قالوا ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين ﴾ وانما سماه حجة على حسبانهم ومساقهم اوعلى

هذه الآية عذر ولاحيلة لان الله صرح بمنعه اياه عن الهدى حتى أخبر انه ختم على سمعه وقلبه وبصره ﴿ وقالوا ﴾ يعنى منكرى البعث ﴿ ماهى الاحياتنا الدنيا ﴾ أى ما الحياة الا حياتنا الدنيا ﴿ نموت ونحيا ﴾ أى يموت الآباء ويحيا الابناء وقيل تقديره نحيا ونموت ﴿ ومايهلكنا الاالدهر ﴾ اى ومايفنينا الا مر الزمان واختلاف الليل والنهار ﴿ ومالهم بذلك من علم ﴾ أى لم يقولوه عن علم علموه ﴿ ان هم الايظنون ﴾ (ق) عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عزوجل يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدى الامر أقلب الليل والنهار وفي رواية يؤذيني ابن آدم ويقول ياخيبة الدهر فلايقولن أحدكم ياخيبة الدهر فانى أنا الدهر أقلب ليله ونهاره فاذا شئت قبضتهما وفي رواية يسب ابن آدم الدهر وأنا الدهر بيدى الليل والنهار ومعنى هذه الاحاديث ان العرب كان من شأنها ذم الدهر وسبه عند النوازل لانهم كانوا ينسبون الى الدهر مايصيبهم من المصائب والمكاره فيقولون أصابتهم قوارع الدهر وأبادهم الدهر كما أخبر الله عزوجل عنهم بقوله ومايهلكنا الا الدهر فاذا أضافوا الى الدهر ما نالهم من الشدائد وسبوا فاعلها كان مرجع سبهم الى الله تعالى اذ هو الفاعل في الحقيقة للامور التى يضيفونها الى الدهر لاالدهر فنهوا عن سب الدهر وقيل لهم لاتسبوا فاعل ذلك فانه هوالله عزوجل والدهر متصرف فيه يقع به التأثير كما يقع بكم والله أعلم ﴾ قوله تعالى ﴿ واذا تتلى عليهم آياتنا بينات ما كان حجتهم الا أن قالوا ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين ﴾

بالقرآن أن الله واحد لاشريك له (وقالوا) كفار مكة (ماهى الاحياتنا الدنيا) في الدنيا (نموت ونحيا) يعنون تموت الآباء وتحيا الابناء (ومايهلكنا الا الدهر) يعنون طول الليالى والايام والشهور والساعات (وما لهم بذلك) بما يقولون (من علم) من حجة ولابيان (ان هم الايظنون) مايقولوا الابالظن (واذاتتلى عليهم) على أبى جهل وأصحابه (آياتنا بينات) بالامر والنهى (ماكان حجتهم) عذرهم وجوابهم لمحمد عليه السلام (الاأن قالوا ائتوا بآبائنا) احى يامحمد آباءنا حتى نسألهم عن قولك أحق هو أم باطل (ان كنتم صادقين) ان كنت

وحجتهم خبر كان واسمها أن قالوا والمعنى ما كان حجتهم الا مقالتهم ائتوا بآبائنا وقرئ حجتهم بالرفع على أنها اسم كان وان قالوا الخبر (قل الله يحييكم) في الدنيا (ثم يميتكم) فيها عند انتهاء أعماركم (ثم يجمعكم الى يوم القيامة) أي يبعثكم يوم القيامة جميعا ومن كان قادرا على ذلك كان قادرا على الاتيان بآبائكم ضرورة (لاريب فيه) أي في الجمع (ولكن أكثر الناس لايعلمون) قدرة الله على البعث لاعراضهم عن التفكر في الدلائل (ولله ملك السموات والارض ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون)

عامل النصب في يوم تقوم يخسر ويومئذ بدل من يوم تقوم (وترى كل أمة جاثية) جالسة على الركب يقال جثا فلان يجثو اذا جلس على ركبتيه وقيل جاثية مجتمعة (كل أمة) بالرفع على الابتداء كل بالفتح يعقوب على الابدال من كل أمة (تدعى الى كتابها) الى صحائف أعمالها فاكتفى باسم الجنس فيقال لهم (اليوم تجزون ما كنتم تعملون) في الدنيا (هذا كتابنا) أضيف الكتاب اليهم لملابسته اياهم لان أعمالهم مثبتة فيه والى الله تعالى لانه مالكه والآمر ملائكته أن يكتبوا فيه أعمال عباده (ينطق عليكم) يشهد عليكم بما عملتم (بالحق)

اسلوب قولهم ❁ تحية بينهم ضرب وجيع ❁ فانه لايلزم من عدم حصول الشئ حالا امتناعه مطلقا ﴿ قل الله يحييكم ثم يميتكم ﴾ على مادلت عليه الحجج ﴿ ثم يجمعكم الى يوم القيامة لاريب فيه ﴾ فان من قدر على الابداء قدر على الاعادة والحكمة اقتضت الجمع للمجازاة على ماقرر مرارا والوعد المصدق بالآيات دل على وقوعها واذا كان كذلك امكن الاتيان بآبائهم لكن الحكمة اقتضت ان يعادوا يوم الجمع للجزاء ﴿ ولكن اكثر الناس لايعلمون ﴾ لقلة تفكرهم وقصور نظرهم على مايحسونه ﴿ ولله ملك السموات والارض ﴾ تعميم للقدرة بعد تخصيصها ﴿ ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون ﴾ اى ويخسر يوم تقوم ويومئذ بدل منه ﴿ وترى كل امة جاثية ﴾ مجتمعة من الجثوة وهي الجماعة او باركة مستوفزة على الركب وقرئ جاذية اى جالسة على اطراف الاصابع لاستيفازهم ﴿ كل امة تدعى الى كتابها ﴾ صحيفة اعمالها وقرأ يعقوب كل على انه بدل من الاولى وتدعى صفة اومفعول ثان ﴿ اليوم تجزون ما كنتم تعملون ﴾ محمول على القول ﴿ هذا كتابنا ﴾ اضاف صحائف اعمالهم الى نفسه لانه امر الكتبة ان يكتبوا فيها اعمالهم ﴿ ينطق عليكم بالحق ﴾ يشهد عليكم بما عملتم بلا زيادة ونقصان

معناه ان منكري البعث احتجوا بان قالوا ان صح ذلك فأتوا بآبائنا الذين ماتوا ليشهدوا لنا بصحة البعث ﴿ قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم الى يوم القيامة لاريب فيه ولكن أكثر الناس لايعلمون ولله ملك السموات والارض ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون ﴾ يعني في ذلك اليوم يظهر خسران أصحاب الاباطيل وهم الكافرون يصيرون الى النار ﴿ وترى كل أمة جاثية ﴾ أي باركة على الركب وهي جلسة المخاصم بين يدى الحاكم ينتظر القضاء قال سلمان الفارسي ان في القيامة ساعة هي عشر سنين يخر الناس فيها جثاة على الركب حتى ابراهيم ينادي ربه لا أسألك الا نفسي ﴿ كل أمة تدعى الى كتابها ﴾ أي الذي فيه أعمالها ويقال لهم ﴿ اليوم تجزون ما كنتم تعملون ﴾ أي من خير وشر ﴿ هذا كتابنا ﴾ يعني ديوان الحفظة فان قلت كيف أضاف الكتاب اليهم أولا بقوله تدعى الى كتابها واليه ثانيا بقوله هذا كتابنا قلت لامنافاة بينهما فاضافته اليهم لانه كتاب أعمالهم واضافته اليه لانه تعالى هو آمر الحفظة بكتبه ﴿ ينطق عليكم بالحق ﴾ أي يشهد عليكم ببيان شاف كأنه ينطق وقيل المراد

من الصادقين أن نبعث بعد الموت (قل) يا محمد لابي جهل وأصحابه (الله يحييكم) في القبر (ثم يميتكم) في القبر (ثم يجمعكم الى يوم القيامة) ويقال قل الله يميتكم مقدر ومؤخر ثم يجمعكم الى يوم القيامة (لاريب فيه) لاشك فيه (ولكن أكثر الناس) أهل مكة (بالكتاب) (لايعلمون) ذلك ولا يصدقون (ولله ملك السموات) خزائن السموات المطر (والارض) النبات (ويوم تقوم الساعة) وهو يوم القيامة (يومئذ يخسر) يغبن (المبطلون) المشركون بذهاب الدنيا الآخرة (وترى كل أمة) كل أهل دين (جاثية) جامعة (كل امة) كل اهل دين (تدعى الى كتابها) الى قراءة كتابها كتاب الحسنات والسيآت فمنهم من يعطى كتابه بيمينه ومنهم من يعطى كتابه بشماله (اليوم تجزون ما كنتم تعملون) وتقولون في الدنيا (هذا كتابنا) يعني ديوان الحفظة (ينطق عليكم) يشهد عليكم (بالحق)

من غير زيادة ولانقصان (انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون) أى نستكتب الملائكة أعمالكم وقيل نسخت واستنسخت بمعنى وليس ذلك بنقل من كتاب بل معناه نثبت (فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم فى رحمته) جنته (ذلك هو الفوز المبين وأما الذين كفروا) فيقال لهم (أفلم تكن آياتى تتلى عليكم) والمعنى ألم يأتكم رسلى فلم تكن آياتى تتلى عليكم فحذف المعطوف عليه (فاستكبرتم) عن الايمان بها (وكنتم قوما مجرمين) كافرين (واذا قيل ان وعدالله) بالجزاء (حق والساعة) بالرفع عطف على محل ان واسمها والساعة حمزة عطف على وعد الله (لاريب فيها قلتم ماندرى ماالساعة) أى شئ الساعة (ان نظن الاظنا) أصله نظن ظنا ومعناه اثبات الظن فحسب فادخل حرف النفى والاستثناء ليفاد اثبات الظن مع نفى ماسواه وزيد نفى ماسوى الظن توكيدا بقوله (ومانحن بمستيقنين

﴿ انا كنا نستنسخ ﴾ نستكتب الملائكة ﴿ ما كنتم تعملون ﴾ اعمالكم ﴿ فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم فى رحمته ﴾ التى من جملتها الجنة ﴿ ذلك هو الفوز المبين ﴾ الظاهر لخلوصه عن الشوائب ﴿ واما الذين كفروا افلم تكن آياتى تتلى عليكم ﴾ اى فيقال لهم الم يأتكم رسلى فلم تكن آياتى تتلى عليكم فحذف القول والمعطوف عليه اكتفاء بالمقصود واستغناء بالقرينة ﴿ فاستكبرتم ﴾ عن الايمان بها ﴿ وكنتم قوما مجرمين ﴾ عادتهم الاجرام ﴿ واذا قيل ان وعدالله ﴾ يحتمل الموعود والمصدر ﴿ حق ﴾ كائن هو اومتعلقه لامحالة ﴿ والساعة لاريب فيها ﴾ افراد للمقصود وقرأ حمزة بالنصب عطفا على اسم ان ﴿ قلتم ما ندرى ماالساعة ﴾ اى شئ الساعة استغرابا لها ﴿ ان نظن الاظنا ﴾ اصله نظن ظنا فادخل حرف النفى والاستثناء لاثبات الظن ونفى ماعداه كأنه قال مانحن الانظن ظنا اولنفى ظنهم فيما سوى ذلك مبالغة ثم اكده بقوله ﴿ ومانحن بمستيقنين ﴾ اى لامكانه ولعل ذلك قول بعضهم تحيروا بين ماسمعوا من آبائهم وماتليت عليهم من الآيات فى امر الساعة

بالكتاب اللوح المحفوظ ﴿ انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون ﴾ أى نأمر الملائكة بنسخ أعمالكم وكتابتها واثباتها عليكم وقيل نستنسخ أى نأخذ نسخته وذلك ان الملكين يرفعان عمل الانسان فثبت الله منه ما كان له ثواب وعليه عقاب ويطرح منه اللغو نحو قولهم هلم واذهب وقيل الاستنساخ من اللوح المحفوظ تنسخ الملائكة كل عام مايكون من أعمال بنى آدم والاستنساخ لايكون الامن أصل فينسخ كتاب من كتاب ﴿ فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم فى رحمته ﴾ أى جنته ﴿ ذلك هو الفوز المبين ﴾ أى الظفر الظاهر ﴿ وأما الذين كفروا ﴾ أى يقال لهم ﴿ أفلم تكن آياتى تتلى عليكم ﴾ يعنى آيات القرآن ﴿ فاستكبرتم ﴾ أى عن الايمان بها ﴿ وكنتم قوما مجرمين ﴾ يعنى كافرين منكرين * قوله عزوجل ﴿ واذا قيل ان وعدالله حق ﴾ أى البعث كائن ﴿ والساعة لاريب فيها ﴾ أى لاشك فى انها كائنة ﴿ قلتم ماندرى ما الساعة ﴾ أى أنكرتموها وقلتم ﴿ ان نظن الاظنا ﴾ أى مانعلم ذلك الاحدسا وتوهما ﴿ ومانحن بمستيقنين ﴾ أى انها كائنة

بالعدل (انا كنا نستنسخ) نكتب (ما كنتم تعملون) وتقولون فى الدنيا (فاما الذين آمنوا) بمحمد عليه السلام والقرآن (وعملوا الصالحات) فيما بينهم وبين ربهم (فيدخلهم ربهم فى رحمته) فى جنته (ذلك هو الفوز المبين) النجاة الوافرة فازوا بالجنة ومافيها ونجوا من النار وما فيها وهم الذين يعطون كتابهم بيمينهم (وأما الذين كفروا) يقال لهم (أفلم تكن آياتى تتلى) تقرأ (عليكم) فى الدنيا بالامر والنهى (فاستكبرتم) فتعظمتم عن الايمان بها (وكنتم قوما مجرمين) مشركين (واذاقيل) لهم فى الدنيا (ان وعدالله) البعث بعدالموت (حق والساعة) قيام الساعة (لاريب) لاشك (فيها) كائنة (قلتم ماندرى ما الساعة) ماقيام الساعة (ان نظن الاظنا) ان نقول مانقول الا بالظن (ومانحن بمستيقنين) بقيام الساعة

وبدالهم) ظهر لهؤلاء الكفار (سيآت ماعملوا) قبائح أعمالهم أوعقوبات أعمالهم السيآت كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها (وحاق بهم ماكانوا به يستهزؤن) ونزل بهم جزاء استهزائهم (وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا) أى نترككم فى العذاب كما تركتم عدة لقاء يومكم وهى الطاعة واضافة اللقاء الى اليوم كاضافة المكر فى قوله بل مكر الليل والنهار أى نسيتم لقاء الله تعالى فى يومكم هذا ولقاء جزائه (ومأويكم النار) أى منزلكم (ومالكم من ناصرين ذلكم) العذاب (بانكم) بسبب انكم (اتخذتم آيات الله هزوا وغرتكم الحيوة الدنيا فاليوم لايخرجون منها) لايخرجون حمزة وعلى (ولاهم يستعتبون) ولايطلب منهم أن يعتبوا ربهم أى يرضوه (فلله الحمد رب

الجزء السادس والعشرون

اللهم اجرنا من النار

﴿ وبدالهم ﴾ ظهر لهم ﴿ سيآت ماعملوا ﴾ على ماكانت عليه بان عرفوا قبحها وعاينوا وخامة عاقبتها اوجزاؤها ﴿ وحاق بهم ماكانوا به يستهزؤن ﴾ وهو الجزاء ﴿ وقيل اليوم ننساكم ﴾ نترككم فى العذاب ترك ماينسى ﴿ كما نسيتم لقاء يومكم هذا ﴾ كما تركتم عدته ولم تبالوا به واضافة اللقاء الى اليوم اضافة المصدر الى ظرفه ﴿ ومأويكم النار ومالكم من ناصرين ﴾ يخلصونكم منها ﴿ ذلكم بانكم اتخذتم آيات الله هزؤا ﴾ استهزأتم بها ولم تتفكروا فيها ﴿ وغرتكم الحياة الدنيا ﴾ فحسبتم ان لاحياة سواها ﴿ فاليوم لايخرجون منها ﴾ وقرأ حمزة والكسائى بفتح الياء وضم الراء ﴿ ولاهم يستعتبون ﴾ يطلب منهم ان يعتبوا ربهم اى يرضوه لفوات اوانه ﴿ فلله الحمد رب

﴿ وبدالهم ﴾ أى فى الآخرة ﴿ سيآت ماعملوا ﴾ أى فى الدنيا والمعنى بدالهم جزاء سيآتهم ﴿ وحاق بهم ﴾ أى نزل بهم ﴿ ماكانوا به يستهزؤن وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا ﴾ أى تركتم الايمان والعمل للقاء هذا اليوم ﴿ ومأويكم النار ومالكم من ناصرين ﴾ أى مالكم من مانعين يمنعونكم من العذاب ﴿ ذلكم ﴾ أى هذا الجزاء ﴿ بأنكم اتخذتم آيات الله هزوا وغرتكم الحيوة الدنيا ﴾ يعنى حين قلتم لابعث ولاحساب ﴿ فاليوم لايخرجون منها ﴾ أى من النار ﴿ ولاهم يستعتبون ﴾ أى لايطلب منهم أن يرجعوا الى طاعة الله والايمان به لانه لايقبل ذلك اليوم عذر ولاتوبة ﴿ فلله الحمد رب

(وبدالهم) ظهر لهم (سيآت ماعملوا) قبح أعمالهم (وحاق بهم) نزل بهم (ماكانوا به يستهزؤن) عقوبة استهزائهم بالرسل والكتب (وقيل) لهم (اليوم ننساكم) نترككم فى النار (كما نسيتم لقاء يومكم هذا) كما تركتم الاقرار بيومكم هذا (ومأويكم) مستقركم (النار ومالكم من ناصرين) من مانعين من عذاب الله (ذلكم) العذاب (بأنكم اتخذتم آيات الله) كتاب الله ورسوله (هزوا) سخرية (وغرتكم الحيوة الدنيا) مافى الحياة الدنيا عن طاعة الله (فاليوم لايخرجون منها) من النار (ولاهم يستعتبون) يرجعون الى الدنيا وهم الذين يعطون كتابهم بشمالهم (فلله الحمد) الشكر والمنة (رب

﴿ السموات ﴾

السموات ورب الارض رب العالمين) أى فاحمدوا الله الذى هو ربكم ورب كل شئ من السموات والارض والعالمين
فان مثل هذه الربوبية العامة توجب الحمد والثناء على كل مربوب

السموات ورب الارض رب العالمين ﴾ اذ الكل نعمة ودال على كمال قدرته ﴿ وله الكبرياء فى السموات والارض ﴾ اذ ظهر فيهما آثارها ﴿ وهو العزيز ﴾ الذى لا يغلب ﴿ الحكيم ﴾ فيما قدر وقضى فاحمدوه وكبروه واطيعوا له * عن النبى عليه السلام من قرأ حم الجاثية ستر الله عورته وسكن روعته يوم الحساب

سورة الاحقاف مكية وهى اربع او خمس وثلاثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم

السموات ورب الارض رب العالمين ﴾ معناه فاحمدوا الله الذى هو ربكم ورب كل شئ من السموات والارض والعالمين فان مثل الربوبية العامة توجب الحمد والثناء على كل حال ﴿ وله الكبرياء ﴾ أى وكبروه فان له الكبرياء والعظمة ﴿ فى السموات والارض ﴾ وحق لمثله أن يكبر ويعظم ﴿ وهو العزيز الحكيم ﴾ (م) عن أبى سعيد وأبى هريرة قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العز ازاره والكبرياء رداؤه قال الله تعالى فمن ينازعنى عذبته لفظ مسلم وأخرجه البرقانى وأبو مسعود رضى الله عنهما يقول الله عز وجل العز ازارى والكبرياء ردائى فمن نازعنى شيأ منهما عذبته ولابى داود عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى الكبرياء ردائى والعظمة ازارى فمن نازعنى فى واحد منهما قذفته فى النار ﴿ شرح غريب ألفاظ الحديث ﴾ قيل هذا الكلام خرج على ما تعتاده العرب فى بديع استعاراتهم وذلك أنهم يكنون عن الصفة اللازمة بالثياب يقولون شعار فلان الزهد ولباسه التقوى فضرب الله عز وجل الازار والرداء مثلا له فى انفراده سبحانه وتعالى بصفة الكبرياء والعظمة والمعنى انهما ليسا كسائر الصفات التى يتصف بها بعض المخلوقين مجازا كالرحمة والكرم وغيرهما وشبههما بالازار والرداء لان المتصف بهما يشملانه كما يشمل الرداء الانسان ولانه لا يشاركه فى ازاره وردائه أحد فكذلك الله تعالى لا ينبغى ان يشاركه فيهما أحد لانهما من صفاته اللازمة له المختصة به التى لا تليق بغيره والله أعلم

تفسير سورة الاحقاف وهى مكية

قيل غير قوله قل أرأيتم وقيل وقوله فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل فانهما نزلتا بالمدينة وهى أربع وقيل خمس وثلاثون آية وستمائة وأربع وأربعون كلمة وألفان وخمسمائة وخمسة وتسعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

* قوله عز وجل ﴿ حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم

(وله الكبرياء فى السموات والارض) وكبروه فقد ظهرت آثار كبريائه وعظمته فى السموات والارض (وهو العزيز) فى انتقامه (الحكيم) فى أحكامه

﴿ سورة الاحقاف مكية وهى خمس وثلاثون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم

السموات ورب الارض) خالق السموات وخالق الارض (رب العالمين) رب كل ذى روح دب على وجه الارض (وله الكبرياء) العظمة والسلطان (فى السموات والارض) على أهل السموات وأهل الارض (وهو العزيز) فى ملكه وسلطانه (الحكيم) فى أمره وقضائه

﴿ ومن السورة التى يذكر فيها الاحقاف وهى مكية الا قوله وشهد شاهد من بنى اسرائيل الى آخر الآية وثلاث آيات فى ابى بكر وابنه عبد الرحمن من قوله ووصينا الانسان بوالديه الى قوله فيقول ماهذا الا اساطير الاولين فانهن مدنيات آياتها اثنتان وثلاثون آية وكلماتها ستمائة واربع واربعون وحروفها الفان وستمائة حرف ﴾ (قا و خا ٦٠ مس) ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (حم) يقول قضى ما هو كائن أى بين ويقال قسم اقسم به (تنزيل الكتاب) ان هذا الكتاب تكليم (من الله العزيز) بالنقمة لمن لا يؤمن به (الحكيم) فى امره

ماخلقنا السموات والارض ومابينهما الا بالحق) ملتبسا بالحق (واجل مسمى) وبتقدير اجل مسمى ينتهى اليه وهو يوم القيامة (والذين كفروا عما انذروا) عما انذروه من هول ذلك اليوم الذى لابد لكل مخلوق من انتهائه اليه (معرضون) لايؤمنون به ولايهتمون بالاستعداد له ويجوز ان تكون مامصدرية أي عن انذارهم ذلك اليوم (قل أرايتم) أخبرونى (ماتدعون من دون الله) تعبدونه من الاصنام (أرونى ماذا خلقوا من الارض) أي شئ خلقوا مما في الارض ان كانوا آلهة (أم لهم شرك في السموات) شركة مع الله في خلق السموات والارض (ائتونى بكتاب من قبل هذا) أي من قبل هذا الكتاب وهو القرآن يعنى ان هذا الكتاب ناطق بالتوحيد وابطال الشرك ومامن كتاب أنزل من قبله من كتب الله الا وهو ناطق بمثل ذلك فائتوا بكتاب واحد منزل من قبله شاهد بصحة ماأنتم عليه من عبادة غيرالله (أو اثارة من علم) أو بقية من علم بقيت عليكم من علوم الاولين (ان كنتم صادقين) ان الله أمركم بعبادة الاوثان (ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لايستجيب له

وقضائه امر ان لا يعبد غيره (ماخلقنا السموات والارض وما بينهما) من الخلق والعجائب (الا بالحق) للحق (واجل مسمى) لوقت معلوم ينتهى اليه (والذين كفروا) كفار مكة (عما انذروا) خوفوا (معرضون) مكذبون بمحمد صلى الله عليه (الى) وسلم والقرآن (قل) يامحمد لاهل مكة (أرأيتم ماتدعون) ماتعبدون (من دون الله) من الاوثان (أرونى) أخبرونى (ماذا خلقوا من الارض) ممافي الارض (أم لهم شرك في السموات) عون في خلق السموات (ائتونى بكتاب من قبل هذا) من قبل هذا القرآن فيه تقولون (أواثارة من علم) أورواية من العلماء ويقال بقية من علم الانبياء (ان كنتم صادقين) فيما تقولون (ومن أضل) عن الحق والهدى (ممن يدعو) يعبد (من دون الله) وهو الكافر (من لايستجيب له)

ماخلقنا السموات والارض ومابينهما الا بالحق﴾ الا خلقا ملتبسا بالحق وهو ماتقتضيه الحكمة والمعدلة وفيه دلالة على وجود الصانع الحكيم والبعث للمجازاة على ماقررناه مرارا ﴿ واجل مسمى ﴾ وبتقدير اجل مسمى ينتهى اليه الكل وهو يوم القيامة اوكل واحد وهو آخر مدة بقائه المقدر له ﴿والذين كفروا عما انذروا﴾ من هول ذلك الوقت ويجوز ان تكون مامصدرية ﴿ معرضون ﴾ لايتفكرون فيه ولايستعدون لحلوله ﴿قل ارأيتم ماتدعون من دون الله أرونى ماذا خلقوا من الارض ام لهم شرك في السموات﴾ اى أخبرونى عن حال آلهتكم بعد تأمل فيها هل يعقل ان يكون لها مدخل في انفسها في خلق شئ من اجزاء العالم فتستحق به العبادة وتخصيص الشرك بالسموات احتراز عما يتوهم ان للوسائط شركة في ايجاد الحوادث السفلية ﴿ ائتونى بكتاب من قبل هذا﴾ من قبل هذا الكتاب يعنى القرآن فانه ناطق بالتوحيد ﴿ اواثارة من علم﴾ اوبقية من علم بقيت عليكم من علوم الاولين هل فيها مايدل على استحقاقهم للعبادة او الامر به ﴿ ان كنتم صادقين ﴾ في دعواكم وهو الزام بعدم مايدل على الوهيتهم بوجه ما نقلا بعد الزامهم بعدم مايقتضيها عقلا ﴿ وقرئ أثارة بالكسر اى مناظرة فان المناظرة تثير المعانى وأثرة اى شئ اوثرتم به واثرة بالحركات الثلاث في الهمزة وسكون الثاء فالمفتوحة للمرة من مصدر أثر الحديث اذا رواه والمكسورة بمعنى الاثرة والمضمومة اسم مايؤثر ﴿ومن اضل ممن يدعو من دون الله من لايستجيب له﴾ انكار ان يكون احد اضل من المشركين حيث تركوا عبادة السميع المجيب القادر الخبير الى

ماخلقنا السموات والارض ومابينهما الا بالحق﴾ أي بالعدل ﴿وأجل مسمى﴾ يعنى يوم القيامة وهو الاجل الذى ينتهى اليه فناء السموات والارض ﴿والذين كفروا عما انذروا﴾ أي خوفوا به في القرآن من البعث والحساب ﴿ معرضون ﴾ أي لايؤمنون به ﴿ قل أرأيتم ماتدعون من دون الله﴾ يعنى الاصنام ﴿ أرونى ماذا خلقوا من الارض أم لهم شرك في السموات ائتونى بكتاب من قبل هذا ﴾ أى بكتاب جاءكم من الله قبل القرآن فيه بيان ماتقولون﴿ أو أثارة من علم ﴾ أى بقية من علم يؤثر عن الاولين ويسند اليهم وقيل برواية عن علم الانبياء وقيل علامة من علم وقيل هو الخط وهو خط كانت العرب تخطه في الارض ﴿ ان كنتم صادقين ﴾ أى في أن لله شريكا ﴿ ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لايستجيب له ﴾ يعنى الاصنام لاتجيب عابديها الى شئ يسألونها

الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون) أى ابدا (واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء) أى الاصنام لعبدتها (وكانوا) اى الاصنام (بعبادتهم) بعبادة عبدتهم (كافرين) يقولون مادعوناهم الى عبادتنا ومعنى الاستفهام فى من اضل انكار ان يكون فى الضلال كلهم ابلغ ضلالا من عبدة الاوثان حيث يتركون دعاء السميع المجيب القادر على كل شئ ويدعون من دونه جمادا لايستجيب لهم ولاقدرة له على استجابة احد منهم مادامت الدنيا والى ان تقوم القيامة واذا قامت القيامة وحشر الناس كانوا لهم اعداء وكانوا عليهم ضدا فليسوا فى الدارين الاعلى نكد ومضرة لاتتولاهم فى الدنيا بالاستجابة وفى الآخرة تعاديهم وتجحد عبادتهم ولما اسند اليهم مايسند الى اولى العلم من الاستجابة والغفلة قيل من وهم ووصفهم بترك الاستجابة والغفلة طريقه طريق التهكم بها وبعبدتها ونحوه قوله تعالى ان تدعوهم لايسمعوا دعاءكم ولوسمعوا مااستجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم (واذاتتلى ﴿٤٧٥﴾ عليهم آياتنا بينات) ﴿سورة الاحقاف﴾ جمع بينة وهى الحجة والشاهد اوواضحات مبينات (قال الذين كفروا للحق) المراد بالحق الآيات وبالذين كفرا المتلو عليهم فوضع الظاهران موضع الضميرين للتسجيل عليهم بالكفر وللمتلو بالحق (لماجاءهم) أى بادؤه بالجحود ساعة أتاهم وأول ماسمعوه من غير اجالة فكر ولا اعادة نظر (هذا سحر مبين) ظاهر أمره فى البطلان لاشبهة فيه (أم يقولون افتراه) اضراب عن ذكر تسميتهم الآيات سحرا الى ذكر قولهم ان محمدا عليه السلام افتراه أى اختلقه وأضافه الى الله كذبا والضمير للحق والمرادبه الآيات (قل ان افتريته فلاتملكون لى من الله شيأ) أى ان افتريته على سبيل الفرض عاجلنى الله بعقوبة الافتراء عليه فلاتقدرون على كفه عن معاجلتى ولاتطيقون دفع شئ من عقابه فكيف أفتريه وأتعرض لعقابه

عبادة من لايستجيب لهم لوسمع دعاءهم فضلا ان يعلم سرائرهم ويراعى مصالحهم ﴿ الى يوم القيامة ﴾ مادامت الدنيا ﴿ وهم عن دعائهم غافلون ﴾ لانهم اما جمادات واما عباد مسخرون مشتغلون باحوالهم ﴿ واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء ﴾ يضرونهم ولاينفعونهم ﴿ وكانوا بعبادتهم كافرين ﴾ مكذبين بلسان الحال او المقال وقيل الضمير للعابدين وهو كقوله والله ربنا ما كنا مشركين ﴿ واذا تتلى عليهم آياتنا بينات ﴾ واضحات اومبينات ﴿ قال الذين كفروا للحق ﴾ لاجله وفى شأنه والمرادبه الآيات ووضعه موضع ضميرها ووضع الذين كفروا موضع ضمير المتلو عليهم للتسجيل عليها بالحق وعليهم بالكفر والانهماك فى الضلالة ﴿ لماجاءهم ﴾ حين ماجاءهم من غير نظر وتأمل ﴿ هذا سحر مبين ﴾ ظاهر بطلانه ﴿ ام يقولون افتراه ﴾ اضراب عن ذكر تسميتهم اياه سحرا الى ذكر ما هو اشنع منه وانكار له وتعجب ﴿ قل ان افتريته ﴾ على الفرض ﴿ فلاتملكون لى من الله شيأ ﴾ اى ان عاجلنى الله بالعقوبة فلا تقدرون على دفع شئ منها فكيف اجترئ عليه واعرض نفسى للعقاب من غير

﴿ الى يوم القيامة ﴾ يعنى لاتجيب أبدا مادامت الدنيا ﴿ وهم عن دعائهم غافلون ﴾ يعنى لانها جمادات لاتسمع ولاتفهم ﴿ واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين ﴾ أى جاحدين ﴿ واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للحق لماجاءهم هذا سحر مبين ﴾ سموا القرآن سحرا ﴿ أم يقولون افتراه ﴾ أى اختلق القرآن محمد من قبل نفسه قال الله عز وجل ﴿ قل ﴾ يامحمد ﴿ ان افتريته فلا تملكون لى من الله شيأ ﴾ أى لاتقدرون أن تردوا عنى عذابه ان عذبنى على افترائى فكيف أفترى

من لايجيبه ان دعاه (الى يوم القيامة وهم) يعنى الاصنام (عن دعائهم) عن دعاء من يعبدهم (غافلون) جاهلون (واذا حشر الناس) يوم القيامة (كانوا) يعنى الاصنام (لهم) لمن يعبدها (اعداء وكانوا) يعنى الاصنام (بعبادتهم) بعبادة من يعبدهم (كافرين) جاحدين (واذا تتلى) تقرأ (عليهم) على كفار اهل مكة (آياتنا) القرآن (بينات) واضحات بالامر والنهى (قال الذين كفروا)كفار مكة (للحق) للقرآن (لماجاءهم) حين جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم به (هذا سحر مبين) كذب بين (أم يقولون) بل يقولون (افتراه) اختلق محمد عليه السلام القرآن من تلقاء نفسه (قل) لهم يامحمد (ان افتريته) اختلقت القرآن من تلقاء نفسى كما تقولون (فلاتملكون لى) فلاتقدرون لى (من الله) من عذاب الله (شيأ

(هو أعلم بما تفيضون فيه) أى تندفعون فيه من القدح فى وحى الله والطعن فى آياته وتسميته سحرا تارة وفرية أخرى (كفى به شهيدا بينى وبينكم) يشهد لى بالصدق والبلاغ ويشهد عليكم بالجحود والانكار ومعنى ذكر العلم والشهادة وعيد بجزاء افاضتهم (وهو الغفور الرحيم) موعدة بالغفران والرحمة ان تابوا عن الكفر وآمنوا (قل ما كنت بدعا من الرسـل) أى بديعا كالخف بمعنى الخفيف والمعنى انى لست باول مرسل فتنكروا نبوتى (وما أدرى مايفعل بى ولا بكم) أى مايفعل الله بى وبكم فيما يستقبل من الزمان وعن الكلبى قال له أصحابه وقد ضجروا من أذى المشركين حتى متى نكون على هذا فقال ما أدرى مايفعل بى ولا بكم أأترك بمكة أم أومر بالخروج الى أرض قد رفعت لى ورأيتها يعنى فى منامه ذات نخيل وشجر ومافى مايفعل يجوز أن تكون موصولة منصوبة وأن تكون استفهامية مرفوعة وانما دخل لا فى قوله ولا بكم مع أن يفعل مثبت غير منفى لتناول النفى فيما أدرى ما وما فى حيزه

توقع نفع ولادفع ضر من قبلكم ﴿ هو اعلم بما تفيضون فيه ﴾ تندفعون فيه من القدح فى آياته ﴿ كفى به شهيدا بينى وبينكم ﴾ يشهد لى بالصدق والبلاغ وعليكم بالكذب والانكار وهو وعيد بجزاء افاضتهم ﴿ وهو الغفور الرحيم ﴾ وعد بالمغفرة والرحمة لمن تاب وآمن واشعار بحلم الله عنهم مع عظم جرمهم ﴿ قل ما كنت بدعا من الرسل ﴾ بديعا منهم ادعوكم الى مالا يدعون اليه او اقدر على مالم يقدروا عليه وهو الاتيان بالمقترحات كلها ونظيره الخف بمعنى الخفيف ❊ وقرئ بفتح الدال على انه كقيم اومقدر بمضاف اى ذا بدع ﴿ وما ادرى مايفعل بى ولا بكم ﴾ فى الدارين على التفصيل اذلا علم لى بالغيب ولا لتأكيد النفى المشتمل على مايفعل بى وما اما موصولة منصوبة اواستفهامية

على الله من أجلكم ﴿ هو أعلم ﴾ أى الله أعلم ﴿ بما تفيضون فيه ﴾ أى تخوضون فيه من التكذيب بالقرآن والقول فيه انه سحر ﴿ كفى به شهيدا بينى وبينكم ﴾ أى ان القرآن جاء من عنده ﴿ وهو الغفور الرحيم ﴾ أى فى تأخير العذاب عنكم وقيل هو دعاء لهم الى التوبة ومعناه انه غفور لمن تاب منكم رحيم به ❊ قوله تعالى ﴿ قل ﴾ يا محمد ﴿ ما كنت بدعا ﴾ أى بديعا ﴿ من الرسـل ﴾ أى لست بأول مرسل قد بعث قبلى كثير من الانبياء فكيف تنكرون نبوتى ﴿ وما أدرى مايفعل بى ولا بكم ﴾ اختلف العلماء فى معنى هذه الآية فقيل معناه ما أدرى مايفعل بى ولا بكم يوم القيامة ولما نزلت هذه الآية فرح المشركون وقالوا واللات والعزى ما أمرنا وأمر محمد عند الله الا واحد وماله علينا من مزية وفضل ولولا انه ابتدع مايقوله من ذات نفسه لاخبره الذى بعثه بما يفعل به فانزل الله عزوجل ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وما تأخر فقالت الصحابة هنيئا لك يا نبى الله قد علمت مايفعل بك فماذا يفعل بنا فانزل الله عزوجل ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار الآية وأنزل وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا فبين الله مايفعل به وبهم وهذا قول أنس وقتادة والحسن وعكرمة قالوا انما قال هذا قبل أن يخبر بغفران ذنبه وانما أخبر بغفران ذنبه عام الحديبية فنسخ ذلك (خ) عن خارجة بن زيد بن ثابت ان ام العلاء امرأة من الانصار وكانت بايعت النبى صلى الله عليه وسلم أخبرته انه اقتسم المهاجرون قرعة قالت فطار لنا عثمان بن مظعون فانزلناه فى أبياتنا فوجع وجعه الذى توفى فيه فلما توفى وغسل وكفن فى أثوابه دخل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت رحمة الله عليك أبا السائب فشهادتى عليك لقد أكرمك الله فقال النبى صلى الله عليه وسلم ومايدريك ان الله أكرمه فقلت بابى أنت يارسول الله فمن يكرمه الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما هو فقد جاءه اليقين والله انى لأرجو له الخير والله ماأدرى وأنا رسول الله مايفعل بى قالت فوالله لاأزكى بعده أحدا يارسول الله قالت وأريت لعثمان فى النوم عينا تجرى فجئت رسول

هو اعلم بما تفيضون فيه) تخوضون فى القرآن من الكذب (كفى به) كفى بالله (شهيدا بينى وبينكم) بانى رسوله وهذا القرآن كلامه (وهو الغفور) لمن تاب (الله) منكم (الرحيم) لمن مات على التوبة (قل) لهم يا محمد (ما كنت بدعا من الرسل) لست باول مرسل من الآدميين قد كان قبلى رسل (وما ادرى مايفعل بى ولا بكم) من الشدة والرخاء والعافية ويقال نزلت هذه الآية فى شأن اصحابه عليه السلام حيث

(ان أتبع الا مايوحى الى وما أنا الانذير مبين قل أرأيتم ان كان) القرآن (من عندالله وكفرتم به وشهد شاهد من بنى اسرائيل) هو عبدالله بن سلام عند الجمهور ولهذا قيل ان هذه الآية مدنية لان اسلام ابن سلام بالمدينة روى انه لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة نظر الى وجهه فعلم

انه ليس بوجه كذاب وقال له انى سائلك عن ثلاث لايعلمهن الانبي ما أول اشراط الساعة وما أول طعام يأكله أهل الجنة وما بال الولد ينزع الى أبيه أو الى امه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما أول اشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق الى المغرب وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد حوت وأما الولد فاذا سبق ماء الرجل نزعه وان سبق ماء المرأة نزعته فقال أشهد أنك رسول الله حقا (على مثله) الضمير للقرآن أى مثله فى المعنى وهو ما فى التوراة من المعانى المطابقة لمعانى القرآن من التوحيد والوعد والوعيد وغير ذلك ويجوز ان يكون المعنى ان كان من عندالله وكفرتم به وشهد شاهد على نحو ذلك يعنى كونه من عندالله

مرفوعة وقرئ يفعل اى يفعل الله ﴿ ان اتبع الا مايوحى الى ﴾ لااتجاوزه وهو جواب عن اقتراحهم الاخبار عما لم يوح اليه من الغيوب او استعجال المسلمين ان يتخلصوا من اذى المشركين ﴿ وما انا الا نذير ﴾ عن عقاب الله ﴿ مبين ﴾ بين الانذار بالشواهد المبينة والمعجزات المصدقة ﴿ قل أرأيتم ان كان من عندالله ﴾ اى القرآن ﴿ وكفرتم به ﴾ وقد كفرتم به ويجوز ان تكون الواو عاطفة على الشرط وكذا الواو فى قوله ﴿ وشهد شاهد من بنى اسرائيل ﴾ الا انها تعطفه بما عطف عليه على جملة ماقبله والشاهد هو عبدالله بن سلام وقيل موسى عليه السلام وشهادته ما فى التوارة من نعت الرسول ﴿ على مثله ﴾ مثل القرآن وهو ما فى التوراة من المعانى المصدقة للقرآن

الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال ذاك عمله وفى رواية غير البخارى قالت لما قدم المهاجرون المدينة اقترعت الانصار على سكناهم قالت فطار لنا عثمان بن مظعون وفيه والله ما أدرى وأنا رسول الله مايفعل بى ولابكم وقيل فى معنى قوله ما أدرى مايفعل بى ولابكم هذا فى الدنيا أما فى الآخرة فقد علم انه فى الجنة وأن من كذبه فى النار فعلى هذا الوجه فقد اختلفوا فيه فقال ابن عباس لما اشتد البلاء باصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام وهو بمكة أرضا ذات سباخ ونخل رفعت له يهاجر اليها فقال له أصحابه متى تهاجر الى الارض التى أريت فسكت فانزل الله هذه الآية وما أدرى مايفعل بى ولابكم أأترك فى مكانى أم أخرج أنا وأنتم الى الارض التى رفعت لى وقيل لا أدرى الى ماذا يصير أمرى وأمركم فى الدنيا أما أنا فلا أدرى أخرج كما أخرجت الانبياء من قبلى أم أقتل كما قتل بعض الانبياء من قبلى وأما أنتم أيها المصدقون فلا أدرى أتخرجون معى أم تتركون أم ماذا يفعل بكم ولا أدرى مايفعل بكم أيها المكذبون أترمون بالحجارة من السماء أم يخسف بكم أم أى شئ يفعل بكم مما فعل بالامم المكذبة ثم أخبره الله عزوجل انه يظهر دينه على الاديان كلها فقال تعالى هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وقال فى أمته وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فاعلمه مايصنع به وبامته وقيل معناه لا أدى الى ماذا يصير أمرى وأمركم ومن الغالب والمغلوب ثم أخبره انه يظهر دينه على الاديان وأمته على سائر الامم ✻ وقوله ﴿ ان أتبع الا مايوحى الى ﴾ معناه ما أتبع غير القرآن الذى يوحى الى ولا أبتدع من عندى شيأ ﴿ وما أنا الانذير مبين ﴾ أى أنذركم العذاب وأبين لكم الشرائع ﴿ قل أرأيتم ﴾ أى أخبرونى ماذا تقولون ﴿ ان كان من عندالله ﴾ يعنى القرآن ﴿ وكفرتم به ﴾ أيها المشركون ﴿ وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله ﴾ أى

قالوا له متى يكون خروجنا من مكة ونجاتنا من الكفار فقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم ما أدرى مايفعل بى ولابكم أأخرج وتخرجون الى الهجرة أم لا (ان أتبع) ما اعمل (الامايوحى الى) الابما امرت فى القرآن (وما أنا الا نذير مبين) رسول مخوف بلغة تعلمونها (قل) يامحمد لليهود (أرأيتم) يامعشر اليهود (ان كان من عندالله) يقول هذا القرآن من عند الله (وكفرتم به) بالقرآن يامعشر اليهود (وشهد شاهد من بنى اسرائيل) بنيامين (على مثله) على مثل شهادة عبدالله بن سلام واصحابه بمحمد صلى الله عليه

(فآمن) الشاهد (واستكبرتم) عن الايمان به وجواب الشرط محذوف تقديره ان كان القرآن من عندالله وكفرتم به ألستم ظالمين ويدل على هذا المحذوف (ان الله لا يهدى القوم الظالمين) والواو الاولى عاطفة لكفرتم على فعل الشرط وكذلك الواو الاخيرة عاطفة لاستكبرتم على شهد شاهد وأما الواو فى وشهد فقد عطفت جملة قوله شهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم على جملة قوله كان من عندالله وكفرتم به والمعنى قل أخبرونى ان اجتمع كون القرآن من عندالله مع كفركم به واجتمع شهادة أعلم بنى اسرائيل على نزول مثله فايمانه به مع استكباركم عنه وعن الايمان به ألستم أضل

المطابقة لها اومثل ذلك وهو كونه من عندالله ﴿ فآمن ﴾ اى بالقرآن لما رآه من جنس الوحى مطابقا للحق ﴿ واستكبرتم ﴾ عن الايمان ﴿ ان الله لا يهدى القوم الظالمين ﴾ استئناف مشعر بان كفرهم به لضلالهم المسبب عن ظلمهم ودليل عن الجواب

انه من عندالله ﴿ فآمن ﴾ يعنى الشاهد ﴿ واستكبرتم ﴾ أى عن الايمان به والمعنى اذا كان الامر كذلك أليس قد ظلمتم وتعديتم ﴿ ان الله لا يهدى القوم الظالمين ﴾ واختلفوا فى هذا الشاهد فقيل هو عبدالله بن سلام آمن بالنبى صلى الله عليه وسلم وشهد بصحة نبوته واستكبر اليهود فلم يؤمنوا يدل عليه ماروى عن أنس بن مالك قال بلغ عبدالله بن سلام مقدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة وهو فى أرض يخترف النخل فاتاه وقال انى سائلك عن ثلاث لايعلمهن الانبى ما أول اشراط الساعة وما أول طعام يأكله أهل الجنة ومن أى شئ ينزع الولد الى أبيه ومن أى شئ ينزع الى أخواله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرنى بهن آنفا جبريل قال فقال عبدالله ذاك عدو اليهود من الملائكة فقرأ هذه الآية من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما أول اشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق الى المغرب وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت وأما الشبه فى الولد فان الرجل اذا غشى المرأة فسبقها ماؤه كان الشبه له واذا سبقت كان الشبه لها قال أشهد أنك رسول الله ثم قال يارسول الله ان اليهود قوم بهت ان علموا باسلامى قبل ان تسألهم عنى بهتونى عندك فجاءت اليهود ودخل عبدالله البيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أى رجل فيكم عبدالله بن سلام قالوا أعلمنا وابن أعلمنا وخيرنا وابن خيرنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفرأيتم ان أسلم عبدالله قالوا أعاذه الله من ذلك زاد فى رواية فاعاد عليهم فقالوا مثل ذلك قال فخرج عبدالله اليهم فقال أشهد أن لا اله الا الله وأشهد ان محمدا رسول الله فقالوا شرنا وابن شرنا ووقعوا فيه زاد فى رواية فقال يعنى عبدالله بن سلام هذا الذى كنت أخاف يارسول الله أخرجه البخارى فى صحيحه (ق) عن سعد بن أبى وقاص قال ماسمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول لحى يمشى على الارض انه من أهل الجنة الا لعبدالله بن سلام قال وفيه نزلت وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله قال الراوى لا أدرى قال مالك الآية أو فى الحديث وقيل الشاهد هو موسى بن عمران عليه السلام قال مسروق فى هذه الآية والله مانزلت فى عبدالله بن سلام لان آل حم نزلت بمكة وانما أسلم عبدالله بن سلام بالمدينة ونزلت الآية فى محاجة كانت من رسول الله صلى الله عليه وسلم لقومه ومثل القرآن التوراة فشهد موسى على التوراة ومحمد على القرآن وكل يصدق الآخر فيكون المعنى وشهد موسى على التوراة التى هى مثل القرآن انها من عندالله كما شهد محمد صلى الله عليه وسلم على القرآن أنه كلام الله فآمن من آمن بموسى والتوراة واستكبرتم أنتم يامعشر العرب ان تؤمنوا بمحمد والقرآن ان الله لا يهدى القوم الظالمين قيل انه تهديد وهو قائم مقام جواب

وسلم والقرآن (فآمن) عبدالله بن سلام واصحابه بمحمد عليه السلام والقرآن (واستكبرتم) تعظمتم أنتم يامعشر اليهود عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (ان الله لا يهدى القوم الظالمين) لا يرشد الى دين اليهود من لم يكن

(الشرط)

الناس وأظلمهم (وقال الذين كفروا للذين آمنوا) أى لاجلهم وهو كلام كفار مكة قالوا ان عامة من يتبع محمدا السقاط يعنون الفقراء مثل عمار وصهيب وابن مسعود (لوكان خيرا ماسبقونا اليه) لوكان ماجاء به محمد خيرا ماسبقنا اليه هؤلاء (واذ لم يهتدوا به) العامل فى اذ محذوف لدلالة الكلام عليه تقديره واذلم يهتدوا به ظهر عنادهم وقوله (فسيقولون هذا افك قديم) مسبب عنه وقولهم افك قديم أى كذب متقادم كقولهم أساطير الاولين (ومن قبله) أى القرآن (كتاب موسى) أى التوراة وهو مبتدأ ومن قبله ظرف واقع خبرا مقدما عليه وهو ناصب (اماما) على الحال نحو فى الدار زيد قائما ومعنى اماما قدوة يؤتم به فى دين الله وشرائعه كما يؤتم بالامام (ورحمة) لمن آمن به وعمل بما فيه (وهذا) القرآن (كتاب مصدق) لكتاب موسى أولما بين يديه وتقدمه من جميع الكتب (لسانا عربيا) حال من ضمير الكتاب فى مصدق والعامل فيه مصدق أو من كتاب لتخصصه بالصفة ويعمل فيه معنى الاشارة وجوز أن يكون مفعولا لمصدق أى يصدق ذا لسان عربى وهو الرسول (لينذر) أى الكتاب لتنذر حجازى وشامى (الذين ظلموا) كفروا (وبشرى) فى محل النصب معطوف على محل لتنذر لانه مفعول له (للمحسنين) المؤمنين المطيعين

المحذوف مثل الستم ظالمين ﴿ وقال الذين كفروا للذين آمنوا ﴾ لاجلهم ﴿لوكان﴾ الايمان اوما اتى به محمد عليه السلام ﴿ خيرا ماسبقونا اليه ﴾ وهم سقاط اذعامتهم فقراء وموالى ورعاة وانما قاله قريش وقيل بنو عامر وغطفان واسد واشجع لما اسلم جهينة ومزينة واسلم وغفار وقيل اليهود حين اسلم ابن سلام رضى الله عنه واصحابه ﴿ واذ لم يهتدوا به ﴾ ظرف لمحذوف مثل ظهر عنادهم وقوله ﴿فسيقولون هذا افك قديم ﴾ مسبب عنه وهو كقولهم اساطير الاولين ﴿ومن قبله﴾ ومن قبل القرآن وهو خبر لقوله ﴿ كتاب موسى ﴾ ناصب لقوله ﴿ اماما ورحمة ﴾ على الحال ﴿ وهذا كتاب مصدق﴾ لكتاب موسى اولما بين يديه * وقد قرئ به ﴿ لسانا عربيا ﴾ حال من ضمير كتاب فى مصدق اومنه لتخصصه بالصفة وعاملها معنى الاشارة وفائدتها الاشعار بالدلالة على ان كونه مصدقا للتوراة كما دل على انه حق دل على انه وحى وتوقيف من الله سبحانه وقيل مفعول مصدق اى يصدق ذا لسان عربى باعجازه ﴿ لينذر الذين ظلموا ﴾ علة مصدق وفيه ضمير الكتاب او الله او الرسول ويؤيد الاخير قراءة نافع وابن عامر والبزى بخلاف عنه ويعقوب بالتاء ﴿وبشرى للمحسنين﴾

الشرط المحذوف والتقدير قل أرأيتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به فانكم لاتكونون مهتدين بل تكونون ضالين * قوله تعالى ﴿ وقال الذين كفروا ﴾ يعنى من اليهود ﴿ للذين آمنوا لوكان خيرا ﴾ يعنى دين محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ ماسبقونا اليه ﴾ يعنون عبد الله بن سلام وأصحابه وقيل نزلت فى مشركى مكة قالوا لوكان مايدعونا اليه محمد خيرا ماسبقنا اليه فلان وفلان وقيل الذين كفروا أسد وغطفان قالوا للذين آمنوا يعنى جهينة ومزينة لوكان ماجاء به محمد خيرا ماسبقنا اليه رعاء البهم * قال الله تعالى ﴿ واذ لم يهتدوا به ﴾ أى بالقرآن كما اهتدى به أهل الايمان ﴿ فسيقولون هذا أفك قديم ﴾ أى كذب متقدم ﴿ ومن قبله ﴾ أى من قبل القرآن ﴿ كتاب موسى ﴾ يعنى التوراة ﴿ اماما ﴾ أى جعلناه اماما يقتدى به ﴿ ورحمة ﴾ أى من الله لمن آمن به ﴿ وهذا كتاب ﴾ يعنى القرآن ﴿ مصدق ﴾ أى للكتب التى قبله ﴿ لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا ﴾ يعنى مشركى مكة ﴿ وبشرى للمحسنين

اهلا لذلك (وقال الذين كفروا) أسد وغطفان وحنظلة (للذين آمنوا) لجهينة ومزينة وأسلم (لوكان خيرا) لوكان مايقول محمد عليه السلام خيرا وحقا (ماسبقونا اليه) جهينة ومزينة وأسلم (واذ لم يهتدوا به) لم يؤمنوا بمحمد عليه السلام والقرآن أسد وغطفان (فسيقولون هذا افك قديم) هذا القرآن كذب قد تقادم (ومن قبله) من قبل القرآن (كتاب موسى) التوراة (اماما) يقتدى به (ورحمة) من العذاب لمن آمن به فلم يؤمنوا ولم يقتدوا به (وهذا كتاب) هذا القرآن كتاب (مصدق) موافق للتوراة بالتوحيد وصفة محمد صلى الله عليه وسلم نعته (لسانا عربيا) على مجرى لغة العرب (لتنذر) لتخوف (الذين ظلموا) اشركوا (وبشرى للمحسنين) للمؤمنين بالجنة

(ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) على توحيد الله وشريعة محمد صلى الله عليه وسلم (فلا خوف عليهم) فى القيامة (ولاهم يحزنون) عند الموت (أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها) حال من أصحاب الجنة والعامل فيه معنى الاشارة التى دل عليه أولئك (جزاء بما كانوا يعملون) جزاء مصدر لفعل دل عليه الكلام أى جوزوا جزاء (ووصينا الانسان بوالديه احسانا) كوفى أى وصيناه بان يحسن بوالديه احسانا حسنا غيرهم أى وصيناه بوالديه أمرا ذا حسن أى بامر ذى حسن فهو

فى موضع البدل من قوله بوالديه وهو من بدل الاشتمال (حملته أمه كرها ووضعته كرها) وبفتح الكافين حجازى وأبو عمرو وهما لغتان فى معنى المشقة وانتصابه على الحال أى ذات كره أو على انه صفة للمصدر أى حملا ذا كره (وحمله وفصاله) ومدة حمله وفطامه (ثلاثون شهرا) وفيه دليل على ان أقل مدة الحمل ستة أشهر لان مدة الرضاع اذا كانت حولين لقوله تعالى حولين كاملين بقيت للحمل ستة أشهر وبه قال أبو يوسف ومحمد رحمهما الله وقال أبو حنيفة رضى الله عنه المراد به الحمل بالاكف وفصله يعقوب والفصل والفصال كالعظم والعظام بناء ومعنى

عطف على محله ﴿ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا﴾ جمعوا بين التوحيد الذى هو خلاصة العلم والاستقامة فى الامور التى هى منتهى العمل وثم للدلالة على تأخر رتبة العمل وتوقف اعتباره على التوحيد ﴿فلا خوف عليهم﴾ من لحوق مكروه ﴿ولاهم يحزنون﴾ على فوات محبوب والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط ﴿اولئك اصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون﴾ من اكتساب الفضائل العلمية والعملية وخالدين حال من المستكن فى اصحاب وجزاء مصدر لفعل دل عليه الكلام اى جوزوا جزاء ﴿ووصينا الانسان بوالديه حسنا﴾ وقرأ الكوفيون احسانا وقرئ حسنا اى ايصاء حسنا ﴿حملته امه كرها ووضعته كرها﴾ ذات كره او حملا ذا كره وهو المشقة * وقرأ الحجازيان وابو عمرو وهشام بالفتح وهما لغتان كالفقر والفقر وقيل المضموم اسم والمفتوح مصدر ﴿وحمله وفصاله﴾ ومدة حمله وفصاله والفصال الفطام ويدل عليه قراءة يعقوب وفصله اووقته والمراد الرضاع التام المنتهى به ولذلك عبر به كما يعبر بالامد عن المدة قال

كل حى مستكمل مدة العمـ * ـر ومود اذا انتهى امده

﴿ثلاثون شهرا﴾ كل ذلك بيان لما تكابده الام فى تربية الولد مبالغة فى التوصية بها وفيه دليل على ان اقل مدة الحمل ستة اشهر لانه اذا حط منه للفصال حولان لقوله حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة بقى ذلك وبه قال الاطباء ولعل تخصيص اقل الحمل واكثر الرضاع لانضباطهما وتحقق ارتباط حكم النسب والرضاع

ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون﴾ تقدم تفسيره * قوله عز وجل ﴿ووصينا الانسان بوالديه حسنا﴾ أى يوصل اليهما احسانا وهو ضد الاساءة ﴿حملته أمه كرها﴾ يعنى حين أثقلت وثقل عليها الولد ﴿ووضعته كرها﴾ يريد شدة الطلق ﴿وحمله وفصاله ثلاثون شهرا﴾ يعنى ومدة حمله الى أن ينفصل من الرضاع وهو الفطام ثلاثون شهرا فاقل مدة الحمل ستة أشهر وأكثر مدة الرضاع أربعة وعشرون شهرا قال ابن عباس اذا حملت المرأة تسعة أشهر أرضعت أحدا وعشرين شهرا واذا حملت ستة أشهر

(ان الذين قالوا ربنا الله) وحدوا الله (ثم استقاموا) على أداء فرائض الله واجتناب معاصيه ولم يروغوا روغان الثعالب (فلا خوف عليهم) فيما يستقبلهم من العذاب (ولاهم يحزنون) على ما خلفوا من خلفهم ويقال فلا خوف عليهم حين يخاف اهل النار ولاهم يحزنون اذا حزن غيرهم (اولئك اصحاب الجنة خالدين فيها) مقيمين فى الجنة لا يموتون ولا يخرجون منها (جزاء بما كانوا يعملون) ويقولون فى الدنيا (ووصينا الانسان) أمرنا عبد الرحمن بن ابى بكر فى القرآن (بوالديه احسانا) برا بهما وهو ابو بكر بن أبى قحافة وزوجته (حملته أمه) فى بطنها (كرها) مشقة (ووضعته كرها) مشقة (وحمله) فى بطن أمه (وفصاله) فطامه فى اللبن (ثلاثون شهرا

(ارضعت)

ومعنى (حتى اذا بلغ أشده) هو جمع لا واحد له من لفظه وكان سيبويه يقول واحده شدة وبلوغ الاشد ان يكتهل ويستوفى السن التى تستحكم فيها قوته وعقله وذلك اذا أناف على الثلاثين وناطح الاربعين وعن قتادة ثلاث وثلاثون سنة ووجهه أن يكون ذلك أول الاشد وغايته الاربعون (وبلغ أربعين سنه قال رب أوزعنى) ألهمنى (أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى) المراد به نعمة التوحيد والاسلام وجمع بين شكرى النعمة عليه وعلى والديه لان النعمة عليهما نعمة عليه (وأن أعمل صالحا ترضاه) قيل هى الصلوات الخمس (وأصلح لى فى ذريتى) أى اجعل ذريتى موقعا للصلاح ومظنة له (انى تبت اليك) من كل ذنب (وانى من المسلمين) المخلصين (أولئك الذين

بهما ﴿حتى اذا بلغ اشده﴾ اذا اكتهل واستحكم قوته وعقله ﴿وبلغ اربعين سنة﴾ قيل لم يبعث نبى الا بعد الاربعين ﴿قال رب اوزعنى﴾ الهمنى واصله اولعنى من اوزعته بكذا ﴿ان اشكر نعمتك التى انعمت على وعلى والدى﴾ يعنى نعمة الدين اوما يعمها وغيرها وذلك يؤيد ماروى انها نزلت فى ابى بكر رضى الله عنه لانه لم يكن احد اسلم هو وابواه من المهاجرين والانصار سواه ﴿وان اعمل صالحا ترضاه﴾ نكره للتعظيم اولانه اراد نوعا من الجنس يستجلب رضى الله عز وجل ﴿واصلح لى فى ذريتى﴾ واجعل لى الصلاح ساريا فى ذريتى راسخا فيهم ونحوه

يجرح فى عراقيها نصلى

﴿انى تبت اليك﴾ عما لا ترضاه او يشغل عنك ﴿وانى من المسلمين﴾ المخلصين لك ﴿اولئك الذين

أرضعت أربعة وعشرين شهرا ﴿حتى اذا بلغ أشده﴾ أى نهاية قوته وغاية شبابه واستوائه وهو ما بين ثمان عشرة سنة الى أربعين سنة وهو قوله تعالى ﴿وبلغ أربعين سنة﴾ قيل نزلت هذه الآية فى سعد بن أبى وقاص وقد تقدمت القصة وقيل انها على العموم والاصح انها نزلت فى أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه وذلك انه صحب النبى صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثمان عشرة سنة والنبى صلى الله عليه وسلم ابن عشرين سنة فى تجارة الى الشام فنزلوا منزلا فيه سدرة فقعد النبى صلى الله عليه وسلم فى ظلها ومضى أبو بكر الى راهب هناك يسأله عن الدين فقال له الراهب من الرجل الذى فى ظل السدرة فقال هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب فقال الراهب هذا والله نبى وما استظل تحتها بعد عيسى أحد الا هذا وهو نبى آخر الزمان فوقع فى قلب أبى بكر اليقين والتصديق فكان لا يفارق النبى صلى الله عليه وسلم فى سفر ولا حضر فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعين سنة أكرمه الله تعالى بنبوته واختصه برسالته فآمن به أبو بكر وصدقه وهو ابن ثمان وثلاثين سنة فلما بلغ أربعين سنة دعا ربه عز وجل ﴿قال رب أوزعنى﴾ أى ألهمنى ﴿ان أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى﴾ أى بالايمان والهداية وقال على بن أبى طالب فى قوله ووصينا الانسان بوالديه حسنا فى أبى بكر أسلم أبواه جميعا ولم يجتمع لاحد من المهاجرين ان أسلم أبواه غيره اوصاه الله بهما ولزم ذلك من بعده ﴿وأن أعمل صالحا ترضاه﴾ قال ابن عباس أجابه الله تعالى فاعتق تسعة من المؤمنين يعذبون فى الله منهم بلال ولم يرد شيأ من الخير الا أعانه الله عليه ودعا ايضا فقال ﴿وأصلح لى فى ذريتى﴾ فاجابه الله تعالى فلم يكن له ولد الا آمن فاجتمع لابى بكر اسلام أبويه أبوه أبو قحافة عثمان بن عمرو وأمه أم الخير بنت صخر بن عمرو وابنه عبد الرحمن وابن عبد الرحمن أبى عتيق محمد فهؤلاء أربعة أبو بكر وأبوه وابنه عبد الرحمن وابن ابنه محمد كلهم أدركوا النبى صلى الله عليه وسلم وأسلموا ولم يجتمع ذلك لاحد من الصحابة غير أبى بكر ✻ وقوله ﴿انى تبت اليك﴾ أى رجعت اليك الى كل ما تحب ﴿وانى من المسلمين﴾ أى وأسلمت بقلبى ولسانى ﴿اولئك الذين

(حتى اذا بلغ اشده) انتهى ثمان عشرة سنة الى ثلاثين سنة (وبلغ) انتهى (اربعين سنة قال) ابو بكر (رب أوزعنى) الهمنى (ان اشكر نعمتك التى أنعمت على) بالتوحيد (وعلى والدى) بالتوحيد وقد كان آمن أبواه قبل هذا (وان اعمل صالحا) خالصا (ترضاه) تقبله (واصلح لى فى ذريتى) وأكرم ذريتى بالتوبة والاسلام ولم يكن مسلما ابنه عبد الرحمن قبل هذا ثم أسلم بعد ذلك (انى تبت اليك) انى اقبلت اليك بالتوبة (وانى من المسلمين) مع المسلمين على دينهم (أولئك الذين

نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيآتهم) حمزة وعلى وحفص يتقبل ويتجاوز وأحسن غيرهم (فى أصحاب الجنة) هو كقولك أكرمنى الامير فى ناس من أصحابه تريد أكرمنى فى جملة من اكرم منهم ونظمنى فى عدادهم ومحله النصب على الحال على معنى كائنين فى أصحاب الجنة ومعدودين فيهم (وعد الصدق) مصدر مؤكد لان قوله يتقبل ويتجاوز وعد من الله لهم بالتقبل والتجاوز قيل نزلت فى أبى بكر الصديق رضى الله عنه وفى أبيه أبى قحافة وأمه أم الخير وفى أولاده واستجابة دعائه فيهم فانه آمن بالنبى صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثمان وثلاثين سنة ودعا لهما وهو ابن أربعين سنة ولم يكن أحد من الصحابة من المهاجرين منهم والانصار أسلم هو ووالداه وبنوه وبناته غير أبى بكر رضى الله عنهم (الذى كانوا يوعدون) فى الدنيا (والذى قال لوالديه) مبتدأ خبره اولئك الذين حق عليهم القول والمراد بالذى قال الجنس القائل ولذلك وقع الخبر مجموعا وعن الحسن هو فى الكافر العاق لوالديه المكذب بالبعث وقيل نزلت فى عبد الرحمن ابن أبى بكر رضى الله عنه قبل اسلامه ويشهد لبطلانه كتاب معاوية الى مروان ليأمر الناس بالبيعة ليزيد فقال عبد الرحمن بن أبى بكر لقد جئتم بها هرقلية أتبايعون لابنائكم فقال مروان يا أيها الناس هذا الذى قال الله فيه والذى قال لوالديه أف لكما فسمعت عائشة رضى الله عنها فغضبت وقالت والله ما هو به ولو شئت ان أسميه لسميته ولكن الله تعالى لعن أباك وأنت فى صلبه فانت فضض من لعنة الله (أف لكما) مدنى وحفص أف مكى وشامى أف غيرهم وهو صوت اذا صوت به الانسان (اى) علم انه متضجر كما اذا قال حس علم انه متوجع واللام للبيان أى هذا التأفيف لكما خاصة ولاجلكما دون غيركما (أتعداننى أن اخرج) ان ابعث وأخرج من الارض (وقد خلت القرون من قبلى) ولم يبعث منهم أحد (وهما) أبواه (يستغيثان الله) يقولان الغياث بالله منك ومن قولك وهو استعظام لقوله ويقولان له

يتقبل عنهم احسن ما عملوا ﴾ يعنى طاعاتهم فان المباح حسن ولا يثاب عليه ﴿ ويتجاوز عن سيآتهم ﴾ لتوبتهم * وقرأ حمزة والكسائى وحفص بالنون فيهما ﴿ اصحاب الجنة ﴾ كائنين فى عدادهم او مثابين او معدودين فيهم ﴿ وعد الصدق ﴾ مصدر مؤكد لنفسه فان يتقبل ويتجاوز وعد ﴿ الذى كانوا يوعدون ﴾ اى فى الدنيا ﴿ والذى قال لوالديه اف لكما ﴾ مبتدأ خبره اولئك الذين حق والمراد به الجنس وان صح نزولها فى عبد الرحمن بن ابى بكر رضى الله عنه قبل اسلامه فان خصوص السبب لا يوجب التخصيص وفى اف قراآت ذكرت فى سورة بنى اسرائيل ﴿ اتعداننى ان اخرج ﴾ ابعث وقرأ هشام اتعدانى بنون واحدة مشددة ﴿ وقد خلت القرون من قبلى ﴾ فلم يرجع واحد منهم ﴿ وهما يستغيثان الله ﴾ يقولان الغياث بالله منك اويسألانه

يتقبل عنهم احسن ما عملوا ﴾ يعنى أعمالهم الصالحة التى عملوها فى الدنيا وكلها حسن فالاحسن بمعنى الحسن فيثيبهم عليها ﴿ ويتجاوز عن سيآتهم ﴾ فلا يؤاخذهم بها ﴿ فى أصحاب الجنة ﴾ أى مع أصحاب الجنة ﴿ وعد الصدق ﴾ أى الذى وعدهم بان يتقبل حسناتهم ويتجاوز عن سيآتهم ووعده صدق وقيل وعدهم بان يدخلهم الجنة ﴿ الذى كانوا يوعدون ﴾ أى فى الدنيا على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم * قوله تعالى ﴿ والذى قال لوالديه ﴾ يعنى اذ دعواه الى الايمان بالله والاقرار بالبعث بعد الموت ﴿ أف لكما ﴾ وهى كلمة كراهية ﴿ أتعداننى أن أخرج ﴾ أى من قبرى حيا ﴿ وقد خلت القرون من قبلى ﴾ أى فلم يبعث منهم أحد ﴿ وهما يستغيثان الله ﴾

نتقبل عنهم أحسن ما عملوا) باحسانهم (ونتجاوز عن سيآتهم) ولا نعاقبهم بها (فى اصحاب الجنة) مع اهل الجنة فى الجنة (وعد الصدق) الجنة (الذى كانوا يوعدون) فى الدنيا (والذى قال لوالديه) وهو عبد الرحمن بن أبى بكر قال لابيه وامه قبل ان اسلم (اف لكما) قذرا لكما (اتعداننى) اتحدثاننى (ان اخرج) من القبر للبعث (وقد خلت) مضت (القرون من قبلى) ولم ارهم بعثوا وكان له جدان من اجداده ماتا فى الجاهلية جدعان وعثمان ابنا عمرو عناهما (وهما) يعنى ابويه (يستغيثان الله) يدعوان الله

(ويلك) دعاءعليه بالثبور والمراد به الحث والتحريض على الايمان لاحقيقة الهلاك (آمن) بالله وبالبعث (ان وعد الله) بالبعث
(حق) صدق (فيقول) لهما (ماهذا) القول (الا أساطير الاولين أولئك الذين حق عليهم القول) أى لاملأن جهنم
(فى أمم) فى جملة أمم (قدخلت) مضت (من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين
ولكل) من الجنسين المذكورين الابرار والفجار (درجات مما عملوا) أى منازل ومراتب من جزاء ماعملوا من الخير والشر أومن أجل ماعملوا منهما وانما قال درجات وقدجاء الجنة درجات والنار دركات على وجه التغليب (وليوفيهم أعمالهم) بالياء مكى وبصرى وعاصم (وهم لايظلمون) أى وليوفيهم أعمالهم ولايظلمهم حقوقهم قدر جزاءهم على مقادير أعمالهم فجعل الثواب درجات والعقاب دركات واللام متعلقة بمحذوف

ان يغيثه بالتوفيق للايمان ﴿ ويلك آمن ﴾ اى يقولان له ويلك وهو دعاء بالثبور بالحث على مايخاف على تركه ﴿ ان وعدالله حق فيقول ماهذا الا اساطير الاولين ﴾ اباطيلهم التى كتبوها ﴿ اولئك الذين حق عليهم القول ﴾ بانهم اهل النار وهو يرد النزول فى عبد الرحمن لانه يدل على انه من اهلها لذلك وقدجب عنه ان كان لاسلامه ﴿ فى امم قدخلت من قبلهم ﴾ كقوله فى اصحاب الجنة ﴿ من الجن والانس ﴾ بيان للامم ﴿ انهم كانوا خاسرين ﴾ تعليل للحكم على الاستئناف ﴿ ولكل ﴾ من الفريقين ﴿ درجات مماعملوا ﴾ مراتب من جزاء ماعملوا من الخير والشر اومن اجل ماعملوا والدرجات غالبة فى المثوبة وههنا جاءت على التغليب ﴿ وليوفيهم اعمالهم ﴾ جزاءها وقرأنافع وابن ذكوان وحمزة والكسائى وابن عامر بالنون ﴿ وهم لايظلمون ﴾ بنقص

أى يستصرخان بالله عليه ويقولان له ﴿ ويلك آمن ان وعدالله حق ﴾ أى بالبعث ﴿ فيقول ماهذا ﴾ أى الذى تدعوننى اليه ﴿ الا أساطير الاولين ﴾ قال ابن عباس نزلت فى عبدالرحمن بن أبى بكر الصديق قبل اسلامه وكان أبواه يدعوانه الى الاسلام وهو يأبى ويقول احيوالى عبدالله بن جدعان وعامر بن كعب ومشايخ قريش حتى أسألهم عما تقولون وأنكرت عائشة أن يكون قد نزل هذا فى عبدالرحمن بن أبى بكر ﴿خ﴾ عن يوسف بن ماهك قال كان مروان على الحجاز استعمله معاوية فخطب فجعل يذكر يزيد بن معاوية لكى يبايع له فقال له عبدالرحمن بن أبى بكر شيأ فقال خذوه فدخل بيت عائشة فلم يقدروا عليه فقال مروان هذا الذى أنزل الله فيه والذى قال لوالديه أف لكما فقالت عائشة من وراء الحجاب ما أنزل الله فينا شيأ من القرآن الاما أنزل الله فى سورة النور من براءتى والقول الصحيح انه ليس المراد من الآية شخصا معينا بل المراد كل شخص كان موصوفا بهذه الصفة وهو كل من دعاه أبواه الى الدين الصحيح والايمان بالبعث فابى وأنكر وقيل نزلت فى كل كافر عاق لوالديه قال الزجاج قول من قال انها نزلت فى عبدالرحمن بن أبى بكر قبل اسلامه يبطله قوله تعالى ﴿ اولئك الذين حق عليهم القول ﴾ أعلم الله ان هؤلاء قدحقت عليهم كلمة العذاب وعبدالرحمن مؤمن من أفاضل المؤمنين فلا يكون ممن حقت عليه كلمة العذاب أى وجب عليهم العذاب ﴿ فى أمم ﴾ اى مع أمم ﴿ قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين ولكل درجات مما عملوا ﴾ قال ابن عباس يريد من سبق الى الاسلام فهو أفضل ممن تخلف عنه ولو ساعة وقيل لكل واحد من الفريقين المؤمنين والكافرين والبار والعاق درجات يعنى منازل ومراتب عندالله يوم القيامة باعمالهم فيجازيهم عليها قيل درجات الجنة تذهب الى علو ودرجات النار تذهب الى اسفل ﴿ وليوفيهم أعمالهم ﴾ أى جزاء أعمالهم ﴿ وهم لايظلمون ﴾ ۞ قوله عزوجل

(ويلك) ضيق الله عليك دنياك (آمن) بمحمد عليه السلام والقرآن (ان وعدالله) بالبعث (حق) كائن بعدالموت (فيقول) عبدالرحمن (ماهذا) الذى يقول محمد (الا أساطير الاولين) الا كذب الاولين (أولئك) أجداد عبدالرحمن جدعان وعثمان (الذين حق عليهم القول) هو الذين وجب عليهم القول بالسخط والعذاب (فى أمم) مع أمم (قدخلت) مضت
(من قبلهم من الجن والانس) كفار الجن والانس فى النار (انهم كانوا خاسرين) مغبونين لايبعثون الى الدنيا الى يوم القيامة فاسلم عبد الرحمن وحسن اسلامه (ولكل) اى لكل واحد من المؤمنين والكافرين (درجات) للمؤمنين فى الجنة ودركات للكافرين فى النار (مماعملوا) بماعملوا فى الدنيا (وليوفيهم) يوفرهم (اعمالهم) جزاء اعمالهم (وهم لايظلمون)

 عرضهم على النار تعذيبهم بها من

ثواب وزيادة عقاب ﴿ ويوم يعرض الذين كفروا على النار ﴾ يعذبون بها وقيل تعرض النار عليهم فقلب مبالغة كقولهم عرضت الناقة على الحوض ﴿ اذهبتم ﴾ اى يقال لهم اذهبتم وهو ناصب اليوم * وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالاستفهام غير ان ابن كثير يقرأ بهمزة ممدودة وهما يقرآن بها وبهمزتين محققتين ﴿ طيباتكم ﴾ لذائذكم ﴿ فى حياتكم الدنيا ﴾ باستيفائها ﴿ واستمتعتم بها ﴾ فما بقى لكم منها شئ ﴿ فاليوم تجزون عذاب الهون ﴾ الهوان وقد قرئ به ﴿ بما كنتم تستكبرون فى الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون ﴾ بسبب الاستكبار الباطل والفسوق عن طاعة الله * وقرئ

﴿ ويوم يعرض الذين كفروا على النار ﴾ أى يجاء بهم فيكشف لهم عنها ويقال لهم ﴿ اذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا واستمتعتم بها ﴾ يعنى ان كل ماقدر لكم من الطيبات واللذات فقد أفنيتموه فى الدنيا وتمتعتم به فلم يبق لكم بعد استيفاء حظكم منها شئ ﴿ فاليوم تجزون عذاب الهون ﴾ أى الذى فيه ذل وخزى ﴿ بما كنتم تستكبرون فى الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون ﴾ علق هذا العذاب بامرين أحدهما الاستكبار وهو الترفع ويحتمل أن يكون عن الايمان والثانى الفسق وهو المعاصى والاول من عمل القلوب والثانى من عمل الجوارح

فصل

لماوبخ الله تعالى الكافرين بالتمتع بالطيبات آثر النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه والصالحون بعدهم اجتناب اللذات فى الدنيا رجاء ثواب الآخرة (ق) عن عمر بن الخطاب قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو متكئ على رمال حصير قد أثر فى جنبه فقلت استأنس يارسول الله قال نعم فجلست فرفعت رأسى فى البيت فوالله ما رأيت فيه شيأ يرد البصر الا أهبة ثلاثة فقلت ادع الله أن يوسع على أمتك فقد وسع على فارس والروم ولا يعبدون الله فاستوى جالسا ثم قال أفى شك أنت يا ابن الخطاب أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم فى الحياة الدنيا فقلت استغفر لى يارسول الله (ق) عن عائشة قالت ماشبع آل محمد من خبز شعير يومين متتابعين حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم (ق) عنها قالت كان يأتى علينا الشهر مانوقد فيه نارا انما هو الاسودان التمر والماء الا أن نؤتى باللحيم وفى رواية أخرى قالت انا كنا لننظر الى الهلال ثم الهلال ثم الهلال ثلاثة أهلة فى شهرين وما أوقد فى أبيات رسول الله صلى الله عليه وسلم نار قال عروة قلت ياخالة فما كان يعيشكم قالت الاسودان التمر والماء الا أنه قد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم جيران من الانصار وكانت لهم منائح فكانوا يرسلون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من ألبانها فيسقينا عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبيت الليالى المتتابعة طاويا وأهله لايجدون عشاء وكان أكثر خبزهم خبز الشعير أخرجه الترمذى وله عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد أخفت فى الله مالم يخف أحد وأوذيت فى الله مالم يؤذ أحد ولقد أتى على ثلاثون من بين يوم وليلة ومالى ولبلال طعام الا شئ يوارى ابط بلال (خ) عن أبى هريرة قال لقد رأيت سبعين من أصحاب الصفة مامنهم رجل عليه رداء اما ازار واما كساء قد ربطوا فى أعناقهم فمنها مايبلغ نصف الساقين ومنها مايبلغ الكعبين فيجمعه بيده كراهية ان ترى عورته (خ) عن ابراهيم

قولهم عرض بنو فلان على السيف اذا قتلوا به وقيل المراد عرض النار عليهم من قولهم عرضت الناقة على الحوض يريدون عرض الحوض عليها فقلبوا (أذهبتم) أى يقال لهم أذهبتم وهو ناصب الظرف (طيباتكم فى حياتكم الدنيا) أى ما كتب لكم حظ من الطيبات الا ماقد أصبتموه فى دنياكم وقد ذهبتم به وأخذتموه فلم يبق لكم بعد استيفاء حظكم شئ منها وعن عمر رضى الله عنه لو شئت لكنت أطيبكم طعاما وأحسنكم لباسا ولكنى استبقى طيباتى وقوله (واستمتعتم بها) بالطيبات (فاليوم تجزون عذاب الهون) أى الهوان وقرئ به (بما كنتم تستكبرون) تتكبرون (فى الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون)

لاينقص من حسناتهم ولايزاد على سيآتهم (ويوم يعرض الذين كفروا على النار) قبل دخول النار فيقال لهم (اذهبتم طيباتكم) أكلتم ثواب حسناتكم (فى حياتكم الدنيا واستمتعتم) استنفعتم (بها) بثواب حسناتكم فى الدنيا (فاليوم تجزون عذاب الهون) الشديد (بما كنتم تستكبرون فى الارض) عن الايمان (بغير الحق) بلا حق كان لكم (وبما كنتم تفسقون)

اى باستكباركم وفسقكم (واذكر أخاعاد) أى هودا (اذأنذر قومه بالاحقاف) جمع حقف وهو رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء من احقوقف الشئ اذا اعوج عن ابن عباس رضى الله عنهما هو وادبين عمان ومهرة (وقدخلت النذر) جمع نذير بمعنى المنذر أو الانذار (من بين يديه ومن خلفه) من قبل هودومن خلف هودوقوله

تفسقون بالكسر ﴿واذكر اخاعاد﴾ يعنى هودا ﴿اذانذرقومه بالاحقاف﴾ جمع حقف وهو رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء من احقوقف الشئ اذا اعوج وكانوا يسكنون بين رمال مشرفة على البحر بالشحر من اليمن ﴿وقد خلت النذر﴾ الرسل ﴿من بين يديه ومن خلفه﴾ قبل هود وبعده والجملة حال اواعتراض ﴿الاتعبدواالاالله﴾ اى لاتعبدوا اوبان لاتعبدوا فان النهى عن الشئ انذار عن مضرته ﴿انى اخاف عليكم عذاب يوم عظيم﴾ هائل بسبب شركم ﴿قالوا اجئتنالتأفكنا﴾ لتصرفنا ﴿عن آلهتنا﴾ عن عبادتها ﴿فأتنا بما تعدنا﴾ من العذاب على الشرك ﴿ان كنت من الصادقين﴾ فى وعدك ﴿قال انما العلم عندالله﴾ لاعلم لى بوقت عذابكم ولامدخل لى فيه فاستعجل به وانما علمه عندالله فيأتيكم به فى وقته المقدر له ﴿وابلغكم ماارسلت به﴾ اليكم وماعلى الرسول الاالبلاغ

ابن عبدالرحمن ان عبدالرحمن بن عوف أتى بطعام وكان صائما فقال قتل مصعب ابن عمير وهو خيرمنى فكفن فى بردة ان غطى رأسه بدت رجلاه وان غطى رجلاه بدا رأسه قال وأراه قال قتل حمزة وهو خيرمنى فلم يوجد مايكفن فيه الابردة ثم بسط لنا من الدنيا مابسط وقد خشيت أن تكون عجلت لنا طيباتنا فى حياتنا الدنيا ثم جعل يبكى حتى ترك الطعام وقال جابر بن عبدالله رأى عمر بن الخطاب لحما معلقا فى يدى فقال ماهذا ياجابر قلت اشتهيت لحما فاشتريته فقال عمر أوكلما اشتهيت ياجابر اشتريت أما تخاف هذه الآية أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا * قوله تعالى ﴿واذكر أخاعاد﴾ يعنى هودا عليه السلام ﴿اذ أنذر قومه بالاحقاف﴾ قال ابن عباس الاحقاف وادبين عمان ومهرة وقيل كانت منازل عاد باليمن فى حضرموت بموضع يقال له مهرة وكانوا أهل عمل سيارة فى الربيع فاذا هاج العود رجعوا الى منازلهم وكانوا من قبيلة ارم وقيل ان عادا كانوا أحياء باليمن وكانوا أهل رمل مشرفين على البحر بارض يقال لها الشحر والاحقاف جمع حقف وهو المستطيل من الرمل فيه اعوجاج كهيئة الجبل ولم يبلغ أن يكون جبلا وقيل الاحقاف ما استدار من الرمل ﴿وقدخلت النذر﴾ أى مضت الرسل ﴿من بين يديه﴾ أى من قبل هود ﴿من خلفه﴾ أى من بعده ﴿ألاتعبدوا الاالله انى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم﴾ والمعنى ان هودا قد أنذرهم بذلك وأعلمهم ان الرسل الذين بعثوا قبله والذين سيبعثون بعده كلهم منذرون نحو انذاره ﴿قالوا أجئتنا لتأفكنا﴾ أى لتصرفنا ﴿عن آلهتنا﴾ أى عن عبادتها ﴿فأتنا بما تعدنا﴾ أى من العذاب ﴿ان كنت من الصادقين﴾ يعنى أن العذاب نازل بنا ﴿قال﴾ يعنى هودا ﴿انما العلم عندالله﴾ يعنى هو يعلم متى يأتيكم العذاب ﴿وأبلغكم ما أرسلت به﴾ يعنى

وقدخلت النذر من بين يديه ومن خلفه وقع اعتراضا بين نذرقومه وبين (ألا تعبدوا الاالله انى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) والمعنى واذكر انذار هود قومه عاقبة الشرك والعذاب العظيم وقد أنذر من تقدمه من الرسل ومن تاخرعنه مثل ذلك (قالوا) أى قوم هود (أجئتنا لتأفكنا) لتصرفنا فالافك الصرف يقال افكه عن رأيه (عن آلهتنا) عن عبادتها (فأتنا بما تعدنا) من معاجلة العذاب على الشرك (ان كنت من الصادقين) فى وعيدك (قال انما العلم) بوقت مجئ العذاب (عندالله) ولاعلم لى بالوقت الذى يكون فيه تعذيبكم (وأبلغكم ما أرسلت به) اليكم

تكفرون وتعصون فى الارض فى الدنيا (واذكر) لكفار مكة يامحمد (اخاعاد) نبى عاد هودا (اذ انذر قومه) خوفهم (بالاحقاف) يقول بحقوف النار أى سنة النار حقبا بعد حقب ويقال بجبل نحو اليمن ويقال نحو الشام ويقال بجبل الرمل ويقال كان مكانا باليمن قام عليه وانذر قومه (وقدخلت النذر من بين يديه) وقد كانت الرسل من قبل هود (ومن خلفه) من بعده (الا تعبدوا الاالله) قال لهم هود لاتوحدوا الاالله (انى اخاف عليكم) اعلم ان يكون عليكم (عذاب يوم عظيم) شديد ان لم تؤمنوا (قالوا أجئتنا) ياهود (لتأفكنا) لتصرفنا (عن آلهتنا) عبادة آلهتنا (فأتنا بما تعدنا) من العذاب (ان كنت من الصادقين) بنزول العذاب علينا ان لم نؤمن (قال) لهم هود (انما العلم) بنزول العذاب (عندالله وابلغكم ماارسلت به) من التوحيد

وبالتخفيف أبو عمرو أى الذى هو من شانى أن أبلغكم ما أرسلت به من الانذار والتخويف (ولكنى أراكم قوما تجهلون) أى ولكنكم جاهلون لاتعلمون ان الرسل بعثوا منذرين لامقترحين ولاسائلين غيرما أذن لهم فيه (فلما رأوه) الضمير يرجع الى ماتعدنا أو هو مبهم وضح أمره بقوله (عارضا) اما تمييزا أو حالا والعارض السحاب الذى يعرض فى أفق السماء (مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا) روى ان المطر قد احتبس عنهم فرأوا سحابة استقبلت أوديتهم فقالوا هذا سحاب يأتينا بالمطر وأظهروا من ذلك فرحا واضافة مستقبل وممطر مجازية غير معرفة بدليل وقوعهما وهما مضافان الى معرفتين وصفا للنكرة (بل هو) أى قال هود بل هو ويدل عليه قراءة من قرأ قال هود بل هو (ما استعجلتم به) من العذاب ثم فسره فقال (ريح فيها عذاب أليم تدمر كل شئ) تهلك من نفوس عاد وأموالهم الجم الكثير فعبر عن الكثرة بالكلية (بامر ربها) رب

﴿ ولكنى أراكم قوما تجهلون ﴾ لاتعلمون ان الرسـل بعثوا مبلغين منذرين لامعذبين مقترحين ﴿ فلما رأوه عارضا ﴾ سحابا عارض فى افق من السماء ﴿ مستقبل اوديتهم ﴾ متوجه اوديتهم والاضافة فيه لفظية وكذا فى قوله ﴿ قالوا هذا عارض ممطرنا ﴾ اى يأتينا بالمطر ﴿ بل هو ﴾ اى قال هود عليه الصلاة والسلام بل هو ﴿ ما استعجلتم به ﴾ من العذاب وقرئ قل بل ﴿ ريح ﴾ هى ويجوز ان يكون بدل ما ﴿ فيها عذاب اليم ﴾ صفتها وكذلك قوله ﴿ تدمر ﴾ تهلك ﴿ كل شئ ﴾ من نفوسـهم واموالهم ﴿ بامر ربها ﴾ اذ لاتوجد نابضة حركة ولاقابضة سـكون الا بمشيئته وفى ذكر الامر والرب واضافته الى الريح فوائد سبق ذكرها مرارا وقرئ يدمر كل شئ من دمر دمارا اذا هلك فيكون العائد محذوفا او الهـاء فى ربها ويحتمل ان يكون اسـتئنافا للدلالة على ان

من الوحى الذى أنزله الله على وأمرنى بتبليغه اليكم ﴿ ولكنى أراكم قوما تجهلون ﴾ يعنى قدر العذاب الذى ينزل بكم ﴿ فلما رأوه ﴾ يعنى رأوا ما يوعدون به من العذاب ثم بينه فقال تعالى ﴿ عارضا ﴾ يعنى رأوا سحابا عارضا وهو السحاب الذى يعرض فى ناحية السماء ثم يطبق السماء ﴿ مسـتقبل أوديتهم ﴾ وذلك انه خرجت عليهم سحابة سوداء من ناحية واد يقـال له المغيث وكان قد حبس عنهـم المطر مدة طويلة فلما رأوا تلك السحابة استبشروا بها ثم ﴿ قالوا هذا عارض ممطرنا ﴾ قال الله ردا عليهم ﴿ بل هو ما استعجلتم به ﴾ يعنى من العذاب ثم بين ماهية ذلك العذاب فقال تعالى ﴿ ريح فيها عذاب أليم ﴾ ثم وصف تلك الريح فقال تعالى ﴿ تدمر كل شئ بامر ربها ﴾ يعنى تهلك كل شئ مرت به من رجال عاد وأموالهم يقال ان تلك الريح كانت تحمل الفسطاط وتحمل الظعينة حتى ترى كانها جرادة فلما رأوا ذلك دخلوا بيوتهم وأغلقوا أبوابهم فجاءت الريح فقلعت الابواب وصرعتهم وأمر الله الريح فاهالت عليهـم الرمال فكانوا تحت الرمل سبع ليال وثمانية أيام لهم أنين ثم أمر الله الريح فكشفت عنهم الرمل واحتملتهم فرمت بهم فى البحر وقيل ان هودا عليه السـلام لما أحس بالريح خط على نفسه وعلى من معه من المؤمنين خطا فكانت الريح تمر بهم لينة باردة طيبة والريح التى تصيب قومه شديدة عاصفة مهلكة وهذه معجزة عظيمة لهود عليه السـلام وقيل ان الله تعالى أمر خازن الريح أن يرسل عليهم مثل مقدار الخاتم فاهلكهم الله بهذا القدر وفى هذا اظهار كمال القدرة (ق) عن عائشة قالت مار أيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مستجمعا قط ضاحكا حتى ترى منه لهواته انما كان يتبسم زاد فى رواية وكان اذا رأى غيما عرف فى وجهه قالت يارسـول الله الناس اذا رأوا الغيم فرحوا رجاء أن يكون فيه المطر وأراك اذا رأيت غيما عرف فى وجهك الكراهة فقال ياعائشة ومايؤمننى ان يكون فيه عذاب قد عذب قوم بالريح وقد رأى قوم العذاب فقالوا هذا عارض ممطرنا وفى رواية

(ولكنى اراكم قوما تجهلون) أمر الله وعذابه (فلما رأوه عارضا) سحابا (مستقبل اوديتهم) اودية ريحهم ومطرهم (قالوا هـذا عارض) سحاب (ممطرنا) سيمطر حرو ثنا قال لهم هود (بل هو ما استعجلتم به) من العذاب (ريح فيها عذاب اليم) وجيع (تدمر) تهلك (كل شئ بامر ربها) باذن ربها (قالت)

الريح (فاصبحو الايرى الامساكنهم) عاصم وحمزة وخلف أى لا يرى شئ الا مساكنهم غيرهم لاترى الامساكنهم والخطاب للرائى من كان (كذلك نجزى ﴿٤٨٧﴾ القوم المجرمين) ﴿سورة الاحقاف﴾ أى مثل ذلك نجزى من أجرم مثل جرمهم وهو تحذير لمشركى العرب عن ابن عباس رضى الله عنهما اعتزل هود عليه السلام ومن معه فى حظيرة مايصيبهم من الريح الاماتلذه الانفس وانها لتمر من عاد بالظعن بين السماء والارض وتدمغهم بالحجارة (ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه) ان نافية أى فيما ما مكناكم فيه الا ان ان أحسن فى اللفظ لمافى مجامعة ماءمثلها من التكرير المستبشع ألاترى ان الاصل فى مهما ماما فلبشاعة التكرير قلبوا الالف هاء وقد جعلت ان صلة وتؤول بانامكناهم فى مثل مامكناكم فيه والوجه هو الاول لقوله تعالى هم أحسن أثاثا ورئيا كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا وما بمعنى الذى أو نكرة موصوفة (وجعلنالهم سمعا وأبصارا وأفئدة) أى آلات الدرك والفهم (فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم

لكل شئ ممكن فناء مقضيا لايتقدم ولايتأخر ويكون الهاء لكل شئ فانه بمعنى الاشياء ﴿فاصبحوا لاترى الامساكنهم﴾ اى فجأتهم الريح فدمرتهم فاصبحوا بحيث لو حضرت بلادهم لاترى الامساكنهم * وقرأ عاصم وحمزة والكسائى لايرى الامساكنهم بالياء المضمومة ورفع المساكن ﴿كذلك نجزى القوم المجرمين﴾ روى انه هودا عليه السلام لما احس بالريح اعتزل بالمؤمنين فى الحظيرة وجاءت الريح فامالت الاحقاف على الكفرة وكانوا تحتها سبع ليال وثمانية ايام ثم كشفت عنهم واحتملتهم وقذفتهم فى البحر ﴿ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه﴾ ان نافية وهى احسن من ماههنا لانها توجب التكرير لفظا ولذلك قلبت الفها هاء فى مهما اوشرطية محذوفة الجواب والتقدير ولقد مكناهم فى الذى اوفى شئ ان مكناكم فيه كان بغيكم اكثر اوصلة كما فى قوله

يرجى المرء ما ان لايراه * ويعرض دون ادناه الخطوب

والاول اظهر واوفق كقوله هم احسن اثاثا ورئيا كانوا اكثر منهم واشد قوة وآثارا ﴿وجعلنالهم سمعا وابصارا وافئدة﴾ ليعرفوا تلك النعم ويستدلوا بها على مانحها ويواظبوا على شكرها ﴿فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم

قالت كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا رأى مخيلة فى السماء أقبل وأدبر ودخل وخرج وتغير وجهه اذا أمطرت السماء سرى عنه فعرفته عائشة ذلك فقال وما أدرى لعله كما قال قوم هود فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا الآية وفى رواية أخرى قالت كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا عصفت الريح قال اللهم انى أسألك خيرها وخير ما فيها وخير ما أرسلت به وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به واذا تخيلت السماء تغير لونه وخرج ودخل وأقبل وأدبر فاذا أمطرت السماء سرى عنه فعرفت ذلك عائشة فسألته فقال لعله يا عائشة كما قال قوم عاد فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا المخيلة السحاب الذى يظن فيه مطر وتخيلت السماء اذا تغيمت وقولها سرى عنه أى كشف وأزيل عنه ما كان به من الغم والحزن * وقوله تعالى ﴿فاصبحوا لاترى الامساكنهم﴾ قرئ بالتاء مفتوحة على انه خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمعنى ماترى يا محمد الامساكنهم خاوية عاطلة من السكان ليس فيها أحد * وقرئ بالياء المضمومة والمعنى لايرى الا آثار مساكنهم لان الريح لم تبق منها الا الآثار والمساكن معطلة ﴿كذلك نجزى القوم المجرمين﴾ يخوف بذلك كفار مكة ثم قال تعالى ﴿ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه﴾ الخطاب لاهل مكة يعنى مكناهم فيما لم نمكنكم فيه من قوة الابدان وطول الاعمار وكثرة الاموال ﴿وجعلنالهم سمعا وأبصارا وأفئدة﴾ يعنى انا أعطيناهم هذه الحواس ليستعملوها فيما ينفعهم فى أمر الدين فما استعملوها الا فى طلب الدنيا ولذاتها فلاجرم ﴿فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم

(فاصبحوا) فصاروا بعد الهلاك (لايرى الا مساكنهم) منازلهم (كذلك) هكذا (نجزى القوم المجرمين) المشركين (ولقد مكناهم) اعطيناهم من المال والقوة والاعمال (فيما ان مكناكم فيه) مالم نمكن لكم ولم نعطكم يا اهل مكة (وجعلنا لهم سمعا) يسمعون بها (وابصارا) يبصرون بها (وأفئدة) قلوبا يعقلون بها (فما اغنى عنهم سمعهم ولاأبصارهم

﴿ولا أفئدتهم من شيء﴾ أي من شيء من الاغناء وهو القليل منه (اذ كانوا يجحدون بآيات الله) اذ نصب بقوله فما أغنى وجرى مجرى التعليل والظرف فى قولك ضربته لاساءته وضربته اذ أساء لانك اذا ضربته فى وقت اساءته فانما ضربته فيه لوجود اساءته فيه الا ان اذ وحيث غلبتا دون سائر الظروف فى ذلك (وحاق بهم) ونزل بهم (ما كانوا به يستهزؤن) جزاء استهزائهم وهذا تهديد لكفار مكة ثم زادهم تهديدا بقوله (ولقد أهلكنا ما حولكم) يا أهل مكة (من القرى) نحو حجر ثمود وقرى قوم لوط والمراد أهل القرى ولذلك قال (وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون) أي كررنا عليهم الحجج وأنواع العبر لعلهم يرجعون عن الطغيان الى الايمان فلم يرجعوا (فلولا) فهلا (نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة) القربان ما تقرب به الى الله تعالى أى اتخذوهم شفعاء متقربا بهم الى الله حيث قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله وأحد مفعولى اتخذوا الراجع الى الذين محذوف أى اتخذوهم والثانى آلهة وقربانا حال (بل ضلوا عنهم) غابوا عن نصرتهم (وذلك افكهم وما كانوا يفترون) وذلك اشارة الى امتناع نصرة آلهتهم وضلالهم عنهم أى وذلك أثر افكهم الذى هو اتخاذهم اياها آلهة وثمرة شركهم وافترائهم

﴿ولا افئدتهم من شيء﴾ من الاغناء وهو القليل ﴿اذ كانوا يجحدون بآيات الله﴾ صلة لما اغنى وهو ظرف جرى مجرى التعليل من حيث ان الحكم مرتب على ما اضيف اليه وكذلك حيث ﴿وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن﴾ من العذاب ﴿ولقد اهلكنا ما حولكم﴾ يا اهل مكة ﴿من القرى﴾ كحجر ثمود وقرى قوم لوط ﴿وصرفنا الآيات﴾ بتكريرها ﴿لعلهم يرجعون﴾ عن كفرهم ﴿فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة﴾ فهلا منعهم من الهلاك آلهتهم الذين يتقربون بهم الى الله حيث قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله واول مفعول اتخذ الراجع الى الموصول المحذوف وثانيهما قربانا وآلهة بدل اوعطف بيان او آلهة وقربانا حال اومفعول له على انه بمعنى القرب وقرئ قربانا بضم الراء ﴿بل ضلوا عنهم﴾ غابوا عن نصرهم وامتنع ان يستمدوا بهم امتناع الاستمداد بالضال ﴿وذلك افكهم﴾ وذلك الاتخاذ الذى هو اثره صرفهم عن الحق * وقرئ افكهم بالتشديد للمبالغة وافكهم اى جعلهم افكين وآفكهم اى قولهم الافك اى ذو الافك ﴿وما كانوا يفترون﴾

﴿ولا أفئدتهم من شيء﴾ يعنى انه لما نزل بهم العذاب ما أغنى ذلك عنهم شيأ ﴿اذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن﴾ يعنى ونزل بهم العذاب الذى كانوا يطلبونه على سبيل الاستهزاء ﴿ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى﴾ الخطاب لاهل مكة يعنى أهلكنا قرى ديار ثمود وهى الحجر وسدوم وهى قرى قوم لوط بالشام وقرى قوم عاد باليمن يخوف أهل مكة بذلك ﴿وصرفنا الآيات﴾ يعنى وبينا لهم الحجج والدلائل الدالة على التوحيد ﴿لعلهم يرجعون﴾ يعنى عن كفرهم فلم يرجعوا فاهلكناهم بسبب كفرهم وتماديهم فى الكفر ﴿فلولا﴾ يعنى فهلا ﴿نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة﴾ يعنى انهم اتخذوا الاصنام آلهة يتقربون بعبادتها الى الله تعالى والقربان كل ما يتقرب به الى الله تعالى ﴿بل ضلوا عنهم﴾ يعنى بل ضلت الآلهة عنهم فلم تنفعهم عند نزول العذاب بهم ﴿وذلك افكهم﴾ يعنى كذبهم الذى كانوا يقولون انها تقربهم الى الله تعالى وتشفع لهم عنده ﴿وما كانوا يفترون﴾

(ولا افئدتهم) قلوبهم (من شيء) شيأ من عذاب الله (اذ كانوا يجحدون بآيات الله) يكفرون بمحمد وبكتاب الله (وحاق بهم) نزل بهم (ما كانوا به يستهزؤن) يهزؤن من العذاب (ولقد أهلكنا ما حولكم من (يعنى) القرى) يا اهل مكة (وصرفنا الآيات) بينا الآيات بالامر والنهى والهلاك لمن أهلكناهم (لعلهم يرجعون) عن كفرهم فيتوبوا (فلولا نصرهم) فهلا نصرهم (الذين اتخذوا) عبدوا (من دون الله قربانا آلهة) قربانا تقربا الى الله مقدم ومؤخر (بل ضلوا عنهم) بطل عنهم ما كانوا يعبدون (وذلك افكهم) كذبهم (وما كانوا يفترون) يكذبون على الله

واذصرفنا اليك نفرا من الجن ﴾ املناهم اليك والنفر دون العشرة وجمعه انفار

يعنى يكذبون بقولهم انها آلهة وأنها تشفع لهم * قوله عز وجل ﴿ واذصرفنا اليك نفرا من الجن ﴾ الآية

ذكر القصة فى ذلك

قال المفسرون لما مات أبو طالب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان فى حياته يحوطه وينصره ويمنعه ممن يؤذيه فلما مات وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وحشة من قومه فخرج الى الطائف يلتمس من ثقيف النصرة له والمنعة من قومه فروى محمد بن اسحق عن زيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظى قال لما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الطائف عمد الى نفر من ثقيف وهم يومئذ سادة ثقيف وأشرافهم وهم اخوة ثلاثة عبد ياليل ومسعود وحبيب بنو عمير وعندهم امرأة من قريش من بنى جمح فجلس اليهم فدعاهم الى الله وكلمهم بما جاءله من نصرته على الاسلام والقيام معه على من خالفه من قومه فقال له أحدهم هو يمرط ثياب الكعبة ان كان الله أرسلك وقال الآخر ما وجد الله أحدا يرسله غيرك وقال الثالث لا أكلمك كلمة أبدا لئن كنت رسولا من الله كما تقول لانت أعظم خطرا من أن أرد عليك الكلام وان كنت تكذب على الله فما ينبغى لى ان أكلمك فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من عندهم وقد يئس من خير ثقيف فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ فعلتم مافعلتم فاكتموا على وكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبلغ قومه فيزيد ذلك فى تجرئهم عليه فلم يفعلوا وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم فجعلوا يسبونه ويصيحون به حتى اجتمع اليه الناس وألجؤه الى حائط لعتبة وشيبة ابنى ربيعة وهما فيه فرجع عنه سفهاء ثقيف ومن كان تبعه منهم فعمد الى ظل حبلة من عنب فجلس فيه وابنا ربيعة ينظران اليه ويريان مالقى من سفهاء ثقيف وقد لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المرأة التى من بنى جمح فقال لها ماذا لقينا من أحمائك فلما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اللهم انى أشكو اليك ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس فانت رؤف وأنت أرحم الراحمين وأنت رب المستضعفين وأنت ربى الى من تكلنى الى بعيد يتجهمنى أوالى عدو ملكته أمرى ان لم يكن بك على غضب فلا أبالى ولكن عافيتك أوسع لى أعوذ بنور وجهك الذين أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من ان ينزل بى غضبك أويحل على سخطك لك العتبى حتى ترضى لاحول ولاقوة الابك فلما رأى ابنا ربيعة مالقى تحركت له رحمهما فدعوا غلاما لهما نصرانيا يقال له عداس فقالا له خذ قطفا من هذا العنب وضعه فى ذلك الطبق ثم اذهب به الى ذلك الرجل وقل له يأكل منه ففعل عداس ذلك ثم أقبل بالطبق حتى وضعه بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له كل فلما رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده قال بسم الله ثم أكل فنظر عداس الى وجهه ثم قال والله ان هذا الكلام مايقوله أهل هذه البلدة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم من أى البلاد أنت ياعداس وما دينك فقال أنا نصرانى وأنا رجل

على الله الكذب (واذ صرفنا اليك نفرا) أملناهم اليك وأقبلنا بهم نحوك والنفر دون العشرة (من الجن) جن نصيبين

(واذصرفنا اليك نفرا) وجهنا اليك جماعة (من الجن) وهم تسعة رهط

من أهل نينوى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمن قرية الرجل الصالح يونس ابن متى فقال له عداس ومايدريك مايونس بن متى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاك أخي كان نبيا وأنا نبي فاكب عداس على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبل رأسه ويديه وقدميه قال فقال أحد ابني ربيعة أماغلامك فقد أفسده عليك فلما جاءهم عداس قالاله ويلك ياعداس مالك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه قال ياسيدي ما في الارض خير من هذا الرجل لقد أخبرني بامر مايعلمه الانبي فقالاله ويحك ياعداس لايصرفك عن دينك فان دينك خير من دينه ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف من الطائف راجعا الى مكة حين يئس من خير ثقيف حتى اذا كان ببطن نخلة قام من جوف الليل يصلي فمر به نفر من جن نصيبين كانوا قاصدين اليمن وذلك حين منعوا من استراق السمع من السماء ورموا بالشهب فاستمعوا له فلما فرغ من صلاته ولوا الى قومهم منذرين وقد آمنوا به وأجابوا لما سمعوا القرآن فقص الله خبرهم عليه فقال تعالى واذصرفنا اليك نفرا من الجن وفي الآية قول آخر وسيأتي في سورة الجن وهو حديث مخرج في الصحيحين من حديث ابن عباس وروى ان الجن لما رجموا بالشهب بعث ابليس سراياه ليعرف الخبر فكان أول بعث بعث من أهل نصيبين وهم أشراف الجن وساداتهم فبعثهم الى تهامة وقال أبو حمزة بلغنا انهم من بني الشيصبان وهم أكثر الجن عددا وهم عامة جنود ابليس فلما رجعوا الى قومهم قالوا انا سمعنا قرآنا عجبا وقال جماعة بل أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينذر الجن ويدعوهم الى الله ويقرأ عليهم القرآن فصرف الله عزوجل اليه نفرا من الجن وهم من أهل نينوى وجمعهم له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه اني أمرت ان أقرأ على الجن الليلة فايكم يتبعني فاطرقوا ثم استتبعهم فاطرقوا ثم استتبعهم الثالثة فتبعه عبد الله ابن مسعود قال عبد الله بن مسعود لم يحضر معه أحد غيري قال فانطلقنا حتى اذا كنا باعلى مكة دخل نبي الله صلى الله عليه وسلم شعبا يقال له شعب الحجون وخط لي خطا ثم أمرني ان اجلس فيه وقال لاتخرج منه حتى أعود اليك فانطلق حتى قام عليهم فافتتح القرآن فجعلت أرى مثال النسور تهوي وسمعت لغطا شديدا حتى خفت على نبي الله صلى الله عليه وسلم وغشيته اسودة كثيرة حالت بيني وبينه حتى لاأسمع صوته ثم طفقوا يتقطعون مثل قطع السحاب ذاهبين ففرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم مع الفجر فانطلق الى فقال لي نمت فقلت لاوالله يارسول الله قدهممت مرارا أن أستغيث بالناس حتى سمعتك تقرعهم بعصاك تقول لهم اجلسوا فقال لوخرجت لم آمن عليك أن يتخطفك بعضهم ثم قال هل رأيت شيأ قلت نعم رأيت رجالا سودا عليهم ثياب بيض قال اولئك جن نصيبين سألوني المتاع والمتاع الزاد فمتعتهم بكل عظم حائل وروثة وبعرة فقالوا يارسول الله يقذرها الناس علينا فنهى النبي صلى الله عليه وسلم ان يستنجى بالعظم والروث قال فقلت يارسول الله ومايغني ذلك عنهم فقال انهم لايجدون عظما الاوجدوا عليه لحمه يوم أكل ولاروثة الاوجدوا فيها حبها يوم

﴿يستمعون القرآن﴾ حال محمولة على المعنى ﴿فلما حضروه﴾ اى القرآن اوالرسول ﴿قالوا انصتوا﴾ قال بعضهم لبعض اسكتوا لنسمعه

أكلت فقلت يارسول الله سمعت لغطا شديدا فقال ان الجن تدارأت فى قتيل قتل بينهم فتحاكموا الى فقضيت بينهم بالحق قال ثم تبرز رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتانى فقال هل معك ماء قلت يارسول الله معى اداوة فيها شئ من نبيذ التمر فاستدعاه فصببت على يديه فتوضأ وقال تمرة طيبة وماء طهور قال قتادة ذكرلنا أن ابن مسعود قدم الكوفة رأى شيوخا شمطا من الزط فافزعوه حين رآهم ثم قال اظهروا فقيل له ان هؤلاء قوم من الزط فقال ماأشبههم بالنفر الذين صرفوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجن قلت حديث التوضؤ بنبيذ التمر ضعيف ذكره البيهقى فى كتابه الخلافيات باسانيده وأجاب عنها كلها والذى صح عن علقمة قال قلت لابن مسعود هل صحب النبى صلى الله عليه وسلم ليلة الجن منكم أحد قال ماصحبه منا أحد ولكنا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة ففقدناه فالتمسناه فى الاودية والشعاب فقلنا استطير أواغتيل فبتنا بشر ليلة بات بها قوم فلما أصبحنا اذا هو جاء من قبل حراء فقلنا يارسول الله فقدناك فطلبناك فلم نجدك فبتنا بشر ليلة بات بها قوم قال أتانى داعى الجن فذهبت معه فقرأت عليهم القرآن قال فانطلق بنا فارانا آثارهم وآثار نيرانهم وسألوه الزاد فقال لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع فى أيديكم أوفر ما يكون لحما وكل بعرة علف لدوابكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلاتستنجوا بهما فانهما طعام اخوانكم الجن زاد فى رواية قال الشعبى وكانوا من جن الجزيرة أخرجه مسلم فى صحيحه ✹ وأما تفسير الآية فقوله تعالى واذصرفنا اليك الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم يعنى واذكر اذبعثنا اليك يامحمد نفرا من الجن واختلفوا فى عدد أولئك النفر فقال ابن عباس كانوا سبعة من جن نصيبين فجعلهم رسول الله رسلا الى قومهم وقال آخرون كانوا تسعة وروى عن زر بن حبيش قال كان زوبعة من التسعة الذين استمعوا القرآن وروى ان الجن ثلاثة أصناف صنف منهم لهم أجنحة يطيرون بها فى الهواء وصنف على صور الحيات والكلاب وصنف يحلون ويظعنون ونقل بعضهم ان أولئك الجن كانوا يهودا فاسلموا قالوا وفى الجن ملل كثيرة مثل الانس ففيهم اليهود والنصارى والمجوس وعبدة الاصنام وفى مسلميهم مبتدعة ومن يقول بالقدر وخلق القرآن ونحو ذلك من المذاهب والبدع وأطبق المحققون من العلماء على ان الكل مكلفون سئل ابن عباس هل للجن ثواب فقال نعم لهم ثواب وعليهم عقاب ﴿يستمعون القرآن فلما حضروه﴾ الضمير يعود الى القرآن يعنى فلما حضروا القرآن وقيل يحتمل انه يعود على الرسول صلى الله عليه وسلم ويكون المعنى فلما حضروا رسول الله صلى الله عليه وسلم لاجل استماع القرآن ﴿قالوا أنصتوا﴾ يعنى قال بعضهم لبعض اسكتوا لنسمع

(يستمعون القرآن) منه عليه الصلاة والسلام (فلما حضروه) أى الرسول صلى الله عليه وسلم أو القرآن اى كانوا منه بحيث يسمعون (قالوا) أى قال بعضهم لبعض (أنصتوا) اسكتوا مستمعين روى ان الجن كانت تسترق السمع فلما حرست السماء رجموا بالشهب قالوا ماهذا الا لنبأ حدث فنهض سبعة نفر أوتسعة من أشراف جن نصيبين أونينوى منهم زوبعة فضربوا حتى بلغوا تهامة ثم اندفعوا الى وادى نخلة فوافوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم فى جوف الليل يصلى أوفى صلاة الفجر فاستمعوا لقراءته وعن سعيد بن جبير ماقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن ولارآهم وانما كان يتلو فى صلاته فمروا به فوقفوا مستمعين وهو لايشعر فانبأه الله باستماعهم وقيل بل الله أمر رسوله ان ينذر الجن ويقرأ عليهم فصرف اليه نفرا منهم فقال انى أمرت ان أقرأ على الجن الليلة فمن يتبعنى قالها ثلاثا فاطرقوا الا عبدالله ابن مسعود رضى الله عنه قال لم يحضره ليلة الجن أحد غيرى فانطلقنا حتى اذا كنا بأعلى مكة فى شعب الحجون فخط لى خطا وقال لاتخرج منه حتى أعود اليك ثم افتتح القرآن وسمعت لغطا

(يستمعون القرآن) الى قراءة القرآن (فلما حضروه) أى النبى صلى الله عليه وسلم وهو ببطن نخل (قالوا) قال بعضهم لبعض (انصتوا)

شديدا فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت شيأ قلت نعم رجالا سود فقال أولئك جن نصيبين وكانوا اثنى عشر ألفا والسورة التى قرأها عليهم اقرأ باسم ربك (فلما قضى) أى فرغ النبى صلى الله عليه وسلم من القراءة (ولوا الى قومهم منذرين) اياهم (قالوا ياقومنا انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى) وانما قالوا من بعد موسى لانهم كانوا على اليهودية وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان الجن لم تكن سمعت بامر عيسى عليه السلام (مصدقا لما بين يديه) من الكتب (يهدى الى الحق) الى الله تعالى (والى طريق مستقيم ياقومنا أجيبوا داعى الله) أى محمدا صلى الله عليه وسلم (وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم) قال أبو حنيفة رضى الله عنه لا ثواب لهم الا النجاة من النار لهذه الآية وقال مالك وابن أبى ليلى وأبو يوسف ومحمد رحمهم الله لهم الثواب والعقاب وعن الضحاك انهم يدخلون الجنة ويأكلون ويشربون لقوله تعالى لم يطمثهن انس

﴿فلما قضى﴾ اتم وفرغ من قراءته • وقرئ على بناء الفاعل وهو ضمير الرسول ﴿ولوا الى قومهم منذرين﴾ اى منذرين اياهم بما سمعوا روى انهم وافوا رسول الله عليه السلام بوادى النخلة عند منصرفه من الطائف يقرأ فى تهجده ﴿قالوا ياقومنا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى﴾ قيل انما قالوا ذلك لانهم كانوا يهودا او ما سمعوا بامر عيسى عليه السلام ﴿مصدقا لما بين يديه يهدى الى الحق﴾ من العقائد ﴿والى طريق مستقيم﴾ من الشرائع ﴿ياقومنا اجيبوا داعى الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم﴾ بعض ذنوبكم وهو ما يكون فى خالص حق الله تعالى فان المظالم لا تغفر بالايمان ﴿ويجركم من عذاب اليم﴾ هو معد للكفار واحتج ابو حنيفة رضى الله عنه باقتصارهم على المغفرة والاجارة

الى قراءته ولا يحول بيننا وبين سماعه شئ فأنصتوا واستمعوا القرآن حتى كاد يقع بعضهم على بعض من شدة حرصهم على سماعه ﴿فلما قضى﴾ أى فرغ من قراءته ﴿ولوا﴾ أى رجعوا ﴿الى قومهم منذرين﴾ يعنى داعين لهم الى الايمان مخوفين لهم من المخالفة وذلك بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم وذلك بعد ايمانهم لانهم لا يدعون غيرهم الى سماع القرآن والتصديق الا بعد ايمانهم به وتصديقهم له ﴿قالوا ياقومنا انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا﴾ قال عطاء كان دينهم اليهودية ولذلك قالوا انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا ﴿لما بين يديه﴾ يعنى من الكتب الالهية المنزلة من السماء وذلك ان كتب الانبياء كانت مشتملة على الدعوة الى التوحيد وتصديق الانبياء والايمان بالمعاد والحشر والنشر وجاء هذا الكتاب وهو القرآن المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم كذلك فذلك هو تصديقه لما بين يديه من الكتب ﴿يهدى الى الحق والى طريق مستقيم﴾ يعنى يهدى الى دين الحق وهو دين الاسلام ويهدى الى طريق الجنة ﴿ياقومنا أجيبوا داعى الله﴾ يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم لانه لا يوصف بهذا غيره وفى الآية دليل على انه مبعوث الى الانس والجن جميعا قال مقاتل لم يبعث الله نبيا الى الانس والجن قبله ﴿وآمنوا به﴾ فان قلت قوله تعالى أجيبوا داعى الله أمر باجابته فى كل ما أمر به فيدخل فيه الامر بالايمان فلم أعاد ذكره بلفظ التعيين قلت انما أعاده لان الايمان أهم أقسام المأمور به وأشرفها فلذلك ذكره على التعيين فهو من باب ذكر العام ثم يعطف عليه أشرف أنواعه ﴿يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم﴾ قال بعضهم لفظة من هنا زائدة والتقدير يغفر لكم ذنوبكم وقيل هى على أصلها وذلك ان الله يغفر من الذنوب ما كان قبل الاسلام فاذا أسلموا

حتى تسمعوا كلام النبى صلى الله عليه وسلم (فلما قضى) فلما فرغ النبى صلى الله عليه وسلم من قراءته وصلاته آمنوا بمحمد عليه السلام والقرآن (ولوا الى قومهم منذرين) رجعوا الى قومهم مؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن مخوفين لقومهم (قالوا ياقومنا انا سمعنا كتابا) قراءة كتاب يعنون القرآن (أنزل) على محمد صلى الله عليه وسلم (من بعد موسى مصدقا لما بين يديه) موافقا بالتوحيد وصفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته لما بين يديه من التوراة وكانوا قد آمنوا بموسى (يهدى) يرشد (الى الحق والى طريق مستقيم) الى دين حق قائم يرضاه وهو الاسلام (ياقومنا أجيبوا داعى الله) محمدا صلى الله عليه وسلم بالتوحيد (وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم) يغفر لكم ربكم ذنوبكم فى الجاهلية (ويجركم) ينجكم (من عذاب اليم) وجميع

قبلهم ولاجان (ومن لايجب داعي الله فليس بمعجز في الارض) أي لاينجي منه مهرب (وليس له من دونه أولياء أولئك
في ضلال مبين أولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن)

على ان لاثواب لهم والاظهر انهم في توابع التكليف كبني آدم ﴿ ومن لايجب داعي الله فليس بمعجز في الارض ﴾ اذلاينجي منه مهرب ﴿ وليس له من دونه اولياء ﴾ يمنعونه منه ﴿ اولئك في ضلال مبين ﴾ حيث اعرضوا عن اجابة من هذا شأنه ﴿ او لم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن ﴾ ولم يتعب ولم يعجز والمعنى ان قدرته واجبة لاتنقص ولاتنقطع بالايجاد ابدالآباد ﴿ بقادر على ان يحيي الموتى ﴾ اى قادر ويدل عليه قراءة يعقوب يقدر والباء مزيدة لتأكيد النفي فانه مشتمل على ان وما في حيزها ولذلك اجاب عنه بقوله ﴿ بلى انه على كل شيء قدير ﴾ تقريرا للقدرة على وجه عام يكون كالبرهان على المقصود كأنه لما صدر السورة بتحقق المبدأ اراد ختمها باثبات المعاد ﴿ ويوم يعرض الذين كفروا على النار ﴾ منصوب بقول مضمر مقوله ﴿ اليس هذا بالحق ﴾ والاشارة الى العذاب

جرت عليهم أحكام الاسلام فمن أتى بذنب أخذبه مالم يتب منه او يبقى تحت خطر المشيئة ان شاء الله غفر له وان شاء آخذه بذنبه واختلف العلماء في حكم مؤمني الجن فقال قوم ليس لهم ثواب الانجاتهم من النار وتاولوا قوله يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم واليه ذهب أبو حنيفة وحكي عن الليث قال ثوابهم أن يجاروا من النار ثم يقال لهم كونوا ترابا مثل البهائم وعن أبي الزناد قال اذا قضى بين الناس قيل لمؤمني الجن عودوا ترابا فيعودون ترابا فعندذلك يقول الكافر ياليتني كنت ترابا وقال الآخرون لهم الثواب في الاحسان كما يكون عليهم العقاب في الاساءة كالانس وهذا هو الصحيح وهو قول ابن عباس واليه ذهب مالك وابن أبي ليلى قال الضحاك الجن يدخلون الجنة ويأكلون ويشربون وقال ارطاة بن المنذر سألت ضمرة بن حبيب هل للجن ثواب قال نعم وقرأ لم يطمثهن انس قبلهم ولاجان قال فالانسيات للانس والجنيات للجن وقال عمر بن عبدالعزيز ان مؤمني الجن حول الجنة في ربض ورحاب وليسوا فيها يعني في الجنة وقوله تعالى ﴿ ومن لايجب داعي الله فليس بمعجز في الارض ﴾ يعني لايعجز الله فيفوته ﴿ وليس له من دونه أولياء ﴾ يعني انصارا يمنعونه من الله ﴿ أولئك ﴾ يعني الذي لم يجيبوا داعي الله ﴿ في ضلال مبين ﴾ * قوله تعالى ﴿ أولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن ﴾ يعني انه تعالى خلق هذا الخلق العظيم ولم يعجز عن ابداعه واختراعه وتكوينه ﴿ بقادر على أن يحيي الموتى ﴾ يعني ان اعادة الخلق واحياءه بعدالموت أهون عليه من ابداعه وخلقه فالكل عليه هين ابداع الخلق واعادته بعدالموت وهوقوله ﴿ بلى انه على كل شيء قدير ﴾ يعني من اماتة الخلق واحيائهم لانه قادر على كل شيء ﴿ ويوم يعرض الذين كفروا على النار ﴾ فيه اضمار تقديره فيقال لهم ﴿ اليس هذا بالحق ﴾ يعني هذا العذاب هوالذي وعدكم به

هو كقوله وما مسنا من لغوب ويقال عييت بالامر اذا لم تعرف وجهه (بقادر) محله الرفع لانه خبر يدل عليه قراءة عبدالله قادر وانما دخلت الباء لاشتمال النفي في أول الآية على ان وما في حيزها وقال الزجاج لو قلت ماظننت ان زيدا بقائم جاز كأنه قيل أليس الله بقادر الاترى الى وقوع بلى مقررة للقدرة على كل شيء من البعث وغيره لا لرؤيتهم (على ان يحيي الموتى بلى) هو جواب للنفي (انه على كل شيء قدير ويوم يعرض الذين كفروا على النار) يقال لهم (أليس هذا بالحق) وناصب الظرف القول المضمر وهذا اشارة

(ومن لايجب داعي الله) محمدا عليه السلام (فليس بمعجز) فليس بفائت من عذاب الله (في الارض وليس له من دونه) من دون الله (أولياء) اقرباء ينفعونه (أولئك في ضلال مبين) في كفر بين (أولم يروا) يعلموا كفار مكة (أن الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي) ولم يعجز (بخلقهن بقادر على ان يحيي الموتى) للبعث (بلى انه على كل شيء) من الحياة والموت (قدير ويوم يعرض الذين كفروا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (على النار) قبل ان يدخلوا النار فيقال لهم (أليس هذا) العذاب (بالحق) بالعدل

﴿ قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ﴾ بكفركم فى الدنيا ومعنى الامر هو الاهانة بهم والتوبيخ لهم ﴿ فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل ﴾ اولو الثبات والجد منهم فانك من جملتهم ومن للتبيين وقيل للتبعيض واولو العزم اصحاب الشرائع اجتهدوا فى تأسيسها وتقريرها وصبروا على تحمل مشاقها ومعاداة الطاعنين فيها ومشاهيرهم نوح وابراهيم وموسى وعيسى وقيل الصابرون على بلاء الله كنوح صبر على اذى قومه كانوا يضربونه حتى يغشى عليه وابراهيم على النار وذبح ولده والذبيح على الذبح ويعقوب على فقد الولد والبصر ويوسف على الجب والسجن وايوب على الضر وموسى قال له قومه انا لمدركون قال كلا ان معى ربى سيهدين وداود بكى على خطيئته اربعين سنة

الرسل وهو الحق ﴿ قالوا بلى وربنا ﴾ هذا اعتراف منهم على أنفسهم بعدما كانوا منكرين لذلك وفيه توبيخ وتقريع لهم فعند ذلك ﴿ قال ﴾ لهم ﴿ فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ﴾ قوله عز وجل ﴿ فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ﴾ الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم أمره الله تعالى بالاقتداء باولى العزم من الرسل فى الصبر على أذى قومه قال ابن عباس ذوو الحزم وقال الضحاك ذوو الجد والصبر واختلفوا فى أولى العزم من الرسل من هم فقال ابن زيد كل الرسل كانوا أولى عزم لم يبعث الله نبيا الا كان ذا عزم وحزم ورأى وكمال عقل وهذا القول هو اختيار الامام فخر الدين الرازى قال لان لفظة من فى قوله من الرسل للتبيين لا للتبعيض كما تقول ثوب من خز كانه قيل له اصبر كما صبر الرسل من قبلك على أذى قومهم وصفهم بالعزم لقوة صبرهم وثباتهم وقال بعضهم الانبياء كلهم أولو العزم الا يونس لعجلة كانت فيه ألا ترى انه قيل للنبى صلى الله عليه وسلم ولا تكن كصاحب الحوت وقال قوم أولو العزم هم نجباء الرسل المذكورون فى سورة الانعام وهم ثمانية عشر نبيا لقوله بعد ذكرهم أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقال الكلبى هم الذين أمروا بالجهاد وأظهروا المكاشرة لاعداء الله وقيل هم ستة نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وموسى وهم المذكورون على النسق فى سورة الاعراف والشعراء وقال مقاتل هم ستة نوح صبر على أذى قومه وابراهيم صبر على النار واسحق صبر على الذبح فى قول ويعقوب صبر على فقد ولده وذهاب بصره ويوسف صبر على الجب والسجن وأيوب صبر على الضر وقال ابن عباس وقتادة هم نوح وابراهيم وموسى وعيسى أصحاب الشرائع فهم مع محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين خمسة وقد ذكرهم الله على التخصيص والتعيين فى قوله واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وفى قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا الآية روى البغوى بسنده عن عائشة قالت قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عائشة ان الدنيا لا تنبغى لمحمد ولا لآل محمد يا عائشة ان الله لم يرض من أولى العزم الا بالصبر على مكروهها والصبر عن محبوبها ولم يرض الا أن كلفنى ما كلفهم فقال فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل وانى والله لا بد لى من طاعته والله لاصبرن كما صبروا ولاجهدن

الى العذاب (قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) بكفركم فى الدنيا (فاصبر كما صبر أولو العزم) أولو الجد والثبات والصبر (من الرسل) من للتبعيض والمراد باولى العزم ما ذكر فى الاحزاب واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم ويونس ليس منهم لقوله ولا تكن كصاحب الحوت وكذا آدم لقوله ولم نجد له عزما أو للبيان فيكون أولو العزم صفة الرسل كلهم

(قالوا بلى وربنا) انه الحق (قال) الله لهم (فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) تجحدون فى الدنيا بمحمد عليه السلام والقرآن (فاصبر) يا محمد على أذى الكفار (كما صبر اولو العزم) ذوو اليقين والجزم (من الرسل) مثل نوح وابراهيم وموسى وعيسى ويقال ذوو الشدة والصبر مثل نوح وأيوب وزكريا ويحيى

(ولاتستعجل لهم) لكفار قريش بالعذاب أى لاتدع لهم بتعجيله فانه نازل بهم لامحالة وان تأخر (كأنهم يوم يرون مايوعدون لم يلبثوا الاساعة من نهار) أى انهم يستقصرون ﴿سورة محمد﴾ حينئذ مدة لبثهم فى الدنيا حتى يحسبوها ساعة من نهار (بلاغ) هذا بلاغ اى هذا الذى وعظتم به كفاية فى الموعظة أو هذا تبليغ من الرسول (فهل يهلك) هلاك عذاب والمعنى فلن يهلك بعذاب الله (الاالقوم الفاسقون) أى المشركون الخارجون عن الاتعاظ به والعمل بواجبه قال عليه السلام من قرأ سورة الاحقاف كتب الله له عشر حسنات بعدد كل رملة فى الدنيا

﴿سورة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل سورة القتال مدنية وقيل مكية وهى ثمان وثلاثون آية أوتسع وثلاثون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله) أى أعرضوا

وعيسى لم يضع لبنة على لبنة صلى الله عليهم اجمعين ﴿ولاتستعجل لهم﴾ لكفار قريش بالعذاب فانه نازل بهم فى وقته لامحالة ﴿كأنهم يوم يرون مايوعدون لم يلبثوا الاساعة من نهار﴾ استقصروا من هوله مدة لبثهم فى الدنيا حتى يحسبونها ساعة ﴿بلاغ﴾ هذا الذى وعظتم به اوهذه السورة بلاغ اى كفاية اوتبليغ من الرسول به ويؤيده انه قرى بلغ وقيل بلاغ مبتدأ خبره لهم ومابينهما اعتراض اى لهم وقت يبلغون اليه كأنهم اذا بلغوه ورأوامافيه استقصروا امدة عمرهم *وقرئ بالنصب اى بلغوا بلاغا ﴿فهل يهلك الاالقوم الفاسقون﴾ الخارجون عن الاتعاظ اوالطاعة وقرئ يهلك بفتح اللام وكسرها من هلك وهلك ونهلك بالنون ونصب القوم * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الاحقاف كتب له عشر حسنات بعدد كل رملة فى الدنيا

﴿سورة محمد عليه الصلاة والسلام وتسمى سورة القتال وهى مدنية وقيل مكية وآيها تسع اوثمان وثلاثون﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله﴾ امتنعوا عن الدخول فى الاسلام وسلوك

ولاقوة الابالله * قوله تعالى ﴿ولاتستعجل لهم﴾ يعنى اصبر على أذاهم ولاتستعجل بنزول العذاب عليهم فانه نازل بهم لامحالة كأنه صلى الله عليه وسلم ضجر بعض الضجر فأحب أن ينزل العذاب بمن أبى منهم فامره الله تعالى بالصبر وترك الاستعجال ثم أخبر بقرب العذاب فقال تعالى ﴿كأنهم يوم يرون مايوعدون﴾ يعنى من العذاب فى الآخرة ﴿لم يلبثوا﴾ يعنى فى الدنيا ﴿الاساعة من نهار﴾ يعنى أنهم اذا عاينوا العذاب صار طول لبثهم فى الدنيا والبرزخ كأنه قدر ساعة من نهار لان مامضى وان كان طويلا فهو يسير الى مايدوم عليهم من العذاب وهو أبد الآبدين بلا انقطاع ولافناء وتم الكلام عند قوله ساعة من نهار ثم ابتدأ فقال تعالى ﴿بلاغ﴾ أى هذا القرآن ومافيه من البينات والهدى بلاغ من الله الحكيم والبلاغ بمعنى التبليغ ﴿فهل يهلك﴾ يعنى بالعذاب اذا نزل ﴿الا القوم الفاسقون﴾ يعنى الخارجين عن الايمان بالله وطاعته قال الزجاج تاويله لايهلك مع رحمة الله وفضله الا القوم الفاسقون ولهذا قال قوم مافى الرجاء لرحمة الله آية أقوى من هذه الآية والله أعلم

﴿تفسير سورة محمد صلى الله عليه وسلم وهى مدنية وهى ثمان وثلاثون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* قوله عزوجل ﴿الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله﴾

(ولاتستعجل لهم) بالهلاك (كأنهم يوم يرون مايوعدون) من العذاب مقدم ومؤخر (لم يلبثوا) لم يمكثوا فى الدنيا (الاساعة) قدر ساعة (من نهار بلاغ) بلغة واجل فاذا جاء وقت العذاب والهلاك (فهل يهلك) بالعذاب (الاالقوم الفاسقون) الكافرون وهم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله

﴿ومن السورة التى يذكر فيها محمد صلى الله عليه وسلم وهى كلها مكية نزلت فى القتال﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (الذين كفروا) بمحمد عليه السلام والقرآن (وصدوا عن سبيل الله) صرفوا الناس

وامتنعوا عن الدخول فى الاسلام أوصدوا غيرهم عنه قال الجوهرى صدعنه يصد صدودا أى أعرض وصده عن الامر صدا

منعه وصرفه عنه وهم المطعمون يوم بدر أو أهل الكتاب

أو عام فى كل من كفر وصد (أضل أعمالهم) أبطلها وأحبطها وحقيقته جعلها ضالة ضائعة ليس لها من يتقبلها ويثيب عليها كالضالة من الابل وأعمالهم ماعملوه فى كفرهم من صلة الارحام واطعام الطعام وعمارة المسجد الحرام أوما عملوه من الكيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم والصد عن سبيل الله (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) هم ناس من قريش أو من الانصار أو من أهل الكتاب أو عام (وآمنوا بما نزل على محمد) وهو القرآن وتخصيص الايمان بالمنزل على رسوله من بين مايجب الايمان به لتعظيم شأنه وأكد ذلك بالجملة الاعتراضية وهى قوله (وهو الحق من ربهم) أى القرآن وقيل ان دين محمد هو الحق اذ لايرد عليه النسخ وهو ناسخ لغيره

طريقه اومنعوا الناس عنه كالمطعمين يوم بدر اوشياطين قريش اوالمصرين من اهل الكتاب ﴿ اضل اعمالهم ﴾ جعل مكارمهم كصلة الرحم وفك الاسارى وحفظ الجوار ضالة اى ضائعة محبطة بالكفر اومغلوبة مغمورة فيه كما يضل الماء فى اللبن اوضلالا حيث لم يقصدوا به وجه الله اوابطل ماعملوه من الكيد لرسوله والصد عن سبيله بنصر رسوله واظهار دينه على الدين كله ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ يعم المهاجرين والانصار والذين آمنو من اهل الكتاب وغيرهم ﴿ وآمنوا بما نزل على محمد ﴾ تخصيص للمنزل عليه مما يجب الايمان به تعظيماله واشعارا بان الايمان لايتم دونه وانه الاصل فيه ولذلك اكده بقوله ﴿ وهو الحق من ربهم ﴾ اعتراضا على طريقة الحصر وقيل حقيته

أضل أعمالهم ﴾ يعنى أبطلها ولم يتقبلها منهم وأراد بالاعمال ماكانوا يفعلون من أعمال البر من اطعام الطعام وصلة الارحام وفك العانى وهو الاسير واجارة المستجير ونحو ذلك قال بعضهم أول هذه السورة متعلق بالآخر سورة الاحقاف المتقدمة كأن قائلا قال كيف يهلك القوم الفاسقون ولهم أعمال صالحة كاطعام الطعام ونحوه من الاعمال والله لايضيع لعامل عمله ولوكان مثقال ذرة من خير فأخبر بان الفاسقين هم الذى كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم يعنى أبطلها لانها لم تكن لله ولا بامره انما فعلوها من عند أنفسهم ليقال عنهم ذلك فلهذا السبب أبطلها الله تعالى وقال الضحاك أبطل كيدهم ومكرهم بالنبى صلى الله عليه وسلم وجعل الدائرة عليهم قال بعضهم المراد بقوله الذين كفروا هم الذين كانوا يطعمون الجيش يوم بدر وهم رؤس كفار قريش منهم أبو جهل والحرث ابن هشام وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وغيرهم وقيل هم جميع كفار قريش وقيل هم كفار أهل الكتاب وقيل هو عام فيدخل فيه كل كافر وصدوا عن سبيل الله يعنى ومنعوا غيرهم عن الدخول فى دين الله وهو الاسلام أو منعوا أنفسهم من الدخول فى الاسلام أضل أعمالهم يعنى أبطلها لانها كانت لغير الله ومنه قوله تعالى وقدمنا الى ماعملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ قال ابن عباس الذين كفروا مشركو قريش والذين آمنوا هم الانصار وقيل مؤمنو أهل الكتاب وقيل هو عام فيدخل فيه كل مؤمن آمن بالله ورسوله وهذا هو الاولى ليشمل جميع المؤمنين ﴿ و ﴾ الذين ﴿ آمنوا بما نزل على محمد ﴾ يعنى القرآن الذى أنزله الله على محمد وانما ذكره بلفظ الاختصاص مع مايجب من الايمان بجميع ماجاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله تعظيما لشأن القرآن الكريم وتنبيها على انه لايتم الايمان الابه وأكد ذلك بقوله ﴿ وهو الحق من ربهم ﴾ وقيل معناه ان دين محمد صلى الله عليه وسلم هو الحق لانه ناسخ للاديان كلها ولايرد عليه نسخ وقال سفيان الثورى فى قوله

عن دين الله وطاعته وهم المطعمون يوم بدو عتبة وشيبة ابنا ربيعة ومنبه ونبيه ابنا الحجاج وأبو البخترى بن هشام وأبوجهل بن هشام واصحابهم (أضل أعمالهم) ابطل حسناتهم ونفقاتهم يوم بدر: (والذين آمنوا) بالله ومحمد والقرآن (وعملوا الصالحات) الطاعات فيما بينهم وبين ربهم وهم اصحاب محمد عليه السلام (وآمنوا بما نزل على محمد) بما نزل الله به جبريل على محمد عليه السلام (وهو الحق من ربهم) يعنى القرآن

(كفر عنهم سيآتهم) ستر بايمانهم وعملهم الصالح ما كان منهم من الكفر والمعاصى لرجوعهم عنها وتوبتهم (وأصلح بالهم) أى حالهم وشأنهم بالتوفيق فى أمور الدين وبالتسليط على الدنيا بما أعطاهم من النصرة والتأييد (ذلك بان الذين كفروا اتبعوا الباطل وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم) ذلك مبتدأ وما بعده خبره أى ذلك الامر وهو اضلال أعمال احد الفريقين وتكفير سيآت الثانى والاصلاح كائن بسبب اتباع هؤلاء الباطل وهو الشيطان وهؤلاء الحق وهو القرآن (كذلك) مثل ذلك الضرب (يضرب الله) أى يبين الله (للناس أمثالهم) والضمير راجع الى الناس أو الى المذكورين من الفريقين على معنى انه يضرب أمثالهم لاجل الناس ليعتبروا بهم وقد جعل اتباع الباطل مثلا لعمل الكافرين واتباع الحق مثلا لعمل المؤمنين أو جعل الاضلال مثلا لخيبة الكفار وتكفير السيآت مثلا لفوز الابرار (فاذا لقيتم الذين كفروا) من اللقاء وهو الحرب (فضرب الرقاب) أصله فاضربوا الرقاب ضربا فحذف الفعل وقدم المصدر فانيب منابه مضافا

بكونه ناسخا لاينسخ ✻ وقرئ نزل على البناء للفاعل وانزل على البنائين ونزل بالتخفيف ﴿كفر عنهم سيآتهم﴾ سترها بالايمان وعملهم الصالح ﴿واصلح بالهم﴾ حالهم فى الدين والدنيا بالتوفيق والتأييد ﴿ذلك﴾ اشارة الى مامر من الاضلال والتكفير والاصلاح وهو مبتدأ خبره ﴿بان الذين كفروا اتبعوا الباطل وان الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم﴾ بسبب اتباع هؤلاء الباطل واتباع هؤلاء الحق وهذا تصريح بما اشعر به ماقبلها ولذلك تسمى تفسيرا ﴿كذلك﴾ مثل ذلك الضرب ﴿يضرب الله للناس﴾ يبين لهم ﴿امثالهم﴾ احوال الفريقين او احوال الناس او يضرب امثالهم بان جعل اتباع الباطل مثلا لعمل الكفار والاضلال مثلا لخيبتهم واتباع الحق مثلا للمؤمنين وتكفير السيآت مثلا لفوزهم ﴿فاذا لقيتم الذين كفروا﴾ فى المحاربة ﴿فضرب الرقاب﴾ اصله فاضربوا الرقاب ضربا فحذف الفعل وقدم المصدر وانيب منابه مضافا الى المفعول ضما الى التأكيد للاختصار والتعبير به عن القتل اشعار بانه ينبغى ان يكون بضرب الرقبة حيث امكن وتصوير له

وآمنوا بما نزل على محمد يعنى لم يخالفوه فى شئ ﴿كفر عنهم سيآتهم﴾ يعنى ستر بايمانهم وعملهم الصالح ما كان منهم من الكفر والمعاصى لرجوعهم وتوبتهم منها فغفرلهم بذلك ما كان منهم ﴿وأصلح بالهم﴾ يعنى حالهم وشأنهم وأمرهم بالتوفيق فى أمور الدين والتسليط على أمور الدنيا بما أعطاهم من النصر على أعدائهم وقيل أصلح بالهم يعنى قلوبهم لان القلب اذا صلح صلح سائر الجسد وقال ابن عباس عصمهم أيام حياتهم يعنى أن هذا الاصلاح يعود الى اصلاح أعمالهم حتى لايعصوا ﴿ذلك بان الذين كفروا اتبعوا الباطل﴾ يعنى الشيطان ﴿وان الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم﴾ يعنى القرآن ومعنى الآية ذلك الامر وهو اضلال أعمال الكفار وتكفير سيآت المؤمنين كائن بسبب اتباع الكفار الباطل واتباع المؤمنين الحق من ربهم ﴿كذلك يضرب الله للناس أمثالهم﴾ الضمير فى أمثالهم راجع الى الناس على أنه تعالى يضرب للناس أمثال أنفسهم أوانه راجع الى الفريقين على معنى انه تعالى ضرب أمثال الفريقين للناس ليعتبروا بها قال الزجاج كذلك يضرب الله أمثال حسنات المؤمنين وأمثال أعمال الكافرين للناس ✻ قوله تعالى ﴿فاذا لقيتم الذين كفروا﴾ من اللقاء وهو الحرب ﴿فضرب الرقاب﴾ يعنى فاضربوا رقابهم ضربا وضرب الرقاب عبارة عن القتل لأن المراد ضرب الرقاب فقط دون سائر الاعضاء وانما خص الرقاب بالضرب لان

(كفر عنهم سيآتهم) ذنوبهم بالجهاد (واصلح بالهم) حالهم وشأنهم ونياتهم وعملهم فى الدنيا ويقال اظهر أمرهم فى الاسلام (ذلك) ثم بين الشئ الذى احبط أعمال الكافرين وأصلح أعمال المؤمنين فقال (قا و خا ٦٣ مس) ذلك الابطال (بأن الذين كفروا) بمحمد عليه السلام والقرآن (اتبعوا الباطل) يعنى الشرك بالله (وان الذين آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (اتبعوا الحق من ربهم) يعنى القرآن (كذلك) هكذا (يضرب الله) يبين الله (للناس) لامة محمد صلى الله عليه وسلم (أمثالهم) أمثال من كان قبلهم كيف اهلكهم الله عند تكذيب الرسل ثم حرض المؤمنين على القتال (فاذا لقيتم الذين كفروا) يوم بدر (فضرب الرقاب)

باشنع صورة ﴿حتى اذا أثخنتموهم﴾ اكثرتم قتلهم واغلظتموه من الثخين وهو الغليظ ﴿فشدوا الوثاق﴾ فأسروهم واحفظوهم والوثاق بالفتح والكسر مايوثق به ﴿فاما منا بعد واما فداء﴾ اى فاما تمنون منا او تفدون فداء والمراد التخيير بعد الاسر بين المن

قتل الانسان أشنع مايكون بضرب رقبته فلذلك خصت بالذكر فى الامر بالقتل ولان الرأس من أشرف أعضاء البدن فاذا أبين عن بدنه كان أسرع الى الموت والهلاك بخلاف غيره من الاعضاء ﴿حتى اذا أثخنتموهم﴾ يعنى بالغتم فى القتل وقهرتموهم مأخوذ من الشئ الثخين الغليظ والمعنى حتى اذا أثقلتموهم بالقتل والجراح ومنعتموهم النهوض والحركة ﴿فشدوا الوثاق﴾ يعنى فى الاسرى والمعنى فأسروهم وشدوا وثاقهم حتى لايفلتوا منكم والوثاق اسم لما يوثق به أى يشد به ﴿فاما منا بعد واما فداء﴾ يعنى بعد الاسر اما أن تمنوا عليهم منا باطلاقهم من غير عوض وأما ان تفادوهم فداء

فصل فى حكم الآية

اختلف العلماء فى حكم هذه الآية فقال قوم هى منسوخة بقوله فاما تثقفنهم فى الحرب فشرد بهم من خلفهم وبقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وهذا قول قتادة والضحاك والسدى وابن جريج واليه ذهب الاوزاعى وأصحاب الرأى قالوا لايجوز المن على من وقع فى الاسر من الكفار ولا الفداء بل اما القتل أو الاسترقاق أيهما رأى الامام ونقل صاحب الكشاف عن مجاهد قال ليس اليوم من ولافداء انما هو الاسلام أوضرب العنق ويجوز أن يكون المرادان يمن عليهم بترك القتل ويسترقوا أو يمن عليهم فيخلوا لقبول الجزية ان كانوا من أهل الذمة ويراد بالفداء أن يفادى باسراهم أسرى المسلمين فقد رواه الطحاوى مذهبا عن أبى حنيفة والمشهور عنه أنه لايرى فداءهم لا بمال ولا بغيره خيفة أن يعودوا حربا للمسلمين وذهب أكثر العلماء الى ان الآية محكمة والامام بالخيار فى الرجال البالغين من الكفار اذا أسروا بين أن يقتلهم أو يسترقهم أو يمن عليهم فيطلقهم بلا عوض أو يفاديهم بالمال أو باسارى المسلمين واليه ذهب ابن عمر وبه قال الحسن وعطاء وأكثر الصحابة والعلماء وهو قول الثورى والشافعى وأحمد واسحق قال ابن عباس لما كثر المسلمون واشتد سلطانهم أنزل الله عز وجل فى الاسارى فاما منا بعد واما فداء وهذا القول هو الصحيح ولانه به عمل النبى صلى الله عليه وسلم والخلفاء بعده (ق) عن أبى هريرة قال بعث النبى صلى الله عليه وسلم خيلا قبل نجد فجاءت برجل من بنى حنيفة يقال له ثمامة ابن أثال فربطوه فى سارية من سوارى المسجد فخرج اليه النبى صلى الله عليه وسلم فقال ماعندك ياثمامة فقال عندى خير يامحمد ان تقتل تقتل ذادم وان تنعم تنعم على شاكر وان كنت تريد المال فسل تعط منه ماشئت فتركه النبى صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان من الغد قال ماعندك ياثمامة قال ماقلت لك ان تنعم تنعم على شاكر وان تقتل تقتل ذادم وان كنت تريد المال فسل تعط منه ماشئت فتركه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان من الغد قال ماعندك ياثمامة قال عندى ماقلت لك ان تنعم تنعم على شاكر وان تقتل تقتل ذادم وان

على الفعل بالنصبة التى فيه وضرب الرقاب عبارة عن القتل لا أن الواجب أن تضرب الرقاب خاصة دون غيرها من الاعضاء ولان قتل الانسان أكثر مايكون بضرب رقبته فوقع عبارة عن القتل وان ضرب غير رقبته (حتى اذا أثخنتموهم) أكثرتم فيهم القتل (فشدوا الوثاق) فأسروهم والوثاق بالفتح والكسر اسم مايوثق به والمعنى فشدوا وثاق الاسارى حتى لايفلتوا منكم (فامامنا بعد) أى بعدان تأسروهم (واما فداء) منا وفداء منصوبان بفعليهما مضمرين أى فاما تمنون منا أو تفدون فداء والمعنى التخيير بين الامرين بعد الأسر بين أن يمنوا عليهم فيطلقوهم وبين أن يفادوهم وحكم أسارى المشركين عندنا القتل أو الاسترقاق والمن والفداء المذكور فى الآية منسوخ بقوله اقتلوا المشركين لان سورة براءة من آخر مانزل وعن مجاهد ليس اليوم من ولافداء انما هو الاسلام أو

فاضربوا أعناقهم (حتى اذا أثخنتموهم) قهرتموهم وأسرتموهم (فشدوا الوثاق) فاستوثقوا الاسير (فاما منا بعد) يقول تمن على الاسير فترسله بغير فداء (واما فداء) (كنت)

ضرب العنق أوالمراد بالمن أن يمن عليهم بترك القتل ويسترقوا أويمن عليهم فيخلوا لقبولهم الجزية وبالفداء أن يفادى بأساراهم اسارى المسلمين فقد رواه الطحاوى مذهبا عن أبى حنيفة رحمه الله وهو قولهما والمشهور أنه لايرى فداءهم لابمال ولابغيره لئلا يعودوا حربا علينا وعند الشافعى رحمه الله تعالى للامام أن يختار أحد الامور الاربعة القتل والاسترقاق والفداء باسار المسلمين والمن (حتى تضع الحرب أوزارها) أثقالها وآلاتها التى لاتقوم الابها كالسلاح والكراع وقيل أوزارها آثامها يعنى حتى تترك أهل الحرب وهم المشركون شركهم بان يسلموا وحتى لايخلوا من ان يتعلق بالضرب والشد أوبالمن والفداء فالمعنى على كلا التعلقين عند الشافعى رحمه الله انهم لايزالون على ذلك أبدا الى أن لايكون حرب مع المشركين وذلك اذا لم يبق لهم شوكة وقيل اذا نزل عيسى عليه السلام وعند أبى حنيفة رحمه الله اذا علق بالضرب والشد فالمعنى انهم يقتلون ويأسرون حتى تضع جنس الحرب الاوزار وذلك حين لاتبقى شوكة للمشركين واذا علق بالمن والفداء فالمعنى انه يمن عليهم ويفادون حتى تضع حرب بدر أوزارها الا أن يتأول المن والفداء بما ذكرنا من التأويل (ذلك) أى الامر ذلك فهو مبتدأ وخبر أوافعلوا بهم ذلك فهو فى محل النصب

والاطلاق وبين اخذ الفداء وهو ثابت عندنا فان الذكر الحر المكلف اذا اسر يخير الامام بين القتل والمن والفداء والاسترقاق ومنسوخ عند الحنفية اومخصوص بحرب بدر فانهم قالوا يتعين القتل اوالاسترقاق وقرئ فدا كعصا ﴿حتى تضع الحرب اوزارها﴾ آلاتها واثقالها التى لاتقوم الابها كالسلاح والكراع اى تنقضى الحرب ولم يبق الامسلم اومسالم وقيل آثامها والمعنى حتى يضع اهل الحرب شركهم ومعاصيهم وهو غاية للضرب اوالشد اوللمن والفداء اوللمجموع بمعنى ان هذه الاحكام جارية فيهم حتى لايكون حرب مع المشركين بزوال شوكتهم وقيل بنزول عيسى صلى الله عليه وسلم ﴿ذلك﴾ اى الامر

كنت تريد المال فسل تعط منه ماشئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أطلقوا ثمامة فانطلق الى نخل قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد فقال أشهد أن لااله الاالله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله والله ما كان على الارض أبغض الى من وجهك فقد أصبح وجهك أحب الوجوه الى والله ما كان من دين أبغض الى من دينك فاصبح دينك أحب الدين كله الى والله ما كان من بلد أبغض الى من بلدك فاصبح بلدك أحب البلاد كلها الى وان خيلك أخذتنى وأنا أريد العمرة فماذا ترى فبشره النبى صلى الله عليه وسلم وأمره أن يعتمر فلما قدم مكة قال له قائل أصبوت قال لا ولكنى أسلمت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا والله لايأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم لفظ مسلم بطوله واختصره البخارى عن عمران بن حصين قال أسر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من بنى عقيل فاوثقوه وكانت ثقيف قد أسرت رجلين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ففداه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرجلين اللذين أسرتهما ثقيف أخرجه الشافعى فى مسنده وأخرجه مسلم وأبو داود بلفظ أطول من هذا ✻ وقوله تعالى ﴿حتى تضع الحرب أوزارها﴾ يعنى أثقالها وأحمالها والمراد أهل الحرب يعنى حتى يضعوا أسلحتهم ويمسكوا عن القتال وأصل الوزر مايحمله الانسان فسمى الاسلحة وزرا لانها تحمل وقيل الحرب هم المحاربون مثل الشرب والركب وقيل الاوزار الآثام ومعناه حتى يضع المحاربون أوزارهم بأن يتوبوا من كفرهم فيؤمنوا بالله ورسوله وقيل معناه حتى تضع حربكم وقتالكم أوزار المشركين وقبائح أعمالهم بأن يسلموا ومعنى الآية أثخنوا المشركين بالقتل والاسر حتى يدخل أهل الملل كلها فى الاسلام ويكون الدين كله لله فلايكون بعده جهاد ولاقتال وذلك عند نزول عيسى ابن مريم عليه السلام وجاء فى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم الجهاد ماض منذ بعثنى الله الى أن يقاتل آخر أمتى الدجال هكذا ذكره البغوى بغير سند وقال الكلبى معناه حتى يسلموا أويسالموا قال الفراء حتى لايبقى الامسلم أومسالم ﴿ذلك﴾ يعنى

واما ان يفادى المأسور نفسه (حتى تضع الحرب) الكفار (أوزارها) اسلحتها ويقال حتى يترك الكفار اشراكها (ذلك) العقوبة

(ولو يشاء الله لانتصر منهم) لانتقم منهم بغير قتال ببعض أسباب الهلاك كالخسف أو الرجفة أو غير ذلك (ولكن) أمركم بالقتال (ليبلو بعضكم ببعض) أى المؤمنين بالكافرين تمحيصا للمؤمنين وتمحيقا للكافرين (والذين قتلوا) بصرى وحفص قاتلوا غيرهم (فى سبيل الله فلن يضل أعمالهم سيهديهم) الى طريق الجنة أو الى الصواب فى جواب منكر ونكير (ويصلح بالهم) يرضى خصماءهم ويقبل أعمالهم (ويدخلهم الجنة عرفها لهم) عن مجاهد عرفهم مساكنهم فيها حتى لا يحتاجوا أن يسألوا أو طيبها لهم من العرف وهو طيب الرائحة (يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله) أى دين الله ورسوله (ينصركم) على عدوكم ويفتح لكم (ويثبت أقدامكم) فى مواطن الحرب أو على محجة الاسلام (والذين كفروا) فى موضع رفع بالابتداء والخبر (فتعسا لهم) وعطف قوله

ذلك او افعلوا بهم ذلك ﴿ ولو يشاء الله لانتصر منهم ﴾ لانتقم منهم بالاستئصال ﴿ ولكن ليبلو بعضكم ببعض ﴾ ولكن امركم بالقتال ليبلو المؤمنين بالكافرين بان يجاهدوهم فيستوجبوا الثواب العظيم والكافرين بالمؤمنين بان يعاجلهم على ايديهم ببعض عذابهم كى يرتدع بعضهم عن الكفر ﴿ والذين قاتلوا فى سبيل الله ﴾ اى جاهدوا * وقرأ البصريان وحفص قتلوا اى استشهدوا ﴿ فلن يضل اعمالهم ﴾ فلن يضيعها * وقرئ يضل من ضل ويضل على البناء للمفعول ﴿ سيهديهم ﴾ الى الثواب او سيثبت هدايتهم ﴿ ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم ﴾ وقد عرفها لهم فى الدنيا حتى اشتاقوا اليها فعملوا ما استوجبوها به او بينها لهم بحيث يعلم كل احد منزله ويهتدى اليه كأنه كان ساكنه منذ خلق او طيبها لهم من العرف وهو طيب الرائحة او حددها لهم بحيث يكون لكل جنة مفرزة ﴿ يا ايها الذين آمنوا ان تنصروا الله ﴾ ان تنصروا دينه ورسوله ﴿ ينصركم ﴾ على عدوكم ﴿ ويثبت اقدامكم ﴾ فى القيام بحقوق الاسلام والمجاهدة مع الكفار ﴿ والذين كفروا فتعسا لهم ﴾ فعثورا وانحطاطا ونقضيه لعا قال الاعشى

الذى ذكر وبين من حكم الكفار ﴿ ولو يشاء الله لانتصر منهم ﴾ يعنى ولو شاء الله لاهلكهم بغير قتال وكفاكم أمرهم ﴿ ولكن ﴾ يعنى ولكن أمركم بالقتال ﴿ ليبلو بعضكم ببعض ﴾ يعنى فيصير من قتل من المؤمنين الى الثواب ومن قتل من الكافرين الى العذاب ﴿ والذين قتلوا فى سبيل الله ﴾ يعنى الشهداء وقرئ قاتلوا وهم المجاهدون فى سبيل الله ﴿ فلن يضل أعمالهم ﴾ يعنى فلن يبطلها بل يوفيهم ثواب أعمالهم التى عملوها لله تعالى قال قتادة ذكر لنا ان هذه الآية نزلت يوم أحد وقد فشت فى المسلمين الجراحات والقتل ﴿ سيهديهم ﴾ يعنى أيام حياتهم فى الدنيا الى أرشد الامور وفى الآخرة الى الدرجات العلى ﴿ ويصلح بالهم ﴾ ويرضى أعمالهم ويقبلها ﴿ ويدخلهم الجنة عرفها لهم ﴾ بين لهم منازلهم فى الجنة حتى اهتدوا الى مساكنهم لا يخطؤنها ولا يستدلون عليها كأنهم ساكنوها منذ خلقوا فيكون المؤمن أهدى الى درجته ومنزله وزوجته وخدمه منه الى منزله وأهله فى الدنيا هذا قول أكثر المفسرين ونقل عن ابن عباس عرفها لهم طيبها لهم من العرف وهو الريح الطيبة وطعام معرف أى مطيب * قوله عز وجل ﴿ يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ﴾ يعنى تنصروا دين الله ورسوله وقيل تنصروا أولياء الله وحزبه ﴿ ينصركم ﴾ يعنى على عدوكم ﴿ ويثبت أقدامكم ﴾ يعنى عند القتال وعلى الصراط ﴿ والذين كفروا فتعسا لهم ﴾ قال ابن عباس يعنى بعدا

لمن كفر بالله (ولو يشاء الله لانتصر منهم) لانتقم منهم من كفار مكة بالملائكة غيركم ويقال من غير قتالكم (ولكن ليبلو بعضكم ببعض) ليختبر المؤمنين بالكافرين والقريب بالقريب (والذين قتلوا فى سبيل الله) فى طاعة الله يوم بدر وهم اصحاب محمد عليه السلام (فلن يضل أعمالهم) فلن يبطل حسناتهم فى الجهاد (سيهديهم) يوفقهم للاعمال الصالحة (ويصلح بالهم) حالهم وشأنهم ونياتهم ويقال سيهديهم سيجيبهم فى الآخرة ويصلح بالهم يقبل اعمالهم يوم القيامة (ويدخلهم الجنة عرفها لهم) (لهم) بينها لهم يهتدون اليها كما يهتدون فى الدنيا الى منازلهم (يا ايها الذين آمنوا) بمحمد عليه السلام والقرآن (ان تنصروا الله ينصركم) ان تنصروا نبى الله محمدا عليه السلام بالقتال مع العدو ينصركم الله بالغلبة على العدو (ويثبت اقدامكم) فى الحرب لكى لا تزول (والذين كفروا) بمحمد عليه السلام والقرآن وهم المطعمون يوم بدر (فتعسا لهم) فنكسا لهم وبعدا لهم

(وأضل أعمالهم) على الفعل الذى نصب تعسا لان المعنى فقال تعسالهم

فالتعس اولى لها من ان اقول لعا

وانتصابه بفعله الواجب اضماره سماعا والجملة خبر الذين كفروا اومفسرة لناصبه ﴿ واضل اعمالهم ﴾ عطف عليه ﴿ ذلك بانهم كرهوا ما انزل الله ﴾ القرآن لمافيه من التوحيد والتكاليف المخالفة لما الفوه واشتهته انفسهم وهو تخصيص وتصريح بسببية الكفر بالقرآن للتعس والاضلال ﴿ فاحبط ﴾ الله ﴿ اعمالهم ﴾ كرره اشعارابانه يلزم الكفر بالقرآن ولاينفك عنه بحال ﴿ أفلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم ﴾ استأصل عليهم مااختص بهم من انفسهم واهليهم واموالهم ﴿ وللكافرين ﴾ من وضع الظاهر موضع المضمر ﴿ امثالها ﴾ امثال تلك العاقبة اوالعقوبة اوالهلكة لان التدمير يدل عليها اوللسنة لقوله تعالى سنة الله التى قدخلت ﴿ ذلك بان الله مولى الذين آمنوا ﴾ ناصرهم على اعدائهم ﴿ وان الكافرين لامولى لهم ﴾ فيدفع العذاب عنهم وهو لايخالف قوله ثم ردوا الى الله

لهم وقال أبو العالية سقوطا لهم وقال الضحاك خيبة لهم وقال ابن زيد شقاء لهم وقيل التعس فى الدنيا العثرة وفى الآخرة التردى فى النار يقال للعاثر تعسا اذادعوا عليه ولم يريدوا قيامه وضده لعا اذا دعوا له وأرادوا قيامه وفى هذا اشارة جليلة وهى انه تعالى لما قال فى حق المؤمنين ويثبت أقدامكم يعنى فى الحرب والقتال كان من الجائز ان يتوهم متوهم ان الكافر أيضا يصبر ويثبت قدمه فى الحرب والقتال فاخبر الله تعالى ان لكم الثبات أيها المؤمنون ولهم العثار والزوال والهلاك وقال فى حق المؤمنين بصيغة الوعد لان الله تعالى لايجب عليه شئ وقال فى حق الكفار بصيغة الدعاء عليهم ﴿ وأضل أعمالهم ﴾ يعنى أبطل أعمالهم لانها كانت فى طاعة الشيطان ﴿ ذلك ﴾ يعنى التعس والضلال ﴿ بانهم كرهوا ماأنزل الله ﴾ يعنى القرآن الذى فيه النور والهدى وانما كرهوه لان فيه الاحكام والتكاليف الشاقة على النفس لانهم كانوا قدألفوا الاهمال واطلاق العنان فى الشهوات والملاذ فشق عليهم ترك ذلك والاخذ بالجد والاجتهاد فى طاعة الله فلهذا السبب كرهوا ماأنزل الله ﴿ فاحبط أعمالهم ﴾ يعنى فابطل أعمالهم التى عملوها فى غير طاعة الله ولان الشرك محبط للعمل ثم خوف الكفار فقال تعالى ﴿ أفلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ﴾ يعنى من الامم الماضية والقرون الخالية الكافرة ﴿ دمر الله عليهم ﴾ يقال دمره الله يعنى أهلكه ودمر عليه اذا أهلك مايختص به والمعنى أهلك الله عليهم مايختص بهم من أنفسهم وأموالهم وأولادهم ﴿ وللكافرين ﴾ يعنى بمحمد صلى الله عليه وسلم ﴿ أمثالها ﴾ يعنى انلم يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاءهم به من عندالله وهذا التضعيف انما يكون فى الآخرة ﴿ ذلك ﴾ يعنى الاهلاك والهوان ﴿ بان ﴾ أى بسبب ان ﴿ الله مولى الذين آمنوا ﴾ يعنى هو ناصرهم ووليهم ومتولى أمورهم ﴿ وان الكافرين لامولى لهم ﴾ يعنى لاناصرلهم وسبب ذلك ان الكفار لما عبدوا الاصنام وهى جماد

والتعس العثور وعن ابن عباس رضى الله عنهما يريد فى الدنيا القتل وفى الآخرة التردى فى النار (ذلك) أى التعس والضلال (بانهم كرهوا ما أنزل الله) أى القرآن (فأحبط أعمالهم أفلم يسيروا فى الارض) يعنى كفار أمتك (فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم) أهلكهم هلاك استئصال (وللكافرين) مشركى قريش (أمثالها) أمثال تلك الهلكة لان التدمير يدل عليها (ذلك) أى نصر المؤمنين وسوء عاقبة الكافرين (بان الله مولى الذين آمنوا) وليهم وناصرهم (وان الكافرين لامولى لهم) أى لاناصر لهم فالله مولى العباد جميعا

(واضل اعمالهم) ابطل حسناتهم ونفقاتهم يوم بدر (ذلك) الابطال (بأنهم كرهوا) جحدوا (ماانزل الله) به جبريل على محمد عليه السلام (فأحبط اعمالهم) فابطل حسناتهم ونفقاتهم يوم بدر (أفلم يسيروا) يسافروا كفار مكة (فى الارض فينظروا) يتفكروا (كيف كان عاقبة) جزاء (الذين من قبلهم دمر الله عليهم) اهلكهم الله (وللكافرين) لكفار مكة (امثالها) اشباهها من العذاب (ذلك) النصرة للمؤمنين (بأن الله مولى) ناصر (الذين آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (وان الكافرين) كفار مكة (لامولى لهم) لاناصر لهم

من جهة الاختراع وملك التصرف فيهم والنصرة فهو مولى المؤمنين والكافرين من جهة الاختراع والتصرف فيهم ومولى المؤمنين خاصة من جهة النصرة (ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار والذين كفروا يتمتعون) ينتفعون بمتاع الحياة الدنيا أياما قلائل (ويأكلون) غافلين غير متفكرين فى العاقبة (كما تأكل الانعام) فى معالفها ومسارحها غافلة عما هى بصدده من النحر والذبح (والنار مثوى لهم) منزل ومقام (وكأين من قرية) أى وكم من قرية للتكثير وأراد بالقرية أهلها ولذلك قال أهلكناهم (هى أشد قوة من قريتك التى أخرجتك) أى وكم من قرية أشد قوة من قومك الذين أخرجوك أى كانوا سبب خروجك (أهلكناهم فلا ناصر لهم) أى فلم يكن لهم من ينصرهم ويدفع العذاب عنهم (أفمن كان على بينة من ربه) أى على حجة من عنده وبرهان وهو القرآن المعجز وسائر المعجزات يعنى رسول الله

مولاهم الحق فان المولى فيه بمعنى المالك ﴿ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار والذين كفروا يتمتعون﴾ ينتفعون بمتاع الدنيا ﴿ويأكلون كما تأكل الانعام﴾ حريصين غافلين عن العاقبة ﴿والنار مثوى لهم﴾ منزل ومقام ﴿وكأين من قرية هى اشد قوة من قريتك التى اخرجتك﴾ على حذف المضاف واجراء احكامه على المضاف اليه والاخراج باعتبار التسبب ﴿اهلكناهم﴾ بانواع العذاب ﴿فلا ناصر لهم﴾ يدفع عنهم وهو كالحال المحكية ﴿افمن كان على بينة من ربه﴾ حجة من

لا تضر ولا تنفع ولا تنصر من عبدها فلا جرم لا ناصر لهم والفرق بين قوله وان الكافرين لا مولى لهم وبين قوله ثم ردوا الى الله مولاهم الحق ان المولى هنا بمعنى الناصر والمولى هناك بمعنى الرب والمالك والله تعالى رب كل أحد من الناس ومالكهم فبان الفرق بين الآيتين ولما ذكر الله تعالى حال المؤمنين والكافرين فى الدنيا ذكر حالهم فى الآخرة فقال تعالى ﴿ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار﴾ يعنى هذا لهم فى الآخرة ﴿والذين كفروا يتمتعون﴾ يعنى فى الدنيا بشهواتها ولذاتها ﴿ويأكلون كما تأكل الانعام﴾ يعنى ليس لهم همة الا بطونهم وفروجهم وهم مع ذلك لاهون ساهون عما يراد بهم فى غد ولهذا شبههم بالانعام لان الانعام لا عقل لها ولا تمييز وكذلك الكافر لا عقل له ولا تمييز لانه لو كان له عقل ما عبد ما يضره ولا ينفعه قيل المؤمن فى الدنيا يتزود والمنافق يتزين والكافر يتمتع وانما وصف الكافر بالتمتع فى الدنيا لانها جنته وهى سجن المؤمن بالنسبة الى ما أعد الله له فى الآخرة من النعيم العظيم الدائم ﴿والنار مثوى لهم﴾ يعنى مقام الكفار فى الآخرة والثواء المقام فى المكان مع الاستقرار فيه فالنار مثوى الكافرين ومستقرهم * قوله تعالى ﴿وكأين من قرية هى أشد قوة من قريتك التى أخرجتك﴾ يعنى أخرجك أهلها والمراد بالقرية مكة قال ابن عباس كم من رجال هى أشد قوة من أهل مكة أهلكهم الله يدل عليه قوله ﴿أهلكناهم﴾ ولم يقل أهلكناها ﴿فلا ناصر لهم﴾ يعنى فلا مانع يمنعهم من العذاب والهلاك الذى حل بهم قال ابن عباس لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الغار التفت الى مكة وقال أنت احب بلاد الله تعالى الى الله وأحب بلاد الله الى ولو ان المشركين لم يخرجونى لم أخرج منك فانزل الله هذه الآية ﴿أفمن كان على بينة من ربه﴾ يعنى على يقين من دينه وهو محمد صلى الله عليه وسلم والمؤمنون

(ان الله يدخل الذين آمنوا) بمحمد عليه السلام والقرآن (وعملوا الصالحات) الطاعات فيما بينهم وبين ربهم (جنات) بساتين (تجرى من تحتها) من تحت شجرها ومساكنها (الانهار) انهار الخمر والماء والعسل واللبن (والذين كفروا) بمحمد عليه السلام والقرآن أبو سفيان واصحابه (يتمتعون) يعيشون فى الدنيا (ويأكلون) بشهوة انفسهم بلا همة ما فى غد (كما تأكل الانعام والنار (معه) مثوى لهم) منزل لهم فى الآخرة (وكأين من قرية) وكم من اهل قرية (هى أشد قوة) بالبدن والمنعة (من قريتك) مكة (التى أخرجتك) أخرجك أهلها الى المدينة أهلكناهم عند التكذيب (فلا ناصر لهم) فلم يكن لهم مانع من عذاب الله (أفمن كان على بينة) على بيان ودين (من ربه) وهو محمد صلى الله عليه وسلم

صلى الله عليه وسلم (كمن زين له سوء عمله) هم أهل مكة الذين زين لهم الشيطان شركهم وعداوتهم لله ورسوله وقال سوء عمله (واتبعوا أهواءهم) للحمل على لفظ من ومعناه (مثل الجنة) صفة الجنة العجيبة الشان (التى وعد المتقون) عن الشرك (فيها أنهار) داخل فى حكم الصلة كالتكرير لها ألاترى الى صحة قولك التى فيها أنهار أوحال أى مستقرة فيها أنهار (من ماء غير آسن) غير متغير اللون والريح والطعم يقال أسن الماء اذا تغير طعمه وريحه أسن مكى (وأنهار من لبن لم يتغير طعمه) كما تتغير ألبان الدنيا الى الحموضة وغيرها (وأنهار من خمر لذة) تأنيث لذ وهو اللذيذ (للشاربين) أى ماهو الا التلذذ الخالص ليس معه ذهاب عقل ولا خمار ولا صداع ولا آفة من آفات الخمر (وأنهار من عسل مصفى) لم يخرج من بطون النحل فيخالطه الشمع وغيره

عنده وهو القرآن اوما يعمه والحجج العقلية كالنبى والمؤمنين ﴿ كمن زين له سوء عمله ﴾ كالشرك والمعاصى ﴿ واتبعوا اهواءهم ﴾ فى ذلك لاشبهة لهم عليه فضلا عن حجة ﴿ مثل الجنة التى وعد المتقون ﴾ اى فيما قصصنا عليك صفتها العجيبة وقيل مبتدأ خبره كمن هو خالد فى النار وتقدير الكلام امثل اهل الجنة كمثل من هو خالد اوامثل الجنة كمثل جزاء من هو خالد فعرى عن حرف الانكار وحذف ماحذف استغناء بجرى مثله تصويرا لمكابرة من يسوى بين المتمسك بالبينة والتابع للهوى بمكابرة من يسوى بين الجنة والنار وهو على الاول خبر محذوف تقديره افمن هو خالد فى هذه الجنة كمن هو خالد فى النار اوبدل من قوله كمن زين وما بينهما اعتراض لبيان ما يمتاز به من هو على بينة فى الآخرة تقريرا لانكار المساواة ﴿ فيها انهار من ماء غير آسن ﴾ استئناف بشرح المثل اوحال من العائد المحذوف اوخبر لمثل وآسن من اسن الماء بالفتح اذا تغير طعمه وريحه اوبالكسر على معنى الحدوث وقرأ ابن كثير اسن ﴿ وانهار من لبن لم يتغير طعمه ﴾ لم يصر قارصا ولا حازرا ﴿ وانهار من خمر لذة للشاربين ﴾ لذيذة لايكون فيها كراهة غائلة ريح ولا غائلة سكر وخمار تأنيث لذ اومصدر نعت به باضمار اوتجوز وقرئت بالرفع على صفة الانهار والنصب على العلة ﴿ وانهار من عسل مصفى ﴾

معه ﴿ كمن زين له سوء عمله ﴾ وهو الكافر أبو جهل ومن معه من المشركين ﴿ واتبعوا أهواءهم ﴾ يعنى فى عبادة الاوثان * قوله عز وجل ﴿ مثل الجنة التى وعد المتقون ﴾ لما بين الله عز وجل حال الفريقين فى الاهتداء والضلال بين فى هذه الآية ما أعد لكل واحد من الفريقين فبين أولا ما أعد للمؤمنين المتقين فقال تعالى مثل الجنة التى وعد المتقون يعنى صفة الجنة قال سيبويه المثل هو الوصف فمعناه وصف الجنة وذلك لايقتضى مشابهة وقيل الممثل به محذوف غير مذكور والمعنى مثل الجنة التى وعد المتقون مثل عجيب وشئ عظيم وقيل الممثل به مذكور وهو قوله كمن هو خالد فى النار ﴿ فيها ﴾ يعنى الجنة التى وعد المتقون ﴿ أنهار من ماء غير آسن ﴾ يعنى غير متغير ولا منتن يقال أسن الماء وأجن اذا تغير طعمه وريحه ﴿ وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ﴾ يعنى كما تتغير ألبان الدنيا فلا يعود حامضا ولا قارصا ولا ما يكره من الطعوم ﴿ وأنهار من خمر لذة للشاربين ﴾ يعنى ليس فيها حموضة ولا عفوصة ولا مرارة ولم تدنسها الارجل بالدوس ولا الايدى بالعصر وليس مع شربها ذهاب عقل ولا صداع ولا خمار بل هى لمجرد الالتذاذ فقط ﴿ وأنهار من عسل مصفى ﴾ يعنى ليس فيه شمع كعسل الدنيا ولم يخرج من بطون النحل حتى يموت فيه بعض نحله بل هو خالص صاف من جميع شوائب

(كمن زين له سوء عمله) قبح عمله وهو أبو جهل (واتبعوا أهواءهم) بعبادة الاوثان (مثل الجنة) صفة الجنة (التى وعد المتقون) الكفر والشرك والفواحش (فيها أنهار من ماء غير آسن) آجن ريحه وطعمه (وأنهار من لبن لم يتغير طعمه) الى الحموضة وزهومة زبدة لم يخرج من بطون اللقاح (وأنهار من خمر لذة للشاربين) شهوة للشاربين لم تعصر بالأقدام (وأنهار من عسل مصفى) بلا شمع لم يخرج من بطون النحل

لم يخالطه الشمع وفضلات النحل وغيرها وفى ذلك تمثيل لما يقوم مقام الاشربة فى الجنة بانواع ما يستلذ منها فى الدنيا بالتجريد عما ينغصها وينقصها والتوصيف بما يوجب غزارتها واستمرارها ﴿ ولهم فيها من كل الثمرات ﴾ صنف على هذا القياس ﴿ ومغفرة من ربهم ﴾ عطف على الصنف المحذوف اومبتدأ خبره محذوف اى لهم مغفرة ﴿ كمن هو خالد فى النار وسقوا ماء حميما ﴾ مكان تلك الاشربة ﴿ فقطع امعاءهم ﴾ من فرط الحرارة

عسل الدنيا عن حكيم بن معاوية عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان فى الجنة بحر الماء وبحر العسل وبحر اللبن وبحر الخمر ثم تشقق الانهار بعد أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح (م) عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيحان وجيحان والفرات والنيل كل من أنهار الجنة قال الشيخ محيي الدين النووى فى شرح مسلم سيحان وجيحان غير سيحون وجيحون فاما سيحان وجيحان المذكوران فى الحديث اللذان هما من أنهار الجنة فهما فى بلاد الارمن فسيحان نهر اردنة وجيحان نهر المصيصة وهما نهران عظيمان جدا أكبرهما جيحان هذا هو الصواب فى موضعهما ثم ذكر كلاما بعد هذا طويلا ثم قال فاما كون هذه الانهار من ماء الجنة ففيه تأويلان الثانى وهو الصحيح انها على ظاهرها وان لها مادة من الجنة فالجنة مخلوقة موجودة اليوم هذا مذهب أهل السنة وقال كعب الاخبار نهر دجلة نهر ماء أهل الجنة ونهر الفرات نهر لبنهم ونهر مصر نهر خمرهم ونهر سيحان نهر عسلهم وهذه الانهار الاربعة تخرج من نهر الكوثر هكذا نقله البغوى عنه * وقوله تعالى ﴿ ولهم فيها من كل الثمرات ﴾ فى ذكر الثمرات بعد المشروب اشارة الى ان مأكول أهل الجنة للذة لا لحاجة فلهذا ذكر الثمار بعد المشروب لانها للتفكه واللذة ﴿ ومغفرة من ربهم ﴾ فان قلت المؤمن المتقى لا يدخل الجنة الا بعد المغفرة فكيف يكون لهم فيها المغفرة قلت ليس بلازم ان يكون المعنى ولهم مغفرة من فيها لان الواو لا تقتضى الترتيب فيكون المعنى ولهم فيها من كل الثمرات ولهم مغفرة قبل دخولهم اليها وجواب آخر وهو ان المعنى ولهم مغفرة فيها برفع التكاليف عنهم فيما يأكلون ويشربون بخلاف الدنيا فان مأكولها يترتب عليه حساب وعقاب ونعيم الجنة لا حساب عليه ولا عقاب فيه * قوله تعالى ﴿ كمن هو خالد فى النار ﴾ يعنى من هو فى هذا النعيم المقيم الدائم كمن هو خالد فى النار يتجرع من حميمها وهو قوله ﴿ وسقوا ماء حميما ﴾ يعنى شديد الحر قد استعرت عليه جهنم منذ خلقت اذا أدنى منهم شوى وجوههم ووقعت فروة رؤسهم ﴿ ف ﴾ اذا شربوه ﴿ قطع أمعاءهم ﴾ يعنى فخرجت من أدبارهم والامعاء جمع معى وهو جميع ما فى البطن من الحوايا وقال الزجاج قوله كمن هو خالد فى النار راجع الى ما تقدم كانه تعالى قال أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله وهو خالد فى النار وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الحميم ليصب على رؤسهم فينفذ الحميم حتى يخلص الى جوفه فيسلت ما فى جوفه حتى يمرق من قدميه وهو الصهر ثم يعاد كما كان أخرجه

(ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم) مثل مبتدأ خبره (كمن هو خالد فى النار وسقوا ماء حميما) حارا فى النهاية (فقطع أمعاءهم) والتقدير أمثل الجنة كمثل جزاء من هو خالد فى النار وهو كلام فى صورة الاثبات ومعناه النفى لانطوائه تحت حكم كلام مصدر بحرف الانكار ودخوله فى حيزه وهو قوله أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله وفائدة حذف حرف الانكار زيادة تصوير لمكابرة من يسوى بين المتمسك بالبينة والتابع لهواه وانه بمنزلة من يثبت التسوية بين الجنة التى تجرى فيها تلك الانهار وبين النار التى يسقى أهلها الحميم

(ولهم) ولاهل الجنة (فيها) فى الجنة (من كل الثمرات) من ألوان الثمرات (ومغفرة من ربهم) لذنوبهم فى الدنيا (كمن هو خالد فى النار) لا يموت فيها ولا يخرج منها وهو أبو جهل (وسقوا ماء حميما) حارا (فقطع امعاءهم)

(ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفا) هم المنافقون كانوا يحضرون مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسمعون كلامه ولا يعونه ولا يلقون له بالا تهاونا منهم فاذا خرجوا قالوا لاولى العلم من الصحابة ماذا قال الساعة على جهة الاستهزاء (أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم والذين اهتدوا) بالايمان واستماع القرآن (زادهم) الله (هدى) أى بصيرة وعلما أو شرح صدورهم (وآتاهم تقواهم) أعانهم عليها أو آتاهم جزاء تقواهم أو بين

﴿ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك﴾ يعنى المنافقين كانوا يحضرون مجالس الرسول ويسمعون كلامه فاذا خرجوا ﴿قالوا للذين اوتوا العلم﴾ اى لعلماء الصحابة ﴿ماذا قال آنفا﴾ ما الذى قال الساعة استهزاء او استعلاما اذلم يلقوا له آذانهم تهاونا به وآنفا من قولهم انف الشئ لما تقدم منه مستعارا من الجارحة ومنه استأنف وائتنف وهو ظرف بمعنى وقتا مؤتنفا او حال من الضمير فى قال وقرئ أنفا ﴿أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا اهواءهم﴾ فلذلك استهزؤا وتهاونوا بكلامه ﴿والذين اهتدوا زادهم هدى﴾ اى زادهم الله بالتوفيق والالهام اوقول الرسول ﴿وآتاهم تقواهم﴾ بين لهم مايتقون اواعانهم على تقواهم اواعطاهم جزاءها

الترمذى وقال حديث غريب حسن صحيح عن أبى امامة عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله يسقى من ماء صديد يتجرعه قال يقرب الى فيه فيكرهه فاذا أدنى منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه فاذا شربه قطع أمعاءه حتى تخرج من دبره قال الله تعالى ماء حميما فقطع أمعاءهم ويقول وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه أخرجه الترمذى وقال حديث غريب * قوله تعالى ﴿ومنهم﴾ يعنى ومن هؤلاء الكفار ﴿من يستمع اليك﴾ وهم المنافقون يستمعون قولك فلا يعونه ولا يفهمونه تهاونا به وتغافلا عنه ﴿حتى اذا خرجوا من عندك﴾ يعنى ان هؤلاء المنافقين الذين كانوا عندك يا محمد يستمعون كلامك فاذا خرجوا من عندك ﴿قالوا﴾ يعنى المنافقين ﴿للذين أوتوا العلم﴾ يعنى من الصحابة ﴿ماذا قال آنفا﴾ يعنى ما الذى قال محمد الآن وهو من الائتناف يقال ائتنفت الامر أى ابتدأته قال مقاتل وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يخطب ويعيب المنافقين فاذا خرجوا من المسجد سألوا عبدالله بن مسعود استهزاء ماذا قال محمد صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس وقد سئلت فيمن سئل ﴿أولئك﴾ يعنى المنافقين ﴿الذين طبع الله على قلوبهم﴾ يعنى فلم يؤمنوا ولم ينتفعوا بما سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿واتبعوا أهواءهم﴾ يعنى فى الكفر والنفاق والمعنى انهم لما تركوا اتباع الحق أمات الله قلوبهم فلم تفهم ولم تعقل فعند ذلك اتبعوا أهواءهم فى الباطل ﴿والذين اهتدوا﴾ يعنى المؤمنين لما بين الله ان المنافق يسمع ولا ينتفع بل هو مصر على متابعة الهوى بين حال المؤمن المهتدى الذى ينتفع بما يستمع فقال تعالى والذين اهتدوا يعنى بهداية الله اياهم الى الايمان ﴿زادهم هدى﴾ يعنى انهم كلما سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم مما جاء به عن الله عز وجل آمنوا بما سمعوا منه وصدقوه فيزيدهم ذلك هدى مع هدايتهم وايمانا مع ايمانهم ﴿وآتاهم تقواهم﴾ يعنى وفقهم للعمل بما أمرهم به وهو التقوى وقال سعيد بن جبير آتاهم ثواب تقواهم

مباغرهم (ومنهم) من المنافقين (من يستمع اليك) الى خطبتك يوم الجمعة (حتى اذا خرجوا من عندك) تفرقوا من عندك (قالوا) يعنى المنافقين (للذين أوتوا العلم) اعطوا العلم يعنى عبد الله بن مسعود (ماذا قال) محمد عليه السلام (آنفا) الساعة على المنبر استهزاء بما قال محمد صلى الله عليه وسلم (أولئك) المنافقون هم (الذين طبع الله) ختم الله (على قلوبهم) فهم لا يعقلون الحق والهدى (واتبعوا أهواءهم) بكفر السر والنفاق والخيانة والعداوة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (والذين اهتدوا) بالايمان (زادهم) بخطبتك (هدى) بصيرة فى أمر الدين وتصديقا فى النيات (وآتاهم تقواهم) ألهمهم تقواهم يقول أكرمهم بترك المعاصى واجتناب المحارم ويقال والذين اهتدوا بالناسخ زادهم هدى بالمنسوخ وآتاهم الله تبارك وتعالى تقواهم أكرمهم الله باستعمال الناسخ وترك

﴿فهل ينظرون الا الساعة﴾ فهل ينتظرون غيرها ﴿ان تأتيهم بغتة﴾ بدل اشتمال من الساعة وقوله ﴿فقد جاء اشراطها﴾ كالعلة له وقرى ان تأتهم على انه شرط مستأنف جزاؤه ﴿فانى لهم اذا جاءتهم ذكراهم﴾ والمعنى ان تأتهم الساعة بغتة لانه قد ظهر اماراتها

وقيل آتاهم نفس تقواهم بمعنى انه تعالى بين لهم التقوى * قوله عز وجل ﴿فهل ينظرون الا الساعة ان تأتيهم بغتة﴾ يعنى الكافرين والمنافقين الذين قعدوا عن الايمان فلم يؤمنوا فالساعة تاتيهم بغتة تفجؤهم وهم على كفرهم ونفاقهم ففيه وعيد وتهديد والمعنى لاينتظرون الا الساعة والساعة آتية لامحالة وسميت القيامة ساعة لسرعة قيامها عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بادروا بالاعمال سبعا فهل تنتظرون الافقرا منسيا أوغنى مطغيا أومرضا مفسدا أوهرما مفندا أوموتا مجهزا أو الدجال فشر غائب ينتظر أوالساعة والساعة أدهى وأمر أخرجه الترمذى وقال حديث حسن * وقوله تعالى ﴿فقد جاء أشراطها﴾ أى أماراتها وعلاماتها واحدها شرط ولما كان قيام الساعة أمرا مستبطأ فى النفوس وقد قال الله تعالى فهل ينظرون الا الساعة أن تاتيهم بغتة فكأن قائلا قال متى يكون قيام الساعة فقال تعالى فقد جاء أشراطها قال المفسرون من أشراط الساعة انشقاق القمر وبعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم (ق) عن سهل بن سعد قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال باصبعه هكذا الوسطى والتى تلى الابهام وقال بعثت أنا والساعة كهاتين وفى رواية قال بعثت أنا والساعة كهاتين ويشير باصبعيه يمدهما (ق) عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت أنا والساعة كهاتين كفضل احداهما على الاخرى وضم السبابة والوسطى وفى رواية قال بعثت فى نفس الساعة فسبقتها كفضل هذه على الاخرى قيل معنى الحديث ان المراد ان مابين مبعثه صلى الله عليه وسلم وقيام الساعة شئ يسير كما بين الاصبعين فى الطول وقيل هو اشارة الى قرب المجاورة (ق) عن أنس قال عند قرب وفاته ألا أحدثكم حديثا عن النبى صلى الله عليه وسلم لايحدثكم به أحد غيرى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لاتقوم الساعة أوقال من أشراط الساعة ان يرفع العلم ويظهر الجهل ويشرب الخمر ويفشوالزنا ويذهب الرجال ويبقى النساء حتى يكون لخمسين امرأة قيم وفى رواية ويظهر الزنا ويقل الرجال ويكثر النساء (ق) عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من أشراط الساعة أن يتقارب الزمان وينقص العلم وتظهر الفتن ويلقى الشح ويكثر الهرج قالوا وما الهرج قال القتل وفى رواية يرفع العلم ويثبت الجهل أوقال ويظهر الجهل (خ) عن أبى هريرة قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مجلس يحدث القوم اذجاءه أعرابى فقال متى الساعة فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حديثه فقال بعض القوم سمع ماقال فكره ماقال وقال بعضهم بل لم يسمع حتى اذا قضى حديثه قال أين السائل عن الساعة قال ها أنا ذا يارسول الله قال اذا ضيعت الامانة فانتظر الساعة قال وكيف اضاعتها قال اذا وسد الامر الى غير أهله فانتظر الساعة * وقوله تعالى ﴿فانى لهم اذا جاءتهم ذكراهم﴾ يعنى فمن أين لهم

لهم مايتقون (فهل ينظرون الا الساعة) أى ينتظرون (أن تأتيهم) أى اتيانها فهو بدل اشتمال من الساعة (بغتة) فجأة (فقد جاء أشراطها) علاماتها وهو مبعث محمد صلى الله عليه وسلم وانشقاق القمر والدخان وقيل قطع الارحام وقلة الكرام وكثرة اللئام (فانى لهم اذا جاءتهم ذكراهم) قال الاخفش التقدير فانى لهم ذكراهم اذا جاءتهم

المنسوخ (فهل ينظرون) اذا كذبوك كفار مكة (الا الساعة) قيام الساعة (ان تأتيهم بغتة) فجأة (فقد جاء اشراطها) معالمها انشقاق القمر وخروج النبى صلى الله عليه وسلم بالقرآن من اعلامها أى معالمها (فانى لهم) فمن أين لهم (اذا جاءتهم) قيام الساعة (ذكراهم) التوبة

كبعث الرسول وانشقاق القمر فكيف لهم ذكراهم اى تذكرهم اذاجاءتهم الساعة وحينئذ لايفرغ له ولاينفع ﴿ فاعلم انه لااله الاالله واستغفر لذنبك ﴾ اى اذاعلمت سعادة المؤمنين وشقاوة الكافرين فأثبت على ماانت عليه من العلم بالوحدانية وتكميل

التذكر والاتعاظ والتوبة اذاجاءتهم الساعة بغتة وقيل معناه كيف يكون حالهم اذا جاءتهم الساعة فلا تنفعهم الذكرى ولاتقبل منهم التوبة ولايحتسب بالايمان فى ذلك الوقت ﴿ فاعلم انه لااله الاالله ﴾ الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم وأورد على هذا انه صلى الله عليه وسلم كان عالما بالله وانه لااله الاهو فما فائدة هذا الامر وأجيب عنه بان معناه دم على ما أنت عليه من العلم فهو كقول القائل للجالس اجلس أى دم على ما أنت عليه من الجلوس أويكون معناه ازدد علما الى علمك وقيل ان هذا الخطاب وان كان للنبى صلى الله عليه وسلم فالمراد به غيره من أمته قال أبو العالية وسفيان بن عيينة هذا متصل بما قبله معناه اذا جاءتهم فاعلم انه لاملجأ ولامنجى ولامفزع عند قيامها الا الى الله الذى لااله الاهو وقيل معناه فاعلم انه لااله الاالله وان جميع الممالك تبطل عند قيامها فلاملك ولاحكم لاحد الاالله الذى لااله الاهو ﴿واستغفر لذنبك﴾ أمر الله عزوجل نبيه صلى الله عليه وسلم بالاستغفار مع أنه مغفور له ليستن به أمته وليقتدوا به فى ذلك (م) عن الاغر المزنى أغر مزينة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انه ليغان على قلبى حتى أستغفر فى اليوم مائة مرة وفى رواية قال توبوا الى ربكم فوالله انى لاتوب الى ربى عزوجل مائة مرة فى اليوم (خ) عن أبى هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انى لاستغفر الله وأتوب اليه فى اليوم سبعين مرة وفى رواية أكثر من سبعين مرة قوله انه ليغان على قلبى الغين التغطية والستر أى يلبس على قلبى ويغطى وسبب ذلك ما أطلعه الله عليه من أحوال أمته بعده فاحزنه ذلك حتى كان يستغفر لهم وقيل انه لما كان يشغله النظر فى أمور المسلمين ومصالحهم حتى يرى انه قد شغل بذلك وان كان من أعظم طاعة وأشرف عبادة عن أرفع مقام مما هو فيه وهو التفرد بربه عزوجل وصفاء وقته معه وخلوص همه من كل شئ سواه فلهذا السبب كان صلى الله عليه وسلم يستغفر الله فان حسنات الابرار سيآت المقربين وقيل هو ماخوذ من الغين وهو الغيم الرقيق الذى يغشى السماء فكان هذا الشغل والهم يغشى قلبه صلى الله عليه وسلم ويغطيه عن غيره فكان يستغفر الله منه وقيل هذا الغين هو السكينة التى تغشى قلبه صلى الله عليه وسلم وكان سبب استغفاره لها اظهار العبودية والافتقار الى الله تعالى وحكى الشيخ محيى الدين النووى عن القاضى عياض ان المراد به الفترات والغفلات من الذكر الذى كان شأنه صلى الله عليه وسلم الدوام عليه فاذا فتر أوغفل عد ذلك ذنبا واستغفر منه وحكى الوجوه المتقدمة عنه وعن غيره وقال الحرث المحاسبى خوف الانبياء والملائكة خوف اعظام واجلال وان كانوا آمنين من عذاب الله تعالى وقيل يحتمل ان هذا الغين حالة حسنة واعظام يغشى القلب ويكون استغفاره شكرا

(فاعلم انه) ان الشان (لااله الاالله واستغفر لذنبك

(فاعلم) يا محمد (انه لااله الا الله) لاضار ولا نافع ولا مانع ولا معطى ولا معز ولا مذل الاالله ويقال فاعلم انه ليس شئ فضله كفضل لااله الاالله (واستغفر لذنبك) يا محمد من ضرب اليهودى زيد بن السمين

وللمؤمنين والمؤمنات) والمعنى فاثبت على ما أنت عليه من العلم بوحدانية الله وعلى التواضع وهضم النفس باستغفار ذنبك وذنوب من على دينك وفى شرح التأويلات جاز أن يكون له ذنب فامره بالاستغفار له ولكنا لا نعلمه غير ان ذنب الانبياء ترك الافضل دون مباشرة القبيح وذنوبنا مباشرة القبائح من الصغائر والكبائر وقيل الفاآت فى هذه الآيات لعطف جملة على جملة بينهما اتصال (والله يعلم متقلبكم) فى معايشكم ومتاجركم (ومثواكم) ويعلم حيث تستقرون من منازلكم أو متقلبكم فى حياتكم ومثواكم فى القبور أو متقلبكم فى أعمالكم ومثواكم فى الجنة والنار ومثله حقيق بان يتقى ويخشى وان يستغفر وسئل سفيان بن عيينة عن فضل العلم فقال ألم تسمع قوله فاعلم أنه لا اله الا الله واستغفر لذنبك فامر بالعمل بعد العلم (ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة) فيها ذكر الجهاد (فاذا أنزلت سورة) فى معنى الجهاد (محكمة) مبينة غير متشابهة لاتحتمل وجها الا وجوب القتال وعن قتاده كل سورة فيها ذكر القتال فهى محكمة لان النسخ لا يرد عليها من قبل أن القتال نسخ ما كان من الصفح والمهادنة وهو غير منسوخ الى يوم القيامة (وذكر فيها القتال) أى أمر فيها بالجهاد (رأيت الذين فى قلوبهم مرض) نفاق أى رأيت المنافقين فيما بينهم يضجرون منها (ينظرون اليك نظر المغشى عليه من الموت) أى تشخص أبصارهم جبنا وجزعا كما ينظر من أصابته الغشية

النفس باصلاح احوالها وافعالها وهضمها بالاستغفار لذنبك ﴿وللمؤمنين والمؤمنات﴾ ولذنوبهم بالدعاء لهم والتحريض على ما يستدعى غفرانهم وفى اعادة الجار وحذف المضاف اشعار بفرط احتياجهم وكثرة ذنوبهم وانها جنس آخر فان الذنب ماله تبعة ما بترك الاولى ﴿والله يعلم متقلبكم﴾ الدنيا فانها مراحل لا بد من قطعها ﴿ومثواكم﴾ فى العقبى فانها دار اقامتكم فاتقوا الله واستغفروه واعدوا لمعادكم ﴿ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة﴾ اى هلا انزلت سورة فى امر الجهاد ﴿فاذا انزلت سورة محكمة﴾ مبينة لا تشابه فيها ﴿وذكر فيها القتال﴾ اى الامر به ﴿رأيت الذين فى قلوبهم مرض﴾ ضعف فى الدين وقيل نفاق ﴿ينظرون اليك نظر المغشى عليه من الموت﴾ جبنا ومخافة

كما قال أفلا أكون عبدا شكورا وقيل فى معنى الآية استغفر لذنبك أى لذنوب أهل بيتك ﴿وللمؤمنين والمؤمنات﴾ يعنى من غير أهل بيته وهذا اكرام من الله عز وجل لهذه الامة حيث أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يستغفر لذنوبهم وهو الشفيع المجاب فيهم ﴿والله يعلم متقلبكم ومثواكم﴾ قال ابن عباس والضحاك متقلبكم يعنى متصرفكم ومنتشركم فى أعمالكم فى الدنيا ومثواكم يعنى مصيركم الى الجنة أو الى النار وقيل متقلبكم فى أشغالكم بالنهار ومثواكم بالليل الى مضاجعكم وقيل متقلبكم من أصلاب الآباء الى أرحام الامهات وبطونهن ومثواكم فى الدنيا وفى القبور المعنى انه تعالى عالم بجميع أحوالكم فلا يخفى عليه شئ منها وان دق وخفى * قوله تعالى ﴿ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة﴾ وذلك ان المؤمنين كانوا حراصا على الجهاد فى سبيل الله فقالوا فهلا أنزلت سورة تامرنا بالجهاد لكى نجاهد ﴿فاذا انزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال﴾ قال مجاهد كل سورة ذكر فيها الجهاد فهى محكمة وهى أشد القرآن على المنافقين ﴿رأيت الذين فى قلوبهم مرض﴾ يعنى نفاقا وهم المنافقون ﴿ينظرون اليك﴾ يعنى شزرا وكراهية منهم للجهاد وجبنا عن لقاء العدو ﴿نظر المغشى عليه من الموت﴾ يعنى كما ينظر الشاخص بصره عند معاينة الموت

(وللمؤمنين والمؤمنات) ولذنوب المؤمنين والمؤمنات (والله يعلم متقلبكم) ذهابكم ومجيئكم وأعمالكم فى الدنيا (ومثواكم) مصيركم ومنزلكم فى الآخرة (ويقول الذين آمنوا) بمحمد عليه السلام والقرآن وهم المخلصون (لولا) هلا (نزلت سورة) جبريل بسورة تمنوا ذلك من اشتياقهم الى ذكر الله وطاعته (فاذا أنزلت سورة) جبريل بسورة (محكمة) مبينة بالحلال والحرام والامر والنهى (وذكر فيها القتال) أمر فيه بالقتال (رأيت الذين فى قلوبهم مرض) شك ونفاق (ينظرون اليك) نحوك عند ذكرك القتال (نظر المغشى عليه من الموت) كمن هو فى غشيان الموت من كراهية قتالهم مع العدو (وعيد)

عند الموت (فاولى لهم) وعيد بمعنى فويل لهم وهو أفعل من الولى وهو القرب ومعناه الدعاء عليهم بان يليهم المكروه (طاعة وقول معروف) كلام مستأنف أى طاعة وقول معروف خير لهم (فاذا عزم الامر) فاذا وجد الامر ولزمهم فرض القتال (فلو صدقوا الله) فى الايمان والطاعة (لكان) الصدق (خيرا لهم) من كراهة الجهاد ثم التفت من الغيبة الى الخطاب بضرب من التوبيخ والارهاب فقال (فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا فى الارض وتقطعوا أرحامكم) فلعلكم ان أعرضتم عن دين رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته ان ترجعوا الى ما كنتم عليه فى الجاهلية من الافساد فى الارض بالتغاور والتناهب وقطع الارحام بمقاتلة بعض الاقارب بعضا ووأد البنات وخبر عسى أن تفسدوا والشرط اعتراض بين الاسم والخبر والتقدير فهل عسيتم أن تفسدوا فى الارض وتقطعوا

﴿ فاولى لهم ﴾ فويل لهم افعل من الولى وهو القرب اوفعلى من آل ومعناه الدعاء عليهم بان يليهم المكروه اويؤول اليه امرهم ﴿ طاعة وقول معروف ﴾ استئناف اى امرهم طاعة اوطاعة وقول معروف خير لهم اوحكاية قولهم لقراءة ابى يقولون طاعة ﴿ فاذا عزم الامر ﴾ اى جد وهو لاصحاب الامر واسناده اليه مجاز وعامل الظرف محذوف وقيل ﴿ فلو صدقوا الله ﴾ اى فيما زعموا من الحرص على الجهاد اوالايمان ﴿ لكان ﴾ الصدق ﴿ خيرا لهم فهل عسيتم ﴾ فهل يتوقع منكم ﴿ ان توليتم ﴾ امور الناس وتأمرتم عليه اواعرضتم وتوليتم عن الاسلام ﴿ ان تفسدوا فى الارض وتقطعوا ارحامكم ﴾ تناحرا على الولاية وتجاذبا لها اورجوعا الى ما كنتم عليه فى الجاهلية من

﴿ فاولى لهم ﴾ فيه وعيد وتهديد وهو معنى قولهم فى التهديد ويلك وقاربك ماتكره وتم الكلام عند هذا ثم ابتدأ بقوله ﴿ طاعة وقول معروف ﴾ فعلى هذا هو مبتدأ محذوف الخبر تقديره طاعة وقول معروف أمثل لهم وأولى بهم والمعنى لو أطاعوا وقالوا قولا معروفا كان أمثل وأحسن وقيل هو متصل بما قبله واللام فى لهم بمعنى الباء مجازه فاولى بهم طاعة الله وطاعة رسوله وقول معروف بالاجابة والمعنى لو أطاعوا وأجابوا لكانت الطاعة والاجابة أولى بهم وهذا معنى قول ابن عباس فى رواية عطاء عنه ﴿ فاذا عزم الامر ﴾ فيه حذف تقديره فاذا عزم صاحب الامر وقيل هو على أصله ومجازه كقولنا جاء الامر ودنا الوقت وهذا أمر متوقع ومعنى الآية فاذا عزم الامر خالف المنافقون وكذبوا فيما وعدوا به ﴿ فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم ﴾ يعنى الصدق وقيل معناه لو صدقوا الله فى اظهار الايمان والطاعة لكان ذلك خيرا لهم ﴿ فهل عسيتم ﴾ أى فلعلكم ﴿ ان توليتم ﴾ يعنى أعرضتم عن سماع القرآن وفارقتم أحكامه ﴿ ان تفسدوا فى الارض ﴾ يعنى تعودوا الى ما كنتم عليه فى الجاهلية من الفساد فى الارض بالمعصية والبغى وسفك الدم وترجعوا الى الفرقة بعد ما جمعكم الله بالاسلام ﴿ وتقطعوا أرحامكم ﴾ قال قتادة كيف رأيتم القوم حين تولوا عن كتاب الله ألم يسفكوا الدم الحرام وقطعوا الارحام وعصوا الرحمن (ق) عن أبى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الرحم شجنة من الرحمن فقال الله تعالى من وصلك وصلته ومن قطعك قطعته وفى رواية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق الخلق حتى اذا فرغ منهم قامت الرحم فاخذت بحقو الرحمن فقال مه فقالت هذا مقام العائذ بك من القطيعة قال نعم أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك قالت بلى قال فذلك لك ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرؤا ان شئتم فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا فى الارض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فاصمهم وأعمى أبصارهم أفلا يتدبرون

(فأولى لهم) وعيد لهم من عذاب الله (طاعة) يقول هذا من المؤمنين طاعة لله ولرسوله (وقول معروف) كلام حسن ويقال طاعة المنافقين لله ولرسوله وقول معروف كلام حسن لمحمد عليه السلام خير لهم من المعصية والمخالفة والكراهية ويقال أطيعوا طاعة الله وقولوا قولا معروفا لمحمد (فاذا عزم الامر) جد الامر وظهر الاسلام وكثر المسلمون (فلو صدقوا الله) يعنى المنافقين بايمانهم وجهادهم (لكان خيرا لهم) من المعصية (فهل عسيتم ان توليتم) فلعلكم يامعشر المنافقين تتمنون ان توليتم أمر هذه الامه بعد النبى صلى الله عليه وسلم (ان تفسدوا فى الارض) بالقتل والمعاصى والفساد (وتقطعوا أرحامكم) باظهار

التغاور ومقاتلة الاقارب والمعنى انهم لضعفهم فى الدين وحرصهم على الدنيا احقاء بان يتوقع ذلك منهم من عرف حالهم ويقول لهم هل عسيتم وهذا على لغة الحجاز فان بنى تميم لايلحقون الضمير به وخبره ان تفسدوا وان توليتم اعتراض وعن يعقوب توليتم اى ان تولاكم ظلمة خرجتم معهم وساعدتموهم فى الافساد وقطيعة الرحم وتقطعوا من القطع وقرئ تقطعوا من التقطع ﴿ اولئك ﴾ اشارة الى المذكورين ﴿ الذين لعنهم الله ﴾ لافسادهم وقطعهم الارحام ﴿ فاصمهم ﴾ عن استماع الحق ﴿ واعمى ابصارهم ﴾ فلا يهتدون سبيله ﴿ افلا يتدبرون القرآن ﴾ يتصفحونه ومافيه من

القرآن أم على قلوب أقفالها الشجنة القرابة المشتبكة كاشتباك العروق والحقو مشد الازار من الانسان وقد يطلق على الازار ولما جعل الرحم شجنة من الرحمن استعار لها الاستمساك به والاخذ كما يستمسك القريب من قريبه والنسيب من نسيبه ومعنى صلة الرحم مبرة الاقارب والاحسان اليهم وقطع الرحم ضد صلتها والعائذ اللائذ المستجير قال القاضى عياض الرحم التى توصل وتقطع وتبر انما هى معنى من المعانى وليست بجسم وانما هى قرابة ونسب يجمعه رحم والده فيتصل بعضه ببعض فسمى ذلك الاتصال رحما والمعانى لايتأتى منها القيام ولا الكلام فيكون ذكر قيامها هنا وتعلقها ضرب مثل وحسن استعارة على عادة العرب فى استعمال ذلك والمراد تعظيم شانها وفضيلة واصلها وعظيم اثم قاطعها ولهذا سمى العقوق قطعا كانه قطع ذلك السبب المتصل قال ويجوز ان يكون المراد قيام ملك من الملائكة تعلق بالعرش وتكلم على لسانها بهذا بامر الله عز وجل هذا كلام القاضى عياض فى معنى هذا الحديث والله أعلم وقيل فى الآية فى قوله ان توليتم هو من الولاية يعنى فهل عسيتم ان توليتم أمر الناس ان تفسدوا فى الارض يعنى بالظلم وتقطعوا أرحامكم ومعنى الاستفهام فى قوله فهل عسيتم للتقرير المذكور والمعنى هل يتوقع منكم الافساد فان قلت عسى طمع وترج وتوقع وذلك على الله محال لانه تعالى عالم بكل شئ فما معناه قلت قال بعضهم معناه يفعل بكم فعل المترجى المبتلى وقال بعضهم معناه كل من ينظر اليهم يتوقع منهم ذلك وقال الزمخشرى معناه انه لما عهد منكم أحقاء بان يقول لكم كل من ذاقكم وعرف تمريضكم ورخاوة عقدكم فى الايمان ياهؤلاء ماترون هل يتوقع منكم ان توليتم أمور الناس وتأمرتم عليهم ان تفسدوا فى الارض وتقطعوا أرحامكم تناحرا على الملك وتهالكا على الدنيا ﴿ أولئك ﴾ اشارة الى من اذا تولى أفسد فى الارض وقطع الارحام ﴿ الذين لعنهم الله ﴾ يعنى أبعدهم من رحمته وطردهم عن جنته ﴿ فاصمهم ﴾ يعنى عن سماع الحق ﴿ وأعمى أبصارهم ﴾ يعنى عن طريق الهدى وذلك انهم لما سمعوا القرآن فلم يفهموه ولم يؤمنوا به وأبصروا طريق الحق فلم يسلكوه ولم يتبعوه فكانوا بمنزلة الصم العمى وان كان لهم أسماع وأبصار فى الظاهر ﴿ أفلا يتدبرون القرآن ﴾ يعنى يتفكرون فيه وفى مواعظه وزواجره وأصل التدبر التفكر فى عاقبة الشئ ومايؤول اليه أمره وتدبر القرآن لا يكون

أرحامكم ان توليتم (أولئك) اشارة الى المذكورين (الذين لعنهم الله) أبعدهم عن رحمته (فاصمهم) عن استماع الموعظة (وأعمى أبصارهم) عن ابصارهم طريق الهدى (أفلا يتدبرون القرآن) فيعرفوا مافيه من المواعظ والزواجر ووعيد العصاة حتى لايجسروا على المعاصى

الكفر (أولئك) المنافقون (الذين لعنهم الله) هم الذين طردهم الله من كل خير (فأصمهم) عن الحق والهدى (وأعمى أبصارهم) عن الحق والهدى (أفلا يتدبرون القرآن) أفلا يتفكرون بالقرآن مانزل فيهم

المواعظ والزواجر حتى لايجسروا على المعاصى ﴿ ام على قلوب اقفالها ﴾ لايصل اليها ذكرولاينكشف لها امروقيل ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها التقرير وتنكير القلوب لان المراد قلوب بعض منهم اوللاشعار بانها لابهام امرها فى القساوة اولفرط جهالتها ونكرها كأنها مبهمة منكورة واضافة الاقفال اليهاللدلالة على اقفال مناسبة لها مختصة بها لاتجانس الاقفال المعهودة * وقرئ اقفالها على المصدر ﴿ ان الذين ارتدوا على ادبارهم ﴾ الى ما كانوا عليه من الكفر ﴿ من بعد ماتبين لهم الهدى ﴾ بالدلائل الواضحة والمعجزات الظاهرة ﴿ الشيطان سول لهم ﴾ سهل لهم اقتراف الكبائر من السول وهوالاسترخاء وقيل حملهم على الشهوات من السول وهو التمنى وفيه ان السول مهموز قلبت همزته واوا لضم ماقبلها ولا كذلك التسويل ويمكن رده بقولهم هما يتساولان * وقد قرئ سول على تقدير مضاف اى كيد الشيطان سول لهم ﴿ واملى لهم ﴾ ومدلهم فى الآمال والامانى اوامهلهم الله ولم يعاجلهم بالعقوبة لقرآءة يعقوب واملى لهم اى وانا املى لهم فيكون الواو للحال اوالاستئناف * وقرأ ابوعمرو واملى لهم على البناء

الامع حضور القلب وجمع الهم وقت تلاوته ويشترط فيه تقليل الغذاء من الحلال الصرف وخلوص النية ﴿ أم على قلوب أقفالها ﴾ يعنى بل على قلوب أقفالها وجعل القفل مثلا لكل مانع للانسان من تعاطى فعل الطاعة يقال فلان مقفل عن كذا بمعنى ممنوع منه فان قلت اذا كان الله تعالى قد أصمهم وأعمى أبصارهم وأقفل على قلوبهم وهو بمعنى الختم فكيف يمكنهم تدبر القرآن مع هذه الموانع الشديدة قلت تكليف مالايطاق جائز عندنا لان الله أمر بالايمان لمن سبق فى علمه انه لايؤمن فكذلك هنا والله يفعل مايريد لااعتراض لاحد عليه وقيل ان قوله أفلايتدبرون القرآن المراد به التأسى وقيل ان هذه الآية محققة للآية المتقدمة وذلك ان الله تعالى لما قال أولئك الذين لعنهم الله فاصمهم وأعمى أبصارهم فكان قوله أفلا يتدبرون القرآن كالتهييج لهم على ترك ماهم فيه من الكفر الذى استحقوا بسببه اللعنة أو كالتبكيت لهم على اصرارهم على الكفر والله أعلم بمراده * وروى البغوى باسناد الثعلبى عن عروة بن الزبير قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها فقال شاب من أهل اليمن بل على قلوب أقفالها حتى يكون الله يفتحها أو يفرجها فما زال الشاب فى نفس عمر حتى ولى فاستعان به هذا حديث مرسل وعروة بن الزبير تابعى من كبار التابعين وأجلهم لم يدرك النبى صلى الله عليه وسلم لانه ولد سنة أثنتين وعشرين وقيل غير ذلك * قوله عزوجل ﴿ ان الذين ارتدوا على أدبارهم ﴾ يعنى رجعوا القهقرى كفارا ﴿ من بعدما تبين لهم الهدى ﴾ يعنى من بعدما وضح لهم طريق الهداية قال قتادة هم كفار أهل الكتاب كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم من بعدما عرفوه ووجدوا نعته فى كتابهم وقال ابن عباس والضحاك والسدى هم المنافقون آمنوا أولا ثم كفروا ثانيا ﴿ الشيطان سول لهم ﴾ يعنى زين لهم القبيح حتى رأوه حسنا ﴿ وأملى لهم ﴾

(أم على قلوب أقفالها) بمعنى بل وهمزة التقرير للتسجيل عليهم بان قلوبهم مقفلة لايتوصل اليها ذكر ونكرت القلوب لان المراد على قلوب قاسية مبهم أمرها فى ذلك والمراد بعض القلوب وهى قلوب المنافقين وأضيفت الاقفال الى القلوب لان المراد الاقفال المختصة بها وهى أقفال الكفر التى استغلقت فلاتنفتح نحو الرين والختم والطبع (ان الذين ارتدوا على ادبارهم من بعد ماتبين لهم الهدى) أى المنافقون رجعوا الى الكفر سرا بعد وضوح الحق لهم (الشيطان سول) زين (لهم) جملة من مبتدأ وخبر وقعت خبرا لان نحو ان زيدا عمرو مر به (وأملى لهم) ومدلهم فى الآمال والامانى وأملى أبو عمرو أى أمهلوا ومد فى عمرهم

(أم على قلوب أقفالها) أم على قلوب المنافقين أقفال لايعقلون مانزل فيهم (ان الذين ارتدوا على أدبارهم) رجعوا الى دين آبائهم وهم اليهود (من بعد ماتبين لهم الهدى) التوحيد والقرآن وصفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته فى القرآن (الشيطان سول لهم) زين لهم الرجوع الى دينهم (واملى لهم) الله أمهلهم اذلم يهلكهم

(ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا مانزل الله) أى المنافقون قالوا لليهود (سنطيعكم فى بعض الامر) أى عداوة محمد والقعود عن نصرته (والله يعلم اسرارهم) على المصدر من أسر حمزة وعلى وحفص أسرارهم غيرهم جمع سر (فكيف اذا توفتهم الملائكة) أى

فكيف يعملون وماحيلتهم حينئذ (يضربون وجوههم وأدبارهم) عن ابن عباس رضى الله عنهما لايتوفى أحد على معصية الا يضرب من الملائكة فى وجهه ودبره (ذلك) اشارة الى التوفى الموصوف (بانهم) بسبب انهم (اتبعوا ماأسخط الله) من معاونة الكافرين (وكرهوا رضوانه) من نصرة المؤمنين (فأحبط أعمالهم

المفعول وهو ضمير الشيطان اولهم ﴿ ذلك بانهم قالوا للذين كرهوا مانزل الله ﴾ اى قال اليهود الذين كفروا بالنبى بعد ماتبين لهم نعته للمنافقين اوالمنافقون لهم اواحد الفريقين للمشركين ﴿سنطيعكم فى بعض الامر﴾ فى بعض اموركم اوفى بعض ماتأمرون به كالقعود عن الجهاد والموافقة فى الخروج معهم ان اخرجوا والتظافر على الرسول ﴿والله يعلم اسرارهم﴾ ومنها قولهم هذا الذى افشاه الله عليهم وقرأ حمزة والكسائى وحفص اسرارهم على المصدر ﴿فكيف اذا توفتهم الملائكة﴾ فكيف يعملون ويحتالون حينئذ وقرئ توفاهم وهو يحتمل الماضى والمضارع المحذوف احدى تاءيه ﴿ يضربون وجوههم وأدبارهم ﴾ تصوير لتوفيهم بما يخافون منه ويجبنون عن القتال له ﴿ذلك﴾ اشارة الى التوفى الموصوف ﴿ بانهم اتبعوا ماأسخط الله ﴾ من الكفر وكتمان نعت الرسول وعصيان الامر ﴿وكرهوا رضوانه﴾ مايرضاه من الايمان والجهاد وغيرهما من الطاعات ﴿فأحبط اعمالهم﴾

(ذلك) الارتداد (بأنهم قالوا) يعنى اليهود (للذين كرهوا) وهم المنافقون جحدوا فى السر (مانزل الله) به جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم (سنطيعكم) سنعينكم يامعشر المنافقين (فى بعض الامر) أمر محمد عليه السلام بلااله الاالله ان كان له ظهور علينا (والله يعلم أسرارهم) أسرار اليهود مع المنافقين (فكيف) يصنعون (اذا توفتهم الملائكة) قبضتهم الملائكة يعنى اليهود (يضربون وجوههم) بمقامع من حديد (وأدبارهم) ظهورهم (ذلك) الضرب والعقوبة

قرئ بضم الالف وكسر اللام وفتح الياء على مالم يسم فاعله يعنى أمهلوا ومدلهم فى العمر وقرئ وأملى لهم بفتح الالف واللام بمعنى وأملى لهم الشيطان بان مدلهم فى الامل فان قلت الاملاء والامهال لايكونان الا من الله لانه الفاعل المطلق وليس للشيطان فعل قط على مذهب أهل السنة فما معنى هذه القراءة قلت ان المسول والمملى هو الله تعالى فى الحقيقة وليس للشيطان فعل وانما أسند اليه ذلك من حيث ان الله تعالى قدر ذلك على يده ولسانه فالشيطان يمنيهم ويزين لهم القبيح ويقول لهم فى آجالكم فسحة فتمتعوا بدنياكم ورياستكم الى آخر العمر ﴿ ذلك ﴾ اشارة الى التسويل والاملاء ﴿ بانهم ﴾ يعنى بان أهل الكتاب أو المنافقين ﴿ قالوا للذين كرهوا مانزل الله ﴾ وهم المشركون ﴿ سنطيعكم فى بعض الامر ﴾ يعنى من التعاون على عداوة محمد صلى الله عليه وسلم وترك الجهاد معه والقعود عنه وكانوا يقولون ذلك سرا فاخبر الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم خبرهم * ثم قال ﴿ والله يعلم أسرارهم ﴾ يعنى انه تعالى لاتخفى عليه خافية من أمرهم ﴿ فكيف اذا توفتهم الملائكة ﴾ يعنى فكيف يكون حالهم اذا توفتهم الملائكة ﴿ يضربون وجوههم وأدبارهم ذلك ﴾ يعنى ذلك الضرب ﴿بانهم﴾ يعنى بسبب انهم ﴿ اتبعوا ما أسخط الله ﴾ يعنى ترك الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس بما كتموا من التوراة وكفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم ﴿ وكرهوا رضوانه ﴾ يعنى كرهوا مافيه رضوان الله عزوجل وهو الايمان والطاعة والجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ فأحبط أعمالهم ﴾ التى عملوها من أعمال

(بانهم اتبعوا ماأسخط الله) من اليهودية (وكرهوا رضوانه) جحدوا توحيده (فأحبط أعمالهم) (البر) فابطل حسناتهم فى اليهودية ويقال نزلت من قوله ان الذين ارتدوا على أدبارهم الى هنا فى شأن المنافقين الذين رجعوا من المدينة الى مكة مرتدين عن دينهم ويقال نزلت فى شأن الحكم بن أبى العاص المنافق وأصحابه الذين شاوروا فيما بينهم يوم الجمعة فى أمر الخلافة بعد النبى صلى الله عليه وسلم ان ولينا أمر هذه الامة نفعل كذا وكذا كانوا يشاورون فى هذا

ام حسب الذين فى قلوبهم مرض ان لن يخرج الله اضغانهم) احقادهم والمعنى اظن المنافقون ان الله تعالى لايبرز بغضهم وعداوتهم للمؤمنين (ولو نشاء لاريناكهم) لعرفناكهم ودللناك عليهم (فلعرفتهم بسيماهم) بعلامتهم وهو ان يسمهم الله بعلامة يعلمون بها وعن انس رضى الله عنه ماخفى على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية احد من المنافقين كان يعرفهم بسيماهم (ولتعرفنهم فى لحن القول) فى نحوه واسلوبه الحسن من فحوى كلامهم لانهم كانوا لا يقدرون على كتمان مافى انفسهم واللام فى فلعرفتهم داخلة فى جواب لو كالتى فى لاريناكهم كررت فى المعطوف واما اللام فى ولتعرفنهم فواقعة مع النون فى جواب قسم محذوف (والله يعلم أعمالكم) فيميز خيرها من شرها (ولنبلونكم) بالقتال اعلاما لا استعلاما اونعاملكم معاملة المختبر ليكون ابلغ فى اظهار العدل

لذلك ﴿ ام حسب الذين فى قلوبهم مرض ان لن يخرج الله ﴾ ان لن يبرز الله لرسوله والمؤمنين ﴿ اضغانهم ﴾ احقادهم ﴿ ولو نشاء لاريناكهم ﴾ لعرفناكهم بدلائل تعرفهم بأعيانهم ﴿ فلعرفتهم بسيماهم ﴾ بعلاماتهم التى تسمهم بها واللام لام الجواب كررت فى المعطوف ﴿ ولتعرفنهم فى لحن القول ﴾ جواب قسم محذوف ولحن القول اسلوبه اوامالته الى جهة تعريض وتورية ومنه قيل للمخطئ لاحن لانه يعدل الكلام عن الصواب ﴿ والله يعلم اعمالكم ﴾ فيجازيكم على حسب قصدكم اذ الاعمال بالنيات ﴿ ولنبلونكم ﴾ بالامر بالجهاد وسائر التكاليف الشاقة

البر لانها لم تكن لله ولا بامره ﴿ أم حسب الذين فى قلوبهم مرض ﴾ أى شك ونفاق وهم المنافقون ﴿ ان لن يخرج الله أضغانهم ﴾ يعنى يظهر أحقادهم على المؤمنين فيبديها حتى يعرف المؤمنون نفاقهم واحدها ضغن وهو الحقد الشديد وقال ابن عباس حسدهم ﴿ ولو نشاء لاريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ﴾ لما قال تعالى أم حسب الذين فى قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم فكأن قائلا قال لم لم يخرج أضغانهم ويظهرها فاخبر الله تعالى انه انما آخر ذلك لمحض المشيئة لا لخوف منهم فقال تعالى ولو نشاء لاريناكهم أى لا مانع لنا من ذلك والاراءة بمعنى التعريف والعلم وقوله فلعرفتهم لزيادة فائدة وهى ان التعريف قد يطلق ولا يلزم منه المعرفة الحقيقية كما يقال عرفته فلم يعرف فكان المعنى هنا عرفناكهم تعريفا تعرفهم به ففيه اشارة الى قوة ذلك التعريف الذى لا يقع معه اشتباه وقوله بسيماهم يعنى بعلامتهم أى نجعل لك علامة تعرفهم بها قال أنس ماخفى على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الآية شئ من المنافقين وكان يعرفهم بسيماهم ﴿ ولتعرفنهم فى لحن القول ﴾ يعنى فى معنى القول وفحواه ومقصده وللحن معنيان صواب وخطأ صرف الكلام وازالته عن التصريح الى المعنى والتعريض وهذا محمود من حيث البلاغة ومنه قوله صلى الله عليه وسلم فلعل بعضكم ألحن بحجته من بعض واليه قصد بقوله ولتعرفنهم فى لحن القول وأما اللحن المذموم فظاهر وهو صرف الكلام عن الصواب الى الخطأ بازالة الاعراب أو التصحيف ومعنى الآية وانك يا محمد لتعرفن المنافقين فيما يعرضون به من القول من تهجين أمرك وأمر المسلمين وتقبيحه والاستهزاء به فكان بعد هذا لا يتكلم منافق عند النبى صلى الله عليه وسلم الا عرفه بقوله ويستدل بفحوى كلامه على فساد باطنه ونفاقه ❁ ثم قال تعالى ﴿ والله يعلم أعمالكم ﴾ يعنى أعمال جميع عباده فيجازى كلا على قدر عمله ❁ قوله تعالى ﴿ ولنبلونكم ﴾ يعنى ولنعاملنكم معاملة المختبر فان الله تعالى عالم بجميع الاشياء قبل كونها ووجودها

والنبى يخطب ولا يستمعون الى خطبته حتى قالوا بعد ذلك لعبد الله بن مسعود ماذا قال النبى صلى الله عليه وسلم الآن على المنبر استهزاء منهم (أم حسب) أيظن (الذين فى قلوبهم مرض) شك ونفاق (أن لن يخرج الله أضغانهم) أن لن يظهر الله عداوتهم وبغضهم لله ولرسوله ويقال نفاقهم للمؤمنين وعداوتهم وبغضهم (ولو نشاء) لاريناكهم) يا محمد بالعلامة القبيحة (فلعرفتهم) فلتعرفنهم (بسيماهم) بعلامتهم القبيحة بعد ذلك (ولتعرفنهم) ولكن تعرفهم يا محمد (فى لحن القول) فى محاورة الكلام وهى معذرة المنافقين (والله يعلم أعمالكم) أسراركم وعداوتكم وبغضكم لله ولرسوله (ولنبلونكم) والله لنختبرنكم بالقتال

(قا و خا ٦٥ مس)

(حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين) على الجهاد اى نعلم كائنا ماعلمناه انه سيكون (ونبلو اخباركم) اسراركم وليبلونكم حتى يعلم ويبلو ابو بكر وعن الفضيل انه كان اذا قرأها بكى وقال اللهم لاتبلنا فانك ان بلوتنا فضحتنا وهتكت استارنا وعذبتنا (ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول) وعادوه يعنى المطعمين يوم بدر وقدم (من بعد ماتبين لهم الهدى) من بعد ماظهر لهم انه الحق وعرفوا الرسول (لن يضروا الله شيأ وسيحبط اعمالهم) التى عملوها فى مشاقة الرسول اى سيبطلها فلا يصلون منها الى اغراضهم (ياايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا تبطلوا اعمالكم) بالنفاق

﴿حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين﴾ على مشاقها ﴿ونبلوا اخباركم﴾ مايخبر به عن اعمالكم فيظهر حسنها وقبحها او اخبارهم عن ايمانهم وموالاتهم المؤمنين فى صدقها وكذبها وقرأ ابو بكر الافعال الثلاثة بالياء ليوافق ماقبلها وعن يعقوب ونبلو بسكون الواو على تقدير ونحن نبلو ﴿ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد ماتبين لهم الهدى﴾ هم قريظة والنضير او المطعمون يوم بدر ﴿لن يضروا الله شيأ﴾ بكفرهم وصدهم او لن يضروا رسول الله بمشاقته وحذف المضاف لتعظيمه وتفظيع مشاقيه ﴿وسيحبط اعمالهم﴾ ثواب حسنات اعمالهم بذلك او مكايدهم التى نصبوها فى مشاقته فلا يصلون بها الى مقاصدهم ولاتثمر لهم الا القتل والجلاء عن اوطانهم ﴿ياأيها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول ولاتبطلوا اعمالكم﴾ بما ابطل به هؤلاء كالكفر والنفاق والعجب والرياء

﴿حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين﴾ يعنى انا نأمركم بالجهاد حتى يظهر المجاهد ويتبين من يبادر منكم ويصبر عليه من غيره لان المراد من قوله حتى نعلم أى على الوجود والظهور ﴿ونبلو أخباركم﴾ يعنى نظهرها ونكشفها ليتبين من يأبى القتال ولايصبر على الجهاد ﴿ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول﴾ يعنى خالفوه فيما يامرهم به من الجهاد وغيره ﴿من بعدما تبين لهم الهدى﴾ يعنى من بعدما ظهر لهم أدلة الهدى وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم ﴿لن يضروا الله شيأ﴾ يعنى انما يضرون أنفسهم بذلك والله تعالى منزه عن ذلك ﴿وسيحبط أعمالهم﴾ يعنى وسيبطل أعمالهم فلايرون لها ثوابا فى الآخرة لانها لم تكن لله تعالى قال ابن عباس هم المطعمون يوم بدر * قوله عز وجل ﴿ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول﴾ لماذكر الله عز وجل الكفار بسبب مشاقتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الله المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ثم قال تعالى ﴿ولاتبطلوا أعمالكم﴾ قال عطاء يعنى بالشرك والنفاق والمعنى داوموا على ما أنتم عليه من الايمان والطاعة ولاتشركوا فتبطل أعمالكم وقيل لاتبطلوا أعمالكم بترك طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم كما أبطل أهل الكتاب أعمالهم بتكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعصيانه وقال الكلبى لاتبطلوا أعمالكم بالرياء والسمعة لان الله لايقبل من الاعمال الا ماكان خالصا لوجهه الكريم وقال الحسن لاتبطلوا أعمالكم بالمعاصى والكبائر قال أبو العالية كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرون انه لايضرهم مع الايمان ذنب كما لاينفع مع الشرك عمل

(حتى نعلم) حتى نميز (المجاهدين) فى سبيل الله (منكم) يا معشر المنافقين (والصابرين) ونميز الصابرين فى الحرب منكم (ونبلوأخباركم) نظهر أسراركم وبغضكم وعداوتكم ومخالفتكم لله ولرسوله ويقال نفاقكم (ان الذين كفروا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (وصدوا عن سبيل الله) صرفوا الناس عن دين الله وطاعته (وشاقوا الرسول) خالفوا الرسول فى الدين (من بعدماتبين لهم الهدى) التوحيد (لن يضروا الله شيأ) لن ينقصوا الله بمخالفتهم وعداوتهم وكفرهم وصدهم عن سبيل الله شيأ (وسيحبط أعمالهم) يبطل حسناتهم ونفقاتهم يوم بدر وهم المطعمون يوم بدر (ياأيها الذين آمنوا) (نزل) بالعلانية (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) فى السر (ولاتبطلوا أعمالكم) حسناتكم بالنفاق والبغض والعداوة ومخالفة الرسول ويقال نزلت هذه الآية فى المخلصين يقول ياأيها الذين آمنوا بمحمد عليه السلام والقرآن أطيعوا الله فيما أمركم من الفرائض والصدقة وأطيعوا الرسول فيما امركم من السنة والغزو والجهاد ولاتبطلوا أعمالكم بالرياء والسمعة

والمن والاذى ونحوها وليس فيه دليل على احباط الطاعات بالكبائر ﴿ ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم ﴾ عام فى كل من مات على كفره وان صح نزوله فى اصحاب القليب ويدل بمفهومه على انه قد يغفر لمن لم يمت على كفره مع سائر ذنوبه ﴿ فلا تهنوا ﴾ فلا تضعفوا ﴿ وتدعوا الى السلم ﴾ ولا تدعوا الى الصلح خورا وتذللا ويجوز نصبه باضمار ان وقرئ ولا تدعوا من ادعى بمعنى دعا وقرأ ابوبكر وحمزة بكسر السين ﴿ وانتم الاعلون ﴾ الاغلبون ﴿ والله معكم ﴾ ناصركم ﴿ ولن يتركم اعمالكم ﴾ ولن يضيع اعمالكم من وترت الرجل اذا قتلت متعلقا له من

فنزلت هذه الآية فخافوا من الكبائر بعد أن تحبط أعمالهم واستدل بهذه الآية من يرى احباط الطاعات بالمعاصى ولاحجة لهم فيها وذلك لان الله تعالى يقول فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وقال تعالى وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما فالله تعالى أعدل وأكرم من ان يبطل طاعات سنين كثيرة بمعصية واحدة وروى عن ابن عمر انه قال كنا نرى أنه لاشئ من حسناتنا الامقبولا حتى نزل ولا تبطلوا أعمالكم فقلنا ماهذا الذى يبطل أعمالنا فقلنا الكبائر والفواحش حتى نزل ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء فكففنا عن ذلك القول وكنا نخاف على من أصاب الكبيرة ونرجو لمن لم يصبها واستدل بهذه الآية من لايرى ابطال النوافل حتى لو دخل فى صلاة تطوع أو صوم تطوع لايجوز له ابطال ذلك العمل والخروج منه ولادليل لهم فى الآية ولاحجة لان السنة مبينة للكتاب وقد ثبت فى الصحيحين ان النبى صلى الله عليه وسلم أصبح صائما فلما رجع الى البيت وُجد حيسا فقال لعائشة قربيه فلقد أصبحت صائما فاكل وهذا معنى الحديث وليس بلفظه وفى الصحيحين أيضا ان سلمان زار أبا الدرداء فصنع له طعاما فلما قربه اليه قال كل فانى صائم قال لست بآكل حتى تأكل فاكل معه وقال مقاتل فى معنى الآية لاتمنوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتبطل أعمالكم نزلت فى بنى أسد وسنذكر القصة فى تفسير سورة الحجرات ان شاء الله تعالى ﴿ ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم ﴾ قيل نزلت فى أهل القليب وهم أبو جهل وأصحابه الذين قتلوا ببدر وألقوا فى قليب بدر وحكمها عام فى كل كافر مات على كفره فالله لايغفر له لقوله تعالى ان الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ﴿ فلا تهنوا ﴾ الخطاب فيه لاصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ثم هو عام لجميع المسلمين يعنى فلا تضعفوا أيها المؤمنون ﴿ وتدعوا الى السلم ﴾ يعنى ولا تدعوا الكفار الى الصلح أبدا منع الله المسلمين ان يدعوا الكفار الى الصلح وأمرهم بحربهم حتى يسلموا ﴿ وأنتم الاعلون ﴾ يعنى وأنتم الغالبون لهم والعالون عليهم أخبر الله تعالى ان الامر للمسلمين والنصرة والغلبة لهم عليهم وان غلبوا المسلمين فى بعض الاوقات ﴿ والله معكم ﴾ يعنى بالنصرة والمعونة ومن كان الله معه فهو العالى الغالب ﴿ ولن يتركم أعمالكم ﴾ يعنى لن ينقصكم

اوبالرياء (ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم) قيل هم اصحاب القليب والظاهر العموم (فلا تهنوا) فلا تضعفوا ولا تذلوا للعدو (وتدعوا الى السلم) وبالكسر حمزة وابو بكر وهما المسالمة اى ولا تدعوا الكفار الى الصلح (وأنتم الاعلون) اى الاغلبون وتدعوا مجزوم لدخوله فى حكم النهى (والله معكم) بالنصرة اى ناصركم (ولن يتركم أعمالكم) ولن ينقصكم اجر اعمالكم

(ان الذين كفروا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وهم المطعمون يوم بدر (وصدوا عن سبيل الله) صرفوا الناس عن دين الله وطاعته (ثم ماتوا) أوقتلوا (وهم كفار) بالله وبرسوله (فلن يغفر الله لهم) لانهم كفار بالله وبرسوله (فلا تهنوا) فلا تضعفوا يامعشر المؤمنين بالقتال مع العدو (وتدعوا الى السلم) الى الصلح ويقال الى الاسلام قبل القتال (وأنتم الاعلون) الغالبون وآخر الامر لكم (والله معكم) معينكم بالنصرة على عدوكم (ولن يتركم أعمالكم) ولن ينقص أعمالكم فى الجهاد

(انما الحيوة الدنيا لعب ولهو) تنقطع فى اسرع مدة (وان تؤمنوا) بالله ورسوله (وتتقوا) الشرك (يؤتكم اجوركم) ثواب ايمانكم وتقواكم

(ولا يسئلكم أموالكم) اى لا يسألكم جميعها بل ربع العشر والفاعل الله او الرسول وقال سفيان بن عيينة غيضا من فيض (ان يسئلكموها فيحفكم) أى يجهدكم ويطلبه كله والاحفاء المبالغة وبلوغ الغاية فى كل شئ يقال احفاه فى المسئلة اذا لم يترك شيأ من الالحاح واحفى شاربه اذا استأصله (تبخلوا ويخرج) اى الله او البخل (اضغانكم) عند الامتناع اوعند سؤال الجميع لان عند مسئلة المال تظهر العداوة والحقد (ها أنتم) ها للتنبيه (هؤلاء) موصول بمعنى الذين صلته (تدعون) اى أنتم الذين تدعون (لتنفقوا فى سبيل الله) هى النفقة فى الغزو اوالزكاة كأنه قيل الدليل على انه لو احفاكم لبخلتم وكرهتم العطاء انكم تدعون الى

(انما الحيوة الدنيا) ما فى الحياة الدنيا (لعب) باطل (ولهو) فرح لا يبقى (وان تؤمنوا) تستقيموا على ايمانكم بالله ورسوله (وتتقوا) الكفر والشرك والفواحش (يؤتكم) يعطكم (أجوركم) ثواب أعمالكم (ولا يسألكم أموالكم) كلها فى الصدقة (ان يسألكموها) (وجميع) كلها فى الصدقة (فيحفكم) يجهدكم (تبخلوا) بالصدقة فى طاعة الله (ويخرج أضغانكم) يظهر بخلكم (ها أنتم هؤلاء) أنتم يا هؤلاء (تدعون لتنفقوا فى سبيل الله) فى طاعة الله

قريب اوحميم فافردته عنه من الوتر شبه به تعطيل ثواب العمل وافراده منه ﴿انما الحيوة الدنيا لعب ولهو﴾ لاثبات لها ﴿وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم اجوركم﴾ ثواب ايمانكم وتقواكم ﴿ولا يسألكم اموالكم﴾ جميع اموالكم بل يقتصر على جزء يسير كربع العشر وعشره ﴿ان يسألكموها فيحفكم﴾ فيجهدكم بطلب الكل والاحفاء والالحاف المبالغة وبلوغ الغاية يقال احفى شاربه اذا استأصله ﴿تبخلوا﴾ فلا تعطوا ﴿ويخرج اضغانكم﴾ ويضغنكم على رسول الله عليه الصلاة السلام والضمير فى يخرج لله تعالى ويؤيده القراءة بالنون اوللبخل لانه سبب الاضغان * وقرئ وتخرج بالتاء والياء ورفع اضغانكم ﴿ها انتم هؤلاء﴾ اى انتم يا مخاطبون هؤلاء الموصوفون وقوله ﴿تدعون لتنفقوا فى سبيل الله﴾ استئناف مقرر لذلك اوصلة لهؤلاء على انه بمعنى الذين وهو يعم نفقة الغزو والزكاة وغيرهما

شيأ من ثواب اعمالكم وقال ابن عباس وغيره ان يظلمكم اعمالكم الصالحة بل يؤتيكم اجورها ثم حض على الآخرة بذم الدنيا فقال تعالى ﴿انما الحيوة الدنيا لعب ولهو﴾ اى باطل وغرور يعنى كيف تمنعكم الدنيا عن طلب الآخرة وقد علمتم ان الدنيا كلها لعب ولهوا لا ما كان منها فى عبادة الله عز وجل وطاعته واللعب ما يشغل الانسان وليس فيه منفعة فى الحال ولا فى المآل ثم اذا استعمله الانسان ولم يشغله عن غيره ولم ينسه اشغاله المهمة فهو اللعب وان اشغله عن مهمات نفسه فهو اللهو ﴿وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم﴾ يعنى يؤتكم جزاء اعمالكم فى الآخرة ﴿ولا يسئلكم أموالكم﴾ يعنى ان الله تعالى لا يسأل من العباد اموالهم لايتاء الاجر عليها بل يأمرهم بالايمان والتقوى والطاعة ليثيبهم عليها الجنة وقيل معناه ولا يسألكم محمد صلى الله عليه وسلم اموالكم وقيل معناه لا يسألكم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم اموالكم كلها فى الصدقات انما يسألكم غيضا من فيض وهو ربع العشر من اموالكم وهو زكاة اموالكم ثم ترد عليكم ليس لله ورسوله فيها حاجة انما فرضها الله تعالى فى اموال الاغنياء وردها على الفقراء فطيبوا باخراج الزكاة انفسكم والى هذا القول ذهب سفيان بن عيينة ويدل عليه سياق الآية وهو قوله تعالى ﴿ان يسئلكموها﴾ الضمير عائد الى الاموال ﴿فيحفكم﴾ يعنى يجهدكم ويطلبها كلها والاحفاء المبالغة فى المسئلة وبلوغ الغاية فى كل شئ يقال احفاه فى المسئلة اذا لم يترك شيأ من الالحاح ﴿تبخلوا﴾ يعنى بالمال فلا تعطوه ﴿ويخرج اضغانكم﴾ يعنى بغضكم وعداوتكم لشدة محبتكم للاموال قال قتادة علم الله ان الاحفاء بمسئلة الاموال يخرج الاضغان ﴿ها أنتم هؤلاء﴾ يعنى أنتم يا هؤلاء المخاطبون الموصوفون ثم استأنف وصفهم فقال تعالى ﴿تدعون لتنفقوا فى سبيل الله﴾ قيل اراد به النفقة فى الجهاد والغزو وقيل المراد به اخراج الزكاة

اداء ربع العشر (فنكم من يبخل) بالرفع لان من هذه ليست للشرط اى فنكم ناس يبخلون به (ومن يبخل) بالصدقة واداء الفريضة (فانما يبخل عن نفسه) اى يبخل عن داعى نفسه لا عن داعى ربه وقيل يبخل على نفسه يقال بخلت عليه وعنه (والله الغنى وأنتم الفقراء) اى انه لا يأمر بذلك لحاجته اليه لانه غنى عن الحاجات ولكن لحاجتكم وفقركم الى الثواب (وان تتولوا) وان تعرضوا ايها العرب عن طاعته وطاعة رسوله والانفاق فى سبيله وهو معطوف على وان تؤمنوا وتتقوا (يستبدل قوما غيركم) يخلق قوما خيرا منكم واطوع وهم فارس وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القوم وكان سلمان الى جنبه فضرب على فخذه وقال هذا وقومه والذى نفسى بيده لو كان الايمان منوطا بالثريا لناله رجال من فارس (ثم لايكونوا أمثالكم) اى ثم لايكونوا فى الطاعة امثالكم بل اطوع منكم

﴿فنكم من يبخل﴾ ناس يبخلون وهو كالدليل على الآية المتقدمة ﴿ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه﴾ فان نفع الانفاق وضرر البخل عائدان اليه والبخل يعدى بعن وعلى لتضمنه معنى الامساك والتعدى فانه امساك عن مستحق ﴿والله الغنى وانتم الفقراء﴾ فما يأمركم به فهو لاحتياجكم فان امتثلتم فلكم وان توليتم فعليكم ﴿وان تتولوا﴾ عطف على وان تؤمنوا ﴿يستبدل قوما غيركم﴾ يقم مقامكم قوما آخرين ﴿ثم لايكونوا امثالكم﴾ فى التولى والزهد فى الايمان وهم الفرس لانه سئل عليه الصلاة والسلام عنه وكان سلمان الى جنبه فضرب فخذه وقال هذا وقومه او الانصار او اليمن او الملائكة * عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة محمد كان حقا على الله ان يسقيه من انهار الجنة

وجميع وجوه البر والكل فى سبيل الله ﴿فنكم من يبخل﴾ يعنى بما فرض عليه اخراجه من الزكاة أو ندب الى انفاقه فى وجوه البر ﴿ومن يبخل﴾ يعنى بالصدقة واداء الفريضة فلا يتعداه ضر بخله وهو قوله تعالى ﴿فانما يبخل عن نفسه﴾ اى على نفسه ﴿والله الغنى﴾ يعنى عن صدقاتكم وطاعاتكم لانه الغنى المطلق الذى له ملك السموات والارض ﴿وانتم الفقراء﴾ يعنى اليه والى ما عنده من الخيرات والثواب فى الدنيا والآخرة ﴿وان تتولوا﴾ يعنى عن طاعة الله تعالى وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وعن القيام بما امركم به والزمكم اياه ﴿يستبدل قوما غيركم ثم لايكونوا امثالكم﴾ يعنى يكونون اطوع لله ورسوله صلى الله عليه وسلم منكم قال الكلبى هم كندة والنخع من عرب اليمن وقال الحسن هم العجم وقال عكرمة هم فارس والروم عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لايكونوا امثالكم قالوا ومن يستبدل بنا قال فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم على منكب سلمان ثم قال هذا واصحابه اخرجه الترمذى وقال حديث غريب وفى اسناده مقال وله فى رواية اخرى عن ابى هريرة قال قال ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يارسول الله من هؤلاء الذين ذكر الله عزوجل ان تولينا استبدلوا منا ثم لايكونوا امثالنا قال وكان سلمان بجنب رسول الله صلى الله عليه وسلم فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فخذ سلمان فقال هذا واصحابه والذى نفسى بيده لو كان الايمان منوطا بالثريا لتناوله رجال من فارس ولهذا الحديث طرق فى الصحيح ترد فى سورة الجمعة ان شاء الله تعالى

والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده

تمت

(فنكم من يبخل) بالصدقة عن طاعة الله (ومن يبخل) بالصدقة عن طاعة الله (فانما يبخل) بالثواب والكرامة (عن نفسه والله الغنى) هو الغنى عن أموالكم وصدقاتكم (وأنتم الفقراء) الى رحمة الله وجنته ومغفرته (وان تتولوا) عن طاعة الله وطاعة رسوله وعما أمركم من الصدقة (يستبدل قوما غيركم) يهلككم ويأت بآخرين خيرا منكم وأطوع (ثم لايكونوا أمثالكم) بالمعصية والطاعة ولكن يكونوا خيرا منكم وأطوع لله ويقال نزل من قوله يا أيها الذين آمنوا الى ههنا فى شأن المنافقين أسد وغطفان فبدل الله بهم جهينة ومزينة خيرا منهم وأطوع لله وذلك انا فتحنالك